تقريب النفيس بحديث القدس

واقدساه

تأليف

أنس سيد حسين العفاني

توزيع

مكتبة دار الآثار الحديثة

السعودية - الطائف - شارع خالد بن الوليد

ت ٧٢٥٤٦٧١ - فاكس ٧٢٥١٤١٢

تذكير النفس بحديث القدس

واقدساه

تأليف

الدكتور سيد حسين العفاني

الجزء الأول

الناشر
مكتبة معاذ بن جبل
ت ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠

توزيع
دار العفاني
ت وفاكس ٠٨٢٣١٧٣٤٤

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الأولى

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

بني سويف ت: ٠٨٢/٣١٧٣٤٤

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠١ / ٢٧٢٧

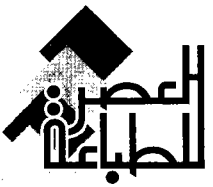

هـاتـف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكـس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨

تذكير النفس
بحديث القدس
واقدساه

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى محمد الدُّرَّة

♥ إلى شهيد القدس.. من تصحو المآذن في وجهه.. والبراكين من قبره توقظ الغفاة

أفديك يا ولداه بالدنيا.. وما ملكت يمين

يا أجمل الأطيار في وطني.. وغصن الياسمين

يا نفحة الأقصى.. ويا غرس الجدود الفاتحين

أفديك يا ولدي بمن خانوا ومن جبنوا على مر السنين.

---

(١) نسأل اللَّه له أن يتقبله في عداد الشهداء.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

❁ مقدمة ❁

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

لو كُتب كتاب بدمع العين ووجيب القلب وخفق الضلوع، وأريج السحر لكتبت به جمعي عن القدس، وكتابي هذا «تذكير النفس بحديث القدس (وا قدساه)».

كيف لا، ولبيت المقدس والمسجد الأقصى كان الإسراء، ولأرضه فُتحت السماء، وعنه تُؤثر أنباء الأنبياء وآلاء الأولياء، ومشاهد الشهداء، وكرامات الكُرماء، وعلامات العلماء، وفيه مَبَارك المَبَارّ، ومسارحُ المسارّ، وصخرتها الطُّولى القبلة الأُولى، ومنها تعالت القدم النبوية، وتوالت البركة العلوية وعندها صلى نبينا ﷺ بالنبيين، وصحب الروح الأمين، وصعد منها إلى أعلى عليين.

فما أجلّه وأعظمه، وأشرفه وأفخمه، وأعلاه وأجلاه، وأسماه وأسناه، وأيمن بركاته وأبرك ميامنه، وأحسن حالاته وأحلى محاسنه، وأزين مباهجه وأبهج مزاينه، وقد أظهر اللَّه طُوله وطَوْله بقوله ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[1].

إلى القدس هاجر إبراهيم عليه السلام، وتكون الهجرة إليها آخر الزمان، وتمنّى موسى عليه السلام أن يدنيه اللَّه منها عند موته، وشدد اللَّه لداود ملكه بها، وألان له الحديد، وتاب اللَّه على داود بالقدس، وردّ اللَّه على سليمان عليه السلام ملكه في بيت المقدس، وبشر اللَّه زكريا بيحيى في المقدس، وكانت الأنبياء صلوات اللَّه عليهم وسلامه

(١) «عيون الروضتين» (٣/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).

يقربون القرابين بها، وتهبط الملائكة إليها، وكفل زكريا مريم عليهما السلام بها، وتقبل اللَّه من امرأة عمران نذرها بها، وفضل اللَّه مريم على نساء العالمين فيها، وبشر اللَّه مريم بعيسى عليه السلام فيها، وفيها آتى اللَّه الحكم ليحيى صبيًّا، ولد فيها عيسى عليه السلام، وبها كان يحيي الموتى بإذن اللَّه، وأُنزلت عليه المائدة فيها، ورفعه اللَّه إلى السماء منها، وهي مستقر خلافة المهدي عليه السلام، ولا يهبطها الدجال، ويُقتل على يد المسيح عليه السلام، ويُهلِك اللَّه يأجوج ومأجوج في أرضها..

أرض النبوات والبركات، أرض الرباط والجهاد.. زهرة المدائن.. مدينة اللَّه.. بيت السماء.. أرض الإسراء والمعراج.

للَّه كم هي مباركة مقدسة مبوأ صدق، دار رباط.

فانهض فهاتيك الربى قد فوّحَتْ ... بالعِطْر من عَبَق الجهاد المُلْهِمِ
أمجاد تاريخ ووحي نبوة ... وجلالُ إسراءٍ وعزّةُ مسلِمِ
ورفيف آيات تموجُ بساحها ... نُورًا فيغمُر من رُبًى أوْ مَعْلَمِ

❀ ❀ ❀

وفي كتابنا هذا.. نذكر أسماء القدس، ومكانها ووديانها وجبالها وأبوابها، والمسجد الأقصى وأبوابه، ثم نعرّج على فضل القدس في الكتاب والسنة، ونتكلم عن تاريخها قبل الإسلام، ثم مكانة القدس عند الصحابة، واهتمامهم بفتحها، ونذكر فتحها في أيام الصحابة الأبرار، ونتكلم عن تاريخ القدس بداية من الخلافة الأموية حتى سقوطها في زمن الفاطميين العبيديين، وكيف سقطت.

ونفرد مساحة كبيرة لسقوط القدس في أيدي الصليبيين ونذكر المذابح التي تمت عند احتلالها.

ثم نذكر الأحداث التي مهّدت لفتح القدس بداية من عصر عماد الدين زنكي، ثم ولده المبارك نور الدين محمود بن زنكي، والأسباب التي أدت إلى استعادة فتحها على يد البطل ولي اللَّه صلاح الدين الأيوبي.

ثم نذكر ـ لحظة بلحظة ـ الساعات المجيدة ساعات الفتح، وما تلاها، وأول خطبة في المسجد الأقصى بعد الفتح، وكيف سجل أدباء الإسلام هذه الأيام.

ثم نعرج على تاريخ فلسطين بعد صلاح الدين، ثم في أيام المماليك.

ثم نتكلم عن تاريخ فلسطين في أيام الخلافة العثمانية، ونذكر الدور المشرّف للخليفة عبد الحميد الثاني، وكيف قاوم اليهود ورفض بيع فلسطين لهم؛ فكان جزاؤه خلعه من الخلافة بل وإسقاط الخلافة بأسرها.

ونذكر كيف دخل اللّنبي فلسطين ومعه عرب الحويطات، ونذكر وعد بلفور والأيام السوداء للانتداب البريطاني حتى سلموا فلسطين لليهود.

ونذكر جهاد شعب فلسطين حتى سنة ١٩٤٨، وإذا ذكرت فلسطين يذكر القسّام ورجاله وبطولات رجال من أرض الإسراء.

ثم نعرّج على حرب ١٩٤٨ والدور البطولي للإخوان المسلمين على أرض فلسطين وبطولات أحمد عبد العزيز ورجاله، ثم نذكر خيانة العلمانيين والقادة للقدس وفلسطين، وكيف أن أكبر خيانة منهم للقدس أنهم بدلوا الراية، وخدعوا الأمة وزيّفوا طبيعة المعركة حين غيّبوا الإسلام

عنها، وجربوا كل الرايات، ولم تطق أسماعهم نداء الإسلام: «وا قدساه»، صُمّت آذانهم عن نداء الإسلام وأذانه حتى سقطت الأمة في الوحل.

❑ ثم نتكلم عن عداوة الغرب الصليبي والمكر اليهودي، والكفر الأحمر الشيوعي، وقدم عدائهم للإسلام وأنه عقيدة راسخة عندهم.. ونذكر ما فعل اليهود بأهلنا في فلسطين، والمذابح التي ارتكبوها في حق الشعب المؤمن، ونفصّل في أن اليهود لا حقَّ لهم في فلسطين.

❑ وتحت عنوان «العقيدة أولاً» ذكرنا من أخطأ من الاتجاه الإسلامي، وزعم أن عداوتنا لليهود ليست دينية، وإن صحّ قول القائل: «ليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمّد قصد الباطل»، ننبه على الخطأ من باب «أن الدين النصيحة»، فهذا نسف «للولاء والبراء».

❑ وتكلمنا عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة حول «القدس» والبدع المتعلقة بالصخرة والقدس.

❑ ثم نعرّج على الأحاديث النبوية العطرة التي تبث الأمل في النفوس وتحييه، من أن المستقبل للإسلام في القدس، وأن الخلافة الإسلامية ستحل بالقدس قبل المهدي، وأن المهدي ستكون خلافته بالقدس... وكيف أن أعظم فتنة على الأرض - وهي فتنة الدجال - ستنتهي على هذه الأرض المباركة، كما أن فتنة «يأجوج ومأجوج» ستكون نهايتها على هذه الأرض المقدسة.

فأمل الإسلام ومستقبل الإسلام في القدس زاهر.. أمل نعيش به وله، نشق به سجوف الليل السامري، بفجر الإسلام الوضيء.

أملٌ على أجفاننا وكُبُودنا ... وعلى محيّانا وفوق المبْسَم
أملٌ كأنّ الفجر في بسماته ... ورَفيفُه بين الطُّيوف الحُوَّمِ
ونضمُّ في أحنائنا شَرَف الهوى ... والشوق بين مُجَنَّحٍ ومُكَتَّمِ
للّه ما تهفو القلوب إلى غدٍ ... زاهٍ على مَرِّ الزَّمان مُوَسَّمِ
ومواكبُ الإيمان تَجْلو نصْرَها ... لتُعيد لألأةَ الفُتوحِ اليُتَّمِ

❀ ❀ ❀

اللَّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم اللَّهم صلِّ على محمد وآله، اللَّهم ارزقنا شهادة في سبيلك، واحشرنا إليك من بطون السباع، وحواصل الطير.. وخذ لدينك من اليهود حتى ترضى، خذ لأعراض المسلمين حتى ترضى، وخذ لدماء المسلمين حتى ترضى، خذ لأطفال المسلمين حتى ترضى، خذ لمحمد الدرّة حتى ترضى، واجعل ثأره وثأر الإسلام من اليهود على أيدينا.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين،

وكتبه

سيد بن حسين العفاني

شوال ١٤٢١هـ

أسماء القدس
ومكانها
وجبالها ووديانها

أسماء مدينة القدس

اعلم يا أخي أن كثرة الأسماء تدل على علوّ مكانة المسمى.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٧٨): «ولبيت المقدس عدة أسماء تقرب من العشرين منها:

إيلياء بالمد والقصر، وبحذف الياء الأولى، وعن ابن عباس إدخال الألف واللام على الثالث، وبيت المقدس بسكون القاف وبفتحها مع التشديد، والقدس بغير ميم مع ضم القاف وسكون الدال، وبضمها أيضًا، وشلّم بالمعجمة وتشديد اللام وبالمهملة، وشلام بمعجمة، وسَلِم بفتح المهملة وكسر اللام الخفيفة، وأوْرِي سلم بسكون الواو وبكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة.

قال الأعشي:

وقد طفت للمال آفاقه ... دمشق فحمص فأوري سلم

ومن أسمائه: كورة، وبيت إيل، وصهيون، ومصروث آخره مثلثة، وكورشيلا، وبابوس بموحدتين ومعجمة، وقد تتبع أكثر هذه الأسماء الحسين بن خالويه اللغوي في كتاب (ليس)».

* مدينة السلام (أورو سالم) - أورشليم:

هو أقدم اسم عرفه البشر لها. وقد سماها به أقدم سكانها الكنعانيون العرب. منسوبة إلى «سالم أو شالم أو شاليم»، وهو اسم مؤسسها، أو إله السلام عند الكنعانيين. وكلمة «أور» كلمة سومرية معناها «مدينة». وذكرها الأكاديون باسم «أورو سالم» والأكاديون نزلوا

العراق في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد من الجزيرة العربية.

وأقدم النقوش التي ورد فيها ذكر هذه المدينة موجود في المتحف المصري بالقاهرة، وهذه النقوش تُسمى «لوحات تل العَمارنة» ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث «امنحتب الثالث» من حاكم القدس من قبله ـ عبد يحيبا ـ (١٤١١ ـ ١٣٧٥ قبل الميلاد) ويتكرر اسم أورشليم بعد هذا في لغات أخرى كما في نقوش الإمبراطور الآشوري سنحاريب (٧٠٠ ق.م) يرد اسمها «أوروسليمو».

❑ وفي العبرية (يروشاليم)، وفي النقوش اليونانية من عهد الإسكندر الأكبر المقدوني (حوالي ٣٣٠ ق.م) وردت بلفظ «هيروسوليما» باختصار.

وانتشر اسمها من الكتاب المقدس في جميع لغات العالم تقريبًا.

❑ واسم «أورشليم» ليس عبريًّا أصيلاً، فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول بني إسرائيل بشهادة نص تل «العمارنة»، وبدليل أن اليهود وجدوا صعوبة في كتابة اسمها باللغة العبرية (يروشاليم)، فهذه الياء الواقعة قبل الميم الأخيرة لم تكن تُثبتُ في الكتابة العبرية، وقد كُتِبت بدونها في أسفار العهد القديم ٦٥٦ مرة، وكتبت بها ست مرات فقط، ولذلك نص علماء التلمود على وجوب كتابتها بلا ياء.

أورشليم معناها إله السلام أو مدينة السلام أو ميراث السلام.

❑ وأحبار اليهود يدّعون أن سام بن نوح قد سمّاها «شلم» أي: السلام، وأن إبراهيم الخليل سمّاها «يرأه» وهي بمعنى الخوف بالعبرية، فسماها اللَّه بالاسمين معًا (يراه ـ شلم) أي: «أورشليم» بمعنى: الخوف، والسلام أي: السلام المتولد من الرعب.

وما قال أحد قبل أحبار اليهود أن سام بن نوح هو الذي سمى المدينة باسمها، حتى التوراة نفسها[١].

* القُدْس:

اسم تُعرف به المدينة منذ القدم، ولقد ذكر المؤرخ اليوناني «هيرودوت» في تاريخه المشهور اسم مدينة كبيرة في الجزء الفلسطيني وسمّاها «قديتس» مرتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه.

ويقول المستشرق اليهودي الفرنسي «سالومون مونك» في كتابه «فلسطين» إن هذا الاسم على الأرجح هو «القدس» مُحَرّفًا في اليونانية عن النطق الآرامي «قديشتا».

وغلب اسم القدس على المدينة بعد العصر الأموي.

* يبُوس: وهذا الاسم أطلقه نبي اللَّه «يوشع بن نون» عليه السلام على المدينة، ويبوس نسبة إلى «اليبوسيين» من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية، وهُم سكان القدس الأقدمون أوْ هم أول من سكنها، أو أول من دوّن التاريخ أنهم سكنوها.

* إيلياء:

هذا الاسم سمّاها به الامبراطور الروماني «هدريان» سنة ١٣٥م. وإيلياء اسم جد عائلة الإمبراطور، أو اسم عائلته، وبقي هذا الاسم شائعًا حتى الفتح الإسلامي.

---

(١) انظر: «القدس.. مدينة اللَّه.. أم مدينة داود؟» للدكتور حسن ظاظا ص(٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٧).

وأهل اللغة يذكرون له صوراً متعددة: «إيلياء» بالمدّ، و«إيليا» بالقصر، و«إلْيا» بحذف الياء الأولى، و«الإليا» بإدخال الألف واللام على الثالث.

* **بيت المقدس**:

وقد جاء في حديث الإسراء في «صحيح مسلم».

قال النووي في «شرح مسلم»: «أما بيت المقدس، ففيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة:

إحداهما: بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة (المَقْدِس).

والثانية: بضم الميم وفتح القاف، والدال المشددة (المُقَدَّس).

قال الزجاج: البيت المقدّس: المُطَهَّر. وبيت المَقْدِس: أي المكان الذي يُطَهَّر فيه من الذنوب.

* **شلّم**: بالمعجمة وتشديد اللام.

* **سلّم**: بالمهملة.

* **شلام**: بمعجمة.

* **سَلِم**: بفتح المهملة وكسر اللام الخفيفة.

* **أُوْري سَلِم**: بسكون الواو وبكسر الراء، بعدها تحتانية ساكنة.

قال الأعمشي

وقد طُفْتُ للمال آفاقَه ... دمشق فحمص فأُوْري سَلِمْ

* **صهيون**: وذلك من أجل الجبل الذي في الجنوب الغربي من القُدْس. أقام عليه اليبوسيّون أول حصن لهم عليه. ومن معان صهيون: «الحصن»

أو «الجبل المشمس».

* مصروث: آخره مثلثة.

* كورشيلا.

* موقعها وجوّها:

تقع القدس على خط عرض ٣١ درجة ٤٦ ٤٥ شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ٣٥ درجة ١٣ ٢٥ شرق جرينتش. وهي هضبة غير مستوية تمامًا يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ و٢٤٦٩ قدمًا. وجَوُّها قارِّي صحراوي إلى حدٍّ كبير، فالحرارة فيها قد تتجاوز ٣٠ درجة صيفًا، وقد تنزل إلى خمس درجات تحت الصفر شتاءً، كما أن التفاوت في الحرارة كبير بين النهار والليل، ومطرها شتوي متوسط، ورطوبتها متوسطة أيضًا، ويندر بها الثلج.

وليس بها أنهار، وإنما تحيط بها عيون كثيرة تتفاوت في غزارة الماء وصلاحيته للشرب، وأهمها عين سلوان[1]، وتندفع من بعض هذه العيون جداول مؤقتة بهطول الأمطار. وكانت المدينة إلى عهد ليس بالبعيد تعتمد أساسًا على تجميع مياه الأمطار في صهاريج وآبار أُعِدَّت لهذا الغرض، وأعلى مرتفعاتها يوجد على حافَّاتها الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية، ولذلك اعتُبِرَتْ منذ القدم موقعًا استراتيجيًّا قويًّا جدًّا، واشتهرت بأنها لا تظهر عند الزحف عليها مِنْ بُعْد، بينما تستطيع حاميتها

(١) وقف عثمان بن عفان عين سلوان على ضعفاء بيت المقدس.
وبعين سُلْوان التي في قُدْسها طعم يُوَهِّم أنه من زمزمِ

أن تكشف تحرُّكات المهاجمين لها وهم ما يزالون على مسافة طويلة.

تبعد القدس: ٥٢ كيلو مترًا عن البحر المتوسط.

و٢٢ كيلاً عن البحر الميت.

و٢٥٠ كيلاً عن البحر الأحمر.

* **وأهم جبالُها:**

(١) **جبل المُكَبّر**: يقع في جنوب القدس، وتعلو قمّته ٧٩٥م عن سطح البحر.

(٢) **جبل الزيتون أو (جبل الطور)**: ويسمى أيضًا «طور زيتا» يعلو ٨٢٦م عن سطح البحر، وهو المواجه لأسوار الحرم من الجهة الشرقية، يفصله عنه واد عميق سريع الانحدار هو (وادي قِدْرون).

وهو من الوجهة التاريخية من أهم الجبال المحيطة بالقدس.

والتلمود يسميه «جبل المسْح» أي: جبل التتويج؛ لأنهم يأخذون من زيتونه الزيت المقدَّس الذي يُستعمل في تتويج ملوكهم، وعليه كانت تُحرق بقرة القربان الحمراء في التلمود.

ويكشف مدينة القدس، قديمها وجديدها.

(٣) **جبل المشارف**: سُمِّي بذلك؛ لأنه يُشرف على القدس، ويُقال له أيضًا: «جبل المشهد»، وهو الذي أطلق عليه الغربيون اسم «جبل سكوبس» نسبة إلى قائد روماني، ويقع إلى الشمال من مدينة القدس بانحراف قليل إلى الشرق.

(٤) جبل بطن الهوا: وهو امتداد جبل الزيتون في الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس، يفصله عنها «وادي سلوان» الذي يتصل في هذه النقطة نفسها بوادي قِدْرون ويسميه اليهود «هارها مشحيت» أي: «الجبل الفاضح» ويزعمون أن سليمان عليه السلام أقام عليه المعابد الوثنية لنسائه الأجنبيات، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾.

(٥) جبل صهيون وجبل أكرا: في الجنوب الغربي للقدس القديمة، وكانت عليه قلعة اليبوسيين التي انتزعها داود منهم بالحرب، وبنى عليه الملك اليوناني «أبيفانوس» قلعة سمّاها «أكرا» ومِن ثم أصبح هذا الجبل يُسمى: جبل أكرا.

(٦) جبل موريا أو «جبل بيت المقدس»: القائم عليه الحرم القدسي.

❑ ومن الجبال المُطِلَّة على القدس: «**تل العاصور**»: يرتفع ١٠١٦م عن سطح البحر يقع بين قريتي دير جرير، وسِلْوَاد. وهو الجبل الرابع في علوّه في فلسطين.

* أهم وديان القدس:

(١) وادي جهنم: واسمه القديم (وادي قِدْرون): وتسميه العرب «وادي سُلوان» شرقًا وجنوبًا.

يفصل السور الشرقي للقدس عن جبل الزيتون. وبه نبع سلوان، والذي ينساب منه مجرى ماء اسمه «جيحون».

وكان هذا الوادي نفسه يحمل قبل مجيء بني إسرائيل اسم قبيلة

«هنّم» ـ بتشديد النون ـ فكان يقال له: (وادي هنَّم) أو (وادي بني هنَّم). وكلمة الوادي كانت في لغات سامية قديمة متعدِّدة هي كلمة «جي»، فكان يقال: «جيهنم» أي: هذا الوادي نفسه، وكانت هذه القبيلة ـ في الوثنية البعيدة في القدم ـ تقدِّم الضحايا البشريَّة إلى إلهها (مولك) بذبحها وإلقائها في النار، ومن هذه الصورة أطلق اسم (جهنَّم) على مكان العذاب في الآخرة للشبه القائم بينهما. ووادي (هنَّم) أو (سلوان) أو (جيحون) هذا يمتد على طول جنوبي القدس حتى الطرف الجنوبي الشرقي من جبل صهيون، وسمي هذا الوادي بين العرب (حقل الدماء).

يبتدئ وادي جهنم على بُعد نحو (٢٥٠٠م) إلى الشمال الغربي من القدس بالقرب من حي الشيخ جرّاح ويسير إلى الجنوب الشرقي إلى أن يصل إلى زاوية السور الشمالية الشرقية، وأخيرًا ينتهي في البحر الميت، وهناك يُعرف بوادي النار.

(٢) وادي الجبَّانة أو «التيروبيون»[1] : يفصل جبل صهيون عن غرب القدس، ويبدأ حيث ينتهي وادي سلوان، وكان يسمى في الجزء الجنوبي الغربي من القدس «وادي الزبالة» أو «وادي الدِّمَن» أو «وادي القُمامات».

(٣) وادي الربابة: ينحدر من باب الخليل في السور الغربي لمدينة القدس مارًّا بالجنوب الغربي من بيت المقدس إلى بئر أيوب، ويفصل جبل صهيون عن تل أبي ثور.

وهذه الأودية (جهنم والربابة ووادي «تيروبّيون» التي تحيط بالمدينة

(١) معناه: «صانعو الجُبْن».

القديمة من جهاتها الثلاث: الشرقية والجنوبية والغربية، كانت تُؤلف خطوطًا دفاعية طبيعية تجعل اقتحام القدس أمرًا صعبًا في الأزمنة القديمة. وأما جهتها الشمالية، والشمالية الغربية، فكانت مكشوفة، فكانت تأتي منها معظم الجيوش الغازية.

(٤) وادي الأرواح: أو العفاريت، يدور حول غرب جبل صهيون، وأقصى الجنوب وبه مدافن للموتى.

سور مدينة القدس وأبوابها

كانت القدس (يبوس) في أول نشأتها مدينة محاطة بسور منيع، وعليه قلاع حصينة..

ومع تطور المدينة واتساعها على مرّ العصور، كان يبنى حولها سور، فإذا جاءها الغزاة هدموه، ثم أعيد بناؤه، وهكذا دواليك، فلم تخلو مرحلة من مراحلها من وجود السور، وآخر من جدّد بناء سور مدينة القدس السلطان سليمان القانوني. وكان علوّ السور ٣٨ قدمًا ونصف قدم، وعليه ٣٤ برجًا وسبعة أبواب.

وهذا السور على هيئة شكل مربّع منتظم طوله ميلان ونصف ميل.

فأول سور بُني حول القدس، حوالي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد.. وكُلّ من نُسِب إليه البناء فيما بعد، فإنما هو بناء تجديد وترميم، وليس بناء تأسيس.

* أمّا أبواب سور المدينة، فهي سبعة: وهي:

١ ـ باب الخليل أو (باب يافا): غربًا، وكان قديمًا يُسَمّى «باب إبراهيم»، ويقع في الحائط الغربي.

٢ ـ باب النبي داود (باب صهيون): جنوبًا وهو في الحائط الجنوبي يعرفه الأجانب باسم «باب صهيون» أنشأه السلطان سليمان عندما أعاد بناء سور المدينة، وهو على جبل صهيون ملاصق لقبور ملوك آل داود.

٣ ـ باب المغاربة: وهو في الحائط الجنوبي لسور القدس، وهو أصغر الأبواب، ويسمى «الباب الصغير». ومن الأثريِّين من يزعم أنه باب القمامة القديم، والراجح أن باب القمامة كان إلى الجنوب أكثر، في أسفل الجبل، ومن هذا الباب تخرج جنازات الموتى لتدفن على جبل الزيتون.

٤ ـ الباب الجديد: ويسمى أيضًا (باب عبد الحميد): فُتِح في الجانب الشمالي للسور على مسافة كيل غربي باب العمود وهو حديث العهد، يعود إلى أيام زيارة السلطان غليوم الثاني لمدينة القدس سنة ١٨٩٨م.

◘ وله قصة: فعندما زار الإمبراطور غليوم الثاني القدس سنة ١٨٩٨م في زمن عبد الحميد الثاني، دخل المدينة وهو متّشح برداء أبيض راكبًا جوادًا حاسبًا نفسه حاجًّا وصليبيًّا متمثلاً بأحد أجداده القدماء الذين حاربوا في القدس أيام الحروب الصليبية، ولم يدخل الإمبراطور المدينة من أحد أبوابها المعروفة، بل فَتَحت له الحكومة ثغرة في السور بالقرب من باب الخليل، والغاية من ذلك أن لا يكون الإمبراطور تحت سقف أي سلطة أجنبية..!!

٥ ـ باب العمود (باب دمشق): في الشمال الغربي، واليهود تسميه باب

شكيم (نابلس) وسُمِّي باب دمشق؛ لأنه مخرج القوافل إليها.

٦ ـ «باب الزاهرة»، أو «باب الساهرة»: وهو عند الغربيين يُسمى باب «هيروديس»، ويقع إلى الجانب الشمالي من سور القدس على بُعْد نصف كيلو شرقي باب العمود. وبناؤه الحالي تركي.

٧ ـ باب الأسباط، أو باب ساباط: ويسميه الغربيون «باب القديس أسطفان» يقع في الحائط الشرقي، واليهود كانوا يسمونه قديمًا باب (يهوشافاط)؛ لأنه يُطِلّ على الوادي المسمى بهذا الاسم.

وهذه الأبواب كلها مفتوحة.

وهناك أبواب مغلقة وهي:

- باب الرحمة: ويُسميّه الأجانب (الباب الذهبي) لجماله ورونقه ويقع على بُعْد ٢٠٠م جنوبي باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور.

ويعود إلى العصر الأموي.. مغلق أغلقه العثمانيون بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك، مفادها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب.

- الباب الواحد: مغلق في الحائط الجنوبي من السور قرب الزاوية الجنوبية الشرقية. وهو في ابتداء الزاوية.

- الباب المثلث: وهو في الحائط الجنوبي، بعد الباب الواحد، وهو مؤلف من ثلاثة أبواب.

- الباب المزدوج: وهو من بابين، يعلو كليهما سور.

وهذه الأبواب المغلقة الثلاثة، تشير الدلائل على أنها أُنشئت في العصر الأموي.

أبواب سور القدس على مر العصور

الاسم العربي	الاسم الافرنجي	الجهة	القدس عام ٩٨٥	عام ١٢٢٥	مجير الدين ١٤٩٦ وفي الوقت الحاضر
باب الخليل	باب يافا أو الخليل	في الحائط الغربي «مفتوح»	باب محراب داود باب البلاط	باب داود باب القديس أليعازار	باب الرحبة «مغلق» باب الرحمة «مغلق» باب دير الصرب
باب العمود	باب دمشق	الحائط الشمالي «مفتوح»	باب العمود	باب القديس ستيفن	باب العمود باب الدهرية «مغلق»
باب الساهرة	باب هيرودوس	الحائط الشمالي	باب جب أرميا	باب مادلين	باب الساهرة
باب الأسباط	باب أريحا، أو باب القديس ستيفن		باب أريحا	باب ياهو شافاط	باب حي «الطورية» «مغلق»
—	باب المغارة أو باب القمامة		باب سلوان	باب الدباغة	باب حي المغاربة
باب النبي داود	باب النبي داود أو باب صهيون	في الحائط الجنوبي «مفتوح»	باب صهيون أو باب التيه	باب صهيون	باب حارة اليهود باب السر «مغلق» الباب المقابل للقلعة «مغلق»
باب المغاربة	—	في الحائط الجنوبي «مفتوح»			
باب الجديد	—	في الحائط الشمالي			
باب الرحمة	الباب الذهبي	في الحائط الشرقي «مغلق»			
باب الواحد	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			
باب المثلث	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			
الباب المزدوج	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			

هذا عدا أبواب وبوابات داخل القدس نفسها مثل «باب حطة» الذي يصل إليه الداخل إلى القدس من باب الزاهرة، وباب السلسلة القريب من المسجد الأقصى.

▫ سور مدينة القدس:

الشمالي: ٣٩٣٠ قدم.

الشرقي: ٢٧٥٤ قدم.

الجنوبي: ٣٢٤٥ قدم.

الغربي: ٢٠٨٦ قدم.

المحيط: ١٢٠١٥ قدم.

▫ ارتفاع السور:

٣٨ قدمًا ونصف، وله أربعة وثلاثون برجًا وسبعة أبواب.

وصف المسجد الأقصى

* وهو من القدس سواد العين وسويداء القلب:

.. نعم نعم.. ليس في عالم القداسات مسجد.. إنما هو نبضة من محمد ﷺ، وسيأتي في الحديث: **«وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا»**.

والمسجد الأقصى في قلب القلب وسويدائه، وحتى لا ينسى الناس معالم المسجد الأقصى، فها نحن نفصّل في معالمه حتى تكون صورته ماثلة أمام العين.

▫ إن اليهود نقشوا الشمعدان السباعي على عملاتهم، فلم لا ننقش صورة الأقصى في القلب ونتمثلها أمام العين؟

من فاته الأصل هدّ الشوق بالأثر.

❑ الهيئة العربية العليا لفلسطين توثّق آثار المسجد الأقصى:

أصدرت الهيئة العربية العليا بمناسبة حريق المسجد الأقصى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م[1] بيانًا ذكرت فيه المعالم الرئيسية في المسجد الأقصى. وهذا نصّ البيان:

درج المسلمون على تسمية المسجد القائم إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة المشرفة «المسجد الأقصى المبارك» والحقيقة أن المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم يشمل الحرم القدسي الشريف بأجمعه. الذي هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

❑ الوصف الفني للمسجد:

يقع المسجد الأقصى في القسم الجنوبي من ساحة الحرم الشريف. فالزاوية الشمالية الغربية تبعد عن سور باب المغاربة نحوًا من سبعين مترًا، وتوازي واجهته الشمالية سور الحرم من الجنوب، والخط المستقيم المسحوب على واجهته هذه ينحصر بين سوري الحرم الشرقي والغربي بطولٍ يقرب من مائتين وخمسة وثمانين مترًا.

❑ أقسام المسجد الأقصى:

ويقابل الداخل للمسجد من الجهة الشمالية رواق كبير أنشئ في

(١) ادّعت إسرائيل أن شابًّا استراليًّا يدعى دينيس مايكل وليم موهان ويبلغ من العمر ٢٨ عامًا - وكان قد دخل فلسطين المحتلة قبل أربعة أشهر من وقوع الحريق - هو الذي ارتكب الجريمة، وزعمت أنها قبضت عليه وستقدمه للمحاكمة. ولكن لم يمض وقت طويل حتى أعلنت السلطات الإسرائيلية أن دينيس هذا معتوه، وأطلقت سراحه.

زمن الملك المعظم عيسى بن أبي بكر صاحب دمشق سنة ٦٣٤هـ ثم جدد بعده. وهو مؤلف من سبع قناطر عقدت على ممر ينتهي إلى سبعة أبواب كل باب يؤدي إلى رواق من أروقة المسجد السبعة.

وللمسجد عدا هذه الأبواب باب في الجهة الشرقية، وآخر في الجهة الغربية، وهناك مدخل لجامع النساء الواقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد، وهو مؤلف من رواقين ممتدين غربًا مسافة ٥٣ مترًا إلى أن يتصلا بجامع المغاربة، وقد بني جامع النساء في عهد الفاطميين.

ويقع في الجهة الشرقية أيضًا جامع عمر، وقد أُطلق عليه اسم أمير المؤمنين عمر؛ لأنه بقية الجامع الذي بناه عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ عند فتح القدس.

ويقع في الجهة الشمالية الغربية إيوان كبير، ويقع بالقرب منه إيوان جميل يسمى محراب زكريا.

وفي المسجد أعمدة كثيرة تقوم على قواعد جميلة، وتعلوها تيجان غاية في الجمال والإبداع.

وفي أعلى الأقواس صفان من الشبابيك، يفتح القسم السفلي نحو الرواقين الجانبيين.

وسطح الرواق الرئيسي أعلى من سطح الرواقين المجاورين له. وفوق كل رواق من هذين الرواقين نصبة من الخشب قليلة الارتفاع في الوسط تسمى «الجملون».

والحائط الجنوبي للمسجد متين جدًّا، ويقوم على أساس قوي منذ زمن قديم، وهو أقوى وأمتن من الجدران الأخرى التي ترجع إلى عصور

متأخرة، لذلك لم يكن من السهل أن يتأثر هذا الحائط المتين بجريمة الإحراق التي اقترفها اليهود، لولا الحفريات التي قاموا بها تحت الأسوار بعد احتلالهم القدس، ولولا استعمال المجرمين مواد فنية شديدة الاشتعال.

ويبلغ ارتفاع القبة الوسطى في المسجد ٢١ مترًا تقريبًا، بينما يقوم داخل البناء على صحن قائم على أعمدة، ويبلغ ارتفاعه ١٦ مترًا و ٥٠ سنتيمترًا.

□ قباب المسجد الأقصى[١] :

قبة السلسلة.

قبة المعراج.

قبة محراب النبي.

قبة يوسف.

قبة الشيخ الخليلي.

قبة الخضر.

قبة موسى.

قبة سليمان.

القبة النحوية.

---

(١) قبة السلسلة: بنيت في عهد عبد الملك بن مروان.
قبة المعراج: بنيت عام ٥٩٧هـ: ١٢٠٠م.
قبة محراب النبي: بنيت عام ٩٤٥هـ: ١٥٣٨م.
قبة يوسف: بنيت عام ٥٨٧هـ: ١١٩١م.
قبة الشيخ الخليلي: حديثة بنيت في القرن التاسع عشر.
قبة موسى: بنيت عام ٦٤٩هـ: ١٢٥١م.
القبة النحوية: بنيت عام ٦٤٠هـ: ١٢٠٧م.

مآذن المسجد الأقصى[1] :

مئذنة باب المغاربة.

مئذنة باب السلسلة.

مئذنة باب الغوانمة.

مئذنة الأسباط.

أروقة المسجد الأقصى:

الرواق الممتد من باب حطة إلى باب شرف الأنبياء (باب فيصل).

الرواق المحاذي لباب شرف الأنبياء.

الرواقان السفليان اللذان تحت دار النيابة شمال الحرم من الغرب ورواقان فوقهما مستجدان.

الأروقة الغربية وتمتد من باب الغوانمة إلى باب المغاربة.

الرواق الممتد من باب الغوانمة إلى باب الناظر.

الرواق الممتد من باب الناظر إلى باب القطانين.

الرواق الممتد من باب القطانين إلى باب السلسلة.

الرواق الممتد من باب السلسلة إلى باب المغاربة.

---

(١) مئذنة باب المغاربة: أو المئذنة الفخرية، بنيت عام ٦٧٧هـ: ١٢٧٨م. ورممت عام ١٣٤١هـ: ١٩٢٢م.

مئذنة باب السلسلة: بنيت عام ٧٣٠هـ: ١٣٢٩م.

مئذنة باب الغوانمة: بنيت عام ٦٩٧هـ: ١٢٩٧م.

مئذنة باب الأسباط: بنيت عام ٨٦٩هـ: ١٣٦٧م. ورممت عام ١٩٣٧م.

سُبُل الحرم:

وقد أُنشئت سبل عديدة في جوانب الحرم للوضوء والشرب وأكبرها.

سبيل قايتباي[١].

سبيل شعلان[٢].

سبيل باب الحبس.

سبيل البديري[٣].

سبيل قاسم باشا[٤].

أبواب الحرم المفتوحة:

باب الأسباط، باب حطة، باب شرف الأنبياء[٥] باب الغوانمة[٦]، باب الناظر[٧]، باب الحديد، باب القطانين، باب المتوضأ، باب السلسلة، باب المغاربة[٨].

أبواب الحرم المغلقة:

باب السكينة، باب الرحمة، باب التوبة، باب البراق.

---

(١) أُنشيء عام ٨٦١هـ وجدده قايتباي عام ٨٧٠هـ: ١٤٤٥م. وأُعيد ترميمه في عهد عبدالحميد الثاني عام ١٨٤٢م.

(٢) أنشأه الملك المعظم عيسى وجدده الملك برسباي عام ٨٣٢هـ. كما جدد عمارته السلطان مراد الرابع العثماني عام ١٦٣٧م بعد أن بقي نحو قرنين وهو خراب.

(٣) سبيل طوله متران وعرضه وارتفاعه أربعة أمتار. والمعتقد أنه تم في زمن السلطان محمد الأول العثماني سنة ١١٥٣هـ. تسميته أتت من منشئيه آل البديري.

(٤) دعي بذلك نسبة إلى قاسم باشا متولي القدس في عهد السلطان سليمان القانوني.

(٥) ويسمونه أيضًا الباب العتم وباب فيصل.

(٦) ويسمونه باب الخليل وباب الوليد.

(٧) ويسمونه باب علاء الدين، وباب الحبس، وباب المجلس.

(٨) يقع غربي الحرم إلى الجنوب ويسمونه باب النبي، وباب البراق.

▫ عدد النوافذ (في الأقصى):

١٣٧ وكلها كبيرة من الزجاج الملون.

▫ العقارات الموقوفة على الحرم:

دار الأيتام الإسلامية، تكية خاصكي سلطان، خان السلطان، دار المحكمة الشرعية عند باب السلسلة، دار الشيخ الحنبلي، كلية روضة المعارف، المدرسة البكرية، حمام الشفا، دكاكين على مقربة منه في سوق القطانين، دار حبس الرباط، دار حبس الدم.

وجميع هذه العقارات داخل السور في البلدة القديمة، وهناك عقارات أُخرى موقوفة خارج السور في أحياء مختلفة من مدينة القدس.

* متفرقات عن الحرم القدسي:

▫ الإضاءة في الحرم:

كان في الحرم عام ١٩٤٤م ٣٣٠ مصباحًا، منها ١٣٠ لإضاءة مسجد الصخرة، و٢٠٠ للمسجد الأقصى، وأما المآذن وباقي المنشئآت الأخرى الكائنة في ساحة الحرم فإنها تضاء بالكهرباء.

وفي عام ١٩٤٨م، كان عدد القناديل التي تضاءُ بالزيت ٤٠٠ والمصابيح الكهربائية ٢٠٢.

وفي عام ١٩٥٨م لم يبق للزيت والشمع من أثر والحرم كله يضاء بالكهرباء.

❀ ❀ ❀

* المسجد الأقصى سنة ١٩٧٢م:

ومما كتبه الأستاذ محمود العابدي عن الحرم المقدسي قوله[١]: إذا اجتزنا باب الأسباط[٢] لا نلبث أن نغير اتجاهنا إلى اليسار في طريق جنوبي، في الزاوية الشمالية الشرقية من الحرم الشريف، هنا تنفتح أمامنا ساحة واسعة تضم سدس مساحة القدس الداخلة ضمن الأسوار. نمشي في طريق مبلط زرعت على جانبيه أشجار الزينة، ثم نرقى درجات تنتهي بأقواس ارتفعت على أعمدة رشيقة، هذه الأقواس تسمى «الموازين»، وتوجد في باقي جهات ساحة الصخرة الأربع موازين أُخرى. ومن تحت هذا الميزان، نلتفت إلى الجهة الشمالية من الحرم لنرى عدة قباب ومآذن وأروقة وأبواب، أشهرها الباب الذي غير اسمه إلى باب «فيصل» عندما دخل منه الملك فيصل بن الحسين، ملك العراق لأول مرة سنة ١٩٣٣م. وها هي الأروقة الواسعة وما فوقها من مدارس، تدل على ما بلغه المسلمون في عصر المماليك من تقدير للعلم، وأشهر هذه المدارس «المدرسة العمرية» التي كانت أيام الانتداب «كلية روضة المعارف الوطنية».

نشاهد نوعين من المآذن «المربعة» في عصر المماليك و«المستديرة» من أيام الحكم العثماني. هذه هي القباب التي كانت مخصصة للغرباء

---

(١) نقلاً عن مجلة «قافلة الزيت» التي تصدر في «الظهران» في المملكة السعودية ـ عدد رمضان ١٣٩٢هـ: تشرين الأول ١٨٧٢م بتصرف.

(٢) باب الأسباط: واقع شمالي الحرم وفي أقصاه من الشرق عليه كتابة تفيد أن السلطان سليمان القانوني أمر بإنشائه عام ٩٤٥هـ.

والمتصوفة، وأهل العلم المنقطعين للتدريس احتسابًا لوجه اللَّه. نخطو قليلاً فوق هذا الفناء المبلط، ونرى فوهات الصهاريج التي تتجمع فيها مياه الأمطار، البعض منها واسع جدًّا، ولكل منها اسم خاص.

أمامنا قبة مرتفعة رائعة الجمال، تسمى قبة «المعراج»، وقد بناها أحد سلاطين المماليك.

❑ قبة الصخرة:

. . . والآن نطوف ببناء قبة الصخرة نطوف بهذا البناء المثمن الشكل، والذي يبلغ طول كل ضلع منه عشرين مترًا وارتفاعه عشرة أمتار. نصف الارتفاع السفلي مصفح بصفائح الرخام الأبيض الجميل. ونصفه العلوي مغشى بترابيع من القاشاني الأزرق. وقد كتبت عليه سورة «يس» بالأبيض[1] . وكان قد أمر بتركيبه السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٦١م.

وفي هذه الواجهات الثماني عدة نوافذ فيها الزجاج الملون الذي سنصف جماله من الداخل. ونوالي طوافنا حتى نأتي إلى الباب الغربي، ويقابله عن اليمين الميزان الغربي الذي يوصل إلى باب القطانين، ومنه يصل الناس إلى الحرم، فإذا درنا نحو الجنوب شاهدنا الباب الجنوبي، وهو أغنى أبواب الصخرة بالنقوش، ومنه يؤدي الميزان الجنوبي إلى المسجد الأقصى. وكذلك الباب الشرقي الذي تعلو للشرق منه قبة «السلسلة» التي كانت النموذج الأول الذي بنيت عليه قبة «الصخرة».

(١) تحتوي قبة الصخرة على كتابة كوفية قوامها آيات قرآنية يبلغ طولها نحو ٢٤٠ مترًا من الفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء داكنة. وذلك بأعلى التثمينة الداخلية.

نوالي طوافنا حتى نعود إلى الباب الشمالي الذي واجهناه أول وصولنا إلى فناء الصخرة فوق هذه التثمينة الخارجية سطح مائل، يتدرج في الارتفاع من أطراف التثمينة حتى يتصل برقبة القبة، ترتفع القبة على مستوى الفناء عشرين مترًا، ويرتفع في أعلاها هلال نحو أربعة أمتار، وقد غطت القبة من الخارج بصفائح من الرصاص القابل للتمدد، كما أن لونه لا يتغير مهما طال عليه الأمد.

أما اليوم فقد صُفِّح السقف بصفائح الألومينيوم المطلي بالذهب. حصل ذلك التبديل بعد الإصلاح الذي جرى على أثر إصابتها بقنابل الهون في حرب سنة ١٩٤٨.

◻ قبة الصخرة من الداخل:

ندخل مسجد الصخرة من الباب الشمالي، ونقف متأملين مندهشين لنعرف براعة المهندس الذي شيد هذا البناء، وجعل الداخل من أي باب من الأبواب الأربعة يستطيع أن يرى جميع ما في داخل البناء من الأعمدة والدعائم، فتظهر أمامه مباشرة، لا يحجبها عن نظره أي حاجب. نخطو إلى الأمام في تثمينة، يقف فيها ١٦ عمودًا وثماني دعائم، إلى تثمينة أخرى قامت فوقها رقبة مستديرة مكسوة بالفسيفساء، ذات الفصوص المتراصة بأشكال زخرفية، قوامها فروع نباتية بألوان متجانسة، تميل إلى زرقة هادئة غاية ما تكون جمالاً وروعة، وفي وسط الرقبة كرنيش من الرخام عليه نقوش مذهبة فوق ١٦ شباكًا مكونة من الخارج من بلوكات من القاشاني المزخرف، بفتحات في وسطها، ومن الداخل مكسوة بالرخام المعرق، وقد بنيت بحيث تأخذ شكلاً دائريًّا.

وبين كل دعامتين ثلاثة أعمدة من الرخام الملون، تحمل أربعة عقود كسيت بترابيع من الرخام الأبيض والأسود.

وبين الجزء الدائري من مبنى قبة الصخرة، والمثمن الخارجي مثمن أوسط، يتكون من ثماني دعائم مكسوة بالرخام المعرق وستة عشرة عمودًا رخاميًّا ملونة مرتبة بحيث يفصل بين كل دعامتين منها عمودان، ويعلو هذه الدعائم والأعمدة عقود زينت بطنياتها وتواشيحها بأنواع من الفسيفساء ذات الرسوم النباتية المختلفة، بألوان متجانسة ومذهبة، وبين الأعمدة أوتاد خشبية مكسوة بالبرونز بنقوش كلاسيكية مذهبة، وهذا المثمن الأوسط يفصل الرواق الأوسط عن الرواق الخارجي، ويغطي هذين الرواقين جمالون من الخشب عليه ألواح من الرصاص من الخارج، ومبطن من الداخل بألواح خشبية عليها نقوش مختلفة.

لنخطُ إلى الأمام لنقف أمام الباب الغربي، وننظر إلى زجاج إحدى النوافذ من الجانب الشمالي، لنرى منظرًا يختلف عن المنظر الذي رأيناه من الأمام، وعما سنراه من الجانب الجنوبي. وجميع الشبابيك الجصية المزججة يختلف كل منها عن الآخر في الزخارف والألوان.

استطاع البناء العربي أن يكسر الأضلاع الثمانية إلى أنصاف أضلاع، فحصل بذلك على ستة عشر ضلعًا قصيرًا، نصب عليها رقبة تشبه الطبل في شكلها. وفوق هذه الرقبة التي انتصبت فوق التثمينتين ركبت القبة، وهي قبة مزدوجة، خارجية وداخلية، صنعت من الخشب المغطى بطبقة من الجص المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبية بألوان مختلفة، وقد كتبت عليها آية «الكرسي»، وتنفذ من جدرانها أربعون

نافذة تعلوها ٥٦ طاقة، أقل اتساعًا من النوافذ، وتطل على داخل المسجد، وقد كتبت عليها تواريخ وأسماء مصلحيها.

ومعظم النوافذ المزينة بالذهب صفت بأمر السلطان سليمان القانوني، كما جدد أكثر أبوابها، وجاءها بقطع القاشاني والزخارف من مختلف بقاع الأرض.

❑ الصخرة:

تحت هذه القبة صخرة برزت نحو المتر عن الأرض بشكل غير منتظم، يبلغ طولها نحو ١٨ مترًا وعرضها ١٣ مترًا[١]، وأحيطت بحاجز خشبي حفر حفرًا فنيًّا رائعًا، وأثناء زيارتنا هذه نصل إلى باب في الجنوب الشرقي تحت الصخرة نقف مأخوذين بجمال القوس الذي أُقيم على مدخله، ندخل الباب الجميل، ونهبط ١٦ درجة توصلنا إلى «الغار» وهو كهف أبعاده ٤,٥ × ٤ أمتار، وله سقف يرتفع ثلاثة أمتار، وفيه ثغرة سعتها نحو المتر. وفي الداخل محرابان يطلق على كل منهما اسم إبراهيم عليه السلام.

نخرج من الباب الجنوبي من مسجد الصخرة، ونتقدم إلى الأمام لنصل إلى الميزان الجنوبي، وقبل أن نهبط سلمه نرى على يميننا منبرًا صنع من الرخام البديع، وتعلوه قبة رائعة الجمال وقد أقيم ليكون منبرًا للمبلغ الذي يسمع صوت الإمام في الأقصى، فيبلغه بصوته العالي ليسمعه المصلون في مسجد الصخرة.

---

(١) طولها من الشمال والجنوب ١٧,٧٠ مترًا وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥ مترًا، وأقصى ارتفاع لها عن أرض البناء متر ونصف متر.

المزولة:

نهبط الدرج حتى نصل بركة تسمى «الكأس»، يتوضأ منها المصلون. وإذا التفتنا إلى الوراء شاهدنا تخطيطًا على الصفحة القائمة فوق أعمدة الميزان، هو رسم ساعة شمسية يستدل المؤذن بها على وقت الظهر، وذلك عندما تكون الشمس في وسط السماء ثم تأخذ في الزوال نحو الغرب، لذلك تسمى المزولة[١].

ها هو المسجد الأقصى يقابلنا بأبوابه السبعة، ونلاحظ أن أوسطها أعلاها، ومنه نلج إلى البهو الأوسط الذي يعلو عن الأبهاء الجانبية. ومعظم الأبنية الحالية في الأقصى هي من أعمال الملك عيسى بن الملك العادل أخي صلاح الدين، والذي يرجع تاريخها إلى سنة ١٢٣٦م.

يبلغ طول المسجد الأقصى ٨٠ مترًا وعرضه ٥٥ مترًا وله ٥٣ عمودًا، بينها ٤٩ سارية مربعة، بنيت من الحجارة وارتفاع الأعمدة والسواري خمسة أمتار[٢]، وقامت فوقها أقواس حجرية اتساع كل منها تسعة أمتار يربط بين الأعمدة شدادات من النحاس.

نذرع هذه الأبهاء الرحبة إلى أن ينتهي بنا المطاف إلى تحت القبة القبلية التي ترتفع ١٧ مترًا عن الأرض، وقد غطتها الفسيفساء الجميلة، والتي تضم مظهرًا جميلاً من مظاهر الفن.

عندما استرد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ:

---

(١) في الحرم مزولتان شمسيتان لمعرفة الوقت واحدة عربية. رسمها مفتي الشوافعة محمد طاهر أبو السعود حوالي عام ١٩٢٠، والثانية زوالية رسمها المهندس المقدسي رشدي الإمام.

(٢) قطر الأعمدة في قسمها الأعلى ٤٣سم وفي الأسفل ٥٢سم.

١١٨٧م بذل كل ما في وسعه لتحسينه ورصفه وتدقيق نقوشه فأحضر من الرخام ما لا يوجد مثله، ومن الفصوص المذهبة من صنع القسطنطينية، وكان قد أخذ في جمعه منذ أن وطد العزم على استرجاع البلاد.

ولقد جدد صلاح الدين محراب المسجد وزينه بالفسيفساء كما جلب للأقصى المنبر الذي عمله نور الدين.

❑ في ساحات الحرم:

وإذا ما أجلنا النظر في أرجاء الحرم وساحاته رأينا محاريب بأسماء كثيرين من الأنبياء والصالحين. إننا في مكان رحب هادئ جميل جليل. فما أعظمها من متعة روحية.

«نستنتج من ذلك كله أن حدود منطقة الحرم لم يطرأ عليها تغيير محسوس منذ أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك، أي: منذ نهاية القرن السابع الميلادي. وأما الاختلاف في الأرقام التي تدل على المقاييس فمرده دون شك إلى أخطاء الكتاب، وإلى اختلاف الذراع الذي يتروح طوله بين الذراع الملكي الهاشمي الذي يساوي ١,٥ قدم والذراع الملكي المتأخر الذي يقرب طوله من ٢ قدم، والذراع المعماري الذي استعمل في القرن الخامس عشر، والذي يقرب طوله من ٢,٢٥ قدمًا».

* **بالأرقام:**

❑ **الحرم القدسي، وهو المقصود باسم المسجد الأقصى:**

يقع على مساحة مربعة طول الجهة الغربية منها ٤٩٠ مترًا.

طول الجهة الشرقية منها: ٤٧٤مترًا.

طول الجهة الشمالية منها: ٣٢١مترًا.

طول الجهة الجنوبية منها: ٢٨٣مترًا.

▫ أبواب الحرم القدسي:

باب الأسباط ـ باب حطَّة ـ باب شرف الأنبياء (فيصل) ـ باب الغوانمة (الخليل ـ الوليد) ـ باب الناظر ـ باب الحديد باب القطانين ـ باب المتوضأ ـ باب السلسلة ـ باب المغاربة (أو باب النبي ـ أو باب البراق).

▫ محيط الحرم القدسي:

الحائط الشمالي: ١٠٤٢ قدم.

الحائط الشرقي: ١٥٣٠ قدم.

الحائط الجنوبي: ٩٢٢ قدم.

الحائط الغربي: ١٦٠١ قدم.

المحيط: ٥٠٩٥ قدم.

▫ الصخرة:

طولها ١٧,٧٠ مترًا.

وعرضها ١٣,٥٠ مترًا.

ويبلغ ارتفاعها عن الأرض نحو ١,٢٥ متر إلى مترين، وينزل إلى المغارة التي تحتها بإحدى عشرة درجة من جهة القبلة، وهي محاطة بدرابزين، قيل من الحديد، وقيل من الخشب.

قياس آخر:

طولها ٥٧ قدمًا.

عرضها ٤٣ قدمًا.

ترتفع من قدم إلى ستة أقدام عن البلاط.

❑ القبة (قبة الصخرة):

القبة مثمنة الشكل، طول كل جانب ٦٧ قدمًا.

ارتفاع القبة ١٧٠ قدمًا.

مبنية على أربع دعائم، واثني عشر عمودًا.

ولها أربعة أبواب إلى الجهات الأربعة.

❑ البراق:

قسم من سور الحرم القدسي الغربي. في الزاوية الجنوبية الغربية. وهو حائط البراق الذي ربط فيه البراق النبوي ليلة الإسراء.

طوله ١٥٦ قدمًا.

ارتفاعه ٥٦ قدمًا.

❑ المسجد الجامع:

(ويسمونه المسجد الأقصى مجازًا) يقع جنوبي جامع قبة الصخرة.

وطوله ٨٠ مترًا.

وعرضه ٥٥ مترًا.

عدا ما أضيف إليه من الأبنية، وأول ما يقابلك من هذا المسجد عند مدخله من الجهة الشمالية رواق كبير أنشأه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق سنة ٦٣٤هـ. وللمسجد عشرة أبواب، وقبته من الخشب مغطاة بالرصاص.

❑ المسجد العمري:

يقع في الجنوب من ساحة كنيسة القيامة، وقد يُقال: مسجد عُمر:

لموقع المسجد الجامع داخل سور الحرم؛ لأنه المكان الذي خطه عُمرُ لصلاة الجماعة عند الفتح، وفي شرقي المسجد الجامع بناءٌ يطلق عليه مسجد عمر أيضًا.

أبواب الحرم الشريف في العصور المختلفة

المقدسي سنة ٩٨٥م	ناصر خسرو عام ١٠٤٧م	مجير الدين عام ١٤٩٦م	الأبواب الحديثة سنة ١٨٩٠
١ ـ باب حطة	باب حطة	باب النبي	باب النبي تحت باب المغاربة
٢ ـ باب النبي	باب النبي	باب الأقصى القديم	باب الأقصى القديم، الباب المزدوج القديم
٣ ـ باب محراب مريم	باب العين		الباب الفردي القديم والباب الثلاثي
٤ ـ باب الرحمة	باب الرحمة وباب التوبة	باب الرحمة وباب التوبة	باب الرحمة وباب التوبة الباب الذهبي
٥ ـ باب البركة	باب الأبواب	باب الأسباط	باب الأسباط
٦ ـ باب الأسباط	باب الأسباط	باب حطة	باب حطة
٧ ـ الباب الهاشمي	باب الصوفية	باب الدوادارية	باب العتم
٨ ـ باب الوليد		باب الغوانمة	باب الغوانمة
٩ ـ باب إبراهيم	باب صقر	باب الناظر	باب الناظر
١٠ ـ باب أم خالد		باب القطانين أو باب الحديد	باب الحديد أو باب القطانين أو باب المتوضأ
١١ ـ باب الوليد	باب داود وباب السكينة	باب السلسلة وباب السكينة	باب السلام وباب السلسلة

الحرم الشريف في بيت المقدس

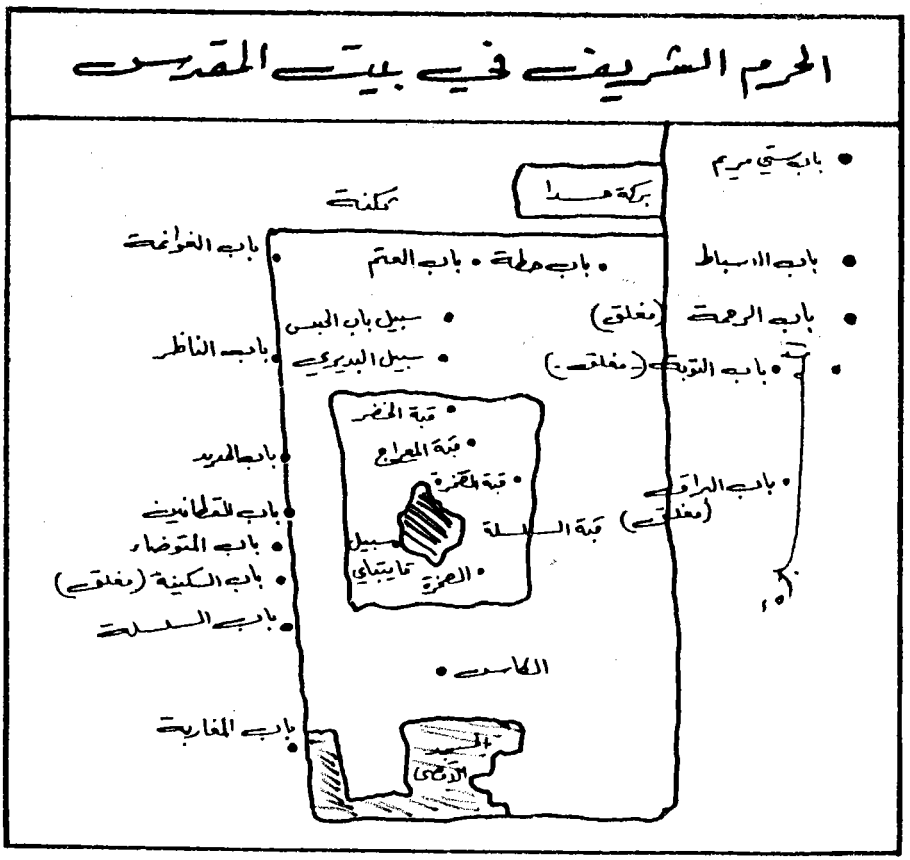

الحرم الشريف في بيت المقدس

(١) انظر «بيت المقدس» ص(٤٨١ ـ ٥١١).

تاريخ القدس
قبل الإسلام

تاريخ القدس قبل الإسلام

* نشأة «القدس» دينية منذ بداية التاريخ:

❑ نعم.. فالقدس واقعة على سلسلة جبال، ومحيط القدس قاحل، لا سهل فيه، ولا ينابيع. فهي ليست بمركز زراعي، وليست على بحر ولا على طريق تجاري.

ومع هذا كله فإنك تجد فيها خيرات الأرض كلها، بل تجد فيها المنتجات الزراعية الصيفية في فصل الشتاء.

❑ فالمدينة لم تنشأ في أصل نشأتها للأسباب التي تنشأ لها المدن والقرى: وأسباب نشوء المدن والقرى: البحر، والنهر، والماء، والزراعة، وطرق التجارة.. أما بيت المقدس فليس لها واحدة من هذه الميزات..

فكيف أصبحت مدينة تتزاحم الناس فيها، ويشدون الرحال إليها؟

قبل أن نجيب يكفي نظرة إلى مكة والقدس، وما بين المدينتين من تشابه وتقارب في طبيعة المكان، وحكمة النشأة:

مكة في واد غير ذي زرع... فجعل اللَّه قلوب أفئدة من الناس تهوي إليهم.. وجعل اللَّه مكة في مكان مجدب لا زرع فيه، ولكنه خلق أخصب بقاع الجزيرة ـ وهي الطائف ـ مجاوراً لها.

❑ وهذا حال مدينة القدس: فالزمن الذي تأسس فيه بيت مكة، هو الزمن الذي تأسس فيه بيت المقدس... وهناك وادٍ غير ذي زرع، وهناك جبل غير ذي زرع...

وهناك أفئدة من الناس تهوي إلى ساكن مكة، وهنا جعل اللَّه أفئدة من الناس تهوي إلى بيت المقدس.

❑ وهناك خلق اللَّه الطائف على مرمى حجر من مكة، وهنا خلق اللَّه أرضًا تجاور القدس، بارك فيها بركات الدين والدنيا.

❑ نعم، ليس في المدينتين ما يبهر النظر من متاع الدنيا، ولا يقصدهما القاصد من مكان بعيد لطلب مال أو استجداء عطاء أمير، إنما يقصدها للعطاء من رب الأرض والسماء.

❑ العرب أول من سكن القدس... والقدس كانت تعرف التوحيد قبل قدوم خليل الرحمن عليه السلام:

لا شكَّ أن القدس كانت مسكونة، أو كانت مقصد البَشَر منذ زمن بعيد مُوغل في القدم، لا يعلمه إلا اللَّه؛ لأن المسجد الأقصى أسس في الزمن الذي أسس فيه البيت العتيق في مكة، وثبت أنَّ البيت العتيق كان مؤسسًا قبل إبراهيم عليه السلام بزمن طويل لا يعلمه إلا اللَّه.

ولكننا لا نملك تأريخًا للأمم التي سكنت القدس إلا في حدود ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد (٣٥٠٠ق. م)... وهو تاريخ أولى الهجرات الكنعانية، التي اتجهت من شبه الجزيرة العربية نحو الشمال الشرقي. ومن بطون العرب الكنعانيين الذين هاجروا إلى فلسطين «اليبوسيّون» وهؤلاء هم الذين سكنوا القدس وعمروها، ولم يعرف التاريخ المدون شعبًا قبلهم سكن القدس[1]. ونسبةً إليهم سميت القدس

(١) انظر: «تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم» محمد عزة دروزة ص(١٥٣).

«يبوس». وجاء اسم يبوس في الكتابات المصرية الهيروغليفية باسم «يابثي» و«يابتي» وهو تحريف للاسم الكنعاني.

فهذا من المتفق عليه بين المؤرخين أنّ أول من سكن بقعة القدس الشريف قومٌ من اليبوسيين من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية؛ لأنهم أحد فروع الكنعانيين، والكنعانيون من العرب بالاتفاق بين المؤرخين، فقد ذكر المؤرخ العربي ابن جرير الطبري الكنعانيين في تاريخه وقال: إنهم من العرب البائدة، وأنهم يرجعون بأنسابهم إلى العمالقة، فقال: عِمْليق أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عُمَان وأهل الحجاز وأهل الشام منهم...

ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يُقال لهم «الكنعانيون» (١/٢٠٣). وقال ابن خلدون: وأما الكنعانيون الذين ذكر الطبري أنهم من العمالقة كانوا قد انتشروا في بلاد الشام وملكوها، وقال: «أول مُلْكٍ كان للعرب في الشام فيما علمناه للعمالقة».

واتفق المؤرخون من أعداء العرب وأصدقائهم: أن الكنعانيين جاءوا إلى بلاد الشام من شبه الجزيرة العربية، ونسبةً إلى هؤلاء الكنعانيين دُعيت فلسطين بأرض كنعان، فكان أقدم اسم سُمّيت به بلادنا.

وقد احتلَّ اليبوسيون التلال المشرفة على المدينة القديمة، وبنوا قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من يبوس، سُمّيت حِصْن يبوس، الذي يُعَدُّ أقدم بناءٍ في مدينة القدس، أُقيمت حوله الأسوار، وبرج عالٍ في أحد أطرافه للسيطرة على المنطقة المحيطة بيبوس للدفاع عنها وحمايتها من غارات العبرانيين، والمصريين الفراعنة بزعامة ملكهم سالم

اليبوسي[١]، وعُرف حصن يبوس فيما بَعْدُ بحصن صِهْيون، ويعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن بالأكمة، أو هضبة أوفل.

وقد أثبتت نتائج الحفريات أن المدينة اليبوسية، كانت شرقي أسوار الحرم القدسي وعلى السفح المنحدر إلى وادي قِدْرون (جهنم) ولم تكن على جبل (موريا) حيث يقوم الحرم الشريف.

وهذا يوحي بأن بقعة المسجد الأقصى كانت موجودة ومعروفة، ولذلك سكن اليبوسيون بجوارها، ولم يسكنوا فيه؛ لأنها محل للعبادة.

ومن أقدم ملوك اليبوسيين الكنعانيين في القدس «ملكي صادق» الذي عقد صداقةً مع إبراهيم الخليل عليه السلام، مما يدل على أنه كان من الموحدين العابدين للّه تعالى.

وكانت الهضبة المسطَّحة التي تتوّج جبل «موريا» المكان الذي وجد فيه إبراهيم عليه السلام الرجل الأصيل (مَلْكي صادق)، ملك أورشليم، يعبد اللّه العليّ، ويقوم بقرى الضيوف فيقدم لإبراهيم الخبز والنبيذ، ثم يباركه «باسم اللّه العلي» أيضًا.

فمدينة القدس: كانت تعرفُ عقيدة التوحيد، قبل أن يقدم إبراهيم

---

(١) وسالمٌ هذا: أول من حكم القدس، فسميت باسمه، أو أضيفت إليه فقيل (أور+سالم) يعني بلد سالم. وعندما قدم سيدنا إبراهيم إلى فلسطين، كان ملكها اسمه «ملكي صادق» وسالم، وملكي صادق كما يظهر من اسمهما أنهما من العرب. والحقُّ ما شهدت به الأعداء، فقد سجل اليهود في توراتهم أن ملكي صادق كان ملك شليم (القدس) في زمن إبراهيم عليه السلام، وأن ملكي صادق ابتهج لانتصار إبراهيم على خصومه، وتصدَّق بخبز وخمر؛ لأنه كان كاهنًا للّه، ويفيد هذا أن ملكي كان موحدًا وربما كان نبيًّا. وبهذا تكون فكرة التوحيد ـ توحيد اللّه ـ قائمة في فلسطين والقدس، قبل قدوم سيدنا إبراهيم، وهذا يدل على وجود المسجد الأقصى المبارك قبل قدوم سيدنا إبراهيم.

الخليل إلى فلسطين؛ لأن اللّه تعالى أمر بوضع المسجد الأقصى فيها لعبادته، وكان الناس يقصدونه للعبادة؛ ولأن ملكي صادق ـ ملك اليبوسيين ـ، اتخذ بقعة المسجد الأقصى مكانًا لعبادته.

ويزعم بعض المؤرخين تبعًا لليهود، أن ملكي صادق هو لقب سام ابن نوح وهذا لا يصح؛ لأن بين سام بن نوح وبين إبراهيم أزمنة طويلة فقد ذكر القرآن بعد نوح: النبي هودًا عليه السلام، والنبي صالحًا عليه السلام.

. . . وعلى هذا تكون القدس أقدم بقعةٍ على الأرض عرفت عقيدة التوحيد بعد مكة المكرمة شرفها اللّه. . . لأن ملكي صادق الذي التقى إبراهيم حوالي سنة ١٨٠٠ق. م كان موحدًا، ولأن سيدنا إبراهيم الذي جاء إلى فلسطين دعا إلى التوحيد، ولقي في أهل فلسطين استجابة.

ومما يجدر أن ننبه إليه، ونوضحه: أن المؤرخين ينسبون إلى إخناتون الفرعوني (أمنحوتب الرابع ١٣٧٧ ـ ١٣٥٨ ق م) أنه دعا الناس إلى عبادة إله واحد (ويجعلون له الأولوية والأقدمية) بدون دعوة نبي. ولكنَّ وحدانية أخناتون، لم تكن دعوة إلى توحيد الإله الخالق الرازق الذي يرىٰ الناس ولا يرونه، وإنما كانت دعوةً إلى توحيد إله مادي منظور ومحسوس، فقد كان المصريون قبله يعبدون عددًا من الآلهة المنظورة المحسوسة، فدعا إلى عبادة إله واحد هو «أتون» أو «قرص الشمس»، ونبذ جميع الآلهة الأخرى، فهذا كمن يُفردُ صنمًا واحدًا لعبادته. . وشتان بين عبادة الإله الذي دعت إليه الأنبياء وبين عبادة الإله الواحد المادة المحسوس. . .

أإخناتون للتوحيد داعٍ قديمًا قبل كل المرسلينا
أإخناتون عابد قرص شمسٍ بزعم الكفر شيخ المسلمينا

❑ وقد كشفت التنقيبات الأثرية التي قامت بها الباحثة الإنجليزية كاثلين سنة ١٩٦١م في طبقات العصر البرونزي القديم من أكمة «أوفل» بالقدس عن بقايا السور الأول الذي بناه اليبوسيون على جبل صهيون، وأبرزت قسمًا من أسس الأبنية وتمديدات جر المياه إلى الحصن من عين أم الدرج (جيحون). [الموسوعة، مادة القدس].

❑ فملكي صادق ملك أورشليم العربي موحّد بنص التوراة.

فالتوراة نفسها تتحدث عن «أورشليم» لأول مرة في زمن إبراهيم «حوالي سنة ١٩٠٠ ق.م» وكان اسمها (شاليم) فقط. وكان ملكها من سكان فلسطين الأصليين، ويبدو من السياق أنه كان يحكم دينيًّا، تقول توراتهم (سفر التكوين ١٤/ ١٨):

«ومَلْكيصدك ملك شاليم أخرج خبزًا ونبيذًا!![1]، وكان كاهنًا للّه العلي، وباركه، وقال: مُبارك أبْرام من اللّه العلي مالك السماوات والأرض». فأورشليم (القدس) كانت مدينة مباركة من اللّه العليّ من قبْل داود، بل من قبْل إبراهيم أيضًا.

* فتح بني إسرائيل للقدس على عهد نبي اللّه يوشع بن نون عليه السلام:

وعلى عهد يوشع بن نون خليفة موسى (حوالي سنة ١٤٥٠ق.م)

(١) هكذا... لعن اللّه اليهود كم حرّفوا وبدّلوا.

كان بنو إسرائيل قـد أصبحوا بعشائرهم التي تـهدّد أمن المدن الفلسطينية خطرًا يُحسَب حـسابه، ويؤكد ذلك نص تل العَمارنـة الذي أشرنا إليه. لذلك نجد تحـالفًا يُعقـد بين أمراء الفلسطينيين على أثر انتـصار يوشع بن نون في أريحا وعاي وجَبْعـون (يوشع ١٠/ ٣ ـ ٤). «فأرسل أدونيصدق ملك أورشليم إلى هوم ملك حَـبْـرون ـ الخليل ـ وفرآم ملك يرمـوت، ويافع ملك لكيش، ودبـير ملك عـجلون». ولكن يوشع عـليه السـلام ترهبه كل فلسطين، فتخضع له بعض البلاد ويحاربه البعض الآخر، ويُصالحه فريق من «الخائفين» على امتيازات معيّنة يتنازلون عنها لبني إسرائيل.

وكانت (أورشليم) من المدن الفلسطينية التي قاومت بني إسرائيل قرونًا طويلة.

فمثلاً نجـد يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ نفسه يجـعلها في نصيب قبيلتي بـنيامين ويهوذا من أسباط بنـي إسرائيل، ولكنهما لم يسـتطيعا ـ ولمدة طويـلة جـدًّا ـ طرد سكانها الأصليين (اليبوسـيين) إحدى القبائل الفلسطينية القديمة.

وأما اليبـوسيون الساكنون في أورشليم فلم يَقْـدِر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم»[1].

والمقصود اليومُ الذي يروى فيه الراوية هذه الوقائع عن يوشع وبعد وفاته بمدة علمها عند اللَّه.

وبعـد موت يوشع بن نـون أعاد سـبط يهـوذا الكرَّة على أورشليم

---

(١) يوشع (١٥/ ٦٣).

«وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحدّ السيف، وأشعلوا المدينة بالنار»[١].

أما سبط بنيامين، فإنهم فشلوا كذلك في طرد اليبوسيين وسكنوا معهم «إلى هذا اليوم»[٢].

لذلك بقيت أورشليم تسمى (يبوس) أو (مدينة اليبوسيين) كما جاء في سفر القضاة (١٩)، وفي هذا الموضع نجد نصًّا يستحق الانتباه، حين يقول في سياق القصة التي يرويها: «... وفيما هم عند يبوس، وقد انحدر النهار جدًّا، قال الغلام لسيده: تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بني إسرائيل هنا».

وسنرى أن المدينة المقدسة ظلت إلى عهد داود لليبوسيين، سكانها الأصليين من شعب فلسطين.

ومعروف أن داود عاش حوالي سنة ألف قبل الميلاد، وبالتالي ظلت مدينة (السلام) من أول ما لقيناها في التوراة على أيام إبراهيم إلى تلك الفترة ـ نحو ألف سنة ـ تقاوم التسلل الإسرائيلي، والمطامع اليهودية، فلا ينال الإسرائيليون منها إلا بالتخريب والإحراق حينًا أو بالمساكنة والتعايش السلمي أحيانًا.

ومع داود فقط تبدأ (عُقدة أورشليم) مدينة اللَّه، ومدينة السلام، ومدينة اليبوسيين الفلسطينيين منذ ما قبل التاريخ، كما أثبتت ذلك

---

(١) «سفر القضاة» (١/ ٨).

(٢) «قضاة» (١/ ٢١).

أحدث الحفائر التي أُجريت في المنطقة[١] .

ملحوظة: عندما جاء الموسويون بعد موسى بقيادة يوشع إلى فلسطين حوالي سنة ١٢٢٠ قبل الميلاد، واستولوا على أجزاء من فلسطين، عجزوا عن الاستيلاء على القدس، وبقي «هن يابوس» بيد أهله زهاء ثلاثة قرون بعد دخولهم فلسطين.

* ظهور داود عليه السلام وتملكه على بني إسرائيل:

قلنا: إن القدس ظلت فلسطينية في أيدي اليبوسيين إلى السنة الثامنة من حكم داود. كان داود من الجنوب، من صحراء النقب، حيث اختارت قبيلته ـ سبط يهوذا ـ تلك الجهة مسرحًا لحياتها البدوية الرَّعوية، ثم إنه انتقل إلى الشمال حيث كان نبيُّ بني إسرائيل (صموئيل) قد توَّج شاؤول أول ملك على كل الشعب، وكان داود قد أُلحق ببلاط شاؤول.

وفي هذه الآونة كان سكان البلاد الأصليين «الفلسطينيين» يريدون التخلص من الوجود (الإسرائيلي) في بلادهم. وكانت الحرب سجالاً بينهم وبين الإسرائيليين، وبرز من الفلسطينيين بطلٌ عِمْلاقٌ مخيف هو (جالوت) استطاع داود أن يقتله بحَجَر أطلقه من مقلاع، وأصبح داود ملكًا بعد طالوت فأراد أن يترك الشمال إلى نقطة حصينة أكثر توسطًا من حيث الموقع، فوجد مطلبه هذا في (مدينة اليبوسيين) أورشليم، فهي قريبة من ديار سِبط يهوذا وهم عشيرة داود، وهي وعِرة المسالك للقادم من الأردن، أو من البحر أو من الشمال على السواء، وهي حصينة غير

(١) «القدس» لحسن ظاظا ص(٤٧ ـ ٥٠).

مكشوفة للغُزاة، ثم إنَّها بعد كل هذا في وسط عشائر فلسطينية قديمة يبدو أنهم كانوا أكثر ميلاً إلى المسالمة من أهل الشمال.

* استيلاء داود على القدس من اليبوسيين:

بدأ داود بالاستيلاء على جبل صهيون، وكانت فيه قلعة أماميَّة لليبوسيين يدافعون منها عن القدس، وكانوا يسمُّون جبل صهيون بالمنشئات القائمة عليه (المدينة الفوقانية) بالنسبة لهضبة الحَرَم (جبل مُوريا) التي كانوا يسمونها (المدينة التحتانية). استولى داود إذن على (المدينة الفوقانية) وحصّنها وجعلها قاعدة لحكمه، ولمّا كانت أسرته هي سِبط يهوذا، فمنذ هذا الوقت بدأ الإسرائيليون يُسمَّون باليهود أيضًا، ولمّا كان داود على طريقة أمراء بني إسرائيل ورؤسائهم في العصور القديمة، وعلى طريقة الكثير من الحكام القدماء، يستمدُّون سلطتهم من «اللَّه» فقد جعلوا صهيون مقر السلطة الدينية والسياسية والعسكرية جميعًا. ولم يجد غُلاة المتعصبين من اليهود في العصر الحديث تسمية أكثر سحرًا في آذان فقراء اليهود وبسطائهم من (الصهيونية)، وما تقترن به من قوة داود وشدة شكيمته، وأُبَّهة سليمان وبهاء عظمته وفخامته على عرشه الأسطوري العجيب، فاختاروها اسمًا وشعارًا.

تملّك داود على اليهود حوالي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد وتمكنوا فيها من دخول القدس. تُوفّي داود سنة ٩٦١ق.م، ودام ملكه ما بين (٩٦١ ـ ٩٢٢ ق.م). وعندما استولى داود عليه السلام على القدس، لم يغادرها أهلها، بدليل ما جاء في الآثار الإسلامية والعبرية أنه عندما أراد داود عليه السلام أن يعدّ مكانًا للعبادة، أو أراد أن يزيد في البقعة،

اشترى بيدر أحد اليبوسيين «أرونة اليبوسي» ليبني عليه مذبحًا (معبدًا)، ولكن اللَّه تعالى لم يكتب له أن يكون البناء على يديه، والمعروف أن داود أصبح ملكًا على بني إسرائيل، وكان عمره لا يزيد على ثلاثين عامًا، ومعنى هذا أنه تملّك قبل أن يوحى إليه، فلما بلغ من العمر أربعين سنة آتاه اللَّه النبوة والملك، وأرسله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الزبور.

يعني هذا أن داود عليه السلام جعل قاعدة ملكه في أول تمليكه، في جهات الخليل، ثم فتح القدس بعد حوالي سبع سنوات ٩٩٠ق.م، وتكون نبوته بعد فتح القدس.

* الصخرة التي بنى عليها داود مذبحاً للرب؟

ظل داود يضغط على اليبوسيين، ويضايقهم في جبلهم (مُوريا)، ويريهم صنوف الإذلال، وهم يرحلون تاركين له ديارهم حتى لم يَبقَ إلا مسطح القمَّة ـ مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة ـ ملكًا لليبوسي (آرونا) يتخذه جرنًا ومربضًا لماشيته، فاشتراه منه داود بما فيه من المواشي، وقالوا في عَنعنات شفوية يهودية لا يقوم عليها أي دليل: إن داود جعل من الصخرة التي على الهضبة مَذْبحًا للربِّ. وصاغوا حول ذلك أساطير لا تكاد تنتهي، حتى قالت بعض نصوص التلمود (توسفتا ـ يوما / ٨,٨٤): «إن اللَّه تعالى خلق الأرض ابتداء من هذه الصخرة»، وقال أحد أحبارهم وهو إليعازر البابلي: «إن الصخرة هي أصلُ خلق الأرض، وإن صهيون هو سُرَّة العالم، وهو كامل الجمال والبهاء» (التلمود البابلي ـ يوما/ ٥٤).

وجاء في كتاب (الزوهر) وهو من كتب التصوُّف اليهودي المشهورة: «إن يعقوب نام على الصخرة، وهو منطلق من بيت أبيه (إسحاق)، بينما المعروف أنه نام في (بيت إيل) قرب نابلس. ولكن هذا التحريف يهدف إلى نقل قدسية (بيت إيل) المجاورة لنابلس، والتي ظل اليهود السامريون على وفائهم لها كقبلة ليعقوب، إلى أورشليم.

والحقُّ أننا لا ندري أية صخرة يعني اليهود، فالتلمود يذكر أن الصخرة التي يقدِّسونها ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع (التلمود ـ يوما/ ٨٥ ـ ٣، ٤، توسفتا ٨٣/ ٦، وموسى بن ميمون في كتابه «طُقُوس يوم الغفران»). بينما الصخرة الموجودة حاليًا ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل، ومحيطها يناهز العشرة أمتار، وتحتها فجوة هي بقية مغارة قديمة عمقها أكثر من متر ونصف، تبدو الصخرة فوقها وكأنها معلقة بين السماء والأرض، وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار.

ومن الذين شكُّوا في أن تكون الصخرة الشريفة هي الصخرة المعنية في التلمود، الباحث الألماني «شيك» في أوائل هذا القرن، فهو يقول: «إن الصخرة الحالية رُبما كانت على أكثر تقدير إحدى ركائز المذبح الخاص بالقرابين فقط، ولم تكن في يومٍ ما داخلة ضمن قُدس الأقداس».

أما صخرة اليهود التي يسمونها حسب أساطير التلمود التي أشرنا إليها (إيبن هاشتيا) ـ أي: حجر الأساس ـ فاللَّه أعلم ماذا صنع بها بختنصر، وأنطيوخوس أبيفانوس، وتيتوس، وفِسبازيان، وهدريان[1]،

(١) هذه الأسماء هي لأولئك القادة والملوك الذين أنزلوا باليهود أشد العقوبات في تاريخهم القديم.

والصليبيون، وغيرهم ممن دمروا أورشليم مرارًا وتكرارًا تدميرًا كاملاً.

* مدينة داود ... بعد داود:

رحل داود عليه السلام الذي بنى المجد لليهود رحل عن دنيا البشر للقاء ربه، فماذا يقول اليهود عنه في توراتهم المحرفة: قالوا: إن داود عليه السلام زنى بزوجة رجل من قوّاد جيشه، ثم دبّر حيلة لقتل الرجل فقُتِل، وبعدئذ أخذ داود الزوجة وضمها إلى نسائه، فولدت له سليمان[1].

* الملك سليمان وعنايته الفائقة بعاصمته وبناؤه القصر والهيكل وسور المدينة:

ورث سليمانُ داودَ، وكان ملكًا يحبُّ الفخامة ويميل إلى حل مشاكل السياسة والاقتصاد حلولاً دبلوماسية، لا يلجأ فيها إلى قوة السلاح، فصاهر جيرانه مبتدئًا بالقصر الفرعوني في مصر إذ تزوّج ابنة فرعون، ثم غيرها وغيرها من بنات الملوك والحكام المحيطين بمملكته الصغيرة.

وحاول أن يجعل عاصمة ملكه ـ أورشليم ـ لا تقل عَظَمةً وعمرانًا عن العواصم الكبرى في الشرق في زمانه، فبدأ بتشييد سور فاخر حول المدينة، ثم أخذ في بناء المعبد الكبير ـ الهيكل ـ الذي كان أبوه داود قد بدأه قبل موته. لقد سيطر هذا الهيكل على نفوس اليهود وخيالهم بعد تدميره واندثاره، وحتى الآن اقترنت أورشليم به، وتقدَّست لدى اليهود من أجله، وإذا ذكر اسمها فالمراد هو أولاً وقبل كل شيء. وما كتبه

(١) «سفر صموئيل الثاني» إصحاح (١١) عدد (١).

الكتاب والأحبار من شَطَحات خيالهم حول ذلك شيء تضيق عنه مئات المجلدات، بحيث كان كل اليهود في حاراتهم القذرة وأسمالهم البالية، على الثلج، وفي الوحل، يعيشون في هيكل أورشليم مع سطور التلمود ومع كتابات الأحبار، وكانت صيغة المعايدة الدائرة على ألسنتهم ـ وبخاصة في عيد الفصح ـ هي: «السَّنَةُ القادمة في أورشليم»، وهو شعار استغلته الصهيونية، وكَهربت به أعصابهم، وأعطته كل المعاني الحربية والعسكرية الممكنة.

* الهيكل في ذهن اليهود وشطحاتهم:

ولنذكر نموذجًا واحدًا من هذه الشطحات الكهنوتية اخترناه من كتاب التصوف اليهودي (الزوهر) (٢/ ٢٢٢): «عند خلق العالم، ألقى اللَّه حجرًا كريمًا من عرشه العظيم في الفضاء المُظلم، فغَطَس فيه جزء من هذا الحجر وبرزت بقيته فوق السديم، وهذه البقية البارزة كنقطة في هذا الفضاء اللانهائي بدأت تمتد في كل الاتجاهات عن يمين وشمال، وأُرسيت الدنيا عليها، ولذلك يسمى هذا الحجر (حجر الأساس).

وكان تكوين الأرض حوله على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى عبارة عن منطقة مستديرة حول الحجر نورانية شفافة، والثانية من حولها مصنوعة من مادة أقل شفافية ولكنها أكثر رِقة من الأرض، والثالثة أرض مُعتمة يطوقها المحيط الذي يدور حول العالم.

وهذه المناطق الثلاثة ممثلة في الهيكل الذي في أورشليم: فالمنطقة النورانية وهي النقطة العُظمى، عبارة عن الهيكل ومدينة أورشليم، والثانية الأقل شفافِيَة، هي الأرض المقدسة (فلسطين)، والثالثة المُعتمة

هي بقية العالم، حيث تسكن الأمم غير اليهودية من الكفار. أما المحيط الذي يدور بكل شيء فهو مملكة الجنِّ التي تحيط بالعالم.

ولم ترَ الدنيا قط شيئًا أجمل من ستائر تابوت العهد، وعندما أُدخل تابوت العهد إلى الهيكل صاح بآية المزامير (١٣٢/ ١٤): «هذا مستقري إلى الأبد، وهنا سوف أُقيم، وكان صوت الروح القُدس يردد هذه الكلمات على مسامع إسرائيل».

* **اليهود قوم بهت:**

ماذا قال الملاعين إخوان القردة والخنازير عن نبي اللَّه سليمان عليه السلام باني هيكلهم الذي يذرفون دموع التماسيح عليه عند حائط المبكى:

قالوا: «إن سليمان ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام وبنى لها المعابد»[1].

أقيم الهيكل في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل.

ويرجح كثير من الأثريين وفي مقدمتهم الأثري الفرنسي (دي سولسي) في كتابه «تاريخ الفن اليهودي» أن الهيكل الذي بناه سليمان كان في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل، بدليل أن الهيكل الذي بناه اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي في المكان نفسه، وبعد سليمان بنحو خمسمئة سنة أخرى كان يحيط به سور أيضًا، وكذلك الهيكل الذي عمَّره هيرودس بعد ذلك بخمسمئة سنة أخرى، ثم الحرم الإسلامي الشريف الذي قام أخيرًا في المنطقة نفسها التي كان «مَلْكيصدق» يدعو

(١) «سفر الملوك الأول»، إصحاح (١١) عدد ٥.

فيها باسم اللَّه العليّ في زمن إبراهيم.

ويبدو أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على أيام سليمان، كان مربعًا طول ضلعه مئة وثمانون مترًا (فتكون مساحة ما يحيط به السور نحو ثمانية أفدنة إلا ربعًا). وبهذه المناسبة يذكر الأثري الفرنسي (دي سولسي) مقاييس الحرم الإسلامي الشريف في المنطقة نفسها، وفي العصر الحديث كما قاسها هو بنفسه، وهي: الضلع الشرقي لسور الحرم وطوله ٣٨٤ مترًا، والضلع الجنوبي طوله ٢٢٥ مترًا، ثم يمتد الضلع الغربي بزاوية منفرجة وفي خط غير مستقيم، بحيث يكون الضلع الشمالي من السُور أطول بكثير من مقابله الجنوبي. وينبني على ما ذكره (دي سولسي) أن تكون مساحة الحرم الشريف أكثر بكثير من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان، أو نحميا، أو هيرودس.

* لا دليل على أن الحرم الإسلامي بُني فوق مكان الهيكل:

هناك أيضًا أمر يستحق الانتباه، وهو أن الحَرَم الإسلامي الشريف مستطيل، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (في اتجاه القبلة بمكة المكرمة)، أما معبد سليمان فهو مستطيل لكن اتجاهه من الغرب إلى الشرق (نحو الشمس)، وهو الاتجاه العام في المعابد القديمة في بابل، أو مصر أو غيرهما من أقطار الشرق الأدنى والأوسط.

إذن فلا يمكن التسليم بسذاجة برأي من يدَّعون أن الحرم يقوم تمامًا على ما كان سابقًا يُسَمَّى هيكل سليمان، حتى لو سلمنا أن الهيكل كان في هذا الركن بالذات من الجبل، وهذا لا دليل عليه إلا العَنْعَنات التي اتخذت في نفوس البعض منزلة مقدسة لتكرارها عبر الأجيال.

* **انقسام اليهود بعد سليمان ودخول الفاتحين للقدس مراراً:**

وما كاد سليمان يَلقَى ربه حتى حدَثت حرب أهلية بين الأسباط وانقسمت المملكة شطرين، وأصبح الهيكل وأورشليم قِبلةً لنصف بني إسرائيل فقط.

ولم تدم مملكة اليهود التي قامت على يد داود عليه السلام إلا حوالي تسعين سنة من حوالي (١٠٠٠ ـ ٩٢٢ق.م) حيث تمزقت بوفاة سليمان عليه السلام، وتقسمت إلى مملكتين: الأولى تسمى مملكة إسرائيل وعاصمتها شكيم، والثانية دولة يهوذا وعاصمتها أورشليم (القدس)، أما دولة يهوذا فقد تتابع عليها عشرون ملكًا يهوديًّا في نحو ٣٣٧ سنة أكثرهم مات قتلاً بأيدي قومهم، وكثير منهم كان أُلعوبة بأيدي المصريين أو العراقيين[1].

ثم تعرضت القدس مباشرةً لهجوم الجيش المصري الفرعوني (حوالي سنة ٩٧٠ق.م)، وهي تحت حكم (رَحَبْعام بن سليمان)، وتوالت عليها بعد ذلك الهجمات المتلاحقة: من الأدوميين في الأردن، إلى العرب، إلى الآراميين، إلى الإسرائيليين في مملكة الشمال، عندما هاجم يهوآش ملك إسرائيل أمصيا ملك أورشليم ويهوذا، وهَدَم

(١) وهؤلاء الملوك لم يكونوا جميعًا من الموحدين، ويشهد على هذا حَبرٌ من أحبارهم وعارفٌ بأخبارهم، هو السموأل بن يحيى المغربي الذي أسلم وكتب رسالته «إفحام اليهود» حيث يقول: «فأشُدُّه على اليهود من جميع هذه الممالك ما نالهم من ملوكهم العصاة مثل أحاب، وأحزيا... الذين قتلوا الأنبياء، وبالغوا في تطلبهم ليقتلوهم وعبدوا الأصنام، وأحضروا من البلاد سدنةً للأصنام وابتنوا لها البيع العظيمة والهياكل وعكف على عبادتها الملوك..» ص(١٤٤).

أسوارها، وأخذ ما في الهيكل من الذهب والفضة والأواني، ونَهَب القصر وأخذ بعض الرهائن وعاد إلى السامرة (الملوك الثاني ١٤/ ١٤).

وتكرر الزحف المصري على أورشليم في حكم الفرعون نخاو، وكان ملك يهوذا يهو آحاز (حوالي ١٦٠ ق.م).

ثم انتعشت أورشليم في عهد الملك عُزَيَّا الذي حكم أكثر من نصف قرن من الزمان، وكان مهتمًا بتحصينها، فبنى حولها أبراجًا، وحفر آبارًا، وأنشأ البساتين والحدائق (أخبار الأيام الثاني ٢٦). واستمر إنشاء البوابات والتحصينات على عهد ابنه يوثام.

وتبلور الخَطَر الآشوري على القدس في عهد سنحاريب الذي كان معاصرًا لحزقيا ملك يهوذا، فأخذ هذا الأخير في زيادة التحصينات بالقدس، وقام بردم آبار الماء التي في خارجها حتى لا ينتفع العدو بها، وكذلك الجداول الجارية منها، ودعَم السور في المواضع المتهدمة منه، وحصن قلعة داود على جبل صهيون، وقام بمشروع هندسي ناجح أجرى به مياه نهر جيحون الذي يجري جنوبًا خارج القدس تحت الأرض إلى داخل المدينة، وأنشأ صهاريج للماء، وهكذا استطاع أن يواجه الحصار الآشوري دون أن يضطر إلى الإذعان.

* بختنصر البابلي يدمّر القدس ويُخرِّب الهيكل:

كان بُختنصر ملك بابل يحاول أن يسوي حسابًا قديمًا مع فراعنة مصر، ولكنه في كل مرة يجد عقبةً ما في فلسطين تظهر له فجأة من قِبَل اليهود فيبوء بالفشل، وأخيرًا (سنة ٥٨٨ق.م) هاجم القدس بعد أن كان استولى على أهم أجزاء فلسطين، ومنها غزة في أقصى الجنوب، وكان

ملك يهوذا في ذلك الوقت (صدقياهو)، ولما سقطت القدس بعد مقاومة رهيبة أحرقها الجيش البابلي وخربها ونهبها، وأخذ معظم أهلها أسرى إلى العراق حيث بقوا هناك سبعين عامًا.

يقول محمد حسن شرّاب في كتابه «بيت المقدس» ص(٥٩ ـ ٦٠):

«وفي عام ٦٠٥ق.م زحف بختنصر البابلي، إلى أن وصل إلى القدس وأخضع ملكها «يهو ياقيم» وخضعت المملكة اليهودية للبابليين. ولما ثار «يهوياقيم» على أسياده دخل بختنصّر وجيشه أورشليم، وعين مكانه أخاه «يهو ياكين»، [٥٩٨ ـ ٥٩٧ ق.م]، وفي أثناء ملكه القصير، حاصر نبوخذ نصّر أورشليم، وأخذ الملك مع عائلته، ورؤساء اليهود، وبعض خزائن بيت الرب والمدينة إلى بابل. قال مؤلف جغرافية الكتاب وتاريخه : «وسقطت القدس نفسها في السنة ٥٩٧ق.م أمام جيش نبوخذ نصّر. ونُقل الملك (يهو ياكين) وما بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف من سراة القوم وصناع الأيدي (والمجموع ما بين ٣٠، و٤٠، ألفًا) إلى بلاد بابل وكان غرض نبوخذ نصّر أن يخلّي البلاد من قوادها وكل الذين بإمكانهم أن يوقدوا ثورة. والذين بقوا من يهوذا، ملَّك عليهم، صدْقيا أحد أبناء يوشيا (٥٩٧ ـ ٥٨٦ق.م) [القدس ـ للدباغ ص٥٢].

وفي أواخر حكمه تمرد على سيده، فأرسل بختنصر جيشه إلى القدس فأُسر الملك وسيق إلى بابل.. وخرّبت أورشليم وجُعلت أكوامًا من الأنقاض، وانتهت دولة يهوذا»[1].

---

(١) إن المتأمل في آيات سورة الإسراء (آيات ٤ ـ ٨) يجد تلخيص مراحل حياة بني إسرائيل.
(أ) ﴿**فإذا جاء وعد أولاهما**﴾ هي: مجيء بختنصر. (ب)﴿**ثم رددنا لكم الكرّة**﴾. =

* «كورش» ملك الفرس يسمح لليهود بالعودة إلى القدس:

❑ وفي سنة ٥٣٩ق.م تمكن كورش ملك الفرس من الاستيلاء على بابل، وتمَّ له الاستيلاء على بلاد الشام، وكان اليهود قد ساعدوه حين فتحه بابل، فالتمسوا منه أن يأذن لهم بالعودة إلى أورشليم فوافقهم على طلبهم. وسمح لهم على الفور بعودتهم إلى فلسطين، وتأسيس وطن قومي تحت رعايته وحمايته داخل ملكه وسلطانه، فعاد كثير منهم برئاسة يوشع بن يوصدق وزرو بابل[1] بن شلتئيل، وبعدهما بثمانية عشر عامًا جاء عَزْرا ونَحمْيا الذي أخذ في إعادة بناء هيكل سليمان (يقول الرواة: بصورة أقلّ فخامة)، ولعل ذلك من فرط إعجابهم الخيالي بهيكل سليمان فقط.

كل هذا تحت الحكم الفارسي الذي استمر حتى (ما بين ٥٣٨ ـ ٣٣٢).

❁ ❁ ❁

= (عودتهم أيام كورش). (ج) ﴿فإذا جاء وَعد الآخرة... عسى ربكم أن يرحمكم..﴾ هي مجيء الإسكندر إلى القدس دون أن يقتلهم. (د) ﴿وإن عدتم عُدنا...﴾ أي: إن عدتم إلى الفساد، عُدنا إلى الإدالة عليكم... وهذا يدلّ على تكرار إفسادهم، وتكرار عذابهم بإذن اللَّه، وقد كان ذلك أيام طيطس سنة ٧٠ م، وأيام هدريان سنة ١٣٥م، وأيام هرقل سنة ٦٢٧م، وقد انتقل إفسادهم بعد ذلك إلى المدينة النبوية فكان ما قضى اللَّه إلى بني إسرائيل.

(١) أي: المولود في بابل.

الهيكل الثاني

* كيف تم بناؤه ومتى؟ :

كان هَمُّ العائدين من السبي الذي دام سبعين سنة أن يبسطوا سلطانهم مرة أخرى على فلسطين، وأن تقوم لهم دولة، تحت وصاية (قورش) إمبراطور إيران في القرن الخامس قبل الميلاد، وأن تكون هذه الدولة قَنطرة للتوسع العسكري الفارسي في الشرق الأوسط، الذي انتهى باستيلاء قَمبيز على مصر نفسها. وإذا كان السادة الفرس لم يُعطوا اليهود «وطنًا قوميًّا» إلا بشروط معينة، خلاصتُها الولاء التام والتبعيَّة المطلقة لسياستهم بخيرها وشرها، فإن اليهود أرادوا أن يعيدوا بناء أورشليم، وتشييد هيكل سليمان، حتى تكون هذه الواجهة أمام الناس تعميةً على التبعية التي رضخوا لها صاغرين، ولقد حاولوا جاهدين أن يبنوا الهيكل الثاني على المخطط نفسه الذي بُني عليه الهيكل الأول هيكل سليمان، وانتهى البناء في عهد (دارا الأول) الفارسي.

كان الذين عادوا من السبي نحو أربعين ألف يهودي أو يزيدون قليلاً، وكان على رأسهم (يوشع بن يوصدق) و(زروبابل بن شلتئيل)، فبدأا ببناء مذبح للمُحرَقات في الهواء الطلق على جبل الهيكل الذي كان وقتها خرابًا، وفي اليوم الأول من الشهر السابع من عودة اليهود من بابل إلى فلسطين كانت الطقوس تقام أمام هذا المذبح.

ثم لما لَحِق (عزرا) و(نَحمْيا) بالعائدين إلى فلسطين من اليهود، بدأت أعمال البناء والتحصين وإقامة أسوار أورشليم تتخذ شكل الإنجاز النشيط، رغم بعض العقبات التي كانت تقيمها الحكومة الفارسية من

حين لآخر، ورغم مقاومة غير منظمة قام بها أمراء حَوْران وعمان والجزيرة العربية والفلسطينيين المتمركزين في أشدود (سفر نحميا، الإصحاح الرابع وما بعده).

* فلسطين تحت حكم الإسكندر:

وفي سنة ٣٣٢ق.م احتل الإسكندر فلسطين وأُدخلت تحت الحكم اليوناني، ولكن أحد أحبار اليهود وهو (شمعون بن حونيو) استطاع بدبلوماسيته أن يحوز رضا الإسكندر، وأن يظفر منه بمزيد من العناية بتجميل القدس (التلمود، يوما). وبعد موت الإسكندر (٣٢٢ق.م) حلّت الفوضى واستولى بطليموس الأول (سوتير) على أورشليم حوالي سنة ٣١٠ق.م، وأخذ كثيرًا من أهلها أسرى إلى الإسكندرية.

* تحت حكم أنطيوخوس السلوقي ملك سورية اليوناني سنة ٢٠٤ق.م:

ثم زحف عليها ملك سورية أنطيوخوس السلوقي اليوناني سنة ٢٠٣ق.م، وعاد فاستردَّها منه القائد البطلمي (سكوباس) المصري سنة ١٩٩ق.م. والظاهر أن اليهود في المدينة كانوا أميلَ إلى حُكم السلوقيين، وقد ساعدوا أنطيوخوس على دخول القلعة، كما يقول (يوسفوس)، ومباغتة المصريين فيها. وبسبب ذلك خفف أنطيوخوس الضرائب عن يهود القدس، واهتمَّ بعمارة الهيكل والمدينة وتدعيم حصن داود.

ويصف اليوناني أرسطياس المعاصر لهذه الأحداث فخامة القدس بما

يبيِّن أنها كانت مدينة كبيرة لها أسوار عليها أبراج، والخدمة الدينية في الهيكل كانت على أرفع نظام، وكان عدد السكان مئة وعشرين ألفًا. وتعوَّد اليهود بعادات اليونان، وتركوا الربَّ، وظهرت فرقة (ياسون) وأخيه (منيلاوس)، وقالا بأن منصب الحاخام الأكبر يجب أن يكون بالوراثة لا بالانتخاب، وحدثت فتنة كبيرة، انتهزها الحاكم السوري أنطيوخوس إبيفانس فزحف على أورشليم سنة ١٧٠ق.م، ونهبها وذبح كثيرًا من يهودها.

وبعد ذلك بعامين هجم قائده أبو لونيوس على المدينة مرة أخرى فأكثر فيها من القتل والتخريب، واقتحم الهيكل وأقام فيه تمثال أنطيوخوس، وبنى بجواره مسرحًا للتمثيل وأخذ معه رهائن من يهود القدس. فقام من أمراء المكابيين اليهود الحشمونيين (متتياهو) ثائرًا ضد اليونان هو وأولاده الخمسة، ثم أتمَّ يهوذا المكابي هذه الثورة بطرد اليونان من الهيكل، ومن جزء كبير من المدينة سنة ١٦٥ق.م وواصل هذا الكفاح شمعون المكابي، ففي سنة ١٤٣ق.م. طرد الحامية اليونانية من قلعة داود «صهيون».

وعاد اليونان بقيادة أنطيوخوس السابع (سيديتاس) في عهد يوحنا هيرقانوس المكابي، فاتَّقى هذا الأخير شرَّه بتقديم قوالب من الذهب استخرجها من قبر داود، يقول يوسفوس: «إنَّ وزنها كان ٧٥ طنًّا)، ثم حدث نزاع على العرش بين هيرقانوس وأخيه أرسطوبولوس في داخل القدس.

* احتلال الرومان لأورشليم وفلسطين:

أثناء هذه الفتنة زحف القيصر الروماني (بومبي) على فلسطين واحتلها سنة ٦٦ ق.م. وقتل من اليهود في القدس وحدها (١٢٠٠٠)، بينما كان اليهود يخربون كل شيء بأيديهم ويحرقون المدينة كلها بالنيران حتى لا ينتفع بها العدو.

وبعد مدة وجيزة كثرت الاضطرابات في أورشليم، فزحف عليها حاكم سورية الروماني (لوقيانوس كراسوس)، ودخل الهيكل ونهبه، وكان ما فيه من الذهب والفضة والآنية الثمينة يُقدَّر بنحو خمسين طنًّا.

وزار يوليوس قيصر فلسطين، فأذن لليهود في بناء الأسوار التي كان بعضها قد تهدَّم.

وفي هذه الأثناء كان هؤلاء (الأمراء) من أواخر المكابيين ما يزالون يتنازعون على السلطة، أو ما بقي لهم منها في أورشليم، وهي سلطة أخذ الزكاة من اليهود، وإدارة القضاء بينهم، وتنفيذ الأحكام الشرعية فيهم... إمارة كاريكاتورية تأخذ من اليهود الزكاة بيد وتصلبهم باليد الأخرى.

❑ وانتهز هيرودس الأدومي فرصة هذه المنازعات وزحف على المدينة سنة ٣٧ق.م يساعده القائد الروماني سوسيوس، فحاصراها وصبَّا عليها قذائف المنجنيق واقتحماها وقاما فيها بمذبحة رهيبة.

وافق القيصر الروماني أُغسطس على تعيين هيرودس على القدس «وكل بلاد اليهودية»[1]، أي النصف الجنوبي من فلسطين، فاهتم بإعادة

(١) فظل يحكمها باسم الرومان حتى السنة الرابعة الميلادية.. وفي زمانه ولد عيسى عليه السلام.

تخطيط المدينة وتدعيم أسوارها، وتزويدها بأبراج حصينة للحراسة، لا سيما في النقطة الضعيفة استراتيجيًّا من المدينة، وهي الغرب والشمال الغربي حيث أحياء القدس الحديثة الآن، فأقام في هذه الجهة برجًا سماه برج (هيبيوكسو) باسم واحد من أصدقائه قُتل وهو يحارب في صفوفه في إحدى المعارك، وهذا البرج هو الذي يُسمَّى خطأً الآن (برج داود).

وفي أقصى الزاوية الشمالية الغربية من السور بنى حصنًا في موضع حصن (البيرة) الذي أقيم بعد عودة اليهود من السبي، وكان قائمًا في عهد المكابيين ثم تهدَّم، وسمّاه هيرودس حصن (أنطونيا) على اسم صديقه وحاميه أنطونيو ـ صاحب كليوباترا ـ أما تسمية (البيرة) فهي فارسية معناها القلعة، ولم تعرفها اللغة العبرية إلا تحت حكم الفرس.

وكان هذا الحصن مربَّعًا طول ضلعه نحو تسعين مترًا، وفي داخله قصر عليه سور مربع آخر، تقوم عليه أربعة أبراج، ثلاثة منها ارتفاعها خمسون ذراعًا، والرابع ارتفاعه سبعون ذراعًا، وهو البرج الشمالي الشرقي أقرب هذه الأبراج إلى الهيكل، ومن أعلى هذا البرج كان جنود الاحتلال الروماني يراقبون ما يجري داخل معبد اليهود، الذي حظي من هيرودس أيضًا بالعناية فأعاد بناءه وزخرفته. وفي الجهة الجنوبية الشرقية استقر الملك المتهود (مونباز) وأُمُّه المتهودة أيضًا (هيلانة)، وكانا يحكمان قبل تهوُّدهما مقاطعة أديابين في بلاد الأكراد، شمال شرقي سورية، ثم تهودا ولجأا إلى أورشليم، فبنيا إلى الجنوب من جبل صهيون قصورًا ومقابر في غاية الإتقان.

كان اليهود في أورشليم لا يكفُّون عن مناوشة الحامية الرومانية

المعسكرة في قلعة أنطونيا، فأمر (أجريبا الأول) الموظفين الرومان بإحكام الرقابة على اليهود، والتشدُّد في معاملتهم، ووصَلَ الحقد إلى أقصاه بين الطرفين أثناء دعوة السيد المسيح، والفتنة التي أحدثها الكهنوت اليهودي حينئذٍ، وكان القيصر كليوديوس قد أمر ـ نكاية في اليهود ـ بوضع تمثال لنفسه في الهيكل، بقي في مكانه إلى أن مات هذا القيصر مسمومًا سنة ٤٥ بعد ميلاد المسيح.

* الخراب الثاني والأخير للهيكل وأورشليم:

دأبَ اليهود على خلق المشاكل للرومان، مشاكل ومضايقات صغيرة كانت متلاحقة ومفاجئة، فقرَّر الإمبراطور الروماني فسبازيان القضاء عليهم، وحلّ المشكلة كلها هذا الحل الجذري الدامي، فأرسل ابنه تيتوس على رأس جيش كبير للقيام بهذه المهمة، وبعد مؤامرات كثيرة قام بها اليهود، واستعملوا فيها كل شيء ـ حتى النساء ـ في تليين عريكة تيتوس دون جدوى، تَمَّ تخريب أورشليم في ٨ ديسمبر سنة ٧٠ ميلادية، وإجلاء جميع اليهود عنها، وهو (السبي الثاني) الذي ظلُّوا فيه من هذا التاريخ إلى سنة ١٩٤٨م عندما أعلن حاييم وايزمان قيام (إسرائيل).

ولكن بالرغم من أن تيتوس قد بذل أقصى الجهد في جعل عودة اليهود إلى سُكنى القدس أمرًا مستحيلاً، فإنّ من بقي منهم في فلسطين لم يكُفَّ عن التآمر ضد الرومان.

* كيف انتهى أمره بالدمار والزوال؟:

❑ يقول الدكتور حسن ظاظا: «وهذا الهيكل الثاني أيضًا انتهى أمره

بالدمار التام بعد إقامته بخمسة قرون على يد تيتوس الروماني.

يقول يوسفوس في كتابه «حرب اليهود» ـ الجزء الخامس، الفصل الرابع، الفقرة الثالثة ـ: «وكان تيتوس كلما وجد الجنود الرومان قد فرغوا من قتل جميع الناس في المنطقة التي يسيطرون عليها، أمرهم أن يخرِّبوا أورشليم ومَعبدَها وأن يَقلبوها ظهرًا على عَقِب، فيما عدا الأبراج العالية التي كان يحرص على بقائها كشواهد على ما قام به من التدمير».

وهكذا امَّحت معالم هذا الهيكل أيضًا إلا بقايا نادرة، مع ملاحظة أنه عند وصول تيتوس كان هيرودس قبله بنحو قرن من الزمان، قد أدخل تعديلات وتغييرات على الهيكل الثاني، وعلى تخطيط المدينة نفسها، كانت وحدها ـ وبدون هَدم أو تدمير ـ كفيلة بجعل الوصول إلى التخطيط المعماري المبدئي للهيكل الثاني أمرًا يكاد مستحيلاً، بالرغم من كل المحاولات التي أراد الباحثون اليهود أن يخرجوا منها بمخطط معماري دقيق مستمد من عنعنات التلمود، ومنهم الأثري اليهودي (أيزنشتاين) مثلاً.

وأما ما جاء من جعل الصخرة الشريفة هي نَواة قُدُس الأقداس فقد بَيَّنَّا الشكوك القوية التي تحوم حول هذا، وأولها ما ذكرناه من الاختلاف الشديد بين صخرة قُدُس الأقداس وصخرة المعراج النبوي المبارك من حيث الحجم والارتفاع عن الأرض.

وانطلاقًا من هذا المخطط التلمودي، ومع الوصف الذي أورده المؤرخ يوسفوس وغيره، نجدنا مضطرين إلى أن نسجل مرحلة ثالثة متطورة جدًّا من الهندسة الدينية اليهودية في حالة معبد أورشليم إبّان

ظهور المسيح.

هيكل هيرودس

وقد استفاد بعمق من العمارة اليونانية الرومانية، وكادت تختفي منه الملامح الدَّالة على أصله اليهودي تمامًا، وهذا الهيكل هو الذي دمره تيتوس ومحاه من الوجود سنة ٧٠ ميلادية، وحائط المَبْكى كان على الأرجح جزءًا من جداره الغربي، واليهود يحرصون على تسميته حتى الآن «الجدار الغربي».

في عام ٧٠م قام شغب في القدس، فحاصرها طيطوس الروماني وأعمل في المدينة النَّهب والحرق والقتل وأحرق المعبد الذي بناه هيرودس، ولم يَبقَ منه حَجَرٌ على حجر، وسيقت مئات الأسرى، وبيعت في أسواق الإمبروطورية الرومانية بأبخس الأثمان، وخلد الرومان نصرهم على اليهود بالعبارة اللاتينية المشهورة التي يُنادى بها عند إحراز أي نصر وهي «هِب، هِب هورا»، وهي مختصر عبارة «هيروشليما است برديتا». وهي اليوم قاصرةٌ على الانتصار في مبارة كرة القدم، ومعنى العبارة: «الآن سقطت أورشليم».

وبقيت القدس خَرِبةً مدة طويلة لا يسكنها إلا حاميةٌ رومانية.

«إيليا كابيتولينا».. لا أورشليم:

وفي القرن الثاني الميلادي، سنة ١٣٦، قام «بَرْكوكبا»[1]، أحد

(١) بركوكبا: أي ابن الكوكب أو النجم. ثائر يهودي، ثار على الرومان حوالي سنة ١٣٠ - ١٣٦م وأراد طرد الرومان من فلسطين، وادّعى أنه المسيح المُخلص، وأزعج الرومان وأوقع=

نماذج الصهيونية القديمة، بثورة مسلحة ضد الرومان، وسجل عليهم ـ رغم جيشهم الإمبراطوري الجرار ـ انتصارات براقة في البداية، ولكن الإمبراطور إيليوس هَدريان قام آخر الأمر بإتمام ما بدأه تيتوس، فحاصر ما كان بقي من القدس، وهدم كل شيء في المدينة، ولم يترك فيها يهوديًّا واحدًا، وجاء إلى مكان الهيكل فأقام عليه معبدًا لجوبيتر كبير آلهة الرومان، ووضع فيه تمثالاً لهذا الإله كالتمثال القائم في معبد الكابيتول، وقرَّر تغيير كل شيءٍ في هذه المدينة، حتى اسمها الذي أصبح مكونًا من اسمه هو واسم الكابيتول معبد جوبيتر الكبير، فسماها «إيليا كابيتولينا».

ومُنع اليهود من دخولها، وجُعل الموت عقوبة من يُقدم منهم على ذلك، ثم سُمح لهم بالمجيء إليها يومًا واحدًا في السنة، والوقوف على جدار بقي قائمًا من السور في الجزء الغربي من المدينة، وهو الذي يسمى (حائط المبكى) ويسميه اليهود (الجدار الغربي). وظل حَظر السكنى بالقدس قائمًا على اليهود قرونًا طوالاً، فقد ذكر ذلك يوزيبوس، المؤرخ المسيحي الذي زار (إيليا) ـ القدس ـ سنة ١٣٢ ميلادية، كما ذكره اليهود أنفسهم في تفاسيرهم القديمة ـ المدراش ـ (سفر الجامعة ـ قوهيلت ربا).

❑ قال ابن البطريق (٣٢٨هـ) حول تدمير هدريان لبيت المقدس:

وهذا آخر خراب بيت المقدس، فمن اليهود مَن هَرَب إلى مصر، وإلى الجبال والغور، وأمر الملك أن لا يسكن المدينة يهوديٌّ، وأن يُقتل

= بهم، فجهز له الإمبراطور هدريان جيشًا قضى عليه واستولى على القدس، ومحا كل شيء فيها وغيَّر اسمها، وقد أطلق اليهود على هذا الثائر بعد موته: اسم «بركوزبا» أي ابن الكذاب.

اليهود ويستأصل جنسهم، وأن يَسكن المدينة اليونانيون، وأن تسمى باسم الملك «إيلياء» فسميت بيت المقدس منذ ذلك الوقت إلى هذه الغاية مدينة «إيلياء» فسكنها اليونانيون، وبنوا على باب المعبد المسمى «البهاء» بُرجًا وصيروا فوقه لوحًا كبيرًا وكتبوا اسم الملك «إيلياء» والبرج اليوم على باب مدينة بيت المقدس ويسمّى «محراب داود». وهو مكان الهيكل المزعوم.

وهكذا فقد دمّر الرومان أورشليم مرتين: الأولى سنة ٧٠م على يد طيطوس، ومرة ثانية عام ١٣٥م على يد هدريان الذي حرثها ومسحها من عالم الوجود، وشتت أهلها، فكان أن عفت جميع الآثار اليهودية ولم يبق منها شيء، وانقطعت صلتهم بالقدس مدة ثمانية عشر قرنًا متواصلة، فلم يسكنها بعد عام ١٣٥م ولمدة ألف سنة يهودي واحد كما لم يكن فيها في القرون الخمسة التي تلت المدة المذكورة أكثر من خمسين يهوديًّا.

يقول الدكتور حسن ظاظا في كتابه القيم «القدس»:

* هيكل جوبيتر (كبير آلهة الرومان):

على أثر الثورة التي قام بها في أورشليم ضد الحكم الروماني الزعيم اليهودي (بركوكبا)، جاء الإمبراطور هدريان ـ في أوائل القرن الثاني الميلادي ـ وأزال كل شيء يهودي في أورشليم حتى اسم المدينة كما قلنا، وعلى أنقاض الهيكل بَنَى معبدًا رومانيًّا لكبير الآلهة (جُوبيتر)، وأقام تمثالاً لهذا الإله وآخر للإلاهة (فينوس)، وجعل هذا الصرح على جبل أورشليم أشبه بمعبد الكابيتول الواقع على أحد جبال روما السبعة، ولذا أعطاه اسمه هو شخصيًّا (إيليوس) واسم

(الكابيتول)، وحرَّم استعمال اسم أورشليم وأحلَّ محلها الاسم الروماني الذي صنعه هو (إيليا كابيتولينا)؛ حتى أصبح اسم أورشليم لفظًا تاريخيًّا يُطلق فقط على المدينة التي كانت في هذا المكان على عهد الملوك والأنبياء من بني إسرائيل.

وظلَّت المدينة تسمّى (إيليا) ولا يسكنها اليهود حتى الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، حيث كانت المنطقة الوثنية التي أنشأها هَدريان قد خُرِّبت، وجاء ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ فأنشأ مسجدًا بسيطًا لجنده، هو نَواة الحرم الشريف والمسجد الأقصى، بعد أن كان الإسلام قد كرَّس تلك البقعة المباركة، بوحي قرآني، وبمعجزة الإسراء والمعراج.

ولما اعتنق الإمبروطور قسطنطين (٣٠٦ ـ ٣٣٧م) المسيحية جعلها ديانة الحكومة الرسمية، وجاءت والدته هيلانة سنة ٣٢٦م للعثور على مواقع الحوادث المهمة التي حدثت للمسيح، ولبناء الكنائس تذكارًا لها. وأمرت بهدم هيكل المشتري والتماثيل التي أقامها هدريان، وقامت ببناء كنيسة القيامة التي يعتقد المسيحيون بأنها ضمت قبر المسيح قبل رفعه إلى السماء، وتم افتتاحها عام ٣٣٥م.

وقد سمح قسطنطين لليهود بدخول المدينة مرة واحدة في السنة بعد أن كان دخولهم إليها محذورًا منذ عهد هدريان، وأعاد إلى المدينة اسم «أورشليم» في عام ٣٢٤م.

بقيت القدس متمتعة بسلام طويل منذ طرد اليهود منها عام ١٣٥م إلى سنة ٦١٤م، وهي السنة التي جاءت فيها جيوش

الإمبـروطورية الفارسية فـاحتلت بلاد الشام ودخلت القـدس عام ٦١٤م بعد أن انضم إليهم اليهود، وأشعلت النار في كنيسة القيامة وسُوّيت على الأرض. . وكان لليهـود دورٌ في عمليات الدمار والنهـب والقتل. وقدِّر عدد القتلـى من المسيحيين بالقـدس أكثر من ستين ألف نسـمة دفن نحو خمسة آلاف منهم في (ماملاّ).

□ قال ابن الـبطريق في وصف هذا المشهـد: فأمـا خسرو ـ الـقائد الفـارسي، فـسـار إلى الشـام فـأخربـه، ونهب أهله، وصـار إلى بيت المقدس، فاجتمع إليه اليـهود من طبرية وجبل الجليل والناصرة، وجاءوا إلى بيت المقـدس فكانوا يُعـينون الفـرس على خـراب الكنائس، وقـتل النصارى، فلما صار إلى بيت المقدس، خرّبوا الكنائس وأحرقوها، وقتل اليـهود من النصـارى مـا لا تحصى كـثرتهم، وهم الـقتلى الذين ببـيت المقدس في الموضع الذي يقال له: «ماملاّ»[1].

□ وفي عام ٦٢٧م، استطاع الإمبروطور هرقل أن يطرد الفرس من القـدس. وفي ١٤ أيلول من عـام ٦٢٨م احـتفل هرقـل بأورشليم برفع الصليب الذي كـان الفرس قـد نقلوه إلى بلادهم، بعـد أن استـرده من الفرس، ومـا زال المسيحـيون في مخـتلف أنحاء الشـام يحتفلون بعـيد الصليب في ١٤ أيلول من كل عام، ذكرى للاحتفال المذكور.

أما اليهود الذين انضموا إلى الفرس وانتـقموا من المسيحيين، فإنهم

---

(١) ماملاّ: مقبرة بظاهر القدس من جهة الغرب، وهي أكبر مقابر البلد. وتسميتها ماملاّ قيل إنما أصله «مأمن اللّه»، ويـسميهـا اليهود (بيت مـلّو) والنصارى «بابيلا»، والمشـهور على ألسنة الناس «ماملاّ»، وهي من المقابر الإسلامية.

لم يحققوا أطماعهم في ظل الفرس، فانقلبوا عليهم، وراسلهم هرقل قبل خروج الفرس، وقدّم إليها وعدًا بالتسامح، ثم وعدهم بالعفو، ولكن هرقل لم يف بوعده تحت ضغط رجال الدين الذين قالوا له: «إنهم سوف يتحملون المسئولية، وأن الاتفاقات مع الكفّار ليست واجبة التنفيذ، وعند ذلك وقعت مذبحة لليهود، لم ينج منها إلاّ الذين فرّوا إلى مصر أو الذين اختفوا».

وهكذا نجد أنه من سنة ١٣٥ ميلادية إلى سنة ٦٢٨م، من هدريان إلى هرقل، لم يعد لليهود وجود في القدس، وسوف نرى امتداد هذه الحال في القرون التالية بعد الفتح الإسلامي.. ورأينا أن مملكتهم المعتبرة، لم تكن إلا في عهد داود وسليمان عليهما السلام...

حوالي تسعين سنة... مع أن اليهود الذين جاءوا بعد داود وسليمان لم يكونوا على دين سليمان وداود؛ لأنهم خرجوا على التعاليم الإلهية، وقتلوا الأنبياء، وآخر جرائمهم مع الأنبياء قبل الإسلام محاولتهم قتل عيسى عليه السلام.

❁ ❁ ❁

بيت المقدس والشام
في
القرآن الكريم والسنة المطهرة

بيت المقدس والشام في القرآن الكريم والسنة المطهرة

(١) بيت المقدس والشام أرض مباركة:

الشام كنز اللَّه من أرضه، وفيها كنزه من عباده. والبركة في الشام وبيت المقدس ثبتت بخمس آيات من كتاب اللَّه تعالى:

* قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «معلوم أن إبراهيم إنما نجّاه اللَّه ولوطًا إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والعراق»[١]. قال أُبي بن كعب: الشام. وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس. وقال الحسن: الشام. وقال قتادة: الشام. وقال ابن جريج: أرض الشام. وقال أبو العالية: ليس ماء عذب إلا يهبط إلى الصخرة التي ببيت المقدس، ثم يتفرق إلى الأرض. وقال ابن زيد: الشام.

❑ قال ابن جرير الطبري: «لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام»[٢].

* وقال تعالى عن نجاة موسى ومن معه بعد غرق فرعون:

---

(١) «مناقب الشام وأهله» لشيخ الإسلام ابن تيمية «المطبوع مع تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» للربعي ص(٧٦) ـ المكتب الإسلامي.

(٢) «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦ ـ ٤٧).

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾[الأعراف: ١٣٧].

* ﴿ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾:

قال الحسن: الشام. وقال قتادة: هي أرض الشام[١].

قال ابن تيمية: «معلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها ـ بعد أن أُغرق فرعون في اليم»[٢].

* وقال تعالى في حديث موسى عليه السلام لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾[المائدة: ٢١].

* ﴿ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾:

قال قتادة: هي الشام. وقال ابن زيد: أريحاء، وعن ابن عباس: هي أريحاء.

والمقدسة المطهرة المباركة.. لا تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك»[٣].

* ومملكة سليمان كانت في هذه الأرض المباركة: قال تعالى:

---

(١) «تفسير الطبري» (٦/ ٤٣).
(٢) «مناقب الشام وأهله» لابن تيمية ص(٧٥).
(٣) «تفسير الطبري» (٤/ ١٧٢).

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٨١].

* ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾:

يعني: الشام، وذلك أنها تعود به إلى منزله بالشام.

وقال ابن زيد: الشام»[١].

قال ابن تيمية: «إنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان».

* وقال تعالى في قصة سبأ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾[سبأ: ١٨].

﴿ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾:

«قال مجاهد: الشام. وقال قتادة: يعني: الشام.

وقيل: عنى بالأرض التي بورك فيها بيت المقدس.

عن ابن عباس قال: الأرض التي باركنا فيها هي الأرض المقدسة»[٢].

قال ابن تيمية: وهو ما كان بين اليمن مساكن سبأ، وبين قرى الشام من العمارة القديمة كما ذكره العلماء.

* قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الإسراء: ١].

كم هي عظيمة هذه الأرض التي باركها اللَّه.

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٥٥).

(٢) «تفسير الطبري» (١٠/ ٨٣).

❑ قال العز بن عبد السلام: «اختلف العلماء في هذه البركة، فقيل: هي بالرسل والأنبياء، وقيل: بما بارك فيها من الثمار والمياه»[١].

وقال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ: «جعلنا البركة لسكانه في معايشهم، وأقواتهم وحروثهم، وغروسهم».

وهذه البركة غير مقيدة ولا محددة، فهي شاملة لكل أنواع البركة، البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية، والبركة التاريخية، والبركة السياسية، والاجتماعية، والجهادية.

❑ هذه البركة ربانية ثابتة مستقرة، ولن ينجح الأعداء في انتزاعها وتفريغها منها، مهما بذلوا من جهود.

(٢) هذه الأرض مقدسة طاهرة:

وقد مرّت الآيات في ذلك.

(٣) هذه الأرض أرض صدق:

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣].

وقيل: عني به: الشام ومصر.

قال الضحاك: مصر والشام.

وقال قتادة: بوأهم اللَّه الشام وبيت المقدس.

وقال ابن زيد: الشام، وقرأ: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[٢].

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» للعز بن عبد السلام ص(٢٤) ـ مكتبة المنار بالأردن.

(٢) «تفسير الطبري» (٦/٦٦).

قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام: «قد يكون المبوأ حسنًا لما فيه من البركات الدينية، وذلك موجود وافر بالشام وبيت المقدس»[١].

قال الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «والمبوأ: مكان الإقامة الأمين، وإضافته إلى الصدق تزيده أمنًا وثباتًا واستقرارًا كثبات الصدق الذي لا يضطرب ولا يتزعزع اضطراب الكذب وتزعزع الافتراء»[٢].

* ربوة ذات قرار ومعين:

* قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

❑ «قال قتادة: هو بيت المقدس.

وقال أبو هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: الزموا هذه الرملة من فلسطين؛ فإنها الربوة التي قال اللَّه: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[٣].

(٤) أقسم اللَّه بها، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم:

* قال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١ ـ ٢].

❑ «قال كعب: الزيتون بيت المقدس.

وقال قتادة: الجبل الذي عليه بيت المقدس.

وقال ابن زيد: مسجد إيليا»[٤].

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٢٦).

(٢) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (٤/ ٤٧٣).

(٣) «تفسير الطبري» (٩/ ٢٦ ـ ٢٧).

(٤) «تفسير الطبري» (١٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

فأقسم اللَّه بمنابت التين والزيتون في الشام وبيت المقدس.

(٥) بيت المقدس أرض المحشر والمنشر:

* قال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١].

قال ابن جرير: «واستمع يا محمد صيحة القيامة يوم ينادي بها منادينا من موضع قريب وذكر أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس.

قال قتادة: كنا نحدّث أنه ينادى من بيت المقدس من الصخرة وهي أوسط الأرض.

قال كعب: ملك قائم على صخرة بيت المقدس.

وقال بردة: ملك قائم على صخرة بيت المقدس»[1].

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

قال عبد اللَّه بن عمرو بن العاص: هو السور الشرقي باطنه المسجد وظاهره وادي جهنم.

وقال كعب: في الباب الذي في بيت المقدس.

وقال الطبري: قد قيل إن ذلك السور ببيت المقدس عند وادي جهنم.

❁ ❁ ❁

(١) «تفسير الطبري» (١١/ ١١٤).

* فضائل الشام في السنّة المطهرة:

أرض الشام هي تلك الرقعة التي تشغلها الآن سورية ولبنان والأردن وفلسطين.

قال ابن الفقيه الهمداني: «أجناد الشام أربعة: حمص، ودمشق، وفلسطين، والأردن»[1].

ولم يتم تقسيمها إلى هذه الدول إلا بعد اتفاقية «سايكس بيكون».

وكل فضيلة ثابتة لبلاد الشام بوجه عام فهي أيضًا ثابتة لبيت المقدس؛ لأنه جزء منها، بخلاف ما اختص اللَّه به بيت المقدس من فضائل.

ونعرّج أولاً على فضائل الشام لتكون مدخلاً لما بعده من الفضائل لبيت المقدس.

«فإقليم الشام جليل الشأن، ديار النبيين ومركز الصالحين، ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرى، والأرض المقدسة، والرباطات الفاضلة، والثغور الجليلة، والجبال الشريفة، ومهاجر إبراهيم، وقبر وديار أيوب وبئره، ومحراب داود وبابه، وعجائب سليمان ومدنه، وتربة إسحاق وأمه، ومولد المسيح ومهده، وقرية طالوت ونهره، ومقتل جالوت وحصنه، وجُبّ أرميا وحبسه، ومسجد أوربا وبيته، وقبة محمد وبابه، وصخرة موسى، وربوة عيسى، ومحراب زكريا، ومعرك يحيى، ومشاهد الأنبياء، وقرى أيوب، ومنازل يعقوب والمسجد الأقصى، وقبر موسى، ومضجع إبراهيم ومقبرته، وموضع لقمان ووادي كنعان،

(١) «مختصر كتاب البلدان» لابن الفقيه.

ومدائن لوط، وموضع الجنان، . . والباب الذي ذكره الرجلان . . والمجلس الذي حضره الخصمان، . . وقبر مريم وراحيل ومجمع البحرين . . مع مشاهد لا تُحصى، وفضائل لا تخفى، وفواكه ورخا، وآخرة ودنيا، به يرق القلب، وتنبسط الأعضاء للعبادة»[١] .

أرض البركة والخير، والطهر والعفاف، مستقر الإيمان في الفتن، وحصن الإسلام، وبها عموده وملكه . . وانظر العجب العجاب في فضائلها من حديث رسول اللَّه ﷺ .

(٦) أولاً: بَسْطُ الملائكة أجنحتها على الشام:

● عن زيد بن ثابت الأنصاري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يا طوبى للشام! يا طوبى للشام! يا طوبى للشام!**»[٢] . قالوا: يا رسول اللَّه ﷺ وبم ذاك؟ قال: «**تلك ملائكة اللَّه باسطوا أجنحتها على الشام**»[٣] .

❑ قال المناوي: «**طوبى**: تأنيث أطيب أي: راحة وطيب عيش حاصل بالشام.

وطوبى مصدر من طاب كزلفى وبشرى، ومعنى ذلك أصبت طيبًا

---

(١) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي» ص(١٥١).

(٢) في إحدى الروايات «**طوبى لأهل الشام**».

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢/ ٣٣١) وقال: «حديث حسن ـ وزاد في بعض النسخ ـ صحيح»، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٨٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢٩) وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وتابعه الألباني. وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٦٣): رواه ابن حبان في «صحيحه» والطبراني بإسناد صحيح. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي» ص(١٢).

وخيرًا؛ لأن ملائكة البليغ الرحمة التي وسعت رحمته كل شيء تحفّها وتحوطها بإنزال البركات ودفع المهالك والمؤذيات»[١].

فأي شيء أطيب من دعاء النبي ﷺ لأهل الشام بطيب العيش والراحة، وحراسة الملائكة وحفظها للشام وأهله.

قال العز بن عبد السلام: «أشار ﷺ أن اللَّه سبحانه وتعالى وكّل بها الملائكة يحرسونها، ويحفظونها، وهذا موافق لحديث عبد اللَّه ابن حوالة في أنهم في كفالة اللَّه تعالى ورعايته»[٢].

(٧) ثانيًا: الشام صفوة بلاد اللَّه، يُسكنها خيرته من خلقه:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**عليكم بالشام؛ فإنها صفوة بلاد اللَّه، يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليُسقَ مِن غُدُره[٣]، فإن اللَّه ـ عز وجل ـ تكفّل لي بالشام وأهله**»[٤].

قال المناوي: «الشام مصطفاة من بلاده يجمع إليها المختارين من

---

(١) «فيض القدير» للمناوي (٤/ ٢٧٤).

(٢) «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» لعز الدين بن عبد السلام ص(٣٤) ـ مكتبة المنار ـ الأردن.

(٣) الغُدُر: جمع غدير، وهي: القطعة من الماء يغادرها السيل، وسمي بذلك؛ لأنه يغدر بأهله أي: يقطع بهم عند شدة حاجتهم إليه.
قال المناوي: «أهل الشام شأنهم أن يتخذ كل رفقة منهم غديرًا للشرب وسقي الدواب فوصّاهم بالسقي مما يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سبيلاً للاختلاف وتهييج الفتنة» انتهى من «فيض القدير» (٤/ ٣٤٢).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير عن واثلة. قال ابن الجوزي: حديث لا يصح. وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد كلها ضعيفة. وضعّفه السيوطي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٠٧٠).

عباده، ضمن لي حفظها، وحفظ أهلها القائمين بأمر اللَّه».

● وعن عبد اللَّه بن حوالة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق»**، قال ابن حوالة: خِرْ لي يا رسول اللَّه إن أدركت ذلك. فقال: **«عليك بالشام؛ فإنها خيرة اللَّه من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غُدُرِكم، فإن اللَّه توكل لي بالشام وأهله»**.

«قال ربيعة: فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول: **«ومن تكفّل اللَّه به فلا ضيعة عليه»**.

● وفي لفظ آخر أن ابن حوالة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: يا رسول اللَّه خِرْ لي بلدًا أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر على قربك شيئًا. قال: **«عليك بالشام»**.

فلما رأى كراهتي للشام قال: **«أتدري ما يقول اللَّه تعالى في الشام؟ إن اللَّه تعالى يقول: يا شام، أنت صفوتي من بلادي، أدخل فيك خيرتي من عبادي، إن اللَّه تكفل لي بالشام وأهله»**[1].

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٣٨٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٠٠، ١١٠)، و(٥/ ٣٣ ـ ٣٤، ٨٨)، والحاكم (٤/ ٥١٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٠٧)، وابن المبارك في «الجهاد» ص(١٥١)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٧٥)، وأخرجه ابن حبان (الإحسان ٧٢٦٢). وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٩): رجاله ثقات، وقال في موطن آخر (١٠/ ٥٨ ـ ٥٩): رواه أبو داود باختصار كثير، ورواه الطبراني من طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة.
وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» ص(١٣).

● وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**صفوة اللَّه من أرضه الشام، وفيها صفوته من خلقه وعباده، وليدخلن الجنة من أمتي ثلة لا حساب عليهم ولا عذاب**»(١).

(٨) ثالثًا: تكفل اللَّه تعالى بأهل الشام فلا ضيعة عليهم:

❑ قال الإمام سعيد بن عبد العزيز: مَن تكفّل اللَّه به فلا ضيعة عليه.

❑ قال العز بن عبد السلام: «أخبر ﷺ أن الشام في كفالة اللَّه تعالى، وأن ساكنيه في كفالته وحياطته، ومن حاطه اللَّه تعالى وحفظه فلا ضيعة عليه».

وقد درج العلماء على الإشارة بسكناه اقتداء برسول اللَّه ﷺ، إذ قال عطاء الخراساني: «لما هممت بالنقلة، شاورت من بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وخراسان من أهل العلم، فقلت: أين ترون لي أنزل بعيالي؟ فكلهم يقولون: عليك بالشام»(٢).

وخير دليل على هذا تحطم الحملات الصليبية وحمالات التتار على صخرة الإيمان في أرض الشام.

فعين جالوت ما يزال حديثها ... عبر تضيء بأروع الأمثال

تحكي مفاخرنا وتذكر مجدنا ... فتجيبها حطين بالمنوال

❑ يقول عز الدين بن عبد السلام: «هذه شهادة من رسول اللَّه

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» من طريق الطبراني، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٥٤٠) ح رقم (١٩٠٩): «الحديث صحيح لغيره»، وصححه في «صحيح الجامع» رقم (٣٧٦٥).

(٢) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٢٨، ٢٩).

ﷺ باختيار الشام، وبفضلها وباصطفاء ساكنيها، واختياره لقاطنيها، وقد رأينا بالمشاهدة، فإن من رأى صالحي أهل الشام، ونسبتهم إلى غيرهم، رأى بينهم من التفاوت ما يدل على اصطفائهم واجتبائهم»[1].

من تكفل اللَّه به فلن يضيعه «واللَّه خير حافظًا وهو أرحم الراحمين».

(٩) رابعًا: عمود الكتاب والإسلام بالشام، وتمام دين اللَّه وظهوره سيكون بها:

● عن عبد اللَّه بن حوالة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«رأيت ليلة أسري بي عمودًا أبيض كأنه لؤلؤة، تحمله الملائكة، فقلت: ما تحملون؟!»، فقالوا: عمود الإسلام، أُمرنا أن نضعه بالشام، وبينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب اختلص من تحت رأسي، فظننت أن اللَّه تعالى قد تخلّى عن أهل الأرض، فاتبعته بصري، وإذا هو نور ساطع بين يدي حتى وضع بالشام».** فقال ابن حوالة: يا رسول اللَّه خِر لي. قال: **«عليك بالشام»**[2].

● وعن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فنظرت فإذا هو نور**

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٣٣).

(٢) **صحيح**: قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة»، وعزاه الألباني في «فضائل الشام» للربعي ص(٢٨)، لابن عساكر (١/١٠١ ـ ١٠٢).

قال الألباني: ابن رستم مجهول.

وصححه الألباني في «تخريج فضائل الشام» ص(٢٩، ٣١).

ساطع عُمِد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام».

وفي رواية: «إذا وقعت الفتن فالأمن بالشام»[١].

● وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «بينا أنا قائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام»[٢].

قال العز بن عبد السلام:

«أخبر ﷺ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام برآء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح أتم من ذلك.

والمعنى بعمود الإسلام: ما يعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجئون

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٨): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بأسانيد وفي أحدها ابن لهيعة وهو حسن الحديث وقد توبع على هذا وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن عساكر (١/ ٩١ ـ ٩٥) وله عنده طرق أخرى وحسّنه.

وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص(١٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٨ ـ ١٩٩)، و«فضائل الصحابة» (١٧١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٩٨)، والبزار (٣٣٣٢)، «كشف الأستار»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٨٩): «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي وهو ثقة. وقال في (١٠/ ٥٧): رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» ص(١٥).

إليه، والعيان شاهد لذلك، فإنا رأينا أهل الشام على الاستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسنة عند ظهور الأهواء واختلاف الآراء. وقد قال عبد اللَّه بن شوذب: تذاكرنا بالشام، فقلت لأبي سهل: أما بلغك أنه يكون بها كذا؟ فقال: ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها.

والذي ذكره معلوم بالتجربة، معروف بالمشاهدة، إذ الفتن من القحط والغلاء. وغير ذلك من أنواع البلاء إذا نزلت بأرض كانت بالشام أخف منها في غيرها»[1].

(١٠) خامساً: أهل الشام ميزان للصلاح والفساد في أمة الإسلام:

● عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرّهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»[2].

فأهل الشام هم ميزان قسط لأهل الإسلام، وأمة الإسلام تعرف به مدى قربها أو بعدها عن دينها.. فكلما كان أهل الشام أكثر قربًا من دينهم، وأكثر تمسكًا به، كانت أمة الإسلام بخير.

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٣٠ ـ ٣٣).

(٢) صحيح: أخرجه الطيالسي (١٠٧٦)، ومن طريقه أخرجه الترمذي (٢/ ٣٠) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٣٦، ٥/ ٣٥)، وفي «فضائل الصحابة» (١٧٢٢)، وروى ابن ماجه (١/ ٦ ـ ٧) الشطر الثاني، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٢٥٨)، وأبو نعيم (٧/ ٢٣٠ـ٢٣١)، والخطيب (٨/ ٤١٧، ٤١٨)، و(١٠/ ١٨٣) الشطر الأول، وكذا أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٧). وأخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٩٠).

وقال الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص(١٩): إسناده صحيح.

وإذا فسد أهل الشام، وابتعدوا عن ربهم، كان ذلك علامة سوء في بُعد هذه الأمة عن دينها.

(١١) سادساً: دعا النبي ﷺ لها بالبركة:

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**اللَّهم بارك لنا في شامنا، اللَّهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: وفي نجدنا. قال: «**اللَّهم بارك لنا في شامنا، واللَّهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: يا رسول اللَّه وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة:

«**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**»[(١)].

● وعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: إن النبي ﷺ قال: «**اللَّهم بارك لنا في شامنا ويمننا** ـ مرتين ـ، فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول اللَّه. فقال النبي ﷺ: «**من هناك يطلع قرن الشيطان، وبها تسعة أعشار الشر**»[(٢)].

قال العز بن عبد السلام ـ رحمه اللَّه ـ: «لما بدأ بالدعاء للشام بالبركة، وثنّى باليمن، دلّ على تفضيل الشام على اليمن، مع ما أثنى به

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٩٤)، والترمذي (٣٩٥٣)، والربعي في «فضائل الشام» ص(٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١١٨، ١٢٦)، و«فضائل الصحابة» (١٧٢٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٣٣)، وابن حبان (٦٦٤٨، ٦٦٤٩، ٧٣٠١). والمراد بنجد: العراق كما قال الخطابي وابن حجر.

(٢) صحيح الإسناد: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٨٤ رقم ١٣٤٢٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٧): رواه الطبراني في «الأوسط» وأحمد ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن عطاء، وهو ثقة وفيه خلاف لا يضر، وقد صحح إسناده أحمد شاكر برقم (٥٦٢٤).

على أهل اليمن في غير هذا الحديث، فإن البداية إنما تقع بالأهم فالأهم»[١].

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: صلى رسول اللَّه ﷺ الفجر، ثم أقبل على القوم فقال: «**اللَّهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدِّنا وصاعنا، اللَّهم بارك لنا في حرمنا، وبارك لنا في شامنا**».

فقال رجل: وفي العراق؟ فسكت. ثم أعاد، قال الرجل: وفي عراقنا؟ فسكت. ثم قال: «**اللَّهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدِّنا وصاعنا، اللَّهم بارك لنا في شامنا، اللَّهم اجعل مع البركة بركة، والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب إلا وعليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا عليها...**»[٢] وذكر الحديث.

فللَّه در بلاد الشام.. يضيفها النبي ﷺ إلى نفسه وهذا يدل على أنها في قلب نبينا ﷺ بمكان عظيم.. فأي شرف عظيم يسبغه النبي الكريم على ديار بها ملك دينه وعمود كتابه.

«فهنيئًا لمن تعلّق نسبه بالمصطفى ﷺ، وتعلّقت أسبابه بأسبابه فالأسباب كلها منقطعة إلا سبب واحد، وهو المتعلق بالمصطفى ﷺ»[٣].

---

(١) «ترغيب أهل الشام» ص(٣٤).

(٢) صحيح: أخرجه الربعي في «فضائل الشام» (٨)، وقال الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» ص(٨ ـ ٩): «حديث صحيح، وإن كنتُ لم أقف عليه بهذا التمام فيما عندي من كتب السنة. ورواه الطبراني في «الكبير» من طريق أخرى عن ابن عمر وسنده صحيح أيضًا.

(٣) «الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل» لإبراهيم العلي ص(٤٦ ـ ٤٧) ـ منشورات فلسطين المسلمة.

(١٢) سابعًا: نُصح النبي ﷺ بسُكنى الشام دليل على أفضليتها:

● عن سالم بن عبد اللَّه، عن أبيه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ستخرج نار في آخر الزمان من «حضرموت تحشر الناس»**» قلنا: فماذا تأمرنا يا رسول اللَّه؟ قال: «**عليكم بالشام**»[١].

● عن بهز بن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا رسول اللَّه أين تأمرني؟ قال: «ها هنا»، وأومأ بيده نحو الشام.

قال: «**إنكم محشورون رجالاً وركبانًا، ومُجْرَون على وجوهكم**».

وفي رواية: «**ستكون فتن**»، قيل: يا رسول اللَّه! ماذا تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالشام**»[٢].

قال المناوي: «أي الزموا سكنى أرض الشام قيل: مطلقًا لكونها أرض المحشر والمنشر، وقيل المراد: آخر الزمان؛ لأن جيوش المسلمين

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٨ و٥٣ و٦٩ و٩٩ و١١٩)، والترمذي في «الفتن» وصححه، وابن حبان في «صحيحه» وإسناده عند أحمد صحيح على شرط الشيخين، وكذلك رواه ابن عساكر (١/ ٧٥ و٧٦ و٧٧) ا.هـ من «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» للألباني ص(٣٣).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣، ٥)، و«فضائل الصحابة» (١٧١١)، والترمذي رقم (٢٤٢٤، ٣١٤٢)، والفسوي في «تاريخه» (٢/ ٢٩٦)، والربعي في «فضائل الشام» رقم (١٣)، والحاكم (٤/ ٥٦٨)، وصححه ووافقه الذهبي.
قال المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٣٤٢): «قال الهيثمي: أسانيده كلها ضعيفة، لكن رواه أبو يعلى بسند رجاله رجال الصحيح في حديث طويل».
وقال الحافظ في «الفتح»: وسنده قوي، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال مرة أخرى: حسن (كما في «تحفة الأحوذي» ٧/ ١١٠). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٦٩).

تنزوي إليها عند اختلال أمر الدين وغلبة الفساد. قال في «الكشاف»: وقد جعل اللَّه أرض الشام بالبركات موسومة، وحقت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء، ومهبط الوحي ومكناتهم أحياء وأمواتًا»[١].

قال العز بن عبد السلام ـ رحمه اللَّه ـ: «أشار ﷺ بالشام عند خروج النار لعلمه بأنها خير للمؤمنين من غيرها، والمستشار مؤتمن»[٢].

(١٣) ثامنًا: أرض الشام رباط وثغر إلى يوم القيامة وهي عقر دار المؤمنين:

● عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسًا عند رسول اللَّه ﷺ، فقال رجل: يا رسول اللَّه أذال[٣] الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول اللَّه ﷺ بوجهه وقال: «**كذبوا، الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ اللَّه لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد اللَّه، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يُوحى إليّ: أني مقبوض غير ملَبَّث، وأنتم تتبعوني أفذاذًا، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعُقْرُ دار المؤمنين بالشام**»[٤].

---

(١) «فيض القدير» (٤/ ٣٤٢).

(٢) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٢٨).

(٣) أذال: أي: أهان. وقيل: أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها كما في «النهاية».

(٤) إسناد صحيح على شرط مسلم: أخرجه النسائي (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨)، وابن حبان (١٦١٧)، وأحمد (٤/ ١٠٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨)، والحربي في «غريب الحديث»، والطبراني في «الكبير» (٦٣٥٧ و٦٣٥٨ و٦٣٥٩)، ورواه البزار في «مسنده» (١٦٨٩) دون قوله: «يضرب بعضكم...» إلخ. وزاد بعد قوله: «... يوم =

قال المناوي: «**عقر دار الإسلام**» أي: أصله وموضعه بالشام ـ أي: تكون الشام زمن الفتن محل أمن، وأهل الإسلام به أسلم. قال في «الفردوس»: عَقر[١] الدار ـ مفتوح العين ـ: أصلها، والعقر والعقار خيار كل شيء وأصله»[٢].

قال عز الدين بن عبد السلام:

«أخبر ﷺ في هذا الحديث بالرِّدة التي تقع ممن أراد اللَّه تعالى أن يزيغ قلبه عن الإسلام. وأشار بقتل المرتدين، ثم بسكنى الشام إشارة منه إلى أن المقام بها رباط في سبيل اللَّه تعالى، وإخبارًا بأنها ثغر إلى يوم القيامة، وقد شاهدنا ذلك، فإن أطراف الشام ثغور على الدوام»[٣]. فالشام أرض رباط وجهاد إلى يوم القيامة، والجهاد ماض والرباط مستمر. وعلى أرضها تحسم المعركة بين الحق والباطل.

(١٤) تاسعًا: خيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ومهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ:

● عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس اللَّه، وتحشرهم**

= القيامة» «وأهلها معانون عليها»، وقال: «لا نعلم رواه بهذا اللفظ إلا سلمة بن نفيل، وهذا أحسن حديث يروى في ذلك». انتهى من «السلسلة الصحيحة» للألباني (٤/ ٥٧١ رقم ١٩٣٥).

(١) قال في «النهاية»: عُقر: بضم العين وبفتحها، أي: أصلها وموضعها.

(٢) «فيض القدير» (٤/ ٣١٩).

(٣) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٣٢).

النار مع القردة والخنازير»[١] .

● وعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لتكوننَّ هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أبيكم إبراهيم ﷺ، حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، وتلفظهم أرضوهم، وتقذرهم روح الرحمن عز وجل، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تقيل حيث يقيلون، وتبيت حيث يبيتون، وما سقط منهم فلها**»[٢] .

وهذه فضيلة أخرى للشام أن من يأتيها ويقيم بها من أهل الصلاح للمرابطة هم خير أهل الأرض.

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ في «مناقب الشام وأهله» ص(٨٣، ٨٤): فقد أخبر أن خيار أهل الأرض من ألزمهم مهاجر إبراهيم، بخلاف من يأتي إليه ثم يذهب عنه، ومهاجر إبراهيم هي الشام... وقد جعل مهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ، فإن الهجرة إلى مهاجره انقطعت بفتح مكة».

(١) حسن: قال الشيخ الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» للربعي ص(٨٢ ـ ٨٣): حديث حسن، أخرجه أبو داود في «أول الجهاد» (٢٤٨٢) من طريق شهر بن حوشب، وشهر فيه ضعف من قبل حفظه، لكن له طريق أخرى، أخرجه الحاكم (١/ ٥١٠) من طريق أبي هريرة عنه وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وهو من أوهامهما؛ فإن فيه عبد اللَّه بن صالح كاتب الليث، ولم يخرّج له مسلم، ثم هو ضعيف من قبل حفظه، وإن أخرج له البخاري... لكن الحديث قوي بمجموع الطريقين إن شاء اللَّه تعالى».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٨)، وفيه يحيى بن أبي حية ضعيف لكثرة تدليسه، وقد عنعنه.

قال الشيخ الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص(٨٣): «بيد أنه أخرجه ابن عساكر (١/ ١٥١ ـ ١٥٢) من طريق أخرى عن ابن عمر مرفوعًا، ورجاله ثقات».

(١٥) عاشراً: بأرض الشام الطائفة المنصورة:

● عن عمير بن هانئ قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان ـ رضي اللَّه عنهما ـ على هذا المنبر يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر اللَّه، لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه، وهم ظاهرون على الناس**».

فقام مالك بن يخامر السكسكي فقال: يا أمير المؤمنين، سمعت معاذ بن جبل يقول: «وهم أهل الشام»، فقال معاوية ـ ورفع صوته ـ: هذا مالك، يزعم أنه سمع معاذًا يقول: «وهم أهل الشام»[(١)].

● وعن أبي عبد اللَّه الشامي قال: سمعت معاوية يخطب، وهو يقول: يا أهل الشام، حدثني الأنصاري، يعني: زيد بن أرقم ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون حتى يأتي أمر اللَّه، وإني أراكموهم يا أهل الشام**»[(٢)].

وعند أحمد: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**»، «**وإني لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام**»[(٣)].

● وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١، ٧٤٦٠)، ومسلم (١٠٣٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٩٣، ١٠١)، وابن ماجه (٩)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٨٣ رقم ٨٩٩)، وفي «مسند الشاميين» (٥٥٣)، وليس عندهم قول مالك إلا البخاري وأحمد.

(٢) لفظ الطيالسي.

(٣) صحيح: أخرجه الطيالسي (ص٩٤ رقم ٦٨٩)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٨٧): «رواه أحمد والبزار والطبراني، وأبو عبد اللَّه الشامي ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح». وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٩٥٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٢٥)، وأبو يعلى (٧٨٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال أحمد بن حنبل: أهل المغرب هم أهل الشام. وهو كما قال لوجهين:

أحدهما: أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام.

الثاني: أن لغة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وأهل مدينته في «أهل الغرب هم أهل الشام، ومن يغرب عنهم، فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية، فكل بلد له غرب قد يكون شرقًا لغيره. وكان أهل المدينة يسمون الأوزاعي إمام أهل المغرب»[١].

قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ: «إن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلين، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»[٢].

فالطائفة المنصورة بأزمان قائليها ففي زمان الإمام أحمد بن حنبل كان المحدثون حملة السنة والمنافحين عنها أمام الفلسفة اليونانية والهندية وأمام الفرق الباطنية، وللجمع بين الأحاديث وأقوال أهل العلم يظهر أن هذه الطائفة متنوعة الكفاءات والطاقات والإمكانات والأفراد، متحدة في الغاية والهدف وهذه الطائفة تنافح عن الإسلام وتنصر الحق وأهله، تقاتل على الحق مجاهدة تصبر على ما يصيبها من أعدائها، قائمة على أمر اللَّه آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر.

❀ ❀ ❀

---

(١) «مناقب الشام وأهله» لابن تيمية ص(٨٠، ٨١).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/ ١٥٣).

(١٦) الحادي عشر: أهل الشام سوط اللَّه في الأرض ينتقم بهم ممن يشاء:

عن خريم بن فاتك الأسدي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «أهل الشام سوط اللَّه في الأرض، ينتقم بهم ممن يشاء كيف يشاء، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، ولن يموتوا إلا همًّا أو غيظًا أو حزنًا»[١].

(١٧) الثاني عشر: كثرة شهداء الشام وفضلهم العظيم عند اللَّه:

● عن أبي عسيب مولى النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فأرسلت الحُمّى في المدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي، ورحمة لهم، ورجس على الكافرين»**[٢].

فأسكن اللَّه الطاعون في بلاد الشام ليكثر شهداءهم، ويرفع درجاتهم، ويزكي أعمالهم، ولقد توفّي في طاعون عمواس أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وشرحبيل بن حسنة، وآلاف من الأخيار من الصحابة والتابعين. وأفضل الشهداء عند اللَّه هم من أهل الشام كما جاء في الحديث.

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من**

---

(١) إسناده صحيح موقوف: رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٩)، وصححه الألباني في «تخريج مناقب الشام وأهله» لابن تيمية ص(٨٦).

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (٥/ ٨١)، وابن حبان في «الثقات» (١/ ٢١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢)، وابن سعد، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٦١)، و«صحيح الجامع» (٦٠).

المدينة[١] من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا واللَّه لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب اللَّه عليهم أبدًا، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند اللَّه، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدًا، فيفتتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون ـ وذلك باطل ـ فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعدّون للقتال، يسوون الصفوف، إذْ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فأمّهم، فإذا رآه عدو اللَّه ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللَّه بيده، فيريهم دمه في حربته»[٢].

والمدينة في الحديث هنا هي دمشق لحديث رسول اللَّه ﷺ: «يوم الملحمة الكبرى، فسطاط[٣] المسلمين بأرض يُقال لها: الغوطة، فيها مدينة يُقال لها: دمشق خير منازل المسلمين يومئذ»[٤].

● وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يُقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام»[٥].

---

(١) أي: دمشق.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الفُسطاط: بالضم والكسر: المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط، وكذلك الخيمة الكبيرة، ومنها: «فسطاط مصر»، فإن البلد أقيم مكان فسطاط «خيمة» عمر بن العاص فاتح مصر ـ رضي اللَّه عنه ـ.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٢/ ٢١٠)، والحاكم (٤/ ٤٨٦)، وأحمد (٥/ ١٩٧)، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وأقرّه المنذري (٤/ ٦٣).

(٥) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» =

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إذا وقعت الملاحم بعث اللَّه من دمشق بعثًا من الموالي أكرم العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا يؤيد اللَّه بهم الدين**»(١).

(١٨) الثالث عشر: شجرة طوبى في الجنة تشبه أشجار الشام:

● عن عتبة بن عبد السلمي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: جاء أعرابي إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «ما حوضك هذا الذي تحدث عنه؟» فقال: «**كما بين البيضاء إلى بصرى يمدني اللَّه فيه بكراع لا يدري إنسان ممن خلق اللَّه طرفاه**»، فكبّر عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال: «**أما الحوض فيرد عليه فقراء المهاجرين الذين يقاتلون في سبيل اللَّه، فأرجو أن يريني اللَّه الكراع فأشرب منه**»، وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفًا، ثم يحثي لي ربي بكفيه ثلاث حثيات**»، فكبر عمر وقال: «إن السبعين الأُول يشفعهم اللَّه في آبائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعلني اللَّه في الحثيات الأواخر، فقال الأعرابي: يا رسول اللَّه فيها فاكهة؟ قال: «**نعم. وفيها شجرة تُدعى طوبى هي تطابق الفردوس**»، فقال: أي شجر أرضنا تشبه؟ فقال: «**ليس تشبه شيئًا من شجر أرضك، ولكن أتيت الشام؟**»، قال: لا يا رسول اللَّه. قال: «**فإنها تشبه شجرة بالشام تُدعى الجوزة تنبت على ساق واحد ثم ينتشر أعلاها**»، قال:

= (٤٢٠٥)، و«تخريج فضائل الشام» ص(١٥).

(١) حديث حسن: أخرجه ابن ماجه (٢/ ٥٢٠)، والحاكم (٤/٥٤٨)، وقال الحاكم: صحيح، وقال البوصيري في «الزوائد»: «هذا إسناد حسن»، وحسنه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» للربعي ص(٦١).

فما عِظَمُ أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك لم يدر بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا...» الحديث[١].

(١٩) الرابع عشر: بقاء الشام بعد خراب غيرها من الأمصار:

● عن معاذ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجّال»**[٢].

وفي الحديث: **«ينزل عيسى ابن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»**[٣].

ويهلك شيخ الضلالة المسيح الدجال بباب لد بفلسطين.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٢٦ ـ ١٢٧) برقم (٣١٢)، و«الأوسط» (٤٠٤)، والطبري في «التفسير» (١٣/ ١٤٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١)، وابن حبان (كما في الموارد ٢٦٢٦، ٢٦٢٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٤٦).
قال الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي في تحقيق «المعجم الكبير» (١٧/ ١٢٧): «وفيه عامر ابن زيد البكالي، وقد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات. وقال الحافظ ابن كثير في «نهاية البداية» (٢/ ١٥٧): قال الحافظ الضياء: لا أعلم لهذا الإسناد ـ إسناد الطبراني ـ علة.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٢، ٢٤٥)، وأبو داود (٥/ ٣٦ ـ ٣٧ رقم ٤٢٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٠٩٦).

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (جـ١/ ١٨٦ (٥٩٠)، (١٩/ ١٩٦(٤٤٠) عن أوس بن أوس. وقال الهيثمي (٨/ ٢٠٥): ورجاله ثقات، وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص(٥٦)، وأخرجه أيضًا الربعي في «فضائل الشام» عن كيسان ـ رضي اللَّه عنه ـ.

(٢٠) الخامس عشر: الشام أرض المحشر والمنشر:

● عن أبي ذر الغفاري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«الشام أرض المحشر والمنشر»[١].

(٢١) وأخيراً: رؤيا أم النبي ﷺ قصور الشام عند ولادته:

□ قال الحافظ ابن رجب الحنبلي:

«ومن بركات الشام الدينية: أن نور النبي ﷺ سطع إليها، فأشرقت قصورها منه، فكان ذلك أول مبدأ دخول نوره ﷺ الشام، ثم دخلها نور دينه وكتابه فأشرقت به، وطهّرها مما كان فيها من الشرك والمعاصي، وكمل بذلك قدسها وبركتها»[٢].

□ أول أمر النبي ﷺ ومبعثه ونزول الوحي عليه كان هناك في مكة، وإن مهاجره إلى المدينة المنورة، وإن تمام أمره وعمود ملكه سيكون في الشام حيث رأت أمه قصور الشام.

● عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «قلتُ: يا نبي اللَّه ما كان أول بدء أمرك؟

قال: **«دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي نوراً أضاءت منه**

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الربعي في «فضائل الشام» برقم (٤) صفحة ١٤، وقد جاء موقوفًا عن أبي ذر عند أحمد في «المسند» (٦/ ٢٥٧)، وفيه أن النبي ﷺ أقره على ذلك ولم ينكره عليه، فهو في حكم المرفوع، وهو ضعيف، وقد صححه الألباني لوروده من الطريقين ولشاهد من حديث ميمونة بنت سعد.

(٢) «فضائل الشام» لابن رجب الحنبلي ص(١٠١) ـ دار الوطن للنشر.

قصور الشام»[١] .

● وعن العرباض بن سارية ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إني عند اللَّه في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات اللَّه عليهم»**[٢] .

● وعن عتبة بن عبد السلمي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن رجلاً سأل رسول اللَّه ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول اللَّه؟

قال: **«كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم**

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢)، والطيالسي (١١٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٢٩)، وابن سعد (١/ ١٠٢)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٨٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٢): «رواه أحمد وإسناده حسن، وله شواهد تقوّيه.
ومن هذه الشواهد حديث خالد بن معدان عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ أخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٠)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٨٤)، والطبري (٢٠٧٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «صحيح السيرة النبوية» ص(١٣): «وهو كما قالا» وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٥٦): وهذا إسناد جيد قوي.

(٢) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧، ١٢٨)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٥٢)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٨٠)، (٢/ ١٣٠)، و«الآجرى في الشريعة» ص(٤٢)، والحاكم (٢/ ٦٠٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٣): رواه أحمد والطبراني بنحوه، والبزار وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وثقه ابن حبان. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، قال الألباني في «صحيح السيرة» ص(٥٤): «المسند» (٤/ ١٢٧، ١٢٨) بإسناد فيه جهالة وفي متنه نكارة؛ فإن في آخره زيادة بلفظ: «وكذلك أمهات النبيين ترين»؛ لأنها مع ضعف إسناد لم ترد ـ فيما علمت ـ في طريق أخرى، ولذلك خرّجت الحديث في «الضعيفة» (٢٠٨٥)، وأوردت سائره هنا؛ لأن له شواهد تقدم بعضها، وبعضها يأتي عقبه».

لنا، ولم نأخذ معنا زادًا ...» إلى أن قال: «... فرحَّلت بعيرًا لها، فجعلتني أو فحملتني على الرحل، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي. فقالت: أوأديت أمانتي وذمتي، وحدّثتها بالذي لقيت، فلم يرعها ذلك، فقالت لها: رأيت خرج مني نورًا، أضاءت منه قصور الشام»[1].

قال الحافظ ابن كثير: «وفيه بشارة لأهل محلتنا أرض بصرى، وأنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة، ولله الحمد والمنّة.

ولهذا كانت أول مدينة فُتحت من أرض الشام، وكان فتحها صُلحًا في خلافة أبي بكر».

❀ ❀ ❀

(١) صحيح لغيره: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، والدارمي (١/ ٩٠٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٦ ـ ٦١٧)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٣١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٢): إسناد أحمد حسن.

فضائل بيت المقدس خاصة في السنة المطهرة

(٢٢) ١ ـ بيت المقدس وفلسطين هي مهاجر إبراهيم ولوط عليهما السلام:

● مرّ بك حديث عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ، عن النبي ﷺ قال: «**سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم...**».

● وحديث عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لتكونن هجرة بعد هجرة، إلى مهاجر أبيكم إبراهيم** ﷺ ...».

ومهاجر إبراهيم ﷺ تعدل مهاجر نبينا ﷺ.

ولما نجّى اللَّه إبراهيم ولوطًا وجههما إلى فلسطين من أرض الشام ليقيما عليها ويستقرا بها، وفيها توفي الخليل عليه السلام، ودفن في مدينة الخليل من أرض فلسطين، فللَّه درها من أرض وطئتها أقدام الخليل، وفيها مثواه وقبره.

(٢٣) ٢ ـ بيت المقدس ـ المسجد الأقصى ـ ثاني مسجد بُني على الأرض:

● عن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه قال:

قلت: يا رسول اللَّه! أيّ مسجد وُضع على الأرض أولاً؟

قال: «**المسجد الحرام**».

قلت: ثم أي؟

قال: «**المسجد الأقصى**».

قلت: كم بينهما؟

قال: «**أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصلِّ فإنه مسجد**»[١].

قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٠٩): «قد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس.

وقال أيضًا: «وقد وجدتُ ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلاًّ من المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب «التيجان»: أن آدم لما بنى الكعبة أمره اللَّه بالسير إلى بيت المقدس، وأن يبنيه، فبناه ونسك فيه»، ثم جاء إبراهيم فجدّد بناءها على القواعد، والأساس كان موجودًا قبل ذلك، وجدّد بناء المسجد الأقصى على هذا القول.

والقول الثاني: أن خليل الرحمن إبراهيم ﷺ هو باني الكعبة، أول مسجد في الأرض، والمسجد الأقصى هو بيت المقدس هو ثاني مسجد بُني على الأرض بنص حديث أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ، ويحدّد النبي ﷺ المدة الزمنية بين بناء الكعبة وبناء المسجد الأقصى بأنها أربعون سنة، وهذا يعني أن إبراهيم هو باني المسجد الأقصى بيت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٦، ٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٥، ٥٧، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٨)، والطيالسي برقم (٤٦٢)، والحميدي (١٣٤)، وابن ماجه (٧٥٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/ ١١٦)، والنسائي (٢/ ٣٢)، وابن خزيمة (١٢٩٠)، والبيهقي في «السنن» (٢/ ٤٣٣)، وفي «الدلائل» (٢/ ٤٣).

المقدس، وكـون إبراهيم هو باني أول مسـجدين يوضح كونه أمـة وإمام الهدى وخليل الرحمن، فليس غريبًا ولا مستبعدًا أن يبني إبراهيم المسجد الأقصى بعد بنائه الكعبة بأربعين سنة.

وللحافظ ابـن كثيـر رأي آخر في «البداية والـنهاية»، وهو: «أن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام.

(٢٤) ٣ ـ موسى عليه السلام يسأل ربه عند الموت أن يُدنيَه من الأرض المقدّسة رمية بحجَر:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قـال رسول اللَّه ﷺ: **«أُرْسِل مَلَكُ الموت إلى موسى فلمّـا جاءه صكّه ففـقأ عينه، فرجع إلى ربه فـقال: أرسلتني إلى عـبد لا يريد الموت، فـردّ اللَّه إليه عـينه، وقال: ارجع إليـه؟ وقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطّت يده بكل شعـرة سنة، قال: أيْ ربِّ! ثم ماذا؟ قال: ثمّ الموت، قـال: فالآن، فسأل اللَّه أن يُدنيَـه من الأرض المقدسة رميـة بحجر، فلو كنتُ ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»**[1].

فهذا كليم الرحمن ﷺ يسأل ربه عند الموت أن يدنيه من الأرض المقدسة لشرفها وبركتها.

(٢٥) ٤ ـ يوشع بن نون فتى موسى ونبي بني إسرائيل عليه السلام ونبأه العجيب: حبس اللَّه له الشمس عند فتحه للقدس:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قـال رسول اللَّه ﷺ: **«غزا نبي من الأنبيـاء، فقال لقومه: لا يتبـعني رجل مَلَك بُضع امرأة، وهو يريد أن**

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد في «مسنده»، والنسائي.

يبني بها، ولمّا يَبنِ بها، ولا أحد بني بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنمًا، أو خلِفات، وهو ينظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة، وأنا مأمور؛ اللَّهم احبسها علينا، فحُبست حتى فتح اللَّه عليه، فجمع الغنائم، فجاءت النار لتأكلها، فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غُلولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يدُ رجل بيده، فقال: فيكم الغلول؛ فلتُبايعني قبيلتك، فلزقت يدُ رجلين، أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغُلول، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها؛ ثم أحل اللَّه لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلّها لنا»[1].

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا: «ما حُبست الشمس على بشرٍ قط؛ إلاّ على يوشَعَ بن نونٍ ليالي سار إلى بيت المقدس»[2].

حبس اللَّه لفتح القدس الشمس فلماذا حبسوا الشمس عنها؟!

أوقف اللَّه لها الناموس لكرامتها عليه، وحبس الشمس حتى فتحها نبيه يوشع بن نون عليه السلام، فلماذا حبسوا عنها النور والشمس؟!

فلسطينُ.. هَلْ أَبْقيْتِ دمعًا لنائحٍ ... حَنانَيْكِ من شوقٍ ومن عَبَراتِ
فلسطينُ آياتٌ وفيضٌ من الهُدَى ... مُجَلّلةٌ بالنور والبركاتِ

ماذا تبقّى منك يا درّة الفاتحين.. يا سليلة الطهر.. يا عطر كل

(١) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم.
(٢) إسناده جيد: رواه أحمد (٢/ ٣٢٥)، والخطيب (٩/ ٩٩)، وعنه ابن عساكر (/١٥٧/ ٢). قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٦) (٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧): «وهذا إسناد جيد على شرط البخاري. وقد أخرجه هو ومسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة مرفوعًا نحوه مطوّلاً».

الأنبياء المخلصين.. ماذا تبقى منك؟!

أهذهِ القدسُ والأقصى يزيِّنُها ... مسرى النبيِّ أفيها ساجد عمرُ؟

أم أورشليم يهوذا بات يحكمها ... وهيكل الظلم في أحضانها نضِرُ؟

(٢٦) ٥ ـ ديار يعقوب عليه السلام:

ديار فلسطين المباركة المطهرة كانت ديار يعقوب عليه السلام قبل هجرته إلى مصر.. فقد كان مسكنه في نابلس.

❑ وقد قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: «إن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام».

(٢٧) ٦ ـ وبالقدس كان مُلْك داود عليه السلام ومحرابه:

بالقدس كان ملك داود ومحرابه ومعبده.

وأقرب ما قيل في «محراب داود» الذي كان يتعبّد فيه، وتسوّر عليه الملائكة وهو فيه، أنه في القلعة الموجودة عند باب الخليل، أحد أبواب مدينة القدس.

❑ شهدت هذه المدينة الطاهرة وتجمّلت بمرور قدم أعبد البشر عليها.

● عن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه عليه السلام: **«كان داود أعبد البشر»**[1].

● وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢/ ٢٦٢)، والحاكم (٢/ ٤٣٣)، والبخاري في «التاريخ» (٣/ ١/ ٢٢٩). وقال الترمذي: «حسن غريب». وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وردّه الذهبي والألباني. وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٥٣).

«أرسل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «**ألم أخبر أنك تقوم الليل، وتصوم النهار؟...**» فقال النبي ﷺ: «**صُم صوم داود، فإنه كان أعبد الناس، كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، إنك لا تدري لعله أن يطول بك العمر**»[١].

فكيف تطأ أقدام اليهود الذين دنّسوا تاريخ البشرية وقذفوا أعبد البشر داود ﷺ، كيف تطأ أقدامهم هذه الأرض؟

لم ينتهوا عن قتل داود ولا ... لوط فكيف بقذفهم روبيلا

(٢٨) ٧ ـ مُلْك سليمان ﷺ ونبوته في البيت المقدّس:

وبالقدس كان ملك سليمان ونبوته، وجدّد ﷺ بناء بيت المقدس لا كما يقول اليهود عليهم لعنة اللَّه: أن سليمان ارتد وعبد الأصنام والأوثان وبنى لها المعابد.

وَدَعَوْا سليمان النبي بكافرٍ ... واستهونوا إفكًا عليه مقولا

(٢٩) دعوة سليمان عليه السلام لمن صلى في بيت المقدس أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس، سأل اللَّه عز وجل خلالاً ثلاثة؛ سأل اللَّه حكمًا يصادف[٢] حكمه، فأوتيه، وسأل اللَّه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأوتيه، وسأل اللَّه حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا يَنهزُه[٣] إلا الصلاة فيه أن يُخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه، أما**

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٢ ـ ١٦٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١/ ٢١٧/ ١) والسياق له.

(٢) يصادف: يوافق حكمه.

(٣) ينهزه: يدفعه.

اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أُعطي الثالثة».

وفي رواية: **«إن سليمان سأل اللَّه ثلاثًا فأعطاه اثنتين، وأرجو أن يكون أعطاه اللَّه الثالثة:**

سأله أن يحكم بحكم يواطئ حكمه فأُعطي. وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه، وسأله أيما عبد أتى بيت المقدس لا يُريد إلا الصلاة فيه، أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه»[1].

❑ وعند الخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» ص(١٣٧): قال عبد اللَّه بن عمرو: «إن سليمان حين فرغ من بيت المقدس، قرّب قربانًا فتُقبِّل منه، فدعا اللَّه بدعوات... منهن: «اللَّهم أيما عبد مؤمن زارك في هذا البيت تائبًا إليك إنما جاء يتنصّل عن خطاياه وذنوبه أن تتقبّل منه، وتتركه من خطاياه كيوم ولدته أمه»[2].

(٣٠) ٨ ـ متعبد مريم بفلسطين.. ومحراب زكريا عليه السلام:

وبالقدس عاش من اصطفاهم اللَّه.. عاش آل عمران الأبرار.. عاشت أم مريم الخاشعة التي تنذر ما في بطنها لربها وتعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم وتأتي ابنتها البتول مريم عليها السلام كاملة في عبادتها وذكرها وتوكلها على اللَّه عز وجل...

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٧٦)، والنسائي (٢/ ٣٤ رقم ٦٩٣)، وابن ماجه (١٤٠٨)، وابن حبان (١٦٣٣)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (٩٤)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٩٣)، والخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» رقم (٤٧)، وصححه أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» برقم (٦٦٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٩٠).

(٢) إسناده صحيح.

* ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

□ وهنا عاش زكريا عليه السلام وملأ الدنيا عبادة وتضرعًا ودعاءً ومسارعة في الخيرات

(٣١ ـ ٣٢) ٩ ـ الميلادان الفذّان كانا بفلسطين ميلاد السيد الحصور يحيى.. من سمّاه الله وسلّم عليه وميلاد عيسى ابن مريم عليهما السلام:

وبأرض فلسطين الطاهرة المباركة خُرِق الناموس من أجل الطيبيْن يحيى وعيسى عليهما السلام.

دعاء حار من قلب طاهر يعلق رجاءه بمن يسمع الدعاء، ويملك الإجابة، واستجيبت الدعوة، ولم يحل دونها مألوف البشر ـ من كون زكريا عليه السلام بلغه الكبر وامرأته عاقر ـ وجاء يحيى عليه السلام الذي سمّاه اللّه، وجعله سيدًا كريمًا حصورًا، ونبيًّا من الصالحين يُسلم عليه ربه ويبارك حياته على ثرى فلسطين وبيت المقدس.

● عن الحارث الأشعري ـ رضي اللّه عنه ـ أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: **«إن اللّه أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن، وإن عيسى ابن مريم قال له: إن اللّه أمرك بخمس كلمات تعمل بهن، وتأمر بهن بني إسرائيل يعملون بهن، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم؟**

قال: إنك إن تسبقني بهنّ خشيت أن أعذب أو يُخسف بي.

قال: فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ، وقعد الناس على الشرفات.

قال: فوعظهم: قال:

إن اللَّه أمرني بخمس كلمات أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن:

● أولاهن: أن تعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئًا، وإن مثل من أشرك باللَّه كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق، قال: هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأدِّ إليّ، فجعل يعمل ويؤدي إلى غير سيد، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن اللَّه خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئًا.

● وآمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

● وآمركم بالصيام، وإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرّة فيها مسك، ومعه عصابة كلهم يعجبه أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند اللَّه من ريح المسك.

● وآمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو وقاموا إليه فأوثقوا يده إلى عنقه، فقال: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ قال: فجعل يعطيهم القليل والكثير ليفكّ نفسه منهم.

● وآمركم بذكر اللَّه كثيرًا، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره حتى أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه فيه، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر اللَّه».

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «وأنا آمركم بخمس أمرني اللَّه بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل اللَّه، فمن فارق الجماعة قيد شبر خلع الإسلام من رأسه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية، فإنه من جثي جهنم». قيل: وإن صلى وصام؟

قال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى اللَّه الذي سمّاكم المسلمين

المؤمنين عباد اللَّه»[١].

وعلى ثرى فلسطين ذبح اليهود السيد الحصور يحيى عليه السلام.

* وعلى ثرى فلسطين يكون الميلاد الفذ للمسيح بن مريم عليه السلام:

وعلى أرض فلسطين الطاهرة يكون الميلاد الفذّ للمسيح من أمه الطاهرة التي بشرها اللَّه على أرض فلسطين بميلاد عيسى عليه السلام التي اصطفاها اللَّه وطهرها وجعلها من القانتين.

طاعة وعبادة، وخشوع وركوع، وحياة موصولة باللَّه، ويأتي السيد الوجيه في الدنيا والآخرة الذي يرفعه اللَّه في الدنيا والآخرة، ويحوطه اللَّه ويرعاه من مكر اليهود ليعود قبل القيامة يحطم الكفر ويكسر الصليب ويضع الجزية ويقتل الخنزير، وعلى أرض فلسطين يقتل مسيح الضلالة في باب لد.

(٣٣) ١٠ ـ الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، وإمامته للأنبياء في الصلاة بالمسجد الأقصى:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٨٦٣ ـ ٢٨٦٤)، والطيالسي برقم (٢١٤٨)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، وابن سعد في «الطبقات»، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٦٠)، وأبو يعلى (١٥٧١)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٢٨، ٣٤٣٠، ٣٤٢٧)، وابن حبان (٦٢٣٣)، وابن خزيمة (٩٣٠، ١١٨٥)، والحاكم (١/ ١١٧، ٢٣٦، ٤٢١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤)، و«صحيح الترغيب» (٥٥٣).

«لقد رأيتُني في الحِجْر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكُربتُ كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه اللَّه لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به.وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضَرْبٌ جَعْدٌ، كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني: نفسه ـ فحانت الصلاة فأمَمْتُهم، فلما فَرَغْتُ من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه. فالتفتُّ إليه، فبدأني بالسلام»[(١)].

● وعن قتادة: ثنا أنس عن مالك بن صعصعة ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «بينا أنا عند البيت[(٢)] بين النائم واليقظان؛ إذ أقبل أحد الثلاثة بين الرجلين، فأُتيت بطست من ذهب ملأه حكمة وإيمانًا، فشَقّ من النَّحْر إلى مَرَاق البَطْن، فغسل القلب بماء زمزم، ثم مُليء حكمة وإيمانًا»[(٣)].

ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار [«قال: فقال الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم». «يقع خطوه عند أقصى طرفه، فحُملت عليه»][(٤)].

[ثم انطلقنا حتى أتينا إلى بيت المقدس، فصليت فيه بالنبيين والمرسلين إمامًا][(٥)]. ثم انطلقت مع جبريل عليه السلام، فأتينا السماء الدنيا، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقدْ أُرسل إليه؟ قال: نعم. قيل:

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨).

(٢) في رواية لأحمد: عند الكعبة.

(٣) بعد ذلك عند أحمد والبخاري: «ثم أُعيد» وزاد ابن جرير: «مكانه».

(٤) الزيادة عند أحمد، والبخاري.

(٥) الزيادة عند ابن جرير.

مرحبًا به، ونعم المجيء جاء...»[١] الحديث.

● وفي رواية ثابت عن أنس بن مالك أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أُتيت بالبراق ـ وهو دابة أبيض ـ فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه ـ قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء.

قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت. فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا...»[٢].

❑ وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «أُسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته، فحدّثهم بمسيره، وبعلامة بيت المقدس، وبعيرهم، فقال ناس: نحنُ لا نُصدِّق محمدًا بما يقول؟! فارتدُّوا كفارًا. فضرب اللَّه أعناقهم مع أبي جهل».

وقال أبو جهل: يخوّفنا محمد بشجرة الزقوم، هاتوا تمرًا وزبدًا فتزقَّموا.

ورأى الدجال في صورته ـ رؤيا عين ليس رؤيا منام ـ وعيسى، وموسى وإبراهيم صلوات اللَّه عليهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٧ ـ ٢١٠)، والسياق له في إحدى رواياته من طريق هشام الدستوائي، والبخاري (٣٢٠٧ و٣٣٩٣ و٣٤٣٠ و٣٨٨٧)، ومسلم (٢٦٤ و٢٦٥)، وابن جرير (١٥/ ٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٨)، والسياق له، ومسلم (٢٥٩). . ووقع في هذه الطريق ذكر الإناءين هنا قبل المعراج، ووقع في طريق آخر بعد المعراج عند سدرة المنتهى، ولكل منهما شواهد ذكرها الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٧٣).

فسُئل النبي ﷺ عن الدجّال؟ فقال:

«[فيلمانيًا][١] أقمر هجانا[٢]، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري، كأن شعر رأسه أغصان شجرة.

ورأيت عيسى شابًّا أبيض، جعد الشعر، حديد البصر، مُبَطَّن الخَلْق[٣].

ورأيت موسى أسحم آدم، كثير الشعر[٤] شديد الخلق.

ونظرت إلى إبراهيم؛ فلا أنظر إلى إرب من آرابه؛ إلا نظرت إليه مني، كأنه صاحبكم.

فقال جبريل عليه السلام: سلّم على مالك فسلّمت عليه»[٥].

● وعن زرارة بن أبي أوفى، عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة، فَظِعتُ بأمري[٦]، وعرفت أن

---

(١) أي: ضخمًا عظيمًا.

(٢) أي: أبيض كما في «النهاية» و«اللسان».

(٣) المبطن: الضامر البطن.

(٤) وفي رواية: حسن الشعرة.

(٥) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٣٧٤)، وأبو يعلى رقم (٢٧٢٠)، والطبري في «تهذيب الآثار» مسند عبد اللَّه بن عباس ١٧ (١/ ص٤٠٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦٢٣٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٦ ـ ٦٧): رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن هلال بن خباب، قال يحيى القطان: أنه تغيّر قبل موته، وقال يحيى بن معين: لم يتغيّر ولم يختلط ثقة مأمون، ورواه أبو يعلى، وصححه أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» رقم (٣٥٤٦)، وابن كثير في «التفسير» (٣/ ١٥ ـ ١٦) وقال: «رواه النسائي من حديث أبي زيد ثابت بن زيد عن هلال ـ وهو ابن خباب ـ به، وهو إسناد صحيح.

قال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٧٦) ردًّا على ابن كثير: «كذا قال! وإنما هو حسن فقط؛ لأن ابن خبّاب فيه كلام».

(٦) أي: اشتد عليّ وهِبته. «النهاية» لابن الأثير.

الناس مكذِّبيَّ.

قال: فقعد معتزلاً حزينًا، فمرّ به عدوّ اللَّه أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**نعم**». قال: ما هو؟ قال:

«**إنه أُسري بي الليلة**».

قال: إلى أين؟

قال: «**إلى بيت المقدس**».

قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «**نعم**».

قال: فلم يرِ أنه يُكَذِّبه؛ مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدّثتني؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**نعم**».

فقال: هيّا معشر بني كعب بن لؤي!

حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما.

قال: حدِّث قومك بما حدّثتني.

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إني أُسرِي بي الليلة**».

قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**».

قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: «**نعم**».

قال: فمِن بين مصفّق، ومِن بين واضع يده على رأسه متعجِّبًا للكذب؛ زعم!

قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد.

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فذهبت أنعت، فما زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت ـ قال: ـ فجيء بالمسجد وأنا أنظر؛ حتى وضع دون دار عقال ـ**

أو : عقيل ـ فنعتُّه وأنا أنظر إليه.

قال : **وكان مع هذا نعت لم أحفظه»** .

قال : فقال القوم : أما النعت؛ فواللَّه لقد أصاب»[١] .

● وعن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : **«لما كذّبتني قريش [حين أسري بي إلى بيت المقدس]؛ قمت في الحِجْر، فجلى اللَّه لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه»**[٢] .

● وعن ثابت البناني وسليمان التيمي، عن أنس أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«أتيت (وفي رواية : مررتُ) على موسى ليلة أُسرِي بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره»**[٣] .

---

(١) سنده صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٠٩)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٢٧)، والنسائي في «الكبرى». وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٥): رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجال أحمد رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر في «تعليقه» على «المسند» برقم (٢٨٢٠)، وعزاه السيوطي في «الخصائص» (١/ ٤٠٠) لابن أبي شيبة أيضًا، وأبي نعيم بسند صحيح، وحسنه الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٩٩)، وصححه الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٧)، والبخاري (٣٨٨٦ و ٤٧١٠)، ومسلم (٢٧٦)، والترمذي (٣١٣٣)، وصححه، والبغوي (٣٧٦٢).

والزيادة لأحمد، وعلّقها البخاري في رواية، وقال الحافظ (٨/ ٣٩٢): «وصله الذهلي في «الزهريات» وأخرجه قاسم بن ثابت في «الدلائل» من الطريق ذاته، ولفظه: «جاء ناس من قريش إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك في صاحبك! يزعم أنه أتى بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة؟!

قال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لقد صدق.

وعزاه في مكان آخر (٧/ ١٩٩) للبيهقي في «الدلائل» أيضًا بلفظ: «قال: نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك؛ أصدّقه بخبر السماء. قال: فسُمِّي بذلك الصديق».

(٣) أخرجه مسلم (١٦٤)، والنسائي في «قيام الليل»، وأحمد (٣/ ١٤٨ و٢٤٨).

▫ قال ابن كثير: «قال البيهقي: وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أُسري به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس.

وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية».

● وعن قتادة، عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ: أن النبي ﷺ أُتي بالبراق ليلة أُسرِي به مُلْجَما مُسْرَجًا، فاستصعب عليه، فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟! فما ركبك أحد أكرم على اللَّه منه.

قال: فَارْفَضَّ عرقًا»[١].

▫ وللَّه ما أعظم ليلة الإسراء عند هذه الأمة. قال النووي: «أجمع العلماء أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء».

▫ عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «فُرِضت على النبي ﷺ الصلوات ليلة أُسْرِيَ به خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمسًا، ثم نُودِي: يا محمد! إنه لا يُبَدَّلُ القول لديّ، وإن لك بهذه الخمس خمسين»[٢].

▫ وعن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال: «هي رؤيا عين أُرِيَهَا رسول اللَّه ﷺ ليلة أُسرِي به إلى بيت المقدس، [وليست رؤيا منام][٣].

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٦٤)، والترمذي (٣١٣١)، وابن جرير (١٥/ ١٥) وقال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٣٧): وإسناده صحيح، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٦١)، وقال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٤٩): «وإسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٨، ٤٧١٦، ٦٦١٣)، وعنه البغوي في «شرح السنة» (٣٧٥٥)،=

قال الشيخ الألباني: «الصحيح أنه إنما اجتمع بهم[١] في السماوات، ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيًا وهم معه، وصلىّ بهم فيه، ثم إنه ركب البراق، وكرّ راجعًا إلى مكة واللَّه أعلم»[٢].

سواء صلى بهم قبل عروجه إلى السماء أو بعد العروج، فالمهم أن الصلاة في بيت المقدس أثبتها جمهور الصحابة خلافًا لحذيفة بن اليمان ـ رضي اللَّه عنه ـ.

قال ابن كثير في «تفسيره»: «والحق أنه عليه السلام أُسري به يقظة لا مناما، من مكة إلى بيت المقدس. راكبًا البراق، فلما انتهى به إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله، فصلّى في قبلته، تحية المسجد ركعتين، ثم أُتي بالمعراج، وهو كالسلم ذو درج يُرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السماوات... وفرض اللَّه عليه هنالك الصلوات الخمس...

ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء، فصلّى بهم فيه لمّا حانت الصلاة، ويحتمل أنها الصبح من يومئذٍ.

ومن الناس مَن يزعم أنه أمّهم في السماء، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه؛ لأنه لما مرّ بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل عليه السلام واحدًا واحدًا، وهو يخبره بهم، وهذا هو اللائق؛ لأنه كان مطلوبًا إلى الجنان العلويّ، ليفرض عليه وعلى أمته ما

= والترمذي (٣١٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١١٦٤١).

(١) أي: بالأنبياء.

(٢) «الإسراء والمعراج» للشيخ الألباني ص(٩٣) ـ المكتبة الإسلامية بعمّان ـ الأردن.

يشاء اللَّه تعالى، ثم لما فرغ من الذي أُريد به، اجتمع هو وإخوانه من النبيين، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم، بتقديمه في الإمامة، ثم خرج من بيت المقدس، فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس».

* **تنبيه هام جدًّا:**

● عن حذيفة بن اليمان ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«أُتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل [الظهر ممدودة؛ هكذا][(١)]، يضع حافره عند منتهى طَرْفه، فلم نزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس. ففُتحت لنا أبواب السماء، ورأيت الجنة والنار [ووعْد الآخرة أجمع][(٢)] [ثم عادا عودهما على بدئهما][(٣)]**.

قال حذيفة: ولم يصلِّ في بيت المقدس.

قال زر: فقلت له: بلى قد صلّى.

قال حذيفة: ما اسمك يا أصلع؟ فإني أعرف وجهك ولا أعرف اسمك! فقلت: أنا زر بن حبيش.

قال: وما يدريك أنه قد صلى.

قال: فقلت: يقول اللَّه عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء: ١].

---

(١) رواية الترمذي.

(٢) رواية أحمد في «مسنده».

(٣) رواية أحمد في «مسنده».

قال: فهل تجده صلّى؟ لو صلى لصليتم فيه كما تصلون.

(وفي رواية: لو صلّى فيه لكُتبت عليكم الصلاة فيه كما كُتبت الصلاة في المسجد الحرام.

قال زر: وربط الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء عليهم السلام.

قال حذيفة: أوَكان يخاف أن تذهب منه وقد أتاه اللَّه بها؟!

(وفي رواية: ثم ضحك حتى رأيت نواجذه، قال: ويحدّثون أنه ربطه! لمَ؟! أيفرّ منه؟! وإنما سخّره له عالم الغيب والشهادة[1] !.

قال الألباني ـ رحمه اللَّه ـ: «واعلم أن في حديث حذيفة هذا عبرة بالغة، وهي أن الصحابي قد يقول برأيه ما يخالف الواقع المروي عند غيره، من أجل ذلك كان من المتفق عليه بين العلماء: أن المُثبِت مقدم على النافي، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، فنفي حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ لصلاته ﷺ في بيت المقدس؛ وربط البراق بالحلقة مما لا قيمة له مع إثبات غير واحد من الصحابة لذلك، وهو عمدة زر ـ رحمه اللَّه ـ في معارضته حذيفة فيما نفاه، ولهذا قال ابن كثير: «وهذا الذي قاله حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ وما أثبته غيره عن رسول اللَّه ﷺ من ربط الدابة بالحلقة، ومن الصلاة ببيت المقدس مقدم على قوله»[2].

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٧، ٣٩٢، ٣٩٤)، والترمذي (٣١٤٧)، وابن حبان (٣٣)، والحاكم (٢/ ٣٥٩)، وصحّحوه، ووافقهم الذهبي.

قال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٦٣): «وإنما هو حسن فقط للخلاف المعروف في عاصم بن بهدلة».

ورواه ابن أبي شيبة، والنسائي، وابن مردويه، والبيهقي، كما في «الخصائص» (١/ ٣٩٣)، وابن جرير أيضًا (١٥/ ١٥ ـ ١٦).

(٢) «الإسراء والمعراج» للشيخ الألباني ص(٦٤).

* الحكمة من الإسراء إلى المسجد الأقصى:

«قال السيوطي في «الآية الكبرى» ص(١١٥): «تكلم الناس في الحكمة في الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، قبل المعراج:

❑ فقيل: ليجمع تلك الليلة بين القبلتين...

❑ وقيل: لأن بيت المقدس كانت هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه في الجملة، ليجمع بين أشتات الفضائل.

❑ وقيل: لأنه محلّ الحشر، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج من القدس أليق.

❑ وقيل: لإرادة إظهار الحق على مَن عاند؛ لأنه لو عُرج به من مكة لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر عليه السلام أنه أُسري به إلى بيت المقدس، سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك.

فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صحّ خبره في ذلك، لزم تصديقه في بقية ما ذكره...

❑ وهذه الحكمة تحقق أن الإسراء كان في اليقظة ـ بجسمه وروحه، لأنه لو كان منامًا أو بالروح كما قيل، ما كذّبه المشركون، وما تحدّوه أن يصف لهم المسجد»[1].

❑ وقال سيد قطب ـ رحمه اللّه ـ: «والرحلة من المسجد الحرام إلى

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى».. دراسة تاريخية موثقة ـ لمحمد محمد حسن شُرّاب ـ دار القلم دمشق.

المسجد الأقصى، رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيين، وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعًا، وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير، لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات، وارتباط رسالته بها جميعًا[1].

❑ وقال محي الدين مستو: «في بدء رحلة الإسراء من المسجد الحرام بمكة وانتهائها بالأرض المباركة في المسجد الأقصى، ما يدل على قداسة هذين المسجدين وما يحيط بهما من أرض شهدت مبعث النبوات والرسالات، ولهذا كان أحدهما القبلة الأولى التي لا تُنسى للمسلمين، وكان الآخر القبلة الدائمة التي يتوجهون إليها كل يوم.

وهذه الرحلة اتخذت نفس المسار الذي كان يسلكه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في تردّده بين مكة والأرض المباركة حين أسكن هاجر وابنها إسماعيل في مكة، وأسكن سارة وإسحاق في فلسطين.

❑ قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٢): «بيت المقدس الذي بإيلياء» معدن الأنبياء من إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا جمعوا له هناك ﷺ كلّهم فأمّهم في محلّتهم ودارهم، فدلّ على أنه ﷺ هو الإمام المعظم والرئيس المقدم».

فكانت صلاته ﷺ بالأنبياء في ليلة الإسراء إقرار مبينًا بأن الإسلام كلمة اللّه الأخيرة إلى البشر، أخذت تمامها على يد محمد ﷺ بعد أن وطّأ لها العباد الصالحون من رسل اللّه الأولين.. واستقر

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (١٥/ ١٢).

نسب المسجد الأقصى إلى الالتصاق بالأمة التي أمّ رسولها سائر الأنبياء.

وفي حادثة الإسراء إلغاء أبدي، وطيّ سرمدي لصفحة «بني إسرائيل» من التفضيل والاصطفاء.

❑ وللّه در من قال: إن المسجد الأقصى فوق مركز الدنيا، وأنه المصعد من الأرض إلى السماء.

❑ يقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه اللّه ـ في كتابه «فقه السيرة» (١٠٣): «لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة؟ إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم، فقد ظلت النبوات دهوراً طويلة وهي وقف على بني إسرائيل. وظلت بيت المقدس مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض، وقصبة الوطن المحبب إلى شعب اللّه المختار. فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام السماء حلّت بهم لعنة اللّه، وتقرّر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد! ومن ثمّ كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ انتقالاً بالقيادة الروحية في العالم من أمة ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل..

لكن إرادة اللّه مضت، وحملت الأمة الجديدة رسالتها. وورث النبي العربي تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها. فكان من وصل الحاضر بالماضي وإدماج الكل في حقيقة واحدة أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين في الإسلام، وأن ينتقل الرسول في إسرائه، فيكون هذا الانتقال احتراماً للإيمان الذي درج قديماً في رحابه...

❑ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللّه ـ: «دلّت الدلائل.. على أن مُلك النبوة بالشام، والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله

يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام»[١].

❑ وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ: «كما أن من مكة المبدأ، فمكة أم القرى... والشام إليها يحشر الناس كما في قوله: ﴿لأوَّلِ الْحَشْرِ﴾ نبّه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ وإيلياء معاد في الخلق، وكذلك بدأ الأمر. فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام.

فمكة هي الأول، والشام هي الآخر في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية»[٢].

* الرسول ﷺ يتسلَّم مفاتيح بيت المقدس:

❑ قال الدكتور صلاح الخالدي: «قد جمع اللَّه الأنبياء والرسل السابقين لمحمد ﷺ في تلك الليلة في المسجد الأقصى، ومنهم أنبياء ورسل بني إسرائيل، فأمّهم في الصلاة أي: صلّى هو بهم إمامًا، وصلّوا هم خلفه مأمومين!!

وجمعهم هذا جمع غيبي، لا نعرفه كيف جرى، وهو غير خاضع للقوانين والأسباب المادية؛ لأن الرسل غادروا هذه الحياة الدنيا، والتحقوا بالرفيق الأعلى، فهم في حساب البشر أموات.

ولكنهم عند اللَّه أحياء، حياة خاصة غيبية، كما أراد اللَّه سبحانه،

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/ ٤٤).

(٢) «مناقب الشام وأهله» لابن تيمية المطبوع مع «فضائل الشام ودمشق» للربعي ص(٧٨) ـ المكتب الإسلامي وانظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/ ٥٠٥).

ثم إن صلاتهم في المسجد الأقصى مأمومين خلف رسول اللَّه ﷺ، يقدّم لنا بعض الدلالات:

منها: اعتراف هؤلاء الرسل بفضل ومنزلة رسول اللَّه ﷺ، ومكانته عند اللَّه، وتسليم منهم أنه أفضل الخلق وأكرمهم، وأقربهم إلى اللَّه سبحانه، فهو إمام الخلق أجمعين، وإمام الأنبياء والمرسلين، في السير في طريق اللَّه، وفي القرب من اللَّه.

ومنها: اعتراف هؤلاء الأنبياء والمرسلين، بختم النبوة والرسالة بنبوة ورسالة محمد ﷺ، فلا وحي بعده، ولا نبي يأتي بعده، ولا رسالة بعد رسالته، وهو اعتراف منهم أيضًا بنسخ رسالاتهم برسالته، ونسخ كتبهم بكتابه، فلا عمل بالتوراة أو الزبور أو الإنجيل، بعد إنزال اللَّه للقرآن.

ومنها: دعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين ـ بخاصة أنبياء بني إسرائيل ـ لأقوامهم وأتباعهم بالدخول في الإسلام، والإيمان بالقرآن، واتباع محمد ﷺ، والتخلّي عما كانوا عليه من اليهودية أو النصرانية، إن أرادوا القبول عند اللَّه، ودخول جنة اللَّه.

فإن لم يستجيبوا له، ولم يدخلوا في دينه، فهم كفار ضالون مخلدون في النار، وإن ادّعوا أنهم على طريق إبراهيم أو موسى.

ومنها: تسليم هؤلاء الأنبياء والمرسلين «مفاتيح الأرض المقدسة إلى محمد ﷺ وأمته. فمعظم هؤلاء عاشوا على الأرض المقدسة، وكان هو المسؤول عنها، الراعي لها، الخليفة عليها، وأنوار رسالته ونبوته انتشرت عليها، وبقيت حلقات النبوة والرسالة والخلافة تتتابع على

الأرض المقدسة، إلى أن ختمت هذه الحلقات بنبوة ورسالة محمد ﷺ، الدائمة حتى قيام الساعة.

وفي ليلة الإسراء جاء الأنبياء وسلموا محمد ﷺ المسؤولية والخلافة، والأمانة والعهد، وأوكلوا له ـ ولأمته من بعده ـ مهمة الأرض المقدسة، ورعايتها وحمايتها، والخلافة فيها، واستمرار الإيمان عليها، حتى قيام الساعة.

لقد سلّم الأنبياء السابقون ـ ومنهم أنبياء بني إسرائيل ـ مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد ﷺ ليلة الإسراء، أعلنوا بذلك عن انتهاء استخلاف أقوامهم من اليهود والنصارى، وانتهاء مسؤولية هؤلاء الأقوام على الأرض المقدسة، وتحويل هذه الخلافة والمسؤولية لأمة محمد ﷺ، وانتقال الإشراف على الأرض المقدسة إلى هذه الأمة، واستمرار هذه المسؤولية فيها حتى قيام الساعة.

□ وجعل الصلاة ميدانًا ومجالاً لهذا الانتقال، وجوًّا مناسبًا للتسلّم والتسليم، حيث محمد ﷺ هو الإمام، والأنبياء خلفه مأمومون مسلمون له، يعطي دلالة واضحة على أهمية الصلاة والعبادة ووجوب تعمّقه في أمة الإمامة والخلافة، التي تناط بها مسؤولية الإشراف على الأرض المقدسة.

□ إن الأقوام السابقين من اليهود والنصارى ليسوا مصلين للّه صدقًا، ولا عابدين له حقًّا، ولذلك انتزع اللّه منهم هذه الخلافة والإمامة، وجعلها في أمة العبادة والصلاة، وتسلم رسولها محمد ﷺ هذه المهمة والمسؤولية من إخوانه الأنبياء في الصلاة!.

ومنها: أن رسول اللّه ﷺ كان أول فاتح للأرض المقدسة، ليلة

الإسراء، وهذا منه عهد لأمته من بعده، بأن تفتح هذه الأرض المقدسة عمليًّا، بعد أن فتحها هو نظريًّا، وتسلّم مفاتيحها من إخوانه الأنبياء، وهذه بشرى لأمته منه، بأنها ستفتح هذه الأرض المقدسة، وتنشر فيها الإسلام، وتحقق فيها الخلافة الربانية الراشدة، ولقد حقّقت هذه الأمة هذا الأمر بعد محمد ﷺ وفهمت منه هذا الإيحاء وأخذت عنه هذه الإشارة»[1].

رُبَى الأقصى طُيوفُك ذكرياتٌ ... خَشَعْتُ أَمَامَها دَمْعًا هَتُونًا
هُنالك تخشعُ الدنيا وتصغى ... لآيات بساحتها تُلينا
خَشَعْتُ وقلبيَ الوَثَّابُ فيها ... يُدَمِّي في تَلَفُّتِه الحنينا
مددتُ يدي على حُلُمي لأَلْقَى ... مُحَيَّاكِ المُنَوَّرَ والجبينا

❀ ❀ ❀

خُطَى مُوسَى عَلى ثَبَجِ الصَّحَارى
تَشُقُّ عَنِ الرِّمَالِ هَوًى دَفِينا
هَوى تَتَفَتَّحُ الأَكْمَامُ منهُ
وَتَنفحُ من بَشائِرِه اليَقِينَا
دُعَاءُ أبيهِ إبراهيمَ بُشرَى
يُرجِّعُ من صَداهَا المُرسلُونَا
تَفضُّ على شُفوفِ الغَيبِ مَسرى
لأحمدَ يَأخذُ العَهدَ الأمِينَا

(١) من مقالة الدكتور صلاح الخالدي بعنون: «الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة» من مجلة «فلسطين المسلمة» عدد ٩/ سنة ١١/ أيلول ١٩٩٣.

يَؤمـــهمُ بِســـاحِكِ ثمَّ يَمـــضِي
يَشقُّ بُراقـــهُ سَـــقـــفًـــا مَـــتـــينَا

دَنا شَـــوقًـــا فـــمـــاجَ مَطافُ نُورٍ
يَرقُّ بِه خُـــشـــوعُ الخـــاشِـــعـــينَا

وفُـــتِّـــحتِ الغُـــيـــوبُ لنَاظريه
وآيَاتٌ جَـــرتْ دُنيَـــا وَدِينَا

❁ ❁ ❁

خُطَى مُـــوسَى عَلى الصـــحـــراءِ لَجت
وحَـــركتِ الـــلـــواعِجَ والحَـــنـــينَا

هَوى الإســـلامِ لـلأقـــصَى نَديّ
فَطِيـــبي وانعَـــمي صَـــحـــرَاءَ سِـــينَا

نداكِ يَظَلُّ للإســـلام مَـــغْنَى وعِطرُك ظَلّ نَفْـــحَ المؤمنينا

ألَستِ عـلـى هُـدَى الإســـلامِ نَـايًـا
يُـرجِّـعُ فِـــيـــكِ آيـاتٍ وَدِيـنَـا

عـلـى مِـــزمَـــارِ داود الـلـيـــالـي
يَـمـوجُ خُـــشـــوعـــهَـــا رَهبًـــا وَلينَا

وتَجـــري من «سُليـــمـــانَ» الغَـــوَالِي
بَيـــانَ نُبُـــوَّةٍ قـطـعَ الـظُّـنـونَـا

تَمـــر يَدُ «المســـيـح» على الرَّوَابي
لِتَـمـسحَ مِنكِ جَـرحكِ والجُـفـونَا

جَـمـعـتِ بِسـيـدِ الرسُلِ الأمَـانِي
وبالقُـرآنِ ذكـرًا مُـسـتـبـيـنَا

وَشَـعَّـت كل رَابيـةٍ وَفَـضـت
على لألائِهَـا الكَنزَ الثَّـمـيـنَا

كَـأنّ على مباسمها دعاءً وتُغْضِي في تبـتُّلِها الجفونا

أولئـكَ لـيس من نَسبٍ إليـهم
ولا رَحـمٍ يَشُـدُّ المُدَّعـيـنَا

سِـوى الإسـلامِ آصـرَةً وقُـربَى
يـوثـقُ مـن عُـراهَـا المُؤمـنُـونَـا

❁ ❁ ❁

يَظَلُّ صَـدًى من الإسـراءِ عـهـدًا
يُحَـرِّك بين أضلُعيَ الحنينا

❁ ❁ ❁

(٣٤) ١١ ـ قبلة المسلمين الأولى بيت المقدس:

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرًا، ثم صُرف إلى الكعبة»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٩٦٤)، والطيالسي (١٩٢٤)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٦٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٢): «رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، والبزار ورجاله رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» برقم (٢٩٩٣).

●وعن البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ـ أو قال أخواله ـ من الأنصار، وأنه صلى قِبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاّها العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون.

فقال: أشهد باللَّه لقد صليت مع رسول اللَّه ﷺ قِبَل مكة فداروا ـ كما هم ـ قِبَل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك».

●عن البراء ـ رضي اللَّه عنه ـ في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تُحَوّل رجال وقُتلوا، فلم ندري ما نقول فيهم، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (١).

●وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن رسول اللَّه ﷺ كان يُصلي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

فمرّ رجل، وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى: ألا إن القبلة قد حُوِّلت، ألا إن القبلة قد حُوِّلت إلى الكعبة، فمالوا كما

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠، ٣٩٩، ٤٤٨٦، ٤٤٩٢، ٧٢٥٢)، ومسلم (٥٢٥)، والترمذي (٣٤٠، ٢٩٦٢)، وابن ماجه (١٠١٠)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧٤، ٢٨٣، ٣٠٤)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٣٤)، والدارقطني في «السنن» (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤)، والبيهقي (٢/ ٣٢٢)، والنسائي.

هم نحو القبلة»[١].

●وعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، جاءهم آت، فقال: إن رسول اللَّه ﷺ قد أُنزل عليه الليلة، وأُمِر أن يستقبل القبلة فاستقْبِلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»[٢].

●إن نسخ القبلة الأولى لم يُلْغ منزلتها الشرعية السامية، ولعلّ من حكمة تحويل القبلة إلى الكعبة، الإشارة إلى تفرّد الإسلام وتميّزه من الديانات الأخرى. ويكفي أن اللَّه اختاره ليكون مسرى نبيه إليه، وكان الإسراء من أكبر معجزات النبي ﷺ.

(٣٥) ١٢ ـ بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي تُشَدّ إليها الرِّحال:

●عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «ثلاث قالهنّ رسول اللَّه ﷺ، أو سمعتهن منه آنقتني وأعجبتني: **(لا تسافر امرأة مسيرة يومين ولا ليلتين إلا ومعها ذو محرم أو زوجها، ولا صوم يومين، يوم النحر ويوم الفطر، ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس. ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا»**[٣].

---

(١)أخرجه مسلم (٥٢٧)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٨٤).

(٢)أخرجه البخاري (٤٠٣، ٤٤٨٨، ٤٤٩٠، ٤٤٩١، ٤٤٩٣، ٤٤٩٤...)، ومسلم (٥٢٦)، وأحمد (٢/ ١٦، ٢٦، ١٠٥، ١١٣)، والنسائي (١/ ٢٤٤)، ومالك (١/ ١٩٥)، والترمذي (٣٤١)، والبيهقي في «السنن» (٢/ ٢، ١١)، والدارمي (١/ ٢٨١).

(٣)أخرجه البخاري (١١٩٧، ١٨٦٤، ١٩٩٥)، ومسلم (٨٢٧)، والترمذي (٣٢٦)، وابن =

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى**»(١).

● وعن أبي سعيد، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهم ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، وإلى المسجد الأقصى، وإلى مسجدى هذا**»(٢).

(٣٦) ١٣ ـ الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة:

● عن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «تذاكرنا ـ ونحن عند رسول اللَّه ﷺ ـ أيهما أفضل أمسجد رسول اللَّه ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا**»(٣).

= ماجه برقم (١٤١٠)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٧، ٣٤، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٩٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، وأبو داود (٢٠٣٢)، والنسائي (٢/ ٣٧)، وابن ماجه (١٤٠٩)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٧٨، ٥٠١).

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٤١٠)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٣٠٩) برقم(١٤٠٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٢٤٢)، والفسوي في التاريخ (٢/ ٢٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١١٥٧).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٩) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه إبراهيم بن طهمان في مشيخته (٦٢)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (١٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٢٤٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨/ ٨٣) برقم(٣٨٤٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٧): رواه =

وكمـا هو ثابت في «الصحيح» من حـديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»**[١].

فالصلاة في المسجد الأقصى تعدل مائتين وخمسين صلاة فيما سواه من المساجد.

* **وقفة مع حديث ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ:**

عن ميـمونة ـ مولاة النبي ﷺ ـ قـالت: قلت: يا رسول اللَّه، أفتنا في بيت المقـدس، قال: **«أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلّوا فـيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره»** قلتُ: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه؟ قال: **«فتُهدي له زيتًا يُسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»**[٢].

= الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصـحيح، وقال المنذري في «الترغيب» (٢/ ٢١٧): رواه البيهـقي بإسناد لا بأس به وفي متنه غرابه، وصـححه الألباني في «تحـذير الساجد» ص(١٩٨).

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤)، ومالك في «الموطأ» (١/ ١٩٦).

(٢) أخـرجـه أحـمـد (٦/ ٤٦٣)، وأبو داود (٤٥٧)، وابن مـاجـه (١٤٠٧)، وأبو يعلى (٧٠٨٨)، والطحـاوي في «المشكل» (٦١٠، ٦١١، ٦١٢)، والطبـراني في «الكبيـر» (٢٥/ ٥٤، ٥٥، ٥٦)، وفي «مـسـند الشـاميين» (٣٤٤، ٤٧١، ٤٧٢، ١٩٤٧)، وابن أبي عاصم في «الآحـاد والمثاني» (٣٤٤٨)، والبيـهقي (٢/ ٤٤١)، والضيـاء المقدسي في «فـضائل بيت المقـدس» (١٧) قال ابن رجب في «فـضائل الشـام» ص(١٧٢): «خرّجـه الإمام أحمد، وخرّجـه أبو داود، ولم يذكر فيه: «فإن صلاة فيه كـألف صلاة في غيره» وإسناده قوي؛ لأن رواته ثقات، لكن قد قيل: إن إسناده منقطع، وفي متنه نكاره».
وضعـفه عـبد الحق الأشـبيلـي، وابن القطّان الفاسي في «الوهم والإيـهام» (٥/ ٥٣٥)، والذهبي، فقال في «الميزان» في ترجمـة زياد بن أبي سودة ـ بعد أن ذكر هذا الحديث ـ: «هذا حـديث منكر». وابن التركـماني في «الجـوهر النقي» (٢/ ٤٤١)، وابن حجـر في «الإصابة» في «ترجمة ميمونة بنت سـعد قال: «رُوي عنها حديث واحد في فضل بيت =

في هذا الحديث أن الصلاة في بيت المقدس بألف صلاة في غيره، وهذا معناه أن مساو لفضل الصلاة في مسجد الرسول ﷺ، ولا شك أن مسجد الرسول ﷺ أفضل بالإجماع.

(٣٧) ١٤ ـ لَنِعْمَ المصلى بيت المقدس:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المُصَلّى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا**»، وقال: «**خير له من الدنيا وما فيها**».

وفي رواية: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى في أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان لقيد سوط ـ أو قال: قوس ـ الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له ـ أو أحب من الدنيا جميعًا**»[1].

= المقدس فيه نظر. وصححه الطحاوي في «مشكل الآثار»، والعراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٦٥)، والبوصيري في «مصباح الزجاجة».
قال الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» للربعي ص(١٦): «وإسناده صحيح كما قال الحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري في «زوائده»، وقوّاه الإمام النووي في «المجموع». ثم عاد الألباني وضعفه في «ضعيف سنن ابن ماجه».

(١) سبق تخريجه.

بيت المقدس وفلسطين في التاريخ الإسلامي

بيت المقدس وفلسطين في التاريخ الإسلامي

كان حادث الإسراء والمعراج شرفًا آثر اللَّه به النبي العظيم إلى ذلكم المسجد العظيم ومنه ليرقى إلى ملأ عظيم في ليلة عظيمة..

ولو لم يحدث في زمن النبوة ما يُشَرِّف هذا المكان إلا ذلكم الحدث لكفاه، فكيف وقد بشر النبي ﷺ بفتح الشام وبيت المقدس؟!

* **تبشير النبي ﷺ بفتح بلاد الشام وبيت المقدس:**

● عن البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «لما كان حين أمرنا رسول اللَّه ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا إلى رسول اللَّه ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال:

«**بسم اللَّه**»، فضربها ضربة فكسر ثلثها، وقال:

«**اللَّه أكبر أعطيت مفاتيح الشام، واللَّه إني لأبصر قصورها الحمر الساعة**»، ثم ضرب الثانية، فقطع الثلث الآخر فقال:

«**اللَّه أكبر أُعطيت مفاتيح فارس، واللَّه إني لأبصر قصر المدائن أبيض**»، ثم ضرب الثالثة، وقال:

«**بسم اللَّه**»، فقطع بقية الحجر فقال:

«**اللَّه أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن، واللَّه إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة**»[1].

---

(١) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٣)، والنسائي (٦/ ٤٣ ـ ٤٤)، والبيهقي في =

●وعن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو في بناء له، فسلّمتُ عليه فقال: «عوف؟»، قلت: نعم يا رسول اللَّه! قال: «ادخل».

قلت: كُلّي أم بَعْضي؟ قال: «بل كلك» قال: فقال لي: «اعدد عوف! ستًّا بين يدي الساعة؛ أولهنّ موتي».

قال: فاستبكيت حتى جعل رسول اللَّه ﷺ يُسكتني.

قال: «قل إحدى، والثانية: فتح بيت المقدس، قل: اثنين. والثالثة: فتنة تكون في أمتي ـ وعظّمها ـ والرابعة: موتان يقع في أمتي يأخذهم كقُعاص الغنم. والخامسة: يفيض المال فيكم فيضًا حتى إن الرجل ليعطى المائة دينار فيظل يسخطها، قل: خمسًا. والسادسة: هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، يسيرون إليكم على ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفًا، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يُقال لها: الغوطة، فيها مدينة يُقال لها: دمشق»[1].

●وعن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: عن النبي ﷺ قال: «ست من أشراط الساعة: موتي، وفتح بيت المقدس، وموت يأخذ الناس

= «الدلائل» (٣/ ٤١٧ ـ ٤١٨). ولقد حسّن الحافظ ابن حجر إسناد الحديث في «الفتح» (٧/ ٣٩٧).

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦)، وأبو داود (٤٢٩٣)، وابن ماجه (٤٠٤٢، ٤٠٩٥)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٢٢، ٢٥، ٢٧)، واللفظ له، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (٤١)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٤٢)، والربعي في «فضائل الشام» (٣٠)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٥٥، ٩/ ٢٢٣)، وفي «الدلائل» (٦/ ٣٢٠ ـ ٣٢١)، وابن حبان في «الإحسان» (٦٦٤٠).

قُعاص الغنم: داء يأخذ الغنم، لا يُلبثها أن تموت. قاله ابن الأثير.

كقُعاصِ الغنم، وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم، وأن يعطى الرجل ألف دينار فيتسخَّطُها، وأن تغدر الروم فيسيرون في ثمانين بنداً، تحت كل بندٍ اثنا عشر ألفًا»[١].

● وعن سفيان بن أبي زُهير ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تُفتح اليمن، فيأتي قوم يَبُسُّون[٢] فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتح العراق، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[٣].

● وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن اللَّه استقبل بي الشام، وولّى ظهري اليمن، وقال لي: يا محمد إني جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقًا، وما خلف ظهرك مدداً، ولا يزال اللَّه يزيد ـ أو قال يعزّ ـ الإسلام وأهله، ويُنقص الشرك وأهله، حتى يسير الراكب بين كذا ـ يعني البحرين ـ لا يخشى إلا جَوْرًا، وليبلغن

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٢٢)، برقم (٢٤٤، ٣٦٨).
وفيه النهاس بن قهم ضعيف، وأبو عمار شدّاد لم يسمع من معاذ ولكن للحديث شاهد من حديث عوف بن مالك مرفوعًا نحوه.
والحديث صححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٨٣).

(٢) يبسون: يسيرون.

(٣) أخرجه البخاري (١١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٨٨٧ ـ ٨٨٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٠)، والطبراني في «الكبير» (من رقم ٦٤٠٧ ـ ٦٤١٣)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٩/ ٢٦٥ برقم ١٧١٥٩)، والحميدي (٨٦٥).

هذا الأمر مبلغ الليل»[١] .

* ودعاء النبي ﷺ لأهل الشام بالهداية إلى الإيمان:

وللَّه ما أحلاها دعوة تخرج من أطهر فم رجاءً في هداية أهل هذه الأرض المباركة المقدسة.

● فعن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يومًا، ونظر إلى الشام فقال: «**اللَّهم أقبل بقلوبهم**». ونظر إلى العراق، قال: نحو ذلك، ونظر مثل ذلك إلى كل الأفق ففعل ذلك، وقال: «**اللَّهم ارزقنا من ثمرات الأرض، وبارك لنا في مدّنا وصاعنا**»[٢] .

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: إن النبي ﷺ نظر قِبل العراق والشام واليمن، فقال: «**اللَّهم أقبل بقلوبهم على طاعتك، وحُطَّ عمن وراءهم**»[٣] .

● وعن زيد بن ثابت ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: نظر رسول اللَّه ﷺ قِبل اليمن فقال: «**اللَّهم أقبل بقلوبهم**»، ونظر قِبل العراق، فقال:

---

(١) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٧٠ ـ ١٧١ رقم ٧٦٤٢).
وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٥)، و«صحيح الجامع» رقم (١٧١٢).

(٢) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٥٧٤ رقم ٤٧٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٣٠٤): رواه أحمد والبزار وإسناده حسن.

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٧٣ رقم ١٧٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٣٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٧): رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن بحر بن بري وهو ثقة.

«**اللَّهم أقبل بقلوبهم**». ونظر قبل الشام، فقال: «**اللَّهم أقبل بقلوبهم، وبارك لنا في صاعنا ومدنا**»[١].

فبشّر النبي ﷺ بفتح الشام وبيت المقدس، ودعا بالهداية لأهلها لما لها من المكانة العظيمة في قلبه لكون تمام ملكه وأمره سيكون بها.

* **اهتمام النبي ﷺ بها عملاً بعد تكريمها وتعظيمها معنى:**

«بعد أن توطدت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة، وبعد أن تمّ فتح مكة المكرمة، وأعزّ اللَّه دينه فيها، وتمكن المسلمون من رفع راية التوحيد فوق ربوع الكعبة المشرّفة.. تلفتت أنظار النبي ﷺ صوب بيت المقدس في الشام ليطهرها من أدران الشرك الروماني النصراني، كما طهّر مكة من أوضار الشرك العربي الوثني، ولتبدأ بذلك الخطوة الأولى نحو الهدف الكبير، هدف تحرير الأرض المقدسة، وتكسير الآصار التي حلّت بها.

وبدأ الرسول ﷺ بفتح الطريق إلى القدس منذ السنة الخامسة للهجرة، واستمرت غزواته وسراياه إلى هذا الطريق إلى يوم وفاته لسبر غور الروم واستعدادهم، وإيصال الدعوة إلى الشام.

ففي السنة الخامسة من الهجرة كانت غزوة دُومة الجندل، وكان صاحبها أُكيدر بن عبد الملك في طاعة هرقل، وهي في أقصى شمال

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٥)، و«فضائل الصحابة» (٢/ ٨٦١ رقم ١٦٠٧)، والترمذي (٣٩٣٠)، والطبراني في «الكبير» (٤٧٨٩، ٤٧٩٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٣٦).

الجزيرة على بُعد ٤٥٠ كيلو شمال تيماء.

❑ وفي السنة السادسة، ندب الرسول ﷺ عبد الرحمن بن عوف في سرية إلى دومة الجندل.

* كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وهو في بيت المقدس:

أرسل النبي ﷺ كتابًا إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام، وحمله إليه دحية بن خليفة الكلبي - رضي اللَّه عنه -، فوصل كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وهو بالقدس، في الوقت الذي جاء هرقل يحتفل بالنصر على الفرس في سنة ٦٢٨م وهو يوافق تمامًا أواخر السنة السادسة، أو أوائل السنة السابعة هـ.

ولعلّ في اختيار هذا الزمان والمكان لوصول الكتاب إلى هرقل حكمة أيّ حكمة لينبّه هرقل إلى ما وقر في قلبه أنّ ما ناله من النصر لم يكن بقوته، وإنما كان بتدبير من اللَّه فعليه أن يؤمن بما أخبر اللَّه به على لسان عيسى عليه السلام، أنه سيكون نبي يدعو إلى التوحيد، وهو مسطور عند علماء أهل الكتاب ويتوقعون مجيئه، ومن حكمة اختيار المكان المقدس إشارة إلى أن القدس سيكون أحد معاقل التوحيد، وأنه لا بد أن يكون بأيدي المسلمين أصحاب الدين السماوي الذي اشتمل على الرسالات السماوية السابقة كلها وجاء مهيمنًا عليها.

❑ وبعث النبي ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى عظيم بصرى وحاكمها من قِبل الروم «شرحبيل بن عمرو الغسّاني»، ولكنه أوثق المبعوث رباطًا وقتله، ولم يُقتل لرسول اللَّه ﷺ رسولاً غيره.

❑ وفي السنة السابعة: كانت غزوة خيبر؛ لأن يهودها كانوا يهدّدون

الطريق إلى الشام، وفتح مع خيبر، فدك، فوادي القُرى (العلا).

وفي السنة الثامنة كانت سرية كعب بن عُميْر الغفاري إلى ذات أطلاح من ناحية الشام، وفي وادي العربة بفلسطين مكان يُدعى وادي الطلاح فقال الدّباغ: والراجح أنه موقع «ذات أطلاح» الذي استشهد فيه الصحابي كعب بن عُمير.

وفي السنة الثامنة كانت غزوة ذات السلاسل، بقيادة عمرو بن العاص، والسلاسل ماء بأرض جُذام من أقصى الشمال من الجزيرة.

وفي السنة الثامنة كانت سرية زيد بن حارثة إلى جذام بحِسْمى وراء وادي القرى (العلا) مما يلي فلسطين.

* مؤتة في جمادى الأولى ٨ هـ:

بعث النبي ﷺ إلى الشام جيشًا قوامه ثلاثة آلاف رجل فاشتبك مع الروم في مؤتة من أرض البلقاء بالشام. وكان جيش المسلمين يقوده زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد اللَّه ابن رواحة: فلما نزلوا مُعان من أطراف الشام بلغهم أن هرقل قد نزل مآب أمامهم من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وقد انضمت إليه العناصر العربية التي تداهنه من قبائل لخم وجُذام وبلقين وبهراء وبلى من قضاعة في مائة ألف أخرى يقودهم مالك بن رافلة أحد بني إراشة من بِلى. وأقام المسلمون في معان ليلتين يتداولون أمرهم، ثم اختاروا أن يمضوا إلى المعركة ولو كانت غير متكافئة، فإن الرجوع دون معركة كان من شأنه الإبقاء على مسالك الشمال مغلقة أمام المسلمين، أما خوض المعركة ـ مهما كانت نتائجها ـ فمن شأنه أن يغير الموقف. وباب الدعوة

إلي شمال شبة الجزيرة إن كان يصفق بالسيف، فلا بد من فتحه ولو بالسيف.

واستشهد القادة الثلاثة زيد بن حارثة، أحب الناس إلى رسول اللَّه ﷺ، وجعفر الطيار ابن عمه الذي أشبه خلْقه وخُلُقه، وعبد اللَّه ابن رواحة ـ رضي اللَّه عنهم ـ وسالت دماؤهم الطاهرة بالقرب من فلسطين، وآلت القيادة إلى خالد بن الوليد فانسحب بالجيش انسحابًا موفقًا وحمد له النبي ﷺ هذا الصنيع، وقُتل في المعركة مالك بن رافلة قائد العرب الموالين للروم.

فهل هانت دماء الصحابة الأبرار أم هانت فلسطين؟!!.

هي الأرض أمٌّ أو عروس فحسبها ... بفيض دم الأبرار أضحت تُعَطَّرُ
عليها دماء الصِّيدِ سالت زكيّةً ... وفيها ثوى زيد العوالي وجعفرُ
فجُد بالدم الغالي على كلّ ذرّةٍ ... فذوْب دمِ الأحرار مسكٌ وعنبرُ[1]

* تبوك في أول رجب ٩ هـ:

حشدت الروم جيشها للإغارة على دولة الإسلام لتضمن البقاء جاثمة على أرض بيت المقدس ممسكة بزعامة العالم النصراني من هناك، حيث الأرض التي وُلد عليها عيسى عليه السلام ومنها رُفِع، وأعدّ الرومان حشودهم ليعيدوا الكرّة، وليضربوا الإسلام في شمال الجزيرة ضربة تردّه من حيث جاء، وتوصد عليه أبواب الحدود فلا يستطيع التسرب منها إلى الأرض المقدسة.

(١) من قصيدة «شهيد العلى قد مرّ عبر ترابها» ليوسف العظم من ديوان «الفتية الأبابيل».

واستنفر النبي ﷺ المسلم[illegible]ث العدو، وسار النبي بجيش العسرة ثلاثين ألفًا فيهم عشر[illegible]رس واثنى عشر ألف بعير، ولما بلغ الجيش تبوك لم يجد أثرًا للرومان فأقام بضع عشرة ليلة، وجاء ختام الغزوة طمأنينة وعزّة للمسلمين، فأقفل الرسول ﷺ بالجيش عائدًا إلى المدينة . . بعد أن أزال رهبة نزال الروم من قلوب المسلمين، وكسر حاجز الخوف من لقائهم.

❊ عقد النبي اللواء لأسامة وهو في مرض الموت، وبعث أسامة بن زيد إلى تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين:

بعد أن عاد ﷺ من حجّة الوداع إلى المدينة المنورة، أمر المسلمين بالتهيؤ لغزو معاقل الروم في أرض الشام، واختار لإمرة هذا الغزو أسامة بن زيد الحب بن الحب ـ رضي اللَّه عنه ـ، ابن الثمانية عشرة سنة، فأمره ﷺ أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة ـ رضي اللَّه عنه ـ وأن يوطئ الخيل تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين، وعقد له اللواء بيده في آخر يوم من صفر ١١هـ، وكان ذلك مع مبدء شكواه ﷺ من مرضه الذي توفي فيه، وتجهّز الجيش، وخرج بقيادة أسامة بن زيد إلى ظاهر المدينة فعسكر بالجرف، وفي هذه الأثناء اشتدت وطأة المرض برسول اللَّه ﷺ، وتُوفي وما كُحِّلَتْ عينه ﷺ بفتح بيت المقدس.

❀ ❀ ❀

عهد الصديق رضي اللَّه عنه

* إنفاذ بعث أسامة بن زيد ـ رضي اللَّه عنهما ـ:

أنفذ الصدّيق بعث أسامة وجموع المرتدين تحيط بالمدينة تريد أن تغير عليها، ونُصح الصديق بأن لا يرسل بعث أسامة، وأن يبقيه للدفاع عن المدينة، وأجاب الصديق: «أنا أحبس جيشًا بعثهم رسول اللَّه ﷺ ؟! لقد اجترأت على أمر عظيم! والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحبّ إليّ من أن أحبس جيشًا بعثهم رسول اللَّه ﷺ . امض يا أسامة في جيشك الذي أُمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول اللَّه ﷺ من ناحية فلسطين وعلى أهل مؤتة، فإن اللَّه سيكفي ما تركت»[1] .

وسار أسامة يسرع السير على طريق ذي المروة ووادي القرى في اتجاه أبنى وآبل الزيت من نواحي مؤتة وأغار على جذام ولخم وهزم من هناك حتى آبل في إغارة شديدة سريعة وسبى وحرّق بالنار منازلهم وحرثهم ونخلهم حتى صارت أعاصير من الدخان وأجال الخيل في نواحيهم، وقدم المدينة سالمًا غانمًا وقد غاب عنها خمسة وثلاثين يومًا. وأجلى مرتدي قضاعة، وهدد حدود الإمبراطورية الرومية.

وحين بلغ هرقل ما صنع أسامة بعملائه من العرب النازلين بأطراف إمبراطوريته، فدعا بطارقته في حمص وقال لهم: «هذا الذي حذّرتكم فأبيتم أن تقبلوه مني، قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم تكْلَم»[2] .

---

(١) ابن عساكر (١/ ٤٣٣).

(٢) أي: تُجْرح.

* الصديق يُوَجّه الجيوش لفتح الشام وجهاد بني الأصفر:

وفي رجب سنة ١٢ هـ وجّه الصديق الجيوش لفتح بلاد الشام: فوجّه أبا عبيدة عامر بن الجراح إلى حمص، وولاّه إمرة الجيوش، كما أرسل يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، وشرحبيل بن حسنة لوادي الأردن، وكان عدد هذه الجيوش يقارب الاثنى عشر ألفًا، ثم أسند أبوبكر القيادة العامة لجيش الشام إلى سيف اللّه المسلول خالد بن الوليد بعد انتهائه من قتال الفرس في العراق.

كتب عمرو بن العاص إلى الصدّيق: «إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد اللّه الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحي».

وكان في جيش عمرو سادات قريش وأشرافها: الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل وفي محرم سنة ١٣هـ جاء الصديق مشيعًا لجيش عمرو، وقال لعمرو: «يا عمرو إنك ذو رأي وتجربة بالأمور وبصر بالحرب، وقد خرجت مع أشراف قومك، ورجال من صلحاء المسلمين، وأنت قادم على إخوانك فلا تألهم نصيحة، ولا تدخر عنهم صالح مشورة، فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور».

فقال عمرو: «ما أخلقني أن أصدّق ظنك، وأن لا أقيل رأيك».

وأمر أبو بكر عمرو بن العاص أن يسلك طريق المعرقة إلى أيلة عامدًا إلى فلسطين، وقال أبو عبيدة لعمرو لما أتاه بجيشه: «يا عمرو لرب يوم لك قد شهدته فبورك فيه للمسلمين برأيك ومحضرك».

هذا عمرو بن العاص سيد من سادات الصحابة منّ اللّه عليه، وعلى يديه فتحت معظم فلسطين.. فهل نسيه أبناء فلسطين؟

قم من ترابك يا ابن العـــاص في دمنا
ثأر طويل لهـــيب العـــار يكوينا
قم يا بلال وأذّن صـــمـــتنا عـــدمٌ
كل الذي كـــان طُهـــرًا لم يَعُـــدْ فـــينا

* فزع النصارى من الجيوش الإسلامية وبعثهم إلى هرقل ببيت المقدس:

لما رأى أهل الشام أن جيوش المسلمين وأمدادهم تجيش عليهم من كل وجه، وأن جموعهم تكثر وتتزايد، بعثوا رسلهم إلى ملكهم هرقل يعلمونه بما يحدث ويسألونه المدد، وكان هرقل في بيت المقدس يحج، فجمع مجلسه وقال لهم: «أرى من الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم وأن تصالحوهم، فواللّه لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام، وتأخذوا نصفًا وتقرّ لكم جبال الروم خير لكم من أن يغلبوكم على الشام ويشاركوكم في جبال الروم. فنخر أخوه ونخر ختنه، وتصدّع عنه من كان حوله، فلما رآهم يعصونه ويردون عليه بعث أخاه وأمّر الأمراء ووجّه إلى كل جند جندًا، وكتب لمن أرسل إليه: «إني قد عجبت لكم حين تستمدونني وحين تكثرون عليّ عدد من جاءكم من العرب، وأنا أعلم بهم وبمن جاء منهم، ولأهل مدينة واحدة من مدائنكم أكثر ممن جاءكم أضعافًا مضاعفة، فالقوهم فقاتلوهم، ولا تظنوا أني كتبت إليكم بهذا وأنا أريد ألا أمدكم... لأبعثن إليكم من الجند ما تضيق به الأرض الفضاء!»[1].

(١) «الطبري» (٣/ ٤٠٢).

* ما أصدق فراسة الصديق بطرد الروم من بيت المقدس:

أرسل الصديق أبوبكر - رضي اللَّه عنه - إلى أبي عبيدة - رضي اللَّه عنه - في ٢٨ ذي الحجة ١٢ هـ: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم أما بعد: فقد جاءني كتابك تذكر فيه تيسر عدوكم لمواقعتكم، وما كتب به ملكهم إليهم من عِدته إياهم أن يمدّهم من الجنود ما تضيق به الأرض الفضاء.

ولعمرو اللَّه لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه وعليهم بُرْحها بمكانكم فيهم.

وايم اللَّه ما أنا بآيس أن تزيلوه من مكانه الذي هو به عاجلاً إن شاء اللَّه، فبث خيلك في القرى والسواد، وضيّق عليهم بقطع الميرة والمادة، ولا تحاصرن المدائن حتى يأتيك أمري. فإن ناهضوك فانهد إليهم واستعن باللَّه عليهم؛ فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناك بمثليهم أو ضعفهم، وليس بكم والحمد للَّه قلة ولا ذلة، فلا أعرفن ما جبنتم عنهم، ولا ما خفتم منهم، فإن اللَّه فاتح لكم ومظهركم على عدوكم بالنصر وملتمس منكم الشكر لينظر كيف تعملون.

وعمرو فأوصيك به خيراً، وقد أوصيته ألا يضيع حقًّا يراه ويعرفه، فإنه ذو رأي وتجربة. والسلام عليكم ورحمة اللَّه».

* العربة وداثن بغزَّة أول معركة للمسلمين على أرض فلسطين ٢٤ ذو الحجة ١٢ هـ:

تضافرت الروايات[1] على أن أول المواقع على أرض الشام بعد

(١) «الأزدي (٥٢)، والطبري (٣/٤٠٦)، والبلاذري (١٣٠).

سرية أسامة كانت وقعة العربة وداثن [أو داثنة] قبل قدوم خالد بن الوليد إلى الشام.

فبعد أن نزل يزيد بالبلقاء، ونزل شرحبيل نواحي بصرى، ونزل أبو عبيدة الجابية كل في جيشه، دفع الروم قوة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل يقودها سرجيوس البطريق الرومي لمدينة غزة.

● عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كنتُ ممن سَرَّح أبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ مع أبي عبيدة في نفر من قومي.. فكانت أول وقعة يوم العربة والداثنة، وليسا من الأيام العظام، فخرجت إلينا ستة قوّاد من الروم مع كل قائد خمسمائة رجل فكانوا ثلاثة آلاف رجل، فأقبلوا حتى انتهوا إلى العربة، فبعث يزيد بن أبي سفيان إلى أبي عبيدة يعلمه بذلك. فبعثني إليه في خمسمائة رجل. فلما أتيته بعث معي رجلاً[١] في خمسمائة رجل، وأقبل يزيد في آثارنا في الصف. فلما رأينا الروم حملنا عليهم فهزمناهم وقتلنا قائدًا من قوّادهم، ثم مضوا وأتبعناهم، فجمعوا لنا بالداثنة[٢] فسرنا إليهم، فقدّمني يزيد وصاحبي في عدتنا فهزمناهم، فعند ذلك فزعوا، واجتمعوا وأمدَّهم ملكهم»[٣].

* أولى المعارك الكبرى بالشام وأول معركة على أرض فلسطين «موقعة أجنادين» السبت ٢٧ جمادي الأولى ١٣هـ:

جمع خالد بن الوليد ـ الذي لا ينام ولا ينيم ـ جيشه وقال:

---

(١) الذي نرجحه أنه كان زمعة بن الأسود قائد مقدمة يزيد.

(٢) من قرى غزة.

(٣) «الطريق إلى دمشق» ص(٢١١).

«أما بعد. فإنه بلغني أن طائفة من الروم نزلوا بأجنادين، وأنهم استعانوا بأناس وهم قليل من أهل البلد فسألوهم النصر علينا استقلالاً لمن معهم من الكثرة ذلاً ولؤمًا، واللَّه ـ إن شاء اللَّه ـ جاعل الدبرة عليهم وقاتلهم كل مقتلة، فاقصدوا بنا قصدهم».

وكتب خالد إلى أمراء الجيوش بالشام: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم.

أما بعد: فإنه نزل بأجنادين جموع من جموع الروم غير ذي عدد ولا قوة، واللَّه قاصمهم وقاطع دابرهم. وجاعل دائرة السوء عليهم. وقد شخصت إليهم يوم سرّحت رسولي إليكم، فإذا قدم عليكم فانهضوا إلى عدوكم رحمكم اللَّه في أحسن عدّتكم وأصحِّ نيتكم. ضاعف اللَّه لكم أجوركم وحطّ أوزاركم. والسلام عليكم ورحمة اللَّه».

وعلى الطريق ما بين بيت جبرين والرملة شهدت أجنادين أحلى الأيام.. تجمّع جمع مبارك من أفذاذ قادة المسلمين ضم كل الجيوش الإسلامية بالشام:

حضر شرحبيل بن حسنة بجيشه، وكان بأرض بصرى، ومعاذ بن جبل بجيشه، وكان بحوران، ويزيد بن أبي سفيان، وكان بالبلقاء، والنعمان بن المغيرة وكان بأرض أركه وتدمر، وعمرو بن العاص، وكان بفلسطين. تجمّع هؤلاء تحت إمرة خالد سيف اللَّه ـ رضي اللَّه عنه ـ.

قال ابن إسحاق: «وكان على الروم رجل منهم يُقال له: القُبقلار استخلفه هرقل على أمراء الشام، وإليه انصرف تذراق بمن معه من الروم، فأما علماء الشام فيزعمون أنما كان على الروم تذراق واللَّه أعلم»[1].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤١٧).

وكان عـدة الجيش الرومي بما انضم إلـيه من جمـوع أهل فلسطين والأعراب الموالين للـروم تزيد عن مائة ألف. وعدة الجـيش المسلم ثلاثة وثلاثين ألفًا.

▫ قال ابن إسحاق: «لما تدانى العسكران بعث القُبقُلار رجلاً عـربيًّا من قضاعـة، من تزيد بن حيدان يقال له ابن هـزارف، فقال: ادخل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يومًـا وليلة، ثم ائتني بخبرهم فدخل في الناس - رجل عربي لا يُنكر فأقام فيـهم يومًا وليلة، ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبـان وبالنهار فرسان، ولو سـرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُجِم لإقامة الحق فيهم.

فقـال له القبقلار: لئن كنت صـدقتني لبطن الأرض خيـر من لقاء هؤلاء على ظهرها. ولوددت أن حظي من اللَّه أن يُخلّى بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم عليّ»[1].

▫ ويوم المعركة خرج خالد بن الوليد فـصفّ قواته فجعل أبا عبيدة ابن الجراح على المشـاة في القلب، وجعل مـعاذ بن جبل عـلى الميمنة، وجعل سعيـد بن عامر بن حذيم القرشي على الميسـرة، وبعث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل على الخيل.

للَّه درّ هؤلاء الميامين الذي قادوا أول مـعركة على ثرى فلسطين.. وشرفت بهم:

خالد الذي يعظم ويربو عند القتـال، خالد الذي لا يملأ صدره من الروم شيء كـجرأته وشـدته ونجدته، وأبـو عبـيدة أمين الأمـة في قلب

---

(١) «الطريق إلى دمشق - فتح بلاد الشام -» لأحمد عادل كمال ص(٢٧٢).

الجيش، وأعلم الأمة بالحلال والحرام معاذ على الميمنة، وسعيد بن عامر الزاهد الورع على الميسرة، والمبشَّر بالجنة سعيد بن زيد على الخيل، أو هاشم بن عتبة قاتل الأسود على الميسرة.

❑ وأقبل خالد ـ رضي اللَّه عنه ـ يسير خلال صفوف المسلمين لا يستقر في مكان واحد، يحرّض جنده ويحمّسهم. وأقام نساء المسلمين خلف الجيش يبتهلن إلى اللَّه ويدعونه ويستغثنه، وكلما مرّ بهن رجل من المسلمين دفعن إليه أولادهن، وقلن له: «قاتلوا دون أولادكم ونسائكم»، كما أمرهن خالد أن يَحْتَرِمْن أي يحرّمن على الرجال ما كان مباحًا لهن معهن فهم الآن في معركة وعدوهم قد صفّ لهم صفوفه.

❑ وأقبل خالد ـ رضي اللَّه عنه ـ يقف على كل قبيلة وكل جماعة ويقول: «اتقوا اللَّه عباد اللَّه، قاتلوا في اللَّه من كفر باللَّه، ولا تنكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا من عدوكم، ولكن أقدموا كإقدام الأُسْد وأنتم أحرار كرام. فقد أبيتم الدنيا واستوجبتم على اللَّه ثواب الآخرة. ولا يهلوكم ما ترون من كثرتهم، فإن اللَّه منزل عليهم رجزه وعقابه». ثم قال: «أيها الناس إذا أنا حملت فاحملوا»، وكان خالد أول من حمل على صفوف الروم.

وقام الصحابي الجليل معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قائد الميمنة في أصحابه فقال: «يا معشر المسلمين اشروا أنفسكم اليوم للَّه، فإنكم إن هزمتموهم اليوم كانت لكم هذه البلاد دار الإسلام أبدًا مع رضوان اللَّه والثواب العظيم من اللَّه».

وكان من رأي خالد ـ رضي اللَّه عنه ـ أن يُؤخر القتال حتى يصلوا الظهر وتهب الرياح، وهي الساعة التي كان رسول اللَّه ﷺ يستحب

القتال فيها. ولو وقف موقف الدفاع حتى تحين هذه الساعة.

وأعجبت الروم كثرتهم فبدأوا الهجوم على الميمنة حيث كان معاذ ابن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ فصمد المسلمون ولم يتزحزح أحد، فعادوا فشنّوا هجومًا آخر على الميسرة حيث كان سعيد بن عامر فصمد لهم المسلمون أيضًا... فرمى الروم المسلمين بالنشاب وخالد ـ رضي اللَّه عنه ـ لا يريد أن يهاجمهم حتى ناداه سعيد بن زيد، وكان من أشد الناس، وهو قائد سلاح الفرسان يومئذٍ، فصاح بخالد قائلاً: «عَلام نستهدف لهؤلاء الأعلاج وقد رشقونا بالنشاب حتى شمست[1] الخيل؟».

فأقبل خالد ـ رضي اللَّه عنه ـ إلى خيل المسلمين، وقال لهم: «احملوا ـ رحمكم اللَّه ـ على اسم اللَّه»، وحمل خالد على الروم وحمل المسلمون معه بأجمعهم على طول الصف، فقد سئموا الوقوف، وكانت معنوياتهم مرتفعة وصبروا مختارين لهجوم الروم عليهم مرتين... على ميمنتهم مرة، ثم على ميسرتهم، ثم صبروا لرشق نبالهم، والآن صدر الأمر فانطلق الجيش المتحمِّس المكبوت فما صبر الروم لهم فَوَاقًا[2] على حد تعبير الرواة، وانهزموا هزيمة شديدة وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا وأصابوا معسكرهم وما حوى.

وفي رواية الطبري عن ابن إسحاق: «... فلما رأى القبقلار [قائد الروم] ما رأى من قتال المسلمين قال للروم: لفّوا رأسي بثوب. قالوا: لِمَ؟ قال: يوم البئيس لا أحب أن أراه ما رأيت في الدنيا يومًا أشدّ من

(١) شمست الخيل: امتنعت ظهورها عن الركوب.

(٢) الفواق ما بين الحلبتين من الوقت. وقيل ما بين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع، والمراد: الزمن القصير.

هذا. فاحتز المسلمون رأسه، وإنه لملفف». وانتهى خبر الهزيمة إلى هرقل فنُخِب في قلبه، وأسقط في يده وملئ رعبًا.

سلوا قبقلار الروم لِم لَفّ وجهه وحزّله الأحناف رأسًا تندّرُ

وكتب خالد إلى أبي بكر:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد اللَّه أبي بكر خليفة رسول اللَّه ﷺ من خالد بن الوليد سيف اللَّه المصبوب على المشركين.

أما بعد:

سلام عليك، فإني أحمد إليك اللَّه الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإني أخبرك أيها الصدّيق أنا التقينا نحن والمشركون، وقد جمعوا لنا جموعًا جمّة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صُلُبَهم ونشروا كتبهم وتقاسموا باللَّه لا يفرّون حتى يفنون، أو يخرجونا من بلادهم. فخرجنا إليهم واثقين باللَّه متوكلين على اللَّه، فطاعنّاهم بالرماح، ثم صرنا إلى السيوف، فقارعناهم في كل فجّ وشِعْب وغائط. فأحمد اللَّه على إعزاز دينه، وإذلال عدوّه وحسن الصنع لأوليائه. والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته».

ولما قرأ الكتاب أبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ فرح به وأعجبه، وقال: «الحمد للَّه الذي نصر المسلمين وأقرّ عيني بذلك».

* فتح غزة على يد عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنه ـ أيام الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ:

وتمخّضت ملاحم النصر عن فتح عدة مدن بفلسطين منها نابلس وعسقلان والرملة وعكا واللد.

وفتح عمرو بن العاص مدنًا أخرى منها يافا ورفح.

«وجاء في فتوح البلدان أن عمرو بن العاص قد فتح غزة في عهد أبي بكر»[١].

«وبهذا مهّدت الجيوش الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ الطريق للزحف نحو بيت المقدس»[٢].

[وتم لعمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنه ـ فتح كل مدن فلسطين وأشهرها غزة، و«سبسطية» و«نابلس»، و«اللدّ» و«يبنى» و«عمواس» و«بيت جبرين» و«يافا» و«رفح»][٣].

ولم تبق هناك إلا «قيسارية» فتحها معاوية كما سيأتي.

(١) «الطريق إلى دمشق» ص(٥١٥).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(٨٤ ـ ٨٥).

(٣) «عمرو بن العاص» لبسام العسلي ص(٣٥ ـ ٣٦) ـ دار النفائس.

في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

* «بينما أرطبون الروم يأرطبون العرب» . . .

فتح عمرو . . لله در عمرو :

حادثة أرطبون الروم مع عمرو ذكر الرواة أنها كانت في أجنادين . . . وممن ذهب إلى هذا الأستاذ بسّام العسلي في كتابه «عمرو ابن العاص» ص(٣٢ ـ ٣٣)، وذهب الأستاذ أحمد عادل كمال في كتابه «الطريق إلى دمشق» ص(٥٢٤) إلى أن ذلك في حصار بيت المقدس.

«كان الروم في حصونهم وخنادقهم وعليهم أرطبون، وكان أدهى الروم، وأبعدهم غوراً وأنكاهم فعلاً، وأقام عمرو لا يقدر من أرطبون على سقطة، ولا تشفيه الرسل، فولِي الأمر بنفسه، ودخل على أرطبون كأنه رسول من قبل «عمرو» فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمّل حصونه حتى عرف ما أراد.

وشعر أرطبون بألمعية عمرو، وهو لا يعرفه، فقال في نفسه: إن هذا لعمرو، أو إنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله، ثم دعا واحداً من حرسه وأسرّ إليه بقتله، قال: اخرج فقم مكان كذا وكذا، فإذا مرّ بك فاقتله. وفَطِن عمرو لما يُدبَّرُ له.

قال عمرو: قد سمعت مني وسمعتُ منك، فأمّا ما قلته فقد وقع مني موقعًا، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكانفه[1] ويشهدنا أموره فأرجع فآتيك بهم الآن، فإن رأوا في الذي

---

(١) نكانفه، أي: نعاونه.

عـرضت مثل الذي أرى فـقـد رآه أهل العسـكر والأميـر، وإن لـم يروه رددتهم إلى مأمنهم، وكنت على رأس أمرك. فقال أرطبون: نعم. ودعا رجلاً فأسرّ إليه، وقـال: اذهب إلى فلان فردّه إليّ. فرجع إليه الرجل، وقال لعمرو: انطلق فجئ بأصحابك، فخرج عمرو وقال: لا أعود لمثلها أبدًا. وعلم أرطبون أن عـمرو بن العاص قـد خدعه، فقـال: «خدعني الرجل! هذا أدهى الخلـق». وبلغت عـمـر بن الخطاب، فـقـال: غلبـه عمرو، للَّه عمرو![1].

وعند الطبـري: «قال عمـر: رمينا أرطـبون الروم بأرطبـون العرب فانظروا عما تنفرج».

وكان عمرو كثيرًا ما يردد بعد ذلك: «لا والذي نجّاني من أرطبون».

* من أرطبون إلى عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ:

«ما إن استقرّ أرطبون في «إيلياء» حتى كتب إلى عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ بأجنادين رسالة جاء فيها:

«إنك صديقي ونظيري؛ أنت في قومك مثلي في قومي، ووالله لا تفتـتح من فلسطين شيـئًا بعد أجنادين؛ فـارجع ولا تَغز فتـلقى ما لقي الذين من قبلك من الهزيمة».

❑ وأجابه عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ:

«جـاءني كتـابك، وأنت نظيري ومـثلي في قـومك، لو أخطأتك خـصلة تجاهلت فـضيلتي، وقـد علمت أني صـاحب فتح هذه البـلاد،

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٦٠٥)، و«الطريق إلى دمشق» ص(٥٢٤).

وأستعدي عليك فلانا وفلانًا وفلانًا ـ لوزرائه ـ فأقرئهم كتابي، ولينظروا فيما بيني وبينك»[١] .

* عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ وفلسطين:

بعد مرج الصفر أمر أبو عبيدة عَمْرًا بأن يسير إلى الأردن وفلسطين، وأن يغير على أطراف الرساتيق «القرى» بالخيل ويصالح مَنْ يُصالح، ونهاهُ عن أن يقدم على المدن والحصون والجموع، ولمّا بلغ عمرو أرض الأردن وفلسطين أقام على أهلهما القيامة وضيّق عليهم أشد التضييق، فرعب الروم وأشفقوا على مدائنهم أن تسقط في أيدي المسلمين، فاجتمع مَن كان بها من الروم، ونزلوا من حصونهم، وانضم إليهم كثير من الأهالي ومن نصارى العرب فكثر جمعهم، وكتبوا إلى هرقل وهو بأنطاكية يطلبون منه المدد، فبعث إلى ذلك الجيش العشرة آلاف الذين ببعلبك أن يسيروا إليه».

وكتب عمرو بن العاص إلى أبي عُبيدة:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم

أما بعد:

فإن الروم قد أعظمت فتح دمشق واجتمعوا من نواحي الأردن وفلسطين فتكاتبوا وتواثقوا وتعاهدوا ألا يرجعوا إلى النساء والأولاد حتى يخرجوا العرب من بلادهم، واللَّه مكذب قولهم وأملهم ولن يجعل اللَّه للكافرين على المؤمنين سبيلاً. فاكتب إليّ برأيك في هذا الحدث، أرشد اللَّه أمرك وسدّدك وأدام رشدك، والسلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته».

(١) «سلسلة مشاهير قادة الإسلام ـ عمرو بن العاص ـ» لبسام العسلي ص(٣٤).

فأرسل إليه أبو عبيدة مدداً من ٢٨٠٠ رجل فصارت عدة جيش المسلمين ٥٣٠٠ عليهم عمرو بن العاص.

ولما نفر الروم إلى المسلمين برًّا وبحرًا، وجيّش هرقل جيوشه من أنطاكية قُبيل موقعة اليرموك بقليل جرّأ ذلك أهل إيلياء والأردن على عمرو وعلى من قِبله من المسلمين، وتراسلوا وتواثقوا وتعاقدوا ليسيرون إلى عمرو، فقام عمرو في جيشه، وقال: «لا يبقين رجل من أهل عهدنا إلا وتهيأ واستعد حتى يسير معي إلى أهل إيلياء؛ فإني أريد المسير إليهم والنزول بساحتهم، ثم لا أزايلهم[1] حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون».

وأسقط في أيدي أهل إيلياء وكانوا من ذلك في هول شديد.

* **إنذار من عمرو إلى أهل إيلياء: ... لله در عمرو:**

أرسل عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء. سلام على من اتبع الهدى وآمن باللّه العظيم الذي لا إله إلا هو، ومحمد ﷺ، أما بعد فإنا نثني على ربنا خيرًا، ونحمده حمدًا كثيرًا كما رحمنا بنبيه، وشرّفنا برسالته وأكرمنا بدينه، وأعزّنا بطاعته، وأكرمنا بتوحيده والإخلاص بمعرفته، فلسنا ـ والحمد للّه ـ نجعل له ندًّا ولا نتخذ من دونه إلهًا، لقد قلنا إذن شططًا، سبحانه وبحمده جلّ ثناؤه.

والحمد للّه الذي جعلكم شيعًا، وجعلكم في دينكم أحزابًا بكفركم

(١) أي: لا أفارقهم.

بربكم فكل حزب بما لديهم فرحون، فمنكم من يزعم أن للَّه ولدًا، ومنكم من يزعم أن اللَّه ثاني اثنين، ومنكم من يزعم أن اللَّه ثالث ثلاثة فبُعدًا لمن أشرك باللَّه وسُحقًا، وتعالى اللَّه عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا. والحمد للَّه الذي قتل بطارقتكم، وسلب عزكم، وطرد من هذه البلاد ملوككم، وأورثنا أرضكم وديياركم وأموالكم وأذلكم بكفركم باللَّه وترككم ما دعوناكم إليه من الإيمان باللَّه ورسوله، فأعقبكم اللَّه الجوع والخوف والذل بما كنتم تصنعون. فإذا أتاكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا، وإلا فأقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتابًا أمانًا على دمائكم وأموالكم وأعقد لكم عقدًا تُؤدن إليّ الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإلا فواللَّه الذي لا إله إلا هو لأرمينكم بالخيل بعد الخيل وبالرجال بعد الرجال، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل المقاتلة وأسبي الذرية، وتكونون كأمّة كانت فأصبحت كأنها لم تكن»[1].

وهذه لهجة شديدة من عمرو لقوم نقضوا عهودهم، أو هم على وشك الانتقاض، وعلى الطريق إليه جيش لم تجمع الروم مثله من قبل.

وأعطى عمرو الكتاب إلى رجل نصراني على دينهم، وقال له: عجّل عليّ فإني إنما أنتظرك. وقدم عليهم الرجل فقالوا له: ويحك، ما وراءك؟

قال: لا أدري إلا أن الرجل قد بعثني إليكم بهذا الكتاب، وقد وجّه عسكره نحوكم. وقال ما يمنعني من المسير إليهم إلا انتظاري رجوعك.

قالوا له: أنظرنا[2] ساعة من النهار، فإنا ننتظر عيونًا لنا تقدم علينا

---

(١) «الأزدي» ص(١٦٥).

(٢) أي: أجِّلنا.

من قِبل أميـر العرب الذي بدمشق، ومن قِبل جند المـلك الذي قد أقبل إلينا فننظر ما تأتينـا به، فإن ظننا أن لنا بالعرب قوة لم نصـالحهم، وإن خشينا ألا نقـوى عليهم صنعنا ما صنع أهل الأردن وغيـرهم، فما نحن إلا كغيرنا من أهل الشام.

فأقام الرجل حتى أمسى، وجـاءتهم الأخبار بقدوم باهان في جيش هرقل يقود ثلاثمائة ألف مقاتل لقتال المسلمين، فتباشر أهل إيلياء بذلك، وسرّوا به، ودعـوا العلج الذي بعث به عـمرو بن العاص فـبعـثوا مـعه برسالة إلى عمـرو: «أما بعد، فإنك كـتبت إلينا كتابًا تزكي فـيه نفسك وتعيب ما نحن عليه، والقول بالباطل لا ينفع به أحد نفسه، ولا يضرّ به عـدوه، وقـد فـهمنـا ما دعـوتنا إلـيه، وهؤلاء مـلوكنا وأهل ديننا قـد جاءوكم، فـإن أظهرهم اللَّه عليكم فذلـك بلاؤه عندنا في القديم، وإن ابتلانا بظهوركم علينـا فلعمري لنقرنّ لكم بالصغـار، وما نحن إلا كمن ظهرتم عليهم من إخواننا، ثم دانوا لكم فأعطوكم ما سألتم»[1].

□ «وكتب عمـرو إلى عمر يستمده، ويقـول له: «إني أعالج حربًا كؤدًا صـدومًا، وبلادًا ادُّخـرت لك، فرأيك». فلما وصـل الكتاب إلى عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ علم أن عمـرًا لم يقل ذلك إلا لأمرٍ علمه، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس»[2].

* حصار أمين هذه الأمة ومعه أرطبون العرب لبيت المقدس:

لما فرغ أبو عبيدة من دمـشق كتب إلى أهل إيلياء يدعوهم إلى اللَّه

(١) «الطريق إلى دمشق» بتصرف ص(٤٢٣).
(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٦).

وإلى الإسلام، أو يبذلون الجزية، أو يؤذنون بحرب. فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه، وحاصر عمرو بن العاص بيت المقدس، وفرغ أبو عبيدة ابن الجرّاح من تطهير شمال الشام، فولّى عبادة بن الصامت حمص، وسار بجيشه، وحاصر بيت المقدس وضيّق عليهم، وكان أهل بيت المقدس قد طال حصارهم الذي استمر أربعة أشهر، وأدركوا أن لا مفرّ من التسليم، فطلبوا من أبي عبيدة أن يصالحهم على مثل صُلح مدن الشام، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ـ رضي اللَّه عنه ـ.

* عَوْدٌ على بدء...

وتفصيل لما كان من أمر أبي عبيدة وحصاره للقدس:

وحدثتني عنهم فزدتني جوًى... وهل يُمَلّ حديثهم.. واللَّه إنه لبرءُ أسقامنا ودواء أوصابنا...

كتب أبو عبيدة أمين الأمة إلى أهل إيلياء:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم

من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيليا وسكانها.

سلام على من اتبع الهدى وآمن باللَّه تعالى ورسوله.

أما بعد:

فإني أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن اللَّه يبعث من في القبور. فإن شهدتم بذلك حُرِّمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخوانا. وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أنتم أبيتم سرتُ إليكم بقوم هم أشد حبًّا للموت منكم لشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير،

ثم لا أرجع عنكم إن شاء اللّه أبدًا حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم».

ثم إن أبا عبيدة بن الجراح انتظر أهل إيليا فأبوا أن يأتوه وأن يصالحوه[١]، وعندها حشد القائد أبو عبيدة (٣٥) ألفًا بإمرة سبعة قوّاد إلى بيت المقدس.

- فالراية الأولى لخالد بن الوليد على خمسة آلاف فارس من خيل الزحف في اليوم الأول.
- ثم في اليوم التالي الراية الثانية ليزيد بن أبي سفيان على خمسة آلاف وأمره أن يلحق بخالد.
- ثم في اليوم الثالث الراية الثالثة لشرحبيل بن حسنة، على خمسة آلاف فارس من أهل اليمن. وأمره بألاّ يختلط بعسكر من تقدمه.
- الراية الرابعة للمرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، على خمسة آلاف مع جمع من المسلمين.
- والراية الخامسة للمسيب بن نجيّة الفزاري على خمسة آلاف فارس، ثم في اليوم السادس كانت الراية لقيس بن هبيرة المرادي على خمسة آلاف فارس. وفي اليوم السابع كانت الراية السابعة لعروة بن مهلهل بن زيد الخيل على خمسة آلاف.

وصحبت النساء هذا الجيش وساروا إلى طبريا فالناصرة فنابلس فالقدس في مسافة بلغت ٣١٠ كيلو متر.

ولما حاصرت الجيوش المدينة امتلأ الجوّ بالتهليل والتكبير، ومضت

(١) «إتحاف الأخصّا بفضائل الأقصى» لأبي عبد اللّه المنهاجي السيوطي (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) مكتبة ابن الجوزي.

ثلاثة أيام على الحصار ولم يخرج أحد من الروم يفاوض العرب، وظهر للعرب أن الروم مهتمون بتحصين الأسوار من الداخل ونصب المنجنيقات عليها.

وفي اليوم الرابع قال فارس لشرحبيل: كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون، أو بكم فلا ينطقون، أو عمي فلا يبصرون.

وفي فجر اليوم الخامس كان أول من ركب من الأمراء لسؤال أهل «إيليا» يزيد بن أبي سفيان فدنا من السور ومعه ترجمان، وجرى أول اتصال بين العرب والروم قبل أن يطلق أي سهم، وعُرضت مبادئ الإسلام في المفاوضات: الإسلام، أو الصلح، أو القتال. فرفض الروم الشروط فرجع يزيد إلى الأمراء بالجواب. فقالوا: إذن القتال، فمنعهم منه؛ لأن أبا عبيدة لم يأذن لهم فيه إلا بعد أن يُراجع، فكتبوا إليه فأجابهم بمباشرة القتال، وأنه قادم عليهم.

فأول من برز للقتال شرحبيل بن حسنة ورجال اليمن، ثم اقتحم كل جيش الأسوار من الناحية التي هو عليها وفق تعليمات أبي عبيدة.

ونقل الواقدي[1] أخبار من شهدوا الفتح فقالوا إن النشاب كان كالجراد واستمر هذا حتى الغروب ولكن على غير طائل، وفي الليل أوقدت النيران العظيمة. واستؤنف القتال في اليوم التالي ولا نتيجة، وهكذا حتى اليوم الحادي عشر. فأشرقت على العرب راية أبي عبيدة يحملها غلامه سالم، ومعه عبد الرحمن بن أبي بكر والنساء.

---

(١) الواقدي: إمام المغازي كما قال الشافعي، وإن كان ضعيفًا عند المحدثين. وأصله من القدس.

وكان لوصول أبي عبيدة ضجّة بلغت داخل الأسوار فعلم الروم أن أمير الجيش قد حضر. ووقع الرعب في قلوب الروم، وذهبوا إلى البطريرك فأخبروه بمقدم أمير القوم.

قال الواقدي:

قال البطريرك: «وحق الإنجيل إن كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم والسلام.

قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض هو الرجل الأسمر الأحور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد، فإن كان قدم فلا سبيل لقتاله، ولا طاقة لكم بنزاله، ولا بد لي أن أشرف عليه، وأنظر إليه، وإلى صورته، فإن كان إياه عمدت إلى مصالحته، وأجبته إلى ما يريد، وإن كان غيره فلا نسلّم إليه قط، لأن مدينتنا لا تُفتح إلا على يد من ذكرته لكم والسلام»[١].

فوثب البطريرك ومن معه من القساوسة والرهبان، ليتحققوا من شخصية الأمير، فعرفوا أنه ليس عمر، وقال لبني قومه: «ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم»[٢] وأقبلوا فقاتلوا قتالاً شديداً، واستمر النزال والحصار لهذه المدينة المقدسة أربعة أشهر، وقد أظهر المسلمون بطولة وشجاعة نادرتين، فقاتلوا قتالاً شديداً، وصبروا على البرد القارس والثلج والمطر.

ويروي الواقدي مثالاً من استبسال المسلمين وهو أن ضرار بن

(١) فتوح الشام للواقدي (١/ ٢١٦).
(٢) المرجع السابق.

الأزور أراد أن يرمي بطريقًا واقفا على السور وقد ظفر بذلك.

وكان عوف بن مهلهل ينظر إلى ضرار وهو يحاول مراده. قال عوف: فنظرت إلى ضرار وقد قصد نحو البطريق يختفي ويستتر إلى أن قرب من البرج الذي عليه البطريق، ثم أطلق عليه نبلة، فنظرت إلى النبلة مع علو هذا الجدار، فقلت: وما تصنع مع هذا العلوّ وما الذي تصنع وعلى البطريق هذه اللاّمة[1]

فأقسم باللَّه لقد وقعت في [illegible] إلى أسفل البرج فسمعت للقوم ضجّة وجولة هائلة فعلمت [illegible]

ولما رأى الروم حالهم تضعف ولا مدد يأتيهم من الخارج طلبوا من البطريرك مفاوضة العرب ابتغاء الفرج، فأجاب البطريرك إلى ذلك، فاشتمل بلباسه وصعد السور وحوله الرهبان والقسوس وكلهم بمظهر مهيب.

وقال البطريرك: «ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة، ومن قصدها يوشك أن يغضب اللَّه عليه ويهلكه».

فقال أبو عبيدة: «نعم إنها شريفة، وفيها أسري بنبينا ﷺ إلى السماء ودنا كقاب قوسين أو أدنى، وإنها معدن الأنبياء وقبورهم فيها، ونحن أحق منكم بها، ولا نزال عليها، أو يملّكنا اللَّه إياها، كما ملكنا غيرها».

قال البطريرك: فما الذي تريدون منا؟

وتقدّم أبو عبيدة فعرض الشروط الثلاثة: فكانت النتيجة كأول مرة، وكان آخر جواب البطريرك: «إنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة ما

(١) درع الحرب.

فتحتم هذه البلدة»، واتسعت المفاوضات، ولما رأوا إصرار المسلمين على القتال وعزمهم الأكيد على فتح المدينة أذعنوا للصلح وتسليم المدينة، ولكنهم اشترطوا ألاّ يُسلّموها إلا لصاحب محمد عمر، فوافقهم أبو عبيدة[1].

وكتب أبو عبيدة ـ رضي اللَّه عنه ـ إلى عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد اللَّه عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ من أبي عبيدة بن الجراح.

سلام عليك.

فإني أحمد اللَّه تعالى إليك الذي لا إله إلا هو.

أما بعد:

فإنا أقمنا على أهل إيليا وظنوا أن لهم في مطاولتهم فرجًا فلم يزدهم اللَّه إلا ضيقًا ونقصًا وهزلاً وذلاً، فلما رأوا ذلك سألوا أن يقدم أمير المؤمنين فيكون هو الموثق لهم والمكاتب فخشينا أن يقدم أمير المؤمنين فيغدر القوم، ويرجعوا فيكون سيرك أصلحك اللَّه عناء وفضلاً، فأخذنا عليهم المواثيق المغلّظة بأيمانهم ليقبلنّ وليؤدن الجزية وليدخلنّ فيما دخل فيه أهل الذمة ففعلوا، فإن رأيت أمرك. والسلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته».

فلما قدم الكتاب على عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ دعا رؤساء المسلمين

---

(١) انظر كتاب «القدس تناديكم» للمقدم الركن أحمد عبد ربه بصبوص ص(١٣٦ ـ ١٣٩) ـ دار البشير، وكتاب «بيت المقدس وما حوله» للدكتور محمد عثمان بشير ص(٦٤ ـ ٦٥) مكتبة الفلاح.

إليه وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة ـ رضي اللَّه عنه ـ واستشارهم في الذي كتب إليه، فقال له عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ: «إن اللَّه تعالى قد أذلّهم وحصرهم، وضيّق عليهم، وهم في كل يوم يزدادون نقصًا وهزلاً وضيقًا ورعبًا، فإن أنت أقمت، ولم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخفًّا، ولشأنهم حاقرًا غير معظم فلا يلبثون إلا قليلاً حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية. فقال عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ: ماذا ترون، عند أحدكم رأى غير هذا الرأى؟

فقال علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ: نعم عندي غير هذا الرأي، قال: ما هو؟ قال: إنهم قد سألوا المنزلة التي فيها الذل لهم والصغار، وهو على المسلمين فتح ولهم فيه عز يعطونكها الآن في العاجل في عافية، وليس بينك وبين ذلك إلا أن تقدم عليهم ذلك في القدوم عليهم الأجر في كل ظماء ومخمصة، وفي كل واد وفي كل نفقة حتى تقدم عليهم، فإذا أنت قدمت عليهم كان الأمن والعافية والصلاح والفتح، ولست آمن إن يئسوا من قبولك الصلح منهم أن يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدو لنا أو يأتيهم منهم مدد فيدخل على المسلمين بلاء، ويطول بهم حصار فيصيب المسلمين من الجهد والجزع ما يصيبهم، ولعلّ المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقونهم بالنشاب ويقذفونهم بالمناجيق، فإن أصيب بعض المسلمين تمنّيتم أنكم افتديتم قتل رجل واحد من المسلمين بمسيرك إلى منقطع التراب وكان لذلك المسلم من إخوانه أهلاً.

فقال عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ: قد أحسن عثمان النظر في مكيدة العدو، وأحسن عليّ النظر لأهل الإسلام فجزاهما اللَّه خيرًا ولست آخذ إلا بمشورة علي، سيروا على اسم اللَّه فإني ساير واستخلف على المدينة

علي بن أبي طالب[١].

وخرج عمر على بعير أحمر وعليه غرارتان في أحدهما سويق، وفي الآخر تمر، وبين يديه قربة ماء وخلفه جفنة للزاد[٢]، ومعه خادمه أسلم والعباس بن عبد المطلب، ولما أطلّ عمر على جبل المكبِّر كبّر، وخرج أبو عبيدة والأمراء لاستقبال الخليفة، وضُربت له خيمة من شعر وهذا ما أكّدته رواية الواقدي، وجلس على التراب ثم قام يصلي، وعلت للمسلمين ضجّة عظيمة بالتهليل والتكبير، فسمع أهل بيت المقدس الضجّة والجلبة.

ثم بعد ذلك قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ لأبي عبيدة: يا عامر، تقدّم إلى القوم وأعلمهم أني قد أتيت». فتقدم أبو عبيدة من السور وصاح بهم:

«إن صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد؛ فماذا تصنعون فيما قلتم؟».

بعد ذلك خرج البطريرك وعليه المسوح وبين يديه الصليب والأساقفة والرهبان، والصليب لا يُخرجونه إلا في عيدهم.

فتقدم أبو عبيدة فقال له البطريرك: «ما تشاء أيها الشيح الباهي؟».

فقال أبو عبيدة: «هذا أمير المؤمنين عمر ليس عليه أمير قد أتى، فاخرجوا إليه واعقدوا معه الأمان والذمة وأداء الجزية»، فقال البطريرك: إن كان صاحبك الذي ليس عليه أمير قد أتى فدعْه يدنو منا ـ وأفردوه من بينكم ليقف بإزائنا حتى نراه.

---

(١) «إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى» (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

(٢) الواقدي: «كتاب فتوح الشام».

فَهمّ عمر بالقيام، فقال له أصحابه: «تخرج إليهم منفردًا وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة؟ وإنا نخشى عليك منهم غدرًا ومكرًا»، فقال عمر: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ثم أمر ببعيره، فاستوى عليه، وعلى رأسه عباءة قطوانية[١] وقد عبّ بها رأسه، وليس معه غير أبي عبيدة يسير بين يديه حتى قرب من السور ووقف بإزاء البطريرك والبطارقة.

ثم قام البطريرك يمسح عينيه، ونادى بأعلى صوته: انزلوا اعقدوا معه الأمان، هو صاحب محمد، ففتحت الأبواب ودخل عمر والأمراء إيلياء».

دخل عمر القدس يوم ٢٥ ربيع أول عام ١٥هـ، ودخلت من ورائه الجيوش الإسلامية ورياتهم فوق الرؤوس»[٢].

نعم.. نعم.. يسير الفاروق لفتح القدس.. ولو إلى آخر البسيطة.

نعم أمشي إليك على جفوني ولو بعدت لمسراك الطريق

يسير في هذا الموكب الخالد: بعيره، وجفنته، وتمره، وقربة مائه، وخادمه أسلم يتعاقب معه ركوب الدابة، ولكنه يجرّ خلفه أمجاد النصر على فارس، واليرموك وفتح دمشق وحمص وأنطاكية واللاذقية وبعلبك وطبرية وبيسان وسبسطية ونابلس وأجنادين وغزة ورفح.

يعلّم الدنيا دروسًا وعظات لا تأتي إلا من مثل عمر الزاهد، وأبي عبيدة الأمين.

---

(١) نسبة إلى مكان قرب الكوفة مشهورة بصنع الأكسية.

(٢) «القدس تناديكم» للمقدم الركن أحمد عبد ربه بصبوص ص(١٤١ ـ ١٤٢).

صفحات مجد في الخلود سطورها أضاء الزمان بها بغير جدال

* القدس تُسلَّم للأمين الزاهد، ويُضيّعها الخونة المترفون:

وهكذا سلّمت القدس للأمين.. أمينُ هذه الأمة.. ولا تُسلَّم أبدًا أمرها إلا لأمين يسير على درب أبي عبيدة. يفتحها الأمناء، ويضيّعها ويفرّط فيها الخونة.

سلّمت القدس للزاهد أبي عبيدة ـ رضي اللَّه عنه ـ الذي لا يكترث بمتاع الدنيا.

أرسل إليه عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار، وقال لرسوله: «انظر ما يصنع» فقسّمها أبو عبيدة، فلما أخبر عمر رسولهُ بما صنع أبو عبيدة بالمال، قال: «الحمد للَّه الذي جعل في الإسلام مَن يصنع هذا!!»[١].

ولما قدم عمر الشام، تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: «أين أخي؟». فقالوا: مَنْ؟ قال: «أبو عبيدة»، قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلّم عليه، فقال عمر للناس: «انصرفوا عنا»!، وسار مع أبي عبيدة حتى منزله فنزل عليه، فلمْ يرَ في بيته إلا سيفه وترسه، فقال عمر: «لو اتخذت متاعًا» ـ أو قال شيئًا ـ فقال أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين، إن هذا سيُبلغنا المقيل»[٢].

وفي رواية أن عمر قال: «اذهب بنا إلى منزلك يا أبا عُبيدة»، فقال له: «وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٤١٣).

(٢) «الإصابة» (٤/ ١٢)، و«أسد الغابة» (٣/ ٨٦).

عليّ!». ودخل عمر فلم ير في البيت شيئًا، فقال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدًا، وصحفة، وشنًّا وأنت أمير!، أعندك طعام؟ فقام أبو عُبيدة إلى جونة[1] فأخذ منها كُسَيْرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قلت لك: إنك ستعصر عينيك عليّ يا أمير المؤمنين! يكفيك من الزاد ما بلَّغك المحل!! فقال عمر: «غيّرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عُبيْدة»!

وضيّعها المترفون الذين أثروا على حساب القدس.. أصحاب السيجار، وكازينو القمار، والقصور في الريف الإنجليزي وشواطئ الريفيرا.. وسل أول وزارة فلسطينية كم سرقت واختلست.

▫ ضيّعها الخونة الذين بدّلوا الراية.. من إسلامية إلى علمانية.. فهانت القدس في أعين الغوغاء والدهماء.

مَن باعنا خبّروني كلهم صمتوا
والأرض أضحتْ مزاداً للمرابينا

* فتح بيت المقدس على يد الفاروق عمر - رضي الله عنه -:

في سنة خمس عشرة ذكر أبو جعفر بن جرير أن أبا عبيدة حاصر بيت المقدس وضيّق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب ليكون أحقر لهم، وأرغم لأنوفهم. وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم، فهوى ما قال عليّ، ولم يهوَ ما

(١) القربة الخَلِق.

قال عثمان.

وسار بالجيوش نحوهم، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وسار بالعباس بن عبد المطلب على مقدمته، فلما وصل إلى الشام تلقّاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، فترجّل أبو عبيدة وترجّل عمر، فأشار أبو عبيدة ليقبّل يد عمر فَهمّ عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة، فكفّ أبو عبيدة فكفّ عمر. ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول اللّه ﷺ ليلة الإسراء.

ويُقال: إنه لبّى حين دخل بيت المقدس فصلّى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال: ضاهيت اليهودية. ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس، وهو العمري اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخّر أهل الأردن في نقل بقيتها، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة؛ لأنها قبلة اليهود، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها في داخل الحوز لتلقى في الصخرة، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب، فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلأجل ذلك سمى ذلك الموضع القمامة، وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك.

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي، وهو بإيلياء وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود قال لهم: إنكم لخليق أن تُقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قُتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا، ثم أُمِروا بإزالتها فشرعوا في ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب»[١].

□ وذكر ابن جرير: «أن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ركب من المدينة على فرس ليُسرع السير بعد ما استخلف عليها علي بن أبي طالب، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها، وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها: «أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تُكْفَوْا أمر دنياكم، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أبٌ حي، ولا بينه وبين اللَّه هوادة[٢]، فمن أرادَ لَحْب[٣] وجه الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، ولا يخلون أحدكم بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن».

ثم صالح عمر أهل الجابية، ورحل إلى بيت المقدس، وقد كتب إلى أمراء الأجناد أن يُوافوه في اليوم الفلاني إلى الجابية، فتوافوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيدة، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج، فسار إليهم عمر ليحصبهم[٤] فاعتذروا إليه بأن عليهم

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٦ ـ ٥٧).

(٢) هوادة: اللِّين وما يرجى به الصلاح.

(٣) لَحْب: طريق.

(٤) يحصبهم، أي: يبعدهم ويقصيهم.

السلاح، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم، فسكت عنهم واجتمع الأمراء كلهم بعدما استخلفوا على أعمالهم، سوى عمرو بن العاص وشرحبيل، فإنهما مواقفان الأرطبون بأجنادين، فبينما عمر في الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم السيوف مسللة، فسار إليهم المسلمون بالسلاح.

فقال عمر: إن هؤلاء قوم يستأمنون، فساروا نحوهم؛ فإذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المومنين حين سمعوا بقدومه، فأجابهم عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ إلى ما سألوا، وكتب لهم كتاب أمان ومصالحة، وضرب عليهم الجزية، واشترط عليهم شروطًا ذكرها ابن جرير، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وهو كاتب الكتاب، وذلك في سنة خمسة عشر. ثم كتب لأهل لدٍّ وَمَن هنالك من الناس كتابًا آخر، وضرب عليهم الجزية، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء، وفرّ الأرطبون إلى بلاد مصر، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص...

ولما صالح أهل الرملة وتلك البلاد، أقبل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة حتى قدما الجابية فوجدا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راكبًا، فلما اقتربا منه أكبّا على ركبتيه فقبّلاها واعتنقهما عمر معًا ـ رضي اللَّه عنهم ـ.

قال سيف: ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية وقد توحّى[1]

---

(١) توحّى: أسرع.

فرسه فأتوه ببرذون[١] فركبه فجعل يهملج[٢] به، فنزل عنه وضرب وجهه وقال: لا علّم اللّه من علّمك، هذا من الخيلاء، ثم لم يركب برذونًا قبله ولا بعده، ففُتحت إيلياء وأرضها على يديه ما خلا أجنادين فعلى يد عمرو، وقيسارية فعلى يدي معاوية. هذا سياق سيف ابن عمر، وقد خالفه غيره من أئمة السير، فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة»[٣].

❑ لما فتح عمر بيت المقدس وتحقّق موضع الصخرة، أمر بإزالة ما عليها من الكناسة؛ حتى قيل: إنه كنسها بردائه.

❑ وعند أحمد: «تقدم إلى القبلة فصلّى، ثم جاء فبسط رداءه، وكنس الكناسة في ردائه، وكنس الناس»[٤].

❑ قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٦١): «عن أبي الغالية الشامي قال: «قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جمل أورق، تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحل بلا ركاب، وطاؤه كساء أنبجاني ذو صوف، هو وطاؤه إذا ركب، وفراشه إذا نزل، حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفًا، هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل، وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرّق جنبه. فقال: ادعوا لي رأس القوم، فدعوا له الجلوموس، فقال: اغسلوا قميصي وخيّطوه وأعيروني ثوبًا أو قميصًا. فأُتي بقميص

(١) برذون: دابة.

(٢) يهملج به: يتبختر به.

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٨).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٩). قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد.

كتـان فقال: مـا هذا؟ قالوا: كتـان. قال: وما الـكتّان؟ فأخـبروه فنزع قميـصه فغسل ورُقِّع وأُتي بـه، فنزع قميصهـم ولبس قميصـه. فقال له الجلومس: أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بهـا الإبل، فلو لبست شيئًـا غير هذا وركبت برذونًا لكان أعظم في أعـين الروم. فقال: «نحن قوم أعزّنا اللَّه بالإسلام فلا نطلب بغـير اللَّه بديلاً». فأُتي ببرذون فطرح عليه قطيـفة بلا سرج ولا رحل فركـبه به، فقال: احـبسوا احبـسوا، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأُتي بجمله فركبه.

وعن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمـر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع مـوقيه فأمسكهـما بيد، وخاض الماء ومعـه بعيره، فقال لـه أبو عبيدة: قـد صنعت اليوم صنيعًا عظيـمًا عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، قـال: فصكّ في صدره وقال: «أَوَلَوْ غيـرك يقولها يا أبا عبـيدة، إنكم كنتم أذلّ الناس، وأحـقر الناس وأقلّ الناس، فـأعزّكم اللَّه بالإسلام فمهما تطلبوا العزّ بغيره يذلكم اللَّه».

□ «دخل عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ القدس عن طريق جبل «المُكبر»[1] الذي سُمِّي بهـذا الاسم؛ لأن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ لـمّـا أشرف على المدينة من فوقه كـبَّر وكبَّر معه المسلمون، وكـان عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ممتطيًا بعيرًا أحمر عليـه غرارتان في أحدهما سويق وفي الآخر تمر، وبين يديه قربـة مملوءة بالماء، وخلفه جـفنة للزاد، وذكر ابن الجـوزي أنه كان يتبادل مع غلام له الركوب على الراحلة، فـعندما بلغ الخليفة سور المدينة كان دور الركوب لغـلامه، فنزل عمر وركب الغـلام وعمر يمسك بخطام

(١) وهو جبل «طورزيتا».

البعير، فلما رآه المحصورون آخذًا بمقود الراحلة وغلامه فوقها أكبروه، وبكى بطريرك النصارى (صفرونيوس)، وقال: «إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة»[١].

❑ وكتب عمر وثيقة الأمان، وبعد أن انتهى من كتابتها طلب من البطريرك أن يَدُلّه على مكان مسجد داود، فسارا وسار معهما أربعة آلاف من المسلمين متقلدين سيوفهم، وراوغهم البطريرك ليعمّي عليهم مكان المسجد، وفي النهاية مضى بهم إلى مكان مسجد بيت المقدس حتى وصلوا الباب المسمى «باب محمد»، وكان الباب يكاد أن يغلق لانحدار ما في داخل السور من الزبالة على درجه، فتجشّم الجميع الدخول إلى الصحن، ونظر عمر يمينًا وشمالاً، ثم قال: «اللَّه أكبر، هذا والذي نفسي بيده مسجد داود عليه السلام الذي أخبرنا رسول اللَّه ﷺ أنه أسري به إليه». وكان على الصخرة زبل كثير مما طرحته الروم غيظًا لبني إسرائيل، فبسط عمر رداءه وجعل يزيل هذا الزبل، والمسلمون يحذون حذوه، ومضى عمر نحو محراب داود فصلى فيه وقرأ سورة ص وسجد[٢].

❑ وفي «تاريخ الطبري» (٣/ ٦١٠):

«كان الذي صالح عن فلسطين رجل يدعى العوّام من أهل إيلياء والرملة». وقد صالح عمر أهل القدس وهو بالجابية، وكتب لهم فيها الصلح.

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» لعبد العزيز مصطفى ص(٨٦)، وانظر «فتوح الشام» للواقدي (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) و«الإنس الجليل بتاريخ القدس والجليل».

(٢) «الأنس الجليل» (١/ ٢٢٥، ٢٢٦).

وذكر الطبري صيغة الصلح:

* **صلح القدس «الوثيقة العمرية»:**

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد اللّه عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من خبرها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكْرَهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود»[1].

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت[2]، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله؛ حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصُلُبهم؛ حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء

---

(١) كان اليهود قد اغتنموا فرصة الغزو الفارسي لبلاد الشام فهاجموا النصارى، وأثخنوا فيهم، وكانوا يشترون من الفرس الأسرى النصارى ليذبحونهم، فزاد العداء بينهم وبين النصارى، فاشترط هؤلاء على عمر عدم سكنى اليهود معهم. انظر كتاب «تاريخ موجات الجنس العربي في بلاد الشام» ص(٢٤٤، ٣٢٥).

(٢) اللصوت: اللصوص مفردها اللّصت: اللص في لغة طي.

منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد اللَّه وذمّة رسوله وذمة الخلفاء وذمّة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة»[١] ا.هـ

وبعد أن بعث عمر بأمان أهل القدس وسكنها الجند سار إليها من الجابية، فرأى فرسه يتوجع من حافره فنزل عنه[٢]، وأتوْه ببرذون فهزّه وتخلّج به فنزل عنه وضرب وجهه بردائه، وقال: قبّح اللَّه مَن علّمك هذا، هذا من الخيلاء! ثم دعا بفرسه بعد أن أجمّه أيامًا حتى صلب حافره فركبه، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس، ثم مضى حتى دخل المسجد، واتجه نحو محراب داود[٣] والمسلمون معه، فدخله وقرأ سجدة داود فسجد وسجد المسلمون معه.

□ «وعن رجاء بن حيوة عمن شهد قال: لمّا شخص عمر من الجابية إلى إيلياء، فدنا من باب المسجد، فقال: اركبوا لي كعبًا[٤]، فلما انفرق به الباب قال: «لبيك اللَّهم لبيك بما هو أحب إليك»، ثم قصد المحراب، محراب داود عليه السلام، وذلك ليلاً فصلى فيه، ولم يلبث أن طلع الفجر، فأمر المؤذن بالإقامة، فتقدّم فصلّى بالناس وقرأ بهم «ص» وسجد

(١) «الطبري» (٣/ ٦٠٩).
(٢) «الطبري» (٣/ ٦١٠).
(٣) «الطبري» (٣/ ٦١٠).
(٤) أي: كعب الأحبار.

فيها، ثم قام وقرأ بهم في الثانية صدر «بني إسرائيل»[١] ، ثم ركع ثم انصرف»[٢]

* رواية للفتح عند ابن عساكر :

❑ روى الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٢٨٩) في ترجمة العباس ـ رضي اللَّه عنه ـ:

«عن أسلم قال: لما دنا عمر من الشام، وأخذ طريق أيلة[٣] تنحّى وتنحىّ معه غلامه، فلما أراد الركوب عمد إلى مركب غلامه وإنّ عليه لفروًا مقلوبًا، فركب وحوّل غلامه إلى رحل نفسه، وهو على جمل أحمر، وعمر يومئذ متَّزر بإزار ومرتدٍ بعمامة على حقيبة من فرو تحته فرو، وإن العباس لَبَيْن يديه على عتيق تتقذا به، وكان رجلاً جميلاً، فجعلت البطارقة يسلّمون عليه فيشير إليهم إني لست به، وأنه ذاك، فيسلمون عليه، ويرجعون معه حتى انتهى إلى أيلة والجابية، وتوافى إليه بها المسلمون وأهل الذمة، ثم ركب عمر من الجابية يريد الأردن[٤] بعدما أمضى ما أراد، وقد توافى إليه الناس، ووقف له المسلمون وأهل الذمة، فخرج إليهم على حمار ومعه العبد وأمامه العبّاس على فرس، فلما رآه أهل الكتاب سجدوا له، فقال: لا تسجدوا للبشر، واسجدوا للَّه، ومضى في سبيله، فقال القسيسون والرهبان: ما رأينا أحدًا قط أشبه بما

---

(١) أي: سورة الإسراء.

(٢) «الطبري» (٣/ ٦١١).

(٣) أيلة هي: العقبة.

(٤) الأردن هنا يريد بها طبرية.

يُوصف به الحواريين من هذا الرجل، ثم دخل الأردن على بعيره».

* فتح القدس في المصادر المسيحية:

ننقل هنا وجهة نظر المسيحيين، ولا نقول إنها الصورة التاريخية الحقيقية.

وهذه ترجمة لمخطوط تاريخي هام قديم باليونانية وجده عبد اللّه التل قائد معركة القدس سنة ١٩٤٨ ثم حاكمها العسكري في دير المصلبة في القدس يقول:

«لما اشتد حصار جيوش المسلمين ببيت المقدس سنة ٦٣٦م، أطل البطريرك صفرونيس على المحاصرين من فوق أسوار المدينة، وقال لهم: إنا نريد أن نُسلّم، ولكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم: فقدّموا له أمير الجيش، فقال: لا، إنما نريد الأمير الأكبر، نريد أمير المؤمنين. فكتب أمير الجيش إلى عمر بن الخطاب يقول: إن القوم يريدون تسليم المدينة لكنهم يشترطون أن يكون ذلك ليدك شخصيًّا. فخرج عمر من المدينة قاصدًا بيت المقدس، ومعه راحلة واحدة وغلام، فلما صار في ظاهر المدينة قال لغلامه: نحن اثنان والراحلة واحدة، فإن ركبت أنا ومشيت أنت ظلمتك، وإنْ ركبت أنت ومشيت أنا ظلمتني، وإن ركبنا قصمنا ظهرها، فلنقتسم الطريق مثالثة، وأخذ عمر يركب مرحلة ويقود مرحلة، وتمشي الراحلة أمامهما متخففة مِن حَمْل أحَدٍ مرحلة. وهكذا استمّر عمر يقسم الطريق مثالثة بين نفسه وبين غلامه وبين راحلته من المدينة حتى بلغ جبلاً مشرفًا على القدس صادف أن كانت ببلوغه قد انتهت مرحلة ركوبه، فكبّر من فوق الراحلة، ولما فرغ من تكبيره قال لغلامه: دَوْرَك.. اركب، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! لا تنزلن ولا

أركبنّ، فإنا مقبلون على مدينة فيها مدينة وحضارة، وفيها الخيول المطهمة المُسْرجة والعربات المذهبة، فإن دخلنا على هذه الصورة ـ أنا راكب على الراحلة وأمير المؤمنين آخذ بمقودها ـ هزئوا بنا، وسخروا من أمرنا، وقد يؤثر ذلك على نصرنا، فقال عمر: دورك.. ولو كان الدور دوري ما نزلتُ وما ركبتَ، أما والدَّوْر دورك فواللَّه لأنزلن ولتركبنّ، ونزل عمر وركب الغلام الراحلة، وأخذ عمر بمقودها، فلما بلغ سور المدينة وجد نصاراها في استقباله خارج بابها المسمى بباب دمشق، وعلى رأسهم البطريرك صفرونيوس، فلما رأوه آخذًا بمقود الراحلة وغلامه فوق رحلها، أكبروه وخرّوا له ساجدين. فأشاح الغلام بعصاه من فوق رحلها، وصاح فيهم: ويحكم!! ارفعوا رؤوسكم، فإنه لا ينبغي السجود إلا للَّه، فلما رفعوا رؤوسهم انتحى البطزيرك صفرونيوس ناحية وبكى. فتأثر عمر، وأقبل عليه يطيّب خاطره ويواسيه قائلاً: لا تحزن، هوّن عليك، فالدنيا دواليك، يوم لك ويوم عليك. فقال صفرونيوس: أظننتني لضياع الملك بكيت..؟ واللَّه ما لهذا بكيت، وإنما بكيت لمّا أيقنت أن دولتكم على الدهر باقية ترقّ ولا تنقطع.. فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة، وكنت حسبتها دولة فاتحين تمرّ ثم تنقرض مع السنين..

ثم سأل عمر البطريرك صفرونيوس عن موضع المسجد الأقصى فدلّه، فوجده مغمورًا بالقمامة، ففرش عمر الظالم![1] عباءته، وأخذ ينزح فيها القمامة من مكان المسجد الأقصى ويُلقيها في الأودية، واقتدى

(١) هكذا بالنص!! ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾

به قادة المسلمين ورؤساء الجند حتى طهروه تطهيراً. . ثم بنى عليه مسجداً»[١] .

ويضيف عبد اللّه التل: «جدير بالذكر أنني رأيت مع النص الذي ذكرته رسماً يمثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين دخوله القدس، وقد رسموه في ثياب أهل الجزيرة العربية، ملتحياً داخلاً من باب دمشق ـ باب العمود ـ ذا مهابة وجلال ووقار، ماشياً على قدميه، في تواضع المخلصين الأبرار، آخذاً مقود الراحلة بيسراه، وإلى أعلى رافعاً يُمناه محذّراً الساجدين له من السجود لغير اللّه ـ كذلك يمثل الرسم الغلام أجرد[٢] أسود مستقراً فوق رحله رافعاً في وجوه القوم عصاه، مستنكراً سجودهم لمولاه صائحاً فيهم: «إنه لا ينبغي السجود لغير اللّه»[٣] .

* ملاحظات على الوثيقة العمرية:

هناك ملاحظات تطعن في صحة هذه الوثيقة العمرية منها:

قوله: «سنة خمس عشرة» لو صحّ هذا العهد، ففيم إذن

---

(١) كتاب «خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية» ص(١٢٧ ـ ١٢٩).

(٢) قوله: «أجرد أسود» يدل على أن القصة مؤلفة من الخيال، حيث جعلوا غلام عمر أجرد، يعني: أنه من الخصيان، وهذا يمثل العبيد في القرون المتأخرة، حيث كانوا يُخْصونهم قبل استخدامهم في القصور. . . والمشهور أن الذي كان يرافق عمر هو مولاه أسلم، وقد أنجب ذرية صالحة، وما قال أحد أنه أجرد.

ومما يدل على أن الرواية مصنوعة ما جاء في هذه المخطوطة: «وجاء المسلمون من بعده وبنوا على مصلاه مسجداً وهو قائم على رمية حجر من كنيسة القيامة إلى يومنا هذا» فكلمة إلى يومنا هذا تدل على أن هذه الرواية مصنوعة في وقت متأخر؛ لأن مسجد عمر الذي بُني في هذا الموضع كان بناؤه في العصر الأيوبي.

الاختلاف بين المؤرخين في زمن الفتح: بين سنة ١٥، ١٦، ١٧هـ.

❑ قوله: «شهد خالد، وعمرو، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية»، أين أبو عبيدة بن الجرّاح، وهو قائد الجيوش، وأمين الأمة، وهو الذي اتفق مع أهل القدس على أن يُرسل إلى عمر، وهو الذي كلمه أهل القدس في طلب الأمان على أن يكون عمر هو الكاتب، وهو الذي أرسل إلى عمر بن الخطاب يعرض عليه المجيء إلى الشام؟!

* **فوائد من الوثيقة ـ إن صحّت:**

❑ قوله: «ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود»، تحتمل على معنيين:

الأول: أن الخليفة ضَمِن لهم هذا الحق. وتحتمل أنه شرط عليهم ألا يسكن معهم أحد من اليهود. وإن كان التفسير الأول أقوى؛ لأن اليهود مُنِعوا من سكنى القدس منذ سنة ١٣٥م، وجاء الفتح وهم محرومون من دخول القدس؛ لأنهم اغتنموا فرصة الغزو الفارسي الأخير لبلاد الشام، فهاجموا النصارى وأثخنوا فيهم، وكانوا يشترون من الفرس، الأسرى النصارى ليذبحوهم فازداد العداء بينهم وبين النصارى، وعندما استعاد هرقل القدس سنة ٦٢٧م طردهم منها، وحرّم عليهم دخولها بمشورة رجال الدين النصارى.

وعلى هذا فيكون أهل القدس قد طلبوا أن يُسجّل لهم هذا الحق في العهد فاستجاب عمر لمطلبهم. ويحتمل أن يكون عمر شرط ذلك؛ لأنه أراد أن يطهر القدس من خبثهم كما طُهِّرت مكة والمدينة واللّه أعلم.

وليحفظ القارئ هذا التاريخ: أن اليهود منذ سنة ١٣٥م حتى سنة

٦٣٧م يوم فتح القدس، مضى حوالي خمسمائة سنة وهم ممنوعون من سكنى القدس. ومن المفروض أن يكون قد استمر هذا المنع في العهد الإسلامي. حتى سنة ١٩١٧م زمن وعد بلفور، والاحتلال البريطاني، فمن الذي نقض العهد وفتح لهم أبواب القدس؟

سوف نرى جواب هذا السؤال في مكان آخر، إن شاء اللَّه. ولكن الذي نقدّم قوله، ونؤكد عليه أن نسأل أين كان اليهود مدة خمسمائة سنة قبل الفتح الإسلامي؟ وإذا كان لهم حق مزعوم، فلماذا لم يدافعوا عنه؟ أيسكت صاحب حق خمسمائة سنة عن حقه لو لم يكن حقّا مزعومًا؟[1].

وروى المؤرخون أنَّ الذي تولى عقد الصلح مع عمر، رجل اسمه «العوام» وهذا اسم عربي.

قوله: «وعليهم أن يُخرجوا منها الروم»، هذا يدل على أن سكان القدس لم يكونوا من الروم، وإنما كانوا من أهل فلسطين الذي أحبوا السكن بجوار المسجد الأقصى، وآثار المسيح عليه السلام.

وإذا صحّ النص ففيه إشكال؛ فقوله: «ومن أقام منهم»، وقوله: «وعليهم أن يُخرجوا» متعارضان، هذا شرط وأمر، وهذا فيه الإباحة، ويزول هذا الإشكال إذا قلنا أن النص إن صحّ فلعله يفرّق بين نوعين من الروم:

النوع الأول: جنود الروم، أو الحامية الرومانية.

والنوع الثاني: الروم الذين جاءوا للعبادة في القدس زُوّارًا، أو مجاورين».

---

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» لمحمد محمد حسن شُرّاب ص(٨٦).

* رواية جيدة لكتاب عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ لنصارى الشام:

روى الإمام البيهقي، وغيره من طرق جيدة إلى عبد الرحمن بن غنم قال:

كتب عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ حين صالح نصارى أهل الشام:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد اللَّه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا أنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وأموالنا وذرارينا وأهل ملتنا، وشرطنا لكم علينا وعلى أنفسنا أن لا نُحدث في مدائنا، ولا فيما حولها ديرًا، ولا كنيسة، ولا قلاية، ولا صومعة راهب، ولا نحيي ما كان في خطط المسلمين، ولا نمنع كنائسنا أن ينزل بها أحد من المسلمين في ليل أو نهار، وأن نوسّع أبوابها للمارّ وابن السبيل، وأن ينزل من يريد من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم، ولا نأوي في منازلنا ولا كنائسنا جاسوسًا، ولا نكتم غشًّا للمسلمين، ولا نعلّم أولادنا القرآن، ولا نظهر شركًا، ولا ندعو إليه أحدًا، ولا نمنع أحدًا من ذوي قربانا الدخول في الإسلام إن أراده، وأن نوقّر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم، في قلنسوة ولا عمامة، ولا نَعْلَين ولا فراق شعره، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نتكنى بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلّد السيوف، ولا نتخذ شيئًا من السلاح ولا نحمله معنا، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية، ولا نبيع الخمور، وأن نجزّ مقادم رؤسنا، وأن نلتزم زيّنا حيث ما كنا، وأن نشدّ زنانيرنا[1] على أوساطنا، ولا نظهر الصليب على كنائسنا، ولا نظهر

(١) الزنانير: جمع الزنار، وهو الحزام، يلبسها أهل الذمة من اليهود والنصارى.

صلبانًا، ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين، ولا أسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، ولا نطّلع عليهم في منازلهم»، قال: فلما أتيت عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ بالكتاب زاد فيه: «ولا نضرب أحدًا من المسلمين، شرطنا لكم ذلك في أنفسنا، وأهل ملتنا، وقد بيّنا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا شيئًا مما شرطناه على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حلّ لكم ما حلّ من أهل المعاندة والشقاق»[1].

* وقفة بل وقفات أمام فتح الفاروق للقدس وعظاته النيّرات:

«نحن قوم أعزّنا اللَّه بالإسلام، فإن ابتغينا العزّة في غيره أذّلنا اللَّه»

❑ في رحاب الإسلام الزاحف على أعداء اللَّه، وأعداء الإنسان في الشرق والغرب كنا خير أمة أخرجت للناس، نيرة القلوب، مشرقة الوجوه، سامية الأخلاق، صلبة العزائم، صارمة الصولات، خاشعة لقيوم الأرض والسماوات، كانت راية اللَّه خفّاقة على كل الوهاد والسهول، وفي القلوب والرؤوس.

❑ بالإسلام، وبالإسلام وحده، فتحنا القدس وتسلمها الفاروق، وحين غاب الإسلام، وبلا إسلام، فقدنا فلسطين، وتآمرنا عليها، بلا إسلام قامت دولة إسرائيل، وبقيت، وتاجرنا بفلسطين، بلا إسلام ماتت الضمائر، واختفت فلسطين في عالم النسيان الحقيقي، وهي بارزة دائمًا في الإعلام والمتاجرة والغناء.

❑ «نحن قوم أعزّنا اللَّه بالإسلام» تدوّي في أصداء التاريخ، إنها

---

(١) «إتحاف الأخصّا بفضائل الأقصى» (١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

الموازين الإسلامية تسري في نبض عمر وعروقه وجسمه وقلبه، لا شيء غير الإسلام نزن به كل شيء.. به فتحنا الدنيا وعمّرناها وسدناها وبهجره خسرناها وخسرنا معها الآخرة.

* ركب الخليفة لاستلام القدس العريقة:

ناقة واحدة وخادم واحد، وأسمال مرقعة، وزاد الطريق خبز وماء وتمر!! بدلاً من الخيل المطهمة كوكبة منها بل كواكب وحشدًا من الخدم. المباهاة والترف يأباه عمر فقد ربّاه الإسلام.. ناقة وخادم وغنائم الإمبراطوريتين تجري أنهارًا في المدينة المنورة.

وكسرى فارس وهو هارب بعد معركة نهاوند «كان معه ألف طاه، وألف مدرّب للبزاة، وألف للنمور، وألف مغن، وحاشية أخرى!!»[1].

يركب الخادم ويمشي الفاروق، ويركب الفاروق ويمشي الخادم، ويمشيان ويريحان الدابة في مسافة ٢٤٠٠ كيلو متر، يمشي ثلث هذه المسافة في جوف الصحراء وقيظها، ولفح الشمس، ووحشة القفار، بل ومخاضة ووحل وهو على مشارف القدس.. يمشي وهو في أواخر الخمسينات من العمر!! هنيئًا لك عند ربك، وهنيئًا لك في التاريخ.. وحق للقائل أن يقول: يا خالق عمر سبحانك!.

يركب الخادم ويخوض عمر في الوحل، ويقود الناقة، ونعله على عاتقه وهو مشمر ثيابه المرقعة!!.. إنه عمر القائل: «ليس الأمر ها هنا ـ وأشار إلى الأرض ـ إنما الأمر ها هنا ـ وأشار إلى السماء».

متى صحّ منك الودّ فالكل هيّن ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

(١) «عقيدة اليهود في تملّك فلسطين» لعابد توفيق الهاشمي ص(١٢) ـ مكتبة أم القرى.

لما سلم البطريرك صفرونيوس مفاتيح القدس، واتجه إلى زاوية يبكي، فأتاه عمر يواسيه، وأقبل عليه يطيّب خاطره ويواسيه قائلاً لا تحزن، هوّن عليك، فالدنيا دواليك، يوم لك ويوم عليك» بدلاً من إهانته وتحقيره والاستعلاء عليه شأن الفاتحين قديمًا وحديثًا.. إنه أدب الإسلام.

عُمَرُ بنُ الخطاب أقبلْ فهذي الـ ... ـقدسُ حنَّتْ إليك منها الكُبُودُ
وفلَسطينُ كلُّ شبرٍ عليه ... مِنْ دَم المؤمنين دَفْقٌ جديدُ
فَدعتْكَ القلوبُ دعوةَ حقٍّ ... علَّمتها لهم صحائفُ سودُ
عَلمتهُمْ أن الذي يفتحُ القد ... سَ أميرٌ للمؤمنين رشيدُ
يا لفتحٍ له من الحق نورٌ ... صدقت فيه آية ووعودُ
عمر بن الخطاب لؤلؤةُ الفتـ ... ـحِ وعِقدٌ من الوفاء نضيدُ
يا لفتحٍ أبو عبيدة فيه ... جوهرُ الصدق والأمينُ الفريدُ
ورجال من الصحابة أبرا ... ر ودرٌّ في عقده منضود
يا حنينَ الأقصى إلى عمَر الفا ... روق! يا لهفةَ اللقا! هل يَعودُ؟
رَفَّتِ الصخرةُ الشريفةُ لمّا ... أقبلتْ طلعةٌ وأشرقَ عيدُ
فَجَلاها! ولمْ يَزَلْ منْ هَواهَا ... عَبَقٌ يملأُ الزمانَ وَعُودُ
يَا لفتحٍ تَخيَّرَ الدَّهْرُ منْهُ ... مَا تَمَنَّتْ من الجَواهِرِ غِيدُ
ففتوحُ الرسولِ تاجٌ على الدَّهْرِ ... وهذي لآليءٌ وعُقُودُ[1]

❁ ❁ ❁

(١) «ملحمة الأقصى» د. عدنان النحوي ص(١٣٠ ـ ١٣١) ـ دار النحوي.

وقفـات أخرى مع الفتح العُمَري
المسجد الأقصى يوم الفتح
«سنة ١٥ أو ١٦ هـ»

● عن عُبيد بن آدم وأبي مريم، وأبي شُعيب، أن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس، قال: فقال أبو سلمة، فحدثني أبو سنان عن عُبيد بن آدم قال:

سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول لكعب: أين ترى أن أُصلي؟ فقال: إنْ أخذت عنّي، صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول اللَّه ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء، فبسط رداءه، فكنس الكناسة في ردائه، وكنس الناس»[1].

على أصح الأقوال: فإن أصح مكان صلى فيه عمر بن الخطّاب هو المكان المسقوف في هذه الأيام.

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد.. وقد صار بعض الناس يسمي «الأقصى» المصلى الذي بناه عمر ابن الخطاب في مقدّمه»[2].

❀ ❀ ❀

(١) إسناد جيد: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٨)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٥٨): هذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج.
(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» لابن تيمية (٢/ ٥٧).

* مُصلّى عمر أو جامع عمر:

هناك ثلاثة أماكن يمكن أن يُطلق عليها جامع عمر، أو مصلى عمر، أو محراب عمر.

الأول: أن جامع عمر الذي وضعه عند الفتح، داخل في الجامع الكبير، جامع الجمعة.

الثاني: جامع عمر: الموجود في صدر الجامع الكبير من جهة المشرق، القريب من السور الشرقي، وهو بناء متأخر.

الثالث: المسجد العمري: الواقع في الجنوب من ساحة كنيسة القيامة والذي يظهر أنه بُني في زمن الملك الأفضل عليّ بن صلاح الدين، بعد وفاة أبيه، وبه منارة استجدت قبل سنة ٨٧٠هـ... والمسجد بُني سنة ٥٨٩هـ[١].

* قصة لا تثبت:

ما تنقله المصادر المسيحية[٢] من أن البطريرك صفرونيوس دعا عمر ابن الخطاب لتفقّد كنيسة القيامة (كنيسة القبر المقدس) فلبّى الدعوة، وأدركته الصلاة وهو فيها، فالتفت إلى البطريرك، وقال له: أين أُصلي؟ فقال: مكانك صلّ، فقال: ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة، فيأتي المسلمون من بَعْدي ويقولون: هنا صلّى عمر، ويبنون عليه مسجدًا وابتعد عنها رمية بحجر، وفرش عباءته وصلّى، وجاء المسلمون من بعده

---

(١) انظر «الأنس الجليل» (٢/ ٤٦).

(٢) مخطوط باليونانية وجده عبد اللّه التل في دير المصلبة في القدس، يُسجِّل تفصيل حادث مجيء الخليفة عمر إلى القدس.

وبنوا على مصلاه مسجداً، وهو قائم على رميـة حجر من كنيسة القيامة إلى يومنا هذا».

«وفي هذه القصة نظر:

أولاً: كون عمـر بن الخطاب ذهب وحده إلى كنيسة القـيامة، ولم يكن معه أحد من المسلمين.

ثانياً: كون عمر يذهب إلى الكنيسة، كنيسة القيـامة، وفيها قبر عيسى عليه السلام، وهو يخالف اعتقاد المسلمين في عيسى عليه السلام.

ثالثاً: كون عمر يذهب إلى معبد فيه قبر، يخالف المنهيّ عنه، فقد جاء في الأحاديث لعن اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

رابعاً: جعل السبب المانع عمر أن يصلي في كنيسة القيامة، أن لا يتخذه المسلمون مسجداً والحقيقة ـ إذا صحّ الخـبر أن عمر امتنع من الصلاة فيها لوجود القبر فيهـا، ولوجود الصور والصلبان، ولا تصحّ الصلاة في هذا المكان»[1].

* حدود المسجد الأقصى:

في العهد النبوي:

لا نملك وصفًا لما كان عليه المسجد قبل فتحه في عهد عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ، وكل ما نملكه من الأوصاف ما جاء في الأحاديث الصحيحة.

● قال الرسول ﷺ: «**حتى أتيت بيت المقدس، فربطت البراق بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد...**».

---

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» لمحمد محمد حسن شُرَّاب ص(٣٤٦، ٣٤٧).

فقوله: «**فربطت بالحلقة**»: يوحي أن هناك حدوداً للمسجد، سور مثلاً، وأن من يأتي إلى المسجد بدابته يربطها عند مدخل المسجد، وأن هناك مواقف ومرابط للدواب...

ولكن لا يعني بالضرورة أن يكون للمسجد حينئذ باب مبوّب، وجدران محيطة.. فالمسجد يُعرف بحدوده الأرضية، وإن لم يكن له سور وباب..

ومن الغريب أن عرب الجاهلية لم ينقلوا شيئًا عن وصف المسجد الأقصى، مع أنه جاء في الحديث أنهم تحدّوا رسول اللّه أن يصفه لهم، فامتحنوا صدقه؛ لأنهم كانوا يعرفونه.. فهذا يدل على أنه كانت له معالم يعرفها من أتاه.

فمعنى هذا أن المسجد الأقصى قد عدت عليه العوادي، وتأثّر بالمتغيرات، وهُدِم بناؤه فيما بعد، ولم يكن ليلة الإسراء مسجداً قائمًا متكاملاً، وإنما كانت أساساته موجودة، وبعض أعمدته وأطلاله باقية، ومنها تلك الحلقة التي ربط بها رسول اللّه ﷺ البراق ليلة الإسراء، وقد سمى اللّه هذه الأطلال والأعمدة والأساسات مسجداً، وإن لم يكن بناءً قائمًا حيث قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

فقد كان مسجداً قائمًا من قبل، واستمر مسجداً قائمًا مئات أو آلاف السنين، وكان يأتيه الأنبياء السابقون على دوابهم للصلاة فيه»[1].

---

(١) «الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل» لإبراهيم العلي ص(٨٦).

* بعد الفتح العمري:

❑ قال مجير الدين الحنبلي في «الأنس الجليل» (٢/ ٢٤):

«إن المتعارف عليه عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة، الجامع المبني في صدر المسجد الذي به المنبر والمحراب الكبير.

وحقيقة الحال: أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور.. فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره، من قبة الصخرة والأروقة وغيرها مُحْدثة والمراد بالأقصى بما دار عليه السور».

❑ وقال في ذرع المسجد طولاً وعرضًا:

«وأما ذرع المسجد، فقد اجتهدت في تحريره، وتولّيت ذلك بنفسي وقيس بحضوري بالحبال، فكان طوله، قبلة بشمال (من الجنوب إلى الشمال) من السور القبلي عند المحراب، إلى صدر الرواق الشمالي عند باب الأسباط ستمائة وستين ذراعًا بذراع العمل الذي تذرع به الأبنية في عصرنا غير عرض السورين، وإن كان فيه زيادة أو نقص نحو ذراعين، أو ثلاثة فهي لاضطراب القياس، لبُعد المسافة، فإني قد احتطت في تحريره وقيس بحضوري مرتين، حتى تحققت صحة القياس.

وعرضه شرقًا بغرب من السور الشرقي المطلّ على مقابل باب الرحمة إلى صدر الرواق الغربي الذي هو أسفل مجمع المدرسة التنكزية أربع مئة ذراع وستة أذرع بذراع العمل غير عرض السورين. وكان هذا سنة ٩٢٠هـ فتكون المساحة ٦٦٠ × ٤٠٦ = ٢٦,٧٩٦

❑ وقال محمد كرد علي سنة ١٩٢٥م: ووقع الحرم على مساحة مربعة، طول الجهة الغربية ٤٩٠م، والشرقية ٤٧٤م، والشمالية ٣٢١م، والجنوبية

٢٨٣م يحيط بها سور، يختلف ارتفاعه بين ٣٠ متراً و ٤٠ متراً[١].

تبلغ مساحة الأقصى وأسواره ومنشآته (١٤٠٩٠٠م مربع).

تسلّم الخليفة المفتاح من صفرونيوس وقام بدوره بتسليمه إلى عبدالله بن نسيبة وهو من الأنصار، وظل هذا المفتاح تتوارثه هذه الأسرة[٢].

«وأوّل من أمّ المسلمين بعد عمر بن الخطاب في المسجد الأقصى: سلامة بن قيصر، اختلفوا في صحبته، حيث عيّنه عمر على الصلاة في بيت المقدس.

ونقل ابن حجر في «الإصابة» أنه مات بالقدس، وقبره بها، وكان علقمة بن مجزز مشرفًا على شؤونها العسكرية، وهو صحابي، وكان يزيد بن أبي سفيان عاملاً على إدارة بيت المقدس»[٣].

*** فتح قيسارية على يد معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ سنة ١٩ هـ:**

بدأت العمليات تجاه قيسارية حين نزل بها عمرو بن العاص في جمادى الأولى ١٣هـ يولية سنة ٦٣٤م فكان يقيم عليها ما أقام، فإذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوهم سار إليهم.

فشهد أجنادين وفحل بيان ومرج الصفر واليرموك، ثم رجع إلى فلسطين فحاصر قيسارية بعد فتح القدس. وخرج عمرو بن العاص إلى مصر من قيسارية دون أن يفتحها. وتولّى أمرها يزيد بن أبي سفيان بعد

---

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص(٣٥١).

(٢) «القدس تناديكم» ص(١٤٥).

(٣) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص(٣٥٢).

وفاة أبي عُبيدة، فوكّل أخاه معاوية بمحاصرتها وتوجه هو إلى دمشق حيث توفي بها. وبقى معاوية في سبعة عشر ألفًا يعالج فتحها فحاصرها حتى كان فتحها في شوال ١٩هـ سبتمبر/ أكتوبر ٦٣٧م بعد أن كان يئس من فتحها.

وكان الروم يريدون الاحتفاظ بقيسارية موطئ قدم لهم على ساحل الشام الجنوبي في فلسطين، كانت قيسارية مدينة كبيرة، قالوا إن معاوية وجد بها ٧٠٠٠٠٠ من المرتزقة، ومن السامرة ٣٠٠٠٠ ومن اليهود ٢٠٠٠٠٠ ووجد بها ٣٠٠ سوق قائمة كلها، وكان يحرسها في كل ليلة على سورها مائة ألف. وقد تكون في الأرقام مبالغة، ولكنها تدل على أيه حال على كبر حجم قيسارية.

وكان على الروم رجل اسمه أبنى فكان يزاحف معاوية، ولا يزاحفه مرة إلا غلبه معاوية وأعاده إلى حصنه[١]. ثم كانت آخر مزاحفة فخرجوا من حصونهم، واقتتلوا في حفيظة[٣] واستماتة، حتى بلغت قتلاهم في المعركة ٨٠٠٠٠ وأكملها في هزيمتهم ١٠٠٠٠٠.

وفي الليل أتى يهودي يدعى[٤] يوسف إلى المسلمين فدلّهم على طريق في سرب فيه الماء إلى حِقو الرجل على أن أمّنوه على نفسه وأهله. ودخلها المسلمون ليلاً وكبّروا فيها، وأراد الروم أن يهربوا من ذلك السِّرب فوجدوا المسلمين عليه، وفتح الفريق الذي تسلل إلى داخل

(١) «البلاذري» (١٦٧).
(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ٦٠٤).
(٣) حفيظة، أي: غضب.
(٤) «البلاذري» (١٦٨).

المدينة بابها فدخل معاوية ومن معه، وكان فيها عدد من العرب. وقد بلغ سبي قيسارية ٤٠٠٠ رأس بعث بهم معاوية إلى عمر فأنزلهم الجرف.

وبعث معاوية بالفتح إلى عمر مع رجلين من بني الضبيب من جذام، ثم خاف ضعفهما عن المسير فبعث بعدهما رجلاً من خثعم، فكان الخثعمي يجهد نفسه في السير ليلاً ونهارًا.

وفي رواية: أنه بعث بعد الجذاميين عبد اللَّه بن علقمة الفراسي وزهير بن الحلاب الخثعمي، فلحقاهما وطوياهما وهما نائمان.

دخل البشير على عمر فكبّر وكبّر المسلمون، ونادى عمر أن قيسارية فُتحت قسرًا فأبات المسلمون بالمدينة على الفرح ليلاً وحمد اللَّه، وقال للناس: لتحمدوا اللَّه على فتح قيسارية[١].

بيت المقدس في عهد الخلافة الأموية

* في عهد معاوية ـ رضي اللَّه عنه ـ:

لم يجرؤ اليهود طوال أيام الخلفاء الراشدين، وأوائل خلفاء الدولة الأموية على الاستيطان بالقدس[٢].

ولقد نودي بالبيعة لمعاوية ـ رضي اللَّه عنه ـ في مدينة القدس، ولكنه اختار مدينة دمشق عاصمة لخلافته بعد البيعة التي كانت سنة ٤٠ في مدينة القدس[٣].

---

(١) «الطريق إلى دمشق» لأحمد دل كمال ص(٥٣٤ ـ ٥٣٥).

(٢) «القدس مدينة اللَّه.. أم مدينة داود» للدكتور حسن ظاظا ص(٩٧) ـ دار القلم دمشق.

(٣) «تاريخ الطبري» (٦/ ٩٣).

* في عهد عبد الملك بن مروان:

ذهب كثير من المؤرخين: الطبري، وابن خلدون، وابن الأثير، وابن كثير أن الوليد بن عبد الملك هو الذي أنشأ قبة الصخرة، وجامع الجماعة في المسجد الأقصى.

وانفرد اليعقوبي وسبط ابن الجوزي بنقل خبر بناء عبد الملك قبة الصخرة والمسجد[1].

رواية اليعقوبي كذب صراح:

مما قاله اليعقوبي:

«منع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك، منعهم من الخروج إلى مكة، فضجّ الناس، وقالوا: تمنعنا من حجّ بيت اللّه الحرام، وهو فرض من اللّه علينا؟

فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدّثكم أن رسول اللّه ﷺ قال: **«لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس»**.

وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام!!

وهذه الصخرة التي يروى أن رسول اللّه ﷺ وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة!!

فبنى على الصخرة قبّة، وعلّق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة.

---

(١) انظر: «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص(٣٥٧).

وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما تطوف حول الكعبة!! وأقام بذلك أيام بني أمية.

ألا قاتل اللَّه الكذب وأهله، فاليعقوبي كذّاب خبيث يتدّين بكره بني أمية، عقيدة وسياسة ويبيح الكذب عليهم، ومن له أدنى مُسكة من عقل يعلم كذب اليعقوبي على عالم فقيه من علماء المسلمين وهو عبدالملك بن مروان قبل كونه خليفة للمسلمين.

* ضعف رواية سبط ابن الجوزي:

وممن اعتمد كذبة اليعقوبي سبط ابن الجوزي في كتابة «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان».

❑ قال عنه ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ٣٢٨): ألف كتاب «مرآة الزمان» فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات، وما أظنه ثقة فيما ينقله، بل يحنق ويجازف ثم إنه ترفّض.

❑ قال صاحب «مرآة الزمان»:

في سنة ٦٦هـ ابتدأ عبد الملك بناء القبّة والجامع.. وكملت عمارته سنة ٧٣هـ وفي هذه الرواية نظر لأن عبد الملك تولّى الخلافة في رمضان سنة ٦٥هـ ويوم تولى الخلافة لم تكن فلسطين تابعة له، وبقيت مدة من سنة ٦٦هـ وهي خارجة عن سلطانه.

❑ قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب»: قال خليفة: مات يزيد بن معاوية وعلى الأردن حسّان بن مالك، وعلى فلسطين روح بن زنباع، فأخرج ناتل بن قيس روح بن زنباع، ودعا إلى ابن الزبير.

❑ وقال السكّري: خرج ناتل على عبد الملك، فبعث إليه عمرو بن سعيد فقتله وحكى عن الليث أنه قُتل سنة ٦٦هـ.

فكيف يبدأ البناء والقدس خارج عن سلطانه؟!

قد يُقال: لعله استرجع فلسطين في منتصف سنة ٦٦هـ فبدأ في البناء بعدها.

الجواب: لا يكون هذا، لأن البناء يحتاج إلى مدة استقرار، والشهور أو السنوات التي تلي الفتنة تكون متأثرة بالفتنة[1].

* القول الأول بأن باني قبة الصخرة وجامعها هو عبد الملك بن مروان:

قال المنهاجي السيوطي في «إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى» (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢):

روي عن جابر بن رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولى عبد الملك ابن مروان أن عبد الملك حين همّ ببناء صخرة المقدس والمسجد الأقصى قدم من دمشق إلى بيت المقدس وبث الكتب في جميع عمله وإلى سائر الأمصار أن عبد الملك قد أراد أن يبني قبة بيت المقدس تكنّ المسلمين من الحرّ والبرد، وكره أن يفعل ذلك دون رأي رعيته، فكتبت الرعية إليه برأيهم، وما هم له عليه، فوردت الكتب عليه من عمال الأعمال برأي أمير المؤمنين رأيه موفقًا رشيدًا، ونسأل اللَّه تعالى أن يتم له ما نوى من بنايته وصخرته ومسجده، ويجري ذلك على يديه، ويجعله مكرمة له، ولمن مضى من سلفه. قال: فجمع الصناع من عمله كله، وأمرهم أن يصنعوا له صفة القبة، وسمتها من قبل أن يبنيها فكُرِّست له في صحن المسجد، وأمر أن يبني بيت المال في شرقي الصخرة، وهو الذي على

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص(٣٦٠ ـ ٣٦٢).

حرف الصخرة، فبنى وأشحن بالأموال، ووكّل على ذلك رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام، وأمرهما بالنفقة عليها، والقيام بأمرها، وأن يفرغوا المال عليها إفراغًا دون أن ينفقوه إنفاقًا، وأخذوا في البناء والعمارة حتى أُحكم العمل، وفرغ البناء، ولم يبق لمتكلم فيه كلام، وكتبا إليه بدمشق: قد أتم اللّه تعالى ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة الصخرة ببيت المقدس، والمسجد الأقصى، ولم يبق لمتكلم فيه كلام. وقد بقي مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء، وأُحْكِم مائة ألف دينار فيصرفها أمير المؤمنين في أحب الأشياء إليه»، فكتب إليهما: قد أمر أمير المؤمنين بها لكما جائزة لما قمتما من عمارة ذلك البيت الشريف المبارك» فكتبا إليه: «نحن أولى أن نزيد من حليّ نسائنا فضلاً عن أموالنا، فاصرفها في أحب الأشياء إليك»، فكتب إليهما بأن «تُسبك وتفرغ على القبة فسُبكت وأُفرغت فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب».

وقال الدكتور حسن ظاظا: «سُمح لليهود بالاستيطان بالقدس في أيام الخليفة عبد الملك بن مروان الذي بنى المسجد الجامع، وبنى مسجد قبة الصخرة سنة ٦٨هـ، وكان في فناء الحرم على أيامه عشرة من اليهود يقومون بأعمال الكنس والنظافة نظير إعفائهم من الجزية»[1].

* القول الثاني: باني قبة الصخرة وجامعها هو الخليفة الوليد بن عبد الملك:

وهو أرجح الأقوال. ولقد أوقف الوليد خراج مصر لسبع سنين لتشييدهما. ويمكن الجمع بينهما بأن عبد الملك أمر بالبناء، أو بدأ البناء

(١) «القدس» ص(٩٧).

في عصره، وتم في عصر الوليد.

وقبة الصخرة من أروع ما وصل إليه المجهود الإنساني في فنّ العمارة.

* في عهد سليمان بن عبد الملك:

لما وَلِي سليمان بن عبد الملك الخلافة بعد أخيه الوليد في سنة ٩٦هـ أتى بيت المقدس، وأتته الوفود بالبيعة فلم ير وفادة كانت أهنأ من الوفادة إليه. ولقد ترك في دمشق أخاه الأصغر، وحضر إلى القدس، وهو ينوي أن يجعلها عاصمة للخلافة الإسلامية، ثم عدل عن ذلك.

وذكر مجير الدين في «تاريخه» أن المكلّفين على عهده بإنارة المسجد الأقصى كانوا من الخدم اليهود، إلى أن تولىّ الخليفة عمر بن عبد العزيز ففصل اليهود من هذه الأعمال، وجعل خدم الحرم جميعًا من المسلمين[1].

* من مرّ بالقدس أو سكنها أو مات بها من أعيان الأمة وصالحيها:

القدس معدن الأنبياء ومهبط الوحي والملائكة، ما من شبر فيها إلا وشرف بمرور ملك، أو نبي أو رسول، درج في ربوعها الصديقون والصالحون، وتعطّرت أنفاسها بعبق الوحي الإلهي.

قام فيها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام، ودخلها يوشع بن نون، ثم قام فيها داود وسليمان، وإلياس، واليسع، وأشعيا، وأرميا، وحزقيال، ودانيال، وزكريا، ويحيى، وعيسى بن مريم صلوات ربي وسلامه عليهم، وشعَّت فيها أنوار خاتم المرسلين ﷺ.

---

(١) «القدس مدينة اللَّه أم مدينة داود» ص(٩٨).

قال ابن الجوزي: «وفي الأرض المقدسة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام»(١).

* ذكر من دخلها أو مرّ بها أو سكنها أو تُوفِّي بها من الصحابة والتابعين وصالحي الأمة وهذا من فضلها:

نذكر هذا حتى لا يفرّط فيها من يرعى لهؤلاء ودًّا ويحفظ لهم عهدًا.

قد يهون العمر إلا لحظة ... وتهون الأرض إلا موضعا

* من دخلها من أعيان الصحابة:

عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ:

أهذه القدس والأقصى يزينها ... مسرى النبي أفيها ساجد عمر

أم أورشليم يهوذا بات يحكمها ... وهيكل الظلم في أحضانها نضر

وأبو عبيدة بن الجراح ـ رضي اللَّه عنه ـ انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس، فأدركه أجله بفحل فتوفي بها.

وسعد بن أبي وقاص، وأبو الدرداء، وسعيد بن زيد، وعبد اللَّه ابن عمر، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وأبو ذر، وسلمان الفارسي في رحلته بحثًا عن الحق قبل الإسلام، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان، وعياض بن تميم، وعبد اللَّه بن سلام، ويزيد بن أبي سفيان، وأبو هريرة، وأبو أمامة، وسكن بها وبدمشق، وأبو مسعود الأنصاري عتبة بن عمرو البدري، وعقبة ابن عامر الجهني، وأبو جمعة الأنصاري حبيب بن سباع، وعبادة

(١) «فضائل القدس» لابن الجوزي ص(٩٧) ـ دار الآفاق بيروت.

ابن الصامت: سكن بيت المقدس، ودفن ببيت المقدس.

- وشدّاد بن أوس ابن أخي حسان بن ثابت ممن أُوتي العلم والحلم، ومات ببيت المقدس.
- وأبو ريحانة مولى رسول اللَّه ﷺ سكن بيت المقدس، وكان يقضي في المسجد الأقصى.
- وتميم بن أوس الداري، وكان أميرًا على بيت المقدس، وهو الصحابي الذي تفرّد برؤية المسيح الدجال.
- والشريد بن سريد، وابن أبي جدعا التميمي.
- وفيروز الديلمي قاتل كذّاب اليمن الأسود العنسي.. سكن بيت المقدس.
- وذو الأصابع التميمي سكن بيت المقدس، وأبو محمد النجاري.
- وأبو أبي بن أم خزام آخر الصحابة موتًا ببيت المقدس.

والذي أعقب من الصحابة ببيت المقدس عبادة بن الصامت، وشدّاد ابن أوس، وسلامة بن قيصر[1]، وفيروز الديلمي، والذي لم يعقب أبوريحانة، وذو الأصابع، وأبو محمد النجاري.

- ومنهم واثلة بن الأسقع تحوّل إلى بيت المقدس ومات به.
- ومحمود بن الربيع.
- وأم المؤمنين صفية بنت حيي ـ رضي اللَّه عنها ـ.
- وعصيف بن الحارث ـ رضي اللَّه عنهم جميعًا ـ.

---

(١) أنكر أبو زرعة وابن عبد البر أن تكون له صحبة.

* وأما من التابعين ومن بعدهم:

فأويس القرني، وكعب الأحبار، وعبيد عامل عمر بن الخطاب، وعمير بن سعيد، ويعلى بن شداد، وجبير بن نفير الحضرمي، وأبو نعيم المؤذن أول من أذّن ببيت المقدس، وأبو سلام الحبشي، وخالد بن معدان الكلاعي العبد الصالح، وعبد الرحمن بن تميم الأشعري، وأم الدرداء كانت تجالس المساكين ببيت المقدس.

وأبو العوام مؤذن بيت المقدس، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد اللَّه بن محيريز، وهاني بن كلثوم العُبّاد الربّانيون، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك.

قال إبراهيم بن أبي عبلة: رحم اللَّه الوليد، وأين مثل الوليد كان يعطيني قصاع الفضة فأقسمها على قُرّاء بيت المقدس، وسليمان بن عبدالملك، وعمر بن عبد العزيز، ومحارب بن دثار، وإبراهيم بن أبي عبلة، وعبد اللَّه بن فيروز المقدسي، ورجاء بن حيوة، وعبد اللَّه بن فيروز المقدسي، ومحمد بن واسع، ومالك بن دينار، وعبد الواحد بن زيد، وسليمان التيمي، ورابعة العدوية قبرها بظاهر القدس الشريف على رأس طور زيتا.

وأبو الحسن النهراني الأندلسي كان مقيمًا ببيت المقدس، وإبراهيم ابن محمد بن يوسف، وأبو عقبة الخوّاص عباد بن عباد الأرسوفي، وثور بن يزيد، وإبراهيم بن أدهم، والليث بن سعد، وأبو جعفر المنصور، والمهدي الخليفة العباسي ووكيع بن الجراح، ومحمد بن إدريس الشافعي، والمؤمل بن إسماعيل البصري، وصالح بن يوسف أبو شعيب المقنع العبد الصالح، وبشر بن الحارث الحافي.

قال ـ رحمه اللَّه ـ: ما بقي عندي من لذات الدنيا إلا أن أستلقي على جنبي تحت السماء بجامع بيت المقدس. وقيل له: لم يفرح الصالحون ببيت المقدس؟ قال: لأنها تذهب الهم، ولا تستعلي النفس بها»[1].

وعبد اللَّه بن عامر العامري، وأبو الحسن علي بن محمد الجلا البغدادي، والإمام الطرطوشي، والإمام الغزالي، وأبو الغنايم محمد بن علي بن ميمون الكوفي، والإمام أبو بكر محمد بن عبد اللَّه المقري الأشبيلي الحافظ، وأبو عبد اللَّه الديباجي، وأبو الحسن الطوسي، وأبو محمد عبد اللَّه بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري الفقيه المالكي، وأبو بكر محمد بن أبي بكر الجرجاني، وأبو الحسن علي بن محمد المغافري، وأبو سعد بن عبدالكريم السمعاني، والملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، والشيخ الزاهد أبو عمر المقدسي، والضياء المقدسي، والعماد المقدسي، وابن قدامة المقدسي شيخ الحنابلة وصاحب «المغني»، والحافظ الأثري عبدالغني المقدسي...

ولو أردنا أن نترجم لكل من نسب إلى بيت المقدس لاحتجنا إلى مجلدات، ولو اكتفينا بتقديم إحصاء لمن نُسب إلى بيت المقدس ممن عمل، أو أثّر، أو تأثّر بالعيش في بيت المقدس، معتمدين على ما أحصاه مجير الدين الحنبلي في كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، وغيره من المراجع لوجدنا:

١ ـ الصحابة الذين سكنوا القدس، أو زاروه، أو شدّوا الرحال إليه

(١) «إتحاف الأخصّا» (٢/ ٥١).

يزيد عددهم على عشرين صحابيًّا.

٢ ـ من التابعين ومن تبعهم حتى الاحتلال الصليبي حوالي ثمانين عالمًا.

٣ ـ بعد الفتح الصلاحي إلى سنة ٩٠٠هـ حوالي ستمائة عالم.

٤ ـ في العصر التركي بعد سنة ٩٠٠هـ إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري حوالي مائة عالم.

٥ ـ وفي القرن الرابع عشر:

يوسف بن ضياء الخالدي، وروحي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين، ومحمد بن كامل بن طاهر الحسيني مفتي القدس، وخليل جواد الخالدي، وعبد القادر الحسيني بطل معركة القسطل سنة ١٩٤٨م، وعارف العارف المؤرخ المشهور والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، وعز الدين القسام.

هذه الأرض المباركة الولود ليست بعقيم.

يا قدسُ رجالك ما ماتوا ... ما عقمت أم الفتيان

* بيت المقدس في العصر العباسي:

في سنة ١٣٠هـ أواخر العهد الأموي، حدث زلزال، سقط بسببه شرقي المسجد وغربيّه.

ولما زار الخليفة أبو جعفر المنصور مدينة القدس سنة ١٤١هـ قيل له: «يا أمير المؤمنين قد وقع شرقي المسجد وغربيه زمن الرجفة في سنة ثلاثين ومائة فلو أمرتنا ببناء هذا المسجد وعمارته؟ فقال: ما عندي شيء من المال، ثم أمر بقلع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت على الأبواب

فقلعت وضُرِبت دنانير ودراهم وأُنفقت عليه حتى فرغ منه»[١] .

❑ قال ابن كثير: وكان المسجد طويلاً، فأمر أن يُؤخذ من طوله ويُزاد في عرضه، وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعمائة وستون ذراعًا وعرضه أربعمائة وستون ذراعًا[٢] .

❑ وفي سنة ١٥٨هـ ـ ٧٧٤م وقع البناء الذي أقامه المنصور، بسبب زلزال آخر. فأمر الخليفة المهدي بإعادة بنائه، فبُني المسجد هذه المرة بعناية كبيرة، وأُنفقت عليه أموال طائلة.

روى صاحب «الأنس الجليل» في كتابه (١/ ١٨١): «لما قدم المهدي يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق، ومعه أبو عبيد اللَّه الأشعري كاتبه، فقال: يا أبا عُبيد اللَّه! سبقتنا بنو أمية بثلاث. فقال: وما هي يا أمير المؤمنين، فقال: بهذا البيت ـ يعني مسجد دمشق ـ ولا أعلم على ظهر الأرض مثيله، ونُبل الموالي، فإن لهم موالي ليس لنا مثلهم. وبعمر ابن عبد العزيز لا يكون واللَّه فينا مثله أبدًا، ثم أتى بيت المقدس، فدخل قبة الصخرة، ثم قال: يا أبا عبيد اللَّه، وهذه رابعة».

❑ وفي أواخر سنة ٢١٦هـ. زار الخليفة المأمون العباسي، بيت المقدس في طريقه إلى مصر، وأمر بترميم ما يحتاج إلى إصلاح في منشآت المسجد الأقصى، وكانت قد حصلت زلزلة ثالثة بعد إصلاح المهدي، فأصاب المسجد خراب، فأمر المأمون بتوزيع بنائه على أمراء الأطراف وسائر القوّاد، وقام بالبناء قائده عبد اللَّه بن طاهر بعد سنة ٢١٠هـ، وظل

(١) «إتحاف الأخصا» ص(٢٤٥).
(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ٢٨١).

المسجد الأقصى ومسجد الصخرة محميّان تحت كنف دولة العباسيين حتى انتهى عصرها.

* بيت المقدس في العصر الطولوني ثم الإخشيدي ثم الفاطمي العبيدي:

دخلت فلسطين في حكم الطولونيين من سنة ٢٦٤هـ حتى سنة ٢٩٢هـ: ٨٧٨م ـ ٩٠٥م ـ وعادت إلى عهد الولاة العباسيين من سنة ٢٩٢ هـ حتى سنة ٣٢٣ هـ ثم دخلت تحت حكم الإخشيديين من سنة ٣٢٣ هـ حتى سنة ٣٥٨هـ. وفي مدة حكم هاتين الأسرتين، لم يذكر التاريخ لهم مآثر في بيت المقدس أو في المسجد الأقصى؛ لأن الفتن والأحداث والقتال لم يتركهم يتفرّغون لبناء المآثر. وكان للقدس منزلة خاصة عند الإخشيديين، بدليل أن ملوكهم جميعًا دُفنوا فيها بناء على وصاياهم.

وفي سنة ٣٥٩هـ وقعت القدس تحت طائلة الحكم العبيدي الفاطمي في عهد المعز لدين اللّه، وعمل هؤلاء العبيديون الشيعة على تقريب اليهود والنصارى في فلسطين، وتزاوجوا منهم، واتخذوا منهم الوزراء والمستشارين والأطباء، وازدادت هذه الظاهرة في عهد العزيز باللّه الذي تزوّج من امرأتين نصرانيتين، كانت إحداهما أم ولده الذي تولى الحكم سنة ٣٨٦هـ ولُقّب بالحاكم بأمر اللّه الفاطمي، ولقد عمل هذا الخبيث على تقريب النصارى أكثر وأكثر، ولا عجب من أمثاله في ذلك، فقد كانت أمه وجاريته نصرانيتين، وتلقى تربيته وعلمه على أيدي النصارى، وعيّن شقيق جاريته النصراني أسقفًا بالقدس، وكان وزيره (عيسى بن نسطور) نصرانيًّا، وطبيبه (أبو الفتح منصور بن معشر)

نصرانيًّا، وكان نائبه في سوريا يهوديًّا. ولكن على رغم كل ذلك عاد الخليفة العبيدي (الحاكم بأمر الشيطان) فانقلب على النصارى وعلى اليهود، ثم رجع مرة أخرى إلى تقريبهم واسترضائهم.

❑ وفي عهد الخليفة العبيدي الظاهر والخليفة المستنصر باللَّه أُبرمت المعاهدات بين الدولة الفاطمية والدولة الرومية البيزنطية النصرانية، وأدّى هذا إلى رواج وانتعاش الوجود النصراني في المدينة المقدسة، وفتح ذلك أعين النصارى على الاستيلاء على هذه الأرض فيما بعد.

❑ وفي عام ٤٦٥هـ بعث ألب أرسلان السلجوقي بجيش إلى فلسطين استطاع به أن ينتزعها من يد الدولة الفاطمية وأقام الدعوة العباسية بالقدس.

❑ ثم استعاد الفاطميون القدس من السلجوقيين مرة أخرى عام ٤٩١هـ/١٠٩٨م في زمن الخليفة الفاطمي المستعلي باللَّه.

وكانت القدس وقتها بيد أميرين من السلاجقة ـ والصليبيون يومها في أطراف الشام ـ فجاء أمير الجيوش الفاطمي في هذه الأيام يحارب الأميرين ليرجع القدس إلى الحماية الفاطمية، وكان له ما أراد بعد أن قُتِل في هذا السبيل آلاف من المسلمين.

كان البيت المقدّس، لتاج الدولة تتش «السلجوقي» وأقطعه للأمير سقمان بن أرتق التركماني، فلما ظفر الفرنج بالأتراك السلاجقة على أنطاكية وقتلوا فيهم. وضعفوا، وتفرّقوا.. فلما رأى المصريون «الفاطميون» ضعْف الأتراك ساروا إليه، مُقَدَّمُهم الأفضل بن بدر الجمالي (أمير الجيوش) وحصروه وبه الأميران سقمان، وأليغازي، ابنا أرتق وابن عمّهما سونج، وابن أخيهما ياقوتي، ونصب عليه نيّفًا وأربعين منجنيقًا،

فهدموا مواضع من سوره، وقاتلهم أهل البلد، فدام القتال والحصار نيّفًا وأربعين يومًا، وملكوه بالأمان في شعبان سنة ٤٨٩هـ... واستناب المصريون في القدس رجلاً يعرف بافتخار الدولة»[١].

* الاحتلال الصليبي للقدس ٤٩٢ـ٥٨٣ هـ (١٠٩٩ـ١١٨٧م):

□ سقطت القدس في أيدي الصليبيين في وقت كان المسلمون فيه أضعف ما كانوا.

في بغداد كانت الخلافة العباسية في أضعف أحوالها لا حول لها ولا قوة.

وتفككت الدولة السلجوقية وانقسمت إلى خمس دول سلجوقية متنافسة متصارعة.

وعلا أمر العبيديين المبتدعة وفشا الفكر الباطني في الشام وساد أهل البدع.

وتفرقت البلاد إلى دول صغيرة قد لا تزيد رقعة الواحدة على قلعة وناحية من الأرض تحيط بها، وكان هؤلاء الحكام دائمي التنازع والعدوان على بعضهم البعض.

ولم يكن لأحدهم همٌّ إلا في بطنه وفرْجه كما يقول أبو شامة في كتاب الروضتين (١/ ١٤)، مما سهّل على الصليبيين دخول البلاد.

سيذكر التاريخ أن بطرس الناسك اجتمع بشمعون بطريرك القدس وشكى[٢] له الأول أحوال المسيحيين وأجابه بطرس قائلاً: «اعلم أيها

---

(١) «الكامل» لابن الأثير (٨/ ١٨٩).

(٢) على حد زعمهم الباطل كما يصوره وليم رئيس أساقفة صور وكبير مستشاري ملك القدس في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» ص(١٦٣).

الأب المقدس أنه لو كان لدى الكنيسة في روما، والملوك في الغرب أي مخبر حذر وموثوق يخبرهم بالمصائب التي تكابدونها[١] لكانوا سيحاولون حتمًا تقديم العلاج بالسرعة الممكنة وبالقول والفعل لمصاعبكم هذه. ولذلك اكتب أنت بكل اجتهاد إلى البابا العظيم وإلى الكنيسة في روما، واكتب أيضًا إلى ملوك وأمراء الغرب، وصادق على الرسالة بخاتم سلطانك الكهنوتي، وبالحقيقة - إنني لمداواة روحي - لن أتوانى عن الاضطلاع بهذه المهمة...»[٢].

وهكذا كتب بطريرك القدس الخائن الرسالة وسلّمها لبطرس الناسك.

وجاب بطرس الناسك إيطاليا بأجمعها، وعبر جبال الألب، وزار جميع ملوك أوربا مؤكدًا وموبخًا ومنتقدًا، واستقبل البابا أوربان بطرس الناسك، «ووعده مقسمًا بالرب الذي هو عبد له بأن يؤازره في المهمة التي جاء من أجلها كلما سنحت له الفرصة»[٣].

دعا البابا أوربان الثاني الجماهير المسيحية في مؤتمر كليرمونت سنة ١٠٩٥م إلى الحروب الصليبية قائلاً:

«يا شعب الفرنجة! شعب اللّه المحبوب المختار! لقد جاءت من تخوم فلسطين ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنسًا لعينًا أبعد ما يكون عن اللّه قد طغى وبغى في تلك البلاد بلاد المسيحيين، وخرّبها بما نشره فيها من أعمال السلب وبالحرائق، ولقد ساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذّبوهم أشنع

(١) وهذا من كذب الأسقف وليم.
(٢) «تاريخ الحروب الصليبية» ص(١٦٤).
(٣) «تاريخ الحروب الصليبية» ص(١٦٧).

تعذيب، وهم يهدمون المذابح والكنائس بعد أن يدنّسوها برجسهم، ولقد قطّعوا أوصال مملكة اليونان فانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين.

على من تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع، إذا لم تقع عليكم أنتم ـ أنتم يا من حباكم اللّه أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال وبالبسالة العظيمة، وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم؟

ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يُقوّي قلوبكم ـ أمجاد شارلمان وعظمته، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم ـ فليثر همّتكم ضريح المسيح المقدس ربنا[1] ومنقذنا، الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لُوِّثت ودُنِّست، لا تدعوا شيئًا يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم، ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال، ضيّقة لا تتّسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضًا، ويلتهم بعضكم بعضًا، وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث[2] وتملكوها أنتم، إن أورشليم أرض لا نظير لها في

---

(١) ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا﴾. ما المسيح بن مريم إلا عبد اللّه ورسوله، رفعه اللّه إليه وسيعود آخر الزمان ليحطم الصليب ويقتل الدّجال ويضع الجزية.

(٢) ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾.

ثمارها، هي فردوس المباهج، إن المدينة العظيمة القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلّصوا من ذنوبكم، وثقوا أنكم ستنالون من أجل ذلك مجد لا يفنى في ملكوت السماوات»[١] .

❑ يقول وليم رئيس أساقفة صور في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» بعض ما جاء في موعظة البابا ـ حسب روايته ـ:

«إن مهد عقيدتنا[٢] وموطن ربنا وأم الخلاص يستولي عليها الآن بكل قوة شعب بدون رب، إنه ابن لجارية مصرية[٣] ، وهو يفرض شروطًا مفرطة في شدتها على الأبناء الأسرى للمرأة الحرة[٤] ، وذلك على الرغم من أنه هو المستحق لهذه الأحوال. . .

لقد اضطهد عرق السراسنة[٥] الشرير التابع للمعتقدات الخرافية[٦] النجسة لسنوات عديدة وبكل عنف واستبداد ـ الأماكن المقدسة حيث ارتكزت أقدام ربنا، وأخضع المؤمنين[٧] لرغباته، وحكم بالعبودية عليهم، ولقد دخلت الكلاب الأماكن المقدسة، وجرى تدنيس المقدسات، وإذلال الناس عبدة الرب. . .

---

(١) انظر: «قصة الحضارة» لول ديورانت (١٥/ ١٥ ـ ١٦) الترجمة العربية بقلم محمد بدران، وكتاب «وثائق الحروب الصليبية» للدكتور محمد ماهر حمادة مؤسسة الرسالة.

(٢) أي: القدس.

(٣) أي: المسلمون باعتبار أن أمهم هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

(٤) أي: سارة أم إسحاق عليه السلام.

(٥) أي: العرب المسلمون.

(٦) يقصدون بذلك الإسلام.

(٧) أي: النصارى.

إن معبد الرب الذي طرد منه ـ بغيرته ـ الذين باعوا واشتروا، حتى لا يصبح بيت أبيه مغارة للصوص، قد جعل بيتًا للشياطين. . .

إن مدينة ملك الملوك التي نقلت إلى الآخرين مبادئ عقيدة عصماء[١] تُدفَعُ على الرغم من إرادتها لتكون خاضعة لدعاوى الشعوب المنحطّة. كما أن كنيسة القيامة المقدسة مكان الاستراحة الأخير للرب النائم تتحمل حكمهم، وقد دنّستها قذارة الذين ليس لهم نصيب في القيامة، بل مقدّر عليهم أن يُحرقوا للأبد كالقش بألسنة النيران السرمدية. .

لنذهب إلى نجدة إخواننا لنقطع قيودهم ولنطرح عنهم ربطهم، اذهبوا وليكن الرب معكم، وجّهوا أسلحتكم التي لطّختموها بشكل محرم في ذبح بعضكم بعضًا إلى أعداء العقيدة وأعداء اسم المسيح. . .

عليكم أن تكبحوا بكراهية قويمة غطرسة الكفرة[٢] الذين يحاولون استعباد الممالك والإمارات والقوى، وأن تهاجموا بكل قوتكم أولئك العاقدي العزم على تدمير الاسم المسيحي، وإلا فسيحدث أن كنيسة الرب التي تكابد الآن من نير العبودية المجحفة ستعاني خلال فترة قصيرة من خسارة العقيدة وستنتصر خرافات الوثنيين. ولقد رأى بعضكم بأم عينيه هذه الأشياء التي نتحدث عنها الآن، ويعرف نوع المحنة التي يعيش إخواننا فيها، وإن كتابهم الذي أحضره باليد بطرس الرجل المبجّل الموجود معنا هنا ينطق بمحتوى هذه الرسالة ذاتها.

---

(١) كذبوا. . . بل هو الكفر الصراح الموجب للخلود في النار ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا. أن دعوا للرحمن ولدا﴾.

(٢) أي: المسلمين.

وبناء عليه نقوم واثقين برحمة الرب، وبسلطان الرسل المباركين بطرس وبولص بمنح المسيحيين المؤمنين الذي يحملون السلاح ضد الملحدين ويتولون القيام بأعباء هذا الحج مغفرة للعقوبات المفروضة عليهم بسبب خطاياهم، وليثق الذين سيرحلون إلى هناك بتوبة صادقة أنهم سيلاقون التكفير عن آثامهم وسيجنون ثمار الجزاء السرمدي. ونضع في الوقت نفسه تحت حماية الكنيسة وحماية بطرس وبولص المباركيْنِ جميع الذين سيباشرون هذه المهمة بحماسة الإيمان ويتولون قتال الملحدين..»[١] إلى آخر ما جاء في موعظته.

يقول أسقف صور: «ويمكن القول بالفعل بأن قول الرب كان يتحقق حيث يقول: «ما جئت لأُلقي سلامًا بل سيفًا»[٢].

حيث انفصل الأزواج عن زوجاتهم، والزوجات عن أزواجهن، والآباء عن أبنائهم، والأبناء عن آبائهم، فروابط الحب كلها لم تصمد أمام هذه الحماسة، وخرج العديد من الرهبان من أديرتهم، كما تركوا صوامعهم، حيث كانوا قد عزلوا أنفسهم لخدمة الرب»[٣].

واندفعت الحشود الكافرة الموتورة يدفعها الحقد الصليبي، واستطاعوا أن يؤسسوا في بلاد الشام ثلاث إمارات صليبية:

- إمارة الرها أُسست في ١٠/ ٣/ ١٠٩٨م وكان سقوط الرها على يد بلدوين.

---

(١) «تاريخ الحروب الصليبية» ص(١٦٩ ـ ١٧٣).

(٢) متى: (١٠/ ٣٤).

(٣) «تاريخ الحروب الصليبية» ص(١٧٤).

▫ وإمارة أنطاكية أُسست في حزيران من السنة نفسها، وكان سقوط أنطاكية على يد بوهيموند.

وأرسل خليفة الفاطميين الخائن أفراداً من أسرته يعرض على الصليبيين دعمه العسكري وموارده ويرجوهم أن يطيلوا الحصار على أنطاكية، وأن لا يتركوها حتى تقع في أيديهم..

▫ هؤلاء الصليبيون لا نحاكمهم إلا من خلال كلامهم.. ما فعلوا بين معرة النعمان وأنطاكية أكلوا لحوم المسلمين.

قال وليم أسقف مدينة صور في كتابه: «تاريخ الحروب الصليبية» ص(٣٨٣): في حديثه عن جيش الصليبيين: «ومن المؤكد أيضًا ـ وعلى الرغم من أن هذا غير معقول تمامًا ـ أن الكثيرين قد هووْا بسبب نقص الطعام المناسب، إلى مهاوٍ سحيقة إلى درجة أنهم أكلوا اللحم البشري».

▫ وأخذوا القدس وأسسوا فيها إمارة سنة ١٠٩٩م.

ومما يزيد الأمر سوءًا، أن أمراء القلاع والمدن من المسلمين، كانوا يتعاونون مع هؤلاء الغزاة، ويقدّمون لهم الأموال وهم في طريقهم إلى القدس.

▫ وفي الطريق إلى القدس استولى الصليبيون على قيسارية حاضرة فلسطين الثانية، وأخذوا أرسوف ويافا ثم وصلوا إلى اللد، واحتلوا الرّملة ثم حاصروا القدس.

* حصار القدس وسقوطها والمذابح التي تمّت بها:

استناب الفاطميون في القدس رجلاً يُعرف بافتخار الدولة.. فقصده الفرنج بعد أن حصروا عكا فلم يقدروا عليها، فلما وصلوا إلى

القدس حصروه نيّفا وأربعين يومًا ونصبوا عليه بُرْجين، أحدهما من ناحية صهيون[١]، وأحرقه المسلمون وقتلوا كل من به، فلما فرغوا من إحراقه، أتاهم المستغيث بأن المدينة قد مُلكت من الجانب الآخر، وملكوها من جهة الشمال، ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ٤٩٢هـ. وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعًا يقتلون المسلمين، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود[٢]، فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام، فبذل لهم الفرنج الأمان، فسلّموه إليهم.. وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعُبّادهم وزهّادهم ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف»[٣].

* خيانة الفاطميين الزنادقة لبيت المقدس نسجّلها للتاريخ:

بدأ حصارُ مدينة القدس ٧/٦/١٠٩٩م، ودخل الصليبيون البلدة المقدسة ١٥/٧/١٠٩٩م. وعلى هذا فقد دام الحصار أكثر من شهر، وقد وصلت هذه الحملة إلى شمال سورية عام ٤٩١هـ ـ ١٠٩٨م، فبين دخول الحملة شمال سورية، إلى يوم دخولها القدس لا يقل عن عشرة أشهر. وفي شهر آذار ١٠٩٩م كانوا في طرابلس الشام. فحصار القدس لم يكن مفاجئًا لسلاطين الفاطميين أصحاب الألقاب الفخمة الفارغة.

ففي مصر: الخليفة المستعلي، وقائد جيوشها «أمير الجيوش الأفضل

(١) الحائط الجنوبي في السور.

(٢) محراب داود: بالقرب من باب الخليل في سور مدينة القدس في القلعة، وهو بعيد عن المسجد الأقصى.

(٣) «الكامل» لابن الأثير (٨/ ١٨٩).

ابن بدر الجمالي، ووزيرها الأفضل شاهنشاه، وفي القدس أميرها افتخار الدولة. . . أي واللَّه!!!، ورحم اللَّه الشاعر الأندلسي حين يقول:

مما يزهّدني في أرض أندلسٍ ... ألقاب مُعْتضدٍ فيها ومعتمدِ

ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهرِّ يحكي انتفاخًا صولة الأسدِ

ماذا كان من افتخار الدولة يوم خرج من القدس؟:

أدرك افتخار الدولة عند العصر ـ من اليوم نفسه الذي دخل فيه الصليبيون ـ أن كل شيء قد ضاع، وأنه لا أمل في المقاومة فانسحب، بل التجأ إلى برج داود، الذي عرض أن يُسَلِّمه إلى ريموند مع مبلغ من المال، مقابل الإبقاء على حياته، وحياة حرسه الخاص، فقبل ريموند الشروط، واحتل البرج، فخرج من المدينة تحت الحراسة افتخار الدولة مع حرسه، وانحازوا إلى الحامية الإسلامية بعسقلان.

. . إيه يا عار الدولة بل عار الدنيا ماذا فعلت؟

تُسلم الحصن، وتدفع المال، لتخرج سالمًا مع حرسك، وتترك المسلمين يُقتلون، هكذا تكشف المصائب عن فسادكم وزندقتكم وأنكم أبدًا الخنجر في ظهر الأمة، هلاّ جرّدت الحامية العسقلانية التي هي على مرمى حجر من القدس.

أين الحميّةُ والنفسُ الأبيّةُ إذْ ... سَامُوكَ خُطّة خَسْفٍ عارها يصمُ

هلاّ أَنِفْتَ حياءً أوْ مُحافظةً ... من فِعْل ما أنكرتْه العُرْبُ والعَجمُ

أسلمْتنا وسيوفُ الهنْد مُغْمَدةٌ ... ولم يُروِّ سِنان السمهريّ دمُ

وكنتُ أحْسَبُ مَنْ والاك في حرم ... لا يعتريه به شَيْبٌ ولا هَرَمُ

وأن جارك جارٌ للسموأل لا ... يخشى الأعادي ولا تغتالُه النّقَمُ

هَبْنا جَنَيْنا ذُنُوبًا لا يُكَفِّرها عُذْرٌ فماذا جنى الأطفال والحُرَمُ؟(١)

بعد أن غنم افتخار الدولة حياته بالهرب وتبيّن للمسلمين انهيار أسباب دفاعهم، ولّوا الأدبار نحو الحرم الشريف، حيث قبّة الصخرة والمسجد الأقصى، ووطدوا العزم على أن يتخذوا من المسجد معقلهم الأخير، ولم يكن لديهم الوقت الكافي لأن يجعلوه صالحًا للدفاع، فانقضّ «تانكرد» أثناء احتشادهم بداخل المسجد وفي أعلاه، فبادروا بالتسليم، وأخذوا علمه، ورفعوه فوق المسجد، ولكن «تانكرد» أخذ يعيث فسادًا في قبة الصخرة يدمّر وينهب ما يشاء... ولم يكن علم تانكرد عاصمًا للاجئين إلى المسجد الأقصى من القتل، ففي الصباح الباكر من اليوم التالي (الجمعة ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢هـ ـ تموز ١٠٩٩م) اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين، فأجهزت على جميع اللاجئيين.

وحينما توجّه «ريموند آجيل» في الضحى لزيارة ساحة المسجد، أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبته. وساحة المسجد الأقصى تتسع لأكثر من مائة ألف مصلّ، فإذا أصبح ملجأً، فإنه يتسع لمئتي ألف إنسان.

وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا، منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعُبّادهم وزُهّادهم، ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف. وأخذوا من عند الصخرة نيّفًا وأربعين قنديلاً من الفضة، وزن كلّ قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنّورًا من الفضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا من

(١) الأبيات لأسامة بن منقذ يخاطب بها أحد أصحاب الألقاب في زمانه.

القناديل مائة وخمسين قنديلاً، ومن الذهب نيّفًا وعشرين قنديلاً، وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء[١].

وعندما احتل الصليبيون القدس غيّروا معالم المسجد، فاتخذوا جانبًا منه كنيسة، وجانبًا منه لفرسان الاسبتارية. وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناءً جعلوه مستودعًا لذخائرهم، وحوّلوا قبة الصخرة إلى كنيسة.

قال «إسترانج» في كتابه «فلسطين في العهد الإسلامي»: استولى الصليبيون في ١٤تموز ١٠٩٩م على المدينة المقدسة، واستولى فرسان الهيكل على منطقة الحرم، وقد اشتق هؤلاء الفرسان اسمهم من قبة الصخرة التي ظنّها المسيحيون هيكلاً منذ أيام المسيح، فدعوا أنفسهم فرسان الهيكل، وقد أحدث الهيكليون تغييرات كثيرة في المسجد الأقصى وفيما جاوره من أجزاء منطقة الحرم، لكنّهم لم يمسّوا قبة الصخرة بسوء، فبنوا مستودع أسلحتهم مكان الأروقة المعمّدة التي وصفها ناصر خسرو، وبنوا إصطبلات خيولهم في أجزاء الزاوية الجنوبية الشرقية لمنطقة الحرم غربي مهد عيسى. وربما استعملوا البوابة الثلاثية أو المنفردة كمخرج لهم من تلك الأقبية»[٢].

يقول عارف العارف:

«إن الإفرنج لم يغيّروا شيئًا من بناء مسجد الصخرة سوى أنهم قلبوه إلى كنيسة، ووضعوا به الصور والتماثيل، وأنشئوا على الصخرة مذبحًا[٣] كما أنشئوا حول الصخرة سياجًا من الحديد المشبّك، وكسوا

(١) انظر: «الكامل» لابن الأثير أحداث سنة ٤٩٢هـ.

(٢) «فلسطين في العهد الإسلامي» لإسترانج ـ الترجمة العربية ص(١١٥).

(٣) «مذابح الكنائس»: هي المواضع التي يقيم عليها الكهنة القدّاس.

الصخرة بالرخام، ونصبوا فوق القبّة صليبًا كبيرًا.

وأما المسجد الأقصى، فقد غيروا الكثير من معالمه، واستعملوه لأغراضهم الدينية والأهلية والحربية، فاتخذوا جانبًا منه كنيسة، والجانب الآخر مسكنًا لفرسان الهيكل، وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناءً جديدًا، استعملوه مستودعًا لأسلحتهم. وأما السراديب القديمة التي كانت تحت الأقصى، ويسميها المقدسيون: الأقصى القديمة فقد اتخذها الصليبيون، إسطبلاً لخيولهم.

وكم من مسجدٍ جعلوه دْيرًا ... على محرابه رُسِم الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف ... وتحريق المصاحف فيه طيب

* ماذا فعل المسلمون الغافلون يومئذ بعد أن ضاعت قبلتهم الأولى؟

❑ قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧):

«لمّا كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، أخذت الفرنج ـ لعنهم اللَّه ـ بيت المقدس ـ شرّفه اللَّه ـ، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزْيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وتبّرُوا ما علوا تتبيرًا...

وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان، منهم القاضي أبو سعد الهروي، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا، وقد نظم أبو سعد الهروي كلامًا قُرئ في الديوان، وعلى المنابر، فارتفع بكاء الناس، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس

فلم يفد شيئًا، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون».

وقال ابن الأثير في «الكامل» (٨/ ١٨٩):

«ورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد صُحْبة القاضي أبي سعد الهروي فأوردوا في الديوان كلامًا أبكى العيون، وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا وبكَوا، وأبْكَوا، وذكروا ما دَهَم المسلمين بذلك الشريف المعظّم من قَتْل الرجال، وسبْي الحريم والأولاد، ونهب الأموال.. فلشدة ما أصابهم أفطروا!!!!

قال: فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغاني... وفلان، وفلان فساروا إلى حلوان «بالعراق» فبلغهم قتْل مجد الملك البلاساني فعَادوا من غير بلوغ أرب، ولا قضاء حاجة، واختلف السلاطين فتمكّن الفرنج من البلاد».

أفطروا في رمضان فلا أرقأ اللَّه لهم دمْعًا، ولا أقرّ لهم عينًا إن كانوا هؤلاء حماة الإسلام يومئذ كان لزامًا أن تسقط القدس على أيامهم والتاريخ يُعيد نفسه.

نستخذي في وهن وجبن وذل.

مَا لي ألوم عَدوِّي كلما نَزَلَتْ ... بيَ المصائب أوْ أرْميه بالتُّهَمِ

وادَّعي أبدًا أني البريء وما ... حَمَلْتُ في النفس إلا سَقْطة اللَّمَمِ

أنا الملوم! فعهد اللَّه أحمله ... وليس يحمله غيري من الأمم[1]

❀ ❀ ❀

(١) من ملحمة الغرباء للدكتور عدنان النحوي ـ دار النحوي للنشر والتوزيع.

قال أبو المظفر الأبيوردي في سقوط بيت المقدس:

مَزَجنا دماءً بالدموع السواجم ... فلم يبقَ منا عُرْضَةً للمَراجم[١]
وشر سلاح المرء دمع يفيضه ... إذا الحرب شبّت نارها بالصوارم
فإيهًا [٢]بني الإسلام إن وراءكم ... وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
أتهويمةً في ظلِّ أمن وغبطة ... وعيش كنُوّار الخميلة ناعم
وكيف تنام العينُ ملءَ جفونها ... على هفواتٍ أيقظت كلَّ نائمِ
وإخوانكم بالشام يُضحى مقيلُهم ... ظهور المذاكي أوبطون القشاعمِ[٣]
تسومهم الروم الهوانَ وأنتمُ ... تجرّون ذيْل الخفض فِعْل المُسالمِ
وكم من دماء قد أُبيحت ومن دُمًى[٤] ... تُواري حياءً حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض مُحْمرةُ الظُّبا ... وسمرُ العوالي دمياتُ اللهاذِم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفةٌ ... تظل لها الولدان شيبَ القوادم
وتلك حروبٌ من يَغِبْ عن غمارها ... ليسلمَ يقرَعْ بعدها سِنّ نادم

---

(١) عرضة: الهمة، ويقال: جعلتُه عرضة لكذا: أي: نصبته له. وهو عرضة للناس، أي: لا يزالون يقعون فيه. والمراجم: الكَلِم القبيحة، يُقال: تراموا بالمراجم، أي: بالقبيح من الكلام، وكأن الشاعر يقول: لقد ذُمّت جميع صفاتنا، فلم يبق منها صفة للعيب.

(٢) إيهًا: اسم فعل أمر، بمعنى: اسكت وكُفّ، أي: كُفّوا عن الضعف. والذُّرى: جمع الذِّروة: المكان المرتفع والعلو، واستعاره هنا لِعلية القوم. والمناسِم: جمع مَنْسِم، وهو للإبل كالظفر للإنسان. ويبدو أنّه استعاره لعامة الناس، يريد أن الحرب لا تُبقي على أحد.

(٣) المذاكي: الخيل. والقشاعم: الصقور.

(٤) الدُّمَى: جمع دُمْية: تستعار للفتاة الحسناء.

سَلَلْنَ بأيدي المشركين قواضبًا ... ستُغمد منهم في الطُّلى والجماجم[١]
يكاد لهن المستَجنُّ[٢] بطيبة ... ينادي بأعلى الصوت: يا آل هاشم
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدى ... رماحَهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خَوفًا من الرَّدى ... ولا يحسبون العار ضَربة لازِم
أترضى صناديدُ الأعاريب بالأذى ... ويُغضى على ذل كُماة الأعاجِمِ
فليتهم إذْ لم يذودوا حَميّةً ... عن الدين ضنوا غَيرةً بالمحارم
وإن زَهِدوا في الأجر إذ حمِسَ الوغى ... فهلاّ أتوْهُ رغبةً في الغنائم
لئن أذعنت تلك الخياشيم للبرى[٣] ... فلا عطسوا إلا بأجدعَ راغمِ
دعوناكمُ والحربُ ترنو مُلحّة ... إلينا بألحاظِ النسور القشاعم
تراقبُ فينا غارة عربيَّة ... تُطيل عليها الروم عضَّ الأباهم
فإن أنتمُ لم تغضبوا بعد هذه ... رَمينا إلى أعدائنا بالجرائم

❁ ❁ ❁

سيذكر التاريخ بالعار كل العار أسماء قادة من الصليبيين اشتركوا في سقوط بيت المقدس ومذابحها: غود فري دوق اللورين وأخوه يوستاس، وكونت فلاندرز، وكونت نورماندي، وتانكرد، وريموند.

* دخول القدس ومذبحتها بقلم عُبّاد الصليب:

يقول «وليم» أسقف صور في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية»:

---

(١) الطُّلى: مفردها: الطلية والطلاة، أي: العنق.
(٢) المستجنُّ بطيبة أي: المقبور في طيبة وهو رسول اللّه ﷺ
(٣) البرى: التراب: يريد رغم أنفهم في التراب.

❑ قام غـود فري الدوق النبـيل والشهيـر، برفقـة أخيه يوسـتاس، بالخطوة الأولى إلى داخل المدينة وشجّعـا البقية ليتبعـاهما، وذلك عندما تم تعـديل الجسـر، وتبـعـهمـا على الفـور الأخوان النـبيـلان لودولف وغسلبرت وهمـا من أهالي مدينة تورناي، وممن يستحـقان الذكر للأبد، ثم لحقهما حشد من الفرسان والمشاة بعدد كبير جـدًّا لدرجة أنه لم يعد بإمكان الآلة الحـربيـة أو الجـسر تحـمّل المزيد، وعندمـا أدرك العـدو أن المسيـحيين قد استـولوا على السور، وأن الدوق كان قد رفع رايتـه عليه هجروا الشرفات والأبراج ولجئوا إلى الشوارع الضيقة.

وما إن أدرك شعبنا أن الدوق وعدد كبير من القادة كانوا قد استولوا على الأبراج حتى شـرعوا بتسلق الآلة الحـربية، بل تنافسوا مع بعـضهم بعضًا في رفع سـلالم التسلق إلى الأسوار التي كانوا مـزودين بها بشكل جيد.

❑ وتبع الدوق غود فـري على الفور كل من كـونت فلاندرز ودوق نورمانـدي وتانكرد الشجـاع الذي هو محارب جـدير بالثناء من جـميع الجوانب، كما صعد مع هؤلاء كل من هيـبو الكبير، كونت القديس بول وبلدوين دي بورغ، وغـاسـتـون دي بارن، وغـاسـتـون دي بيـزريس، وجيراردي روزليون، وتوماس دي لا فير، أسقف برتون وكونت رينبولد من مدينـة أورانج ولودوفك مونكونز أسقـف مونتاغـيو وابنه لامـبرت، بالإضافة إلى آخرين كثر لا أتذكر أعدادهم ولا أسماءهم.

وحـالما رأى الدوق أن جمـيع هؤلاء الفرسـان قد دخلوا بسـلام، أرسل قسمًا منهم مع مـرافقة مناسبة لفتح الباب الشـمالي، حتى يتمكن الناس الذين كانوا ينتظرون في الخارج من الدخول إلى المدينة، وفتح هذا

الباب بالحال، واندفع الجيش كله بصورة فوضوية ودون نظام أو ترتيب.

حدث ذلك من الساعة التاسعة من يوم الجمعة.

ضم الدوق آنذاك والذين كانوا معه صفوف قواتهم، واندفعوا هنا وهناك خلال شوارع وساحات المدينة مستلين سيوفهم وبحماية دروعهم وخوذهم، وقتلوا جميع من صادفوا من الأعداء بصرف النظر عن العمر أو الحالة ودونما تمييز، قد انتشرت المذابح المخيفة في كل مكان، وتكدّست الرؤوس المقطوعة في كل ناحية بحيث تعذّر الانتقال على الفور من مكان لآخر إلا على جثث المقتولين، وكان القادة قد شقّوا في وقت سابق طريقًا لهم بواسطة مسالك متنوعة إلى مركز المدينة تقريبًا، وأحدثوا عندما تقدموا قتلاً لا يُوصف. وتبع موكبهم حشد من الناس متعطش لدماء الأعداء ومصمم تصميمًا كاملاً على إبادتهم.

وفي هذه الأثناء كان كونت طولوز والقادة الذين كانوا يحاربون معه في المنطقة المجاورة لقمة جبل صهيون، جاهلين تمامًا أنه تم الاستيلاء على المدينة وأن الانتصار كان حليفنا، لكن صرخات المسيحيين العالية التي أصدروها عندما دخلوا القدس، وصيحات الرعب التي ارتفعت عندما استمرت مذبحة الكفرة[1] جلبت الذعر للمدافعين في ذلك القطاع من المدينة واضطربوا لدى تفسير الجلبة الغريبة والصخب المشؤوم، وما لبث أن اكتشف الجميع أنه تم اقتحام المدينة بالقوة وأن فيالق المسيحيين قد دخلت إليها، فهجروا الأبراج والتحصينات بدون تأخير

(١) يعني المسلمين. . . رمتني بدائها وانسلّت.

وهربوا في اتجاهات مختلفة مصممين على النجاة فقط، ولجأت الأكثرية إلى القلعة لأنها كانت قريبة، أنزل الجيش الجسر بدون مقاومة، ورفع سلالمه إلى الأسوار، ودخل المدينة دون أدنى إعاقة من جانب العدو، وما إن أفسح المجال أمامه حتى تولى العساكر فتح الباب الجنوبي الذي كان الباب الأقرب إليهم، وسمحوا لبقية الناس بالدخول، وكان أن دخل إلى هنا كونت طولوز الشهير والشجاع بصحبة إيسورد، كونت ديا وريموند بيلي، ووليم دي سابران أسقف البارة وعدد كبير من النبلاء الآخرين لم يحفظ أي تاريخ أسماءهم وعددهم.

وطافت هذه القوات الموحدة والمدججة بالسلاح من رأسها إلى أخمص قدميها في كل مكان خلال وسط المدينة، وأحدثوا دمارًا مريعًا بتصميم مشترك، وواجه الذين نجوا من أعمال التخريب التي قام بها الدوق ورجاله، وهربوا إلى الأجزاء الأخرى من المدينة واعتقدوا أنهم قد نجوا بطريقة ما من الموت، واجهوا هذه المجموعة من المحاربين المسيحيين، وهكذا كان مثلهم مثل المستغيث من الرمضاء بالنار، ولقد كانت المجزرة التي اقترفت في كل مكان من المدينة مخيفة جدًّا، وكان سفك الدماء رهيبًا لدرجة عانى فيها حتى المنصورون من أحاسيس الرعب والاشمئزاز.

كان القسم الأكبر من الناس قد التجأ إلى ساحة الهيكل لأنها واقعة في قسم منعزل من المدينة وكانت محمية حماية قوية بسور وأبراج وبوابات، إلا أن هروبهم إلى هناك لم ينقذهم، حيث تبعهم تانكرد على الفور بالجزء الأكبر من سائر الجيش، وشق طريقه إلى داخل الهيكل، ونقل معه حسب إحدى الروايات بعد مذبحة مخيفة كمية ضخمة من

الذهب والفضة والمجوهرات، هذا ومن المعتقد أنه أعاد هذه الكنوز سالمة بعد أن كان الصخب قد هدأ.

وعلم القادة الآخرون، بعد أن كانوا قد قَتلوا من واجهوه في الأجزاء المختلفة من المدينة، أن الكثيرين قد هربوا للالتجاء إلى الأروقة المقدسة للهيكل، ولذلك اندفعوا بالإجماع إلى هناك، ودخلت مجموعة كبيرة من الفرسان والرجالة قتلت جميع الذين كانوا قد التجأوا إلى هناك، ولم تُظهر أية شفقة لأي واحد منهم، وغُمِر المكان كله بدم الضحايا.

لقد كان بالفعل حكم اللَّه القويم الذي قضى على الذين دنّسوا حرم المسيح بطقوسهم الخرافية، وجعلوه مكانًا غريبًا بالنسبة لأهله المؤمنين أن يكفّروا عن خطاياهم بالموت وأن يطهروا الأروقة المقدسة بسفك دمائهم.

وبات من المحال النظر إلى الأعداد الكبيرة للمقتولين دون هلع، فقد انتشرت أشلاء الجثث البشرية في كل مكان، وكانت الأرض ذاتها مغطاة بدم القتلى، ولم يكن مشهد الجثث التي فُصلت الرؤوس عنها والأضلاع المبتورة المتناثرة في جميع الاتجاهات هو وحده الذي أثار الرعب في كل من نظر إليها، فقد كان الأرهب من ذلك هو النظر إلى المنتصرين أنفسهم وهم ملطخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم، إنه منظر مشؤوم جلب الرعب لجميع من واجهوهم، ويروى أنه هلك داخل حرم الهيكل فقط قرابة عشرة آلاف من الكفرة، بالإضافة إلى القتلى المطروحين في كل مكان من المدينة في الشوارع والساحات حيث قُدِّر عددهم أنه كان مساويًا لعدد القتلى داخل حرم الهيكل.

وطاف بقية الجنود خلال المدينة بحثًا عن التعساء الباقين على قيد الحياة، والذين يمكن أن يكونوا مختبئين في مداخل ضيقة وطرق فرعية للنجاة من الموت، وسُحب هؤلاء على مرأى الجميع وذُبحوا كالأغنام، وتشكّل البعض في زمر، واقتحموا المنازل حيث قبضوا على أرباب الأسر وزوجاتهم وأطفالهم وجميع أسرهم، وقُتلت هذه الضحايا أو قُذِفت من مكان مرتفع حيث هلكت بشكل مأساوي. . . فتّش الحجاج المدينة بدقة قصوى، وقتلوا سكّانها بجرأة، وتغلغلوا إلى أكثر الأماكن عزلة وبعدًا، واقتحموا غرف الأعداء الخاصة جدًّا.

كان هنالك مسيحيون يعيشون في القدس، قد رأوا في تلك المدينة بطرس الناسك المبجل منذ أربع سنوات أو خمس مضت. . . وعندما تعرّف عليه هؤلاء الناس من جديد، أجلّوه كثيرًا واحترموه، لأنهم تذكّروا بامتنان قدومه الأول والصداقة التي رضي أن يكوّنها معهم، وشكروه بعمق على أنه أنجز المهمة بإخلاص وبشكل لا يعرف التعب وبدافع من التقوى التي كانوا حمّلوه إياها.

وهكذا تنافس الناس، بشكل فردي وكامل، مع بعضهم البعض في إبداء مظاهر الحفاوة والتكريم من جميع الأنواع لبطرس الناسك، ونسبوا إليه فقط بعد الرب خلاصهم من العبودية القاسية التي كانوا قد تحمّلوها لسنوات طويلة، واسترجاع المدينة المقدسة إلى حريتها الأصيلة.

ورأى الزعماء من الضروري وقبل كل شيء أن يُنظفوا المدينة، وخاصة أقنية الهيكل خشية أن ينشأ وباء من الهواء المشبع بالنتانة من جثث القتلى، وفُوضت هذه المهمة على المقادسة المأسورين الذين على

الرغم من أنهم أُودِعوا السجون قد نجوْا بالمصادفة من الموت، لكن بما أن عددهم لم يكن كافيًا لإنجاز عمل كبير جدًّا من هذا القبيل بدون مساعدة لهم، فقد قُدّمت أجرة يومية للمقـاتلين الفقراء من الجيش للمساعدة في تطهير المدينة دون تأخير.

ولكي تبـقى ذكرى هذا الحـدث العظيم محـفوظة بشكل أفـضل، صدر قرار عام لاقى مـوافقة وإقرارًا شاملين، قضى بأن يعـتبر هذا اليوم يومًا مقدسًا، وأن يفرد عن باقي الأيام.

وفي هذه الأثناء أدرك الكفرة الذين كانوا قد هربوا إلى قلعة داود للنجاة من انتقام السيف، أن المسيحـيين حققوا الآن ملكية تامة للمدينة، وأدركوا أنه لم يـعد بإمكانهم تحمّـل الحصار، ولهـذا بحثـوا عن كونت طولوز، الذي كان أقـام في المنطقة المجاورة للبرج، وحـصلوا على وعد منه بأن يحصلوا مع زوجاتهم وأبنائهم على خروج حر من المدينة وطريق آمن إلى عسقلان.

واظهر الذين كـانوا قد تولوا العناية بتطهير المـدينة، اجتهادًا كـبيرًا وحماسة في العمل، وأُحرِقت بعـض الجثث ودُفِن بعضها الآخر، وذلك حسب ما سمحت مقتضيات الزمن، وأُنجِز كل شيء بسرعة خلال بضعة أيام، وأعيدت المدينة إلى وضعها الأصلي من النظافة»[1].

أعـينيَّ لا ترقيْ من العـبـرات صِلي البُكَا في الآصال بالبكرات

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الحروب الصليبية من ص(٤٣٣ ـ ٤٤٢).

ولله درّ الدكتور عدنان النحوي وهو يقول في «ملحمة فلسطين»:

وَثَبَ الكافرون وثبًا علينا ... وغَزانا من كل أُفْقٍ صعيد
والصليب المزعوم يُخفي هَوَى المجـ ... ـرم يُعليه جاهلٌ وحقودُ
يا نداء الأقصى وقدْ حَلّ فيه ... من أذى الكفر عُصبةٌ وجُنُودُ
أعملوا السيفَ في الرقاب فسالتْ ... أنهرٌ من دمٍ وسالتْ نجودُ
يا لَهَوْلِ الإجرامِ جُنَّتْ ليالٍ ... فزعًا منه واقشعرت جُلُودُ
أقبلي يا عصورُ هاتي صلاح الـ ... ـدين فالدار شوقها مشهود
لم تزل جذوةُ البطولة في الأ ... مة يرعى غطاءها التوحيدُ

❁ ❁ ❁

* ما سقطت القدس وضاعت إلاّ بسقوط الأمة وضياعها.

الأسباب التي أدّت إلى سقوط القدس في أيدي الصليبيين وهل يعيد التاريخ نفسه؟

قال ابن خلدون: «الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء»[1] ويقول:

«فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتُشَدّ إليها الركائب والرحال، وهو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأوَل، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق.

يعيد التاريخ نفسه بصور أخرى وألوان أخرى.. ويتوقف فهم الحاضر على الرجوع للماضي. وأسباب ضياع الأمم تتكرر في تاريخ الإنسانية.. وفي هذا أعظم العبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

إن سقوط بيت المقدس لم يأت فجأة دون تمهيدات وإرهاصات، ومن الطبيعي أنه استغرق وقتًا كافيًا لينخر السوس في جسد الأمة.

وها نحن أولاء نجمل طرفًا من الأسباب التي أدت إلى سقوط القدس بأيدي الصليبيين:

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١/ ٢٩٢).

١ ـ ضعف الخلافة العباسية في بغداد وتمزقها:

يقول ابن كثير واصفًا أحوال الخلافة العباسية عام ٣٢٤هـ:

«وَهَى أمر الخلافة جدًّا، استقلّ نواب الأطراف ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد، وأما بقية الأطراف فالبصرة مع ابن رائق، وخوزستان إلى أبي عبد اللَّه البريدي، وأمر فارس إلى عماد الدولة ابن بويه، وكرمان مع أبي علي محمد بن إلياس بن اليسع، وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، وبلاد إفريقية[١] والمغرب في يد القائم بن المهدي الفاطمي، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر الساماني، والبحرين وهجر واليمامة في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي»[٢].

هذا ما ذكره ابن كثير، ولقد وصلت الخلافة إلى أضعف مما وصفه، ولم تتعد سلطة الخليفة أحيانًا أبواب قصره الذي يسكن فيه، وأصبح الخلفاء ألعوبة بأيدي الخدم والمماليك الذين سرعان ما يترقّون إلى أمراء للجند. وأصبح الخلفاء في ذل وهوان.

فالخليفة محمد بن أحمد الملقب بالقاهر باللَّه بعد أن عُزل لم يبق معه شيء من ملابسه سوى قطعة عباءة يلتف بها، وفي رجله قبقاب خشبي، ويدور على المساجد يسأل الناس!![٣].

---

(١) أيْ: تونس.

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ١٩٧).

(٣) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٢٤).

والخليفة ابن المعتز يهرب ويختفي عند أحد وجهاء بغداد «ابن الجصاص» ثم يعثر عليه فيقتل بعصر خصيتيه ويلف بكساء ويُسلم إلى أهله[١].

❑والخليفة المستكفي يعطى راتب ٥٠٠٠ درهم من قبل المتسلط أحمد بن بويه الشيعي، ثم يُعزل بعد أن يُجرّ من عمامته وتسمل عيناه، ويسجن حتى الموت.

❑وفي عهد المطيع للّه أصبح الأمر كله لمعز الدولة البويهي، حيث تحوّلت الوظائف الكبرى في الدولة كالقضاء والشرطة والحسبة إلى أن تُشترى وتباع «أسلوب الضمان».

❑والمتقي للّه إبراهيم بن المقتدر تولى الخلافة والأمور مدبرة، وفتنة ابن رائق والبريدي أدّت إلى نهب دار الخلافة، وهرب المتقي وابنه إلى الموصل، وحكم البريدي بغداد، ثم جاء سيف الدولة الحمداني «الشيعي» إلى واسط فانهزم البريدي، ثم دخل توزون بغداد وعيّنه الخليفة «أمير الأمراء»، واضطر الخليفة للخروج من بغداد طالبًا المساعدة من إخشيد مصر، فنصحه الأخير بترك بغداد والمجيء إلى الشام أو مصر، ولكن الخليفة رفض ورجع إلى بغداد، وبمجرد وصوله قام القائد التركي «توزون» بانقلاب عليه وسمل عينيه.

❑قال ابن كثير: «وفي هذه السنة ٣٣١هـ كثر الرفض ببغداد فنودي بها من ذكر أحدًا من الصحابة بسوء فقد برئت منه الذمة»[٢].

---

(١) «الكامل» لابن الأثير (٨/١٨).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/٢١٨).

ولم يكن سوء الحال هذا مقصورًا على بغداد بل كان عامًّا. وتفشَّتْ أنانية مفرطة، ولو أدّى ذلك إلى ضعف المسلمين:

❑ ففي عام ٤٨٧ هـ قتل السلطان بركيارق عمّه «تكش» وغرّقه وقتل ولده معه[١].

وهذا رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب قتل أخويه، واستعان بالباطنية؛ كل ذلك حرصًا على الملك[٢].

ومدينة الرها يتقاسمها أميران: ابن عطير، ونصر الدولة بن مروان، فما كان من ابن عطير إلا أن راسل ملك الروم «أرمانوس» وباعه حصّته بعشرين ألف دينار فدخل الروم البلد وملكوه وقتلوا المسلمين وخرّبوا المساجد[٣].

❑ وفي عام ٤٢٦هـ جمع ابن وثاب النميري جمعًا كثيرًا من البدو واستنجد من بالرّها من الروم، وقصد بلد نصر بن مروان ونهب وأخرب[٤].

يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم ويُقال ساسة

ووصل هذا الوباء إلى الأندلس «فقد تملّك رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخًا أربعة كلهم يتسمى بأمير المؤمنين، فصار الأمر في غاية الأخلوقة والفضيحة»[٥]، وفي زحمة الفتن والهرج في قرطبة، قام أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وتسوّر القصر ودعا إلى نفسه، فقال له بعض أهل قرطبة: « نخش عليك أن تُقتل في

(١) «الكامل» (٩/ ٢٣٩).
(٢) «الكامل (١٠/ ٤٩٩).
(٣) «الكامل» (٩/ ٤١٣).
(٤) «الكامل» (٩/ ٤٤٣).
(٥) «الكامل» (٩/ ٢٨٢).

هذه الفتنة، فإن السعادة قد ولّتَ عنكم، فقال: بايعوني اليوم واقتلوني غدًا»[١].

وبسبب هذا التمزق الداخلي طمع الكفار النصارى في بلاد المسلمين قبل مجيء الصليبيين بمائة وأربعين عامًا:

ففي عام ٣٥١هـ هاجم الروم بلدة «عين زرْبه» واستولوا عليها، وجمع قائدهم «الدمستق» المسلمين في المسجد الجامع، ومَن تخلّف عن المسجد قتلوه، ثم أمر مَن في المسجد بالرحيل حيث شاؤوا، فهاموا على وجوههم لا يدرون أين يتوجهون[٢].

وفي عام ٣٥٣هـ حاصر الروم «المصيصة» وقاتلوا أهلها وأحرقوا أراضيها ورجعوا[٣].

وفي سنة ٣٥٨هـ دخل ملك الروم الشام ولم يمنعه أحد ولا قاتله، وسار إلى طرابلس وأحرق البلد، ثم إلى حمص، ورجع إلى بلدان الساحل فأتى عليها نهبًا وتخريبًا، وكان بحلب «قرعويه» غلام سيف الدولة «الشيعي»، وقد صانع الروم[٤].

وفي سنة ٣٥٩هـ تملّك الروم مدينة أنطاكية بمساعدة النصارى من جيرانهم، وأخرجوا أهلها من الأطفال والعجائز والمشايخ، وأسروا الشباب والنساء[٥].

---

(١) «الكامل» (٩/ ٢٨٣).
(٢) «الكامل» (٨/ ٥٣٨).
(٣) المصدر السابق (٨/ ٥٥٢).
(٤) المصدر السابق (٨/ ٦٠٣).
(٥) «البداية والنهاية» (١١/ ٣٠١).

مثلما يحدث الآن كتب الحكام لأنفسهم تاريخًا مظلمًا لا يشرفهم ولا يُشرّف أمة تسكت عنهم ولا تنهاهم عن المنكر.

٢ ـ جشع كبار القوم وترفهم وشظف العيش وفقر عامة الناس من جانب آخر:

تجمّعت الأموال في يد حفنة قليلة لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا، وتركوا البلاد قاعًا صفصفًا يعانون شظف العيش بدون تأنيب ضمير أو حس.

فها هو سبكتكين الحاجب التركي مولى معز الدولة البويهي «قد ترك من الأموال شيئًا كثيرًا جدًّا، من ذلك ألف ألف دينار «مليون» وصندوقًا من الجوهر»[١].

والأفضل بن أمير الجيوش الأرمني وزير الفاطميين الذي ضاعت القدس في أيامه: «ترك من الذهب والثياب والرقيق والخيل والمسك ما لا يعلم قدره إلا اللَّه»[٢].

وعضد الدولة البويهي الشيعي يُنشئ بستانًا بلغت النفقة عليه وعلى سوْق الماء إليه خمسة آلاف ألف درهم.

والوزير بن كلّس عنده من العبيد والمماليك أربعة آلاف غلام.

❑ ويصف ابن كثير جهاز وزواج ابنة السلطان ملكشاة عام ٤٨٠هـ فيقول: «في المحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي، غالبها أواني الذهب والفضة

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٣٠١).
(٢) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٠٢).

وعلى أربع وسبعين بغلة مجللة بالديباج الملكي»[١].

في حين كان أكثر الأمة لا يجدون القوت الضروري.

فقد نقل ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٢١٩): في حوادث ٣٣١هـ: «وفيها غلت الأسعار حتى أكل الناس الكلاب ووقع البلاء في الناس».

وظهر العيّارون[٢] وأظهروا الفساد وأخذوا أموال الناس، وأُحرقت الدور.

وفي عام ٤٤٨هـ انقطعت الطرق لخوف النهب فغلت الأسعار وأكل الناس الميتة، واستغل التجار هذه الأوضاع، فاحتكروا المواد الغذائية، وباعوها في الأزمات، فقد باع رجل داراً بعشرين رطل دقيق، وكان قد اشتراها من قبل بتسعمائة دينار، وبيعت البيضة بدينار[٣].

أما الوزراء فانظر إلى الوزير المهلبي «يبتاع له في ثلاثة أيام ورد بألف دينار، فرش به مجالسه وطرحه في بركة عظيمة»[٤].

هذه حال الوزراء بينما نجد أن الفقيه المالكي عبد الوهاب التغلبي يغادر بغداد، متأسفًا عليها ويقول لمودّعيه: «لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية»، وفي ذلك يقول:

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٢١٩).

(٢) اللصوص.

(٣) «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٢/ ١٧).

(٤) «ضحى الإسلام» (١/ ١٠٤). مثلما حدث في أيامنا هذه أن يشتري مليونير فلسطيني يعيش في الكويت بقايا حطام سيارة ديانا بملايين الجنيهات، وأبناء دينه وبلده لا يجدون القوت الضروري في الخيام.

ظللت حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق[١]

وقد قال ابن بسام في «الذخيرة» عن هذا الفقيه المالكي: كان بقية الناس، ولسان أصحاب القياس.

❑ ولقد بلغ الفساد الاقتصادي أرذله عندما أقرّت الدولة مبدأ الضمان حتى وصل الأمر للضمان في القضاء والحسبة والشرطة.

«والضمان هو إعطاء الحق لبعض الأفراد بجمع الخراج من مدينة أو منطقة بكاملها لقاء مبلغ يؤدونه سلفًا للدولة، ولهم الفرق بين ما يجمعونه وبين ما يؤدونه، ويتولى الضامن جباية الخراج بمساعدة السلطة أو بدون ذلك أحيانًا»[٢] ، وهذا كان من أكبر أسباب خراب الدولة.

❑ يقول ابن خلدون: «اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، فإذا قعد الناس عن المعاش كسدت أسواق العمران، وخفّ ساكن القطر وخربت أمصاره»[٣] .

❑ ويقول: «ولا تحسبنّ الظلم إنما هو أخذ المال من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعمّ من ذلك، فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغُصّاب الأموال على العموم ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران»[٤] .

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٢٢١).

(٢) «أيعيد التاريخ نفسه» لمحمد العبدة ص(٢٠).

(٣) مقدمة ابن خلدون (٢/ ٧٤١).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٧٤٣).

٣ ـ ابتعاد العلماء عن قيادة الأمة التي تنتظر الخلاص على أيديهم إذا جاءها الضر عن طريق الأمراء:

* فالعلماء هم المقصودون بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

❑ قال المفسرون: ﴿وَأُولِي الأَمْرِ﴾: العلماء والأمراء، فلماذا لا يُعَلّمون الناس أن يرجعوا إليهم إذا حزبهم أمر أو ادلهمت مصيبة.

وإذا كان لبعض العلماء دور إيجابي في النصح أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهؤلاء قله إذا ما قيسوا بالأعداد الكبيرة من العلماء.

❑ يقول الشيخ رشيد رضا: «ثم رسخت السلطة الشخصية في زمن العباسيين، وجاراهم علماء الدين بعدما كان لعلماء السلف من الإنكار الشديد على الملوك والأمراء في زمن بني أمية وأوائل زمن العباسيين»[1].

❑ وقد يكون لسان حال بعض العلماء أو طلبة العلم: «إننا نبتعد عن الهرج والمرج، وعن التمرّغ في أوحال السياسة والانقلابات والصراعات حول الحكم، ونربي الأجيال على حب الإسلام، وننشر العلم حتى لا يندرس. وهذا هدف كبير لا شك في ذلك، وعمل جليل يستحق التفرّغ له، ولكن هذه الأجيال التي رُبّيت يجب أن يكون لها دور إيجابي بعدئذ في تصحيح الانحرافات، وقيادة الأمة».

قد يكون ضيق الحال الذي ابتُلي به كثير من طلبة العلم، أو خطّط له من قبل الحكّام سببًا لانزواء كثير منهم عن الحياة العامة، ولكن يبقى

---

(١) مجلة المنار (٤/ ٢٠٤).

السؤال: كيف يتسنّى لعالم أو طالب علم أن يعيش خالي البال، وأمته تتقاذفها الأهواء والفتن، وأهل البدع لهم صولة وجولة، والفساد السياسي والاقتصادي وصل إلى حد لا يُطاق؟ ثم لا يكون للعلماء حول ولا طول في ردّ هذا الطوفان.

لابد من الاعتراف أن من عوامل الانحلال والضعف الذي أصاب الأمة هو ابتعاد العلماء عن القيادة، وعن الحكم، وأصبح المثل الأعلى هو العالم الذي يبتعد عن السلطان، فهذه فكرة خاطئة إذا عُمّمت، فهناك علماء ربانيُّون يتولون التربية فهؤلاء من الأفضل ابتعادهم عن الحكم، أمّا أن يصبح الابتعاد هو المثل الأعلى فهذا من المصائب التي جرّت على المسلمين الضعف، وهل يتصور مسلم أن يجد أحد يكون أعلم وأتقى من رسول اللَّه ﷺ، وقد كان هو بنفسه قائد جيوش المسلمين في بدر والأحزاب وغيرها.

ويقول ابن تيمية واصفًا هذه الحالة: وبسبب ضعف الفقهاء من العلم الكافي للسياسة العادلة، وقع انفصام في المجتمع الإسلامي فصار يُقال: الشرع والسياسة، هذا يدعو خصمه إلى الشرع، وهذا يدعوه إلى السياسة، والسبب تقصير هؤلاء في معرفة السنة[1].

كما صوّر أحد الشعراء هذا الفصام، وانشغال العلماء والأدباء عن السياسة، وكيف تركوا الخلفاء تحت رحمة الأتراك الظلمة القُساة، فقال يخاطب جماعة في مكة يبحثون في النحو والصرف:

أما تستحون اللَّه يا معدن النحوِ ... شغلهم بذا والناس في أعظم الشُّغلِ

(١) الفتاوى (٢٠/ ٣٩٣).

إمامكمُ أضحى قتيلاً مجندلاً وقد أصبح الإسلام مفترق الشَّمْل
وأنتم على الأشعار والنحو عُكّفًا تصيحون بالأصوات في أحسن السبل [١]

❑ وكانت ثالثة الأثافي أن القضاء الذي كان مؤسسة مستقلة بعيدة نوعًا ما عن تأثير الحكام، تحوّل في هذا العصر إلى نظام الضمان.

٤ ـ الباطنيون والإرهاب الداخلي:

من المصائب الكبيرة التي نزلت بالمسلمين في هذا العصر وزادت الطين بلة ابتلاء الناس بالباطنية الذين أشاعوا الرعب في قلوب الناس، وغدرهم وفتكهم بالعلماء وولاة أهل السنة، فقتلوا الوزراء والملوك والعلماء في الأوقات الحرجة، وتحالفوا مع أعداء الإسلام من الصليبيين والتتار، وهذه الصورة ليست بعيدة عما يقع الآن من تحالف الباطنيين مع الاستعمار الغربي واليهود كرهًا في أهل السنة، وفي لبنان ذاق أهل السنة الويلات منهم، وذاق الفلسطينيون الأمرّين، والقديانية والإسماعيلية في باكستان يتحالفون مع الغرب، والبهائيون يتحالفون مع اليهود.

والباطنية اسم يجمع كل الفرق التي ظاهرها الرفض، وباطنها الكفر المحض، كالحشاشين أو القرامطة أو الخرمية أو الإسماعيلية، أو الدرزية أو النصيرية، ومن يقرأ الماضي تنجلى أمامه صورة الحاضر، حسن الصبّاح شيخ الإسماعيلية، وشيخ الجبل في بلاد الشام، والقرامطة وما فعلوه بالمسلمين حول الكعبة إلى آخر سلسلة الإجرام.

❑ يقول الأستاذ محمد كرد علي: «والغريب أن شيعة جبل عاملة

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٦).

كانوا من حزب الصليبيين على المسلمين إلا قليلاً، كما أن هوى الموارنة مع الصليبيين ويعملون عندهم أدلاء وتراجمة[١].

فبسبب هذه الصراعات الداخلية وفساد الباطنية لم يتمكن المسلمون في بغداد وغيرها من مساعدة إخوانهم في بلاد الشام حين دهمها الفرنجة والصليبيون، فحين وصل الصليبيون إلى القدس كان العالم الإسلامي يعيش بعيداً عن هذه الأحداث كأن في أذنيه وقراً كما يحدث الآن.

فبعد وصول الصليبيين إلى بلاد الشام، خرج القاضي أبو علي بن عمار صاحب طرابلس مسرعًا إلى بغداد مستنفرًا المسلمين لإنقاذ بلاد الشام، وخطب في مساجد بغداد داعيًا للجهاد، وتحمّس الناس وتأهبوا، ووعده السلطان بإرسال الجيوش، ولكن لم يتم شيء، ورجع القاضي إلى طرابلس، ويفاجأ بأن العبيديين «الفاطميين» أصحاب مصر قد استولوا على مدينته عوضًا عن مساعدته ضد الفرنجة[٢].

٥ ـ انتشار الفكر الشيعي والباطني في بلاد الإسلام..وخيانة الفاطميين للقدس:

هل كان يتصور أن يصمد المسلمون أمام الصليبيين وقد تفشى الفكر الشيعي وانتشرت البدع، وقامت للمبتدعة الزنادقة دول:

فالعبيديون الفاطميون بمصر (٢٩٧ ـ ٥٦٧هـ). والبويهيون وقد تملكوا مقاليد الأمور في بغداد وأهانوا الخلفاء أسوأ إهانة، والقرامطة وما فعلوه بالحجيج سنة ٣١٧هـ بل وبأهل دمشق سنة ٣٦٠هـ فقد أوقعوا

(١) «خطط الشام» (٢/ ١٤).
(٢) «الكامل» (١٠/ ٤٥٢).

بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ومحاولتهم إضعاف الدولة العباسية، وبنو حمدان (٣١٧ ـ ٣٩٤هـ) بحلب، والأسديون في الحلة (٤٠٣ ـ ٥٤٥هـ): لم يكتفوا بإماراتهم بل شاركوا في أحداث الدولة العباسية، من إثارة الفتن على الخليفة.

❑ فهذا دبيس أميرهم يرغم على الجلاء عن الحلة فيذهب إلى الشام ويساعد الروم في حصار حلب على شرط أن يتملكها بعد الانتصار على المسلمين، ولكن الحملة تفشل ويعود دبيس إلى الحلة فيُقتل من قبل السلطان مسعود السلجوقي.

ولقد تعاون الأسديون مع أرسلان البساسيري الداعي إلى طاعة العبيدين في مصر، وقد كان مملوكًا تركيًّا من مماليك بهاء الدولة البويهي، ثم صار من القواد المشهورين، ثم إنه كاتب حكّام مصر ليكون عونًا لهم على أخذ بغداد وساعده في ذلك دبيس بن مزيد، وتنمّر البساسيري ، ودخل بغداد وخطب في جامع المنصور للمستنصر العبيدي، وتلقاه أهل الكرخ الرافضة وسألوه أن يجتاز من عندهم، وأمر فأذّن بـ «حيّ على خير العمل» وذلك سنة ٤٥٠هـ ونهب دار الخلافة، ولم يطل الأمر بالبساسيري حتى جاء السلطان السلجوقي طغرل بك، ودخل بغداد وأرسل جيشًا قوامه ألف فارس لاحق البساسيري في الكوفة وما حولها واستطاع الظفر به وقتله.

❑ فالأسديون لتشيعهم ساعدوا هذا المارق، كما ساعدوا الروم ضد المسلمين[1]

---

(١) «الكامل» (٩/٦٤٨).

والصليحيون في اليمن (٤٢٩ ـ ٤٩٢) وخروج أميرهم علي بن محمد الصليحي بعد استيلائهم على اليمن وملكها سنة ٤٥٥هـ، خرج سنة ٤٥٩هـ لإخضاع الحجاز للدولة العبيدية فأراح اللَّه المسلمين من شره بقتله، وضعف أمرهم واستقلت زوجته بحكم اليمن سنة ٤٧١هـ، ويخاطبها المستنصر العبيدي بـ «الحرة السديدة».

* الفاطميون زنادقة خونة:

الفاطميون لا صلة لهم ببيت النبوة، والدولة الفاطمية هي دولة باطنية، وهذا رأي أكثر علماء الأمة الذين حققوا نسبهم وعلموا بواطنهم وأسرارهم.

وقد سأل الشريف ابن طباطبا ملكهم المعز العبيدي الذي فتح مصر عن نسبه، فسلّ سيفه، وقال: هذا نسبي، ونثر الذهب، وقال: هذا حسبي[1].

وصدق الشاعر عندما قال فيهم:

إنا سمعنا نسبًا منكرًا ... يُتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدّعي صادقًا ... فاذكر أبًا بعد الأب الرابع

فهم أولاد ميمون القداح بن ديصان اليهودي.

قال أبو شامة عن عبيد اللَّه المهدي مؤسس الدولة الفاطمية: «كان زنديقًا خبيثًا عدوًّا للإسلام، متظاهرًا بالتشيع، حريصًا على إزالة الملة الإسلامية، قتل من الفقهاء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة»[2]

---

(١) «وفيات الأعيان» (٢/ ٨٠).

(٢) «الروضتين في أخبار الدولتين» ص(٢٠١).

والمعز الفاطمي هو الذي أمر بقتل شيخ علماء السنة بمصر أبي بكر بن النابلسي، وضُرب بالسياط، ثم سُلخ جلده، سلخه يهودي حتى قتله، فلعنة اللَّه على الظالمين.

ومن العلماء الذين قتلوا على أيديهم محمد بن الحبُلي قاضي مدينة برقة[١].

ومنهم الإمام ابن البردون تلميذ أبي عثمان بن الحدّاد، قتله أبوعبيد اللَّه الشيعي، وقد قال له لما جُرّد للقتل: أترجعُ عن مذهبك؟ فقال: أعن الإسلام أرجع؟! ثم صُلِب[٢] ـ رحمه اللَّه ـ.

ومنهم ابن خيرون الإمام أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري، أمر عبيد اللَّه المهدي بأن يُداس حتى الموت، فقفز عليه الجنود السودان حتى مات، وذلك بسبب جهاده وبغضه لعبيد اللَّه وجنده[٣].

قال الذهبي: وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد، لما شهدوه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه، وقد رأيت في ذلك تواريخ عدة يصدق بعضها بعضًا، وخرج كثير من العلماء والعباد مع أبي يزيد الخارجي لقتال القائم بن عُبيد اللَّه، وقالوا: نكون مع أهل القبلة ضد من ليس من أهل القبلة[٤].

وخرّب الفاطميون القيروان سنة ٤٤٩هـ، وجلا علماؤها إلى الأقطار، ومات منهم كثير[٥]. وصلتهم بالقرامطة الملاحدة صلة أكيدة

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٧٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢١٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢١٧).

(٤) «السير» (١٥/ ١٥٤).

(٥) الفكر السامي في تاريخ الفقة الإسلامي (٢/ ١٦٥) لمحمد بن الحسن الحجوي.

ودعوتهم دعوة واحدة.

❑ يقول ابن خلكان: «كان العاضد شديد التشيع متغاليًا في سبّ الصحابة، وإذا رأى سنّيًّا استحلّ دمه[١].

❑ قال الإمام الشاطبي: أما الدجّالون فمنهم معد من العبيدية الذين ملكوا إفريقية، فقد حكى عنه أنه جعل المؤذن يقول: أشهد أن معدًا رسول اللَّه، فهمّ المسلمون بقتله «أي: المؤذن» ثم رفعوه إلى معد ليروا هل هذا عن أمره، فلما انتهى كلامه إليه قال: «اردد عليهم أذانهم لعنهم اللَّه»[٢].

❑ وفي حوادث ٤١٤هـ قام رجل من المصريين «العبيديين» بضرب الحجر الأسود بآلة ثقيلة، والسيف في يده الأخرى وهو يقول: «إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد وعلي، فتمكن منه أحد الحجاج من اليمن فضربه بخنجر فقتله.

هذه حقيقتهم لا يؤمنون بالرسالات ولا بالأنبياء.

وكل الإرهاب الذي زرعه الحشاشون في العالم الإسلامي، إنما هو ثمرة من ثمار الدعوة الإسماعيلية العبيدية في مصر. وحسن الصبّاح زعيم قلعة «ألموت» الذي أرسل رجاله يقتلون العلماء والأمراء المجاهدين إنما تلقى الدعوة على أيدي أصحابها في مصر، والدروز في بلاد الشام من آثار دعوة الدولة العبيدية، وهم يؤلِّهون الحاكم العبيدي، وعلاقتهم بإسرائيل علاقة جيدة.

---

(١) «وفيات الأعيان» (٣/ ١١٠).

(٢) «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٩٧).

ولما اجتاحت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢ ووصلوا إلى بيرت قاوم المسلمون السنيون هذا الاجتياح بما لديهم من أسلحة، ولم يقاوم الدروز أبدًا ومعهم السلاح الجيد، ودخلت كتيبة من جيش إسرائيل إلى منطقة الشوف دون مقاومة، وفي مقابلة لشيخ الدروز محمد أبو شقرا مع صحفي أمريكي قال: «إن جيش الدفاع الإسرائيلي أخذ يعيد للدروز حقوقهم المغتصبة».

* وزراؤهم:

استعان العبيديون في شئون الحكم باليهود والنصارى وغلاة الشيعة ومنهم:

❑ يعقوب بن كلس اليهودي الأصل والوزير الأول في أيام العزيز، وجاء في صحبة المعز إلى مصر، وتحول من اليهودية إلى الإسماعيلية.

❑ وعيسى بن نسطورس النصراني الذي ضجّ المسلمون في مصر منه لمحاباته للنصارى، ومساعدته لليهود وإرساله منشا اليهودي نائبًا عنه إلى الشام.

❑ وفي عهد الحاكم عيّن الحسين بن جوهر قائدًا للقوّاد، وفوّض إليه تدبير المملكة، فعيّن نائبًا له فهد بن إبراهيم النصراني.

وتولى الوزارة أيضًا في عهد الحاكم: زرعة بن عيسى بن نسطورس، وصاعد بن عيسى بن نسطورس.

❑ وفي عهد المستنصر (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ): تولى الوزارة صدقة بن يوسف الفلاحي وهو يهودي تحوّل إلى المذهب الإسماعيلي. ومن الوزراء المشهورين في عصره بدر الجمالي الأرمني الشيعي.

❑ وفي عهد المستعلى والآمر: تولى الوزارة الأفضل بن بدر الجمالي، وفي عهده تولى يهودي شؤون قصر أم الخليفة فاشتد نفوذه وأسند مناصب الدولة لليهود[١].

والأفضل هذا كان في أيامه نكبة القدس. وهو الذي عرض على الفرنجة الصليبيين عند وصولهم إلى أنطاكية «مقترحًا تقسيم الشام، فيكون شمال سورية من نصيب الفرنج، وتستولي مصر على فلسطين»[٢] ورفض الصليبيون.

❑ يصف الذهبي عموم جيوشهم بأنهم أهل شر وزعارة لا سيما من تزندق منهم.

وقد ذاق المسلمون منهم من القتل والنهب والسبي حتى أن أهل صور استنجدوا بنصارى الروم من ظلمهم وجورهم وأخذهم النساء من الحمامات والطرق[٣].

❑ وقد وصف ابن كثير ملوك الدولة العبيدية: بأنهم من أنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، وقد ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقلّ عندهم الصالحون من العلماء، وكثر بأرض الشام النصرانية، والدرزية والحشيشية، وتغلّب الفرنج على الساحل.

فهؤلاء الخونة الزنادقة ما دافعوا عن القدس لما حاصرها الصليبيون، وهرب قائد حاميتها أمير الجيوش الأفضل الجمالي وزير المستعلي وتركها

---

(١) «أخبار ملوك بني عُبيد» للصنهاجي ص(٧١).
(٢) «الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي» للمنياوي ص(٢٢٦).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٦/٤٦٨).

للفرنجة دون مقاومة تذكر.

❑ قال ابن خلكان معلقًا: «ولو كانت في يد الأرتقية «أمراء الشام من الأتراك» لكان أصلح للمسلمين»[١].

❑ وفي أيام نور الدين محمود زنكي كان وزيرهم «شاور» يستنجد بالصليبيين خوفًا على منصبه من ابن زنكي.

وعندما تملك صلاح الدين مصر، وانقطعت الدولة العبيدية، اتفق بقايا العبيدية على إرجاع الدولة، فراسلوا الفرنجة في صقلية يطلبون المساعدة، ولكن المؤامرة كُشفت وقُتل من تولى كبرها[٢].

❑ ومن آثار دعوتهم أن أمير حلب محمود بن صالح بن مرداس عندما أراد تحويل الخطبة لبني العباس والسلاجقة ـ في عهد السلطان ألب أرسلان ـ ويترك العبيديين رفض العامة في حلب هذا التحوّل، وحملوا أثاث المسجد، وقالوا: هذه حصر علي بن أبي طالب، فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها الناس؟!

ولما استقرّ لهم الأمر في دمشق أُذِّن في نواحيها بـ «حي على خير العمل»، وكتب سب الشيخين على أبواب الجوامع، ولم تزل كذلك حتى أزيلت زمن دولة الأتراك والأكراد[٣].

لو لم يكن لهؤلاء الباطنية: إلا قتلهم للصالحين لكفى.. وقبل احتلال الصليبيين للقدس، قتل الباطنية في مستهل رمضان ٤٨٥هـ في

---

(١) «وفيات الأعيان» (١/ ١٧٩).

(٢) «الكامل» (١١/ ٣٩٨).

(٣) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٨٤).

اليوم العاشر الوزير نظام الملك.

وفي التاريخ عظة وعبرة. .أنه ما ضعف المسلمون إلا في عهود دول البدع والزنادقة، وكل هوان وذل حلّ بالقدس إنما هو من آثار البعد عن دين اللّه عز وجل، وتفشي البدع. .والواقع خير شاهد.

فتح بيت المقدس
على يد صلاح الـــــدين

استعادة بيت المقدس

أفاق المسلمون من سباتهم ومن غفلتهم وبدءوا محاولاتهم لاستعادة الشام من أيدي الصليبيين. تكلمنا وأسهبنا في الحديث عن ضياع القدس، وسنسهب في الحديث عن عودتها هي وبلاد الشام، بل وعصور ما قبل الفتح التي مهدت وهيأت لعودة القدس.

ففي عام (٥٠٥هـ) تحمّس السلطان غياث الدين السلجوقي لمساعدة المسلمين في بلاد الشام، فجهز جيشًا كثيفًا برئاسة الأمير مودود ومعه من الأمراء: صاحب تبريز «سكمان القطبي»، وصاحب مراغة «أحمد بل»، والأمير إيلغازي صاحب «ماردين».

جمع مودود الجموع من أقاليم الجزيرة، وتوجه إلى الشام وانتزع من الصليبيين حصونًا كثيرة، ورجع أكثر الأمراء إلى مدنهم خوفًا من حصول أي انقلاب عليهم، ولما دخل الأمير مودود دمشق ذهب للصلاة في جامعها، فجاءه باطني بزيّ سائل فطلب منه شيئًا فأعطاه، فلما اقترب منه ضربه بسكين فمات من ساعته ـ رحمه اللَّه ـ [١].

وأرسل ملك القدس الصليبي رسالة إلى ملك دمشق يقول فيها: «إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها، في بيت معبودها لحقيق على اللَّه أن يبيدها»[٢].

وقام العلماء بالدعوة إلى الإصلاح، وكانت جهودهم كقطرات

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ١٨٥).

(٢) وثائق الحروب الصليبية.

الماء التي تتسرّب في شقوق الأرض، ثم تتجمع وتخرج ينبوعًا صافيًا. والأمة الإسلامية ـ حتى في حالات ضعفها ـ إذا سمعت بالجهاد، ورأت من يقوم به، فإنه يهزها هزًّا، ويبعث كوامن شعورها ويستثيرها للطموح والمعالي، فعندما قدم القاضي فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس الشام على بغداد مستنفرًا للجهاد «سيّر الخليفة خواصه وجماعة أرباب المناصب لاستقباله، فلقوه وأنزلوه المنزل اللائق به وكذلك فعل السلطان السلجوقي، وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك أمثاله، وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا ولأجر الآخرة أكبر»[1].

عماد الدين زنكي واسترجاع الرها:

في عهد السلطان محمد السلجوقي تولى عماد الدين زنكي شحنة بغداد «الحامية العسكرية» ولما توفي صاحب الموصل مسعود بن البرسقي قام القاضي بهاء الدين الشهرزوري، وصلاح الدين محمد صاحب البرسقي وعرضا على السلطان أن يولي الموصل عماد الدين فوافق لما يعلمه من كفايته وشهامته. فأبان زنكي عن كفاية وحزم وبدأ مرحلة الجهاد التي آتت أكلها وأثمرت نتائجها، على يد ابنه نور الدين محمود، ثم صلاح الدين فكانا من خيرة السلاطين دينًا وشجاعة وحرصًا على الإسلام.

❑ استطاع زنكي بفترة قصيرة توحيد أكثر أقاليم الجزيرة، ثم بدأ ببلاد الشام وأخذ بعض الحصون فلما رأى الروم والفرنجة ما فعله عماد الدين قرروا حصر حلب، ولم ير زنكي منازلتهم بكثرتهم، بل نزل قريبًا منهم لمناوشتهم، وأرسل القاضي كمال الدين الشهرزوري إلى السلطان

(١) «الكامل» (١٠/ ٤٥٣).

مسعود في بغداد يخبره بالواقع ويطلب النجدة، فقال القاضي محذراً عماد الدين من الاستعانة بعساكر السلطان: «إذا جاءت عساكر السلطان اتخذوا هذا حجة وملكوا البلاد». فقال زنكي: إن هذا العدو قد طمع فيّ وإن أخذ حلب لم يبق بالشام إسلام، وعلى كلٍّ فالمسلمون أولى بها من الكفار»[١].

وكلام زنكي يختلف عما كان عليه كثير من أمراء المدن الذين كانوا يحرصون أشد الحرص على ولايتهم ولو استعانوا بالكفار، بينما نجد أن زنكي لا يمانع من أخذ السلطان لحلب وتكون للمسلمين.

❑ وفي سنة (٥٢٢هـ) استطاع زنكي تسلم مدينة حلب، وهكذا صار الفرنجة بإزاء رجل قوي يستطيع حشد الجيوش والأموال، فلما استقر له الحال ورأى أنه قد مهد الأمور، عند ذلك قرر مجابهة الفرنجة، وبدأ بحصن «الأثارب» الذي يقع بين حلب وأنطاكية، وذلك لشدة ضرره على المسلمين، وحاصر الحصن، وخرج له الصليبيون بخيلهم ورجلهم، وكان النصر للمسلمين وهي أول وقعة معهم، وخاف أهل قلعة حارم فصالحوه، ومن هنا استدار الزمان، وقوي المسلمون بتلك الأعمال، وضعفت قوى الكافرين، وعلموا أن البلاد جاءها ما لم يكن بالحسبان وصار قصاراهم حفظ ما في أيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع[٢].

❑ وفي سنة (٥٣٢) جاء الروم بجيش عظيم ومعهم الفرنجة، واستولوا على البلاد المحيطة بحلب، ثم حصروا مدينة شيزر، فأرسل صاحبها سلطان بن منقذ الكناني يستنجد زنكي، فجاء ونزل على حماه،

---

(١) «الروضتين في أخبار الدولتين» (١/ ٣٥).
(٢) «الكامل» (١٠/ ٦٦٣).

وكل يوم يرسل السرايا يتخطف من الروم ويخرج لهم ويقول: اخرجوا إلى الصحراء نكتفي وهو يفعل ذلك ترهيبًا لهم، ولكن ملك الروم آثر السلامة وانسحب إلى بلاده.

❑وفي سنة (٥٣٤) أغار زنكي على ممالك الإفرنج فاجتمعوا إليه، فلقيهم بالقرب من حصن «بارين» وصبر المسلمون صبرًا لم يسمع بمثله إلا ما يحكى عن ليلة الهرير «القادسية» ونصر اللَّه المسلمين، وهرب ملوك الإفرنج، ثم تسلم حصن «بارين» بالأمان، واستراح المسلمون ما بين حلب وحماه من شرهم[١]. وكان في نية زنكي توحيد بلاد الجزيرة تحت قيادته حتى يتمكن من مجابهة الأعداء، فسار إلى بلاد الهكارية، وكانت بيد الأكراد فأخذها ثم بلاد آق، وكل هذا كان تمهيدًا للقيام بأعظم أعماله وهو فتح «الرها».

❑ففي سنة (٥٣٩) قرر زنكي محاصرة هذه المدينة، وكانت تحت حكم الصليبيين ويتملكها «جوسلين»، وحاصرها ثمانية وعشرين يومًا، ثم دخلها عنوة فاستباحها ونكس صلبانها، وأباد قسوسها ورهبانها، وعادت إلى حكم الإسلام، وهي من أشرف المدن عند النصارى، وسقطت بعدها الحصون القريبة، وأخلى الديار الجزيرية من حكم الفرنج وشرهم[٢].

لم يستطع زنكي إتمام هذه المرحلة فقد قتل وهو يحاصر قلعة «جعبر» التي تقع على نهر الفرات في إقليم الجزيرة.

❑قال ابن كثير يصفه: «من خيار الملوك وأحسنهم سيرة، كان شجاعًا

---

(١) «الروضتين» (١/ ٣٤).

(٢) «الروضتين» (١/ ٣٦).

مقدامًا حازمًا»، وهو الذي بدأ بجهاد الصليبيين، وعادت الثقة إلى نفوس المسلمين ولكن التجديد الجهادي كان على يد ابنه نور الدين محمود.

نور الدين محمود زنكي

إذا ذُكرت القدس . . . وكيف عادت إلى المسلمين بعد أخذ الصليبيين لها فلابد من ذكر البطلين نور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، وسنطيل في ذكر عهدهما لنعرف بم تنتصر الأمم، وكيف أن استعادة القدس كان ثمرة طيبة، لشجرة طيبة، ومن ثمارهم تعرفونهم.

إذا أردنا معرفة فضل هذا السلطان وأثره وجهاده، وأنه يمثل هو وصلاح الدين التجديد الجهادي في عصرهم، لا بد أن نذكر ما قاله المؤرخ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي الملقب بأبي شامة عندما ذكر سبب اهتمامه بتاريخ هاتين الدولتين «النورية والصلاحية»، يقول عن نور الدين: «أطربني ما رأيت من آثاره، وسمعت من أخباره مع تأخر زمانه ثم وقفت بعد ذلك على سيرة سيد الملوك بعده الناصر صلاح الدين فوجدتهما في المتأخرين كالعمرين ـ رضي اللَّه عنهما ـ في المتقدمين، فللَّه درُّهُما من ملكين تعاقبا على حسن السيرة وجميل السريرة، والفضل للمتقدم «نور الدين» فإنه أصل ذلك الخير كله، مهّد الأمور بعدله وجهاده وهيبته في جميع بلاده، ولكن صلاح الدين أكثر جهادًا وأعم بلادًا، صبر وصابر وذخر اللَّه له من الفتوح أنفسه، وهو الذي فتح الأرض المقدسة»[٢].

---

(١) «الروضتين» (١/ ٣٦).

(٢) «الروضتين» (١/ ٤).

ولد نور الدين سنة (٥١١) ونشأ مع والده في العراق، ثم الموصل وبلاد الشام، وبعد وفاة والده قام مقامه، وأظهر السُّنة في حلب وغير البدعة وقمع الرافضة، وبنى المدارس، ووقف الأوقاف، وأظهر العدل، وكان كثير المطالعة للكتب الدينية متبعًا الآثار النبوية مواظبًا على الصلوات في الجماعات عاكفًا على تلاوة القرآن، عفيف البطن والفرج، مقتصدًا في الإنفاق، متحريًّا في المطاعم والملابس، لم تسمع منه كلمة فحش[١]. قال عنه ابن الأثير: «طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وبعده إلى يومنا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة منه»[٢].

ومن زهده وتقواه أنه كان لا يأكل ولا يلبس إلا من مِلْكٍ كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة، ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين، وقد شكت إليه زوجته الضائقة، وزيادة النفقة فاحمر وجهه وقال: من أين أعطيها ما يكفيها، واللَّه لا أخوض نار جهنم في هواها، ثم قال: لي بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكًا، وقد وهبتها إياها فلتأخذها[٣].

روى أحد الملازمين له من أمرائه فقال: «كنت معه يومًا في الميدان بالرّها والشمس في ظهورنا فكلما سرنا تقدمنا الظل، فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا فأجري فرسه وهو يلتفت وراءه، وقال لي: أتدري لأي شيء أجرى فرسي وألتفت ورائي؟ قلت: لا، قال: قد شبهت ما

---

(١) «الروضتين في أخبار الدولتين» (١/ ٥).
(٢) «الكامل» (١١/ ٤٠٣).
(٣) المصدر السابق (١١/ ٤٠٣).

نحن فيه بالدنيا تهرب ممن يطلبها، وتطلب من يهرب منها». قال أبوشامة: رضي اللَّه عن ملك يفكر في مثل هذا»[١]

وقال ابن الأثير: وكان يصلي كثيراً من الليل، ويدعو ويستغفر، ولا يزال كذلك إلى أن يركب:

جمع الشجاعة والخشوع لربه ... ما أحسن المحراب في المحراب[٢]

وكان عارفًا بالفقه على مذهب أبي حنيفة، وليس عنده تعصب، بل الإنصاف سجيته في كل شيء، وعلى الحقيقة فهو الذي جدد للملوك اتباع سنة العدل والإنصاف، وترك المحرمات من المأكل والمشرب والملبس، فإنهم كانوا قبل ذلك كالجاهلية همة أحدهم بطنه وفرجه، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، أما عدله فإنه كان أحسن الملوك سيرة، فلم يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا مكسًا ولا عشرًا، بل أطلقها ـ رحمه اللَّه ـ جميعها في بلاد الشام والجزيرة ومصر[٣].

ومن عدله أنه بنى دارًا للعدل، وكان سبب بنائها أن أمراءه وقواد جيوشه تعدوا على من يجاورهم، فكثرت الشكاوى إلى القاضي كمال الدين، فأنصف بعضهم ولم يتجرأ على القائد أسد الدين شيركوه، فلما سمع نور الدين بذلك بنى هذه الدار وأحسّ أسد الدين بهذا فقال لنوابه: واللَّه لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحدكم لأصلبنه، فامضوا إلى

---

(١) «الروضتين» (١/ ٦).

(٢) «الكامل» (١١/ ٤٠٣).

(٣) «الروضتين» (١/ ٣٤).

كل من بينكم وبينه منازعة فأرضوه وافصلوا الحال معه[١]، فقالوا: إذا فعلنا هذا فإن الناس يشتطون في الطلب، فقال: خروج أملاكي عن يدي أسهل علي من أن يراني نور الدين بعين أبيٍّ ظالم، وكان نور الدين يجلس في هذه الدار يومين في الأسبوع، فلما علم ما حصل مع أسد الدين شيركوه سجد للَّه شكرًا[٢].

وأما فعله في بلاد الإسلام من المصالح فكثير، فقد بنى أسوار مدن الشام جميعها وأحكم بناءها، وبنى المدارس بحلب وحماه ودمشق، وكان أهل الدين عنده في أعلى محل، وكان أمراؤه يحسدونهم على ذلك، فقد ذكر أحد الأمراء الشيخ قطب الدين النيسابوري أمام نور الدين، فقال له السلطان: «يا هذا، الذي تتكلم عليه فله حسنة تغفر كل زلة، وهي: العلم والدين، وأما أنت وأصحابك ففيكم أضعاف ما ذكرت، وليست لكم حسنة تغفرها، وأنا أحمل سيئاتكم مع عدم حسناتكم، أفلا أحمل سيئة هذا ـ إن صحت ـ مع وجود حسنته، على أنني واللَّه لا أصدقك فيما تقول، وإن عُدت وذكرته بسوء لأؤدبنك»[٣].

ومن عفته وتقواه أن ما كان يهدى إليه من هدايا الملوك لا يتصرف في شيء منه لا قليل ولا كثير، بل يخرجه إلى مجلس القاضي ويحصل ثمنه ويصرفه في عمارة المساجد المهجورة، وأمر الخطباء بإسقاط ألقابه في الدعاء له على المنابر، وكان كما وصفه العماد الأصفهاني: «هو الذي

---

(١) أي: أنهوا المشكلة بأي طريقة، ولو أن ترهنوا له كل ما يطلب.

(٢) «الروضتين» (١/ ٨).

(٣) «الروضتين» (١/ ٩).

أعاد رونق الإسلام إلى بلاد الشام وقد غلب الكفر، وبلغ الضر، فاستفتح معاقلها واستخلص عقائلها»[١] . وعندما تملَّك الموصل أمر قائد شرطتها أن لا يعمل شيئًا إلا بالشرع الذي يأمر القاضي به، وكانوا قبله يعملون بالسياسة[٢] ، وطلب منه أن يزيد في العقوبات فرفض وقال: هذا زيادة في الشريعة.

العلماء في عهد نور الدين:

إن للعلماء الدور الأكبر في الإصلاح الذي يبتغيه نور الدين، فقد أفسح لهم المجال وقدَّرهم أكبر التقدير ولذلك وفد عليه العلماء، أو طلبهم ليساعدوه في مهمته الصعبة.

ومن العلماء الذين تربوا في المدرسة الشافعية: القاضي كمال الدين الشهرزوري محمد بن أبي محمد، وكان رسول عماد الدين زنكي إلى بغداد، ثم انتقل إلى دولة نور الدين بالشام، وتولى تعيين القضاة، وترقى إلى درجة الوزارة وحكم في بلاد الشام، وكان فقيهًا أديبًا، شاعرًا شهمًا جسورًا، عظيم الرياسة خبيرًا في تدبير الملك[٣] .

ومنهم علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ الحنبلي، قدم بغداد وتفقه بها، وسمع الحديث، ثم رجع إلى بلده دمشق، وكان رسول نور الدين إلى بغداد عام (٥٦٤) ثم كانت له حظوة عند صلاح الدين[٤] .

---

(١) «الروضتين»(١/ ١١).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٣).

(٣) «وفيات الأعيان» (٤/ ٣٤١).

(٤) «البداية» (١٣/ ٣٩).

ومنهم القاضي عبد اللَّه بن محمد بن أبي عصرون أحد أئمة الشافعية، باشر في أيام نور الدين التدريس في الغزالية، ثم انتقل إلى حلب فبنى له نور الدين مدرسة وبحمص أخرى توفى عام (٥٨٥)[١].

والقاضي محي الدين محمد بن كمال الدين الشهرزوري قاضي حلب تفقه بالمدرسة النظامية في بغداد[٢]

جهاد نور الدين محمود:

لم يكن الجهاد عند نور الدين حلاً مؤقتًا، أو مصلحة تقتضيها الظروف، بل الأصل هو الاستعداد للجهاد وغزو الكفار، فقد عاتب نور الدين السلطان قلج أرسلان السلجوقي الذي كان يحكم ملطية وسيواس، وأقصرا من بلاد الأناضول المجاورة للروم، عاتبه؛ لأنه يحاول التسلط على بلاد الإسلام، ولا يقاتل الروم، وقال له: «أنت مجاور للروم ولا تغزوهم، وبلادك قطعة كبيرة من بلاد الإسلام، ولا بد من الغزاة معي»[٣].

وفي إحدى عزماته لقتال الصليبيين، أرسل إلى أخيه قطب الدين صاحب الموصل وإلى صاحب حصن «كيفا» وصاحب ماردين، فاستجابوا له، أما صاحب حصن كيفا فقد قال له أصحابه: على أي شيء عزمت؟ قال: على القعود فإن نور الدين يلقي نفسه والناس في المهالك[٤] فوافقوه على رأيه فلما كان الغد أمر بالتجهز للغزاة، فقال له

---

(١) «البداية» (١٢/ ٣٥٥).

(٢) «الروضتين» (١/ ١٨٥).

(٣) «الكامل» (١١/ ٣٩٢).

(٤) هذا منطق المنهزمين الذين لا يرغبون في الجهاد ويبررون لأنفسهم القعود، وهذا كله بسبب حب الدنيا والتهالك عليها. والدول العربية تبرر عدم نصرة فلسطين بأنهم لا يستطيعون محاربة أمريكا، ولا يريدون أن تجرهم إسرائيل إلى معركة لم يعدّوا لها.

أولئك: ما عدا مما بدا؟ فارقناك أمس على حالة، فنرى اليوم ضدها. قال: إن نور الدين قد سلك معي طريقًا إن لم أنجده خرج أهل بلادي عن طاعتي، فإنه قد كاتب زهادها وعبادها يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج ويستمد منهم الدعاء ويطلب إليهم أن يحثوا المسلمين على الغزاة، فقعد هؤلاء يبكون ويلعونني ويدعون عليّ، فلا بد من المسير إليه»[١].

وفي وقعة بانياس، وفتح قلعتها كان معه أخوه نصر الدين فأصابه سهم أذهب إحدى عينيه، فلما رآه نور الدين قال: لو كشف لك الأجر الذي أعد لك لتمنيت ذهاب الأخرى، وكان معه في هذا الفتح ولد «معين الدين أنر» الذي سلّم قلعة بانياس للفرنجة، فقال له نور الدين: للمسلمين فرحة واحدة بهذا الفتح ولك فرحتان، فقال: كيف ذاك؟ قال: لأن اليوم بردّ اللَّه جلد والدك من النار[٢].

فتوحات نور الدين:

من أوائل وقعاته مع الفرنجة أنه أثناء زيارة والي دمشق «معين الدين أنر» في بعلبك جاءهم كتاب من صاحب طرابلس الصليبي يحثهم فيها على أخذ حصن العريمة، فاستغل نور الدين هذا الطلب، وحاصر هو ومعين الدين الحصن وأخذاه.

❑ وفي سنة (٥٤٣) سار نور الدين إلى بصرى الشام، وقد اجتمع فيها الفرنجة عازمين على قصد الجزء الداخلي من بلاد الشام، فالتقى بهم هناك واقتتلوا أشد القتال، ثم أنزل اللَّه نصره على المسلمين وانهزم الفرنجة[٣].

---

(١) «الكامل» (١١/ ٣٠٢).

(٢) «الكامل» (١١/ ٣٠٤).

(٣) «الروضتين» (١/ ٥٥).

وفي سنة (٥٤٤) هاجم حصن حارم وخرّب ما حوله، ونهب ثم رحل عنه إلى حصن آنب ودارت معركة مع الفرنجة، انتصر فيها المسلمون وقتل فيها أمير أنطاكية، ثم سار نور الدين إلى حصن «فاميا» وحاصره وضيق عليه ثم تملكه صلحًا[1].

وفي سنة (٥٤٦) استطاع نور الدين بعد أسر «جوسلين» أحد شياطين الفرنجة، استطاع أخذ قلاع تل باشر، وعين تاب، وعزاز، ومرعش وغيرها من أعمال حلب.

وفي سنة (٥٤٩) دخلت دمشق ضمن دولته، وكان نور الدين يخطط من زمن لأخذها لأنها في طريقه إلى الصليبيين، وهي ضعيفة وحدها وإذا حاول أخذها بالقوة فإن ملكها يستجير بالصليبيين، عدا عن كره نور الدين لسفك الدماء، ولذلك تحايل على مجير الدين حتى فاجأه بهجوم سريع بعد أن كاتب أهل دمشق ليسلموها له فدخلها دون قتال يذكر، وأعطى مجير الدين مدينة حمص.

وفي سنة (٥٥٩) كان فتح حارم وهي من أعظم معارك نور الدين مع الصليبيين إذ جاء الفرنج بحدهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم، وكان المقدم عليهم البرنس «بيموند» صاحب أنطاكية و«قمص» صاحب طرابلس وابن جوسلين، واستطاع نور الدين جرهم إلى معركة خارج حصن حارم وانتصر عليهم انتصارًا ساحقًا ووقع كل الأمراء والملوك أسرى بين يديه.

وفي سنة (٥٦٠) فتح حصن المنيطرة وغنم فيه مغانم كثيرة.

---

(١) «الروضتين»(١/ ٥٨).

▫ وفي سنة (٥٦٢) تملك نور الدين صافيتا والعريمة.

توحيد مصر والشام:

لم يغب عن بال السلطان محمود أن توحيد بلاد الشام ومصر من أقوى الأسباب للوقوف في وجه الصليبيين، وجاءت الفرصة المناسبة عندما استجار به وزير العبيدين في مصر شاور السعدي، وذلك لمساعدته في إرجاع منصب الوزارة الذي فقده، بادر نور الدين للإجابة، وأرسل جيشًا بقيادة أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين ثلث دخل مصر، دخل جيش نور الدين القاهرة، وأعاد شاور للوزارة، ولكن شاور غدر ما عاهد عليه، وطلب من أسد الدين مغادرة مصر واستنجد بالصليبيين الذين وجدوها فرصة فاضطر أسد الدين للانسحاب دون خسائر، وفي نيته العودة لمصر لتأديب شاور.

▫ وفي عام (٥٦٢) كان أسد الدين قد أكمل الاستعدادات وجدّ في السير فوصل مصر وعسكر غربي القاهرة، فالتقى مع المصريين يساعدهم الفرنجة، وهزمهم شر هزيمة، وليس معه إلا ألفان من الفرسان، ثم إن المصريين بذلوا له الأموال للصلح فوافق ورجع للشام، وكان الفرنجة في هذه المرة قد تمكنوا من شاور وحكومته وشرطوا شروطًا منها: أن يكون لهم حامية في القاهرة، فتحكموا في المسلمين واستدعوا الصليبيين من فلسطين لأخذ مصر، فاشتد خوف نور الدين أن يأخذ الكفار مصر، فتجهز أسد الدين للمرة الثالثة، وأخذ معه ابن أخيه صلاح الدين وهو كاره لذلك، ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وكان شاور قد أرضى الصليبيين بالمال ليعودوا عن مصر، فاستجابوا له، ولكن أسد

الدين كان قد عـزم هذه المرة أن يستقر بمصـر وبدأ شاور يماطل، ويعمل الحيل لإبعـاد جيش نور الدين، وقرر القبض على أسـد الدين وأمرائه، فأشار عليه ابنه «الكامل» بألا يفعل، فقال له شاور: لئن لم أفعل لنقتلن جميعًا، قال الابن: لأن نقتل ونحن مسلمون والبلاد إسلامية خير من أن نقتل وقـد ملكها الفرنج، ولكن شـاور أصر على غدره، وشعـر به قواد أسد فاتفقوا على قتله واستراحوا منه واستراحت مصر منه أيضًا، وأصبح أسد الدين وزيرًا للدولة المصرية العبيدية، وكان آخر ملوكها العاضد ليس له من الأمر شيء. فكانـت وزارة شيركوه أول خـطوة على طريق إعادة مصـر إلى السنة، وبعد شـهرين من وزارته توفي ـ رحمـه اللَّه ـ وتولى بعده ابن اخيـه صلاح الدين، وهو الذي أزال الدولة العبيـدية بعد إلحاح من نور الدين بأن يقطع الخطبـة للعاضـد، ويخطب للخليـفة العـباسي وصلاح الدين يعـتذر خوفًـا من أهل مصر، ولـكن عندما استـجاب لم يخالـفه أحد ولم ينـتطح فيهـا عنزان، وهكذا كـان إرجاع مصـر للسنة وتوحيدها مع بلاد الشام من خطوات الجهاد المباركة التي بدأها نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ وأكمل هذه الخطوات السلطان المجاهد صلاح الدين.

إن فكرة الوحدة بين الأقطار ـ الإسلامية ـ ولو كانت مبدئيًّا بين الأقطار المتجـاورة ـ من أعظم الخطوات في مواجـهة الأخطار الخارجـية والداخلية، خاصة إذا قامت هذه الوحدة على أسس سليمة، والبديل عن الوحدة هو التـمزق وإثارة الإقليميـات الضيقة، وإذا كـانت الوحدة بين المسلمين مطلبًـا شـرعيًّـا، فإنهم بحاجة إليهـا هذه الأيام أكثر مما سبق، فالعـالم كله يتكتل كي ينافس ويقـوى على التحديـات، فكيف إذا كان

العالم الإسلامي غارقًا في المشاكل الإقتصادية والاجتماعية. وفي واقعنا الآن لا تتأتي هذه الوحدة إلا إذا سبقتها وحدة الدعاة المخلصين، لأنهم هم الأجدر بإقامة الوحدة بعدئذ، وأما غيرهم ففي دعوته للوحدة شوائب وأكدار...

* وقفات مع نور الدين محمود بن زنكي:

❑ يرحم اللَّه ذلك الجبل الشامخ القائل:

«إذا كان معي ألف فارس لا أبالي بأعدائي قلّوا أم كثروا. واللَّه لا أستظل بجدار حتى آخذ بثأر الإسلام وثأري»[1].

«ذكر أبو شامة في كتابه «الروضتين»: «أنه جاء إلى السلطان نور الدين ذات يوم جماعة من العلماء... وقال قائلهم: أيها السلطان نطبب إليك أن تبتسم، فسألهم السلطان: وعلام الابتسام؟ فقال الرجل: جئنا إليك أيها السلطان نروي عليك بسندنا المتصل إلى الرسول ﷺ حديثًا مسلسلاً قاله الرسول، وهو يبتسم، ومن شروط الحديث المسلسل أن يفعل راويه مثلما كان يفعل الرسول ﷺ وهو يحدث به، فالتفت إليهم السلطان، والأسى يكاد يفطر فؤاده، وقال: كيف أبتسم أيها القوم، والمسجد الأقصى المبارك في بيت المقدس، راسف في قيود الذل والهوان تحت سنابك خيل الأعداء؟».

(١) «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» لابن الأثير ص(١١٧ ـ ١١٨)، و«الكامل» (١١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥)، و«مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» لسبط ابن الجوزي (٨/ ٢٢٤).

وقد دأب نور الدين على إرسال الفدائيين للإغارة على أطراف مملكة القدس الفرنجية، ومما هو جدير بالإشارة إليه في هذا الصدد، أن أحد الباحثين ـ الأجانب ـ عن الآثار عثر على صهريج قديم في منطقة وادي الجوز بالقدس، بداخله كتابات لم يستطع أن يقرأها، فحُوِّلت إلى العالم «ماكس فان برشم» فقرأ فيها أسماء أشخاص تلت كل اسم منهم عبارة: «خرج وهو يسأل اللَّه الشهادة».

وقد أكّد «عادل جبر» ـ أحد علماء فلسطين ـ بعد أن زار المكان وقرأ الكتابات أن الأسماء هي أسماء الأبطال من رجال نور الدين زنكي، كان يبعث بهم ليجمعوا له المعلومات عن أحوال العدو، وكان نور الدين على ثقة تامة من استرجاع القدس، حتى أمر بصنع منبر في حلب للمسجد الأقصى سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م.

* منبر نور الدين محمود بن زنكي:

ولا ريب أن التفكير في إعداد المنبر من قِبل نور الدين واستحضار أمهر المهندسين والخبراء لإعداده وقضاء عدة سنين في ذلك يدل على تصميم نور الدين في إعداد العدة لإنقاذ القدس، وهو موقف نابع من شعوره الإسلامي في عدم جواز السكوت على القدس خارجة عن السيادة الإسلامية»[1].

---

(١) مجلة القدس العدد ٦ ـ صفر ١٤٢٠ هـ مقال: «منبر نور الدين بالقدس» نبوءة بالعزيمة غدت حقيقة ـ بقلم فيصل الخيري.

إن عـدداً من أشـهر الصناع المـهندسين في مـدينة حلب بدءوا في إعداد المنبـر بأمر نور الدين واستمـروا في صنعه عدة سنين، حـتى جاء تحفة فريـدة من نوعها من حيث الدقة والجمـال والزخرفة. لم يكن هذا المنبر مفخرة الأقصى فـحسب، بل مفخرة الحرم كله، لا بل إن فلسطين أو حتى سورية كلها كانت تفتخـر به. وإن حضارة القرن العشرين تعجز عن صنع مثـيل له، فهو مصنوع من الخـشب الثمين ـ الأَرْز والأبنوس ـ ومطعَّم بالعاج والصدف، فـيه لوحات صغيـرة زخرفتها أنيـقة، ولفائف وأوراق صغيرة ونخيل صغير، توفق بينها أنماط خفيفة ذات فن هندسي، ويقـال بأن هؤلاء الصناع حرصـوا على إتمام المنبـر من أوله إلى آخـره، دون أن يدخلوا فـيه أي مسـمار أو أي مـادة غيـر الخشب الثـمين، وقد أعـجب به رواة الأخـبار من أهل الـعصـور الوسطى ـ المتـقـدمين منهم والمتأخـرين ـ أكثر من إعـجابهم بأي شيء مصـنوع من الخشب في هذا الجزء من العـالم، غير أن المنيـة عاجلت نور الدين قـبل تحقيق أمنيـته، فـمـات والمنبـر في طور الإعداد، فـلما تولـى السلطان الملك الصـالح إسماعيل، تابع ما كان أبوه قد بدأه حتى أتمه نهـائيًّا في أيامـه، أي في حوالي سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م.

❑ ولما دخل صلاح الدين القدس فاتحًا أمر بأن يُعمل له منبر، فقيل له: «إن نور الدين مـحمـودًا كان قـد عمل بـحلب منبرًا، أمـر الصُنّاع بالمبالغة في تحسينه وإتقانه، قـال: هذا قد عملناه لينصب ببيت المقدس،

فأمر صلاح الدين بإحضاره، فحمل من حلب ونُصِب بالقدس، وكان بين عمل المنبر وحمله عشرين سنة، وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده ـ رحمه اللَّه ـ».

قال أبو شامة: «قال العماد: لما فتحنا القدس أمر بتعمير المحراب وترخيمه، وتكميل حُسنه وتتميمه، ووَضْع منبر رسمي في أول يوم قضى فيه الفرض، واحتيج بعد ذلك إلى منبر حسن رائق، بحسنه لائق، وبجماله شائق، وبكماله فائق، فذكر السلطان المنبر الذي أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ـ رحمه اللَّه ـ لبيت المقدس قبل فتحه بنيِّف وعشرين سنة، وأودعه له من ذخائره عند اللَّه حَسَنَة، فأمر أن يكتب إلى حلب ويُطلب، فحُمِل وعُمِل على ما أمر به وامتثل، فجاء كالروض النضير، والوشي الحبير، عديم النظير.

وكان من حديث إحداثه، ما ألهم اللَّه نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ لارتياح خاطره إليه وانبعاثه، وقد أوقع في رُوعه، من النور الفائض من ينبوع ضلوعه، أن البيت المقدس بعده سيُفتح، وأن صدور المسلمين الحَرِجة لأجله ستُشرح، وهو من أولياء اللَّه المُلْهَمين، وعباده المُحَدَّثين المُكْرَمين، وكان بحلب نجّار يعرف بالأختريني من ضيعةٍ تُعرف بأخترين، لم يُلْفَ له في براعته وصناعته قرين، فأمره نور الدين بعمل منبر لبيت اللَّه المقدّس، وقال له: اجتهد أن تأتي به على النّعْت المُهَنْدم والنَّحت المهندس. فجمع الصنّاع، وأحسن الإبداع، وأتمّه في سنين، واستحقّ بحسن إحسانه التحسين، والناس يقولون: هذا أمر مستحيل، وحُكم ما

له دليل، وذِكْر جميل، وأجر جزيل لو كان إليه سبيل، وهيهات أن يعود القدس إلى الإسلام، ويقضي الإصباح فيه على الإظلام، فإن الفرنج مستولون مستعلون، ويكثرون على الأيام ولا يقلُّون، أما ناصفونا على أكثر أعمال حوران، وقابلوا الكفر بالإيمان! وقد أعجزوا ملوك الإسلام إلى اليوم، فما أصعب وأتعب وَقْم[1] القوم. ويقول من له قوة اليقين، وعرف أن اللَّه كافل بنصره الدين: اصبروا، فَلِسرٍّ هذه الأمة نبأ، وهو كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ [هود: ٣٨].

ولم يزل لنور الدين في قلبه من الدين نور، وأثر تقواه للمتقين مأثور، أزهد العباد، وأعبد الزهاد، ومن الأولياء الأبرار، والأتقياء الأخيار، وقد نظر بنور الفراسة أن الفتح قريب، وأن اللَّه لدعائه ولو بعد وفاته مجيب، ويزيد قوة عزمه جدًّا، وتمدّه بحياء الحياة الربانية مدّا، قد طهّره اللَّه من العيب، ونزّهه من الرَّيب لنقاء الجيب، وشملت الإسلام بعده بركته، وخُتِمت بافتتاح مُلْكِ صلاح الدين مملكته، وهو الذي ربّاه ولبّاه، وأحبّه وحباه، وهو الذي سنّ الفتح، وسنّى النُّجْح.

ولما فتح السلطان القدس تقدّم بحمله، وصَحّ به في محراب الأقصى اجتماع شمله، وظهر سرّ الكرامة في فوز الإسلام بالسلامة، وتناصرت الألسن بالدعاء لنور الدين بالرحمة، ولصلاح الدين بالنُّصْرة والنِّعمة.

---

(١) الوقم: القهر.

❑ وقال العماد في موضع آخر من كتاب «البرق»: وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ـ رحمه اللَّه ـ في عهده عَرَف بنور فراسته فتح البيت المقدس من بعده، فأمر في حلب باتخاذ منبر للقدس، تَعِب النجّارون والصُّنَّاع والمهندسون فيه سنين، وأبدعوا في تركيبه الإحكام والتزيين، وأنفق في إبداع محاسنه وإبداء مزاينه أُلوفًا، وكان لترديد النظر فيه على الأيام ألوفًا، وبقي ذلك المنبر بجامع حلب منصوبًا، سيفًا في صِوَان الحِفظ مقروبًا، حتى أمر السلطان في هذا الوقت بالوفاء بالنَّذْر النوري، ونقْل المنبر إلى موضعه القدْسي، فعُرفت بذلك كرامات نور الدين، التي أشرق نورها بعده بسنين، وكان من المحسنين الذين قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

❑ قال أبو شامة: وهذا الذي نسبه إلى نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ من أنّه كرامة من كراماته لائق بمحله ومنزلته من الدِّين، وليس بالبعيد من مثل ذلك.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ قد بَدَتْ له مخايل ذلك بما تسنّى له من فتح البلاد الشامية والمصرية، وقهر العدو بين يديه مرارًا، وكان فتح القدْس في همته من أول مُلْكه، فإن لم يكن حَصَل له مباشرة فقد حصل له تسبُّبًا، فإن الفاتحين له ـ رحمهم اللَّه ـ بَنَوْا على ما أسَّسه لهم من المُلك والتدبير، وهم أمراؤه وأتباعه وأجناده وأشياعه»[1].

وقد صنع هذا المنبر: ابن ظافر الحلبي، وسليمان بن معالي،

(١) كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين» (٣/ ٣٩٢ ـ ٣٩٤).

وحميد بن ظافر، وفضايل وأبو الحسن ولدا يحيى الحلبي - رحمهم اللّه -.

ولقد ظلّ هذا المنبر الرائع بالمسجد الأقصى حتى التهمه حريق الأقصى بتدبير اليهود يوم الخميس ٨ من جمادى الآخر سنة ١٣٨٩هـ/ ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩م.

صلاح الدين يوسف بن أيوب

في أجواء الجهاد الذي أقامه نور الدين محمود وفي أجواء الجد والإصلاح وإعادة دور العلماء في التوجيه والمشاركة. في هذه الأجواء وجد صلاح الدين نفسه في موقع المسؤولية بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه وزيراً لآخر ملوك الدولة العبيدية في القاهرة «العاضد» الذي رغب في أن يكون صلاح الدين وزيراً له لأنه ظن فيه الضعف، ويستطيع الاستفادة من الجيش الذي معه لحماية مصر، ولكن الأمور جاءت على غير ما يحتسب، فقد شمر صلاح الدين عن ساعد الجد «وترك اللهو، وتقمّص بلباس الدين، وحفظ ناموس الشرع» [1] وكشف هذه المسؤولية التي ألزمها عن شخصية فريدة، ومعدن أصيل فحمل هموم المسلمين والإسلام، ولم يهدأ له بال، ولم يذق طعم الراحة حتى لقي ربه.

ونحن هنا لا نؤرخ للدولة الأيوبية، وإنما نذكر أثر هذا الجو الجهادي في شخصية صلاح الدين، وكيف هيأ له رجالاً من العلماء، والقادة العسكريين مما أعانه على مهمته الكبيرة.

---

(١) «الروضتين» (١/ ١٧٣).

بعض أعمال صلاح الدين:

١ ـ إرجاع مصر إلى السنة:

عزل صلاح الدين قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة، وولى رئيسًا للقضاة: عبد الملك بن درباس الشافعي، كما قطع الأذان بـ«حي على خير العمل» وأقام الخطبة للخليفة العباسي بعد أن انقطعت الخطبة للعباسيين بمصر (٢٠٨) سنة، وقد بشر نور الدين محمود الخليفة العباسي بذلك، وفرح الناس ونظم العماد الأصفهاني في هذه المناسبة:

توفي العاضد الدعيّ فما ... يفتح ذو بدعة بمصر فما
وعصر فرعونها انقضى وغدا ... يوسفها في الأمور محتكما
وصار شمل الصلاح ملتئمًا ... بها وعقد السداد منتظمًا

٢ ـ توحيد بلاد الشام ومصر:

بعد وفاة نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ واضطراب بلاد الشام جاء صلاح الدين فاستلم دمشق ثم حمص وحماه، وحاصر مدينة حلب، ولكن المنتفذين فيها الأوصياء على ابن نور الدين «إسماعيل» لصغر سنه طلبوا المساعدة من الشعب، ويبدو أن قسمًا كبيرًا من هذا الشعب كان يحن إلى التشيع الذي أبطله نور الدين، فاشترطوا للمساعدة العمل بأقوالهم وأفعالهم، فاستجاب زعماء المدينة لهذا الشرط ولم يكتفوا بهذا، فعندما رأوا قوة صلاح الدين واستمراره في الحصار طلبوا المساعدة من الحشاشين الإسماعيلية الذين اتخذوا من مدينة «بانياس» مقرًّا لهم. فحاول هؤلاء ـ على طريقتهم ـ اغتيال صلاح الدين، ولكن اللَّه نجاه منهم، وترك

(١) «الروضتين» (١/ ١٧٣).

حصار حلب فترة ثم رجع لها مرة أخرى، وحاول الحشاشون اغتياله للمرة الثانية ففشلوا، وقتل من جاء منهم لهذه العملية والذين يسمونهم «الفداوية» ولم يكتف أهل حلب بذلك بل استعانوا بصاحب طرابلس الصليبي، فلم يهتم به صلاح الدين، وأرسل كتيبة تناوشه عند حمص[١].

ومع ذلك فقد تراجع صلاح الدين عن حلب مؤثراً عدم الدخول في حرب طاحنة مع أهلها، خاصة وأنهم طلبوا الصلح، وشفعوا في ذلك بابن نور الدين محمود، ولكن نية السلطان لا تزال في توحيد بلاد الشام ومصر حتى تقوى على الوقوف في وجه العدو، وأثناء هذا أراد قطع دابر الفساد وضرب «الحشاشين» فهاجمهم في عقر دارهم، وقتل منهم وسبى، ولكن خاله شهاب الدين الحارمي صاحب حماه شفع بهم فقبل السلطان شفاعته[٢]. ولم يتمكن صلاح الدين من ضم حلب إلا بعد وفاة ابن نور الدين واختلاف أقاربه بعده، فسلموها للسلطان وبذلك يكون قد اطمأن إلى القاعدة الأساسية الراسخة للصدام مع الصليبيين.

كما قال القاضي ابن شداد: «لما تحقق صلاح الدين وفاة نور الدين وكون ولده طفلاً لا ينهض بأعباء الملك ولا يستقل بدفع عدو اللَّه عن البلاد، تجهز للخروج إلى الشام إذ هو أصل بلاد الإسلام»[٣]، ومع

(١) هذه من المصائب التي ابُتلي بها المسلمون، وهي استعانة بعض الأمراء بأعداء اللَّه كي تبقى لهم السلطة والسيطرة على مدينة واحدة. وهذا هو حال المجتمع عندما تسيطر عليه الأنانية والأهواء وخسّة الطباع، وهو راجع إلى تدهور الحالة الأخلاقية وضعف الوازع الديني، وليس في الأذهان أي مشروع حضاري.

(٢) تتكرر هذه الشفاعات في عدم استئصال الباطنيين في بلاد الشام في عهد الدولة العثمانية ومن بعدها، وهذه غفلة من أهل السنة ناتجة عن طيب قلوبهم.

(٣) «الروضتين» (١/ ٢٣٦).

ذلك فلم يترك صلاح الدين الجهاد في هذه الفترة بل اصطدم مع الصليبيين في عدة معارك مثل «مرج عيون» وغيرها، ولكنه لم يكن مطمئنًّا إلى الصدام الكامل مع الفرنجة.

جهاده:

استقر الأمر لصلاح الدين في مصر والشام وكثير من مدن إقليم الجزيرة، وقد مرض في إحدى حملاته على إقليم الجزيرة، فنذر لئن شفاه اللَّه ليصرفن كل همه لقتال الفرنجة وفتح بيت المقدس، وليقتلن «صاحب الكرك» الصليبي بيده، وكان هذا النذر بإشارة من وزيره القاضي الفاضل[1].

بعد هذا بدأ بحملات مركزة على المدن القريبة قبل أن يظفره اللَّه بالفتح الأعظم، وهو استرجاع بيت المقدس فقد انتصر على الفرنجة في موقعة «مرج عيون» سنة ٥٧٥هـ وموقعة «بانياس» وأسر رؤساءهم ودمر حصن الأحزان في صفد، وما زال يناوش الفرنجة حصنًا بعد حصن حتى تجمع عنده جيش كبير في سهل حطين حيث كانت الموقعة الكبرى.

حطين مقبرة للصليبيين مهدت لفتح القدس:

هو للمسلمين يوم النصرة، وللفرنج يوم الكسرة، مُلِك عليهم صليب الصلبوت، وتم أسر ملوكهم: الملك جفري، والبرنس أرناط، وأخي الملك جفري، و«أوك» صاحب جُبيل، و«هنفرى بن هنفرى»، وابن صاحب إسكندرونة صاحب مَرَقية، وأسر الشيطان وجنوده، وملك

(١) «عيون الروضتين» (١/ ٣٦).

الملك وكنوده «فمن شاهد القتلى، قال: ما هناك أسير، ومن عاين الأسرى، قال: ما هناك قتيل. ومُذ استولى الفرنج على ساحل الشام، ما شُفي للمسلمين كيوم حطين غليل، فما أفلت من تلك الآلاف إلا آحاد، وما نجا من أولئك الأعداء إلا أعداد».

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٤٢): «كان النصر من اللَّه عز وجلّ، فمنحهم اللَّه أكتافهم، فقُتل منهم ثلاثون ألفًا في ذلك اليوم، وأُسر ثلاثون ألفًا من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أُسر جميع ملوكهم، سوى «قومس» طرابلس؛ فإنهم انهزموا في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم، وهو الذي يزعمون أنه صُلِب عليه المصلوب، وقد غلّفوه بالذهب واللآلئ والجواهر النفيسة، ولم يُسمع بمثل هذا اليوم في عزّ الإسلام وأهله، ودَمْغِ الباطل وأهله، حتى ذُكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيّفًا وثلاثين أسيرًا من الفرنج، وقد ربطهم بطُنب خيمة، وباع بعضهم أسيرًا بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يُسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين، فللَّه الحمد دائمًا كثيرًا، طيّبًا مباركًا».

وقال العماد: «ولقد رأيت في الحبل الواحد ثلاثين أو أربعين يقودهم فارس، وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس».

وبلغ ثمن الأسير بدمشق ثلاثة دنانير، ويباع الرجل وزوجته وأولاده في النداء بيعة واحدة».

وكان من الأسرى صاحب الكرك «أرناط» الذي كان يُؤذي الحجاج وفي نيته احتلال المدينة النبوية، فقتله صلاح الدين بيده ووفى بنذره،

وقتل كل «الداوية»، و«الأسبارتية» لأنهم من شياطين الصليبيين وأشدهم عداوة.

السلطان الناصر يوسف يُخرج بلاد الحق فلسطين من سجنها ويحررها:

لقد فتح صلاح الدين بعد كسره حطين، وقبل فتح بيت المقدس، أكثر من خمسين بلدة ومدينة، فتح طبرية ثاني يوم الكسرة.

◘ قال القاضي بهاء الدين بن شداد: «ثم رحل السلطان طالبًا عكّا فقاتلها بكرة الخميس مستهل جمادى الأول، فأخذها واستنفذ من كان بها من الأسارى، وكانوا زهاء أربعة آلاف نفس، واستولى على ما فيها من الذخائر والأموال، والتجائر والبضائع؛ فإنها كانت مظنّة التجار، وتفرّقت العساكر في بلاد الساحل، يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة، فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية، وصفورية، والناصرة، وكان ذلك لخلوّ الرجال بالقتل والأسر.

◘ وقال العماد: خرج أهل البلد ـ يعني عكّا ـ يطلبون الأمان، فأمّنهم على أنفسهم فقط، وفتحوا البلد يوم الجمعة، فجئنا إلى كنيستها العظمى، فرتّب بها المنبر والقبلة، وهي أول جمعة أُقيمت بالساحل بعد يوم الفتح[1]، وفتح العادل حصن «مسجد يابا» ومدينة «يافا» عنوة. وفُتحت «الفولة»، وهي قلعة للداوية حصينة، وفيها ذخائرهم وأموالهم، وفُتحت «دبوريّة»، و«جنين»، و«زرعين»، و«الطور»، و«اللّجون»، و«بيْسان»، و«القيمون»، و«مالعكا»، و«طبرية» من الولايات، و«الزيب»

(١) بعد غياب اثنتين وسبعين سنة.

و«معليا»، و«البعنة»، و«إسكندرونة»، و«منواث»، و«أرسوف»، واستولى على تلك الشموس والأقمار الكسوف والخسوف، وفتح المسلمون «سبيطية»، وفيها مشهد زكريا ـ عليه السلام ـ، وقد اتخذه «الأقسا» كنيسة، وقد حجبوه وحلّوْه، ففتح للمسلمين أبوابه، وأظهر للمصلّين محرابه. وأرسل السلطان إلى «تبنين» ابن أخيه تقي الدين فضايقها، فراسلوا السلطان وسألوه الأمان، واستمهلوا خمسة أيام، فأُمْهِلوا، وأطْلقوا أسارى المسلمين، وهذا دأبه في كل بلد يفتحه؛ أنه يبدأ بالأسارى فيفك قيودها، ويُعيد بعد عدمها وجودها، فخلص ـ تلك السنة ـ من الأسر أكثر من عشرين ألف أسير، ووقع في أسره من الكفار مائة ألف، ثم تسلم السلطان بعد «تبنين» «صيدا»، و«صرفند»، و«بيروت»، و«جبيل»، وكان صاحب جُبيل في الأسر فسلّمها وسَلم، وكان معظم أهل صيدا وبيروت وجُبيل ونابلس مسلمين، فذاقوا العزة بعد الذلة، ورفع المسلمون رءوسهم، وعرفوا نفوسهم، وكان كلّ من استأمن من الكفار يمضي إلى صور مَحْمِي الذّمار.

ونزل السلطان على عسقلان فحاصرها، وتردّدت مراسلات بين أهلها والملك، ثم سلموها يوم السبت سلْخ جمادى الآخرة، وخرجوا بنسائهم وأموالهم، وكان السلطان أخذ في طريقه إليها «الرملة»، و«تبنين»، و«بيت لحم»، و«الخليل»، وأقام بها حتى تسلَّم حصون «الداوية، وغزة، والنطرون، وبيت جبريل، و لدّ، والداروم، ولم يبق في الساحل من جُبيل إلى أوائل حدود مصر سوى القدس وصور.

وكان السلطان ـ رحمه اللَّه ـ قد استدعى الأساطيل من مصر،

فجاءت مع مقدّمها الحاجب لؤلؤ فطفق يكسر ويكسب، ويسلّ ويسلب، ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه، ويقف له في جزائر البحر على مذاهبه[١].

ثم كان فتح بيت القدس، وسنفرد له فصلاً مطوّلاً. ولم يستقر في القدس إلا قليلاً، ثم بدأ جولة من الفتوحات، فأتم فتح صيدا وبيروت، وجبلة، واللاذقية، وحصن صهيون، وحصن بغراس، ورجع بعدها إلى صفد والكرك ففتحها، ثم قلعة الشقيف.

وفي ردة فعل صليبية شديدة حاولوا استرجاع عكا، فحاصروها من جهة البحر، فأسرع السلطان إليها ووقف بإزائهم، فكانت الإمدادات تأتي الصليبيين من جهة البحر بشكل دائم فاضطر السلطان والمسلمون لمصابرتهم ستة وثلاثين شهراً «رجب ٥٨٥ ـ شعبان ٥٨٨» وفي هذا الحصار ظهرت شخصية صلاح الدين العظيمة، ثلاث سنوات وهو في حالة قتال وتأهب واستعداد.

قال ابن شداد: «وكان ـ رحمه اللَّه ـ من عظماء الشجعان، قوي النفس شديد البأس، لا يهوله أمر ولقد وصل في ليلة واحدة من الإفرنج نيف وسبعون مركبًا على عكا، وأنا أعدها من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وهو لا يزداد إلا قوة نفس»[٢]

وخلال هذا الحصار الطويل جرت وقعات كبيرة بينه وبين الفرنجة، وانتصر فيها، ولكن الإمدادات كانت تتوالى من أوربا عن طريق البحر،

(١) «عيون الروضتين» (٢/ ١٤٨ ـ ١٥٢).
(٢) «الروضتين» (٢/ ٢٢٠).

وصابر الفريقان مصابرة عجيبة، وكان القتال يتم يوميًّا أحيانًا وفي البر والبحر، وفي هذا الحصار استنجد صلاح الدين بملك المغرب أمير دولة الموحدين، فرفض المساعدة لأنه لم يذكر في رسالته «أمير المؤمنين»!!

وفي نهاية هذه المعاناة مرض السلطان، واضطر للصلح مع الإفرنج، وأخذوا عكا مرة ثانية، وحاولوا أخذ يافا ولكنهم لم يفلحوا، وعاد السلطان إلى القدس يرتب أمورها ويصلح من سورها، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الأمكنة البعيدة، فيقتدي به العسكر[1].

عاد بعد هذا الغياب الطويل عن العاصمة دمشق وفي نيته التهيؤ للحج، ولم يتيسر له، وفي نيته استمرار الجهاد وملاحقة الصليبيين في ديارهم، ولكن عاجلته المنيَّة عن تحقيق هذه الرغبة، وتوفي ـ رحمه اللَّه ـ في دمشق في السابع والعشرين من صفر سنة (٥٨٩هـ).

شغفه بالجهاد:

قال القاضي ابن شداد: «وكان ـ رحمه اللَّه ـ شديد المواظبة على الجهاد، عظيم الاهتمام به، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد دينارًا ولا درهمًا إلا في الجهاد وفي الأرفاد لصدق وبرّ في يمينه، ولقد كان الجهاد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيمًا، بحيث ما كان له حديث إلا فيه، ولا نظر إلا في آلته، ولا اهتمام إلا برجاله ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه، ولقد هجر في محبته

(١) ابن الأثير: «الكامل» (١٢/ ٧٤).

الجهاد أهله وولده ووطنه وسكنه، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة، وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد، وقد ألف له كتب عدة في الجهاد وأنا ممن جمع له كتابًا جمعت فيه آدابه وكل آية وردت فيه، وكل حديث، ولقد سرنا مع السلطان على الساحل طالبي عكا، وكان الزمان شتاء عظيمًا، والبحر هائجًا وموجه كالجبال، وكنت حديث عهد برؤية البحر فعظم عندي، واستخففت رأي من يركب البحر، فبينا أنا في ذلك إذ التفت إليّ وقال في نفسه: إنه متى يسر اللَّه تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد، وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم، أتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر باللَّه أو أموت، فعظم وقع هذا الكلام عندي وحكيت له ما خطر لي، فانظر إلى هذه الطوية ما أطهرها، وإلى هذه النفس ما أشجعها وأجسرها. اللَّهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك رجاء رحمتك فارحمه، وأما صبره فلقد رأيته بمرج عكا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دماميل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبته بحيث لا يستطيع الجلوس، وكان مع ذلك يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر، وهو صابر على شدة الألم ويقول: «إذا ركبت يزول عني ألمها حتى أنزل»[1].

ويكتب للخليفة العباسي: وهذه المقاصد الثلاثة: الجهاد في سبيل اللَّه، والكف عن مظالم عباد اللَّه، والطاعة للخليفة هي مراد الخادم من البلاد إذا فتحها، واللَّه العالم أنه لا يقاتل لعيش ألين من عيش، ولا

(١) «الروضتين» (٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢).

لغضب يملأ العيان»[١] .

وقد ذكرنا كيف أنه كان ينقل الحجارة بنفسه لعمارة سور القدس، ولو رأيته وهو يحمل حجرًا في حجره لعلمت أن له قلبًا قد حمل جبلاً في فكره[٢] . وعندما رجع إلى دمشق وجد وكيل الخزانة قد بنى له دارًا فغضب عليه، وقال: «إنا لم نخلق للمقام في دمشق ولا بغيرها، وإنما خلقنا للجهاد».

* ويحلو الحديث عن الناصر صلاح الدين محرر الأقصى من الصليبيين:

ولد السلطان يوسف بن أيوب سنة ٥٣٢هـ بقلعة تكريت في العراق، وكان والده أيوب بن شادي واليًا عليها، ثم انتقل الوالد إلى الموصل ومعه أخوه أسد الدين شيركوه، ثم إلى الشام متوليًّا لقلعة بعلبك، وانتقل الابن معه، وبدأ نور الدين يقدم الابن، ويوكل إليه بعض الوظائف المهمة إلى أن انتدب لمرافقة عمه أسد الدين في الحملة التي وجهت إلى مصر، وبعد وفاة عمه تسلم منصبه وهو الوزارة في نهاية الدولة العبيدية، ثم صار إلى ما صار إليه من توحيد بلاد الشام ومصر والجزيرة تحت قيادته ومجاهدته للصليبيين وفتح بيت المقدس، توفي سنة ٥٨٩هـ، يقول قاضيه ابن شداد تعليقًا على وفاته: «وتاللَّه لقد كنت أسمع من بعض الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم

---

(١) «الروضتين» (٢/٤٨).

(٢) «الروضتين» (٢/١٩٦).

فكنت أحمل ذلك على ضرب من التجوز والترخص إلى ذلك اليوم فإني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قُبِل الفداء لفداه بالنفس»[١] .

❑ قال ابن شداد: ولم يخلف السلطان أموالاً ولا أملاكًا لجوده وكرمه وإحسانه إلى أمرائه وغيرهم حتى إلى أعدائه، ولم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهمًا ودينارًا واحدًا، وكان متقللاً في ملبسه ومأكله ومركبه، ولا يلبس إلا ما يحل له وتطيب به نفسه، مواظبًا على الصلاة في أوقاتها مع الجماعة، ومواظبًا على سماع الحديث، وقد سمع الحديث وهو بين الصفين، وكانت مجالسه منزهة عن الهزء واللغو يغلظ على الفاجرين ويلين للمؤمنين[٢] . وقد أمر ولده الظاهر وهو بحلب أن يقتل الشهاب السهروردي لما علم عنه من الشعبذة والانحراف عن الدين.

وكان متواضعًا جدًّا، يخرج للقاء من يقدم عليه، ويكارم الناس مكارمة عظيمة، وربما طلب الماء من خدمه فلا يستجاب له، ولا يقول لهم شيئًا.

❑ قال القاضي الفاضل: «وكانت طرحته تداس عند التزاحم عليه لعرض القصص (ما يطلبه الناس) وهو لا يتأثر بذلك، ولقد دخلت بين يديه في يوم ريح مطير، كثير الوحل فنضحت البغلة عليه في الطين، حتى أهلكت جميع ما كان عليه وهو يبتسم[٣] .

---

(١) «الروضتين» (٢/ ٢١٣).

(٢) «الروضتين» (٢/ ٢١٧).

(٣) «الروضتين» (٢/ ٢٢٣).

* **منزلة العلم والعلماء عنده:**

إن الأجواء العلمية التي رسخت في عهد نور الدين - رحمه اللَّه - استمرت في عهد صلاح الدين، فالسلطان يذهب إلى العلماء ويحضر دروسهم.

❑ ففي سنة ٥٧٢ ذهب إلى الإسكندرية وتردد على الشيخ أبي طاهر السلفي[١]، ويداوم الحضور عنده لسماع الحديث، وكان القاضي كمال الدين الشهرزوري من كبار العلماء والوزراء في عهد نور الدين، ولما تولى صلاح الدين أقره على ما كان عليه من تعيين القضاة رغم أن كمال الدين ظن أن السلطان سيعزله لما كان بينهما من مخاصمة في عهد نور الدين.

❑ وفي سنة ٥٧٧ عين السلطان ميقاتًا لسماع الأحاديث النبوية، وجمع به أهل العلم والعلماء.

ومن العلماء المقربين من صلاح الدين علي بن إبراهيم بن نجا الدمشقي الحنبلي، وهو الذي كشف مؤامرة العبيديين للانقلاب على صلاح الدين[٢].

ومنهم نجم الدين الخبوشاني، الفقيه الشافعي، وهو الذي شجع صلاح الدين على إنهاء الدولة العبيدية وقطع الخطبة لهم، بنى له

---

(١) أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني، ورد بغداد واشتغل على الكيا الهراسي في الفقه، دخل الإسكندرية وأقام بها وكان محدثًا مشهورًا توفي ٥٧٦هـ، انظر ابن خلكان. «وفيات الأعيان» (١/ ١٠٥).

(٢) «البداية» (١٣/ ٣٩).

صلاح الدين مدرسة وفوض تدريسها إليه ومن الفقهاء الأمراء الفقيه عيسى الهكاري «وكان جنديًّا شجاعًا كريمًا، تفقه على الشيخ أبي القاسم البرزي، واتصل بالأمير أسد الدين شيركوه، وكان يخاطب صلاح الدين بما لا يقدر عليه غيره، وتوفي وصلاح الدين محاصر لعكا»[١] وكان إذا زاره عالم اهتم به جدًّا، ولا يتركه حتى يزوده بالمال والأمتعة له ولجيرانه وأقربائه.

إن هذه الانتصارات العظيمة لا تكون إلا بوجود مثل هذا التلاحم والتعاطف بين الأمراء والعلماء.

قال القاضي ابن شداد: وكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة، وكان يفعل ذلك سفرًا وحضرًا[٢] وكان آل المقدسي الذين سكنوا حيّ الصالحية في دمشق أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة، وأخوه وابن خالهم الحافظ عبدالغني، والشيخ العماد، كانوا لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها صلاح الدين، وقد حضروا معه فتح القدس والسواحل وغيرها[٣].

* وزراؤه وأمراؤه:

إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم هي علاقة جدلية كما يقال، فعندما يكون الحاكم صالحًا يحب أهل الدين والخير، يوفقه اللَّه سبحانه وتعالى

---

(١) «الكامل» (١٢/ ٤٢)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٩٧).
(٢) «الروضتين» (٢/ ٢١٩).
(٣) «البداية والنهاية» (١٣/ ٦٥).

إلى بطانة صالحة من وزراء وأمراء، وهذا ما ينطبق تمامًا على صلاح الدين، فقد وفق إلى وزير صدق وهو القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، وكان ذا رأي سديد وعقل رشيد، معظمًا عند صلاح الدين، يأخذ برأيه ويستشيره في المهمات الكبيرة خاصة، بل يقول العماد الأصفهاني الكاتب عنه: «سلطان مطاع والسلطان له مطيع، وما افتتح السلطان الأقاليم إلا بأقاليد آرابه وآرائه، وكانت كتابته كتائب النصر، وهو صاحب القريحة الوقادة والبصيرة النفاذة»[١].

وهو الذي كتب لصلاح الدين وهو محاصر لعكا يخوفه من الذنوب، ويحذره من أن يظلم الجنود أحدًا فيكون سببًا للهزيمة يقول: «إن اللَّه تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته أو لا تفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه، والمعاصي في كل مكان بادية والمظالم في كل موضع فاشية، وقد أجرى اللَّه على يد مولانا من فتح المقدس ما يكون له بمشيئة اللَّه حجة في رضاه، ونعوذ باللَّه أن يكون حجة عليه في غضبه»[٢].

كما وفق صلاح الدين إلى قادة جيوش مخلصين في الجهاد، وربما كان للبيئة الجهادية أثر عليهم، فمن أمرائه عز الدين جورديك وهو من مماليك نور الدين، جمع الديانة والشجاعة[٣]، وسيف الدين جاولي، وكان شهمًا شجاعًا يرجع إلى دين وعبادة[٤]، وأبو الهيجاء بن السمين وابن المشطوب، وبهاء الدين قراقوش الذي كان من كتابه وأمرائه، شهمًا

(١) «الروضتين» (٢/ ٢٤١).
(٢) «البداية» (١٢/ ٣٣٩).
(٣) «الكامل» (١١/ ٥٥٧).
(٤) «الكامل» (١١/ ٥٥٨).

شجاعًا، عـمّر سور القاهرة، وبنى قلعة الجبـل، وكان صلاح الدين قد سلمـه عكا فوقع الحصـار وهو فيـها، وصنع الناس عليـه قصـصًا غـير صحيحة[١].

* هل تنازل صلاح الدين عن فلسطين؟

رغم تكالب الصليبـيين بعـد فتح بيت المقـدس وأخـذهم لعكا، واضطرار صـلاح الدين للصلح لمدة ثلاث سنوات، لـكنه لم يتنازل عن الأرض لأنهـا ليست ملكه بل هي للمـسلمين، ولقـد حاول معـه ملك الإنكليـز ولكنه أبى أشـد الإباء أن يتنازل عن شيء من فلسطين لأعـداء اللَّه، والرجـال العظام أمثـال صلاح الدين ليس من شـيمـهم التسـاهل بحقوق المسلمين.

كتب له ملك الإنكليز: «إن المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت البلاد، وتلفت الأمـوال والأرواح، والقدس متعبـدنا ما ننزل عنه لو لم يبق منا واحد، وأما البـلاد فيعاد إلينا ما هو قـاطع الأردن...»، وطبعًا هذه مناورة من ملك الإنكليـز، يطلب الكثير ليـحصل على مـا يستطيع عليه أو على القليل[٢].

---

(١) «البداية» (١٣/ ٣٤).

(٢) وقد كـان مـضطرًّا للصلح، ويريد الرجوع إلى بلاده ويقـول في رسالة للسلطان: «باللَّه عليك أجب سـؤالي في الصلح، فـهذا أمـر لا بد له من آخر، وقـد هلكت بلادي وراء البحر..».

يقول ابن شداد: «فانظر إلى هذه الصناعة في اسـتخلاص الغرض باللين تارة، وبالخشونة أخرى، وكان لعنه اللَّه مـضطرًّا إلى الرواح، وهذا عمله مع اضطراره، واللَّه المسؤول أن يكفي المسلمين مكره...» قلت: وهذا دأب الإنكليز إلى الآن.

وقد أجابه صلاح الدين: «القدس لنا وهو مسرى نبينا فلا يتصور أن ننزل عنه، ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين، وأما البلاد فهي أيضًا لنا في الأصل، واستيلاؤكم كان طارئًا عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت...»[١].

فأرسل ملك الإنكليز: «الذي أطلبه منك أن يكون لنا في قلعة القدس عشرون نفرًا، وأن من سكن من النصارى في البلد لا يُتعرض لهم». فأجابه السلطان: «إن القدس ليس لكم منه حديث سوى الزيارة»[٢]. ألا ما أشبه الليلة بالبارحة، لقد تكالب اليهود في هذا العصر على فلسطين، يؤزهم الغرب الصليبي، ولا يزالون يراوحون ويراوغون ليستفيدوا من الوقت، ويحصلوا على مكاسب جديدة وأصحاب السلام الهزيل ينتظرون الوعود الشيطانية لأن إرادة القتال والجهاد غير واردة عندهم، فهم حريصون على السلام بأي ثمن، ولكن اليهود يريدون الأرض خاصة وقد جاءهم المدد من يهود روسيا[٣].

رحم اللَّه صلاح الدين وأجزل له المثوبة، فقد كان كثير العفو والصفح، يطلق الأسرى من الصليبيين، فيعودوا لقتاله مرة ثانية، مثلما فعل مع باليان بن بارزان، وغير هذا كان أولى، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية. [الأنفال: ٦٧].

---

(١) «الروضتين» (٢/ ٢٠٠).

(٢) «الروضتين» (٢/ ٢٠٠).

(٣) قام الشعب الفلسطيني في السنوات الأخيرة بواجبه تجاه اليهود، وصمد صمودًا عجيبًا، لكن كل الدول لا تريد حديث الجهاد، ولذلك سيكون الصراع طويلاً مع اليهود، وستكون العاقبة للمسلمين بإذن اللَّه.

* نور الدين محمود وصلاح الدين من المجددين[1] :

بعد أن استعرضنا بعض أعمال هذين الملكين المسلمين لا بد أن نقرر هنا أن ما قاما به يعتبر تجديدًا في الإسلام في كثير من النواحي. وإذا كان بعض العلماء قبلهم أو بعدهم يوصف بالتجديد فإنه لم يجدد كل الأمور فالغالب أن الحكم يبقى على ما هو عليه ولكن العالم يعيد للعقيدة صفاءها ويضع الناس على الطريق الصحيح.

❑ ونحن هنا بإزاء تجديد في نواح يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: الحديث عن الجهاد وممارسته عمليًّا:

من قبل السلطان والوزراء والقواد وكافة الشعب وهذا شيء قد ترك من مدة طويلة، فماتت الأمة واستنامت للأعداء فتسلط عليها الباطنيون من الداخل وبدأ الروم يناوشونها من الخارج، ثم جاء الصليبيون فاحتلوا أراضيها. وقد مر معنا شغف نور الدين وصلاح الدين بالجهاد والاستعداد له من تدريب وآلات عسكرية، وتحصين الحدود والقلاع، وحث الناس عليه وشهود العلماء والوعاظ المعارك معهم، ومعلوم أن الجهاد يوقظ الأمة ويفجر الطاقات، ويعزها بعد ذل، ويكفي للتدليل على ذلك أن صلاح الدين بعد فتح القدس وكل مدن فلسطين دافع عن عكا ستة وثلاثين شهرًا كان يعيش خلالها في خيمة وليس في مقر، ويركب فرسه كل يوم لمناوشة الأعداء.

---

(١) ويُؤخذ عليهما فقط أنهما كانا من الأشاعرة غفر اللَّه لهما... «إن الماء إذا بلغ القلتين لا يحمل الخبث».

ثانيًا: إشاعة روح العدل:

وقد كان الأمراء والوزراء من قبل يتسلطون على الناس في أموالهم وأراضيهم، والملوك يسمحون لهم بذلك إرضاء لهم وحتى تبقى لهم طاعتهم. بينما نرى أنه في عهد نور الدين محمود يتمنى القائد أسد الدين شيركوه أن ينزل عن كل أمواله، ولا يجلس في المحكمة أمام نور الدين.

ثالثًا: عدم التصرف بأموال الدولة:

وهذا شيء يختلف عن كل الدول السابقة، فقد كان نور الدين إذا جاءته هدايا يضعها في خزينة الدولة ولما طلبت زوجته نفقة لم يعطها من خزينة الدولة بل أعطاها من دكاكين له في حمص، وصلاح الدين لم يترك إلا دينارًا وأربعين درهمًا، وهذا شيء لم يسمع به من بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز.

رابعًا: العمل بالسياسة:

كان الأمراء قبلهم وملوك المدن يتحاكمون في بعض أمورهم إلى أعراف سياسية وليس إلى الشرع وبعض الناس لا يذهب إلى القاضي الشرعي بل يذهب إلى الشرطة فتحكم له بمقتضى قوانين عندهم.

يقول المؤرخ أبو شامة: «وكان نور الدين لما صارت له الموصل أمر قائد شرطتها أن لا يعمل شيئًا إلا بالشرع إذا أمره القاضي به، ثم يعقب هذا المؤرخ نقلاً عن القاضي يوسف بن رافع: أن نور الدين كان لا يعمل بالسياسة[1].

(١) «الروضتين» (١/ ١٣).

ويقول عنه أيضًا: «لم يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا مكسًا ولا عشرًا، بل أطلقها ـ رحمه اللَّه ـ»[١]. أي: أنه رفع الظلم عن الناس وفرض أشياء ليست في شرع اللَّه.

خامسًا: تقريب العلماء:

وحبهم واستشارتهم وإعطاءهم المكانة اللائقة بهم، وإحياء المدارس والعلم، وحضور السلطان مجالس العلم، بل إن السلطان صلاح الدين يذهب إلى الإسكندرية مصطحبًا معه ولديه علي وعثمان لحضور مجلس الحافظ السلفي.

وترقى العالم كمال الدين الشهرزوري إلى مرتبة الوزارة، ومن مستشاري صلاح الدين العالم الواعظ ابن نجا الحنبلي، ووزيره القاضي الفاضل كان من أكابر الكتاب محبًّا للعلم وأهله»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) «الروضتين» (١/ ٦).

(٢) انظر «أيعيد التاريخ نفسه» لمحمد العبدة ص(٧٩ ـ ٩٩).

أطيب الكلام في فتح صلاح الدين للقدس مدينة السلام

❁ أطيب الكلام في فتح صلاح الدين للقدس ❁

وهذا فصل يكتب بماء العيون، نورده بأقلام الفصحاء البلغاء من أساطين أعلام المسلمين... يلوح في كل سطر منه.. فرح المسلمين بهذا النصر العظيم الذي أعاد للناس فتوح الصحابة وأيامهم:

❁ وصف الفتح بقلم القاضي ابن شدّاد:

❑ **قال القاضي ابن شدَّاد**: لما تسلَّم السلطانُ عَسْقلان والأماكن التي هي محيطة بالقُدْس، شمَّر عن ساق الجِدِّ والاجتهاد في قصده، واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرِّقة في السَّاحل بعد قضاء لُبانتها من النَّهْب والغارة، فسار نحوه معتمداً على اللَّه، مفوِّضًا أمره إلى اللَّه، منتهزاً فُرصة فتح باب الخير الذي حُثَّ على انتهازه إذا فُتح بقوله عليه السلام: «**من فُتِحَ له بابُ خَيْرٍ فلينتهزه، فإنه لا يُعلم متى يُغلقُ دونه**»[1]، وكان نزوله عليه ـ قَدَّس اللَّه روحه ـ يوم الأحد الخامس عشر من رجب، فنزل بالجانب الغَربي، وكان مشحونًا بالمقاتلة من الخيَّالة والرَّجَّالة، ولقد تحازر أهل الخِبْرة عِدَّةَ من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على ستين ألفًا ما عدا النساء والصبيان. ثم انتقل ـ رحمه اللَّه ـ لمصلحةٍ رآها إلى الجانب الشمالي، وكان انتقاله يوم الجمعة العشرين من رجب، ونصب عليه

---

(١) مرسل: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٧)، وأحمد في «الزهد» (٤٧٢) من حديث حكيم بن عمير مرسلاً، وأورده المزي في «تهذيب الكمال» (٨/ ١٧٢) من قول خالد بن معدان.

المنجنيقات، وضايقه بالزَّحف والقتال وكثرة الرُّماة، حتى أخذ النَّقْب في السُّور مما يلي وادي جهنَّم في قُرنة شمالية. ولما رأى أعداء اللَّه ما نزل بهم من الأمر الذي لا يندفع، وظهرت لهم أمارات نُصرة الحق على الباطل، وكان اللَّه قد ألقى في قلوبهم الرعب بما جرى على أبطالهم ورجالهم من السَّبْي والقَتْل والأسر، وما جرى على حُصونهم من الاستيلاء والأخذ، علموا أنهم إلى ما صاروا إليه صائرون، وبالسيف الذي قُتِلَ به إخوانهم يُقْتلون، فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان، واستقرَّت القاعدة بالمراسلة بين الطَّائفتين. وكان تسلُّمه له يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب، وليلته كانت ليلة المعراج، المنصوص عليها في القرآن المجيد، فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب، كيف يسَّر اللَّه عوده إلى أيدي المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيِّهم صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم، وهذه علامةُ قَبُول هذه الطَّاعة من اللَّه تعالى[1].

✍ قلتُ: هذا أحد الأقوال في ليلة المعراج، وفي ذلك اختلافٌ كثير، ذكرناه في مواضع غير هذا، واللَّه أعلم.

❑ ثم قال القاضي: وكان فتوحًا عظيمًا شهده من أهل العِلْم خَلْقٌ عظيم، ومن أرباب الخِرَق[2] والحُرَق[3]؛ وذلك أن النَّاس لما بلغهم ما مَنَّ اللَّه به على يده من فُتوح الساحل، شاع قصدُه للقدس، فقصده العلماء من مصر والشام، بحيث لم يتخلف معروفٌ عن الحضور، وارتفعت

(١) هذا لا يصح . . فقد قال الحافظ ابن حجر في «تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب»: أما ما يقوله القصاص والمذكرون من أن الإسراء والمعراج كان في رجب فذلك كذب».

(٢) يعني الصوفية.

(٣) الحرق: السيوف الماضية، ولعلّ المراد من أرباب الحرق هم المتطوّعة.

الأصواتُ بالضجيج والدُّعاء، والتهليل والتكبير، وخُطبَ فيه، وصُلِّيت فيه الجمعة يوم فَتْحه، وحُطَّ الصليب الذي كان على قُبَّة الصَّخْرة، وكان شكلاً عظيمًا، ونصر اللَّه الإسلام نصر عزيزٍ مقتدر. وكان قاعدة الصُّلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجلٍ عشرة دنانير، وعن كل امرأةٍ خمسة دنانير، وعن كل صغيرٍ ذكر أو أنثى دينارًا واحدًا.

✍ قلتُ: كذا قال، وسيأتي في كتاب العماد أن على كل صغير دينارين، وكذا قال: إن الجمعة صُلِّيت ببيت المقدس يوم فتحه، وسيأتي في كتاب العماد التصريح بأنَّ يوم الفتح ضاق عن ذلك، فَصُلِّيت في يوم الجمعة الآتي.

ثم قال القاضي: فمن أحضر القطيعة سَلِمَ بنفسه وإلا أُخذ أسيرًا، وفرَّج اللَّه عمن كان فيه من أسرى المسلمين، وكانوا خَلقًا عظيمًا زُهاء ثلاثة آلاف أسير، وأقام عليه ـ رحمه اللَّه ـ يجمع الأموال ويفرِّقها على الأمراء والعلماء، ويوصل من دفع قطيعته منهم إلى مأمنه، وهو صور.

قال: ولقد بلغني أنه ـ رحمه اللَّه ـ رحل عنه ولم يبق معه من ذلك المال شيء، وكان مئتي ألف دينار وعشرين ألفًا، وكان رحيلُه عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاثٍ وثمانين وخمس مئة»[1].

* فتح بيت المقدس بقلم الحافظ ابن كثير:

قال الحافظ ابن كثير تحت عنوان «فتح بيت المقدس واستنقاذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وسبعين سنة»: ـ

(١) «عيون الروضتين» لأبي شامة (٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٢).

«لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدّم، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس، فنزل غربي بيت المقدس في الخامس عشر من رجب من هذه السنة ـ أعني: سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ـ فوجد البلد قد حُصّنت غاية التحصين، وكانوا ستين ألف مقاتل، دون بيت المقدس أو يزيدون، وكان صاحب القدس يومئذ رجلاً يُقال له بالبان بن بازران، ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقى الجمعان، من الداوية والاستثارية أتباع الشيطان، وعبدة الصلبان، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه، ثم تحوّل السلطان إلى ناحية الشام؛ لأنه رآها أوسع للمجال، والجلاد والنزال، وقاتل الفرنج دون البلد قتالاً هائلاً، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في نصرة دينهم وقمامتهم، واستشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين، فحنق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين، واجتهدوا في القتال ونصب المناجنيق والعرادات[1] على البلد، وغنّت السيوف والرماح الخطيات، والعيون تنظر إلى الصلبان منصوبة فوق الجدران، وفوق قبّة الصخرة صليب كبير، فزاد ذلك أهل الإيمان حنقًا وشدة للتشمير، وكان ذلك يومًا عسيرًا على الكافرين غير يسير، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وحشاها وأحرقها، فسقط ذلك الجانب، وخرّ البرج برمّته فإذا هو واجب[2]، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع، والخطب المؤلم الوجيع، قصد

(١) العرادات: آلات تستعمل في الحصار.

(٢) واجب: أي: ساقط.

أكابرهم السلطان، وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان فامتنع من ذلك وقال: لا أفتحها إلا عنوة، كما افتتحتموها أنتم عنوة، ولا أترك بها أحدًا من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين، فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمّنه، فلما حضر ترفّق للسلطان وذلّ ذلاً عظيمًا، وتشَفّع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم، فقالوا: إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا ـ وكانوا قريبًا من أربعة آلاف ـ وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا، وخربنا الدور والأماكن الحسنة، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما نقدر عليه، ولا نبقي ممكنًا في إتلاف ما نقدر عليه، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت، ولا خير في حياتنا بعد ذلك، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعدادًا منكم، فماذا ترتجي بعد هذا من الخير؟

فلما سمع السلطان أجاب إلى الصلح وأناب، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل صغير وصغيرة دينارين، ومن عجز عن ذلك كان أسيرًا للمسلمين، وأن تكون الغلاّت والأسلحة والدور للمسلمين، وأنهم يتحوّلون منها إلى مأمنهم وهي مدينة صور، فكتب الصلح بذلك، وأنّ من لم يبذل ما شُرط عليه إلى أربعين يومًا فهو أسير، فكان جملة مَنْ أُسِر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافًا لمن زعم أنها

أُقيمت يومئذ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت، وإنما أُقيمت في الجمعة المقبلة، وكان الخطيب محيى الدين بن محمد بن علي القرشي ابن الزكي.

ولكن نظّفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير، وخُرِّبت دور الداوية وكانوا قد بنوها غربي المحراب الكبير، واتخذوا المحراب مشتًا لعنهم اللَّه، فنُظِّف من ذلك كله، وأُعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية، وغُسلت الصخرة بالماء الطاهر، وأعيد غسلها بماء الورود والمسك الفاخر وأبرزت للناظرين وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين، ووُضع الصليب عن قبّتها وعادت إلى حرمتها، وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعًا فباعوها من أهل البحور الجوّانية بزنتها ذهبًا، فتعذّر استعادة ما قُطع منها.

ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال، وأطلق السلطان خلقًا منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال، ووقعت المسامحة في كثير منهم، وشفع في أناس كثير فعفا عنهم، وفرّق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في العسكر، ولم يأخذ منه شيئًا مما يقتنى ويدّخر، وكان ـ رحمه اللَّه ـ حليمًا كريمًا مقدامًا شجاعًا رحيمًا»[1].

* فتح القدس بقلم العماد:

❑ قال العماد ـ رحمه اللَّه ـ:

«رحل السلطان من عسقلان للقدس طالبًا، وبالعزم غالبًا، وللنصر

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٦).

مُصاحبًا، ولذيل العزِّ ساحبًا. والإسلام يخطُبُ من القُدْس عروسًا، ويَبْذُل لها في المَهرِ نفوسًا، ويحمل إليها نُعمى ليحمل عنها بُوسى، ويهدي بِشْرًا ليُذهبَ عُبوسًا، ويسمع صرخة الصَّخرة المستدعية المُستعدية لإعدائها على أعدائها، وإجابة دعائها وتلبية ندائها، وإطلاع زُهر المصابيح في سمائها، وإعادة الإيمان الغريب منها إلى وطنه، وردّه إلى سكونه وسكنه، وإقصاء الذين أقصاهم اللَّه تعالى بلعنته من الأقصى، وجَذْب قِياد فَتحه الذي استعصى، وإسكات الناقوس منه بإنطاق الأذان، وكَف كفِّ الكُفر عنه بأيمان الإيمان، وتطهيره من أنجاس تلك الأجناس، وأدناس أدنى النَّاس.

وطار الخبر إلى القدس، فطارت قلوب من به رُعبًا وطاشت، وخَفَقت أفئدتهم خوفًا من جيش الإسلام وجاشَتْ، وتمنَّتِ الفرنج لما شاعت الأخبار أنها ما عاشت، وكان به من مقدَّمي الفرنج باليان بن بارزان، وهو وملكهم في التَّسَلُّط سيَّان، والبطرك الأعظم وهو الشَّاني العظيمُ الشَّان، والذين أغفلتهم حياطةُ حطين من الفرسان الداوية والاسبتارية والبارونية، من ذوي الكُفر والشَّنآن، وقد حشروا وحشدوا، ونشروا ونشدوا، وحميت حَميَّتهُم، وأبت الضَّيْمَ أبيَّتهم، وحارت غيرتهم، وغارت خيرتهم، وتبلَّدوا وتلدَّدُوا، وقاموا وقعدوا، وصوَّبوا وصعَّدوا، فاشتغل بال باليان، واشتعل بالنيران، وخمدت نارُ بطر البطرك، وضاقت بالقوم منازِلُهم، فكأنَّ كل دارٍ منها شَرَكٌ للمُشرِك، وقاموا للتدبير في مقام الإدبار، وتقسَّمت أفكار الكفار، وأَيِسَ الفرنج من الفرج، وأجمعوا على بذل المُهج، وقالوا: ها هنا نطرح الرؤوس،

ونسبك النُّفوس، ونسفك الدِّماء، ونهلك الدَّهْماء، ونصبر على اقتراح القُروح، واجتراح الجروح، ونسمح بالأرواح شُحًّا بمحل الرُّوح، فهذه قُمامتنا[1]، فيها مقامتنا، ومنها تقوم قيامتُنا، وتصيح هامتنا، وتصحُّ نَدَامتنا، وتسيح علاَّمتنا، وتَسُحُّ غمامتنا، وبها غَرَامنا، وعليها غَرَامتنا، وبإكرامها كرامتنا، وبسلامتها سلامتنا، وباستقامتها استقامتنا، وفي استدامتها استدامتنا، وإن تخلَّينا عنها لزمت لآمَتُنا، ووجبت ملامتُنا، ففيها المصلب والمطلب، والمَذْبح والمقرب، والمجمع والمعبد، والمهبط والمصعد، والمَرقى والمرقب، والمشرب والملعب، والمموَّه والمُذهَب، والمطلع والمقطع، والمربى والمربع، والمُرَخَّم والمخرَّم، والمُحَلل والمُحرم، والصور والأشكال، والأنظار والأمثال، والأشباه والأشباح، والأعمدة والألواح، والأجسام والأرواح، وفيها صُوَر الحوارِيِّين في حِوارهم، والأحبار في أخبارهم، والرَّهابين في صوامعهم، والأقِسَّاء في مجامعهم، والسَّحَرة وحبالها، والكهنة وخيالها، ومثال السَّيِّدة والسيد، والهيكل والمولد، والمائدة والحوت، والمنعوت والمنحوت، والتلميذ والمعلِّم، والمهد والصَّبي المتكلِّم، وصورة الكبش والحمار، والجنَّة والنَّار، والنواقيس والنواميس.

قالوا: وفيها صُلِبَ المسيح، وقُرِّب الذَّبيح، وتجسَّد اللاهوت، وتألَّه النَّاسوت، واستقام التركيب، وقام الصليب، ونزل النور، وزال الدَّيجور، وازدوجت الطبيعة بالأُقْنُوم، وامتزج الموجود بالمعدوم، وعمدت معمودية المعبود، ومخضت البتول بالمولود، وأضافوا إلى

(١) القمامة من أعظم الكنائس في بيت المقدس. وتسمَّى أيضًا كنيسة القيامة.

متعبَّدهم من هذه الضلالات مما ضلُّوا فيه بالشُّبَه عن نهج الدلالات، وقالوا: دون مقبرة ربنا نموت، وعلى خوف فوتها منا نفوت، وعنها ندافع، وعليها نقارع، وما لنا ألا نقاتل! وكيف لا ننازع ولا ننازل! ولأيِّ معنى نتركهم حتى يأخذوا، ونَدَعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذوا؟!

وتأهبوا وتباهوا، وما انتهوا بل تناهوا، ونصبوا المجانيق على الأسوار، وستروا بظلمات السَّتائر وجوه الأنوار، واستشاطت شياطينُهم، وسَرَحت سراحينُهُمْ، وطَغت طواغيتهم، وأُصليت مصاليتهم، وهاج هائجهم، وماج مائجهم، وخضَّتهم قسوسُهم، وحرَّضتهم رؤوسهم، وحَرَّكتهم نفوسُهم، وجاءتهم بجوى السُّوء جواسيسهم.

ونصبوا على كل نيقٍ[1] منجنيقًا، وحَفَروا في الخَندق حَفْرًا عميقًا، وشادوا في كل جانبٍ رُكنًا وثيقًا، وفرَّقوا على كل بُرجٍ فريقًا، وجعلوا إلى كل طارقٍ بالرَّدى للردِّ طريقًا، وأعادوا كل نهجٍ واسعٍ بما وعروه وعوَّروه به مضيقًا، وتحمل كلٌّ منهم ما لم يكن له من قَبْلُ مطيقًا، وخرج جماعةٌ منهم على سبيل اليَزَك[2]، فأدلجوا ليلاً، واعترضوا عِدَّة من أصحابنا غارَّةً، على طريق السلامة مارَّةً، وكان قد شذَّ من المقدمة المنصورة أميرٌ تقدم، وما تحرز ولا تحزَّم، وما ظن أن قُدَّامه من له جرأة الإقدام، ومن يعتقد أن رِبْحَ كُفره خسارةُ الإسلام، وهو الأمير جمال الدين شروين بن حسن الزرزاري، فوقعوا عليه في موضعٍ

(١) النيق: أرفع موضع في الجبل. انظر «القاموس المحيط» (نوق).
(٢) اليزك: كلمة فارسية تعني: طلائع الجيش.

يُعرف بالقُبيبات، فاستُشهد ـ رحمه اللَّه ـ. ولما بلغ السلطان خبره ساءه وغَمَّه.

ثم أقبل بإقبال سلطانه وأبطال شجعانه، وأقيال أولاده وإخوانه، وأشبال مماليكه وغِلمانه، وكبار أمرائه وعِظام أوليائه، وأصبح يسأل عن الأقصى، وطريقه الأدنى، وفريقه الأَسْنى، ويذكُرُ ما يفتح اللَّه عليه بِحُسْنِ فتحه من الحُسْنى، وقال: إن أُسعدنا من اللَّه على إخراج أعدائه من بيته المقدَّس فما أَسعدنا، وأي يدٍ له عندنا إذا أَيَّدَنا، وإنه مكث في أيدي الكُفر إحدى وتسعين سنة لم يتقبلِ اللَّهُ فيه من عابدٍ حسنة، ودامت هِمَمُ الملوكِ دونه متوسِّنة[1]، وخلتِ القرون عنه متخلية، وخلتِ الفرنج به متولية، فما ادَّخر اللَّه فضيلة فتحه إلا لآل أيوب، ليجمع لهم بالقَبول القُلوب.

وكيف لا يهتمُّ بافتتاح البيت المقدَّس والمسجد الأقصَى، المؤسس على التَّقوى، وهو مقامُ الأنبياء، وموقف الأولياء، ومعبد الأتقياء، ومَزَارُ أبدال الأرض وملائكة السماء، ومنه المحشر والمنشر، ويتوافد إليه من أولياء اللَّه بعد المَعشَرِ المَعشَر، وفيه الصَّخرة التي صِينَتْ جدة أبهاجها من الإنهاج[2]، ومنها منهاج المعراج، ولها القُبة الشماء التي هي على رأسها كالتَّاج، وفيه ومض البارق ومَضى البُرَاق، وأضاءت ليلة الإسراء بحلول السراج المُنير فيه الآفاق.

ومن أبوابه باب الرَّحمة، الذي يستوجب داخله إلى الجنة بالدخول

---

(١) أي: نائمة.

(٢) الإنهاج: البلى، ومنه: نهج الثوب، بلى وخلق. انظر «لسان العرب» «نهج».

الخُلود، وفيه كرسي سليمان ومحراب داود، وفيه عين سُلوان التي تُمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود، وهو أولُ القِبلتين، وثاني البَنِيَّتَيْنِ، وثالث الحرمين، وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي أنها تُشدُّ إليها الرِّحال، وتعقد الرجاءَ بها الرِّجال. ولعل اللَّه يعيده بنا إلى أحسن صورة، كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه في أول سورة، فقال عز من قائل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] وله فضائل ومناقب لا تُحصى، ومنه كان الإسراء، ولأرضه فُتِحَت السماء، وعنه تُؤثر أنباء الأنبياء وآلاء الأولياء، ومشاهد الشهداء، وكرامات الكُرماء، وعلامات العُلماء، وفيه مبارك المبارّ، ومسارحُ المسارّ، وصخرتها الطولى القبلة الأولى، ومنها تعالت القدم النبوية، وتوالت البركةُ العُلوية، وعندها صلَّى نبينا ﷺ بالنبيين، وصحبَ الرُّوح الأمين، وصَعِدَ منها إلى أعلى عليين، وفيه محراب مريم عليها السلام، الذي قال اللَّه فيه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧]، ولنهاره التعبد، وللليله المحيا، وهو الذي أسسه داود، وأوصى ببنائه سُليمان، ولأجل إجلاله أنزل اللَّه سبحانه ﴿سُبْحَانَ﴾ وهو الذي افتتحه الفاروق، وافتتحت به سورة من الفُرْقان.

فما أجله وأعظمه، وأشرفه وأفخمه، وأعلاه وأجلاه، وأسماه وأسناه، وأيمن بركاته وأبرك ميامنه، وأحسن حالاته وأحلى محاسنه، وأزين مباهجه وأبهج مزاينه، وقد أظهر اللَّه طُوله وطَوْله بقوله: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ وكم فيه من الآيات التي أراها اللَّه نَبيه، وجعل مسموعنا من فضائله مرئية، ووصف للسلطان من خصائصه ومزاياه، ما وثق على

استعادة آلائه مواثيقَه وألاياه[١]، وأقسم لا يبرح حتى يبر قَسمُه، ويُرفع بأعلاه عَلَمُه، وتخطو إلى زيارة موضع القدم النبوية قدمُه، ويصغي إلى صرخة الصخرة، وسار واثقًا بكمال النُّصرة.

نزول السُّلْطان على البيت المقدَّس وحَصْره وما كان من أمره

قال العماد: نزل السلطان على غربي القُدس يوم الأحد خامس عشر رجب، وكان في القُدس حينئذٍ من الفرنج ستُّون ألف مقاتل من فارس وراجل، وسائف ونابل، فاستهدفوا للسهام، واستوقفوا للحِمَام، وقالوا: كل واحد منا بعشرين وكل عشرة بمئتين، ودون القيامة تقوم القيامة، ولحبِّ سلامتها تُقلى السلامة.

وأقام السلطان خمسة أيام يدور حول البلد، ويقسم على حصاره أهل الجَلَد، وأبصر في شماليه أرضًا رضيها للحصار، متَّسعة لمجال الأسماع والأبصار، ممكنةً للدنُوِّ من النقب إن صار من حَيِّز الأنصار. فانتقل إلى المنزل الشمالي يوم الجمعة العشرين من شهر رجب، فما أصبح يوم السبت إلا على منجنيقات قد نُصبت بلا نَصب، فدام القتالُ والنزال، وفرسانهم في كل يوم يباشرون دون الباشورة، أمام جموعهم المحصورة المحسورة المحشورة، ويبرزون ويُبارزون، ويطاعنون، ويحاجزون، والمطيعون للَّه عليهم يحملون، ومن دمائهم يَنهَلُون ويُنْهلون، كما قال اللَّه تعالى فيهم ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ

(١) ألايا: جمع مفردها الألوة: اليمين. انظر «لسان العرب» «ألا».

﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ وممن استُشهد مبارزًا، ولم يشهد بينه وبين الجَنَّة حاجزًا، الأمير عز الدين عيسى بن مالك، كان أبوه صاحب قلعة جَعْبر، فإنه حاز بشهادته في المحشر المفخر، وأكثر ورود الموت إلى أن ورد الكَوثَر، وكان في كلِّ يوم يَفْرِسُ فوارس، ويَلقى ببشر وَجهه وجوه المَنُون العَوابس، فاغتمَّ المسلمون من صرعته، وهان عليهم إتلاف المُهَج بعد تلاف مُهجَته، فركبوا أكتاف الرَّهَج، حتى وصلوا إلى الخندق فخرقوه، وبدَّدوا جمعه وفرَّقوه، والتصقوا بالسُّور فنقبوه، وعَلَّقوه وحشوه وأحرقوه، وصدَّقوا وعد اللَّه في القتال لأعدائه فَصَدَقوه، ولما غضَّتهم الحرب، وقع السور واتسع النَّقب، فَصَعُبَ عليهم الهَيِّن وهان لنا الصعب، عقدوا ما بينهم مشورة، وقعدوا ما بينهم ضرورة، وقالوا: ما لنا إلا الاستئمان، فقد أخذ لنا بخطه الخِذلان والحِرمان. وأخرجوا كبراءهم ليؤخذ لهم الأمان، فأبى السلطان إلا قتالهم وتدميرهم واستئصالهم، وقال: ما آخذ القدس إلا كما أخذوه من المسلمين منذ إحدى وتسعين سنة، فإنَّهم استباحوا القتل، ولم يتركوا طَرْفًا يستزير سِنَة، فأنا أُفني رجالهم قتلاً، وأحوي نساءهم سبيًا. فبرز ابن بارزان ليأمن من السلطان بموثقه، وطلب الأمان لقومه، وتمنَّع السلطان، وتسامى في سَومه، وقال: لا أمن لكم ولا أمان، وما هوانا إلا أن نُديم لكم الهوان، وغدًا نملككم قَسرًا، ونوسعكم قتلاً وأسرًا، ونسفك من الرِّجال الدِّماء، ونسلط على الذُّرية والنساء السِّباء. وأبى في تأمينهم إلا الإباء، فتعرضوا للتضرُّع، وخَوَّفوا عاقبة التسرع، وقالوا: إذا أيسنا من أمانكم، وخفنا من سلطانكم، وخبنا من إحسانكم، وأيقنا أنه لا نجاة ولا نجاح، ولا صُلح ولا صلاح، ولا

سلم ولا سلامة، ولا نعمة ولا كرامة، فإنا نستقتلُ فنقاتل قتال الدم والندم، ونقابل الوجود بالعدم، ونلقي أنفسنا على النار، ولا نُلقي بأيدينا إلى التهلُكة والعار، ولا يجرح منا واحد حتى يجرح عشرة، وإنا نحرق الدُّور، ونخرب القُبَّة، ونترك عليكم في سبينا السُّبَّة، ونقلع الصَّخرة، ونوجدكم عليها الحسرة، وقُبَّة الصخرة نرميها وعين سُلوان نعميها، والمصانع نخسِفُها، والمطالع نَكسِفُها، وعندنا من المسلمين خمسة آلاف أسير، ما بين غنيٍّ وفقير، وكبير وصغير، فنبدأ بقتلهم، وشتٍّ شملهم، وأما الأموال فإنا نَعطبُها ولا نُعطيها، وأما الذراري فإنا نسارع إلى إعدامها ولا نستبطيها، فلا يحصل لكم سبيٌّ، ولا يُقبل لكم سعي، ولا يسلم عمر ولا عمارة، ولا نُضار ولا نضارة، ولا نساء ولا صبيان، ولا جماد ولا حيوان، فأيُّ فائدة لكم في هذا الشُّح، وكل خُسرٍ لكم في هذا الربح، ورُبَّ خيبةٍ جاءت من رجاء النُّجْح، ولا يصلح السوء سوى الصُّلح. فشاور السلطان أصحابه، فقيل له: الصواب أن نحسبهم أُسارانا، فنبيعهم نفوسهم، ونعمِّم بصغار الجزية رؤوسهم، ويدخل في القطيعة مرؤوسهم ورئيسهم.

واستقر بعد مراودات ومعاودات، ومفاوضات وتفويضات، وضراعات من القوم وشفاعات، على قطيعةٍ تُكمَّل بها الغبطة، ويحصل منها الحوطة، اشتروا بها منا أنفسهم وأموالهم، وخلَّصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم، على أنه من عجز بعد أربعين يومًا عما لزمه، أو امتنع منه وما سَلَّمه، ضُربَ عليه الرِّق، وثبت في تملكه لنا الحق، وهو عن كل رجل عشرة دنانير، وعن كل امرأة خمسة دنانير، وعن كل

صغيرة أو صغير ديناران، الذكر والأنثى في ذلك سيَّان، ودخل ابن بارزان، والبطرك، ومقدَّما الدَّاوية، والإسبتار في هذا الضمان، وبذل ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء، وقام بالأداء، ولم يَنكُل عن الوفاء، فمن سلم خرج من بيته آمنًا، ولم يعد إليه ساكنًا، وسلَّموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على هذه القطيعة، وردُّوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة، وكان فيه أكثر من مائة ألف إنسان من رجالٍ ونساء وصبيان، فأغلقت دونهم الأبواب، ورُتِّب لعرضهم واستخراجِ ما يلزمهم النواب، ووُكِّلَ بكل بابٍ أمير ومقدَّمٌ كبير، يحصر الخارجين، ويحصي الوالجين، فمن استخرج منه خرج، ومن لم يَقُمْ بما عليه قعد في الحَبْس وعَدِمَ الفَرَج، ولو حُفِظَ ذلك المال حقَّ حفظه، لفاز منه بيت المال بأوفر حظه، لكنَّما تم التفريط، وعمَّ التخليط، فكلٌّ من رشا مشى، وتنكَّبَ الأُمناء نَهجَ الرُّشد بالرُّشا، فمنهم من أُدلي من السور بالحبال، ومنهم من حُمل مخفيًّا في الرِّحال، ومنهم من غُيرت لبسته فخرج مخفيًّا في زِي الجُند، ومنهم من وقعت فيه شفاعةٌ مطاعة لم تقابل بالرد، والثقات الأكابر استنابوا أصاغر، فأقاموا في تقصيرهم المعاذر، وقنوا لأنفسهم الذخائر، وادَّعى مُظفر الدين كُوكُبُوري أن منهم جماعة من أرمن الرُّها، وعددها ألف نسمة، فجعل إليه أمرها، وكذلك صاحب البيرة ادَّعى بالعُدَّة الكثيرة زهاء خمس مائة أرمني ذكر أنهم من بلده، وأن الواصل منهم إلى القُدس لأجل متعبَّده، وكذلك كل من استوهب عدة استطلقها، وحصل له مرفقها، ثم تولى الملك العادل استخراجهم، وقوَّم على الأداء منهاجهم، وسهل على السلطان لفرط جوده الاستخراج والإخراج، وتوفر لعامة الناس وخاصَّتهم ببهجة سماحه الابتهاج، وما فينا

إلا من فاز بأوفى نصيب، ورعى منه في مرعى خصيب.

وكان السلطان قد رتب عدة دواوين، في كل ديوانٍ منها عدة من النواب المصريين، وفيهم من الشاميين، فمن أخذ من أحد الدواوين خطًّا بالأداء، انطلق مع الطلقاء، بعد عرض خطه على من بالباب من الأُمناء والوكلاء، فذكر لي من لا أشك في مقاله أنه كان يحضر في الديوان، ويطلع على حاله، فربما كتبوا خطًّا لمن نَقْدُه في كيسهم، وتَلَبَّس أمر تلبيسهم، فكانوا شركاء بيت المال لا أُمناءه، وخانوه على ما حصل لكل من الغِنى والنفع وما أضر غناءه، ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة ألف دينار، وبقي من بقي تحت رق وإسار، ينتظر به انقضاء المُدة المضروبة، والعجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة.

وكانت بالقُدس ملكة رومية متعبدة مترهبة، في عبادة الصليب متصلِّبة، وعلى مُصابها مُتلهِّبة، وفي التمسك بملتها متصعبة متعصبة، أنفاسها متصاعدة للحُزن، وعبراتها متحدرة تحدر القطراتِ من المُزن، ولها حال ومال ومتاع، وأشياء وأشياع وأتباع، فعاذت بالسلطان فأعاذها، ومن عليها وعلى كل من معها بالإفراج، وأذن في إخراج كل ما لها في الأكياس والأخراج، وأبقى عليها من مصوغات صُلبانها الذهبية المجوهرة ونفائسها، وكرائم خزائنها، فخرجت بجميع مالها وحالها، ونسائها ورجالها، وأسفاطها وأعدالها، والصناديق بأقفالها، وتبعها من لم يكن من أتباعها، فراحت فرحى، وإن كانت من شجنها قرحى.

وكذلك خرجت زوجة الملك المأسور كي، وهي ابنة الملك أماري،

وكانت مقيمة في جوار القدس مع مالها من الخول والخدم والجواري، فاستأذنت في الإلمام بزوجها، وكان بقيده مقيمًا في بُرج نابلس موكلاً به ليوم وَعدِ تسريحه، فأذن لها، فخلصت هي ومن تبعها، وأقامت عند زوجها.

وكذلك خرجت الإبرنساسة أم هنفري، وهي ابنة فليب وزوجة الإبرنس الذي سُفِك دمُه يوم حطين، وهي صاحبة الكرك والشوبك، وهي بنوابها محوطة، وبرأيها منوطة، فجاءت سائلة في ولدها العاني، فوعدت أنها إن سمحت بحصنها سمح-لها بابنها، ثم أُعفيت وأُطلقت وعُصمت، واستحضر ابنها هنفري بن هنفري من دمشق إليها، وأقرَّ برؤيته عينيها، وسار معها من الأمراء والأمناء من يتسلم منهم تلك المعاقل، فخرجت فمضت إلى حصونها لتسلِّمها، فمانعها أهلها ودافعوها، وردوها ذليلة خائبة، فسكنت صور، واستودعت السلطان ابنها المأسور، ووعدها بإطلاقه إذا تسلم تلك الحصون.

ذكر يوم الفتح وبعض كتب البشائر إلى البلاد

قال العماد: تسلم المسلمون البلد يوم الجمعة أوان وجوب صلاتها، وطلعت الرايات الناصرية على شرفاتها، وأُغلقت أبوابها لحفظ ناسها، في طلب القطيعة والتماسها، وضاق وقتُ الفريضة، وتعذر أداؤها. وللجمعة مقدمات وشروط لم يمكن استيفاؤها، وكان الأقصى لا سيما محرابه مشغولاً بالخنازير والخنا، مملوءًا بما أحدثوا من البنا، مسكونًا ممن كفر وغوى، وضل وظلم وجنى، مغمورًا بالنجاسات التي

حَرُمَ علينا في تطهيره منها الونى، فوقع الاشتغال بالأهم الأنفع، والأتم والأنجح الأنجع، وهو حفظهم وضبطهم إلى أن يوجد شرطهم، ويؤخذ قسطهم.

وجلس السلطان بالمخيم ظاهر القدس للهناء، وللقاء الأكابر والأمراء، والمتصوفة والعلماء، وهو جالسٌ على هيئة التواضع وهيبة الوقار، بين الفقهاء وأهل العلم جلسائه الأبرار، ووجهه بنور البشر سافر، وأمله بعز النجح ظافر، وبابُه مفتوح، ورفده ممنوح، وحجابه مرفوع، وخطابه مسموع، ونشاطه مُقْبل، وبساطه مُقَبَّل، ومحياه يلوح، وريَّاه يفوح، قد جلت له حالة الظفر، وكأن دَسْتَه به هالة القمر، والقراء جلوسٌ يقرؤون ويرشدون، والشعراء وقوف ينشدون ويَنشدون، والأعلامُ تبرز لتنشر، والأقلام تُزْبر لتبشِّر، والعيون من فرط المسرة تدمع، والقلوب للفرح بالنصرة تخشع، والألسنةُ بالابتهال إلى اللَّه تضرع، وبُشر المسجد الحرام بخلاص المسجد الأقصى، وتلي ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ﴾ [الشورى: ١٣]، وهنئ الحجر الأسود بالصخرة البيضاء، ومنزل الوحي بمحل الإسراء، ومقر سيد المُرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والأنبياء، ومقام إبراهيم بموضع قدم المصطفى ﷺ وعليهم أجمعين، وأدام أهل الإسلام بشرف بنيته مستمتعين. وتسامع الناس بهذا النصر الكريم، والفتح العظيم، فوفدوا للزيارة من كل فج عميق، وسلكوا إليه في كل طريق، وأحرموا من البيت المقدس إلى البيت العتيق، وتنزهوا من زهر كراماته في الروض الأنيق.

✍ وكتب العماد في ثاني يوم الفتح سبعين كتاب بشارة، كل كتاب

بمعنى بديع وعبارة، فمنها الكتاب إلى الديوان العزيز ببغداد افتتحه بهذه الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

الحمد للَّه الذي أنجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف، وقهر بأهل التوحيد أهل الشرك والخلاف، وخص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافة، ومكن دينه المرتضى، وبدل الأمن من المخافة، وذخر هذا الفتح الأسنى والنصر الأهنى للعصرَ الإمامي النبوي الناصري على يد الخادم؛ أخلص أوليائه، وأخص من اعتزازه باعتزائه إليه وانتمائه. وهذا الفتح العظيم والنُّجْح الكريم قد انقرض من الملوك الماضية، والقرون الخالية على حسرة تمنِّيه، وحيرة ترجيه، ووحشة اليأس من تسنِّيه، وتقاصرت عنه طوال الهمم، وتخاذلت عن الانتصار له أملاكُ الأمم، فالحمد للَّه الذي أعاد القُدُس إلى القُدْس، وأعاذه من الرجس، وحقق من فتح ما كان في النفس، وبدل وحشة الكفر فيه من الإسلام بالأنس، وجعل عز يومه ماحيًا ذل الأمس، وأسكنه الفقهاء والعلماء بعد الجُهال والضلال من البطرك والقس، وعبدة الصليب ومستقبلي الشمس، وقد أظهر اللَّه على المشركين الضالين جنوده المؤمنين العالمين، وقطع دابر القوم الظالمين، والحمد للَّه رب العالمين، فكأن اللَّه شرف هذه الأمة، وقال لهم: اعزموا على اقتناء هذه الفضيلة التي بها فضلكم، وحقق في حقهم امتثال أمره في قوله الكريم: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١].

وهذا الفتح قد أقدره اللَّه على افتضاضه بالحرب العوان، وجعل

ملائكته المسومة له من أعز الأنصار وأظهر الأعوان، وأخرج يوم الجمعة من بيته المقدس أهل الأحد، وقمع من كان يقول: إن اللَّه ثالث ثلاثة بمن يقول: هو اللَّه أحد. وأعان اللَّه بإنزال الملائكة والروح، وأتى بهذا النصر الممنوح، الذي هو فتحُ الفتوح، وقد تعالى أن يحيط به وصف البليغ نظمًا ونثرًا، وعُبِدَ اللَّه في البيت المقدس سرًّا وجهرًا، وملكت بلاد الأردن وفلسطين غورًا ونجدًا، وبرًّا وبحرًا، ومُلئت إسلامًا، وكانت قد ملئت كفرًا، وتقاضى الخادم دَيْنَ الدين الذي غَلِقَ رهنه دهرًا، والحمد للَّه شكرًا، حمدًا يُجدد للإسلام كل يومٍ نصرًا، ويزيد وجوه أهله ببشرى فتوحه بشرًا، وأبى الخادم إلا استباحة أموالهم وأرواحهم، وحسم داء اجتراحهم باجتياحهم، وأنه لا بد من تطهير الأرض المقدسة برجس دمائهم، وقتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسائهم، ولما أيسوا من النجاة، وفتح أبوابها المُرتجة من أسبابها المرتجاة، خوفوا بقتل الأسارى المسلمين، وهم أكثر من ثلاثة آلاف، وأنهم يفسدون جميع ما في البلد من مالٍ وبناء بهدمٍ وإحراق وإتلاف، وعُرِفَ أن جهلهم يحملهم على كل نُكرٍ شنيع، وأنهم تدعوهم فظاظتهم إلى كل ضرٍّ فظيع، وبذلوا إطلاق الأسرى، وشرطوا حمل مال الفدا، وما زالوا يبتهلون ويضرعون، ويذلون ويخشعون، حتى استقر الأمر أنهم يُفادون، وأجيبت الصخرة المقدسة عند استصراخها، وبركت البركة الناهضة إليها في مناخها، وغسلت من أوضارها وأوزارها بعبرات العيون، ورجع اضطرابها إلى السكون، وفديت بنواظر أهل الإيمان، وصوفحت للوفاء بعهدها المجدد بالإيمان، وذكرت في يوم خلاصها من رجب بليلة المعراج، وتجلى

إظلامها بإنارة سنا السراج، وأعيدت الكنائس مدارس، وأضحت بإحياء رميم التوحيد رسومُ الكفر عفيةً دوارس، وزالت ضجرة الصخرة، ونعَّشها اللَّه من العثرة، وبدل بالأنس فيها ما كان من الوحشة والحسرة، فالحمد للَّه على هذه النصرة، والمنَّة له على هذه المبرة.

وقد تسلمنا مع بيت المقدس جميع المعاقل من حد الداروم إلى حد طرابُلُس، وكل ما كان جاريًا في مملكة ملك القدس ونابلس، ولم يبق إلا صور، فإنها قد تأخر انتزاعها، وتقدم امتناعها، والفرنج فيها قد ضربت بآمالها أطماعُها، وهي بتأييد اللَّه مستفتحة، والقلوب بتذليل جامحها منشرحة.

* ومن كتب أُخَر: فُتِحَ بيت اللَّه المقدس الذي عجز الملوك عن تمنيه فكيف تسنِّيه؟ وماتتِ الأطماع دونه فلم تطمع فيه، فَمَنَّ اللَّه علينا بتذليل صعبه، وإعذاب شربه، وتسهيل وعره، وتحصيل فخره، وقضى الملوك في ليله، وجئنا نحن عند إسفار فجره. وقد كانت الصخرة مُستصرخة، ومطايا الكفر بكلاكلها عليها منوَّخة، فأُجيبت دعوتها، وأصينت حظوتها، وتناثرت على حَجَرها يواقيت الشفاه، وقوبلت قبلتها بِقُبَل الأفواه، ودنا المسجد الأقصى للقاصي والداني، وزال رين العائن وقرت عين الراني.

هذا فتحٌ عظيمٌ قدره، جسيم فخره، فاضلٌ عصره، كاملٌ نصره، غير منسيٍّ إلى يوم الحشر ذكره، وقد افْتُض بنا بِكرُه، واقتُضي بسيفنا وترُه، وزهر زهره، وظهر قهره، وهلك الكافر وكفره، وجاء من نعم اللَّه ما لزم على الأبد شكره.

أبينا إلا إحراقهم بنيران الصوارم، وإغراقهم في أمواه الطلى والجماجم، وتسلمنا القدس في يوم كانت في مثل ليلته ليلة المعراج، وحنت الصخرة حنين جذع المعجزة الأولى في ظلمة ليلها إلى ذلك السراج الوهاج، والحمد للَّه على سلوك ما وضح من المنهاج، ونضوب ما كان نبع من الأجاج، وخلا بيت اللَّه لقصد الحاج، وصدق الحاج.

مبشرة بما فضل اللَّه به عصرنا، وعجل به نصرنا، ونظم به سلكنا، وطرز به مُلكنا، وهو فتحُ بيتِ اللَّه المقدس الذي غَلِقَ رهنه دهرًا، واغتُصبت من الإسلام قهرًا، وارتد كفرًا، وامتدت به الأيام عمرًا فعمرًا، وتقاصرت الهمم عن استفتاحه، وأصلد زَنْد[1] الملوك فيه فعجزوا عن اقتداحه، ونزلوا بالرغم على التماس الكفر واقتراحه، واحتملوا لحفظ مواضعهم نكاية اجترامه واجتراحه، فلا جرم أعده اللَّه لأيامنا، وذخره لمواسم اعتزامنا، وفتحه بنا إظهارًا لفضيلة هذه الأيام، وإيثارًا لما نحن نؤثره من إعلاء كلمة الإسلام، فأصرخنا الصخرة، وأهدينا إليها النصرة، ومكنا من قلبها وإن كان من الحجر المسرة.

وتسلمنا القدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب، وقضينا من حق هذا البيت ما وجب، وجاء القُدُس إلى القُدْس، وزال الرجس وذهب، وتولى فيه الإسلام وتولى عنه الكفر، عظم الأجر وفخُم الفخر، وطاب النشر وزاد البشر، ومُحي الرجس وثبت الطهر، وهلك المشرك، وذل البطرك، وأُقصي من المسجد الأقصى الساجد إلى الشمس، وتجلى الحق بنوره الكاشف للَّبسِ.

(١) أصلد الزند: صوت، ولم يور.

عاد بيت اللَّه المقدس إلى طهارته، ونطق منه لسان التقديس بعبارته، وتهلل وجه السعد بنضارته، وخصنا القدر في إتمام أمره بخطابه وإشارته، وزادت الوجوه بشرًا ببشارته، وقد أعاد اللَّه إلى الإسلام المسجد الأقصى، وملكنا أدناه وأقصاه، وأسنى دولتنا بما سناه من فتحه وهناه، وعلموا أنهم هالكون، وأنا لهم بالقهر مالكون، وفي سبيل القتل والأسر والسبي سالكون، فخرجوا يطلبون الأمان، ويبذلون الإذعان، حتى يسلموا المكان، فقيل لهم: الآن وقد عصيتم، ورضيتم بما فيه هلاكهم وأبيتم، فروعوا بقتل أُسارى المسلمين وهم ألوف، وعرفنا أنهم لا يقصرون عن شرٍّ، فإن جهلهم معروف. فتضرعوا وتشافعوا وتعفروا في تراب الذُّل ووقعوا، وتقرر عليهم مال اشتروا به أنفسهم، فنزعوا به من الخوف ملبسهم، وسلموا القدس، فأعدناه إلى القدس، وطهرناه من الرجس، وأجبنا دعوة الصخرة، وغسلنا عنها وضر الكفر بعبرات العبرة.

فُتحَ بيتُ اللَّه المقدس، الذي غَلِقَ رهنُه، وطال في يد الكفر أسره وسجنه، واستهل بغر أيامنا مُزنه، وأنار يمنه، وعاد بإحساننا حُسنه، وزال بنا خوفه وزاد أمنه، وبقي قريب مائة سنة في يد الكفر مسجونًا، وبرجس الشرك مشحونًا، حتى أعاد اللَّه بنا رونقه، وأذهب قلقه، وأعدم فرقهُ.

وهذا فتحٌ لم يكن منذ عصرِ الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ له نظير، وأُفُقُ الدين به منيفٌ منير، وشرف أيامنا به كبير، وهو إمام فتوحنا المُدخرة لنا، وما لها بتأييد اللَّه تأخير.

فُتحَ البيت المقدس الذي لم يخطر تمنيه بخاطر الملوك، وتوعر على

عزائمهم نهجُ طريقه المسلوك، وحالت دونه قنطاريات الفرنج وطوارقُها، وجنت على الإسلام فيه حوادثُ الليالي وطوارقُها، حتى دعانا اللَّه لفتحه فأجبناه، ووعدنا بالفوز فأصبناه، وأوردنا مشرع صفائه فاستعذبناه، وعرفنا طيب عرفه فاستطبناه، وذخَر لعصرنا هذا الفتح فاستقبلناه.

رأوا أحجار المنجنيقات قد أنزلتِ الأسواء بالأسوار، وغارَتِ الصخور للصخرة المباركة فجدت في إنقاذها من الإسار، وهتمت ثنايا الأبراج، وأعضل بها في العلاج داءُ الأعلاج، فعاينوا الحمام، وشاهدوا الموت الزؤام.

أقامت المنجنيقات على حصانته جد الرجم، وواقعت ثنايا شرُفاته بالهتم، وتطايرت الصخور من نصرة الصخرة المباركة، وحجرت على حكم السور بسفه الأحجار المتداركة، وحسرت النُّقوبُ عن عروسِ البلد نُقُبَ الأسوار، وانكشفت للعيون انكشاف الأسرار.

نَهَضَتْ لإصراخ الصخرة المقدسة الصخور، وطارت من أوكار المجانيق كأنها الصقور، ما أسر البيت الحرام بفكاك أخيه من الأسر، وإجراء ماء الإسلام فيه لغسل أوضار الكُفر، وإنقاذ الصخرة المباركة ممن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، وإلحافها من البهاء والرونق والعز الإسلامي كسوة، ولقد غُسِلَتْ من أدران الكفر وأدناسه، وطُهرت من أرجاس أنجاسه، بمياه العيون التي بها قذيت، وصُقلت بشفاه المؤمنين وطالما بأيدي الكفر صديت، وأعيد إليها ذكرُ اللَّه تعالى بعد طول الغُربة، وتذكرت بصحبة الأولياء ما سلف لها في عهد الصحابة ـ رضي

اللَّه عنهم ـ من حُسنِ الصحبة، ودنا المسجد الأقصى فأُقصي منه الساجد للشمس، وسكن العلماء والفقهاء في مواطن البطرك والقس، وأُبدل الناقوس بالأذان، بل الكفر بالإيمان، وصلى محرابُ[1] الإسلام في المحراب الذي أسلم، وقد سنَّى اللَّه تعالى هذا الفتح الأعظم، والنُّجح الأفخم.

وقد نُدِبَ فلان في الرسالة القُدسية، والبشارة العُرسية، التي تم بها مأتم الكفر وعُرس الإسلام، وعاد بها المسجد الأقصى إلى مداناة المسجد الحرام، وتجلت عروس الصخرة لعيون الناظرين، وفاضت عليها مياه أحداق الأولياء، فَرَحَضَت[2] عنها أوضار الكافرين، وكان الإسلام منه غريب فرجع إلى وطنه، وسكن منه إلى التوطن في مسكنه، وزالت مخاوفه وعاد إلى مأمنه، وفاض العرف من منبعه، وأنار التوحيد من مطلعه، وعلا سنا السنة، وحلا جنى الجنة، وخلصت مواضع المُخلصين من أولياء الأمة، وخرج البطاركة والقسيسون من مساجد الأئمة، وعادت الكنائس مدارس، وآيات التثليث بها دوارس، ووجوه أهل الإيمان باشرة، ووجوه أهل الصليب عوابس، ومحت أيامنُ هذه الأيام تلك الليالي الدوامس، وقد أقيمت الجُمَع والجماعات، ونُظفت بل طهرت تلك الساحات، وصلى محرابه المحرب، ودرس فيه الخلافَ والمذهب، فالحمد للَّه الذي تسنى بفضله هذا المطلب، وتيسر بتأييده الأمر الأصعب.

* **قال العماد**: وكان المولى الأجل الفاضل متأخرًا بدمشق لعارضٍ مَنَّ

(١) المحراب والمحرب: الشديد الحرب، والشجاع، ويعني به صلاح الدين. «القاموس المحيط» (حرب).

(٢) رحضت: أي: غسلت. انظر «القاموس المحيط» (رحض).

اللَّه بشفائه، فمن جملة ما كتب السلطان إليه: أما الفتح فمن جُملة بركات همته، وآثار جذبت عزمته، فإن اللَّه تعالى سهل ما سجل أهل الدهر بأنه صعب، وأهب نسيم النصر إبان يقال ليس له مهب، وخصنا بهذا الشرف، وألحقنا في هذه الفضيلة بصالحي السلف، وقد بُدل الكفر بالإيمان، والناقوس بالأذان. وجلس العلماء والفقهاء في مجالس الرهبان، وفتحت بهذا الفتح من بيت اللَّه المقدس أبواب الجنان، وتزاحَمَ الخارجون من البلد من الفرنج والنصارى في دخول أبواب النيران، وصلى محارب الدين في المحراب، ورفع الملائكة ما كان تكاثف بأنفاس الكفر من الحجاب، وغُسِلَت الصخرة المباركة من أوضارها بماء العيون، الفائض الفائق غزارة الأمواه، وقُبلت بالشفاه وبوشرت بالأفواه، وطهرت بأهل العلم والحلم من أدناس أهل الجهل والسفاه.

والحمد للَّه ثم الحمد للَّه، وما كان يعوزنا ويعوزه إلا حُضور المجلس السامي أسماه اللَّه، فما لهذا الأمر رُواء إلا بروائه، ولا للأنس لقاء إلا بأنس لقائه، وكاد يُصحف الفتحُ لولا صالح دعائه، وحسن آلائه.

والحمد للَّه الذي خصنا بهذه الخاصية، وفضلنا بالنصرة القدسية، وذخر لنا هذا البر الذي عجز بل قصر عنه ملوك البرية.

والحمد للَّه على هذه النعمة السنية، فما أشوقنا وأشوق القدس إلى قدومه، وما أظمأنا وأظمأه إلى خُصوص الري به وعمومه، ويا حظ هذا البيت الذي هو أخو البيت الحرام من زيارته، وما آنق روضه وأوفق رضاه إذا فاز بنظره ونضارته، ونحن نعرف أن همته العالية تحدوه، وأن دينه إلى إجابة دعوته تدعوه، ونسأل اللَّه تعالى أن يكمل صحته،

ويُنعشَ نهضته، ويقوي قوته، وما أقمنا بهذا البلد إلا لتطهيره، وترتيب أمره وتدبيره.

* ومن كُتُبٍ أُخَر: نصرنا اللَّه بملائكته المسومين، وأوليائه المؤمنين. واستخلصنا بتأييده البلاد وانتزعناها، واقتضضنا بالبِيض الذكور من الحرب العوان أبكارَ الفُتوح وافترعناها، وهذه موهبةٌ مُذهبة، ومنقبةٌ لا تبلغ إلى وصفها بلاغة موجزة ولا مُسهبة، ونوبة ما للإسلام بعدها نبوة، وحظوة في مذاق أهل التقوى والمغبرة حلوة، وبُشرى تجلو الوجوه ببشرها، وتضوع مهاب المحاب بنشرها، ويُغرقُ أهل الشرق والغرب سِجالُ غربها، وتقر عين المؤمنين في البعد والقرب بأنوار قربها.

عاد التقديس إلى الأرض التي به وصفت، وأحاطت البركة بالبقعة التي بقوله تعالى: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ عُرفت، وظهرتِ الصخرة المقدسة وطُهرت، وزُهيت أيامن هذه الأيام وزهرت، وقُمعت الطائفة الباغية من أهل التثليث بأهل التوحيد وقُهرت، واستبشر المحراب والمنبر بخطبته وإمامه، وافتخر الزمان بعصر مولانا أمير المؤمنين وأيامه، وقد تملكنا البلاد الساحلية وتسلمناها حصنًا حصنًا، ونقضنا من الكفر ركنًا ركنًا، وأجلينا الكفار منها فاجتلينا بها من الحسنى حُسنًا.

فتحٌ شرَّف اللَّه به هذه الأُمة، وجلا به الغُمة، وكشف المُلمة، بل شرفنا بفخره، وأعدنا لذُخره، وخصنا بفضيلته في عصره، وأجرى لنا ما كان قد أبطأ من عادة نصره، وقمع بأهل دينه من عساكرنا أهل كُفره، وقامت بواترُنا بِوَتْرِهِ[1]، وعرق البلاد الساحلية من دم الكفر ببحره،

(١) بواتر جمع، ومفردها: باتر وهو السيف القاطع. والوتر: القتل.

وأصرخت الصخرة، وحفت بها النُّصرة، وزالت عنها المضرة، وعادت إليها المبرة، ونُعشت منها العثرة، وفاضت لها من عين المؤمنين العبرة، وزُفت عروسها البكر محصنة لم تُقتض منها العُذرة، وحالت العُرَّة[1] ولاحت الغُرة، وظهرت من صدف قُبتها الدرة، وصُوفحت آثار القدم النبوية بالأيمان، وجُددت بعدها صفقة الإيمان، وبطل الناقوسُ بحق الأذان، وفُتحت أبواب الجنان لأهلها، وأُخرج منها أهل النيران، والحمد للَّه على هذا الإحسان حمدًا مستمرًّا على مر الزمان.

ومن كتاب إلى سيف الإسلام باليمن: الفتح الأكبر والنجح الأزهر، والنصر الأشهر والعصر الأبهر، والفضل الأكثر، والإفضال الأوفر واليوم الأنور واليمن الأنضر والفجر الأسفر والفخر الأظهر... هو الفتح الذي تفوح بمحابه مهاب الفتوح وتبوح بسر روحه وملكه سرائر الملائكة والروح، وتروح وتغدو عوادي النعم وروائحها إلى روض الهدى المروح، وتلوح تباشير بشراه في لوح الدهر لكل مؤمن يتلقاها بالوجه السافر الصدر المشروح، وتنوح ناعية الكفر في كل ناحية، ولكل نادبة للأنس على قتيلها القلب المقروح، فُتح بيت اللَّه المقدس الذي غَلِقَ نيفًا وتسعين سنةً مع الكفر رهنُه، وطال في أسره سجنه، واستحكم وهنُه، وقوي نكره، وضعف ركنه، وزاد حزنه، وزال حُسنه، وأجدبت من الهُدَى أرضه وأخلف مُزنه، وواصله خوفه وفارقه أمنه، واشتغل خاطرُ الإسلام بسببه وساء ظنه، وذكرَ فيه الواحدُ الأحد الذي تعالى عن

(١) حالت: زالت. والعُرَّة: الجرب، والقذر. انظر «اللسان» (حول، عرر).

الولد أن المسيح ابنه، وربُع فيه التثليث فعز صليبه وصُلبه، وأفرد عنه التوحيد فكاد يهي متنه، ودرج الملوك المتقدمون على تمنِّي استنقاذه، فأبى الشيطان غير استيلائه واستحواذه، وكان في الغيب الإلهي أن معاده في الآخرة إلى معاذه، وطنت أوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس، وجُليت الصخرةُ المقدسة جلوة العروس، وزارها شهر رمضان مضيفًا لها، نهارُ صومها بالتسبيح، وليلُ فِطرها بالتراويح.

* ومن كتب أخر: البيتُ المقدَّس صار مقدَّسًا، وأصبح للإسلام مُعَرَّسًا، ورجع أهلُ التَقْوى إليه فقد كان بها مُؤَسَّسًا، وخَرِسَ الجَرَس، وذَهَبَ الدَّنس، وبَطَلَ النَّاقوس، وخرج القُسوس، وزال الأذى بالأذان، وصُوفحت الصَّخْرة المقدَّسة بأيمان أهل الإيمان، وما صلَّت في محراب البيت المقدَّس التُّقاة، حتى صلَّت في محاريب رقاب الكُفْرِ المَشْرَفِيَّات، وما تمَّ الرِّضى بفتح المسجد الأقصى حتى أُقصي منه من أقصاه اللَّه عن رضاه، وما تَبَوَّأ المسلم المُصَلِّي فيه مثواه من الجَنَّة حتى تبوأ الكافر المُصْلَى بالنَّار مثواه.

صُوفح موضِعُ القَدَم المباركة ليلةَ المِعْراج بالأيدي، وقال لأولياء اللَّه أهل الإخلاص: أهلاً بكم فما أحسن الخلاص من ولاية أهل التَّعَدِّي، وعاد المسجد الأقصى للمصلِّين المُقَرَّبين جَنَّةً ومنارًا، بعد أن كان لِلْمُقْصَيْن المُضَلِّين نارًا ودارًا، وتسلَّم مِحْرَبُ الإسلام مِحْرَابه، وأصبحت لَأُلَأَفه لما ألفى أصحابه، وترنَّح المنبر لِتَرَنُّمِ الخطيب، وانجبر الدِّين بانكسار صُلْب عابد الصَّليب السَّليب.

خلا بالُه من أمر القُدْس بإعادته إلى قُدُسه، وإخلائه من رِجْزِ

الشِّرْك ورِجْسه، وإجلاء داويِّه واستباره وبطركه وقَسِّه، وتعويضه من وحشة الضَّلالة من الهدى بأُنسه، وردِّ الإسلام الغريب إلى بيته المقدَّس، ونَفْي الكافر من كاسِفَ البال راغمَ المَعْطس، ونصب المنبر بالمسجد الأقصى لإقامة الخطبة الإمامية، ورَفْعِ ما رُفِعَ قَدْرُه من الأعلام العَبَّاسية، والإفراج عن محرابه بهدم ما بني دونه من مباني الشِّرْك، وكَشْف أستار الكَفَرَة التي حَجَبَتْ بالهَتْك والفَتْك، وإقامة الجُمَع فيه والجماعات، وإدامة أوراد العبادات به ووظائف الطَّاعات، وغسل الصَّخْرة المقدَّسة بدم الكافر ودمع المؤمن، ونزع لباس بأس المسيء عنها بإفاضة ثَوْب ثَوَاب المُحْسِن، وتنزيه تلك الجَنَّة من دَنَسِ أهل النَّار، وإعلاء ما كان دَرَس من معالم الأبرار ومطالع الأنوار.

وقد رجع الإسلام الغريب منه إلى داره، وخرج قَمَرُ الهُدَى به من سِراره، وذَهَبَتْ ظُلَمُ الضَّلالة بأنواره، وعادت الأرضُ المقدَّسة إلى ما كانت موصوفه به من التقديس، وأُمنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح السُّرى ومناخ التَّعْريس، وقد أُقصي عن المسجد الأقصى الأقصون من اللَّه الأبعدون، وتوافى إليه المُصْطَفُون الأقربون والملائكة المقرَّبون، وخَرِسَ النَّاقوس بِزَجَلِ[1] المسبِّحين، وخرج المفسدون بدخول المُصْلحين، وقال المحراب لأهله: مرحبًا وأهلاً، وشَمِلَ جماعة المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة ما جمع للإسلام فيه شَمْلاً، ورُفِعَت الأعلام العَبَّاسيَّة على منبره، فأخذت من برِّه أوفى نصيب، وتَلَتْ بألسنة عَذَبها ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وغُسِلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من دَنَسِ

(١) الزَّجَل: رفْع الصوت.

المُشْركين. وبَعُدَ أهل الأحد من قُرْبها بقُـرْب المُوَحِّدين، فذكر بها ما كاد يُنْسى من عَـهْـد المِعْـراج النَّبـوي، وأقامت بدلائـلها براهين الإِعـجـاز المحمَّدي.

عاد الإِسلام بإسـلام البيت المقدس إلى تقديسـه، ورجع بُنْيانه من التقـوى إلى تأسيسـه، وزال ناموس ناقوسـه، وبَطَلَ بنصِّ النَّصر قـياسُ قَسِّـيسـه، وفُتِحَ باب الرَّحـمة لأهلها ودخلت فـيه الصَّـخْرَةُ لفَـضْلها، وباشرت الحياة بها مواضع سجودها، وصافحت أيدي الأولياء آثارَ القدم النَّبوية بتـجديد عهودها، وشُـهِدَ مقام المِعْراج ومـوطئ بُرَاقه، ورُئِي نُورُ الإِسلام ومَطْلعُ إشراقـه، ودنا المسجد الأقصى للرَّاكع والسَّاجـد، وامتلأ ذلك الفضاء بالأتقياء.

* **ومن كتاب فاضلي إلى بغداد**: تقلَّص ظِلُّ الكافر المبسوط، وصَدَق اللَّه أهل دينه، فلمـا وقع الشَّرْط وقع المشـروط، وجاء أمـر اللَّه وأُنوف أهل الشِّرْك راغمـة، وأدلجت السيوفُ والآجال نائمة، واسـتردَّ المسلمون تُراثًا كان عنهم آبقًـا، وظفروا يقظةً بما لم يصدِّقوا أنهم يظفـرون به طيفًا على النأي طارقًا.

*ومنه في **وصف نَقْب السُّور**: فأُخلي السُّورُ من السَّيَّارة، والحرب من النَّظَّارة، وأمكن النَّقَّاب أن يُسْـفِرَ للحرب النِّقابَ، وأن يعيـد الحَجَرَ إلى سيرته من التُراب، فتقدَّم إلى الصَّخْـر فمضغ سَرْدَه بأنياب معْوَله، وحَلَّ عُقَدَه بضـربه الأخرق الدَّالِّ على لطافَة أَنْمُله، وأسمع الصَّخـرة الشَّريفة حنينه فـاستـغاثتـه إلى أن كادت تَـرِقُّ لمقتله، وتبـرَّأ بعضُ الحجـارة من

بعض، وأَخَذَ الخرابُ عليها مَوْثِقًا فلن يَبْرَحَ الأَرْض.

* **ثم قال**: واستقرَّت على الأعلى أقدامُهم، وخَفَقَتْ على الأقصى أعلامُهم، وتلاقت على الصَّخْرة قُبَلُهم، وشُفيت بها وإن كانت صخرةً كما يُشْفى بالماء غُللهم، وملك الإسلام خُطَّةً كان عهدُه بها دمْنَةَ سُكَّان، فخدمها الكُفْرُ إلى أن صارت روضةَ جنان، لا جَرَم أن اللَّه أخرجهم منها وأهبطهم، وأرضى أهلَ الحقِّ وأَسْخَطَهم. وأوعز الخادمُ بردِّ الأقصى إلى عهده المعهود، وأقام له من الأئمة من يوفيه وِرْدَه المورود. وأُقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السماواتُ للسَّجُومِ[1] يَتَفَطَّرْنَ، والكواكبُ منها للطَّرَب يَنْتَثِرْن، ورُفِعَتْ إلى اللَّه كلمةُ التوحيد وكانت طريقُها مسدودة، وطَهُرَتْ قبورُ الأنبياء وكانت بالنَّجاسات مكدودة، وأُقيمت الخَمْس وكان التَّثْليث يُقْعِدها، وجَهَرَتِ الأَلْسُن باللَّه أكبر وكان سحر الكُفْر يَعْقِدُها، وجُهِرَ باسم أمير المؤمنين في وطنه الأَشْرف من المِنْبر، فَرُحِّبَ به ترحيبَ مَنْ بُرَّ بمن بَرَّ، وخَفَقَ علماه في حِفَافَيْه، فلو طار سروراً لطار بجناحيه. وكان الخادمُ لا يسعى سعيه إلا لهذه العُظْمى، ولا يُقاسي تلك البؤسى إلا رجاءَ هذه النُّعْمى، ولا يُحارب من يستظلمه إلا لتكون الكلمةُ مجموعةً فتكون كلمةُ اللَّه هي العليا، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعَرَض الأدنى من الدُّنيا، وكانت الألسن ربما سَلَقته، فأنضج قلوبها بالاحتقار، وكانت الخواطر ربما غَلَتْ عليه مراجِلُها، فأطفأها بالاحتمال والاصطبار، ومن طلبَ خطيراً خاطَرَ، ومن رام صفقةً رابحةً جاسَرَ، ومن سما لأن يُجلِّي غمرةً غامَرَ.

(١) مِن انسجم الدمع: إذا سال وانصبَّ. انظر اللسان «سجم».

* **ووصف فيه يوم حطّين فقال**: وكان اليومُ مشهودًا، وكانت الملائكةُ له شهـودًا، وكان الصَّلَيب صارخًـا وكان الإسلام مـولودًا، وأُسرَ الملك وبيده أوثقُ وثائقه، وآكدُ وُصَلِه بالدِّين وعلائقه، وهو صليب الصَّلبوت، وقائد أهل الجبروت، ما دُهمـوا قَطُّ بأمرٍ إلا وقام بين دهائهم يحرِّضهم؛ يبسط لـهم باعَهُ، وكان مَـدُّ اليدين في هذه الدّفـعة وَدَاعَـه، لا جَرَمَ أنه يتهافتُ على ناره فَرَاشُهم، ويجتـمع في ظِلِّ ظلامه خِشَاشُهُمْ، ويقاتلون تحت ذلك الصَّليب أَصْلَبَ قتالٍ وأصدَقَه، ويرونَهُ مـيثاقًا يبنون عليه أشدَّ عُقَدٍ وأوثَقَه، ويعدُّونه سورًا تحـفر حوافر الخيل خَنْدَقَه، ولم يُفْلت منهم معروفٌ إلا القومص، وكان ـ لعنه اللَّه ـ مليًّا يوم الظَّفر بالقتال، ومليًّا يوم الخذْلان بالاحـتيال، فنجا ولكـن كيف، وطار خوفًا من أن يَلْحَـقَه مِنْسَـرُ الرُّمْح وجَنَاح الـسَّيْـف، ثم أخذه الـلَّه بعـد أيامٍ بيـده، وأهلكه لِمَوْعِده، وكان لِعدَّتهم فـذلك، وانتقل من ملكِ الموت إلى مالك، وبعد الكسرة مَـرَّ الخادم على البـلاد فطواها بما نشر عـليها من الرَّايـة السوداء صبغًـا البيضاء صُنعًا، الخـافقة هي وقلوب أعدائها، العـالية هي وعزائم أوليائها.

* الشعر وفتح القدس:

على مثل هذه الغايات النبيلة تُوقف القصائد، وفي دوحة الفتح الأعظم يحلو المديح.. مديح الرجل.. مديح البطل.. صلاح الدين:

مديحك أحلى في فمي من جنا المُنى ... ومن طعم بردْ الماء عذبًا على الصَّدى
أسامر فيك الشعر مستمتعًا به ... فأبْسطُه بَسْط الخميلة في الندى
أوَدُّ لو أن البيت ألف قصيدةٍ ... وكلَّ قصيد ألفُ حِزبٍ ترَدَّدا
وكيف اقتصادٌ في مدائحِ يوسف ... وقد بذّ غايات السوابق في المدى[1]

❑ وقال الجلياني:

أبا المُظَفَّر أنت المُجْتَبى لهدى ... أُخرى الزَّمان على خُبْرٍ بخُبْرَته
فلو رآك وقد حُزْتَ العُلا عمرٌ ... في قُلَّة التَّلِّ قَضَّى كُنْه عِبْرَته[2]
ولو رآك وأهلُ القُدْس في وَلَهٍ ... أبو عبيدةَ فدَّى[3] من مَسَرَّته
غداةَ جزُّوا النَّواصي في قُمامته ... وأعولوا بالتَّباكي حَوْلَ صَخْرَته
دارتْ بك المِلَّة الحُسْنى فنحن على ... عَهْد الصَّحابة في استمرار مرَّته
وأنت كاسْمك صدِّيقٌ وصاحبُهُ الـ ... ـمَلْكُ المُظَفَّرُ سامٍ في مَبَرَّته
وفي السُّلالة عثمانٌ يؤيِّدُه ... عُلا عليٍّ على إيثار نُصْرَته
وكم لديك ذوي قُرْبى رقَوا شَرَفًا ... وكم بعيدٍ رأى الزُّلْفى بهِجْرَته

---

(١) ديوان «المبشرات القدسيات» للجلياني ـ جمع د. عبد الجليل حسن عبد المهدي ـ دار البشير ص(١٤٤).

(٢) العبرة: العجب. «معجم متن اللغة» (٤/ ١١).

(٣) يعني يقال له: جعلت فداك. «القاموس المحيط» (فدي).

يُشَبَّه القُبْجُ[١] ما بين البُزَاة لَقًى ... مَلْكَ الفرَنْجِ أخيذًا[٢] بين عِتْرَتِه

أَما رأيتَ معالي يوسف نُسِقَتْ ... حتى رَمَتْ كلَّ ذي مُلْك بحَسْرَتِه

أضحى لنَشْرِ الهُدَى في فَتْحِ مَنْهَجِه ... وباتَ يطوي العِدَى في سَدِّ ثُغْرَتِه

واسْتَقْبَحَ الرِّجْس ممنوًّا بمَشْهَدِه ... فاستفتَح القُدْس محشوًّا بزُمْرَتِه

لكنَّ بأس صلاح الدِّين أَذْهَلَهُمْ ... بوقعة التَّلِّ واستَشْرى بسَوْرَتِه

تعيا الجوارِحُ والفُرْسانُ وهو على ... بَدْءِ النَّشاط عَشِيًّا مِثْلَ بُكْرَتِه

يا فاتحَ المَسْجِدِ الأقصى على بُهَمٍ[٣] ... وقانِصَ الجيشِ لا يُحْصى بِقَفْزَتِه

أَبْشِرْ بملْكٍ كَظَهْرِ الشَّمْس مُطَّلِع ... على البسيطةِ فتَّاحٍ بنشرته

حتى يكونَ لهذا الدِّينِ ملحمةٌ ... تحكي النُّبوةَ في أيام فَتْرَتِه

قصيدة فخْر الكتاب أبي علي الحسن بن علي الجويني في فتح المقدس:

قال ـ رحمه اللَّه ـ:

جُنْدُ السَّماءِ لهذا المَلْكِ أَعْوَانُ ... مَنْ شَكَّ فيهم فهذا الفَتْحُ بُرهانُ

متى رأى النَّاس ما نحكيه في زَمَنٍ ... وقد مَضَتْ قَبْلُ أزمان وأَزْمانُ

هذي الفُتوحُ فتوحُ الأنبياءِ وما ... لها سوى الشُكْرِ بالأفعال أثمانُ

أَضْحَتْ ملوكُ الفرنج الصِّيْد في يده ... صَيدًا وما ضَعُفوا يومًا وما هانُوا

كم مَنْ فُحولِ ملوكٍ غُودروا وهُمُ ... خَوفَ الفرنجةِ ولدانٌ ونِسوانُ

---

(١) القُبَجُ: ويسكن: الحَجَل. «معجم متن اللغة» (٤/ ٤٨٠).

(٢) أي: أسيرًا.

(٣) البهم جمع، مفردها بهمة: بالضم: الشجاع، وقيل: الفارس الذي لا يُدْرى من أين يؤتى له من شدة بأسه، وتأتي أيضًا بمعنى: الجيش. «اللسان» (بهم).

استصرخَتْ بملكْشاه طَرابُلسٌ ... فخام عنها وصُمَّتْ منه آذانُ
هذا وكم ملكٍ من بعده نَظَرَ الـ ... ـلإسلامَ يُطْوَى ويُحوى وهو سَكْرَانُ
تسعون عامًا بلادُ اللَّه تَصْرَخُ والـ ... ـلإسلامُ نُصَّارُه صُمٌّ وعُمْيانُ
فالآنَ لبَّى صلاحُ الدِّين دَعْوَتَهُمْ ... بأمرِ مَنْ هو للمعْوانِ مِعْوَانُ
للنَّاصر ادُّخِرَتْ هذي الفُتوحُ وما ... سَمَتْ لها هِمَمُ الأملاكِ مُذ كانوا
حَبَاه ذو العَرْشِ بالنَّصْر العزيز فقا ... ل النَّاس داودُ هذا أم سُليمانُ
في نصف شَهرٍ غدا للشِّرك مُصطلمًا ... فَطهرتْ منه أقطارٌ وبُلدانُ
فأين مَسلمةٌ عنها وإخوتهُ ... بل أين والدهم بل أين مَروانُ
وَعدٌ عما سواه فالفرنجةُ لم ... يَبذُّهمْ من ملوكِ الأرضِ إنسانُ
لو أنَّ ذا الفَتحَ في عصرِ النبي لقد ... تَنزلتْ فيه آياتٌ وقُرآنُ
يا قُبحَ أَوجه عُبادِ الصليبِ وقد ... غدا يُبرقعها شُؤم وخِذلان
خَزَنتَ عند إله العَرشِ سائر ما ... مَلكتهُ وملوكُ الأرضِ خُزانُ
فاللَّه يُبقيك للإسلامِ تَحرسُهُ ... من أن يُضامَ ويُلفى وهو حيرانُ
وهذه سَنةٌ أَكرم بها سنةً ... فالكفر في سِنَةٍ والنَّصرُ يَقظانُ
يا جامعًا كلمةَ الإيمانِ قامعَ مَنْ ... معبودُه دونَ ربِّ العَرشِ صُلبانُ
إذا طَوَى اللَّه ديوانَ العبادِ فما ... يُطوَى لأجرِ صلاحِ الدين ديوانُ

❑ **ولنقيب الأشراف بالديار المصرية النسّابة الجَوّاني:**

أترى مَنَامًا ما بعيني أبصرُ ... القُدسُ يُفتحُ والفرنجةُ تُكسَرُ
وقُمامةٌ قُمت من الرِّجس الذي ... بزَواله وزوالها يتطهرُ
وَمَليكُهُم في القَيْدِ مصفودٌ ولم ... يُرَ قَبلَ ذاك لهمْ مليكٌ يُؤسرُ

قد جاء نَصرُ اللَّه والفَتحُ الذي ... وُعدَ الرَّسُولُ فسبِّحوا واستغفرُوا
فُتِحَ الشَّام وطُهرَ القُدسُ الذي ... هو في القيامة للأنام المَحشرُ
من كان هذا فتحه لمحمدٍ ... ماذا يُقالُ له وماذا يُذكرُ
يا يوسف الصديق أنت لِفتحها ... فاروقُها عُمرُ الإمامُ الأطهرُ
ولأنتَ عثمان الشريعة بعدَه ... ولأنتَ في نصرِ النُّبوَّة حَيدرُ
ملكٌ غدا الإسلامُ من عَجَبٍ به ... يختالُ والدنيا به تَتَبختَرُ
نَثرٌ ونظمٌ طعنُهُ وضِرابُهُ ... فالرُّمحُ يَنظمُ والمهنَّد يَنثُرُ
حيث الرِّقابُ خواضِعٌ حيث العيو ... نُ خواشعٌ حيث الجباه تُعَفَّرُ
غاراتُهُ جُمَعٌ فإن خَطبت له ... فيها السيوفُ فكلُّ هامٍ منبرُ
إذ لا ترى إلا طُلَى[1] بسنابكٍ ... تُحذَى نعالاً أو دماءً تُهدرُ
وصوافنًا تختار أن تطأ الثَّرى ... فَيصدُّها عنه طُلًى وسَنَوَّرُ[2]
تمشي على جُثَثِ العِدَى عُرجًا ولا ... عَرجٌ بها لكنها تَتَعثرُ

وقال أبو الحسين بن جُبير الأَنْدَلُسي:

أَطلتْ على أُفقِكَ الزَّاهرِ ... سُعُودٌ من الفَلَكِ الدَّائرِ
فَأبشِر فإن رِقابَ العِدَى ... تُمدُّ إلى سَيفكَ الباترِ
وعما قريبٍ يَحلُّ الردى ... بكُندِهمُ النَّاكثِ الغادرِ
وخِصبُ الورى يوم تسقي الثُّرى ... سحائبُ من دَمِها الهامرِ
وكم لك من فَتكةٍ فيهمُ ... حَكَت فتكةَ الأسدِ الخادرِ

---

(١) الطُّلى جمع، مفردها الطُّلاة: وهي العنق. انظر «لسان العرب» (طلي).
(٢) السنور: جملة السلاح وخصّ بعضهم به الدروع. انظر «لسان العرب» (سنر).

كَسرتَ صَليبَهُمُ عَنوَةً ... فللَّه دَرُّكَ من كاسرِ
وغَيرت آثارَهُم كُلَّها ... فليس لها الدَّهْرَ من جابرِ
وأمضيتَ جدك في غَزوهم ... فَتَعسًا لِجَدِّهِمُ العاثرِ
وأدْبَرَ مُلكُهمُ بالشام ... وولَّى كأمْسِهِمُ الدَّابرِ
جنودُك بالرُّعبِ منصورةٌ ... فَناجِزْ متى شِئتَ أو صابرِ
فكلُّهمُ غَرِقٌ هالك ... بتيَّار عَسكَرِكَ الذَّاخرِ
ثَأرتَ لدين الهُدَى في العِدَى ... فآثرك اللَّه مِنْ ثائرِ
وَقُمتَ بِنصرِ إله الوَرَى ... فَسَمَّاك بالملك النَّاصرِ
وجاهَدْتَ مجتهدًا صابرًا ... فللَّه أَجرُكَ من صابرِ
تبيت الملوكُ على فُرشهم ... وتَرفُلُ في الزَّرَدِ السَّابري
وتُؤثرُ جاهِدَ عَيشِ الجِهادِ ... على طِيبِ عَيشِهِمُ النَّاضرِ
وتَسهرُ ليلك في حقِّ مَنْ ... سَيرضِيكَ في جَفنِك السَّاهر
فَتحتَ المقدس من أرضه ... فعادَتْ إلى وَصْفِها الطاهرِ
وجِئتَ إلى قُدسه المُرتَضى ... فخلَّصْتَهُ من يَدِ الكافرِ
وأعلَيتَ فيه مَنَارَ الهُدَى ... وأَحيَيتَ من رَسمِهِ الدَّاثرِ
لكم ذَخَرَ اللَّه هذي الفتوح ... من الزَّمنِ الأول الغابرِ
وخَصَّك من بعد فاروقه ... بها لاصطناعك في الآخرِ
محبَّتُكُم أُلقِيتْ في النُّفوس ... بذكرٍ لكم في الوَرَى طائرِ
فكم لهمُ عند ذكر الملوك ... لمثلك من مَثلٍ سائر

❑ وقال أبو الحسن عليُّ بن محمد السَّاعاتي:

أعِيَّا وقد عاينتمُ الآيةَ العُظمى ... لأيةِ حالٍ تذخروا النَّثرَ والنَّظما
وقد ساغَ فَتْحُ القُدسِ في كلِّ منطقٍ ... وشاعَ إلى أن أَسمعَ الأسلَ الصُّمَّا
حَبا مكَّةَ الحُسنى وَثَنى بيثربٍ ... وأَطربَ ذياك الضريحَ وما ضمَّا
فَليتَ فَتى الخَطاب شاهدَ فَتحَها ... فَيشهدَ أن السيفَ من يوسفٍ أَصمَى
وما كان إلا الداءُ أعيا دواؤه ... وغَبْرُ الحُسامِ العَضبِ لا يُحسنُ الحَسما
وأصبح ثَغْرُ الدِّين جَذلانَ باسمًا ... وألسنةُ الأغماد تُوسعُه لَثما
سَلُو الساحل المخشي عن سَطواته ... فما كان إلا ساحلاً صادَفَ اليمَّا

❑ وله من قصيدةٍ أُخرى في السُّلْطان:

عَصفتْ به ريحُ الخُطوب زعازعًا ... فلقينَ طَوداً لا تخفُّ أناتُهُ
هو منقذُ البيتِ المقدَّس بعدما ... طالَتْ فما وَجدَ الشفاءَ شُكاتهُ
بيتٌ تأسَّس بالسُّكون وإنما ... عند الزِّحافِ تَحركْت سكناتُهُ
أمشتِّتَ الأعداء وهي جحافلٌ ... عن شَملِ دينٍ جُمعَت أشتاتُهُ
أُوتيتَ عَزمًا في الحروبِ مسدَّدًا ... لا زَيغُه يُخشى ولا هَفَواتُهُ
أحسنتَ بالبيتِ العتيقِ ويَثربٍ ... ولك الفعَالُ كثيرةٌ حَسناتُهُ
هذي سيوفُك مُحرِماتٌ دونَهُ ... لبكائِهنَّ تبسَّمَت حُجُراتُهُ

❑ وله من قصيدةٍ أُخرى:

هو الفاتحُ البيت المقدس بعدما ... تحامته سادات الدُّنا ومَسودُها
فضيلةُ فَتحٍ كان ثاني خليفةٍ ... من القوم مُبديها وأنت مُعيدُها

❁ ❁ ❁

❑ وللعماد قصيدةٌ يهنئُ بها صلاحَ الدّينِ بفتحِ القدسِ وهو مخيّم عليه يقولُ فيها:

رأيت صلاحَ الدين أَشرفَ من غدا ... وأَفضلَ من أضحى وأكرمَ من أَمسى
وقيل لنا في الأرضِ سبعةُ أَبحرٍ ... ولسنا نَرى إلا أناملَهُ الخَمسا
سَجيتُه الحُسنى وَشيمَتُه الرِّضا ... وَبَطشتُه الكُبرَى وعزتُهُ القسعا
فلا عَدمَت أيامُنا منه مَشرقًا ... يُنيرُ بما يولي ليالينَا الدُّمسا
جنودكَ أملاكُ السَّماءِ وَظنَّهُم ... عُدَاتُك جنَّ الأرضِ في الفَتكِ لا الإنسا
فلا يستحقُّ القُدْسَ غَيرُك في الوَرَى ... فأنتَ الذي مِنْ دونهم فَتَحَ القُدسا
ومن قَبلِ فَتحِ القُدسِ كنتَ مقدَّسًا ... فلا عَدمَت أخلاقُك الطُّهرَ والقُدْسا
وَطَهرتَهُ من رِجسِهم بدمائهم ... فأذهبتَ بالرجسِ الذي ذَهبَ الرِّجْسا
نَزَعتَ لباسَ الكفرِ عن قُدسِ أرضِها ... وأَلبستَها الدين الذي كَشف اللَّبسا
وعادَتْ ببيتِ اللَّه أحكامُ دينه ... فلا بطركًا أبقيتَ فيها ولا قسا
وقد شاعَ في الآفاقِ عنك بِشَارةٌ ... بأن أذانَ القُدسِ قد بَطل النَّقسا
جَرَى بالذي تهوى القضاءُ وظَاهَرت ... ملائكةُ الرحمن أجنادَك الحُمْسا[1]
وكم لبني أيوبَ عَبدٌ كَعَنتَرٍ ... فإن ذُكروا بالبأس لا يذكروا عَبْسا
وقد طاب رَيَّانا على طَبريَّةٍ ... فيا طِيبَها مغنًى ويا حُسنها مَرسى
وعكَّا وما عكَّا فقد كانَ فَتحُها ... لإجلائهم عن مُدنِ ساحلهم كَنسا
وصيدا وبيروت وتبنين كلُّها ... بسيفك ألفى أنفُه الرَّغمَ والتَّعسا

---

(١) الحُمْس: جمع أحمس، وهو الشجاع، والمتشدد على نفسه في الدين.

ويافا وأرسوف ويُبنَى وغَزَّةٌ ... تَخذتَ بها بين الطُّلى والظُّبَى عُرسا
وفي عَسقَلانَ الكُفرُ ذَل بملككمْ ... فَمَنظرُهُ بل أمرُهُ اربدَّ وارجسَّا
وصارَ بصورٍ عُصبَةٌ يَرقُبونَكُمْ ... فلا تُبطئوا عنها وحُسُّوهمُ حَسَّا
توكَّل على اللَّه الذي لك أَصبحَتْ ... كلاءتُهُ درعًا وعِصمَتُهُ تُرسا
ودَمِّر على الباقين واجتث أصلهُم ... فإنَّك قد صَيرتَ دينارهم فَلسا
ولا يَنسَ شركَ الشَّرقِ غَربُك[1] مُرويًا ... بماءِ الطُّلى من صادياتِ الظُّبَى الخَمسا
وإن بلادَ الشرق مظلمةٌ فَخُذ ... خُرَسان والنَّهرين والتُّرك والفُرسا
وبعد الفرنج الكُرجَ فاقصدْ بلادَهُم ... بعزمك واملأ من دمائهمُ الرَّسَّا[2]
أقامتْ بغاب السَّاحلين أُسودُكم ... وقد طَرَدت عنه ذئابَهُمُ الطُّلسا

❑ ولنَجْمِ الدِّين يوسفَ بنِ الحسينِ بنِ المُجاورِ قصيدةٌ:

الوَقتُ أَضيقُ من سماعِ قصيدةٍ ... مَوسُومةٍ بصفاتِ أَغيدَ أهيفِ
الجِدُّ في هذا الزمان مُبينٌ ... والهَزلُ فيه مع الغَواية مُختفِ
بالناصرِ المَهدي والهادي إلى ... سُبُلِ الجهادِ أبي المُظفرِ يُوسُفِ
المستعينِ بربِّه والواثقِ الـ ... ـمنصورِ والمستظهرِ البرِّ الوَفي
شُدت قُوى أركان ملةِ أحمدٍ ... وَتَجَمَّلت بجهاده في المَوقفِ
ملكٌ إذا أَمَّ الملوكُ جَنابَهُ ... لاذوا بأكرمِ من يُؤمُّ وأشرَفِ
وإذا أَتَوا أَسرى إلى أبوابه ... وقَفُوا بأعظمِ من يَصُولُ وأَرأفِ
مولى غدا للدِّين أكرمَ والدٍ ... حَدِبٍ على أبنائه مُتَعَرِّفِ

---

(١) الغرب: حدة السيف.
(٢) الرس: البئر.

عَـزَلَ الـفـرنجـة ثـم وَلَّى جَـيـشَـهُ ... أَعظِم به من صَارِفٍ ومُـصـرِّف

قـد أَنصَفَ التَّوحيدَ من تثليثهم ... وأقامَ في الإنجيل حَد المُصحَف

مُـغـرًى بـتـجـريح الرِّجـال لأنَّه ... يَروِي أحـاديثَ العَـوَالي الرُّعَّف

مَلِكٌ له في الحَرب بَحرُ تَفَـقُّـهٍ ... وله غَـدَاةَ السلم زُهدُ تَصَـوف

وعليه أُنزلَ في الجهاد مُـفَـصَّلٌ ... فلذاك يقـرؤه بسـبـعـة أَحـرُف

عَـزمٌ وحِلمٌ أنسـيـا مـا كـان من ... عَـزمِ ابن مِـرداسٍ وحِلمِ الأَحنَف

يا صاحِ قُل للإنكتير الكلب دَع ... عَنك الجنونَ وَخُذْ مقالةَ مُنصِف

القُدسُ مـا فـيـه لسرجك مطمعٌ ... كـــلا ولا نـورُ الإله بمنطفي

والمسجد الأقصى فعنه تقصَّ مِنْ ... وَقع الدَّبابيس الأليـمـة تَعـرِف

واستَفتِ نفسك فهي أخبثُ ناصحٍ ... واترُك مـتـابعـةَ اللجَـاجِ المُتلِف

واعـجب لرُمحٍ بالرؤوس مُـعـمـم ... واطرَب لسـيفٍ بالدِّمـاء مُـغَلف

يا أيهـا الملكُ الذي لطبـاعـه ... وسـيـوفـه خُلُقا رِضى وتَعَـسُّف

للَّه يوم عَـــرُوبة إذ أَعـــرَبتْ ... سـاعـاتُهُ عن نَصـرك المتـعـرِّف

سَنَّتْ سيوفُكَ في الرؤوس ختانةً ... ذَهَبَت بمهـجـة كلِّ علجٍ أَقلَف

آفـاتهم وافَت بأخـذك منهُمُ ... يافـا فكم من حَـسـرَةٍ وتأسُّف

أَوَما رأى الأعـلاجُ حين دَعَـوتَـهـا ... بلسانِ سَيفٍ في الكريهة مُلحِف

لم تَستَطع عصيانَ أَمرك بل أَتَت ... مُنقـادةً طَوعًـا ولـم تَتَـخَلف

فاستَدعِ جارَتَها وثَنِّ بأُختـهـا ... وكـذاك حـتى الأربعين وَنيف

مـا للسـواحل غـيـرُ بَحرك حـافظٌ ... بشبـا سنانٍ أو بصـفـحَـة مُرهَف

هذا الطرازُ الأخـضـرُ استَـفـتَـحتَـهُ ... فَزَهـا بثـوبٍ من عُـلاك مُسـجف

أَحييتَ دينَ محمدٍ وأقَمتَهُ ... وسَتَرتَهُ مِنْ بَعدِ طُولِ تَكَشُّفِ
وَضَبطتَ ديوانَ الجهادِ بعاملٍ ... من عاملٍ وَبِمُشرِفٍ من مَشرِفي[1]
وبِجَهْبذِ العَزْمِ الذي لا يَنْثَني ... وبناظرِ الرأي الذي لم يَطرِفِ
فَخُذِ الخَراجَ من البسيطةِ كلها ... واستَأدِ فَرضي جزيَةٍ وموظفِ
واقْبِض على الدنيا بكفٍّ زهادةٍ ... وابسُط لرحمتها جَنَاحَ تَعطفِ
جاءت جنودُ اللَّه تَطلُبُ ثأرَها ... وَصُدُورُها بك عن قليلٍ تَشتَفِي
فانهض بها وتَقَاضَ حَقَّك موقنًا ... أن الإله بما تؤَمِّلُه حَفِي
هم فَتيَةُ الأتراك كلُّ مُجَفجِفٍ ... يَغشَى الكريهةَ فوقَ كل مُجفجَفِ
قومٌ يخوضُون الحِمامَ شجاعةً ... لا يَنظُرون إليه من طَرفٍ خَفِي
إن صبَّحوا الأعداءَ في أَوطانِهم ... تركوا ديارَهُمُ كَقاعٍ صَفصَفِ
أنتَ اصطَفَيتَهُم لِنُصرَةِ ديننا ... للَّه درُّ المُصطفى والمُصطَفِي

❑ وقال الرشيد بن بدر النابلسي[2] **في فتح القدس يمدح صلاح الدين ويهنئه بما أوتي من الفتوح:**

هذا الذي كانت الآمالُ تَنتظرُ ... فَلْيُوفِ للَّه أقوامٌ بما نَذروا
هذا الفتوحُ الذي جاء الزمانُ به ... إليك من هفوات الدهر يعتذرُ
تجلُّ عليه عن مدحٍ يُحيط به ... وصفٌ وإن نظم المدّاح أو نثروا
يا نغمةً كَبرت عند الأنام له ... قدراً ففي كل شكر عندها صِغرُ

---

(١) العامل: الرمح. المشرفي: السيف ينسب إلى المشارف، من قرى اليمن. انظر «لسان العرب» (عمل ـ مشرف).

(٢) «عقد الجمان» للعيني ٢٥/ حوادث ٥٨٣هـ.

لا تروين لفتوح بعدها قصصًا ... وإن تعاظم منها الخُبرُ والخَبَرُ

ومنها:

توضحَ الدهرُ عن يوم أغرَّ به ... تزهى وتفتخر الآصال والبُكرُ
يومٌ تعالى محلاً واستنار سنًا ... فدون مرتبتيه الأنجمُ الزُّهرُ
يومٌ به التأمَ الكفار في عدد ... جمٍ ولكن لكسر ليس ينجبرُ
فالروع متصلٌ والصبر منفصل ... والنقع مرتفع والنصر منحدر
جاءوا كما أقبلَ الطودُ الأشمُّ له ... من حيثُ ما سرت فيه مسلك وعر
وجئتهم مثل ما انقضّ القضاء فلا ... واللَّه لم يُغنِهِمْ بأسٌ ولا وَزَر

بنفسِ حانٍ على الإسلام محتمل الـ
آلام لم يُثْنِه خوفٌ ولا حَذَرُ

حُسنى إلى الخلق أهداها مليكهُمُ ... نُعمى من اللَّه مرحومًا بها البشرُ
وعصبةٍ من بني أيوب كاشفة الـ ... ـكروب ساعة وجه النصر مستتر
مَدّوا كما مدّ فيضُ البحر ملتطم الـ ... أمواج حتى إذا قابلتهم جزروا
لقد فتحتَ عصيًّا من ثُغورهمُ ... لولاك ما هُدَّ من أركانها حَجَرُ
تركت أرضهم من طول ما عمرَت ... منهم بلاقعَ لا أُنثى ولا ذكرُ
نقضت ما أبرموا أبرمتَ ما نقضوا ... عمرت ما هدموا هدمتَ ما عمرُوا
بمثل ذا الفتح لا واللَّه ما حكيت ... في سالف الدهر أخبار ولا سير
حين به حان هلك المشركين فيا ... للَّه طيبَ العشايا منه والبكر
الآن قَرت جُنوبٌ في مضاجعها ... ونام من لم يزل حلفًا له السهرُ
الآن طاب إلى البيت المقدس كالـ ... بيت المحرّم إحرام ومعتمرُ

يا بهجة القدس إذ أضحى به علم الـ
إيمان من بعد طي وهو منتشر

يا نور مسجده الأقصى وقد رُفعت ... بعد الصليب به الآيات والسُّورُ
شتّان ما بين ناقوس يُدان به ... وبين ذي منطق يصغي له الحجرُ
اللّه أكبر صوتٌ تَقشعر له ... شمُّ الذرى وتكاد الأرضُ تَنفطِرُ
يا مالك الأرض مهدها فما أحدٌ ... سواك من قائم للهَدي يُنتظرُ
ما اخضرَّ هذا الطرازُ الساحلي ثمرا ... إلا لتعلو به أعلامُك الصفرُ

أضحى بنو الأصفر الأنكاس موعظةً
فيها لأعدائك الآيات والنذرُ

صاروا حديثًا وكانوا قبلُ حادثةً ... على الورى يتقيها البدو والحَضَرُ
سلبتهم دولة الدنيا وعيشتها ... حتى لقد ضجرت من وفدهم سَقَرُ
هذا الذي سلب الإفرنج دولتهم ... وملكهم يا ملوك الأرض فاعتبروا
مراكز ما اختطاها الخوف مذ مائة ... عامًا ولا ريع أهلوها ولا ذعروا
ولا أُصرِّحْ بأسماء البلاد فقد ... أسهبتُ والقائلُ المنطيق يختصرُ
هذا الإمام صلاح الدين أشرف مَنْ ... به الممالكُ والأملاكُ تفتخرُ
دانتْ ودانتْ له الدنيا فما أحد ... في الأرض إلا إلى نُعماك يفتقرُ
يا خاطبًا جنة الفردوس مُمهرَها ... أجرِ الجيادَ لنعمَ الصِّهْرُ والمَهَرُ
يغنيك إجمال قولي عن مُفصَّله ... في لفظه البحر معنى تحته الدرر

❁ ❁ ❁

❑ وقال الدكتور عدنان النحوي في «ملحمة فلسطين»:

هذه القُدْسُ زينتها الليالي ... والفُتوحَات والهَوَى المنشُودُ
يا صَلاحَ الدين العُهودُ رُؤاهَا ... حَالياتٌ وبشرياتٌ وَعيدُ
جَرد السيف شُعلةً في الدياجي ... رب سيفٍ يُضيء منه الوجُودُ
أَهدهَا حليةَ الفُتوح فَيزهو ... لُؤلُؤ عندَهَا وتَزهُو بُرُودٌ
واجعلِ النصرَ طَاعةَ اللّه بالحـ ... ـقِّ وَظلاً يأوي إليه الشَريدُ
عَلم الناسَ كيفَ تَهوي رؤوسُ الـ ... ـكُفرِ عَدلاً وكيفَ يَعفُو الشديدُ

❁ صلاح الدين وكتائب الإيمان يدخلون القدس ❁

يا «لِبالبانَ» عندَ بَابكَ يَستجـ ... ـدي أَمَانًا وأنتَ عَنهُ تَحيدُ[1]
وَجُيوشُ الفرنج يَسحقُهَا الذُّ ... لُّ وَيَطوِي لِوَاءَهَا التَّشريدُ
نَسيَ المجرمُون أَيَّ دِماءٍ ... قَد أَصابوا وأي قومٍ أُبيدوا
فَأتوا في جُفونهم دَمعةُ الذُّ ... لّ، وفي دَمعهم رَجاءٌ وَحيدُ
جُد علينا، على الطفولة، بالعَفْـ ... ـو، حنَانيكَ أَنتَ، أنتَ الرشيدُ
حكمةٌ أَشرقت بِقلب صَلاحِ الـ ... ـدين، رَأيٌ مِنَ الرَّشَادِ سَديدُ
المُروءاتُ في يَديك: فَعفوٌ ... مِنْ قَويٍّ وفديةٌ وحُدُودُ
فَارمِ بالسيفِ رَأسَ كل شقيٍّ ... غَادرٍ ظل في الديارِ يَكيدُ
وَهبِ العفو للضعافِ، ففي السَّا ... حَاتِ ناجٍ مُروعٌ وَفَقيدُ
واقَبلِ الفديةَ التي دَفعوها ... واحذَرِ الغَدْرَ منهمُ أن يَعُودُوا

(١) رئيس الصليبين في القدس الذي ذل لصلاح الدين ذلاً عظيمًا طلبًا للأمان وفي البداية لم يجبه صلاح الدين ثم أجابه ورقّ صلاح الدين لأسرى المسلمين بالقدس.

كُل يَومٍ يُحطمـوا أَلفَ قَـيـدٍ ... مَنْ جـمـيلٍ صَنَعـتـهُ أو يَزيدُ
واجعل الهُدنةَ الرحيمةَ عَزمًا ... منْ قـويٍّ يَأوي إليـهِ الطَّريدُ
يا ليـومٍ أَغـرَّ في الدهر باقٍ ... لم يَزل منه عـزَّةٌ وصُـعـودُ
وروابي الأقـصَى نداءٌ وذكـرٌ ... والوَرَى فـيـه رُكعٌ وسُـجـودُ
الفُـتُـوحـاتُ أَقبلت تَتوالى ... كي تَرى مـجـدَها لديكَ يَعـودُ
شَـرفُ الهُـدنةِ الأبيَّـة نَصـرٌ ... عَـبـقـريٌّ عَلى الزَّمَـان جَـديدُ
وفلسطينُ كلهـا زَهوةُ النَّصْـ ... ـرِ ودَارُ الإسـلام عُـرسٌ وَعـيـدُ
والأعَـادي شَـراذمٌ وأَسـارى ... وَجَـبـانٌ مُـمـزَّقٌ وشـرَيدُ
يَهبُ الصلحَ سيدٌ حينَ يَعفُـو ... وَهُوَ في زَهوة الإباءِ يَجُـودُ
وَذَليل تراهُ يَلهثُ خَلفَ الصُّـ ... ـلْح أَعـيَـتـهُ حـيلةٌ وَجُـهـودُ

▫ **وقال أبو الحسن علي بن محمد الساعاتي يمدح الملك الناصر صلاح الدين:**

جَلَت عـزمـاتك الفـتح المبـينا ... فـقـد قـرَّتْ عـيـون المسلمـينا
رَدَدتَ أخـيـذةَ الإسـلام لَمَّا ... غـدا صَرفُ القضاء بها ضـمـينا
وهانَ بكَ الصليبُ وكـان قـدمًـا ... يعـزُّ على العـوالي أن يهـونا
يـقـاتلُ كلُّ ذي مُـلكٍ رياءً ... وأنت تُقـاتـلُ الأعـداء دينا
غَـدَت في وجنة الأيام خـالاً ... وفي جـيـد العلى عـقـدًا ثمـينًا
فـيـا للّه كم سَـرَّتْ قلوبًا ... ويا للّه كم أبكت عـيـونا
ومـا طَـبـريـةٌ إلا هَـديٌّ ... تَرفَّعُ عن أكُفِّ اللامـسـينا
حَصانُ الذيل لم تُقذَف بسوءٍ ... وَسَل عنهـا الليـالي والسنينا

فَضضتَ ختامها قسراً ومن ذا ... يَصدُّ الليث أن يَلجَ العَرينا
لقد أنكَحتَها صمَّ العوالي ... فكان نتاجُها الحربَ الزَّبُونا
هَناك نَدًى أهلَّ الأرضَ طُرًّا ... سواك ومعقل أعيا القرونا
قَستْ حتى رأت كفؤًا فلانت ... وغايةُ كلّ قاس أن يلينا
قَضيتَ فريضةَ الإسلام منها ... وصَدَّقتَ الأماني والظُّنونا
تَهُزُّ معاطفَ القدس ابتهاجًا ... وتُرضي عنك مكَّة والحجونا
فلو أن الجهادَ يُطيق نُطقًا ... لنادَتْكَ: ادخلوها آمنينا
جَعلتَ صباح آهلها ظلامًا ... وأبْدَلتَ الزئيرَ بها أنينا
تخالُ حَماةُ حوزتها نساءً ... يخوضون الحديد مقنعينا
لبيضِك في جَماجمهم غناءٌ ... لذيذٌ علَّم الطيرَ الحنينا
تميلُ إلى المثقفة العَوالي ... فهل أمست رماحًا أم غصونًا
يكادُ النقعُ يُذهلُها فلولا ... بُروق القاضيات لما هُدينا
فكم حازت قُدود قَناك منها ... قدوداً كالقَنا لونًا ولينا
وغيد كالجآذر آنسات ... كغيد نَداك أبكاراً وَعُونا
ولَمّا باكَرَتها منك نُعمَى ... بَنانٍ تفضح الغيثَ الهَتونا
أعَدتَ بها الليالي وهي بيضٌ ... وقد كانت بها الأيام جُونا
فليس بعادمٍ مرعًى خصيبًا ... أخو سَغَبٍ ولا ماءً مَعينا
فلا عَدِمَ الشآم وساكنوه ... ظُبًى تشفي بها الداءَ الدَّفينا
سُهادُ جُفونها في كل فَيح ... سُهادٌ يمنح الغمض الجفونا
فَألمم بالسواحل فهي صَورٌ ... إليكَ وألحِق الهامَ المتونا

فقلبُ القدس مسرورٌ ولولا ... سُطاك لكان مكتئبًا حزينا
أدَرتَ على الفرنج وقد تلاقت ... جموعُهُم عليك رَحًى طحونا
ففي بَيسانَ ذاقوا منك بُؤسًا ... وفي صَفَدٍ أتوك مصفَّدينا
لقد جاءتهمُ الأحداثُ جمعًا ... كأنّ صروفها كانت كَمينا
وخانهمُ الزمان ولا مَلامٌ ... فلستَ بمُبغِضٍ زمنًا خَؤونا
لقد جرَّدتَ عزمًا ناصريًّا ... يُحدثُ عن سناه طورُ سينا
وأذعنَ كوكبٌ لمّا تهادتْ ... نجوم ملوكها لك مُذعنينا
فكنتَ كيوسف الصدّيق حقًّا ... له هوت الكواكبُ ساجدينا
لقد فَضُلت قوافيك القوافي ... كما فضل العبيرُ الياسمينا
فَأحسن واثقًا باللَّه صنعًا ... فليس يضيعُ أجر المؤمنينا
لقد أتعبت من طلب المعالي ... وحاول أن يؤوس المسلمينا
وإنْ تك آخرًا وخلاك ذمٌّ ... فإنّ محمدًا في الآخرينا

❁ صفةُ إِقامةِ الجمعة بالأقصى شَرَّفه اللَّه تعالى في رابعِ شعبان ثامن يومِ الفَتْح ❁

❑ **قال العماد**: لما تسلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب، وكان الدَّاوية قد بنوا في وجهه جدارًا، وتركوه للغلة هُريًا[1] وقيل: كانوا اتخذوا مستراحًا عُدوانًا وبغيًا، وكانوا قد بنوا من غربي القِبلة دارًا وسيعة، وكنيسةً رفيعة، فأوعز برفع ذلك الحجاب، وكَشفِ النقاب عن عروس المحراب، وهَدمِ ما قُدامه من الأبنية، وتنظيف ما حوله من الأفنية، بحيث يجتمع الناس للجمعة في العَرصة المتَّسعة.

ونُصِبَ المنبر، وأظهر المحراب المطهر، ونُقض ما أحدثوه بين السواري، وفرشوا تلك البسيطة بالبُسط الرفيعة عِوضَ الحُصر والبواري[2]، وعُلقتِ القناديل، وتُلي التنزيل، وحق الحق وبطلت الأباطيل، وتولى الفرقان وعُزِلَ الإنجيل، وصفت السجادات، وصفت العبادات، وأقيمت الصلوات، وأديمت الدعوات، وتجلت البركات، وانجلت الكربات، وانجابت الغيابات، وانثابت الهدايات، وتُليت الآيات، وأعليت الرايات.

ونطق الأذان وخرس الناقوس، وحضر المؤذنون وغاب القُسوس، وزال العبوس والبوس، وطابتِ الأنفاس والنفوس، وأقبلت السعود

---

(١) الهُرْي مفرد: الأهراء، وهو بيت كبير ضخم يُجمع فيه طعام السلطان. انظر «المعجم الوسيط» (٢/ ٩٤٤)، و«خطط المقريزي» (٢/ ٢٢٩).

(٢) البواري: جمع، مفردها: الباري والبارياء، وهو الحصير المنسوج. فارس معرّب. انظر «لسان العرب» (بري).

وأدبرت النحوس، وعاد الإيمان الغريب منه إلى موطنه، وطُلبَ الفضلُ من معدنه، وورد القراء وقرئ الأوراد، واجتمع الزهاد والعُباد، والأبدال والأوتاد، وعُبِدَ الواحد، ووحد العابد، وتوافد الراكع والساجد، والخاشع والواجد، والزَّاهي والزَّاهد، والحاكم والشاهد، والجاهد والمجاهد، والقائم والقاعد، والمتهجد والساهد، والزائر والوافد.

وصَدَحَ المنبر، وصدع المُذكِّر، وانبعث المعشر، وذكر البعث والمحشر، وأملى الحُفاظ، وأبكى الوعاظ، وتذاكر العلماء، وتناظر الفقهاء، وتحدثت الرواة، وروى المحدثون، وتحنف الهُداة، وهدى المتحنفون، وأخلص الداعون، ودعا المُخلصون، وأخذ بالعزيمة المترخصون، ولخص المُفسرون، وفسر الملخصون، وانتدى الفضلاء، وانتدب الخُطباء، وكثر المترشحون للخطابة، المتوشحون بالإصابة، المعروفون بالفصاحة، الموصوفون بالحصافة، فما فيهم إلا من خطب الرُّتبة، ورتب الخطبة، وأنشأ معنًى شائقًا، ووشى لفظًا رائقًا، وسوى كلامًا بالموضع لائقًا، وروى مبتكرًا من البلاغة فائقًا، وفيهم من عرض علي خُطبته، وطلب مني نصبته، وتمنى أن ترجح فضيلته، وتنجح وسيلته، وتسبق منيته، فيها أُمنيته، وكلّهم طال إلى الالتهاء بها عنقه، وسال من الالتهاب عليها عرقُهُ. وما منهم إلا من يتأهب ويترقب، ويتوسل ويتقرب، وفيهم من يتعرض ويتضرع، ويتشوف ويتشفع، وكلٌّ قد لبس وقاره ووقر لباسه، وضرب في أخماسه أسداسه، ورفع لهذه الرياسة راسه، والسلطان لا يعين ولا يبين، ولا يخص ولا ينص، ومنهم من يقول: ليتني خطبتُ في الجمعة الأولى، وفُزت باليد الطولى،

وإذا ظفرتُ بطالع سَعدي، فما أبالي بمن خطب بعدي.

فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان أصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان، وامتلأ الجامعُ، واحتفلت المجامع، وتوجست الأبصار والمسامع، وفاضت لرقة القلوب المدامع، وراعت لحلية تلك الحالة وبهاء تلك البهجة الروائع، وغصت بالسابقين لها المواضع، وتوسمت العيون، وتقسمت الظنون، وقال الناس: هذا يومٌ كريم، وفضلٌ عميم، وموسم عظيمٌ، هذا يوم تُجاب فيه الدعوات، وتُصبُّ البركات، وتسال العبرات، وتُقال العثرات، ويتيقظ الغافلون، ويتعظ العاملون. وطوبى لمن عاش، حتى حضر هذا اليوم الذي فيه انتعش الإسلام وارتاش، وما أفضل هذه الطائفة الحاضرة، والعصبة الطاهرة، والأمة الظاهرة، وما أكرم هذه النصرة الناصرية، والأسرة الإمامية والدولة العباسية، والمملكة الأيوبية، والدولة الصلاحية، وهل في بلد الإسلام أشرفُ من هذه الجماعة، التي شرفها اللَّه بالتوفيق لهذه الطاعة.

وتكلموا فيمن يخطب، ولمن يكون المنصب، وتفاوضوا في التفويض، وتحدثوا بالتصريح والتعريض. والأعلام تُعلى، والمنبر يُكسى ويجلى، والأصوات ترتفع، والجماعات تجتمع، والأفواج تزدحم، والأمواج تلتطم، وللعارفين من الضجيج ما في عرفات للحجيج، حتى حان الزوال، وزال الاعتدال، وحيعل[1] الداعي، وأعجل الساعي، نصب السلطان الخطيب بنصه، وأبان عن اختياره بعد فحصه، وأوعز إلى القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين علي القرشي بأن

(١) حيعل، أي: قال: حيّ على الصلاة.

يرقى ذلك المرقى، وترك جباه الباقين بتقديمه عرقى، فأعرتُهُ من عندي أُهبةً سوداء من تشريف الخلافة، حتى يكمل له شرف الإفاضة والإضافة، فَرَقِيَ العُود، ولقي السعود، واهتزت أعطاف المنبر، واعتزت أطرافُ المعشر.

وخطب وأنصتوا، ونطق وسكتوا، وأفصح وأعرب، وأبدع وأغرب، وأعجز وأعجب، وأوجز وأسهب، ووعظ في خُطبته، وخطب بموعظتيه، وأبان عن فضل البيت المقدس وتقديسه، والمسجد الأقصى من أول تأسيسه، وتطهيره بعد تنجيسه، وإخراس ناقوسه، وإخراج قسيسه، ودعا للخليفة والسلطان، وختم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. ونزل وصلى في المحراب، وافتتح ببسم اللَّه الرحمن الرحيم من أُمِّ الكتاب، فأم بتلك الأمة، وتم نزولُ الرحمة، وكمل وصولُ النعمة.

ولما قُضيت الصلاة انتشر الناس، واشتهر الإيناس، وانعقد الإجماع واطرد القياس، وكان قد نُصبَ للوعظ تجاه القبلة سرير، ليفرعه كبير، فجلس عليه زين الدين أبو الحسن علي بن نجا، فذكَّر من خاف ومن رجا، ومن سَعِدَ ومن شقي، ومن هلك ومن نجا، وخوَّف بذي الحجة ذوي الحِجا، وجلا بنور عظاته من ظُلم الشبهات ما دجا، وأتى بكل عظة للراقدين موقظة، وللظالمين محفظة، ولأولياء اللَّه مرقِّقة، ولأعداء اللَّه مغلظة.

وضَجَّ المتباكون، وعج المتشاكون، ورقتِ القلوب، وحقت الكُروب، وتصاعدت النعرات، وتحدرت العبرات، وتاب المذنبون،

وأناب المتحوِّبون، وصاح التوابون، وناح الأوَّابون، وجرت حالات جلت، وجلوات حلت، ودعوات علت، وضراعات قُبلت، وفُرصٌ من الولاية الإلهية انتُهزت، وحصصٌ من العناية الربانية أُحرِزَت.

وصلى السلطان في قُبة الصخرة، والصفوف على سعة الصحن بها مُتصلة، والأمة إلى اللَّه بدوام نصره مبتهلة، والوجوه الموجهة إلى القبلة عليه مُقبلة، والأيدي إلى اللَّه مرفوعة، والدعوات له مسموعة، ثم رُتبَ في المسجد الأقصى خطيبًا استمرت خطبته، واستقرت نصبته.

✍ قلتُ: هذه ألفاظ العماد في هذا الفصل من كتاب «الفتح»، وذكره في كتاب «البرق» بعبارةٍ أُخرى تشتمل على فوائد زائدة، وفي تكرار ما تقدم أيضًا بغير تلك العبارة فائدة فإنها معانٍ جليلة كلما كررت حَلَتْ.

❁ فصل ❁

❑ **قال العماد في كتاب «البرق»**: لما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح تقدم السلطان في المسجد الأقصى ببسط العِراص، وإخلائها لأهل الإخلاص، وتنظيفها من الأدناس، وكنس ما في أرجائها من الأرجاس. وقد كان سبق أمره من مبدأ الأمر، بهدم ما هناك من أبنية الكفر، وإبراز المحراب القديم، وإعادة موضعه إلي الوضع الكريم، فقد كان الداوية بنوا غربيه دارًا وأدخلوه فيها، وخلطوه بمبانيها، واتخذوا منه جانبًا مستراحًا للأعلال، وجانبًا هُربًا للغِلال، فأمر في العاجل بكشف قناعه، ورفعِ الوضيع من أوضاعه، ونقل ما وقع من أنقاضه، ونقض ما اعتور ذلك الجوهر النفيس من أعراضه، حتى طَهُرَ موضع المنبر

والمحراب، واستظهر بإزالة ما قُدامه من الحجاب، واجتمع الخَلقُ في ذلك الأسبوع على تفريق ذلك الهدم المجموع، وتعاونوا حتى كشفوه، ونظفوه، ورشوه وفرشوه، وكان قد أمر باتخاذ منبر في تلك الأيام، فنجزوه وركبوه.

ولما أصبحنا يوم الجمعة وجدنا العِلَل مُزاحة، والهمم مُراحة، والخواطر إلى وردها ملتاحة مرتاحة، وهناك فضلاء بلغاء، وعلماء أتقياء، وكلٌّ منهم قد سبق بخطبة الخُطبة، وأمل الفوز بفضيلة تلك الرتبة، وأعد لذلك المقام مقالاً، ونَشطَ بشِقْشَقَةِ فصاحته من قَرَمِ حصافته عقالاً، حتى إذا حيعل الداعي، وتعين الفرض على الساعي، حضر السلطان للصلاة قبة الصخرة، باديةً على أساريره أسرار سروره بالأسرة، وامتلأت تلك العراص والحصون، واستعبرت للفرح بما يسره اللَّه العيون، وآن لدين اللَّه أن تُقضى له الديون وتُفك الرهون، ووجلت القلوب، وخشعت الأصوات، وحسنت الظنون، وعين السلطان القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن علي القرشي الزكي بن الزكي للصلاة والخطبة، وفرع تلك الرتبة، فصعِدَ وسعد، وحمدَ وأحمد، وأدت المعاني الشريفة ألفاظُه، ونبه الأقاصي والأداني إيقاظُه، وجلا المسامع، وجلت المدامع، وأتى بالخطبتين المفروضتين على الوجه المشروع، والمنهج المتبوع، والشرطِ الموضوع، وذكر في الفتح البكر ما اقتض به أبكار الاستعارات بأبدع البراعات، وأبرع العبارات، وصدح بالصدق، ونطق بالحق، وفاز بالسبق، وحاز الفضيلة على فُضَلاء الغرب والشرق، فهو لنشر المعاني أضم خطيب، له بنشر المعالي أضمخ طيب، فأين قُس في عكاظه من

قياس ألفاظه! وأين سحبان من سجعاته! وابن نُباته من نباته! ولو عاشا لافتقرا إلى فِقَرِه، واحتقرا أعراضهما عند جوهره، ودعا لأمير المؤمنين، ثم لسلطان المسلمين، ونزل وقام إمامًا أكمل بصلاته الفرض، أرضى بسمت دعواته والطمأنينة في ركعاته وسجداته أهلَ السماء والأرض، وسُر السلطان بنصبه ورفعه، وامتلأ صدرُه حبورًا منه بجلاء بصره وسمعه، فقد أخذت بالأبصار أشعة أنوار الخُطبة، في سواد الأهبة، وعظمت أخطار المهابة في خواطر المحبة، وكرُمت سرائرُ الزلفى إلى اللَّه والقُربة.

ثم رتب السلطان بعده خطيبًا تستمر إقامته للجُمع والجماعات، وتستقر ملازمته لأداء الصلوات.

ولما قضيت الصلاة تلك الجمعة، نُصب سريرٌ للوعظ أبقى تلك الأُمة المجتمعة، وتقدم السلطان إلى زين الدين الواعظ ليفرع السرير، وينفع بعظاته الصغير والكبير، وحضر المجلس بمرأًى منه ومسمع، فكان أنور مجلس ومجلى وأشرف جمع ومجمع، فحقق ورقق، وأشهد وأشهق، وحلب بعباراته الحُلوة العبرات، وشار العسل بمعسول الإشارات، وبشر البشر بشارة البشارات، وذكر الفتح وبكارته، والقدس وطهارته، والدين وجسارته، والكفر وخسارته، والقدر وإعانته، والظفر وإبانته، والصخرة وإصراخها، والروعة وإفراخها، والنار وصراطها، والقيامة وأشراطها، والرحمة وبابها من باب الرحمة، والجنة وجناها لهذه الزحمة، وما أعده اللَّه لهذه الطائفة، وما أنزله من الأمن على القلوب الخائفة، ووصف ببلاغته ما لا يبلغ إليه نُطقُ الألسنة والواصفة،

ووصف الجهاد وفرائضه وفضائله، والخير ودلائله، والنجح ووسائله، والشرع ومسائله، والذنب وغوائله، وإحسان السلطان وفواضله، والبحر وساحله، والدين وحقه، والكفر وباطله، وكان يومًا راجحًا، وسومًا رابحًا.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢ / ٣٤٦):

«لما تطهّر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان والقساقس، ودخله أهل الإيمان، ونُودي بالأذان وقُرِئ القرآن، ووُحِّد الرحمن، كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان، بعد يوم الفتح بثمان، فنُصب المنبر إلى جانب المحراب، وبُسِطت البُسط، وعُلِّقت القناديل، وتُلِي التنزيل، وجاء الحق وبطلت الأباطيل، وصُفّت السّجّادات، وكثرت السجدات، وتنوعت العبادات، وارتفعت الدعوات، ونزلت البركات، وانجلت الكربات، وأُقيمت الصلوات، وأذّن المؤذنون، وخرس القسيسون، وزال البوس، وطابت النفوس، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس، وعُبِد اللَّه الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، وكبّره الراكع والساجد، والقائم والقاعد، وامتلأ الجامع، وسالت لرقة القلوب المدامع، ولما أذّن المؤذنون للصلاة قبل الزوال، كادت القلوب تطير من الفرح في ذلك الحال، ولم يكن عُيِّن خطيب فبرز من السلطان المرسوم الصلاحي وهو في قبة الصخرة أن يكون القاضي محيي الدين بن الزكي اليوم خطيبًا، فلبس الخلعة السوداء، وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة».

❁ ❁ ❁

❁ خطبةُ القاضي محيي الدين بن الزكيّ ❁

❑ **قال العماد**: وخطب القاضي محيي الدين بن زكي الدين أربع خُطَبٍ. في أربع جُمَع، كلها من إنشائه، وأودعها سر بلاغة عُنيت بإفشائه، وذكرت الخُطبة الأولى، ويد الفصاحة فيها طُولى، افتتاحها بهذه الآيات: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: ٥٩]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

* **والخطبة**: الحمد للَّه مُعزِّ الإسلام بنصره، ومُذِل الشرك بقهره، ومُصرفِ الأمور بأمره، ومديمِ النعمِ بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دُولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفَضله، وأفاء على عباده من ظِله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يُمانع، والظاهر على خليقته فلا يُنازع، والآمر بما يشاءُ فلا يُرَاجع، والحاكم بما يريدُ فلا يُدافع.

أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونَصره لأنصاره، وتطهيره بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حَمدَ من استشعر

الحمد باطنُ سِره وظاهر جهاره.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الأخلاص: ٣، ٤]، شهادَةَ من طهر بالتوحيد قَلبهُ، وأرضى به ربه.

وأشهدُ أن محمدًا ﷺ عَبدُه، ورسولُه، رافع الشك، وداحض الشرك، وراحض الإفك، الذي أُسرِيَ به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعُرِجَ به منه إلى السماوات العُلا إلى سِدرة المنتهى. عندها جَنَّةُ المأوى، ما زاغ البصر وما طغى.

صلى اللَّه عليه، وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رَفَعَ عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عُثمان بن عفان ذي النُّورين جامعِ القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

أيها الناس، أبشروا برضوان اللَّه الذي هو الغاية القُصوى، والدرجة العُليا، لما يسره اللَّه على أيديكم من استرداد هذه الضالة، من الأمة الضالة، وردها إلى مقرِّها من الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المُشركين قريبًا من مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي أَذِنَ اللَّه أن يُرفَعَ وأن يُذكر فيه اسمه، وإماطةِ الشرك عن طُرُقه بعد أن امتد عليها رُواقه، واستقر فيها رسمه، ورَفعِ قواعده بالتوحيد فإنه بُني عليه، وبالتقوى فإنه أُسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه، فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد عليه السلام، وقبلتكم التي كنتم تُصلون إليها في

ابتداء الإسلام، وهو مقرُّ الأنبياء، ومقصد الأولياء، ومَفرُّ الرُّسل، ومهبط الوحي، ومنزل تَنَزُّلِ الأمر والنهي، وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها اللَّه في كتابه المبين، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول اللَّه بالملائكة المقربين، وهو البلد الذي بعث اللَّه إليه عبده ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه؛ عيسى الذي شرَّفه اللَّه برسالته، وكرَّمه بنبوَّته، ولم يزحزحه عن رُتبة عبوديَّته، وفقال تعالى: ﴿لن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢]، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وهو أولُ القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تُشدُّ الرِّحالُ بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعقدُ الخناصر بعد الموطنين إلا عليه، ولولا أنكم ممن اختاره اللَّه من عباده، واصطفاه من سُكَّان بلاده، لما خصَّكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مُجارٍ، ولا يباريكم في شَرَفها مُبارٍ، فطوبى لكم من جيشٍ ظَهرت على أيديكم المعجزات النَّبوية، والوقعات البَدرية، والعزمات الصدِّيقية، والفتوح العُمَرِيَّة، والجيوش العُثمانية، والفتكات العلوية، جدَّدتُم للإسلام أيامَ القادسية، والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية، فجزاكم اللَّه عن نبيه محمد ﷺ أفضلَ الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مُهَجكم في مقارعة الأعداء، وتقبلَ منكم ما تقربتم به إليه من مُهراقِ الدماء، وأثابكم الجَنَّة فهي دار السعداء، فاقدروا ـ رحمكم اللَّه ـ هذه النِّعمة حق قدرها، وقوموا للَّه تعالى بواجبِ شُكرها، فله النِّعمة عليكم

بتخصيصكم بهذه النِّعْمة، وترشيحكم لهذه الخدمة، فهذا هو الفَتحُ الذي فُتِحَت له أبوابُ السماء، وتبلَّجت بأنواره وجوه الظلماء، وابتهج به الملائكةُ المقرَّبون، وقَرَّ به عَينًا الأنبياءُ والمرسلون، فماذا عليكم من النِّعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدَّس في آخر الزَّمان، والجُند الذي تقوم بسيوفهم بعد فَترةٍ من النبوة أعلامُ الإيمان، فيوشك أن تكون التهاني به بين أهل الخضراء[1]، أكثر من التهاني به بين أهل الغَبراء، أليس هو البيتُ الذي ذكره اللَّه في كتابه، ونصَّ عليه في خطابه، فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١] ـ الآية؟ أليس هو البيت الذي عظَّمته الملوك، وأثنت عليه الرُّسلُ، وتُليت فيه الكتبُ الأربعة المنزَّلة من إلهكم عز وجل؟ أليس هو البيتُ الذي أمسك اللَّه عز وجل الشمس على يوشع لأجله أن تَغرُب، وباعد بين خطواتها لِيتيسَّرَ فتحهُ ويَقرُب؟ أليس هو البيتُ الذي أمر اللَّه موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يُجِبه إلا رجلان، وغضب عليهم لأجله، فألقاهم في التيه عقوبةً للعصيان؟

فاحمدوا اللَّه الذي أمضى عزائمكم لما نَكَلت عنه بنو إسرائيل، وقد فضلهم على العالمين، ووفَّقكم لما خُذِلَ فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين، وجَمَعَ لأجله كلمتكم وكانت شَتَّى، وأغناكم بما أمضته «كان» و«قد» عن «سوف» و«حتَّى». فليهنكم أن اللَّه قد ذكركم به فيمن عنده، وجعلكم ـ بعد أن كنتم جنودًا لأهويتكم ـ جُندَه، وشكركم الملائكةُ المنزَّلون على ما أهديتم إلى هذا البيت من طِيبِ التوحيد، ونَشرِ التقديس

(١) الخضراء: السماء. انظر: «القاموس المحيط» مادة (خضر).

والتَّحميد، وما أَمَطتُم عن طُرُقهم فيه من أذى الشرك والتَّثليث، والاعتقاد الفاجر الخبيث، فالآن يستغفر لكم أملاكُ السماوات، وتصلِّي عليكم الصلوات المباركات.

فاحفظوا ـ رحمكم اللَّه ـ هذه الموهبة فيكم، واحرسوا هذه النعمة عندكم، بتقوى اللَّه التي من تمسَّك بها سَلِمَ، ومن اعتصم بعُروتها نجا وعُصِم، واحذروا من اتباع الهوى، وموافقة الرَّدَى، ورجوع القَهقَرَى، والنكول عن العِدَى، وخذوا في انتهاز الفُرصة، وإزالة ما بقي من الغُصَّة، وجاهدوا في اللَّه حق جهاده، وبيعوا عبادَ اللَّه أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من عباده، وإياكم أن يستزلكمُ الشيطان، وأن يتداخلكم الطُّغيان، فيخيَّل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد، وبخيولكم الجياد، وبجلادكم في مواطن الجِلاد، لا واللَّه، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠].

واحذروا عبادَ اللَّه ـ بعد أن شَرَّفكم بهذا الفتح الجليل، والمنح الجزيل، وخصَّكم بهذا الفتح المُبين، وأعلق أيديكم بحبله المتين ـ أن تقترفوا كبيراً من مناهيه، وأن تأتوا عظيمًا من معاصيه، فتكونوا كالتي نَقَضت غَزلها من بعد قوةٍ أنكاثًا، والذي آتيناه آياتِنا فانسَلخَ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، والجهادَ الجهادَ فهو من أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا اللَّه ينصُرْكُم، واذكروا اللَّه يذكركم، اشكروا اللَّه يزدكم ويشكركم، جُدُّوا في حَسمِ الدَّاء، وقَطعِ شَأفة الأعداء، وتطهيرِ بقيةِ الأرض التي أغضبتِ اللَّه ورسولهُ، واقطعوا فروع الكُفرِ واحتثوا أُصوله، فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية، والملة المحمدية.

اللَّه أكبر، فَتَحَ اللَّه ونَصَرَ، غَلَبَ اللَّه وقَهَرَ، أَذَلَّ اللَّه من كَفَرَ.

واعلموا ـ رحمكم اللَّه ـ أن هذه فُرصة فانتهزوها، وفريسة فناجزوها، ومهمَّة فأخرجوا لها هِمَمكم وبَرِّزُوها، وسيروا إليها سرايا عزماتكم وجَهِّزُوها، فالأمور بأواخرها، والمكاسب بذخائرها، فقد أظفركم اللَّه بهذا العدو المخذول، وهم مثلكم أو يزيدون، فكيف وقد أضحى في قُبالة الواحد منهم منكم عشرون، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥] أعاننا اللَّه وإياكم على اتباع أوامره، والازدجار بزواجره، وأيدنا مَعشَرَ المسلمين بنصرٍ من عنده ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وتمام الخُطبة والخطبة الثانية قريب مما جَرَت به العادة، وقال بعد الدُّعاء للخليفة: اللَّهم، وأدم سلطان عبدك، الخاضع لهيبتك، الشاكرِ لنعمتك، المُعترفِ بموهبتك، سيفك القاطع، وشهابك اللامع، والمحامي عن دينك المُدَافع، والذابِّ عن حَرَمك المانع، السَّيِّد الأجل، الملك الناصر، جامعِ كلمة الإيمان، وقامعِ عَبدة الصلبان، صلاحِ الدُّنيا والدِّين، سلطان الإسلام والمسلمين، مطهرِ البيت المقدَّس، أبي المُظفر يوسف بن أيوب، محيي دولة أمير المؤمنين.

اللَّهم عُمَّ بدولته البسيطة، واجعل ملائكتك برایاته محيطة، وأحسن عن الدِّين الحنيفي جزاءه، واشكر عن المِلة المحمدية عَزمه ومضاءه.

اللَّهم أبقِ للإسلام مُهجته، ووقِّ للإيمان حَوزته، وانظر في المشارق

والمغارب دعوته.

اللَّهم كما فتحت على يَدِه البيتَ المقدس بعد أن ظُنت الظنون، وابتُلي المؤمنون، فافتح على يده أداني الأرض وأقاصيها، وملِّكْه صياصي الكفرة ونواصيها، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مَزَّقها، ولا جماعة إلا فَرَّقها، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها.

اللَّهم اشكر عن محمدٍ ﷺ سَعيه، وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونَهيه، اللَّهم وأصلح به أوساطَ البلاد وأطرافَها، وأرجاء الممالك وأكنافها.

اللَّهم ذلل به مَعاطِسَ الكُفار، وأَرغِم به أُنوف الفُجار، وانشر ذوائب مُلكه على الأمصار، وابثُث سرايا جنوده في سُبُل الأقطار.

اللَّهم ثبتِ المُلكَ فيه وفي عَقبه إلى يوم الدين، واحفظه في بنيه وبني أبيه الملوك الميامين، واشدد عَضُدَه ببقائهم، واقض بإعزاز أوليائه وأوليائهم.

اللَّهم كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام، وتتخلد على مرِّ الشهور والأعوام، فارزُقه المُلكَ الأبديَّ الذي لا ينفد في دار المتقين، وأجب دعاءه في قوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

ثم دعا بما جرت به العادة»[1].

---

(١) «عيون الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة (٣/ ٣٧٦ ـ ٣٩١) ـ مؤسسة الرسالة.

* من وصايا صلاح الدين لجنوده... ويا لها من وصية!!:

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «اعلموا أنكم جند الإسلام اليوم ومنعته، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراريهم في ذمكم معلّقة، واللَّه ـ عز وجل ـ سائلكم يوم القيامة عنهم، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن البلاد والعباد غيركم، فإن توليتم ـ والعياذ باللَّه ـ طوى البلاد وأهلك العباد، وأخذ الأموال والأطفال والنساء، وعُبد الصليب في المساجد، وعُزل القرآن منها والصلاة، وكان ذلك كله في ذمكم، فإنكم أنتم الذين تصديتم لهذا كله، وأكلتم أموال المسلمين لتدفعوا عنهم عدوهم وتنصروا ضعيفهم، فالمسلمون في سائر البلاد متعلّقون بكم، والسلام»[1].

المدرسة الصلاحية من مآثر صلاح الدين

* أضاعها سلاطين الأتراك:

قال الأصبهاني في «الفتح القُسّي» ص(١٤٥): «فاوض السلطان جلساءَه من العلماء الأبرار، والأتقياء الأخيار، في مدرسة للفقهاء الشافعية، ورباط للصلحاء الصوفية، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بـ(صند حنّة) عند باب أسباط، وعين دار البطرك، وهي قرب كنيسة القيامة للرباط ووقف عليهما وقوفًا، وأسدى بذلك للطائفتين معروفًا ـ يريد الشافعية والصوفية ـ وارتاد أيضًا مدارس للطوائف ـ يريد المذاهب الإسلامية الأخرى ـ ليُضيفها إلى ما أولاه من العوارف».

(١) «البداية والنهاية» (١٢/٣٤٨).

وقد أوقف صلاح الدين مكان المدرسة الصلاحية. في ثالث عشر شهر رجب سنة ثمان وثماني وخمسمائة: وجعلها للشافعية... وكانت على مرّ قرون متتابعة من أجلّ المدارس في ديار الإسلام، وتولى مشيختها والتدريس فيها أعلام من العلماء:

وأولهم: قاضي القضاة المعروف «ابن شدّاد» صاحب كتاب «المحاسن اليوسفية» في سيرة صلاح الدين. وكان من المعاصرين، الذين يعملون في خدمة السلطان.

ومنهم: شيخ الإسلام عبد الرحمن محمد بن الحسين بن عساكر شيخ الشافعية بالشام.. كان يقيم بالقدس أشهرًا وبدمشق أشهرًا. وتوفي سنة ٦٢٠هـ.

ومن مشاهيرهم: شيخ الإسلام أبو عمر عثمان، المشهور بابن الصلاح، صاحب كتاب «علوم الحديث» توفي سنة ٦٤٣هـ.

ومنهم شيخ الإسلام محمد بن محمد الجزري المقرئ الشافعي صاحب كتاب «النشر في القراءات العشر» توفي سنة ٨٣٣هـ.

وفي أواخر العهد المملوكي كان يدرس فيها إبراهيم بن الأمير ناصر الدين علاّمه عصره وكان حيًّا على رأس سنة ٩٠٠هـ[1].

وفي سنة ١٨٥٦م أصدر السلطان عبد المجيد أمرًا لمتصرّف القدس بتسليم المدرسة الصلاحية لقنصل فرنسا، فسُلِّمت له، وبُني لها

---

(١) انظر «الأنس الجليل» فقد ذكر المؤلف أسماء العلماء الذين درسوا في المدرسة الصلاحية حتى زمانه سنة ٩٠٠هـ (٢/ ١٠٢).

سوراً وحصناً، وقُدِّمت هدية من السلطان عبد المجيد إلى إمبراطور فرنسا «نابليون الثالث» اعترافاً بجميل فرنسا لمساعدته في حرب القرم عام ١٨٥٦م. فعمّرها الرهبان المُسَمَّوْن بالآباء البيض، وجعلوها مدرسة إكليريكية.

وفي الحرب العالمية الأولى استردها جمال باشا، وأقامها كلية علمية دينية، أتى لها بالأدوات المطلوبة من ألمانيا.

وبعد خروج العثمانيين من القدس أُعيدت إلى الآباء البيض، وهي اليوم مدرسة، وفيها متحف وكنيسة.

أخرجها السلطان عبد المجيد من ملكية الأوقاف الإسلامية، وقدّمها هدية للأعداء، وعندما جاء الإنجليز كان عندهم علم بهذا فأرجعوها إلى من امتلكها بالهبة من السلطان. أما عمل جمال باشا فلم يعتمد فيه على فرمان سلطاني، فكان فرمان السلطان عبد المجيد أقوى فثبتت لهم.

والذي نقوله للسلطان عبد المجيد في قبره:

من الذي ملّكك أرض القدس لتُهدي منها من تشاء؟

لا يوجد في شرع الخلافة الإسلامية التي تمثلها أن يهدي الخليفة أوقاف المسلمين إلى أعدائهم؟»[1].

❀ ❀ ❀

(١) «بيت المقدس» لشرّاب ص(١٤٩ ـ ١٥٠).

عكا وما أدراك ما عكا؟
صفحات مجد وبطولة

بعد عودة القدس إلى أيدي المسلمين ركبت جماعة من الرهبان والقسيسيين الذين كانوا ببيت المقدس وغيره، . . . من صور في أربعة مراكب، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى، يحرضون الفرنج ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس، وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه، فإذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح؟ قالوا: هذا نبي العرب يضربه، وقد جرحه ومات. فينزعجون لذلك ويحمون ويبكون ويحزنون، فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم، وموضع حجهم على الصعب والذلول حتى النساء المخدرات والزواني والزانيات الذين هم عند أهليهم أعز الثمرات»[١].

وصل الصليبيون إلى عكا وحاصروها سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وتتابعت عليهم الإمدادات من كل أنحاء أوروبا، ومن القواعد الصليبية في البحر المتوسط، حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال، ومنهن من تأتي بنية راحة الغرباء لينكحوها في الغربة، فيتخذن راحة وخدمة وقضاء وطر، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء، وأجملهن بهذه النية[٢].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٥).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٤).

ورابط المسلمون داخل عكا وحولها بقيادة الملك الناصر صلاح الدين، وصبروا وصابروا لمدة سبعة وثلاثين شهرًا، ولكن شاءت إرادة اللَّه أن تسقط عكا في أيدي الصليبيين.

* شباب صنعهم الإسلام وبطولات نادرة في عكا:

قال ابن كثير: «تواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة؛ لأجل نصرة أصحابهم، يمدونهم بالقوة والميرة، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد، عليها جلود مسقاة بالخل، لئلا يعمل فيها النفط، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل، وهي أعلا من أبرجة البلد، وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاءوا، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرهم، وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا، وحصل لهم ضيق منها، فأعمل السلطان فكره بإحراقها، وأحضر النفاطين ووعدهم الأموال الجزيلة إن هم أحرقوها، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين، والتزم بإحراقها، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية يعرفها، وغلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار نارًا تتأجج، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت نارًا بإذن اللَّه، لها ألسنة في الجو متصاعدة، واحترق من كان فيها، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل، واحترق في كل برج منها سبعون كفورًا، وكان يومًا على الكافرين عسيرًا، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة (٥٨٥هـ)، وكان الفرنج قد تعبوا في عملها سبعة أشهر، فاحترقت في يوم واحد

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنية، وأموال كثيرة، فامتنع أن يقبل شيئًا من ذلك، وقال: إنما عملت ذلك ابتغاء وجه اللَّه، ورجاء ما عنده سبحانه، فلا أريد منكم جزاء ولا شكورًا»[١].

* البطل المسلم عيسى العوّام قصة نهديها لمن زوّروا التاريخ وزيّفوه:

نهدي قصة هذا البطل إلى القزم يوسف شاهين، وهو وأمثاله دأبوا على تزوير التاريخ فصوّرا عيسى على أنه مسيحي.

والقصة يرويها القاضي ابن شداد في «النوادر السلطانية» أيام محنة عكا: قال: «ومن نوادر هذه الوقعة ومحاسنها أن عوّامًا مسلمًا كان يقال له عيسى، وكان يدخل إلى البلد[٢] بالكتب والنفقات على وسطه ليلاً، على غِرّة من العدو، وكان يغوص ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو، وكان ذات ليلة شدّ على وسطه ثلاثة أكياس، فيها ألف دينار، وكتب للعسكر، وعام في البحر فجرى عليه مَن أهلكه، وأبطأ خبره عنا، وكانت عادته أنه إذا دخل البلد طار طير عرّفنا بوصوله، فأبطأ الطير، فاستشعر الناس هلاكه، ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد، وإذا البحر قد قذف إليهم ميتًا غريقًا، فافتقدوه فوجدوه عيسى العوّام، ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب، وكان الذهب

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦).
(٢) أي: عكا أثناء حصار الفرنج لها.

نفقة للمجاهدين، فما رئي من أدّى الأمانة في حال حياته وقد أدّاها بعد وفاته إلا هذا الرجل، وكان ذلك في العشر الأخير من رجب»[١].

فهل أدّى من زوروا التاريخ أمانة الكلمة للأجيال أم ضيّعوها؟!

وأمام أسوار عكا كان السلطان البطل صلاح الدين يطوف بين الأطلاب، وينادي بنفسه: «يا للإسلام» وعيناه تذرفان بالدمع، وكلما نظر إلى عكا، وما حلّ بها من البلاء، وما يجرى على ساكنيها من المصاب العظيم، اشتد في الزحف والحث على القتال، ولم يطعم في يوم زحفهم على عكا طعامًا البتة، وإنما شرب أقداح مشروب كان يشير بها الطبيب.

ويرسل إليه أهل عكا: «إنا قد بلغ منا العجز إلى غاية ما بعدها إلا التسليم، ونحن في الغد ـ يعني يوم الأربعاء ثامن جمادى الآخرة ـ إن لم تعملوا معنا شيئًا نطلب الأمان، ونسلم البلد ونشتري مجرد رقابنا، وكان هذا أعظم خبر ورد على المسلمين وأنكاه في قلوبهم، فإن عكا كانت قد احتوت على جميع سلاح الساحل والقدس ودمشق وحلب ومصر أيضًا وجميع البلاد الإسلامية، واحتوت على كبار من أمراء العسكر وشجعان الإسلام، كسيف الدين المشطوب، وبهاء الدين قراقوش[٢]، وغيرهما؛ وكان بهاء الدين قراقوش ملزمًا بحراستها منذ

---

(١) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لبهاء الدين بن شداد.

(٢) انظر إلى من زيّفوا التاريخ.. وكيف جعلوا من هذا البطل العظيم الذي تولّى الدفاع عن عكا في أشد أوقات المحن... كيف جعلوا منه رمزًا للحاكم المستبد. ألا لعنة اللّه على الكاذبين.

قدوم العدو المخذول عليها، وأصاب السلطان ـ رحمه اللَّه ـ من ذلك ما لم يصبه بشيء غيره، وخيف على مزاجه التشوش.

وانظر كيف اجتمعت الدنيا على قتال الأبطال الأشاوس:

لقد قدم مع من قدم لقتال المسلمين ملك الألمان: (فإنه أقبل في عُدد وعَدد كثير جدًّا، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل، من نيته خراب البلد وقتل أهلها من المسلمين، والانتصار لبيت المقدس، وأن يأخذ البلاد إقليمًا بعد إقليم، حتى مكة والمدينة، فما نال من ذلك شيئًا بعون اللَّه وقوته، بل أهلكهم اللَّه ـ عز وجل ـ في كل مكان وزمان، فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية، فدعته نفسه لأن يسبح فيه، فلما صار فيه حمله الماء إلى شجرة فشجت رأسه، وأخمدت أنفاسه، وأراح اللَّه منه العباد والبلاد، فأقيم ولده الأصغر في الملك، وقد تمزق شملهم، وقَلَّت منهم العدة، ثم أقبلوا لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه، فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا في ألف فارس، فلم يرفعوا بهم رأسًا، ولا لهم قدرًا، ولا قيمة بينهم، ولا عند أحد من أهل ملتهم، ولا غيرهم، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور اللَّه، وإذلال دين الإسلام)[1].

* وانظر إلى أبطال الإسلام:

لما أحس العدو الصليبي في نفسه قوة، بسبب توالي النجد عليهم، اشتد طمعهم في عكا، وسلّطوا عليها المنجنيقات من كل جانب،

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٦).

وتناوبوا عليها بحيث لا يعطل رميها ليلاً ولا نهارًا، وذلك في رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة، «ولما رأى أهل البلد ما نزل بهم من مضايقة العدو وتعلّق طمعه بهم حرّكتهم النخوة الإسلامية، وكان مقدموه حينئذ: أما والي البلد وحارسه فالأمير الكبير بهاء الدين قراقوش، وأما مقدم العسكر الكبير حسام الدين أبو الهيجاء، وكان رجلاً ذا كرم وشجاعة، وقدمة في عشيرته ومضاء في عزيمته، فاجتمع رأيهم على أنهم يخرجون إلى العدو، فارسهم وراجلهم، عن غرة وغفلة منهم، ففعلوا ذلك، وفُتحت الأبواب، وخرجوا دُفعة واحدة من كل جانب، ولم يشعر العدو إلا والسيف فيهم حاكم عادل، وسهم قضاء اللّه وقدره فيهم نافذ خاذل، وهجم الإسلام على الكفر في منازله، وأخذ بناصية مناضله، وداس مقاتله، ولّما ولج المسلمون خيام العدو ذهلوا عن المنجنيقات وحراستها، وحفظها وسياستها، فوصلت شهب الزرّاقين المقذوفة، وجاءت عوائد اللّه في نصرة دينه المألوفة، فلم تكن ساعة حتى اضطرمت فيها النيران، وتحرّق منها بيدها ما شيّد الأعداء في المدة الطويلة في أقرب آن، وقُتِل من العدو في ذلك اليوم سبعون فارسًا وأُسِر خلق عظيم، وكان من جملة الأسرى رجل مذكور منهم، ظفر به واحد من آحاد الناس ولم يعلم بمكانته، فلما انفصل الحرب، سأل الفرنج عنه هل هو حيّ أم لا؟ فعرف الذي هو عنده عند سؤالهم أنه رجل كبير، وخاف أن يُغلب عليه ويُرد إليهم بنوع مصانعة أو على وجه من الوجوه، فسارع وقتله، وبذل الفرنج فيه أموالاً كثيرة، ولم يزالوا يشتدون في طلبه ويحرصون عليه حتى رُميت إليهم جثته، فضربوا

بنفوسهم الأرض، وحثوا على وجوههم التراب، ووقعت عليهم بسبب ذلك خمدة عظيمة، وكتموا أمره، ولم يظهروا مَنْ كان، واستصغر المسلمون بعد ذلك أمرهم، وهجم عليهم العرب من كل جانب يسرقون ويقتلون، ويأسرون إلى ليلة النصف مِن شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة.

وكان الكندهري قد أنفق على منجنيق كبير عظيم الشكل ـ على ما نقل الجواسيس والمستأمنون ـ ألفًا وخمسمائة دينار، وأعدّه ليقدمه إلى البلد، ومنع من حريقه ذلك اليوم كونُه بعيدًا عن البلد، ولم يقدم بعد إليه، فلما كانت الليلة المباركة المذكورة خرج الزرّاقون والمقاتلة، والهم يحفظهم من كل جانب، واللَّه يكلؤهم، فساروا من تحت ستر اللَّه حتى أتوا المنجنيق المذكور، وأضرموا فيه النار، فاحترق من ساعته، ووقع الصياح من الطائفتين، وذهل العدو، فإنه كان بعيدًا من البلد، وخاف أن يكون قد أحيط به من الجوانب، وكان نصرًا من عند اللَّه، وأخرق بلهيبه منجنيق لطيف إلى جانبه»[1].

* ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾:

قال الحافظ ابن كثير:

«كتب متولي عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش في العشر الأول من شعبان إلى السلطان: أنه لم يبق عندهم في المدينة من الأقوات إلاّ ما يبلّغهم إلى ليلة النصف من شعبان،

(١) «النوادر السلطانية» لابن شداد ص(١٣٤ ـ ١٣٥).

فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم، خوفًا من إشاعة ذلك، فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين، وتضعف القلوب. وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية أن يقدم بالميرة إلى عكا، فتأخر سيره، ثم وصلت ثلاث بطش ليلة النصف، فيها من الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء، وهي صحبة الحاجب لؤلؤ، فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد، ويتلف ما فيها، فاقتلوا في البحر قتالاً شديدًا، والمسلمون في البر يبتهلون إلى اللَّه ـ عز وجل ـ في سلامتها، والفرنج أيضًا تصرخ برًّا وبحرًا، وقد ارتفع الضجيج، فنصر اللَّه المسلمين، وسلم مراكبهم، وطابت الريح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء، ودخلت البلد سالمة، ففرح بها أهل البلد والجيش فرحًا شديدًا، وكان السلطان قد جهّز قبل هذا البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت، فيها أربعمائة غرارة، وفيها من الجبن والشحم والقديد والنشاب والنفط شيء كثير، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة، وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زيّ الفرنج حتى أنهم حلقوا لحاهم، وشدّوا الزنانير، واستصحبوا في البطشة معهم شيئًا من الخنازير، وقدموا بها على مراكب الفرنج، فاعتقدوا أنهم منهم، وهي سائرة إليهم كالسهم إذا خرج من كبد القوس، فحذرهم الفرنج غائلة المياه من ناحية البلد، فاعتذروا بأنهم مغلوبون عنها، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميرة، والحرب خدعة، فعبرت الميناء فامتلأ الثغر بها خيرًا، فكفتهم إلا أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية، وكانت البلد يوجد بها برجان يُقال لأحدهما: برج

الديّان، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات، إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا، فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين، ولم يزالوا في أمرها محتالين، حتى أرسل اللَّه عليها شواظًا من نار فأحرقها وأغرقها، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطًا كثيرًا وحطبًا جزلاً، وأخرى خلفها فيها حطب محض، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين، واحترقت الأخرى، وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها، فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدرة اللَّه تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة، فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت، وتعدّى الحريق إلى الأخرى فغرقت، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت، وهلك من فيها، فأشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين في قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

* رحم اللَّه شهداء عكا... وما أغدر النّصارى وأخسهم:

كثر القتل في رجالة عكا وخيالتها وقلّت المؤن.. وخرج الأبطال رحمة بعوام المسلمين ـ يفاوضون ملوك الفرنجة.

خرج البطل سيف الدين المشطوب إلى ملك الإفرنسيس بأمان، وقال: «إنا قد أخذنا منكم بلادًا عدّة، وكنا نهدم البلد وندخل فيه، ومع هذا إذا سألونا الأمان أعطيناهم وحملناهم إلى مأمنهم وأكرمناهم، ونحن

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).

نُسَلّم البلد، وتعطينا الأمان على أنفسنا؟ فأجابه بأن «هؤلاء الملوك الذين أخذتموهم منا، وأنتم أيضًا مماليكي وعبيدي، فأرى فيكم رأيي». وبلغنا بعد ذلك أن المشطوب أغلظ له في القول، وقال: «إنا ما نسلِّم البلد حتى نُقتل بأجمعنا، ولا يُقتل واحد منا حتى يقتل خمسين نفسًا من كباركم»، وانصرف عنه وحمل العوامّ كتب أهل عكا للسلطان: «إنا قد تبايعنا على الموت، ولا نزال نقاتل حتى نُقتل، ولا نُسلّم البلد ونحن أحياء، فانظروا أنتم كيف تعملون في شغل العدو عنا، ودفعه عن قتالنا، فهذه عزائمنا، وإياكم أن تخضعوا لهذا العدو أو تلينوا له، فأما نحن فقد فات أمرنا»[1].

ولما ضاق الأمر بأهل عكا، وقلّت المؤن، تيقّنوا أنه متى أُخِذ البلد عنوة ضربت أعناقهم عن آخرهم، وأخذ جميع ما فيه من العدد والأسلحة والمراكب صالح أهل عكا الفرنجة على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين، هم وذراريهم ونسائهم، ولكن متى رعى النصارى للمسلمين ذمة وعهدًا، «ففي عصر يوم الثلاثاء السابع وعشرين من رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ركب الانكتار وجميع عسكر الفرنجية راجلهم وفارسهم، ثم أحضروا من الأسارى المسلمين من كتب اللَّه شهادته في ذلك، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم أوثقوهم في الحبال، وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد، فقتلوهم صبرًا طعنًا وضربًا بالسيف ـ رحمة اللَّه عليهم ـ، وأصبح المسلمون يكشفون الحال فوجدوا المسلمين الشهداء في مصارعهم، وعرفوا مَنْ عرفوه منهم، وغشي المسلمون بذلك حزن عظيم

(١) «النوادر السلطانية» ص(١٦٨، ١٦٩ ـ ١٧٠).

وكآبة عظيمة، ولم يبقوا من المسلمين إلا رجلاً معروفًا مقدَّمًا أو قويًّا أيِّدًا للعمل في عمائرهم»[١].

* الأيوبيون بعد صلاح الدين:

بعد وفاة صلاح الدين ومجيء أولاده الثلاثة الذين اقتسموا البلاد ما بين مصر ودمشق وحلب، تراجعت الدولة، وبدأ التناحر بين الإخوة أنفسهم على ما عهد في مثل هذه الأحوال.

تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل: «علي بن صلاح الدين» وأنشأ المدرسة الأفضلية وتعرف قديمًا بالقبّة، بحارة المغاربة. وقفها على فقهاء المالكية بالقدس.

وأوقف الملك الأفضل عام ٥٨٨هـ ما يحيط ويتصل بموضع البراق الشريف من أرض، وغيرها على أهل المغرب فقيل: «حي المغاربة» وهي المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الحرم.

❑ يقول ابن كثير: «وكان الأفضل[٢] بعد موت أبيه قد أساء التدبير، فأبعد أمراء أبيه وقرّب الأجانب وأقبل على اللهو»[٣].

بعد أولاد صلاح الدين جاء عمهم العادل، واستطاع أولاد العادل الذين ورثوا الملك الأيوبي مقاومة الصليبيين بعض الشيء، وكان للملك عيسى بن العادل جهاد مع الصليبيين وكان عالمًا يحب العلماء، ويقول: أنا على عقيدة الطحاوي، وقد ساعد أخاه الكامل في موقعة دمياط مع

(١) «النوادر السلطانية» ص(١٧٤).
(٢) ابن صلاح الدين.
(٣) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٠).

الفـرنجة، ويقـول: «واقعـة دميـاط أدّخـرها عند اللَّه تعالى وأرجـو أن يرحمني بها»[١].

* تخريب سور بيت المقدس:

دمّر المعظم عيسى أسوار القدس خوفًا من اسـتيلاء الصليبيين عليها وخرّب المدينة فاضطر أهلها إلى الهجرة في أسوأ الظروف.

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣/ ٩٠ ـ ٩١) في أحداث سنة ست عشرة وستمائة:

«في مستهل هذه السنة خُرّب سـور بيت المقدس عمّره اللَّه بذكره، أمر بذلك المعظم خـوفًا من استـيلاء الفرنج عليـه بعد مشـورة من أشار بذلك، فـإن الفرنج إذا تمكنوا من ذلـك جعلوه وسـيلة إلى أخذ الشـام جميعـه، فشرع في تخريب السور في أول يوم المحـرم، فهرب منه أهله خوفًـا من الفـرنج أن يهجـموا عليـهم ليلاً أو نهـارًا، وتركوا أمـوالهم وأثاثهم، وتمزّقـوا في البلاد كل ممزق، حـتى قيـل إنه بيع القنطار الزيت بعشرة دراهم، والرطل النحاس بنصف درهم. وضجّ الناس وابتهلوا إلى اللَّه عند الصخرة وفي الأقصى، وهي أيضًـا فعلة شعناء من المعظم، مع ما أظهـر من الفواحش في العـام الماضي، فقال بعـضهم يهـجو المعظم لذلك:

في رجـــب حلَّلَ الحـمـيّـــا وأخـرب القـــدس في المحـــرّم

❀ ❀ ❀

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٣١).

وبكى خطيب بيت المقدس محمد بن المبارك القرقساني الخطيب هذه المصيبة فقال:

مُصَابُ القدس قد سَلَبَ الرُّقادا ... وقد لبس الخطيب به حدادا
وقاضيه قضى نحبًا وإن لم ... يمت لخراب ما أعلى وشادا
ونادى المسجد الأقصى أيرضى ... بهذا الفعل من فرض الجهادا
ومنبرُه الشريف يئنّ خوفًا ... ومما حَلَّ بالمحراب مَادا
ولا تَرْقى لصخرته دموع ... فكم قد أقرحتْ أسفًا فؤادا
كذا محراب داودٍ علته الـ ... ـكآبةُ دمعُه مَجلى العِهادَا
ولازم باب رحمته عذاب ... وسحَّ الطورُ أدمعَه وجادا
وأصبحت المدارس مُعْولات ... تُريق محابر الفتيا المدَادا[1]

وبكاه قاضي الطور مجد الدين محمد بن عبد اللَّه الحنفي فقال:

مررتُ على القُدس الشريف مُسَلِّمًا ... على ما تَبقَّى من رُبوع كأنجُمِ
ففاضتْ دُموعُ العَين منّي صبابةً ... على ما مضى من عصرنا المتقدمِ
وقد رام علجٌ أن يُعفي رُسومَهُ ... وشمَّرَ عن كَفي لئيم مُذمَّمِ
فقلتُ له شُلت يمينك خَلِّها ... لمعتبرٍ أو سائلٍ أو مُسلِّمِ
فلو كان تُفدى بالنفوس فديتُه ... بنفسي وهذا الظنُّ في كل مُسلمِ[1]

❀ ❀ ❀

(١) «عقود الجمان» (٦/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).
(٢) «النجوم الزاهرة» (٦/ ٢٤٥)، «شذرات الذهب» (٥/ ٦٦)، «عقود الجمان» للعيني.

تسليم بيت المقدس للفرنجة

من ثمارهم تعرفونهم... أبعد صلاح الدين يأتي الأقزام ليسلموا بيت المقدس لفريدريك الثاني وملوك أوربا... ويُضيِّع ملوك بني أيوب أمجاد سيدهم وفخرهم صلاح الدين؟

أتى الأمبراطور فريدريك الثاني إلى سورية سنة ٦٢٦هـ من أجل القدس وبعث إلى الكامل يقول:

«إن عتيقك، وتعلم أني أكبر ملوك الفرنج، وأنت كاتبتني بالمجيء، وقد علم البابا والملوك باهتمامي، فإن رجعت خائبًا انكسرت حرمتي. وهذه القدس فهي أصل دين النصرانية. وأنتم قد خربتموها، وليس لها طائل، فإن رأيت أن تنعم عليّ بقصبة البلد ليرتفع رأسي بين الملوك، وأنا ألتزم بحمل دخلها إليك»[١].

ولمّا وصل فريدريك الثاني إلى عكا أرسل إلى الكامل يقول مع رسول:

«الملك يقول: كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيء ولا أجيء إليهم، والآن، فقد كنتم بذلتم لنائبى[٢] الساحل كله، وإطلاق الحقوق بالإسكندرية، وما فعلنا. وقد فعل اللَّه لكم ما فعل من ظفركم وإعادتها لكم. ومَن نائبي؟ إنْ هو إلا أقل غلماني، فلا أقلّ من إعطائي ما كنتم بذلتموه له»[٣].

---

(١) «العبر في خبر من غبر» للذهبي (٥/ ١٠٢).

(٢) في زمن حصار دمياط.

(٣) «كتاب السلوك» للمقريزي (ج١، ق٢/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩)، وكتاب «وثائق الحروب الصليبية» ص(٢٤٨).

يقول ابن كثير: «ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة... استهلت هذه السنة وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون، قد صاروا أحزابًا وفرقًا، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف، فقويت نفوس الفرنج لعنهم اللَّه بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر، وبموت المعظم واختلاف من بعده من الملوك، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان صلاح الدين منهم، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده، وتبقى بأيديهم بقية البلاد فتسلموا القدس الشريف، وكان المعظم قد هدم أسواره، فعظم ذلك على المسلمين جدًّا، وحصل وهن شديد وإرجاف عظيم، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون»[1].

* بكاء الشعراء لبيت المقدس بعد تسليمه للفرنج:

وبكت الأمة تسليم أغلى مقدساتها للصليبيين، وكان الشعراء لسان حال الأمة.

قال أبو شامة في «الروضتين» (٢/ ٢٠٥): «ورثاه الرئيس الفاضل شهاب الدين أبو يوسف يعقوب بن محمد المجاور بقصيدة منها:

أعيني لا ترقَي من العَبَرات ... صلي في البُكا الآصالَ بالبكَرات
لعل سيولَ الدمع يُطفئ فيضُها ... تَوقُّد ما في القلب من جَمَرات
ويا قلبُ أسعر نار وجدك كُلما ... خَبت بادّكار يبعثُ الحَسَرات
ويا فمُ بُح بالشجو منك لعله ... يُروّح ما ألقَى من الكُرُبات

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٣٣).

على المَسجد الأقصى الذي جلَّ قَدرُه
على موطن الإخباتِ[1] والصلوات

على منزلِ الأملاك والوحي والهُدى ... على مشهد الأبدال والبَدَلات
على سُلم المعراج والصخرة التي ... أنافت بما في الأرض من صَخرات
على القبلة الأولى التي اتجهت لها ... صلاةُ البرايا في اختلاف جهات
على خير مَعمورٍ وأكرَمِ عامرٍ ... وأشرف مبنيّ لخير بُناةِ
وما زال فيه للنبيين معبدٌ ... يُوالون في أرجائه السجَدات

عفا المسجُد الأقصى المبارك حوله الـ
ـرفيع العماد العالي الشُرُفات

عفا بعدما قد كان للخير موسمًا ... وللبر والإحسان والقُرُبات
يُوافي إليه كل أشعثَ قانتٍ ... لولاه برٌّ دائمِ الخَلَوات
خلا من صلاةٍ لا يملُّ مُقيمها ... تُوشح بالآيات والسوَرات
خَلا من حَنين التائبين وحُزنهم ... فمن بين نُوّاحٍ وبين بُكاة
لَتَبكِ على القُدس البلادُ بأسرها ... وتعلنُ بالأحزان والترحات
لتَبك عليها مكةٌ فهي أُختُها ... وتشكو الذي لاقت إلى عَرَفات
لِتَبكِ على ما حل بالقُدس طِيبةٌ ... وتشرحهُ في أكرم الحُجُرات
لقد أشمتُوا عكا وصورٍ بهدمها ... ويا طالما غادَتهُما بشَمَات
لقد شتَّتُوا عنها جماعة أهلها ... وكل اجتماعٍ مُؤذنٌ بَشتات

(١) الإخبات: الخشوع والتواضع.

وقد هَدَموا مجدَ الصلاحِ بهدمها ... وقد كان مجداً باذخَ الغُرُفاتِ
وقد أخمدوا صَوتًا وصيتًا أثاره ... لهم عُظمُ ما والوا من الغَزَوات
أمـا علمت أبناءُ أيوب أنهُم ... بمسعاته عُدّوا من السرَوات[1]
وأن افتتاحَ القُدس زهرةُ مُلكهم ... وهل ثمرٌ إلا من الزَهَرات
فمن لي بنوّاح يَنُحنَ على الذي ... شَجاني بأصواتٍ لهن شجاة
يُرَددنَ بيتًا للخزاعي قاله ... يُؤبِّنُ فيه خيرة الخيَرات
مدارسُ آيات خَلَت من تلاوةٍ ... ومنزل وحيٍّ مُقفِرُ العَرَصات[2]

وأنشد عبد الرزاق بن رزق اللَّه بن أبي الهيجاء الرَّسْعني لما سمع الخبر بتسليم البيت المقدّس إلى الفرنج خذلهم اللَّه:

تعالوا نُقيم الحزن في مجمع الأنس ... ونصبغُ أثواب المصيبة بالنِّقْس[3]
ونعمل للإسلام أعظمَ مأتمٍ ... كما أن عُبّادَ الطواغيت في عُرس
ونبكي دمًا بعدَ الدموع وإنَّهُ ... قليلٌ على ما قد أُصبنا من القُدس
أيؤخذُ والإسلامُ فيه بقيةٌ ... فوا عجبَا أين النخاةُ من الخُمْس
عذيرك من ضرب النواقيس موضع الـ
أذان وتبديل الأئمة بالقُّس
مَنامًا أرى أم يقظةً ما سمعتُه ... أحقًّا عبادَ اللَّه أم خانني حسي
لئن تمَّ هذا الأمر لا تمَّ إنَّه ... لأشهى إلى نفسي حلوليَ في رَمسي

(١) السروات: أهل الشرف والدين والكرم والمروءة.
(٢) «الروضتين» (٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).
(٣) النِّقس: بكسر النون المشددة: المداد الذي يكتب به، والنَّقس بفتح النون المشددة: العيب.

لئـلا أرى داعي الضـلال مُـصـوِّتًا على المسجد الأقصى يؤذنُ بالنَّقْس[١]
لعـمـرك هذا الرُزء لا هُلكُ هالكٍ ولا سَلبُ مالٍ لا ولا عَدَمُ النَّفْس

ولو قـيل للبيت المقـدس تكلّم عن مـصابـك لقال مـثلما قـال الشاعر:

إن يـكُنْ بالشـام قلَّ نَصـيـري وتَهـدَّمتُ ثـم دامَ هُلـوكي
فلقـد أصـبحَ الغـداة خـرابي سـمـةَ العـار في حـياة الملوك[٢]

سلّم الملك الكامل لفردريك الثاني ملك الفـرنجة القدس ما عدا المسجد الأقصى، سُلِّمت المدينة وسط مظاهر الحزن والسخط سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٩م.

وبقيت في أيديهم حـتى سنة ٦٣٧هـ عندما استـردها الملك الناصر داود ابن أخي الكامل ولكن الناصر سلّمها مرة أخرى سنة ٦٤١هـ. ثم عادت إلى الإسلام نهائيًّا سنة ٦٤٢هـ عندما استردها الخوارزمية، جنود الملك نجم الدين أيوب ملـك مصـر. وقـد بلغ عـدد السنين التي دخلت القـدس فيـها تحت سـيطرة الأوربيين ٩٩ سنة من سنة ١٠٩٩ ـ ١١٨٧م (٨٨ سنة).

ومن سنة ١٢٢٩م ـ ١٢٣٩م (١٠ سنوات).

ومن سنة (١٢٤٢ ـ ١٢٤٣م (سنة واحدة المجموع: ٩٩ سنة).

❀ ❀ ❀

(١) النَّقْس: الضرب بالناقوس.

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلّكان (٦/٢١٨)، و«نفح الطيب» (٢/١٦).

المماليك مغاوير الإسلام.. حفظة فلسطين الأمناء

صارت القدس بأيدي المماليك سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م وبقيت كذلك حتى سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م...

وقفوا سدًّا منيعًا أمام الصليبيين وحرموهم من تحقيق أطماعهم في العودة إلى القدس.

* بيبرس المجاهد العظيم الذي أدّب التتار والصليبيين:

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الذي قال عنه ابن كثير: «كان شهمًا شجاعًا عالي الهمة بعيد الغور مقدامًا جسورًا، يشفق على الإسلام، له قصد في نصرة الإسلام وأهله»[1].

أنشأ الدولة العباسية بعد دثورها، وبقي الناس بلا خليفة نحوًا من ثلاث سنين. أقامه اللَّه عونًا ونصرًا للإسلام وأهله، وشجًا في حلوق المارقين من الفرنج والتتار والمشركين.

أرسل البطل بيبرس إلى مقدم الاستبارية لما نقضوا عهودهم معه:

«ما جعلنا حصوننا إلا خيولنا، ولا خنادقنا إلا سيوفنا، ولا أسوارنا إلا رجالنا. وأما قولكم إن قلاعكم ما تخاف إلا اللَّه، ولا يجسر أحد أن يصل إليها، فسوف تروْن كيف يكون الوصول إليها إن شاء اللَّه تعالى»[2].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٧٥).

(٢) «كتاب السلوك» للمقريزي (١/ ق٢ ـ ٩٦٥).

« من خفي عليه خروج هذه العساكر، وجهل ما علمته الوحوش في الفلاة والحيتان في المياه من كثرتها التي لعلّ بيوتكم ما فيها موضع إلا ويكنس منه التراب الذي أثارته خيل هذه العساكر، ولعل وقع سنابكها قد أصم أسماع من وراء البحر من الفرنج ومَن في موقان[١] من التتر».

▫ فتح بيبرس قيسارية عنوة سنة ٦٦٣هـ، وفتح في طريقه عثليت، والملوحة وحيفا.

▫ وفتح قلعة أرسوف[٢] عنوة سنة ٦٦٣هـ بعد أن أقام الحصار على هذه القلعة أربعين يومًا ليلاً ونهارًا بأنواع الحصار.

ولما أعيا الفرنج الأمر طلبوا الأمان فلم يؤمنّوا، وتسلّقت إليهم الرجال، وأُخِذت، وأُسر من بها غير من قتل. وكان فتح القلعة يوم الخميس حادي عشر من رجب، استسلم قائد القلعة الذي فقد ثلث فرسانه، مقابل الحصول على وعدٍ بالإبقاء على حياة الذين نجوا من القتل. وأثار سقوط هذا الحصن الكبير مشاعر الإفرنج ومخاوفهم، وهذا ما أوحى إلى شاعر الداوية الغنائي «ريسوبونوميل» من التروبادور أن ينظم قصيدة بالغة المرارة يشكو فيها من أن المسيح أصبح ـ فيما يظهر ـ مسرورًا لما حلّ بالمسيحيين من مذلة وهوان»[٣] .

(١) موقان إحدى أقسام أذربيجان، انظر: «السلوك».

(٢) مدينة على الساحل بين قيسارية ويافا.

(٣) «الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة» لبسام العسلي ص(٢٨ ـ ٢٩) ـ دار النفائس.

ولما أرسل المسيحيون الذين في عكا وفداً يطلبون من بيبرس السماح له بمواراة جثث قتلى قرية «قارة» أغلظ في رفض طلبهم، وقال لهم بأنهم إذا كانوا يلتمسون جثث القتلى فسوف يجدونها في وطنهم، ولتنفيذ تهديده هبط إلى الساحل، وقتل كلّ من وقع في يديه من المسيحيين.

❑ كما انتزع الملك الظاهر صفد من بين أيدي الفرنج قهراً سنة أربع وستين وستمائة[1] وتسلم الحصن وقت صلاة الجمعة ثامن عشر شوال.

❑ وتمّ فتح يافا التي تغلّب عليها من قبل الفرنج، ونازلتها ملوك كالناصر صلاح الدين والعادل أخيه وغيرهما، ولم يتفق فتحها، وخُبِّئ للسلطان[2]، وذلك سنة ست وستين وستمائة، تمت إبادة المقاومة، وتدمير القلعة.

❑ وكذلك فتح حصن الشقيف في نفس السنة، وقال الإسلام: هذي بضاعتنا رُدَّت إلينا، وذلك في سابعة يوم الأحد سلخ شهر رجب المبارك.

وبحمد اللَّه قد أصبحت تلك الضالة التي فقدها الإسلام منشودة، وتلك العارية التي استولت عليها يد الكفر مردودة. هذه القلعة التي فرض الداوية سيطرتهم عليها، وأصبح رجالها بعد ذلك أرقاء.

❁ ❁ ❁

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي ص(٢٥٦) ـ الرياض.

* الملك الأشرف خليل، يفتح عكا، ثم يدمّرها سنة ٦٩٠هـ ويطهر كل الساحل من دنس الصليبيين:

سار هذا البطل العظيم لفتح عكا بجيش يضم ستين ألف فارس، ومائة وستين ألفًا من المشاة، ومعهم العرّادات، والمجانيق التي اشتهرت باسم «الثيران السوداء»...

واحتشد النصارى من الداوية والأسبتارية، وفئة من الإنكليز والألمان ومقاتلي قبرص، وانضمّ إليهم بعد مدّة ملك قبرص «هنري»، وكانت تحصينات المدينة قوية ومتينة.

ونصب السلطان الأشرف على عكا اثنين وسبعين منجنيقًا، وقاتل من بها من الفرنج أربعة وأربعين يومًا حتى فتحها عنوة، في يوم الجمعة السابع عشر جمادى الأول، وهدمها كلها بما فيها وحرقها.

أخذها الصليبيون بعد أن غدروا بأهلها في يوليو ١١٩١م بعد مقاومة باسلة من قراقوش، ثم استردها الأشرف خليل في ١٨ من مايو سنة ١٢٩١، أي بعد قرن كامل من الزمان.

ولم تكد عكا تقع في قبضة الأشرف، حتى شرع في تدميرها، واستباحة دورها وأسواقها، ثم إشعال الحريق بها، كما تم تدمير الأبراج والقلاع المنيعة حتى لا تكون رأس حربة لما يقوم به الفرنج الصليبيون من اعتداء على بلاد الشام، ولقد قتل جيش الملك الأشرف خليل في اجتياحه للمدينة حوالي عشرة آلاف صليبي، ولم يقبل السلطان أن يأخذ أسرى من المدحورين، بل فرّق عشرة آلاف منهم على أمراء الجند فقتلوهم عن آخرهم[1].

---

(١) «فتح عكا تذكارات وعلامات تاريخية» مقال للدكتور أحمد السيد الصاوي ـ من مجلة القدس العدد ٢٠ ـ جمادى الأولى ١٤٢١هـ ص(٢٧).

ما مثل عكّا في الحصون لأنها ... أم القرى يأتمّها الكفار
كانت لهم كرسي مملكة إلى ... تحصينها في المعضلات يصار
حتى أتاها الأشرف الملك الذي ... خافت فرنج بأسه وتتار
فشفى صدور المسلمين بفتحها ... ولتفتحنّ بغزوه الأمصار

والحقيقة أن الأشرف لم يلجأ إلى هذه المذبحة انتقامًا لمثيلتها من مائة عام، ولكن قبل ذلك وبعده ليوقع الرعب في قلوب الصليبيين الذين ارتجفت أوصالهم في بقية الإمارات الصليبية في الشام، ورحلوا عن بقية مدن الساحل تباعًا.

وطهرت صور، وصيدا، وحيفا، وجبل الكرمل، وطرسوس، وعثليت. وسيذكر التاريخ لهذه الملك العظيم اقتلاعه لآخر مواقع الفرنج الذين بقوا ـ وعلى امتداد مائتي سنة ـ جرثومة في بلاد الطهر اجتثها سيف الأشرف.

نالت القدس ممن المماليك اهتمامًا كبيرًا، فأنشؤوا المدارس، وأجروا تعميرات على قبة الصخرة والمسجد الأقصى. وفي سنة ٧٧٧هـ جعلوا القدس نيابة مستقلة تابعة للسلطان، بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق، ومن آثارهم أنهم سحبوا الماء من عين العروب إلى القدس. وغدت القدس زمن المماليك مركزًا من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي.. يفد إليها الدارسون من الأقطار كلها.

يقول الأستاذ «محمد حسن شرّاب» في كتابه القيّم «بيت المقدس» (٤٢٥ ـ ٤٣٠):

«وهؤلاء الذين نصفهم بالمماليك، هم الذين هزموا أكبر غزو

وحشي على البلاد الإسلامية، بعد الغزو الصليبي، ألا وهو الغزو المغولي ومعركة عين جالوت تتحدث عنها الركبان، وتُعدُّ رمزًا لقوة الإسلام فالمعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام هي: بَدرٌ، وحطين، وعين جالوت..

.. وعَهد هؤلاء الأفذاذ العلمي، من العهود الزاهرة، وآثارهم العلمية، والعمرانية شاهدة لتاريخهم المجيد.

فقد عددت لهم في القدس وحدها خمسًا وثلاثين مدرسة لتعليم العلوم النافعة وعشرات من المساجد، والبنايات والأوقاف والأربطة، والإصلاحات.. وإنَّ عصرهم كان خيرًا للمسلمين، وللعرب، وللأماكن المقدسة، من العصر التركي، الذي كان يملك العالم في عصره، وأمواله لا يحصيها العدّاد. إنها إذا كانوا مماليك، فإنهم في رأيي مماليك الإحسان، على معنى قول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبدْ قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

❑ وقول الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

فهؤلاء أحسوا في قرارة نفوسهم أنَّ اللَّه أحسن إليهم عندما جعلهم مسلمين وحكامًا، فامتلك قلوبهم هذا الإحسان. لم يفخروا بنسب ينتمون إليه، وإنما فخروا بأعمالهم التي خلدتهم. ومن حقهم علينا، أن نلقبهم بأحبّ الألقاب إليهم في حياتهم، ومن حقهم علينا أن نذكرهم في التاريخ بالصفة التي تدل على الوفاء لهم جزاء ما قدموا للعرب والمسلمين. ومن الأوصاف المناسبة لعصرهم أن نقول «عصر الأفذاذ».

* ثانياً: آثارهم في المسجد الأقصى، والحرم القدسي:

(أ) الأروقة في المسجد الأقصى:

في حرم المسجد الأقصى من جهة الغرب أروقة مبنية بالبناء المحكم. وهي ممتدة من جهة القبلة إلى جهة الشمال.

وأولها: عند باب الحرم المعروف بباب المغاربة. وآخرها عند باب الغوانمة [انظر: «مخطط الحرم الشريف»] وكلها عُمّرت في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في مُدد مختلفة.

فالرواق الممتد من باب المغاربة إلى باب السلسلة، عُمّر سنة ٧١٣هـ.

والرواق الممتد مما يلي منارة باب السلسلة، إلى قرب باب الناظر عُمّر سنة ٧٣٧هـ.

والرواق الممتد من باب الناظر إلى قرب باب الغوانمة، عُمّر سنة ٧٠٧هـ.

(ب) **رُخّم صدر المسجد الأقصى**، أي: حائط المسجد الجنوبي، وفُتح بالمسجد الشباكان اللذان على يمين المحراب وشماله سنة ٧٣١هـ.

(ج) **جُدّد تذهيب قبة الصخرة**، وقبة الأقصى حوالي سنة ٧٢٠هـ.

(د) **عُمّرت القناطر** التي تسمّى «الميازين» على رأس المرقبين الشماليين بصحن قُبة الصخرة، أحدهما مقابل باب حطّة، والآخر مقابل باب شرف الأنبياء، وكانت عمارة الأول سنة ٧٢١هـ والثاني سنة ٧٣٦هـ.

(هـ) **جُددت عمارة باب القطانين سنة ٧٣٦هـ**، وهو أحد أبواب الحرم الغربية.

(و) **المدرسة الجاولية**: (ولتعرف بكلية روضة المعارف الوطنية سابقًا) وهي واقعة في الجهة الشمالية الغربية من ساحة الحرم الشريف. وقفها الأمير علم الدن سنجر الجاولي نائب غزة سنة ٧١٥هـ وكان من أهل العلم وله مصنفات كثيرة.

(ز) **سبيل قايتباي**: بناه السلطان قايتباي سنة ٨٨٧هـ.

(ح) **المدرسة التنكزية**: واقفها الأمير تنكز، نائب الشام، وهي مدرسة مُتقنة البناء. وموقعها على يمين الداخل إلى الحرم الشريف من باب السلسلة، وهو باب الحرم الرئيس. وعلى باب المدرسة نقش يفيد بناء المدرسة سنة ٧٢٩هـ.

(ط) **الرخام المبني** في حائط المسجد الأقصى الجنوبي عند المحراب لجهة الشرق... وهو من آثار تنكز نائب الشام.

(ي) جدّد تنكز، قناة الماء الواصلة إلى مدينة القدس من العَرُّوب سنة ٧٢٧هـ ووصلت إلى القدس، ودخلت وسط الحرم سنة ٧٢٨هـ. وبنى تنكز البركة الرخام التي بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

(ك) **مئذنة باب الأسباط**: عُمرت في أيام الملك الأشرف شعبان سنة ٧٦٩هـ. وجددت في أيامه الأبواب الخشبية المركبة على أبواب المسجد الأقصى، وعمارة القناطر على السلالم الموصلة إلى صحن قبة الصخرة المقابل لباب الناظر.

(ل) **منبر برهان الدين**: مبنيّ بألواح من الرخام الأبيض على رأس السلم المقابل للباب الجنوبي لقبة الصخرة. وقد عمره قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة وإلى جانبه إلى الغرب منه محراب. ويُصلَّى في

هذا المكان العيد والاستسقاء وتوفي القاضي المذكور سنة ٧٩٠هـ.

. . هذا ما تيسرت معرفته من إنشاءات وإصلاحات الأفذاذ في منطقة الحرم الشريف، وأذكر الآن بإيجاز أسماء المدارس التي أوقفوها في القدس الشريف لخدمة المجاورين في المسجد الأقصى.

*** ثالثًا: المدارس التي أوقفها السلاطين الأفذاذ، لخدمة أهل المسجد الأقصى:**

- دار الحديث: سنة ٦٦٦هـ.
- المدرسة الدوادارية، وتعرف اليوم بمدرسة الإناث الإسلامية سنة ٦٩٥هـ.
- المدرسة السلامية: سنة ٧٠٠هـ.
- المدرسة الكريمية: بالقرب من باب حطة سنة ٧١٨هـ.
- المدرسة الجاولية: سنة ٧١٥هـ.
- المدرسة التنكزية: نسبة إلى تنكز، والي الشام. سنة ٧٢٩هـ.
- المدرسة الأمينية: على الجانب الغربي من الطريق المؤدي باب الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء سنة ٧٣٠هـ.
- المدرسة الملكية: في الجهة الشمالية من الحرم سنة ٧٤١هـ.
- المدرسة الفارسية: في الجهة الشمالية من الحرم سنة ٧٥٥هـ، وواقفها الأمير فارس الدين، نائب غزة.
- المدرسة والتربة الأرغونية: بالقرب من باب الحديد سنة ٨٥٩هـ. ودفن فيها الملك حسين بن علي.
- المدرسة الطشتَمْرية: بباب الناظر: سنة ٧٥٩هـ.

- المدرسة المنكيّة: بالقرب من مدخل الحرم الغربي المعروف بباب الناظر، وكان يشغل مبناها دوائر المجلس الإسلامي الأعلى سابقًا. سنة ٧٦٢هـ.
- المدرسة الطازية: بطريق باب السلسلة لجهة الشمال. سنة ٧٦٣هـ.
- المدرسة الشيخونية: سنة ٧٦١هـ.
- دار القرآن السلامية: على الجانب الغربي من طريق باب السلسلة سنة ٧٦١هـ.
- المدرسة المحدثية: عند باب الغوانمة سنة ٧٦٢هـ.
- المدرسة الإسعردية: في الجهة الشمالية من الحرم سنة ٧٦٠هـ.
- المدرسة اللؤلؤية: سنة ٧٨١هـ.
- المدرسة البلدية: في الجهة الشمالية من باب السكينة، ويسمونه باب السلام، وهذا الباب بحذاء باب السلسلة لجهة الشمال سنة ٧٨٢هـ.
- المدرسة الخاتونية: بالجهة الغربية من الحرم على يمين الخارج من باب القطانين وقد دُفن فيها الزعيم الهندي مولانا محمد علي. ودفن فيها موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية، وابنه الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في معركة القسطل ٨/ ٤/ ١٩٤٨م.. والمدرسة موقوفة سنة ٧٥٥هـ، وأُكملت سنة ٧٨٢هـ.
- المدرسة البارودية: بباب الناظر، سنة ٧٦٨هـ.
- المدرسة الحنبلية: بباب الحديد، في سنة ٧٧٧هـ.
- المدرسة الجهاركسية: سنة ٧٩١هـ.
- المدرسة الصبيبية: في الجهة الشمالية من ساحة الحرم سنة ٨٠٩هـ.
- المدرسة الكاملية: بخط باب حطّة لجهة الغرب. أوقفت سنة ٨١٦هـ.

- المدرسة الباسطية: شمال الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (باب الملك فيصل) سنة ٨٣٤هـ.
- المدرسة الطولونية: بداخل ساحة المسجد الأقصى عند الرواق الشمالي، يُصعد إليها من السلم الموصل إلى منارة باب الأسباط. سنة ٨٠٠هـ.
- المدرسة الغادريّة: في الجهة الشمالية من ساحة الحرم بين باب شرف الأنبياء ومئذنة باب الأسباط. سنة ٨٣٦هـ.
- المدرسة الحسنية: بطريق باب الناظر سنة ٨٣٧هـ.
- المدرسة العثمانية: وتعرف بدار الفتياني واقعة على يسار الخارج من الحرم من باب المتوضأ المعروف بباب المطهرة سنة ٨٤٠هـ.
- المدرسة الجوهرية: بطريق باب الحديد في الجهة الشمالية، وتعرف بدار الخطيب سنة ٨٤٤هـ.
- المدرسة المزهريّة: بباب الحديد سنة ٨٨٥هـ.
- المدرسة الأشرفية: على ميسرة الداخل على الحرم عند باب السلسلة، وتقف على سطحها مئذنة باب السلسلة سنة ٨٨٥هـ. بناها السلطان قايتباي. وله أيضًا السبيل المعروف باسمه داخل الحرم بناه سنة ٨٨٧هـ، ومن آثاره المرقى الموصل إلى صحن قبة الصخرة في الجهة الجنوبية الغربية بالقرب من المدرسة النحوية وفي سنة ٨٨٧هـ بني مئذنة جامع عمر، بجوار كنيسة القيامة.
- دار الخطابة: واقعة بظاهر سور المدينة المحيط بالمسجد الأقصى من جهة الجنوب، بجوار الزاوية الختنية من جهة الغرب، ويرجع بناؤها إلى نهاية القرن التاسع الهجري.

فلسطين
والخلافة العثمانية

فلسطين أيام الخلافة العثمانية

(٩٢٢هـ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٥١٧ ـ ١٩١٧م)

❑ دخلت القدس في حماية الأتراك أواخر أيام عام ٩٢٢هـ في عهد السلطان سليم، وهو السلطان التاسع من سلاطين آل عثمان.

وكان أول نائب تركي على القدس هو «جان بردي الغزالي»، وكانت ولايته نذير شؤم على القدس؛ لأن هذا الرجل خان قائده قانصوه الغوري، واتصل بالسلطان سليم سرًّا واتفق معه على أن ينسحب هو وخير بك من جيش الغوري في معركة مرج دابق. وكان أحدهما على ميمنة الغوري، والآخر على يساره.

فكانت هزيمة جيش الغوري بسبب ذلك، فكافأه السلطان سليم بأن ولاّه نيابة الشام، ومنها القدس. وبعد موت السلطان سليم طمع في السلطنة، واتصل في هذا السبيل بفرسان القديس يوحنا في رودس لمساعدته، ولكن اللّه جعل منيته في تدبيره، فمات ولم يصل إلى مطمعه»[1].

❑ في عام ١٥٢٠م، تولّى السلطان سليمان القانوني، وفي عهده جُدِّد آخر سور حول القدس الشريف.

❑ وفي عام ١٢٤٧هـ ١٨٣١م سقطت القدس في أيدي إبراهيم باشا بن محمد علي باشا المصري.

ولكن إبراهيم باشا اضطر إلى ترك البلاد سنة ١٨٤٠م تحت ضغط الدول الكبرى.

❑ وفي عام ١٨٧٤م ١٢٩١هـ ارتبطت متصرفية القدس بوزارة الداخلية في استانبول، وفي سنة ١٩١٧م. سقطت في أيدي بريطانيا.

---

(١) «بيت المقدس» لشراب ص(٤٥٧)، و«الكواكب السائرة» (١/ ١٦٨).

حفاظ السلطان عبد الحميد على فلسطين والديار الإسلامية

لعل الموقف الذي وقفه السلطان عبد الحميد من فلسطين والصمود الذي أبداه تجاه جميع المحاولات التي بذلها زعماء الصهيونية العالمية كافيان في نظر الباحث العربي المسلم، لتثمين دور السلطان عبد الحميد في الحفاظ على وحدة الأراضي الإسلامية وعدم التفريط بشبر واحد منها، رغم المتاعب السياسية والمالية والعسكرية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية إبّان تلك الفترة، والتي استغلتها الصهيونية أبشع استغلال لتنفيذ وعيدها له باسقاطه عن عرشه، عندما لم يتجاوب مع الوعود والإغراءات اليهودية.

ولم يكن «تيودور هرتزل» هو الوحيد الذي سعى لمقابلة عبدالحميد وحاول استدراجه، لتحقيق مآرب الصهيونية، فلقد تكررت المحاولات واختلفت الوسائل والأساليب، ولم تصل الصهيونية إلى بغيتها، إلا بعد أن نجحت في مخططها لإبعاد عبد الحميد عن عرش الخلافة الإسلامية.

وقد روى الشيخ طه الولي[1] أنه زار مع أخيه فؤاد الولي ـ قبل وفاته ـ في ١١ أيلول سبتمبر ١٩٦٧ الشيخ علي شيخ العرب في بيته بطرابلس الشام بلبنان، واستمعا منه إلى هذه الرواية:

كان ذلك عام ١٩٠١م ونحن في قصر يلدز باستانبول، وإلى

---

(١) الشيخ طه الولي، عالم وبحاثة لبناني فاضل، يعمل أمينًا للمكتبة العامة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، أما شقيقه فؤاد فقد كان رحمه اللّه، أستاذًا للتاريخ في كلية التربية والتعليم بمدينة طرابلس الشام بلبنان.

جانبي الشيخ محمود الجيزاوي، أمام جامع العرب في دار السعادة، وإذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد الثاني فاستقبلهم تحسين باشا رئيس الكتاب وهم:

١ ـ مزاحي قراصو مدير أحد البنوك.

٢ـ جاك ولم أعد أذكر باقي اسمه.

٣ـ ليون ولم أعد أذكر باقي اسمه.

وأصر على معرفة ما يريدون لينقله حرفيًّا للسلطان فأبدوا استعدادهم لـ:

١ـ الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية.

٢ـ بناء أسطول لحماية الدولة.

٣ـ تقديم قروض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة؛ لانعاش مالية الدولة وإنماء مواردها مقابل:

١ـ إباحة دخول اليهود إلى فلسطين في أي يوم من أيام السنة للزيارة.

٢ـ السماح لليهود بإنشاء مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس أثناء الزيارة.

وحينما نقل تحسين باشا ما سمعه إلى السلطان أجابه: قل لهؤلاء اليهود الوقحين:

١ـ إن ديون الدولة ليست عارًا عليها لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة ولا يضيرها ذلك.

٢ـ إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مره سيدنا عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ولست مستعدًّا أن أتحمل تاريخيًّا وصمة بيع الأراضي

المقدسة لليهود، وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها.

٣ـ ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام.

وأخبراهم أن يخرجوا وألا يحاولوا مقابلتي أو الدخول لهذا المكان بعدها..

ويستمر الشيخ علي شيخ العرب[1] في روايته فيقول: إن عبدالحميد أرسل بعد ذلك إلى ممدوح باشا ناظر الداخلية ليكلفه بالاتصال برؤوف باشا متصرف القدس الشريف ليقوم بالتحري فوراً عن اليهود في فلسطين ولا سيما في القدس، بحيث لا يبقى منهم إلا الزائرون لمدة محدودة.

ويقول: إن اليهود نجحوا في استخدام جمعية «الاتحاد والترقي» التي تقنعت بها جماعة «الدونمة»، وهم المتظاهرون بالإسلام من يهود أسبانيا، فاطاحوا بعبد الحميد عام ١٩٠٨، ولم تكن «المشروطية»[2] غايتهم، بل أنهم قاموا برشوة بعض المشايخ للخروج في الشوارع والمناداة بـ «الارتجاعية»[3] لإخراج السلطان ولدفع الاتحاديين للثورة، تمهيداً

(١) الشيخ علي شيخ العرب، أحد شيوخ العرب الذين قربهم إليه السلطان عبد الحميد فعاشوا في كنفه وفي رحاب قصره «يلدز».

(٢) المشروطية: دعوة إلى إباحة الحريات العامة والمشاركة في الحكم والعمل بالدستور.

(٣) الارتجاعية: دعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وهي ما يعرف اليوم بـ«الرجعية»، وهي حادث ٣٠ مارت الذي أدى إلى الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد بعد أن تم تدبير مجزرة كبرى في استانبول نسبت للارتجاعيين، وصورت على أنها مرتبة ومخططة لتثبيت نفوذ عبد الحميد والانقضاض على المشروطية الثانية، كما حصل في أعقاب المشروطية الأولى.

إلا أن الوثائق أثبتت كما سنورده في الباب القادم، أنها تمت بتدبير من الاتحاديين =

للتخلص من الإسلام نفسه.

وهذه الرواية الشخصية تعزز الروايات العديدة التي تناقلتها مختلف المصادر حول مساعي اليهود المتكررة مع السلطان عبد الحميد الثاني، لانتزاع موافقته على تسهيل هجرتهم إلى فلسطين[١].

وقد بعث السلطان عبد الحميد برسالة إلى شيخه محمود أبوالشامات شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق بعد خلعه من الخلافة، نشرتها مجلة العربي، وهذا نصه يا هو[٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

خطاب عبد الحميد الثاني للشيخ محمود أبو الشامات.

الحمد للّه رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة[٣]، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي

= والمأسورنيين والانكليز وقد وردت ـ اتهامات هذه الجهات صراحة في مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، وفي اعترافات لكل من أنور باشا، وجمال باشا عبر مذكراتهما عقب اقصائهما عن الحكم.

(١) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ـ ترجمة د. محمد حرب عبد الحميد.

(٢) يا هو: الذكر بالاسم المفرد «اللّه اللّه» يا خليفة المسلمين لا يجوز، والذكر بالاسم المضمر هو نوع من الهوس.

(٣) مفيض الروح والحياة هو اللّه سبحانه وتعالى. وليس شيخ الطريق الشاذلية، وهكذا يقع خليفة المسلمين في الشرك ـ رحمه اللّه ـ وعافاه. وما سقطت الخلافة العثمانية إلا بمثل هذه المعتقدات البدعية. سقطت لما كان المستشار الدّيني لها محمد أبو الهدي الصيادي شيخ الرفاعية الذي سمّاه الكواكبي «البغل المزركش» وأتى بالأقوال الطوام. لما انتشرت البدع والشركيات نالها ما نالها.

الشامات، وأقبل يديه المباركتين، راجيًا دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعـرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢ مارس في السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيدي! إنِّى بتوفيق اللَّه تعـالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية[١] ليلاً ونهـارًا، وأعرض أنني ما زلت مـحتاجًـا لدعواتكم القلبيـة بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمـثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ:

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني ـ بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون ترك» وتهديدهم ـ اضطررت وأُجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصـرّوا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليـهود في الأرض المقدسة «فلسطين»، ورغم إصـرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.

وأخيرًا وعـدوا بتقديم (١٥٠) مـائة وخمسين مليون ليـرة إنكليزية ذهبًا. فرفضت هذا التكليف بصورة قطعيـة أيضًا، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي:

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبًا ـ فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا ـ فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.

---

(١) الأوراد الشاذلـية بما فيـها من بدع واسـتغـاثة وطلب المدد من غيـر اللَّه.. وأنت خليـفة المسلمين رحمك اللَّه وغفر لك.

لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية، ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلم أسوّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي، والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضًا».

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير، هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية، والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة «فلسطين».

وقد كان ذلك ما كان. ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على اللّه المتعال، وأعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام، وبه أختم رسالتي هذه. ألثم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي وسلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم لقد أطلت عليكم البحث، ولكن دفعني لهذه الإطالة، أن أحيط سماحتكم علمًا، وتحيطوا جماعتكم بذلك علمًا.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

٢٢ أيلول ١٣٢٩ خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

وكان بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا، وقد وجّه مذكرة إلى سفيره بالأستانة عام ١٨٤٠ قال فيها:

«يقوم بين اليهود والمبعوثين الآن في كل أوربا شعور قوي، بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين تأخذ في الاقتراب..

ومن المعروف جيداً أن يهود أوربا يمتلكون ثروات كبيرة. . ومن الواضح أن أي قطر يختار أعداد كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود.

فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان، فسيكون في هذا حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه، وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل».

وحتى إذا لم يؤد هذا التشجيع الذي سيقدمه السلطان لليهود بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم في حدود الإمبراطورية العثمانية، إلا أن إصدار قانون من هذا النوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوربا، وسترى الحكومة التركية في الحال كم سيكون مفيداً لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين في كثير من الأقطار بقانون واحد بسيط منها».

وبعد عام واحد أرسل بالمرستون رسالة أخرى إلى سفيره في الأستانة طالبه فيها بإقناع السلطان بإباحة هجرة اليهود وقال:

«سيكون مفيداً جداً للسلطان إذا ما أغرى اليهود المبعثرين في أوربا وإفريقيا بالذهاب والتوطن في فلسطين، لكن اليهود يطلبون نوعاً من الأمان الحقيقي الملموس، ولذلك فإني أقترح أن يكون في استطاعتهم الاعتماد على حملة بريطانيا، وأن يسمح لهم بأن ينقلوا إلى الباب العالي شكاواهم عن طريق السلطات البريطانية».

كما استعان اليهود الروس بالسفير الأمريكي في الأستانة ليبذل نفوذه ومساعيه لدى السلطان عبد الحميد بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، خصوصاً بعد قرار الولايات المتحدة الأميركية عام (١٨٨٢م)،

وذلك بتحديد هجرة اليهود إليها، لكن وزير خارجية عبد الحميد أخفق في إقناعه، ومضى نحو خمس سنوات والمحاولات اليهودية جارية دون كلل أو ملل، حين جاءت محاولة كبرى من بريطانيا لدى السلطان عام (١٨٨٧م) بذلت فيها كل جهودها وإغراءاتها المالية ووعودها العلنية والسرِّية، بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، لكن عبد الحميد ثبت على رفضه القاطع.

❑ وكانت الهجرة اليهودية قد بدأت من روسيا القيصرية أثر قيام منظمة «عشاق صهيون» باغتيال القيصر الروسي إسكندر الثاني بالقنابل في ١٣ آذار مارس (١٨٨١م)، وحملة السلطات الروسية لتصفية اليهود بعدها.

وقد قبلت السلطات الروسية إيواء بعض اليهود الهاربين من روسيا لكن مطامع اليهود تطورت عقب المؤتمر الصهيوني الأول ببال في سويسرا[1].

وقد تمكنت حركة التهجير اليهودية «البيلوا» في عام (١٨٨٢م) من إيصال ٢٠ مستعمرًا يهوديًّا إلى فلسطين اعتبروا «رواد» الهجرة اليهودية، وعملوا على تحويل عدة قرى عربية صغيرة نائية إلى مستعمرات صهيونية ولكنهم فشلوا في الزراعة فشلاً ذريعًا ولولا مساعدات البارون إدمون دي روتشيلد لماتوا جوعًا ومرضًا.

❑ وقيل أيضًا أن السير موسى مونتفيوري خاطب إبراهيم باشا والي محمد علي على الشام ليسمح لهم بهجرة اليهود إلى فلسطين، وأبدى

---

(١) انظر: د. صالح مسعود أبو بصير ـ «جهاد شعب فلسطين» ـ رسالة دكتوراه بالأزهر ـ دار الفتح ـ بيروت.

استعداده لشراء الأراضي اللازمة لاستيطان اليهود في فلسطين، ولكن إبراهيم باشا رفض هذا العرض.

❑وفي عام (١٨٩٦م) اتصل هرتزل بدوق بادن الأكبر وطلب منه أن يحصل له على إذن لمقابلة مع قيصر ألمانيا، وشرح له الفوائد التي ستعود من هذا المشروع، إذا تم تقسيم الدولة العثمانية في المستقبل القريب فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين حاجزًا، وتستطيع أن تلعب دورًا في المحافظة على تركيا، وأن تسند السلطان بالمال إذا هو تخلى عن قطعة أرض لا قيمة لها عنده.

كما أثار القضية لدى قيصر روسية عن طريق دوق هس حمي القيصر.

❑وعندما أرسل السلطان عبد الحميد الثاني مندوبًا سريًّا لأوربا للاتصال بالأرمن اللاجئين بعد تشكيلهم اللجان ونضالهم للتحرر، عرض هرتزل مساندة اليهود في قضية الأرمن ـ كما جاء في مذكراته ـ مقابل خدمات مؤكدة للقضية الصهيونية، ولكن عبد الحميد رفض العرض.

❑وقد أرسل «المسيو كريسبي»[(١)] مقالاً حول القضية الصهيونية يشير فيه الكاتب إلى حادث وقع خلال سنتي (١٩٠٠ ـ ١٩٠١م) قال كريسبي: «كان الدكتور هرتزل[(٢)] في ذلك العهد رئيس تحرير القسم

(١)وردت هذه الشهادة في صحيفة تركية اسمها «أقشام» أي: المساء بقلم صحفي إنكليزي يدعى «كريسبي»، وقد نقلتها جريدة «المعرض» البيروتية في عددها الصادر يوم ١٠ كانون الثاني يناير ١٩٣٣م ص(٢٩).

(٢)الدكتور تيودور هرتزل يهودي بولوني ولد في بوادبست (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) وأقام في فيينا، اشتغل في التأليف المسرحي والصحافة وتأثر بقضية الجاسوس الفرنسي اليهودي «دريفوس» وألف كتابه «دير يودنيشتات» أي: الدولة اليهودية عام ١٨٩٦ وترأس أول =

الأدبي في جريدة «نيوفري» في فيينا، فأرادني أن أسعى له في مقابلة السلطان عبد الحميد بعد أن بسط لي بحزن شديد كيف أن غليوم «امبراطور ألمانيا» والبرنس دوبيلوف خدعاه لما رافقهما في رحلة الإمبراطور إلى فلسطين.

فقد وعده هذا الأخير أن يقدمه إلى السلطان، فلما وصلوا إلى الاستانة اكتفى البرنس بأن عرفه إلى عزت باشا «العابد» الذي ما كاد يسمع بالقضية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات ووجد أنها مزراب من الذهب، وقد قبلت أن أهتم شخصيًّا بقضية الدكتور هرتزل وخصوصًا أن هذه المطالبة لم تكن تعاكس المساعي التي كنت أقوم بها يومئذ.

وبدأت بكل شجاعة عملي، فاصطدمت في البداية بصعوبات خفية ولولا مساعدة شيخ الإسلام «جمال الدين أفندي» وكنت على صلة دائمة به، لفقدت كل أمل بنجاح مساعي، فإن هذا الشيخ أخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور هرتزل وتقدماته، وكانت هذه التقدمات باهرة وإليك بيانها:

أن الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين في أنحاء العالم بفلسطين أن يدفعوا الدين العثماني البالغ «إذا لم تخني الذاكرة» ٣٣ مليون ليرة إنكليزية، ويتعهدون كذلك ببناء أسطول كامل للدفاع عن

= مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا في ٢٨ آب اغسطس ١٨٩٧م كما قابل السلطان عبدالحميد في إطار مساعيه لتوطين اليهود بفلسطين، والمعروف أن الصهيونية بقيت مفتقرة إلى التخطيط، حتى تمكن هرتزل من عقد ذلك المؤتمر الذي حضره ٢٠٤ من مندوبي سائر الجمعيات الصهيونية في مختلف أرجاء العالم.

أراضي الدولة العلية.

وفي هذه الأثناء قبل «أي: هرتزل» أن يعقد للدولة العثمانية قرضًا بمبلغ مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام، ولكن هذه المساعي حبطت ولم تنجح.

❑ يعتبر «ليو بنسكر» (١٨٢١ ـ ١٨٩١م) الداعية الأول للحركة الصهيونية، ثم تلاه «آحاد هاعام» (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧م) الذي اعتبر المفكر الأول للصهيونية بمفهومها الحديث، أما المؤسس الحقيقي للصهيونية كحركة سياسية فهو «تيودور هرتزل» (١٨٠٦ ـ ١٩٠٤م).

ورواد الصهيونية هؤلاء جميعًا يتفقون على فكرة الإستيلاء على الأرض، رغم الخلافات البسيطة على الأساليب.

❑ وقد رسم هرتزل سياسة الاستيطان الصهيوني المبرمج فقال في «يومياته» عام (١٨٩٥م) ما يلي: «يتوجب علينا أن ننزع الملكية الخاصة لأراضي فلسطين من أيدي ملاكها، وينبغي أن يكون ذلك في لطف، وفي منتهى السرية والتكتم والحذر الشديد، وعلينا أن نقوم بتهجير السكان المعدمين ـ الفلسطينين ـ عبر الحدود، بعد أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا ـ فلسطين ـ بينما نحاول تأمين استخدامهم وتشغيلهم في بلدان العبور». «يوميات هرتزل: ط٢، بيروت ١٩٧٣م».

❑ وفي عام (١٨٩٨م) سئل هرتزل عن الحدود الشمالية للدولة اليهودية المقترح إقامتها في مؤتمر بال (١٨٩٧م) وما إذا كانت ستقف حدودها عند بيروت أم تتعداها شمالاً فقال: «عندما نصل إلى بيروت سوف يكون من المهم أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، إن حدود دولتنا سوف تتوقف على عدد المهاجرين إليها، كلما كان هناك مهاجرون، كلما

احتجنا إلى مساحات من الأرض أوسع». «يوميات هرتزل، المصدر السابق».

□ أما الكابتن «نورمان بنتويتش» المفكر الصهيوني الأميركي الذي تولى مهمة نائب المندوب السامي البريطاني على فلسطين أيام «هربرت صموئيل» الإنكليزي فقد ذكر في كتابه «فلسطين اليهود: الماضي والحاضر والمستقبل» الذي أصدره عام (١٩١٩م)، النظرية الصهيونية التوسعية التي يسميها «حكماء صهيون» بنظرية «جلد الغزال» فقال: «إن رقعة الأرض التي يمكن أن يمتد عليها الاستعمار الاستيطاني هي من البحر المتوسط إلى نهر الفرات، ومن جبال لبنان إلى نهر مصر النيل».

وكان الاستيطان الصهيوني قد بدأ بشكل منظم منذ عام (١٨٥٥م) بقدوم اليهودي البريطاني «موسى مونتفيوري» الذي تمكن من شراء بيارة برتقال قرب يافا لتكون أول «موشاف» صهيوني ـ قرية زراعية فردية بعكس «الكيبوتز» فهي قرية زراعية جماعية ـ وفي عام (١٨٧٠م) أنشيء أول معهد زراعي صهيوني قرب يافا أيضًا بتمويل من «روتشيلد»، وفي عام (١٩٠١م) تم تأسيس الصندوق القومي اليهودي «كيرن كايميت» تنفيذًا لبروتوكولات حكماء صهيون بضرورة شراء أراضي فلسطين لتوطين الشعب اليهودي[1].

---

(١) لا يخفى أن المساعي الصهيونية لم تفتر لحظة واحدة لخلق الكيانات الطائفية في المنطقة، رغم إنفضاح هذا المخطط وتوقف «إسرائيل» وزبانيتها عن تنفيذه مرات عديدة، ذلك أن الكيان «الإسرائيلي» بحد ذاته، كيان عنصري طائفي، فضلاً عن إفتقاره لإمكانات الدولة الحقيقية، ولولا الدعم الأميركي المستمر لزال ذلك الكيان المصطنع تلقائيًا.

وقد كانت التجربة المرة التي عانتها «إسرائيل» إبان العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) حينما وقف الجنرال دوايت أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة إلى جانب القضية =

وبعد نجاح المؤامرة اليهودية بالإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني على يد الاتحاديين عام (١٩٠٩م) أصدر «الاتحاديون» تشريعًا يقضي ببيع جميع الأراضي السلطانية في الدولة وبالمزاد العلني! ولولا يقظة عرب

= العربية من زاوية الحرص الخالص على المصالح الأميركية في المنطقة، درسًا بليغًا أكد للصهاينة في «إسرائيل» وأميركا ضرورة الحرص على عدم تكرار هذه التجربة ـ التي قد لا تحتملها «إسرائيل» ـ ثانية، مما حدا بهم لبرمجة العمل للسيطرة على البيت الأبيض والخارجية والدفاع والمخابرات، ومجلس الشيوخ والنواب ومختلف الأجهزة العسكرية والإعلامية، والجامعية والثقافية والمالية والاقتصادية، ومراكز البحوث والدراسات والاستفتاءات، لضمان استمرار الانحياز الأميركي لتثبيت وجود ذلك الكيان اليهودي المصطنع في المنطقة العربية، وفي قلب العالم الإسلامي.

ومن المؤلم أن يشهد العرب والمسلمون في هذه الآونة المظلمة من تاريخنا، بدايات تنفيذ تلك المشاريع التقسيمية، التي لم يعد الخجل ليمنع دعاتها من رفع عقيرتهم الطائفية، دون الحاجة للبحث عن أعذار أو مبررات منطقية، بحيث تخطوا في «جرأتهم» الأجهزة الاستعمارية في أسوأ أيام الانتدابيين الفرنسي والإنكليزي، ولعل الأشد إيلامًا أن هذه «الوقاحة الطائفية» تتم على مسمع ومرأى من آذان وأعين الأمة بمختلف فئاتها وأقطارها، دون أن يتحرك ساكن، وكأن المشاعر تبلّدت، والهمم فترت، والنخوة طارت من الرؤوس، التي أصبحت مفرغة من العقول، فراغ القلوب من تقوى اللّه وخشية العاقبة!.

ولقد أكد الكاتب الأميركي ستيفن غرين في كتابه «الانحياز» أن اليهود ما كانوا ليحققوا هذه السلسلة من الانتصارات بدءًا بحرب (١٩٤٨م)، وحتى غزو لبنان (١٩٨٢م)، بل حتى اليوم، لولا التورط الأميركي التدريجي في الانحياز إلى «إسرائيل» ضد العرب، معززًا قناعته بمجموعة من الوثائق السرية التي عثر عليها في ملفات الاستخبارات الأميركية وغيرها من الدوائر المعنية، والتي تؤكد جميعها أن الجيش «الإسرائيلي» بدون الدعم الأميركي في ألمانيا ونقلها إلى «إسرائيل»، كما يكشف عن المخالفة التي ارتكبها عسكريون أميركيون للدستور الأميركي بمحاربتهم إلى جانب «إسرائيل» عام (١٩٤٨م)، دولاً ليست في حالة حرب مع أميركا، أيام الرئيس الصهيوني «ترومان»، كما يكشف من جانب آخر أن موسكو سهلت عدة مرات تهريب الأسلحة والمحاربين إلى «إسرائيل»، مما يؤكد تواطؤ الشرق والغرب على قضيتنا العربية والإسلامية، التي لا حل لها إلا بالجهاد، مهما عزّت التضحيات.

فلسطين، واندلاع الحرب العالمية الأولى، لضاعت فلسطين كلها منذ ذلك التاريخ، فقد بلغ عدد المستوطنات التي شيدها اليهود خلال السنوات ما بين (١٩١٠ ـ ١٩١٤م) ٣٩ مستوطنة تضم نحو ١٢ ألف يهودي هم مجموع من كان في فلسطين آنذاك. «بلاد فلسطين: مصطفى الدباغ».

وهكذا نجد أن المشروع الصهيوني قطع خطوات واسعة في أيامنا هذه، بالمقارنة مع خطواته المتعثرة منذ «موشاف مونتفيوري»، وقد نجح الصهاينة في تحقيق نظرية «جلد الغزال» التي استمد منها كيسنجر نظريته المعروفة بـ«سياسة الخطوة خطوة»، حتى التهمت «إسرائيل» غزة وسيناء، والضفتين والجولان، ثم صعدت إلى جنوب لبنان ودخلت بيروت وسيطرت على منابع الحاصباني والليطاني والوزاني، ودان وبانياس والأردن، وبحيث أصبح «سد المخيبة» الذي أقيم منذ سنوات طويلة على نهر اليرموك رمزًا للـ «الخيبة العربية» التي جسدتها أحداث لبنان المأساوية وجراحه النازفة منذ بداية الفتنة الطائفية الجديدة بافتعال «حادث الباص» في عين الرمانة ببيروت يوم ١٣ نيسان أبريل (١٩٧٥م)، والتي أدت إلى خراب لبنان وهيأت الأجواء لتنفيذ المخطط الصهيوني القديم الهادف لإقامة سلسلة من الدويلات الطائفية في المنطقة لتبرير وجود «إسرائيل» ككيان عنصري[1].

---

(١) منذ إعلان الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة عام (١٩٤٧م) كان اليسار العربي يقف جنبًا إلى جنب مع عملاء الغرب في بلادنا، ولا غرو فقد كان الإتحاد السوفيتي أول المعترفين بقيام «إسرائيل» وعلى رأسهم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول المعسكرين الغربي والشرقي، ولكن حقدهما الصليبي المتأصل، وخوفهما الموروث من شبح «المارد الإسلامي» قد جمع بينهما للاتفاق على زرع هذا الكيان الدخيل، لضمان استنزاف قوى وطاقات هذه المنطقة.

. . . . . .

= ولقد تكرس هذا اللقاء «الشرقي ـ الغربي» بصورة جلية من خلال المحاولات المبذولة في السر والعلن لتحقيق «التفاهم» بين «إسرائيل» «والعرب»، حيث بدأ مسلسل مساعي الحوار «العربي ـ الإسرائيلي» منذ عام (١٩٥٦م)، حينما وجه المحامي المصري اليساري يوسف حلمي بالاشتراك مع الزعيم الشيوعي اليهودي «المصري» هنري كوريال رسالتين لكل من جمال عبد الناصر، وبن جوريون يدعوانهما فيهما باسم «الحركة الديموقراطية» و«حركة السلام المصرية» لعقد مؤتمر للسلام بمشاركة الدول العربية «وإسرائيل» ودول عدم الانحياز والدول الكبرى، ولكن العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) أجهض تلك المحاولة.

وحين نستعرض أسماء «أبطال السلام» على الجبهة «الإسرائيلية» لا يجد بينهم إلا الأيدي القذرة الملطخة بالدماء، بل إن بين ضحاياهم أبطالاً حقيقين للسلام، وأولهم: «ناتان يالين ـ مور» وهو رئيس عصابة «شتيرن»، قاتل «الكونت برنادوت» مندوب الأمم المتحدة إلى فلسطين عام (١٩٤٨م)! وثانيهم «عاموس كنعان» الكاتب الصهيوني المعروف والعضو في عصابة «شتيرن» أيضًا، أما ثالثهم فهو «يوري أفنيري» وهو بدوره إرهابي قديم في منظمة «أرغون» وعضو «الكنيست الإسرائيلي»، والبطل الرابع هو «أريك رولو» وهو اسم مستعار لشخصية إرهابية يهودية مصرية سبق أن طردت من مصر في أعقاب فضيحة «لافون» الشهيرة وأعني به «إلياهو رفول» الذي تحول بعد نزوحه إلى فرنسا إلى «أريك رولو» الكاتب الصحفي الخطير في «لوموند» الفرنسية، وخبير شؤون الشرق الأوسط للخارجية الفرنسية ولإذاعة وتليفزيون باريس!!، أما بقية أبطال السلام من الجانب اليهودي فهم زمرة من الشيوعيين المشبوهين من رفاق هنري كوريال وبينهم:

«كلوديا» التي كانت تعمل ضمن وفد مصر للأونسكو في باريس، و«جوزيف حزان»، و«جويس بلو»، و«ريمون اسطمبولي»، و«موريس بارث»، و«دانييل أميت» الأستاذ في الجامعة العبرية بالقدس، وآخرهم الجنرال «ماتيتا هوبيليد» الذي قاتل في صفوف عصابة «الهاجاناه» منذ كان في الخامسة عشرة من عمره، وجميعهم ممن شارك في كل الحروب العربية ـ «الإسرائيلية» فضلاً عن سجلاتهم الإرهابية الحافلة عبر أنشطة عصابات «شتيرن» و «أرغون» و «الهاجاناه»، وتلك هي «الحمائم الإسرائيلية» الوديعة!!.

وعلى الجانب العربي مَن عسانا نجد من أبطال السلام. إن تاريخ «الحوار العربي ـ الإسرائيلي» يسجل أن أول «مؤتمر سلمي» عقد في «فلورنسا» بإيطاليا برعاية ولي عهد المغرب ـ آنذاك ـ الأمير الحسن بن محمد الخامس، وكان ذلك في عام (١٩٥٨م)، بترتيب من هنري كوريال الذي جمع فيه وفودًا من الأحزاب الشيوعية العربية مع ممثلي

. . . . . .

= الحزب الشيوعي الإسرائيلي «راكاح»، وبعد عدوان (١٩٦٧م) التقى النقيب السابق بالجيش المصري «أحمد حمروش» رفيق كوريال في الحزب الشيوعي المصري وعضو «الحركة الديموقراطية»، و«حركة الضباط الأحرار» مع «كوريال» و «أريك رولو» في باريس حيث رتبوا اللقاء بين جمال عبد الناصر، وناحوم غولدمان رئيس «المؤتمر اليهودي العالمي» وقد أجهضت المحاولة بوفاة عبد الناصر عام (١٩٧٠م).

ثم تابعت منظمة التحرير الفلسطينية «الحوار» عبر القياديين الماركسيين «المتفهمين» بدءًا بممثل المنظمة في لندن سعيد حمامي الذي لقي مصرعه في يناير (١٩٧٨م) ومرورًا بنعيم خضر، وبعز الدين قلق اللذين اغتيلا في أبريل (١٩٨٣م).

كما شارك في «الحوار» المنظر اليساري المصري الدكتور رفعت السعيد، وممثل المنظمة في داكار «أبو خليل»، وكان عرّاب اللقاءات في كثير من الأحيان رئيس النمسا السابق اليهودي «برونو كرايسكي»، أو رئيس رومانيا اليهودي «نيقولاي شاوسيسكو» أو رئيس الوزراء الفرنسي اليهودي «بيار منديس فرانس» الذي استضاف الحوار مرارًا في قصره الصيفي.

وقد كشف سامي الجندي في كتابيه «البعث» و«كسرة خبز» عن رفضه لتنفيذ تعليمات وزير خارجية سورية الدكتور إبراهيم ماخوس قبيل عدوان يونيو (١٩٦٧م)، باجراء حوار مع ممثلي «العدو» في باريس، بينما اعترف نائب رئيس الوزراء المصري حسن التهامي بإجرائه الحوار مع موشى دايان في الرباط (١٩٧٦م)، تمهيدًا لعقد اتفاقيات «كامب ديفيد» التي أسفرت عن اغتيال أنور السادات عام (١٩٨١م).

كما كشفت الأحداث اللبنانية عن اتصالات مشبوهة منذ مطلع السبعينات بين زعماء الموارنة وقادة «العدو الإسرائيلي» حيث رتب كميل شمعون اجتماعات حضرها بيار الجميل ووالده بشير وأمين مع شخصيات «إسرائيلية»، أسفرت عن طبخة الفتنة الطائفية التي ما زالت مندلعة منذ عام (١٩٧٥م).

وقبلها كانت اجتماعات «الشونة» بين «جوالدا ماير» والملك عبد اللّه التي أدت إلى اغتيال الملك عبد اللّه في المسجد الأقصى عام (١٩٥٠م).

وهكذا نجد أن أقصى اليمين التقى مع أقصى اليسار في «حوار» ودي لترسيخ كيان «إسرائيل» في قلب العالم الإسلامي، مستهدفًا زرع هذا الجسم الدخيل لإعاقة أية صحوة إسلامية حقيقية.

ونشرت مجلة «المشرق»[1] تفاصيل محاولة أخرى عن طريق اللورد اليهودي غوش سفير بريطانيا في الاستانة أيام عبد الحميد فقال:

«لما كان اللورد «غوش» الإسرائيلي أي: اليهودي سفيرًا بالأستانة عرض على الحكومة السنية أن يجعل تلك النواحي: جلعاد ومؤاب في غور الأردن، التي مساحتها ستمائة ألف هكتار، مستعمرة لليهود، تحت نظارة الباب العالي، يسمونها كما يشاؤون، بشرط أن يدفعوا لمولانا السلطان مبلغًا عظيمًا من الدراهم، ولا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات، غير أن الدولة السنية لم تلب دعوة «غوش» وأغنياء اليهود، فذهبت آمالهم أدراج الرياح، وكانت غايتهم أن يمهدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة بالأراضي المقدسة، كما كانت قبل المسيح.

وكانت المحاولة الأخيرة التي قام بها تيودور هرتزل في عام (١٩٠١م)، ولكن عبد الحميد رفض مقابلته للصدر الأعظم:

«انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، التي جاهدت في سبيلها وروتها بدمائها فليحتفظ اليهود بأموالهم وملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن! أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت

(١) لمعرفة حجم النفوذ المالي الذي تتمتع به الصهيونية يكفي أن نعلم أن أسعار الذهب والعملات الدولية يتم تحديدها في نشرتين يوميتين منذ عام (١٩١٩م) من قبل أربعة من كبار تجار الذهب وجميعهم من اليهود وهم: روتشيلد، ومونتاغو، وشارب ويبكلي، وجونسون.

من الدولة الإسلامية، وهذا أمر لا يكون، إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة» .

وقد أثار جوابه هرتزل فوجه للسلطان إنذاراً بواسطة يوسف الخالدي كبير النواب العرب، في مجلس المبعوثان العثماني جاء فيه:

«أما إذا رفض فسنواصل البحث، وصدقني إننا سوف نهتدي إلى مكان آخر وفقًا لما نريده، وفي هذه الحالة سوف يضع على تركيا بلا رجعة آخر سهم في متناول يدها لتنظيم ماليتها والنهوض باقتصادها.

وثقوا أن من يصارحكم بهذا القول صديق مخلص للأتراك فاذكروا ذلك دومًا»[1] .

وقد نبهت هذه الحادثة المسلمين، فوجهت أنظار الحكومة لتنبيه الأهالي إلى الاحتراز من تلبية مطالب اليهود وعدم تمكينهم من التسلل إلى فلسطين فنشرت جريدة «معلومات» التي كانت تصدر في الاستانة، ونقلت عنها «ثمرات الفنون» التي كان يصدرها ببيروت المرحوم الشيخ عبد القادر القباني ما يلي:

«لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة القدس[2] ، لأن تلك

---

(١) انظر نص رسالة عبد الحميد الثاني إلى شيخه محمود أبو الشامات ضمن الوثائق والملاحق في نهاية الكتاب.

(٢) تكررت هذه الآونة الأخيرة محاولات نسف المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي، كما نجح الصهاينة في نسف العديد من المساجد الإسلامية في عدة مدن وقرى فلسطين المحتلة، كما هاجموا مؤخراً طلبة الكلية الإسلامية في الخليل، وقد أطلق الشيخ سعد الدين العلمي رئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس آخر صيحة تحذير للعالم الإسلامي، محملاً المسلمين وقادتهم المسؤولية أمام اللّه والتاريخ، حينما كشف في تصريح له نشرته صحيفة «صوت الشعب» الأردنية، أن الحاخام الصهيوني «مائير كاهانا» =

الأقطار كانت لحداً لاعتلاء مجدهم في الأزمنة الغابرة، وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية إلى لحد مجد أسلافهم فعزم الكثيرون منهم على المهاجرة إلى أنحاء القدس، وتوطن فريق منهم في تلك الجهات وصار لهم قسم كبير من الأراضي، وما يزال الكثيرون يرغبون بالهجرة وشراء الأراضي. وهذا ما يضر بصوالح الدولة والأمة معًا، إذ تصبح القدس في يوم من الأيام وهي بيد اليهود فقط.

وهناك حادث سياسي آخر يؤكد التصميم على الحفاظ على فلسطين وذلك حين انتهز السلطان عبد الحميد فرصة وفاة الخديوي توفيق يوم ٧ كانون الثاني يناير (١٨٩٢م)، وتولية ابنه عباس حلمي فاستغل

= زعيم حركة «كاخ» قد خيّره بين بيع المسجد الأقصى لليهود بمليون دولار أو الاغتيال، على أن تتم عملية البيع بالهدوء والكتمان، وقال الشيخ العلمي: إنه تعرض لأربع محاولات اغتيال من قبل منظمة «كاخ» بعد هذا التهديد.

كما تكررت أنباء اعتقال وتعذيب وإضطهاد العلماء المجاهدين الذين يواصلون قيادة الكفاح والتعبئة للجهاد داخل الأرض المحتلة، منذ أن نفذ اليهود جريمتهم بإحراق المسجد الأقصى.

ناهيك عن «الحفريات الأثرية» التي بدأت منذ أيام موشي دايان، ولم تنته بوفاته، والتي تستهدف إزالة جميع المقدسات الإسلامية من فلسطين، بحجة التنقيب عن «الهيكل» والكشف عن الآثار اليهودية!.

وفي تحقيق لجريدة «القبس» الكويتية في الأرض المحتلة نشرته يوم ٦ مايو (١٩٨٤م) نقلت على لسان الشيخ عكرمة سعيد صبري صيحة تحذير أخيرة للمسلمين في العالم جاء فيها: إن هدم المسجد الأقصى بات مسألة وقت!!.

كما كشفت صحيفة «التايمز» البريطانية، وصحيفة «لوماتان» الفرنسية أن ضباطًا في الجيش الإسرائيلي يقفون من وراء شبكات الإرهاب الصهيوني التي تتخذ من عصابات «غوش إيمونيم» ـ أي: جبهة المؤمنين ـ ستاراً لها، فضلاً عن جماعة «المولودين ثانية» الذين يستعجلون مجيء «المسيح المنتظر» بنسف المساجد الإسلامية بفلسطين!.

عبدالحميد دهاءه السياسي لإخراج سيناء من ولاية مصر فأصدر فرمان التولية بحدود مصر دون إشارة لسيناء، وحضر المشير أيوب باشا إلى مصر لتلاوة الفرمان في الحفل التقليدي، ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بالأمر وقعت أزمة عنيفة بينها وبين عبد الحميد، وكادت تعلن الحرب حتى اضطرته في ٨ نيسان أبريل (١٨٩٢م) إلى إعادة سيناء لولاية مصر.

ويقول عبد الرحمن الرافعي في كتابه «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية»: إن آراء الباحثين اختلفت في تفسير موقف عبد الحميد، وأن الشواهد تشير إلى خشيته من النفوذ البريطاني في مصر، وتسلط الصهيونية على بريطانيا مما يحفزها لتقديم تسهيلات لإسكان اليهود في سيناء[1].

---

(١) كلف فيلب كلوتسنيك رئيس المؤتمر اليهودي العالمي عام (١٩٨٠م) لجنة اقتصادية واجتماعية من يهود العالم بوضع تقرير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إسرائيل، يرأسها البارون اليهودي جي دي روتشيلد وتضم نحو ٣٠ فرداً بينهم البروفسور حاييم بن شاما رئيس جامعة تل أبيب، وادغار برونغمان رئيس المؤتمر اليهودي الحالي، وسول كاني مدير بنك كندا وأمين صندوق المؤتمر اليهودي العالمي، واللورد ليفر أوف مانشتر عمدة ريو دي جانيرو، وموريس ليفنسون رئيس مركز دراسات المؤسسات الديمقراطية، والبروفسور سيمور لبيست أستاذ العلوم السياسية والاجتماع بجامعة ستانفورد الأمريكية، والبروفسور مارتن ميرسون رئيس جامعة بنسلفانيا.

وبعد جهود استمرت ثلاثة أعوام قدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن أن عدد اليهود في العالم اليوم ١٥,٣ مليون نسمة موزعين على ١٠٠ دولة منهم ٣,٥ مليون يهودي في إسرائيل و٦ مليون يهودي في الولايات المتحدة، و٢,٤ مليون يهودي في الاتحاد السوفيتي، كما يوجد في فرنسا حوالي ٦٠٠ ألف يهودي، وفي بريطانيا ٤٥٠ ألف يهودي، وفي كندا والأرجنتين حوالي ٣٠٠ ألف بكل منهما، وفي البرازيل ١٤٠ ألفًا، وفي جنوب إفريقيا ١٣٠ ألفًا.

بينما يذهب آخرون إلى أبعد من ذلك فيقولون أن عبد الحميد بدهائه السياسي البعيد تعمد إثارة بريطانيا للمطالبة بضم سيناء إلى مصر مما يؤكد أن سيناء مصرية، وأن الاحتلال البريطاني لمصر لا يبرر التصرف بسيناء وإعطائها لليهود، وأن اللعبة لم يكتشفها الانكليز واليهود، إلا بعد أن كرسوا ضم سيناء لمصر رسميًّا ودوليًّا.

أيقنت الصهيونية العالمية بعد فشل محاولاتها المتكررة للحصول على موافقة السلطان عبد الحميد الثاني بالسماح لليهود، بالهجرة المحدودة فقط وليس إقامة وطن قومي في فلسطين ـ أن وجوده يشكل عقبة كأداء في سبيل تحقيق مقررات المؤتمر الصهيوني الأول، ولم يملك هرتزل ـ بعد فشل محاولته الأخيرة ـ إلا أن يلجأ لسلاح التهديد والوعيد صراحة.

= ويزعم التقرير أن عدد اليهود انكمش نتيجة للمذابح الجماعية من ١٦,٧ مليون عام ١٩٣٩م إلى حوالي ١١ مليون عام ١٩٤٥م.

ويتطرق التقرير إلى قضية المستوطنات في الأرض المحتلة فيرى أنها سوف تؤدي تدريجيًا لدفع عرب الضفة الغربية إلى إعلان التحدي السافر، وإبطاء عملية السلام، فضلاً عن تكاليفها الباهظة التي ستؤدي إلى مزيد من إضعاف الاقتصاد الإسرائيلي، وتقليل قدرته على مساندة قوة قتالية فعالة!!.

ويقول التقرير إن إسرائيل تواجه ثلاث مهام جوهرية في الوقت الراهن هي:

١- إقامة سلام آمن.

٢- ترتيب جبهتها الداخلية.

٣- تنمية علاقات صحية وبناءة أكثر مع يهود المهجر الدياسبورا.

كما يعترف التقرير بأن إسرائيل تجد نفسها حاليًّا محاصرة بعدد من المشاكل الإقتصادية والاجتماعية، والدينية والسياسية الخطيرة، مما يشكل خطرًا داخليًّا على مستقبلها لا يعلوه سوى الخطر الخارجي!!.

ولم يكن السلطان عبد الحميد بغافل عن مدى نفوذ وتأثير الصهيونية العالمية على اتجاهات السياسة العالمية من خلال ممارستها في الدول الكبرى، ولكنه في الوقت نفسه لم يملك إلا أن يرفض العروض والوعود الصهيونية التي أخذت تقايض ديار المسلمين المقدسة بأموال اليهود الملوثة.

استقر رأي الصهيونية العالمية على العمل للإطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني، كخطوة على طريق عودة «شعب اللّه المختار» إلى أرض «الميعاد» في مملكة إسرائيل التي تطمح للوصول بحدودها من الفرات إلى النيل.

وكان للصهيونية أكثر من وسيلة تسعفها في الوصول لأغراضها، نتيجة للمكر والدهاء اليهودي المعروف.

فقد أوجدت الحركة الماسونية بمحافله الشرقية والغربية، وكانت السبية اليهودية الروسية «روكزيلان» التي تزوجها السلطان سليمان القانوني وسماها «حرم السلطان» أول بؤرة صهيونية، وأول خرق للشريعة الإسلامية بما حققته من تقارب بين سليمان القانوني وفرنسوا الأول ملك فرنسا، حينما منح لقب «حامي النصارى العثمانيين» وعقد اتفاق الدولة الأكثر رعاية عام (١٩٥٣م)، الذي تحول إلى ما عرف بـ «الامتيازات الأجنبية» فيما بعد[١].

---

(١) ما زالت فضيحة المحفل الماسوني بي ٢، تتفاعل منذ انفجارها في مطلع الثمانيات، فقد هدد عميل المخابرات الإيطالية الهارب «فرانشيسكو بازينزا» في مقابلة صحفية مع مجلة «البرجيزي» اليمينية بنشر وثائق مثيرة وخطيرة عن تورط عدد كبير من الساسة، ورجال الإقتصاد الإيطاليين بفضيحة بنك «إمبروزيانو» الذي وجد رئيسه السابق «ربيرتو كالفي» =

ولم يتوقف دور روكـزيلان عند هذا الحد بل أنها بعد زواج ابنـتها مهرماه من اللقيط الكرواتي رستم باشا دبرت مؤامرة قتل الصدر الأعظم إبراهيم باشا، ونصبت صهرها مكانه، فكافأها بخنق ولي العهد مصطفى ابن ضرتهـا، ونصبت مكانه ابنها سليم الذي أصـبح فيمـا بعد السلطان سليم.

وكانت روكزيلان سببًا في استـعطاف سليمان القانوني لقبول هجرة اليهود إلى روسيا هربًا من ظلم القياصرة، كما استعطفته ثانية لقبول إيواء يهود الأندلس الذين شردتهم محاكم التفـتيش الأسبانية، فنزلوا سلانيك والأناضول، وجـزر المتوسط ومواني الشـام ومصر، وهم الذين سببوا فيمـا بعد دمار الدولة العثمـانية، فنال الخليفة عبـد الحميد الثاني حـفيد سليمان القـانوني على يد اليهودي قره صو جـزاء سنمار، ولم يشفع له عند الصهيـونية إزاء رفضه لعـروض هرتزل، مما حققه البـارون اليهودي «هيرس» من ثروة طائلة بفضل تعهده لأعمـال الخطوط الحديدية العثمانية (١٩٠٥م)، حتى أنه أوصى قـبيل وفاته بإنفـاق مائتين وخمـسين مليون فرنك لتأمين إقامة وطن قومي ليهود العالم، وهكذا كرر مرة أخرى جزاء سنمار لخلفـاء المسلمين، وقد أعطى قـره صو أربعمـائة ألف ليرة ذهبـية قبـضهـا من البنك الإيطالي وسلمهـا لثري اسـمه «نجـيب دراغا» الذي

= قتيلاً في ظروف غامضة تحت جسر «بلاك فراير» في لندن عام (١٩٨٢م).

وقال بازينزا: إنه يؤلف كتابين ويصور فيلمًا عن أهم الفضـائح السياسية مما سيحدث هزة كبيـرة، والمعروف أن بازينزا يرتبط بصداقـات مع هنري كيسنجر وأليكسندر هـيج، وكبار الساسـة في أميركا وإيطاليـا، بحكم علاقاته القـديمة مع الماسونية والمافـيا وفروعهـما في «الألوية الحمراء» وأجهزة المخابرات الغربية !!.

أعطاها لأيوب صبري أحد أعضاء «الاتحاد والترقي» لصرفها على أحداث مجزرة ٣١ مارس[١] التي أطاحت بحكم عبد الحميد، وكان قره صو أحد أربعة بلغوا عبد الحميد قرار عزله، رغم أنه يتمتع بالجنسيتين الإيطالية والعثمانية، وقد فاخر قره صو[١] بعدها بقوله: «إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة إنكليزية ما لم ينفذ عبد الحميد بخمسة ملايين».

يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم في محاضرته القيمة «غزة أريحا»: «إنه في نفس الليلة الذي أُقصي فيها السلطان عبد الحميد آخر سلاطين آل عثمان حدث حادثان خطيران أولهما: غياب الإسلام الفعلي، ثانيًا: سقوط فلسطين في يد اليهود، ومن المعروف أن اليهود بذلوا جهدًا كبيرًا في إغراء السلطان عبد الحميد حتى يسمح لهم بالاستيطان فقط في شرق الأردن وسوريا الجنوبية، وبعد ذلك جاء هرسل فعرض على «عبد الحميد» مساعدات مالية مُغرية، فقال السلطان ضمن جوابه: سوف نغطيها بدماءنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منّا ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قُسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل لكنها لن تُقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل تشريحنا بأي ثمن كان. وعرض هرسل بعد ذلك على السلطان اقتراحًا بتأسيس جامعة إسلامية في القدس يدرس فيها الشباب المسلم كل العلوم العلمية والدينية، ولكن لم يفلح كذلك، قدّم هرسل للسلطان مليوني ليرة ذهبية رشوة شخصية له فغضب شر غضبة وطرده، وفي اللقاء

---

(١) كان اليهودي قره صو أحد أربعة بلغوا عبد الحميد قرار عزلة ويا لسخرية الأيام يهودي!!. وهؤلاء الأربعة هم:
اليهودي قره صو، والأرمني آدم، والأرناؤوطي طوبطائي، والكرجي حكمت.

الأخير حضر هرسل ومعه رئيس الحاخامات يعرضون عليه رشوة لإقامة وطن يهودي، واقترحوا القدس وحدها، وقال هرسل: أحب أن أعرض لجلالتكم بأننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها مناسبة من الذهب حالاً من أجل القدس، فقال السلطان ـ وكان يحكي القصة لأحد أصدقائه في المنفى ـ: شعرت بالدم يضفر من رأسي، تأمل، لقد وصلت الجرأة بهذين اليهوديين إلى عرض الرشوة في مقابل سلطتنا، صرخت بهما: اخرجا من هنا حالاً، إن الوطن لايباع بالمال، وحينما دخل رجال القصر أمرتهما بإخراجهما، منذ ذلك الوقت ناصبني اليهود العداء كل ما ألاقيه هنا في سلانيك هو جزاء عدم إعطاء الوطن لليهود، ولقد ضحيت بعرشي من أجل فلسطين والقدس، وقلت لهم: لقد خدمت الملّة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين عامًا، فلن أسوّد صحائف المسلمين أبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين.

يقول بعدما أبلغوه بقرار خلعه: وحمدت المولى، وأحمده أنني لم أقبل أن ألطّخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكلفيهم إياي بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة الفلسطينية.

وبعد خلع السلطان عبدالحميد أخذت الصحف اليهودية في سلانيك تزف البشرى بالخلاص من مضطهد إسرائيل، وعاث اليهود فسادًا في تركيا، وكان من ضمن الإجراءات التي قام بها السلطان عبد الحميد بعدما أحس بالخطر اليهودي أصدر فرمانات تقضي برفض قبول التجاء اليهود المطرودين إلى الدولة العثمانية، وأعلن ذلك قائلاً: «إن سكن اليهود في أجزاء الإمبراطورية يجعلهم يتسللون إلى فلسطين تدريجيًّا رغم ما اتخذته من تدابير، وسيسعون إلى تشكيل حكومة

موسوية بتشجيع الدول الأوربية، فليغادروا إلى أمريكا، أيضًا سنّ تعليمات لضمان عدم بقاء اليهود في القدس بعد إكمال زيارتهم لها، وبعد هذا حدث تسلل لليهود إلى فلسطين حتى بلغ عددهم فيها خمسًا وعشرين ألفًا طيلة أكثر من ثلاثين سنة، أغلق السلطان عبد الحميد جميع المحافل الماسونية في الإمبراطورية كلها لكنها استمرت بشكل سرّي والمعروف أن الماسونية الولد النجيب لليهودية، وكان الذي سلّم السلطان قرار الخلع العم نويل قره صو اليهودي الماسوني فالتفت السلطان إلى الوفد الذي كان معه قائلاً: ألم تجدوا شخصًا آخر غير اليهودي لكي تبلغ خليفة المسلمين قرار الحل؟!

ومن قرارات: «السلطان عبد الحميد» قرارًا أبلغ به جميع ممثلي دول العالم في اسطنبول عام ١٩٠٠ بمنع الحجاج اليهود من تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين كما يحدث مع الحجاج في مكة فيسلم الحاج جواز سفره ويعطوه وثيقة يتحرك بها داخل مكة لمدة معينة، وإن تأخر عن هذه المدة فله الويل، فكل من لا يغادر البلاد في هذه المدة يُطرد بالقوة، وأصدر السلطان أمرًا بجعل تصريح الإقامة هذا لونه أحمر، حتى يسهل طردهم ولذا فلقد رأى اليهود بعد تمكنهم أن يفرضوا على جميع الجوازات الدبلوماسية على مستوى العالم كله اللون الأحمر، وهو الجواز الذي لا يُفتش صاحبه، وهذا يعتبر إعادة اعتبار لليهود ضد إجراء السلطان عبد الحميد.

❁ السلطان عبد الحميد واليهود ❁

قال الدكتور عدنان النحوي ـ حفظه اللَّه ـ:

سَلاَمٌ عَلى «عَبْد الحَميد» وَقَدْ مَضَى
عَلى الطّيْبِ من أَمْجادِهِ العَطِرَاتِ
فَيَا أيُّها «السّلطان» ذكْرُك عاطِرٌ
عَلى صِدْق مَا جَاهَدْت في حَلَبَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى حَقٍّ وخُضْتَ سَبيلَه
وَمَا لِنْتَ مِنْ طعْنٍ وَمِنْ غَمَرَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى دِيْنٍ يُوَحِّدُ أُمَّةً
وَيَجْمَعُ نُعْمَى عِيْشَةٍ وَمَمَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى الإِسْلام يُنْكِرُ فُرْقَة
وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ شُبُهَاتِ
يُسَاوِمُكَ الكُفّار مَالاً وَزِيْنَةً
وَزهْرَةَ دُنيا أوْ مَتَاعَ حَيَاةِ
لِتُعْطِيَهُمْ دارًا وَرَوْضًا وَمَا حَوَتْ
«فلسْطِيْنُ» مِنْ قُدْسٍ وَمِنْ حُرُمَاتِ
فَقُلْتَ لَهُمْ: أمْضيْتُ عَهْدي وَبَيْعَتي
مَعَ اللَّهِ في سَعْيِي وَفِي رَكَعَاتِ
وَبِعْتُ إِلَى الرَّحْمنِ نَفسي بِجَنَّةٍ
عَلَى حُرْقَةِ الأَشْوَاقِ واللَّهَفَاتِ

فَكَيْف تُرَاني أَرْتَضِي عَـرَضًـا بهـا
إِذَا كَـانَت الدُّنْيَـا هَشِـيْمَ نَبـاتِ
مَضَـيْتَ...وَمَا لانَتْ قَنَاتُك بَيْنَهُمْ
وَمَـا وَهَنَتْ نَفْسٌ عَلَى شَـهَـوَاتِ
هَوَى بِكَ رُكْنٌ...ما هَوَى عَزْمُكَ الذي
بَـنَيْـتَ بِـهِ رُكنًـا وصَـــــرْحَ أُباةِ
نَفَوْكَ... وَمَـا هانَتْ بذَاكَ مَـحَـامِـدٌ
وآذَوْك... فـاستـمسكْتَ بَيْنَ عُـتاةِ
عَلَوْت... فَهَانُوا دون صَبْرِك والهُدَى
وَذَلّوا...وَرُمْتَ المَجْـــدَ في ذَرَوَاتِ
سَـلامٌ عَلَى رُكْنٍ هَوَى فَـهَـوَت بِه
مِنَ الدّار أَرْكَـانٌ ومِنْ عَـزَمَـات

وقال ـ حفظه اللَّه ـ:

أينَ عَـبْـدُ الحَـمِـيـد هانَ لديْه ... زخـرفٌ زائلٌ وقـصـرٌ مـشـيـدُ
لـم تَهُنْ حُـرْمَـة الدِّيار عَلَيْـهِ ... لـم يَرُعْـهُ أذى ومكرٌ شـديدُ
صَـدَقَ اللَّه والرسـولَ فَـلاَنَ السـ ... ـجنُ والهَـجْـرُ والأسى الممـدودُ
رُبَّ يوم ينالُ فـيـه من اللَّـ ... ـه نعـيـمًـا أَوْفى عليـه الخلودُ
حَـمَلَتْـهُ له الجنانُ فَـحُـورٌ ... مُـقْـبِـلاتٌ ولؤلؤٌ منضـودُ[1]

(١) ملحمة الأقصى ص (١٤١).

* ما يُؤخذ على الأتراك:

«المعروف أن اليهود كانوا ممنوعين من دخول القدس والسكنى فيها منذ سنة ١٣٥ قبل الميلاد، وجاء الإسلام وهم على هذه الحال، وكان من شروط عقد الفتح ألا يسكنوا البيت المقدس.

وفي زمن ضعف وتهاون حكام المسلمين، تسرّب بعض اليهود إلى القدس لزيارة ما يتوهمونه من آثار أنبيائهم... ولعلَّ هذا السماح أو السكوت عن دخولهم القدس كان في زمن السلطان سليمان القانوني ١٥٦٦م أو في عهد ولده سليم الثاني.

وقد ذكروا أن للسلطان سليمان القانوني زوجةٌ روسية اسمها «روكسيلانة» لعلها كانت يهودية الأصل.. وقد نُسب إليها إنشاء التكية المعروفة بتكية خاصكي سلطان في عقبة المفتي شرقي دار الأيتام الإسلامية، بالقدس..

أقول: ولعلَّ بعض ولاة القدس قد سمحوا لليهود بالدخول إلى القدس للزيارة طمعًا في زيادة ما يجنونه من الرسوم المالية على الزائرين، ومما يدلُّ على ذلك، أننا لم نكن نقرأ أن لليهود ذكرًا في العهد المملوكي فلما جاء العصر التركي أخذوا يتسربون ويزداد عددهم، حتى كان لهم في زمن إبراهيم باشا عضو في مجلس الشورى، وبدءوا منذ ذلك العهد، يتجرؤون على إظهار شعائرهم الدينية».

ومن مشجعات اليهود على الهجرة والاستيطان في العهد التركي، ما يلي:

أولاً: في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١م) امتلك اليهود أول

أرض في المدن الفلسطينية، وذلك عام ١٨٥٤م، وهي القطعة التي أُقيم عليها «حيّ مونتيفوري» في بيت المقدس، نسبة إلى موسى مونتيفوري (١٧٨٤ ـ ١٨٨٥م) الثري البريطاني الذي زار فلسطين مرارًا، وشجع فكرة الاستيطان اليهودية.

ثانيًا: في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١ ـ ١٨٧٦م) منحتْ الحكومةُ اليهودَ قطعة أرضٍ أُقيمت عليها مدرسة «نيتر» الزراعية بالقرب من يافا. وهذا هو نصُّ الفرمان السلطاني الذي صدر في ٤ محرم سنة ١٢٨٧ (٥ نيسان ١٨٧٠م) إلى شارل نيتر، نقلاً عن جريدة فلسطين اليافية في عددها الصادر ٢/ ١٠/ ١٤١٢هـ «يُفْتَحُ المكتبُ المذكور لتعلم فَنّ الزراعة والفلاحة المرغوبة ترقيتُه في بلاد دولتي العلية، ويكون تابعًا لقوانين الدولة العليا تحت نظارة المعارف، وتحت حمايتي السنيّة. على أنَّ هذا المكتب، وإن يكن أُنشئ على اسم أطفال الملَّة الموسوية، إلا أنَّه يقبل فيه تلامذة من سائر الملل والمذاهب، بشرط أن يكونوا جميعهم من التبعيّة العثمانية».

وحول الفقرة الأخيرة من هذا الفرمان، كتبت الصحيفة المذكورة في عدديها الصادرين في ٨/٢٩، ١٨/ ٩/ ١٤١٢، تقول: إنَّ مجموع من دخل المدرسة ـ من الطلاب العرب ـ خلال ٤٣ سنة هم ١١ طالبًا، لم يكملوا دراستهم، وقبولهم كان لأسباب عديدة، منها: كون آبائهم من ذوي النفوذ، أو لهم علاقة بأشغال المدرسة. [عن كتاب/ النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ـ خيرية قاسمية ص١٢٤].

ثالثًا: أرهقت الدولة التركية الفلاحين الفلسطينيين بالضرائب، فعجزوا عن دفعها، فأدّى ذلك إلى استيلاء الدولة على أراضي الفلاحين،

وقراهم وعرضها في المزاد سنة ١٨٦٩م، لاستفياء ديون الضرائب المترتبة عليهم، فاشتراها أغنياء بيروت وتجارها الذين لا تربطهم بالوطن رابطة فباعها هؤلاء إلى اليهود «تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي ص(٤٥)..

.. وكلّما قرأت هذا الخبر، تقطّع قلبي ألمًا.. لأنني أحصر التاريخ أمامي لأفتش فيه عن مثل هذا الصنيع فلا أجد.. وأسأل: لو كان الحاكمُ في قلبه ذرةٌ من الإيمان: باللّه، والرسول، والوطن، والإنسانية والقوميّة، والحضارة، والكرامة، والشهامة والمروءَة.. لو كان في قلبه ذرة من هذه المقاييس هل يفعل هذا الصنيع؟ والجواب معروف. الفلاح الفلسطيني: يزرعُ أرضه مرة واحدة في العام إذا جاد اللّه عليه بالغيث ويجمع منها في كلِّ عام، ما يكفيه قوت العام كلّه.. وإن كثيراً منهم تسقط عنهم الزكاةُ الشرعية؛ لأنه لا يملك إلا قطعة من الأرض، لا تكاد تدرّ عليه إلا قوت الكفاف.. فبأيّ حقّ تُطلبُ منه الضريبة؟ إن الجزية، أو الخراج يسقطان عن الكتابيّ الذي يعجز عنهما، فكيف يُسْلَبُ مسلمٌ أرضه؛ لأنه عجز عن دفع الضريبة؟ وبأيّ حقّ تؤخذ الضريبة؟ ألأنَّ الحكومة تدفعُ الأعداء عن ثغور الإسلام؟ ألأنها تنشر العلمَ في ديار الإسلام؟ ألأنها تشق القنوات وتُصلح الأرضين؟.

❁ ❁ ❁

(و) إن الحقيقة التي وصلتُ إليها، بعد دراسة متأنيّة، تقول: إن سلاطين الأتراك، لم يُعطوا بيت المقدس حقَّه من الرعاية، ولم يكونوا حريصين على بقائه في حوزتهم، إلا لأنه أحد الأماكن المقدسة التي يزعم السلاطين أنهم يحرسونها ويخدمونها، لكسب عواطف المسلمين. وما حرسوها، وما خدموها ولكن شُبّه للمسلمين ذلك.

وإننا لنقول: إنهم فـرّطوا في أرضها، ووضعوا حـجر الأساس في استيـلاء الأغراب عليها، وإنَّ السلاطين الأتـراك كانوا قوميين متـعصبين لقوميتهم العثمانية، أكثر من تعـصب القوميين العرب لقوميتهم العربية، ولم تظهـر هذه النزعة علـى يد الاتحاديين فـقط، وإنما وُلدت مع ميـلاد الدولة التركية. ومن الشواهد لما ذكرتُه:

١ ـ من الشواهد على قـوميتهم، أنهم أصـرّوا على أن تكون اللغة التركيـة هي لغة الدولة مع أنَّ استخدام اللغة العـربية ضرورة بل واجب ديني.. وهم أول مَنْ اتخذ لغة أعجمية لغةً للدولة من الأسر والسلاطين العـجم الذين كـان لهم سلطان شـامل على بلاد العـرب، فـبنو بويه، والسلاجـقة كانوا من الـعجم، ولكنهم اتخذوا العـربية لغـة، والمماليك ـ مع أن أكثـرهم أتوا من وراء البحار ـ اتخـذوا العربيـة لغةً للدواوين، ونجم في عصرهم أعلام الكتابة الديوانيّة:

النويري، صـاحب «نهاية الأرب» و«القلقـشندي» صاحب «صـبح الأعشى».

ومن قـبلهم كان بنو أيوب من أصل كـردي، وكان في خـدمتـهم جهابذة من الكُتاب والأدباء. وما كانت تُكتبُ الرسائل على لسان صلاح الدين، إلا بأرقى الأساليب العربية التي كانت سائدة في أيامهم.

ومن الشواهـد على القوميـة التركـية، أنك عندمـا تقرأ مـذكرات السلطان عبد الحمـيد، فإنه يكثر من استخدام مصطلح «الأمـة العثمانية» و«الأمة التركية» و«تراث الآباء والأجداد». مع أنه اتخذ «الخليفة» لقبًا له.

٢ ـ عَدَوْا على أرض القدس، وعلى الأوقاف الإسلامية، فقدموها هدية للغرباء.. والأمثلة لذلك كثيرة.

منهـا: المدرسة الصـلاحيّـة، التي أوقفـها صـلاح الدين الأيوبي، لتكون مدرسة عليا يتخرج فيها العلماء. أهداها العثمانيون للفرنسيين سنة ١٢٧٣ ـ ١٨٥٦م وحولوها إلى كنيسة.

وفي سنة ١٨٦٨م أهدى السلطان عبد العزيز فردريك ويلهم، وليّ عهد بـروسيا «بيمـارستان»[١] صلاح الديـن، أو جزءًا منه، وأنشأ عـليه الألمان كنيسة المُخَلّص، التي يسميهـا العرب كنيسة الدّباغة. والمعروف أن هذا المستشـفى (بيمارستـان) بقي يعمل حتى أواسط القرن الثـامن عشر الميلادي ـ الثاني عشر الهجري. وقد جرى افتتاح هذه الكنيسة سنة ١٨٩٨م عندما زار غليوم الثاني القدس في زمن السلطان عبد الحميد الثاني.

ومنها: أن السلطان عـبد الحميـد الثاني، أهدى للإمبـراطور غليوم الثـاني سنة ١٨٩٨م أثناء زيارة الأخيـر القدس، أهداه قطعـة أرض على جبل صِهـيون مساحتهـا نحو دونمين، وبنى عليها الألمان كنيسـة سموها «كنيـسة نيـاحة العـذراء» ويصف شاهد عـيان الاحـتفـال باستـلام هذه الأرض، فيقول: «عند الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاثنين في ٣١ تشرين الأول، سـار الإمبـراطور وزوجـه بموكب حـافل إلى مكان النبي داود، المعروف بعُلّيّة صهون، ولما بلغا المكان المشـار إليه، تقدم توفيق بك سفير الدولة العلية فـي برلين، وأهدى جلالته باسم الحـضرة العلية الـسلطانية أرضًا في ذلك المكان تبلغ مساحتها نحو ألفي متر مربع، وحضرة متصرف القدس قدّم إليه أوراقها الطغرائية الرسمية الواردة من الآستانة العليّة..

---

(١) بيمارستـان: مأخوذة من «بيمار» الفارسية بمعـنى «مريض» و«ستان» بمعنى «مكان» وتدل على المستشفى، وتختصـر أحيانًا فيقال «مرستان» وتطلق عند العامـة اليوم على مستشفى المجانين.

فاستلمها بيده الكريمة وسلّمها إلى وزير خارجيته وتقدم حينئذٍ صاحب الفضيلة الشيخ سعيد الداودي أمام جلالته قائلاً: بناءً على الصداقة الكائنة بين جلالته وعظمة متبوعنا الأعظم، فإننا نقدم لجلالتكم هذه الأرض، ونحملكم على الراحات..

وخطب الإمبراطور قائلاً: إن ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان أهدى المرحوم والدي الأرض التي بنيت عليها الكنيسة التي تمَّ تدشينها اليوم «كنيسة المخلص».

وأما عظمة صديقي السلطان عبد الحميد خان، فقد أهداني هذه الأرض، وكما أننا بنينا في الأولى كنيسة للألمان الإنجليين، فسوف نبني في هذه كنيسة للألمان الكاثوليك، فشكرًا لعظمته ولآل عثمان العظام» {عن كتاب «الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية، لإبراهيم الأسود ص(١١٣ ـ ١٣٦)}.

.. فهل قرأت أو سمعت أن خليفة عظيمًا يهدي أراضي المسلمين وأوقافهم إلى الغرباء؟ وقد ذكرنا في مكان آخر، أن الإمبراطور الألماني هذا كان متكبرًا متغطرسًا دخل القدس في زيّ الصليبيين، ورفض أن يدخل المدينة من أحد أبوابها حتى لا يكون الإمبراطور تحت سقف أو سلطة أجنبية، فأمرت الحكومة أن يُفتح له باب خاص في هذه المناسبة.

٣ ـ وأما السلطان عبد الحميد الثاني الذي نُقل عنه أنه رفض التوقيع على وطن قومي لليهود في فلسطين، فإن رفْضه لم يكن له تأثير، ولم يفعل شيئًا غير الرفض.. لقد رفض إنشاء دولة، ولكن الهجرة اليهودية السريّة والعلنيّة كانت في ازدياد في أيامه، ولم يتخذ إجراءات حاسمة للفصل في الموضوع.. لقد تولى عبد الحميد الثاني

الخلافة مدة ٣٣ سنة، كان يمكنُه فيها، لو كان جادًّا، أن يُصدر أوامره، لمنْع ازدياد اليهود في فلسطين بعامّة، والقدس بخاصة، مع أنَّ المسألة كانت مُثَارةً، ويعلم بقصتها الخاص والعام.

(أ) تولى السلطان عبد الحميد الخلافة من سنة ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م.. وكانت الحكومة التركية قبل توليته بسبع سنوات (١٨٦٩م) قد استولت على أراضي مرج بن عامر من أهلها، وباعتها بالمزاد العلني، لأن الفلاحين عجزوا عن تسديد الضرائب المترتبة عليهم...

ألم يطّلع السلطان على هذا الظلم الذي حلّ بالناس؟ ألم يكن باستطاعته أن يُعيد الأرض إلى أهلها، وهو يعلم أنها وصلت إلى اليهود؟.

(ب) في سنة ١٨٨٦م بدأت الاصطدامات المسلحة بين الفلاحين العرب، الذين طردوا من أرضهم، وبين اليهود.. فماذا فعلت الإدارة التركية؟ أصدرت أمرًا أن لا تزيد مدة إقامة السائح اليهودي في البلاد أكثر من ثلاثة أشهر... وهذا إجراءٌ ليس حاسمًا؛ لأن الإدارة التركية، كانت قد استشرى فيها الفساد، وانتشرت الرّشوة، مما جعل القيود المفروضة غير ذات تأثير.

(ج) في سنة ١٨٩٠م، كان في القدس متصرف اسمه رؤوف باشا، أبدى تعاطفًا مع العرب، وحاول أن يمنع اليهود من دخول البلاد، ويمنع انتقال ملكية الأراضي إليهم.. فعُزل عن منصبه، وحلّ محله رشاد باشا، الذي تعاطف تعاطفًا كاملاً مع مطامع اليهود.. ومَنْ الذي يعزلُ ويولّي؟ إن الأمر بيد الحكومة التركية في استانبول.. ولم يكن الأمر سرًّا على السلطان: فقد ذهب وفدٌ إلى العاصمة التركية من وجهاء

القدس سنة ١٨٩٠م وقدموا شكواهم إلى الحكومة.

وفي سنة ١٨٩١م قدم وفد من أهل القدس عريضة مكتوبة إلى الصدر الأعظم ـ رئيس الوزراء ـ وعينوا فيها مطلبين: الأول: تحريم الهجرة اليهودية، والثاني: منع استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية.

[راجع «تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي، ص(٥٠) ـ وأقواله مدعمة بالوثائق]»[1].

وقبل أي شيء فإن انتشار التصوف في أُخريات عهد الخلافة العثمانية، وسريان البدع في أرجاء دولة الخلافة كانت العامل الرئيسي لسقوطها قبل تكالب الصليبيين الغربيين على إسقاطها وفي التاريخ عبرة لمن يعتبر.

* العهد العثماني في سنواته الأخيرة في بيت المقدس:

بعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى بجانب الألمان، أعلن السلطان محمد رشاد الخامس بوصفه خليفة للمسلمين «الجهاد الأكبر» ضد انكلترا وحلفائها.. وأخذت الحكومة العثمانية تعمل على نشر دعوة الجهاد بين المسلمين.

وأُخرجت راية النبي ﷺ، ووصلت من المدينة إلى بيت المقدس في ٢٠/ ١٢/ ١٩١٤م. وأقيم لاستقبالها حفل كبير في الساحة المحيطة بقبة الصخرة، وختم الاحتفال بإقامة الصلاة في المسجد الأقصى، ووُضِعت الراية هناك مؤقتًا، لإخراجها في اليوم الذي سيزحف فيه الجيش على مصر.

---

(١) «بيت المقدس» لشراب ص(١٨٩ ـ ١٩٤).

* ولوجه الله نقول للتاريخ:

أنه لم يهتم الأتراك بالدفاع عن القدس الاهتمام اللائق بمكانتها وفضلها ولذا كان من الغريب اهمال أمر إعداد خطة دفاعية رصينة للدفاع عنها واتخاذ ما يلزم لتنفيذها، بالرغم من مساعدة طبيعة الأرض المحيطة بالقدس وملاءمتها لأغراض الدفاع بصورة ممتازة، وقد أصدر مقرر القيادة العامة للجيوش العثمانية (ييلدرم) بالناصرة في ١٥ تشرين الثاني أوامره بإعداد دفاعات القدس، وهو أمر كان يجب أن يتم منذ قبول الدفاع وصرف النظر عن مشاريع غزو مصر والتقدم نحو السويس، أي منذ معركة الرومانى في آب ١٩١٦م. ولذا لم تكن دفاعات القدس عند الهجوم عليها في كانون الأول من عام ١٩١٧م أكثر من خط واحد من خنادق النار المحفورة حديثًا في أرض كلسية طباشيرية يكشف بها التراب المستخرج حديثًا ببياض لونه خط التحصينات، ولم يكن بها ما يكفي لأغراض الدفاع الطويل من أرزاق وعتاد ومدّخرات. ولم تجُهّز بمدافع الحصار الثقيلة ولم تتخذ أي إجراءات فيما يتعلق بموضوع السكان المدنيين وإخلائهم، أو ترتيب إعاشة الباقين في المدينة في ظروف المعركة الدفاعية، وبالرغم من كل ذلك فقد أشغل الفيلق العشرون العثماني بقيادة علي فؤاد باشا الذي كان مقره في باب الواد مواضعه للدفاع عن القدس اعتبارا من ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧م.

أعدّ علي فؤاد باشا الذي رُقي إلى رتبة لواء دفاعاته عن القدس، ونظم له «فوذ فالكنهاين» الألماني[1] على أثر قطع الإنكليز طريق القدس ـ

(١) تولى القيادة بمقر القيادة العامة للجيوش العثمانية في بادئ الأمر المشير «فالكنهاين الألماني» وفي أول أذار من عام ١٩١٨م خلفه المشير درليمان فون ساندرس وهو ألماني أيضًا!!

نابلس ـ خط مواصلات أمين يمتد شرقًا نحو أريحا والأردن وسكة الحجاز، ولكن علي فؤاد باشا ـ الذي كان يعتبره فالكنهاين أحسن قادة الفيالق التركية ـ لم يكن مؤمنًا بإمكان الدفاع عن القدس بالنظر للقتال المستمر الذي أنهك فيلقه بالرجال والمعدّات. وكان المشير الألماني يعقد الآمال على وصول القوات الألمانية وغيرها يوم ١٢ كانون الأول، إلا أن جميع الآمال قد انهارت حيث لم يستطع الفيلق العشرون الصمود في معركة القدس الدفاعية حتى لمدة ٢٤ ساعة، إذ تساقطت خطوطه وشرع بالانسحاب، وقد كان لضعف معنويات العثمانيين لدى القائد والجند تأثير كبير لإضعاف العزم على الثبات وهو أول ما يستند عليه الدفاع.

وعُين الجنرال اللنبي يوم ٨/ ١٢/ ١٩١٧م للشروع بالهجوم الكاسح للاستيلاء على القدس، وما إن بدأ الهجوم، قدّر علي فؤاد باشا حراجة الموقف وقرّر قبل ظهر ذلك اليوم استحالة الدفاع عن المدينة ووجوب إخلائها والانسحاب شرقًا.

دخول الإنكليز القدس

في اليوم الثامن من كانون الأول عام ١٩١٧م وفي ليلة الأحد بعث متصرف القدس (عزت بك) يطلب مفتي القدس (كامل الحسيني) ورئيس بلديتها (حسين سليم الحسيني) إلى داره. وفيها خاطبهما قائلاً: قد أحاطت الجنود الإنكليزية بالقدس ولا بد من أن تسقط في أيديهم وأنا سأترك المدينة بعد نصف ساعة سألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم ـ أي تسليم المدينة للفاتحين.

وفي نحو التاسعة من صباح الأحد ٩/ ١٢/ ١٩١٧م خرج رئيس البلدية يصحبه ابن أخيه توفيق صالح الحسيني، ومفتشا الشرطة عبدالقادر

العلمي، وأحمد شريف، وفريق من الشبان منهم رشدي محمد المهتدي، وجواد إسماعيل الحسيني، وحنا إسكندر اللحام الذي كان حاملاً العلم الأبيض، إشارة للتسليم. التقى هؤلاء بالإنكليز في الغرب من المدينة على طريق الشيخ بدر، وأخذ الضابط يسأل الرئيس أسئلة استدل منها على أنَّ العثمانيين غادروا القدس عندئذ دخل الجيش البريطاني البلدة في العاشرة والنصف، وانتهى العهد التركي الذي دام (٤٠٠ سنة) ١٥١٦ ـ ١٩١٧م

ويصف صاحبا تاريخ القدس ودليلها (ص١٣٨ ـ ١٣٩) دخول هؤلاء البريطانيين للقدس بقولهما:

«وفي صباح اليوم التالي انسحب الأتراك من المدينة، فريق منهم انسحب عن طريق أريحا وآخرون ولّوا وجوههم شطر نابلس. وكانت السماء ماطرة، وكان يُخيم على المدينة سحب قاتمة من الرهبة والسكون، فدخلها الإنكليز (الأحد ٩ كانون أول ١٩١٧م) دخلوها عن طريق الشيخ بدر، الحي الكائن إلى الغرب من المدنية، وكان أول عمل قام به الإنكليز بعد احتلالهم المدينة، أن نصبوا عند مدخلها من الغرب، وذلك المدخل الذي دخلوها منه.. وهو الحي المعروف بحي الشيخ بدر، نُصْبا من الرخام الأبيض تذكارًا لفتحهم، نقشوا عليه اسم اللورد اللنبي والتاريخ الذي فُتحت على يده، وأنشأوا حول النصب حديقة ـ وأرادوا أن يرفعوا على النصب صليبًا. إلا أنهم عادوا فعدلوا عن ذلك استجابة لرغبة اليهود. ووضعوا الصليب لا يراه الناظر من بعيد وفي ١١/ ١٢/ ١٩١٧م، وبعد أقل من ستة أسابيع من إعلان وعد بلفور، دخل الجنرال اللنبي القائد العام للقدس من باب الخليل، وأذاع على

سكان بيت المقدس من على درج القلعة الواقعة بباب الخليل البيان التالي إلى سكان بيت المقدس وأهالي القرى المجاورة:

«إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي، أدى إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي وفي الوقت الذي أُذيع عليكم هذا النبأ، أُعلن الأحكام العرفية، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية...»[1].

* **الثورة العربية خنجر دامي في الخلافة العثمانية:**

في ٩ شعبان الموافق ١٠ يونيو ١٩١٦م ابتدأت الثورة العربية عندما أطلق الشريف الحسين أمير مكة رصاصة الثورة على ثكنات الجيش العثماني، ثم أذاع منشور «الثورة» وما دري هذا الشريف!! أنه خان أمته ووقع في براثن الكولونيل لورانس المسمى بلورانس العرب.. عاشق الصهيونية.. وبجنود الشريف حسين الأعراب دخل اللنبي القدس... من يتصور هذا!! ويغرس علمه على جبل صهيون ويقول: لقد انتهت الحروب الصليبية الآن.

* **دخول اللنبي فلسطين ومعه الغفاة من القوميين:**

فَيا وقفَةَ التاريخِ يَسكبُ دَمعةً
يُودِّع من ساحاتِهِ الخَضِراتِ

وَيا وَقفةَ التاريخ يَسكُبُ أدمعًا
عَلَى هَولِ ما يمتدُّ من نكبَاتِ

(١) «بيت المقدس» لشُرَّاب ص(٢١٥ ـ ٢١٦).

وَيَا وَقفَةَ التَّارِيْخ والزّحْفُ مُقْبلٌ
وفرحَةُ قِطعانٍ وفرحةُ شاةِ
فَيَاأيُّها الأَقْصَى...! حَنانَيْكَ..هَلْ تَرى
أَكفَّ وفاءٍ أم أكفّ عُداةِ
وهل رَاعكَ الزحفُ الذي شد جَمعهُ
بَنوْكَ وَقَد غذَّوهُ بالمُهُجاتِ
أَلّلنبي...! وقد خفَّت إليه عمائمٌ
ودَفقُ جَماهيرٍ وخفقُ سُعاةِ
ومَا ضرَّهم لو كان فيهم مُضلَّلٌ
وَحِيدٌ يُغَذّي الشرَّ بين هُدَاةِ
ولو كان فرداً واحداً هَانَ أمرُهُ
ولكنهم جمعٌ وحَشدُ غُفاةِ
ولكنهم، يا ويحَ نفسي، أُمةٌ
غَفَت وتولاَّها طَويلُ سُباتِ
ومَاجت لهُ الدنيا...! دويَّ مُنافقٍ
ورجفَةَ رِعديدٍ وهمسَ وُشَاةِ
وصفَّقَ مأجُورٌ... ورجَّعَ أَحمَقٌ
عُوَاءَ ذئابٍ أو صَدَى طَعَناتِ
أَلّلنبي...! وقد أَصغَت مَواثيقُ أمةٍ
إليكَ، وآمَالٌ وعَهدُ حَياةِ

تكلم...! وقد أصغَت قُلوبٌ وأَضلُعٌ
تُرَجعُ من شـــوقٍ حنينَ رُفَـــاتِ
وَقَـتلَى على المَيـدان كُنتَ تَقُـودُها
أزِمَّـتُـهـا عَـهـدٌ وجَـهلُ غُـفَـاةِ
تكلم...! كـأن الغَـدرَ يهـدرُ من فمٍ
وتَنطلِقُ الأَحـقـادُ من كلِمَـاتِ
أللنبي...! أَزح عنكَ القِناعَ لعلنا
نرَى مـا طوَاه المكرُ من صـرخَـاتِ
فَـدَوِّى: هُنَا يُنهي الصليبُ حُـروبهَ
ويُمـضِي فُنُونَ الموتِ والفَـتَكاتِ
ويُمـــضِي معَ الأيام نهجَ إبادةٍ
وخُطةَ تَمـــزيقٍ ووأدَ حَـــيـــاة
ودوَّى بهـا الأقـصَى يَمُـوجُ بأدمعٍ
مُـفَـزَّعَـةِ الأحـزَانِ مُـشـتـعِـلاتِ
وَعَـادَ رجـال المسلمين... وخَلَّفـوا
هُناكَ... بقـايَا الدمع والحَسَـراتِ
يَعـضُّـونَ من طُولِ النداميةِ كـفَّـهُم
ويُـحـنُـونَ مـن هـامٍ ومـن نَـظـراتِ
يَمُرون... والساحَاتُ صرَعى ولم تجِد
لهـا من بواكٍ حـولَهـا ونُعـاةِ

وغـابَت وُعُـودُ «الإنجليـز» كـأنهـا
بقـيـــةُ أَحـــلامٍ وَوهـمُ رُوَاةِ
وكـشـرَت الأنيـابُ وامـتَـدَّ مـخلَبٌ
وَعـــوت ذئابُ البـيـــدِ والفَلَواتِ
ودَوت وُحُـوشُ الغَـابِ تسـحَقُ دُونَهَـا
ديَـارًا وتَـرمي شـــاهِـقَ الـذَّرَوَاتِ
تُمـــزق أوصـــالَ البِـــلادِ غَنَائِمًـــا
تَنَاهَبُـهَـا في جَـهـرَةٍ وبَيَـاتِ
فـيـا أيهـا الأقـصى إسـارُك خـانِقٌ
عَلَى قـبـضَـةٍ تَدمَى وكَفٍّ جُناةِ
تُحـيطُ بكَ الأفـعَى وسُمّ انتِـدابِهـا
وتَزْحَفُ صِـهـيـونٌ إلى أكـمـاتِ
وتقطَعُ أرحَـامًـا وتنصُبُ بينهَـا
حُـدوداً وتُوري النار في أجَـمـاتِ
إذا سَـقَطَ «الأقـصى» فكل دُروبهم
مـفـتَّـحَـةُ الأبوابِ والطُرُقـاتِ
فسِيري «فرنسا» ها هُوَ الدّربُ شقه
لِزحـفِكِ ليلٌ حَـالِكُ الظُلُمـاتِ
أفـاقَت دِمـشقٌ والرَّدى يدفَع الرَّدَى
ودَفعُ المَنَايا صَـاعِقُ الخَطَفـاتِ

فَهبَّ إلى ساحاتِها الصِّيدُ والتقتْ
مَلاحمُ من هولٍ ومن غَضَباتِ
فيا «مَيْسَلُونُ» استرجعي دمعَةَ الأَسى
ويومًا يُرَوِّي الدهرَ بالعَبَراتِ
أحاط بك المكرُ اللئيم وأطبقت
عليكِ زُحُوف الموت والنكبَات
فرنسا...! وهذي الشامُ لمت دُموعَها
على حُرقَةِ الأجفانِ واللَّمَحَاتِ
وهذي دِمشقٌ والليالي تَمدُّها
مآتمُ أَجيالٍ ونَعيُ كُماة

❁ ❁ ❁

غورو الصليبي وقبر صلاح الدين

لما وقف غورو على قبر صلاح الدين ركله بقدمه وقال: ها قد عُدْنا يا صلاح الدين!

أَعِيدي صَدَى «غورو» ووقْفَةَ فاجرٍ
جَبانٍ وزيفَ المجدِ والدعَواتِ
وَقَفتَ على قَبرٍ يَضُمُّ جِدَارُهُ
جَلالَ حَياةٍ في جَلالِ مَمَاتِ

أرَاعَكَ هذا القـــبـــرُ أم رَاعَك الذي
يَضم من الأَحـــداثِ والوقـــعَـــاتِ
حَسِبتَ الذي في القبرِ مَيْتًا... وإنَّه
شَـــهـــيـــدٌ مـــضى للَّه في وثَبـــاتِ
فـــخـــانَكَ من عـــزم الرجـــالِ عـــزيمةٌ
وَرُحتَ ذَليلَ الصـــــوتِ والخَطواتِ
تُنادي صـــلاح الدين مَـــهـــلاً فـــإنَّه
يُدَوِّي دويّ الســـــاحِ والخَلبـــــاتِ
دَويًّا يـهـــــزُّ الأرضَ تحـــــتَكَ هزةً
وينزَغُ من جَنبـــيكَ أيَّ ثَبـــاتِ
نِداؤكَ كـــيـــدُ الظالمين وكـــبـــرُهُم
وزيفُ حَـــضـــارَاتٍ وزيفُ دُعَـــاةِ
نِداءُ جَـبـــانٍ جَـــاوزَ الكِبـــرُ جُـبنَه
فَـــخـــر صَـــرِيع الكِبـــرِ والسكراتِ
هُزِمتَ أمـــامَ القـــبـــرِ شـــرَّ هَزيمةٍ
كـــمـــا هُزِمَ الأجـــداد في غَـــزَواتِ
نداءُ صـــلاح الدين مِلءُ حَـــواضـــرٍ
ومِلءُ زمـــــانٍ زاهِرٍ بشُـــــدَاةِ
أُولئك إن شِـئتَ الجـدودُ فَـسلْهُمُ
لعلكَ تَلقَى الصـــدقَ بَيْنَ رُفَـــاتِ

جُـدُودُك طوَّاهم تُرابٌ وغـيـهَـبٌ
وَوَارَاهُمُ التـاريخُ في حُـفـرَاتِ

أولئك...! سَلهُم عن شِـعـارٍ ورَايةٍ
ومَـا زيَّفـوا من جَـوهرٍ وسِـمَـاتِ

أحُـرِّيَّةُ الإنسـانِ خنقُ حناجـرٍ؟
وزَيفُ إخـاءٍ في لـهـيب تِرَاتِ

وزيفُ مُـسـاواةٍ على جَـاهليـةٍ
مُـؤَجـجَـةِ الأهوَاء والنزَواتِ

وهذا صـلاحُ الدينِ مـجـدٌ مُـؤثلٌ
على الصِّدقِ مَنشُورٌ على صفـحَاتِ

❁ ❁ ❁

فَأَينَ «بْرِطانيا»... أين عَهدُ عِصَابَةٍ...!
وَأينَ «فَـرنَسَـا»... من حَنانِ عِظاتِ

وَأينَ «كِلايتُون»... أينَ «لُورنسُ» حَرَّكا
خُـيـوطًا ومـدّا بينَهـا شـبكاتِ

رَسَـائِلَ «مكمَـاهُون» خُطت بأدمُعٍ
وبِالدمِ دَفَّـاقًـا على هَضـبـاتِ

طَوتهُم زَوايا «سَايكس بيكُو» وقسَّمُوا
على شَـهـوةِ الأَطمـاعِ والنزَعـاتِ

ووعـدٌ علَى «بلفُور» تَحميـه عُـصبَـةٌ
وَتَدفـعُـهُ في الجَـهـرِ والعَـتَـمـات

فَبَكّوا كما تَبكي النساءُ وَولولوا
على غُصَصٍ من دَمعِها شرِقاتِ
وَهَل بَاتَ يُجدِي الدمعُ والدارُ أَصبَحَت
على ذُلِ أهليها سَخيّ هِبَاتِ
وَأينَ شِفَاءُ الدمعِ والنصلُ قَد جَرَى
يَحزُّ رُءُوسًا أسلَمت لِعُتاةِ
عُتَاةٍ... أصَابُوا الزرع والضرع والحشا
ومَدّوا قَناةً أُتبِعَت بِقَنَاةِ
يَجُودون بالأقصى لصِهيونَ منحَةً
وَيَرمُون بالأعراضِ والفَلذَاتِ

❁ ❁ ❁

وهَل كانَ يَدرِي «الإنجليزُ» بأنهُم
سَيَلقَون عُقبى الشرِّ والتبِعَاتِ
سَيَلقَون والأحلافَ يَومًا يَهُزهم
ويَنقُضُ من دارٍ ومن شُرُفَاتِ
تَخِرُّ سُقوفُ الدارِ فَوقَ رءُوسهم
ويَهْوُون في وادٍ من الظُّلماتِ
يُحِيقُ بهم مكرٌ رَمَوا ويسُومهُم
مَن الذلِّ ما سَامُوهُ من ضَرَبَاتِ
فلسطينُ هل أبقيتِ دمعًا لنائحٍ
حنانيْكِ من شوقٍ ومن عبراتِ

عداوة اليهود والنصارى
دينيّة
ومعركة القدس
بين
أبواق اليهود وأجراس النصارى وأذاننا

عداوة اليهود والنصارى دينيّة

من أصدق من اللَّه قيلاً؟! ومن أصدق من اللَّه حديثًا؟!

* قال الحق عز وجل وكلام الملوك ملوك الكلام: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

* وقال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

إن عداوة اليهود والغرب لنا دينية وعداوتنا لهم دينية. إن طبول الحرب على أبواب القدس تخالطها وتعلوها أبواق اليهود وأجراس النصارى، فلماذا يتغابى ويتغافل المتربعين على كراسي القيادة والريادة الفكرية والإدارية لأمة الإسلام...

إن تغييب الإسلام عن معركة القدس وفلسطين خيانة يرتكبها العلمانيون.. وستجتمع الزنود والسواعد المتوضئة حول صيحات الأذان تحلو لهم رنّات التكبير ويفقهون معنى الشهادة، ولا سبيل غير ذلك لعودة القدس.

ينطلق اليهود في صراعهم مع المسلمين من منطلق ديني؛

مسمى دولتهم إسرائيل سُمّيت باسم نبي اللَّه يعقوب وهو أيضًا إسرائيل عليه السلام، والأرض التي احتلوها هي أرض وعدهم الرب بها منذ القدم مثلما تقول توراتهم المحرفة.

ونجمة داود في وسط علمهم، والرمز الرسمي لدولة إسرائيل هي الشمعدان بفروعه السبعة ترمز لأيام الخليقة السبعة. وهذه بعض النصوص التي تؤيد ما نقول:

❑قال «هرتزل»: «إن فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان»[١].

❑وقال «إيغال آلون»: «جاء اليهود إلى البلاد لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم، الأرض التي وعدها اللَّه لهم، ولذراريهم في العهد القديم المبرم قبل آلاف السنين بين اللَّه وبين إبراهيم»[٢].

❑وقال «مناحيم بيجن» في كتاب الثورة: «منذ أيام التوراة وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأبناء إسرائيل، وقد سميت هذه الأرض فيما بعد فلسطين، وكانت تشتمل دومًا على ضفتي نهر الأردن. إن تقسيم الوطن عملية غير مشروعة، ولن يحظى هذا العمل باعتراف قانوني، وإن توقيع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها، وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها وإلى الأبد»[٣].

❑وقال أيضًا في ١٩٦٨/٥/٢٨: «إن الأراضي العربية المحتلة هي أراضي إسرائيلية حررتها إسرائيل من الحكم الأجنبي غير الشرعي»[٤].

❑وقال «بن جوريون» في تبرير حرب ١٩٥٦م ـ: «إنه يوطد أمن إسرائيل ويحميها من العدو، ويحرر أرض الأجداد من الغاصبين»[٥] وبنفس الأسباب برر «ليفي أشكول» العدوان الإسرائيلي على فلسطين عام ١٩٦٧م حيث قال: «حماية إسرائيل، وتوطيد أمن إسرائيل، وتحرير الأرض من الغاصبين»[٦].

(١) «يوميات هرتزل» ص(٧٢)، مجلة صوت الأقصى عدد (١) سنة ١٤٠١هـ ص(٤).
(٢) جورجي كنعان: «وثيقة الصهيونية في العهد القديم» ص(٢٣).
(٣) «أهداف إسرائيل التوسعية» لمحمود شيت خطاب ص(٢٩).
(٤) المصدر السابق ص(٢٦).
(٥) «أهداف إسرائيل التوسعية» ص(٥١).
(٦) المرجع نفسه.

▫ وقال «إيجال آلون» في تصريح أدلى به في ٤/ ٩/ ١٩٦٩م: «إن القدس ستظل موحدة إلى الأبد بصفتها عاصمة إسرائيل»[١] .

▫ وقال «بن جوريون»: «ولا معنى لإسرائيل من غير القدس، ولامعنى للقدس من غير الهيكل»[٢] .

▫ وقال أيضًا في ١٠/ ١٠/ ١٩٦٧م: «إن القدس الموحدة ستظل اليوم وإلى الأبد عاصمة لإسرائيل، كان هذا الوضع منذ ثلاث آلاف عام، وسيظل كذلك حتى نهاية الأيام»[٣] .

* وجوب تحرير أرض إسرائيل في نظر الحاخامات:

يرى حاخامات اليهود وجوب تحرير أرض إسرائيل من الغاصبين، وهم يعتبرون الجيش الذي يقوم بذلك جيشًا مقدسًا، كما قال الحاخام «تسفي يهودا كوك» ـ الزعيم الروحي لجماعة غوش أمونيم ـ: «إن الجيش الإسرائيلي كله مقدس؛ لأنه يمثل حكم شعب اللَّه على أرضه، وملكوت السماوات تتجلى حتى في حكم دافيد بن جوريون»[٤] .

وكان أبرز ما قاله الحاخام «كوك» في عشية حرب الأيام الستة، إذ كشف النقاب عن أنه بكى عندما اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م بتقسيم فلسطين، وذلك عندما كان جميع اليهود يرقصون ويحتفلون بالقرار وصرخ في الحضور: «أين

---

(١) المرجع السابق ص(٤٦).
(٢) المرجع السابق ص(٣١).
(٣) المرجع السابق ص(٤٢).
(٤) «غوش أمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية» لداني روبشتاين ص(١٥).

نابلس؟ أين أريحا؟ أين نهر الأردن؟ إنها جميعًا لنا»[١].

وفي أواخر صيف عام ١٩٦٧ عقد في مؤسسة الحاخام هرتسوغ في القدس المؤتمر الأول لخريجي المدرسة الدينيـة، حول وجوب تحرير أرض إسرائيل.

وقد وجه المشتركون الشبـاب ثلاثة أسئلة لمئات الحاخامين في جميع أرجاء إسرائيل وكانت الأسئلة هي:

ـ هل يسمح حـسب تعاليم التـوراة التخلي عن مناطق مـحررة من (أرض إسرائيل)؟.

ـ هل يسمح التخلي عن مناطق خـوفًا من استيعاب عـدد كبير من العرب داخل حدودنا؟

ـ هل يجب أن يرغمنا الضغط الدولي على الانسحاب؟

وقد أجاب مئات الحاخامين بإجابة واحدة: «يجب عدم التخلي عن أي جزء من أجزاء أرض إسرائيل»[٢].

وقد أجاب الحـاخام الرئيسي آنذاك: «إسحاق نسـيم» على الأسئلة بأن أورد فقرة من أحاديث الحـاخام الأكبر «موشه بن ميمـون» قال فيها: «لقد أمرنا بأن نرث البلاد التي قدمها اللّه تعالى لأبائنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولن نتركها في يد غيرنا من الأمم، أو للصحراء».

وقال الحـاخام نسـيم: «إن الإجابـة واضحة وحـاسمـة وهي: أنه

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) لقد نشرت ردود الحاخامين والأسئلة المتعلقة بأرض إسرائيل في صحيفة «موراشا» الناطقة بلسان شـبان حزب «المفدال» ومـدارس بني عكيبا. كمـا نشرت في كثيـر من الصحف. (غوش أمونيم ص١٩ ـ ٢٠).

حسب ما نصت عليه التوراة ليس لأحد الحق في إسرائيل بما في ذلك حكومة إسرائيل إعادة شبر واحد من حدود دولة إسرائيل الموجودة في أيدينا».

وقد أجاب الحاخام «حاييم هليفي» بمحاضرة «حول بداية الخلاص» الذي نشهده بأم أعيننا سواء شئنا أم أبينا وقال: «إن من يفكر بإعادة أرض إسرائيل للأجانب يخالف مبادئ الديانة اليهودية، وإن من يخاف الأقلية العربية الكبيرة فإنه كمن ينتهك حرمة يوم السبت، وإن ثقته باللَّه ضعيفة للغاية».

وقال الحاخام «يهودا غرشوني»: «إن العرب المقيمين في البلاد يحتلون جزءًا من بلادنا، خلافًا لتعاليم التوراة، وهم غرباء ويجب عدم توقيع أي تحالف معهم؛ لأننا مطالبون باحتلال البلاد واستيطانها».

وقال الحاخام «ش. يسرائيلي»: «إن محاربة العرب مثلها كالحرب المقدسة التي وصفها الحاخام موشه بن ميمون بأنها يجب أن تشن ضد ثلاثة هم: عمليك، والشعوب السبعة، ولمساعدة إسرائيل من أي جيش أجنبي يعتدي عليها. وإذا لا توجد علينا الآن فريضة احتلال البلاد لتحريرها من يد الغرباء، فإننا لم نشن الحرب للاحتلال، بل للدفاع الصرف: أي مساعدة إسرائيل من الاعتداء الأجنبي».

وقال الحاخام «ن. ص. فريدمان»: «إن هناك مشاكل ذات طبيعة سياسية وأمنية، ولكنها غير قائمة بالنسبة لامتلاك مناطق البلاد؛ لأن ما يتعلق بتحرير البلاد واحتوائها ذو طابع ديني وتوراتي. وتقول التوراة: إنه ليس لأحد الحق في التخلي عن أي شبر من أراضي بلادنا المقدسة»[1].

---

[1] انظر: «غوش أمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية» لداني روبنشتاين ص(١٥).

هذه أقوال حـاخامـات اليهـود، وهي تدل دلالة صريحـة على أن القتـال في فلسطين واجب ديني مقدس لتـحقيق وعـد اللَّه لبني إسرائيل وتحرير أرض إسرائيل.

❑ قال مـدير إحدى الكليـات العسكرية: «إن تدريس المـعارك التي جاءت في التوراة ضروري للتربية النفسية للجندي الإسرائيلي»[١].

فالعقيدة الدينية أفضل حجة عند اليهود؛ لإقناع الشباب بالقتال من أجل إقامة دولة إسرائيل الكبـرى على أرض الميعاد في فلسطين، ولذلك حينما سمع الشباب اليهودي الحاخام «كوك» يقول بمناسبة تقسيم فلسطين ـ عندما كان جَمعٌ من اليهود يرقصون ويحتفلون بالقرار أي قرار التقسيم ـ «أين نابلس؟ أين أريحا؟ أين نهر الأردن؟ إنها جميعًا لنا»[٢] ذهبوا وتجندوا في وحداتهم، واحتلوا القدس وأريحا، وحققوا ما تدعو إليه عقيدتهم.

وقد اعتمد «هرتزل» على الحاخامين لتحقيق أهداف الصهيونية التي تتفق مع الدين اليهـودي فقال: «مما يدل على أنني لا أعمل لغـير صالح الدين، أنني أريد أن أتعامل مع الحاخامين، جميع الحاخامين»[٣].

وقد حدد «هرتزل» دور الحـاخامين بقوله: «سوف يقوم حـاخامونا الذين نتوجه إليهم بنداء خاص بتكـريس طاقاتهم لخدمة فكرتنا، وسوف يوحون بها إلى رعيتهم، عن طريق الوعظ من على منابر الصلاة»[٤].

❑ وقال أيضًا: «سنقوم بنداءات خاصة لاشتراك الكهنة: يذهب مع

(١) كامل الشريف: «العقيدة الإسلامية ومعركة التحرير» ص(٧٨ ـ ٧٩).
(٢) داني روبنشتاين: «غوش أمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية» ص(١٥).
(٣) «يوميات هرتزل». نقلاً عن «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص(١٨٣).
(٤) مجلة صوت الأقصى عدد ١ ص(٤).

كل جماعة حاخامها، وبهذا تسير هذه الجماعات سيراً طبيعيًّا، فيكون الحاخام نواة الجماعة، وسيكون هناك جماعات بقدر عدد الحاخامين، سيفهم الحاخامون قضيتنا أولاً، ويتحمسون لها، وهم بدورهم ينقلون هذه الحماسة للآخرين من على منابرهم»[١].

ولم يغفل هرتزل عن التأكيد بأن «الشيء الوحيد الذي ما زال يجمعنا هو إيمان آبائنا.. الإيمان يوحدنا..»[٢].

في غضون عامين فقط من الجهد، استطاع هرتزل إقناع عدد كبير من الحاخامين، بحضور جلسات المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بازل عام ١٨٩٧م، حيث اقترح أحدهم، ويدعى «سيف»، العمل على تدريب اليهود الروس على السلاح في أميركا.

وعندما سئل «موشي ديّان» بعد حرب حزيران:

ـ هل كنتم تشعرون أن اللّه معكم في معركة يونيو؟

أجاب:

ـ كنا نشعر أننا في جانب اللّه.

وقال مرة:

ـ إن جيشنا ليست مهمته الأساسية حماية الصناعات، وإنما رسالته حماية المقدسات وعلى هذا الأساس يتدرب ويقاتل..»[٣].

فهو يعزو سبب الإنتصار إلى الإيمان باللّه، وفي نص آخر يعزوه

---

(١) يوميات هرتزل: نقلاً عن «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص(١٨٤).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) هادي المدرسي: «الصراع الإسلامي الإسرائيلي» ص(١٤).

إلى النفسية التي هي: «مزيج من الحب والإيمان والوطنية»، وإلى «تمسك اليهود بالعقيدة التي صهرتها آلاف السنين من التشرد والاضطهاد..»، رابطًا بين معرفة اليهود الدقيقة بالفنون الحربية وبين ذلك «المزيج» وهذا «التمسك»:

«إن الصفات العسكرية الإسرائيلية المتمثلة بتكتيك وتوقيت ممتازين، وبمعرفة دقيقة للفنون الحربية، هي التي حولت الانكسار العربي في نهاية الأمر إلى هزيمة كلاسيكية، ستدرس بإعجاب في الكليات الحربية في مختلف أرجاء العالم، ويكمن وراء هذه الصفات الملموسة تمسك اليهود بالعقيدة التي صهرتها آلاف السنين من التشرد والاضطهاد، وتصميمهم الأكيد على تأمين بقاء إسرائيل كاملة.

كل واحد منا حارب من أجل شيء هو مزيج من الحب والإيمان والوطنية، وكنا نشعر أننا نقاتل لمنع سقوط (الهيكل الثالث)...»[١].

❑ يقول «أندريه شوراكي»: «إن التوراة العبرية والتقاليد التي حواها كتاب التعاليم «التلمود» صارت من بعدُ وطنًا للشعب الذي لا أرض له»[٢].

❑ ويقول المفكر الصهيوني: «يحيئيل بينس»: «إن القومية التي أمثلها، هي تلك القومية التي روحها التوراة، وحياتها مستمدة من تعاليم التوراة، ووصاياها.. إن الدين هو مصدر القومية»[٣].

❑ قال «حاييم وايزمان» ـ أول رئيس لدولة العدو ـ: «لما بلغت

(١) جريدة التايم ١٩٦٧/٦/١٦ نقلاً عن المسلمون والحرب الرابعة لزهدي الفاتح ص(١٩٤).
(٢) «دولة إسرائيل» لأندريه شوراكي ص(٨).
(٣) «قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل» لأسعد رزق ص(١٤٢).

الرابعة من عمري ذهبت إلى مدرسة الدين اليهودي - وهذا ما لا غنى عنه لأي طفل يهودي - وخلال السنوات التي قضيتها في مدارس الدين تلك، كان عليَّ أن أدرس أشياء من أصول الديانة اليهودية، والذي ملك عليَّ لبي سفر الأنبياء»[1].

▫ وانظر إلى أثر العقيدة اليهودية على اليهود من الناحية الاجتماعية

لقد أثرت العقيدة الدينية في الناحية الاجتماعية تأثيرًا كبيرًا، إلى حد الالتزام بمباديء التوراة والتلمود من قبل الشعب، على جميع المستويات حكامًا ومحكومين، فعقيدة السبت عندهم مقدسة، حيث تتوقف في ذلك اليوم جميع الأعمال والدوائر الرسمية وغير الرسمية، ويلتزم بها الرئيس كما يلتزم بها الفرد، فقد سار «بن غوريون» في جنازة «ديغول» ثماني ساعات على قدميه، ورفض أن يركب السيارة؛ لالتزامه بعقيدة السبت.

وكذلك حصل مع «بيجن» في جنازة السادات.

وقد طلب اليهود تقديم اجتماع فك ارتباط القوات المصرية والإسرائيلية إلى الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الجمعة، بدلاً من مساء ذلك اليوم؛ لأنه بداية يوم السبت عندهم، فأجيب طلبهم وعقد الاجتماع في الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة في الخيمة (١٠١) وهو وقت صلاة الجمعة عند المسلمين!!

والطعام في شريعة اليهود نوعان: «كوشير» وهو الذي أباحه موسى عليه السلام شفويًّا، و«كشروت» وهو الذي أباحته التوراة بالنص،

(١) «التربية اليهودية في فلسطين المحتلة» ص(٦٥).

ويلتزم اليهود بهذا الطعام، فتخضع جميع المؤسسات الغذائية التي تقدم الطعام إلى مراقبة «دار الحاخامية»، ومن هذه المؤسسات الفنادق والمطاعم.

وقد كان طعام الوفد الإسرائيلي الذي شارك في مؤتمر القاهرة يأتي يوميًّا من النمسا حرصًا على مراعاة التعاليم اليهودية في الطعام.

وحرص «بيجن» على أن يكون طعامه أثناء وجوده في مصر من «الكوشير» زيادة في الالتزام الديني[1].

وحينما أراد العدو اليهودي إقامة سفارة له في القاهرة أصرّ اليهود على أن يكون موقع السفارة على الجهة الغربية من النيل... لماذا؟ لأن حدودهم تنتهي عند الضفة الشرقية؛ ولذلك رفض اليهود إقامة السفارة على الضفة الشرقية، وأصرّوا على أن تكون على الضفة الغربية احترامًا لعقيدتهم في أن حدود إسرائيل الكبرى تنتهى عند الجهة الشرقية من النيل.

وحين دخلت بعض كتائب الجيش اليهودي في أرض سيناء عام ١٩٤٨م وقفت السيارة الأولى وفيها نسخة كبيرة من التوراة، وهبط الضباط والجنود من السيارات وقبّلوا تراب سيناء قبل أن يجتازوها؛ لأنهم يعتبرون سيناء ملكًا لهم.

والقيادة العسكرية تراعي تعاليم الدين مراعاة دقيقة، فهم يضعون في كل دبابة نسخة من التوراة، ويعينون لكل كتيبة واعظًا دينيًّا،

(١) «صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية» للدكتور محمد عثمان بشير ص(٨٧ ـ ٨٨) دار الفلاح.

يحرضهم على القتال ويمنيهم بالجنة، ولا يبدأون القتال مطلقًا يوم السبت، ويؤيد ذلك ما جاء على لسان «بيغن» في أثناء الغزوة الدموية للبنان: «إن طائرات العال لن تحلق في يوم السبت احترامًا لذلك اليوم المقدس»[١]، ويتفاءلون ببدء القتال يوم الإثنين، كما كان يفعل أنبياؤهم، ويطلقون على معاركهم أسماء ترتبط بالدين: فحرب ١٩٤٨م أطلقوا عليها: «حرب التحرير» أي: تحرير أرض إسرائيل، وحرب ١٩٦٧م أطلقوا عليها: «حرب الأيام الستة»، رغم أنها لم تكن ستة أيام؛ ولكن لأن «النبي يوشع» شن حرب الستة أيام على أعدائه يوم الإثنين، وظل يحاربهم إلى أن حلَّ مساء الجمعة، فطلب من اللَّه أن يؤخر غروب ذلك اليوم؛ حتى يجهز على أعدائه قبل أن يبدأ يوم السبت.

* وللعقيدة اليهودية أثر كبير في الحركة الصهيونية:

▫ يقول هرتزل: «الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد»[٢].

▫ وأكد هذا المعنى «وايزمان» أول رئيس لدولة الكيان الصهيوني، فقال: «إن الشعور الديني هو مصدر الصهيونية والحافز لقيامها، هذا الشعور الناجم عن التقاليد والمعتقدات اليهودية، والمبني على أقدم الذكريات للبلاد التي نشأت فيها الحياة اليهودية الأولى، والتي مارس فيها اليهود حريتهم»[٣].

---

(١) «ملف إسرائيل ـ دراسة للصهيونية السياسية» لجارودي ص(٢٠).
(٢) «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص(١٨٦).
(٣) «الصراع الإسلامي الإسرائيلي» لهادي المدرس ص(١٥).

وقال «ليفي أبو عسل»:

«إن موسى كان أول من شـيَّد صرح الصهيونيـة، ووطَّد دعائمهـا ونشر مبادئها السياسية، وقـد أثبت الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلـقة من سلسلة متـصلة حلقاتهـا، بعضـها ببـعض اتصالاً مستمسكًا وثيقًا ومتوافقة أجزاؤها تماسكًا محكمًا شديدًا..»[1].

وواضح من كلام الصـهيوني «ليفـي أبو عسل» أن الصهيـونية هي بعينهـا الحركة اليهودية التي أجـجت الروح القومية عند اليـهود منذ أيام موسى عليـه السلام. وعن علاقـة الصهيونيـة باليهودية قـال «إسرائيل ابراهامز»: «لقد أجمع يهود العالم على أن قوميتنا اليهودية المشتركة لن يكتسحها قصيروا النظر المتعصبون من دعاة الوطنية المحلية، فجميعنا إذن صهـيونيـون بحكم أن الصهيـونية هي التي تقـوي فينا روح التـضامن، وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة»[2].

وقال وايزمان لبلفور عندما عرض عليه شرق إفريقيا:

«إذا عرضت عليك باريس بدلاً من لندن، فـهل تقبل؟ فاسـتغرب بلفور هذا السؤال، وقال: ولكن لندن هي لنا».

فـقال وايزمـان: «وهكذا القـدس إنهـا لنا منذ كانـت لندن قاعًـا صفصفًا، فهز بلفور رأسه موافقًا، وقال: «هذا صحيح».

ولما اعترض أحد الوزراء على احتـلال الجولان، وعلّل اعتراضه بعدم وجـود روابط توراتية، رد عليـه «إيغال آلون» بقـوله: «إن الجولان

(١) «جذور البلاء» لعبد اللّه التل ص(١٤٣).
(٢) المرجع السابق.

قطعة من إسرائيل القديمة لا تقل أهمية عن الخليل ونابلس»[١] وهبّ زعماء إسرائيل يؤكدون أن استيلاءهم على الأراضي المحتلة إنما هو تحقيق لما جاء في أسفار العهد القديم، وأخذوا يستحضرون بعض النبوءات»[٢].

وبعث أحد الحاخامات اليهود ببرقية إلى ديان بعد حرب ١٩٦٧م جاء فيها: «إن وجود إسرائيل في المناطق الجديدة هو تحقيق لأحلام السلف من شعبنا»[٣].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل برر الحاخامات غزو جنوب لبنان، واعتبروا أرض لبنان هي أرض قبيلة «عاشو» التي ورد ذكرها في التوراة... وهكذا فإن إسرائيل تعتمد في سياستها التوسعية على نصوص من التوراة.

وقال «بن غوريون» ـ أحد أقطاب الحركة الصهونية المعاصرة ـ: «أنا يهودي أولاً وإسرائيلي بعد ذلك؛ لاعتقادي بأن دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره، ونيابة عنه»[٤].

وقال موشي ديان بعد حرب ١٩٦٧م: «هذا يوم بيوم خيبر. يا لثارات خيبر»[٥].

وبعد هذه الحرب أيضًا أصدر اليهود بطاقات معايدة، كتب على

---

(١) «الوثيقة الصهيونية في العهد القديم» لجورجي كنعان ص(١٠٣).
(٢) المصدر السابق ص(٧٢).
(٣) المصدر السابق.
(٤) «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص(١٨٦).
(٥) «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم ص(٢٨).

بعضها: «هزيمة الهلال»[١]. ورسم على البعض الآخر جنود يهود يطلون بعربدة وفجـور من مآذن المساجد الإسـلامية في المناطق المحتلة، وكـتبوا تحتها: «المؤذنون الجدد في الشرق الأوسط»[٢].

❑ وحينما دخلت جولدا مائير بعد احتلال القدس سنة ٦٧م فكانت جولدا وجميع وزرائها يمشون وراء الحـاخامات حفاة يبكون وهو سائرون نحو حائط المبكى في القدس القديمة.

وحينما وقفت جولدا على شـاطئ خليج العقبة ـ إيلات ـ وأخذت تستنشق الهواء، وتقول: «إني أشم رائحة أجدادي في خيبر»[٣].

فالصراع بيننا وبين اليهود صراع بين الإسلام والكفر.

❑ قال بنيامين نتنياهو في شهر ٤/ ١٩٩٧م خلال زيارته لأمريكا:

«حين أسير في القدس، أشعـر بأني أسير في المكان الذي خطا فيه الملك داود»[٤].

* انظر إلى هوسهم بالقدس:

لما وافق تيـودور هرتسل على اقتـراح السـياسي البـريطاني الكبيـر «تشمبرلين» في إعطاء اليهود وطنًا قوميًّا في أوغندة بوسط أفريقيا[٥]، ثار غلاة اليـهود على زعيمهـم، واعتدوا على مساعـده «ماكس نُورداو» بالرصاص، واتهموا هرتزل نفسه بالخيانة، وعند اجتماع المؤتمر الصهيوني

---

(١) المصدر السابق ص(٢٩).

(٢) «لورنس العرب على خطى هرتزل» لزهدي الفاتح ص(٢٣).

(٣) «صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية» ص(١٠٤).

(٤) مقدمة كتاب «القدس.. مدينة اللَّه ـ أم مدينة داود» ص(١٩).

(٥) كحل مؤقت لتشرد اليهود في الدول. وإلا فهرتزل يهودي من ناصيته إلى أخمص قدميه.

العالمي السادس بدأوا يهتفون ضده من القاعة، حتى إذا ما بدأ ينشد «إن نسيتُك يا أورشليم... نسوا هم كل شيء، وصفا له الجو، وسُلِّمت له الزعامة»[١].

هذي ترنيمتهم المقدسة ومزمور من مزاميرهم
(إن نسيتك يا أورشليم فلتُشلَّ يميني
وليلتصق لساني بحنكي إنْ لم أذكرك
إن لم أرفع أورشليم على قمة ابتهاجي)

إن إسرائيل الكبرى تُرسم خطوطها توراتيا من النيل إلى الفرات، «ومَن شك في هذا فليسأل العلم الإسرائيلي ذي الخطّين الأزرقين اللذين يرمزان إلى نهري النيل والفرات! وليسأل النجمة السداسية المدّعاة بـ «نجمة داود» التي ترمز إلى مملكة داود، والتي يتطابق مثلثاها للدلالة على تعاضد السلطة الدينية مع السلطة المدنية كما كان شأن الدولة في عهد مُلك داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ، وليسأل اللافتة المنصوبة على مدخل الكنيست الإسرائيلي متضمنة الوعد المذكور في التوراة، وليسأل بعد ذلك العملة المعدنية الإسرائيلية التي يتعامل بها اليهود منذ أواخر العقد الماضي صغارًا وكبارًا نساءً ورجالاً وأطفالاً، لتذكرهم كل يوم.. بل كل لحظة وهم يتعاملون بها.. الوعد الذي لم يكتمل وهو «إسرائيل الكبرى» حيث رُسِمت على العملة خريطة لتلك الأرض بحدودها من النيل إلى الفرات»[٢].

---

(١) «القدس مدينة اللَّه» لحسن ظاظا ص(٣٢).

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» لعبد العزيز مصطفى كامل ص(٣٤).

❑ ويقول «مناحم بيـجن» في كتـابه «الثورة» ص(٣٢٥): «منذ أيام التوراة، وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأنبـياء إسرائيل، وقد سُميت هذه الأرض فيمـا بعد فلسطين، وكانت تشـمل دومًا ضـفتي نهر الأردن ولبنان الجنوبي وجنوبي غـرب سورية.. إن تقـسيم الوطن عـملية غـير مشروعة، وإن تواقيع الأفراد والمؤسسـات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها، وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها إلى الأبد».

❑ وقال «شامير» ـ وهو زعيم الليكود بعد بيجين ـ وهو يخاطب جمعًا من المهاجرين: «إن (إسرائيل الكبـرى) هي عقيدتي وحلمي شـخصـيًّا، وبدون هذا الكيان لن تكتمل الهجرة، ولا الصعود إلى أرض الميعاد»[١].

وقد فاز بمنـصب رئيس الوزراء بسبب برنامجه الهـادف للعمل من أجل إسرائيل الكبرى.

❑ و«بنيامين نتنياهو» ينتخب عام ١٩٩٦ تأييدًا لبرنامجه الانتخابي، ويكفي أنه اختار للتحالف الذي كان يقوده اسم «أرض إسرائيل».

❑ يقـول: «مناحم بيجين»: «لن يكون سـلام لشعب إسـرائيل ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعـرب، مادمنا لم نحرر وطننا بأجمـعه بعد، حتى لو وقّعنا معاهدات صلح»[٢].

❑ وقال الحاخـام «ماكوفر»: «لا أشك لحظة في أن الجـامع ذا القبة الذهبية والمقام على الصخرة نفسهـا، التي أقام عليها الملك سليمان مركز العبادة العـبرانية في التاريخ القـديم... هذا الجامع سيدمر لـيقام مكانه

(١) «السلام الضائع في كامب ديفيد» لمحمد كامل ص(٢٧).
(٢) كتاب «الثورة» لمناحم بيجين ص(٢٣٥).

هيكل القدس الجديد الذي سيعاد بناؤه بكل فخامته».

❑قال بن جوريون مقولته المشهورة، وردّدها بعده مناحيم بيجن: «لا قيمة لإسرائيل بدون القدس.. ولا قيمة للقدس بدون الهيكل».

❑وقال نائب وزير المعارف الإسرائيلي السابق «موشى بيلد»: «إن الهيكل هو قلب الشعب اليهودي وروحه»[١].

❑وقال زعيم منظمة «قائم وحي»: «مهمة هذا الجيل هي تحرير جبل الهيكل وإزالة الرجس والنجاسة عنه» وتابع: «سنرفع راية إسرائيل فوق أرض الحرم، لا صخرة ولا قبة ولا مساجد، بل راية إسرائيل فهذا واجب مفروض على جيلنا»[٢].

❑ولما افتتح اليهود نفق «الحشمونائيم» في سبتمبر ١٩٩٦م تحت المسجد الأقصى قال نتنياهو: «إنني فخور جدًّا؛ ومتأثر جدًّا، فالنفق يمس أساس وجودنا».

إن اليهود كانوا يتبادلون طوال أزمنة الشتات تحية يقولون فيها: «غدا نلتقي في أورشليم»! وبعد أن وصلوا إلى أورشليم أو «القدس» واستولوا على حائط البراق الذي يسمونه حائط (المبكى)، ابتدع لهم حاخاماتهم دعاءً يرددونه في كل صلاة أمام الحائط، وهو عبارة عن قسم وعهد على إعادة بناء الهيكل، ويدعون على أنفسهم باكين أن تلتصق ألسنتهم في حلوقهم إذا هم نسوه![٣].

---

(١) «الأصولية اليهودية» ص(١٠٢).

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(٥٧٤).

(٣) «وقد مرّ من قبل «إن نسيتك يا قدس فلتشل يميني..».

وأول من ردد ذلك الدعاء والتزم هذا التعهد هم القادة العسكريون عندما دخلوا القدس عام ١٩٦٧م، ووقتها لم يتقدم (موشي ديان) وزير الدفاع لدخول المدينة المقدسة إلا وراء الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي (شلومو غورين)!، أما (إسحاق رابين) ـ رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي آنذاك والذي تحول بعد إلى «ركن من أركان السلام» ـ، فقد كتب في مذكراته يصف حرارة لحظات دخول القدس والاقتراب من جبل الهيكل. يقول: «كان صبرنا قصيرًا ـ كان يجب أن لا نضيع الفرصة التاريخية، كنا كلما اقتربنا من حائط المبكى ازداد الانفعال.. حائط المبكى الذي يميز إسرائيل، لقد كنت أحلم دومًا بأن أكون شريكًا.. ليس فقط في تحقيق قيام إسرائيل، وإنما في العودة للقدس، وإعادة أرض حائط المبكى إلى السيطرة اليهودية.. والآن عندما تحقق هذا الحلم، تعجبت: كيف أصبح هذا ملك يدي!؟ وشعرت بأنني لن أصل إلى مثل هذا السمو طيلة حياتي».

هذا هو رئيس الأركان الذي أصبح بعد ذلك رئيسًا للوزراء في الحكومة العمالية «العلمانية»!!

❑ أما الرئيس الإسرائيلي نفسه (زلمان شازار) فقد تقدم هو الآخر نحو الحائط في ذلك اليوم بخطى وئيدة وخلفه جموع يهودية صاخبة، ويصف المعلق الصحفي الفرنسي (جان نويل) هذا المشهد فيقول: «دخل «زلمان شازار» رئيس إسرائيل المدينة التي فُتحت، ووقف أمام حائط المبكى، ولأول مرة منذ عشرين قرنًا يقف رئيس دولة عبرية مستقلة أمام معبد سليمان الكبير.. إن الإسرائيليين الملحدين أنفسهم تأثروا أيضًا بهذه المشاعر الدينية.. إن اليهود لن يُنتزَعوا من

القدس دون أن تدمى قلوبهم»[١] .

❑ وقال ديّان وقتها: «لقد أعدنا توحيد المدينة المقدّسة، وعُدنا إلى أكثر أماكننا قداسة، ولن نغادرها أبدًا»[٢] .

❑ وقال رابين في مؤتمر السلام في «الدار البيضاء»، وفي ضيافة الدولة المضيفة للجنة القدس!! قال: «إن القدس الكبرى الموحدة، ستظل عاصمة لإسرائيل لأبد الآبدين»[٣] .

❑ أما نتنياهو فقد وقف أمام أعضاء الكونجرس الأمريكي في أول زيارة له بعد فوزه في الانتخابات عام ١٩٩٦م وجهر بعبارة محددة ورددها ثلاث مرات، وكأنه يردد قسمًا، قال:

أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد.. أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد.. أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد.

ومع تعالي نبرات صوته كلما كرّر العبارة، كانت تتعالى أصوات التصفيق الحاد، لتغطي على صوت الميكروفونات، حتى دوّت القاعة كلها بتصفيق متواصل، وازداد حماسًا بعدما وقف جميع أعضاء الكونجرس الأمريكي لتحيته!

❑ أما (يهوذا البرق) أو يهود باراك فكان أول تصريح له بعد فوزه أن أعلن تمسكه بالقدس عاصمة موحدة وأبدية للشعب اليهودي.

---

(١) «الخلفية التوارتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل كيلاني ص(٣٦).

(٢) «الخلفية التوراتية» ص(٣٥).

(٣) صحيفة «هاتسوفيه» الإسرائيلية ١٢/ ١١/ ١٩٩٤م.

إن العبارة التي قالها بن جـوريون وكان يرددها بعده مناحم بيجن: «لا قيمـة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمـة للقدس بدون الهيكل» هذه العبـارة تتناسب منطقيًا مع النظرة الدينيـة اليهودية للقضـية، وتدل على أنهم يعُون ويعنون مـا يقولون، وإلا فمـاذا تصنع اليهود بدولة يعـقوب (إسرائيل) بدون مـدينة (داود)؟ وماذا يسـتفيـدون من مدينة داود، دون مـعبـد (سليمـان) الذي ترتبط به صلواتهم وحـجهم ومـجمل ديانتـهم (المنسوخة)؟»[١].

* إسرائيل دولة دينية حتى النخاع:

إن إسـرائيل دولة دينيـة حتى الـنخاع: من اسـمـها، وعـلمهـا، وشعـارها، وعُملتها، ومـؤسسها، وعـاصمتهـا، وحدودها.. تناصب المسلمين أشـد العـداء من أجل دينهم.. ومن يظن غـير هذا من أقـزام العلمانية فهو عريض القفا، غافل، خائن لدينه.

❑ يقـول بن جوريون رئيس وزراء إسـرائيل الأسـبق: «وجب على كل يهـودي أن يهـاجـر إلى فلسطين، وإن كل يهـودي يبـقى خـارج إسرائيل، بعد إنشائهـا يعتبر مخالفًا لتعـاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكفر يوميًّا بالدين اليهودي»[٢].

❑ ويقول حـاييم وايزمان: «ها نـحن يهود فقـط، ولا شيء آخر، شعب داخل شعوب»[٣].

---

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٢٣، ١٢٤).

(٢) «العرب واليهود في التاريخ» للدكتور أحمد سوسة ص(٣٧١).

(٣) «اليهود» لزهدي الفاتح ص(١٢٠).

ويقول أدولف كريمر اليهودي: «جنسيتنا هي دين آبائنا، ونحن لا نعترف بأية قومية أو جنسية أخرى»[١].

المجتمع اليهودي اليوم في الأرض المحتلة يتألف من المهاجرين من ١٠٢ دولة مختلفة، يتكلمون ٧٠ لغة مختلفة، من شتات الأرض، جمعتهم العقيدة الواحدة، رغم اختلاف اللغات والألوان والقوميات والعناصر والأوطان والأفكار!

إنه الدين اليهودي القلب النابض في عرق كل يهودي، والعداء للإسلام، ويقول دفيد بن جوريون: «نحن لا نخشى خطرًا في المنطقة سوى الإسلام».

أما شيمون بيريز ـ الذي يمثل الحمائم في الأحزاب اليهودية ـ فقد قالها بصراحة: «إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهرًا سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد»[٢].

وبدخول الألفية الثالثة تقترب دورة الزمان في التاريخ اليهودي من الانتهاء، لتبدأ دورة جديدة، دورة زمان (ملك السلام) الذي يعتقد اليهود أنه سيقضي على كل أعداء إسرائيل، وفي رأيهم أنه لا بد من تهيئة عالم الشهادة لقدومه من عالم الغيب.. لا بد من إقامة دولته، وتوحيد عاصمته، وتجهيز منبر دعوته وموضع قبلته!.

أما الدولة فقد أقاموها... (إسرائيل)، وأما العاصمة فقد وحدّوها

---

(١) «اليهود» ص(١٠٦).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» لعبد العزيز مصطفى ص(٣١).

(القدس)، وأما منبر الدعوة وموضع القبـلة «الهيكل» فهو مهمة الوقت، وضرورة العصر في الفصل الأخير من الزمن السابق لعهد المخلِّص المنتظر كما يدّعون. وإسرائيل دولة وشعبًا جادة لتنفيذ المؤامرة الكبرى عن طريق:

أولاً: الحفريات تحت المسجد الأقصى:

وقد قطعت الحكومة الإسـرائيلية فيها عـشر مراحل، وهذه المراحل العشـر استغـرقت المدة منذ عام ١٩٦٧م وحـتى نهاية ١٩٨٠م ولا تزال أعمال الحفريات تجري بطرق أخرى إلى وقتنا هذا.

وهي تستهـدف الوصول إلى غاية من أخبث الغـايات التآمرية على المسجد الأقصى، ولا تستطيع المنظمات اليهودية كلها أن تقوم بها وهي: تفريغ الأرض تحت المسجـدين، لتركهما قائمين على فـراغ ليكونا عرضة للانهيار بعد ذلك.

ثانياً: شق الأنفاق:

وهي عمليات تشترك مع عمليـات الحفريات في أنها تهدّد أساسات المسجد الأقصى في المرحلة الحالية، وتسهل أو تكمل مشروع بناء الهيكل في المراحل التالـية، وقد تم الافـتتاح الرسـمي لنفق (الحشـمونائيم) في سبتـمبر عام ١٩٩٦م وتـبنت الدولة العبرية هذه الأعمـال. وهناك أنفاق أخرى يجـري الإعداد لهـا والعمل فـيهـا، والهدف منهـا أن يأتي وقت تكتمل فيـه ممرات وشوارع تحت ساحات الأقصى تسـهل التنقل تحته في المراحل القادمة.

وإسرائيل بهذا تُلقي برسـالة مفادها أن اليهود أصبـحوا شركاء في ساحات الأقصى؛ فـالأنفاق تجري من تحتها، وبداخلهـا مساحات تصلح

لأن تكون كنيسًا مؤقتًا، يقيم فيه الراغبون من اليهود صلواتهم في «الدور الأسفل» ريثما يتاح الانتقال إلى الأدوار العليا.

ثالثًا: السور العازل بين المسلمين واليهود:

قبل اغتيال إسحاق رابين بعام، طرح مشروعًا لبناء سور ضخم يمتد بطول ٣٦٠ كيلو مترًا، وارتفاع ثلاثة أمتار، وقد هندس للمشروع (موشيه شاحاك) وزير الشرطة الإسرائيلي، ووافق عليه بيريز، وبدأ تنفيذ المشروع عام ١٩٩٦م.

ولم تقصّر الولايات المتحدة ـ حكومة وشعبًا ـ في دعم المشروع المريب، بل إنها تعهدت بأن يتم تنفيذه كاملاً بتمويل أمريكي خالص، وقد أقرّت له ميزانية منذ عام ١٩٩٣م، وقدّم كلينتون القسط الأول (مائة مليون دولار) في زيارته لإسرائيل عام ١٩٩٦م، وموّلت واشنطن أيضًا عمليات تزويد السور بـ (١٨ معبرًا) وطائرات استطلاع بدون طيار تحلّق على مدار الليل والنهار فوق السور، وأجهزة لضبط المتسللين وكشف المتفجرات، وتقرر تزويد السور ببوابات إلكترونية حديثة تمنع تسرب أي آلة معدنية، وأعلن في الولايات المتحدة عن إرسال معدات تُركّب في الحيّز العرضي للسور مع بالونات عسكرية بها أجهزة رصد تصويرية للحركة على امتداد السور، وسيزود الأمريكان إسرائيل أيضًا بـ(٢٠٦) طائرة هليوكبتر من النوع الخفيف لمزيد من المراقبة على الساحات المحيطة بالسور، وسيؤدي السور ـ الذي سيحوّل المناطق الفلسطينية إلى معتقل كبير ـ إلى حرمان المسلمين في الأرض المحتلة من مجرد التمتع بالنظر إلى أرض المقدسات من وراء الأفق، وصدق رسول اللّه ﷺ حيث قال في الحديث الذي مرّ بك: «... **وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن**

فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا».

واسمعوا إلى هذه الأسطورة التي تتحول أمامنا إلى واقع: جاء في كتاب «القابلاه» في شرح التوراة: «توصف القدس بـ(الشخيناه) يعني: الملكوت الذي سيحكم العالم، وستحيط بها المرتفعات؛ حتى لا تصل إليها قوى الظلام، وستعلو جدرانها؛ حتى يعود التوازن إلى العالم»[1].

إذن، تحصين القدس وتحويلها إلى قرية محصنة والاستتار خلف أسوارها مناسب لطبيعة اليهود كما قال تعالى: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾[الحشر: ١٤].

وأمر آخر هو تسكين اليهود المتدينين لمدينة القدس يسير وفق نسق ديني، يرسم معالمه المتشددون من حاخامات وكهنة وطلاب علوم دينية.

* الاستعداد لبناء الهيكل:

جمع الأحجار أولاً:

وقع اختيار إحدى الجماعات الدينية على حجر كبير «مقدس»!! يزن ٥,٣ طن، فقاموا في ١٥/ ١٠/ ١٩٨٩ بوضعه حجر أساس للهيكل الثالث بالقرب من مدخل المسجد الأقصى، وقال وقتها (جرشون سلمون) زعيم جماعة (أمناء الهيكل): «إن وضع حجر أساس الهيكل يمثل بداية حقبة تاريخية جديدة ـ نريد أن نبدأ عهدًا جديدًا من الخلاص للشعب اليهودي».

وأصبح جمع الأحجار المقدسة من صحراء النقب وغيرها عملاً

---

(١) «موسوعة اليهودية والصهيونية» للدكتور عبد الوهاب المسيري (٤/ ١٢٥).

تعبديًا للكثير من المعنيين بالتعجيل ببناء الهيكل.

ويقدر عدد الحجارة بستة ملايين حجر «توراتي»، أعدت عائلة (ليفي) اليهودية الثرية التي تملك كسارات حديثة جدًّا في جنوب الأرض المحتلة ـ كميات ضخمة من الحجارة التي لم تلمسها يد إنسان، أو أزميل عامل، حسب وصف التوراة[1] ـ على زعمهم ـ.

وانظر إلى هوسهم حين يقول أحد زعماء اليهود المتطرفين: «عندما ألمس هذه الحجارة وأحملها، أشعر بأن شيئًا من الجنة يتحرك فيها».

❑ نبّه تقرير أذاعته وكالة الأنباء الفرنسية في أوائل أغسطس سنة ١٩٩٧م أنه لم يعد سرًّا أن الهيكل تم تصميمه الهندسي في الولايات المتحدة الأمريكية، على يد مستشارين هندسيين من يهود أمريكا.

وذكر التقرير أيضًا أن هذا التصميم وُضِع تحت تصرف الحكومة الإسرائيلية الآن، وتم إعداد فريق متكامل من عمّال البناء سيظلون تحت رهن الإشارة للعمل عندما يحين الوقت[2].

* وماذا بعد الحجارة:

أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية في تقريرها في شهر أغسطس عام ١٩٩٧م أن الاستعدادات تجري لتجديد وإحياء التقاليد والطقوس التي ستمارس في الهيكل، بما فيها من مذابح للحيوانات التي ستقدم ضمن الشعائر اليهودية، وذكرت أن الحاخامات ينشطون الآن في تخريج أجيال تقوم على رعاية تلك الطقوس في (معهد الهيكل) بالقدس.

---

(١) نقلاً عن «الخليج» ٦/ ١١/ ١٩٩٧م.

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(٨٨، ٨٩)، نقلاً عن (الشرق القطرية ١٩/ ٨/ ١٩٩٧م).

▫ يقول اليـهودي الفرنسي «إيمانويل هيـمان» في كتابه «الأصـولية اليهودية»: «توجد في القدس أكاديمية تلمودية تؤهل طلبتها لمهمة خاصة، هي إعداد الكهنة الذين سيـقومون بالخدمة في الهيكل الكبـير عند إعادة بنائه، وللاستـعداد لهذه الأيام المجـيدة، يعكف الحاخامـات على دراسة نصوص التوراة لاستخراج أدق التفاصيل لكيفية أداء الطقوس الإلهية كما كـانت تمارس في مملكة (إسـرائيل) منذ ثلاثة آلاف عـام، وبكل الصبـر والعناء، يعيـدون صياغـة أدوات العبادة، ويجمـعون الأواني النحاسـية لتلقي دمـاء الذبـائح وكـئـوس حفـظ السـوائل المقـدسـة وأبواق النداء للطقوس، وعـلى بعد خطوات من حائـط المبكى، أقيم متـحف صغـير لعرض أدوات العبادة على هذه الجماهير المتلهفة، ويأمل الحاخام (مناحيم ماكـوفر) الأمين على هذه المجمـوعة أن يقوم بـنفسه يومًـا بإخراج هذه الأدوات من دواليب العـرض الزجاجيـة لينقلهـا إلى الهيكل بعـد إعادة بنائه، ويقول: «على اليهود أن يقوموا ببناء الهيكل، فهي إحدى الوصايا الإلهية، ولا يجب أن ننتظر معجزة إلهية»[١].

▫ وتُعرض في إسـرائيل في أماكن مـتفـرقة عـشرات من الأدوات الدينية التي سـيحتاج إليـها رُوّاد الهيكل عندما يُبنى، مـثل المعدات التي ستـستخدم في مـعالجة الرماد بعـد التضحـية بالقرابين، والآنية والنبـيذ (المقدس) ومفروشات العبادة[٢].

❀ ❀ ❀

(١) «الأصولية اليهودية» ص(١٠١).
(٢) «السياسة الكويتية» ٣٠/ ١٠/ ١٩٩٧م.

* الشمعدان السباعي المقدس:

حتى الشمعدان السُّباعي المقدس! تجري الآن بشأنه أشياء وأشياء، فهو أعظم رمز ديني عند اليهود، وهو يرمز لأيام الخليقة السبعة في التوراة، التي يعتقد اليهود أنهم سيتوِّجون اليوم السابع منها؛ ولهذا اتُّخذ رمزًا رسميًّا للدولة الإسرائيلية، فنراه منقوشًا على العملات، ومطبوعًا على الأوراق، ومبرّزًا على واجهات المنابر ومنصات المحافل، هذا الشمعدان يعتقد اليهود أن قداسة (قدس الأقداس) داخل الهيكل لا تكتمل إلا بإيقاده داخله، والآن يريدون تحويل ذلك الرمز الأسطوري الديني التاريخي ـ والسياسي أيضًا ـ إلى حقيقة واقعة.

والشمعدان السباعي، ليس واحدًا فقط على ما يبدو، ولهذا جرت ولا تزال تجري المساعي للعثور على القديم (الذي يزن ٦٠ كيلو جرامًا من الذهب)، وإنجاز مجموعة أخرى من الشمعدانات الجديدة!

فقد أدلى (باروخ بن يوسف) زعيم منظمة (بناة الهيكل) بتصريح لوكالة الأنباء الفرنسية في أغسطس ١٩٩٧م، قال فيه: «إن جماعته انتهت من صنع شمعدان ذهبي ضخم تم صنعه في أمريكا، ونُقل بالفعل إلى إسرائيل، وقال: إن جماعته بدأت مع جماعات أخرى لإعداد حاخامات متمرسين في هذا الشأن؛ لإقامة الشعائر الدينية التي ستقام في الهيكل»[1].

وبدأ المليونير المصري (موسى فرج) ـ الذي يقيم في أمريكا ـ عام ١٩٩٠م بمباركة شخصية من صديقه الشخصي نتنياهو ـ قبل أن يصبح

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» نقلاً عن «الخليج» ٩/٨/١٩٩٧م ص(٩٢).

رئيسًا للوزراء ـ في العمل لإنجاز شمعدان ذهبي آخر في الولايات المتحدة، وقد انتهى من إنجازه كما أكّد ذلك (إيهود ألمرت) عمدة بلدية القدس.

❑ وانتهى كذلك من إنجاز عمل آخر هو (خيمة الاجتماع) أو (خيمة العهد) التي يعتقد اليهود بضرورة وضعها في الهيكل؛ لأنها ترمز إلى الخيمة التي اجتمع فيها موسى مع الملائكة ـ حسب معتقد اليهود ـ فوعدته بمجد بني إسرائيل!

وهذه الخيمة الجديدة التي انتهى من إعدادها المليونير اليهودي، تم صنعها من خيوط الذهب الخالص، وقد أهداها بعد إتمامها إلى بنيامين نتنياهو!، وذلك إضافة إلى الشمعدان الذهبي الذي خصّص له المليونير مبلغ ١٥ مليون دولار أمريكي[1].

* والتابوت:

والتابوت الذي يزعم اليهود أنهم سيحصلون عليه مرة أخرى، وسيكون معهم في معاركهم الفاصلة مع أعدائهم، فيكون النصر حليفهم!!

هذا التابوت كان موجودًا في الهيكل الأصلي داخل ما يُعرف بقدس الأقداس، وكان يضم قطعًا من ألواح التوراة وبقايا مما ترك آل موسى وآل هارون، وتابوت العهد هذا يقول عنه أحد علماء الآثار والتاريخ اليهودي: إنه موجود في مكان سري في شمال إثيوبيا قرب مدينة (أقسوم) العاصمة القديمة للحبشة أيام حكم بلقيس وسليمان.

(١) روزاليوسف ١٨/٨/١٩٩٧م.

ورأي آخر في أن هذا التابوت في مكان ما في الطبقات العميقة تحت (قدس الأقداس)، يعني: تحت الأرض المقام عليها الآن مسجد الصخرة، وهذا هو الرأي التقليدي الشائع.

ولهذا صدرت الفتاوى الحاخامية بحظر دخول اليهود إلى داخل أروقة المسجد خوفًا من أن تطأه الأقدام!!

* والمذبح المقدّس:

وهو في الحقيقة من أهم ما يتعلّق بالطقوس داخل الهيكل، هذا المذبح قد أنجز بالفعل، فقد انتهت منظمة (حركة إعادة الهيكل) من بناء هذا المذبح في منطقة قريبة من البحر الميت، وقد أعد بطريقة تسمح بنقله في الوقت المناسب ليمثل مكانه في قلب مباني الهيكل.

وقد تم التحفظ عليه في مكان أمين بمحاذاة الحدود مع الأردن[1].

* البقرة الحمراء العاشرة (ميلودي):

حسب توراتهم المحرفة ـ وفي الإصحاح التاسع عشر من سفر العدد ـ أن البقرة الحمراء ستأتي إشارة من الرب، تذبح هذه البقرة، وتحرق البقرة جلدها ولحمها ودمها مع فرثها، ويخلط دمها بالماء وتستخدم في تطهير الشعب اليهودي؛ ليصبح مهيأً للدخول إلى الهيكل المقدس.

وعلى حسب تاريخ اليهود، جرت التضحية ببقرة واحدة في زمن الهيكل الأول، وثماني بقرات في زمن الهيكل الثاني، واليوم يستعدون لمرحلة (الهيكل الثالث)، وزمان البقرة «العاشرة».

---

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(٩٨ ـ ١٠٠).

وتعـهّد كـاهن أمريكي يُدعى (كـلايدلوت) ينتمي إلـى جمـاعة (حركة الهيكل الثالث) الإنجيلية الأصـولية بأن يُوقف جهوده للعثور على بقرة بالمواصفات الدقيقة الواردة في الـعهد القديم، وجرت مقابلات بينه وبين الحاخام الإسرائيلي (حاييم ريتشمان) الذي يعمل في معهد (الهيكل المقدس)، واقتنع الكاهـن بفكرة الحاخام في إنشاء مزرعـة لإنتاج الأبقار من سلالة (ريد نفوس) الضاربة إلى الحـمرة، وأنشأ الكاهن بالفعل تلك المزرعة في ولاية ميسـيسيبي الأمريكية، وقد أنشأ هذا الكاهن فـيما بعد فرعًا لمزرعته في مدينة حيفا تحسّبًا ليوم تولد فيه البقرة المنتظرة.

وفي شهر أكتوبر عام ١٩٩٦م تم الإعلان عن ميلاد بقرة حمراء في مزرعة (كـفار حسيـديم) أطلقوا عليها اسم (مـيلودي)، وذهب وفد من الحاخامات لمعاينة البقرة، وأعلنوا مطابقتها للمواصفات بعد أن باركوها. وأمروا بفرض حراسة مشددة حولها[1].

* البقرة ونجاسة الشعب (المختار):

من أعـجب أمور اليـهود، أنهم لا يزالـون يؤمنون عن يقين بأنهم (شـعب اللّه المختـار) حتى تقـوم السـاعة!، والأعـجب من ذلك أنهم يعـتقـدون بالقـدر نفسـه من اليـقين بأنهم شـعب (نجس) منذ عشـرات القـرون؛ لأنهم قارفـوا نجـاسات عـديدة لا يمكن التطهـر منها حـسب شريعتهم إلا بدماء البقرة الحمراء ضمن طقوس لا تمارس إلى في الهيكل حسب ما جاء في سفر العدد الإصحاح ١٩.

جاء في الموسوعة الدينية اليهودية: «إن البقرة الحمراء يجب سحبها

(١) جريدة الأخبار المصرية ٢٥ إبريل ١٩٩٧، «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٠٥ ـ ١٠٧).

خارج القدس، وبعد ذبحها يجب حرقها بكاملها بعد إضافة خشب الأرز وأعشاب أخرى، ويشرف على هذه الطقوس حاخام أو كاهن، ويستخدم الرماد في التطهر وطرد الأرواح الشريرة التي يمكن أن تنتقل إلى اليهود من الموتى لومسّوا جثمانهم.

مع العلم بأن ما يقرب من ٩٥٪ من الطقوس العبادية اليهودية التي تؤدى في الهيكل، يحول بين اليهود، وبين ممارستها ما يسمونه بـ(نجاسة الموتى)، بل إن بعض الحاخامات يتحدثون عن استحالة افتتاح الهيكل للعبادة بأيدي (أنجاس)، واستحالة تمكن هؤلاء من القيام بشؤونه وطقوسه قبل تطهرهم برماد البقرة!! وللّه في خلقه شؤون.

كيف إذن سيبنون وهم أنجاس؟!!!

❑ أما عن التخطيط العملي للطهارة الجماعية، قال أحد الحاخامات الكبار: «سنحرق البقرة قبالة موقع الهيكل من جهة الشرق، وبالإمكان أن نضيف إليها بعض الأشجار، وبعد ذلك نخلط الرماد بعضه ببعض، ومن ثم يتم وضع الرماد في أنابيب، وتوزع في أرجاء البلاد!!».

* موعد ذبح البقرة:

حسب المفاهيم اليهودية لا بد أن تذبح البقرة بعد أن تتم ثلاث سنوات، وهناك اختلاف في الموعد الذي ولدت فيه، فالبعض داخل إسرائيل يقول إنها ولدت في شهر أغسطس عام ١٩٩٧م، وهناك من يقول: إنها وُلدت في يناير من العام نفسه، وعلى هذا، فهي ستتم عامها الثالث إما في يناير من عام ٢٠٠٠م، أو في أغسطس من العام نفسه، وعلى هذا يكون العام ٢٠٠٠م عامًا مصيريًّا في عمر البقرة وفي عمر اليهود!!!

وقـد مر العـام فسـحقًـا وبعـدًا لعقـول اليـهود العـفنة وأفكارهم ومعتقداتهم العفنة.

* أيها الغافلون:

اليهود الآن ليسوا من سلالة يعقوب - عليه السلام - بل يهود الشتات وحثالة العالم يجمعهم الدين فقط:

«بنو إسرائيل الذين هم من سلالة يعقوب فعلاً، والذين خرجوا من مصر انقرض أكثرهم بسبب المعارك والغزو الفرعوني، ثم الآشوري، ثم الآرامي والبابلي، ثم الإغـريقي، ثم البطالسة المصريون، ثم الفينيـقيون واليونانيون، ثم الرومـان فهؤلاء شُرِّدوا في أقاصي الدنيـا حتى كان من الأماكن التي فرّوا إليهـا من بطش الرومان المدينة المنورة، ثم خلت منهم فلسطين طيلة خـمسـة قرون حتى الحكم الإسـلامي، فكانت خالـية من هؤلاء اليهود، وحصل نوع من التبشير باليهودية في العصور الوسطى في شعـوب لا تمتّ إلى بني إسـرائيل بصلة ولا علاقـة لهم أبدًا بفلسطين؛ بجانب الذين رحلوا من اليـهود تزوّجوا بقوم آخرين؛ فلذلك تجـد فيهم من ينجب الأشقر والأسود والأصفر ممن لا صلة له بالأصل الإسرائيلي، فاعتنقت بعض الأمم المتـباعدة الديانة اليهودية في اليمـن والحبشة وبلاد القـوقاز وفي أواسط أوربا وفـي بلاد المغرب، وتهـوّد كـثيـر من الجنود الآشورين الذين أُرسلوا إلى فلسطين.

وخلاصة الكلام أن أغلب اليهود (من بني إسرائيل) منقرضين الآن، فالأمر الذي ننبه عليه الآن: أنه لا يصح أن تُسَمَّى دولة العصابات المغتصبة فلسطين باسم إسرائيل.

أولاً: لأن يعقوب ـ عليه السلام ـ بريء منهم.

وكذلك أنهم ليسوا بني إسرائيل الذين وُعدوا بذلك الوعد في التوراة، بل هؤلاء جنس آخر غير بني إسرائيل؛ لأن بني إسرائيل انقرضوا، ولم يبق منهم أحد، وحلّ محلّهم يهود الشتات، وكذلك شهادة علم الوراثة تؤيد هذا أيضًا»[١].

يقرر العلماء أن اليهود ما هم إلا أجناس شتى، يجمع بينهم تعصب ديني «غير أن الحقائق الإنثربولوجية لا تكشف عن هذا فقط، بل تكشف ـ أيضًا ـ عن أن يهود العالم اليوم مختلطون في جملتهم اختلاطًا بَعُد بهم عن أي أصول إسرائيلية فلسطينية قديمة.

ومن هنا فلا جناح علينا إذا نحن قرّرنا في النهاية أن اليهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل، وأن هؤلاء شيء، وأولئك شيء آخر أنثربولوجيا، ولا رابط بين الطرفين سوى الدين والدين فقط»[٢].

يقول الدكتور جمال حمدان أيضًا في كتابه الرائع «المدينة العربية» عن خلق دولة إسرائيل: «ومعنى كل هذا ببساطة أن إسرائيل من وجهة وعلى أساس جغرافية المدن ـ ليست في الحقيقة إلا مدينة شيطانية تجمّعت فيها حثالة مدن العالم ـ أو حثالة البشر ـ والمدينة الإسرائيلية ليست إلا استقطابًا «لحارة اليهود» في العالم ابتداءً من «المللة» المغربية إلى «القاع» اليمني، ومن حارة اليهود "Judencgasse" الألمانية إلى «الجيتو الإسرائيلية، وإسرائيل بهذا ليست في مجموعها إلا «دولة الجيتو»[٣].

---

(١) محاضرة «غزّة ـ أريحا» للشيخ محمد إسماعيل المقدم.

(٢) انظر كتاب «اليهود أنثربولوجيا» للدكتور جمال حمدان.

(٣) «المدينة العربية» للدكتور جمال حمدان.

أنجب المكرُ سليلَه

أنْجَب المكرُ سَليلَه ... وشَفى الغَدرُ غَليلهْ
وجَرى المغرورُ لَهثا ... تَابعًا كُلَّ مَخيلهْ
فإذا الجَولات آلٌ ... وإذا الجائلُ غُوله[1]
تِلك «إجراءَاتُ بدءٍ» ... في المتَاهَاتِ الطَّويلَهْ
ذَاكَ إعلانُ مبادٍ ... للمَسارات المهيلَهْ
فَمتَى نَدخُلُ في صُلب ... المعانَاة الثَّقيلهْ
ومَتى تُنصب سُوق الرّقِّ ... في ظل الخَميلَهْ
ومَتى يَزهُو خِطَام الذُّل ... في أنفِ القَبيلهْ
ومَتى تعبث «استير» ... بأحلام الفُحُولَهْ
ومتَى يفترش الغَرقَد ... صَحراء البُطُولَهْ
ويُغطي وادي الثأر ... ويستاق نخيلهْ
ألهاثٌ وسُعارٌ ... قبل إطفاءِ الفتيلهْ؟
أجُنونٌ وجُنُوحٌ ... قبل إجهاضِ الفَسيلهْ؟
أصُراخٌ وعَويلٌ ... قَبل إخماد القَتيلهْ؟
وحُييٌّ وكُعيبٌ ... لهما مليُون حِيلَهْ
كل بند من شُروط الذُّلّ ... يَبْغي ألف جولهْ
هذه دَوامة الإحباط ... واليَأس القَتُولهْ

(١) تورية ظاهرها أنثى الغول، وحقيقتها غولة بنت كوهين زعيمة المطالبين ببناء الهيكل.

جَـعلوا الذُّلَّ وسَـامًـا ... للتَّـحـدي والبُطُولَه
جَـرَّعُـونا الكأس مُـرًّا ... حَطمـوا فـينا الرُّجُـوله
ألبـسـونا ثَوبَ عـارٍ ... يَسـحبُ الخِـزي ذُيُولَه
نحن في التـاريخ نسيٌ ... كُلَّمـا أرخى سُـدُولَه
أعَلينَا وحـدنَا تستَأسـد ... البُـومُ الذَّلِيلـه
أعَلينَا وحـدنَا تَستَكبـر ... الأيْـدي الهَـزيلَه
أعَلينَا وحـدنَا تَقـوَى ... القَـرارَات العَليلَه
يَا خَليجَ الذُّلِّ دومًـا ... تَدفع الجِـزْيَـة دُوله
فـادفَع المهـرَ كَـثيـرًا ... يَرفُض «الرَّاعي» قَليلَه
واضـمَن الصُّلح رَخَـاءً ... للزَّعَـامَـات العَـميلَه
وَاسـقِـهـا العَـارَ فُـراتًا ... يشـرب الكافِـرُ نيلَه
واجـعل الأقصَى مُبَـاحًـا ... للعِـصَـابَات الرَّذيله
واجـعلِ الأعـلاجَ تَبني ... غُـورَه ثُم جَليلَه
سُلبت عَكا ويَافَـا ... وتُقَاضِـيـه «خليله»
يَخجَلُ التاريخُ من فِعل ... الزَّعـامـات الخَـتيلَه
مـا على جَسَّاسِ مـا ... يُنهش من عـرض الجليله
مَـا عَلى «البَـراضِ» مَـا ... يُنهب من سَرحِ القَبيلَه
الخَواجَات رَضُوا فلتحزن ... الدُّنيَـا الكَليلَه
وإذا الجَـحشُ تَخَلّى ... أركَضَ السَّائِسُ فِيلَه[1]

(١) الحمار والفيل الحزبان الحاكمان في أمريكا والسائس معروف.

يَخـتُلُون الأُمـة العَـقْـرى ... وتُخْـتَـال الخـتِـيله
يَشـرَبُون النفطَ حُـرًّا ... في القَـوارير الصـقِـيلَه
والخَـنَـازيـرُ تُـغـنِّـي ... فَـوقَ هَامَـات الخَليلَه
والعَـدُوّ الصِّـرف هُم ... أَهل الفـدى أَهل البطُولَه
«الأُصـولِيُّـونَ» من يدعُـونَ ... بالدَّعـوى الأصِـيلَه
وبَنُو صُـهـيـون مُنذُ الآنَ ... إِخـوان الفَـسِـيلَه
غَـيـر مـغـضُـوب عَلَيـهم ... عند «أصحاب الفَضِيلَه»!
فـاحـذَفُـوا مـا قـيلَ قُـدمًـا ... في التـفـاسِـيـر الطويلَه!
واشطُبُـوا مـا قـيلَ فـيـهم ... (بِئْـسَـمـا) تِلك المقُـولَه!
عَـدِّل التـاريخ واحـذِف ... مِنه «حِطِّين» الدَّخـيلَه!
عـدِّل السِّـيـرة واحـذف ... ذِكـر «كَـعب» وقَـبِـيلَه
واجـعل الكُفَّـار حَـصْـرًا ... في قُـريش أو بَـجِـيلَه
كُلُّ هَذا شَـرط «شَـامِـيـر» ... فـأوفُـوا المرءَ كـيلَه!
وبِهَـذا عَـقْـد «مَـدرِيد» ... فـأعطُوا العَـهـدَ قِـيلَه
سُـورةُ الأحـزابِ والحَـشْـرِ ... مَـعـانيـهـا ثَـقِـيلَه!
فـاطلُب التَّـأوِيلَ شَـيـخًـا ... تَلْقَ «للإِسـراء» حِـيلَه
أو تَـجـاوزَهَا إِلى الكَهْفِ ... وَلا تَخْشَ المثِـيـلَه[1]
آه يـا شَـعـبَ المآسِي ... إِنَّك المقْـتُـولُ غِـيلَه
كَـبِّـر اللَّه وجـاهد ... كُل خـوَّار الفـصـيله

(١) سورة النجم.

أنت يُنبوع التَّحدي أنت بُركان البطولَه
أنت منصُور بدينٍ عزّ من يَقفُو سَبيلَه
وبِهذَا الوَعْد حَقًّا أرسَلَ اللَّه رسُولَه

❀ ❀ ❀

النصارى وما أدراك ما النصارى

في القرن السادس عشر ظهرت (الحركة البروتستانتينية) وغيّر هذا الانقلاب معالم النصرانية ـ الدائمة التغير ـ وجاء التغيير لصالح اليهود، وكانت إطاحة البروتستانت بحق الكنيسة في احتكار تفسير الكتاب المقدس مفتاحًا للولوج إلى التفسيرات الحرفية للنصوص التوراتية فيما يتعلق باليهود، بل بدأت النصرانية تخترق بالمفاهيم اليهودية، وتختلط بها بعد أن ضم البروتستانت التوراة (العهد القديم) إلى جانب الإنجيل (العهد الجديد) مصدرًا أوليًّا وحرفيًّا للتلقي، خلافًا لما كان عليه الأمر خلال خمسة عشر قرنًا خلت من عمر الديانة.

ولم يأت القرن السابع عشر حتى ظهرت نظرة غربية جديدة لليهود ـ أعداء الأمس ـ فقد دعا الحَرْفيون البروتستانت إلى ضرورة احتضان اليهود، والتمكين لهم في العودة إلى الأرض المقدسة على اعتبار أن مساعدتهم في ذلك سوف يعجل بمجيء المسيح عيسى ابن مريم إلى الأرض مرة أخرى؛ فالتفسيرات الحرفية للتوراة والإنجيل ـ بعيدًا عن تأويلات الكنيسة ـ أظهرت لهم أن خلاصة اليهود سوف يدخلون في ديانة المسيح عندما يعود، وبقيتهم من غير المؤمنين به سوف يقتلون مع باقي أعداء المسيح، أما أتباع المسيح من النصارى ومن يلحق بديانتهم

فسوف يعيشون مع المسيح في القدس مدة ألف عام قبل يوم القيامة، كما جاء في سفر رؤيا يوحنا.

فالعودة حسب هذه العقيدة النصرانية ستكون في (أورشليم الجديدة)، وسوف تكون على رأس ألفية جديدة، وسوف تكون في زمان لليهود فيه وجود في الأرض التي سيعود إليها المسيح، فلا بد أولاً من عودة اليهود.. لكي يعود المسيح.

لقد ناطح النصارى الأمة الخاتمة في أرض بيت المقدس وما حوله منذ وقت مبكر من عمر الإسلام، بدءًا من غزوة مؤتة وتبوك في عصر الرسالة، ومرورًا بعصر الخلفاء الراشدين في أجنادين واليرموك، والحروب الصليبية التي أثبتت أحداثها العظام أن القدس كانت هدفها الأول والأخير، وانتهاءً بدخول اللنبي في فلسطين وغرس علمه على جبل صهيون وحوله لفيف من قواته من عرب الحويطات، وهو يقول برطانة الأعاجم التي لا يفهمها الغفاة من حوله: «الآن انتهت الحروب الصليبية» وانتهاءً بما حدث من وقوف غورو أمام قبر صلاح الدين وركله له بقدمه، قائلاً: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

وكانت الحروب الصليبية أكبر دليل على مركزية القدس في وجدان النصارى، فلأجل تلك المدينة خاضوا حروبًا متواصلة تحت راية الصليب؛ لاستعادة القدس من أيدي أمة محمد ﷺ، وكان هذا الصدام من أكبر الحروب في التاريخ كله، إذ استهدف توحيد أوربا دينيًّا تحت زعامة البابوات، وتشكيل تحالف من كل عروش أوربا للوقوف في وجه المسلمين في عُقر دارهم، وقد بدأت تلك الحروب في أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وما خبت آمالهم

في عودة القدس إليهم يومًا تعلو مآذنها أصوات النواقيس.

* التاريخ خير شاهد:

توقفت الحروب الصليبية قرابة خمسة قرون؛ لتتجدد على يد الحملة الفرنسية أشد ضراوة وأخبث مكرًا ونكرًا. وبيان نابليون بونابرت إلى يهود العالم بالانضمام إلى حملته لانتزاع فلسطين خير شاهد.

* نداء نابليون قبل وعد بلفور:

إن هناك وثيقة تاريخية تنبه إلى أن أول إشارة للاستفادة من اليهود جاءت على شكل رسالة شخصية من «توماس كوريت» وهو من الشخصيات الأيرلندية اليهودية الرأسمالية إلى عضو حكومة الديركتوار - حكومة المديرين - «بول باراراس»، وفيها ينصح الفرنسيين المتطلعين إلى استعمار الشرق للعمل على خلق جسر لهم في فلسطين، وجعلها وطنًا قوميًّا لليهود، وقد نصّت هذه الرسالة على ما يلي: «وإنهم[1] يقدّمون لكم عنصرًا استعماريًّا ثابت الأركان، وقد يكون ضروريًا لكي يقوم في آسيا مقام الإمبراطورية الآخذة في الانحلال، إمبراطورية العثمانيين، ويقدم لكم أهم الضمانات لبث الفوضى وإشعال الفتن وإحلال الأزمات للقضاء على الأتراك جملة واحدة، ولعلّ الأتراك عندئذ يخفّفون قليلاً من تعصبهم».

ولقيت هذه الرسالة الخطيرة التي جاءت عبر المانش الاهتمام البالغ من قبل عضو الحكومة الفرنسية «بول باراراس» فعقد نابليون أثناء تجهيزه لحملته الصليبية اجتماعًا سرِّيًّا مع الشخصيات السياسية اليهودية، وفي أعقاب هذا الاجتماع صدر في فرنسا بيان موجه إلى يهود العالم بأن:

---

(١) أي: اليهود.

«البلاد التي ننوي قبولها بالاتفاق مع فرنسا هي: إقليم الوجه البحري من مصر، مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت، ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر».

كانت هناك مساومة مكشوفة بين نابليون واليهود، وصدر البيان التاريخي الذي وجّهه «نابليون بونابرت» أثناء قيامه بحملته الصليبية على مصر والمشرق العربي، وقد نشر هذا البيان في الجريدة الرسمية الفرنسية بتاريخ ٢٠ من نيسان/ إبريل ١٧٩٩، وكان تاريخ صدوره عن «نابليون» بتاريخ ٤ من إبريل ١٧٩٩، وكان وقتئذ يحاصر عكا التي انهزم أمامها.

جاء في البيان

«إن العناية الإلهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا قد جعلت رائدي العدل، وكفلتني بالظفر، وجعلت من القدس مقري العام وهي التي ستجعله بعد قليل في دمشق التي لا يضيرها جوارها بلد داود «يا ورثة فلسطين الشرعيين»: «إن الأمة العظيمة التي لا تتجر بالرجال كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادكم للشعوب تناديكم الآن؛ لا للعمل على إعادة احتلال وطنكم فحسب، وليس بغية لاسترجاع ما فُقد منكم، بل لأجل ضمان ومؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم؛ لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين».

«انهضوا وبرهنوا على أن القوة الساحقة التي كانت لأولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئًا بسبيل تثبيط همّة أبناء هؤلاء الأبطال التي كانت محالفة إخوانهم تشرف أسبارطة وروما»[1].

---

(١) من مقال «صك المؤامرة ـ وعد بلفور النابليوني» ص(٧١ ـ ٧٣) لأحمد صبري الدبش ـ مجلة القدس العدد ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠ شعبان ١٤٢١.

نسمع كثيرًا أن الذي بدأ الدعوة لعودة اليهود إلى بيت المقدس، هو هرتزل مؤسس الدولة اليهودية، وهذا خطأ كبير.

«والحقيقة غير ذلك، إذ إن أول من بدأ الدعوة لتجميع اليهود، ولتطبيق نبوءات التوراة هم النصارى قبل اليهود، وقبل الحركة الصهيونية بأكثر من أربعة قرون.. وإن لم نعِ هذه الحقيقة جيدًا، فإننا لن نستطيع معرفة مواقف الغرب عامة، وأمريكا خاصة من الصراع الذي نعيشه الآن»[1].

قال «كينين» أحد أبرز قيادات اليهود في أمريكا في كتابه «خط الدفاع الإسرائيلي»: «إسرائيل كانت أنشودة مسيحية، قبل أن تصبح حركة سياسية يهودية». فالبروتستانت النصارى هم الذين أقاموا الحركة الصهيونية، وشجعوا اليهود للالتفاف حولها، وحتى عندما تردد (هرتزل) في اختيار فلسطين وطنًا تبدأ منه الدولة اليهودية، أرسل إليه المبشر النصراني البروتستانتي (وليم بلاكستون) نسخة من التوراة موضح عليها المواضع التي تشير إلى أن اليهود سيعودون في آخر الزمان إلى الأرض المقدسة فاقتنع هرتزل.

ولهذا احتفظ اليهود بتلك النسخة من التوراة، ووضعوها إلى جوار ضريح هرتزل في القدس[2].

لقد كان «بلاكستون» الذي تحتفل الدولة اليهودية بذكراه، بروتستانتيًّا ولد عام ١٨٤١، وهو من رواد فكرة الصهيونية النصرانية ودعا إلى الحركة الصهيونية قبل هرتزل بزمن، وذلك في كتابه المسمى «عيسى قادم»، وقد تُرجم إلى أكثر من ٤٨ لغة منها العبرية، وطبع عدة

---

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» للدكتور سفر الحوالي مكتبة السنة ص(٤١).

(٢) انظر: «النبوءة والسياسة» تأليف جريس هالسيل ـ ترجمة محمد السمّاك ص(٩).

طبعات وبيع منه أكـثر من مليون نسخة، وكـان أوسع الكتب انتشاراً في القرن التاسع عشر في الغرب.

ويتلخص فكر بلاكـستون فـيما أسـماه (الاستـعادة الأبدية لأرض كنعان من قبل الشعب اليهودي) واسـتطاع بلاكستون بعد ذلك أن يصوغ مع طائفة من أعوانه عريضة ويوقعها مع أكـثر من ٤١٣ شخصية أمريكية من النواب والقـضاة والمحـامين والنخب ويرفـعوها إلى الرئيس بنيـامين هريسون يطالبونه فيها باستخدام نفوذه ومساعيه لتحقيق مطلب الإسرائيليين بالعودة إلى أرض فلسطين، وقد قدمت هذه العريضة عام ١٨٩١م.

وفي بريطانيا أسس البـروتستانت صندوقًا سمي (صندوق اكـتشاف فلسطين) أيام حكم فكتـوريا، وكان رئيس الصندوق وهو رئيس أساقـفة كنتربري وهو أكبـر الأساقفة في بريطانيا. وذلك بغـرض اكتشاف أرض الميعاد، وحدودها ومعالمها كما وردت في التوراة»[1].

وعندما عقـد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسـويسرا عام ١٨٩٧م كان من أبرز المشاركـين فيه القس البروتستـانتي (وليام هشلر)، وقد دخل إلى قاعـة المؤتمر بصحبة هرتزل، وهتف بحياته قـائلاً: «يحيا الملك يحيـا الملك»! وعندما جاء دوره في إلقـاء كلمته خاطب الصـهاينة المجتمعين قائلاً: «استفـيقوا يا أبناء إسرائيل، فالرب يدعوكم للعودة إلى وطنكم في الأرض المقدّسة».

* بريطانيا البروتستانتية:

ماذا تقول عن دولة لا تزال تحمل الصليب في علمها الرسمي.

---

(١) «القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى» ص(٤٥).

من دراسة تاريخ التآمر البريطاني على فلسطين، فالأمر قديم قبل وعد بلفور بعشرات السنين وبالتحديد من عام ١٨٣٨ عندما فتحت بريطانيا قنصليتها في مدينة «القدس».

وظهرت العديد من المشاريع الاستيطانية الرامية إلى إقامة دولة إسرائيل قبل وعد بلفور، منها:

- مشروع الكولونيل «تشرشل» الذي أعدّه، وأرسله إلى السيد «موزرمونتنيوري» ـ الممثل الرسمي للطائفة اليهودية في انجلترا عام ١٨٤١ ـ وأكّد خلاله على ملاءمة الوقت لوجود عنصري جديد يهودي يقحم في المسألة الشرقية، والجدير بالذكر أن هذا المشروع يعتبر سابقة مميزة وواضحة للمشروع الذي أعدّه «هيرتزل» بعد ذلك بـ ٥٥ عامًا في كتابه «الدولة اليهودية».

- مشروع ج جومر ـ الحاكم البريطاني لإستراليا ـ حيث دعا في كتابه «استقرار سوريا والشرق» عام ١٨٤٥ إلى ضرورة العمل من أجل استعمار تدريجي لفلسطين بواسطة مستعمرات يهودية.

- مشروع أ. متفورد وهو الموظف في الخدمة الاستعمارية البريطانية، حيث دعا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين تحميها بريطانيا، وتعمل وصية عليها إلى أن تستطيع الوقوف كدولة مستقلة ذات سيادة.

- مشروع لورانس لوليفانت، وهو المشروع الذي أُطلق عليه «مشروع أوليفانت الشرقي» حيث تضمّن كتابه «أرض جلعاد ورحلات في لبنان» الصادر في ١٨٨٠ إقحام كيان استعماري يهودي في فلسطين مدعوم برأس مال غربي»[١].

---

(١) من مقال «الصهيونية وإعادة تسويق الذات» لمحمد مصطفى ص(٧٦) العدد (٢٣) نوفمبر ٢٠٠٠م من مجلة «القدس».

❑ يقول (باترسون سميث) في كتابه «حياة المسيح الشعبية»:

«باءت الحـروب الصليبيـة بالفـشل، لكن حـادثًا خطيرًا وقع بعـد ذلك، حينما بعثت إنكلـترا بحملتها الصليبيـة الثامنة، ففازت هذه المرة. إن حـملة اللنبي على القـدس أثناء الحـرب العالميـة الأولى هي الحـملة الصليبية الثامنة والأخيرة»[١].

❑ ولذلك نشرت الصـحف البريطانية صـور اللنبي، وكتبت تحتـها عبـارته المشهورة التي قـالها عندما فـتح القدس: «اليوم انتـهت الحروب الصليبية»[٢].

ونشرت هذه الصـحف خبرًا آخر يـبين أن هذا الموقف ليس موقف اللنبي وحده بل موقف السياسة الإنكليزية كلها.

قالت الصحف: هنأ لويد جورج وزير الخـارجية البريطاني الجنرال اللنبي في البرلمان البريطاني، لإحرازه النصـر في آخر حملة من الحروب الصليبية، التي سمّاها لويد جورج: «الحرب الصليبية الثامنة»[٣].

* **وعد بلفور:**

ثم جاء بلفور الإنجيلي المتعصب البـروتستانتي القذر صاحب الوعد المشهور:

❑ تقول مؤلفة حياته وهي ابنة أخته:

«إنه كان يؤمن إيمانًا عميقًا بالتوراة ويقرأها ويصدق بها حرفيًّا. وأنه

(١) «قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجـلال العالم ص(٣٣) ـ مكتبة ابن تيمية نقلاً عن مجلة الطليعة القاهرية ـ مقال وليم سليمان ـ عدد ديسمبر عام ١٩٦٦ ص(٨٤).

(٢) وكان من حـوله بضع مئـات من عرب الحـويطات، ولم يفقـهوا ما يرطنه ذلـك الضابط الإنكليزي بلكنته الأجنبية انظر «صحوة الرجل المريض» ص(٢٧٦).

(٣) «قادة الغرب يقولون» ص(٣٣ ـ ٣٤).

نتيجة لإيمانه بالتوراة أصدر هذا الوعد»[١] .

▫ تقول أخت بلفور عنه: «لقد تأثر بلفور منذ نعومة أظافره بدراسة التوراة في الكنائس، وكلما اشتد عوده زاد إعجابه بالفلسفة اليهودية، وكان دائمًا يتحدث باهتمام عن ذلك، وما زلت أذكر أنني في طفولتي اقتبست منه الفكرة بأن الدين النصراني والحضارة النصرانية مدينة بالشيء الكثير لليهودية.

▫ قال بلفور في المذكرة التي وضعها بنفسه في ١١ أغسطس (آب) ١٩١٩ لبحث المادة الثانية والعشرين من صك الانتداب «الدول الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، وسواء كانت الصهيونية على صواب أو على خطأ، صالحة أو باطلة، فإنها ذات جذور عميقة في تقاليد العصر، واحتياجاته ومستقبله، على نحو أعمق بكثير»، وقد نشرت المذكرة في وثائق الخارجية البريطانية لعام ١٩٣٩م.

وكان بلفور يردد بفخر قائلاً: «أنا صهيوني أكثر من أي صهيوني آخر». وقد قال (وايزمان) عنه في مذكراته: «أتظنون أن (بلفور) كان يحابينا عندما منحنا الوعد؟!. كلا، إن الرجل كان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم».

جاء في دائرة المعارف البريطانية: «إن الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين قد بقى حيًّا في الأذهان بفعل النصارى المتدينين وعلى الأخص بريطانيا التي كان اهتمامها أكثر من اهتمام اليهود أنفسهم» ـ وقال وايزمان في مذكراته: «إن من الأسباب الرئيسية لفوز اليهود بوعد بلفور هو

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص(٤٥).

شعـور الشعب البـريطاني المتأثر بـالتوراة وتغنيـه بالشوق الكبـير لأرض الميعاد»[١].

وهذا نص وعد بلفور ١٩١٧:

عزيزي اللورد روتشلد..

يسـرني سروراً عظيـمًـا أن أبلغك باسم حكومـة صاحب الجـلالة التصريح الآتي بإبداء العطف على الأماني الصهـيونية، وقد عُرِض على مجلـس الوزراء ووافق عليه تنظر حكومـة صاحب الجـلالة بعين العطف إلى تأسيس وطن قـومي للشعب اليـهودي بفلسطين، وسـتتخـذ أحسن التدابير تسهيلاً لهذا الغرض، ومن المفهوم جليًّـا أنه لن يعمل شيء من شأنه الإضرار بالحـقوق المدنية والسياسيـة للطوائف غير اليهودية المقـيمة بفلسطين، أو بالحقوق والأنظمـة السياسية التي يتمتـع بها اليهود في أي بلد آخر، وسأكون شاكراً إذا أنبأتم الاتحاد الصهيوني بهذا التصريح».

المخلص آرثور جيمس بلفور

❑ وكان رئيس وزراء بريطانيا في أيامه هو (لويد جورج) الذي يقول عن نفسه: «إنه صهيـوني وإنه يؤمن بما جاء في التوراة من ضرورة عودة اليهود، وأن عودة اليهود مقدمة لعودة المسيح».

وقد سـبق هذا الوعد البريطاني، مـفاوضات في لندن بين زعـماء اليهود والحـكومة البريطانية في ٧ فـبراير ١٩١٧ (١٣٣٦هـ)، وأعقبـتها مفـاوضات بين اليهـود وبريطانيا والحكومة الفـرنسية والإيطاليـة؛ بشأن إصدار وعد لليهود بإنشاء وطن لهم في فلسطين، وتمت الموافقة رسـميًّـا

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤١، ١٤٢، ١٤٣).

على الوعـد في لندن وباريس وروما، وأرجيء نشـر هذه الموافقـة حتى أواخر أكتوبر سنة ١٩١٧م، وكان نص التـصريح قد عُرِض قبل إصداره على الرئيس الأمريكي ولسون ووافقه عليه[١] .

ويعترف وايزمان في مذكراته أنه هو الذي كتب بيده هذه الوثيقة بناء على طلب: اللورد بلفور[٢] الذي هو أشد صهيونية من الصهاينة أنفسهم.

ويذكـر وايزمان في مـذكـراته بأننا انتـدبنا الإنجليـز لحكم فلسطين واستعنا بعصبة الأمم، فنحن الذين سلّمنا فلسطين للإنجليز مؤقتًا، وليس الإنجليز هم الذين وهبوها لنا بعد ذلك[٣] .

كمـا صرّح وايزمان أن بريطانيـا احتضنت الحركـة الصهيـونية منذ نشـأتها، وأخـذت على عاتقـها تحـقيق أهدافـها، ووافـقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب لليهود في سنة ١٩٣٤، ولولا الثورات المتعـاقبـة التي قام بهـا عرب فلسطين لتـمّ إنجاز هذا الاتفاق فـي الموعد المذكور[٤] .

وعقب الانتداب اختارت بريطانيا السـير هربرت صموئيل اليهودي باقتـراح من وايزمان[٥] ليكون أول مندوب سام لهـا في فلسطين، وكان المؤتمر الصهيوني الذي عُقد في (بازل) بسويسرا برئاسة مؤسس الصهيونية هرتزل قد اقترح عدة مواطن لتكون فيها الدولة اليهودية منها:

١ ـ أوغندا.

---

(١) «الطريق إلى بيت المقدس» للدكتور جمال عبد الهادي (٢/ ٤٨) ـ دار الوفاء.

(٢) «مذكرات وايزمان» ص(٢٧).

(٣) «مذكرات وايزمان» ص(١٨، ٢١، ٢٤).

(٤، ٥) «مذكـرات وايزمان» ص(٢٥)، وانظر: «عـقيدة اليـهود في تملك فلسطين وتـفنيدها» لعابد الهاشمي ص(٢١٦).

٢ ـ الأرجنتين.

٣ ـ مدغشقر.

٤ ـ فلسطين أرض الميعاد.

ولما ذكرت فلسطين في المؤتمر، قال هرتزل كلمتـه المشهورة: «اليوم أنشأنا الدولة اليهودية»[١].

قال اليهودي حاييم وايزمان في مذكراته:

«إذا سأل سائل: ما أسباب حماسـة الإنجليز لمساعدة اليهود، وشدة عطفهم على أماني اليهود؟ فالجواب على ذلك أن الإنجليز هم أشد الناس تأثرًا بالتـوراة، وتدّين الإنجليز هو الذي سـاعدنا في تحـقيق آمـالنا؛ لأن الإنجليزي المتديّـن يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب إعـادة اليهود إلى فلسطين، وقد قدّمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات»[٢].

وبعد سقوط القدس عام ١٩٦٧:

قال راندولف تشرشل:

«لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسـيحيين لا يقلّ عن سرور اليـهود، إن القدس قـد خرجت من أيدي المسلـمين، وقد أصـدر الكنيـست اليهـودي ثلاثة قرارات بضـمهـا إلى القدس اليـهودية، ولن تعـود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود»[٣].

---

(١) «بيت المقدس» لشُرّاب ص(٤٦٠).

(٢) «مقارنة الأديان» للدكتور أحمد شلبي ص(١٠٦).

(٣) «حرب الأيام الستة» لراندولف تشرشل ـ الترجمة العربية ص(١٢٩).

* لورانس العرب على خطا هرتزل:

هذا الصليبي ملك العرب غير المتوّج وصانع ملوك العرب، هذا الذي أغرى العرب بالخروج على الخلافة العثمانية يقول: «إنني جدّ فخور أنني في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق الدم الإنجليزي؛ لأن دم إنجليزي واحد أحبّ إليّ من جميع الشعوب التي نحكمها، ولم تكلفنا الثورة العربية سوى عشرة ملايين دينار».

يقول هذا الصليبي: «إني أؤيد الصهيونية، إني أعتبر اليهود النقلة الطبيعيين للخميرة الغربية الضرورية جدًّا لدول الشرق الأدنى»، وتأكيده مرة ثانية:

«إني أؤيد الصهيونية، وإن اليهود لا بد أنهم سوف يحوّلون فلسطين إلى دولة منظمة جدًّا، كأنها دولة أوربية باستخدام مهارتهم ورأس مالهم».

❑ وعن وعد بلفور قال:

«إن المشروع يعطي العرب أكثر مما هو يتمنى أن يحصل لهم عليه»، بينما وصل اندفاعه الصهيوني إلى حد مخاطبة مطران القدس بقوله عن (وايزمان): «إنه رجل عظيم لا تستحق أنت ولا أنا أن نمسح حذاءه»[1].

❑ في بريطانيا أسس البروتستانت صندوقًا سُمِّي (صندوق اكتشاف فلسطين) أيام حكم فكتوريا، وكان رئيس الصندوق هو رئيس أساقفة كنتربري وهو أكبر الأساقفة في بريطانيا، وذلك بغرض اكتشاف أرض الميعاد، وحدودها ومعالمها كما وردت في التوراة.

---

(١) «صحوة الرجل المريض» لموفق بني المرجة ص(٢٩٥).

* وفرنسا صليبية:

❑ قال (بيرموروا) رئيس وزراء فرنسا الأسبق في حفل أقامته مجلة المنبر اليهودية الناطقة بلسان الطائفة اليهودية في فرنسا: «يوجد تشابه كبير بين الرسالة التوراتية التي نحملها معًا، والتي تشكل قاعدة كل ثقافة غربية وبين الأهداف التي نسعى إليها»[١].

مثلما قال مسيوبيدو وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين، وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش فأجابهم: «إنها معركة بين الهلال والصليب»[٢].

* والألمان على خطى الإنجليز:

❑ قال «أكرم زعيتر» في مذكراته سنة ١٩٣٦م ص(٢٤٤):

«ومن الأسرار التي كشفها وايزمان أن الحكومة الألمانية أسفت جدًّا لاختطاف الإنجليز منها خطوة (وعد بلفور)، وقد حاول الألمان أن يفهّموا ممثلي اليهود في ألمانيا أنهم كانوا سيخطون هذه الخطوة، ولكنهم تمهّلوا لارتباطهم بتركية»[٣].

* والروس أيضاً فالكفر ملة واحدة:

قبل وعد بلفور بأسبوعين كان وعد لينين لليهود، ففي أكتوبر صدر وعد لينين لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وبعدها في ٢نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر وعد بلفور، ولقد كان موقف الاتحاد السوفيتي

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤٣).
(٢) «مأساة مراكش» لروم رولاند ص(٣١).
(٣) «بيت المقدس» لشُرَّاب ص(٤٦٠).

معبـرًا أصدق التعبـير على أن الكفر ملة واحدة، وعداوة الـكافرين لهذا الدين لا يختلف فيها اثنان، فلقد اعتـرف الاتحاد السوفيتي بإسرائيل بعد دقائق من اعـتراف أمريكا بهـا، وصرّح ممثلها في الأمم المتـحدة (أندريه غروميكو): «أصـيبت الأمة اليهـودية بنكبات وآلام، يعجز عن وصـفها اللسان، لذلك فإننا نسأل الأمم المتحـدة باسم الشعب اليهودي المشرد أن نراعي آماله ونحققها، فنوجد له وطنًا ونقرّر له حقوقًا، ومن المستنكر أن نمنع عن الأمة اليهودية هذا الحق»[1].

وصـرّح الكنسي كـوسـيجن الـيهـودي - رئيس وزراء الاتحـاد السوفـيتي نصًّـا: «إننا لا نحبذ تصفية إسـرائيل. وقد كنا أول خالقها، ومازلنا نؤمن أنها يجب أن تبقى».

ولقد كانت روسيا المصدر الرئيسي لهجرة اليهود، فقد قالت جولدا مائير رئيس وزراء الـعدو: «لقد قلت لكم دائمًا إن عـودة اليهود الروس إلى أرض الميعاد أمر لا ريب فيه».

ولقد كـانت الصلة عريقـة بين لينين، ومؤسس الدولة الصـهيـونية حاييم وايزمان.

وفي عام واحد وفي شهر واحد حصلت الصهيونية على وعد بلفور وقامت الثورة الشيوعية في روسيا.

وقبلـها في عام ١٩١٦ تم اجـتمـاع بين لينين وحاييم وايـزمان في

---

(١) المحاضر الرسمية لمناقشات الأمم المتـحدة المجلد الأول - نقلاً عن «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» ص(٢٢٢).

(٢) مجلة لايف الأمريكية ٣١/ ١/ ١٩٦٨.

سويسرا، واتفقا على ضـرورة فتح أبواب الهجرة إلى فلسطين من العالم أجمع، وإقامـة دولة اشتراكيـة في فلسطين لتكون قاعدة رئيسـية لتنطلق منها الحركة الماركسية إلى جميع أنحاء الشرق الأوسط.

وقـال لينين لوايزمـان: «إن تحرير الـيهـود من سـيطرة ملوك أوربا وحكّامها، وارتقـاءهم إلى أرقى المراكز في أوربا يعتمـد أصلاً على نجاح الثورة الشيوعـية في روسيا... وإن فتح أبواب الشرق للهـجرة اليهودية واستيطان اليهود في فلسطين سيعجـل بنهاية الإمبراطورية العثمانية!... ومن الواجب إقامة دولة يهودية في فلسطين على أسس اشـتراكية، حالمًا تفرغ الثورة الاشتراكية في روسيا من تحقيقها»[١].

لقد كان عدد اليهود في روسـيا حوالي ستة ملايين - أي: ثلث عددهم في العالم، لغرض السيطرة الكـاملة على روسيا، والهيمنة على الشيـوعية الـعالمية، خـاصة وأن مؤسس الشـيوعـية كارل مـاركس كان يهوديًّا.

تقـول صحـيفـة (ذي جـويش ترانسكريت) اليـهودية في عـددها ١٩٤٦/٢٩: جميع الشيوعيين هم تحت السيطرة اليهودية، وأن مائة منظمة يهودية تولت الإشراف على المؤتمر العام للحزب الشيوعي ٢حزيران ١٩٣٤.

أما في أواخر القرن التاسع عشر فقد كان عددهم في روسيا أكثر من نصف يهود العالم[٢].

وكانت نسـبة اليـهود بين موظـفي الدولة السوفيـتيـة عام ١٩٣٣م

(١) «من يحكم واشنطن ومـوسكو» ص(٢) من المقـدمة لبنيـامين فريدمـان، ودنيس هافي - إعداد زهدي الفاتح دار النفائس.
(٢) «مقارنة الأديان» ص(٧٢).

(٦١٪) كما أن ٨٨٪ من أصل المسؤولين الروس عام ١٩٣٧م كانوا من اليهود وأن ٣١٣ جنرالاً يهوديًّا كانوا بين قادة الجيوش السوفيتية التي حاربت هتلر.

▫ يقول الأستاذ (أنور الجندي) في موسوعته: «مقدمات العلوم والمناهج» ١٠/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣: «أعلن بن جوريون أن السوفيت هم الذين ساندوا إسرائيل في إلحاق الهزيمة بالعرب خلال ١٩٤٨، ١٩٤٩م، وقال: إن الروس كانوا يرسلون الأسلحة إلى تشيكوسلوفاكيا لتصل إلى اليهود الذين قاتلوا العرب وطردوا الفلسطينيين من وطنهم، وهذا أحد أبعاد القضية، وإن موقف (ولسون)، وقد حمل لواء مساعدة اليهود لقيام دولة إسرائيل في مؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية الأولى، وفرض قيام الوطن القومي بالاشتراك مع بلفور وغيره هو بُعد آخر.

ولقد أشارت الوثائق إلى أن الاتحاد السوفيتي قدّم وحده أربعين في المائة من الأموال الضخمة التي تدفقت على اليهود قبل احتلال فلسطين لشراء الأراضي من العرب بينما قدّمت الدولة الشرقية ٢٨٪ في نسبة هذه الأموال»[١].

▫ وقال مندوب بولندا إحدى دول المعسكر الشيوعي: «إن قصدنا الوحيد هو التعبير عن أعمق مشاعرنا نحو مآسي اليهود، فاليهود في حاجة إلى ألوان العطف والعون»[٢].

▫ أما مندوب تشيكوسلوفاكيا لدى الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م فقد

---

(١) «مقدمات العلوم والمناهج» لأنور الجندي (١٠/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣).

(٢) «موسكو وإسرائيل» ص(٧٨) للدكتور عمر حليق.

قال: «ليس هناك حاجة لنا وللأمم لسماع الشكاوى عما يحدث للعرب خلال الثلاثين عامًا، فإن مصائب اليهود تشغلنا وتستأثر بعقولنا ومشاعرنا»[١].

ويعلن مندوب يوغسلافيا في نفس السنة: «إن فلسطين ليست للعرب وحدهم بل لليهود أيضًا»[٢].

«وقد بلغ عدد المتطوعين من شباب اليهود من الدول الشيوعية عشرين ألف مسلح - فيما روت المصادر الصهيونية - وفدوا من تشيكوسلوفاكيا وبولندا ورومانيا وبلغاريا بالإضافة إلى السلاح الذي ما لبث بعد فترة الهدنة الأولى أن تدفق على إسرائيل من تشيكوسلوفاكيا»[٣].

* **والأمم المتحدة لعبة يهودية:**

ألا تعجب من لوني علم الأمم المتحدة، وكيف يوافق نص التوراة «... وخرج مودكاي من حضرة الملك بثوب الملك السمنجوني والأزرق»[٤].

فهل هناك من حجة أقوى من هذه؟! في هيمنة اليهود على الأمم المتحدة وتحكّمهم في اختيار ووصف علمها.

ولقد صرّح بن جوريون في مجلة تايم ١٦/آب/١٩٤٨م: «إن هدف الأمم المتحدة هو مثل أعلى يهودي».

---

(١) «موسكو وإسرائيل» ص(١٢٩).
(٢) «موسكو وإسرائيل» ص(٢٩).
(٣) «التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية» لنهاد القادري ص(٩١).
(٤) «إستين» (٨/ ١٠).

وصرّح قبله أحد زعماء الصهيونية ناحوسو كولوف في ٢٧/آب/ ١٩٢٢م أمام مؤتمر كارلسباد الصهيوني: «إن عصبة الأمم هي فكرة يهودية، لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة»[١].

* أمريكا البروتستانتية والحركة الصهيونية المسيحية:

انتقلت حمى الصليبية إلى أمريكا بهجرة الأنجلو ساكسون إليها، ومع تصاعد القوة الأمريكية في هذا القرن تصاعد المد البروتستانتي، وتحوّل إلى عقيدة أصولية، وفي أواخر السبعينيات الميلادية، شهدت الساحة الأمريكية بروز التيار أكثر تشدداً داخل أتباع المذهب البروتستانتي الحرفي، وأطلق على هذا التيار (الحركة الصهيونية المسيحية)، ويُطلق عليهم أحيانًا: (الإنجيليون اليمينيون)، وانتساب هؤلاء إلى الصهيونية - رغم نصرانيتهم - ليس غريبًا على قوم يدينون بالتوراة التي تقدّس جبل صهيون، وما كان عليه من مقدسات، ولهذا فإنهم يتبنون الدعوة إلى الدعم المطلق لدولة اليهود من أجل تحقيق الطموحات الإسرائيلية، أو التنبؤات التوراتية في الشرق الأوسط، ويأتي على رأسها السعي لتحقيق مشروع (إسرائيل الكبرى) و(القدس الكبرى)، وإعادة بناء الهيكل؛ لأنه بكل بساطة سوف يكون مكانًا لدعوة المسيح في القدس التي ستصبح عاصمة له - في معتقدهم -.

□ قال بنيامين نتنياهو عندما كان سفيراً لدولته في الأمم المتحدة حيث خاطب جموعًا من النصارى الصهاينة في ٦ فبراير سنة ١٩٨٥م، وقال لهم معترفًا بجميلهم وجميل كل النصارى تجاه اليهود: «لقد كان

---

(١) «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» ص(٢٢٢).

هناك شوق قديم في تـقاليدنا اليهودية للعـودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي ظل يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنـة، تفجـر من خلال المسـيحـيين الصهيونيين»، وقال: «المسيـحيون ساعدونا في تحول الأسطورة إلى دولة يهودية»، وأضاف: «إن الذين يستغـربون مما يظنون أنه صداقة حديثة بين إسرائيل ومؤيديها المسيحيين، يجهلون أمر اليهود أو المسيحيين، إن هناك روابط روحية تشـدنا بإحكام وثبات، إنها شراكـة تاريخية أدّت، وتؤدي دورها بشكل جيد لتحقيق الأحلام الصهيونية»[1].

❑ يقول «أيوجين روستو» رئيس قسـم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريـكية، ومـساعد وزيـر الخارجيـة الأمريكيـة، ومسـتشـار الرئيس جونسـون لشؤون الشرق الأوسط حتى عـام ١٩٦٧م، يقول: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعـوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعـوب، بل هي خلافـات بين الحضـارة الإسلامـية والحـضارة المسيحية.

لقد كـان الصراع محتـدمًا ما بين المسـيحية والإسـلام منذ القرون الوسطى، وهو مـستمـر حتى هذه اللـحظة بصور مـختلفة، ومـنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

ويتابع: «إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسـفته، عقيدته، ونظامه، وذلك يجـعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسـلامي، بفلسفته وعقيدته المتـمثلة بالدين الإسلامي،

---

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٤٧) نقلاً عن النبوءة والسياسة ص(١٤٠).

ولا تستطيع أمـريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعـادي للإسلام وإلى جانب العـالم الغربي والدولة الصهـيونية؛ لأنهـا إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكّر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها»[١] .

فروستو الصليبي يحدد أن هدف الاستعمار في الشرق الأوسط هو تدمير الحـضارة الإسلامية، وأن قيـام إسرائيل هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمراراً للحروب الصليبية.

* بداية أمريكا صليبية صهيونية:

«كانت المواعظ خلال الحرب الأهلية يشبِّه (أمريكا بالشعب اليهودي الذي يسعى لدخول الأرض الموعودة).

بل إن صلتهـا التاريخيـة ببني إسرائيل تمتـد إلى استشـارة بنجامين فرنكلين وتوماس جـفرسون[٢] في موضوع اختيـار شعار مناسب للاتحاد الأمريكي اقـترحا أن يحمل شـعار الولايات المتحدة صـورة بني إسرائيل وهم يقطعون البحـر الأحمر المنشق أمامهم، وهم يتجـهون نحو الحرية، وفوق ذلك العبارة الآتية: «مقاومة الحكام المستبدين من طاعة اللَّه»[٣] .

اقترح «جـيفرسن» الرئيس الأمريكي الأقـدم أن يمثل رمز الولايات المتحـدة الأمريكية على شكل (أبناء إسـرائيل) تقودهم في النهار غيـمة، وفي الليل عمود من النار.. بدلاً من النسر، وهذه الغـيمة هي السحاب الأبيض الذي ظلّل اللَّه به قـوم موسى في التـيه ليقـيهم حـرّ الشمس،

(١) «قادة الغرب يقولون» لجلال العالم ص(٣١ ـ ٣٢).

(٢) من زعماء الثورة الأمريكية وواضعي دستور الولايات المتحدة.

(٣) «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» ص(٢٢٤ ـ ٢٢٥) نقلاً عن «التوراة ـ تاريخها وغاياتها» ترجمة وتعليق سهيل ديب ص(٦٦).

فالشكل الذي اقترحه الرئيس الأمريكي، يتفق والنص الوارد في «سفر الخروج»: (وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم) [١].

وقبل وصول هرتزل نفسه سن الرشد كانت القيادات المسيحية الأمريكية والأوربية هي أول من رفع الشعار القائل عن فلسطين: (إنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض).

وأول جماعة ضغط صهيونية أسسها كنسيون أصوليون عام ١٨٨٧م بزعامة القس «وليام بلاكستون» حينما أنشأ في شيكاغو منظمة أسماها (البعثة العبرية بالنيابة عن إسرائيل، ودعا لأول مؤتمر دولي لمناقشة أوضاع الإسرائيلين ومطالبهم في فلسطين كوطن تاريخي لهم [٢].

* السفارة النصرانية الدولية:

وهناك جماعة أخرى أصولية إنجيلية تؤمن بحرفية التوراة والإنجيل، وتعطي اليهود الوعد الذي يفترونه على اللَّه، هذه الجماعة تسمى «السفارة المسيحية الدولية»، وتعتقد هذه الجماعة أن اللَّه وحده هو الذي أنشأ هذه «السفارة» ومقرها في القدس وتنتشر فروعها في جميع أنحاء العالم، ويقول مؤسس هذه الطائفة:

«إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم؛ وإن القدس هي المدينة الوحيدة التي تحظى باهتمام اللَّه، وإن اللَّه قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد».

---

(١) «عقيدة اليهود» ص(٢٢١).

(٢) «عقيدة اليهود» ص(٢١٨).

وتؤمن هذه المنظمة بأنه إذا لم تبق «إسرائيل»، فإنه لا مكان للمسيح عند مجيئه الثاني.

ولا تكتفي هذه المنظمة بدعم إسرائيل، بل تدعم سياستها التوسعية وتعتبر أن الضفة الغربية والقطاع حقوق أعطاها الرب للشعب اليهودي.

وهذه المنظمة التي تعتبر من أخطر المنظمات في أمريكا والعالم كله كانت لها سبعة أهداف: الهدف الأخير منها هو تنصير اليهود في أرض فلسطين، أي: أن يؤمنوا بعودة المسيح ويتنصروا تقدمة لمجيئه، ولكن اليهود استطاعوا إلغاء هذه النقطة فبقيت النقاط الست الأولى في هذا البرنامج؛ ولنقرأ هذه النقاط:

أولاً: إبداء الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي وبدولة «إسرائيل».

ثانيًا: تذكير وتشجيع «المسيحيين» للصلاة من أجل القدس وأرض «إسرائيل».

ثالثًا: تعليم «المسيحيين» في أنحاء العالم وتثقيفهم في كل ما يجري «بإسرائيل».

رابعًا: حث القيادات «المسيحية» والكنائس والمنظمات الدينية على ممارسة النفوذ المؤثر في بلادها لمصلحة «إسرائيل» والشعب اليهودي.

خامسًا: إنشاء أو مساعدة مشروعات في «إسرائيل» لتحقيق رفاهية اليهود.

سادسًا: ممارسة نفوذ وفاقي بين العرب واليهود. وحذفوا السابعة!!

*** بال الثانية:**

والآن نضرب مثلاً واحدًا من أعمال هذه المنظمة الأخطبوطية

المنتشرة في جميع أنحاء العالم.

تعرفـون أنه في مدينة بال بسويسـرا انعقد المؤتمر الصهـيوني الأول الذي حـضـره هرتزل عـام ١٨٩٧م، وأرادت هذه المنظمـة عن عـمـد، وإصرار أن تقيم مؤتمرًا لهـا في المدينة نفسها، ولكنه للصهيـونية الإنجيلية الأصوليـة، وليست الـيهودية، وقـد أقامـوه بالفعل في هذه المديـنة عام ١٩٨٥م، وقالوا في إعلان هذا المؤتمر:

«نحن الوفود المجتمعين هنا من دول مـختلفة وممثلي كنائس متنوعة بهذه القـاعة الصغيـرة نفسهـا التي اجتمع بها مـنذ ثمانية وثمانين عـامًا مضت الدكتـور تيودور هرتزل ومعه وفود المؤتمر الصـهيوني الأول الذي وضع اللبنة الأولى لإعـادة مـيلاد دولة «إسـرائيل» جـئنا مـعًا للصـلاة ولإرضاء الرب، ولكي نعـبر عن ديننا الكبير وشـرفنا العظيم «بإسرائيل» الشعب والأرض والعقـيدة، ولكي نعبر عن التضامن مـعها، وإننا ندرك اليوم بعـد المعاناة المريرة التي تعرض لهـا اليهود أنهم ما زالوا يواجـهون قـوى حاقـدة ومدمـرة مـثل تلك التي تعرضـوا لهـا في الماضي، وإننا كمسيحيين ندرك أن الكنيسة أيضًا لم تنصف اليهود طوال تاريخ معاناتهم واضطهادهم، إننا نـتوحد اليوم فـي أوروبا بعد مرور أربعين عـامًا على اضطهاد اليهود؛ لكي نعبـر عن تأييدنا «لإسرائيل»، ونتحدث عن الدولة التي تم إعـداد مـيلادها هنا في بـال، إننا نقول ذلـك أبدًا، ولا رجعـة للقوى التي يمكن أن تتـقدم لاسترجاع أو تكرار اضطهـادات جديدة ضد الشعب اليهودي».

وقال أيضًـا: «إننا نهنئ دولة «إسرائيلَ» ومواطنيهـا على الإنجازات العديدة التي تحقـقت في فترة وجيزة تقل عن أربعة عـقود، إننا نحضكم

على أن تكونوا أقوياء في اللَّه، وعلى أن تستلهموا فطرته في مواجهة ما يعترضكم من عقبات، وإننا نناشدكم بحب أن تحاولوا تحقيق العديد مما تصبون إليه، وعليكم أن تدركوا أن يد اللَّه وحدها هي التي ساعدتكم على استعادة الأرض وجمعتكم من منفاكم طبقًا للنبوءات التي وردت في النصوص المقدسة، وأخيرًا فإننا ندعو كافة اليهود في جميع أنحاء المعمورة بالهجرة إلى «إسرائيل» كما ندعو كل مسيحي أن يشجع ويدعم أصدقاءه اليهود في كل خطواتهم الحرة التي يستلهمونها من اللَّه».

نرجو أن نتذكر أن هذا المؤتمر كله نصارى، فلا توهمنا هذه النصوص فنظن أن المؤتمر للأصولية الصهيونية.

ولننظر ماذا قرر هذا المؤتمر، هل كانت قراراته متعلقة بالنصارى، وشؤونهم الدينية؟ لنقرأ أهم القرارات:

أولاً: عدم تقديم تنازلات من الغرب إلى الاتحاد السوفيتي طالما أنه لا يسمح بهجرة اليهود منه إلى دولة «إسرائيل» (وهذا كما تعلمون طبق تمامًا).

ثانيًا: تشجيع «إسرائيل» ومواطنيها على المشاركة الكاملة في كل الهيئات والمؤسسات الدولية، والمطالبة بانسحاب جميع الدول الأوروبية والأمريكية من أي اجتماع يعقد، ولا تمثل فيه «إسرائيل» (وهذا القرار وضع؛ لأن العرب يهددون أحيانًا بالانسحاب فتضطر الدول لمجاراة العرب لأنهم أكثرية).

ثالثًا: على كل الأمم الاعتراف بإسرائيل، وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها. ونخص بالذكر حكومة «الفاتيكان».

(قد تقولون لماذا يخصونها؟ فأقول:

لأن الفاتيكان هي عاصمة الكاثوليك، والكاثوليك لا يؤمنون هذا

الإيمان العميق للبروتستانت «بإسرائيل»، وهذا يعني أن المسلمين لو تحركوا يستطيعون استخدام عنصرين مهمين استخدامًا جيدًا، العنصر الأول: الكاثوليك، والعنصر الثاني: اليهود المنشقون غير المؤيدين لإسرائيل ولا سيما في أمريكا حيث يوجد ثلاث ملايين يهودي غير مؤمنين بدولة «إسرائيل»، ومنهم كتاب وأدباء ومفكرون يهاجمون دولة «إسرائيل»، ولكن لا أحد يجيد استخدامهم أو الإفادة منهم).

رابعًا: يعلن المؤتمر أن يهوذا والسامرة بحق التوراة والقانون الدولي وبحكم الواقع جزء من «إسرائيل».

خامسًا: نطالب كل الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة «لإسرائيل»، ونقل سفاراتها من تل أبيب إليها.

سادسًا: مطالبة الدول الصديقة «لإسرائيل» بالتوقف عن تزويد أية دولة في حالة حرب مع إسرائيل بالأسلحة بما في ذلك مصر التي وقعت معها اتفاقية كامب ديفيد.

سابعًا: مطالبة كل الحكومات بنبذ منظمة التحرير الفلسطينية واعتبارها منظمة إرهابية، وتأتي هذه المطالبة تنفيذًا لما ورد في التوراة حول أن اللَّه يبارك من يبارك اليهود، ويلعن من يلعنهم.

ثامنًا: إدانة كل أشكال معاداة السامية، وهي عداء «إسرائيل» واليهود.

تاسعًا: الدعوة لتذكر كل الفظائع التي ارتكبتها ما تسمى بالحضارة المسيحية ومن يسمون المسيحيين ولا سيما المذابح التي قامت في الحرب العالمية الثانية.

أي أنهم يرون أن كل من وقف في وجه اليهود من النصارى ليسوا نصارى حقيقيين.

عاشرًا: العمل نحو توطين اللاجئين العرب الذين تركوا «إسرائيل» عام ١٩٤٨م في البلدان التي رحلوا إليها.

حادي عشر: مساعدة «إسرائيل» اقتصاديًا وذلك بإنشاء صندوق دولي برأسمال قدره مائة مليون دولار للاستثمار في تطويرها.

وبالفعل ما انتهى المؤتمر إلا وجمع مائة مليون دولار إضافة إلى المساعدات التي تجمع باستمرار لمساعدة «إسرائيل» وضمن ذلك يقومون بتشجيع الاستثمار الخاص في «إسرائيل».

ثاني عشر: مطالبة كل المسيحيين، وكل الأمم بعدم الخضوع لأنظمة المقاطعة العربية «لإسرائيل».

(وبالطبع ستتوقف المقاطعة وتنتهي بعد مدريد مع أنها أصلاً ما كانت إلا شكلية في أغلب الأحيان).

ثالث عشر: دعوة مجلس الكنائس العالمي في جنيف إلى الاعتراف بالصلة التوراتية التي تربط بين الشعب اليهودي وبين أرضه الموعودة، وكذلك بالبعد التوراتي والنبوئي لدولة «إسرائيل».

ويعني هذا أن العقيدة التي قامت عليها دولة «إسرائيل» عقيدة إيمانية يجب على مجلس الكنائس أن يعترف بها.

رابع عشر: يصلي أعضاء المؤتمر وينظرون بشوق إلى اليوم الذي تصبح فيه القدس مركزًا لاهتمام الإنسانية حينما تصير مملكة الرب حقيقة وواقعًا [1] اهـ.

---

(١) من السفارة النصرانية وهذا المؤتمر: انظر «البعد الديني» ص(١٤)، و«النبوءة والسياسة» ص(١٣١)، وقد حضرت المؤلفة المؤتمر وشرحت ما دار فيه عن مشاهدة.

ومملكة الرب يفهمها النصـارى على أنها مملكة المسيح ابن مريم بناء على ما عندهم.

أما اليهود فيفهمونها على أنها مملكة المسيح الدجال كما تقدم.

وهنا لا بد أن أؤكـد أن الذين يـؤمنون بهـذا الوعـد التـوراتي هم المؤمنون بالمسيح الدجال، وبالتالي فكل من يعـتقد أو يوافق على مشروع إسرائيل آمنـة مطمئنة فإنه شـاء أم أبى، علم أو لم يعلم، يعـمل لإنشاء مملكة المسيح الدجال هذه، ويسـعى لتحقيق النبوءة التوراتيـة التي يدعيها هؤلاء، ويخـدم راضيًـا أم غيـر راضٍ، يعلم أو لا يعلم، هذه الأهداف الصهيونية التي يؤمن بها هؤلاء الأصوليون مع أولئك اليهود.

وها هنا مـفرق الطريق بين الإسـلاميين وبين اللاهثـين وراء سراب مدريد وغير مدريد.

فلا حرج ولا تردد في الإجابة القاطعة الواضحة عن سؤال: ما هو موقف الإسلاميين من مؤتمر السلام؟ فهو الرفض الحاسم والإنكار الجازم ليس عنادًا ولا تصلبًا، ولكنه موقف عقدي محتوم»[1].

* «معركة هَرْمَجِدّون» واعتقاد البروتستانت واليهود فيها:

أصل كلمة «هَرْمَجِـدُّون» عبرية، ومعناها الحرفي: جبل مـجيدو، فكلمة «هار» تعني في العبرية: جبل، فإذا أضيفت إلى اسم الوادي صار «هارمجيدو» التي دُمِجت في النصوص القديمة إلى «هرمجدون».

وأرضَ مجـدو تبعد ٥٥مـيلاً عن تل أبيب، وهي في موقع يبـعد ٢٠ميلاً شرق حيفا، عـلى بعد ١٥ميلاً من شاطئ المتوسط، وترتبط في

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص(٦٣ ـ ٦٨).

الاعتقاد القديم بأنها الأرض التي كان الفاتحون القدامى يعتقدون أن أي قائد يسيطر عليها يمكنه أن يصمد أمام أعدائه مهما كانت أعدادهم، ويعتقد اليهود والنصارى أن جيوشًا من مئتي مليون جندي سيأتون إلى مجدو للبدء في خوض حرب نهائية، ونصوصهم تدل على أن هذه المعركة سوف تتورط فيها كل الأمم، أي ستكون حربًا عالمية، ولكن أوارها سيشعل أولاً في منطقة الشرق الأوسط وفي فلسطين بالذات، والنصارى يعتقدون أيضًا أن تلك الحرب سوف تستغرق مدة سبع سنين، وهي مدة كافية تعطي لليهود فرصة كي يروا بأنفسهم كيف ينتقم اللَّه من أعداء المسيح مما يدل على صدقه فيؤمنوا به. ويعتقدون أيضًا ـ بمقتضى الإنجيل ـ أنه ستمر سبعة أشهر حتى يتمكن «بيت إسرائيل» من دفن جثث الضحايا وينظفوا الأرض منها»[1].

«ويعتقد هؤلاء أن نهاية المعركة ستكون انتصارًا حاسمًا للنصارى وتدميرًا كاملاً للوثنيين، أي: المسلمين، وذلك بأن يرتفع النصارى فوق السحاب مع المسيح، وأما المسلمون فيغرقون في بحيرة النار المتقدة بالكبريت على حد قول الرؤيا، أي: أن هؤلاء المنتسبين للمسيح زورًا الذين اتخذوه إلهًا من دون اللَّه سينجون جميعًا حتى عرايا شيكاغو وباريس ومقامري لاس فيجاس وشواذ سان فرانسيسكو ومدمني ميامي، وأما المؤمنون الموحدون القانتون فسيهلكون، ولو كانوا عند الكعبة؛ لأنهم كنعانيون، وقد فسروا النار الكبريتية بأنها قنابل نووية يلقونها على المسلمين!!

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٦٠ ـ ١٦١).

تقول غريس هالسيل: «اقتناعًا منهم بأن هرمجدون نووية لا مفر منها بموجب خطة إلهية، فإن العديد من الإنجيليين المؤمنين ألزموا أنفسهم سلوك طريق مع إسرائيل يؤدي بصفة مباشرة ـ باعترافهم أنفسهم ـ إلى مجزرة أشد وحشية وأوسع انتشارًا من أي مجزرة يمكن أن يتصورها عقل أدولف هتلر الإجرامي»[١].

هذه العقيدة الألفية يؤمن بها فئات مختلفة في أمريكا غير الأصوليين الإنجيليين ابتداءً من رؤساء الجمهورية وانتهاءً بكثير من العامة.

وقد ظهرت كتب عن هذه النبوءات، ولاقت رواجًا هائلاً أهمها كتابان:

الأول: كتابًا «دراما نهاية الزمن»، ومؤلفه: (أوترال لوبرتس).

والثاني: كتاب «نهاية الكرة الأرضية العظيمة» ومؤلفه: (لندسي).

وكلاهما يصور بشكل درامي مثير نهاية العالم القريبة وانهيار حضارته ودمار جيوشه بقيام معركة هرمجدون، حتى أن أحدهم يقول: لا داعي للتفكير في ديون أمريكا الخارجية أو ارتفاع الضرائب أو مستقبل الأجيال القادمة، فالمسألة بضع سنوات ويتغير كل شيء في العالم جذريًّا»[٢].

* صحوة صليبية إنجيلية أمريكية:

يؤكد الكتاب التعريفي الذي توزعه المراكز الثقافية الأمريكية ـ ومنها مركز جدة ـ بعنوان «أمريكا اليوم» أن الأمريكان ليسوا شعبًا غير متدين كما نظن، وهذا صحيح، ولكن الدين عندهم فضفاض ومرن، يكفي أن

(١) «البعد الديني».

(٢) «القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى» ص(٣٣، ٣٤، ٣٧).

تؤمن بما تقوله الكنيسة، وما توجه به من تعاليم، وتكون عضواً فيها بشكل ما، ولا يعني تدينهم السلوك الجاد، وهناك إحصاءات أجريت تقول: إن أكثر الشعوب النصرانية تديناً من حيث النسبة العددية هي أيرلندا في المقام الأول ثم أمريكا.

ويذكر معهد جالوب المتخصص في الإحصاءات أن أكثر من ٩٤٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يؤمنون باللَّه (بالطبع على عقيدتهم)، وأن ٧١٪ من سكانها يؤمنون بالبعث بعد الموت على العقيدة الإنجيلية، وتقول أيضًا بعض الإحصاءات: إن عدد أعضاء الجسم الكنسي في الولايات المتحدة سنة ١٩٧٠م كان ١٣١ مليونًا من الأمريكان، وجميعهم ينتمون إلى الكنائس، وارتفع عام ١٩٨٠ إلى حوالي ١٣٥ مليونًا، ولكنه قفز خلال السنتين التاليتين إلى ١٣٩ مليونًا وستمائة ألف.

أما بكم يتبرع هؤلاء الأمريكان للكنائس؟ يقول الإحصاء: في عام ١٩٨٢م (وهو يعتبر قديمًا): أنهم يتبرعون بحوالي ستين ألف مليون دولار، في حين أن النشرات الحكومية مثل (أمريكا اليوم) تقدره بنصف هذا الرقم، وهو كثير، وقد نشرت المجلة الدولية لأبحاث التنصير سنة ١٩٨٩م أن مجموع التبرعات الكنسية لأغراض التنصير هو (١٥١) ألف مليون دولار (أي في أمريكا وغيرها). وقد ارتفع الرقم سنة ١٩٩٠م إلى أكثر من (١٨٠) مليار.

وقد رصدوا لتنصير الصومال وحدها (١٩٦) ملياراً.

* **جامعات ومدارس:**

ثم نأتي للمدارس الدينية والجامعات والشبكات التلفازية في أمريكا، كم تتوقعونها؟ أتظنون أن الصحوة النصرانية في أمريكا مثل الصحوة

الإسلامية عندنا هنا ليس لها مجلة أو صحيفة أو إذاعة فضلاً عن أية قناة تلفازية عبـر الأقمار الصناعية؟! لا بل تمتلك الكنائس وتدير عـدة مئات من المدارس والجامعات والمعاهد في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي عام ٨١ ـ ١٩٨٢م بلغ عدد معاهد التعليـم العالي ١٩٤٨ معهداً، فكم تكون الآن؟!

أما المدارس فقد كان عددها عام ١٩٥٤م لا يزيد عن ١٢٣ مدرسة ثم قفز عددها عام ١٩٨٠ إلى ما يزيد على ١٨ ألف مدرسة.

وليس جديداً أن يقال إن الجامعات الشـهيرة في أمريكا أنما أسست على أساس ديني بروتستانتي ومنهـا (هارفارد ويبل وجورج تاون وديتون وبيلور ودنفر وبوسطن.. إلخ).

وإجمالاً تستطيع أن تقول: إن للأصوليـة النصرانية في أمريكا أكثر من ٢٠ ألف مـدرسـة ومعـهـد وكليـة والملايين من الطلاب والدارسين للتوراة، وكلهم يؤمنون بهذه العقائد التوراتية التي تحدثنا عنها.

*** الإعلام الديني:**

بل تأتي الدلائل أغـرب من هذا كله، وهي أثر الدين في الإعـلام الأمريـكي، فمـحطات الإذاعة والتـفاز مـشغـولة بالحديث عن التـوراة ورجالها، ويقولون: إن صور نجوم البـرامج الدينية المسموعة والمرئية من أمثـال جيري غـراهام وجيـري فولويل احتلت صـفحـات أبرز المجلات الأسبوعـية، وأصبحـت تسيطر على عقول الأمـريكان، حتى إن هؤلاء النجـوم ـ نجوم الأصـولية؛ ومنهم سـويجـارت صاحب برنامج الحـملة الصليبية الذي انهزم في مناظرة من الشيخ أحمد ديدات أصبحوا ينافسون

نجوم «السينما» والفن والرياضة في اجتذاب اهتمام الجماهير وتتبع أخبارهم وأحاديثهم باستمرار.. وقدرت بعض الإحصاءات نسبة الأمريكيين المستمعين والمتابعين لبرامج الأصولية الدينية في عام ١٩٨٠ بحوالي ٤٧٪ من السكان، ويقولون: إنهم يفتتحون محطة إذاعية كل أسبوع ومحطة تلفاز كل شهر.. ذلك إحصاء منذ أكثر من عشر سنوات فكم وصل العدد الآن..؟!

وهناك رابطة مشهورة على مستوى أمريكا اسمها «الرابطة الوطنية للمذيعين الدينيين» أي: المذيعين العاملين في الإذاعات الدينية في جميع أنحاء أمريكا، وقد أنشئت هذه الرابطة عام ١٩٤٤ يوم كان عدد المحطات الإذاعية ٤٩ محطة، أما في عام ١٩٨٠ فقد أصبحت ٨٠٠ محطة وارتفعت عام ١٩٨٢ لتبلغ ١٠٠٠ محطة تنتج وتدير برامج دينية.

ومما يجدر ذكره أن هذه الرابطة أخذت منذ ١٩٨٠ بعد هذا التوسع الهائل في تنظيم مؤتمر سنوي لأعضائها، وفي هذا المؤتمر تقام صلاة إفطار لمصلحة «إسرائيل»، وتسيطر الحركة الأصولية النصرانية الغربية على جميع شبكات الكنيسة المرئية والمسموعة، ويتلقى نجمان من نجومها وهما جير فولويل وبات روبيرتسون يتلقيان أموالاً أكثر مما يتلقاه الحزبان الرئيسان في أمريكا الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري.

كل هذه حقائق من الصحافة الأمريكية، وقد اعتبرت الحركة الأصولية الأمريكية من الظواهر السياسية في القرن العشرين، وانكب علماء الاجتماع والنفس على دراسة هذه الظاهرة.

وقد تنامت الأصولية النصرانية ليصبح عددها الآن ما يقارب ثمانين مليونًا، ولذلك تعتبر من أهم الحركات في القرن العشرين ويتوقع لها

أحد المحللين أن تستمر خمسمائة عام على الأقل، هكذا يقدرون[١].

* الكنيسة المرئية:

التلفاز الديني في أمريكا أمره عجب؛ إذ تنتشر البرامج التلفازية في أمـريكا بشكل يصعب مـعه حـصـرها على وجه الدقـة.. ولكن رابطة الإذاعيين الدينيين تقول: إن لديها ألف محطة تلفازية وإذاعية مشتركة في نشاطها، كما تقدر أن عدد المستمعين إلى المحطات الإذاعية المشتركة فيها يصل إلى ١١٥ مليون نسمة أسبوعيًّا، وحوالي ١٤ مليون شخص من أعضـائها يشاهـدون الكنائس المرئية، وتقول بـعض الدراسات: إن أهم عشر كـنائس مرئية في الولايات المتحـدة يشاهدها ٤٠٪ من مـشـاهدي التلفاز الأميركي.

وبالطبع هنا تجد الفرق بين يسر الإسلام وعسر غيره، فنحن جعلت لنا الأرض مسجدًا وطهورًا كـما قال رسول اللَّه ﷺ، ولكن النصارى لا يستطيعون الصلاة إلا في الكنيسة، فتفتقت أذهان موجهيهم عن فكرة هي أنهم قالوا: نحن نأتيكم بالكنيسـة المرئية يوم الأحد.. ففي أي لحظة افتح التلفاز، وستجد الكنيسـة أمامك، فأصبحت الأسر الأمريكية تجلس وتفتح التلفاز فيجدون الكنيسة أمامهم، ويسمونها «الكنيسة المرئية».

ويقدر مـعهد جالوب المتـخصص في الإحصـاء أنه في عام ١٩٨٢ كان ٥٢ مليـون أمريكي يشاهدون برنامـجًا أو أكثر من برنامج الكنيـسة المرئية شـهـريًّا وعام ١٩٨٣ حين ظهر الإيدز ارتفع العدد إلى ٦٠ مليون شخص.

(١) انظر التفاصيل في كتاب «البعد الديني».

وفي الدراسة الاستطلاعية التي أعدتها منظمة إذاعات الدول الإسلامية بجدة عن إذاعات التنصير أن في أمريكا وحدها ٣٨ محطة تلفزيونية و٦٦ شبكة كابل و١٤٠٠ محطة راديو ومن بينها أربع خدمات تلفزيونية تتجاوز ميزانية البرامج لكل منها ٥٠ مليون دولار سنويًّا، ولك أن تقارن هذا بواقع الإعلام الإسلامي!!

وفيما يمكن أن نعده نموذجًا لما تبثه هذه البرامج يقول جيمي سويجارت: أشعر أن الولايات المتحدة الأمريكية مرتبطة بحبل ولادة سري مع إسرائيل، وتعود هذه الروابط في اعتقادي إلى ما قبل ظهور الولايات المتحدة الأمريكية بزمن طويل كما ترجع الفكرة اليهودية النصرانية إلى «إسرائيل» ووعد الرب له، وهو وعد أعتقد أنه يشمل الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا؛ لأن اللَّه ما زال يقول: إني أبارك الذين يباركون «إسرائيل» وألعن من يلعنونها، ومن فضل اللَّه على الولايات المتحدة الأمريكية أنها ما زالت قوية اليوم، وأنا واثق أن هذا يعود إلى كونها تقف وراء «إسرائيل»، وأدعو اللَّه أن تظل دومًا سندًا «لإسرائيل».

أي أن بركة أمريكا تأتيها من وقوفها إلى جانب «إسرائيل»، ومعنى ذلك أن قوة أمريكا من قوة «إسرائيل».

وهذه قـائمة بأسـماء أهـم عشـرة برامج في الكنائس المرئيـة تبعًـا لأكثرها شعبية واجتذابًا للمشاهدين في الولايات المتحدة الأمريكية[١] :

اسم البرنامج واسم صاحبه	البث	المشاهدون أسبوعيًا	المشاهدون شهريًا
«السبعمائة ناد» (بات روبرتسون) "The 700 Club" (Pat Robertson)	يومي	٤٤٢٠٠٠٠	١٦٣٠٠٠٠٠
«الحملة الصليبية الأسبوعية» (جيمي سواغيرت) "Weekly Cnusade" (Jimmy Swaggert)	أسبوعي	٣٦٤٠٠٠٠	٩٢٥٤١٠٠
«ساعة من القوة» (روبرت شُلر) "Hour of Power" (Robert Shuller)	أسبوعي	٢٧٢٠٠٠٠	٧٦٤١٠٠٠٠
«مجّدوا الرب» (جيم باكير) "Praise The Iord (PTL)" (Jim Bakker)	يومي	٢٤٦٢١٠٠	٥٧٧٣٢٠٠
«توقّع معجزة» (أورال روبرتس) "Expect a Miracle" (Oral Rlberts)	أسبوعي	٣٠٣٧٦٠٠	٥٧٧٣٢٠٠
«ساعة من إنجيل زمان» (جيري فولويل) "Old-Time Gospel Hour" (Jerry Fal well)	يومي	١٨٧٠٠٠٠	٥٦٠٣٤٠٠
«برنامج واستعراض كينيث كوبلاند» (kenneth Copland)	أسبوعي	١٧٨٢٩٠٠	٤٩٢٤٢٠٠
«دراسة في الكلمة» (جيمي سواغيرت) "A Study in the Word" (Jimmy Swaggert)	يومي	١٨٦٧٨٠٠	٤٥٨٤٦٠٠
«يوم الاكتشاف» (بول فان غوردر) "Day of Discovery" (Paul V. Gorder)	أسبوعي	١٤٤٣٣٠٠	٤٠٧٥٢٠٠
«برنامج واستعراض ركس هامبرد» (Rex Humbard)	أسبوعي	١٦١٣١٠٠	٣٧٣٥٦٦٠

David W. Clark, "Religious Television Audience, paper presented at: The Siciety for the Scientific Study of Religion, Savannah, Georgia, 25 Ectober 1985, P. 27. [٢]

---

(١) كتاب «البعد الديني» ص(٩٧).

(٢) «القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى» ص(٤٧ ـ ٥٥).

* ولسن رئيس أمريكا المتعصّب الإنجيلي ابن راعي الكنيسة وراء وعد بلفور والانتداب البريطاني:

لقد افتعل الصليبيون قناع «الانتداب» ليحكموا باسمه التركة العثمانية الممنوعة، وكان مهندس ذلك هو «ابن راعي الكنيسة» كمى سمّى نفسه، وهو المتعصب الإنجيلي «ولسن» رئيس أمريكا حينئذ.. وكان هو وراء وعد بلفور، وكان ولسن هو الذي يحكم أمريكا أثناء الحرب العالمية الأولى.

يقول «ولسن» هذا عن نفسه: «إنه يجب على ابن راعي الكنيسة أن يكون قادرًا على المساعدة لإعادة الأرض المقدسة لشعبها اليهودي»، وتقول عنه إحدى المؤلفات اليهوديات: «إن التزام الرئيس ولسن بالصهيونية كان عميقًا جدًّا وكان معنيًا بالفكر الصهيوني النصراني للدرجة التي لم ير فيها النتائج الأخلاقية والسياسية والدينية للبرنامج الصهيوني»، ومن الغرائب المضحكات كما يقول أحد الكتاب: «أن ولسون رئيس أكبر دولة مدعي الثقافة كان يظن أن عدد اليهود في العالم مائة مليون في الوقت الذي لم يكن يتعدى عددهم أحد عشر مليونًا»!!.

فانظروا كيف استطاعوا تربيته لترسخ في ذهنه هذه المعتقدات!

وفي أيام ولسن، ومن بعده ظهر رجل لا بد من الإشارة إليه وهو أحد الزعماء المهمين في الولايات المتحدة، وهو رئيس لجنة العلاقات الخارجية في الكونجرس الأمريكي بعد الحرب العالمية الأولى.. يقول في خطاب ألقاه في بوسطن عام ١٩٢٢: «إنه جدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم أن يكون هناك وطن قومي لأفراد جنسه

الراغـبين في العودة إلى البـلاد التي كـانت مهـدًا لهم، والتي عاشـوا وعملوا فيها عدة آلاف من السنوات، وإنني لا أحتمل فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين»، هـذا هو حديث رئيس لجنة العلاقات الخارجـية في الكونجرس عام ١٩٢٢ أي: قـبل ٢٦ عامًا على قـيام دولة «إسـرائيل» يؤكـد أنه لا يطيق أن تبـقى القـدس وفلسطين تحت سـيطرة المسلمين!!

ذلك كله حـتى نعلم أنه قبل اشـتداد عـود اليهـود كان النـصارى يؤمنون بضرورة «إسرائيل» في فلسطين»[١] .

* سبعة رؤساء أمريكيون أصوليون إنجيليون يضعون نصب أعينهم معركة «هرمجدون»:

وينقل كتاب «البعد الديني» عن الرئيس كارتر أنه قال:

«لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين، وجسدوا هذا الإيمان بأن علاقات الولايات المتحدة الأمـريكية مع إسرائيل هي أكثر من علاقـة خاصة، بل هي علاقـة فريدة؛ لأنها متـجذرة في ضميـر وأخلاق ودين ومعتـقدات الشعب الأمريكي نفسه. لقد شكل إسـرائيل والولايات المتحدة مهاجرون طليعيون ونحن نتقاسم تراث التوراة»[٢] .

ومن الأدلة التي يستدل بها الباحثون على تدين أمريكا وعودتها إلى المحافظة أنـها اختـارت آخر رئيسـين قبل بوش من المتدينـين المحافظين، وهما كارتر وريجان، فكارتر كان ملتزمًا التزامًا صارمًا بالكنيسة الإنجيلية،

---

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص(٤٦).

(٢) «البعد الديني في السياسة الأمريكية» للدكتور يوسف الحسن ص(٧٦).

ولا يزال كارتر إلى هذا اليوم مبشرًا، ويتنقل من أفغانستان إلى الحبشة والسودان وغير تلك البلدان مدافعًا عن التنصير، ومبشرًا بالنصرانية، وهذا معروف عند كل من تتبع أخباره، فهو رجل منصر وقسيس.

عندما زار كارتر القدس المحتلة في مارس ١٩٧٩م، وقف أمام الكنيست الإسرائيلي وأدلى بتصريح جاء فيه: «إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة، لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه»[١].

وقد صرح الرئيس ريجان أكثر من إحدى عشرة مرة أن نهاية العالم باتت وشيكة، وأنه يؤمن بمعركة هرمجدون، وقال في حديث مع المدير التنفيذي للوبي الإسرائيلي (إيباك):

«حينما أتطلع إلى نبوءاتكم القديمة في العهد القديم وإلى العلامات المنبئة بهرمجدون أجد نفسي متسائلاً عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك واقعًا، ولا أدري إذا كنت قد لاحظت مؤخرًا أيًّا من هذه النبوءات، لكن صدقني أنها قطعًا تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه».

وقال زيجان:

«إنني دائمًا أتطلع إلى الصهيونية كطموح جوهري لليهود.. وبإقامة دولة إسرائيل تمكن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم في وطنهم التاريخي ليحققوا بذلك حلمًا عمره ألفا عام»[٢].

---

(١) «قبل أن يُهدم الأقصى» ص(١٤٣).

(٢) المصدر السابق ص(١٧٢ ـ ١٧٩).

ويقول مايك إيفانز أحد زعماء الأصولية الإنجيلية، ـ وسيأتي الحديث عنه ـ: «في يناير ١٩٨٥ دعا الرئيس ريجان: جيمي بيكر وجيمي سواغارت وجيري فولويل (وهم من زعماء الأصوليين وسيأتي الحديث عن الأخيرين) ودعاني أيضًا مع مجموعة صغيرة أخرى للقائهم بصورة شخصية؛ لن أنسى ما قاله لنا، أعرب الرئيس عن إيمانه بأن أمريكا على عتبة يقظة روحية وقال:

إنني مؤمن بذلك من كل قلبي، إن اللَّه يرعى أناسًا مثلي ومثلكم في صلاة وحب ابتهالين لإعداد العالم لصورة ملك الملوك وسيد الأسياد»[1]. يعني: المسيح.

وقف الرئيس الأمريكي السابق ريجان ١٩٨٤ أثناء زيارته لمعبد يهودي في نيويورك، وقال للحاضرين من اليهود والنصارى: «جميعنا هنا اليوم أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أبناء وبنات الإله نفسه».

في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ وجه ريجان دعوة لجيم بيكر وجمي سواجرت وجيري فالويل ولفيف من الكنيسة الإنجيلية، وكان اللقاء خاصًّا، وقال ريجان: أعتقد بأن أمريكا كانت على شفا صحوة روحية، وأن اللَّه هيأ أناسًا على شاكلتي لتهيئة العالم لمقدم رب الأرباب.

أعلن ريجان أن عام ١٩٨٤ هو عام (الكتاب المقدس) بعهديه القديم والحديث.. وقال في حديث صحفي: «إنهم يهاجمونني؛ لأنني أعلنت أن هذه السنة سنة الكتاب المقدس، إنني أعتز بهذا الاتهام وأحمله وسامًا على صدري.. لقد أخبروني أنه منذ بداية الحضارة سُنت ملايين

(١) «النبوءة والسياسة» ص(١٩٤).

القوانيين، ولكنها جميعًا لم تصل إلى مستوى قانون اللَّه في الوصايا العشر لموسى».

يقول الأمريكي (أندرولانج) مدير الأبحاث في معهد الدراسات المسيحية، والمقيم بواشنطن: «لقد أجريت دراسة عميقة عن ريجان والاعتقاد بمجدو ووجدت أن ريجان قد نشأ على ذات نظام المعتقدات التي نشأ عليها كل من (كلايد، وجيري فالويل، وجيمي سواجارت) ومبشرين آخرين، وإن لدى ريجان اعتقاد بهذا اليوم على الأقل إلى وقت قريب من توليه الرئاسة».

وقد عقد (لانج) مؤتمرًا صحفيًّا نظمه معهد الدراسات المسيحية، وقال في المؤتمر: «إنني وآخرون من المعهد أردنا التحقيق في أمر ريجان وأيدلوجية مجدو بالنظر إلى إمكانية أن يعتقد رئيس ما ـ شخصيًّا ـ بأن اللَّه قد قدر سلفًا حربًا نووية، هي إمكانية تثير عددًا من الأسئلة المخيفة، فهل سيؤمن رئيس معتقد بهذه الإمكانية لتفاوض على نزع السلاح حقًّا؟ وهل سيكون إذا وقعت أزمة نووية واعيًا ومتعقلاً؟ أم أنه سيكون توافًا للضغط على زرٍّ ما شاعرًا بذلك أنه يحقق تخطيط اللَّه المقدر سلفًا لنهاية الزمن»؟!!.

وفي الحقيقة فإن رونالد ريجان نفسه يشير إلى عواطفه الدينية المبكرة، إذ قال في مقابلة تليفزيونية مع المبشر جيم بيكر عام ١٩٨٠: «كنت محظوظًا؛ لأن أمي غرست فيَّ إيمانًا عظيمًا أكثر بكثير مما أدرك في ذلك الحين».

ويعارض ريجان بباعث من معتقده الديني مسألة الفصل بين الدين والسياسة التي يتبجح كثير من حكام المسلمين بالتغني بها.. يقول: «لا

يوجد شيء اسمه الفصل بين الدين والسياسة، وإن القائلين بهذا الفصل لا يفهمون القيم التي قام عليها المجتمع الأمريكي»(١).

والمقربون من ريجان يؤكدون بأن اعتقاده بقرب مجدو أكيد وقوي. تقول الكاتبة (جريس هالسيل):

يروي (جيمس ملز) ـ الذي كان رئيسًا لمجلس شيوخ ولاية كاليفورنيا ـ ضمن مقالة نشرتها له مجلة (سان رييجو ماجازين) في أغسطس ١٩٨٥م أن ريجان سأله أثناء مأدبة حضراها، عما إذا كان قد قرأ الفصلين (٣٨، ٣٩) من (حزقيال)، فأكد ملز لريجان أنه قد قرأ بالفعل وناقش فقرات حزقيال التي تتحدث عن يأجوج ومأجوج، وعندئذ تحدث ريجان بحرارة عن تحول ليبيا إلى الشيوعية، وأصر على أن هذا علامة تدل على أن يوم معركة مجدو ليس ببعيد (لأن تحول هذه الدولة إلى الشيوعية يجعلها من القوى الشريرة التي ستنضم مع الجيش الشرقي الكبير ضد إسرائيل).

ـ ثم قام (ملز) بتذكير ريجان بأن حزقيال قال أيضًا: أن الحبشة ستكون بين القوى الشريرة، فقال ريجان: «إنني أوافق على أن كل شيء لم يأخذ مكانه بعد، ولكن لم يبق إلا حدوث هذا الشيء فقط، إذ يجب أن يسيطر الحمر على أثيوبيا»!.

ـ وعندما قال ملز إنه لا يعتقد أن هذا أمر مرجح، قال ريجان: «اعتقد بأن هذا أمر لا مفر منه، إنه ضروري لتحقيق النبوءة القائلة بأن أثيوبيا ستكون من الأمم الكافرة التي ستقف ضد إسرائيل»(٢).

(١)«الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل الكيلاني ص(١١).
(٢)«قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٥٤، ١٥٥).

ويبدو أن ريجان قد ذهب بعيداً في إيقانه من أن المسألة أصبحت مسألة وقت بالنسبة لمجيء اليوم، فهو يعتقد أن لا عقبات هناك تحول بين ذلك اليوم، وبين حدوثه، قال ريجان لملز: «إن كل النبوءات الأخرى التي تعين تحقيقها قبل معركة مجدو قد حدثت والفصل ٣٨ من حزقيال يقول: إن اللَّه سيأخذ بني إسرائيل من وسط الكفار حيث سيكونون مشتتين، ثم سيلم شملهم مرة أخرى في أرض الميعاد، وقد حدث هذا بعد قرابة ألفي سنة، ولأول مرة في التاريخ فإن كل شيء مهيأ لمعركة مجدو، والمجيء الثاني للمسيح».

وهناك قرائن تدل على أن ريجان ظل محتفظًا باعتقاده في معركة مجدو حتى ركب سُدَّة الحكم في أكبر دولة في العالم وأقواها.

فعندما رشح نفسه للرئاسة عام ١٩٨٠م أدلى رونالد ريجان بتعليق عن نهاية العالم أثار انتباه المعلقين السياسيين؛ حتى قال أحد المعلقين في صحيفة نيويورك تايمز (وليام سافير): إن ريجان كان يخاطب حينئذ مجموعة من زعماء اليهود، وقال لهم: «إن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي نستطيع الاعتماد عليها كبقعة ستحدث فيها معركة مجدو».

وقال ريجان في مناسبة أخرى للمبشر جيري فالويل: «جيري.. إنني اعتقد أحيانًا بأننا نتجه الآن بسرعة عالية جدًّا نحو معركة مجدو».

وفي أكتوبر (تشرين) ١٩٨٣ كشف ريجان النقاب عن أن معركة مجدو ليست فقط عقيدة لا تزال تسكن قلبه، بل إنها لا تزال تشغل باله. فقد اتصل هاتفيًّا مع (توم داين) من اللجنة المركزية الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة، التي هي أقوى مجموعة ضغط قوية لإسرائيل، وقال داين إن ريجان قال له: «أتدري..؟ إنني أعود إلى

أنبـيائكم القـدامى في العهـد القديم، وإلى الدلائل التي تنبئ بمـجدو، وأجدني أتسـاءل عمـا إذا كنا الجيل الذي سـيشـهد ذلك.. لا أدري إن كنت لاحظت أيًّا من هذه التنبؤات في الأزمنة الأخيرة.. ولكن صدقني إنها تصف بالتأكيد الزمن الذي نعيشه».

والرئيس الأمريكي ريجـان لم يكن يخفي توجيهاته الديـنية الدفينة قبل، وبعـد تولي الرئاسة، وهو بعد أن نجح في انتخـابات الرئاسة التي جاءت به لمقـعد الحكم لبس القبعـة اليهودية المعـروفة، وألقى خطابًا في مؤتمر يهودي، كدليل التزامه بالصهيونية وولائه المطلق لليهود.

❑ قال المسـتشار الأمريكي للأمن القـومي (بريجنسكي): «إن على العرب أن يفـهموا أن العلاقـات الأمريكية الإسـرائيلية لا يمكن أن تكون متـوازنة مع العـلاقات العربـية؛ لأن العلاقـات الأمريكيـة الإسرائيلـية علاقات حميمة مبنية على التراث التاريخي والروحي»[1].

* بوش وما أدراك ما بوش!!

❑ وقف الرئيس الأمـريكـي «جـورج بوش» أمـام حـائط (المبكى) (البراق) في القدس، وقد لبس القبعة اليهودية وقبَّل أحجار الحائط القديم الذي يرمـز للهيكـل. وكانت الزيارة في عـام ١٩٨٧ عندمـا كان نائبًـا لريجان ونشرت الجرائد صورته على هذه الهيئة»[2].

جورج بوش الذي كـان نائبًا لريجـان وساعـده الأيمن، والذي قدّم لليهود ما لم يقدمه قبله لا ريجان ولا غيره.

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٥٦ ـ ١٥٧).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤٢، ١٤٣، ١٤٤).

والذي أظهر أثناء أزمة الخليج من التعاطف مع الأصوليين ما لم يسبقه إليه أحد؟!

كما أن بوش له علاقات صداقة حميمة مع زعماء الأصوليين الإنجيليين وخاصة جيري فولويل الذي يقول عنه بوش: «أعتقد بكل أمانة أننا برجال من أمثال جيري فولويل، فإن شيئًا فظيعًا كالإبادة الجماعية لليهود لن يحدث ثانية[1] ـ وسيأتي الحديث عن هذا الأصولي لاحقًا ـ.

وتذكر غريس هالسيل أن فولويل أقام حفل غداء في ٢٥ يناير ١٩٨٦ على شرف بوش، وقال في الحفل: «بوش سيكون أفضل رئيس في عام ١٩٨٨»[2].

ومهما قيل عن ماضي بوش الإجرامي، فإنه يصف نفسه في كتابه «التطلع إلى الأمام» بأنه متدين، وأن جده كان قسيسًا، وأنه هو وأسرته يقرءون الكتاب المقدس كل يوم، ويتحدث كيف واجهته مشكلة تعميد ابنته حينما كان سفيرًا في الصين، وصورته وهو يرتدي القبعة السوداء ويلثم حائط المبكى على طريقة اليهود يعرفها الجميع.

* **(١٩٩٩ نصر بلا حرب):**

هذا عنوان كتاب للرئيس «نيكسون» أكثر رؤساء أمريكا فكرًا وتنظيرًا، والعنوان يشعر بالفكرة الألفية وسيطرة الحكومة الواحدة على العالم، يقول نيكسون:

«في العالم الإسلامي من المغرب إلى أندونيسيا ورثت الأصولية

---

(١) «البعد الديني» ص(١٧٢).

(٢) «النبوءة والسياسة» ص(٣٢)، وهذا ما حدث فعلاً كما هو معلوم: وفي ذلك دليل على ارتباط بوش بالأصولية وضرورة اعترافه لهم بالجميل!!.

الإسلامية مكان الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف» (١).

ويختم كتابه بعبارات لا يتفوه بها إلا أعتى الأصوليين الإنجيليين فيقول: «عندما كانت أمريكا ضعيفة وفقيرة منذ مائتي سنة مضت كانت عقيدتنا هي المبقية علينا، وعلينا ونحن ندخل قرننا الثالث، ونستقبل الألف سنة المقبلة أن نعيد اكتشاف عقيدتنا ونبث فيها الحيوية».

وقد نشرت له مجلة الشؤون الخارجية تعليقًا على اللقاء الأول الشهير بين ريجان وغورباتشوف قال فيه:

«يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاونًا حاسمًا لضرب الأصولية الإسلامية» (٢).

* الرئيس الأمريكي ترومان يعترف بإسرائيل، بعد ١١ دقيقة فقط من إعلان قيامها:

في عهد الرئيس الأمريكي ترومان طلب خمسة آلاف قسيس بروتستانتي أمريكي إلى الحكومة أن تتدخل لإباحة الهجرة اليهودية إلى

---

(١) ١٩٩٩ نصر بلا حرب» لريتشار دنيكسون ص(٣٠٧).

(٢) كر مؤلف كتاب (أمريكا والشرعية) حادثة تدل على أن الأصولية المتعصبة تجاوزت رجال الكنيسة والسياسة إلى المثقفين الكبار. فقد تحدث جمال الغيطاني الأديب المصري عن رحلته إلى موسكو مع الشاعر الفلسطيني سميح القاسم ليمثلا اليساريين العرب، ويتحدثا عن الأمجاد الثورية شعرًا ونثرًا، ولكن المفاجأة كما رواها الغيطاني أن أكبر شاعر في الوفد الأمريكي قام لإلقاء قصيدة، وقدم بمقدمة قال فيها: «يجب علينا نحن الأمريكان والسوفيت تناسي خلافاتنا والتحالف معًا لضرب الإسلام»، فإذا بالغيطاني وزملائه يتبادلون النظرات، ويتساءلون: هل هذه هي التقدمية التي كلنا لها المديح..؟!
انظر: «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص(٣٧ ـ ٤٠).

فلسطين دون قيد أو شرط وسارع الرئيس ترومان إلى الاستجابة»[١].

وصرح الرئيس الأمريكي (ترومان) في جوابه على سؤال موجه إليه عن كتابه المفضل فأجاب «إنه التلمود»[٢].

ولقد اعترف ترومان بإسرائيل دولة، بعد ١١ دقيقة فقط من إعلان قيامها في تل أبيب، وبادر بتمويل آلاف الملايين من الدولارت من الضرائب الأمريكية إلى دولتهم»[٣].

* الرئيسي الأمريكي روزفلت وميداليته:

في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق روزفلت، تمت موافقته على اتخاذ النجمة الإسرائيلية شعارًا رسميًا لدوائر البريد، وللخوذ التي يلبسها الجنود في الفرقة السادسة، وعلى أختام البحرية الأمريكية وعلى ميدالية رئيس الجمهورية[٤].

يقول «بول فندلي» عضو الكونجرس الأمريكي في كتابه «من يجرؤ على الكلام»: «الواقع أن جميع النصارى ينظرون إلى الشرق الأوسط من منظار الصلة الروحية بإسرائيل، ومن زاوية الميل إلى معارضة، أو عدم تصديق أي شيء يشكك في سياسة إسرائيل، والقناعات الدينية هي التي جعلت الأمريكيين يستجيبون لنداءات اللوبي الإسرائيلي».

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤٢).
(٢) المصدر السابق ص(١٤٣).
(٣) «عقيدة اليهود» ص(٢٢٣).
(٤) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤٣).

ويقول: «أعتقد أن أسباب البركة في أمريكا عبر السنين أننا أكرمنا اليهود الذين لجأوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام واعترفنا بحقها في الأرض»[١].

□ وعندما انعقد المجمع العالمي الثاني للكنائس المسيحية في (أفانستون) عام ١٩٥٤م قدمت له اللجنة المختصة ببحث علاقة اليهود بالكنيسة تقريراً جاء فيه: «إن الرجاء المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب إسرائيل الذي لا نراه بوضوح فقط في كتب العهد القديم ـ التوراة ـ بل فيما نراه من عون إلهي دائم لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب اللَّه المختار المسيح كملك».

وأصدرت مجموعة من الأساقفة في المؤتمر المذكور البيان التالي:

«إننا نؤمن أن اللَّه اختار إسرائيل ـ الشعب المختار ـ لكي يتابع خلاصه للبشرية. ومهما كان موقفنا، فلا نتمكن من نكران أننا أغصان قد تطعمت على الشجرة القديمة التي هي إسرائيل. ولذلك فإن شعب العهد الجديد لا يمكن أن ينفصل عن شعب العهد القديم.. إن انتظارنا لمجيء المسيح الثاني يعني أملنا القريب في اعتناق الشعب اليهودي للمسيحية وفي محبتنا الكاملة لهذا الشعب المختار»[٢].

* جيري فولويل:

صاحب برنامج «ساعة من إنجيل زمان»، وهو من أشهر قيادات التيار الأصولي الأمريكي وله منظمة يسمونها «الأغلبية الأخلاقية» أو

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤١).

(٢) مجلة الأمل العدد (١٠٤/ ١٩٨٢).

«الأغلبية المعنوية».

ومن كلماته: «إن دعم الولايات المتحدة لإسرائيل ليس من أجل مصلحة «إسرائيل»، ولكن من أجل مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها». يقول هذا الرجل: «إن الولايات المتحدة الأمريكية جمهورية نصرانية يهودية».

❑ يقول هذا الصليبي ـ وهو صديق شخصي لبيجين وشامير:

«لا أعتقد أن في وسع أمريكا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل، وتبقى في عالم الوجود فالرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهود».

وقال: «أنتم تعلمون أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يجلس المسيح يومًا على عرش داود في القدس».

وقد قام برحلة إلى فلسطين عام ١٩٨٣ اصطحب فيها ٦٣٠ مسيحيًّا استقلوا الطائرة من نيويورك إلى تل أبيب، وذهبوا إلى «مجدو» مكان المعركة المنتظرة.

❑ ويقول «فولويل»: «إن الوقوف ضد «إسرائيل» هو وقوف ضد اللَّه»، ويشير في برامجه إلى ما يسميه (وعد اللَّه لإبراهيم منذ أربعة آلاف عام)، وقول الرب: «سأبارك من يبارك إسرائيل، وألعن من يلعنها» كما في التوراة ويضيف:

وبناء على هذا فإن على الولايات المتحدة ألا تتردد في تقديم كل الدعم المالي والعسكري إلى «إسرائيل».

وعندما قامت دولة «إسرائيل» عام ١٩٤٨ لم يعتبر ذلك مفتاحًا

للنبوءات التوراتية فحسب بل قال: «إن هذا علامة على مباركة اللَّه وفاء لشعب اللَّه».

ويقول فولويل ـ وهذه عبارة مهمة بالنسبة لمشروع السلام ـ: «إنه لا مجال للنقاش بكون يهوذا والسامرة جزءاً من «إسرائيل»، وكذلك الجولان، وإن القدس عاصمة أبدية موحدة لـ «إسرائيل».

وقد أنشأ فولويل جامعة سماها «جامعة الحرية» ويقول: إن عدد طلابها سيصل عام ٢٠٠٠ إلى خمسين ألف طالب، ويتعلم فيها الطلاب علم اللاهوت من وجهة النظر اليهودية، وهذه الجامعة ينتمي طلابها إلى دول كثيرة.

وهو يؤكد باستمرار (أن إعادة تأسيس إسرائيل عند المسيحيين الأصوليين هو إيفاء بالنبوءات) أي: وعود التوراة المحرفة.

وهو لا يكتفي بالحدود الجغرافية الحالية لـ «إسرائيل» بما فيها الضفة الغربية وغزة والجولان بل يطالب بامتداد أراضيها من الفرات إلى النيل، ويقول في برنامجه «ساعة من إنجيل زمان» حينما غزا اليهود لبنان واحتلوا بيروت عام ١٩٨٢ ـ يقول: «يذكر سفر التكوين من التوراة أن حدود «إسرائيل» ستمتد من الفرات إلى النيل، وستكون الأرض الموعودة»، والأرض الموعودة كما يقول: «هي العراق وسورية وتركيا والسعودية ومصر والسودان وجميع لبنان والأردن والكويت»، فالأصولية الإنجيلية ترى أن كل هذه الأرض أرض كنعان، إذن كلها موعودة.

ويهاجم هذا الرجل العرب، ويقول: لا مكان للعرب بيننا، ولا علاقات حسنة معهم؛ لأنهم ينكرون قيم الولايات المتحدة الأمريكية وطريقة معيشتها، ويرفضون الاعتراف بـ «إسرائيل».

وهذا اتباع لما جاء في التوراة من أن هناك سبعة شعوب ملعونة أهمها الشعب العربي.

بقي أن نقول إن «جيري فولويل» هذا صديق حميم للرئيس الأمريكي بوش، وقد أعلن بوش أكثر من مرة صداقته له كما سبق[1].

* «بات روبرتسن» صاحب الخط ٨٠٠:

والرجل الثاني «بات روبرتسُن»، وهذا معروف في أنحاء أمريكا كلها بأنه نجم تلفازي ديني، وقد أنشأ هذا الرجل محطة تلفازية تغطي أكثر من ستين دولة أجنبية، وتستخدم الأقمار الصناعية في البث، ويقول الرجل أنه يتلقى أكثر من أربعة ملايين مكالمة عن طريق الخط المجاني رقم ٨٠٠.

وهذه المكالمات تحتوي الفتاوى والأسئلة والاسترشادات الكنسية، ويجيب عليها هو وزمرته.

وهناك محطة مشهورة هي (C.B.N)

هذه المحطة يملكها «بات روبرتسن» وجماعته الإنجيلية الأصولية، وهي تذيع باستمرار على مدار ٢٤ ساعة وتركيزها الأساسي على برامج الوعظ.

وكذلك «نادي السبعمائة» ـ كما في الجدول ـ، ويملك أيضًا جامعة تسمى جامعة C.B.N.

---

(١) يراجع كتاب «البعد الديني» و«النبوءة والسياسة» و«الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل كيلاني، و«المنظمات اليهودية الأمريكية» للي أوبرين»، و«المبشرون البروتستانت والنية القاتلة» لجريس هالسيل، وكتاب «القدس الوعد الحق والوعد المفترى».

وتقـول عنه نيويورك تايمز لا يوجـد في عقل بات روبرتسـن سوى الأيام الأخـيرة من الزمن، والمجيء الثـاني للمسـيح، ونشـوب معـركة هرمجدون. أي: أنه يتوقع نزول المسيح ـ عليه السلام ـ بنهاية هذا الألف الثـاني للميـلاد، ويعلل ذلك بأن إعـادة مـولد «إسرائيل» هي الإشـارة الوحيـدة إلى أن العد التنازلـي لنهاية الكون قـد بدأ، كما أنه مـع مولد «إسرائيل» فإن النبـوءات أخذت تتحقق بسرعة، أي: أن كل مـا أخبر به الكتاب المقدس سيأتي اعتبارًا من وجود دولة «إسرائيل».

وفي برامجه يؤكد دائمًا على عداوته للعرب، ويسميهم أعداء اللَّه، ويعتقد أنه لا مجال للعدل مع الفلسطينيين طالما أن رغبة اللَّه هي تأسيس «إسرائيل» وفي تعيين حدودها.

ويقول في إحدى نـشراته أن احتلال «إسرائيل» لـلقدس في حرب حزيران ٦٧ هو أهم حدث تنبـؤي في حياتنا، وأن زمان غير اليـهود قد قارب على النهاية، وأن شبكته الإذاعية ستكون جزءًا حيـويًّا من حركة الإله نحو دعم «إسرائيل».

وقد كان هذا الرجل ـ بات روبرتسن ـ ضـمن الوفد الرسمي الذي رافق بوش في زيارته للسـودان عـام ١٩٨٥ التي وقع على أثرها اتفـاق أمريكي ـ سوداني بـترحيل يهود الفلاشـا إلى «إسرائيل» وهذا يدل على قوة العلاقة التي تربط هذا الرجل بالرئيس بوش».

وقد نشرت جريدة الشـرق الأوسط بتاريخ ١٢/ ١١/ ١٤١٢هـ خبرًا عنوانه «داعية ديني يشتري أكبر وكالة أنباء أمريكية»، وذكرت قصة شراء شـركة روبرتسـن المسمـاة شـركة الإعـلام الإمـريكية لوكـالة «يونايتـد انترناشيـونال» الشهيرة، وقـالت: «وتنتمي شركة الإعـلام الأمريكية إلى

شبكة الإذاعة المسيحية التي يمتلكها روبرتسن وهي سلسلة من محطات التلفزيون والراديو تنتشر في مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وتصل هذه القناة العائلية الخاصة المقصورة على المشتركين إلى ٥٤ مليون أسرة أمريكية»[١].

* جورج أوتس: اليهود في أي مكان ما زالوا هم شعب اللَّه المختار

أما الرجل الثالث المشهور في إطار الأصولية الإنجيلية فيدعى جورج أوتس، وله منظمة كبيرة تسمى «رعوية المغامرة الكبرى»، وهذه المنظمة تؤمن بحرفية التوراة، وأنها كتاب من عند اللَّه، وبالتالي فهي تؤمن بأن «إسرائيل» مقدمة لعودة المسيح ـ عليه السلام ـ ثانية، وتلتزم التزامًا كاملاً بدعم اليهود، وتقول في إحدى إعلاناتها:

«نحن ملتزمون بأمن «إسرائيل» كما نؤمن بأن كل الأرض المقدسة هي ميراث للشعب اليهودي، غير قابل للنقل أو التصرف، وهو الوعد الذي أعطي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولم يلغ قط» وتضيف:

«كما أن إنشاء «إسرائيل» الحديثة هو إيفاء لا ينازع للنبوءة التوراتية، ونذير بمقدم المسيح، ونعتقد أن اليهود في أي مكان ما زالوا هم شعب اللَّه المختار وأنه يبارك من يباركهم ويلعن من يلعنهم»[٢].

* مايك إيفانز:

وهناك شخصية أخرى من شخصيات الأصولية النصرانية، هو «مايك ايفانز» وهو أيضًا رجل له علاقة حميمة بالرئيس بوش، وهو من

(١) «القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى» ص(٥٧ ـ ٦٠).
(٢) «القدس» ص(٦٠).

أكثـر الأصوليين النـصارى تطرفًـا، ورأيه يتلخص في أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تسعى سعيًا حثيثًا من أجل إقامة إسرائيل، ويرى أن مثل هذا العـمل لوجه اللَّه، وتأييدًا لكلمـة اللَّه، ويملك برنامجًا اسـمه «إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء»، وهذا البرنامج يبث لمدة ساعة يوميًّا في أكثر من خمسين محطة تغطي أكثر من ٢٥ ولاية أمريكية.

ويقول «إيفانز»:

إن تخلي «إسـرائيل» عن الضفـة الغربيـة سوف يجر الدمـار على إسـرائيل وعلى الولايات المتـحـدة الأمـريكيـة من بعـدها، ولو تخلت إسرائيل عن الضفة الغربية، وأعادتها للفلسطينيين، فإن هذا يعني تكذيبًا بوعد اللَّه في التوراة، وهذا سيـؤدي إلى هلاك «إسرائيل» وهلاك أمريكا من بعدها إذا رأتها تخالف كتاب اللَّه وتقرها على ذلك، ويناشد «إيفانز» الشعب الأمريكي التقدم لتأييد أفضل صديق للولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بتوقيع إعـلان البركة الإسرائيلي؛ لأن الرب أمـره بوضوح بإنتاج هذا البرنامج الخاص بإسرائيل.

ويقول: «إن كلمة اللَّه غير قابلة للتفاوض، ونحن نؤمن علاوة على ذلك بأن الكتب المقدسة تعترف بالقدس عاصمة روحية لإسرائيل، وأن المسيح اليهودي سيعود إليها كذلك».

ويضـيف: «ومن أجل هذا تعاهدنـا على الصلاة من أجل شـعب «إسرائيل»، والوقوف معه في كفاحه من أجل الحرية والسلام».

ويضيف: «نـحن نؤمن بكلمة اللَّه حـينما تقـول: سوف أبارك من يبـاركهم وألعن من يلعنهـم، نحن نؤمن أن من واجب أمريكا الوقـوف بجانب «إسرائيل»، وكلمة اللَّه تعترف بالقدس، وعلينا واجب الاعتراف

بكلمة اللَّه».

وبرنامجه يشاهده عشرات الملايين في أمريكا وأوربا وأمريكا اللاتينية.

وقد وزع إيفانز بيان «القدس دي سي» على عدد من الأمريكان، ووصل عدد الذين وقعوا عليه إلى مليون أمريكي، وأرسلوا هذه التوقيعات إلى رئيس أمريكا وإلى رئيس وزراء «إسرائيل». وقدمّ هذا إلى شامير، وكتب إيفانز وقتها يقول:

«إن عيني شامير اغرورقت بالدموع، وقال: إن أولئك المسيحيين يحبوننا حبًّا عظيمًا[1].

* أمريكا وقراراتها السياسية المتأثرة بمعتقداتها الدينية:

نشرت جريدة الواشنطن بوست - في ٢٦/ ١٢/ ١٩٨٣ - إحصائية أجراها معهد «جالوب» أثبت أن ستين بالمائة من الأمريكين يهتمون بالدين، وأن اثنين وأربعين بالمائة منهم يداومون على الصلاة في الكنائس، وأن ستًّا وعشرين بالمائة منهم يقبلون على دراسة الكتاب المقدس.. كما قرر أكثر من ثلث الأمريكين أن قراراتهم السياسية تتأثر بمعتقداتهم الدينية»[2].

ويقرر معهد جالوب أن ٦٠ مليون شخص أو أكثر يشاهدون برنامجًا أو أكثر من برنامج الكنيسة المرئية شهريًّا.

---

(١) «القدس» ص(٦١ - ٦٣)، و«قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤٢).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٧١).

* والفاتيكان:

«كان بابا الفاتيكان من الأسباب الأساسية في سرعة قبول إسرائيل عضوًا بالأمم المتحدة بعد قيامها، فقد ألقى بثقله عام ١٩٤٩ خلف الطلب الذي تقدمت به دولة إسرائيل لتصبح عضوًا في الهيئة العالمية، وأشار على الدولة الكاثوليكية ـ التي يرعى كنيستها ـ بأن تُصوّت بالموافقة على هذا الطلب»[1].

ولقد ظل الكاثوليك حتى فترة قريبة يرفضون تاريخيًّا سيطرة اليهود على بيت المقدس ولا يشجّعون عودتهم، فلما عادوا أعاد الكاثوليك النظر في مواقفهم العدائية لليهود.

اجتمع المجمع المسكوني في دورته الثانية (المؤتمر الديني العالمي للكنيسة الكاثوليكية) في عام ١٩٦٢ في الفاتيكان، وضم ٢٨٥١ مندوبًا عن الكنائس الكاثوليكية في العالم، إضافة إلى ممثلي الطوائف المسيحية الأخرى من الأرثوذكس والبروتستانت وقرر نص التبرئة بأغلبية عظمى ضد ١٨٨ صوتًا فقط.

(. . . وتضع الكنيسة نصب عينيها دائمًا ما قاله بولس الرسول في شأن اليهود الذين هم إسرائيليون، ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد.

ومن الواجب أيضًا أن نذكر أن اتحاد الشعب اليهودي مع الكنيسة هو جزء من الأمل المسيحي.

لذا يجب على الجميع. . عدم إظهار الشعب اليهودي كأنه ملعون،

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤١).

أو القيام بما يباعد بين الناس وبين اليهود، ويجب بالإضافة إلى ذلك أن نحرص كل الحرص ألاّ نعزو إلى يهود عصرنا ما ارتكب من أعمال أيام المسيح»[١] .

ولقد حُذفت سائر الأدعية والصلوات التي كانت تتضمّن إدانة اليهود في عبادات الكنيسة الكاثوليكية، ثم حصل لقاء تاريخي بين (البابا) وشمعون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، وكان ذلك في بداية الثمانينات، وقد بدا (البابا) في الصور منحنيًا أمامه ليصافحه، وفي عام ١٩٩٣ اعترف الفاتيكان رسميًّا بدولة اليهود إلاّ أنه ظل متحفّظًا على التنازل عن القدس عاصمة لهم.

والذي يظهر أن الفاتيكان زعيم الكاثوليكية في العالم لن يقرّ بحيازة اليهود ولا المسلمين للقدس في دولة إسرائيل أو فلسطين أو غيرها، فالقدس هي القدس عند الكاثوليك والأرثوذكس عاصمة المسيح والمسيحيين»[٢] .

* **ونصارى فلسطين:**

أعد البطاركة وزعماء الطوائف النصرانية في القدس مذكرة نُشرت في ١٤ نوفمبر ١٩٩٥م، طالبوا فيها بتحويل القدس إلى «عاصمة للجنس البشري»!!!

وأكد أصحاب المذكرة أن الرب اختار القدس مكانًا لسكنه ـ تعالى اللَّه عن زعمهم ـ وأن القدس هي مكان الخلاص، وفيها وُلدت الكنيسة،

---

(١) «عقيدة اليهود في تملّك فلسطين» ص(٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٤٩ ـ ١٥٠).

ولقـيت المذكـرة النظر إلى أن سـفْر الرؤيا قـد بشّـر بمجيء المسـيح إلى «القدس الجديدة»، المدينة التي سـيمسح فيهـا الرب كل الدموع! وقالت المذكرة: إن القدس بالنسـبة لكل مسيحي هي منبع الحيـاة؛ فكل مسيحي يُولد في القدس، والوجود في القدس يعني الوجود في بيت الرب!»[١].

❑ يقول إيمانويل هيمان: «كل التيارات الأرثوذكـسية المختلفة، تتبع طريقًا سـيؤدي بها في المستـقبل إلى أرضية مـشتركة، ألا وهي اقتـناعها جميعًا بقرب مجيء المسيح المنتظر»[٢].

وأخيرًا:

صدر كتاب عام ١٩٩٣م بعنوان «بابل أو القدس» لمؤلفه (يان فيلان دارهوفن) جاء فيه «تعارض السفارة المسيحية الدولية مطالب المسلمين في البيت المقدس، وتطالب بالتسامح تجاه اليهود الذين يطالبون بالصلاة فيه، وتؤكد على حق إسرائيل في جعل القدس عاصمة موحدة لهم»[٣].

فنصارى العالم يتخذون موقفًا موحّدًا برفض سيطرة المسلمين على القدس.

* عجبًا لمن يتحدثون ويحملون شعار ـ اللَّه محبة ـ:

إن عـقـدة «الجـويـم»، أو الكفـار أو العامـة أو «الجنتـيل» الذين خلقهم اللَّه لخدمة اليهود، ولكن خلقهم على هيـئة البشر لئلا يستوحش منهم اليهود. هذه العـقيدة يشارك البروتسـتانت اليهود فيهـا، ولهذا فإن الحديث عن فناء «العامة» من غير اليهـود وأشباههم من البروتستانت هو

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٥٠).
(٢) «الأصولية اليهودية» لإيمانويل هيمان.
(٣) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٥٠ ـ ١٥١).

من الأحاديث المنعشة لأرواحهم والمسعدة لأسماعهم.

قال القس «جيري فالويل» في محاضرة ألقاها في ١٢ ديسمبر ١٩٨٤م عن أحداث هرمجدون: «ما أعظم أن نكون مسيحيين؛ إن أمامنا مستقبلاً رائعًا، نشكر اللَّه أن هذه المعركة سوف تكون نهاية أيام العامة (الجنتيل)؛ لأنها بعد ذلك سوف تعد المسرح لقدوم الرب المسيح بقوة وعظمة»!!!.

إذن فأين الحديث عن السلام والمحبة؟!!

ومن أراد المزيد عن كلامهم عن هذه الحرب المتوقعة فلينظر إلى كتاب «دراما نهاية الزمن» لمؤلفه «أوترال لوبرتس» وقد بيعت منه ملايين النسخ، وكتاب: «الكرة الأرضية، ذلك الرجل العظيم» من تأليف «هال لندسي» وقد بيعت منه نحو ١٨ مليون نسخة.

* الإعلام العربي العلماني عريض القفا يتاجر في المخدرات الفكرية غافل عن روح الأمة:

إن المشاعر الدينية تلقي بظلالها على تصرفات اليهود والنصارى حيال قضية القدس وفلسطين، ولا يمكن أبدًا أن نجد تفسيرًا مقبولاً لتأييد النصارى لإسرائيل عندما نعزل القضية عن خلفيتها الدينية[1].

▫ يقول الشيخ عبد المعز عبد الستار:

«حدثنا الإمام فقيد الإسلام السيد محمد أمين الحسيني مفتي

(١) يراجع كتاب «الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل كيلاني، و«المنظمات اليهودية الأمريكية» للي أوبرين، و«المبشرون والبروتستانت والنية القاتلة» وكتاب «البعد الديني في السياسة الأمريكية» للدكتور يوسف الحسن.

فلسطين ورئيس الهيئـة العربية العليا لفلسطين ـ رحـمه اللَّه ـ قال: كنت أود زيارة المندوب البريـطاني حاكم فلسطين، فقـال لي: إن أمي علمت بوجودك وتودّ مقابلتك، فقلت له: أهلاً وسهلاً، وجاءت العجوز، فكان أول مـا قالتـه لي: أرجـوك ألا تقف ضد إرادة الرب، فـقلت لهـا: يا سيدة، ومن يستطيع أن يقف ضد إرادة الرب؟ قالت: أنت، فقلت لها: كـيف؟ قالت: لأنك لا تريد أن تُعطي الـيهـود الأرض التي أعطاها اللَّه لهم.

قلت: إنها أرضي وبيتي وكيف يعطيها اللَّه لهم، وأنا أين أذهب؟

قالت: إنها إرادة اللَّه!

ولما انتهت المقـابلة قلت لابنها: إن والدتك طيبـة متأثرة باليـهود، قال: لا، بل نحن البروتستانت نؤمن بهذا، والأناجيل تبشر به.

ولما أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض سنة (١٩٣٩)م تحدّد فيه أعداد المهاجرين اليـهود إلى فلسطين ثار اليهود وسـيّروا المظاهرات في عواصم أوربا تهتف:

الكتاب المقدس لا الكتاب الأبيض يعطينا الحق في فلسطين.

التوراة لا الكتاب الأبيض تعطينا حقنا في فلسطين»[1].

يقول كـارتر في مذكراته: «كانت الأخـلاق اليهودية والنصـرانية ودراسة «التوراة» أواصر بين اليهـود والنصارى، وقد ظلت هذه الأواصر جزءًا من حياتي. كذلك قد كنت أعتقـد اعتقادًا راسخًا بأن اليهود الذين لم تقض عليهم جائحة النازية يستحقون أن يكون لهم وطن خاص، كما

(١) «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» لعبد المعز عبد الستار.

أن لهم الحق في أن يعيشوا في سلام بين جيرانهم، واعتبرت أن هذا الوطن القومي لليهود يتماشى مع تعاليم «التوراة»! ولذا فإنه أمر شرعه اللَّه!! وقد جعلت اعـتقاداتي الخلقيـة والدينية هذه التزامي بأمن إسرائيل الـتزامًا لا يتزعزع»[١] .

❑ «وحينما سئل وزير دفاع إسـرائيلي سابق، وهو عالم آثار يهودي أيضًـا، ومفسّـر غيـر متـفرّغ للتـوراة، عمّـا إذا كانت مطالب إسـرائيل «الدينية» والتـاريخية يجب أن يكون لهـا دور في السياسة الإسـرائيلية، أجـاب قـائلاً: «هذا هو أسـاس الوجـود الإسـرائيـلي وهي: الشـعب اليـهودي، والكتـاب المقدس، وأرض اليـهود. (ولذلك) إذا اجـتمـعت التوراة وأمة التوراة فلا بد أن تكون معهما أيضًا أرض التوراة»[٢] .

❑ «لقد نشـرت الصحف منذ سنوات تصريحًـا للجنرال الإسرائيلي المعـروف «مـوسى ديّـان» يبـرر به ضم القـدس إلى إسـرائيل وإنشـاء مسـتوطنات جـديدة فيـقول: «إن على الـذين يعارضـون هذه السيـاسة مراجعة موقفهم من الإنجيل والتوراة!»[٣] .

وخيانة الإعلام العربي الـعلماني للَّه ولرسوله وللإسلام ولفلسطين والقدس وتاريخ الأمة مـا فوقها خيانة.. لقـد انكشفت سوءته. لماذا كل هذا الصمت المريب في إظهار حقيقة الصراع.. في ظل غيبوبة مفروضة على الأمة؟ لماذا يسكت عن كل هذا الضجيج المقذع والذي صخ الأسماع للمعركة التي ينتصر فيها بوق اليهود ونواقيس النصارى ـ كما يزعمون ـ

(١) الترجمة لجريدة «الشرق الأوسط» جدة ـ ٤/ ١٠/ ١٩٨٢.
(٢) «القدس قضية كل مسلم» ص(١٠٠).
(٣) المصدر السابق ص(٩٥).

لماذا لا تثار الغيرة الإيمانيـة؟ ولمـاذا الخوف من حنين الأمة إلى دينها ـ لا أم لكم ـ؟ ولماذا الخوف من الغـيرة الإيمانية وإيضاح حـقيقة المعـركة وأنها دينية؟!!!!

وإيقاظ المشاعر الدينية ـ أيها البله.. البائعون لكل شيء روح الأمة التي لو فارقتها لفارقتها الحياة.

لماذا هذا السياج القذر من التـعتيم والتعمية الذي يقام حـول حقيقة المعركـة حتى لا تنتبـه الأمة وجمـاهيرها اللاهية إلي مـا يراد لها، حين تعرض القضية تعرض بشكل جزئي مهمش مختزل مغبش مغلف بالخيانة في كل فصـولها، وبرايات مـزيفة، يزيّفون حـقيقـة المعركـة لغرض في نفوسهم دفين ـ يخافون صحـوة المارد من غفلته، ليقول: إني لم أمت، ها أنذا. إن الإعـلام العربي الـعلماني مـهـمتـه الاتجار في المخـدرات الفكرية، ويعمل على ترويجـها حتى تصاب الأمة كلهـا بحالة من إدمان الترف المعرفي التائه، أو التجاهل والتشاغل المذهبي.

* تصم آذانهم عن قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

«إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان.. إنها هي العقيدة.. هذه حـقيقة المعركة التي يشنهـا اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضـد الجماعـة المسلمة، إنهـا معركـة العقـيدة هي المشبوبة بين المعـسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخـاصمان فيما بينهمـا، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينهـا، ولكنها معركة العقيـدة في صميمها وحـقيقتها، ولكن المعـسكرين العريقين في العداوة

للإسلام والمسلمين يلونانها بألوان شتى، ويرفعان عليها أعلامًا شتى، في خبث ومكر وتورية، إنهم قد جرّبوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة، ومِن ثَمّ استدار الأعداء العريقون فغيَّروا أعلام المعركة.. لم يعلنوها حربًا باسم العقيدة ـ على حقيقتها ـ خوفًا من حماسة العقيدة وجَيَشانها. إنما أعلنوها باسم الأرض، والاقتصاد، والسياسة، والمراكز العسكرية، وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها! ولا يجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها. فهذه سمة المتخلّفين المتعَصّبين! بينما هم في قرارة نفوسهم: الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية بإضافة الشيوعية العالمية جميعًا يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلاً، فأدمتهم جميعًا»[1].

❀ ❀ ❀

(١) «الظلال» لسيد قطب (١/١٠٨).

❁ إن بين الإسلام والكفر حربًا[1] ❁

لوْ رَأيتَ الأقصَى يَئِنُّ سَجينًا
وإذا بالأذانِ فيهِ نَحيبُ
دَاسَ صهيونُ قُدسَهُ حين ذَلت
أُمَّةٌ شَدوُها الكَذُوبُ نَعيبُ
جَاءَ رَهطُ الغِربانِ بعدَ نُسُورٍ
وبعَودِ الغِربانِ شَرٌّ يَؤوبُ
إذْ رَأيتَ الإسلامَ شرقًا وغربًا
ضَائعًا تائهًا حَوتهُ الكُروبُ
فَبِلادُ الإسلامِ نَهبُ عَدُوٍّ
مُلحِدٍ فيه للشُّرورِ نَصِيبُ
كفرُه في الأنامِ شرقًا وغربًا
ورأى الكفر شَمال والجنوب
وسَكَتنا عَلى الأفاعي صلالاً
حينَ ضَمت تِلكَ الصلال الجُيوبُ
ولُدِغْنَا مَثنى لُدِغْنا رُبَاعًا
حين ضَاعَ الإيمانُ فَهُوَ غَرِيبُ

(١) لعلي هاشم رشيد.

ونَسِينا قَولَ الرسولِ بَألاَّ
يُلدَغَ المُؤمنُ الحَصيفُ الأريبُ
ثانيًا من صلال جُحرٍ بِقَفرٍ
لو تَبَدَّى وهُوَ النَّديُّ الخَصيبُ
فَالأفاعي تُبَدِّلُ الثَّوبَ غِشًّا
ولذا العيشُ قُربُها لا يطيبُ
يا أَخي حِكمَةٌ عَرَفتَ فَخُذها
من خَبيرٍ وَقَدْ علاهُ المَشيبُ
إِنَّ مَن كانَ مُشرِكًا وكفورًا
كُفرُه في الدِّماءِ منْه الدَّبيبُ
مَن يُعادي الرَّحمنَ جَهرًا تُراهُ
عَن عداءِ الرَّحمنِ يومًا يَتوبُ؟!
أَم تُراهُ من الضَّلالةِ يَشفَى
وإِلى واضِحِ الصِّراطِ يثوبُ
خَتَمَ اللَّهُ قَلبَهُ، دَعْهُ للَّـ
ـه رَمَادُ الكَفُورِ منه الشُّبوبُ
وسُكونُ الرياح يُنْذرُ دَومًا
بالأعاصيرِ حينَ يَأتي الهُبوبُ
والأفاعي ملساءُ مثلُ حُريرٍ
فهل العيشُ والأَفاعي يَطيبُ

إنَّ بينَ الإيمانِ والكُفْـــرِ حَـــرْبًا
عُـمْـرُها عُـمْـرُ كَـوْننا لا تَغـيبُ
لِيَـمِـيـزَ الخـبـيثَ رَبٌّ رَحـيمُ
لِدُعـاءِ الداعينَ صِـدْقًـا.. يُجِـيبُ
ولَهُ النصـــرُ في النهـــايةِ حَـتْمٌ
إنْ تَرَجَّتْ لَدَى الصـــراعِ الخطوبُ

❁الصليبيون.. وحروبهم الصليبية وما فعلوه بالمسلمين في فلسطين وغيرها[1]❁

مَكَائِدُ...! والشَّيْطَانُ مَدَّ حِبَالها
وَأَبرَمَ مِن نَهْجٍ وَمِنْ خُطُوَات[2]
يُجَمِّعُ من أَهْلِ الكِتَابِ طَوَائِفًا
وَيجمَعُ من كُفْرٍ طَغَى وَشَتَاتِ
كَـــأنَّ بَرِيقَ الشَّـــرْقِ هَيَّجَ فِـتْنَةً
وَأطلَقَ مِنْهـا وثْبَـةَ الشَّـهَـوَاتِ

(١) من قصيدة «ملحمة التاريخ» من ديوان «جراح على الدرب» للدكتور عدنان النحوي ص(١٤٤ ـ إلى ما بعدها).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾... من آية ٢١.

يُمنّيهُمُ السّحرَ الغَنيَّ وَجَنَّةً
وَكنزًا ببطْنِ الأرضِ والفَلَوَاتِ
ويَدْفَعُهُمْ حِقْدُ السِّنينَ ومَوْجَةٌ
وَدَفْقَةُ إجرامٍ ونَزعُ طُغاةِ
يُوَارُون أَحلامَ الضَّلالِ بِفريَةٍ
وَيُخْفون مِنْ مَكْرٍ ومِنْ غَضبَاتِ
ويُلقُوْنَ رَايَاتِ «الصَّليبِ» أَمَامَهمْ
سِتاراً يُوَارِي نَهْمَةَ الغَزَوَاتِ
فَيا أيُّها التاريخُ أيُّ عِصَابَةٍ
تَولَّتْ منَ الإجْرَام زَيفَ رُوَاةِ
أيُصْلَبُ عِيسى...! ثُمَّ يُجعَلُ خالقًا
فَيَا وَيلَ بُهتَانٍ وَوَيْلَ جُناةِ
وَمَا صَلبُوه...! غَيرَ أنَّ عِصَابَةً
منَ الشرِّ حاكَتْها سِتَارَ غُوَاةِ
وَتَمضِي مَعَ التاريخِ حتّى كأنّها
حَقَائقُ شَدَّتْ عُرْوَةً وَصِلاتِ
يَهِيجُ لَها حَشْدُ الضّلالِ حَمِيَّةً
مَنَ الجَهْلِ أمْواجًا عَلى حَمَلاتِ[1]

(١) الحروب الصليبية وما تبعها من غزو ومكر على مر السنين حتى يومنا هذا.

وَتَدفعُ ما بَينَ الشعوب ضَغَائنًا
وَتُوْقِدُ من نَارٍ ومِنْ جَمَرات
وَيَأبى رَسُولُ اللَّهِ عيسى شُرُورَها
وَيَأبى صَفَاءُ الدِّين وَيلَ عُداةِ
وَلَو صَدَقوا في الدينِ صَانُوه بينَهُمْ
وما هَتَكوا أَعراضَهم بِزُناةِ
ومَا شَرَعُوا للنَّاس شِرْعَةَ مُلْحِدٍ
وَمَا نَزَعُوا للسُّوء من دَفَعَاتِ
وَلَكِنَّما الأهواءُ تَقْتُلُ أَهْلَهَا
وتَرْمِيْ بِهِم فيْ سَبْسَبٍ وَفَلاةِ
يكيدُون للإسلامِ... وَيْلَ مَكَائِدٍ
وَعِزُّهُمُ فِيْه وصِدْقُ نَجَاةِ
هُوَ الدّيْنُ...! لَوْ قاموا إِليه أَعَزَّهُمْ
به اللَّهُ في طُهْرٍ وفي بَرَكَاتِ
تَجَمَّعَتِ الأحْقَادُ سوداءَ والتَقَت
مَطَامِعُها مَوْجًا مِنَ الظُّلُماتِ
تَدَفَّقَ مِنْهَا الكيْدُ والمَكْرُ والأَسَى
قُرُونًا وَأَجيالاً وصَبْرَ دُهاةِ
لتُلْقي بَينَ النَّاسِ مِنْ رَعْشَةِ الهَوى
صُنُوفًا وَأَلوانًا مِنَ الرَّعَشاتِ

وَتَدفَعَ مِنْ حُمّى الهَوَى جَاهليّةً
تَدَفَّقُ في عِرْقٍ وفي نَبَضَاتِ
وتستَلَّ أَلبَابَ الرِّجَال وَهِمَّةً
وتَطوِيَهُمُ في غَفْوَةٍ وسُبَاتِ
وتَدفَعَهُم عَبَرَ الدُّرُوبِ طَوائفًا
تَهاوت وأحزابًا وحَربَ فِئَاتِ
هُوَ المَكرُ...! في كُلِّ المَيَادينِ مُطْبِقٌ
ليرسُمَ من حَرفٍ ومن كلماتِ
وَيَدفَعَ أقْلامًا تَصُوْغُ له المُنَى
ويرفعَ من صَوتٍ ومن نبراتِ
ويَنْصُبَ أصنامًا تُرَاقُ لها الدِّمَا
وينتَهِكَ الأعراضَ والحُرماتِ
وَيَدْفعَ أَشباهَ الرِّجَالِ يَقُودُها
عَبيدًا ويَرمِيها على شَفراتِ
وَيُرْخِي حِبَالَ الودّ بَينَ وُعُودِهِ
حَبائِلَ شيطانٍ وكيدَ عُدَاةِ
وُعُودَ نُيُوبٍ كَشَّرت ومخالبٍ
تجمعَ فيها المَوتُ للوثباتِ
وفي كل يَومٍ رَايةٌ يَدّعي بها
ذَووها صلاحَ الحالِ بالدعواتِ

فَـقـومِـيَّـةٌ كـانت أشـد ضَـرَاوَةً
علينا وأنكى من نِصـال بُغـاةِ
رَمَـوهَا إلينَا فِـتنَةً خـاضَ شَـرَّها
شـيـوخٌ وفـتـيـانٌ وَغَيٌّ فَـتـاةِ
ويَنسَلُّ...! يُلقي حَيثُمَا سَارَ فِتنَةً
على بسـمـاتِ الغَـدر والنظراتِ
ويَطوِي جَناحَـيـهِ عَلَى ذُلّ خِـدعَـةٍ
وينشُـرُ كـفـيـهِ بِفَـيضِ هِبَـاتِ
وَيَغرُسُ في الأقْصى بُذُورَ مُصِيبَةٍ
ويجـمعُ من كُـوخٍ ومن شـجـراتِ
فَـتَنْبُتُ أغْـراسٌ وتَنمُـو شُـجَـيْـرَةٌ
ويمتـدُّ من كُـوخٍ إلى حُـجـراتِ
إلى ساحة ضجّتْ.. وأيك.. وروضة
إلى قلعـة تعلو على ذَرَوات
تَلَفَّتُ... أين المسلمـونَ ودَارُهُم
بَقـيـةُ أطلالٍ وجـمعُ رُفَـاتِ
كأنَّ الذي يَمشي على الأرضِ هَالِكٌ
منَ الخَـدَرِ القَـتَّـالِ والسَّكَرَاتِ
وكَـم طَـرَقَ الآذَانَ مـن نُـذُرٍ دوت
فـمـا وعَتِ الألبَـابُ من طَرقَـاتِ

سُكَارَى على لهوٍ.. حَيارَى على خُطَا
أسارى لِشَوقٍ هَائجِ النزَعَاتِ
فهل أوبَةٌ للَّه يا قَومِ ينجَلِي
بها الذُّلُّ عن عِزٍّ وعن فُرجَاتِ
وهل رجعَةٌ للَّه نَصدُقُ حَقَّها
وننفُضُ عنا سَكرَةَ الهَجعَاتِ
فَهذا ابتلاءٌ مُحَّص اللَّه عِندَه
نُفوسًا وألقى بينها بعظاتِ
لِيَستَبدِلَ الرحمنُ قَومًا سِواهُمُ
إذا ما تولوا في دُرُوب غُوَاةِ

❀ ❀ ❀

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* إهداء	٤
* مقدمة	٥ ـ ١٢
أسماء القدس ومكانها وجبالها ووديانها	١٣ ـ ٤٣
* أسماء مدينة القدس	١٥ ـ ١٩
* موقعها وجوها	١٩ ـ ٢٠
* أهم جبالها	٢٠ ـ ٢١
* أهم وديان القدس	٢١ ـ ٢٣
* سور مدينة القدس وأبوابها	٢٣ ـ ٢٧
* وصف المسجد الأقصى	٢٧
* الهيئة العربية العليا لفلسطين توثق آثار المسجد الأقصى	٢٨
* الوصف الفني للمسجد	٢٨
* أقسام المسجد الأقصى	٢٨ ـ ٣٠
* قباب المسجد الأقصى	٣٠
* مآذن المسجد الأقصى	٣١
* أروقة المسجد الأقصى	٣١
* سُبُل الحرم	٣٢
* أبواب الحرم المفتوحة	٣٢
* أبواب الحرم المغلقة	٣٢
* عدد النوافذ (في الأقصى)	٣٣
* العقارات الموقوفة على الحرم	٣٣
* متفرقات عن الحرم القدسي	٣٣ ـ ٤٠

الموضـــوع	الصفحة
* الإضاءة في الحرم	٣٣
* المسجـد الأقصى سنة ١٩٧٢م	٣٤ ـ ٣٥
* قبة الصخرة	٣٥
* قبة الصـخرة من الداخل	٣٦ ـ ٣٨
* الصخرة	٣٨
* المزولة	٣٩ ـ ٤٠
* في ساحات الحرم	٤٠
* بالأرقام	٤٠
* الحرم القدسي، وهو المقصود باسم المسجد الأقصى	٤٠ ـ ٤١
* أبواب الحرم الـقدسي	٤١
* محيط الحرم القدسي	٤١
* الصخرة	٤١ ـ ٤٢
* القبة (قبة الصخرة)	٤٢
* البراق	٤٢
* المسجد الجامع	٤٢
* المسجد العمري	٤٢ ـ ٤٣
* أبواب الحرم الشريف في العصور المختلفة	٤٣
تاريخ القدس قبل الإسلام	**٤٥ ـ ٧٩**
* نشأة «القدس» دينية منذ بداية التاريخ	٤٧ ـ ٤٨
* العرب أول من سكن القدس.. والقدس كـانت تعرف التوحيد قبل قدوم خليل الرحمن عليه السلام	٤٨ ـ ٥٢

الصفحة

الموضـــوع

* فتح بني إسرائيل للقدس على عهد نبي اللَّه يوشع بن نون عليه السلام ..... ٥٢ ـ ٥٥
* ظهور داود عليه السلام وتملكه على بني إسرائيل ..... ٥٥ ـ ٥٦
* استيلاء داود على القدس من اليبوسيين ..... ٥٦ ـ ٥٧
* الصخرة التي بنى عليها داود مذبحًا للرب؟ ..... ٥٧ ـ ٥٩
* مدينة داود بعد داود ٥٩
* الملك سليمان وعنايته الفائقة بعاصمته وبناؤه القصر والهيكل وسور المدينة ..... ٥٩ ـ ٦٠
* الهيكل في ذهن اليهود وشطحاتهم ..... ٦٠ ـ ٦١
* اليهود قوم بهت ..... ٦١ ـ ٦٢
* لا دليل على أن الحرم الإسلامي بُني فوق مكان الهيكل ٦٢
* انقسام اليهود بعد سليمان ودخول الفاتحين للقدس مرارًا ..... ٦٣ ـ ٦٤
* بختنصر البابلي يدمر القدس ويُخرب الهيكل ..... ٦٤ ـ ٦٥
* «كورش» ملك الفرس يسمح لليهود بالعودة إلى القدس ٦٦
* الهيكل الثاني ..... ٦٧ ـ ٧٤
* كيف تم بناؤه ومتى؟ ..... ٦٧ ـ ٦٨
* فلسطين تحت حكم الإسكندر ٦٨
* تحت حكم أنطيوخوس السلوقي ملك سورية اليوناني سنة ٢٠٤ ق.م ..... ٦٨ ـ ٦٩
* احتلال الرومان لأورشليم وفلسطين ..... ٧٠ ـ ٧٢
* الخراب الثاني والأخير للهيكل وأورشليم ٧٢

الموضـــوع	الصفحة
*كيف انتهى أمـره بالدمار والزوال؟	٧٢ ـ ٧٣
*هيكل هيرودس	٧٤ ـ ٧٦
*هيكل جوبيتر (كبير آلهة الرومان):	٧٦ ـ ٧٩
بيت المقدس والشام في القرآن الكريم والسنة المطهرة	٨١ ـ ١٤٤
*فضائل بيت المقدس والشام في القرآن الكريم	٨٣
(١) بيت المقدس والشام أرض مباركة	٨٣ ـ ٨٦
(٢) هذه الأرض مقدسة طاهرة	٨٦
(٣) هذه الأرض أرض صدق	٨٦ ـ ٨٧
(٤) أقسم اللَّه بها، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم	٨٧ ـ ٨٨
(٥) بيت المقدس أرض المحشر والمنشر	٨٨
*فضائل الشام في السنة المطهرة	٨٩
(٦) أولاً: بَسطُ الملائكة أجنحتها على الشام	٩٠ ـ ٩١
(٧) ثانيًا: الشام صفوة بلاد اللَّه، يسكنها خيرته من خلقه	٩١ ـ ٩٣
(٨) ثالثًا: تكفل اللَّه تعالى بأهل الشام فلا ضيعة عليهم	٩٣ ـ ٩٤
(٩) رابعًا: عمود الكتاب والإسلام بالشام وتمام دين اللَّه وظهوره سيكون بها:	٩٤ ـ ٩٦
(١٠) خامسًا: أهل الشام ميزان للصلاح والفساد في أمة الإسلام	٩٦ ـ ٩٧
(١١) سادسًا: دعا النبي ﷺ لها بالبركة	٩٧ ـ ٩٨
(١٢) سابعًا: نُصح النبي ﷺ بسكنى الشام دليل على أفضليتها	٩٩ ـ ١٠٠

الموضـــوع — الصفحة

(١٣) ثامنًا: أرض الشام رباط وثغر إلى يوم القيـامة وهي عقر دار المؤمنين ..... ١٠٠ ـ ١٠١
(١٤) تاسـعًا: خـيار أهل الأرض ألزمـهم مـهاجـر إبراهيم، ومهاجر إبراهيم تعدل مهجر نبينا ﷺ ..... ١٠١ ـ ١٠٢
(١٥) عاشرًا: بأرض الشام الطائفة المنصورة ..... ١٠٣ ـ ١٠٤
(١٦) الحادي عشر: أهل الشام سوط اللَّه في الأرض ينتقم بهم ممن يشاء ١٠٥
(١٧) الثاني عشر: كثرة شهداء الشام وفضلهم العظيم عند اللَّه ١٠٥ ـ ١٠٧
(١٨) الثالث عشر: شجرة طوبى في الجنة تشبه أشجار الشام.. ١٠٧ ـ ١٠٨
(١٩) الرابع عشر: بقاء الشام بعد خراب غيرها من الأمصار.. ١٠٨
(٢٠) الخامس عشر: الشام أرض المحشر والمنشر ١٠٩
(٢١) وأخيرًا: رؤيا أم النبي ﷺ قصور الشام عند ولادته... ١٠٩ ـ ١١٢
* فضائل بيت المقدس خـاصة في السنة المطهرة ١١٢
(٢٢) ١ ـ بيت المقـدس وفلسطين هي مـهـاجـر إبراهيم ولوط عليهما السلام ١١٢
(٢٣) ٢ ـ بيت المقدس ـ المـسجد الأقـصى ـ ثاني مسـجد بني على الأرض ..... ١١٢ ـ ١١٤
(٢٤) ٣ ـ موسى عليه السلام يسـأل ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رميه بحجر ١١٤
(٢٥) ٤ ـ يوشع بن نون فـتى موسى ونبي بني إسـرائيل ونبأه العجيب: حبس اللَّه له الشمس عند فتحه للقدس ١١٤

الموضـــوع	الصفحة
(٢٦) ٥ ـ ديار يعقوب عليه السلام	١١٦
(٢٧) ٦ ـ وبالقدس كان مُلك داود عليه السلام ومحرابه	١١٦
(٢٨) ٧ ـ مُلك سليمان ونبوته في البيت المقدّس	١١٧
(٢٩) دعوة سليمان عليه السلام لمن صلى في بيت المقدس أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه	١١٧
(٣٠) ٨ ـ متعبد مريم بفلسطين.. ومحراب زكريا عليه السلام	١١٨
(٣١ ـ ٣٢) ٩ ـ الميلادان الفذان كانا بفلسطين ميلاد السيد الحصور يحيى.. من سماه اللَّه وسلم عليه وميلاد عيسى ابن مريم عليهما السلام	١١٩
(٣٣) ١٠ ـ الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس وإمامته للأنبياء في الصلاة بالمسجد الأقصى	١٢١ ـ ١٢٩
* تنبيه هام جداً	١٢٩
* الحكمة من الإسراء إلى المسجد الأقصى	١٣١
* الرسول ﷺ يتسلم مفاتيح بيت المقدس	١٣٤
(٣٤) ١١ ـ قبلة المسلمين الأولى بيت المقدس	١٣٩ ـ ١٤١
(٣٥) ١٢ ـ بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال	١٤١
(٣٦) ١٣ ـ الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة	١٤٢
* وقفة مع حديث ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ	١٤٣
(٣٧) ١٤ ـ لَنِعْم المصلى بيت المقدس	١٤٤

الموضـــوع	الصفحة
بيت المقدس وفلسطين في التاريخ الإسلامي	١٤٥ ـ ٢٦٤
* تبشير النبي ﷺ بفتح بلاد الشام وبيت المقدس	١٤٧
* دعاء النبي ﷺ لأهل الشام بالهداية إلى الإيمان	١٥٠
* اهتمام النبي ﷺ بها عملاً بعد تكريمها وتعظيمها معنًى	١٥١
* كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وهو في بيت المقدس	١٥٢
* غزوة مؤتة في جمادى الأولى ٨ هـ	١٥٣
* غزوة تبوك في أول رجب ٩ هـ	١٥٤
* عقد النبي ﷺ اللواء لأسامة وهو في مرض الموت وبعث أسامة بن زيد إلى تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين	١٥٥
* عهد الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ	١٥٦
* إنفاذ بعث أسامة بن زيد ـ رضي اللَّه عنهما ـ	١٥٦
* الصديق يوجه الجيوش لفتح الشام وجهاد بني الأصفر	١٥٧
* فزع النصارى من الجيوش الإسلامية وبعثهم إلى هرقل ببيت المقدس	١٥٨
* ما أصدق فراسة الصديق بطرد الروم من بيت المقدس	١٥٩
* العربة وداثن بغزة أول معركة للمسلمين على أرض فلسطين ذو الحجة ١٢ هـ:	١٥٩
* أولى المعارك الكبرى بالشام وأول معركة على أرض فلسطين «موقعة أجنادين» السبت ٢٧ جمادى الأولى ١٣ هـ	١٦٠ ـ ١٦٥
* فتح غزة على يد عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنه ـ أيام الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ	١٦٦

الموضـــوع	الصفحة
* في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ	١٦٧
* رَمَينا أرطبون الروم بأرطبون العرب	١٦٧
* من أرطبون إلى عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ:	١٦٨
* عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ وفلسطين	١٦٩
* إنذار من عمرو إلى أهل إيلياء	١٧٠
* حصار أمين هذه الأمة ومعه أرطبون العرب لبيت المقدس ...	١٧٢
* عـود على بدء ... وتفـصيل لما كـان من أمـر أبي عـبيـدة وحصاره للقدس	١٧٣ ـ ١٨٢
* القدس تسلم للأمين الزاهد، ويضيعها الخونة المترفون	١٨٢
* فتح بيت المقدس على يد الفاروق عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ...	١٨٣
* صلح القدس «الوثيقة العمرية»	١٩٠
* رواية للفتح لابن عساكر	١٩٢
* فتح القدس في المصادر المسيحية	١٩٣
* ملاحظات على الوثيقة العمرية	١٩٥
* فوائد من الوثيقة ـ إن صحّت	١٩٦
* رواية جيدة لكتاب عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ لنصارى الشام ...	١٩٨
* وقفة بل وقفات أمام فتح الفاروق للقدس وعظاته النيّرات ...	١٩٩
* ركب الخليفة لاستلام القدس العريقة	٢٠٠
* وقفـات أخرى مع الفـتح العمـري .. المسجـد الأقصى يوم الفتح «سنة ١٥ أو ١٦هـ»	٢٠٢
* مصلى عمر أو جامع عمر	٢٠٣

الموضـــوع | الصفحة

* قصة لا تثبت ٢٠٣
* حدود المسجد الأقصى ٢٠٤
* في العهد النبوي ٢٠٤
* بعد الفتح العمري ٢٠٦
* فتح قيسارية على يد معاوية بن أبي سفيان ـ رضي اللَّه عنه ـ سنة ١٩هـ ٢٠٧
* بيت المقدس في عهد الخلافة الأموية ٢٠٩
* في عهد معاوية ـ رضي اللَّه عنه ـ ٢٠٩
* في عهد عبد الملك بن مروان ٢١٠
* رواية اليعقوبي كذب صراح ٢١٠
* ضعف رواية سبط ابن الجوزي ٢١١
* القول الأول بأن باني قبة الصخرة وجامعها هو عبد الملك بن مروان ٢١٢
* القول الثاني: باني قبة الصخرة وجامعها هو الخليفة الوليد ابن عبد الملك ٢١٣
* في عهد سليمان بن عبد الملك ٢١٤
* من مرّ بالقدس أو سكنها أو مات بها من أعيان الأمة وصالحيها ٢١٤
* ذكر من دخلها أو مرّ بها أو سكنها أو توفى بها من الصحابة والتابعين وصالحي الأمة وهذا من فضلها ٢١٥
* من دخلها من أعيان الصحابة ٢١٥

الموضـــوع	الصفحة
* وأما من التابعين ومن بعدهم	٢١٧
* بيت المقدس في العصر العباسي	٢١٩
* بيت المقدس في العصر الطولوني ثم الإخـشيدي ثم الفاطمي العبيدي	٢٢١
* الاحـتـــلال الصليـــبي للقـــدس ٤٩٢ ـ ٥٨٣هـ (١٠٩٩ ـ ١١٨٧م)	٢٢٣
* حصار القدس وسقوطها والمذابح التي تمت بها	٢٢٩
* خيانة الفاطميين الزنادقة لبيت المقدس نسجلها للتاريخ	٢٣٠
* ماذا فـعل المسلمون الغافلون يومـئذ بعد أن ضاعت قـبلتهم الأولى؟	٢٣٤
* دخول القدس ومذبحتها بقلم عباد الصليب	٢٣٧ ـ ٢٤٤
* ما سقطت القدس وضاعت إلا بسقوط الأمة وضياعها:	٢٤٥
* الأسبـاب التي أدت إلى سقـوط القدس في أيدي الصليـبيين وهل يعيد التاريخ نفسه؟	٢٤٥
١ ـ ضعف الخلافة العباسية في بغداد وتمزقها	٢٤٦
٢ ـ جشع كبار القوم وترفهم وشظـف العيش وفقر عامة الناس من جانب آخر	٢٥٠
٣ ـ ابتعـــاد العلمـاء عن قيادة الأمـة التي تنتظر الخلاص على أيديهم إذا جاءها الضر عن طريق الأمراء	٢٥٣
* الباطنيـون والإرهاب الداخلي	٢٥٥
* انتشـار الفكر الشيعي والـباطني في بلاد الإسلام.. وخـيانة	

الصفحة

الموضـــوع

الفاطميين للقدس ٢٥٦
* الفاطميـون زنادقة خونة ٢٥٨
* وزراؤهم ٢٦١
فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين **٢٦٥ - ٣٠٦**
* استعادة بيت المقدس ٢٦٧
* عماد الدين زنكي واسترجاع الرها ٢٦٨
* نور الدين محمود زنكي ٢٧١
* العلماء في عـهد نور الدين ٢٧٥
* جهاد نور الدين محمود ٢٧٦
* فتوحات نور الدين ٢٧٧
* توحيد مصر والشام ٢٧٩
* وقفات مع نور الدين محمود زنكي ٢٨١
* منبر نور الدين محمود بن زنكي ٢٨٢
* صلاح الدين يوسف بن أيوب ٢٨٧
* بعض أعمال صلاح الدين ٢٨٨
* إرجاع مصر إلى السنة ٢٨٨
* توحيد بلاد الشام ومصر ٢٨٨
* جهاده ٢٩٠
* حطين مقبرة للصليبيين مهّدت لفتح القدس ٢٩٠
* السلطان الناصر يوسف يخرج بـلاد الحق فلسطين من سجنها ويحررها ٢٩٢
* شغفه بالجهاد ٢٩٥
* ويحلو الحديث عن الناصر صـلاح الدين محرر الأقصى من

الموضـــوع	الصفحة
الصليبيين	٢٩٧
* منزلة العلم والعلماء عنده	٢٩٩
* وزراؤه وأمراؤه	٣٠٠
* هل تنازل صلاح الدين عن فلسطين؟	٣٠٢
* نور الدين محمود وصلاح الدين من المجددين	٣٠٤
* أولاً: الحديث عن الجهاد وممارسته عمليًّا	٣٠٤
* ثانيًا: إشاعة روح العدل	٣٠٥
* رابعًا: العمل بالسياسة	٣٠٥
* خامسًا: تقريب العلماء	٣٠٦
أطيب الكلام في فتح صلاح الدين للقدس مدينة السلام	**٣٠٧ ـ ٤٠٤**
* أطيب الكلام في فتح صلاح الدين للقدس	٣٠٩
* وصف الفتح بقلم القاضي ابن شداد	٣٠٩
* فتح بيت المقدس بقلم الحافظ ابن كثير	٣١١
* فتح القدس بقلم العماد	٣١٤
* قال العماد ـ رحمه اللَّه ـ	٣١٤
* نزول السلطان على البيت المقدس وحصـره وما كان من أمره	٣٢٠
* ذكر يوم الفتح وبعض كتب البشائر إلى البلاد	٣٢٥
* ومن كتب أخر	٣٢٩
* قال العـماد	٣٣٣
* ومن كتب أخر	٣٣٥
* ومن كتب أخر	٣٣٧
* ومن كتاب فاضلي إلى بغداد	٣٣٩
* ومنه في وصف نقب السور	٣٣٩

الموضـــوع | الصفحة

* ووصف فيه يوم حطين فقال ٣٤١
* الشعر وفتح القدس ٣٤٢
* قال الجلياني (الجلياني) ٣٤٢
* قصيدة فخر الكتاب أبي علي الحسن بن علي الجويني في فتح بيت المقدس ٣٤٣
* ولنقيب الأشراف بالديار المصرية النسّابة الجواني ٣٤٤
* وقال أبو الحسين بن جبير الأندلسي ٣٤٥
* وقال أبو الحسن علي بن محمد الساعاتي ٣٤٧
* وله من قصيدة أخرى في السلطان ٣٤٧
* وللعماد قصيدة يهنئ بها صلاح الدين بفتح القدس ٣٤٨
* ولنجم الدين يوسف بن الحسين بن المجاور قصيدة ٣٤٩
* وقال الرشيد بن بدر النابلسي في فتح القدس يمدح صلاح الدين ويهنئه بما أوتي من الفتوح ٣٥١
* وقال الدكتور عدنان النحوي في «ملحمة فلسطين» ٣٥٤
* صلاح الدين وكتائب الإيمان يدخلون القدس ٣٥٤
* وقال أبو الحسن علي بن محمد الساعاتي يمدح الملك الناصر صلاح الدين ٣٥٥
* صفة إقامة الجمعة بالأقصى شرَّفه اللَّه تعالى في رابع شعبان ثامن يوم الفتح ٣٥٨
* فصل: قال العماد في كتاب «البرق» ٣٦٢
* قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٤٦) ٣٦٥
* خطبة القاضي محيي الدين بن الزكيّ ٣٦٦
* من وصايا صلاح الدين لجنوده ٣٧٣

الموضـــوع	الصفحة
* المدرسة الصـلاحية من مآثـر صلاح الدين أضاعهـا سلاطين الأتراك	٣٧٣
* عكا وما أدراك ما عكا؟ صفحات مجد وبطولة	٣٧٦
* شباب صنعهم الإسلام وبطولات نادرة في عكا	٣٧٧
* البطل المسلم عـيسى العـوام قصة نـهديها لمن زوروا الـتاريخ وزيفوه	٣٧٨
* وانظر إلى أبطال الإسلام	٣٨٠
* رحم اللّه شهداء عكا.. وما أغدر النصارى وأخسهم	٣٨٤
* الأيوبيون بعد صلاح الدين	٣٨٦
* تخريب سور بيت المقدس	٣٨٧
* تسليم بيت المقدس للفرنجة	٣٨٩
* بكاء الشعراء لبيت المقدس بعد تسليمه للفرنج	٣٩٠
* المماليك مغاوير الإسلام.. حفظة فلسطين الأمناء	٣٩٤
* بيبرس المجاهد العظيم الذي أدّب التتار والصليبيين	٣٩٤
* الملك الأشـرف خليل، يفـتح عكا ثم يدمـرها سنة ٦٩٠هـ ويطهر كل الساحل من دنس الصليبيين	٣٩٧
* ثانيًا: آثارهم في المسجد الأقصى، والحرم القدسي	٤٠٠
(أ) الأروقة في المسجد الأقصى:	٤٠٠
(ب) رُخّم صدر المسجد الأقصى	٤٠٠
(ج) جُدّد تذهيب قبة الصخرة	٤٠٠
(د) عُمرت القناطر	٤٠٠
(هـ) جددت عمارة باب القطانين سنة ٧٣٦هـ	٤٠٠
(و) المدرسة الجاولية	٤٠١

الموضـــوع — الصفحة

(ز) سبيل قايتباي ٤٠١
(ح) المدرسة التنكزية ٤٠١
(ط) الرخام المبني في حائط المسجد الأقصى ٤٠١
(ي) تجديد قناة الماء الواصلة إلى مدينة القدس ٤٠١
(ك) مئذنة باب الأسباط ٤٠١
(ل) منبر برهان الدين ٤٠١
* ثالثًا: المدارس التي أوقفها السلاطين لخدمة أهل المسجد الأقصى ٤٠٢
فلسطين والخلافة العثمانية **٤٠٥ ـ ٤٥٤**
* فلسطين أيام الخلافة العثمانية ٩٢٢هـ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٥١٧ ـ ١٩١٧م) ٤٠٧
* حفاظ السلطان عبد الحميد على فلسطين والديار الإسلامية ٤٠٨
* السلطان عبد الحميد واليهود ٤٣٤
* ما يؤخذ على الأتراك ٤٣٦
* العهد العثماني في سنواته الأخيرة في بيت المقدس ٤٤٣
* ولوجه اللَّه نقول للتاريخ ٤٤٤
* دخول الإنكليز القدس ٤٤٥
* الثورة العربية خنجر دامي في الخلافة العثمانية ٤٤٧
* دخول اللنبي فلسطين ومعه الغفاة من القوميين ٤٤٧
* غورو الصليبي وقبر صلاح الدين ٤٥١
عداوة اليهود والنصارى دينية ومعركة القدس بين أبواق اليهود وأجراس النصارى وأذاننا **٤٥٥ ـ ٥٦٣**
* عداوة اليهود والنصارى دينية ٤٥٧

الموضـــوع	الصفحة
* وجوب تحرير أرض إسرائيل في نظر الحاخامات	٤٥٩
* وللعقيدة اليهودية أثر كبير في الحركة الصهيونية	٤٦٧
* انظر إلى هوسهم بالقدس	٤٧٠
* إسرائيل دولة دينية حتى النخاع	٤٧٦
* أولاً: الحفريات تحت المسجد الأقصى	٤٧٨
* ثانيًا: شق الأنفاق	٤٧٨
* ثالثًا: السور العازل بين المسلمين واليهود	٤٧٩
* الاستعداد لبناء الهيكل	٤٨٠
* جمع الأحجار أولاً	٤٨٠
* وماذا بعد الحجارة؟	٤٨١
* الشمعدان السباعي المقدس	٤٨٣
* والتابوت	٤٨٤
* المذبح المقدس	٤٨٥
* البقرة الحمراء العاشرة (ميلودي)	٤٨٥
* البقرة ونجاسة الشعب (المختار)	٤٨٦
* موعد ذبح البقرة	٤٨٧
* أيها الغافلون: اليهود اليـوم ليسوا من سلالة يعقوب ـ عليـه السلام ـ بل يهود الشتات وحثالة العالم يجمعهم الدين فقط	٤٨٨
* أنجب المكر سليله	٤٩٠
* النصارى وما أدراك ما النصارى	٤٩٣
* التاريخ خير شاهد	٤٩٥
* نداء نابليون قبل وعد بلفور	٤٩٥

الموضـــوع	الصفحة
* بريطانيا البروتستانتية	٤٩٨
* وعد بلفور	٥٠٠
* وهذا نص وعد بلفور ١٩١٧م	٥٠٢
* لورانس العرب على خطا هرتزل	٥٠٥
* وفرنسا صليبية	٥٠٦
* والألمان على خطى الإنجليز	٥٠٦
* والروس أيضًا فالكفر ملة واحدة	٥٠٦
* والأمم المتحدة لعبة يهودية	٥١٠
* أمريكا البروتستانتية والحركة الصهيونية المسيحية	٥١١
* بداية أمريكا صليبية صهيونية	٥١٣
* السفارة النصرانية الدولية	٥١٤
* «بال» الثانية	٥١٥
* «معركة هرمجدون» واعتقاد البروتستانت واليهود فيها	٥٢٠
* صحوة صليبية إنجيلية أمريكية	٥٢٢
* الإعلام الديني	٥٢٤
* الكنيسة المرئية	٥٢٦
* ولسن رئيس أمريكا المتعصب الإنجيلي ابن راعي الكنيسة وراء وعد بلفور والانتداب البريطاني	٥٢٩
* سبعة رؤساء أمريكيون أصوليون إنجيليون يضعون نصب أعينهم معركة «هرمجدون»	٥٣٠
* بوش وما أدراك مابوش!!	٥٣٦
* ١٩٩٩م نصر بلا حرب	٥٣٧
* الرئيس الأمريكي ترومان يعترف بإسرائيل بعد ١١ دقيقة فقط	

الموضـــوع	الصفحة
من إعلان قيامها.....	٥٣٨
* الرئيس الأمريكي روزفلت وميداليته.....	٥٣٩
* جيري فولويل.....	٥٤٠
* «بات روبرتسن» صاحب الخط ٨٠٠.....	٥٤٣
* جورج أوتس: اليـهود في أي مكان ما زالـوا هم شعب اللَّه المختار.....	٥٤٥
* مايك إيفانز.....	٥٤٥
* أمريكا وقراراتها السياسية المتأثرة بمعتقداتها الدينية.....	٥٤٧
* والفاتيكان.....	٥٤٨
* ونصارى فلسطين.....	٥٤٩
* عجبًا لمن يتحدثون ويحملون شعار ـ «اللَّه محبة» ـ.....	٥٥٠
* الإعلام العـربي العلماني يتاجر في المخـدرات الفكرية غافل عن روح الأمة.....	٥٥١
* إن بين الإسلام والكفر حربًا.....	٥٥٦
* الصليـبيـون وحروبهـم الصليبـية ومـا فـعلوه بالمسلمين في فلسطين وغيرها.....	٥٥٨
* فهرس الموضوعات.....	٥٦٥

* * *

تذكير النفس بحديث القدس

واقدساه

تأليف

الدكتور سيد حسين العفاني

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة معاذ بن جبل
ت ٠١٠٥٤٦٤٢٠

توزيع
دار العفاني
ت وفاكس ٠٨٢٢١٧٣٤٤

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الأولى

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

بني سويف ت: ٠٨٢/ ٣١٧٣٤٤

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠١ / ٢٧٢٧

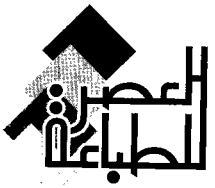

هـاتـف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكـس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨

تذكير النفس
بحديث القدس
واقدساه

فلسطين في ظل انتداب بريطانيا الخائنة عدوة المسلمين

فلسطين في ظل انتداب بريطانيا

* طردوهم من بلادهم فلماذا أتوا بنفايات البشر إلى بلادنا فلسطين؟

❑ طردت بريطانيا اليهود قديمًا، منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، ومنعتهم من دخول بريطانيا مدة ثلاثة قرون - إلى أن أعادهم «كروويل»[١].

❑ وعرفت فرنسا كذلك اليهود وما كادوه للشعب الفرنسي ودبروا له من الشر حتى اضطرّ لويس التاسع لطردهم وحرق تلمودهم.

وقال قولته المشهورة: «أفضل حجة مع اليهودي أن تغرز خنجرك في معدته»[٢].

❑ وكذلك عرفتهم أسبانيا فطردتهم وحرمت دخولهم إلى بلادها.

❑ وكذلك فعلت البرتغال بعد أن ذاقت الأمرّين من اليهود فأمرت بطردهم من البلاد.

❑ وفي سنة ١٤٩٢ أصدر الملك فرديناندوا الملكة إيزابيلا مرسومًا جاء فيه: «... نحن نأمر جميع اليهود واليهوديات على اختلاف أعمارهم أن يغادروا قبل نهاية شهر يوليو من هذه السنة ١٤٩٢ هذه البلاد بلا رجعة، وأن يصحبوا معهم أبناءهم وبناتهم وخدّامهم وخادماتهم، وأقاربهم كبيرهم وصغيرهم»، وقد دام هذا الطرد والإبعاد

---

(١) «اليهود» للدكتور توفيق الواعي ص(٢٠١).

(٢) «حكومة العالم الخفية» ص(١٠٠).

خمسة قرون[١] .

وحذّر الرئيس الأمريكي بنيامين فرانكلين من الخطر اليهودي. . ومما قاله في المؤتمر الذي انعقد لإعلان الدستور الأمريكي سنة ١٧٨٩م: «إني أحذركم أيها السادة، إذا لم تمنعوا اليهود من الهجرة إلى أمريكا إلى الأبد. . . فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم»[٢] .

طردوهم من ديارهم فلماذا أتى بلفور بهم إلى بلادنا؟!! لماذا دفعت بهم بريطانيا اللعينة إلى أطهر وأقدس وأعز تراب؟!!

* وهاك تاريخ بريطانيا الأسود مع بلادنا فلسطين:

❑ استولى الإنكليز في عام ١٩١٧م ومطلع ١٩١٨م على المناطق الجنوبية لفلسطين، ومع أن الإدارة التي تألفت عندئذ كانت ذات صفة عسكرية ـ أخذت تعمل بجانبها لجنة صهيونية أُرسلت إلى فلسطين بموافقة الحكومة البريطانية، لأجل تنظيم التدابير التي من شأنها أن تضع السياسة التي انطوى عليها تصريح بلفور، موضع التنفيذ، ففي شهر نيسان ١٩١٨م حضر إلى القدس وفد يمثل اللجنة الصهيونية في لندن برئاسة «حاييم وايزمان».

❑ وفي أيّار من عام ١٩١٨م طلب وايزمان من السلطة العسكرية البريطانية التوسط لشراء الممر المؤدي إلى حائط البراق (المبكى) وقد دفع

---

(١) «حقيقة اليهود والمطامع اليهودية» لمحمد نمر الخطيب ص(٣١) ـ ط. الوعي الإسلامي الكويت.

(٢) «بروتوكولات حكماء صهيون» ص(٢١٤) شوقي عبد الناصر ـ ط. الثانية، و«اليهود» للدكتور توفيق الواعي ص(١٩٦، ١٩٧).

ثمانين ألف جنيه إسترليني ثمنًا له، وحاول «ستورز» القائد العسكري إقناع أعيان المسلمين بالموافقة ولكن محاولاته باءت بالخسارة.

ورفع وجهاء المسلمين كتابًا إلى الحاكم يطلبون منه التخلي عن محاولاته؛ لأن الممر المذكور وهو وقف إسلامي، ولا يمكن لأحد بيعه، وبهذا كان جواب المفتي كامل الحسيني: «لا يستطيع أي إنسان أن يتصرف بأملاك الوقف، ولا سيما هذا المكان على وجه التخصيص، ولا يجوز بيعه لمسلم» فكيف إذا كان يهوديًّا»[١].

وهذه حجة على اليهود، فطَلَبُ زعيمهم شراء المكان، دليل على أنهم لا يملكونه وهل يشتري إنسان حقًّا مسلوبًا؟[٢].

❑في المدة الواقعة بين ١/٢٧، و١٠/٢/١٩١٩م عُقد أول مؤتمر عربي فلسطيني في القدس وأعلن المؤتمر، أن قراراته تعبّر عن أماني ومطالب شعب «سورية الجنوبية» المعروفة باسم فلسطين، ومن هذه المقررات، اعتبار فلسطين جزءًا من سورية العربية، وأن لا تنفصل عن سورية المستقلة. وأوفد المؤتمر شخصيات إلى دمشق لإبلاغ الوطنيين العرب مضمون القرار الذي يدعو إلى تسميته فلسطين «سورية الجنوبية» وتوحيدها مع سورية الشمالية.

❑وفي حزيران من عام ١٩١٩م، نزلت فلسطين لجنة (كنغ/كرين) وأبرقت من القدس في ٢٠/٦/١٩١٩م إلى ويلسون «أميركا» قالت فيها: «إن عرب فلسطين من مسلمين ومسيحيين متّحدون في جبهة

---

(١) «بيت المقدس» لشراب ص(٤٦٦).
(٢) المصدر السابق ص(٢٢٢).

واحدة في معارضة واحدة لا تقبل جدلاً، ضد الهجرة اليهودية، وضد إنشاء وطن قومي لليهود كما جاء في وعد بلفور.

وجميعهم هنا ـ من أميركان وإنكليز ـ مقتنعون بأن سياسة بلفور لا يمكن أن تنفّذ إلا بقوة السلاح.

❑ في ٢٠/ ٢/ ١٩٢٠م قرّر الحلفاء، انتداب بريطانيا لإدارة شؤون فلسطين وإدماج وعد بلفور القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في صكّ الانتداب.

❑ عينت الحكومة البريطانية (هربرت صمويل) اليهودي الصهيوني أول مندوب سام على البلاد في ١/ ٧/ ١٩٢٠م، وهذا يدل على حرص بريطانيا على تنفيذ وعد بلفور كما يشاء اليهود، وبأيد يهودية، بل يعد هذا التعيين إشارة إلى ما سيكون فيما بعد.

❑ في شهر مارس ١٩٢١م تقرر إنشاء المجلس الأعلى للإشراف على الشئون الإسلامية وانتخب مفتي القدس، الحاج أمين الحسيني أول رئيس له.

❑ وفي مارس عام ١٩٢٥م قام اللورد بلفور بزيارة فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية في القدس.

❑ غادر الإنكليز القدس يوم الجمعة ١٤ أيّار عام ١٩٤٨م، بعد أن هيئوا الظروف المناسبة، محليًّا، وعربيًّا، ودوليًّا، لاستيلاء اليهود على فلسطين المحتلة ١٩٤٨م.

❑ ودخل الجيش الأردني القدس الشرقية يوم ١٨/ ٥/ ١٩٤٨م. وكانت الهدنة الأولى في ١١/ ٦/ ١٩٤٨م، والهدنة الثانية ١٢/ ٧/ ١٩٤٨م.

❑ وفي ٣/ ٤/ ١٩٤٩م وقعت اتفاقية بين الأردن والأعداء وقسّمت اتفاقية الهدنة مدينة القدس إلى الأقسام التالية:

القطاع اليهودي: ٤٠٦٥ فدان أي ما يساوي ٨٤,١٣٪ من مساحة القدس.

القطاع العربي: ٥٥٥ فدان، ويساوي ١١,٤٨٪ من مساحة القدس.

قطاع هيئة الأمم والأراضي الحرام ٢١٤ فدان أي ما يعادل ٣,٥٪ من مساحة القدس، وتشمل ما كان مقرًّا للمندوب السامي على جبل المكبر ومنطقة مستشفى هداسا والجامعة العبرية على جبل سكوبس، وقطعة أرض تفصل القطاعين الإسرائيلي والعربي من المدينة وكانت بوابة مندلبوم تفصل بين القطاعين حتى يوم ٥/ ٦/ ١٩٦٧م.

❑ وفي ٧/ ٦/ ١٩٦٧م سقط قطاع القدس العربي بيد الأعداء[1].

* تاريخ بريطانيا الأسود مع فلسطين:

قام الفسطينيون باختيار وفد يمثلهم، سافر إلى بريطانيا لعرض قضيته على الرأي العام البريطاني وعلى الحكومة البريطانية، وكانت خيبة أمل الوفد كبيرة، حينما طلب منهم تشرشل وزير المستعمرات البريطانية في ذلك الوقت مفاوضة وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية، والذي لم يكن من سكان فلسطين في يوم من الأيام، ورفض الوفد العربي الفلسطيني هذا الاقتراح، وقدم مذكرة إلى الحكومة البريطانية بمطالبه ولكن لم يكن من سميع أو مجيب.

(١) «بيت المقدس» ص(٢٢٢ ـ ٢٢٧).

وحينما أحست بريطانيا، أن شعب فلسطين بدأ يعد العدة لمواجهة المؤامرة اليهودية مواجهة جهادية حقيقية، لجأت (أي بريطانيا) إلى أسلوب التخدير للشعب الفلسطيني فأصدرت بيانًا أنها بسبيل إصدار كتاب توضح فيه سياستها في فلسطين، وانتظر الناس، وأصدر تشرشل الكتاب الأبيض ـ ويا ليته ما صدر ـ عام ١٩٢٢م «يشيد فيه باليهود، ودورهم وتاريخهم في فلسطين، ويقرِّر أنه من الضروري أن نعتبر عودتهم حقًّا وليست منة، وأن هذا هو السبب في إعطائهم ضمانًا دوليًّا لوطنهم القومي بينما لا يشير إلى العرب إلا كطائفة في فلسطين»[١] .

* الإنكليز يسلحون العصابات اليهودية لمعاونتهم في وأد أية مقاومة فلسطينية:

«لقد كشف اليهود عن وجههم الكالح، فبعد أن كانوا يحاولون خديعة العرب بأنهم لا يضمرون لهم شرًّا، وأنهم سوف يحيلون فلسطين إلى جنة جديدة لصالح العرب واليهود، وأن رؤوس أموالهم وخبرتهم وقدرتهم العالمية سوف تتيح لشعب فلسطين العربي أن يخدموا بلادهم بأنفسهم بعد هذا اللهجة الوديعة المخادعة، ومجرد أن أنهى اليهود مؤتمرهم العالمي المعقود في زيورخ عام ١٩٢٨م تغيرت لهجتهم وأساليبهم، فأعلن الحزب اليهودي الإصلاح (الإفسادي) بلسان رئيسه جابوتنسكي الدعوة إلى اليهود ليتسلحوا، وأن يسلكوا طريق العنف والقوة لتحقيق أهدافهم وتشجَّع اليهود، وطالبوا صراحة بحائط البراق الشريف، وساروا جماعات يوم ١٥ أغسطس ١٩٢٨م فرفعوا عليه العلم

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٢٨ ـ ١٣٣).

اليهودي، هاتفين: الحائط حائطنا، رافعين صوتهم بأناشيدهم اليهودية، وهذكا بدأ التبجح واضحًا، القتلة سفاكو الدماء الكفار يدّعون بأن بيت المقدس لهم، واستمرَّ الصراع بين الفلسطينيين واليهود على صفحات الجرائد، حتى إذا عُلِم أن الميجور ساندرس البريطاني بدأ يوزع السلاح فعلاً على اليهود ويجند بعضهم في الفرق النظامية، انطلقت الشرارة الثورية، وبدأ أهل فلسطين معركة كانوا فيها وحدهم، يقاتلون جموع اليهود المسلحين والدولة البريطانية بجيوشها»[١].

* ماذا فعلت بريطانيا مع الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٢٩م[٢]:

❑ سقوط ٣٣٨ شخصًا بين جريح وقتيل في خلال خمسة عشر يومًا.

بريطانيا تصدر أحكامًا بإعدام المجاهدين، فؤاد حجازي، وعطا الزير، ومحمد جمجوم.

❑ وفي ٢٠ أغسطس ١٩٢٩م، وقعت معركة بين الفلسطينيين واليهود عند ممر البراق في بيت المقدس، وانبرى أهل فلسطين يدافعون عن وجودهم، ويهاجمون المغتصبين لديارهم، وفي أثناء ذلك بدأ التواطؤ بين الإنجليز واليهود واضحًا لإجهاض الحركة الجهادية وتهويد أرض فلسطين:

(أ) «قامت بريطانيا بتوزيع السلاح على الرعايا البريطانيين وكان عدد كبير من اليهود يحمل الرعوية البريطانية كما أعلنت بريطانيا رسميًّا أنها بدأت تسلح اليهود دفاعًا عن مستعمراتهم».

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٣٣).

(٢) المصدر السابق ص(١٣٦ ـ ١٥٤).

(ب) «استدعت بريطانيا قواتها من داخل فلسطين وخارجها وجاءت بسرب يتكون من ١٣ طائرة تحلق في عنف فوق المسجد الأقصى لإرهاب المسلمين الذين كانوا يؤدون فريضة الجمعة في اليوم الأخير من شهر أغسطس ١٩٢٩م».

(ج) «تعاون الإنجليز والفرنسيون في تشديد قبضتهم على حدود سوريا الفلسطينية حتى تمنع كل معونة محتملة عن الفلسطينيين، وسلط الإنجليز جيشهم على العرب، فيستشهد منهم ٢٤ فلسطينيًّا ليلة ٣ سبتمبر ١٩٢٩م».

(د) «ما من معركة نشبت بين الفلسطينيين واليهود إلا كان الجنود الإنجليز في الصف المحارب للفلسطينيين، ولقد تجاوزوا حد المعارك إلى المهاجمة للبيوت الفلسطينية وتقتيل الأسر الآمنة والتمثيل بها كما حدث في قرية صور باهر وغيرها، ورغم هذا استمرت الحركة الجهادية خمسة عشر يومًا قدم فيها الفلسطينيون ٣٣٨ بين جريح وقتيل».

(هـ) حينما عاد المندوب البريطاني تشانسلور من لندن إلى فلسطين في سبتمبر (أيلول) ١٩٢٩م أصدر بيانًا قبل التحقق من الأحداث جاء فيه «قد راعني ما علمته من الأعمال الفظيعة التي اقترفتها جماعات من الأشرار سفاكي الدماء عديمي الرأفة، وأعمال القتال الوحشية[1] التي ارتكبت في أفراد من الشعب اليهودي»، وهكذا أصبح المغتصبون المعتدون سفاكو الدماء، شعبًا، وأصبح المجاهدون الذين يدافعون عن عرضهم ومقدساتهم جماعات من الأشرار!!!

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٣٨).

هذا هو سلوك صديقة العرب الوفية بريطانيا العظمى!! ومع هذا ما زال العرب يمرِّغون جباههم على أعتابها طمعًا في كلمة رضا تعيد الحق إلى أصحابه، كما يتخيلون وهم واهمون!!!

ولم يقف إجرام بريطانيا عند هذا الحد، فقد أدر المندوب البريطاني تشانسلور أوامر باعتقال مئات من الشباب الفلسطيني، وأصدر حكمًا بقتل عشرين فلسطينيًّا، ونفذ الحكم فورًا في الشهداء الثلاثة.. فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم، وحكم بالسجن المؤبد على ٢٣ مجاهدًا، وتنوعت الأحكام حتى بلغ عدد الفلسطينيين المحكوم عليهم ٧٩٢ عربيًّا وفرضت غرامات مالية على عدد من القرى العربية، وحددت إقامة كثير من الزعماء في أماكن نائية في فلسطين، وشرد الألوف من الشباب والرجال، وحيل بينهم وبين مواصلة عملهم وحياتهم.

وتوالت أحكام الإعدام تصدر للإرهاب دون شفقة بتدبير وتوجيه من صديقة العرب الوفية!! بريطانيا العظمى!

(و) حينما صدر الحكم الإنجليزي اليهودي بالإعدام على الشهداء الثلاثة فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم[1]، وتقرر التنفيذ يوم الثلاثاء ١٧ من يونيو ١٩٣٠م، تدخل رجالات العرب فأبرقوا إلى صديقتهم بريطانيا العظمى، ورفع التماس إلى مجلس الملك الأعلى بلندن، وبذلت كل المحاولات فذهبت جميعًا أدراج الرياح، وهكذا تثبت الأيام أن الإنجليز لا يأبهون لإراقة الدم العربي الإسلامي، فهل نتعلم يا عرب؟ فهل نتعظ؟ أم لا زلتم مصرين على الاحتفاظ بصداقة صديقتكم

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٤١، ١٤٢).

الوفيـة؛ بريطانيا العظمى رغم أنهـا سقت الأمـة الإسلاميـة من كؤوس الموت ألوانًا.

(ز) «لم تكتف بريـطانيـا بالإرهاب، والإبعـاد والإعـدام للشـعب الفلسطيني، إنما اتخذت أساليب شيطانية لإرهاق العرب اقتصاديًّا عن طريق فرض غرامات على القرى المهيـضة الجناح، وكانت غرامات باهظة ثقيلة مـفروضة على قـرى أضنتها الديون، وأثقلت بالضـرائب، وهدتها الرهونات. وبحث المندوب البـريطاني عن يهودي قدير يكل إليـه تحديد الغرامات على القرى العربية فاخـتار اليهودي البريطاني، إبرامسون الذي أنزل جام غضبه وحقده على القرى العربية مثقلاً لها بالغرامات الفادحة»[١].

(ح) وكانت بريطانيـا تتبنى كل أسلوب ضار بعرب فلسـطين، فما يكاد الفلاح يتم حصاد زراعته حتى تُوقِف حركة التصدير للخارج فيهبط سعر الشعير، وما يكاد يتم حصاد القمح حتى يَرِدَ لليهود الدقيق الأجنبي بكميات كبيرة، فتضرب المحصولات المحلية ضربة شديدة.

(ط) كما أصدرت بريطانيا قانون مصارف التسليف، استهدف إفقار العرب حـتى تضطرهم إلى أن يقترضوا بضـمان أرضهم لاستـيلاء بنوك التسليف اليهودية على تلك الأراضي[٢].

* الفلسطينيون يواصلون جهادهم وبريطانيا تواصل تنفيذ المؤامرة:

وواصل المجاهدون الفلسطينيون وحدهم مقـاومة الهجمة الإنجليزية اليهـودية الشرسـة، وأحس الأعداء بعـجزهم عن مواجـهة هذه الحـركة

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٤٣).
(٢) المصدر السابق ص(١٤٥).

الجهادية، ولذلك ترى بريطانيا تلجأ إلى سياسة المراوغة والخداع، فأعلنت أنها سترسل لجنة للتحقيق في أسباب ما أسمته بالثورة الفلسطينية.

«وجاءت إلى فلسطين لجنة برلمانية يرأسها القاضي والترشو، وبدأت عملها في أواخر أكتوبر ١٩٢٩م وعقدت ٤٧ جلسة علنية و١١ جلسة سرية واستمعت إلى ٦١٠ شهود من موظفين فلسطينيين ويهود[١].

وجاء التقرير ليضع اليد على العلة ويطالب بضرورة التجاوب مع بعض مطالب الفلسطينيين.. ورحب العرب بتقرير اللجنة، ورغم أنه كان أقل من طلباتهم، وسرعان ما ألفوا لجنة من كبار رجالاتهم، رحلوا فوراً إلى لندن، وكان قوامها «موسى كاظم الحسيني وأمين الحسيني وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وجمال الحسيني.

وقدم الوفد إلى رامزي مكدونالد رئيس وزراء بريطانيا آنذاك مطالبهم:

١ ـ إيقاف الهجرة اليهودية.

٢ ـ منع انتقال الأراضي إلى اليهود.

٣ ـ إنشاء حكومة وطنية على أساس سكان البلاد[٢].

«ورفضت بريطانيا المقترحات، وأعلن رئيس وزرائها أنها لن تتأثر بالضغط والتهديد، ولن تخالف صك الانتداب، غير أنها ستلجأ إلى صيانة مصالح الطوائف غير اليهودية في فلسطين، ولهذا السبب فقد أوفدت جون هوب سمبسون ليدرس مسائل الهجرة والإسكان والتنمية على الأرض الفلسطينية نفسها ويرفع تقريراً عنها، وأدى سمبسون مهمته

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٤٦).

(٢) المصدر السابق ص(١٤٩).

ورفع تقريره».

وهكذا نلاحظ بريطانيا العظمى، صديقة العرب الوفية حريصة على تنفيذ وعد بلفور، وأنه خط أساسي وثابت في سياستها، وفي نفس الوقت اعتبرت سكان فلسطين الأصليين طوائف، ثم لجأت إلى حيلة تشكيل اللجان، وإصدار التقارير لتخدير الأمة وتمرير المخططات، وإجهاض الحركة الجهادية، ويدخل في ذلك ما يسمى بالكتاب الأبيض، الذي أصدرته بريطانيا في أكتوبر ١٩٣٠م، معتمدًا على تقرير لجنة والترشو وتقرير سمبسون، وكلها تنادي بوجوب وضع حد لهجرة اليهود، وتأمين الفلاح العربي في أرضه، وإشعار العرب بأنه لا خطر على مستقبلهم، وإتاحة الفرصة أمامهم لحكم بلادهم.

ولكن بريطانيا صديقة العرب الوفية أصرت أن تثبت في الكتاب[١]: أنه ليس في نيتها الإخلال بصك الانتداب، ولا النكوص عن وعد بلفور؛ ورددت ما ذكره تشرشل في الكتاب الأبيض الذي أصدره عام ١٩٢٢م من أن اليهود حين يعودون إلى فلسطين ليجعلوها مركزًا يكون فيه لليهود اهتمام وفخر فإن عودتهم تلك إلى فلسطين يعتبر حقًّا لا منَّة.

❑ «قررت حكومة جلالته - أي ملك بريطانيا - أن تحتفظ في فلسطين حينذاك بفرقتين من المشاة وسربين من الطائرات وأربع فرق من السيارات المسلحة في فلسطين وشرق الأردن»[٢].

ولكي تكتمل الخدعة، «استقال وايزمان من رئاسة الوكالة اليهودية،

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٥٠).

(٢) المصدر السابق (١٥١).

والمنظمة الصهيونية احتجاجًا على صدور الكتاب الأبيض، وتحركت الصهيونية في أوروبا وأمريكا تستنكر ما ورد في الكتاب الأبيض، وإذا بنا نفاجأ ببريطانيا تصدر كتابًا سماه العرب «الكتاب الأسود» تتراجع فيه عما ورد في الكتاب الأبيض بشأن العرب، ففي ٤ نوفمبر ١٩٣٠م أعلن وزير المستعمرات البريطانية في خطاب أرسله إلى جريدة التيمس، «أنَّه ليس في نية بريطانيا، إيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وأنَّ هجرة العمال اليهود سوف لا تتأثر بزيادة العاطلين عن العمل من العرب»[1].

«وهكذا تنكرت بريطانيا لما سبق أن نشرته على العالم قبل أيام ليست ببعيدة من اعترافها، بتضرر العرب من الهجرة اليهودية، وانتشار البطالة، وعدم استيعاب الأراضي للمهاجرين، واستحالة إخراج الفلاحين العرب من أراضيهم؛ حتى في حالة التشكك في الملكية.

هذا نموذج لأسلوب الخداع والتضليل الذي اتبعته بريطانيا، بتوجيه وموافقة أبناء أوروبا لتمرير المخططات وتهويد واغتصاب أرض فلسطين لإقامة دولة يهودية عليها.

❑ وفي عام ١٩٣١م ذهب وفد فلسطيني يجوب العالم الإسلامي، ويقنع زعماءه بالخطر على المقدسات الإسلامية، والوجود الإسلامي في أرض الإسراء والمعراج، واستجاب المسلمون لهذه الدعوة.

«وكان الوفد الإسلامي إلى الهند، يتكون من عدد من زعماء المسلمين من بينهم مفتي فلسطين السيد أمين الحسيني والزعيم المصري

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٥٥).

محمد علي علوبة وشاعر الإسلام الهندي محمد إقبال، وسرعان ما تبرع نظام حيدر أباد بمليون روبية، وتوالت التبرعات على اللجنة، ولكن الحكومة البريطانية أرسلت تعليماتها إلى نائبها في الهند ونجتُون، تطلب إليه أن يعامل وفد المؤتمر الإسلامي باحترام، وأن يحاول بجميع الوسائل دون نجاح مهمته[١] ، ومنع تحويل الأموال التي جمعها إلى فلسطين. وبالفعل منع الإنجليز خروج الأموال من الهند.

* إجهاض بريطانيا للانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٣م:

تصدت بريطانيا لجموع المسلمين الذين خرجوا من المسجد الأقصى يوم الجمعة ١٣ أكتوبر ١٩٣٣م وأطلقوا الرصاص عليهم[٢] فجرح حوالي خمسة وثلاثون فلسطينيًّا، وتصدوا أيضًا للمسلمين في يافا في يوم الجمعة ٢٧ أكتوبر ١٩٣٣م بقوات كبيرة من مشاة الجيش البريطاني وخيالته ومدرعاته، وأطلق الرصاص على جموع المصلين، وقتل من المسلمين اثنان وثلاثون شابًّا، وجرح ١٦٧، وضرب الشيخ موسى كاظم الحسيني «تسعون عامًا» في رأسه فجُرح جرحًا بليغًا لم تفارقه آلامه حتى مات في ٢٦ مارس ١٩٣٤م.

وقدم زعماء الانتفاضة وقدّموا مذكرة إلى المندوب البريطاني مطالبين بإنشاء حكومة وطنية، ووقف الهجرة اليهودية، ومنع انتقال الأراضي إلى اليهود، ولكنه لم يستجب.

---

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ص(٢٠).

(٢) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٧٠).

* **الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٥م وموقف الإنجليز منها:**

تصدى الإنجليز لحركة الشيخ عز الدين القسام، وأرسل حاكم لواء حيفا الإنجليزي إليه وقال له: يا شيخ إنك متحرك وذو نشاط مناوئ لنا، وحاصروه وقاتلوه في معركة يعبد بمنطقة جنين حتى قتل، وأسر البريطانيون الباقين من عصبة القسّام ليسجنوا ويعذبوا طويلاً في سجون بريطانيا العظمى.

❑ ولما ثار المسلمون في سنة ١٩٣٦م اتخذت بريطانيا مزيداً من الإجراءات التعسفية لكسر حركة الجهاد الإسلامي على أرض فلسطين من ذلك:

❑ الاعتقالات الجماعية.

❑ تحميل القرى الفلسطينية بالنفقات الباهظة للقوات البريطانية التي تتصدى لمقاومة حركة الجهاد الفلسطيني[١].

❑ وارتكب الإنجليز في هذه الفترة من الجرائم الوحشية ما يندى له الجبين فدمروا المنازل، وأحرقوا القرى، وتركوا المدن نهبًا مباحًا لجنودهم، وأخذوا يسوقون الناس جماعات لأعواد المشانق، ويفرضون أقصى العقوبات على من يشتركون في الثورة بطريق مباشر أو غير مباشر، حتى أنهم كانوا يحكمون بالأعدام على كل من توجد في حوزته طلقة ذخيرة فارغة!»[٢].

❑ الاستعانة بقوات جديدة من قوات الاحتلال الإنجليزي في مصر،

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٨٨).

(٢) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ص(٢٣).

بل والاستعانة بسلاح الطيران لضرب تجمعات الفلسطينيين.

- فرض حظر التجول في المدن والقرى، ومحاصرة المساجد.

- إعلان قانون الطوارئ (الأحكام العرفية) الذي جاء رهيبًا عنيفًا، والذي أعطى للحكومة حق إنزال العقوبات الصارمة لمن تقتنع أنه مخل بالأمن، وأن للسلطة أن تضع يدها على أي منزل أو بناء تقتنع أن رصاصة أو قنبلة أو موادًّا متفجرة قد أطلقت منه، وللمندوب البريطاني أن يأمر بهدم ذلك المكان أو التصرف فيه كيفما شاء.

- إلقاء المنشورات على المجاهدين في محاولة للتغرير بهم لإلقاء السلاح.

- هدم القرى وأحياء كثيرة من المدن.

وفي الثاني والعشرين من يونيو، أعلنت السلطات الإنجليزية عن نشوب أعظم معركة بين جنودها وبين الثوار العرب، وقد اشتركت فيها الدبابات والطيارات البريطانية على خط طوله عشرون كيلو مترًا، وقد عَزَّزت القوات البريطانية أثناء المعركة بنجدات من فرقة السيفورت، مع عدد من الدبابات والطيارات، وقد انقسم الثوار إلى فريقين أحدهما تَحصَّن في جهة الشمال واحتشد القسم الأكبر في الجنوب، وقد استؤنفت المعركة بشدة في مَيدان ازداد طوله إلى ثلاثين كيلو مترًا، وهاجم الثوار المستعمرات اليهودية كما هاجموا حاميات القطار»[1].

«وجن جنون المندوب البريطاني فأصدر أمره بإبعاد أمين سر اللجنة العربية العليا إلى الحفير، ثم أمر بإبعاد رئيس لجنة إضراب السيارات، ثم

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٩٣).

أمر بإبعاد رئيس بلدية يافا. واستمر المندوب ينزل جام غضبه على شعب فلسطين العربي حتى شرد من كل بيت عددًا، وأبعد من كل أسرة قسمًا، وكانت بريطانيا قد أعدت لذلك الأمر تشريعها المشهور «قانون منع الجرائم» الصادر في ٢٢ من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٣م والذي نثبت هنا بعضًا من مواده تسجيلاً لأساليب بريطانيا في تهويد فلسطين:

المادة ٥ فقرة ٤ ب...

« ليس من الضروري في الإجراءات التي تتخذ بموجب هذا القانون إثبات أن المتهم ارتكب فعلاً معينًا أو أفعالاً معينة من شأنها أن تظهر غايته، أو تنم عن نيته، أو أخلاقه ويجوز إصدار قرار بحقه ليستمر الاعتقال أو التعهد أو إطلاق السراح إذا ثبت لحاكم اللواء أو لرئيس المحكمة المركزية من ظروف القضية أو من أخلاقه المعروفة وجوب إصدار قرار بحقه»[1].

ويحظر على من طبق عليه هذا القانون أن:

- ينتقل من مكان إقامته إلى أي قضاء أو مدينة أو قرية أخرى.
- أن ينقل مكان إقامته إلى أية منطقة بوليس أخرى.
- أن يغادر القضاء أو المدينة أو القرية ويجب عليه:

ـ أن يعلم مدير بوليس اللواء الذي يقيم فيه عن حركته أو مسكنه.

ـ أن يحضر إلى أقرب مركز بوليس كلما كلف بذلك.

ـ أن يبقى داخل مسكنه من غروب الشمس إلى شروقها وللبوليس أن يزوره في مسكنه في أي وقت يشاء، وكل مخالف يعاقب بالحبس أو الغرامة.

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٩٣).

وجن جنون بريطانيا وألغت مناورات جيشها التقليدية بالقرب من لندن، ووجهتها لفلسطين بقيادة الجنرال «جون ديل» لمقاومة حركة الجهاد.

❑ وفي الثالث من سبتمبر ١٩٣٦م صدرت الأوامر الإنجليزية لتخرج عشرون سيارة عسكرية ـ مصحوبة بالدبابات ومحملة بالجند للمرابطة على الطريق بين طولكرم ونابلس، للحفاظ على القافلة اليهودية اليومية، ولما تصدى لها المسلمون دارت معركة كبيرة اشترك فيها ما يقارب خمسة آلاف جندي، واشتركت فيها خمس عشرة طائرة، واستعمل الجيش البريطاني مدافع الميدان وحطموا صخور الجبال وعصفوا بثمار الأشجار... هذه هي بريطانية الخائنة الصليبية تسفر عن وجهها القبيح.

❑ واستنجدت بريطانيا بالملوك والأمراء لوقف الانتفاضة، وتشكل اللجنة الملكية البريطانية للتحقيق من باب التسويف والمماطلة، وقاطع الفلسطينيون اللجنة، وتحت ضغط كبار ملوك العرب وأمرائهم الذين قالوا: «نظرًا لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في إنصاف العرب، فقد رأينا من المصلحة الاتصال باللجنة الملكية!!!»[1].

كيف تثقون بهذه الكافرة والمحاربة وفي كل عائلة لكم في فلسطين قتيل على يديها... إنها واللَّه خيانة ما بعدها خيانة!!!

❑ وفي الأسبوع الثاني من أكتوبر ١٩٣٦ أذيعت نداءات ثلاثة بتوقيع بعض حكام العرب منهم الملك غازي الأول ملك العراق، والأمير عبد اللَّه أمير شرق الأردن، وجاء النداء على النحو التالي:

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٢١١).

القدس ـ بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا:

«لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين، فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد اللّه، ندعوكم للإخلاد إلى السكينة، حقنًا للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل، وثقوا أننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم!!!»[1].

❑ وكتب أبو سلمى قصيدته «لهب القصيد» ينعي على هؤلاء الملوك:

أُنشرْ على لهب القصيد ... شكوى العبيد إلى العبيدِ
شكوى يرددها الزمـ ... ـان غداً إلى أبد الأبيدِ
قالوا: الملوك، وإنهم ... لا يملكون سوى الهبيدِ
دُكَّتْ عروشٌ زيّنوها ... بالسلاسل والقيود
وأذلّهم وعد اليهود ... ولا أذلَّ من اليهود

وتوقفت الانتفاضة ابتداءً من يوم الاثنين الموافق ١٢ تشرين الأول سنة ١٩٣٦م ولمدة أربعة أشهر، وأثناءها كان عشرة آلاف يهودي بولنديين يستعدون للسفر إلى فلسطين لدعم اليهود.

❑ وأجهضت بريطانيا الانتفاضة الفلسطينية عبر لجان التحقيق الصليبية الكاذبة مثل «لجنة بيسل الملكية» التي أعدت تقريراً نُشر في ٧ يوليو ١٩٣٧م، ينادي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وفرض انتداب على منطقة القدس، وضم القدس العربي إلى إمارة

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٢٠٨).

شرق الأردن[١] .

ونفّذت بريطانيا حكم الإعدام في بعض الشبان العرب.

❑ وتسلّط الضباط وحكام الألوية على الشعب الفلسطيني يسومونه سوء العذاب من سجن ونفي وتعذيب مثل حاكم لواء الجليل «أندروز» المجرم الذي كان يشجع اليهود على تملك الأراضي وأخذها من العرب ويحميهم.

❑ وطبّقوا قانون الطوارئ على الشعب الفلسطيني... فأصدروا أمرًا بتجديد سجن جماعة الشهيد عز الدين القسّام عامًا جديدًا بعد انتهاء مده الحكم القاضي.

❑ واستجلبت بريطانيا قوات جديدة من قوات الاحتلال في مصر وعيّنت الماجور جنرال وايفل قائدًا عسكريًّا جديدًا في فلسطين[٢] .

❑ ثم لجأت مرة أخرى إلى المكر والخديعة فأرسل وزير المستعمرات البريطاني في ديسمبر ١٩٣٧م خطابًا إلى المندوب البريطاني في فلسطين يعلن فيه سحب مشروع التقسيم.

* وكانت لجنة جون ودهيد في ٢٧ إبريل سنة ١٩٣٨م:

استقبل العرب اللجنة بالإضراب العام وقاطعوها مقاطعة تامة، ورفعت اللجنة تقريرها وقالت فيه:

«إن تنفيذ هذا القسم، الذي نوصي به سوف يقابل بثورة عربية،

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٢١٦).

(٢) المصدر السابق ص(٢٣٣ ـ ٢٣٤).

وسوف لا يمكن إخمادها، إلا بقوة تفوق قوتهم، أما عدد تلك القوات اللازمة لهذا الأمر، وأما المدة التي ستصرف في إخمادها، وأما النفقات التي ستبذل، والخسائر التي تلحق بالبلاد، والعدد والأرواح التي ستزهق وتعداد ما ستخلفه هذه الأعمال من شعور الكره للإنجليز واليهود فهي أسئلة لا تستطيع اللجنة أن تكلف نفسها عناء الإجابة عنها»[١].

❑ بريطانيا تتراجع عن قرار تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب ووجهت على الفور دعوة إلى الدولة العربية وإلى الوكالة اليهودية وإلى عرب فلسطين لحضور مؤتمر المائدة المستديرة في لندن.

وأعلن وزير المستعمرات في مجلس العموم البريطاني ٦ أكتوبر ١٩٣٨م أن اليهود كان لهم موطن في فلسطين منذ ألفي سنة، وأنهم عادوا إليه استنادًا إلى صك الانتداب. وأن وجود اليهود في فلسطين هو حق لهم وليس منّة.

ووصف البيان جهاد الفلسطينيين وتصديهم لمخطط التهويد بالإرهاب، وقال الوزير: إن الحكومة ـ بطبيعة الحال ـ ستدخل المباحثات مرتبطة بالالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب نحو العرب ونحو اليهود ونحو البرلمان ونحو الولايات المتحدة الأمريكية»[٢].

❑ وعقد مؤتمر المائدة المستديرة في لندن في فبراير ١٩٣٩م وأسفر عما أعلنته بريطانيا: «إنه ليس في نيّتها أن تقيم دولة عربية ولا دولة يهودية، ولكنها عازمة على إعلان استقلال فلسطين لجميع سكانها بعد

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٢٤٧).
(٢) المصدر السابق ص(٢٥٣).

عشر سنوات (أي عام ١٩٤٨م) وعلى أن تستمر الهجرة اليهودية إلى فلسطين بمعدل ٧٥ ألف للسنوات الخمس التالية»[١] .

▫ وتوقفت حركة الجهاد الفلسطيني في سبتمبر ١٩٣٩م وذلك لأسباب:

* **أولاً**: المظالم البريطانية التي أنزلتها بريطانيا بالشعب الفلسطيني، لم يعد هناك سكان قرية لم تُفرض عليهم غرامات جماعية، وذلك من جرّاء قانون العقوبات المشتركة الذي كان يحتم فرض العقوبات والغرامات على سكان القرية أو الحي مهما بلغ عددهم ومهما كان الفاعل واحدًا.

* **ثانيًا**: تشريد القيادات الفلسطينية خارج فلسطين.

* **ثالثًا**: قيام الحرب العالمية وإحكام الرقابة على حدود العراق[٢] .

وفي نفس الوقت كانت بريطانيا قد أشرفت على تكوين الجيش اليهودي المسلح، ووضعت عددًا كبيرًا منه في ورش الجيش البريطاني، ومطاراته وثكناته، ودرّبت أعدادًا كبيرة منهم، وأشركتهم في العمليات الحربية، واعتمدت إنشاء بعض المصانع اليهودية لإنتاج المتفجرات والذخائر وسائر الاحتياجات العسكرية.

وهكذا أصبح لليهود جيش رسمي عاد إلى فلسطين بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية بجميع أسلحته ومعداته، بل لقد استجلبت بريطانيا

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٢٥٥).

(٢) المصدر السابق ص(٢٧٤).

الجنرال وينجيت البريطاني خبير حرب العصابات وكلّفته بأن يدرب منظمة (الهاجانا) اليهودية على حرب العصابات.

* حرص حزب العمال البريطاني على تهويد فلسطين:

أعلن الحزب «إن مؤتمر حزب العمال، يعلن أنه لإزالة السبب الأساسي لآلام اليهود، ولضمان بقائهم ونموهم الحر، يجب أن يدعم النمو المطرد للوطن القومي اليهودي في فلسطين، بالهجرة والاستيطان بمساعدة دولية».

وفي مؤتمر عام ١٩٤٤م الذي عقد بلندن، أصدر حزب العمال البريطاني قراراً يطالب بإجلاء العرب عن فلسطين وإحلال اليهود محلهم!!

«فليشجع العرب على الخروج، بينما اليهود يدخلون، إن للعرب مناطق واسعة تخصّهم وحدهم فيجب ألا يطالبوا بإخراج اليهود من فلسطين الضيقة، والتي تقل عن مساحة «ويلز»، وبالحقيقة يجب علينا أن نعيد دراسة إمكانية توسيع حدود فلسطين الحالية، بالاتفاق مع مصر وسوريا وشرق الأردن»[1] !!.

❑ يقول إبراهيم طوقان ساخراً:

قد شهدنا لعهدكم بالعدالةْ ... وختمنا لجندكم بالبسالةْ
وعرفنا بكم صديقًا وفيًّا ... كيف ننسى انتدابه واحتلالَهْ
وخجلنا من لطفكم يوم قُلْتم ... وعدُ بلفور نافذٌ لا محالة

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٢٨٨).

كل أفضالكم على الراس والعين ... وليست في حاجة أو دلالة
ولئن ساء حالنا فكفانا ... أنكم عندنا بأحسن حالة
أجلاء عن البلاد تريدون ... فنجلوا أم محقنا والإزالة[١]

وحينما وصل حزب العمل البريطاني إلى الحكم عام ١٩٤٥م، سعى لدى أمريكا في عهد رئيسها «ترومان» إلى تشكيل لجنة إنجليزية أمريكية ظاهرها إيجاد حل للقضية الفلسطينية، وباطنها دراسة على الواقع، لما تم تنفيذه من خطة التهويد وما تبقّى منها والعقبات وكيفية التغلب عليها»[٢].

وفي مؤتمر السلام.. بلندن في نوفمبر عام ١٩٤٦م خان ممثلو الحكومات العربية القضية الفلسطينية وقدّموا مشروعًا إلى بيفن وزير الخارجية البريطانية.. ومما جاء في المشروع:

«اعترف العرب بما لليهود من كيان ومكان في فلسطين على ألا يزيدوا في أي يوم من الأيّام عن ثلث السكان، وهم مستعدون للسماح بهجرة جديدة عند اللزوم، على أن يتمتع اليهود في مناطقهم بحقوقهم الدستورية وبلغتهم العبرية.. وبقسط وافر من الحكم الذاتي - وأن يكون كل ذلك وسط دولة فلسطينية مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة تحالف».

وأعلن بيفن رفضه للمشروع؛ لأن اليهود لا يوافقون عليه؛ ولأنه يخشى أن يقوموا بحركة عنف ضد الحكومة البريطانية إذا هي قبلته[٣]!!.

---

(١) القدس العدد العاشر ص٩٨ - جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ.
(٢) «جهاد شعب فلسطين» ص(٢٨٨).
(٣) المصدر السابق ص(٢٩٤ - ٢٩٥).

* خيانة الأمم المتحدة:

شكلت هيئة الأمم المتحدة الألعوبة في يد أمريكا وبريطانيا لجنة للتحقيق في قضية فلسطين في أبريل ١٩٤٧م!

يقول بيجن زعيم عصابة «الأرجون زفاي ليومي»: لقد حرص أعضاء هذه اللجنة على مقابلتي ومقابلة زملائي.

وقال الدكتور «هو» مساعد الأمين العام للأمم المتحدة وسكرتير اللجنة الدولية لفلسطين موجهًا كلامه إلى زعيم العصابة، ولمعاونيه يعقوب كوهين وإفراهام شمويل: إلى اللقاء في إسرائيل المستقلة».

❑ أما مندوب جواتيمالا فقال: «كان بودنا لو قررنا أن تصبح فلسطين كلها لكم، لولا أننا لا نستطيع أن نطلب لكم أكثر من الحدود التي رسمتها الوكالة اليهودية في مطالبتها بتقسيم فلسطين بينكم وبين العرب».

وصدر قرار التقسيم المشئوم في نوفمبر ١٩٤٧م بأغلبية ٢٥ صوتًا ضد ١٣ صوتًا، وكانت الدولة اليهودية حسب قرار التقسيم تشمل ٥٦,٤٧٪ من تلك الأراضي، أما منطقة القدس الدولية فكانت تشمل ٦٥,٪ منها.

❑ وفي مايو ١٩٤٨ انسحبت بريطانيا من فلسطين بعد أن أبادت وشردت معظم الشعب الفلسطيني ومكّنت اليهود من زمام فلسطين، خانت المسلمين كل الخيانة، حتى لحظة خروجها وسلّموا البلاد لليهود، وأعطوا لليهود علمًا قبل خروجهم، وبمجرد خروج بريطانيا أعلن اليهود دولتهم على أرض فلسطين في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨م.

جهاد شعب فلسطين
وذكر
الأبطال الميامين

جهاد شعب فلسطين وذكر الأبطال الميامين

سالت على أرض فلسطين ـ أرض الإسراء وزهرة المدائن. . . ومدينة اللّه التي ضمّت النور بالساعدين ـ دماء الأبرار والقانتين الذين فدوا القدس بالنفس والنفيس وكان حداؤهم «وا قدساه».

وقبِّلْ شهيداً على أرضها ... دعا باسمها اللّه واستشهدا

فلسطين تفديك منا الدماء ... وجلّ الفدائي والمفتدى

وسيذكر التاريخ حين يكتب بأمانة وبأيد متوضئة صادقة أن شعب فلسطين المسلم لم يفرط ولم يهادن. . وأن الأبطال المسلمين جمعتهم هوية واحدة هي عقيدتهم، ولا عجب أن يسجل التاريخ ذكر أبطال لم يولدوا على أرض فلسطين، وإنما ارتبط اسمهم باسمها فالإسلام عقيدة. . . وما أمر أحمد باشا الجزار والي عكا وما أمر عز الدين القسّام منا ببعيد.

وسنذكر صفحات من نورٍ لجهاد فلسطين المباركة:

* أحمد الجزّار والي عكا ينحر الفرنسيين أمام أسوار عكا:

حاصر نابليون عكا في ١٨ مارس عام ١٧٩٩م وهو على يقين كامل بأن المدينة ستسقط في يده خلال أيام قليلة خاصة بعد انتصاره المدوّي على المماليك والأتراك في مصر. . .

وشاء اللّه أن يكون على ولاية عكا قائد بوسني الأصل هو أحمد باشا المشهور بالجزار، ولم يكن وارداً في قاموس هذا القائد أي مرادفات لكلمات من قبيل الاستسلام أو حتى التفاوض.

وعندما قام بونابرت بإرسال خطاب للجزار ردّ عليه فوراً بإطلاق نيران مدفعيته على القوات الفرنسية المحاصرة لأسوار عكا.

وبعد سبعين يومًا من الحصار اضطر بونابرت إلى فك الحصار ومغادرة أسوار عكا، وهو يجر أذيال الفشل والخيبة في ٢٠ مايو عام ١٧٩٩م.

وفرض الجزار نفسه على الكتابات الأوربية وسُجِّل هذا البطل بأنه أنقذ الشرق من خطط نابليون.

جهاد فلسطين في العصر الحديث
وبطولات على أرض الإسراء

* ثورة «البراق» في ٢٣/ ٨/ ١٩٢٩م:

الحائط الذين يسمونه (المبكى) هو جزء من المسجد الأقصى، وهو ملك المسلمين الخاص، كما أن الرصيف الذي يقف اليهود عليه عند قيامهم بالزيارة، وقفٌ إسلامي، من أوقاف أبي مَدْين الغوث، أنشئ هو والأملاك المجاورة في زمن صلاح الدين لمنفعة المغاربة من المسلمين. ومؤيدة وقفيته بصكوك محفوظة لدى دائرة الأوقاف. وقد زادت جرأة اليهود على حائط البراق، مع دخول البريطانيين إلى القدس. وفي يوم الجمعة ٢٣/ ٨/ ١٩٢٩م قامت ثورة أهل فلسطين من أجل حماية البراق، وبعد هذه الحوادث جاءت لجنة دولية أوفدتها عصبة الأمم للحكم في الموضوع وحكمت بالتالي للمسلمين وحدهم تعودُ ملكية الحائط الغربي. ولهم وحدهم الحقّ العيني فيه، لكونه يؤلف جزءًا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف، وللمسلمين أيضًا تعود ملكية

الرصيف الكائن أمام الحائط، وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفًا حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير».

وهذا ولم تستطع القوات البريطانية المدججة بالسلاح أن توقف المدّ الثوري: من أجل المسجد الأقصى، فاضطر الحاكم البريطاني إلى طلب النجدة من القوات البريطانية في مصر، فجاءت على جناح السرعة، فكانت حصيلة هذه الثورة استشهاد ١١٦ شهيدًا وجرح ٢٣٢ مجاهدًا. ولم تكتف القوات البريطانية بذلك، فأصدرت على ٢٧ مجاهدًا حكمًا بالإعدام، وخفف الحكم على ٢٤ واحدًا منهم، ونُفّذ الحكم في ثلاثة هم: عطا أحمد الزير، ومحمد خليل جمجوم، وفؤاد حسن حجازي وأعلنت السلطات البريطانية بأنها ستعدم واحدًا من هؤلاء الثلاثة في كل ساعة من يوم الثلاثاء ١٧/٦/ ١٩٣٠م في القلعة في سجن عكا.

فكان إعدام فؤاد حجازي في الساعة الثامنة صباحًا.

ومحمد جمجوم في الساعة التاسعة صباحًا.

وعطا الزير في الساعة العاشرة صباحًا.

وقد سُمح لزائريهم بزيارتهم، وهم وقوف بألبستهم الحمراء ـ ألبسة الإعدام ـ ينتظرون ساعتهم الأخيرة، وإليك ما رواه الزائرون في الساعة الأخيرة لكل واحد منهم:

كانت ثغور الشهداء باسمة، ونفوسهم مطمئنة، وشجاعتهم فائقة الحد. وكانوا هم الذين يتولّون تعزية وتشجيع الزائرين بدل أن يعزيهم هؤلاء ويشجعونهم.

وكان الشهيد فؤاد حجازي وهو أصغرهم سنًّا يقول لزائريه: «إذا كان إعدامُنا نحن الثلاثة يُزعزع شيئًا من كابوس الإنجليز عن الأمة العربية

الكريمة؛ فليحل الإعدام في عشرات الألوف مثلنا، لكي يزول هذا الكابوس عنّا تمامًا». ولقد تنافس هو والشهيد الثاني وأبى إلا أن يسبق رفيقه.

وقال الشهيدان محمد جمجوم وعطا الزير: «نحمدُ اللَّه على أننا نحن الذين لا أهمية لنا نذهب فداء الوطن، لا أولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم».

وطلب الشهيدان عطا ومحمد حنّاءً خضَّبا بها أيديهما حسب عوائد الخليل في أيام أفراحهم وأعراسهم. وعندما أريد إصعاد عطا الزير إلى المنصة طلب أن تفكَّ قيودُه؛ لأنه لا يخشى الموت، ولما رفض طلبه حطم السلاسل بقوة عضلاته وتقدم مبتسمًا من المشنقة بثبات وجرأة.

وكلما أعلنت الساعة موعد إعدام واحد منهم كان المؤذنون يؤبنونه على المآذن.

من كلمات الشيخ القسام من فوق منبر جامع الاستقلال:

«يا أهل حيفا، يا مسلمون، ألا تعرفون فؤاد حجازي؟

ألم يكن فؤاد حجازي، وعطا المصري، ومحمد الجمجوم، إخوانكم؟

ألم يجلسوا معكم في دروس جامع الاستقلال؟! إنهم الأن على أبواب المشانق، حكم عليهم الإنجليز بالإعدام من أجل اليهود.

أيها المؤمنون: أين نخوتكم؟ أين إيمانكم؟ أين هي مروءتكم؟»[1]

---

(١) «ثورة الشيخ العالم المجاهد عز الدين القسام» لعوني جدوع العبيدي ص(١٤٠، ١٤١) ـ دار النفائس الأردن.

وارتجت جنبات المسجد بالتكبير، وتذكر الناس قول البطل فؤاد حجازي في السجن:

يا ظلام السجن خيِّمْ ... إننا نهوى الظلاما
ليس بعد السجن إلا ... فجرُ بدرٍ يتسامى

* الحركة الجهادية عام ١٩٣٥م وإمامها وشيخها الشيخ عز الدين القسّام:

القسّام القسّام.. اسم سوف يبقى في فلسطين يتردد في أجوائها فيوقع الرعب في قلوب الذين يسيطرون عليها بحرابهم، ويُتلى في صفحات تاريخها الخالدة، فيملأ نفس القارئ إكبارًا وإعجابًا.

❑ قال الأستاذ محمد محمد حسن شُرَّاب: «ثبت عندي للقسّام منقبتان جامعتان لكل خلال الخير وهما: أنه شيخ المجاهدين في فلسطين، ورائد من رُوّاد الدعوة إلى اللَّه وإصلاح المجتمع على **نهج السلف الصالح**»[1].

❑ ولد الشيخ محمد عز الدين بن عبد القادر بن مصطفى القسّام الشهير «بعز الدين القسّام» في بلدة جَبَلة وهي ثغر من ثغور المسلمين من أعمال حلب قرب اللاذقية عام ١٣٠٠هـ الموافق ١٨٨٣م.

وكان جده مصطفى مقدمًا في الطريقة القادرية الصوفية وورث عبدالقادر الطريقة عن أبيه، وكان أنصار الطريقة القادرية في العراق

---

(١) «عز الدين القسّام شيخ المجاهدين في فلسطين» لمحمد محمد حسن شُرَّاب ص(١٤) دار العلم دمشق.

يقدمون إلى جبلة لزيارة ضريحي عبد القادر ووالده مصطفى في جبلة، فكان عز الدين يردع هؤلاء، ويحثهم على الامتناع من شد الرحال إلى جبلة لهذا الغرض.

ورحل في طلب العلم في الأزهر عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره سنة ١٣١٤هـ ـ ١٨٩٦م ونال شهادة الأزهر العالية بعد أن أمضى حوالي ثماني سنوات في جوار الأزهر.

وفتح مدرسة في جبلة سنة ١٩١٢م درّس فيها للأطفال واليافعين نهارًا، وللرجال الكبار مساء، وهذه فضيلة لم يسبقه إليها أحد من رجال الإصلاح في العصر الحديث.

ودرّس الحديث، وتفسير القرآن العظيم في جامع إبراهيم بن أدهم، ثم صار خطيبًا في جامع المنصوري في وسط البلدة، وجذب الناس إليه.

* وكان الإسلام يمتزج بدمه:

ولما غزا الإيطاليون ليبيا ثارت موجة عارمة من الغضب بين أهل الشام، وكان للقسّام دور بارز في قيادة حملات تجنيد الشباب للجهاد، وجنّد ـ رحمه اللّه ـ مئات الشباب من الساحل السوري، وقادهم بنفسه، وتعهدهم بالتدريب العسكري والفكري، وقام أيضًا بحملة لجمع الأموال والمؤن الكافية للنفقة على المتطوعين وأسرهم، ولمساعدة المجاهدين في ليبية. واتصل عز الدين القسّام بالحكومة التركية، وحصل على موافقة الباب العالي في إستانبول بنقل المتطوعين إلى الإسكندرونة.

وكانت هناك صعوبات كثيرة أمام الرجال، ولكن القسام صمم على لقاء الأشقاء المجاهدين في ليبيا، وأن ينقل إليهم ما استطاع جمعه من

معونات مادية، وانتقل سرًّا إلى الأراضي الليبية، والتقى القسّام بالمجاهد الكبير عمر المختار.

ولم يشارك القسّام في الثورة العربية المسلحة، ولم يحمل سلاحًا ضد الأتراك المسلمين وذلك لفقهه الكبير، ولم يشق عصا الطاعة على ولاة الأمر من الأتراك ـ رحمه اللَّه ـ واعتزل ـ رحمه اللَّه ـ الحرب ورجع إلى بلده بعد سنة ١٩١٦م.

❑ ولما احتل الأسطول الفرنسي اللاذقية والساحل السوري في ١٠/ ١٠/ ١٩١٨م كان القسّام أول مَنْ رفع راية مقاومة الفرنسيين في تلك المنطقة، وأول من حمل السلاح في وجهها. وكان من نتاج دعوته أن اندلعت نيران الثورة في منطقة صهيون.

وباع القسّام بيته لشراء السلاح ليكون قدوة للناس، وجعل يدرب المتطوعين على استعمال السلاح وفنون القتال عند شاطئ خليج بحري يُدعى «البحيص» جنوب جبلة.

ولما رأى عيون الفرنسيين يضيّقون عليه، ورأى أن منازلتهم في سهول جبلة المكشوفة تتيح لجيشهم قمع ثورته، فتطلع إلى موقع أكثر حصانة، وأبقى على الجهاد فاختار جبال صهيون ميدانًا للجهاد، وفيمم شطرها مع رجاله، واتخذ قاعدة عسكرية في قمة منيعة قرب قرية «الزنقوفة» يغيرون على المراكز العسكرية الفرنسية في الجبال وفي مشارف المدن الساحلية.

وحاول الفرنسيون استمالته بأن أرسلوا إليه رسولاً بالكفّ عن مقاومتهم في مقابل تعيينه قاضيًا شرعيًّا في المنطقة، ورفض البطل دعوتهم، وقال لرسولهم: عُد من حيث أتيت، وقل لهؤلاء الغاصبين

«إنني لن أقعد عن القتال أو ألقى اللَّه شهيدًا».

فلما عجز الفرنسيون عن استمالته وثنيه عن الجهاد حكم عليه الديوان العُرفي فيما كان يُسمّى بدولة العلويين بالموت غيابيًّا.

ولم يذهب القسام وحيدًا إلى ميدان الجهاد، وإنما ذهب على رأسه أتباعه وتلامذته، وكان معه في جبال صهيون عمر البيطار ورجاله.

ومن أشهر معارك القسام وجماعته «معركة بانيا» حين تمكن القسّام مع ثلة من المجاهدين من القيام بغارة ليلاً على الثكنة الفرنسية، وقتل حاميتها في آذار ١٩٢٠م.

ولم يجد القسام المدد الذي طلبوه من القيادة السياسية في دمشق انتقل ـ رحمه اللَّه ـ من جبلة، انتقل منها وكان له شرف المشاركة في ملحمة ميسلون في ٢٤/٧/ ١٩٢٠م التي قُتل فيها البطل يوسف العظمة وعدد كبير من رفاقة.

وبعد معركة ميسلون عاد القسام إلى بيروت ومنها إلى دمشق للدفاع عنها، ومنها إلى صيدا، ومنها إلى عكا متخفيًا، وهاجر القسّام إلى فلسطين ليتابع الجهاد، واستقر في حيفا يدرس ويفتي ويربي.

«وفي سنة ١٩٣٤م قال له عامل من عمال الميناء، عندما استمع إلى درس الجهاد: «هل سمع «سيدنا» بحكاية البراميل التي اكتُشِفت مصادفة، وهي مملوءة بالأسلحة الفتّاكة التي يهرّبها اليهود ليومهم الموعود»؟ فانتفض الشيخ وابتسم. وفي العشرين من تشرين الثاني ١٩٣٥م نشرت الصحف خبرًا هزّ العالم العربي يقول: إن الشيخ القسّام يلبس الكوفية والعقال و«البنطال» الكاكي والسلاح هو ورجاله، ويتدربون في غابات «يَعْبُد» بقضاء جنين استعدادًا للجهاد. فكانت هذه الثمرة

الحيفاوية باكورة الجهاد الفلسطيني، وهي الفكرة التي أصلحت مسار العمل العسكري، بل أوجدته»[١].

وكانت الأحزاب السياسية مناهجها تقوم على المظاهرات، وإجراء اتصالات مع المندوب السامي، وإلقاء الخطب، وإرسال الوفود، وليس ثمة تفكير في الدعوة إلى الجهاد كما قال إبراهيم طوقان ساخراً من الزعماء السياسيين:

أنتمُ المخلصون للوطنيّه ... أنتمُ الحاملون عبء القضيه
أنتم العاملون من غير قولٍ ... بارك اللّه في الزنور القويّه
«وبيان» منكم يعادل جشا ... بمعدات زحفه الحربيّه
«واجتماع» منكم يردُّ علينا ... غابر المجد من فتوح أمية
وخلاص البلاد صار على الـ ... ـباب وجاءَتْ أعياده الورديّة
ما جحدنا «أفضالكم» غير أنّا ... لم تزل في نفوسنا أمنيّة
في يدينا بقية من بلاد ... فاستريحوا كيلا تطير البقيّه[٢]

❑ وقال ـ رحمه اللّه ـ:

أنتم رجالُ خطابات مُنَمّقة ... كما علمنا وأبطال احتجاجات
وقد شبعتم ظهوراً في مظاهرةٍ ... مشروعة وسكرتم بالهتافات
أضحت فلسطينُ مِن غيظٍ تقول لكم ... خلّوا الطريق فلستم من رجالاتي

وكان القسام ـ رحمه اللّه ـ يحاضر المسلمين ويعظهم في مسجد الجرينة الكبير وجامع الاستقلال ويبصّرهم بواقع الأمة ويربيهم على الجهاد.

---

(١) «عز الدين القسّام» لمحمد محمد حسن شرّاب ص(١٢٧).
(٢) المصدر السابق ص(١٣٣).

ولما «سُئِل ـ رحمه اللَّه ـ عن رأيه في أساليب الزعماء المعتمدة على محاورة الإنكليز، فأجاب: «من جرّب المجرَّب فعقله مخرَّب»، وقال مرة: «من جرّب المجرَّب فهو خائن»، وهو يشير إلى تجربة العرب مع الإنكليز إبّان الثورة العربية على العثمانيين»[1].

وأعلن القسّام أن الإنكليز رأس البلاء والداء، ويجب توجيه الإمكانات كلها لحربهم، وطردهم من فلسطين قبل أن يتمكنوا من تحقيق وعدهم لليهود.

ودعا القسّام المسلمين إلى التمرّد، وحرّضهم على ألا يسمعوا للعساكر البريطانية.

«ففي أواخر سنة ١٩٣٤م، سأل القسّام المصلين من على المنبر: «هل أنتم مؤمنون؟»، وأجاب: «لا أعتقد»، وسكت قليلاً، ثم تابع كلامه قائلاً: «لأنه لو كنتم مؤمنين، لكانت لكم عزّة المؤمن، فإذا خرجتم من هذا المسجد وناداكم جندي بريطاني، فلا تطيعوا نداءه.

واتّجه القسّام إلى توعية الشعب بالشرور المحدقة بهم، وكان يكثر من قوله: «بأن اليهود ينتظرون الفرصة لإفناء شعب فلسطين، والسيطرة على البلاد، وتأسيس دولتهم».

ومن باب التحريض على الجهاد دعا القسّام إلى توجيه اقتصاد البلد إلى شراء الأسلحة، وأنكر في هذا السبيل سياسة «المجلس الإسلامي الأعلى» في تزيين المساجد وبناء الفنادق، وقال: يجب أن تتحول الجواهر والزينة في المساجد إلى أسلحة، فإذا خسرتم أرضكم فإن

(١) «عز الدين القسّام» لشراب ص(١٤٧).

الزينة لن تنفعكم وهي على الجدران.

وحذر الشيخ عز الدين المصلين في إحدى خطب الجمعة سنة ١٩٢٧م من التساهل مع الهجرة اليهودية التي تحتل البلاد، ودعاهم إلى استقبال هذا العدو القادم بعربات الانتداب الإنكليزي وحمايته، بوصفهم أعداء لا بوصفهم ضيوفًا».

وكان ـ رحمه اللَّه ـ في مسجد الاستقلال يردد دائمًا الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. ويُسهب في شرح ﴿وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فأولوا الأمر هم المسلمون أما الإنكليز فلا طاعة لهم على المسلمين، وكان الإنكليز يبثون على لسان «القاديانية» ومركزها «حيفا» أن الدولة البريطانية وليّة أمر المسلمين ولها عليهم حق الطاعة.

▫ وفي سنة ١٩٢٩م عُلِمَ أن اليهود يأتمرون للهجوم على جامع الاستقلال، فطلب وجوه المسلمين في حيفا من السلطات البريطانية أن ترسل قوة لحراسة المسجد من الهجوم المُدبّر، فثار القسّام على هذا الاقتراح، وقال في خطاب ألقاه بهذه المناسبة: «إن جوامعنا يحميها المؤمنون منّا، إن دمنا هو الذي يحمي مساجدنا لا دم الآخرين» ووصف الطلب بالجبن، وعدّه دليلاً على الخضوع والذل. ولما دعته السلطات للتحقيق في كلامه، لم ينكره، وعندما أُوقف، أعلنت المدينة الإضراب، فاضطرت السلطات إلى إخراجه من السجن، وتجنّبت حكومة الانتداب اعتقاله فيما بعد[1].

(١) «عز الدين القسّام» لشراب ص(١٤٨).

❑ وفي الثلاثينيات حين شاعت حوادث قطع الطرق، وظهور عصابات السّلب، برز اسمُ «أبو جلْدة»[١] وأحيط بهالة من التقدير، بوصفه معبراً عن الحس الشعبي، ورغبته في مقاومة الانتداب، وفي سنة ١٩٣٢م سُئِل الشيخ عن رأيه في أهل «الشعراوية» وجبل نابلس الذين يقطعون أشجار اليهود، ويَسُمُّون الحيوانات، وينعتهم الناس باللصوصية وقطّاع الطرق، فأجاب: «دعهم يعملون؛ لأن في عملهم رجولة سنحولّها في يوم من الأيام إلى جهاد، وما دام المستعمر يرغب في إماتة قلوبنا، فإن هؤلاء أقرب إلى اللّه وإلى حب الجهاد من المستكينين»[٢].

❑ واستطاع القسّام في عشر سنوات أمضاها في جامع الاستقلال، أن يجعل الناس مستعدين لتلبية نداء الجهاد، وصارت الكلمات الجهادية المقدسة من خطبه، على لسان الجمهور، من ذلك قوله: «المجاهد رائد قومه، والرائد لا يكذب أهله»، وقوله: «الجهاد رفيقه الحرمان» أي الصبر على المشقة، وكان شعار القسّام وتلاميذه «هذا جهاد، نصر أو استشهاد».

❑ ومن خلال اتصال القسّام بالقوى البشرية عن طريق المسجد، استطاع أن يُقوّم القدرات الوطنية للجهاد، ووازن بينها وبين قدرات الأعداء، فوجد القوة الوطنية تفوق قوى الأعداء، فثبت في نفسه أن

---

(١) أبو جلدة: صعلوك فاتك، ولكنه كان يسلب الإنكليز واليهود فقط. ذكره المؤرخ الروسي في كتابه «تاريخ الأقطار العربية المعاصر» فقال: في سنة ١٩٣٢م. برز زعيم فصائل الفدائيين البطل الشعبي «أبو جلدة» الذي كان يزرع الرعب في قلوب المستعمرين ببسالته وجرأته.

(٢) «عز الدين القسّام» ص(١٥٠ ـ ١٥٣).

الأسلوب العسكري للوصول إلى الحق هو الأسلوب الناجح، وأن الطرق السلمية التفاوضية فيها إذلال للمسلمين، لأنها تجبر الأسد القوي «وهم العرب» أن يفاوض الكلب (وهم الأعداء). ونقل الرواة عن ابنة القسّام ميمنة هذه الحادثة: «إذ رأته صباح يوم هائجًا هياجًا شديدًا، يردّد أشعارًا حماسية حربية، فخشيت من مغبّة هذا الهياج، وقالت له: إن الطريق السلميّة هي خير طريق يمكن أن يسلكه شعب أعزل كشعبنا؛ لأن القوة يجب أن تجابهها قوة مثلها، ونحن لا قوة لدينا ولا مال، قالت ميمنة: ولكن الوالد الشهيد لم يتركني أتمّ كلامي، بل صاح بصوته الجَهْوري: اصمتي يا ميمنة. ثم أطرق برهة، وأنشد وهو ينظر إليّ:

واعلم بأن عليك العار تلبَسُه ... مَن عَضَّه الكلب لا من عضّه الأسدُ

ولم يكن القسّام مبالغًا في تقديره وتقويمه لقلة الأعداء، فقد قدّر عدد اليهود في فلسطين سنة ١٩٢٢م (٨٣٠٠٠) ثلاثة وثمانون ألفًا، وبلغت نسبتهم لمجموع السكان (١١٪)، وفي سنة ١٩٣١م قدّر عدد اليهود (١٧٤٠٠٠) مئة وأربعة وسبعون ألفًا، وبلغت نسبتهم ١٦٪.

❑ وفي سنة ١٩٣٦م عجزت القوات البريطانية عن السيطرة على فلسطين، وحرّر المجاهدون أجزاء كبيرة من فلسطين، لولا وساطة (أصنام العرب) في فلسطين وخارجها التي نصبها الأعداء لتقرّب العرب إلى الإنكليز زُلْفى، وكانت هذه الأصنام، بل شياطينها، تعِد الناس بالمواعيد العرقوبية، وتوحي إلى المسلمين بأن قوة الأعداء العسكرية تفوق قوة العرب عددًا وعُدّة، وأنه لا سبيل إلى الخلاص منهم إلا بالحُسنى، فيطفئون حركة الجهاد، وبينها وبين النصر قاب قوسين أو أدنى، أطفا اللّه نور قبورهم.

وقد ركّز القسّام عنايته في التوجيه إلى معاني الجهاد، وتصحيح المفهومات السياسية الدارجة، ولكنه لم ينس ثلاث قضايا:

الأولى: الدعوة إلى إخلاص العقيدة للّه وحده، وتنقية المفهومات الدينية الشائعة من الشوائب، والرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة، مصدرين لكل توجهات المسلمين.

وفي هذا السبيل حارب البدع المتصلة بالجنائز والمآتم، والمولد النبوي، وشهر رمضان... إلخ.

وخاض من أجلها معركة شاركه فيها محمد كامل قصّاب، وألّفا فيها كتاب «النقد والبيان في دفع أوهام خزيران».

الثانية: الغزو الفكري المدعوم من اليهود والإنكليز، وكانت حيفا مركزًا لفرقتين ضالتين هما: البهائية والقاديانية.

الثالثة: اكتشاف القادرين على الجهاد وتنظيمهم في خلايا سرية، ولما تأسست جمعية الشبان المسلمين في فلسطين كان القسّام رئيسًا لجمعية حيفا، وقد واظب القسّام على تقديم محاضرة دينية أسبوعية في جميعة الشبان المسلمين مساء كل جمعة، فكان يذهب كل أسبوع، مع فئة من أعضاء الجمعية للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلى القرى، وأسس ـ رحمه اللّه ـ فروعًا لجمعيات الشبان المسلمين في اللواء الشمالي، أصبحت غطاءً مناسبًا لعمل رفاق القسّام في قراهم المحلية.

❑ قال أحمد القشيري: «كنت على معرفة وطيدة بالشيخ عز الدين القسّام، عرفته تقيًّا ورعًا، خطيبًا دينيًّا صالحًا، واجتمعت به في

مؤتمرات جمعيات الشبـان المسلمين في حيفا وغيرها، ولم يكن يدور في خلدي أو خلد غيري، حتى من أصدقائه المقربين، أن هذا الشيخ المعمم، إمام الجامع كان يهـيئ نفسه لقيادة ثورة مسلحة ضـد السلطات البريطانية مباشرة»[١].

كان القسّام ـ رحمه اللَّه ـ جريئًا في قول الحق، لا يخاف في اللَّه لومة لائم.

«كان يقرر من على المنبر أن الجـهاد فريضة على المسلمين، وأنه لا مفرّ من مـحاربة الإنكليز وأعوانهم، وكان يطلب من الناس جـهرًا شراء السلاح والتدرب عليه.

واستـدعته سلطات الانتـداب مرة للتحـقيق حول تركـيزه على آية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفـال: ٦٠] في إحدى خطبه، فأجاب القسّـام، بأن الآية الكريمة جزء لا يتجـزأ من القرآن، وأنّ واجبـه يحتّم عليه شرح هذه الآية في ظل الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد.

وطلب مـرة من المصلين أن يقـاوموا الأعـداء فوقف أحـد المصلين وسأله: بماذا نقاوم الأعداء ونحن لا نملك سلاحًا؟

فأجاب الشيخ: بقتلهم وأخذ السلاح منهم.

وروى الشيخ أحمد السعدي ـ رئيس بلدية جنين ـ أن القسّام، رفع يومًا مسدسًا أمام المصلين، وكان قد دبّر طريقة لإخفائه، وقال: من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر، فليقتن مثل هذا»[٢].

---

(١) «أربعون عامًا في الحياة العربية» لأحمد الشقيري ص(١٣٩).

(٢) «عز الدين القسام» لشراب ص(١٩٨).

* عز الدين القسام شيخ المجاهدين بفلسطين سلفي العقيدة والمنهج:

قال الشيخ محمد محمد حسن شُرّاب: «أخذ عز الدين ثقافته الإسلامية من القرآن والسنة الصحيحة، ونهل من السيرة النبوية المشتملة على بيان شمائل الرسول ﷺ التي يكون للمسلمين بها أسوة حسنة. ودرس سير الصحابة، فصدر بعد كل هذا عن عقيدة سلفية لم تتأثر بمذهب قديم أو اتجاه حديث»[١].

«كان همه الأول تخليص الدين من الشوائب، وإخلاص العقيدة للّه وحده، حارب القسام ذهاب الناس إلى «مقام الخضر»[٢] على سفوح جبل الكرمل لذبح الأضاحي شكرًا على شفاء من مرض، أو نجاح في مدرسة. ودعا القسّام الناس إلى أن يتوجهوا بنذورهم وأضاحيهم إلى اللّه تعالى فقط؛ لأنه ـ وحده ـ القادر على النفع والضر، وأما أصحاب القبور فلا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا.

وبالجملة فإن العقيدة السلفية الصحيحة، والثقافة الإسلامية المقتبسة من القرآن والسنة أثرت في تلاميذ القسّام»[٣]، وانطبعوا بطابع التربية الإسلامية الإيمانية، سلوكًا وأقوالاً. وقد وصف أحمد الشقيري أصحاب القسّام، وقد عايش عددًا منهم، ودافع عنهم ـ بوصفه محاميًا ـ أمام الإنكليز، فقال: «لم تجر على ألسنتهم تعابير «الكفاح المسلح» و«الحركة الوطنية» و«الاستعمار والصهيونية»، فقد كانت تعابيرهم على بساطتها تنبع من ينبوع أروع وأرفع هو «الإيمان والجهاد في سبيل اللّه» لقد كانوا

---

(١) «عز الدين القسام» ص(١٧٠).

(٢) يقع عند أقصى حد حيفا إلى الغرب من سفح جبل الكرمل.

(٣) «عز الدين القسام» ص(١٥٥).

قـومًا مـؤمنين، صنعهم الإيمان، فـصـفت نفوسـهم، وتآلفت إرادتهم، وتعاظمت عزائمهم، وأحسّوا أن حبلهم مع اللَّه قد أصبح موصولاً، وأن الباب بينهم وبينه قد بات مفتوحًا»[١].

«ومنذ تولّى عز الدين القسام أمر تعليم الناس في المدارس والمساجد أخذ عـلى نفسـه تقويم مـا اعوج من أمـر المسلمين، وأن يرجعـهم إلى الإسلام المصفى الخالي، ورأى أن يبدأ بمرحلة الدعوة والتعليم لتربية جيل مؤمن بربه متمسك بسنة النبي ﷺ، فأخذ يحارب البدع والخرافات.. ويدعو الناس إلى نبذ البدعة، ومن هنا بدأ الصراع بين أنصار البدع وبين المذهب السلفي الذي اتبعه القسام»[٢].

والذي يفهم من سيرة القسّام أنه كان مربِّيًا سلفيًّا داعيًا يعمل لكي «يعود للدين مجـده بسيطرة السنة، ومحق البدعة، وعـودة مجد الدين، هو عودة لمجد أهله المتمسكين به».

«إن من يقرأ كتاب «النقد والبيان» للقسّام يعلم تمام العلم أنه ما حاد عن السلفية منهجًا وعقيدة قدر أنملة.

لم يكن القسّام ـ رحمه اللَّه ـ حاطب ليل بل كان يميز بين الصحيح والضعـيف من الأحاديث النـبوية، وكان يدعـو إلى العلم الصافـي قبل القول والعمل، وكان يأمل في الإعداء المرحلي، والتّدرج في الإعداد فما أمهله أعداؤه حتى يصل إلى ما يريد.

القـسام البطل المـتواضع الذي حـرص على الاتصـال بكل فئـات

---

(١) «أ بعون عامًا» لأحمد الشقيري ص(١٤٥).

(٢) «عز الدين القسام» لشراب ص(١٧٦).

شعبه، وكان يمتلك قلوب الناس بشخصيته الجذابة المحبوبة» هذا البطل الذي جعل من باعة الكاز «الجاز» قادة ومجاهدين عظماء.

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «يمين اللَّه إن شباب العصر الأخير ابتعدوا كثيرًا عن النهج القويم، وأمعنوا في الضلال، فلم يبق على هذه الأمة إلا أن تعتصم بما في قلوب الفلاحين والعمال من بساطة وإيمان، وبعد عن بهارج مدنيَّتكم الزائفة»[١].

❑ وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «خبرتي الطويلة تجعلني أرجو خيرًا من الفلاحين والعمال، فهم واثقون باللَّه، مؤمنون بجنات الخلد واليوم الآخر، ومن كانت هذه صفاته كان أقرب الناس إلى التضحية وأجرأهم على الإقدام»[٢].

يرحم اللَّه البطل الذي بسّط العقيدة للعوامّ وشوّقهم إلى البذل والعطاء والجهاد.

❑ إن الإنسان ليعجب حين يكتب الناس زورًا وبهتانًا عن القسّام فينسبونه إلى الصوفية فيجعلونه شيخ الزاوية الشاذلية، كما ترجم له صاحب «الأعلام الشرقية»[٣]، وهذا كذبٌ صراح.

❑ إن أبطال ثورة البراق كانوا من تلاميذ القسّام، وإن لم يتوفّر دليل على أنهم كانوا أعضاء في التنظيم السري.

ومن الذين شاركوا في ثورة البراق من إخوان القسّام: عبد اللَّه الأصبح، الذي كان له جهاد مشهود في منطقة «صفد»، والشيخ فرحان

---

(١) «عز الدين القسام» ص(٢٠٣).

(٢) «عز الدين القسام» ص(٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٣) «البطولة والفداء عند الصوفية» أسعد الخطيب ـ دار الفكر سورية من ص(٢٢٥ ـ ٢٢٨).

السعدي في قضاء جنين.

وفي المدة من ١٩٣١ ـ ١٩٣٥م، تأكد أن أعضاء من جماعة القسّام المُنظمين قاموا بأعمال عسكرية في قضاء حيفا.

وكانت أولى العمليات، الهجوم على مستعمرة (الياجور) قرب حيفا ليلة ٥/ ٤/ ١٩٣١م فقتلوا ثلاثة من اليهود، وعادوا دون أن يتركوا أثرًا، كما هجم القسّاميون على مستعمرة (بلغوريا) ومستعمرة (كفار هاسيديم) ومستعمرة (عتليت) ومستعمرة (العفولة) في المرج.

* عملية «نهلال» ضربة موجعة في أكبر رموز الصهيونية:

العملية العسكرية التي أغضبت الإنكليز واليهود، وأدخلت الرعب إلى قلوبهم هي عملية (نهلال) ليلة ٢٢/ ١٢/ ١٩٣٢م. فقد قام المجاهد أحمد الغلاييني ـ الذي يعمل سمكريًّا ـ بصنع ألغام في معمله في حيفا، وأعطى لغمًا منها لمصطفى علي الأحمد، فوضع اللغم في منزل حرس مستوطنة (نهلال) وسيّر إخوان القسّام قطيعًا من الغنم على الطريق، فذهب الأثر. فانفجر اللغم، وأدى إلى قتل يهوديين، وإصابة اثنين بجراح. فكانت هذه الواقعة ضربة مؤثرة موجعة في أكبر رموز الصهيونية في فلسطين، وهي مستعمرة (نهلال) حيث يقول «وايزمن» في وصفها: «إن (نهلال) مستعمرة ذات قيمة خاصة في نظري؛ لأنني منها أبتدئ سياحتي، وبها أختمها، وهي رمز عملنا العظيم في مرج ابن عامر، ولست أُبالغ إذا وصفتها بأنها قلب المرج، وعندما تقترب مني الأيام الصعبة أتطلّع إلى (نهلال) لأستمد منها التعزية.

وحكم بالإعدام على مصطفى الأحمد وبالسجن خمسة عشر عامًا

على أحمد الغلاييني، ودامت الأعمال العسكرية سنوات، كانت من أشدّ ما قام به المجاهدون في فلسطين تأثيرًا فألقت الرعب في قلوب اليهود؛ لأنهم رأوا عملاً جديدًا يُنفّذ بالسلاح، لم يعرفه اليهود من قبل، ومع كثرة هذه الأعمال، وتعدد أشكالها، فإنها ظلت محاطة بالسريّة والكتمان. وابتدأت المنطقة تشهد أعمالاً بطولية عظيمة فمنذ أوائل ١٩٣٥م شهد المثلث العربي جنين نابلس طولكرم سيلاً من الاغتيالات للضباط الإنجليز ونسف القطارات، وهوجمت معسكرات الجيش البريطاني، وقتل أي عربي يثبت لدى الوطنيين اتصاله بالبريطانيين اتصالاً مريبًا.

وكانت هذه الأعمال تتم تحت جنح الظلام، وفي فترات متعاقبة في غاية الدقة والتنظيم والسرية، وسرت روح الجهاد بين الشعب فتتابع تنظيم التشكيلات السرية، وزادت متاعب البريطانيين وإرهابهم.

* الاستعداد للجهاد:

أرسل القسام أحد إخوانه (محمود سالم المخزومي)[1] الملقب (أبو أحمد القسام) إلى سماحة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى (الحاج أمين الحسيني) ليعلمه عن عزمه القيام بثورة في فلسطين للقضاء على فكرة الوطن القومي اليهودي، وذلك سنة ١٩٣٥م قبل ثورة القسام بأشهر قليلة، وفعلاً، اتصل رسول القسام بالحاج أمين بواسطة الشيخ (موسى العزراوي) ـ رحمه اللّه ـ أحد أعوان الحاج أمين، وأعلمه عن رغبة

(١) «ثورة الشيخ عز الدين القسام» لعوني العبيدي ص(٥٥). وقال الأستاذ عوني العبيدي: ذكر لي ابن الشيخ أبو إبراهيم الكبير «أبو نبيل»: أن الذي كان يرسله القسام إلى الحاج أمين الحسيني هو الشيخ «كامل القصاب»، وليس محمد سالم المخزومي كما ذكر.

القسـام: وهي أن يشـرع الحـاج أمين في الإعـداء لـلثـورة في جنوب فلسطين، حيث يعد القسام العدة في شمال فلسطين.

فأجاب الحاج أمين بواسطة (العزراوي) أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل، وأن الجهود السياسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم، إذ كان حَسَنَ الظن بالإنكليز[١].

وباع القسام بيـته الوحيد في حيفا، وباع أصـحابه حليَّ زوجاتهم، وبعض أثاثهم، واشتروا بثمنها رصاصًا وبنادق[٢].

* القسام يعلن الجهاد المقدس:

وبعد أسبوعـين من مهاجمة قوات البـوليس الإنكليزي للمتظاهرين العرب في القدس، وفي ليلة ١٢ تشرين الثـاني ١٩٣٥م جمع الشيخ عز الدين القسـام إخوانه في مـدينة حيـفا، وأبلغهم أنه قـرر إعلان الجـهاد المقدس، وأبلغـهم أنهم سيغـادرون تلك الليلة إلى أرض المعركـة، وقال لهم إن شعـار جهاده (أن يذهب كل مـجاهد إلى أهله يستـودعهم اللَّه، ويواعدهم اللقـاء في الجنة)، ثم يلتئم جمـعهم في بيت القائد محـمود سالم المخزومي، ليتوجهـوا من هناك إلى أرض المعركة، وخرجوا وخرج القسام الذي جاوز الستين من عمره بعد أن ودع زوجته وأولاده الصغار.

وقد اختار أرض معركته في المناطق الجـبلية، وكان أقربها إلى حيفا جبال جنين، فتوجه موكب المجاهدين في تلك الليلة إلى قرية (كفردان)،

---

(١) «الثورة العـربية الكبرى في فلسطين» ص(٢١ ـ ٢٢) ـ وسـيأتي التعليق على بيع القسّام لبيته إذ إنه لم يكن يمتلك بيتًا إنما كان يستأجر فقط.

(٢) «الإسلام وحركات التحرر العربية» لشوقي أبو خُليل ص(٢٠٤).

وهناك وزع رفاقه على قرى: يعبد، وفقوعة، وصندلة، وقباطية، للاتصال بأهاليها. وليشرحوا لسكانها أهداف الثورة.

وكان الشعب في السابق يعرف القسام من على منبر جامع الاستقلال في حيفا، ويعرف القسام من خلال زياراته إلى حفلات الأفراح في القرى. ويعرف إخلاص القسّام، لذلك فقد استجاب له ولرسله أعداد كبيرة من الرجال المخلصين. وكان الاستعمار في هذه الفترة يرقب تحركات القسّام بواسطة البوليس السري «الخونة».

ويُؤثر عن رجال القسام أن كل واحد منهم كان يحمل في جيبه نسخة من القرآن الكريم الذي اتخذوه قدوة لهم، وكانوا يرون أن كل السعادة هي في بلوغ مرتبة الشهادة، والانتقال إلى الحياة الأخرى، للتمتع بما أعده اللّه للمجاهدين والشهداء من نعم.

وقد روى سكان قرية يعبد حيث كان القسام يرابط بجماعة على مقربة منهم ـ أنهم لم يسألوهم أو يطلبوا منهم شيئًا في يوم من الأيام، بل كانوا في النهار يأوون إلى الكهف، يصلون ويقرؤن القرآن، وفي الليل يخرجون للتدرب على القتال.

وبعد يومين أي يوم ١٤ تشرين الثاني ارتكب أحد مناضلي القسام خطأً، كان سببًا في افتضاح أمر الثورة قبل إعلانها رسميًّا، وكانت خطة القسّام أن يتوزع رجاله على قرى المناطق الجبلية، حتى يضموا إليهم أكبر عدد من المناضلين، حتى إذا اكتمل العدد الذي يريد هاجم مدينة حيفا، واحتل دوائر الحكومة ومراكز الشرطة والميناء، وبعد أن يستتب له الأمر يعلن قيام الحكومة العربية، ويكون أعوانه في المدن الأخرى قد قاموا بذات عملية الاحتلال، فينتهي بذلك مأساة تهويد فلسطين التي لم تَحُل

دونها حتى الآن جميع المفاوضات والاحتجاجات والمظاهرات.

ولكن الخطأ الذي ارتكبه أحد أعوانه عرض الخطة إلى الفشل، ففي ليلة ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٥م كان المناضل محمود سالم المخزومي يقوم بالحراسة قرب قرية فقوعة، فشاهد دورية بوليس من الفرسان يقودها شاويش يهودي، وهي قادمة من مستعمرة عين حارود، فدب الحماس في المناضل الحارس عندما وجد أنه يسيطر على موقع يستطيع منه التحكم في الدورية، فأطلق النار على الشاويش اليهودي فقتله، إلا أن زميله استطاع الهرب، فأبلغ مركز البوليس بالواقعة، وفي اليوم التالي قامت قوات كبيرة بتطويق جميع القرى المجاورة، ولما اقتربت من مواقع أعوان القسّام اشتبكت معهم في قرية (البارد)، ونشبت المعركة التي استشهد خلالها المناضل الشيخ محمود الحلحولي، وقتل اثنان من البوليس الإنكليزي، وتطورت الأمور، فأيقنت حكومة الانتداب أن الثورة المسلحة قد أشرفت على القيام، وأن الجهاد الحاسم على وشك الاستنفار، عندئذ عقد اجتماع في مكتب المندوب السامي تقرر فيه ضرورة القضاء على هذه الثورة، وهي في مهدها مهما كلف الأمر قبل استفحال خطرها.

وأرسلت نجدات من رجال البوليس الإنكليزي من كافة المدن الفلسطينية إلى حيفا، تساندهم طائرات استكشافية، وفي صباح يوم ١٩ تشرين الثاني زحفت قوات البوليس إلى جبال جنين، وطوقت منذ طلوع الفجر قرى: يعبد، واليامون، وبرقين، وكفر دان، وفقوعة، وكان الشيخ القسّام مع أحد عشر مناضلاً في أحراش قرية (يعبد) في خربة الطرم في الجهة الشمالية الشرقية من يعبد.

أما إخوانه فهم: الشيخ محمد الحنفي أحمد، والشيخ يوسف الزيباوي، والشيخ حسن الباير، والشيخ أحمد جابر، والشيخ أسعد كلش، والشيخ نمر السعدي، وعرابي البدوي، وتوفيق الزيري، وناجي أبو زيد، ومحمد يوسف، وداود خطاب.

* **معركة يعبد:**

وعرفت القوات الإنكليزية أنَّ الشيخ القسّام هو قائد الثورة، وأنه يقيم في أحراش يعبد، فأرسلت إليه خمسمئة جندي فرضت عليه طوقًا بحيث لا يمكنه الانسحاب، كما لا يمكن للنجدات أن تصل إليه.

«وحين طلب منه أن يستسلم أجاب إننا لن نستسلم إن هذا جهاد في سبيل اللَّه، والتفت إلى زملائه قائلاً: موتوا شهداء».

ودارت معركة بين قوتين غير متكافئتين بالعدد والعدة، وكان كل مجاهد يقاتل أربعين جنديًّا، ونشبت المعركة في الفجر، واستمرت حتى الظهر، فانتهت باستشهاد قائد الثورة الشيخ عز الدين القسام، والشيخ محمد الحنفي أحمد، رفيق جهاده في سوريا، والشيخ يوسف الزيباوي، كما جرح جميع إخوانه.

ووقع في الأسر الجرحي من المناضلين وهم: أحمد جابر، وعرابي البدوي، ومحمد يوسف، وتمكن الآخرون من الإفلات من طوق الجنود، وقد قتل من الإنكليز عدد كبير، إلا أن البلاغ الرسمي لم يعترف إلا بمقتل ثلاثة جنود.

ثم أصدرت السلطات البريطانية بلاغًا نعتت فيه القسام وصحبه بالأشقياء. وجرت بعد ذلك محاكمات تاريخية للأسرى من الجرحى وغير الجرحى.

وبذلك تمكن الإنكليز من القضاء على قائد الثورة وعدد من إخوانه الأبرار، وفشلت الخطة المقررة لاحتلال دوائر الحكومة في حيفا، والاستيلاء على الأسلحة التي ستسلم إلى المجاهدين للقيام بأعمال ثورية واسعة، لمنع إقامة دولة يهودية في أي جزء من أرض فلسطين.

وبعد سقوط العالم القائد المجاهد الشيخ عز الدين القسام واثنين من إخوانه الأبرار في ساحات الشرف والكرامة، واعتقال خمسة منهم، اضطر الآخرون إلى الاختفاء في الجبال لإتمام رسالة القسّام الثورية المقدسة في الوقت المناسب.

ولقد أكرم سكان مدينة حيفا البواسل الشهداء الأبرار، وتحدوا السلطات الغاشمة، وجرت جنازة مهيبة، اشترك فيها عشرات الألوف من أبناء الشعب، وجرت مظاهرات أثناء تشييع جنازة الشهداء، حيث هاجم أبناء الشعب الثائر دوائر البوليس، والدوريات الإنكليزية بالحجارة.

ونشرت تلك المظاهرات وعيًا في صفوف الشعب الفلسطيني العربي المسلم، وأخذ كل فرد يفكر بالثورة المسلحة على الظلم والطغيان، وأخذ إخوان القسام من العلماء يحرضون الشعب على القتال، وكان للعالم الشيخ كامل القصاب وزملائه دور بارز في استلام زمام المبادرة بعد القسام.

وسار موكب الجنازة مجللاً بالأعلام العربية، حيث صُلي على الشهداء في المسجد الكبير، وشيع القسّام إلى مقره الأخير في قرية الياجور التي تبعد عن حيفا نحو عشرة كيلو مترات، سارتها على الأقدام حاملة نعش الشهيد، فكان مشهدًا رائعًا من المشاهد الحقة.

وقد نُعِيَ الشهيد عز الدين القسام وصحبه من مآذن المسجد الأقصى

ومساجد فلسطين، وصلى الناس عليهم في كل مكان صلاة الغائب.

وفي اليوم التالي كتب الأستاذ أكرم زعيتر واصفًا الجنازة فقال:

«هل رأيت اليمّ الصخّاب، الجائش الفوّار، المتلاطم الأمواج الموّار، المُرْغي المزبد الهدّار؟ هل رأيت البراكين المضطرمة تقذف الحمم والنار؟ هل سمعت الرعود القاصفة تجلجل؟ هل أحسست بالعواصف العاصفة تتدافع؟ هل رأيت الأتون المستعر المتلظي المتأجج الوهاج؟

إن لم يكن هذا، فسل مَن مشى في موكب الشهداء في حيفا التي دوّت صرختها اليوم في الآفاق، وتصاعد زفيرها إلى أجواز الفضاء.

كل ذلك من أجل عصابة أشقياء!! أستغفر اللّه، بل عصبة شهداء.

يقول البلاغ الرسمي: إنها عصابة من الأشقياء، وتقول الأمة الحية التي مشت في موكب التشييع: كلا، إنهم أبنائي، وذُوّادي، إنهم مهجي وشهدائي.

وفطن أهل فلسطين إلى الغرض الذي أراده القسام باستشهاده.

وبذلك يكون المجاهد الشيخ عز الدين القسام أول من عمل عملاً مركزًا للثورة وزرع بذور الحقد على الاستعمار البريطاني الغاشم وربيبته الصهيونية، وترك للأمة عشرات المخلصين قاموا بالدور الرئيسي البارز بالثورة الكبرى التي اندلعت في ١٥ نيسان سنة ١٩٣٦م[١].

وقد أزعج القسام السلطة المنتدبة حتى بعد موته، فقد استدعى مدير المطبوعات أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها، وحظر عليهم كتابة شيء عن القسام، وهدد بمحاكمتهم وتعطيل صحفهم.

---

(١) «جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن» ص(١٧٧).

ولقد ألقت ثورة القسام ظلاً كبيراً على المسرح السياسي الفلسطيني، وأصبحت كل محاولة لإقامة تقارب بين الفلسطينيين والسلطات الحكومية محكومًا عليها بالفشل.

وبموت الشيخ القسام انطوت صفحة مجيدة من صفحات البطولة والتنظيم والتخطيط الإسلامي في معارك فلسطين، إلا أن ثورة القسّام لم تمت بموته، بل بقيت منارة لأحرار فلسطين يؤمنون بأنه لا حياة لهم ولا كرامة بدون السير على خط ونهج الثورة في الكفاح والجهاد لإعداء كلمة اللّه فوق أرض اللّه المقدسة، وانطلاقة لهم منها إلى جهاد أعم وأشمل.

قال الشاعر محمد صادق عرنوس:

من شاء فليأخذ عن القسام
أنموذج الجندي في الإسلام
وليتخذه إذا أراد تخلصًا
من ذله الموروث خير إمام
ترك الكلام ورصفه لهواته
وبضاعة الضعفاء محض كلام
أو ما ترى زعماءنا قد أتخموا ال
آذان قولاً أيما إتخام
كنا نظن حقيقة ما حبروا
فإذا به وهم من الأوهام

ويقول الشاعر فؤاد الخطيب في قصيدة له[١] :

أولت عمامتك العمائم كلها
شرف تقصر عنده التيجان
إن الزعامة والطريق مخوفة
غير الزعامة والطريق أمان
ما كنت أحسب قبل شخصك أنه
في بردتيه يضمها إنسان
يا رهط عز الدين حسبك نعمة
في الخلد لا عنت ولا أحزان
شهداء بدر والبقيع تهللت
فرحًا وهش مرحبًا رضوان

قال القسام ـ رحمه اللَّه ـ:

«ليس المهم أن نحرر فلسطين في بضعة أشهر، بل المهم أن نعطي من أنفسنا الدرس للأمة، وللأجيال القادمة»[٢] .

قال الأستاذ محمد حسن شُرّاب:

«استشهد القسّام فوجدوا في ثيابه مصحفًا، وأربعة عشر جنيهًا. وزعم بعض المؤلفين أن القسّام باع بيته في حيفا قبل خروجه فسألت الأستاذ عبد الرحمن بن محمد الحنفي هل كنتم تمتلكون بيوتًا؟ فقال: إن

(١) «صوت الشعر في قضية فلسطين» لمحمد صادق عرنوس ص(٢٧).
(٢) «عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين» لمحمد حسن شراب ص(٣٠١).

القسّام لم يمتلك بيتًا، وإنما كان يسكن بيتًا مستأجرًا»[١] .

* إنك واللّه اليوم أخطب منك حيًّا :

▫ «أجمل وأبلغ ما قيل في أثر استشهاد القسّام[٢] في الأمة قول أكرم زعيتر في يوم جنازة القسّام: «لقد سمعتك قبل اليوم خطيبًا مفوّهًا، تتكئ على السيف، وتهدر من على المنبر، وسمعتك اليوم خطيبًا تتكئ على الأعناق، ولا منبر تقف عليه، ولكنك واللّه اليوم أخطبُ منك حيًّا».

ذلك أن استشهاد القسّام كان أبلغ خطبة سمعها الناس، فكان للشهادة تأثير دائم، وكانت الشهادة أنشودة الجهاد في جميع المعارك التالية.

وبعد ثلاثة أيام من استشهاد القسّام كتب أكرم زعيتر يقول: «ليس من سبيل إلى الخلاص إلاّ الجهاد الدامي، وقد فتح فقيدنا القسّام الباب فلنلجْه، وإنا لفاعلون، إنها دعوة جديدة أخذت تظهر على ألسنة الناس، ويجهر بها الكُتّاب، لم نكن نعرفها من قبْل، نفخت في الأمة روحًا لم تكن تفطن لها»[٣] .

▫ وقال عجاج نويهض: «سافر القسّام، وكان جواز سفره الأكبر مصحفًا في جيبه وقلبه».

▫ وقال حمدي الحسيني: «إن القسّام عدّل من هذه القضية ما اعوجّ».

---

(١) «عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين» ص(٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٢) لا نجزم بالشهادة لأحد إلا ما جزم له الرسول ﷺ ونحسبهم شهداء عند اللّه ونكل أمرهم إلى اللّه.

(٣) «عز الدين القسام» لشراب ص(٢٠١).

وقال صبحي الخضراء: «إن القسّام قضى على الردّة التي أفسدت على البلد اتجاهه».

وقال أحمد الشقيري: «حاول الإنكليز أن يَصِموا القسّام بإشاعات كثيرة، منها: أن الشيوعيين هم الذين استخدموه. كذبوا كذبوا».

وقال أكرم زعيتر: «بالأمس دفنّا القسّام، ودفنّا معه العدل. البريطاني. لماذا التمجيد والتأبين ألأنهم ماتوا؟ كلا، بل لأنهم عرفوا كيف يموتون، وأيّ سبيل إلى الجنة يسلكون، القسّام خاطب العاتي بأفصح لغة، وأكرم بيان، فتح في القضية باب الجدّ، ودقّ بيده المضرّجة باب المجد».

وقالت جريدة الجامعة العربية بتاريخ ٣/ ١/ ١٩٣٦م: «يحتفل أبناء فلسطين بإحياء ذكرى مجاهد من «سوريا الشمالية» سقط شهيدًا في سبيل استقلال «سورية الجنوبية»، وليس ذلك فحسب، بل قاد حملة جهاد لعلها الأولى من نوعها في تاريخ الإسلام الحديث في فلسطين وسورية والشرق العربي بأسره».

«يُجمع المؤرخون الذين عاصروا العقد الرابع من القرن العشرين على أن استشهاد القسّام كان المولد، والحياة والقدوة للشعب الفلسطيني في جميع مراحل نضاله، حيث قدّم القسّام إلى الشعب المسلم في فلسطين المثل الأعلى في الجهاد الذي كان ينتظره وألهبت حركته واستشهاده في الشعب الحماس، وصارت مثلاً للجرأة والجهاد العلني ضد الإنكليز. وأجبر أصحاب الاتجاهات السياسية والفكرية على الإقرار بتفوق العمل القسّامي على كل عمل يسبقه، وقوة تأثيره فيما لحقه، ولم يتفق الكُتّاب والمؤرخون على صحة زعامة رجل عمل في الحقل الوطني

كما اتفقوا على استحقاق القسّام لقب الزعيم والقائد»[١] .

❑ وقال أكرم زعيتر في رسالته إلى المندوب السامي في ١٩/ ٤/ ١٩٣٦م: «إن شخصًا كالشيخ عز الدين القسّام لا ينتمي إلى عائلة كبيرة، ولا يمت بصلة إلى الزعامات الحكومية، ولم يرشح نفسه لكرسيّ من كراسيها، يتمتع برعاية وتقديس واحترام لا يحلم بمثله أكبر زعيم».

❑ وقال «عجاج نويهض» يصف حال فلسطين بعد استشهاد القسّام: «كانت فلسطين تُولد رُوحيًّا ولادة ثانية. صارت صورة القسّام وحوارييه كأنها آية نجوم سماوية تضيء، لا فلسطين وحدها، بل الرقعة العربية كلها، اكتسحت نفوس الناس موجة كلها عواصف وزعازع، وزفير كزفير النار. ابن العاشرة استوى في هذه الموجة مع ابن العشرين والثلاثين والأربعين، حتى التسعين فما فوق، النساء أصبحن يحملن الروح القسّامية أشد من الرجال.

❑ وصل تأثير استشهاد القسّام إلى عواصم الأقاليم العربية، وأرسل الدكتور أمين رويحة من بغداد لأكرم زعيتر برقية قال فيها: «لقد أحيا القسّام وإخوانه في نفوسنا الأمل، بعد أن كدنا نفقده، وليتني علمت بعصابتهم قبل الآن، لكنتُ واللَّه أوّل من ينضمّ إليهم، فهذا واللَّه سبيل الخلاص وَحْدَه».

❑ وقال المؤرخ عمر أبو النصر مؤرخًا ثورة ١٩٣٦م: «إن الثورة لم تبدأ في نيسان سنة ١٩٣٦م، بل بدأت يوم تشييع القسّام، يوم رأينا حيفا

(١) «عز الدين القسّام» لشرّاب ص(٣٠٩ ـ ٣١٠).

تضطرب في موجة حزن، وتجتمع في نعش ميت، وتخرج بأعلامها ورايتها وآلامها وأحزانها ونسائها وشيوخها وشبابها، تضع هذا كله على بضعة أشبار من الأرض استراح إليها بطل، ضحكت أمانيها على فمه، ولم تفطن إلى عبقريته وتضحيته حتى سقط على أرضها صريعًا، عندئذ فَطِنت إلى عِظَم ما قام به في سبيلها، وكيف أنه نفخ فيها روحًا لم تكن تفطن لها مِن قبْل... وكذلك جعل اللَّه من جثة القسّام الهامدة وطنًا يُشعِر بالحرية، ويعيد للذكرى التضحيات، بل يَا لَهُ من جسدٍ لم يكد الموت يتلقاه حتى أفاض الحياة على هؤلاء الذين يعيشون على الأرض من غير أن يفطن واحدٌ منهم إلى أضواء الحياة».

قال القسام:

«إن الصليبية الغربية الإنجليزية، والصهيونية الفاجرة اليهودية، تريد ذبحكم كما ذبحوا الهنود الحمر في أمريكا، تريد إبادتكم أيها المسلمون، حتى يحتلوا أرضكم من الفرات إلى النيل، ويأخذوا القدس، ويستولوا على المدينة المنورة، ويحرقوا قبر الرسول ﷺ، إنهم يريدون اللعب بأمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وتحويلهن إلى خدم وسبايا!!.

يا ويلكم ألا تفهمون؟ رسول اللَّه ﷺ يقول: إذا ديس شبر من أرض المسلمين، فعلى المرأة أن تخرج بغير إذن زوجها[1]، وعلى الولد أن يخرج بغير إذن أبيه، أيها المسلمون ألا تفهمون؟

أيها المؤمنون، فرض اللَّه علينا الجهاد ليحمينا به، ليحمي أرضنا

(١) هذا في جهاد فرض العين. ليس هذا بحديث، ولكن هذا ما فهمه أهل العلم من النصوص الآمرة بالجهاد إذا أصبح فرض عين... حين يداهم العدو بلدة بعينها فيصير الجهاد فرض عين على أهل تلك البلدة.

وعرضنا، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ لقد ملأ اليهود بلادكم، ولقد سرقوا أرضكم.

ولما حان الوقت المناسب، صرخ القسام من فوق منبر الاستقلال بألوف المسلمين: «باسم اللَّه نعلن الثورة، سأخرج فورًا إلى الجهاد، لن أعود إلى هذا الجامع إلا بعد طرد الإنجليز واليهود»[1].

وخرج ولم يعد، لا لشيء إلا لأنه سقط شهيدًا».

* **الحمد للَّه الذي شرفني باستشهاد أبي:**

وفي أول مؤتمر نسائي عربي في التاريخ عقد لأجل فلسطين عام ١٩٣٨م وقفت ميمنة ابنة الشهيد عز الدين القسام خطيبة في وفود النساء، وحدث في أثناء إلقائها الخطاب أن غلبها التأثر، وبدرت منها بادرة إغماءة، وكان ذلك التأثر البالغ، يبدو جليًّا على العموم، دموعًا أو تصفيقًا، فأجلست، وأحضر الماء لرشه على وجهها وسارعت السيدة ساذج نصار، فتناولت الخطاب، وراحت تكمله بإلقاء موفق، ولكن لم تكد تلقي فقرات منه، حتى نهضت ميمنة، واستعادت وعيها، وتناولت الخطاب في عاصفة من التصفيق، واستأنفت إلقاءه ومما جاء فيه:

«هل تسمحن أن تتكلم عربية يا سيداتي، أبوها شيخ جليل، وعالم من علماء الدين، له أنصار وتلاميذ، ألف منهم عصبة كريمة مجاهدة، ومضى بهم إلى أحراش يعبد وروابي جنين.

وهنالك وقف في مواجهة جيش الظالمين، وهتف بإخوانه:

---

(١) «الإسلام وحركات التحرير العربية» ص(٢١٠).

(٢) «عز الدين القسام» لعوني العبيدي ص(١٤٢ ـ ١٤٣).

اللَّه أكبر، اللَّه أكبر. ثباتًا ثباتًا موتوا في سبيل فلسطين، وما هي إلا ساعة حتى كان أبي وملاذي، الشيخ عز الدين القسام، صريع الظلم والعدوان يخضب دمه عمامته البيضاء، ويسقي شجرة الاستقلال في ثرى فلسطين، وقال التاريخ: عز الدين أول شهيد في الثورة، دق باب الحرية بيده المخضبة بالدماء، فكان استشهاده أستاذًا في الفداء، أما طلابه ومريدوه فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

نعم، منهم من خاض الغمرات وغشي المعامع، واستبسل في الوقائع، وهو لا يزال في الجبال، والوهاد، في المغاور والكهوف، لم يلق سلاحه، ولم يستسلم، حتى تنجو فلسطين من كيد الكائدين.

أما أنا فلست أقول سوى: الحمد للَّه، ثم الحمد للَّه الذي شرفني باستشهاد أبي، وأعزني بموته، ولم يذلني بهوان وطني واستسلام أمتي»[1].

❑ قال الشاعر عبد الكريم الكرمي «أبو سلمى»:

إيه رجالَ العُرْب لا ... كنتم رجالاً في الوجودِ
قوموا اسمعوا في كل نا ... حيةٍ يصيح دمُ الشهيد
قوموا انظروا القسّام يُشـ ... ـرق نوره فوق الصرود
يُوحي إلى الدنيا ومَنْ ... فيها بأسرار الخلودِ

❑ وقال الشاعر حسن الباش:

يا أمتي في رُبا الإسراء ملحمةٌ ... فرسانها في ألحان صدى القسّام
ذاك الذي سطّر التاريخ من دمه ... وصاغ منبره عقل وإيمان

(١) «عز الدين القسّام» لعوني العبيدي ص(٨٨ ـ ٩٠).

❑ وقال الشاعر عبد الرحيم محمود:

حـفي اللسـان وجـفّت الأقـلام
والحـالُ حـالٌ والكلام كـلامُ
إني رأيتُ الحقَّ فَـصْل خطابه
يتلوهُ فينا الفيصل الصمصامُ
اصهـر بنارك غُلّ عُنْقك ينصهرْ
وعلى الجماجم تركزُ الأعلامُ
وأقم على الأشلاء صَرْحَك إنما
من فوقها تُبنى العُلا وتُقامُ
وخذ الحقوق إليك لا تَسْتَجْدِها
إن الأُلى سلبوا الحقوق لئامُ
هذي طريقك للحياة فلا تَزغْ
قد سارها من قبلك «القسّام»
ذاك الذي هجر الكلام لِفَتْكَةٍ
بِكْرٍ وهلْ فكَّ القيودَ كلامُ؟[1]

(١) عبد الرحيم محمود (١٩١٣ ـ ١٩٤٨) شاعر مجاهد من قرية «عنبتة» بقضاء طولكرم، استُشهد في معركة الشجرة بمنطقة الناصرة، وكان ضابطًا في جيش الإنقاذ... تنبّأ بضياع القدس منذ ١٩٣٥م عندما خاطب الأمير سعود بن عبد العزيز يوم زار فلسطين سنة ١٩٣٥م فقال:

يا ذا الأميرُ أمام عينك شاعرٌ ... ضمّت على الشكوى المريرة أضْلُعُهْ
المسجد الأقصى أجئت تزوره ... أم جئتَ من قبل الضياع تودّعه
وغدًا وما أدناه لا يبقى سوى ... دمعٍ لنا يهمي وخدٍّ نقرعهْ

* هذا عزّ الدين فماذا قال الساسة:

«في سنة ١٩١٩م جاءت إلى اللاذقية لجنة من الأمريكيين لاستفتاء الناس في شأن مصيرهم، واختيار دولة تكون وصية عليهم فشخص وفد من جبلة لمقابلتها، وكان الشيخ من أعضائه، وعندما سُئل عن رأيه جهر بالقول: لا وصاية، ولا حماية، فقال رئيس اللجنة: نعتقد أنكم لا تستطيعون إدارة أنفسكم، وحماية بلادكم، فردّ الشيخ قائلاً:

«إننا نستطيع، وليس غيرنا أقدر منا على ذلك، ولدينا قوّة لا يملكها سوانا»[١].

وأخرج المصحف من جيبه وقال: هذه قوّتنا».

□ بعد ستة أيام من موت القسّام اجتمع ممثلو الأحزاب السياسية مع المندوب السامي وقدّموا له مذكرة جاء فيها: «إنهم إذا لم يتلقَوْا جوابًا عن مذكرتهم، يكونُ مُرضيًا فإنهم سيفقدون كل ما يملكونه من نفوذ على أتباعهم، وعندئذ تسود الآراء المتطرّفة غير المسؤولة، وتتدهور الحالة سريعًا»[٢].

فجعلوا الخوف على النفوذ والمراكز دافعًا لتحقيق المطالب، وجعلوا إعلان الجهاد بالسلاح سلوكًا متطرفًا!!

* شِنْشِنة أعرفها من أخزم[٣]:

قد أعاد التاريخ نفسه بعد ستين عامًا، فسَرَت هذه «الشِّنْشِنة» من

(١) «عز الدين القسّام» لشُرّاب ص(٣٧٠).

(٢) المصدر السابق ص(٣١٤).

(٣) مثل عربي. والشنشنة: الطبيعة والسجيّة، وكان أخزم عاقًّا لأبيه، فمات وترك بنين عقّوا =

أخزم إلى أولاده، فما زلنا نسمع العبارة نفسها من المفاوضين والرؤساء، والقوّاد «إذا لم تعطونا ـ الأقل من القليل ـ ساد المتطرفون والإرهابيون» فعدَّ أبناء أخزم المطالبة بفلسطين كلها تطرفًا وإرهابًا.

البحثُ عن قبرٍ لعز الدين القسّام[1]

(١)

أحملُ مصباحَ «ديوجينَ» وأمضي روحًا هيمانْ
أبحثُ عن رجل بين الأحياءْ
يا من يهديني لطريق
يحملني للإنسان!!
للرجلِ الإنسانْ!!
لكن النهر الفياض بوطني صار عقيمًا
لاينجبُ إلا الفقاعاتْ
والأرض المعطاء الحبلى
ما عادت تنبتُ إلا القات..
والمعتقلات
ـ يا من تحملُ مصباحك في التيهِ الأعظم
إن تهتفُ في عصرِ الغربة
«لا قوةَ إلا باللّه..»
تخرسك ألوفُ الأصواتْ

= جدّهم وضربوه فقال الجدّ ذلك.

(١) قصيدة للدكتور جابر قميحة ـ القدس مجلة العدد ١٧ ـ صفر ١٤٢١ ص(٥٨ ـ ٦٤)... كم هي جميلة إسقاطاتها وما تحمل من معاني.

« لا قوة إلا بالعُزى . . .
لا قوة إلا باللاّتْ . . . »
فالعصرُ مَواتْ . .
عصرُ الأنطاعِ الأوثانْ
عصرُ الخصيانْ
عصرُ العُرجانِ العميان
لا عصرُ الرجلِ الإنسان

❀ ❀ ❀

يا شاعرَ عصرِ الغربةِ . . والكُربة
أطفئْ مصباحَك
وفر زيتكَ . .
وتوكلْ
لا تبحثْ عمَّن تطلبُ في الأحياءْ
من تبحث عنه استُشهدَ . . . مات
من تبحثُ عنهُ محضُ رفاتْ
اطلبه هناك
في أرض المسرَى في الأموتْ

(٢)

يا عزَّ الدينِ القسام
يا ابنَ الإسلامْ
يغلبني الشوقْ
يهتف في أعماقي صوتٌ من أعماقِ الغيبْ

يهزّ كياني
كي أسعى نحوكْ
أن أمضي للقبرِ الثاوي في أرضِ المسرى المنهوبةْ
أستنشقُ عَبَقَ المجدْ
في طيبِ اللحدْ

❁ ❁ ❁

لكنْ قالوا لي:
«حتى تجتازَ حُدودَ الوطنِ إلى الأرضِ المسلوبةْ
إذنُ الملكِ المنصورِ ضرورهْ
تذهبُ للقصرِ العامرِ
وتسجلُ اسمكَ في دفترْ
يُسْمَى بسجل التشريفاتْ
تحت عباراتٍ تكشفُ عن إخلاصٍ وَافٍ
لا أي عباراتْ»

❁ ❁ ❁

لكنْ...
لا أدري ماذا أكتبْ
ولقد عشتُ شريفًا
وعفيفًا
أمضي سنواتِ العمرِ رفيعَ الرأسِ نظيفًا
ملكًا يحتقر التاجْ

مملكتي قلبٌ نبوي
وسلاحي قلمٌ نوويُ
لم ينبضْ إلا بالحقْ
ينشقُّ الصخرُ ولا ينشقْ
لكنَّ كرامةَ ذاتي مهما عَظُمتْ
يغلبُها الشوقُ إلى الأحبابْ
في عصرٍ يحكمُهُ الخصيانُ بِشرعِ الغابْ
معذرةً يا نفس
هُوني لحظة
أو لحظاتْ
من أجلِ شهيدٍ ظلَّ يقاتلُ حتى ماتْ

(٣)

مسئولُ التشريفات ـ على ما يبدو ـ رجل طيبْ
استنتجَ أني قرويٌّ طيّبْ
أملاني... اكتُبْ
« مولايَ الملكَ المنصورَ... طويلَ العمرْ
يسعدني أن تأذنَ لي
أن أرحلَ لزيارةِ قبرِ عزيزٍ ماتْ...
استشهدَ... »
ـ ويرن التلفون بحجرةِ رجل التشريفات
يتوقفُ رجل التشريفات عن الإملاءْ

يظهرُ أن المتحدث ذو حيثيّةْ
فرئيسُ التشريفاتْ
نبرتُه في الهاتف جدٌّ خفيضةْ
تتدفقُ بالأدبِ الجمْ
ماذا لو أكملُ شخصيًّا باقي الفِقرةْ
ما دام سيادتُه مشغولاً . . .
أكملت :
« استُشهدَ من زمن زادَ على نصفِ القرنْ
في أرض الأقصى المسلوبةْ
وأخيرًا : أدعُو لجلالتِكم بالسعدِ وطولِ العمرْ »
توقيع :
المخلص جابرُ « ابنُ » قميحةْ
أستاذٌ في جامعة تدعى « عين الشمس »
والألسنُ اسمُ الكليةْ
ومعارٌ للعام الخامسِ في الجامعةِ الإسلامية

(٤)

رجلُ التشريفاتْ
يضعُ السماعة في عصبيةْ
ـ هيه . . . أسمعني ماذا أمليتُ عليكْ
ـ أمليتَ سيادتُكم جزءاً
وشُغلتم بالتلفون . . .
أكملتُ أنا الباقي حتى لا أهدر وقتَ سعادتِكم

ـ أسمعني كلَّ المكتوبْ

ـ «مولاي الملكَ المنصورَ... طويل العمرْ

يسعدني أن تأذنَ لي

أن أرحلَ لزيارة قبر عزيز ماتْ

استشهد من زمن زاد على نصفِ القرن

في أرضِ الأقصى المسلوبةْ

وأخيراً أدعو لجلالتكم بالسعدِ وطول العمرْ»

توقيع: المخلص جابرُ «ابنُ» قميحهْ

أستاذ في جامعة تدعى «عين الشمس»

والألسنُ اسمُ الكليةْ

ومعارٌ للعام الخامسِ في الجامعةِ الإسلامية

❀ ❀ ❀

ويثورُ رئيسُ التشريفاتِ بصوتٍ كزئير الريحْ

ـ يا عجباً ... تعجلُ في إكمالِ كلامي بكلامٍ لا

يحملُ معنى..

عندكَ أولاد؟؟

ـ خمسةْ... غيرُ رفيقةِ عمري... الزوجةْ

ـ أتريدُ تُرمِّلُ زوجَك يا مسكينْ؟

أتريدُ تيتمُ أولادكَ؟

أو في أحسنِ فرضٍ تغلقُ أبوابَ المستقبلِ في أوجُههمْ؟

كلماتك حتى الآن...

لا تكشفُ عن جوهرِ إخلاصِك

ـ ماذا أفعل؟
أشطُبُ ما خطتْ يمنايَ...
وهذي المرةَ لا أكتبُ إلا ما تُملي.
ـ ههْ.. أستاذٌ في جامعة يجهلُ
أنَّ الشطبَّ بمستندٍ رسميٍّ يعتبرُ جريمةْ!!
وسجلُ التشريفات
في قانون الدولة ـ إن لم تعلمْ ـ
أعلى مستندٍ رسميْ
لكنْ... أكملْ.. أكُتبْ:
« ملحوظةْ:
مثلُ العنوانْ..
تكتبُ في الآخرِ لكنْ في الأول تُقرأْ
ما أنسانيها الشيطانْ
بل أنسانيها شدةُ إحساسي...
فيضُ شعوري
بجلالِ الملك المنصورْ.
يا منصورُ أدامَ اللَّه بقاكْ
وأذلَّ اللَّهُ عداكْ
أنا لا أنتسب لحزب أيًّا كانْ
وليسَ وراءَ زيارةِ هذا القبرْ
ما يدعوه الناسَ سياسةْ
أفديكَ ـ طويلَ العمرِ ـ بروحي وبأولادي
وبآبائي، وبأجدادي، وبأحفادي، وبجامعتي،

وبما تملكُ يا منصورُ يميني.

التوقيع: المذكور بأعلى الصفحةْ

(٥)

وهنالِكَ في صدرِ البهو الأعظمْ
وعلى عرشٍ من ذهب إبريزْ
كانَ طويلُ العمرِ مهيبًا يجلسْ
ولأنَّ الملكَ المنصورَ يحبُّ الشعرْ
صدحَ الشعراء بما نظموا.
كانوا قيعانًا.. غربانًا
نعبتْ بنفاقٍ منكوسْ
القاعُ الأول:
خيبان بن الهايفْ... يمضي فيقول:
بسيفكَ يعلو الحقَّ والحقُّ أغلبُ
وترعبُ إسرائيلَ إن شئت تضربُ
فسيفكَ من نار تمجُّ... لهيبها
وليسَ لهم من نار سيفك مهربُ
إذا كان دينُ القوم غدرًا وخسةً
فإن الجهادَ المرَّ عندك مذْهبُ
بسيفكَ يا منصورُ أنتَ مُغلَّبُ
وباراكَ مقهورُ ذليلٌ يُغلبُ
وشتانَ ما طورٌ أشمُّ وقاعُهُ
وشتانَ ما ليثٌ هصورٌ وأرنبُ

❁ ❁ ❁

وسمعتُ القاعَ الثاني
عنينَ بنَ المجبوبِ يقول
ما شئتَ لا ما شاءت الأقدارُ
لا سيفَ إلا سيفُك البتَّارُ
فرِّقْ بسيفكَ جمعَ كل كتيبةٍ
فالسيفُ في يمناك عزمٌ نار
ولأنتَ منصورٌ، وغيرُك مدبرٌ
متعثرٌ، متمزقٌ منهارُ
يأيها المنصورُ دمت مظفراً
حتى يُنَالَ على يديك الثَّارُ

❁ ❁ ❁

وسمعتُ القاع الثالث: وسنانَ بنَ الهرمةِ يُنشدْ:
إذا نطقَ الأعداءُ فهو هُراؤهم
وإن نطقَ المنصورُ فهو جهنمُ
وسيفَكَ إن تَرفَعْ بوجه عدونا
تهتَّكَ وجهُ الليل والليلُ أبْهمُ
ويُنْهلُ «باراك» إذا ما بَدَهتهُ
فلا قلبه قلبٌ ولا يَنطقُ الفمُ
إذا ما عزمتَ العزم ذابت جيوشُهمْ
فليس يُرى إلا الجماجمُ والدمُ

(٦)

يا عزَّ الدينِ القسامْ

يا بنَ الإسلامْ
ما اهتزتْ نفسي للشعراءِ الغربانْ
القيعان
جوقةِ كل بلاطٍ في كل زمانْ
لكنني اهتز كياني الموجوعُ
وتمزق قلبي المصدوعُ
إذ أسمعُ سيفَ المنصورِ
ينشج في صوتٍ مصدورِ
يتحدث بالهمس المخنوقِ لغمده:
ـ أطلقني
للّه.. ولوْ لحظةْ
فُكَّ إساري ـ يا غمدُ ـ ولو لحظةْ
إني أختنقُ وأحتضرُ.
من سنواتٍ
وأنا في لحدكَ أحترقُ
وعداً منّي
أطلقني أتنفسُ لحظةْ
ثم أعودُ إليك
ـ لا.. لا أقدرُ يا مسكينُ على ذلكْ
فأنا أعلمُ
ـ إنك أيضاً تعلم يا مسكين ـ
أنك عبدُ المأمورْ

وأنا لا أعدو كوني عبدَ المنصورْ
أنا يا خِدني ما أغمدتك طوعًا في أحشائي
فوجودك يحزنني.. يُؤلمني
يُدْمي بُنياتي..
يصدئُ جُدراني
لكنَّ الملكَ المنصورَ طويل العمرْ
أصدر فرمانًا مرقومًا
بالسابعِ والستينَ وتسعمائةٍ بعدَ الألفْ:
نصُّ المرسوم ـ على ما أذكر ـ
«باسم الشعْبْ
مرسومٌ لا يقبلُ نقضًا أو إبرامْ
يُتحفظُ في الغمدِ على سيفي هذا
إكرامًا لجلال السيفْ
[تفسير]:
قد جاءَ قراري ـ نحنُ الملكَ المنصورْ...
من منطلقٍ إنسانيٍّ بحتْ
فأصونُ جلالةَ سيفي أن تتنجسَ بدم الكفارْ
وأنا الملك الطاهرُ من نسلِ الأطهارْ
أجنحُ للسلمْ ما أبشعَ في نظري لون الدمْ»

(٧)

يا عزّ الدين القسّامْ
يا بنَ الإسلامْ...

وتركتُ السيفَ بقصرِ الملكِ المنصورِ
يجودُ بآخرِ أنفاسهْ
وشهدتُ الخيلَ بساحةِ قصرِ المنصورِ
طويلِ العمرْ
تتثاءبْ...
تتمطَّط..
تتمرغُ في أعْشابِ الذلْ
تثْقلُها أسرابُ ذباب ترقدُ في أعينها
تمتصُّ الباقي من لمعانٍ وبريقٍ
ورثتهُ من خيلِ الخندقِ واليرْموكْ..
سَلْها... صدِّقني
غشيتْ أعينُها في ليلِ القصرِ
حبيسةَ ذلٍّ وخنوعْ
ما عادتْ ـ يا عز الدين ـ تشاهدُ صبحًا
أو تضبحُ صبحًا
أو توري قدْحًا
أو تبعث نقعًا
أو تتوسط جمعًا.
... فأتيتُ إليكْ
أبكيكَ بماءِ القلب.... وأبكيني
علَّ دموعي تطفئُ ما يجتاح ضلوعي
من أوجاعي

أبكي سيفًا يستصرخُ
مخنوقًا.. محروقًا في زنزانةِ غمدْ
أبكي خيلاً سلخوا منها الصهواتْ
نسيتْ معنى الكرْ
ومعنى الفرْ
ومعنى الأمْرْ
ومعنى النهضةِ للنجدات
نسيتْ شكلَ القائد والفرسانْ
في زمن الذلة والغَثَيانْ
زمنِ القيعانِ الغربانْ
والخصيانْ

(٨)

لكنْ ضلَّت قدمايَ إلى قبرِكْ
ربَّاهْ...
إني لا أجهلُ هذا القبرَ فكيفَ أضِلْ!!؟
... ربّاهُ!!!
ورأيت بكفٍّ صبيٍّ صهيوني شاهدَ قبرِكْ
وعليه بقايا خط منقوش
« ... هذا قبرُ البطلِ القسامْ
.. عز الدين القسّام...
استشهد في الـ...»
والباقي مَمْحُوٌّ - يا عزَّ الدينِ - من الشاهدْ

والشاهدُ في كفِ الطفلِ الصهيوني
مضرب كرةٍ يلهُو بهْ
ـ يا ولدي...
إني من وطن يُدْعى «الوطنَ العربيْ
ـ العربي؟؟!!
لكنَّ مدرِّسَةَ الجغرافيا
قد أنهتْ منهجها الأمسْ
ما ذكرتْ أن خريطةَ هذا العالم كله
فيها وطنٌ يُدْعَى الوطنَ العربي
ـ لا يا ولدي.. وطنٌ ذو علمٍ مشهورْ
ومليك يُدْعى المنصورْ...
ـ منصور؟؟! شيءٌ مُضحكْ
أستاذُ التاريخْ
لم يذكرْ شيئًا عنِ شيءٍ يُدعَى المنصورْ
ـ يا ولدي.. دعنا.. منْ هذا
تتكرمُ... تُعطيني الشاهدْ؟!
ـ شاهدْ؟؟!!
ـ تعطيني اللوحَ الحجريَّا
ـ أوهْ!! تَعني المَضْرِبْ؟!
ـ أعني المَضربْ...
ـ لا... لا أقدرْ..
أختي وجدَتْهُ خلْفَ الحانةْ...

هذي الحانةْ
ومحوْنَا وسخًا أسودَ... كانَ عليه
نُقطًا... وحروفًا لم نفهمها
لكنْ ما زالتْ فيه بقيةْ...
وعدتني أمي أن تمحوها... بالسكينةِ أو ماء النار
ـ تعطيني المضْرب يا ولي بمقابل قطعةِ شكلاتةْ
ـ شكلاتة؟؟!
أمي تنهاني عنْ أكل الحلوى والشكلاتةْ
انظرْ أسناني ـ قالت أمي ـ
تتآكلُ مِنْ أكلِ الحلوى
ـ لا حلوى...
تعطيني المضربَ... أعطيكَ جنيهًا
ـ ولماذا؟
ـ لي ولدٌ مثلُك أهديه المضربَ في عيد الميلادْ.
ـ لكنْ يمكنُك بهذا المبلغ... بل نصفه
أن تحضرَ أجملَ بكثيرٍ منْ هذا اللوحِ الحجريّ.
ـ يا ولدي...
عجبًا أن ترفضَ أن تعطيني شيئًا...
ـ في الواقع ـ لا قيمةَ لهْ.
ـ إن كان صحيحًا ما تذكرْ
فلماذا تدفعُ فيه جُنَيْه؟
ـ يا ولدي... إني... أَصْلي... أَعْني... لكنْ!!

لكنِّي أبغي هذا المضربَ بالذاتْ
ـ لا أقدرُ
قالت لي أمِّي «إنَّا في وطني الأعظم إسرائيلْ
لا نمنحُ شيئًا للغرباءْ
أن نأخذ . . . آه
أن نعطي لا .
فالأخذُ غنيمةْ
والمنْحُ ـ كما قالت أمي ـ إثمٌ وجريمةْ»
أستاذُ التربية القومية في مدرستي كرَّر ذلك

(٩)

يا عزَّ الدين القسامْ
يا بن الإسلام
في ساحة قبرك ما عادَ هنالكَ قبرْ
لكنَّ مكان القبر بناءٌ يسبحُ في الأنوارْ
وأمامَ المبنى لافتةٌ زينت بالأزهارْ:
حانةُ كوهين الكبرى
الحانةُ تسهرُ حتى الفجرْ
موسيقا . . . وعشاءٌ راقصْ
برنامج حافلْ
داليدا تشدو
أغنية ما غنتها قبلُ بحانةْ
اسمُ الأغنية «كعك العيد»

لحنها الموسيقارُ الأعظم
... شأمُو بيد »
وقرأت هنالك أيضًا
في لوحة برنامج هذي الليلةْ
« سالومي في رقصةِ عشقٍ
ما رقصتها إلا سالومي التوراةْ
(رأس يُحنا) اسمُ الرقصةْ
بعد الرقصة تُطفأ في الصالةِ كلُّ الأنوارِ
لخمسِ دقائقْ »

(١٠)

يا عز الدين القسّام
يا بنَ الإسلامْ
وهنالك بعد الليل الفاجرْ
سقطَ القومُ نشاوى
وزحفتُ أعاني سُكرَ النكبةِ والمأساةْ
ونبشتُ الجدرانْ
وحملتُ رفاتَكَ من قاعِ الحانْ
وزحفتُ بأرض فلسطين وأرضِ العربِ المسروقةْ
أبحثُ عن قبرٍ...
كهْفٍ...
شبرٍ في الأرضِ
أوارِي فيه رفاتَكْ

لكنْ أعياني البحثْ
أدمى قدميَّ الإعياءْ
ما عاد هنالك في الوطنِ العربي مكانٌ
يتسعُ لقبر شهيد
أرضُ الأوطانِ العربية
شُغلتْ يا عز الدين القسّامْ
والخالي من أرض الأوطانْ
قد سُورَ بالأسلاكِ الشائكة الصمَّاءْ
وعليها لافتة كتبتها أقلامُ الذلِّ
بخطٍّ داعرْ:
« محظورْ...
التصويرُ هنا مَحْظُورْ
محجوزْ...
محجوزٌ لبناءِ عماراتٍ للإسكانِ الفاخرْ
محجوزْ...
محجوزٌ لمشاريعَ سياحيةْ
محجوزْ...
محجوزٌ لاستثمارٍ عاجلْ»

(١١)

يا عزَّ الدين القسامْ
يا صرخةَ حقٍّ نبعتْ من روحِ الإسلامْ
يا ألف وسامٍ في صدرِ الأيامْ

لم يبق مكانٌ لرفاتكَ
في أرضِ الوطنِ العربيِّ المسروقْ
وطني المسحوقِ المحروقْ
معذرةً يا عزَّ الدينْ
أعياني البحث
وكأني قابيلٌ يحملُ جثمانَ أخيه
لكنْ...
أني لي بغرابٍ يبحثُ في الأرضِ
يُريني...
أينَ أواري يا عز الدين رُفاتَك؟
معذرةً لا ألمحُ في الأفقْ غرابًا
معذرةً..
لا أملك إلا أنْ أزحفَ في هدأةِ ليلي المصلوبْ
لأعود إلى الحانِ المخمورْ
وأواري تحت جدار الحانِ رفاتَك
وأهيل تراب الموتِ عليك
ولأخمد أنفاسي بين يديكْ
وأوسدَ في القبرِ السافلِ
جثمانَ الشرفِ العربيْ
صرْنا يا عز الدين ثلاثةْ
لا... بل خمسةَ في قبرٍ واحدْ
يعلوه ألحان المخمورُ:

في البدْءِ رفاتٌ مقهورُ
وفتى يحيا عصرَ الغُرْبةْ
ينظمُ شعرًا
يُمليه القلبُ المفطورُ
والشرفُ العربيُّ الدامي
وحصانٌ مسلوخُ الصهوةْ
والخامسُ سيف المنصورِ
مثلومَ النخوةِ والسطوةْ
أصدأه الغمدُ السجانُ
وهوانٌ يتْلوهُ هوانُ
وليحْيَ الملكُ المنصورُ طويلُ العمر

* يا بلادي ما أعظم ما تنجبين من رجال!!!:

قُدِّم عدد من أصحاب القسّام إلى المحكمة، فاعترفوا بحمل السلاح والاشتباك مع الإنكليز.

❑ قال أحمد الشقيري يصفهم أثناء سجنهم: «وكانت سكينة الإيمان والتقوى ترتسم على وجوههم، وتتحكم في سلوكهم، ولم يكن فيهم ما ينبئ أنهم خرجوا من المعركة أمس، ولا حرج عليهم أن يعودوا إليها غدًا».

ومما قاله الشيخ نمر السعدي أمام المحكمة: «إنني أعترف بكوني صديقًا للقسّام، ومن أنصاره، وأعتقد أن الشيخ عز الدين القسّام على الحق في كل ما عمل، وليس على باطل، ولم تكن له مآرب شخصية، وإنما هو مجاهد في سبيل اللّه والوطن»، وقد هتفت الجماهير في المحكمة للمحكوم عليهم وهم خارجون من المحكمة، فخاطبهم الشيخ أسعد المفلح قائلاً: «لا تخافوا علينا، إننا لا نخاف أحدًا إلا اللّه نحن على حق، ولا تهمنا القوة، ما دمنا مؤمنين بحقنا، واللّه أكبر وللّه الحمد». فردّدت الجماهير «اللّه أكبر، اللّه أكبر».

❑ يقول أكرم زعيتر مذيّلاً ما نقلته عنه في محاكمة عصبة القسّام:

«إنني أكتب هذا وقشعريرة التأثّر تتملكني، يا بلادي! ما أعظم ما تُنجبين من رجال»[1].

* أول هجوم مسلح بعد استشهاد القسام:

وفي الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٩٣٦م قامت أول مجموعة

(١) «عز الدين القسّام» ص(٣١٥ ـ ٣١٦).

من إخوان القسام بقيادة الشيخ المجاهد فرحان السعدي والسيد محمود ديراوي بالهجوم المسلح على سيارات اليهود، وقتلت منهم ثلاثة، وجرحت آخرين على طريق (نابلس ـ طولكرم).

*** الموت للخونة:**

وكان القساميون لجؤوا في تلك الفترة إلى الاغتيالات الفردية لإرهاب الجواسيس وسماسرة الأراضي، فاغتالوا كثيرين، كان في مقدمتهم الضابط حليم بسطة مدير القلم السياسي في شرطة حيفا، وكانوا هاجموه في المرة الأولى وأطلقوا عليه الرصاص فجرحوه، ثم هاجموه بعد ذلك في رابعة النهار، ورموه بسبع عشرة رصاصة، استقرت في جسده، ولم يبرحوا المكان حتى تركوه جثة هامدة، ثم انصرفوا دون أن يتعرض لهم أحد أو تعرف أسماؤهم.

وحليم بسطة هذا ضابط مصري قبطي معروف بشدة ولائه للإنكليز، وبدهائه وبراعته في مقاومة كل حركة وطنية ولا سيما في حيفا، ويعتبر الجاويش أحمد نايف، المشهور بمطاردته للثوار، والذي قتل في أثناء الثورة من تلاميذه.

❑ أما أحمد نايف الجاسوس الذي وشى بعصبة القسام، فقد اغتاله المجاهدون في حيفا، قبيل محاكمة جماعة المجاهدين.

ومن أبلغ مظاهر الوعي الوطني أن المسلمين لم يكتفوا بالامتناع عن السير في جنازته، بل إنهم أغلقوا أبواب المساجد، وراحوا يحرسونها مقسمين ألا يسمحوا بالصلاة عليه، كما أبوا أن يدفنوه في المقبرة، فأرجأت السلطة دفنه حتى الليل، ثم عينت حارسًا له لئلا ينبشه النابشون.

وأما الذين ساعدوا في القبض على المجاهدين أو شهدوا زورًا أثناء محاكمتهم، فقد اغتالهم المجاهدون في أوائل عام ١٩٣٧م.

ففي ١٥/ ١/ ١٩٣٧م وفي تمام الساعة التاسعة أطلق مجهول في شارع الناصرة بحيفا رصاصتين على المدعو محمد الصفوري نفذت إحداهما من ظهره، فنقل إلى المستشفى في حالة خطرة ميؤوسًا منه، وقد انتشر البوليس العلني والسري على إثر ذلك في أنحاء المدينة، وفتشت بعض البيوت، لكن الفاعل قد اختفى، ومحمد الصفوري هذا هو أحد الشهود الذين شهدوا ضد جماعة القسّام.

وفي ٣/ ٢/ ١٩٣٧م أطلق مجهول في الساعة التاسعة صباحًا، عدة عيارات نارية في حيفا على المدعو يوسف جليلة من قرية عرابة على مقربة من شارع الناصرة، فأرداه قتيلاً، وهذا القتيل كان يعمل حارسًا لأحد اليهود، وقد شهد في حادثة نهلال ضد المتهمين العرب.

وفي مساء ٢٢/ ٢/ ١٩٣٧م كان نفر البوليس سليم فرج ـ وهو ممن شهدوا في حادثة القنبلة على مستعمرة نهلال ـ خارجًا من المقهى في بلد الشيخ ومعه زميل له، فبادره فدائي بإطلاق أربعة عيارات نارية عليه أردته قتيلاً، وهلعت السلطة، وبادرت في الحال قوة ضخمة من رجال البوليس إلى مكان الحادث، وباشرت التحقيق، وقبضت على ثمانية من أبناء تلك القرية.

ومن أشرف آيات الانتقام الوطني أن يلاقي كل خوان أثيم شهد في قضيتي نهلال والقسام ضد أمته جزاءه، وهكذا ينتقم الفدائيون القساميون لشيخهم، وإذا دل ذلك على شيء إنما يدل على قوة الحركة الوطنية الفلسطينية في ذلك الحين، ويدل على مهارة تلاميذة القسام في الانتقام

من كل جاسوس وشاهد شهد ضدهم، حيث عجزت السلطة عن اكتشاف حادثة واحدة.

وبادر الكثيرون من الشباب إلى الانضمام للمجاهدين.

واختار القسّاميون شمال فلسطين وأقضية: حيفا، وعكا، وصفد، والناصرة قواعد لأعمالهم، واعتصموا بصورة خاصة في الجبال الشاهقة، المعروفة في شمال البلاد.

واستأنفوا شن الهجمات الشديدة على المستعمرات الصهيونية، وقوات الجيش، والشرطة، وقد حدثت معارك خطيرة بين القسّاميين وقوات الشرطة في «دالية الكرمل» و«المغار» و«لوبية» و«صفورية» وغيرها استشهد فيها بعض المجاهدين، وهلك من الأعداء كثيرون، وشكّل القسّاميون (محكمة ثورة) للنظر في المخالفات الدينية والقومية التي يرتكبها بعض العرب. ظل القسّاميون في الميدان خلال الأشهر الستة التي أعقبت استشهاد القسّام.

* ثورة ١٩٣٦م قادتها من القسّاميين:

كان القسّاميون المحركين لثورة أيار ١٩٣٦م، والمخططين لها، وكانوا يتولون في أغلب المناطق قيادتها، فهُم الذين حرّكوا الثورة التي أدّت إلى الإضراب عام ١٩٣٦م، وهم الذين فجّرُوها سنة ١٩٣٧م، فاختاروا لتفجير الثورة بداية قوية، هي اغتيال (لويس أندروز) حاكم منطقة الجليل، الذي كان من أشد المتحمسين لتحقيق رغبات اليهود، وكان يدير وفق الرغبات اليهودية، وفي ٢٦/ ٩/ ١٩٣٧م قام الشيخ محمد أبو جعب من قرية (قباطية) بقضاء جنين، والشيخ محمود ديراوي

من قرية «دير أبو ضعيف» بقضاء جنين باغتيال «أندروز» ولم يثبت أن القسّاميين فعلوا ذلك إلا بعد مرور زمن...

وانتشرت مجموعات المجاهدين في البلاد وخصوصًا القسّاميين في الشمال حيث وقع عليهم عبء الثورة خلال الثلاثة أشهر الأُوَل من إعلان مرحلتها الثانية حتى عمّت فلسطين.

وقد عدّ المؤرخون مقتل «أندروز» انطلاق الثورة من جديد، فقال أكرم: «أستطيع أن أقول: يمكن اعتبار مقتل أندروز الانطلاقة لتجديد الثورة».

وقد تولى قيادة الثورة في شمال فلسطين الشيخ القسّامي (أبوإبراهيم الكبير).

وأصدرت القيادة العامة للمجاهدين قرارها وبلاغها رقم (٢): بمهاجمة مركز بوليس بيسان، واحتلال جنين، ومهاجمة مراكز الجيش بنابلس، ومهاجمة الدوريات العسكرية التي تتجوّل بين نابلس وجنين.

وتنفيذًا لهذه القرارات خرج فصيل عمر بن الخطاب، وقام بمهاجمة مركز «الخنيزر» تابعة لبيان، فاستولى على جميع أسلحته وأمتعته، ثم قامت الفصائل الأربعة: فصيل القسّام، وحمزة بن العباس، وعمرو بن العاص، وأبو بكر، وطوّقوا جنين من جميع جهاتها، ثم هاجموها بالتكبير والتهليل، تتقدمهم المدافع الرشاشة التي كانت تصبّ نيرانها الحامية على مراكز البوليس والجند مما جعلتهم يولون هاربين إلى البيوت ملتجئين، ودخل المجاهدون المدينة، واستولوا على ما فيها من ذخيرة وبنادق.

وأما فصيل عليّ بن أبي طالب فقد اتجه شطر نابلس، وهاجم

قوات الجيش في مراكزها في الشرق والغرب وأصلاها نارًا حامية.

❑ وهاجم فصيل خالد بن الوليد وأبي عبيدة الدوريات العسكرية التي تتجوّل بين نابلس وجنين، فاصطدمت معها في وادي «دعوق» وقد قتل سائق السيارة المصفحة، وهو يهودي، وسائق سيارة ثانية وهو جندي طوّقه الثوّار، وحاول أن يغريهم بالدراهم التي معه ليتركوه، ولكنهم رفضوا وطلبوا إليه تسليم نفسه فأبى، وأشهر مسدسه عازمًا على الغدر بهم، وعندها أطلق الثوّار النار فقتلوه. «قائد منطقة نابلس وجنين «الشيخ عطية»[1].

* للّه درك يا قسّام ودرّ تلاميذك:

لقد وعى الأبطال المغاوير كلام إمامهم القسّام جيداً.

«فما انتهى درس من دروسه في مسجد حيفا الكبير إلا وختمه بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

هؤلاء الأبطال هزّوا الأعداء والأصدقاء فها هو هتلر يوجّه رسالة إلى ألمان السوديت عام ١٩٣٦م قائلاً: «اتخذوا يا ألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم، إنهم يكافحون إنجلترا واليهودية العالمية معًا، ببسالة خارقة، وليس لهم في الدنيا نصير أو مساعد أما أنتم فإن الدنيا كلها من ورائكم».

وها هو الجنرال ولسون وكان قائد بريطانيا في بعض معارك فلسطين يشهد: «إن خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يقومون بحرب العصابات،

---

(١) «عز الدين القسّام شيخ المجاهدين» لشرّاب ص(٣٢٤ ـ ٣٣٣).

لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح»[١] .

* **واصل شعب فلسطين جهاده لأعدائه وقد تمثّل ذلك في:**

❑ إشعال الحرائق في مخازن البضائع[٢] ، والسيارات اليهودية والإنجليزية، وإلقاء القنابل على مراكز الشرطة، وإلقاء القنابل على القرى والتجمعات العسكرية اليهودية والإنجليزية التي اغتصبت أرض فلسطين وتعمل على إبادة شعبها.

❑ تحطيم أنابيت المياه التي تسقي القدس، ونسف الجسور بين المدن المختلفة.

❑ قطع الأسلاك التليفونية في مدن فلسطين.

❑ قطع أسلاك الإذاعة في القدس.

❑ مهاجمة المستعمرات اليهودية وتجمعات قوات الاحتلال الإنجليزي.

❑ نسف الخط الحديدي بين القدس واللدّ ويافا.

وتحت الضربات الفلسطينية الشجاعة اضطر اليهود إلى هجر مستعمراتهم إلى مدينة القدس؛ وقد نشرت برقيات الصحف في الرابع من يونيو أن مدينة القدس قد ضاقت باللاجئين إليها من المستعمرات اليهودية، وأصبح أمر إعاشتهم عسيراً جدًّا.

* **للّه درّك يا شعب فلسطين المسلم:**

❑ في الثاني والعشرين من يونيو أعلنت السلطان الإنجليزية عن

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٧٨).

(٢) المصدر السابق ص(١٨٣).

نشوب أعظم معركة بين جنودها وبين الثوار العرب، وقد اشتركت فيها الدبابات والطيارات البريطانية على خط طوله عشرون كيلو متراً، وقد عَزَّزت القوات البريطانية أثناء المعركة بنجدات من فرقة السيفورت، مع عدد من الدبابات والطيارات، وقد انقسم الثوار إلى فريقين أحدهما تَحصَّن في جهة الشمال واحتشد القسم الأكبر في الجنوب، وقد استؤنفت المعركة بشدة في مَيدان ازداد طوله إلى ثلاثين كيلو متراً، وهاجم الثوار المستعمرات اليهودية كما هاجموا حاميات القطار»[1].

نادى الشيخ أمين الحسيني الملوك والرؤساء العرب «إنني أطالب العالم العربي والإسلامي أن يدرك فلسطين قبل أن تصبح أندلسًا ثانية. ولكن لا حياة لمن تنادي!!

* معركة بلعا وبطولة المجاهدين:

«في الثالث من سبتمبر ١٩٣٦م صدرت الأوامر الإنجليزية لتخرج عشرون سيارة عسكرية مصحوبة بالدبابات ومحملة بالجند، وطلب منها أن ترابط على الطريق بين طولكرم ونابلس، للحفاظ على القافلة اليهودية اليومية، وعلمت بهذا قيادة المجاهدين من مخبريها الذين يعملون داخل صفوف العدو، فبثت الألغام في طريق السيارات، وحين نزل الجند مفزوعين من الانفجارات، أطلق المجاهدون رصاصهم وابتدأت معركة كبرى، وكان المجاهدون يرابطون على جبلين متقابلين، وكان الجنود يحتمون بالسيارات وحواجز الأشجار وخلف الدبابات»[2].

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(١٩٣).

(٢) المصدر السابق ص(١٨٤).

«ووصلت أثناء المعركة قوة عسكرية من نابلس، وأصبح عدد الجند يقارب خمسة آلاف جندي، واشتـركت خمس عشرة طائرة في المعركة، واستعمل الجيش البريطاني مدافع الميـدان، فحطم صخور الجبال وعصف بثمار الأشجـار، وتوافد القرويون يساعدون المجاهديـن، واستمرت هذه المعركـة يومًا كامـلاً من الصباح حـتى غروب الشمس، وأسـقطت منها طائرتان للعدو، وأحـرقت اثنتان، واستشـهد عشرة من المجـاهدين كان بينهم عدد من العراق والشام، وكانت خسائر الإنجليز كبيرة»[1].

«وإن ننسى، فلن ننسى أحد شهـداء هذه المعركة وهو **الشيخ قـاسم محمـد الشايب** من علماء الإسلام الذي استشـهد يوم بلعا، لم يوجد بين ثيابه إلا مصحفًا كريمًا، و١٢ مليمًا لا غير، كان هذا كل رأس ماله»[2].

«وهذه امرأة قـروية تقف إلى جانب جثث الشهـداء، فتشيـر بيدها إلى إحدى الجثث «إنه يشـبه ابني»، ثم تترك الجثـة لتدخل القرية، وهي تزغرد فقد تبين لها أن الشهيد كان ابنها».

* وهذي معارك أُخر فيها الزاد والعبر:

معـارك لا بد من دراسـتهـا وتحليل أحداثهـا، وإبرازها لتكون زادًا للحركة الجهادية ضد أعداء الإسلام مثل:

معركة ترشيحا، ومعركة جـيع، ومعركة بيت جبرين «شمال غرب نابلس»، ومعركـة الخضر التي جُرح فيهـا عبد القادر الحسيني واسـتشهد فيـها البطل السـوري القائد سعـيد العـاصي، ومعركـة كفـر صور التي

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٢٠٤).

(٢) المصدر السابق ص(٢٠٣).

اشتركت فيها عشر دبابات، غنم الثوار واحدة منها في جبل طولكرم، ولم تكن هذه المعارك لتوقف الأعمال الفردية الفدائية، فهذا فلسطيني يطلق النار على مساعد مدير الشرطة في حيفا»[١] .

* الانتفاضة الفلسطينية تستأنف جهادها عام ١٩٣٩م:

وواصلت الحركة الجهادية نضالها ضد القراصنة الجدد الذين يتسترون بستار الشرعية الدولية، القراصنة الذين اتخذوا من المنظمات الدولية مطية لتحقيق عدوانهم، وإذا بصديقة العرب تتصدى لهم، تقتل، تعتقل، تعذب، ولهذا فإن المجاهدين قد أحالوا فلسطين جحيمًا تحت أقدام اليهود وحاميتهم بريطانيا، وسقط الشهداء يروون شجرة الحرية بدمائهم ومن هؤلاء **عبد الرحيم الحاج محمد**[٢] ، **ومحمد عيسى فراج، وأخيه عبد الغني من أهالي الخليل.**

(١) انظر «جهاد شعب فلسطين» ص(١٩٩ ـ ٢٠٤).
(٢) المصدر السابق ص(٢٥٦ ـ ٢٥٨).

تراجم قسّامية لا ينساها تاريخ الجهاد

الشيخ فرحان السعدي

❑ الشيخ فرحان السعدي: من قرية نورس، نشأ ـ رحمه اللّه ـ نشأة دينية صالحة، فعمل في فلاحة الأرض وزرعها في قريته، وقد عرف فيها وفي القرى المجاورة لها بتقواه وشجاعته وإيمانه، ولما احتل البريطانيون بلادنا، واتضحت له نواياهم العدوانية أخذ يحث الناس على مقاومة سياستهم الصهيونية، ولما نشبت ثورة عام ١٩٢٩م قاد مجموعة من المجاهدين في قضاء جنين، يهاجمون اليهود والإنكليز أينما وجدوهم، ثم انضم إلى فرقة المجاهد عز الدين القسام.

وفي اليوم الخامس عشر من نيسان عام ١٩٣٦م كان للشيخ فرحان شرف إطلاق الرصاصة الأولى لثورة العام المذكور التي فجرت طاقات الشعب الفلسطيني، فكانت بمثابة إشارة البدء لثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م إذ قام هو وجماعته بالهجوم على قافلة يهودية على طريق نابلس ـ طولكرم، ردًّا على عدوان يهودي غادر كان قد وقع على العرب في جوار يافا.

كانت معركة ١٥ نيسان عام ١٩٣٦م إيذانًا ببدء الكفاح المسلح، فتلاحقت الحوادث بسرعة مذهلة، فقام اليهود بقتل بعض العرب في ظاهر يافا، فرد أهل يافا بالهجوم على اليهود يوم ١٩ نيسان ١٩٣٦م ولولا حضور القوات البريطانية لأباد العرب المئات من أعدائهم.

شاركت مدن وقرى وقبائل فلسطينية انتفاضة يافا، فأعلن الإضراب العام في جميع أنحاء البلاد الذي امتد نحو ستة شهور، ثم أخذ العرب

يمارسون نشاطهم المسلح ضد البريطانيين واليهود، فكان الشيخ فرحان السعدي يقود الثورة في منطقة جنين، وقام فيها بأروع أعمال التضحية والشجاعة.

وفي ٢٣/ ١١/ ١٩٣٧م ـ نشرت الصحف وأذاعت الإذاعات أن القوات البريطانية قبضت على الشيخ فرحان السعدي في قرية المزار (جنين)، وأنها فتشت بيته، فوجدت فيه بندقية وقالت: «إن فرحان السعدي من إخوان عز الدين القسام، وأن المعروف عنه أنه يقود عصابة عربية ثائرة، وقد أحيل لمحاكمته أمام المحكمة العسكرية».

وفي ٢٥/ ١١/ ١٩٣٧م، كان موعد محاكمة الشيخ المجاهد الجليل فرحان السعدي أمام المحكمة العسكرية بحيفا، وقد أصدرت المحكمة المذكورة حكمها بإعدام الشيخ شنقًا بتهمة حيازة بندقية، ولقد قام الوطنيون من أبناء فلسطين، ومنهم الأستاذ أكرم زعيتر بالإبراق إلى ملوك العرب، وإلى أمرائهم وإلى الجمعيات العربية والإسلامية يدعونهم إلى التوسط لدى المراجع البريطانية العليا لإنقاذ حياة هذا الشيخ الجليل الصائم الورع التقي النقي الذي جاوز السبعين من عمره.

وفي ٢٧/ ١١/ ١٩٣٧م، أعدم الشيخ فرحان السعدي شنقًا، وقال فيه أكرم زعيتر: «إنني لا أعلم أن استشهاد بطل هزّ الأمة وأثار مشاعرها بعد استشهاد القسام كما هزّها وأثار مشاعرها استشهاد فرحان السعدي، وسيذكر أبناؤنا وأحفادنا أن بريطانيا لم تر من الإنسانية أن ترجئ إعدام شيخ جليل صائم إلى ما بعد رمضان».

ولم يفت الشعر الوطني أن يعبر عن هذه الواقعة أيضًا فهذا الشاعر أبو سلمى يردد:

قوموا اسمعوا من كل ناحية يصيح دم الشهيد
قوموا انظروا فرحان فوق جبينه أثر السجود
يمشي إلى حبل الشهادة صائمًا مشي الأُسود
سبعون عامًا في سبيل اللَّه والحق التليد
خجل الشباب من المشيب بل السنون من العقود

البطل محمد صالح الحمد

❑ محمد صالح الحمد (أبو خالد): ولد في سيلة الظهر عام ١٩١٣م، ولما اشتد ساعده نزل حيفا التماسًا للرزق، وفيها التحق بجماعة الشيخ عز الدين القسام، وفي ثورة عام ١٩٣٦م، أخذ يهاجم الأعداء في جبال الجليل وحيفا، ثم نزل جبال نابلس، وفيها أخذ مع إخوانه المجاهدين يخوض المعارك ضد القوافل اليهودية والقوات البريطانية التي تحميها، ومن أشهرالمعارك التي خاضها معركة (سيريس ـ جبع) التي امتدت ست ساعات، اشتركت فيها الطائرات البريطانية، وقد منيت القوات البريطانية بخسائر فادحة، وبينما كان ـ رحمه اللَّه ـ هو وزملاؤه من قواد الثورة الفلسطينية مجتمعين في قرية (دير غسانة من أعمال رام اللَّه) طوقتهم قوة بريطانية كبيرة وقد تمكن أبوخالد من الإفلات والوصول إلى قرية (سرطة) المجاورة، وفيها التقى بفصيلة أخرى من الجند البريطاني، فنشبت معركة بين الطرفين استشهد فيها أبو خالد، وكان ذلك في ١٨/ ٥/ ١٩٣٨م[1].

(١) «بلادنا فلسطين» الجزء الثالث القسم الثاني ص(٩١).

الشيخ عطية أحمد عوض

عطية أحمد عوض: من حيفا، كان من جملة خمسة عشر شهيداً استشهدوا في معركة اليامون وجبل إسكندر، التي وقعت بين العرب والبريطانيين في كانون الثاني من عام ١٩٣٨م وبدأت من اليامون، ثم امتدت حتى جبل إسكندر، واستعمل فيها الأعداء الطيارات والدبابات.

والشيخ عطية قائد منطقة جنين الغربية من تلاميذ القسام المشهورين، وبعد استشهاده حل محله في قيادة المعركة البطل يوسف أبودرة، وكانت خسائر العدو كبيرة.

الشيخ يوسف سعيد أبو درة

من قرية سيلة الحارثية، ولد عام ١٩٠٠م، وبعد أن تلقى علومه الأولية في مدرستها اشتغل بالزراعة، لكنه اضطر سعيًا وراء رزقه لمغادرة بلده، ونزل حيفا، وعمل في السكة الحديدية فيها، وتعرف أبو درة في حيفا على الشيخ عز الدين القسام، واشترك معه في ثورة ١٩٣٥م.

ولما قامت ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦م اشترك أبو درة تحت قيادة الشيخ عطية أحمد عوض، وأخذوا يغيرون على القلاع اليهودية المجاورة لقضاء جنين، فيقتلون حراسها، وينسفون الجسور، ويقطعون أسلاك التلفون، ويحاربون النجدات البريطانية التي تأتي لمساعدة اليهود، وعندما استشهد الشيخ عطية في معركة اليامون حل المرحوم أبو درة محله في قيادة المعركة التي انتصر فيها الثوار انتصاراً عظيمًا.

لمع اسم (أبو درة) في خريف عام ١٩٣٧م حيث تمكن من السيطرة

على قضاء جنين، وما يجاوره من قضاء الناصرة، وعلى قرى جبل الكرمل.

ومن أعماله ومعاركه معركة (أم الزينات) التي كان عدد المجاهدين فيها (١٢٥) مجاهدًا، يقابلهم الآلاف من الجنود البريطانيين، وقد أسفرت المعركة عن إسقاط طائرتين، ومقتل سبعة ضباط بينهم ضابط كبير، و(١٢٥) جنديًّا.

ومن بطولاته ـ رحمه اللَّه ـ مهاجمة سجن (عتليت) المحصن، فاقتحمه وحرر سجناءه، وأباد حراسه اليهود.

وقد طوق الجند البريطاني أبا درة أكثر من مرة، وكان يتمكن من الإفلات منهم بأعجوبة.

وأبو درة هو الذي أرسل أحد جنوده فقتل (موفات) حاكم جنين وهو في مكتبه.

كان المدعو «موفات» حاكم جنين قد أحاط نفسه بمجموعات من البوليس والجنود يحرسونه ويحمون مَقرّه بعد أن تلقّى إنذارًا من الثوار كان هذا نصه: «من القائد الصغير يوسف أبو درة إلى مستر موفات»:

«إذا لم تحسن سلوكك مع الأهالي خلال ثمانية أيام.. فسأقتلك»، ولكن مستر موفات ركب رأسه، واستمر شرًّا على عرب فلسطين، بينما نقل سكنه إلى معسكر الجيش البريطاني خارج جنين، واشتدت حراسته بالمصفحات، ولم يبق أي احتمال لإمكان الاعتداء عليه، ولكن القائد الصغير أبو درّة كان صادقًا في وعيده، فبعد ثمانية أيام تمامًا أرسل إليه اثنين من المجاهدين تسلق أحدهما أنابيب المياه حتى وصل الدور الذي به مكتب موفات؛ فوجّه إنذارًا إلى سكرتيره العربي رأفت الدرهللي،

واجتاز غرفة الحاكم البريطاني وأفرغ فيه رصاص مسدسين كانا معه، واستمر يطلق الرصاص دون أن يحفل أو يخاف تاركًا المكان بينما أخذ رفيقه يطلق الرصاص خارج البناء لتغطية الانسحاب.

ولما انتهت ثورة البلاد في أيلول نهاية عام ١٩٣٩م، بعد إعلان الحرب العالمية الثانية، انسحب ـ رحمه اللّه ـ إلى دمشق، ثم غادرها إلى عمان، وفيها ألقى القبض عليه الجنرال كلوب، وسلمه لحكام بريطانيا الغدّارين في فلسطين الذين أمروا بمحاكمته أمام محكمة عسكرية في القدس، فصدر الحكم عليه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم في (٣٠/ ٩/ ١٩٣٩م).

الشيخ نمر السعدي

▫ وُلِد في قرية ـ صفورية ـ عام ١٩٠٥م... وكان من المجاهدين المخلصين الذين خرجوا مع الشيخ القسّام، وشارك في معركة (يعبد)، وأصيب بثلاث رصاصات، استقرّت رصاصتان منها في قلبه، وأُسِر فوضع في المستشفى حتى ٢٧/ ١٢/ ١٩٣٥م، فنُقِل إلى مستشفى سجن القدس المركزي، ومنه إلى سجن نابلس، فسجن عكا ليكون على مقربة من الناصرة، حيث كان يجري التحقيق مع القسّاميين الأسرى... وحُكِم عليه بالسجن سنتين، وجدّدها حاكم لواء الجليل سنة ثالثة، وتوفي بآلام الرصاصات التي استقرت في قلبه سنة ١٩٤٨م[1].

❁ ❁ ❁

(١) «عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين» لمحمد حسن شُرّاب ص(٣٣٨) ـ دار القلم.

عبد اللَّه الأصبح

❑ عبد اللَّـه الأصبح: من قرية الجاعـونة ـ صفد، استـهل ـ رحمه اللَّه ـ جهـاده في الثورة السورية، فـهرع إلى جبل العرب، واشـترك في معاركها إلى جـانب القائد الشهيد سعيد العـاص، ولما عاد عبد اللَّه إلى فلسطين التحق بحركـة الشيخ محمد عـز الدين القسام، فتولى مهـاجمة القوافل البريطانية واليهودية، ونسف الجسور وحرق مزارع الأعداء.

وكان أحد قـادة ثورة ١٩٣٦م البارزين في منطقة الجليل، فـخاض عشـرات المعارك، وفي ٢٧ نيسـان من عام ١٩٣٨م اشتـبك الأصبح مع البريطانيين في معركة قرب (خربة رخـصون) بين (سحماتا) و(سَبَلان)، فسقط شهيدًا ودفن في قرية سعسع.

حسين العلي الزبيدي

❑ من عرب الزبيـدات ـ بيسان، عندمـا نزل الشيخ محـمد الحنفي أحمد ـ رفيق ـ الشهيد عز الدين القسام في هجرته من جبلة إلى فلسطين ـ بيسان ومنطقـتها لتأسيس الجـماعات المسلحة في القـضاء، والتحق به الكثيرون ـ كان من بينهم المجاهد حسين العلي من عرب الزبيدات، ومن أعمال هؤلاء المجاهدين في بيسان ونواحيها:

١ ـ هجـومهم بقـيادة حـسين العلي على دوائر الحكومـة في بلدة بيسان في ٢٢/٦/١٩٣٦م وإحراقها.

٢ ـ وفي ٢٣/٨/١٩٣٦م التقت دورية عسكرية إنكليزية بين (دنة) (وكوكب الهواء) مع المجاهدين بقيادة حسين العلي المتقدم ذكره، ودارت بينهـما معـركة اسـتمرت نحـو ثلاث ساعـات، اشترك فـيهـا عدد من

المدرعات، واستشهد في أثنائها حسين العلي بعد جهاد دام مدة تزيد على سنتين في بلاد بيسان، أنزل فيها الخسائر الكبيرة بالعدو.

أبو إبراهيم الصغير

هو توفيق إبراهيم المعروف بـ (إبراهيم الصغير) من قرية (إندور ـ الناصرة) اشترك ـ رحمه اللَّه ـ في معركة أحراش يعبد مع المغفور له الشيخ عز الدين القسام، وكان أحد قادة ثورة ١٩٣٦م، وقد هاجم مقر حاكم طبرية الإنكليزي فاستولى على ما فيه من ملفات وغيرها.

وفي أراضي عرب الصبيح قام اليهود في اليوم الثامن من حيزران ١٩٤٨م بمهاجمة مضارب العشيرة بقوة لا يقل عددها عن ستمائة مقاتل، وتمكنوا من الوصول إلى منزل الشيخ علي النمر، وهو من مشايخ الصبيح المعروفين، وقائد المجاهدين من أبناء تلك العشيرة، فقامت بين الطرفين معركة حامية، جرح فيها الشيخ علي النمر، واستشهد أربعة من رجال عشيرته، ونسف اليهود بيت الشيخ، وقتلوا شقيقته وطفلاً كان إلى جانبها، ورأى الناس بعد انتهاء المعركة هذا الطفل مشطوراً إلى شطرين، شطره اليهود ببلطة حادة، قام اليهود بهذا الهجوم المفاجيء عندما كان المجاهدون منشغلين في مواضع أخرى، ولم يكن هناك في مضارب العشيرة سوى ثلاثين مقاتلاً، فلم يك بد من التراجع.

وتقدم اليهود حتى (عين ماهل)، وهناك التقى اليهود والمجاهدون من أبناء (الصبيح) و(الناصرة) و(كفر كنا) و(عين ماه) ووصل في تلك اللحظة الشيخ توفيق الإبراهيم (أبو إبراهيم الصغير) ومساعده محمد العورتاني مع مناضلين آخرين لنجدة إخوانهم من المجاهدين.

أخذ العرب بالهجوم على عدوهم الذي كان أكثر منهم عدداً وعدة واضطروه للانسحاب، وبعد قليل اضطر اليهود للانسحاب من عين ماهل، وفي منازل الصبيح اشتبك الفريقان بالسلاح الأبيض من دار إلى دار، وأخيراً تمكن العرب من استعادة الأراضي والمنازل التي احتلها اليهود، وخسر الأعداء ثمانية وعشرين قتيلاً، وظل العرب مسيطرين في ذلك القطاع إلى أن انسحب جيش الإنقاذ، وسقطت الناصرة بيد اليهود.

أما صاحبنا الشيخ أبو إبراهيم الصغير فقد نزل بعد النكبة دمشق وتوفي فيها عام ١٩٦٦م.

أحمد عبد الرحمن جابر

أحمد عبد الرحمن جابر: من قرية عنبتا، خرج هذا الشاب وهو من مجاهدي صفد على رأس فريق من إخوانه لملاقاة الإنجليز، فكان له ما أراد، وظل يقاتل حتى نفذت الذخيرة، فأسره الجند، وحكم عليه القضاة بالسجن عشرين عامًا، وبعد أن قضى نصف المدة في سجنه شمله عفو أراد به المنتدبون تخدير الأعصاب، وبدل أن يعود أحمد جابر إلى بيته عاد إلى ساحة الجهاد مرة أخرى، وسقط صريعًا في معارك الشمال سنة ١٩٣٩م.

محمود خضر (أبو خضر)

من قرية زرعين سكن حيفا، وتتلمذ على يد الشيخ القسام، وأبلى في الثورة بلاءً حسنًا، قاد معركة في مكان يدعى (جرن حلاوة) على بعد عدة كيلو مترات من طبرية، شملت الجبال الممتدة من طبرية إلى صفد، وبدأ الاشتباك عند وصوله إلى قرية (فراضية) بين عكا

وصفد، وأقبلت النجدات الإنكليزية بالآلاف وثماني طائرات، واستبسل المجاهدون، وأسفرت المعركة عن سقوط (٣٥) قتيلاً وجريحًا من الجنود الإنكليز، واستشهد في هذه المعركة القائد المغوار أبو خضر وثلاثة من إخوانه، وجرح أربعة آخرون.

أبو إبراهيم الكبير

خليل محمد عيسى (أبو إبراهيم الكبير) ـ من قرية المزرعة الشرقية ـ رام اللّه، كان له دكان لبيع الصوف والأكياس، وهو من القساميين البارزين، وصف بالحصافة والأناة وأطلق عليه اسم أبو إبراهيم الكبير؛ لأن ثمَّ أخًا آخر اسمه: أبو إبراهيم، هو توفيق إبراهيم، وقد أطلق عليه لقب أبو إبراهيم الصغير، وهو أحد قادة الثورة البارزين أيضًا وقد مرَّ ذكره.

وأبو إبراهيم الكبير (خليل محمد عيسى) قاد هو وإخوانه معركة كبيرة في جبل الجرمق في موقع بين قرية بيت جن ومارون (صفد) في يوم الجمعة ٢٣ أيلول ١٩٣٨م حيث هاجمتهم طائرة بقنابلها ورشاشاتها، ثم قدمت قوة لمساعدة الطائرات، فالتقت بالنجدات المحمدية، ووقع الجيش بين أيدي قوات أبي إبراهيم الكبير، وأيدي النجدات المحمدية، وأخذت النجدات تصليهم ببنادقها، فلم يتمكنوا من الوصول إلى المكان المرابط فيه أبو إبراهيم، وسقط من الجنود (٢٥) جنديًّا إنكليزيًّا بين قتيل وجريح.

وأبو إبراهيم الكبير كان قائد المنطقة الشمالية، ولقد رحل إلى الأردن مع الراحلين، وتوفي فيها عام ١٩٧٩م.

جهاد شعب فلسطين بعد صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧م

خاض المجاهدون الفلسطينيون بعد صدور قرار التقسيم معارك عديدة ضد عدوهم منها:

معركة الصبيح[١] نسبة إلى أبناء عشيرة الصبيح، الثالث من يناير - كانون الأول ١٩٤٨م.

معركة جبل ظهر الحجة[٢].

معركة قرية كفر كُنا[٣].

معركة عين ماهل[٤] ٢٣ يناير - كانون الأول - ١٩٤٨م.

معركة تل الماصيون[٥] (منطقة رام اللّه) ومن بين الذين ساهموا في المعركة د. خليل بدران رئيس منظمة الشباب برام اللّه، ولبيب حشمت رئيس الكشاف العربي، والشيخ عبد الحليم عبد الصمد (٧٠ سنة).

معركة الدهيشة[٦] ٢٧ مارس - آذار - ١٩٤٨م.

وعندها تصدى مائتا مجاهد من أبناء فلسطين المنخرطين في فرقة «الجهاد المقدس» لقافلة يهودية، قوامها مائتان وخمسون رجلاً من رجال الهاجانا اليهودية، كانوا يركبون أربعًا وخمسين سيارة محروسة بأربع

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٢٥).

(٢) المصدر السابق ص(٣٢٦).

(٣) المصدر السابق ص(٣٢٦).

(٤) المصدر السابق ص(٣٢٦؛ النكبة والفردوس المفقود، عارف العارف.

(٥) المصدر السابق ص(٣٢٧).

(٦) المصدر السابق ص(٣٢٨، ٣٢٩).

مصفحات عسكرية، تعاونها أربع من الطائرات اليهودية، وحوصر اليهود، وأسرع الجيش البريطاني لنجدتهم، لكنه لم يستطع فك الحصار المضروب على اليهود، وهرع في نفس الوقت أهالي فلسطين إلى مكان المعركة، وهددوا بنسف قوات الجيش البريطاني الذي لم يستطع أن يتقدم خطوة واحدة أمام تهديد المجاهدين، واستنجد اليهود بالوكالة اليهودية التي استنجدت بدورها بالحكومة البريطانية التي استنجدت بكبار العرب طالبة فك الحصار، وتحت إصرار المجاهدين وبعد حصار دام ستًّا وثلاثين ساعة ألقى اليهود سلاحهم متخلين للعرب عن ثلاث مصفحات وثماني سيارات ركاب كبيرة وثلاثين سيارة شحن وثلاثين بندقية من طراز ستين، وأربعين بندقية من طراز برن، ومائة قنبلة إنجليزية وألمانية وقنابل ومسدسات كثيرة، وطن ونصف الطن من ملح البارود والمتفجرات، ومقادير كبيرة من الأمتعة والذخائر.

- **معارك حيّ المونتفيوري** ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٨م.

بيت سوريك[١] ومن أبطالها إبراهيم أبو دية (القائد) وعبد القادر الحسيني، وعزمي الجاعوني، وفوزي القطب، وكامل عريقات.

- **معارك قرية بيت صفافا.**

- **معارك القسطل**[٢] إبريل (نيسان) ١٩٤٨م.

ومن أبطالها صبحي أبو جبارة، وبعض شباب الجهاد المقدس يقودهم كامل عريقات، وعبد اللّه العمري، ومعه أنور نسيبة المحامي

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٤١).

(٢) المصدر السابق ص(٣٤٧ ـ ٣٥٢).

(من بيت صفافا) وحافظ بركات من القدس، وخليل عنون من عين كارم، وقد حاول المجاهدون استرداد بلدة القسطل التي كانت قد وقعت في يد اليهود، وسقط شهداء، وأوشكت الذخيرة على النفاذ، وذهب الأستاذ عارف العارف، يستنهض همة الجيش العربي الأردني المعسكر في رام اللَّه على بعد قريب من ميدان المعركة لكي يساعدهم ويهاجم بعض المعسكرات اليهودية؛ ليخفف الضغط على المناضلين، ورفض القائد العام للجيش الأردني جلوب باشا البريطاني الطلب الفلسطيني، وحذا حذوه أحمد صدقي الجندي قائد اللواء الرابع الأردني، والعجيب أن هذا الجيش العربي الذي رفض مساندة الفلسطينيين لم يجد مانعًا من أن يتدخل لصالح اليهود، عندما نشبت معركة حامية بين العرب واليهود في حيفا في الواحد والثلاثين من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧م، وكان النصر في جانب الفلسطينيين فخف هذا الجيش الأردني وحال دون الفلسطينيين وإتمام نصرهم، وأنقذ مئات اليهود كان موتهم حتميًّا في تلك المعركة. والجدير بالذكر إن قلّة السلاح في أيدي المجاهدين، دفعت بقائد الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني، أن يلجأ إلى اللجنة العسكرية للجماعة العربية (ومقرها دمشق) طالبًا تزويده بالسلاح الكافي، ولكنها خذلته، وأثناء ذلك وصلت الأنباء بسقوط القسطل بيد اليهود بدعم من الإنجليز وأدرك عبد القادر أن المسئولين ليسوا في مستوى الأحداث، أو أنهم ضليعون في ضياع فلسطين.

معركة حي الشيخ جرّاح بالقدس الثالث عشر من إبريل ـ نيسان ـ ١٩٤٨م[١].

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٢٣ ـ ٣٢٤).

بينما قوة يهودية مكوّنة من تسع سيارات كبيرة، اثنتان منهما مصفحتان في حماية رجال الهاجانا المسلحين كانت في طريقها إلى الجامعة العبرية ومستشفى هداسا؛ اعترضها أربع وعشرون مقاتلاً مشاة مسلحين من فرقة الجهاد المقدس، التي فقدت قائدها عبد القادر الحسيني.

وفتكت ألغام المجاهدين بسيارتين، ولم تستطع القافلة المدرعة أن تصمد أمام المجاهدين المشاة المسلحين تسليحًا خفيفًا، واستنجدت على الفور بالجيش البريطاني الذي تجاوب معهم ضد المجاهدين ودوت صيحات التكبير، وهرع الفلسطينيون لنجدة إخوانهم، وصمدوا، ووسط العزم النافذ للمجاهدين عرض اليهود الاستسلام وإلقاء السلاح، وقتل اليهود غدرًا المندوب العربي المفوض لإبلاغهم الشروط (رغم أن الرسل لا تقتل ولكنهم اليهود الذين جُبلوا على الغدر ونقض العهود).

ولقد أسفرت المعركة عن خسائر كبيرة في جانب العدو رغم تفوقه في العُدَّة والعتاد، وكانت خسائر المجاهدين يومها أربعة عشر شهيدًا، وجرح قائد المجموعة عادل النجار.

هذه المعركة تؤكد على الروح المعنوية العالية للفلسطينيين في تصديهم لليهود الذين تدعمهم بريطانيا، رغم قلة السلاح والعدة، ورغم الموقف المخزي الذي وقفته الأنظمة العربية بعد قرار التقسيم، وتبين أيضًا كيف أمكن للفلسطينيين المشاة أن يحرزوا نصرًا ضد سيارات ومدرعات العدو الذي لم يجرؤ أن يواجههم في الميدان وجهًا لوجه، وتبين أيضًا أن المقاومة لم تلن رغم استشهاد قائدها عبد القادر الحسيني.

وتبين أيضًا أن مذبحة دير ياسين التي ارتكبها اليهود ضد الفلسطينيين لم تبث الرعب والخوف في نفوس الفلسطينيين كما توقع العدو.

* **معارك يافا :**

وكان اليهود قد أنشأوا فيها حيّا سموه تل أبيب، لم يزد فيه عدد المنازل عن مائة وخمسين منزلاً في عام ١٩١٤م، وبقى صغيراً هزيلاً حتى اغتصب الإنجليز فلسطين، فنما وازدهر، وأصبحت يافا محاصرة بالمستعمرات اليهودية.

هذه المدينة قُدّر لها أن تقاوم الإنجليز واليهود الذين حاولوا اغتصابها والسيطرة عليها بعد قرار التقسيم الجائر الذي أصدرته هيئة الأمم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، في معارك جهادية، استمرت من الرابع من ديسمبر ١٩٤٧م وحتى الرابع عشر من مايو ١٩٤٨م، وأثناءها وقع عبء الدفاع عن هذه المدينة على السكان (٦٠ ألفًا تقريبًا بين رجل وامرأة وطفل) وبعض المقاتلين الفلسطينيين وخلالها تلمح :

دقة التنظيم فقد ألف المجاهدون الفلسطينيون سبع لجان :

لجنة اقتصادية : تشرف على أسواق المدينة، وتوفر الأقوات، وتمنع الاستغلال والتلاعب.

لجنة دفاعية : تُحصّنُ خطوط الدفاع وتزود المجاهدين بالسلاح وتصفح السيارات للقتال.

ثلاث لجان صحية : الصحة والقرى، والرخص، وكلها تخدم خطوط القتال، وتنظم الاتصالات بالقرى المحيطة، وتكافح الأوبئة الناشئة عن القتال.

لجنة السلاح والألغام : وهي التي تُصنّع الألغام، وتصلح السلاح وتصفح السيارات للقتال.

وجندت اللجنة، ٥٤٠ مقاتلاً منهم ٣٧٥ في مراكز ثابتة، ١٦٥ قواتًا متحركة، ولكن السلاح لم يكن يزيد على ٢٨٤ قطعة، وكان قائد القطاع الأوسط وقائد اللد والرملة الشيخ حسن سلامة.

على أن هذا الضعف في التسليح لم يثن عرب يافا من التفكير في سد النقص لديهم بإمكاناتهم المتاحة، فكانوا يصنعون القنابل من أوعية ومواد كانت تستعمل لإطفاء الحريق، ووضعوا في كل وعاء مقدارًا يتراوح بين عشرة وعشرين كيلو جرامًا من المواد المتفجرة، وكانت أنبوبة البوتاجاز تنشر في شكل مدفع يطلق أنبوبة إطفاء الحريق المليئة بالمتفجرات، ولّما كانت المواد الخام غير متوفرة فقد اضطر أهل يافا إلى طلب النجدة من اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية بدمشق، ولكن ما من مجيب!!

ووقع شعب يافا بين نار اليهود يصلاها، وهوان المتطوعين يسومونهم الخسف، وضعف التسليح، وعزلت يافا عن العالم، وأبرق أهلها إلى الملوك والعرب والرؤساء، وتلقوا جوابًا واحدًا من رئيس لبنان، ستبحر إلى يافا أربع بواخر لنقل المرضى والجرحى؛ ولم تصل البواخر!!

وتوالت المحنة على المدينة، واستسلم من بقي في الرابع عشر من مايو (آيار) ودخلت جيوش اليهود مدينة يافا وأعملوا فيها يد السلب والنهب والقتل والفتك، وكان شهداء يافا يناسب جهادهم البطولي: ٧٧٠٠ بين قتيل وجريح من الفلسطينيين والمتطوعين المسلمين (أتراك ويوغسلاف)[1].

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٥٨ ـ ٣٧٢).

* **معارك حيفا**[١] :

كانت هذه المدينة مستهدفة من اليهود، وكانت بريطانيا حريصة على معاونة اليهود على اغتصابها، وقد قُدر عدد المقاتلين اليهود فيها بخمسة آلاف جندي مدرب، بينهم عديد من الضباط الروس، الجميع مزودون بالسلاح الأمريكي والمصفحات الروسية؛ بينما كان أهل حيفا يعانون نقصًا في العتاد.

وطوق اليهود يعاونهم الإنجليز ـ حيفا من جهاتها الأربع تمهيدًا للسيطرة عليها، ورغم ذلك فقد صمم شعب حيفا على القتال بمفرده بعد أن خذلتهم اللجنة العسكرية للجامعة العربية. وقاتلوا قتال الأبطال من شارع إلى شارع، وحينما فرض عليهم الاستسلام رفضوا وصمدوا وقاتلوا قتال الأبطال خمسة أشهر كاملة (من ٢ ديسمبر ـ كانون الأول ـ ١٩٤٧م إلى ٢٢ إبريل (نيسان) ١٩٤٨م) نسفوا خلالها معامل التكرير فحرموا اليهود من النفط والبنزين، ودام القتال مَرَّة بينهم وبين اليهود ستًّا وسبعين ساعة دون انقطاع.

وكان الإنجليز شرًّا على شعب حيفا، فبينما كان محمد فخر الدين أورخان المجاهد التركي الذي تطوع للجهاد مع إخوانه الفلسطينيين قادمًا من الأناضول، يقود فريقًا من المجاهدين، مُعدًّا كمية من المتفجرات، إذ أطلق عليه الجنود البريطانيون رصاصهم فاستشهد في أول مارس (آذار).

ولن ينسى التاريخ للإنجليز رفضهم لطلب الفلسطينيين وهو طلب كانت تحتمه الإنسانية وتفرض الاستجابة[٢] له، وهو نقل الجرحى العرب

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٧٢ ـ ٣٧٩).

(٢) المصدر السابق ص(٣٧٦ ـ ٣٧٧).

إلى المستشفيات، وكانوا عدداً كبيراً، ولن ينسى لهم أيضًا أنهم عاونوا اليهود معاونة فعالة في معاركهم ضد الفلسطينيين، كما أنهم منعوا وصول الإمدادات إلى ميدان المعركة؛ بل إنهم وقفوا في وجه المناضلين العرب، يصادرون ما معهم من أسلحة، ويتركونهم طعمًا سهلاً لجحافل اليهود وسلاحهم وانسحب الإنجليز من حيفا في ٢٣ من إبريل (نيسان) ١٩٤٨م بعد أن مكّنوا اليهود منها.

واستنجد الفلسطينيون بقناصل العرب، وبقيادة الجيش الأردني، التي كانت ترابط على بعد أميال منهم (٧٠٠ جندي) ووقف الجميع يتفرجون على مجزرة أريق فيها الدم الفلسطيني مدراراً.

والسبب في ذلك أن قيادة الجيش الأردني كانت في يد الإنجليز الذين عاهدوا أوربا على التمكين لليهود في فلسطين، وحينما تحرك القائد الأردني لمساندة إخوانه الفلسطينيين على أرض يافا أنذره القائد البريطاني بإطلاق النار على جيشه لو فعل ذلك، والأنكى من ذلك أن مساعد الحاكم الإنجليزي للمنطقة أشار على أهل حيفا الفلسطينيين، «إذا كنتم تريدون تفادي قتل العرب في حيفا هذه الليلة، عليكم الاتصال باليهود حالاً والاتفاق معهم، وأنه لن يسمح بدخول قوات عربية لمساعدة أهل حيفا».

ودخل اليهود حيفا على جثث الشهداء وجريا على عادتهم، اعْمَلُوا في السكان العرب سلاح الفتك والإبادة فقتلوا، وشرّدوا وسرقوا ونهبوا كل ما حوته المنازل العربية من مال ومتاع وألقوا بالقتلى أمام النسوة والأطفال، وأدخلوا الدواب، إلى مساجد المسلمين، يتخذونها كإصطبلات وهدموا مقابر المسلمين والمسيحيين، ومنذ ٢٢ إبريل (نيسان)

عام ١٩٤٨م واليهود يمسكون بثغر حيفا التاريخي.

الشهيد عبد القادر الحسيني بطل معركة القسطل

يقول الشيخ الدكتور مصطفى السباعي في كتابه عن «جهاد الإخوان المسلمين في فلسطين» ص(٣٤٨ ـ ٣٤٩):

«إن جيش الإنقاذ الذي ألّفته الجامعة العربية كانت مهمته تحطيم «منظمة الجهاد المقدس» التي انخرط فيها شباب الفلسطينيين، وأبدوا من البطولات ما سجّله لهم التاريخ بإعجاب وإكبار، وكان قائدها الشهيد البطل عبد القادر الحسيني يحاول أن يحصل من الجامعة علي قدر كاف من الأسلحة فخاب مسعاه حتى أنه حين جاء إلى معسكر «قطنا» ليأخذ معه الفوج الأول من إخواننا، قال: إنني طلبت منهم مدفعًا واحدًا فرفضوا وأعطوني مئة بندقية لا تصلح إلا لوقود النار، وهذه هي معي في السيارة، ونظرنا فإذا ببنادق من العهد الفيصلي في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وأكثرها معصّب بعصائب من الحديد، ثم تابع الشهيد قوله: إنني ذاهب إلى فلسطين لاسترداد القسطل وسأموت، ولن أترك بلادي فلسطين طعمة للأعداء»، ووفى البطل بما قال».

يقول الدكتور عدنان النحوي: «لقد جُرح قائد الجهاد عبد القادر الحسيني في معركة «الخضر» التي قُتِل فيها سعيد العاص ـ رحمه اللَّه وأدخله جنته شهيدًا ـ فاعتقله الإنجليز ووضعوه في مستشفى الحكومة بالقدس. ولكن إخوانه المجاهدين تمكنوا من إنقاذه من المستشفى بعملية بطولية، ونقلوه إلى دمشق»[١].

(١)«على أبواب القدس» للدكتور عدنان النحوي ص(١٠٨) ـ دار النحوي للنشر والتوزيع.

وبعد قرار التقسيم أُعلن الجهاد في فلسطين.

يقول الدكتور النحوي: «ثم أعلن الجهاد في فلسطين، الجهاد الكبير الذي مضى به الناس يبذلون مالهم وجهدهم، ومضى به عبدالقادر الحسيني امتدادًا للجهاد المقدس الذي انطلق مع سنة ١٩٣٦م.

وقام هذا الجهاد بأعمال رائعة وبطولات نادرة، كان من أهم أعماله: نسف مبنى الوكالة اليهودية في القدس في ١١ آذار «مارس» سنة ١٩٤٨م، ثم نسف شارع بن يهودا في القدس نسفًا أحدث تدميرًا هائلاً، وحصار الأحياء اليهودية، وقطع الموارد عنها، حتى خرجت مظاهرات في القدس من اليهود ترفع الرايات البيضاء وتطلب الاستسلام للعرب وضجّ العالم كله، . . .

ولقد حدث هجوم إثر هجوم من اليهود على الأحياء العربية، وهجوم على حي القطمون، وكانت أعداد قليلة من المجاهدين تصد هجومًا من آلاف من اليهود، وتُوقع بهم خسائر كبيرة، واستمر الجهاد المقدس وهو يبحث عن مدد من المال ومدد من المدافع والذخيرة فما تيسّر له ذلك. وكان ينتقل من نصر إلى نصر في بطولات ذكية رائعة. . .

وسقطت القسطل بجوار القدس، وهي موقع عسكري هام.

وكان استردادها يتطلب مدافع وسلاحًا غير متوافر لدى الجهاد المقدس، فتوجه عبد القادر الحسيني إلى دمشق واستجدى اللجنة العسكرية، واستجدى الجميع بصورة مؤلمة مفزعة. ولما يئس عاد إلى القدس، وخاض المعركة بما يملك من سلاح، فخرّ صريعًا في القسطل في ٨ نيسان (إبريل) ١٩٤٨م. و كان قتله ضربة عنيفة للجهاد في فلسطين وحسرة للقلوب المؤمنة. وشُيّعت جنازته إلى المسجد الأقصى

ـ رحمه اللَّه رحمة واسعة، وجعله شهيداً في جنته وأجزل له الأجر والثواب ـ»[١] .

قال النحوي في رثائه:

سألتهم مَدْفَعًا يا ليتهم دفعوا ... عنك الردى وأجابوا غير ما طلبوا
فما همُ غير آلاتٍ تُحرّكها ... سياسة كيف ما مالوا أو انقلبوا
حلفتَ باللَّه أن تغدو بكوكبةٍ ... في ربوةِ القسْطل الهوجاءِ تحتطِبُ
والليلُ حولَكَ جَيّاش تخوضُ به ... كأنما أنت فيه جَحْفَلٌ عجَبُ
دخلتَ حاميةً فيها فما عرفوا ... غيرَ الرَّصَاصِ طعامًا منك أو شَرِبُوا
لم يبقَ عندك مَذْخورٌ فتقذِفَه ... إلا فتًى صابرٌ للَّه محتَسِبُ
وانهالتِ النارُ فاستقبلت حَرَّتها ... وأنت في القسطلِ الحمراءِ تحتطبُ
حتى قضيْتَ وفي جَنْبَيْكَ أوْسِمَةٌ ... حمراءُ لا ماسَةٌ فيها ولا ذهبُ
فخرٌ! فما جاد في تعليقها أحدٌ ... يلهو ولا هي نيشانٌ ولا لَقَبٌ

وقال فيه أيضًا:

قالوا: الرصاصُ يُحَيّي بشْر عودته ... وهذه القدسُ خَفَّتْ نحوه تَثِبُ
على الأكُفِّ مُسجًّى في مهابته ... وحولَه ثُلةٌ أو فتيةٌ نُجُبُ
لم يلمسوا فيه إلا أنه بَطَلٌ ... حي يَقُودُ ولا يُثْنَى له أَرَبُ
فليس من عجبٍ أن قال قائلُهم ... مواكبُ النصر فيها المنظَرُ العَجَبُ
لا يبلُغُ الفكرُ ما جاز المماتُ به ... ولا يراه خيالٌ وهو يحتجبُ[٢]

---

(١) «على أبواب القدس» للدكتور عدنان النحوي ص(١٢٠ ـ ١٢١)

(٢) من قصيدة «الشهيد عبد القادر الحسيني في القسطل» من «ديوان الأرض المباركة» للنحوي ص(٩٣ ـ ٩٧).

* معركة بني نعيم:

«تعد معركة بني نعيم من أعظم المعارك التي خاضها الثوار على أرض فلسطين، ففي ١٤ تشرين الأول ١٩٣٨م، انطلق القائد الفلسطيني المعروف عبد القادر الحسيني وأخوه عبد الحليم الجيلاني إلى قرية بني نعيم لإصلاح ذات البين ونبذ الخلافات بين أهالي الخليل وأهالي قرية (دورا).

إلا أن عينًا خبيثة خائنة كانت ترقبهم إلى أن نزلوا بديار بني نعيم، فانطلقت مسرعة لتخبر مركز البوليس الإنجليزي الذي سارع بإرسال قوة تعدادها خمسمائة جندي، وست عشرة طائرة حربية، مطوقة في طريقها قرية يطا، زاحفة بعد ذلك تجاه قرية بني نعيم، لتبدأ المعركة الكبرى بين قوات المجاهدين وبينهم من الصباح وحتى المساء، مسفرة عن قتل خمسين جنديًّا بريطانيًّا، وعطب خمسة سيارات لهم، واستشهاد ثمانين مجاهدًا من جماعة الحسيني على رأسهم المهندس علي الحسيني، وشهيد واحد من جماعة الجيلاني هو الشيخ عيسى أبو قدوم التعمري، رئيس فصيل عرب التعامرة، بالإضافة إلى وقوع ستة مجاهدين بأيدي العدو أسرى.

وممن يذكر جهاده في هذه المعركة الشيخ الزير وجماعته الذين سقط منهم شهداء كثيرون، والشيخ سليم الوحش وجماعته، وإبراهيم جابر (أبو الوليد) وجماعته من أبناء (بيت عطاب)، وكثير من أبناء عين كارم وصور باهر إلى غير ذلك من القرى المقدسية، بالإضافة إلى العبيديين بقيادة موسى علي جابر الردايدة.

وقد أكد الجيلاني في مقابلة أجريتها معه في ١٨/ ١١/ ٨١م إسهام

أبناء العبيدية، وأثنى عليهم كثيراً.

ومن المشاهد التي تصف دور موسى العلي الردايدة في هذه المعركة، أنه كان يقود حصانه عندما فاجأتهم الطائرات تقصف مواقعهم، وحفاظًا على هذا الحصان لم يدعه، بل أخذ بخطامه بين أسنانه، وأمسك بندقيته بيديه، ليرد على قصف الطائرات، حتى انتهت المعركة، فأصيبت أسنانه بألم شديد عانى منه مدة طويلة. بعد انتهاء المعركة مباشرة جاء الجيلاني ومن تبقى معه من المجاهدين لتفقد الجرحى والشهداء، وإذا بالقائد الكبير عبد القادر الحسيني جريح وإصابته بليغة، وكان قد أصيب في بطنه ورجله اليسرى، فأحضر له جملاً وحمله عليه إلى جبل الخليل، حيث مركز القيادة في شعب الملح، وخصص له خمسين مجاهدًا ليقوموا بحراسته، حتى يشفيه اللّه، ويرجع إلى ساحة الجهاد.

وأرسل الجيلاني في طلب الأطباء العرب، ولكن للأسف لم يعثر على أحد منهم مما اضطره إلى القيام بعملية خاصة لإحضار طبيب ولو كان إنجليزيًّا حيث طوق مستشفى (مارلوقا) الإنجليزي ليلاً بالتخطيط مع الممرضين: خليل وحسن عابدين اللذين يعملان مع الطبيب البريطاني مستر (صوفر) حيث اقتادوه إلى الجبل، وبقي يعالج المجاهد الحسيني ثلاثة عشر يومًا، حتى قام بإذن اللّه سالمًا، عندها سمح الجيلاني للطبيب (صوفر) بالعودة إلى عمله دون أن يعرف أن الذي كان يعالجه هو قائد الجهاد المقدس عدو الإنجليز اللدود عبد القادر الحسيني ـ رحمه اللّه ـ.

ولم يكتف الجيلاني بهذه المعالجة لأخيه الحسيني، بل قام بنقله إلى بيت الممرض خليل عابدين ليلاً، ثم نقل من هناك مارًّا بأراضي العبيدية

وعرب التعامرة إلى الشونة، وركبوا من هناك خمس قاطرات، وسافروا إلى دمشق، وكان عدد المجاهدين في تلك الرحلة الاضطرارية سبعين مجاهداً، وقام الجيلاني بتسليمه لسماحة المجاهد مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني لوضعه تحت العلاج الكامل، ومن ثم قفلوا راجعين إلى فلسطين ساحة الجهاد ومقارعة أعداء اللَّه ورسوله والمؤمنين»[1].

الشاعر عبد الرحيم محمود

❑ بطل عظيم من تلاميذ القسام... صدق اللَّه فصدقه... هو القائل:

سأحمل روحي على راحتي ... وألقي بها في مهاوي الردى
فإمّا حياة تسرّ الصديق ... وإما مماتٌ يغيظ العِدَى
ونفسُ الشريف لها غايتان ... ورود المنايا ونيلُ المنى

عندما تفجّرت الثورة عام ١٩٣٦م كان ـ رحمه اللَّه ـ من جنود الثورة تحت إمرة القائد «عبد الرحيم الحاج محمد». وفي مارس ١٩٣٩م يسقط المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد، وتطارد الحكومة البريطانية المجاهدين في كل مكان، فيتسلل ـ رحمه اللَّه ـ إلى العراق، ويلتحق بالكلية الحربية في بغداد، ويتخرّج فيها ضابطًا.

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ في هوان المسلمين في عصره بعد أن تكلم عن مجدهم السالف:

تنافرت القلوبُ فلا ودادٌ ... وفرّق شملهم خوفٌ فذلّوا

(١) «بطولات من أرض الإسراء» ص(٤٢ ـ ٤٧).

وهانوا لا يعزُّ لهم قناةٌ ... على الأعداء فانكسروا وغُلّوا
ونامـوا لا تُفيقهم خطوبٌ ... ولا أبناء جلادٍ يَشُلّ
يدوس حراقهم طيرٌ بُغاث ... ويقهرهم من الأقوام سُفْلُ
عجبتُ لمعشر فيهم كتابٌ ... به طرق الهداية كيف ضلّوا!!
أعدّ لهم أعاديهم سلاحًا ... وعُدّتهم لها خُطبٌ وقولُ[1]

وكانت أروع القصائد التي كتبها البطل هي آخر قصائده، لم تُكتب على ورقٍ، ولكن على ساحة القتال، ولم تكتب بمداد، ولكن كُتبت بدمه الذي سال في معركة الشجرة في ١٣ من تموز (يوليو) عام ١٩٤٨م.

تعال نستمع إلى شهادة الملازم عبد الرازق المالكي أحد ضبّاط جيش الإنقاذ، وقد حضر المعركة.. يقول: «وتقدّم أبو الطيب ـ عبد الرحيم محمود ـ بأفراد سريته، وأدار المعركة، وكسر الطوق عن العرب المحاصرين، وقد أُصيب بقنبلة خلال الزحف، وفارق الحياة بعد أقل من ربع ساعة، وسحبناه على الأرض وسط رصاص المعركة الكثيف إلى قرية «طوعان القريبة، ومنها نقلناه في سيارة عسكرية إلى الناصرة... وشيّع جثمانه من المستشفى إلى المقبرة الإسلامية فيها»[2].

* مفتي فلسطين الحاج أمين الحُسيني المجاهد الكبير:

كانت له مكانة كبيرة في نفوس المجاهدين وقادتهم وخاصة الشيخ عز الدين القسّام يقول المجاهد السيد أحمد حسين حمدان وهو من

(١) ديوان الشاعر عبد الرحيم محمود.
(٢) مجلة القدس ـ العدد الخامس ـ المحرم ١٤٢٠هـ ص(٧٧).

مجموعة القسّام:

«كنا نحرص جميعًا على إخفاء علاقة أي منا بغيره، وكذلك على إخفاء علاقة هذه المجموعة أو تلك بسماحة المفتي. وبعد استشهاد الشيخ القسّام ـ رحمه اللَّه ـ، تولى الشيخ عطية مكانه، وبعد استشهاده تولى الشيخ يوسف أبو درة مكانه، وهما أصلاً من مجموعة القسّام. فلما بدأت ثورة ١٩٣٦م وما بعدها، بدأ ينكشف ارتباط المجموعة بسماحة المفتي، وارتباط القائد أبو درة به أيضًا، وبدأت تنكشف علاقة المفتي بالثورة وتنظيمها، فبدأت مطاردة الإنجليز له، كما هو معروف، حتى اضطر إلى مغادرة البلاد ليقود الثورة من الخارج مع مجموعة من إخوانه المجاهدين معه، فاستقر قسم في بيروت مع سماحة المفتي، واستقر قسم في دمشق، لينسّق الطرفان معًا قيادة الثورة»[1].

❑ يقول الأستاذ عوني جدوع العبيدي:

«بعد أن ترسّخت عند سماحة الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى القناعات بأن الكلمات وحدها والقرارات السياسية غير المدعومة بقوة السلاح لا تجدي.. توجّه ـ رحمه اللَّه ـ إلى إقامة ثورة شعبية فلسطينية ضاربة، فكان تأسيس جيش الجهاد المقدّس بقيادة (الشهيد) عبد القادر الحسيني، وأخذ الحاج أمين يزور المدن والقرى والبوادي ليلتقي بالوجهاء والشيوخ والزعماء الفلسطينيين بقصد دعمهم الجهاد المقدّس بالمال والرجال وليبث فيهم روح التضحية والجهاد في سبيل اللَّه، حماية للوطن ومقدساته.

(١) «على أبواب القدس» (٢٦٥ ، ٢٦٦).

وكانت قرية العبيدية إحدى تلك القرى المجاهدة التي حلّ سماحته فيها ضيفًا، وأُقيم له احتفال مهيب؛ واستقبله وجهاء ومخاتير ورجالات العبيدية جميعهم، واتفق معهم على تزويد الثورة بفصيل من الثوار، وأن يساعدوها بما أوتوا من قوة، فكان «فصيل قرية العبيدية» بقيادة المجاهد الثائر موسى علي جابر الردايدة»[١].

❑ يقول الدكتور عدنان النحوي عنه: «رجل فلسطين، مفتيها وقائد جهادها الحاج محمد أمين الحسيني توفي في خمسة تموز سنة ١٩٧٤م في بيروت. علم من أعلام العقيدة والجهاد في تاريخ هذه الأمة.

يا أيها الجسد الثاوي على شرف ... أكبادنا لشهيد الحق أكفانُ
تُرْخِي عليك حنانًا من جوارحنا ... ظِلاًّ وتسكب قَطْرَ الغيث أجفانُ
يظل قبرك يروي كلما وقفت ... أمامه خاشعان الطرف أزمان
يروي صحائفَ أمجادٍ معطرةٍ ... لها من الخُلُق الميمون عنوان
أوْقَدَتْ معركة للحق صابرةً ... تقودها وينير الدرب قرآنُ
كم أطلق البطل «القسام» غضبته ... وزمجرت دونه بيد وكثبانُ
ردّ الحسيني وجه الكفر مندحرًا ... يجرهم من نواصي الذلّ خسرانُ[٢]

❁ ❁ ❁

(١) «بطولات من أرض الإسراء» لعوني جدوع العبيدي ص(٣٠ ـ ٣١) ـ دار النفائس الأردن.

(٢) من قصيدة «دمعة على رجل» من «ديوان الأرض المباركة» للنحوي ص(١٣١ ـ ١٣٨).

موسى العلي الردايدة قائد مجاهدي العبيديين[١]

مرّ ذكر هذا البطل قائد «فصيل العبيديين» في معارك الجهاد بفلسطين:

«اشترك العبيديون في معركة حوسان الأولى سنة ١٩٣٦م، وقد جرح فيها القائد عبد القادر الحسيني جرحًا بسيطًا نتيجة قذيفة صوبت نحوه إلا أن اللَّه ـ عز وجل ـ سلمه من تلك الحادثة.

وقد أصابت القذيفة حزام الذخيرة (القشاطات) فمزقته شر ممزق، ولقد بقيت هذه (الجنادات) عند علي شحاذة الجابر الردايدة مدة طويلة محتفظًا بها ذكرى لتلك المعركة.

وشاركوا كذلك في معركة ليات وادي قطيف حيث اشتبكوا مع إحدى القافلات اليهودية والتي قتل فيها أحد كبار المهندسين اليهود، وقام موسى العلي منفردًا، وترصد لمهندس مستعمرة رامات راحيل آنئذ وقتله.

وفي منطقة وادي السدر على طريق أريحا ـ القدس، قام وبمساعدة المجاهد خليل الدبش وبعض الثوار التابعين له بتخريب خمسة عشر عمودًا من أعمدة التليفون، وهدم أحد الجسور.

ومن معارك الجهاد التي شارك فيها العبيديون كذلك معركة دار السقا في مكان يقع بين مارالياس وبيت لحم، واشتركوا كذلك في معركة بني نعيم ١٩٣٨م، ومعركة رامات راحيل ١٧ أيار ١٩٤٨م، ومعركتي نحالين ١٩٥٤م وحوسان ١٩٥٦م إلى غير ذلك من المعارك والاشتباكات المتناثرة: في صفحات التاريخ الفلسطيني الحديث»[٢].

---

(١) العبيدية قرى من قرى بيت لحم بفلسطين.

(٢) «بطولات من أرض الإسراء» ص(٤٠ ـ ٤١).

* معركة الدهيشة:

«في يوم السبت ٢٧ آذار عام ١٩٤٨م أي قبل انسحاب البريطانيين من فلسطين بقليل خرجت مجموعة من عرب العبيدية قاصدين قوافل اليهود، وكمنوا في إحد البساتين الواقعة بقرب الطريق العام، وكانوا أربعة مسلحين.

وجاءت قافلة مؤلفة من (٢٥٠) جندي في أربع وخمسين عربة يحرسها أربع من المصفحات، قاصدة مستعمرة كفار عصيون، وجد هؤلاء الثوار أنفسهم في معركة غير متكافئة إذا ما أظهروا أنفسهم لتلك القافلة التي كانت تسير ببطء، لذا قرروا أن يسبقوها، وذلك لإقامة الحواجز أمامها ومنعها من إكمال المسير حتى يتكاثر عدد المجاهدين، ورصدوها على مقربة من الدهيشة بعد أن ملئوا الطريق بالحجارة الكبيرة، ولما قدمت القافلة فُوجئت بهذا الفعل، وكان يتقدمها مصفحة ذات عجلات وتقوم بمهمة الجرافة، وحاولت إزالة تلك الحواجز فعجزت.

أما المجاهدون فقاموا بتعطيل هذه الجرافة وبقية السيارات المتقدمة على القافلة، وذلك بإطلاق النار نحو عجلاتها، ظن اليهود أن الثوار كثيرو العدد، فقرروا الانسحاب نحو بيت كبير مهجور، ولم يبق منهم إلا الذين كانوا في الجرافة وعددهم ١٢ رجلاً وامرأة، فلم يتمكنوا من الخروج، وعندما تطاير خبر القافلة إلى أبناء القرى المجاورة والدهيشة بالذات تقاطر الثوار من كل حدب وصوب، وقام الثائر محمد عبد اللّه من بيت ساحور باحضار زجاجتين من البنزين، وتسلل قاصداً الجرافة، ووضع تلك الزجاجات تحتها، وقام الثوار بدورهم برشقها برصاص

محرق فاندلعت النار فيها، وتفجرت، وقتل جميع من فيها، ووجدوا فيها (برنا) وعدداً من الأسلحة، ولكنها غير صالحة، فقد اندلعت فيها النار أيضًا نتيجة الانفجار، وجاءت بريطانيا لتطالب جماعات الثوار بترك من تبقى من اليهود مقابل ما معهم من عتاد فرفض الثوار، عندها أمهلتهم بريطانيا حتى الساعة الرابعة مساءًا، وكان الحديث قد دار بينهم الثانية عشر ظهرًا، فاستغل العرب هذه المهلة المعطاة لهم، ولم تأت الساعة الرابعة إلا وسبعة وثلاثون يهوديًّا قد قتلوا، وما تبقى منهم خرج حيًّا والنجاسة تسيل على أقدامهم من شدة الخوف الذي لاقوه من ثوار العرب، وغنم المجاهدون ثلاث مصفحات وثمانية باصات كبيرة، وثلاثين سيارة شحن، ومائة وسبعين بندقية، وعدداً من القنابل والمسدسات، ومقادير كبيرة من الأعتدة والذخيرة اقتسمها المجاهدون، وأما البقية الباقية من سيارات القافلة فقد التهمتها النيران، واستشهد في معركة الدهيشة ١٢ عربيًّا وجرح ثلاثون»[1].

* معركة رامات راحيل:

أما معركة (رامات راحيل) فيروي الأستاذ عارف العارف صاحب كتاب «النكبة» عنها ما يلي: «وعندما وصل المصريون إلى القطاع الجنوبي من مدينة القدس كانت الحرب على أشدها فيها، وكان المجاهدون من أبنائها يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل الذود عنها، وكانت المعركة قائمة من ناحيتها القبلية حول «رامات راحيل»، وقد احتلوها في ١٧ أيار، وكان عددهم يومئذٍ مائة وخمسة وثمانين، ودخلتها حامية

(١) «بطولات من أرض الإسراء» ص(٥٣ ـ ٥٦).

مارالياس من ناحيتها الغربية.

وكانت بقيادة إبراهيم أبودية، وكانت هذه تناوئ اليهود هناك منذ رحل البريطانيون عن البلاد في ١٤ أيار، وقد قتل من رجالها عشرة وجرح خمسة عشر، والإخوان المسلمون من السوريين دخلوها من الناحية القبلية، وكانوا بقيادة الشيخ مصطفى السباعي، وقد قتل منهم خمسة وعشرون، ومناضلو صور باهر جاؤوهم من الناحية الشرقية، وكانوا بقيادة جاد اللَّه محمود، وكذلك قل عن عرب التعامرة، وكان منهم خمسة عشر مناضلاً، يقودهم أحمد السالم وعرب السواحرة والعبيديون، وعددهم عشرون مناضلاً، يقودهم محمود العلي، وعدد من المناضلين الخلايلة يقودهم عبد الحليم الشلف، وكان معهم دبابة أردنية فيها بعض الضباط الأردنيين، ومنهم الضابط حكمت مهيار، والضابط نزار المفلح من ضباط السرية الثانية عشرة التابعة للكتيبة السادسة، وفرت حامية المستعمرة تاركة وراءَها عددًا كبيرًا من القتلى والجرحى ومقادير وافرة من الذخيرة والمؤن والأدوات المنزلية وآلات القتال!»[1].

* معركة حوسان:

وعن هذه المعركة يقول الدباغ: «وفي الساعة التاسعة من مساء ١٩٥٦/٩/٢٥م شن اليهود هجومًا واسع النطاق على مراكز القوات الأردنية في قريتي وادي فوكين وحوسان، وقد تقدموا بهجومهم الرئيسي على موقع حوسان بقوة تقدر بلواء مشاة كامل تسانده المدفعية، ودام

(١) «بطولات من أرض الإسراء» ص(٥٦ ـ ٥٨).

الاشتباك حتى الساعة الواحدة والنصف صباحًا، وقد صمد رجال الحرس الوطني صمودًا عظيمًا، وتطورت المعارك إلى التحام بالسلاح والأيدي، الأمر الذي كبد اليهود خسائر فادحة، وقد أخذت سيارات الإسعاف تتجه بالعشرات جنوب معسكر عين كارم، وعثر في مكان المعركة صباح اليوم التالي على جثث إسرائليين بينهم جثة ضابط، لم يتمكن اليهود من سحبها كعادتهم، ودلت التقارير على أن خسائر العدو أضعاف خسائر العرب التي بلغت (٣١) شهيدًا»[١].

* حتى لا ننسى الأبطال الجبال الميامين من أرض الإسراء فلسطين:

يقول الدكتور عدنان النحوي:

«من حق المؤمنين المجاهدين أن نذكر بعض الأسماء التي عرفناها في ميدان الجهاد، نذكرها اعتزازًا بها، واعتزازًا بمن جهلنا اسمه دون إنقاصٍ من قدره وجهاده. وإنما أجرهم جميعًا عند اللَّه، هو أعلم بهم وبقلوبهم، وهو اللَّه الحق يوفيّهم أجرهم:

عبد القادر الحسيني قائد الجهاد المقدس في فلسطين، كامل عريقات مساعده، الشيخ عزّ الدين القسّام الذي سبق أن ذكرنا طرفًا من سيرته العطرة، خليل العيسى (أبو إبراهيم الكبير) من مزرعة القدس، توفيق الإبراهيم (أبو إبراهيم الصغير) من أندور الناصرة، عبد الرحيم الحاج محمد (أبو كمال) من ذنابة، الشيخ محمد أحمد الحسن من برقة، عارف عبد الرزّاق (أبو فيصل) من الطيبة، الشيخ حسن سلامة (أبو علي) من قضاء الرملة، عبد الفتاح العبد (أبو عبد اللَّه) من سيلة الظهر،

---

(١) «بطولات من أرض الإسراء» ص(٦١ ـ ٦٢).

محمد صالح العبد (أبو خالد) من سيلة الظهر، إبراهيم أبو دية من صوريف الخليل، الشيخ عطية أحمد من حيفا، عبد اللّه يوسف عمر (أبو عمر) من سيلة الظهر، عيسى البطاط من قضاء الخليل، عبد الحليم الجيلاني (أبو منصور) من الخليل، الشيخ عيسى أبو دارة من السيلة الحارثية وقد تولى القيادة العامة في بعض مراحل الثورة (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩)م، سليمان عبد القادر (أبو علي) من سمسم غزّة، الشيخ أحمد التوبة من صفورية، الشيخ فرحان السعدي من نورس، أحمد طافش من صفد، عبد اللّه الشاعر من صفد، عبد اللّه الأصبح من الجاعونة، محمود عثمان (أبو سلطان) من صفد[1].

لم يكن هؤلاء وحدهم هم القادة أو الجنود، فلعله سقط منا بعض الأسماء التي أعطت وبذلت، ونعتذر عن أي تقصير بحق أي مجاهد صدق اللّه في جهاده، وأجر الجميع عند اللّه هو ربهم وهو أعلم بهم.

ولا نعني بهذا أن المسيرة الإسلامية كانت قد استكملت عُدّتها ونهجها. ولكننا نعني أن الراية والشعار، والعاطفة، والجمع، كل ذلك كان يدفعه الإسلام والإيمان إن شاء اللّه، بحدود ما علمنا وما تواترت به الأنباء والشواهد والوثائق.

ولقد تخلّل العمل قدر من الاجتهاد الذي كان لا بد منه، الاجتهاد البشرى الذي يصيب ويخطئ. ولكن المسيرة كانت تحتاج إلى استكمال

---

(١)«في كل مدينة أو قرية في فلسطين مجاهدون نفروا إلى الجهاد على مدى سنين طويلة، لا نستطيع أن نحصر أسماءهم، عسى اللّه أن يوفيهم أجرهم ويزيدهم من فضله، لمن صدق اللّه وجاهد في سبيل اللّه، لم تدفعه إقليمية أو قومية، أو أي عصبية جاهلية» ا.هـ من كلام الدكتور النحوي في هامش كتاب «على أبواب القدس» ص(١٢٦).

بعض الأمور والإمكانات، لم يهيئ الواقع آنذاك سبيل توافرها»[١] .

* معركة الكرامة «الخميس ٢١ مارس ١٩٦٨م»:

وهو اليوم الذي أذلّ اللّه فيه اليهود بعد نكسة يونيو. ويا له من يوم!!

في ١٧ مارس ١٩٦٨م حشد اليهود قوات كبيرة على طول نهر الأردن تمهيداً لغزو الأردن ولضرب الفدائيين من حركة فتح «وكانت خليطًا قوميًّا ضمّ الإسلاميين!!! مع غيرهم»، وكان لا بد من إنزال أكبر الخسائر بقوات اليهود رفعًا لمعنويات العرب بعد نكسة يونيو ١٩٦٧م - وتواجد في أرض المعركة أفراد الجيش الأردني مع قوات فتح.

❑ وفي الساعة الخامسة والنصف من صباح الخميس ٢١ مارس (آذار) ١٩٦٨م بدأ العدو يهاجم الأردن بمئات الدبابات والطائرات وجنود المظلات، واشتعلت معركة كانت تحتاجها الأمة العربية، معركة أثبتت أن الانسحاب ليس دائمًا شرط السلامة وأن أبناء العرب والإسلام يستطيعون أن يوقفوا العدوان بصمود شريف.

يقول مراسل صحيفة دي تسيت الألمانية:

«في الساعة الخامسة وأربعين دقيقة من صباح ٢١ آذار شرعت مئات الدبابات الإسرائيلية تجتاز الضفة الشرقية لنهر الأردن بعد أن مهدت المدفعية بقصف شديد مركز على المواقع الأردنية.

وفي نفس الوقت تقريبًا نشطت طائرات القتال وقاذفات القنابل الإسرائيلية للعمل وشرعت تلقي قنابلها في كل مكان، بينما كانت عشرات الطائرات العمودية (الهليوكوبتر) تنزل المظليين في منطقة

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(١٢٥ - ١٢٦).

الكرامة وسارت الأمور في البداية حسب المخطط الذي قدرته غرفة العمليات العسكرية بتل أبيب، ولكن فجأة بدأت نيران الفدائيين تلتهمهم، وكان الفدائيون قد تركوا أعداءهم يتوغلون، ثم اندفع قسم منهم فطوق الإسرائيليين، بينما اشتبك قسم آخر منهم مع القوات الغازية بالأيدي ورؤوس الحراب والمدى وحتى بالأسنان، ولا تزال آثار أسنان الفدائيين وأظافرهم تبدو بوضوح على وجوه الأسرى الإسرائيليين دليلاً ظاهرًا على مدى حقد العرب على العدو الذي دخل ديارهم».

وليس أبلغ من هذا الوصف الأجنبي لذلك اليوم المشهود الذي اختلط فيه دوي المدافع بطلقات الرصاص، بصكيك الأسنان تنطبق على أعناق جنود إسرائيل، وفي وجناتهم، إنها حرب الشوارع والمواجهة، إنها حرب الفداء، إنها حرب الإيمان الذي يقرر ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

لقد ظهر جليًّا أن إسرائيل كانت تستهدف احتلال الأردن، وإذا تعسر ذلك فسوف تكتفي بالمشارف العليا التي تقع شرقي النهر، ولكن الوقفة البطولية التي وقفها أبطال «فتح» ورجال جيش الأردن الباسل كانت فاجعة لإسرائيل، فلم تستطع أن تحتل الأردن، ولم تستطع أن تبقى في مشارف الضفة الشرقية وأمضت أغلب يومها تجر قتلاها وجرحاها بالسيارات والطائرات.

يقول تقرير مستقى من الصحفيين الأجانب ذوي العلاقة بإسرائيل أمكن الحصول عليه بعد نحو أسبوعين من المعركة ما يلي: «اتصل مسئول إسرائيلي بعدد من الصحفيين الأجانب معظمهم من الأمريكيين والأوربيين واليابانيين مساء يوم الأربعاء ٢٠ آذار (مارس) وطلب منهم

التجمع في ساعة مبكرة من صباح الخميس في القدس المحتلة استعداداً لإطلاعهم على ما وصفه بأنه (مفاجأة كبيرة). وفي الموعد أخذوا إلى أريحا حيث أبلغوا وسط الضحك الصاخب: ستنقلون إلى الضفة الشرقية بعد قليل لمشاهدة عمليات قواتنا في إنهاء حرب جيوب المخربين، وقد نتناول القهوة معًا في عمان هذا المساء.

ولكن هؤلاء الصحفيين لم يدخلوا الضفة الشرقية فضلاً عن عمان، فقد لاقاهم ذلك المسئول في حالة من التجهم والارتباك بعد العاشرة صباحًا، وأبلغهم أن الرحلة ستكون لتل أبيب حيث حضروا مؤتمرًا صحفيًّا لا قيمة له.

لقد كانت خسائر إسرائيل في هذه المعركة ذات اليوم الواحد تزيد أو تقارب ما خسرته في حرب يونيو (حزيران). فقد قدرت الأوساط والصحف الغربية بأن إسرئيل فقدت ما لا يقل عن ١٢٠٠ بين قتيل وجريح وما لا يقل عن ١٢٠ دبابة ومصفحة وآلية قد أعطبت.

❑ يقول الأستاذ صالح أبو بصير صاحب كتاب «جهاد شعب فلسطين»:

«ولقد سمعت بأذني من شيخ يسكن القدس، وسمح له بزيارة أقاربه في عمان وقابلته شخصيًّا في مكان آخر: «أن سكان القدس العرب كانوا يعيشون منذ صباح ذلك اليوم في قلق بالغ خوفًا من نتائج الهجوم الإسرائيلي على الضفة الشرقية، وكانوا يتابعون تحركات اليهود منذ الصباح الباكر، وأنهم بدءوا يتنفسون الصعداء منذ العاشرة صباحًا حين أخذت طائرات الهليوكوبتر اليهودية تنزل قرب مستشفى هداسا، يرونها وهي تنزل القتلى والجرحى، وحين أخذت طوابير سيارات

الإسعاف في رتل طويل تقطع الطريق ذهابًا وإيابًا إلى منطقة القتال مما أفهم العرب في القدس أن غزو إسرائيل لشرق النهر لم يثمر ثماره وأن خسائرهم كبيرة وكبيرة جدًّا»، قال هذا الشيخ: وعدنا إلى بيوتنا نعانق أطفالنا ونحدثهم أن اطمئنوا، فإن أمتكم ما زالت بخير، إن أمتكم لم تمت كما يقول لكم أطفال اليهود منذ الخامس من يونيو».

❑ ويصف متحدث رسمي لمنظمة «فتح» ساعات من ذلك اليوم في تصريحه أثناء المعركة فيقول:

«استمرت المعارك الضارية على طول الجبهة حيث فشل العدو في تحقيق أي من أهدافه، وفي الساعة الثانية بعد الظهر بدأ العدو يتقهقر بذعر وبطريقة غير منظمة أمام الضربات المذهلة التي سددتها له قواتنا، ولا يزال ثوارنا يلاحقون العدو ويكبدونه الخسائر الفادحة مما اضطره إلى طلب وقف إطلاق النار عندما أدرك أن تفوقه الجوي والآلي لا يحميه من رجال صمموا على النصر».

❑ويصف مراسل مجلة «الثورة الفلسطينية» العسكري الذي عاش في قلب المعركة مشاهداته فيقول:

«بين الخامسة والنصف من صباح الخميس والثامنة والنصف من مسائه، استطاع أبطال العاصفة في الأغوار أن يعيدوا إلى ذهن التاريخ ذكرى خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص، وعكرمة وجعفر وكل أبطال العرب الذين عادوا من جديد حاملين أسماء أبو أمية ورؤوف وربعي وأبوالعبد أبو شريف، أسماء ابتدأت بالشهيد أحمد موسى عام ١٩٦٥م ولن تنتهي إلا عندما يصعد بلال على جدار القدس ليؤذن إن الباطل كان زهوقًا».

لقد أثبتت الإصابات في الشهداء أنها كلها كانت في الصدر والوجه وثبت أن طيران العدو ليس إلا وهمًا، وأن براعته القتالية لا تخيف الأبطال والمجاهدين، وأن جيش الدفاع الإسرائيلي ليس إلا مجموعة من الآليات الضخمة يقودها رجال مقيدون بالسلاسل وهكذا.

وهكذا مضى يوم الكرامة يومًا خالدًا دفعت فيه «فتح» مجموعة كريمة من أبنائها شهداء، ولكنهم كانوا ثمن النصر ولإزالة جزء من عار الخامس من يونيو (حزيران)، ولإثبات أن المقاتل العربي يستطيع أن يصمد، وأن يصد وأن يدحر عدوه دون انسحاب، وأن كارثة الخامس من يونيو (حزيران) ليست قاعدة ولن تعود أبدًا ظروفها المربكة بعون اللّه».

وكان يوم الكرامة ميدانًا لبطولة الجيش الأردني أيضًا. فقد دافع الأبطال واشتركت مدافعه وقواته منذ الصباح، وإلى أن تم جلاء الأعداء، ودفع هذا الجيش أيضًا كثيرًا من رجاله شهداء في ميدان الشرف والتضحية.

وقد خاض الفدائيون من شعب فلسطين معارك ضارية في جميع أنحاء فلسطين سطروا بدمائهم حروف التضحية، وقووا العزم لدى جماهير أمتنا العربية كلها، لقد بلغ عدد شهداء «فتح» حتى قبيل يوم الكرامة سبعين شهيدًا ولا نشك أن قرابة مائتي شهيد لحقوا بإخوانهم بعد ذلك حتى اليوم، ولكن خسائر إسرائيل في جنودها وسياراتها ومستعمراتها ومصاريف فرقها المستنفرة على الدوام هذه كلها كانت كبيرة اعترف بها دايان وزير حربية الأعداء نفسه، وليس بإمكاننا في هذه العجالة أن نعدد معارك «فتح» والفدائيين، ولكن هذا لا يمنعنا أن نعيد للأذهان هجوم فتح على مطار أريحا والهجوم على مخازن البترول في

ميناء إيلات حيث بقي الحريق ثلاثة أيام بلياليها، والهجوم على معسكرات الأعداء في ضواحي نابلس ومحاولة قتل قائدها مرات ثلاث، والهجوم على قرى مجاورة لتل أبيب، ونسف مستودع الذخيرة الكبير في تلك القرى والكمين المهم الذي أعد لموشي ديان فأبقاه شهرًا تحت علاج خطير، ومعركة عين عروس التي فقدت فيها إسرائيل أكثر من سبعين جنديًّا بين قتيل وجريح، وكانت ثأرًا للعرض العسكري بالقدس، وفقدت العاصفة فيها اثني عشر من شباب فتح المهمين، ويعلن بلاغ لفتح أنه في إحدى عشر عملية فدائية خسرت إسرائيل أكثر من ١٥ جنديًّا وبعض السيارات العسكرية، وتلك معارك فتح عند خان يونس وغزة التي هب شعبها ليقاوم برجاله ونسائه جحافل العدو، حتى أربكها طوال شهر مايو (أيار) ١٩٦٨م.

عبدالله يوسف عزام البطل الفلسطيني والمجاهد الكبير

❑ ينبوع ثر تفجر ليمد نهر الإسلام الخالد بجديد من دماء . . . ألا وهو المجاهد الكبير دكتور عبد اللّه عزام ابن «سيلة الحارثية».

رابط عبد اللّه عزام ووالده في أرض الأردن يفيان بنذر فلسطين، ويرابطان على أكناف بيت المقدس، كان ذلك في عام ١٩٦٨م.

قرر عزام أن يتفرّغ لقضية الجهاد فترك الفراش الدافئ والزوجة إلى الجبال والنيران والدماء، فأسس عام ١٩٦٨م قواعد أسماها «قواعد الشيوخ» شمال الأغوار في منطقة إربد. «وكانت هذه القواعد لا تزيد عن أربع، وربما كانت أقل، وكانت تابعة كلها لقوات العاصفة وتحت إشرافها، على أن تُعطي القاعدة حق الأذان والصلاة!! ولعلها كانت القواعد الوحيدة التي يقوم فيها الأذان في أوقاته، وتقام صلاة الجماعة

في أوقاتها!! واشترك الشيخ عبد اللَّه عزام في إحداها، معلمًا وداعية إلى اللَّه ورسوله ومجاهدًا في سبيل اللَّه. وقام ذلك النفر المؤمن بجولات جهادية كريمة إن شاء اللَّه، وكان من أهمها عملية الحزام الأخضر»[1].

«معركة الحزام الأخضر التي لا يزال التاريخ يذكرها كمثال واضح على ترابط أجزاء الأمة مهما فرّقها الحكام أو المستعمرون فهذا مصري وآخر سوري وفلسطيني وأردني يقاتلون عدوًّا واحدًا وهم على قلب رجل واحد.

في عام ١٩٧٠م أرسل وزير الدفاع الإسرائيلي الإرهابي إرييل شارون ـ مراسلاً كنديًّا وآخر أمريكيًّا إلى الحدود يطوفان بها ليثبت لهما أن المقاومة قد انتهت، وإذا بعبد اللَّه يخرج لهم بأبطاله كملائكة العذاب فيقتل اثنا عشر يهوديًّا ويجرح الصحفيان، وتضجّ وسائل الإعلام العربي ـ وخاصة حركة فتح ـ فرحًا بنصر اللَّه. وعمليات أخرى قادها وخطط لها الشيخ عزّام من أجل القدس من أشهرها «عمليات سيد قطب».

ولم يستمر مقام عبد اللَّه عزام طويلاً في «فتح» وقوات «العاصفة» بعد أن دب الخلاف، وفصل من الجامعة عام ١٩٨٠م.

ثم عُيِّن عزام أستاذًا في جامعة الملك عبد العزيز في جدة بعد مدة قصيرة من تركه الجامعة الأردنية، ثم انتدبته جامعة الملك عبد العزيز ليعمل في الجامعة الإسلامية في إسلام أباد، فانطلق إلى هناك مع زوجته وأولاده، ثم ترك العمل في جامعة إسلام أباد سنة ١٩٨٤م، وتفرّغ تفرّغًا كاملاً للعمل في ساحة الجهاد في أفغانستان الملتهبة في معارك

(١) «عبد اللَّه بن عزام أحداث ومواقف» ـ لعدنان النحوي ص(٣٣ ـ ٣٤) ـ طبع دار النحوي.

ضارية ضد الاتحاد السوفيتي. . . وهناك أثّر أبلغ الأثر في مسيرة الجهاد الأفغاني وقاده ووجّهه.

وعندما ألحّ عليه الناس يومًا في الجهاد من أجل فلسطين، فقال لهم: «واللَّه الذي لا إله غيره ليست أفغانستان عندي أعزّ من فلسطين، ولا كابول أقدس من الخليل، ولكنها فرصة أغتنمها بعد أن طاردني الظالمون وحالوا بيني وبين أن أبلغ كلمة اللَّه رب العالمين فخرجت إلى أرض أجد فيها سبيلاً للحركة، فلماذا أنتم علينا عاتبون؟! واللَّه إن فلسطين في كل القلوب وعلى كل الألسنة».

وها هو يسرّه يومًا جند اللَّه، وهم على جبال كابل فيقول: «واللَّه إني لأتمنى أن أنقل هذه الصورة المشرقة من فوق جبال الهندوكوش إلى جبال الجليل في فلسطين».

لقد كان ـ رحمه اللَّه ـ يرى أن مكثه في أفغانستان إنما هو مرحلة مؤقتة حتى لا ينسى الجهاد، ولا تأخذه متع الدنيا فيقول: «العيب كل العيب أن تظلّ بعيدًا تأكل فتسمن وتترهّل، ثم تعيب على الآخرين»[1].

وسقط البطل في أفغانستان.

كل ساحة في الأفغان حملت لهفة الشوق إليه، وكل قمة من جبالها مهما علت ذكريات غالية لديه، وجولة عبقرية في نواحيه، همسات الساحات، ولفتات القمم، ونجوى الوديان، كلها حنان وحنين، وعبق الأيام والسنين كل ميدان في فلسطين يحنّ إلى ابنه المشرّد النائي، يتلفّت إليه في لهفة، ويبحث عنه في ترابه وحنانه، ويسأل عنه الأفق

(١) من مقال «عزّام عزيمة لا تُقهر» لأحمد أبو مليح ـ العدد ١٤ من مجلة القدس ص(٨٢ ـ ٨٦) ذو القعدة ١٤٢٠.

والغروب والشروق، ويطوي حنينه مع الليل في نجوى مكبوتة أو وثبة وأمل، أو دفقة وعطاء، كل نجم في السماء ينظر إلى ذكريات دربه ومساره، في أرض واسعة مدّها اللّه لعباده المؤمنين.

أبى الإسار الخانق، واللهو الرخيص، ودنيا القاعدين، وتمتمة الحالمين... ونهضت إلى عهد وأمانة، وانطلاقة وفسحة ومسعى، وإلى غرض أعلى وأعلى، وميدان فوّار بالدم، وساحة يُثرت فيها اللآلئ والجواهر، وطوّفت فيها أحلى الأمنيات.

وفوّح الدم مِسكًا ليس يَعْدِلُهُ مِسْكٌ ولا نَشَرَ المسكُ الذي نَشَرَا

* القائد اليهودي يوسي بليد يؤدي التحية أمام جثمان الطيار المجاهد اعترافًا بشجاعته وبطولته (عملية النسر):

في أواخر شهر نوفمبر ٢٥/ ١١/ ١٩٨٧م تمكّن فلسطينيان وسوري وتونسي من اختراق المجال الجوي لفلسطين المحتلة بواسطة طائرات شراعية فيما يُعرف بعملية (النسر)، وهاجم أبطال هذه العملية أحد معسكرات العدو، ونشروا الرعب والهلع في قلوب أفراده، وهذا ما بعث جوًّا من الثقة والارتياح النفسي واستعادة شيء من الأمل بمقدرات هذه الأمة التي تستطيع أن تفعل الأعاجيب إذا عقدت النية وتوكلت على اللّه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1].

قال عن هذه العملية الدكتور عدنان النحوي[2]:

«في ليلة الخميس ٥/ ٤/ ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٦/ ١١/ ١٩٨٧م،

(١) «الانتفاضة المباركة وقائع وأبعاد» لغسّان حمدان ص(٣٠) مكتبة الفلاح.

(٢) انظر «على أبواب القدس» ص(٢٢٠ ـ ٢٢١)، و«ملحمة فلسطين» ص(١٧١ ـ ١٧٧).

انطلق أربعة من أبناء المسلمين من جنسيات مختلفة إلى أرضهم وبلدهم «فلسطين»، الأرض المباركة المغتصبة، انطلقوا وهم يستخدمون طائرات شراعية خفيفة مزودة بمحرك صغير.

فبلغوا هدفهم واقتحموا معسكر الأعداء، معسكر اليهود، فأبلوا بلاء حسنًا، وقتلوا من اليهود من قتلوا، وارتفعوا إلى حيث يرفعهم إيمانهم وعملهم، واللَّه أعلم بهم ويوفيهم أجرهم وعاد من نجا إلى مواقعه. ووقف القائد اليهودي يوسي بليد قائد المنطقة الشمالية أمام جثمان الطيّار وأدّى له التحية اعترافًا منه بشجاعته وبطولته، ولقد سَمَّيتُ هذه العملية «الشراع الدامي» في القصيدة التي نظمتها لها»[1] :

أَطلق شراعَك في السماءِ وحَلِّق ... واصعَدْ كما يهوى إباؤك واخفُقِ
وارفع ميادين الجهاد فَحقَّها ... وَثَباتُ صَعَّادٍ ولهفةُ مُرْتقِي
ضاقتْ بها الساحاتُ فانفَرجتْ لها ... سُبُلُ الفضاءِ وعالمٌ لم يُغْلقِ
وتواثَبَتْ فيها الصقور وحَوَّمَت ... فيها النسور وهمّةٌ من مُعْرِقِ
بطلٌ عزيمتُه لهيبٌ مُسْعِرٌ ... وخُطاهُ زحفُ كتيبةٍ أو فَيْلقِ
وشِراعُه ملأَ الفضاءَ كأنهُ ... نورٌ سَرَى من وَهْجِه المُتَأَلِّقِ
يا يوم أن أدى التحيةَ «مجرمٌ» ... لجلالِ جثمان وعِزٍّ مُحَلِّقِ[2]

❁ ❁ ❁

(١) «جريدة الشرق الأوسط» عدد ٣٢٩٣ تاريخ ١٣/٣/١٤٠٨هـ، الموافق ٤/١٢/١٩٨٧م يوم الجمعة.

(٢) «ملحمة فلسطين» من قصيدة الشراع الدامي من ديوان لعدنان النحوي ص(١٧٣ ـ ١٧٧).

* يا حمزُ رجالك ما ماتوا:

❑(عملية حائط البراق في القدس ـ منتصف أكتوبر ١٩٨٦م):

هاجم اثنان من المجاهدين مجموعة من الضباط اليهود يوم الاحتفال بتخريجهم، فقتلوا منهم وجرحوا، وبعثوا الرعب في نفوس الصهاينة الجبناء، وتمكن «طارق وناصر حليس» من الهرب إلاّ أنهم اعتقلوا بعد ذلك أثناء عمليات البحث الواسعة التي قام بها جيش الاحتلال.

❑ثم جاءت عملية «حي الشجاعية» في تمام التاسعة والنصف ليلاً من يوم (٦/ ١٠/ ١٩٨٧م) حيث اشتبكت إحدى المجموعات الإسلامية مع حاجز تفتيش لقوات العدو تطوّر إلى ملاحقة عسكرية، وقُتل في هذه العملية أحد ضبّاط العدو، واستشهد منفذوا العملية الأربعة حيث كان اثنان منهم قد هربا من سجن غزة المركزي في شهر مايو، والآخران كانا من طلاّب الجامعة الإسلامية بغزة.

❑وفي ٢/ ٨/ ١٩٧٢ تم اغتيال «كابتن» في قوات الاحتلال الصهيوني اسمه «رون طال» يبلغ من العمر ٢٢ عامًا، في عملية وصفها وزير الدفاع اليهودي ـ إسحاق رابين ـ بأنها هجوم غير عادي.

الانتفاضة المباركة

(١٧ من ربيع الآخر ١٤٠٨هـ ـ ٨/ ١٢/ ١٩٨٧)

بدأت الأحداث بطعن شلومو تاكال وهو تاجر يهودي، طُعن في ساحة التاكسيات «ميدان فلسطين» بغزة قبل أذان العصر من يوم الأحد ٦/ ١٢/ ١٩٨٧، وقامت قوات العدو على أثره باحتجاز ٥٠٠ شخص، وبتطويق المنطقة ثلاثة أيام.

❑وفي مساء يوم الثلاثاء ٧/ ١٢/ ١٩٨٧، وأثناء عودة العمال الفلسطينيين، خرجت شاحنة مقطورة من مستوطنة «إيريز» وانحرفت إلى الشارع الموازي لتحطم سيارتين مما أدى إلى مقتل أربعة وجرح تسعة آخرين.

وعلى أثر هذه الحادثة بدأت الانتفاضة في مختلف مدن وقرى مخيمات غزة يقودها الإسلاميون ويشرفون على توجيهها، وبدأت مكبرات الصوت في الجامعة الإسلامية بغزة تطالب الطلاب بالتوجه إلى مستشفى دار الشفاء للتبرع بالدم، وبعد دفن الشهداء اشتبك الشباب والشيوخ والنساء مع قوات اليهود بالحجارة والعصى والقنابل الحارقة، وهاجم المجاهدون مركز الجيش في جباليا ورشقته بوابل من الحجارة من كل حدب وصوب، وسقط «رائد شحادة» أول شهداء الانتفاضة ـ نحسبه كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا ـ وهو من أبناء الحركة الإسلامية وطالب بالجامعة الإسلامية ليؤكد إسلامية الانتفاضة وإسلامية الأرض والقضية.

❑وقام أبناء المقاومة الإسلامية بتمرير نص على جميع خطباء المساجد في الضفة الغربية، وقطاع غزة وطلبت إليهم أن يضمّنوا هذا

المقطع في خطبة الجمعة٥/ ٢/ ١٩٨٨، وقد تجاوب جميع الخطباء وأضافوا هذا المقطع إلى الخطبة: «أيها المجاهدون، أيها المرابطون، يا أهل الثغور، يا أهل الأرض المباركة لقد اختاركم اللَّه لأن تكونوا حماة الأقصى المبارك، وها أنتم تسطرون صفحة جديدة في جهادكم الطويل غير متكافئين مع عدوكم لا في العدد ولا في السلاح، لكن سلاحه الخوف والذعر وسلاحكم سواعدكم القوية، وحجارة أرضكم المباركة فكبروا وهللوا، وقوموا قومة رجل واحد، فالنصر آت بإذن اللَّه، إن العدو يبحث عن طريق للخلاص من الورطة التي هو فيها ولن يستطيع فمن ضربت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من اللَّه لا يمكن أن يتحول إلى شجاع وبطل، ولقد خبرتم اليهود عن قرب كيف يرجفون أمامكم والسلاح بأيديهم، ويفرّون والدبابات تحميهم، ويولون الأدبار والحجارة ترميهم. وصدق اللَّه العظيم ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

* نكتة فقهية: رَمْي العدو بالحجارة من الجهاد المشروع:

قال الشيخ محمد الشربيني الخطيب صاحب «مغني المحتاج شرح المنهاج للنووي «دفع المسلمين للعدو الذي دخل بلادهم، واحتل أرضهم، بالممكن منهم، وبالمتيسر لديهم، حتى ولو كان هذا الدفع المتيسر لهم هو رمي العدو بالحجارة» . أقول: دفع المسلمين للعدو على أي نحو ممكن متيسر هو من الجهاد».

(١) «مغني المحتاج شرح المنهاج» للخطيب الشربيني (٤/ ٢٢٥)، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية للدكتور محمد خير هيكل (٣/ ١٦٩٤ ـ دار البيارق).

سكتت مدافعُنا؟! فهات حجارةً نجعل مواقعها لظًى وحديدا

ويتساءل القاعدون ويتيه الحائرون... من فجّر الصمت العميق؟

إنَّه الإيمان باللَّه واليوم الآخر، إنه اليقين برسالة محمد ﷺ حين تجاوز هذا اليقين، أوحال الأرض وشهوات الدنيا وتنافسها.. يحمل الصامتون الذين يركضون نحو الجنة ركضًا يحملون مقلاع داود لقتل جالوت.. هل لديهم شيء سوى الحجارة حتى ننعى عليهم.. وننزل الأمر والحكم في غير منازله نخفي ذلنا ونقول: إنّ الخذف.. لا ينكأ عدوًّا وإنما يكسر السن ويفقأ العين.. من قال إن حمل الحجارة في هذا الموضع من الخذف «ما هكذا يا سعد تورد الإبل!!»

ما صدّهم فقر العتادِ ولا أسى ذاك الإسارِ ولا فَدَاحةِ مَغْرَمِ
ما صدّهم حَذَرُ الرقيب ولهوُه وهوانُ أحلامِ الغفاة النوّمِ
شدّوا أكفهم كأن زنادهم وقْدُ العزيمة في لهيبٍ مُضْرَمِ

خرج أبناء الانتفاضة بالسكاكين والبلط والحجارة، وقاذفاتها، والقنابل الحارقة، والإطارات المشتعلة والحواجز والمسامير.

وأعطبوا وسائل النقل الإسرائيلية بالمهاجمة والإحراق والمتفجرات، والقضبان الحديدية، والهراوات الخشبية الصلبة، والبومات [١]، والكمائن [٢]، وأقراص النينجا «وهي أقراص معدنية يتم شحذ حافتها

(١) قطع معدنية صلبة ركب عليها عدد من المسامير المدببة الحادة تمسك بأصابع اليد الخمس.
(٢) حفر عميقة ذات فتحات واسعة نسبيًّا مغطاة بألواح خشبية أو صفائح حديدية، ثم بطبقات من الرمل تقع فيها سيارات العدو بعد جذبها إليها.

الخارجيـة، ويُمسك بها من فتـحة في منتصفـها قبل قذفهـا بشكل أفقي باتجاه الجنود المشـاة، وتشارك النساء بجمع الحجـارة في السلاسل أو في أطبـاق الغسـيل، أو غيـرها من الأواني، لقـذفهـا بالمقاليع على قـوات الاحتلال.

لقد قـدّم أبناء الإسلام كوادر وعناصـر بشرية كفُؤة، وملتـزمة، ومستعدة للتضحية بدون حدود.

* الصبية الأبابيل: أصغر مجاهد سِنُّه تسع سنوات يا معشر المترفين!!

يسـجل التـاريخ بأحـرف من نور أن العدو الـيهـودي قـتل الطفل الفلسطيني المـسلم تامر جـلال الدسـوقي، وهو يرشق العـدو بالحجـارة وعمره لا يزيد عـن تسع سنوات فكان أصغر مجـاهد أنبتته برقـة قضاء نابلس.

أرأيـت أروع من صـــبيٍ لـم يـزل ... عـــبق الطفـــولة من خُطاهُ ورُودا
ما جاز تسعًا من نضارةِ عـمره ... حـــتى تواثب للرَّدى صنديدا
حمل الحجارة! لا يكاد يُطيقُـها ... حـمـلاً! ولكن مـا أطاق قُـعـودا
فـإذا الجـهـاد يهـزّه ويُعـيـده ... رجـلاً أبرّ على الجـلاد شـديدا
وإذا العـــدو رؤى تـطايـرُ دونه ... فـزعًـا وأشـبـاحٌ جـريْن شـرودا
فـرمى عليك رصـاصـه فـهـوى به ... وعلوت تـنْقَح للحـيـاة خلودا
يا فـــارس الميـــدان! كل بطولة ... وقـفتْ تُحيي يومك المحمودا[1]

(١) من قصيدة «من فجّر الصمت العميق؟» من ملحمة فلسطين ص(١٩٣، ١٩٤).

❑ كانت هذه الانتفاضة حرب استنزاف بكل معنى الكلمة، وهي حرب بلا جبهة، حرب متحركة تنتقل من طريق إلى مدينة إلى مخيم. حرب النفس الطويل، حرب فجائية تثبت فشل استخبارات العدو فكانت ضرباتها موجعة، ومربكة وباعثة على التخبط اليهودي.

❑ وقال مراسل وكالة فرانس بريس: «لم يعد الأطفال الذين تزيد أعمارهم على عشر سنوات، والشبان الصغار الذين تزداد جرأتهم يومًا بعد يوم يعرفون مشاعر الخوف، ولذلك فإنهم يهاجمون الجنود بالحجارة دون أن يخشوا ردّهم باستخدام الأسلحة الأتوماتيكية.

❑ وقال شالوم كوهين مراسل لوماتان الفرنسية: «إن المدهش في شوارع غزة المتمردة هو غياب الخوف الذي دفعت به مشاعر المرارة، والحقد إلى الوراء ليحلّ حماس الشباب الفلسطيني خلف متاريسهم في الشوارع أو في زوايا الطرقات، لقد أخذ هؤلاء مصيرهم بأيديهم ولم يعودوا يخشون النتائج.

❑ وقالت صحيفة هآرتس: «من يريد الذهاب إلى غزة من الإسرائيليين عليه أن يتحمل نتيجة قراره».

❑ لقد أصبح المقلاع يشكل تهديدًا خطيرًا لأمن وسلامة كيان «إسرائيل» الأمر الذي دفع بالجنود إلى دخول المخزن تلو الآخر داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م وشراء كافة المقاليع من باعة الأسلحة الإسرائيليين.

❑ لقد حطم المجاهدون ١٧٤ سيارة عسكرية وسيارات للمستوطنين اليهود، وأحدثت الزجاجات الحارقة فزعًا بين الإسرائيليين، حتى قال أحد سائقي الباصات الإسرائيلية: «إن جميع السائقين يتحدثون حول

الخوف، وسقط العشرات منهم ما بين قتيل وجريح. ولقد تمكن المجاهدون من إصابة قائد طائرة هليوكبتر عسكرية من طراز كوبرا، كانت تحلق على ارتفاع منخفض فوق مخيم الأمعري، وتقوم بإلقاء القنابل المسيلة للدموع على تجمعات أبناء المخيم، حيث تعرضت لوابل من الحجارة المتوسطة مما أدى إلى إصابة قائدها بجراح بليغة في وجهه ورأسه مما أفقده السيطرة على الطائرة، فهبط بها مساعده اضطراريًّا في أحد الحقول القريبة.

❑ وبادر الشباب المجاهد إلى تصفية العملاء الخونة إن لم يتوبوا مثل حسين السر من خان يونس، ونبيل فرج من أريحا، ومحمد عياد من قباطية.

❑ للّه در هذا الشباب المجاهد الذي لا يجد إلا أقل القليل فيجاهد، يصب كميات من الزيت ويلقى المسامير على الطرقات الرئيسية فتنزلق العربات العسكرية، وتنثقب إطاراتها مما يؤدي إلى عرقلة تحرك آليات العدو.

❑ وخلال الفترة من الثامن من ديسمبر ١٩٨٧م وحتى السابع من إبريل ١٩٨٨، نفّذ المجاهدون (٢٤) عملية طعن بالسكاكين، مما أدى إلى مصرع مستوطن وإصابة (٢٣) آخرين بجروح مختلفة.

❑ وبدأ المجاهدون يوم ١٩٨٨/٣/٢٨ باستخدام القوس والسهم، ضد الجنود الإسرائيليين مما أدى إلى إصابة ستة جنود بينهم ضابط.

❑ وقام المجاهدون بالتعرض لجنود وضباط العدو في الطرقات الضيقة وخلال دوريات الجيش الليلية، وضربهم بشدة وخطف أسلحتهم الشخصية.

وكشفت صحيفة «حداشوت» الإسرائيلية نقلاً عن تقرير عسكري داخلي أعدته قيادة القوات الإسرائيلية في الضفة والقطاع أن أكثر من (٣٧) بندقية رشاشة من طراز هاجليل وام ـ (١٦) قد اختطفت من جنود إسرائيليين إضافة إلى اثني عشر مسدسًا اختطفها المجاهدون من ضباط العدو.

قالت جولدا مائير عقب حرب حزيران ١٩٦٧: «أين هم الفلسطينيون؟ إنني لا أراهم» وبعد عشرين عامًا على هذا الجواب لا يملك شامير ورابين وبيريز من زعماء اليهود أن يصرحوا بنفس الكلام، فلقد جاء جواب حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في الانتفاضة واضحًا وجليًّا، وتفاعل الجماهير معها بشكل منقطع النظير، بداية من أول بيان لها في ١٤/ ١٢/ ١٩٨٨، لقد دفع الدور الذي لعبته حماس بجهادها وبلائها، بيهوشع بالمون، أول مستشار للشئون العربية في مكتب أول رئيس وزراء العدو إلى أن يصرح لصحيفة جيروزالم بوست الإسرائيلية «أن حرب البقاء المقبلة التي ستخوضها إسرائيل لن تكون وطنية أو اقتصادية، ولكنها ستجري ضد الأصولية الإسلامية التي تحظى بزحم هائل»[١].

ذكرت جريدة «هاآرتس» اليهودية تقرير قسم التخطيط والاقتصاد في وزارة الزراعة اعترف بأن ٧٠٪ من الانخفاض في الإنتاج الصناعي للكيان اليهودي نجم عن الانتفاضة[٢].

وانهارت شركة الملاحة الإسرائيلية «يانور» المختصة بشحن الحمضيات والفواكه والسيارات.

---

(١) الأنباء (١٨/ ١٢/ ١٩٨٧) ص(٢٠).

(٢) الاتحاد «الظبيانية» (٢٩/ ٦/ ١٩٨٨) العدد (٥١٩٨).

وكانت خسائر السياحة كبيرة كلّفت الكيان الصهيوني نصف مليار دولار عام ١٩٨٨، وكانت كلفة تحركات قوات القمع خلال الأشهر الأولى في عمر الانتفاضة ٥٠٠ مليون دولار كما اعترف جاد يعقوبي.

وأصيب عدد كبير من اليهود بانهيارات نفسية وعصبية لفشلهم في قمع الانتفاضة[١].

عامر أبو سرحان رائد ومفجر ثورة السكاكين

«عملية البقعة»

لما قامت دولة البغي اليهودية بجريمتها النكراء يوم الاثنين ١٩ ربيع الأول ١٤١١هـ الموافق ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م، ودخول إخوان القردة والخنازير من جماعة أمناء جبل الهيكل ساحة الأقصى بحماية حكومة شامير وردّهم شباب العقيدة الذين زادوا عن طهر الأقصى، وسقط العديد من الشهداء والمئات من الجرحى ليرووا هذه الأرض المباركة بدمائهم وأرواحهم. فكانت عملية «البقعة» يوم الأحد ٢١/ ١٠/ ١٩٩٠م من البطل الحماسي عامر أبو سرحان ردًّا مدوِّيا.

*** بطلنا عامر سعود صالح أبو سرحان من قرية العبيدية:**

صباح المذبحة الأحد ٢١/ ١٠/ ١٩٩٠م، يتوجه عامر صباحًا مع والده وإخوته إلى مكان عمله في حي البقعة، وهو يلبس ثوبًا أبيض، بعد أن شاهد صور شهداء الأقصى في بيته صباحًا، ونظر إلى هذه الصور وتأمل بها مليًّا، كأنه يقول هل أكون شهيدًا اليوم مثلكم وأفوز بالشهادة،

(١) انظر كتاب «الانتفاضة المباركة» لغسان حمدان.

رأته زوجته وهو يتأمل الصور.

فقالت له: عامر هل آتيك بفطورك؟ عامر: لا.

زوجته: لماذا؟، عامر: لا أجد حاجة لذلك.

زوجته: ماذا بك أراك تنظر إلى صور الشهداء؟، عامر: أحب أن أكون مثل أحدهم.

والد عامر: ينادي من الخارج: عامر، استعد ستذهب إلى العمل.

عامر: سألحق بكم في «باص القرية» أما أنتم فاذهبوا في السيارة الخصوصي.

ويركب عامر باص القرية، ويخفي سكينه الحبيبة في ثنايا ملابسه، ويصل إلى حي البقعة، وهناك يبدأ عمله البطولي صارخًا، مردِّدًا اللَّه أكبر... اللَّه أكبر.

❑ شاهد عامر مجندة إسرائيلية بلباسها العسكري، فقال في نفسه: هذه مجندة فمن يذيق أهلنا ألوان الظلم، فستكون هذه المجرمة أول الصيد، طعنها طعنة فسقطت المجندة أرضًا، تتخبط بدمها، وتركها ليبحث عن صهيوني آخر، مشى عامر خطوات قليلة فرأى صهيونيًّا فانقض عليه كالصقر، وطعنه طعنة واحدة كانت كفيلة بقتله، فكر عامر قليلاً هنا في هذا الحي عدد قليل من اليهود، إذن سأتوجه إلى محطة الباصات، وهناك يكون العمل الذي يشفي الغليل، ويجعلني أنتقم لكل الشهداء وفعلاً توجه في سيره إلى محطة الباصات لكن شاهده ضابط صهيوني يحمل مسدسًا على جنبه، فصرخ اليهودي في عامر: عربيم وقف، وأطلق رصاصة أصابت ساق عامر فسقط على الأرض، وتقدم الضابط ليمسك بعامر الجريح، فما كان من عامر إلا أن طعن الضابط في

بطنه طعنة من يد قوية، لا تعرف الخوف، وصاح عامر: اللَّه أكبر. . .اللَّه أكبر، وسقط الضابط، والمسدس بيده أرضا، وبدأ الدم الحقود ينزف.

كل من سمع بالقصة تعجب من بطولة عامر وجرأته، جريح يسقط على الأرض ويقتل ضابطًا محترفًا للقتل، وللدفاع عن النفس، ويصرعه شاب جريح بسكينه، هذا عمل بطولي يذكرنا بأيام سلفنا الصالح الذين هزموا دولتي الروم والفرس بإيمانهم الصادق، وشجاعتهم النادرة.

❑ عامر البطل قتل المجندة جريز رئولاي، والمستوطن: شالوم شارلي، ثم أجهز على الضابط: أليت رام، تجمع عدد كبير من اليهود حينما سمعوا إطلاق الرصاص من قبل الضابط، وتعجبوا حينما رأوا الضابط مكومًا على الأرض، تحته شاب جريح لا يزيد عمره عن سبعة عشر عامًا.

❑ صرخ عامر باليهود: اللَّه أكبر. . .اللَّه أكبر، فهرب عدد منهم، لكن حضر مجموعة من الجنود، أمسكوا بعامر، ووضعوا القيود في يديه.

تناقلت وكلات الأنباء هذه العملية البطولية، وأذاعت أن عربيًّا قتل ثلاثة صهاينة في حي البقعة صباح هذا اليوم، هذا الخبر أفرح قلوب أهل فلسطين وكل من يحب أرض فلسطين.

وأحس أهل فلسطين بالسعادة تملأ قلوبهم، وشهدوا لعامر بأنه بطل يستحق التقدير والإعجاب، كما سبقه من الأبطال الذين سجلوا بدمائهم الطاهرة صفحات من البطولة، لأن الدفاع عن أرضهم ومقدساتهم، ترخص دونه النفوس والأرواح.

❑ انتشرت أخبار عملية عامر في أرجاء فلسطين، فهب عدد من

الشباب الأبطال وقاموا بعمليات بطولية تشبه عملية عامر، مثل عملية الشهيد عمر الشواهنة ابن السلية الحارثية، وأيمن عبد ربه، وهيثم الجلمة، والشهيدة فايزة المفارجة، وعشرات من الأبطال الذين قاموا بعمليات بطولية حيث هاجموا الجنود اليهود بالسكاكين والبلطات، ليلقنوا اليهود أن دم مسلمي فلسطين لن يذهب هدرًا، وأن سفك الدم يؤدي إلى سفك الدم، وأن الدم الفلسطيني غالٍ، لا يقدر بثمن، لكنها الشهادة في سبيل اللَّه.

اعتقل الجنود عامر، وأخذوه إلى السجن، لكي يتم التحقيق معه، وهناك في السجن يقاوم عامر غطرسة المحققين، ويقول لهم ما قمت به هو انتقام للشهداء الذين قتلتموهم في ساحة الأقصى المبارك، ولست مدفوعًا من أحد من الناس، ولا أتبع أي تنظيم.

❑ الحكم في ٣٠/ ١١/ ١٩٩٠م صدر الحكم على عامر بالسجن المؤبد ثلاث مرات، والسجن الفعلي لمدة عشرين سنة أخرى.

وقبل أن يصدر الحكم على عامر وفي ٣/ ١١/ ١٩٩٠م قام اليهود بنسف بيت والد عامر حيث تهاوت ثلاث طوابق من البناء الحديث أثر انفجار هزَّ القرية من شرقها إلى غربها، وسكن أهل عامر في خيمة قدمت لهم من الصليب الأحمر.

❑ وكتب الدكتور الشاعر عبد الرحمن شقير:

بورك الخنجر يردي الغاصبا
بورك الطاعن أدَّى الواجبا
بورك الزِّند الذي يملكه
أسدُ الغابِ لمجدٍ طالبا

وكتب الدكتور الشاعر محمود الشبلي قصيدة بعنوان «عامر يكتب بالخنجر» جاء فيها:

في حدِّ خنجره
يطيب الموت
أو تحلو الحياة
هو عامل
قرأ انتفاضته
على لوح الحجارة
في قراه
فتنبه القلب العصي
على الغزاة
وصحا النهار علي
فمشى وحيداً
كان يعرف كيف يبدأ
يدرك منتهاه
هو بعض من كتبوا
حروف الأبجدية في ثراه
سلمت يداه
سلمت يداه

ويقول الشاعر البتيري:

يا عامر الساري بمهجته إلى غدنا
يا سيفنا المسلول في يدنا
يا أيها الماضي في يدنا

بوردة عشقة
سلمت يداك
سلمت يداك

ويقول الشاعر الدكتور زهير الزميلي في قصيدته «رائد الشموخ»:

أنرتَ الدربَ للأبطالِ في وطني مدى الدَّهر
فكنت الرمز للإخلاص والإيمان والبرِّ
ولم تشجُبْ بأقوالٍ على الأوراق بالحبرِ
جعلت الرَّدَّ بالسكينِ كالأنوارِ في الفجرِ
وكان الصوت بالتكبيرِ رمز القرب للنصرِ

* بطل في إثر بطل:

شاء اللَّه أن يكون لسعود أبي سرحان هذا الفلسطيني العبيدي رمزين من رموز التضحية، يصنعان مجداً يتضاءل أمامه كل مجد، إنه مجد الفداء والبطولة في سبيل الأرض المقدسة، إنها الأيدي المتوضئة المؤمنة، إنها أيدي عامر وفيصل ابنا سعود أبي سرحان العبيدي.

ففي يوم السبت ١٩٩٢/٩/٢٦م وبعد الظهيرة ارتقى إلى العلا معطراً بأريج دمه ثرى فلسطين الشاب البطل فيصل سعود أبو سرحان، بعد إصابته بعيار ناري في صدره في مواجهة حامية شهدتها قرية العبيدية[1].

---

(١) بطولات من أرض الإسراء ص(١٠١ ـ ١١٨).

البطل محمود أبو الهنود يواجه مئات اليهود بأسلحتهم وطائراتهم.. للّه درُّ أُمٍّ أوْحدت به[١]

محمود أبو الهنود «٣٤ عامًا» يقول عنه العدو الإسرائيلي إنه قائد كتائب عزالدين القسّام ـ الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس ـ وإنه مسئول عن مقتل ٢١ إسرائيليًّا في عدد من العمليات الاستشهادية التي نفذتها حماس في القدس وغيرها، وذلك في عامي ١٩٩٦/ ١٩٩٧م.

حاول العدو منذ خمس سنوات اعتقال أبو هنود، ولكن محاولاته باءت بالفشل، إلى أن نجح عن طريق عملائه في تحديد موقع تواجده ببلدة «عصيرة الشمالية» التابعة لنابلس، ووضع العدو خطة لاعتقال المجاهد بإشراف نائب وزير دفاعه.

وفي العاشرة من مساء السبت سبتمبر ٢٠٠٠ «جمادى الثانية» ١٤٢١هـ، أغلق العدو كافة مداخل البلدة، وقام بعملية إنزال لثلاثمائة جندي وضابط من القوات الخاصة التي تساندها خمس طائرات هليوكبتر جوًّا، وعشرات العربات والآليات المدرعة برًّا.

وفرح البطل التّواق للشهادة باللقاء، وفتح نيران سلاحه على العدو، ونجح بفضل اللّه في قتل جندي وضابطين إسرائيليين وجرح عدد من الجنود والضباط.

وضيّقت قوات العدو الخناق على المجاهد البطل واتخذت مواقع

---

(١) أي: جاءت به وحيدًا لا نظير له.

استراتيجية على أسطح المنازل المحيطة بمنزله.. لكن المجاهد الذي يتمنى الشهادة ولا يخاف الموت، ظلّ يتعامل مع العدو لساعات، ونجح في فتح جدار إحدى غرف المنزل بقنبلة يدوية وخرج منها، واستطاع الفرار راكضًا وجراحه تنزف لمسافة تجاوزت الخمسة كيلو مترات إلى أن وصل إلى مدينة نابلس ليسلم نفسه لقوات الأمن الفلسطينية، لقد هبّ الشباب والنساء يقذفون العدو بالحجارة وعلت أصوات المآذن بالتكبير والتهليل، ودعوة أهالي البلدة للتصدى للعدو وفك الحصار.

وأدرك العدو بأن المجاهد البطل أفلت من يديه فأقدم على هدم بيت أسرته وبيت قريبه البطل نضال ياسين الذي جُرح أثناء المواجهة واعتقله العدو مع خمسة من شباب البلدة الذين قاوموه.

واستمرت الاشتباكات بين أهل البلدة وقوات العدو إلى السادسة من صباح اليوم التالي عندما اضطر العدو إلى الخروج يجر أذيال الخيبة والهزيمة ساحبًا قتلاه وجرحاه»[1].

* انتفاضة الأقصى وبواكير الحصاد: «بداية النهاية»:

بعد أن دنست أقدام شارون ساحة الأقصى بعد أن دخله في حراسة الجنود، في يوم الجمعة ٢٩ من سبتمبر عام ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ، وهبّ أسود الأقصى يدافعون عنه.. جرح (١١) ألف فلسطيني.. وقتل ثلاثمائة.. وشرّد ١٣٠ ألف عامل فلسطيني.

❑ قال الدكتور مصطفى الفقي مساعد وزير الخارجية المصري السابق «إن فكرة اندماج إسرائيل بالمنطقة وتعايشها السلمي مع العرب فكرة

(١) مجلة القدس العدد (٢١) جمادى الثانية ٤٢١ ١هـ ـ سبتمبر ٢٠٠٠م.

وهميـة.. إن الأحداث الأخـيرة في الأراضي المحتلة هي بدايـة النهاية، وتفتح الطريق أمام تحوّلات جذرية في قضية الصراع العربي الصهيوني»[١].

ونحـمـد اللَّه أن هذه الانتـفـاضـة نشرت الـوعي في ربوع وطننا الإسلامي حتى بين الأطفال الصغـار، إن الحرب بيننا وبين إخوان القردة والخنازير، ومن يساندهم من قوى الكفر من الصلـيبيين وغيرهم.. هذه حرب دينيـة، ولو لم يكن من بواكير حـصاد الانتفـاضة إلا هذا لكفى، فكيف وهي كل يوم تثمر وتثمر؟!

*** ونختم بشذا الرياحين:**

شيخ المجاهدين في فلسطين الشيخ أحمد ياسين:

تحية إكبار إلى المجاهد الذي سمت به نفخة الروح عن قبضة الطين إلى المجاهد الفلسطيني أحمد ياسين:

إيه يا عـسـقـلان لان الحـديد ... وأخـو الحقِّ ثابتٌ لا يحـيـدُ
إيه يا عـسـقـلان أحـمـد قلبٌ ... صـابرٌ صـامـدٌ ورأي سـديدُ
سـمـعتْ صـوتَه القـيـودُ يُناجي ... ربه فـانثَنَت إليـه القـيـودُ
وبكى السـجنُ حين أصـغَى إليـه ... وهو يتلو والواهِمـون رقـودُ
أيهـا الشـيخ مـا لعـينك تَهْمِي ... ولماذا يطولُ منك الشُّـرودُ
جـالسٌ أنت والطغـاةُ وقـوفٌ ... وحَـوالَيْك قـد أقِـيمَ الجنودُ
أنا يا شـيـخ مـا رأيتُك إلاَّ ... في صلاةٍ يطول فيـها السجـودُ

(١) مجلة القدس العدد (٢٤) ـ رمضان ١٤٢١هـ ص(١٥).

أنا يا شيخ ما رأيتُك إلاَّ ... داعيًا من دعائه يستزيدُ
كلهم خائفون منك لماذا ... أيخافُ القعيدُ جيشٌ عتيد
قال لي الشيخ وهو يُرسلُ نحوي ... نظرةً وقْعُها عليَّ شديدُ
أيها السائل المُلِحُّ لأني ... لائذٌ بالذي إليه نعودُ
خافني المعتدي وإلا فإني ... أيها السائل المُلِحُّ قعيدُ
يا بن ياسين أين رجلاكَ مهلاً ... فشباتي على الجهاد أكيدُ
في دمي فَورةُ الغيور وقلبي ... مُشرِقٌ بالهُدَى وعزمي جديدُ
ثقُلت هِمَّتي على الجسم حتى ... آده حملُها فلم يَقْوَ عُودُ
شُلَّ جسمي وإنما الجسم طينٌ ... سوف يسطو عليه في القبر دودُ
أيُّ نفعٍ للجسم والقلبُ خاوٍ ... أيُّ نفعٍ للجسم وهو بليدُ
كم نرى بيننا جسومًا عظامًا ... نفَّذت ما يُرادُ لا ما تريدُ
شللي لم يصب من الروح شيئًا ... وبروحي أطير حيث أريدُ
أنا يا سائلي تجاوزتُ نفسي ... وتجاوزتُ ما تحدُّ الحدودُ
يخرج الحَزْمُ من عباءةِ صمتي ... وإليها إذا أردتُ يعودُ
قلت للجسم حين أُقْعِدَ مهلاً ... فأنا لن ينال عزمي القُعُودُ
أنا قلبي مُعَلَّق بإلهي ... فمدى ما يريد قلبي بعيدُ
قبضةُ الطينِ لن تكبِّل رُوحي ... فالفضاءاتُ مسرحي والوجودُ
حين أتلو القرآن يخصب قلبي ... ويطيبُ التسبيحُ والتحميدُ
من عُبُوديَّتي لربي انطلاقي ... أنا حُرٌّ بها فأين العبيدُ
لست عبدًا يا سائلي لفلانٍ ... وفلانٍ ممَّن سجاياه سودُ

أرفعُ الكف للسماء وحسبي ... أن كفِّي بخيبةٍ لا تعودُ
خالق الكون مالك الملك عوني ... فلينلني بكيده من يكيدُ
مقعد أيها الصديقُ ولكن ... من قعودي هذا يخاف اليهود
أوعدوني ولست أخشى وعيداً ... بشريًّا فعند ربِّي الوعيد
سجنوني مؤبداً وهو وهمٌ ... إنما في القيامة التأبيدُ
يا شيخنا تُضام وتُؤذى ... وعلى ما جرى تُقامُ الشُّهودُ
ثم تنسى ويحتفى بسلامٍ ... ساقنا نحوه العدو اللَّدودُ
يا بن ياسين كم يُمزقُ قلبي ... ذلُّ قومي ولهوهم والصدودُ
لو شكا كلب سائحٍ أجنبيٍّ ... لرأينا ما يصنع التهديدُ
واليتامى من أمتي والصَّبايا ... حظهن الإرهاب والتشريدُ
أين من أمَّتي عُميرٌ وسعدٌ ... والمثنى وخالدٌ وسعيدُ
أين من قادة الجيوش صلاح ... أين من ساسة البلاد الرشيدُ
أين قطز لما تهاوى تتارٌ ... عند أقدامه فعزَّت بنودُ
يا بن ياسين ما يزال بقلبي ... لهبٌ من جراحه ووقودُ
لم أزَل أذكر الظلامَ وئيداً ... آه مما جنى الظلامُ الوئيدُ
ليلة أظلمت وغامت فسلني ... كيف كانت بُروقها والرعودُ
كيف سالت مدامعُ المجدِ فيها ... وشكا فورة الدماء الوريدُ
كنت في السجن تشرب الليل سُهداً ... وعلى الذلِّ تنطوي «مدريدُ»
كنت في سجدة التهجد تدعو ... وصلاة المفاوضين الكنودُ
أين «ربْعيُّنا» المفاوض عنَّا ... أين منا «المغيرةُ» الصنديدُ

أنذرا «رستمًا» فلا البحر بحرٌ ... عندما أنذرا ولا البيدُ بيدُ
أين منا يا شيخُ دُهمُ المطايا ... ساقها العَزمُ والإباءُ يَقُودُ
قال لي الشيخُ لا تَخف فلدَينا ... أمَلٌ في إلهِنا معقودُ
لا تَخَف يا بُنيَّ كم من قلوبٍ ... مُظلماتٍ صفاؤها مفقودُ
كلُّ من فاوَضَ العدوَّ سيبكي ... حالَهُ حين يَضحكُ التَّهويدُ
فَاوضَ المعتدي ضحاياه منَّا ... وعلى ما جرى رقيبٌ عَتيدُ
ليلُهم راكدٌ وهم فيه عُميٌ ... ولنا فَجرُنا المُشِعُّ الجديدُ
مَجدُهم صورةٌ لوهمٍ كبيرٍ ... ولنا مجدُنا العظيمُ التّليدُ
يا بن ياسينَ لا عَدِمناك شَهمًا ... عن حِمَى قُدسنا الشريفِ تَذودُ
عِش كريمًا فإن تَمُتْ فرجائي ... أن تقول الأمجادُ هذا الشهيدُ
قد يُسامُ التقيُّ في الأرض خَسفًا ... وعلى اللَّه نَصرُهُ الموعودُ[1]

❁ ❁ ❁

(١) قصيدة «أحمد ياسين» من ديوان «من القدس إلى سراييفو» لعبد الرحمن العشماوي ص(٤٣) ـ طبع دار الصحوة.

الدور البطولي للمجاهدين المتطوعين في فلسطين ١٩٤٨م

« إذا ذكرت فلسطين ذكر
أحمد عبد العزيز أبرز
شخصية عسكرية أنجبتها
المعارك على ثرى فلسطين »

الدور البطولي للمجاهدين المتطوعين في فلسطين ١٩٤٨م

لا يستطيع أي منصف إلا أن يسجل الدور البطولي العظيم للمجاهد العظيم الشيخ حسن البنا ورجاله من الإخوان المسلمين تجاه قضية فلسطين وبلاؤهم الكبير لتحرير القدس من أيدي الغاصبين.

أقولها للَّه ثم للتاريخ ـ وأنا لست من الإخوان المسلمين ـ: أنه إذا ذُكِرت قضية فلسطين وحرب ١٩٤٨ لا بد من ذكر بطولات الإخوان وجهادهم الجميل.. لا نحابي في ذلك أحدًا وأجرنا على اللَّه... وإن أخذنا عليهم أشياء فسنذكرها في فصل «العقيدة أولاً»، ولا نقصد بهذا تتبع الأخطاء ـ لا واللَّه ـ وإنما هو من باب النصح للَّه ولرسوله ولأئمة المسلمين وجماعتهم. ورائدنا في هذا قول ابن القيم: «والبصير الصادق يضرب مع كل قوم بسهم ويعاشر الناس على أحسن ما عندهم».

قال الشيخ حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ مصورًا مكانة فلسطين:

«وفلسطين تحتل في نفوسنا موضعًا روحيًّا قدسيًّا فوق المعنى الوطني المجرد، إذ تهب علينا منها نسمات بيت المقدس المباركة، وبركات النبيين والصديقين والمسيح عليه السلام، وكل ذلك ما ينعش النفوس ويغذي الأرواح؛ وبناء عليه فإن الإخوان المسلمين يعتقدون اعتقادًا جازمًا بأن:

«فلسطين جزء من العقيدة الإسلامية، وأن أرضها وقف إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يفرط أو يتنازل، ولو عن جزء صغير جدًّا منها، ولذلك فهي ليست ملكًا للفلسطينيين أو العرب

فحسب بل هي ملك للمسلمين جميعًا، فعلى المسلمين في كل مكان أن يساهموا عمليًا في تقديم المال والدم للدفاع عنها»[١] .

❑ وقال الشيخ حسن البنا: «إن اشتراك اليهود الفعلي في مد العصابات الصهيونية بفلسطين بكل صنوف المساعدة» جعل الإخوان المسلمين يطبقون عليهم الشرط الثاني الخاص بغير المسلمين وهو: «فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدي».

«إن الإخوان المسلمين يعتبرون الصراع بين المسلمين واليهود صراعًا له طبيعة خاصة تفرده عن سائر الصراعات الدولية، ولا تجعل من بين وسائل حلوله الحل السلمي؛ لأنه صراع بين الإسلام واليهودية منذ قيام الدولة الإسلامية الأولى وحتى الآن»[٢] .

* من أقوال رجالات الإخوان:

❑ «إن القول ما لي ولفلسطين في هذه الظروف معناه ما لي وللإسلام.. ليست قضية فلسطين قضية وطن جغرافي تدينون به، فما فلسطين إلا قطعة مصابة من الجسد الإسلامي العام، ولبنة مزعزعة من لبنات بنيانة، فكل قطعة لا تتألم لألم فلسطين ليست من هذا الجسد، وكل لبنة لا تختل لاختلال فلسطين ليست من هذا البنيان»[٣] .

❑ «إن قضية فلسطين لم تحل ليس لأن المسلمين لا يقدرون بل؛

(١) «الطرق إلى بيت المقدس» (٣/ ١٩٧ ـ ١٩٨) نقلاً عن نشرات الإخوان المسلمين، النذير، ومجموعة رسائل الشيخ حسن البنا.

(٢) «الطريق إلى بيت المقدس» (٣/ ١٩٥).

(٣) انظر «الطريق إلى بيت المقدس» (٣/ ١٩١) نقلاً عن «تصور الإخوان للقضية الفلسطينية سلسلة أوراق في تاريخنا المعاصر» للدكتور عبد الفتاح العويسي.

لأنهم لا يريدون وهم لا يريدون؛ لأنهم لا يشعرون».

□ «لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق، وأن أشد مايمكن لأعدائكم في دياركم قعودكم عن نصرة إخوانكم».

□ عندما علم الإخوان بإن هنالك مؤامرة لإجهاض الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٦، وجهوا رسالة إلى الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا: «اثبتوا حتى تتحقق مطالبكم، وأن اعلموا أن موتًا في سبيل الكرامة خير من حياة يرزخ الإنسان معها تحت نير العبودية[١].

□ واعتقد الإخوان المسلمون منذ انتفاضة ١٩٣٥م، وجهاد الشيخ القسّام وإخوانه أن فلسطين أعادت مفهوم الجهاد إلى الواقع العملي، بعد أن تركه المسلمون لفترة طويلة من الزمن نتيجة لحبهم الدنيا وكراهية الموت، يؤكد ذلك الشيخ حسن البنا بقوله: «إن القضية الفلسطينية أعادت الجهاد إلى الواقع مرة أخرى، عندما قام الفلسطينيون يحسنون من جديد صناعة الموت، وعندما سرى هذا التيار من نفس الفئة المجاهدة القليلة في جوار الحرم المقدس إلى شباب الإسلام والعرب، في بغداد ودمشق والقاهرة، وغيرهم»، ويخاطب الإمام حسن البنا أهل فلسطين بقوله: «أيها الفلسطينيون، لو لم تكن من نتائج ثورتكم إلا أن كشفتم غشاوة الذلة وحجب الاستسلام عن النفوس الإسلامية وأرشدتم شعوب الإسلام إلى ما في صناعة الموت من لذة وجمال وروحه وريح لكنتم الفائزين»[٢].

---

(١) «الطريق إلى بيت المقدس» (٣/ ١٩١).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

وقال الشيخ البنا «إن حل القضية الفلسطينية سيكون بالوحدة والجهاد»(١).

في كتابه «جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين» وفي فصل «الإخوان وقضية فلسطين» يقول الأستاذ «حسن الجمل»: إن الإخوان المسلمين هم أول من تبنى هذه القضية. ففي عام ١٩٢٧ أرسل الشيخ حسن البنا رسالة إلى مفتي القدس الحاج أمين الحسيني، وفي عام ١٩٣١ بعث الإمام برسالة إلى المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس عام ١٩٢٩ وتضمّنت الرسالة عدة مطالب منها: أن من واجب المؤتمر أن يعالج مسأله شراء اليهود للأراضي الفلسطينية، وفي نفس العام اندلعت الثورات والتظاهرات في فلسطين فتجاوب معها الإخوان في مصر، وفي عام ١٩٣٣ أرسل الإخوان وفداً لنشر الدعوة خارج مصر بدأ بفلسطين.

وفي يوم ١٩٣٣/٨/١١ قامت أول تظاهرة عامة في مصر في جميع أنحاء البلاد تردد هتافات «النصر لفلسطين والموت للصهاينة».

وفي مارس ١٩٣٥ نادى البنا في اجتماع مجلس الشورى في العام الثالث للإخوان بجمع التبرعات لمساندة قضية فلسطين.

وفي عام ١٩٣٦م قامت الثورة العربية بفلسطين وساندها الإخوان، ووزعوا المنشورات التي تهاجم اليهود، ودعوا لمقاطعة المحلات اليهودية.

وفي عام ١٩٣٨م دعا الإخوان إلى عقد مؤتمر الدول العربية لدراسة مشكلة فلسطين، وكان ممن حضر وحاضر في هذا المؤتمر «فارس الخوري» رئيس الوزراء السوري في وقتها.

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٠٠).

وفي عام ١٩٣٩ بدأت حملة «قرش فلسطين» وقام الإخوان بجمع التبرعات وظهرت الحاجة إلى السلاح، فقامت حملة الإخوان لجمع وشراء السلاح من أجل فلسطين.

وفي ١٩٤٧/١١/٢٩ أعلنت الأمم المتحدة ـ التي جمعت الكفر بأنواعه والمتآمرة على المسلمين ـ قرار تقسيم الأراضي الفلسطينية بين العرب واليهود.

وعقب قرار التقسيم قامت الجماعة بتنظيم «تظاهرة[1] مصر الكبرى» اشترك فيها قرابة نصف مليون من جميع الطوائف واشترك فيها الأزهر والجامعة وتجمّعت في ميدان الأوبرا بفندق الكونتنتال وخطب في الناس الأمير فيصل بن عبد العزيز.

وخطب الأستاذ البنا فقال: «لبيك فلسطين... دماؤنا فداء فلسطين.. أيها الزعماء.. أنتم القادة... وهؤلاء الجنود.. عاهدوا اللّه وعاهدوا الوطن على أن يموتوا من أجله... إنه وإن كان ينقصنا اليوم السلاح فسنستخلصه من أعدائنا ونقذف بهم في عرض البحر... لقد تألّبت الدنيا تريد أن تسلبنا حقنا، وقد عاهدنا اللّه أن نموت كرامًا أو نعيش كرامًا.

إنني أعلن من فوق هذا المنبر أن الإخوان المسلمين قد تبرّعوا بدواء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد في سبيل فلسطين... وهم على أتم استعداد لتلبية ندائكم»[2].

---

(١) المظاهرات ليست من وسائل الدعوة عندنا كسلفيين فوسائل الدعوة توقيفية.

(٢) «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل» لمحمود عبد الحليم (١/ ٤١٢) ـ دار الدعوة بالاسكندرية.

وفي مايو سنة ١٩٤٨م كان زعماء الدول العربية مجتمعين في «عالية» بلبنان فأرسل إليهم الأستاذ البنا برقية يعدهم فيها بما وعد من قبل في كلمته بإدخال عشرة آلاف مجاهد كدفعة أولى إلى فلسطين.

وفتح الشيخ البنا باب التطوع فسارع الآلاف بالانضمام.

وكتبت فتاة صهيونية تدعى «روث كاريف» في جريدة «الصنداي ميرور» في مطلع عام ١٩٤٨، ونقلتها جريدة «المصري» لقرّائها في حينه قالت: ـ وهذا هو بيت القصيد: «إن اليهود في فلسطين الآن هم أعنف خصوم الإخوان المسلمين، ولذلك كان اليهود الهدف الأساسي لعدوان الإخوان».

وبعد هجوم عنيف على الأستاذ البنا ختمت مقالها قائلة:

«وإذا كان المدافعون عن فلسطين ـ أي اليهود ـ يطالبون الآن مجلس الأمن بإرسال قوة دولية لتنفيذ مشروع التقسيم الذي أقرّته هيئة الأمم المتحدة، فإنهم لا يطالبون بذلك لأن الدولة اليهودية في حاجة إلى الدفاع عن نفسها، ولكنهم يريدون إرسال هذه القوة الدولية إلى فلسطين، لتواجه رجال الإخوان المسلمين وجهًا لوجه، وبذلك يدرك العالم كله الخطر الحقيقي الذي تمثله هذه الحركة».

«وإذا لم يدرك العالم هذه الحقيقة في وقت قريب، فإن أوربا ستشهد ما شهدته في العقد الماضي من القرن الحالي، إذ واجهتها حركة فاشية نازية، فقد تواجهها في العقد الحالية امبراطورية إسلامية فاشية، تمتد من شمالي أفريقيا إلى باكستان، ومن تركيا إلى المحيط الهندي»[1].

---

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» لكامل الشريف ص(٣٢ ـ ٣٣) ـ دار الوفاء بالمنصورة.

❑ سافر بعض شباب الإخوان إلى فلسطين عام ١٩٣٥، ١٩٣٦ وشاركوا مشاركة فعلية في حركة الجهاد على أرض فلسطين والتي أشعلها الشيخ عز الدين القسام ـ رحمه اللَّه ـ.

❑ وتأسس فرع لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين عام ١٩٤٥، وبهذا وضعت لبنة في إيقاظ الوعي الإسلامي على أرض فلسطين، وتحقيق الترابط وأخوة الإسلام.

❑ وتوجه الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين وقائدهم العسكري إلى فلسطين عام ١٩٤٧م؛ لتوحيد صفوف المجاهدين على أرض فلسطين، وتكوين جيش من أهالي فلسطين للدفاع عنها، إلا أن الإنجليز تنبهوا لهذا الأمر، فقاموا بطرده بالقوة.

توجه المجاهد محمود عبده مع رعيل من إخوانه إلى سورية حيث تم إقامة معسكر في جنوبي دمشق لتدريب المتطوعين من أهل فلسطين على حمل السلاح والمشاركة في أعباء الجهاد، إلا أن الدولة العربية قد أغلقته بناء على طلب كلايتون رئيس المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط بل وجردت الفلسطينيين من سلاحهم.

❑ الاتصال بالنظام الحاكم في مصر وبجامعة الدول العربية وبعض الشخصيات حتى أمكن فتح باب التطوع داخل مصر للراغبين في الجهاد في فلسطين، كما أمكن فتح معسكر الهايكستب لاستقبال المتطوعين وتدريبهم على حمل السلاح، وقد ساهم في هذا خبرة بعض ضباط الجيش المصري.

❑ تكوين فرق من الإخوان لجمع السلاح والذخيرة من الصحراء الغربية وتنظيفه وإعداده للاستعمال، وكان ذلك بتصريح من النظام

الحاكم في مصر، الذي صرح في نفس الوقت لليهود المقيمين في مصر بنفس الشيء، بل سمح لهم بتجهيز فيلق يهودي شارك في الحرب العالمية الثانية، وكان نواة لجيش اليهود على أرض فلسطين، والعجيب أنه بعد فترة قامت الحكومة المصرية على عهد محمود فهمي النقراشي بسحب التصريح الممنوح للإخوان المسلمين بجمع السلاح من الصحراء الغربية، في الوقت الذي تركت الأمر مفتوحًا لليهود على أرض مصر.

❑ في ٢ نوفمبر ١٩٤٧ الشيخ حسن البنا يقود مظاهرة[١] بدأت من الأزهر الشريف بعد أن ألقى كلمة ذكَّرهم فيها بواجبهم حيال بيت المقدس، وضرورة تحريض النظام المصري على فتح معسكرات التدريب، وتدريب الشباب وتسليحه وتكوين الكتائب.

❑ الجماهير المتحمسة تتجه إلى قصر عابدين مقر حاكم مصر تطلب السلاح وتهتف اللَّه أكبر حي على الجهاد هيَّا إلى فلسطين... هيا إلى فلسطين.

❑ وهكذا نجح الإخوان في تعبئة الجماهير المصرية والضغط على النظام المصري، ولم يكن ذلك خافيًا على الإنجليز وأعوانهم الذين كانوا يحتلون مصر.

❑ الحكومة المصرية ـ تحت ضغط التيار الشعبي بقيادة الإخوان تقرر ذرّا للرماد في العيون، وتهدئة للجماهير الغاضبة، السماح بفتح باب التطوع أمام الراغبين في الجهاد.

❑ الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين وقائد وحداتهم

---

(١) لا نقر المظاهرات كوسيلة من وسائل الدعوة، فوسائلها توقيفية.

العسكرية ينجح في إقامة معسكر التدريب في الهايكستب، تتولى الجماعة العربية إمداده وتنظيمه، ويشرف على التدريب فيه جندي ممتاز هو البكباشي حسين مصطفى من رجال الجيش العامل.

إقبال شديد من شباب مصر على التطوع، مع أن عهد الناس بهم أنهم ينفرون من الجندية، وذلك يعني أن جماعة الإخوان قد نجحت في استجاشة مشاعر الإيمان والرغبة في الجهاد في قلوب الجماهير.

ووصلت الكتيبة الأولى للإخوان المسلمين المجاهدين بقيادة الشهيد يوسف طلعت إلى أرض فلسطين في فبراير ١٩٤٨، وبعدها بفترة لحقت بها الكتيبة التي تدربت في معسكر هايكستب بقيادة البكباشي الورداني الذي لحق به البكباشي أحمد عبد العزيز بعد ذلك، وقد كان البطل أحمد عبد العزيز مفخرة الجيش المصري والعسكرية المصرية وهو الذي تولّى قيادة المتطوعين والتنسيق بينهم وبين الجيش المصري، وقد التحمت هاتان الكتيبتان مع المجاهدين الذين تدربوا في سوريا في معسكر البريج بغزة في وقت لاحق.

وقد لحق بهذه الكتائب قوات الجيش المصري بقيادة اللواء أحمد علي المواوي في ١٥ مايو ١٩٤٨ ومع وصول هذه القوات، تحركت كتيبة البكباشي أحمد عبد العزيز في اتجاه بئر سبع، ومنها إلى الخليل ومنها إلى بيت لحم حيث عسكرت، وهناك دارت معارك كبيرة أمام مستعمرة رامات راحيل.

كما تحركت فصائل من كتيبة الإخوان الأولى من البريج إلى بئر سبع والعوجة وهاجموا كثيرًا من مستعمرات العدو.

كما تحركت القوات التابعة للقائد محمود عبده إلى بيت لحم.

وكان الإخوان المسلمون المجاهدون حريصين منذ اللحظة الأولى على منازلة العدو اليهودي رغم قلة العدد والعتاد، قدموا فيها شهداء وكثيراً من التضحيات وغنموا من العدو الكثير من العدة والعتاد والغذاء.

خاضوا المعارك منفردين، وتارة أخرى متعاونين مع قيادة الجيش المصري، وقد قدّم لنا تاريخًا لهذه الأحداث الأستاذ كامل الشريف «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» لا غنى لأي قارئ مسلم يهتم بأمر فلسطين عن قراءته، والإفادة مما فيه من دروس وعبر»[١].

* **معركة مستعمرة كُفّار ديروم[٢] ... دروس وعبر** أول معركة يخوضها الإخوان ضد اليهود:

كفار ديروم مستعمرة يهودية بدير البلح، تقع على طريق خان يونس/ غزة. وتتميز بأبراجها الضخمة وتحصيناتها القوية التي تسمح بمجال للرؤية والرماية على مسافات بعيدة، وكان يحيط بالمستعمرة الأسلاك الشائكة والألغام الكثيفة، التي تجعل مهاجمتها ضربًا من المخاطرة.

وكانت كل مستعمرة وحدة دفاعية كاملة أي: مجهزة تجهيزاً كاملاً بالأفراد ومعدات القتال والإعاشة التي تمكنها من الصمود لوقت طويل في حالة الحصار، كما أن أفرادها كانوا على درجة عالية من الكفاءة نتيجة التدريبات المكثفة التي كانوا يتلقونها بل كان في إمكان حراس هذه المستعمرات من اليهود (الهاجاناة) مراقبة الداخل والخارج إليها، وقطع الطريق في أي وقت يشاءون وهم خلف أبراجهم الشاهقة المسلحة دون

---

(١) «الطريق إلى بيت المقدس» (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨).

(٢) «الطريق إلى بيت المقدس» (٣/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) نقلاً عن «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ومذكرات خطية للأخ أحمد عبد الغني الجندي.

أن يتعرضوا لأذى.

يشكل هذا النظام نظام المستعمرات اليهودية عقبة عنيدة أمام أي هجوم لتحرير فلسطين في المستقبل، بل ويظل نظامها أفضل وسيلة لحماية حدود الأمة العربية المترامية الأطراف، التي أهملت وأصبحت كلأً مباحًا للعدو يأخذ منها ما يشاء في أي وقت شاء.

وحينما وصل الفوج الأول من الإخوان إلى فلسطين، لم يكن لديهم معلومات كافية عن هذه المستعمرات اليهودية، فظنوا أنهم بمقدورهم مهاجمة هذه المستعمرات واحتلالها رغم ما كانوا يعانونه من نقص في الأسلحة والمعدات، ودفعهم إلى ذلك الرغبة الجارفة في منازلة اليهود الذين دنسوا أرض فلسطين، لتطهيرها من رجسهم؛ واستهانتهم بالحياة ورغبتهم الحقيقية في تحقيق النصر أو الشهادة.

«وقام الفوج الأول من متطوعي الإخوان المسلمين بقيادة الشهيد يوسف طلعت مع الأخ المقاتل كامل الشريف بهجوم عنيف على هذه المستعمرة فجر السبت ١٠ أبريل سنة ١٩٤٨م، وقد استخدموا فيها مدافع الهاون والبرن والقنابل اليدوية، وبعد أن بثوا الألغام حول المستعمرة ونسفوا جميع التحصينات الخارجية تقدم الفدائيون زحفًا إلى داخل المستعمرة، وقد استمرت المعركة ١٠ ساعات وأوشكت أن تسقط لو لا أن استنجد اليهود بالجيش البريطاني الذي كان ما زال محتلاً لفلسطين في هذا التاريخ، وكانت نتيجة المعركة أربعين قتيلاً من اليهود ومئات من الجرحى واستشهد من مجاهدي الإخوان اثنا عشر مقاتلاً كما جرح خمسة بجروح خفيفة، وكما قال الصاغ محمود لبيب: لقد أبلى جنودنا في هذه المعركة بلاءً حسنًا.

«وما أن وصل القاهرة خبر استشهاد الاثنى عشر حتى زادت حمية

القتال، وأصبح المركز العام ودور الإخوان خلية كخلية النحل يتوافد إليها المتطوعون يطلبون سرعة الالتحاق بكتائب القتال والتدريب في معسكر الهايكستب»(١) .

ولقد وصف هذه المعركة مراسل جريدة أخبار اليوم في غزة، كما نشرته جريدة الإخوان المسلمين اليومية في عددها رقم (٦٠٤) الصادرة في ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٨ أبريل سنة ١٩٤٨

«. . . ورأى القائد البريطاني الشهداء وأطلعه قائد الإخوان على تفاصيل المعركة، وكيف أن العرب لم يخسروا من أسلحتهم شيء، بل إنهم استعادوا أسلحة الشهداء والجرحى فدهش وذهب إلى حيث يرقد الشهداء والجرحى وأحنى رأسه قائلاً: «إنني في دهشة كيف استطعتم أن تفعلوا كل هذا، لقد كنت في فرقة الكوماندوس البريطانية، ولم أشهد جرأة كالتي رأيتها الآن، ولو كان معي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم فلسطين، ثم تقدم القائد البريطاني إلى الجرحى المصريين وقبّل كل منهم في جبينه، وقال: من أي بلد هؤلاء الأبطال؟ فقالوا: من مصر»(٢) .

بل وينقل الأستاذ حسن الجمل في كتابه «جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين»: «وكان بالصحيفة مقولة الطبيب الإنجليزي: «لو أن معي اثنا عشر ألفًا من هؤلاء لحاربت بهم العالم».

* نماذج فذة للشهادة في سبيل الله:

«ورغم أن المعركة لم تحقق الهدف الذي كان يسعى إلى تحقيقه

(١) «مذكرات خطية».

(٢) «موسوعة الشهداء. . شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث» لعبد الحليم الكناني ص(٨١ ـ ٨٢) ـ دار البشير.

المجاهدون إلا أنها ظلت مثلاً فريداً للبطولة والتضحية في سبيل اللَّه.

لقد سجل المجاهدون صوراً حية من جهاد الصدر الأول، فهذا أحدهم وهو المجاهد «محمد سلطان» من مجاهدي الشرقية، يزحف على بطنه حاملاً لغمًا وهدفه أحد مراكز الحراسة في المستعمرة، ينتبه إلى الحراس اليهود، وهو على قيد خطوات من هدفه، فيطلقون عليه رصاصات تصيبه في ذراعه، وتعجزه عن المضي في زحفه، ولكنه يتحامل على نفسه، ويزحف بصعوبة والدماء تنزف من جراحه، والرصاص يتناثر من حوله، ويظل يجاهد بعناد حتى يقترب من هدفه فيشعل اللغم فينفجر، ويدمر مركز الحراسة ويقضى على البطل الفذ، ويمضي ليلاقي ربه شهيداً»[1].

وهذا المجاهد «عبد الرحمن عبد الخالق» يقود إحدى جماعات الاقتحام في المعركة، ويستمر في قتاله الرائع رغم أوامر الانسحاب التي صدرت إليه، فيقول: كيف ننسحب، وإخواننا في داخل المستعمرة؟! ثم يُذكر من معه بقول اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

ويظل يقاتل بشدة حتى تصيبه رصاصة قاتلة في رأسه لتضع اسمه في عداد الشهداء الخالدين.

وهذا مجاهد آخر هو «عمر عبد الرؤوف» تصيبه رصاصة في صدره فتبدوا على وجهه ابتسامة مشرقة، ويهتف بمن حوله «أترون ما أرى؟»، ثم يأخذ نفسًا طويلاً، ويقول: هذه هي الجنة، إنني أراها...

(١) «الإخوان المسلمون» لكامل يوسف ص(٥٩).

وأشم رائحتها، ثم يلفظ أنفاسه الطاهرة، ليمضي إلى جنة ربه الموعودة[١].

وتعلم الإخوان درسًا لم ينسوه، وظل يقود خططهم وخطاهم طيلة الفترة التي قضوها على أرض الجهاد، لقد تعلموا أن مهاجمة المستعمرات اليهودية مع نقص الأسلحة والمعدات اللازمة لديهم، هو انتحار محقق، وأن أفضل وسيلة لإنهاك العدو هو تطبيق نظام حرب العصابات وحصار المستعمرات والطرق الموصلة إليها، وقطع خطوط الإمداد والتموين عنها، وإجبار العدو إلى الخروج من المستعمرة ليتمكنوا من منازلته في الأرض المكشوفة التي تشمل صحراء النقب كلها وحرب العصابات لا يمكن أن يقوم بها إلا رجال يؤمنون إيمانًا عميقًا باللَّه، ثم بعدالة الفكرة التي يحاربون من أجلها، وأن يكونوا على مستوى رفيع من التدريب والذكاء، لأنهم يتعرضون في قتالهم إلى كثير من المآزق الخطيرة، ولأن مهمتهم الأساسية هي محاربة العدو في أرض تحتلها قواته، ليثيروا الرعب والفوضى في مؤخرته، ويقوموا بهجمات خاطفة على طرق مواصلاته ويدمروا ما تقع عليه أعينهم من أسلحة ومعدات»[٢].

وباشر الإخوان تنفيذ هذه الخطة.

وشكَّل الإخوان عصابات صغيرة للاستكشاف والاستطلاع وجمع المعلومات عن العدو، وعن أرض المعركة، وأخرى لمحاصرة المستعمرة، ومراقبة الطرق الموصلة إليها، وأخرى ترابط على طرق المواصلات وتنصب الكمائن وتبث الألغام عليها، وأخرى تهاجم شبكات المياه التي

(١، ٢) «الإخوان المسلمون» ص(٦٥).

تغذي العدو لتحرمه من المياه، وأخرى لمنع أية إمدادات من الوصول إلى داخل المستعمرة.

ونجحت خطة الفئة المجاهدة القليلة العدد، البسيطة العدة، وأخرج اليهود من مستعمراتهم لحراسة شبكات المياه وإصلاحها، وحماية قوافل تموين المستعمرات، وبدأت المعارك وتحول النقب الجنوبي ميدانًا لمعارك مستمرة ليلاً ونهارًا بين الإخوان المجاهدين والعدو اليهودي، غنم أثناءها الإخوان كميات وفيرة من الأسلحة والعتاد والمواد التموينية.

* نموذج تطبيقي لحرب العصابات:

تدمير شبكة مياه العدو التي تغذي المستعمرة بالمياه.. خروج العدو لقتال الإخوان.. وكان هذا الذي يريده مجاهدو الإخوان.

حدث مرة أن قامت قوة من الإخوان بقيادة المجاهد «حسن عبدالغني» بتدمير شبكات المياه بين مستعمرتي «بيري» و«أتكوما» وأباحت أنابيب المياه لأعراب المنطقة ينتزعونها من الأرض تحت حراستهم، حتى نزعت من الأنابيب مساحات شاسعة، ثم رابطت في المنطقة لتمنع العدو من إصلاحها، وصبر اليهود يومين عسى أن تنصرف قوة الإخوان لشأنها، لكن القوة المرابطة العنيدة ظلت تواصل تدمير الأنابيب ونزعها والتعرض للمصفحات والقوافل التي تحاول إصلاحها فلم تجد القيادة اليهودية بدًا من الدخول في معركة مباشرة فجمعت عددًا كبيرًا من المصفحات من جميع المستعمرات وأحاطت بالقوة الصغيرة من جميع الجهات، وأخذت تقترب منها على أمل أن تظفر بها، وثبت الإخوان ثباتًا عجيبًا، وأوقعوا في اليهود عددًا من القتلى قبل أن يبعثوا في طلب

النجدات من معسكراتهم، وجاءت مصفحات الإخوان وضربت الحصار حول مصفحات العدو الذي أسقط في يده حين رأى نفسه محصوراً بين نارين، فاضطر إلى طلب نجدات أخرى من المستعمرات القريبة، وامتلأ ميدان المعركة بقوات كبيرة من الجانبين واشتد القتال بين الفريقين شدة لم يسبق لها مثيل، حتى يئس العدو من زحزحة الإخوان عن موقفهم فأخذ يطلق سحبًا من الدخان ليستر انسحابه، وما كادت أطباق الدخان تنجاب عن ميدان المعركة حتى سارع الإخوان يجمعون غنائمهم من السلاح ويعودون لتدمير الأنابيب من جديد.

وأيقن اليهود أنه لا قبل لهم بمواجهة هذه القوات المتفانية في حرب شريفة، وحاولوا تسميم آبار الماء التي يستخدمها الإخوان في منطقة «خزاعة» حيث كان المجاهد «نجيب حويفل» يرابط فيها بسريته، ولكن عين اللَّه المبصرة، ثم يقظة الإخوان مكنتهم من اكتشاف الجريمة قبل وقوعها، وذلك أنهم لمحوا رجلين يرتديان الملابس العربية، ويتظاهران باستجلاب الماء، وكان منظرهما يدعو إلى الريبة فاقترب منهم الجندي الحارس، وأمرهما بالوقوف فلاذا بالفرار فتعقبهما الجندي الحارس وعدد من إخوانه حتى أدركوهما، ولم يبق بينهما إلا خطوات، وأمرهما بالتسليم، وحين اقترب الإخوان منهما انبطحا على الأرض في سرعة وقذفا على المهاجمين عددًا من القنابل اليدوية، وأسرع الإخوان بملاصقة الأرض، ثم أطلقوا عليهما النار فأردوهما قتيلين[1].

هذا هو النموذج يا أمة الإسلام يقظة.. انتباه.. رباط لا أمة

---

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ص(٦٨، ٦٩).

ترقص وتغني، ثم تنام حتى يأتي العدو ويضرب سلاح طيرانها بالكامل في الأرض.

جند الإخوان عددًا كبيرًا من شباب البدو على استعمال السلاح، ووكلوا إليهم الأعمال الخطرة والبدوي بطبيعته مقاتل قوي البأس فوق ما يتمتع به من مزايا تجعله بارعًا في الإخفاء والتمويه، وكان لهم أبعد الأثر في نجاح العمليات الخطرة التي أضلع بها الإخوان بعد ذلك».

أثبتت التجربة العملية أن بدو سيناء ممكن أن يكونوا عاملاً حاسمًا في المعركة مع اليهود.. فقد تحولوا بفضل اللّه ثم بجهود رجال العقيدة إلى لبنات صالحة في بنية المجتمع المسلم ـ بعد أن فهموا ماذا يتطلب منهم. آمنوا باللّه.. فأخلصوا للّه، وتحول الفهم والإخلاص إلى عمل في صالح أمة الإسلام.. وتحولوا إلى مصدر من مصادر الإزعاج للعدو اليهودي.

وحين تشعبت أعمال الإخوان واتسعت الجبهات التي يحاربون منها وزادت القيود التي فرضتها الحكومة المصرية لمنع دخول المجاهدين مصر، قام الإخوان بتعويض احتياجاتهم من البدو وتشكلت منهم عدة سرايا كان يقوم بتدريبها وإعدادها الأخ (نصر الدين جاد).

أسند الإخوان إلى إخوانهم البدو مسئولية حماية أحد الحصون التي أنشأوها، وكانت تخرج منه العصابات تتعرض لقوافل الجيوش اليهودية، وتأسر وتقتل وتغنم، مما أغاظ اليهود ودفعهم إلى مهاجمة هذا الموقع في يوم ١٩/٧، وتصدى لهم الإخوان وإخوانهم البدو، وأوقعوا بهم خسائر فادحة، واستشهد في هذه المعركة التي جرت بالقرب من أبو معيلق، المجاهد سيد حجازي، وجُرح العديد منهم محمد القلاحجي

من إخوان الدقهلية»[١].

* معركة كُفّار ديروم الثانية:

القائد أحمد عبد العزيز يفكر في مهاجمة المستعمرات اليهودية.

الشيخ محمد الفرغلي يبين له خطورة هذه الخطة مدللاً على ذلك بتجربة الإخوان في كفار ديروم.

القائد يُصر على رأيه، وما كان له أن يفعل، وشباب الإخوان يسمعون ويطيعون، وكان الثمن فادحًا من خيرة شباب الإخوان (سبعون شهيدًا، ومثلهم جرحى).

«وكان ممن جرح فيها اليوزباشي البطل «معروف الحضري»[٢] فحمله الإخوان من داخل المستعمرة، حيث رحل للعلاج إلى القاهرة، وقبل أن يتماثل للشفاء عاد ليواصل جهاده ويلعب دورًا هامًا على مسرح الحرب».

«انتهت «معركة ديروم الثانية»، ولم يكن أحمد عبد العزيز من شهودها، إذ كان يتلقى أنباءها أولاً بأول من مقر قيادته في (خان يونس)، وحين تلقى هذا النبأ جزع جزعًا شديدًا لفقد هذا العدد الضخم

---

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ص(٧١ ـ ٧٤).

(٢) وقد رقى معروف الحضري فيما بعد حتى وصل إلى رتبة اللواء وقُدر له أن يوضع في المعتقل على عهد الزعيم عبد الناصر وتعرض للتعذيب والإهانة!! لماذا؟ هذا الضابط الشجاع حاول مرات عديدة كسر حصار الفالوجة لإنقاذ الجيش المصري، وكان من بين أفراده جمال عبد الناصر. وأصيب معروف الحضري، وتعرض للأسر في يد اليهود، وردّ له عبد الناصر الدَّيْن؟!

من خيرة رجاله دون أن يحقق أدنى نتيجة، فصمم على أن يوقع باليهود ضربة قاتلة».

* معركة كفَار ديروم الثالثة والتلاحم الرائع بين البطل أحمد عبد العزيز والمجاهدين من الإخوان:

البطل أحمد عبد العزيز... بل الجبل أحمد عبد العزيز إذا ذُكِر اسم فلسطين ذُكِر اسمه لا ينساه تلاميذه من ضباط الجيش المصري، وهو يلقي عليهم محاضراته القيمة في كلية أركان الحرب، وبطولاته الرائعة التي سجّلها في ميدان الفروسية... ولا ينساه أهل فلسطين، وهو يسجل صفحات النور في تاريخ فلسطين... بطلاً مولعًا بالمغامرة، له الجرأة الخارقة، العالم بمقدرته وكفاءته وعنده اليقين كل اليقين بربه.

يُطبق بطلنا أحمد عبد العزيز حرب العصابات في معركته هذه.. لندع المجاهد الكبير كامل الشريف يقصّ علينا أنباء هذه المعركة:

«صمم ـ أحمد عبد العزيز ـ على أن يوقع باليهود ضربة قاتلة، وما كان إلاّ يومان حتى واتته الفرصة، ولم يضيّعها، ولقّن اليهود درسًا مرًّا وأعاد لقوته روحها المعنوية بعد هزيمتها في «كفار ديروم».

ضرب المجاهدون حصارًا محكمًا حول المستعمرة، وفي اليوم التالي للمعركة حاول العدو تحطيم هذا الحصار، وإدخال قافلة كبيرة محملة بالجنود والعتاد، وكانت هي الفرصة التي ينتظرها أحمد عبدالعزيز ويسيل لها لعابه فنظم لها (كمينًا) محكمًا، وحشد مدافعه على سفوح التلال المشرفة على الطريق، وحين دخلت في الدائرة التي رسمها، أمر اليوزباشي «حسن فهمي» قائد مدفعيته فانطلقت المدافع من أبعاد قريبة،

وحاول اليهود الدفاع عن أنفسهم بادئ الأمر، ولكنهم وجدوا أنفسهم محصورين داخل حلقة فولاذية، فاختاروا أهون الضررين وقذفوا أنفسهم من المصفحات وحاولوا النجاة بأرواحهم والفرار إلى مستعمرة (كفار ديروم).

وكانت هذه خطوة محسوبًا حسابها في الخطة، إذ كان الأخ المجاهد «علي صديق» يقود فصيلة من المشاة مختبئة بعناية وراء التلال الرقيبة، فلم يكد اليهود ينزلون من المصفحات ويتحركون تجاه المستعمرة، حتى انطلقت الرشاشات من كل صوب فحصدتهم حصدًا، ولم ينج منهم أحد.

وحاول حماة المستعمرة نجدة إخوانهم، وتركهم الإخوان يغادرون الأسلاك الشائكة ويبتعدون عنها، ثم بدأوا يطلقون عليهم النار من «أوكار» معدة بعناية حتى سقط منهم عدد كبير، وتراجع الباقون إلى المستعمرة، وسكتت المدفعية، وأطبقت الرشاشات أفواهها الملتهبة، وأخذ المجاهدون يحصون ما غنموه، فإذا هم أمام خمس عشرة مصفحة ضخمة مشحونة بأحدث طراز من الأسلحة والذخائر ومواد التموين ولأول مرة تعلو وجوههم ابتسامات الفرح بعد هزيمة الأمس، حين فتحوا إحدى المصفحات فوجدوها مليئة بالدجاج والطيور من مختلف الأنواع والأحجام.

وكان نصرًا رائعًا ردّ لهذه الكتيبة المجاهدة اعتبارها، وعوض لها خسارتها، وبعد هذه المعركة تغير الموقف واقتنع أحمد عبد العزيز بالنظرة الأولى، وهي أن مهاجمة المستعمرات دون أن يكون معه عدد من الدبابات الثقيلة، إن هو إلا ضرب من الانتحار، فأخذ يستخدم (تكتيكات) العصابات، ويضرب المستعمرات بمدفعيته دون أن يهاجمها،

ويعترض طريق القوافل المصفحة ويبيدها عن آخرها، حتى أزعج اليهود إزعاجًا شديدًا وحرم عليهم التجول في صحراء النقب وكان مقدرًا لهذه الحركة أن تحرز نجاحًا رائعًا لولا ما جدّ على الموقف الحربي من أحداث وتطورات[١].

بدأت القوة المصرية النظامية تزحف على فلسطين بقيادة اللواء «أحمد محمد علي المواوي» واحتلت في زحفها السريع كثيرًا من المدن الساحلية، ثم توقفت في «غزة» لتنسق عملياتها المقبلة، وكان مفروضًا أن يبدأ التنسيق بتوحيد القيادة في الجبهة المصرية، ويبدأ التعاون الفعلي بين قوات الجيش وقوات المتطوعين، وكان من رأي «المواوي» أن يخضع «أحمد عبد العزيز» لقيادة الجيش العامة؛ تنسيقًا للعمل وتوحيدًا للجهد، وكان يريد أن يجعل من كتيبته (قوة ضاربة) ترافق الجيش في عملياته.

غير أن أحمد عبد العزيز رفض هذه الفكرة، وأصر على أن يستقل بالعمل بحجة أنه يقود جماعات من المتطوعين لا يلتزمون بالأوضاع العسكرية التي يتلزم بها الجيش النظامي.

وأخيرًا رأى «المواوي» حسمًا للنزاع أن يتولى أحمد عبد العزيز قيادة منطقة (بئر السبع) ـ على ألا يتجاوزها شمالاً ـ فيدافع بذلك عن مفتاح فلسطين الشرقي، ويوزع قوات العدو بين جبهتين واسعتين، ويحمي ميمنة الجيش المصري من خطر الالتفاف.

وقبل أحمد عبد العزيز هذا الرأي فجمع قواته واخترق بهم صحراء النقب مارًّا بمستعمرة (العمارة) حيث ضربها بمدفعيته في ١٧ مايو،

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ص(٨٤ ـ ٨٥).

ودخل بئر السبع حيث قابله السكان مقابلة رائعة. ولم يكد يستقر بها حتى بدأ أول حركاته بضرب مستعمرة (بيت إيشل) الحصينة، ثم شرع في توزيع قوته على هذه المنطقة. فأرسل جزءًا بقيادة البكباشي «زكريا الورداني» ليحتل (العوجة) و(العسلوج) العربيتين. وأبقى جزءًا آخر بقيادة اليوزباشي «محمود عبده» ليتولى الدفاع عن مدينة (بئر السبع) ومنطقتها.

أما هو فقد اتخذ قيادته في المدينة، وأخذ يرسم الخطط لمهاجمة اليهود في كل مكان من الصحراء. وبدا إن الخلاف قد انتهى عند هذا الحد وحل محله التعاون والانسجام لولا أن جاء وفد من مدينة (الخليل) في ١٩ مايو وقابل أحمد عبد العزيز والتمس منه إرسال جزء من قواته للاشتراك مع الجيش الأردني في الدفاع عن الخليل وبيت لحم. وهنا نجد أحمد عبد العزيز يوافق على توزيع قوته. ويقرر الزحف إلى الخليل. غير عابئ بالتعليمات التي اتفق عليها مع القائد العام وغير عابئ بما قد تجره هذه الخطوة من مشاكل سياسية إذ أن هذه المناطق كانت تدخل ضمن الجبهة الأردنية حسب الخطة العربية العامة.

وفي يوم ٢٠ مايو زحف أحمد عبد العزيز إلى الخليل على رأس قوة صغيرة تاركًا مهمة الدفاع عن مدينة (بئر السبع) ومنطقتها لليوزباشي «محمود عبده» وفصائل الإخوان المسلمين التي تعمل تحت قيادته.

*** البطل محمود عبده ورجاله من الإخوان المسلمين يواصلون حرب العصابات ضد اليهود بنجاح مدهش انطلاقًا من قاعدتهم في بئر سبع:**

تعالَ معي للنظر إلى المغاوير حماة بئر سبع وأعمالهم الرائعة:

ولقد حاول اليهود في ٧ مايو توصيل بعض المؤن إلى مستعمراتهم

المحصورة. وكان الطريق الذي يسلكونه يمر فوق جسر مقام على أحد الوديان العميقة. فقرر الإخوان نسف هذا الجسر حين مرور القافلة فوقه. وفعلاً قامت قوة من بئر السبع بقيادة المجاهد «علي صديق» وبثت الألغام تحت الجسر. واختبأت داخل الشعاب والمنحنيات القريبة، ولم يطل بها الانتظار إذ تقدمت قافلة العدو وهي جاهلة تمامًا ما ينتظرها.

فما إن توسطت الجسر حتى انفجرت الألغام الهائلة وتطايرت أجزاء الجسر في الهواء. وانقلبت مصفحات العدو في الوادي السحيق. وانتهز الإخوان الفرصة فقاموا يقتلون كل من تظهر رأسه تحت الردم.

وأسفرت المعركة عن قتل عدد من جنود الأعداء، وأسر عدد آخر من المصفحات، أطلق الإخوان على أكبرها اسم قائدهم (محمود عبده) وكما أرهب محمود عبده (الضابط) اليهود بخططه وكمائنه، فقد أرهبت محمود عبده (المصفحة) اليهود بعد ذلك حين كانت تشترك عمليًّا في جميع الدوريات الناجحة!

قرر اليوزباشي «محمود عبده» محاصرة المستعمرات وإنهاك قوى العدو بالغارات المتواصلة على مواصلاته ومراكزه. وأخذ يبعث بالدوريات المسلحة لتجوب الصحراء وتعترض طرق القوافل وترغمها على الفرار تاركة خلفها الكثير من الأسلحة ومعدات الحرب.

* لبيب الترجمان بطل من الإخوان:

مستعمرة رامات راحيل وهزيمة منكرة على يد أحمد عبد العزيز ورجاله:

«كان الجيش العربي الأردني مدينة «بيت لحم» قبل دخول أحمد عبد العزيز، وكان يتخذ مقر قيادته في (مار الياس) الواقع شمالي

المدينة، وكان هذا الجيش مشتبكًا مع مستعمرة (رامات راحيل) الواقعة على طريق بيت لحم ـ القدس، غير أنه لم يتمكن من اقتحامها وبقيت (رامات راحيل) كما كانت دائمًا مصدر خطر كبير.

فهي تقع على ربوة عالية، وتتحكم في الطريق الرئيسي الذي يصل بيت لحم بالقدس. فوق أن المدافعين عنها يمكنهم مراقبة القوات الموجودة ببيت لحم وإحصاء حركاتها وسكناتها، لذلك كله نرى أحمد عبد العزيز يتجه إلى اقتحامها منذ أن هبط أرض المدينة.

ولقد بدأ في ٢٤ مايو فأرسل قوة من جنود الإخوان بقيادة (لبيب الترجمان) لتقوم باستكشاف المستعمرة وكتابة تقرير واف عن تحصيناتها، وقامت الدورية بعملها خير قيام ونجحت في التسلل إلى مكان قريب من المستعمرة حيث أخذت تراقب تحصيناتها، ومواقع الدفاع عنها، وظلت في موضعها يومًا كاملاً حتى فطن اليهود لوجودها وأخذوا يطلقون عليها النار من قمم الأبراج، واشتبكت معها الدورية غير أن قائدها أمر بالانسحاب إذ كان هدفه هو «الاستكشاف» فحسب وليس الدخول في معركة مباشرة. وحين وصل إلى بيت لحم عكف على كتابة تقريره وضمنه ما وصل إليه من معلومات عن المستعمرة ونقاط القوة والضعف في الدفاع عنها وقدمه إلى أحمد عبد العزيز الذي جعله أساسًا لخطته المقبلة.

كانت الخطة الجديدة لا تختلف كثيرًا عن الخطة التي اتبعت في (كفار ديروم) إذ تقرر أن تبدأ المدفعية بقصف الحصون والأبراج، ثم يزحف المشاة تحت غلالة من نيران مدفعية (الهاون) وقنابلها الدخانية، ثم

تتقدم جماعات الفدائيين من حملة ألغام (البنجالور) لنسف العوائق السلكية وحقول الألغام.

غير أن هذه الخطة نجحت في احتلال (رامات راحيل) وكان سر نجاحها أن الأرض المحيطة بالمستعمرة كانت جبلية مليئة بالمنحنيات والفجوات، حين كانت الأرض المحيطة بكفار ديروم سهلاً منبسطًا يمتد إلى مسافات شاسعة.

وفي مساء يوم ٢٦ مايو كان كل شيء هادئًا حول مستعمرة (رامات راحيل) وكان جنود (الهاجاناة) فيها ينامون ملء أجفانهم مطمئنين إلى حصونهم القوية، حتى انتصف الليل ـ أو كاد ـ وبدأت أشباح كثيرة تنطلق من مركز رئاسة أحمد عبد العزيز حيث يبتلعها الظلام الكثيف، ثم تلتقي في سكون في مناطق مختلفة في الجبال المحيطة بالمستعمرة، ثم انطلقت إشارة ضوئية زحف بعدها المجاهدون، ثم توقفوا عند نقط معينة تحددت في الخطط المرسومة.

وعندما دقت ساعة الكنيسة الكبيرة دقتين بعد منتصف الليل ارتجت الأرض تحت دوي المدافع، وتمزقت حجب الليل المظلم من وهج القنابل المحرقة التي انقضت كالشهب على المستعمرة الساكنة. ولم تمض إلا دقائق حتى شبت الحرائق في أكشاكها الخشبية وتفجرت حقول الألغام التي لف بها العدو مستعمرته، ثم سكتت المدافع، وأصدر (لبيب الترجمان) أوامره لقوته فبدأت تزحف تحت غلالة كثيفة من قنابل الهاون المتفجرة وقنابل الدخان، وفي لمح البصر اندفع الفدائيون يفجرون ألغامهم تحت الأسلاك الشائكة، ومن ورائهم فصائل الاقتحام تعبر مسرعة لتحتل

الأغراض التي خصصت لها.

وبدأ الاشتباك الرهيب عند الخنادق «والدشم» واستمات اليهود في الدفاع عن مستعمرتهم، ولم يضيع الإخوان الوقت فتسلل نفر منهم إلى الأبراج العالية يفجرون تحتها الألغام ويحيلونها أنقاضًا وركامًا، وأثرت هذه الانفجارات المفاجئة تأثيرًا سيئًا في نفوس المدافعين عن المستعمرة، وأسقط في أيديهم، فبدءوا يجلون عبر ممراتهم السرية إلى مستعمرة (تل بيوت) على مقربة من القدس الجديدة.

وعكف المجاهدون على الخنادق يتمون تطهيرها وحين كان آخر يهودي يغادر المستعمرة هاربًا، كان صوت المؤذن يتهادى مع النسيم من أعلى قمة فوق أعلى برج ـ اللَّه أكبر.. اللَّه أكبر.. أشهد أن لا إله إلا اللَّه... أشهد أن محمدًا رسول اللَّه.

سقطت المستعمرة أمام هذه الخطة، وأخذ الإخوان يجوسون خلال أبنيتها وأبراجها فرأوا ما أذهلهم من الخيرات والمؤن المكدسة؛ إذ كانت هذه المستعمرة هي مركز التموين الذي يشرف على إمداد المستعمرات الواقعة في جنوبي القدس.

وكان عدد القتلى من اليهود في هذه المعركة كبيرًا للغاية إذ وجدت تحت الردم ما يزيد على المائتين، عدا ما نجح اليهود في أخذه معهم عند انسحابهم، أما خسائر الإخوان فلم تتجاوز تسعة من الشهداء والجرحى وشهيدًا واحدًا من قوة الإخوان الأردنيين، التي كانت ترابط في (صور باهر) بقيادة المجاهد (عبد اللطيف أبو قورة) رئيس الإخوان في عمان.

لم يكن انسحاب اليهود نهائيًّا من المستعمرة إذ كانوا يبيتون النية

لاستردادها وطرد الإخوان منها، فصعدت طائراتهم في اليوم التالي تستكشف الحالة فيها فلم تجد إلا عدداً قليلاً من المجاهدين، وكان الخطأ الذي يؤخذ على قيادة المتطوعين أنها لم تعزز الانتصار الذي أحرزته، ولم توضع الخطة السليمة للمحافظة على المستعمرة، وكان عذر أحمد عبد العزيز في هذا الخطأ أن قوته الصغيرة كانت موزعة في خط طويل يمتد من (العوجة) إلى (بيت لحم)، وأن أسلحته وذخائره كانت قليلة تافهة، ولقد طالب مراراً بتزويده بالسلاح والذخيرة، غير أن «المواوي» رفض إمداده بها وسبب ذلك ـ كما سمعته من ضباط هذه القوة ـ أن أحمد عبد العزيز تخطى أوامره وتجاوز الحدود التي رسمها له!

وفي اليوم التالي تجمعت قوات يهودية كبيرة من القدس الجديدة ومستعمرات (تل بيوت) و(أرنونة) فطالب الإخوان بتعزيز القوة وإرسال عدد آخر يشترك معهم في الدفاع عن المستعمرة.

لكن القيادة قلبت كفها محتجة بعدم وجود قوات لديها، حتى يوم ٢٨ مايو إذ حسم اليهود المعركة فأغاروا بقوات كبيرة قدرت بخمسة آلاف، تؤيدها المدفعية والعربات المدرعة، واستبسلت القوة الصغيرة من الإخوان في الدفاع على أمل أن تنجدهم القيادة بالقوات اللازمة، وطال بهم الانتظار زمنًا طويلاً دون جدوى فقرروا الانسحاب بعد أن دمروها تدميراً تامًا، ولم يتركوا فيها بقعة واحدة تصلح للإيواء»[1].

* البطل حسين حجازي «بطل تل بيوت»:

حاصر الإخوان المستعمرة وما حاورها، وتولوا الدفاع عن قرية

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ص(٩٢ ـ ٩٤).

(صور باهر) العربية. ولقد حدث في أوائل شهر يونيو أن حلقت طائرة يهودية تحمل أسلحة وذخائر. وأرادت إلقائها على (رامات راحيل) وكان الوقت ليلاً، ورأى الإخوان أن المستعمرة تطلق إشارات حمراء لتدل الطائرة على موضعها، فما كان منهم إلا أن أطلقوا إشارات حمراء مشابهة، فاختلط الأمر على الطائرة وألقت حمولتها فوق (صور باهر) وكانت صناديق ضخمة مليئة بأجزاء المدافع وأنواع الرشاشات الحديثة والأدوية الثمينة.

أراد اليهود تعزيز النصر الذي أحرزوه في ختام معركة (رامات راحيل) فأرسلوا قوة من جنودهم هاجمت الجيش العربي الأردني في مقر قيادته في (دير مار إلياس) واضطرته لإخلائه، وكان هذا الدير يقع على مقربة من (صور باهر) حيث ترابط فصائل من الإخوان فوق أن احتلاله باليهود كان يؤثر تأثيراً بعيداً في موقف المرابطة في (بيت لحم)، فلم يجد الإخوان بدًّا من معاودة احتلاله، وتقدمت قوة منهم بقيادة المجاهد «حسين حجازي» تعاونه قوة فلسطينية من جيش الجهاد المقدس يقودها المجاهد العربي جاد اللّه وهاجمت اليهود على غرة واضطرتهم للانسحاب موقعةً بهم كثيراً من الخسائر.

وكان هذا النجاح حافزاً على القيام بحركة جديدة، ذلك أن مستعمرة (تل بيوت) دأبت على إطلاق النيران من برجها الضخم وتسبب عن ذلك كثير من الخسائر والأضرار مما اضطر أحمد عبد العزيز إلى إصدار أوامره للأخ المجاهد «حسين حجازي» ليتولى تدمير هذا البرج الخطر.

وفي ليلة ٤ يونيو انطلقت جماعة من بيت لحم وأحيط انطلاقهم بتكتم كبير، حتى أن زملاءهم في القوة لم يعلموا حقيقة المهمة التي سيقومون بها، حتى لمعت خاطفة أضاءت صفحة السماء وأعقبها انفجار هائل ارتجت له أركان المدينة، وشاهد الناس أحجار البرج الضخم تتناثر في الهواء، ثم تتهاوى لتصنع من تراكمها قبراً كبيراً يضم نخبة كبيرة من رجال الهاجاناة.

ولقد علقت جريدة (أخبار اليوم) في عددها الصادر في ٥ يونيو تصف هذه العملية الجريئة، فقالت بعد كلام طويل: «وفي الليل تسلل (حسين) ومعه أربعة جنود... وزحفوا على الأشواك في صور باهر أربعة كيلو مترات تحت تهديد الرصاص الطائر في الهواء والحيات الزاحفة بين الأحجار.

وقرب الفجر سمعت بيت لحم انفجاراً مدوياً وتهدمت ثلاث حصون من (تل بيوت).

وفي الصباح عاد (حسين حجازي) ليتلقى تهنئة قائده... ومعها لقب بطل (تل بيوت)!»[1].

* **أكبر خطيئة في تاريخ الحروب قبول الجيوش العربية للهدنة ليفلت مائة ألف يهودي محاصرون بالقدس من إبادة محققة:**

«حينما حاصر المجاهدون من مصر وسورية وفلسطين وشرق الأردن مائة ألف يهودي بالقدس وقد طلب اليهود التسليم بدون قيد أو شرط؛

(١) «الإخوان المسلمون» ص(٩٥ ـ ٩٦).

لأنه قد منع عنهم الطعام والماء الذي كان يصلهم من رأس العين، استغاث اليهود بأبناء أوربا، وتجاوبت معهم اليهودية العالمية وأوربا الصليبية، واستصدروا قراراً من مجلس الأمن بفرض هدنة مدتها أربع أسابيع بين اليهود والعرب اعتباراً من ٢٩ مايو ١٩٤٨ يتوقف أثناءها القتال، وكان الهدف من ورائها إنقاذ يهود القدس وغيرهم من هلاك محقق إن لم يتم التسليم، مع تمكين اليهود من جلب مزيد من الأسلحة الثقيلة والذخائر.

وكان على الأنظمة العربية أن لا تقبل بهذه الهدنة، وخاصة أن المجاهدين يمسكون بعنق العدو، ولكن الخيانة كانت تلعب دورها، وكما ذكر أحد المؤرخين، وتحت تهديد توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن[1] قبلت الأنظمة العربية قبول الهدنة ووقف إطلاق النار من جانبها دون قيد أو شرط، وكان ذلك اعترافًا فعليًّا من الأنظمة العربية بقيام الدولة اليهودية.

في ٢٠ من حزيران ١ يونيو في تلك الفترة دخلت فلسطين عدة كتائب منها: كتيبة يقودها الدكتور مصطفى السباعي مراقب الإخوان في سورية، وكتيبة من مصر يقودها محمد الصواف، وكتيبة من الأردن يقودها عبد اللطيف أبو قورة، وفي ٢٣ من حزيران كلّف القائد أحمد عبد العزيز معروف الحضري باحتلال مواقع أمامية في مواجهة اليهود منها (بيه إلياس) وقام باحتلال مواقع أخرى أمامية».

❑ وقال وكيل القنصل الأمريكي بالقدس: إن قرار مجلس الأمن الذي فرض الهدنة الأولى ٢٩ مايو ١٩٤٨، هو وحده الذي خلص

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٤٠٥).

اليهود وحال دون سحقهم على أيدي الجيوش العربية»[١] .

❑ وقال عبد اللَّه التل: «لقد وافق أعضاء اللجنة السياسية بالجامعة العربية على الهدنة بدون قيد أو شرط، وهي أكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي، حيث فك حصار القدس، وأنقذ مائة ألف يهودي كانوا على وشك التسليم»[٢] .

* اليهود يغتنمون الهدنة ويحتلون العسلوج ويلقنهم جند اللَّه الذين يحبون الموت درساً:

ولم تقف فائدة الهدنة لليهود عند حدِّ جلب السلاح والعتاد فحسب، ولكنها أيضًا كانت وسيلة لاحتلال المواقع الهامة، إذ إن أغلب المراكز الخطيرة لم تستطع اليهود احتلالها إلا بهجمات غادرة قاموا بها خلال الهدنة، وكانت الحجة دائمًا عند هيئة الأمم وعند حكومة إسرائيل، أن أصحاب هذه الحركات الغادرة ليسوا إلا عصابات فوضوية متطرفة.

وكانت الدول العربية تصدق هذا الزعم، وتشفق على هيبتها وكرامتها أن تجاري عصابات فوضوية، وهي الدول المحترمة ذات المركز والسلطان وعن هذا الطريق الوضيع احتل اليهود أغلب المناطق التي وقعت في أيديهم. ولقد نجح الإخوان في تكبيل المستعمرات اليهودية حول (بئر السبع) عن طريق الدوريات الكثيرة التي كانوا يبعثون بها، وعن طريق المواقع الحاكمة التي احتلوها على طريق المواصلات. فحاول

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٨٩، ٤٠٦)، و«نجم جديد في الشرق الأوسط» لكنيث بلبي ص(٢٥).

(٢) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٨٩).

اليهود اغتنام الـهدنة ـ كعادتهم دائمًا ـ وهاجموا قـرية (العسلوج) حيث كانت ترابط قوة صغيرة يقودها اليوزباشي «عبد المنعم عبد الرؤوف».

ولم تصمد القوة الصغيرة طويلاً، أمام هذا الهجوم المباغت فتسرب أفرادها إلى الصحراء مذعورين، حين رأوا أنفـسهم أمام قوات كبيرة من العدو تؤيدها حشود من المدرعات والمدفعية، ومما يذكر في هذه المعركة، أن ثلاثة من الإخـوان هم المجاهدون رشاد زكي ومـحمـود حامـد ماهر وعبـد اللّه البتـانوني من إخوان القـاهرة، كان القائد وكل إليـهم مهـمة حراسة مخـازن الذخيرة، وكانت المخازن مليئـة بالأسلحة والذخائر ـ إذ كـانت هذه القـرية هي مسـتـودع الذخـيرة الذي يمون المنـطقة ـ وأفـاق المجاهـدون على أنفسـهم فوجـدوا العدو في داخل المواقع، وسـمعـوه يحاول احتـلال المخازن فأخذوا يتدبرون مـوقفهم. إنها كـارثة كبرى أن يضع العدو يده على هذا السـلاح الكثير في وقت يحتاج فـيه إلى طلقة الذخيرة الواحـدة. لا بد من عمل شيء ما، ولم يدم تفكيرهم كـثيرًا إذ قرروا نسـف المخازن حين يدخلهـا العدو، واخـتبئـوا خلف كومـة من الصناديق حتى امتلأ المخـزن بالجنود اليهود، ثم أشعلوا النار في صناديق المفـرقعـات. وفي لحظة واحدة اسـتحـال البناء الضـخم إلى كومـة من الأنقاض، ومـات الأبطال الثـلاثة بعد أن ثأروا لأنفـسهم وجـرّوا العدو الغادر إلى كارثة مدمرة.

* الجيش المصري يستعين بأبطال الإخوان المسلمين لتحرير العسلوج:

كان احـتلال هذا الموقع يعني قطع مـواصلات الجـيش المصري في الجبهة الشـرقية، مما دعا القيادة العامـة إلى تنظيم خطة لاسترداده، وفي

اليوم التالي تحركت قوة كبيرة من الجيش النظامي تعاونها المدفعية والسيارات المدرعة ولكنها فشلت في الاقتراب من القرية، لاستماتة العدو في الدفاع عنها.

فاستنجدت القيادة العامة بالبكباشي أحمد عبد العزيز الذي وكل الأمر لليوزباشي محمود عبده قائد الإخوان في (صور باهر) ليتولى إرسال قوة من رجاله تسترد هذه المواقع، وأترك وصف النتيجة لسعادة اللواء أحمد محمد علي المواوي (بك) القائد العام للقوات وهي مقتبسة من شهادة أدلى بها بين يدي القضاء في إحدى قضايا الإخوان المسلمين التي عرفت باسم (قضية سيارة الجيب).

وكانت إجابته ردًّا على سؤال وجهه إليه الدفاع في القضية المذكورة:

ـ هل كلفتم المتطوعين بعمل عسكري خاص عند مهاجمتكم العسلوج؟

ـ نعم. العسلوج بلد تقع على الطريق الشرقي واستولى عليها اليهود في أول يوم الهدنة، ولهذا البلد أهمية كبرى بالنسبة لخطوط المواصلات وكانت رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذا البلد، حتى أن رئيس هيئة أركان الحرب أرسل إليَّ إشارة هامة يقول فيها: (لا بد من استرجاع العسلوج بأي ثمن) فكانت الخطة التي رسمتها لاسترجاع هذا البلد هي الهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين فكلفت المرحوم أحمد عبد العزيز بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين وكانت صغيرة بقيادة ملازم وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الأسلحة، ولكن القوة الصغيرة هي التي تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها.

ولما سأله المحامون عن السبب في تغلب القوة الصغيرة أجاب:

ـ القوة الغربية كانت من الرديف وضعفت روحهم المعنوية بالرغم من وجود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليست مسألة ضباط، المسألة مسألة روح، إذا كانت الروح طيبة يمكن للضابط أن يعمل ما يشاء، ولكن إذا كانت الروح ميتة لا يمكن للضابط أن يعمل شيئًا، لا بد من وجود الروح المعنوية، وهكذا تحررت (عسلوج)، وكان تحريرها على يد قوة من الإخوان بقيادة ضابط ملازم، هو الأخ المجاهد «يحيى عبدالحليم» من إخوان القاهرة.

ورغم هذا النجاح الباهر الذي أحرزه الإخوان، وعظم الخسائر التي مني بها العدو، كانت خسائرها صغيرة جدًّا لا تتجاوز عددًا من الجرحى من بينهم قائد القوة المهاجمة المجاهد يحيى عبد الحليم»[1].

* محمود عبده بطل فذّ للّه دره:

«بدأ أحمد عبد العزيز خلال الهدنة يجمع قواته المبعثرة ويحشدها في (بيت لحم)، ويبدو أن القيادة العامة المصرية رضخت للأمر الواقع فأمدته ببعض الأسلحة والذخيرة وزودته بعدد من الجنود، فأخذ يحصن نفسه داخل المدينة، وأقام خطًّا دفاعيًّا حولها يمتد من (صور باهر) إلى (كرمزان) مارًّا بقرى (مار إلياس) و(بيت صفافا) و(شرفات) و(الولجا)، وإلى جانب ما أثبته الإخوان من بطولة ومقدرة في الأعمال الهجومية، فإن مقدرتهم على الدفاع والتحصين كانت مثار إعجاب الضباط

(١) «الإخوان المسلمون» ص(٩٧ ـ ٩٨).

والمراقبين، وكانت مـواقع (صور باهر) الحصينة ومـا أقيم بها من خنادق (ودشم) نحتت ببراعة في الأرض الصخرية الـصلبة، تشهد بعظم الجهد الذي بذله الإخوان لتحصين هذه القرية العربية، والاحتفاظ بها حتى آخر مراحل القـتال رغم الهجمـات المتوالية التي شنهـا العدو، وحاول فيـها احتلالها ليضع القوات المرابطة في بيت لحم والخليل كلها تحت رحمته.

وكانت أولى المحاولات التي قام بها العدو هي إقدامه على محاولة احتلال مرتفعات (جبل المكبر) في ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨.

يقع جـبل المكبـر إلى الجنوب الشـرقي من القـدس القـديمة، وهو مـرتفع منيع يستطـيع من يحتله أن يهـيمن عـلى القدس كلهـا، ويقطع الطريق الرئيسي الذي يصلها بعمان، فوق أن يتحكم في القوات المتطوعة التي ترابط في جنوب القـدس، وكان هذا المرتفع إحدى حلقـات الدفاع التي يتولاها الإخوان المسلمون المرابطون في قرية (صور باهر).

ولقد كان اليهـود يؤملون في مهاجمة الإخوان عـلى غرة، فبدأت جمـوعهم تتحرك فـي الساعة الثامنة من مـساء ١٨ أغسطس من أحـياء القدس اليهودية ومن المستعمـرات الواقعة في جنوبها، ثم بدءوا يزحفون في سكون وهدوء غـير أن نقط المراقـبـة الأمامـية فطنت لهـذه الحركـة وأرسلت تخبـر قائد (صور باهر) بهذا النبـأ وتطلب توجيهاته السـريعة، وبدأ (محـمود عبـده) يفكر في الموقف ويضع خطته على أسـاس الأنباء التي تصل إليه تباعًـا، ولم يكن يعنيه وقف الزحف اليهودي والاحـتفاظ بالموقع، ولكنه كـان يريد إبادة هذه القوات وتلقين اليـهود درسًـا قاسـيًا يحفظونه عن الإخوان وشدتهم في القتال.

وحين بدأ يتحرك بقوته من (صـور باهر) كانت عواصف الرصاص تثور في قمة الجبل وكان التليفون يخبره أن طلائع العدو قد اشتبكت مع مواقع الإخوان الأمامية.

وما أن وصل حتى كانت المعركة في أعنف مراحلها، وكان واضحًا أن العدو يستميت في احتلال هذا الموقع ويقذف كتلاً هائلة من قواته لتحقيق الغرض في أقصر وقت ممكن، وكلما تكسرت موجة تحت أقدام الأبطال المؤمنين تدفقت في أثرها موجة أخرى.

ولا عجب في ذلك فقد كان طريق الإمداد مفتوحًا على مصراعيه، والقدس اليهودية وفيها عشرات الألوف على مرمى حجر من أرض المعركة. فصمم (محمود عبده) على التصرف السريع، وكانت أولى الخطوات التي أقدم عليها أن أمر فصيلة من جنوده فدارت إلى اليمين واقتربت من الطريق الذي يستخدمه العدو في تحركاته وأخذت تطلق النار على القوافل التي تتحرك صوب المعركة، وفي نفس اللحظة كان يصدر أمره للمدافعين عن الجبل بالانسحاب إلى الوراء فظن العدو أن المقاومة قد انتهت، فتقدم ليحتل المواقع التي أخلاها المجاهدون وفي نفس الوقت كانت أفواه المدافع تنفتح من كل صوب وتقذف كتلاً من اللهب على قمة الجبل، ولم يكن لليهود ما يحتمون فيه، فقتل منهم عدد كبير، فبدءوا يتراجعون في ذعر وارتباك.

تقدمت بعد ذلك قوات من المشاة وحاصرت قمة الجبل، واشتبكت مع العدو في قتال عنيف، وحاول اليهود التراجع إلى القدس بعدما يئسوا من وصول النجدات المطلوبة، ولكن القوة الخلفية فاجأتهم بالنيران

الحامية. وبينما كانت المعركة تسير على هذا النحو المرسوم إذ أصيب اليوزباشي (محمود عبده) بطلقات طائشة فحمله مرافقوه للخلف دون أن يفطن أحد، وبعثوا برسالة مستعجلة لقيادة بيت لحم يخبرونها فيها بإصابة القائد، ولم تمض إلا لحظات حتى جاء الأخ المجاهد (لبيب الترجمان) ليتولى قيادة المعركة في مرحلتها الختامية»[1].

* البطل أحمد عبد العزيز مفخرة الجيش المصري والعسكرية المصرية يفاوض بعزة المسلم وفطنته:

أخذ اليهود يتسللون فرادى إلى المنطقة الحرام ودار الحكومة حيث يوجد بعض مراقبي الهدنة ورجال هيئة الأمم وفطن الإخوان للأمر فتابعوهم إلى هناك، وضربوا حصاراً محكماً حول دار الحكومة وهددوا بتدميرهم، مما اضطر رجال هيئة الأمم إلى الاستغاثة بالبكباشي (أحمد عبد العزيز) الذي جاء لتوه، واستجاب لرغبة مراقبي الهدنة بوقف إطلاق النار، ولكنه أصر على احتلال مرتفع يدعى (رأس الأحرش) يشرف على دار الحكومة والحي اليهودي بالقدس. وبذلك أصبح الإخوان خطراً شديداً يهدد القدس الجديدة واتخذوا من هذا الموقع نقطة يراقبون منها حركات اليهود وسكناتهم.

وحاول اليهود في اليوم التالي القيام بهجوم كبير على نفس هذه المواقع أملاً في احتلالها ورد اعتبارهم بعد هزيمة الأمس، ولكن يقظة الإخوان واستماتتهم في الدفاع وقفت سداً منيعاً دون وصولهم لهذه الغاية، مما اضطرهم إلى التراجع في ذلة وانكسار؛ وكانت خسائرهم في

(١) «الإخوان المسلمون» ص(٩٨ ـ ١٠٠).

هذه المرحلة تتجاوز المائتين حسب تقدير مراقبي الهدنة عدا فقدانهم لجميع الأسلحة والمعدات التي دفعوا بها في هذه المعارك.

بدأت بعد هذه الفترة مرحلة مفاوضات طويلة لتخطيط حدود المنطقة الحرام، وكان أحمد عبد العزيز فخوراً بجنود الإخوان وبما أحرزوه من انتصار رائع، مما جعله يملي إرادته على اليهود ويضطرهم للتخلي عن منطقة واسعة مهدداً باحتلالها بالقوة، وكانت المفاوضات تدور في مقر قيادة الجيش العربي بالقدس ويحضرها الكولونيل (عبد اللّه التل) القائد العربي في المدينة المقدسة»[1].

* وسقط البطل أحمد عبد العزيز أبرز شخصية عسكرية أنجبتها المعارك على ثرى فلسطين:

وحين انتهت المفاوضات في ليلة ٢٢ أغسطس أراد أحمد عبدالعزيز أن يحمل نتائجها إلى القيادة المصرية العامة في (المجدل) وأصر على أن يذهب في ليلته، وكانت المعارك في ذلك الحين تدور بشدة على الطريق المؤدي للمجدل مما جعل ضباطه يلحون عليه في التريث وعدم الذهاب، ولكنه قطع هذه المحاولات حين قفز إلى سيارته (الجيب) وهو يردِّد: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ وانطلقت السيارة في طريق المجدل، ولم يكن معه إلا اليوزباشي (الورداني) واليوزباشي (صلاح سالم) من ضباط رئاسة المواوي، وسائق سيارته.

وكانت «عراق المنشية» في ذلك الحين تستهدف لهجمات متواصلة

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٠٠).

مما دعا القيادة العامة إلى منع السير على هذا الطريق بالليل.

وما أن وصلت السيارة إلى مواقع عـراق المنشية حتى صاح الحارس يأمـر السيـارة القادمـة بالوقوف، ولكن سـوء الحظ تدخل هذه المرة، إذ ضاع صـوت الحارس في ضجـيج السيـارة فأطلقت نقطة المراقـبة النار، وتدخل سوء الحظ مرة أخرى حين أصابت أول رصاصة البكباشي (أحمد عبد العزيز) في جنبه، وحمله مرافقوه إلى عيادة طبيب بمدينة (الفالوجا) ولكن قضاء اللّه سبقهم إليه، فصعدت روحه إلى بارئها.

ولم يكد الخبـر يذاع على الناس حتى عم الوجوم الجـميع، وبكاه كل فرد في الجيش، وكان أكثر الناس حزنًا عليه وألمًا لفراقه أولئك الجنود الذين زاملوه في الميـدان وقاسمـوه مرارة الهزيمة ونشـوة النصر، ونعـته وكالات الأنباء ومحطات الإذاعة العالمـية وأسف لفقده الحلفاء والأعداء، ونعوه للناس بمزيد الإعجاب والإكبـار، وبموت أحمد عبد العزيز طويت صفـحة من أمجـد صفحـاتنا العسكرية، وأفل نجم لامع كـان في سمع الناس وبصرهم، وخلا بذلك مكانه في الميدان، وصعدت روحه الطاهرة لتحـتل مكانًا مـرموقًا في ملـكوت اللّه وجنته ورفع اسـمه من كـشوف الجيش المصري ليحفظ في سجل التاريخ، كأبرز شـخصية عسكرية أنجبته حرب فلسطين.

* كيف قتل الشهيد البطل أحمد عبد العزيز فخر العسكرية المصرية والجيش المصري؟

نشـرت الأهرام بعـددهـا الصـادر يوم ٢٢ مـن إبريل ١٩٨٤ في صفحتها الخامسة مقالاً للضابط محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء برئاسة الجـمهورية توضـيحًا لمقـتل البطل أحمـد عبد العـزيز الذي سبق

الحديث عنه في هذا الكتاب، فقال تحت عنوان: «إخلاء الأرض من أقوى عناصر في مواجهة اليهود»:

«استدعت القيادة المصرية بأوامر من القاهرة البطل أحمد عبدالعزيز ليترك الجبهة التي كان يسيطر عليها تمامًا بقواته لينزل إلى القاهرة عبر قيادة القوات المصرية في المجدل للقاء هام مع القيادة السياسية في مصر، ومع الملك فاروق نفسه كما قيل. وكان أحمد عبد العزيز في حالة من الغضب لما يجري من تواطؤ في هذه الحرب لصالح إسرائيل، ونزل في ذلك اليوم المشهود في سيارة جيب يقودها الصاغ صلاح سالم (الرائد) حاليًا بجواره، ومن خلفهما الجندي السائق. وأثناء دخول أحمد عبدالعزيز إلى مواقع الكتيبة السادسة مشاة في عراق المنشية والتي كان جمال عبد الناصر أركان حربها، قُتِلَ أحمد عبد العزيز في سيارته برصاصة أصابته وحده. ووصل إلى المجدل حيث فارق الحياة، ولم يتم لقاؤه بالقيادة السياسية في مصر. واختفى عن مسرح العمليات العسكرية التي كان يعمل لها موسى ديان ألف حساب، ويخشاها أكثر من خشيته لكل القوات العربية المقاتلة في فلسطين عام ١٩٤٨م. فهل كان استدعاؤه مصادفة؟ أو إبعداه عن ميدان القتال مصادفة؟ ثم استشهاده على هذا الحال ـ ألم يكن هذا كله حلقة من حلقات حرب».

يقول الأستاذ حسن الجمل في كتابه «جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين»: تحت عنوان «كلام خطير»: «خطب فينا القائد: أحمد عبد العزيز في أحد الأيام قائلاً: «أنتم خير شباب مصر وخير رجالها، ولا بد من تحرير البلاد الإسلامية من كل أجنبي».

وكان يوجد أحد رجالات المخابرات المصرية...».

* للّه درّهم.. صفحات من جهادهم:

«مات أحمد عبد العزيز فعينت القيادة العامة ضابطًا جديدًا لقيادة (بيت لحم) هو البكباشي «محمد فكري» من سلاح المدفعية، لكنه عاد بعد أيام قلائل، حين لم يستطع التفاهم مع ضباط المتطوعين، فرأت القيادة أن تبعث البكباشي «عبد الجواد طبالة» قائد كتيبة المتطوعين الثانية. والتي كانت تتولى محاصرة المستعمرات وحراسة بعض النقط على خطوط المواصلات.

ولقد أتمت هذه الكتيبة تدريبها في معسكر (الهايكستب) بعد سفر الكتيبة الأولى، وكانت هذه الكتيبة تحوي عناصر طيبة من الإخوان كان على رأسهم الأخ المجاهد (صلاح البنا) الذي كان له أبعد الأثر في تنظيمها وتدريبها، وكان مقررًا لهذه الكتيبة أن تحتل مدينة (بئر السبع) وتدافع عنها غير أن قائدها أشار باستحالة تنفيذ ذلك، لنقص مرتبها في الأسلحة، وخلوها تمامًا من مدفعية الميدان والمدفعية المضادة للدبابات وأخيرًا استقر الرأي على أن تحاصر بعض المستعمرات الواقعة في منطقة غزة ـ رفح فأبلت في القيام بهذا الدور أحسن البلاء.

وظلت على هذا الوضع حتى موت أحمد عبد العزيز وحين استدعت الحالة ذهاب قائدها لتولي القيادة في (بيت لحم) تقرر انتقالها للانضمام لزميلتها (الأولى)، وتكونت من الكتيبتين وممن انضم إليهما من جماعات المناضلين والسودانيين واللبيين القوة التي عرفت باسم (القوة الخفيفة) والتي كان لها الفضل في المحافظة على منطقة الخليل وبيت لحم

وتسليمها لقوات شرق الأردن بعد نهاية الحرب وإعلان الهدنة.

وصل القائد الجديد وافتتح نشاطه بالمرور على خطوط الدفاع. وكانت الحالة في المنطقة هادئة نسبيًّا إلى أن نقض اليهود الهدنة بعد أيام قلائل فاحتلوا منزلاً قريبًا يقع في الشقة الحرام واتخذوا منه وكرًا خطيرًا لقناصة يستعيضون به عن البرج الذي نسفه الإخوان في (تل بيوت). وأخذوا يطلقون منه النار على المجاهدين في مواقعهم، وحاولوا اقتناص قائد المنطقة نفسه حين كان يحاول الوصول إلى دار الحكومة للاجتماع بمراقبي الهدنة، وكانت الأنباء تشير إلى أن لجنة من كبار ضباط الجيش الإسرائيلي قد نزلت في هذا البناء واتخذته مقرًّا تشرف منه على جبهات المتطوعين وتضع خطة لمعارك شاملة تكتسح فيها هذه القوات.

لم يكن هناك بدٌّ من تدمير هذا البناء فصدرت الأوامر لقائد الإخوان في (صور باهر) ليتولى تنظيم هذه الخطة وتنفيذها، وفي ليلة حالكة الظلام تسللت جماعة من الإخوان تحمل ألغامها وأسلحتها ووجهتها هذا المنزل المقام بين ثلاثة مستعمرات من أخطر مستعمرات اليهود واستمروا يزحفون على بطونهم وقتًا طويلاً حتى اقتربوا منه، وبينما كانوا يعالجون فتح الباب الخارجي انتبه اليهود للحركة، فأخذوا يطلقون عليهم النار من أعلى المنزل ومن (الدشم) المسلحة المقامة حوله، وبادلهم الإخوان الضرب، غير أن شدة النيران المنبعثة من المنزل وخشية الإخوان من المستعمرات القريبة، جعلتهم يلقون ألغامهم بعيدًا عن البناء ويشعلونها، وحين انفجرت أحدثت دويًّا هائلاً، غير أن البناء ظل قائمًا كما كان! وجرح في هذه الحركة الأخ (عثمان عبد المجيد)، وحمله رفاقه

معهم إلى معسكرهم في (صور باهر). وثار قائد (صور باهر) على هذا الفشل، وأصر على تدمير البناء، وفي اليوم التالي تحركت قوة كبيرة مكونة من بعض الإخوان السوريين، وعدد من مجاهدي الإخوان الأردنيين، وقد اشتبكت هذه القوة في معركة مع حماة البناء، غير أنها نجحت في الوصول إلى المنزل وتدميره على جميع من فيه من الضباط والجنود ،وأترك للبكباشي (طبالة) قائد القوة الخفيفة الكلام عن هذه العملية الجريئة في مقال نشرته له إحدى المجلات العسكرية تحت عنوان (ولاء في بطولة):

«عالج قائد الدورية الباب معتمدًا على أن صوت الرصاص يعلو صوت معالجة الباب، ولكن الباب لم يفتح فهو موصد من الداخل، وإذا بالقائد يضغط بسبابة يمناه (تنك) سلاحه فيطير قفل الباب ويفتح على مصراعيه، وفي لحظات أشعل الآخرون العبوات وألقوا بها داخل الدار وارتد الجميع للخلف قليلاً ورقدوا إلى أن صم آذانهم صوت انفجار هائل تطاير على أثره الغبار في كل مكان.

وإن هي إلا غمضة عين فتسمع أنة موجعة صادرة من أحدهم فهرع إليه القائد فوجد الدم ينزف من جرح في رأسه. فحمله بمعاونة زملائه وهرعوا عائدين وكل منهم يتلفت للخلف ليروا أثر ما عملوا فلا يروا إلا غبارًا يعلو الأرض، إلى أن وصلوا حوالي الرابعة صباحًا إلى رئاسة القطاع، وبين يديهم زميلهم الجريح يحتضر لكثرة ما نزف من الدماء، ولم تجد معه الإسعافات فلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يتساءل عما حل بالمنزل فلما علم بتدميره تمامًا لفظ النفس الأخير والارتياح التام باد على أساريره.

وفي الصباح الباكر كان قائد الفدائيين يستقبل ضوء الشمس في مواقع (صور باهر) ويترحم على الشهيد البطل ويودعه إلى مثواه الأخير، ثم عاد ليلقي نظرة على موقع المنزل فإذا هو حطام يضم بين أحجاره جثث عشرين من اليهود الغادرين، حاولوا الاعتداء عليه في الصباح فحكم عليهم جنوده (أن لا يروا ضوء صباح تال). أما شهيدنا المبرور في هذه المعركة فهو المجاهد «ضيف اللّه» من الإخوان المسلمين السوريين. وفي المساء كانت محطة إسرائيل تذيع نبأ المعركة وتنعي إلى اليهود مقتل ضابط إسرائيلي برتبة كبيرة ومعه عدد من ضباط الجيش وجنوده. ماتوا تحت الردم على مقربة من مواقع الإخوان المسلمين في (صور باهر).

في منتصف شهر أكتوبر كانت الجبهة المصرية مسرحًا لعمليات واسعة النطاق، وكانت منطقة (الفالوجا) في ذلك الوقت تهاجم بعنف وشدة، والمجدل عُرضة لغارات جوية مروعة، وفي ذلك الوقت أيضًا كانت القيادة الإسرائيلية في القدس تحاول تصفية حسابها مع قوات المتطوعين في (بيت لحم) وبدأت أعمالها بهجوم حاد على (صور باهر) غير أن هجماتها المتكررة تكسرت تحت تحصينات الإخوان القوية.

فأخذت تدور حول خطوط الدفاع تتلمس أضعف النقط فيها حتى نجحت يوم ١٩ أكتوبر في اقتحام مرتفع شاهق يعرف بتبة (اليمن)، ولم يضيع اليهود الفرص فأخذوا يحشدون قوات كبيرة ويعدون أنفسهم للوثوب على المرتفعات المجاورة والسيطرة على بيت لحم، مما اضطر قيادة (صور باهر) إلى إرسال قوة كبيرة لتقوم بهجوم مضاد تستعيد به هذا

المرتفع. وبدأت المعركة بين الفريقين حامية شديدة، وكان مما يستلفت النظر ويدعو للإعجاب هو براعة اليهود وسرعتهم الفائقة في أعمال التحصين، لا تكاد قواتهم تستقر في موقع من المواقع إلا وتسارع بتحويله إلى قلعة محصنة.

وكان ذلك مما يساعدهم دائمًا على الاحتفاظ بالمواقع التي تسقط في أيديهم، ويبدو أن هذه الظاهرة ناتجة عما عرف عن المقاتل اليهودي من جبن وضعف، فهو يستعيض عن الشجاعة الأصلية بتحصينات مصطنعة ولا يقوى على مواجهة خصمه في الدفاع إلا إذا كان مختفيًا خلف أطباق كثيفة من (الدشم) والأسلاح الشائكة.

نجح الإخوان في الهجوم الذي شنوه وتراجع اليهود بعد مقاومة شديدة وخسائر من الطرفين، وكان يضاعف من هذا النجاح أهمية الموقع وخطورته الشديدة لو بقي في يد اليهود، وهأنذا أنقل نص إشارة رسمية بعثتها قيادة (بيت لحم) إلى الجهات العسكرية المسئولة بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٤٩.

(قام العدو بهجوم عنيف على جميع مواقعنا الدفاعية تحت ستار غلالة شديدة من نيران الأسلحة الأوتوماتيكية والهاونات وقاذفات الألغام والمدفعية الثقيلة، صدت قواتنا الهجوم، تمكن العدو من الاستيلاء على مواقعنا بجبل (اليمن)، قامت قوة من الإخوان المسلمين بقيادة الملازم أول خالد فوزي بهجوم مضاد فطردت العدو بعد أن كبدته خسائر فادحة، (خسائرنا ضعيفة، وقد أبلغنا مراقبي الهدنة).

وقد علقت أغلب الجرائد العربية واليهودية على هذه المعركة

وذكرت جهود الإخوان فيها بالإكبار والإعجاب، وكتبت جريدة (الناس) العراقية في عددها الصادر يوم ٧/ ١١ مقالاً تحت عنوان (بسالة متطوعة الإخوان المسلمين) جاء فيه (. . . وإن اليومين الماضيين امتازا ببسالة منقطعة النظير من متطوعة الإخوان المسلمين فقد استولى اليهود شمالي غربي بيت لحم بعد محاولات عديدةعلى جبل مرتفع يسمى (تبة اليمن) ويشرف على قرى (الوجلة) و(عين كارم) و(المحالة) وما جاورها وأصبحوا يهددون كل المناطق المحيطة بها.

ورأت قيادة الجيش المصري ضرورة تطهيرها فندبت لذلك عدداً من متطوعة الإخوان المسلمين في (صور باهر)، فتقدمت سرية منهم، ولم تمر ساعة حتى كانت هذه الفرقة قد أجهزت على القوة اليهودية وغنمت ذخيرتها ومتاعها وحررت قرية (الوجلة) وأصبحت تسيطر على منطقة واسعة، وقد أصدرت قيادة الجيش المصري أمراً بتسمية الجبل (تبة الإخوان المسلمين) وقد استشهد من الإخوان كل من مكاوي سليم علي من الزقازيق والسيد محمد قارون من المنصورة وإبراهيم عبد الجواد من الفيوم، رحمهم اللّه رحمة واسعة»[1].

* غدر يهودي أثناء الهدنة الأولى، وتأديب الإخوان لليهود:

«ولا ينسى التاريخ يوم هاجم اليهود أحد مضارب البدو الآمنة وأضرموا فيها النيران بعد أن قتلوا كثيراً من رجالها، وسبب المذبحة التي أوقعها اليهود بهم أنهم يتعاونون مع الإخوان (المجرمين) على حَدّ تعبيرهم!

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٠١ ـ ١٠٥).

ولقد اضطر الإخوان لمجابهة العدوان بمثله حتى يأمن البدو على أنفسهم، ويظلوا على ولائهم لإخوانهم لذلك قرروا إيقاع مذبحة مشابهة باليهود، وتسللت قوة من الإخوان في جوف الليل إلى إحدى المناطق الداخلية المتوغلة في أرض يعتبرها اليهود حرمهم الخاص، وهناك على طريق السيارات بثوا حقلاً من الألغام وانفلتوا من إحدى الوديان المجاورة ينتظرون مقدم الصيد وجاءت قافلة كبيرة عند الفجر، فلم تكد تمس الألغام حتى انفجرت وتطايرت أجزاء السيارات في الفضاء وظل الإخوان في مكمنهم حتى انجلي دخان الألغام وقام من نجا من اليهود فأخذوا يطلقون عليهم النار حتى مات من مات وفر من فر، ثم جمعوا القتلى وكدسوهم كومة واحدة، بعد أن أخذوا ما وجدوه من سلاح وعتاد ولم ينس الإخوان أن يتركوا منشوراً كتب فيه أن الحادث بمثابة رد لما ارتكبته العصابات الصهيونية ضد العرب الآمنين»[1].

ولقد سمع القائد العام بهذه العملية الجرئية فأبدى رغبته في رؤية بعض الأسلحة التي غنمها الإخوان، وأعجب كثيراً من شاهده منها خاصة أحد مدافع «المورتر» المصنوعة حديثًا في بلجيكا، وكانت هذه واحدة من عشرات المعارك التي قام بها الإخوان وسببت ارتباكًا عنيفًا لليهود، وأكسبت الإخوان خبرة لا تجارى في وسائل حرب العصابات الحديثة.

❁ ❁ ❁

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١١٢).

* جهود الإخوان في إرباك مستعمرات النقب:

يقول مؤرخ حرب ٤٨م وقائد قوات الإخوان الحرة «كامل الشريف»:

«كانت مهمة الإخوان في ذلك الوقت تتلخص في إرباك مستعمرات النقب، وإشغالها في الدفاع عن نفسها أمام هجماتهم المتكررة، حتى لا تفكر في الانقضاض على مؤخرة الجيش وهو مشغول بمعاركه الأمامية في مناطق أسدود والمجدل والفالوجا، فمرت بالإخوان في ذلك الوقت فترة من أنشط الفترات، وبلغت المعارك بينهم وبين اليهود إلى عنفوان شدتها، ولم يكن يمر يوم واحد حتى تنشب الاشتباكات الدامية في مناطق مختلفة من الصحراء، والإخوان في كل ذلك غير مقيدين مطلقًا بما جد من أساليب الخداع والتثبيط كقرارات الهدنة، ووقف القتال. بل لا أكون مبالغًا إذا قلت: إن الإخوان كانوا يعملون في فترات الهدنة أكثر مما يعملون في أوقات القتال، حتى وقع منهم في ذلك الحين كثير من الجرحى وعدد من الشهداء»[1].

* اشتراك الإخوان مع الجيش المصري في معركة «بيرون إسحاق»:

«ولم تكن جهود الإخوان مقصورة على مهاجمة القوافل ومحاصرة المستعمرات بل كانوا يشتركون مع الجيش المصري في عملياته الهجومية، ولأضرب مثلاً على ذلك بمعركة «بيرون إسحاق» إذ قرر الجيش اقتحامها ووضع خطة محكمة لذلك.

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١١١).

وكان كل ما تخشاه قيادة الجيش أن تتدخل المستعمرات الجنوبية في المعركة فطلب إليَّ البكباشي «عبدالجواد طبالة» أركان حرب المنطقة في ذلك الحين أن يقوم الإخوان بقطع الطرق التي تصل هذه المنطقة ومنع اليهود من دخول المعركة عن هذه الطريق، فعهدت إلى الأخوين «نجيب جويفل» و«محمد علي سليم» للقيام بهذه المهمة فخرجا بفصائلهما ورابطوا على نقاط متقاربة على الطريق، وحين بدأت المعركة واشتد الضغط على حامية «بيرون إسحاق» بعثت تطلب المزيد من القوات، واستجابت لها القيادة اليهودية، وما هي إلا برهة يسيرة حتى امتلأ الطريق بالمصفحات القادمة من مستعمرات النقب الجنوبية، ونشبت معركة شديدة بين الإخوان، وهذا العدد الهائل من المصفحات، وحاول اليهود التخلص من هذا الحصار والوصول إلى ميدان المعركة، ولكن قوة النيران الموجهة إليهم من الأسلحة الأوتوماتيكية ومدافع الهاون «البيات»، وحقول الألغام التي بثت في طريقهم، أقنعهم بأن طريق العودة هي أسلم طريق فبدأوا يتراجعون تاركين حامية «بيرون إسحاق» تعاني وحدها شدة المعركة وتستغيث بقيادتها ولا مغيث!»[1].

* **معركة دير سنيد** «ياد مردخاي» في ١٩ مايو سنة ١٩٤٨م:

«مع انشغال الإخوان المسلمين بالأعمال الفدائية على طول الجبهة الجنوبية ـ كما أسلفنا ـ فإن قيادة الجيش كانت تستدعيهم في كثير من الأحيان للاشتراك في الأعمال الهجومية على المستعمرات أو في أعمال

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١١١ ـ ١١٢).

الدفاع أمام الهجمات اليهودية الكبيرة على الجبهة المصرية، وفي مرات كثيرة كان وجودهم على ساحة المعركة هو العامل الحاسم بين النصر والهزيمة. ولنضرب مثلاً على هذا النوع من العمليات التعرضية في الهجوم الذي وقع على مستعمرة دير سنيد «ياد مردخاي» في ١٩ مايو ١٩٤٨م وهي إحدى المستعمرات اليهودية القليلة التي سقطت بيد الجيش المصري وهي تستحق بسبب ذلك شيئًا من التفصيل.

كانت مستعمرة «ياد مردخاي» شأن المستعمرات اليهودية الأخرى تحتل نقطة حاكمة بالنسبة للمناطق العربية المجاورة لها، غير أن هذه المستعمرة كانت تقوم على الطريق الساحلي الرئيسي للجيش في قطاع غزة ـ المجدل، ولم يكن بالإمكان تجاهلها أو الاكتفاء بحصارها كما حدث بالنسبة «لكفار ديروم» أو «نيريم» وغيرها من مستعمرات النقب.

كانت أول تجربة شخصية لي مع «ياد مردخاي» أن أحمد عبدالعزيز طلب مني في منتصف إبريل أن أصحب قوة من المتطوعين الليبيين والسودانيين لتحتل موقع «عراق المنشية» في الشمال نظرًا لأننا كنا أسبق منه في المنطقة وأدرى بأوضاعها وظروفها، وكانت تلك القوة تتحرك في سيارات «أتوبيس» عادية مما يعرضها لأخطار كبيرة فيما لو علم العدو بتحركها وفكر في إقامة كمين لها، وقد أخذت إحدى مصفحاتنا لتكون في مقدمة طابور «الأوتوبيسات» بينما ركبت مع «محمود عبده» في سيارة الجيب القديمة التي أخذناها من اليهود في مناسبة سابقة، وكان أكثر ما يخيفني هو المرور بهذه القوة المكشوفة من مستعمرة «ياد مردخاي» التي تقوم على جانبي الطريق الرئيسي وترتفع أبراجها ومواقها

المحصنة على قمم التلال المشرفة.

كانت الشمس تميل للغروب حين وصلنا إلى آخر منخفض يشرف على المستعمرة، وهناك أوقفت الركب واندفعت وحدي بسيارة الجيب للاستكشاف، وهناك وجدت عدداً كبيراً من اليهود خارج المستعمرة يعملون في المزارع المجاورة، وكانت هذه فرصتنا الذهبية للمرور دون اشتباك.

كانت الخطة ببساطة أن تقترب مصفحتنا الوحيدة لتقف وسط اليهود العزل وتصوب رشاشاتها عليهم بينما تواصل بقية السيارات المرور، كان عنصر المغامرة في هذه اللعبة هو أن اليهود لن يجرؤوا على إطلاق النار على سياراتنا مخافة أن نحصد رجالهم في الحقول فيتركوننا نمر بسلام، ولا أدري كيف كان يفكر قائد المستعمرة أمام هذه المفاجأة، وهل انتهى لمثل ما انتهينا إليه من استنتاج؟ ولكن المهم أن طلقة واحدة لم تطلق من المستعمرة على قوتنا الصغيرة، وانطلقنا في سياراتنا منتهزين فرصة الارتباك الذي وقع فيه المزارعون، وحين أنهينا مهمتنا في «عرق المنشية» في منتصف الليل وقفلنا راجعين بمصفحتنا وسيارتنا الجيب أخذت المخاوف تعود على رأسي أعنف مما كانت، إذ كيف سنعبر هذا الطريق المخيف مرة أخرى، ولن ينفعنا تكرار نفس اللعبة، كما أن من المرجح أن اليهود قد دخلوا الآن إلى حصونهم المسلحة وسيكون في قدرتهم أن يحصدوننا حصداً دون أن نتمكن من رؤيتهم فضلاً عن مقاومتهم في هذا الظلام الكثيف، وبينما كنت أفكر على هذا النحو وسائق السيارة الجيب ينطلق بأقصى سرعته في اتجاه المستعمرة وأنوار مصفحتنا تتبعنا كظلنا من

قريب برزت من الظلام أشباح تستوقفنا وتصيح بانفعال ظاهر، وحين وقفنا عرفنا فيهم بعض أصدقائنا البدو من سكان المناطق المجاورة للمستعمرة.

قال أحدهم وقد حياني باسمي: «يبدو أن اليهود يدركون أنكم عائدون الليلة، ولذلك فقد وضعوا ألغامًا على الطريق كما أن قوة صغيرة من رجالهم تقف الآن بين الأشجار في انتظاركم»، وحين أخذنا نتدبر أمرنا قال آخر: «إني أعرف طريقًا رمليًّا يدور حول المستعمرة وينتهي بكم إلى آخرها من جهة الجنوب، وهو ليس ممهدًا، ولكن لا بأس من تجربته فإن الغوص في الرمال أحسن من الموت المحقق على كل حال»، ولم يكن لدينا خيار في الموقف فقررنا أن نأخذ الطريق الرملي الطويل.

كان الطريق وعرًا مليئًا بالحفر والصخور، وكان دليلنا البدوي يسير على مهل أمامنا ليجنبنا النزول في المنحدرات الوعرة ونحن نسير خلفه بدون ضوء، ولقد اكتشفت أن طريقنا الجديد يقترب جدًّا من مستعمرة يهودية أخرى حتى ليكاد يلامس أسلاكها، وكان عنصر المقامرة هذه المرة أن المستعمرة الأخرى تكون نائمة، ولا تنتظر قدوم أحد، وهناك احتمال معقول أننا سنمر بسلام.

لقد استغرقنا ساعات قبل أن نكمل الدائرة الواسعة ونرى أضواء «ياد مردخاي» تظهر أمامنا من الجهة الجنوبية مرة أخرى، وشعرت بزهو الانتصار بعد هذه المغامرة الخطرة، وفجأة وجدت نفسي وسط شبكة من النيران المتقاطعة تتخللها انفجارات قنابل المدافع المضادة للمصفحات،

وفي لمح البصر أدركت الحقيقة المخيفة وصحت على غير إرادة: «لقد وقعنا في كمين»؟ وفي اللحظات التالية برزت أمامنا ثلاثة مصفحات يهودية كأنها قطع من الظلام المحيط بنا ولا يحدد ملامحها سوى خياط النار المنبعثة من فوهات المدافع، وفي نفس الوقت أخذت مصفحاتنا تطلق مدافع «البازوكا» ورشاش الفيكرز على الوحوش المتقدمة من الجانبين، ولكن وضح أننا نخوض معركة خاسرة وأن النجاة منها بأرواحنا هي قمة الانتصار، وفي تلك اللحظة صرخ سائق سيارتي ووقع من مقعد القيادة إلى الأرض يتخبط في دمه ولم أره بعد ذلك حتى الآن، وبقيت و«محمود عبده» في المقعد الخلفي بضع لحظات وخيوط الرصاص المتناثرة من حولنا في الهواء، ولقد حاولت أن أقود السيارة وأواصل التقدم ولكنها لم تتحرك إلا خطوات قليلة حين اخترق «المتور» دفعة من الرصاص فتوقفت تمامًا عن الحركة.

وعندما قفزت وزميلي إلى الأرض وأخذنا نزحف على بطوننا تحت وابل من الرصاص الطائش كانت مصفحاتنا لا تزال مشتبكة مع المصفحات المعادية الثلاث، وحين ابتعدنا بضع يردات عن مكان السيارة الجيب المحطمة شعرنا أننا أصبحنا في مأمن؛ لأن نيران العدو لم تعد مسددة علينا، وأصبح بإمكاننا أن نسير بصورة عادية، ونحن نستتر بالأشجار الكثيرة المتناثرة في تلك المنطقة، وحين شعرنا أكثر بالأمن بدأنا نقلق على إخواننا الآخرين والمصفحة، ولكنني كنت أحس باطمئنان داخلي؛ لأن هؤلاء الرجال قد وقعوا مرارًا في كمائن يهودية ربما أشد إحكامًا من هذا الكمين ومع ذلك فقد أسعفتهم الشجاعة والمران من

الخروج منها، وقد أصاب حدسي مرة أخرى حين التقينا معهم في الصباح التالي عند مدخل قرية «دير سنيد» العربية، وكانوا جميعًا في أحسن حال فيما عدا سائق السيارة الجيب الذي سقط في اللحظات الأولى للمعركة.

لقد أبلغنا تجربتنا تلك مع «ياد مردخاي» إلى أحمد عبدالعزيز وأبلغناه عن خطر تلك المستعمرة وما تمثله من تهديد لأي تحركات على خط ـ غزة المجدل ـ وطلبنا منه أن يكتب للقيادة العامة للجيش لتضع هذا الأمر في تقديراتها للموقف.

لقد كان على الجيش المصري أن يواجه ما واجهناه قبل شهور حين دخل فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨م، وحين اجتازت كتائبه مدينة غزة في زحفها شمالاً إلى أسدود كان عليها أن تصطدم هذه المرة اصطدامًا حاسمًا مع المستعمرة، ولقد قدر لوحدة من رجالنا ولي شخصيًّا أن نشترك في هذه المعركة الهامة.

الواقع أن العمليات ضد «ياد مردخاي» بدأت يوم ١٦ مايو حين طلبت منا القيادة ـ كالمعتاد أن نقطع خطوط مواصلات المستعمرة لنمنع وصول النجدات من المستعمرات المجاورة وتحكم على قوة الهجاناة المحدودة أن توجه ثقل الجيش المصري وحدها، وفي نفس الوقت تحركت مدافع الميدان لتحتل مواقع قريبة من المستعمرة، غير أن الهجوم الفعلي لم يبدأ إلا عصر يوم ١٩ حين أخذت المدفعية تركز نيرانها على موقع المراقبة الأمامي القائم بجنوب المستعمرة حتى دمرت أجزاؤه البارزة على سطح الأرض تدميرًا تامًّا، ثم حاولت المشاة اقتحامه، ولكنهم فوجئوا

بنيران شديدة من الرشاشات مما اضطرهم إلى تأجيل الهجوم الحاسم.

وفي صباح اليوم التالي واصلت المدفعية ضرب المستعمرة بما فيها الموقع المذكور، وفي هذه المرة نجح جنود الجيش في اقتحام الموقع بعد معركة ضارية استخدمت فيها القنابل اليدوية والسلاح الأبيض، وأظهر جنود الجيش ضروبًا من الفدائية والاستبسال.

كانت قوة الإخوان المسلمين الصغيرة تقوم بحصار طرق المواصلات كما أسلفنا خلال الأيام الأربعة التي شهدت معركة «ياد مردخاي» ولقد كانت هناك محاولات جريئة من جانب العدو لتعزيز وحدة الهاجاناة في المستعمرة وإمدادها بالمؤن والذخائر غير أن هذه المحاولات قد صدت بنجاح، إلا أن وحدة مصفحة من عشرين قطعة هاجمتنا من صوب مستعمرة «جيفا رآم» في ليلة ٢٤، وبعد معركة ضارية بالرشاشات ومدافع «البازوكا» نجح جزء صغير منها في دخول المستعمرة أما بقية السيارات فقد ردت على أعقابها، ولا شك أن صمود الإخوان ونجاحهم في عزل المستعمرة قد ساعد مساعدة فعالة على سقوطها بعد بضعة أيام، وحين كانت معركة الطرق تدور بيننا وبين العدو كان الجيش يحاول اختراق المستعمرة الرئيسية دون جدوى، ذلك أن تحصينات المستعمرة وخنادق الاتصال كانت مقامة بعناية مكنت رجال الهاجاناة رغم قلة عددهم في تلك المرحلة من المعركة على الصمود أمام محاولات الاقتحام المتكررة.

كانت «ياد مردخاي» غرضًا رئيسيًّا للجيش، وكان لا بد من احتلالها وتدميرها أو الحكم على الحملة المصرية كلها بالفشل، ولما يمض على بدايتها أسبوع واحد، وكانت الروح المعنوية للجنود والضباط لا

تزال عالية لم تؤثر فيها العوامل التي ظهرت بعد ذلك على الميدان، والحقيقة أن هذه المعركة أظهرت معدن الجندي المصري الصبور إذا أتيحت له القيادة الصالحة والمعدات الكافية، وحين اشتدت مقاومة العدو طلب منا أن نجلب فصيلة من رجالنا لتساهم في عملية الاقتحام النهائي للمستعمرة، وفعلاً اشتركنا في هذا الدور الحاسم بفصيلة وثلاث مصفحات كنا غنمناها من اليهود في معارك النقب.

غير أن الدور الأهم ـ دون شك ـ كان هو نجاحنا في منع وصول النجدات اليهودية للمستعمرة، وربما لو أخفقنا فيه وأتيح للعدو أن يقيم جسرًا بين المستعمرة المهاجمة ومجموعة المستعمرات المجاورة لتغيرت حتمًا نتيجة المعركة.

سقطت مستعمرة «ياد مردخاي» في يد الجيش المصري، وكان لسقوطها دوي عظيم كما كان له أثر سيء في نفوس الإسرائيليين، وبسقوطها أصبح الطريق مفتوحًا أمام الجيش المصري ليواصل زحفه شمالاً، ومع أن نتيجة هذه المعركة كانت انتصارًا بارزًا للجيش كما كانت مسرحًا لبطولات فردية نادرة، إلا أنها أثبتت للقيادة العامة أيضًا أن مهاجمة المستعمرات ليست رحلة مسلية، وأعتقد أن هذه التجربة ساعدت على وجود الاتجاه الذي برز فيما بعد لعدم مهاجمة المستعمرات اليهودية والاكتفاء باحتلال جوانب الطريق الرئيسي والدفاع عنه حتى لم يعد للجيش أي هدف استراتيجي يسعى لتحقيقه، وكان هذا الاتجاه هو المناخ الذي أدى للهزيمة النهائية في الحرب الفلسطينية»[1].

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١١٣ ـ ١١٧).

* حصار الفالوجا.. وبطولة معروف الحضري:

«يئس العدو من اقتحام «بيت لحم» و«الخليل» لوجود هذه القوات المؤمنة فيها، فبدأ يركز هجومه على مناطق «أسدود» و«المجدل». واستطاع أن يرغم القوات المصرية على إجلاء هاتين المنطقتين والإيقاع بقوة كبيرة حاصرها في الفالوجا، وظل يحاصرها حتى نهاية الحرب، وبمحاصرة الفالوجا عزلت قوات المتطوعين عن القيادة العامة تمامًا، ولم يعد لها طريق يصلها بالقاهرة سوى الطريق الجوي الذي يصل عمان بالقاهرة.

وبدأت هذه القوات المغامرة تقاسي محنًا شديدة سببها الحصار الشديد، وكثرة ما تعرضت له من هجمات متواصلة، ورغم ذلك كان كل ما يشغل الإخوان هو مصير إخوانهم المحصورين في الفالوجا، فبدأوا ينظمون بمعونة المجاهدين العرب خطًا لتموينهم، وتسللت قوافلهم عبر الصحاري الواسعة التي يسيطر عليها العدو، تحمل المؤن للقوات المصرية المحصورة، وتتعرض في طريقها الطويل لكثير من المآزق والأخطار.

وكم من مرة اصطدمت القوافل مع دوريات اليهود واشتبكت معها في معارك دامية، ونتج عن ذلك كثير من الخسائر، ولكن الإخوان لم يكونوا يحسبون للموت حسابًا ما دام ذلك في سبيل وطنهم وكرامة جيشهم.

وإذا ذكر هذا النشاط الرائع فلا يمكن أن نغفل الدور الخطير الذي قام بها اليوزباشي (معروف الحضري) حين قاد جماعات الإخوان

المسلمين في تسللها إلى (الفولوجا) وظل يؤدي واجبه بإيمان وثبات حتى ظفر اليهود به في إحدى العمليات، ونقلوه إلى خطوطهم الخلفية حيث ظل يقاسي مرارة الأسر في معسكراتهم حتى من اللَّه عليه بالنجاة، حين انتهت الحرب، وتم تبادل الأسرى»[١].

❑يقول كامل الشريف: «إذا ذكرت هذه الفترة من الحرب فلا يسعني إلا أن أُسجل فخرًا للأميرلاي «السيد طه» قائد هذه القوة، إذ كان لروحه العالية وإيمانه القوي أبعد الأثر في ثبوت جنوده ووقوفهم هذا الموقف الرائع، ومما يُذكر أيضًا ـ أن فرصًا كثيرة تهيأت له للإفلات والنجاة، ولكنه كان يركلها بقدمه لشعوره أن في قبولها مساسًا بكرامة الجيش والأمة، وظل يكافح بجنوده كفاح الأبطال حتى مَنّ اللَّه عليهم بالنجاة الكريمة بعد انتهاء الحرب العالمية وإعلان الهدنة وغادروا أرض (الفالوجا) بأسلحتهم ومعدّاتهم في ١١ مارس سنة ١٩٤٨م»[٢].

❑يقول الأستاذ حسن الجمل:

«حاصر اليهود معسكرًا في الفالوجا، وحاولت قيادة الجيش المصري بالقاهرة مدَّ القوات بالمؤن والذخائر، ولكنها لم تستطع، من هنا لجأت قيادة الجيش إلى متطوعي الإخوان ووافقت قيادة متوطعي الإخوان على المهمة وكلّفت القوة بتنفيذها، وتأخر الإخوان، وكان بسبب البحث عن ثغرة يدخلون منها، ووصلوا إلى القوات المصرية فتقدّم أحدهم رافعًا السلاح، وطلب مقابلة اللواء سيد طه، وأخبره أنه من الإخوان، ومعه

(١)«الإخوان المسلمون» ص(١٠٥ ـ ١٠٦).
(٢)«الإخوان المسلمون» ص(١٢٣).

المؤن والذخيرة، فرحب به وبإخوانه وأعددنا قافلتين مثل هذه القافلة، ونجح الإخوان في اختراق الحصار وتوصيل المؤن والذخيرة والدواء للقوات المصرية»[١].

* جزاء سنمار:

لقد سجّل معروف الحضري اسمه بأحرف من نور، ودوره في توصيل المؤن إلى الجيش المصري المحاصر، شهد له به قائد القوات المحاصرة وما شهد به جمال عبد الناصر أحد الضباط المحاصرين آنئذ: «إن الجيش كله لن ينسى ما قام به الإخوان». ووقع معروف الحضري البطل في أسر العدو، ثم أفرج عنه عند تبادل الأسرى، وبعد قيام الثورة عرض عليه عبد الناصر قيادة القوات المسلحة نظير تنكره للإخوان فرفض البطل، وكان جزاؤه السجن ممن أسدى له الجميل في حصار الفالوجا.

بينما كان الإخوان يعملون بهمة وإخلاص في تموين (الفالوجا) ومعاونتها على تحمل آلام الحصار، ويستميتون في الدفاع عن مناطق (بيت لحم) و(الخليل)، إذ روع العالم الإسلامي بنبأ القرار الغاشم الذي أصدره (النقراشي) وحل بموجبه هيئة (الإخوان المسلمين) في مصر، وكانت طعنة نجلاء وجهها الإنجليز على يد صنائعهم من المستورين إلى ظهر الشبيبة الإسلامية المحاربة.

وجن جنود الإخوان عند سماعهم هذا النبأ، غير أن الأوامر التي

---

(١) «جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين».

وصلتهم بعد ذلك من المرشد كانت تأمرهم بالتزام الهدوء والإخلاد إلى السكينة. ولن يتصور أحد عظم الكارثة التي كان يمكن أن تقع لو ركب (الإخوان) رؤوسهم، وقاموا بأي إجراء طائش، إذ كانوا هم وحدهم يدافعون عن منطقة من أكبر المناطق والعدو يحيط بهم من كل جانب، وينتظر الفرصة ليبتلع هذه المدن الغنية الواسعة، وقدر الإخوان عظم الخطر، فقهروا عواطفهم واكتفوا بإرسال برقية إلى كبير الأمناء بقصر عابدين ضمنوها سخطهم الشديد لصدور هذا الإجراء الظالم»[1].

❑ يقول الأستاذ حسن الجمل:

«بعد قرار الحل وصل خطاب من المرشد العام الإمام حسن البنا يقول: «أيها الإخوان... لا يهمكم ما يجري في مصر، إن مهمتكم هي مقاتلة اليهود، وما دام في فلسطين يهودي واحد، فإن مهمتكم لم تنته بعد».

للَّه درك من داعية عظيم ترتفع فوق المحن.. وتنظر إلى وحدة الأمة... فجزاك اللَّه عن أمتك أحسن الجزاء.

* فرض الهدنة الثانية في ١٨ يوليو ١٩٤٨م لإنقاذ اليهود:

مجلس الأمن مطية لتحقيق مخططات اليهود:

الإنجليز ينجحون في استصدار قرار جديد من مجلس الأمن بفرض الهدنة الثانية في (١٨ يوليه ١٩٤٨م) لإنقاذ يهود وتمكينهم من تحقيق مخططهم.

وفرضت الهدنة الثانية واستطاع اليهود أن يجلبوا أنواعًا جديدة من

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٠٦).

الأسلحة الثقيلة والطائرات الضخمة، وحين آنسوا في أنفسهم شيئًا من القوة والإعداد ضربوا بالهدنة عرض الحائط، وهاجموا مناطق واحتلوها وقاموا بعمليات عسكرية واسعة النطاق... بل وأجبروا الجيش المصري على الانسحاب والتخلي عن (المجدل) (وأسدود) والتجمع في (رفح ـ غزة) تاركًا ورائه خمسة آلاف جندي محاصرين في الفالوجا بقيادة سيد طه، بناء على تعليمات من قيادة الجيش المصري.

وكان احتلال اليهود لقرية «بيت حانون» في ١٦ أكتوبر قطعًا لطريق المواصلات الرئيسي الذي يربط غزة ببقية المناطق.

وبسبب هذه الأوامر المرتجلة غير المدروسة تعرض قرابة خمسة آلاف جندي في الفالوجا للإفناء والأسر، وضاعت بئر سبع.

❑ وتجمع اليهود في مستعمرات النقب، ثم انهار القطاع الجنوبي (عسلوج ـ العوجا) ثم اقتحم اليهود حدود مصر الشرقية وزحفوا حتى مشارف مدينة العريش وأصبح لليهود السيطرة الفعلية على أجزاء النقب الشمالية.

❑ وجد الإخوان المسلمون أنفسهم أمام حقيقة واقعة هي عبء المحافظة على جيش مصر وحمايته من أي عدوان يحركه اليهود من هذه المنطقة، ولا يستطيع أحد أن يتكهن بفداحة الكارثة التي كانت وشيكة الوقوع لولا وجود هذه الفئة المؤمنة المجاهدة في ذلك الحين.

❑ بالرغم من كل هذه الأخطاء التي ارتكبها الجيش، فإن الإخوان المجاهدين لم يناقشوا أحدًا الحساب... وإنما كان كل همهم هو إنقاذ

الجيش.

* خطة الإخوان لإنقاذ الجيش والاحتفاظ بما بقي من فلسطين تمهيداً لمعركة التحرير:

❑ وقدم الإخوان المجاهدون مشروعًا يبين خطورة الموقف وطالبوا بإعطائهم العتاد اللازم والترخيص لهم بإحضار قوات أخرى من مصر حتى يمكنهم تنفيذ المشروع الذي يقضي باحتلال مواقع «حاكمة» حول كل مستعمرة من المستعمرات الكبيرة، ومحاصرتها وعدم إعطائها أية فرصة للتكتل اليهودي حتى يفرغ الجيش من تنظيم صفوفه.

وافقت القيادة العامة في غزة على المشروع ووعد اللواء المواوي بالكتابة إلى الجامعة العربية، وإلى رئاسة أركان الحرب يطالبهم بتجنيد كتيبة من الإخوان وإرسالهم فوراً إلى الميدان ليتمكن من السيطرة على الموقف.

وسافر الأستاذ محمد فرغلي رئيس الإخوان في فلسطين إلى مصر لتجهيز تلك الكتيبة، فيعتقلوه في مصر بلد العجائب.

أما الإخوان الموجودون في ساحة القتال فقد جمعهم الأستاذ كامل الشريف في ساحة التدريب بالمعسكر قال لهم: «إن اللّه قد فتح لهم بابًا جديداً للجهاد، وإن الظروف قد ألقت على كواهلهم عبء المحافظة على الجيش وكرامته، وإنه لولا ثقته في قوة إيمانهم ورغبتهم في الكفاح ما قبل أداء هذه المهمة الشاقة التي يعلم فداحتها وخطرها.

❑ يقول الأستاذ كامل الشريف:

«لن أستطيع أن أصور شعور الإخوان، وهم يستمعون لهذه الأنباء،

كانوا يقبلون في ابتهاج واضح، وكأنهم يُدعون لحفلة عُرس أو نزهة خلوية، لا إلى ميدان القتال فيه من المشقة والخطر ما فيه!!»[١].

وبدأ الإخوان على الفور عملية استكشاف حول المستعمرات وعاينوا المواقع التي رأوا احتلالها، وأقيمت المواقع الجديدة حول المستعمرات، ولم تكن سيارة يهودية تجرؤ على التنقّل بين مستعمرة وأخرى إذْ قام الإخوان بعمل كمائن على الطريق وملأوا الأرض بالألغام وأخذت دورياتهم المصفّحة تجوب الصحراء الواسعة وتصل في طوافها حتى مدينة بئر نفسها.

وخلال أسبوع واحد من بدء العمل دمر الإخوان خمسة عشرة مصفحة ودبابة، عدا أنابيب المياه التي تدمر كل يوم.

ضج اليهود بالشكوى، وأبلغوا مراقبي الهدنة احتاجاتهم أكثر من مرة، وهددت إذاعة إسرائيل باستئناف القتال ضد الجيش إن لم تكف عصابات الإخوان عن نشاطها في هذه المنقطة.

استفاد الإخوان في هذه العمليات الناجحة من البدو وخاصة عشائر (الترابين) و(الحناجرة) و(النصيرات) و(التياها) و(المعالقة) الذين وضعوا كل شبابهم تحت تصرف الإخوان وكل ما لديهم من سلاح، وذخير وسيارات.

وخلال أسبوع واحد من بدء العمل دمر الإخوان للعدو خمسة عشرة مصفحة ودبابة، عدا أنابيب المياه التي تدمر كل يوم.

ضج اليهود بالشكوى، وأبلغوا مراقبي الهدنة احتجاجاتهم أكثر من مرة، وهددت إذاعة إسرائيل باستئناف القتال ضد الجيش إن لم تكف

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٢٥).

عصابات الإخوان عن نشاطها في هذه المنطقة.

استفاد الإخوان في هذه العمليات الناجحة من البدو، وخاصة عشائر (الترابيين) و(الحناجرة) و(النصيرات) و(التياها) و(المعالقة) الذين وضعوا كل شبابهم تحت تصرف الإخوان، وكل ما لديهم من سلاح وذخيرة وسيارات.

وفي ظل هذه العمليات، تم انسحاب الجيش، واستقراره في المواقع الجديدة التي اختارها.

أما الإخوان المسلمون الذين كانوا خارج فلسطين عندما بلغهم خطورة الموقف العسكري في فلسطين فقد اتصل وكيل الإخوان «محمود لبيب» بشعب الإخوان في القطر وأمرهم بالاستعداد لإرسال متطوعين جدد إلى فلسطين.

❑ يقول الأستاذ كمال الشريف:

«أذكر الوقت الذي كان فيه المرشد العام ـ عليه رحمة اللّه ورضوانه ـ يعدّ قوة ضخمة للدفاع عن القدس، حيث كان اليهود يشنون هجمات عنيفة على مراكز الجيش الأردني بها، مما خشي معه أن يستولي اليهود على المدينة المقدّسة، وأذكر أن حديثًا تليفونيًّا جرى بيني وبين فضيلته، وكان يقول لي: إنه يجهز قوات كثيفة ليدخل بها فلسطين، وأنه سيعلن الجهاد الديني والتعبئة الشعبية بعد أن فشلت الحكومات وجامعاتها، وكان يسوق لي هذه الأنباء مردّدًا هذه العبارة: «مفيش فايدة، الناس دول مش عايزين يحاربوا»، وكان فضيلته يرمي من وراء ذلك إلى إثارة الشعور الديني في العالم الإسلامي، ودفع الشعوب الإسلامية والحكومات

الإسلامية لعمل شيء ما.

على أن الحركة العسكرية التي أرادها المرشد العام لم يقدر لها النجاح، إذ وقف عناد النقراشي ـ الزعيم النزيه! ـ حجر عثرة في سبيلها استجابة لرغبات الإنجليز وتمشيًا مع سياستهم الذين كان يُفزعهم اسم الإخوان وأنباء قتالهم الرائع في فلسطين.

ولقد سمع ضباط الجيش وجنوده بأنباء هذه الحركات الشعبية التي أرادها المرشد العام وارتاحوا لها، وعلّقوا عليها كثيرًا من الآمال الكبار، وكان الجميع يعلمون أن مجيئه كفيل ببعث الروح المعنوية التي سحقتها الهزائم، وشد أزر المحاربين الذين فقدوا الثقة في قادتهم وزعمائهم، ولم يكن يدور في خاطر أحد أن هذا الوقت العصيب هو الذي حدّده النقراشي ليركب رأسه، ويرتكب أبشع حماقة عرفها تاريخ مصر الحديث.

ولم تلبث الأنباء أن جاءت بعد ذلك بقيام المذبحة الهائلة فسيق زعماء الإخوان إلى المنافي والمعتقلات، وكان من بينهم الأستاذ «محمد فرغلي» الذي ذهب ليستحضر جنودًا للميدان.. !!!»[1].

* معركة التبة «٨٦» (٢٣/١٢/١٩٤٨) وبطولات الإخوان بعد قرار حل جماعتهم:

بعد قرار حل جماعة الإخوان في ٨/١٢/١٩٤٨م[2]، واضطرار

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٢٥).

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) كان وراء هذا الحل اجتماع سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا وطلبهم حل جماعة الإخوان المسلمين كما جاء في الوثيقة البريطانية والتي عليها إمضاء أوبريان ماجور بتاريخ=

الجيش المصري إلى إخلاء مناطق برمّتها عندما احتل اليهود موقعًا مشابهًا عند «بيت حانون».

□يقول كامل الشريف:

«تحدّث إليَّ الأميرالاي «محمود رأفت قائد قطاع» «دير البلح» بالتليفون في ساعة متأخرة من ليلة ٢٣ ديسمبر، وأخبرني أن العدو قد نجح في اختراق خطوطنا الأمامية في دير البلح وانتزع المرتفع من أيدي جنودنا الذين أذهلتهم «المفاجأة». وقواته تتجمع الآن، وتحاول الوصول إلى طريق المواصلات الرئيسي، ولكن قوات الجيش تحاول حصره فوق المرتفع حتى الصباح، حيث يمكننا أن نقوم بهجمات مضادة لاسترداده وتطهيره، ثم صارحني بأن الموقف جد خطير، وأن هذه المعركة سوف يكون لها أثر بالغ في النتيجة العامة للحرب، وختم حديثه طالبًا أن يستعد الإخوان ليكونوا آخر «ورقة» نقذف بها في وجه اليهود»[1].

«وسرعان ما شرح كامل الشريف الموقف للإخوان، وتسارعت الفصائل كل يريد أن يكون له شرف العمل ضد العدو، وتم اختيار ثلاث فصائل هلَّل أفرادها وكبروا وهتفوا من أعماق قلوبهم (هبّي ريح الجنة هبِّي)، وتحركت السيارة بالفصائل الثلاثة إلى أرض المعركة».

وكان جنود الجيش يحاولون طرد العدو واستعادة الموقع، لكن

= ١٣/ ١١/ ١٩٤٨م ووثيقة أخرى مرسلة من رئيس إدارة المخابرات البريطانية «فرع أ» بقيادة القوات البريطانية بالشرق الأوسط إلى إدارة المخابرات ج.س ـ ١٣ في القيادة العليا للقوات البريطانية في مصر وعليها إمضاء قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط كولونيل أ.م. ماك درموت بتاريخ ٢٠/ ١١/ ١٩٤٨م، انظر: «موسوعة الشهداء شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث» ص(١٦٠ ـ ١٦١).

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٤٣).

ارتفاع الموقع وسيطرة أسلحة العدو على الأرض المحيطة كانا يمنعان الجنود من الاقتراب وسقط كثيرون، والعدو الماكر يربض خلف خنادقه يصوب نيرانه على لحوم بشرية متراصة وبدا جليًّا للعيان أن لا أمل مطلقًا في كسب المعركة إلا في حضور عدد من الدبابات فأرسلوا في طلبها ودفعت إلى المعركة فتعطلت منها اثنتان على سفح التل، ولم يستطع أحد الاقتراب من مواقع العدو، وطلب قائد الموقع الأميرالاي محمود رأفت إحضار الإخوان على عجل، وما إن سمع الجنود والضباط اسم الإخوان حتى سرت في نفوسهم روح جديدة من الأمل والثقة، ووصل الإخوان إلى ميدان المعركة وقسموا أنفسهم ثلاث مجموعات، اثنتان منها هاجمت الموقع من الأمام ومن جهة الشمال، ودارت الثالثة حول المرتفع وهاجمت مؤخرته، ومنعت تدفق الإمدادات عليه، وشغلت المدافعين عن القوتين الأخريتين، وتقدمت الدبابات متجمعة أمام قوة من الإخوان تحت ستار من نيران المدفعية والأسلحة الرشاشة وتحت غلالة من قنابل الدخان. وبدأت المعركة وانطلق الإخوان إلى أهدافهم وقد علت وجوههم إشراقة الإيمان القوي وهم ينشدون:

هو الحق يحشد أجناده ... ويعتد للموقف الفاصل
فصفوا الكتائب آساده ... ودكوا به دولة الباطل

وتقدم شباب الإخوان في ثبات وقوة لملاقاة أعدائه».

لقد آمن الضباط والجنود أن هناك نتيجتين لا ثالث لهما: إما أن ينتصر هؤلاء الشباب أو يموتوا جميعًا؛ لأن الانسحاب والتراجع لا يدخل في برنامجهم اطلاقًا، وخاصة في مثل هذا الموقف الحرج الخطير.

وظلت مدافع الإخوان تقذف الموقع بقنابل الدخان فترة طويلة حتى أحالت القمة إلى سحابة قاتمة لا ترى خلالها غير ألسنة اللهب الناتج عن انفجارات القنابل.

«وسكنت المدافع وانساب المجاهدون إلى أهدافهم وبدأت معركة الخنادق وروع اليهود حين رأوا الإخوان يلقون بأنفسهم فوقهم في الخنادق والدشم ويقاتلونهم بالحراب والأيدي ورغم كثرة الضحايا من الإخوان، فإن القوة تمكنت من احتلال خنادق العدو، وأخذت تطهرها جزءًا جزءًا، ولم يجد اليهود بُدًّا من إخلاء الموقع، فصمتت مدفعيتهم وأسلحتهم وشوهدت مصفحاتهم تتحرك للخلف حاملة الجرحى والهلكى، وكان هذا حافزًا للجنود الآخرين ملهبًا لحماسهم فأخذوا يتكاثرون في الموقع ويتمون تطهيره، حتى جاءت أخيرًا (قاذفات اللهب) تطارد فلول العدو المنهزمة وانتهت المعركة بنصر حاسم، وكانت إحدى المعارك الكبرى التي تكبد فيها العدو خسائر فادحة دون أن يحصل على نتيجة تذكر ووجد ضمن القتلى عدد من كبار الضباط الإسرائيليين، وبينهم قائد المعركة وهو «كولونيل» روسي يحتل مركزًا هامًّا في الجيش الإسرائيلي ووجدت في جيبه تفاصيل الخطة التي اتبعت في دير البلح والخطط المقبلة التي كان يراد منها إلقاء الجيش المصري في أعماق البحر، واحتل الجنود الموقع بعد فرار اليهود، أما جنود الإخوان فقد انسحبوا في سكوت وهدوء بعد أن غنموا كميات وفيرة من الأسلحة الألمانية والروسية وأكداسًا من القنابل والذخائر. وكان الضباط يعانقونهم عند خروجهم ويهنئونهم بهذا النصر الحاسم ويشيدون بجهودهم وفضلهم».

ولقد سقط من الإخوان في هذه المعركة وحدها عدد كبير من الجرحى والشهداء، وكان أول الشهداء قائد الفصيلة المرحوم «السيد محمد منصور» من إخوان الشرقية. ومما يروى عن هذا الرجل أنه حين أصيب بالضربة القاتلة التف حوله نفر من إخوانه وشغلوا به عن الهجوم فنهرهم بشدة، وحينما حملوه إلى الخطوط الخلفية أفاق من غيبوبته وسألهم عن سير المعركة فأجابوه بما طمأن نفسه فابتسم وغمغم، الحمد للّه ولم يقف لسانه عن الدعاء لحظة: اللّه انصر دعوتنا وحقق غايتنا حتى لفظ أنفاسه الطاهرة، ونحسبه قد مضى إلى جنة ربه الواسعة ليحمل البشرى إلى سكانها: «إن شجرة الإسلام الخالدة قد بدأت تورق من جديد».

أما (حسن العزازي) من إخوان العريش فقد أصيب بجرح في كتفه، وكان في وسعه أن يعود ولكنه ظل يكافح بصعوبة حتى احتمى بنتوء بارز في مواجهة العدو، وأخذ يلهب خنادقه برصاص مدفعه الرشاش حتى أسقط منهم عدد كبير مما اضطرهم إلى تركيز نيرانهم عليه، فأصابته عدة طلقات في مواضع مختلفة من جسمه فسكت مدفعه وصعدت روحه الطاهرة بعد أن ثأر لنفسه ومتّع نظره برؤية الدم الصهيوني المراق.

❑يقول الأستاذ كامل الشريف:

«قد كان عدد الجرحى كبيرًا، ومنهم من مات متأثرًا بجراحه بعد وصوله للمستشفى، ومنهم من عاد في «إرساليات مَرَضيّة إلى مصر، ثم كمل علاجه في معتقلات الطور وهاكستب! ولا تظنني أمزح أيها القارئ

الكريم، فإنني لا أسجل إلا الحق والصدق، فإن اثنين من جرحى هذه المعركة، وهما الأخوان المجاهدان «عويس عبد الوهاب» و«سيد عيد يوسف» قد نقلا بعد المعركة إلى مستشفيات مصر لمعالجة جراحهما الخطيرة، ولكن البوليس السياسي أشار بنقلهما إلى الطور ـ ولعله خشي انضمامهما إلى الجيش الإرهابي السري!! فنزعا من المستشفيات وجراحهما لا تزال تنزف دمًا، وأُلقيا في أحد العنابر الرطبة دون غذاء أو علاج. ولا يزال أحدهما يعاني ألمًا مرًّا من رصاصة مستقرة في بدنه.

* معركة دير البلح مفخرة كبرى من مفاخر الإخوان:

❑ قال كامل الشريف:

«انتهت معركة «دير البلح» على الصورة التي ذكرنا، وكان دور الإخوان فيها مفخرة كبرى من مفاخر هذه الدعوة، وأثرها في تكوين المحارب الناجح، وبجانب الكسب الأدبي فقد غنم الإخوان عددًا كبيرًا من الأسلحة الرشاشة التي كانوا في أمسّ الحاجة إليها. ولقد كلّفهم هذا الانتصار غاليًا فسقط منهم عدد كبير من الجرحى والشهداء، غير أن هذه الخسارة لم تزعزع من إيمان الإخوان وثباتهم»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٤٣).

* شهادة القادة العسكريين للأبطال من الإخوان المسلمين:

لا يعرف قدر أبطال الإخوان ودورهم في حرب ١٩٤٨م بفلسطين إلا من عاصرهم وعايشهم في هذه الحرب:

❑ قال اللواء المواوي قائد القوات المصرية المقاتلة في فلسطين: «كان الإخوان ينزعون ألغام اليهود وينسفونهم بها في صحراء النقب»[١].

❑ ومن بعده تقدم اللواء «فؤاد صادق» ـ قائد القوات المصرية في فلسطين ـ للحكومة السعدية طالبًا منح نياشين رفيعة للإخوان... فماطلت الحكومة السعدية زمنًا طويلاً وحاولت إقناع «فؤاد صادق» بالعدول عن مطلبه غير أن الرجل الشجاع أصرّ على ذلك واعتبر هذه المماطلة امتهانًا لكرامته وإحراجًا لمركزه، مما اضطر الحكومة لإجابة مطلبه، فاختارت حلاً وسطًا. وصدرت النشرة العسكرية في مايو سنة ١٩٤٨م تحمل أسماء خمسة عشر جنديًّا من الإخوان المسلمين المصريين والفلسطينيين، ورأت الحكومة أن تداري موقفها المخجل فسمّتهم في نشرتها «جماعة المتطوعين المصريين»! ثم تتابعت النشرات العسكرية تحمل الإنعام على أبطال الإخوان في «بيت لحم» و«صور باهر» وغيرهما من المناطق.

ومن المضحك أن تصدر النشرات العسكرية وفيها اعتراف رسمي ببطولة جنود الإخوان، وقت أن كان الأبطال المنعم عليهم لا يزالون يقاسون مرارة الاعتقال، ويعيشون كالمجرمين الخطرين خلف الأسلاك الشائكة بين معسكرات «رفح» و«الطور» و«هاكستب»!! وهكذا أباحت العقلية المنكوسة لنفسها معاملة طائفة من الناس على أنهم أبطال مغاوير،

(١) «الإخوان المسلمون» ص(٥٧).

ومجرمون في آن واحد[١] .

❑ ولما زار الفريق «عثمان المهدي» رئيس أركان حرب الميدان الجبهة أبدى رغبته في لقاء قائد المعتقلين «كمال الشريف» فلما دخل عليه وحيَّاه، أخذ يطري على الإخوان ويبرّر موقف الجيش فيما حدث لهم.

ومما قاله المهدي في هذا المجال «إن مصر كلها لن تنسى لهم هذا الموقف النبيل الذي وقفوه مع جيش البلاد في محنته، وإن الحقيقة سوف تتضح يومًا ما ليعلم الرأي العام حقيقة موقفهم في فلسطين» ثم رجاه أن يحمل أزكى تحياته للإخوان وأن يبلغهم على لسانه أنه يعد بسرعة الإفراج عنهم. . .»[٢] .

وانظر ما كتب القادة عن معروف الحضري وغيره من أبطال الإخوان، وما كتبوا عن حمايتهم للجيش المصري عند انسحابه ونجا الجيش بذلك من هلاك محقق.

* الإخوان المسلمون السوريون في فلسطين:

❑ يتكلم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي في كتيب له أسماه «الإخوان المسلمون في معارك فلسطين» عن أهم المعارك التي خاضوها في داخل فلسطين فيقول:

معاركنا في القدس

كان من واجبنا أن نضيق الخناق على يهود القدس الحديثة والقديمة،

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٤٨ ـ ١٤٩).

(٢) المصدر السابق ص(١٧٩).

وكان فريق من مجتهدي الإخوان المصريين بإشراف الأخ محمود عبده وقيادة البطل الشهيد أحمد عبد العزيز يرابطون في «صور باهر» القرية العربية الواقعة جنوبي القدس. كما كان فريق من إخواننا الأردنيين بقيادة الأخ الحاج عبد اللطيف أبو قورة يرابطون في «عين كارم» الواقعة غربي القدس، وقد استطاع المجاهدون الفلسطينيون قطع الطريق الموصل من تل أبيب إلى القدس بعد معارك طويلة عند «باب الواد» اشتركت فيها مدفعية جيش الإنقاذ وحضرنا جزءًا منها، وبذلك أصبح يهود القدس ومستعمراتها القريبة منها مطوقين تطويقًا تامًّا، إذ كان العرب أيضًا يسيطرون على طريق القدس؛ لأنه طريق أريحا وعمان، كما كانوا يسيطرون على طريق القدس الشمالي إذ كان طريق نابلس العربية يسيطر على مدخله حي الشيخ جراح العربي.

كانت المعارك بيننا وبين اليهود في أطراف القدس، وداخلها مستمرة لا ينقطع فيها أزيز الرصاص والرشاشات والقنابل ساعة واحدة في ليل أو نهار من خلال نوافذ البيوت أو منعطفات الطريق أو الهجمات المباغتة على مراكزهم أو هجماتهم على مراكزنا وكثيرًا ما كانت ترسل النجدات المتعددة في يوم واحد إلى مراكزنا من المجاهدين الاحتياطيين الموجودين في مقر القيادة.

اشتداد المعارك بعد جلاء الإنجليز

ولما جلا الإنجليز عن فلسطين في ١٥ آيار (مايو) عام ١٩٤٨م أضافوا إلى سلسلة مؤمراتهم على العرب مؤامرة جديدة، إذ أخبروا اليهود سرًّا بواسطة بناتهم اللاتي كن يعاشرن الضباط الإنجليز عن موعد

جلائهم عن المراكز العسكرية التي كانوا يحتلونها في منطقة القدس، وكانت كحاجز بين الجماهير العرب وجماهير اليهود المدنيين مما كان يمكنهم من مزاولة أعمالهم والبقاء في بيوتهم، فلما تم احتلال اليهود لتلك المراكز يوم ١٥ آيار أصبح وضع العرب في القدس محرجًا لقلة المقاتلين والذخيرة عندهم مما يستحيل معه احتفاظهم بأكثر أحيائهم العربية في القدس الحديثة، وأذكر أننا خرجنا في صباح ذلك اليوم إلى مستعمرات «كفار عصيون» الواقعة جنوب القدس على طريق الخليل إثر معركة نشبت بين اليهود في هذه المستعمرات وبين كتيبة من الجيش العربي بقيادة الكولونيل عبد اللّه التل، وانتهت بتدمير المستعمرة الرئيسية تدميرًا تامًّا واستسلام سكان المستعمرات المجاورة لها، وقد كان طريقنا إليها من باب الخليل في القدس مارين بحي منتوفوري اليهودي الذي كان المجاهدون الفلسطينيون بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني قد دمروا أكثر أبنيته الضخمة، خرجنا في الصباح، وكان الإنجليز يتأهبون لمغادرة القدس، وقد اصطفت قوافل سياراتهم العسكرية في رتل طويل جنوب القدس، ولما انتهينا من الإشراف على استلام الأسرى اليهود الذين أبوا أن يستسلموا إلا للجيش العربي دون المجاهدين العرب، ونقلوا في سيارات الجيش العربي إلى عمان، وقد قيل يومئذ: أن من بين الأسرى بنت الزعيم اليهودي (وايزمن)، ولم نتأكد نحن من ذلك؛ لأن البنات الأسيرات اللواتي كن يقاتلن مع الرجال أبين أن يخبرن عن أسمائهن. لما انتهينا من ذلك كان الوقت قد أشرف على الغروب فلما اقتربنا من القدس كان اليهود قد قطعوا إلى باب الخليل باستحكاماتهم التي أقاموها

على أطلال حي مانتوفيوري فوجدنا أنفسنا معرضين لنيرانهم مما اضطرنا إلى ركوب سيارة مصفحة كان المجاهدون المقدسيون قد غنموها من اليهود في إحدى معاركهم، ولما وصلنا مقر القيادة وجدنا الأمر قد تغير تمامًا وأكثر سكان الأحياء العربية المتاخمة لليهود قد هجروها إلى داخل مدينة القدس.

معركة القطمون

حي القطمون هو أهم حي عربي في القدس الحديثة واقع في جنوبها ويشبه إلى حد كبير «أبي رمانة» في دمشق إذ كان يقطنه سراة العرب المقدسيين وأعيانهم، وكانت تقع فيه أكثر القنصليات العربية، كما كان يسكنه الزعيم الفلسطيني المجاهد أحمد حلمي، وقد أبى مغادرته بعد جلاء الإنجليز رغم خطورة الوضع فيه، وكان يزور إخواننا المرابطين في هذا الحي كل يوم تقريبًا، ولما تم جلاء الإنجليز عن القدس أصبح وضعهم حرجًا إذ كانت فيه قنصليتا الأردن والعراق مع حراسهما، وفي ذات يوم فوجئ إخواننا بانسحاب حراس القنصليتين ومن فيهما فشدد اليهود هجماتهم على إخواننا وعلى المجاهدين الفلسطينيين المرابطين في الحي نفسه بقيادة الشهيد البطل «أبي دية» ـ رحمه اللّه ـ ولما احتل اليهود المنطقة التي كان يدافع عنها أبو دية بعد معركة عنيفة أصبح إخواننا محاصرين من كل جانب، ولم يكونوا أكثر من ٢٤ مجاهداً مع قليل من الذخيرة والعتاد وقد صمدوا لهجمات اليهود أكثر من ثلاثة أيام دون أن يستسلموا حتى وقعت هدنة بين القيادة العربية واليهود بواسطة الصليب الأحمر لمدة ٢٤ ساعة لنقل قتلى اليهود وجرحاهم، عندئذ انسحب إخواننا إلى داخل مدينة القدس، وأصبح حي القطمون كله تحت

سيطرة اليهود.

معركة الحي اليهودي في القدس القديمة

ابتدأت قبل جلاء الإنجليز عن القدس بخمسة أيام، فقد كان اليهود في هذا الحي محاصرين منذ ستة أشهر يأتيهم طعامهم وحاجتهم بواسطة الإنجليز، وأخيراً صمم المجاهدون على اقتحام الحي والتخلص منه. وكانت معركة من أشد المعارك التي خضناها في القدس أظهر فيها المجاهدون من البطولات ما يعجز عنه الوصف، فقد كانوا يتقدمون لنسف الحي اليهودي بيتًا بيتًا بأيديهم الرشاشات والقنابل تحت وابل من الرصاص والقنابل الذي كان يقذفه اليهود عليهم من نوافذ البيوت، وكلما انتهى المجاهدون من نسف بيت ابتدءوا بنسف بيت آخر وهكذا.

كان الحي ضيق الطرقات جدًّا كما هو شأن الأحياء اليهودية القديمة في كل مكان، وكانت فيه ممرات تحت الأرض متصل بعضها ببعض بحيث يستطيعون العودة في الليل إلى ما فقدوه في النهار، وكثيراً ما كان يفاجأ المجاهدون وهم واقفون فوق أطلال البيوت بقنابل تلقى عليهم من قرب كما حدث لي ذات مرة، ولولا لطف اللّه لأصبنا إصابات بالغة، ولما غادر الإنجليز القدس اشتدت هجمات المجاهدين العرب على الحي، كما اشتدت هجمات مقاومة اليهود، ثم اضطروا للتسليم لنفاد ذخيرتهم بعد وقوع معركة القدس الكبرى التي سأتحدث عنها فيما بعد، وقد كان وفد المفاوضة منهم مؤلفًا من مختار الحي وهو يهودي عاش في فلسطين يتحدث العربية بطلاقة، ومن اثنين من الحاخام أحدهما عراقي والآخر بولوني كان يتلو التوراة بلا انقطاع ومن شاب مدرس وفتاة كانت تدعي

أنها ممرضة وتبين فيما بعد أنها من «الهاجانا» وهما يتكلمان العربية بطلاقة أيضًا، وقد علمت من الفتاة أنها تتقن استعمال جميع أنواع السلاح من المسدس إلى مدفعية «الهاون». كما علمت من وفدهم أنهم لم يسلموا إلا لنفاد ذخيرتهم، أما الطعام فكان لديهم موجودًا رغم الحصار المفروض عليهم منذ ستة أشهر، وقد علمنا منهم أن الطعام كان يصلهم بواسطة الإنجليز قبل جلائهم، ومن كنيسة الأرمن المحاذية لهم بعد ذلك، وقد تولى قائد الجيش العربي الذي حضرت منه مدفعية صغيرة في انتهاء معركة القدس أمور المفاوضات مع اليهود، وكان المجاهدون يصرون على أن يأسروا جميع من في الحي انتقامًا من حوادث دير ياسين، ولكن قائد الجيش العربي كان يتصل دائمًا بقادته في عمان، إلى أن جاء إليه الإيعاز بأن يتسلم أسلحتهم ويأسر القادرين منهم على القتال ويترك رجال الدين والنساء والفتيات ـ ولو كن مقاتلات ـ ويسلم العجزة والأطفال إلى الصليب الأحمر، وأن يسمح لهم بأخذ كل ما يستطيعون حمله من حلي ومال وثياب!... وانتقلنا بعد ذلك إلى الساحة الكبرى في الحي اليهودي وكان اليهود قد تجمعوا فيه، وكانوا مختلفين في حالة الجزع والخوف، فاليهود الأوروبيون، وكلهم شباب وفتيان كانوا يتجلدون، ولم نر واحدًا منهم تدمع عيناه، أما اليهود العرب فقد كانوا في حالة من البكاء والرعب شديدة، ومن طرائف ما رأيته في ذلك اليوم أنه بينما كنا واقفين في ساحة الحي اليهودي ننتظر حضور اليهود جميعًا إلى الساحة جاءني يهودي في نحو الستين وهو يبكي ويقول بلهجة دمشقية: يا سيدي! أهذا عدل؟ أليس حرامًا؟ قلت: له ماذا حصل لك؟ فأجابني وهو يبكي: يا سيدي لقد فقد طربوشي!..

فأجبته وأنا أتميز من الغيظ ولا أتمالك من الضحك؟ لقد قتلتم في دير ياسين بناتنا وأطفالنا وفعلتم بهم أشنع الأفعال، أفلا يكفيك من عدالتنا اليوم أنك ضمنت حياتك وستكون في المساء عند إخوانك في القدس الحديثة؟ ومع ذلك تسأل عن الطربوش؟! وبعد انتهاء تجمعهم أفرز الشباب منهم برأي القائد العربي فلم يتجاوزوا مئة، مع أن مقاتليهم كانوا يزيدون على خمسمائة قطعًا، وأخرج من بينهم رجال الدين ولو كانوا شبابًا والنساء مع أن أكثرهم مقاتلات، وانتقلنا إلى المستشفى فوجدناه مليئًا بمن يتظاهرون أنهم من الجرحى إذ كانوا قد عصبوا أيديهم ورؤوسهم وأرجلهم بعصائب، فأبينا إلا أن نفتش عن كل واحد منهم، وكان معنا طبيب عربي، وتبين بعد الفحص أن أكثر عصائبهم كانت تمويها فضممناهم إلى الأسرى من الشباب. أما السلاح فلم يسلمونا إلا قطعتين أو ثلاثة، وسألناهم أين سلاحكم؟ فرفضوا أن يجيبوا فتشنا في البيوت فلم نجد شيئًا، فغلب على ظننا أنهم ألقوها في الآبار البعيدة الغور، وبعد أن تم تسليم غير المأسورين إلى الصليب الأحمر دخل المجاهدون إلى بيوتهم فتبين أنهم قد زرعوا أبواب البيوت بالقنابل المتفجرة مما حملنا على أن نخصص بعضًا من المجاهدين لتتبع هذه القنابل والتقاطها قبل انفجارها، وقد أصيب بسبب ذلك الأخ إبراهيم حداقي مما أدى إلى بتر معصمه الأيمن بعد أن حمل قنبلة ليرميها بعيدًا فانفجرت وهي بيده.

أما سكان القدس من العرب فقد تجمعوا في الشوارع ليشهدوا الأسرى، وكانوا يريدون التقاط صور لهم ولكن قيادة الجيش العربي أبت

ذلك، وأخرجتهم من القدس قبيل الفجر لئلا يراهم أحد. وهكذا انتهت معركة الحي اليهودي وغادرناه والدمار قد حاق بأكثره، والحرائق التي أشعلها اليهود قبل مغادرتهم قد أتت على الباقي.

نسف الكنيس اليهودي

تميزت معركة الحي اليهودي في القدس بحادث كان له وقع أليم جدًّا في نفوس اليهود، ذلك أنه يوجد لهم فيه أقدم كنيس في فلسطين وربما كان في العالم كله، وهو بناء ضخم مستدير له قبة عالية، وهو يشرف على صحن المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ولهم فيه أقدم نسخ التوراة المتوارثة عندهم منذ مئات السنين مكتوبة بخط عبري واضح على جلد سميك، وقد اتخذ اليهود هذا الكنيس مركزًا حربيًّا يطلقون منه نيران بنادقهم ورشاشاتهم على المسلمين المتجولين في حرم المسجد الأقصى، ولما تمادوا في هذا العمل أنذرناهم بواسطة مكبرات الصوت أننا سننتقم منهم وسنهدم الكنيس إذا استمروا في استغلال أماكن العبادة للأعمال العدوانية، ولكنهم ازدادوا في العناد فوضعوا أكياس الرمل على سطح الكنيس حول قبته واستمروا يطلقون من ورائها النيران على الحرم القدسي وعلى مقر قيادتنا في الروضة، حتى إذا بدأت معركة الحي اليهودي وتمكن المجاهدون من نسف قسم كبير من بيوته وأصبحوا على مقربة منه قرروا نسف الكنيس، وفي ساعة من ساعات النضال في هذه المعركة وضعت المتفجرات في أنحاء متعددة من أسسه بما يزن أكثر من نصف طن من الديناميت، ثم أشعلت النيران في أسلاك الديناميت، فما أتت دقائق حتى كان هذا الكنيس الضخم تتهاوى جدرانه السميكة

وينقض جزء من قبته ويملأ الركام أرجاءه. وهكذا تخلص المجاهدون من مركز قوي من مراكز العدوان اليهودي في ذلك الحي. ولما استسلم اليهود ووقفنا في ساحة الحي نشرف على تنفيذ شروط الاستسلام قال لي أحد أعضاء وفد الاستسلام اليهودي والمرارة تأكل قلبه: لقد أخطأتم بنسف الكنيس وستندمون . فقلت له: لقد أنذرناكم أكثر من مرة بعدم اتخاذه مركزًا للعدوان فلم تستجيبوا، أما أن نندم فهذه معركة قائمة بيننا وبينكم ولم يمنعكم إجرامكم من قبلها أن تعتدوا على قبة الصخرة وتنسفوا المساجد في يافا وحيفا ودير ياسين وغيرها. ولما تم جلاء اليهود عن الحي أخذ فريق من المجاهدين يتفقدون الكنيس المتهدم فوجدوا بين الأنقاض أكثر من نسخة من التوراة ضمن صناديق فضية مستطيلة، وقد أهدى بعضهم قطعًا منها إلى بعض ملوك العرب ورؤسائهم واحتفظ بعضهم بنسخة كاملة منها.

معركة القدس الكبرى

لما تم جلاء الإنجليز عن القدس وكان الحي اليهودي لم يستسلم بعد، أدركنا حرج موقف حامياتنا في القدس الحديثة، وأن اليهود سيبذلون قصارى جهدهم لإنقاذ إخوانهم المحاصرين في الحي اليهودي، وكانت الذخيرة عندنا قليلة، بل إن فوج اليرموك وكان فيه إخواننا وعدده أكثر من خمسمائة مجاهد كانت بنادقه ورشاشاته كلها من النموذج الألماني، ولم يبق لديهم من الذخيرة إلا نزر قليل جدًّا، مما حملني على أن أغادر القدس إلى دمشق طالبًا من قيادة جيش الإنقاذ تزويدنا بما نحتاج إليه من الذخيرة استعدادًا للمعركة المرتقبة، وقابلت طه الهاشمي وعرضت عليه ما جئت من أجله، ففاجأني بقوله: إن فوج اليرموك قد

سحب من القدس إلى مقر قيادة القاوقجي، فلماذا تطلب الذخيرة الألمانية؟ وهنا أدركت مصير معركتنا التي وضعت بأيدي مثل هذا الرجل، فقلت له: ومتى سحب فوج اليرموك؟ قال: منذ أسبوع، فقلت: إنك أرسلت برقية إلى قائد فوج اليرموك تطلب إليه أن يلتحق شخصيًّا بفوزي القاوقجي نظرًا لتبرم المجاهدين من جهله وغباوته وجبنه، أما فوج اليرموك فلا يزال في القدس وإخواننا فيه وأنا الآن قادم من القدس وبنادقنا خاوية من الذخيرة، فأجابني بكل صلف: «ملكو عندنا ذخيرة ألمانية» أي لا يوجد، فخرجت من عنده إلى رئيس الجمهورية وعرضت عليه الأمر، فاتصل بالهاشمي وطلب إليه أن يعطيني ذخيرة ألمانية، فلما عدت إلى الهاشمي وجدته مربد الوجه وخاطبني بقوله: كيف ننجح وكل شيء عندنا بالوساطات؟!..»، قلت له: إنني لا أتوسط لوظيفة عندك، ولكن أتوسط لنموت في المعركة موت الشرفاء!.. فأجابني: إنني أمرت بإعطائك خمسة آلاف طلقة إكرامًا لرئيس الجمهورية، فقلت له: هذه سينال منها كل بندقية عشر طلقات، ونحن في القدس نتناوش مع اليهود في كل ساعة، فماذا نستطيع أن نقاوم بهذه الرصاصات العشر؟ فألح في عناده وخرجت من عنده مغضبًا إلى وزير الدفاع فعرضت عليهم الأمر فاعتذر بأنه ليس عندهم ذخيرة ألمانية، وفي نهاية الحديث قال: إنه سيتصل بالقيادة العربية العليا للجيوش العربية في عمان ويطلب منها إجابتي إلى طلبي.

وقبل مغادرتي دمشق اتصلت به هاتفيًّا فأكد أنه اتصل بعمان ووعدوه بإجابة طلبي، وعدت إلى عمان في نفس اليوم واتصلت بالقيادة

العامة فكانوا مدهوشين من دعوي وزير الدفاع اتصاله بهم، وقالوا: إنه يعلم أن ذخيرتنا كلها إنجليزية فمن أين نأتيك بالذخيرة الألمانية؟ ولما يئست منهم اتصلت بأعضاء لجنة الدفاع عن فلسطين في عمان وكلهم من خيرة التجار السوريين والأردنيين في العاصمة، وعرضت عليهم الأمر وطلبت منهم النجدة فأسرعوا يشترون كل ما وجدوه في السوق من ذلك وزادوا عليه عديدًا من القنابل وبعض الأسلحة. فعدت إلى القدس وقد حملت من عمان آلاف الطلقات التي تمكننا من الاستمرار في المعركة ساعات، وكان وصولى قبيل الغروب بدقائق ووجدت معركة الحي اليهودي مشتدة في ذلك اليوم، وقد جرح فيها الملازم الملوحي وما يزيد عن أربعين من إخواننا واستشهد فيها ما يزيد على سبعة من شهداء الإخوان، ووجدت القائد فاضل عبد اللّه مستلقيًا على فراشه مستغرقًا في نوم عميق من شدة الإعياء والسهر في الليالي الخمس المواضي، حتى إذا كان الوقت الساعة العاشرة ليلاً جاءتنا أنباء من جميع حامياتنا على أبواب مدينة القدس بأن اليهود قد شنوا هجومًا عامًّا على مختلف الأبواب، وركزوا هجومهم على باب الخليل الملاصق للحي اليهودي، عندئذ بدأت أوزع الرصاص على المجاهدين، ولما اشتد الهجوم الذي شنه اليهود على باب الخليل بما يقرب من عشرة مصفحات وآلاف المقاتلين، لم أجد بدًّا من الاستنجاد بإحدى العواصم العربية فطلبت كبار المسئولين باسم قائد حامية القدس، ثم أيقظت القائد فاضل عبد اللّه وأخطرته بخطورة الوضع، وأني قد طلبت كبار المسئولين في العاصمة العربية باسمه، وتم الاتصال بينه وبين كبير منهم، وأعلمه بخطورة الوضع في

القدس وطلب منه إرسال نجدة عسكرية على وجه السرعة فاعتذر على ذلك، وقال له وأنا أسمع: إذا وجدتم أنفسكم في موقف حرج فانسحبوا من القدس، فأجابه القائد: إن في القدس عدا أهلها ما يزيد على عشرين ألفًا من اللاجئين إليها بعد مجزرة دير ياسين، فإذا احتلها اليهود فستكون مجزرة لم يسمع بها التاريخ فأجابه المسئول الكبير، وهو يظن أن حامية القدس كلها من بلده: أنا آمرك بالانسحاب وأنتم عندنا أغلى!..

وهنا لم أتمالك من أن أقول له: إن الحامية تقسم أن لا يدخل اليهود القدس إلا على أشلائها، فإما أن تنجدونا وإما أن نقاتل حتى نستشهد جميعًا، وهنا جاء من يقول لنا: إن اليهود قد اقتحموا باب الخليل! فتركنا الحديث مع تلك العاصمة العربية! وأسرعنا إلى إخراج كل من كان في القيادة من الجنود حتى الجرحى ووزعنا عليهم كل ما كنت استحضرته من الرصاص والذخيرة من عمان، وأسرعنا إلي باب الخليل، وشاع في البلدة أن اليهود قد اقتحموا باب الخليل فخرج النساء والأطفال من بيوتهم وكان الكهرباء منقطعًا، وسمعنا مناديًا يقول: يا أهل القدس كل من عنده سلاح فليذهب إلى باب الخليل، وهرع الشباب والمقاتلون إلى هناك حيث تبين لنا أن اليهود لم يستطيعوا اقتحام باب الخليل للدفاع البطولي الذي قامت به الحامية هناك، وتحصن المجاهدون ومن هرع من أهل القدس وراء المتاريس عند باب الخليل وفوق أسواره وابتدأت المعركة الكبرى منذ الساعة الحادية عشرة ليلاً حتى الخامسة صباحًا كان فيها صوت الرصاص والقنابل والديناميت يَصُمّ الآذان بلا انقطاع، فلما انبلج الصباح انسحب اليهود وردهم اللّه بغيظهم لم ينالوا خيرًا وخلفوا وراءهم

مصفحة قد دمرت وبعض القتلى الذي لم يستطيعوا سحبهم معهم.

وعاد المجاهدون إلى أماكنهم والمناضلون المقادسة إلى بيوتهم، وعدنا إلي مقر القيادة فوجدنا ذلك المسئول العربي الكبير يتصل بنا هاتفيًّا ليسألنا عن أنباء المعركة، فأجابه قائد حامية القدس بأن اللَّه قد نصرنا وأعاننا على صد هجوم اليهود، ولكن ذخيرتنا قد نفدت، فإذا لم تصلنا نجدة عسكرية في هذا اليوم، فإننا في خطر شديد إذا عاود اليهود الهجوم. وفي عصر ذلك اليوم وصلت قوة من المدفعية الصغيرة معها بعض الجنود، وبدأت تضرب الحي اليهودي من مشارف القدس، فارتفعت معنويات سكان القدس ودب الهلع في قلوب اليهود المحاصرين، وبعد ثلاثة أيام استسلم الحي اليهودي كما أسلفنا من قبل.

اتفق عدد من شباب القدس بعد انتهاء معركة الحي اليهودي على أن يتوجهوا إلى بعض العواصم العربية للإلحاح في إرسال بعض القوى العسكرية التي كانت قد وزعتها القيادة العربية العامة في أنحاء فلسطين إلى القدس حتى لا يتكرر الهجوم عليها، وجئت إلى دمشق وقابلت كبار المسئولين، وحكيت لهم قصة القدس فتعجبوا وقالوا: إن الأخبار التي تذاع من إحدى العواصم العربية وتنشرها الصحف تفيد بأن القدس الحديثة قد استسلمت للعرب!.. فكيف تقول إنكم محاصرون في القدس وأنا أحكي لكم القصة على حقيقتها، فاتصلوا بأمين الجامعة العربية الذي كان موجودًا في تلك العاصمة العربية فأكد لهم صدق حديثي، وأن الحالة سيئة، وهنا قال أحدهم: لقد دخلنا معركة فلسطين، ونحن لا نعلم حقيقة قوة الأعداء! فقال الآخر مستدركًا: لقد كنا نعلم

حقيقتهم تمامًا وهذا تقرير صفوت باشا قد تبين لنا انطباقه على الواقع، وهنا قلت له: إذا كنتم تعلمون حقيقة استعداد اليهود فكيف أعددتم جيش الإنقاذ لينقذ فلسطين وهو لا يزيد على أربعة آلاف غير مدربين تدريبًا كافيًا، وليست له قوة جوية ولا مدفعية إلا مدفعية بسيطة جدًّا مع أن في القدس الحديثة وحدها عشرة آلاف مقاتل يهودي؟! فأجابني: إننا لم نرسل جيش الإنقاذ ليحارب بل ليقوم بمهمات مؤقتة!..

فقلت له: ولهذا كان أكثر جيش الإنقاذ يتنزه في مناطق عربية بحتة كنابلس بينما كانت حيفا ويافا وغيرهما تسقط بأيدي اليهود، وكانت مجازر دير ياسين تقع على سمع هذا الجيش وبصره؟!.. فسكتوا جميعًا.

ثم عدت إلى القدس مع الأخ الأستاذ عمر الأميري الذي جاءها لأول مرة.

وبعد أيام قليلة وقعت الهدنة المشئومة وجاءتنا الأوامر من قيادة جيش الإنقاذ بدمشق بالانسحاب من القدس وتسليمها للجيش العربي بحجة أننا سنرسل إلى الجبهة السورية.

العودة إلى دمشق

كنا نشعر ونحن في قلب معارك القدس أن هناك مناورات تجري في الصعيد الدولي وفي أوساط السياسات العربية الرسمية العليا لجعل التقسيم أمرًا مفروغًا منه، ولجعل القدس تخرج من أيدي العرب والمسلمين، فتشاورنا في كتيبة الإخوان فيما يجب علينا فعله بعد صدور الأوامر إلينا بالانسحاب من القدس كما أسلفت، فقر رأينا على أننا لا نستطيع مخالفة الأوامر الصادرة إلينا بمغادرة القدس لاعتبارات متعددة،

وأننا بعد وصولنا إلى دمشق سنرسل بعض الإخوان خفية إلى القدس مرة ثانية لدراسة ما إذا كان بالإمكان عودتنا بصورة إفرادية لنتابع نضالنا في الدفاع عن فلسطين، وعدنا إلى دمشق مع سائر أفراد الحامية وقيادتها التابعة لجيش الإنقاذ، حيث تسلمت قيادة جيش الإنقاذ أسلحتنا، ووعدت باستدعائنا مرة ثانية عند الحاجة.

ووجدت من واجبي أن أكشف الحقائق التي تبينتها بنفسي في هذه المعارك لما وجدته من انخداع الجمهور بما يذاع ويكتب بإيحاء من مصادر عربية رسمية معينة، وألقيت في ذلك محاضرات في كل من دمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية ودير الزور وغيرها من المدن السورية، وذهل الجمهور لما أبديته من حقائق لم تكن معروفة لديهم تمامًا، حتى شك بعضهم فيها، ثم اكتشف الأمر وتبين صدق ما أدعي عن العوامل الخفية والظاهرة التي كانت تسير معركة فلسطين.

هذا بينما كان فريق من إخواننا المجاهدين قد عادوا إلى فلسطين خفية لتنفيذ ما اتفقنا عليه، ومن بين العائدين الإخوان: زهير شاويش، والمرحوم كامل حتاحت، والشهيد ضيف اللّه مراد، وهنالك انضموا إلى فرقة التدمير في القدس حيث قاموا بأعمال بطولية رائعة من نسف الجسور والمستعمرات والسكك الحديدية التي كان يسيطر عليها اليهود، وحسبنا أن نعلم أن سكة حديد القدس ـ اللد لم يستطع اليهود إصلاحها واستعمالها إلا بعد مرور سنة ونصف على تدميرها.

وظل إخواننا هؤلاء على تعاون مع فرقة الإخوان المسلمين المصريين بقيادة الشهيد أحمد عبد العزيز، وهنالك استشهد الأخ ضيف اللّه مراد

في عمل فدائي من أروع آيات الإيمان والفداء» انتهى كلام الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه اللَّه ـ.

إنصاف الناس من شيم الأكرمين

أسهبنا في الكلام عن دور الإخوان المسلمين في مصر وسورية ـ في حرب فلسطين وإن كنا نخالفهم في أمور في منهجهم. فنحن سلفيون من نواصينا إلى أخمص القدمين.

وبالسلفية إعجابنا إذا قلّ بالسلف المعجب

● ولكن ولاؤنا المطلق للَّه ولرسوله... وقد قال ﷺ: «**الكِبرُ مَنْ بَطَر الحق، وغَمَط الناس**»[1].

الإخوان كان لهم القدح المعلّى في الذود عن فلسطين...

وقوم آخرون أصحّ منهم اعتقادًا، وأقرب إلى اعتقاد أهل السنة من الإخوان، ولكنهم قصروا ولم يعطوا الدور الذي كان ينتظر منهم، وإن قالوا: إن هنا حرب مع الصوفية، فلا يقبل هذا منهم... فتصحيح عقائد الناس واجب على اللسان، والذود عن ديار المسلمين حين يقلّ الناصر واجب بل هو واجب الوقت وقد دهم اليهود بلاد المسلمين، وهذان الواجبان لا يتنافران وفقه الأولويات، واليهود على الأبواب يحتم الذود عن المقدسات، ولذا أنكر الشيخ محمد عبد السلام الشقيري على إخوانه ممن يذبُّون عن التوحيد تقصيرهم في واجب الدفاع عن فلسطين والحق معه ـ غفر اللَّه لنا وللجميع ـ.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع رقم (٤٦٠٨)، و«الصحيحة» (١٣٤).

مذابح اليهود للمسلمين في فلسطين

مذابح اليهود للمسلمين في فلسطين

هذه صرخة في وجوه الذين يرعدون ولا يُمطرون، إلى القطيع الذي يُساق إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان، إلى الغرقى التائهون، إلى الفاسدون المفسدون.

هذه صفحات قليلة نهديها لمن كبّلوا أمتنا وخدروها بسراب السلام.

هذا المبحث يكشف طبيعة اليهود القبيحة. يكشف أهدافهم ويكشف أسلوبهم، ويكشف وحشيتهم التي حدثنا عنها رب العالمين منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان.

* قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

* وقال تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢].

* وقال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

ولعل الكشف عن هذا الجانب يلفت نظر الأمة كم قصرت حينما تنكبت طريق الناصح الأمين، وهو الإسلام الذي نبّهها وحذرها، وانساقت وراء الكذبة والمضللين الذين خدروها باسم السلام اختيار

مصيري، وسلّموا للعدو بديار الإسلام وأغروه بالمسلمين ليقتل ويذبح ويعذّب، والأمة أمة الغثاء لاهية عابثة.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

❑ وصدق أدولف هتلر حين قال:

«اليهود فئران قذرة.. وجراثيم طفيلية ماصة للدماء.. وظالمون عتاة. ولو تمكن اليهود من العالم بمساعدة الأفكار الماركسية ستكون نتيجة ذلك خراب الدنيا.. لذا أخذت عهداً مع اللّه ـ عز وجل ـ أن أهب نفسي جهاداً ضد اليهود وقتالاً ضدهم»[١].

وإليك قطرة من جرائم ومذابح أولاد الأفاعي وقتلة الأنبياء وشراذمة الأرض وأبناء القردة والخنازير.

مذابح ارتكبها اليهود ضد مسلمي فلسطين تبكي الصخور الصم، وتصمّ آذان المترفين الذين صدق فيهم قول السفاح الكافر مناحم بيجين.. حينما سُئل عن رد الفعل العربي إثر ضرب المفاعل النووي العراقي فأجاب: «أعتقد أنهم سيتكلمون كثيراً.. ثم سرعان ما ينسون»[٢].. صدق وهو كذوب وإلا فماذا فعل الأشاوس، وهم يرون ذبح أطفالهم وهتك أعراض نسائهم وهدم مساجدهم، وقتل الرُّكع السجود.

---

(١) عن كتاب للدكتور لويس.ل. سنيدر عن هتلر.

(٢) «مذبحة الحرم الإبراهيمي» لمحمد عبد اللّه السمان وحسن عاشور ص(٦١) ـ دار الاعتصام.

«إن جرائم اليهود في فلسطين ضد شعبها العربي فاقت قدرة البشر على المقاومة والاحتمال، فهم يقتلون من يلاقون في بدء زحفهم وبعد احتلالهم، ثم يرغمون الآخرين تحت لذع الرصاص على مغادرة منازلهم وإخراجهم إلى البراري ومناطق احتلالهم، كما حدث في اللد والرملة والقرى المحيطة بهما، وكان اليهود يقصدون إخراج العرب من ديارهم، ولهذا كانت أعمال الإرهاب إحدى وسائلهم لنزوح العرب وهجرتهم، ولعل قرية دير ياسين وما فعله اليهود فيها، وفي قرية ناصر الدين، لعل قصتيهما تكفيان للحديث عن مبررات الهجرة الفلسطينية»[١] .

* **مذبحة دير ياسين**[٢] :

«كانت هذه القرية العربية تعيش في بحبوحة من العيش، يسكنها ٧٧٥ نسمة من العرب المسلمين ويملكون ١٧٠٠ دونم للحبوب والثمار، وبينهم تجار ومقاولون، ويحيون حياة يسر ورخاء، كان فيها مسجدان ومدرستان وناد للرياضة، وكانت محاطة بمناطق يهودية يربو سكانها على مائة وخمسين ألفًا».

اتفق قادة عصابتين من العصابات اليهودية وهما: مردخاي كوفمن قائد قوات عصابة الآرغون في القدس مع ديفيد شالتائيل قائد عصابة الهاجاناه والبلماخ في المنطقة، اتفقا على القيام بعمل مشترك ضد دير ياسين لترويع السكان الآمنين وحملهم على مغادرة قراهم مما يسهل على

(١) «جهاد شعب فلسطين في نصف قرن»، تأليف صالح مسعود أبو بصير، ص(٤٢٤) وما بعدها، وهو يعتمد على «كارثة فلسطين» (ج١ ص١٦٩).

(٢) «دير ياسين قرية صغيرة تقع على مشارف القدس».

اليهود عملية الاستيلاء على الأراضي العربية.

وفي تمام الساعة الرابعة صباحًا من يوم السبت الموافق ١٠ نيسان ١٩٤٨ تحركت القوى الصهيونية بكامل أسلحتها نحو القرية الآمنة، وهي مجردة من السلاح والمجاهدين، وداهموا القرية فحاول أهلها العزل الوقوف في وجه الغاصبين، وفي وجه هذه الوحشية. واستبسلت قلة أمام الجيش الغازي، ولكن دون جدوى فدخل اليهود القرية التي ما كان عدد سكانها يزيد عن ثلاثمائة نسمة معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال. ودارت مذبحة رهيبة استمرت ثلاث عشرة ساعة تمكن اليهود خلالها من قتل ٢٥٠ شخصًا منهم ٢٥ امرأة حبلى، وأخذوا يبقرون بطون الحبالى ويقطعون الأجنة بحرابهم وهم يطلقون صيحات الظفر والانتصار.

كما قتلوا ٥٢ طفلاً دون العاشرة، وقطعت أوصالهم أمام أمهاتهم وقتلوا ما بقي من النساء والشيوخ والعجزة وبعض الشباب الذي كان متواجدًا في القرية. ثم أخذوا بعض النساء العربيات وجردوهن من ملابسهن، وأخذوا يطوفون بهن في سيارات نقل مفتوحة في الأحياء اليهودية في القدس فرحين مهللين مدعين أنهم ينفذون مشيئة الرب إله إسرائيل الذي يأمر شعبه أن يقتل بحد السيف كل من في البلدة رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخًا، حتى البقر والحمير والغنم.. أما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد فيجعلها في خزانة بيت الرب»[١].

(١) «اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار» للدكتور توفيق الواعي ص(١٨٦ ـ ١٨٧) ـ دار ابن حزم.

«وفي اليوم التاسع من أبريل (نيسان) ١٩٤٨ وقبل أن ترسل أنوار الفجر أشعتها، والقرية نائمة هادئة، كان اليهود يهاجمونها من جميع الجهات، أرسلوا طائرة رمتها بعديد من القنابل، وتقدم جنودهم تحميهم خمس عشرة دبابة، وكانت الحملة اليهودية كبيرة جدًّا، ولم يكن المسلحون بالقرية يزيدون عن خمسة وثمانين مسلحًا، وصحا أهل القرية على انفجارات، وهبوا يدافعون عن قريتهم وأراضيهم، واستمرت المعركة إلى الثانية والنصف ظهرًا، لم يثنهم طحن الدبابات اليهودية لبعض أبطالهم، ولا هدمها لمنازلهم، وتحولت المعركة من بيت إلى بيت، ومن ركن إلى ركن وشهد ذلك الصباح بطولات خالدة لسكان تلك القرية التي داهمها اليهود فجأة وعلى غرة»[١] .

«ولم تتخلف نسوة دير ياسين، بل كان يمددن المقاتلين بالذخيرة، ويقفن في صف المعركة تلك المعركة التي لم تهدأ إلا عندما نفدت ذخائر العرب، وعندما نفدت الذخيرة، تمكن اليهود من تفتيش شوارع القرية ومنازلها، واستحلوا القتل والتمثيل في سكانها لا فرق بين الشيوخ والأطفال، وكان بين النسوة خمس وعشرون حاملاً رموهن كلهن بالرصاص وداهموا الدور فقتلوا كبار السن ورموا بجثثهم من الشرفات»[٢] .

---

(١) مما يروى عن بعض أحداث ذلك اليوم التاريخي أن محمد الحاج عايش قاتل بشجاعة حتى استشهد، وكانت والدته السيدة حلوة زيدان ترقبه وتجاوره، فلما استشهد زغردت لاستشهاده، فاستلم بندقيته والده الحاج عايش، وقاتل حتى استشهد، وهناك لم يعد في بيتها أحد، فتسلمت البندقية وقاتلت حتى استشهدت.

(٢) فعلوا ذلك بالحاج جابر مصطفى والحاج إسماعيل عطية وزوجته وحفيدها الطفل الصغير.

«وبينما كانت امرأة عربية تحاول إنقاذ زوجها الكفيف البصر محمد علي خليل وتقوده صارخة ضارعة أطلقوا رصاصهم صامين آذانهم عن دعاء الإنسانية، وبينما كانت السيدة صالحية محمد عيسى مع طفلها الصغير أطلقوا عليها رصاصهم فقتلوهما معًا، وتلك الشهيدة حياة البلبيسي المدرسة في القرية، والتي كانت تسعف الجرحى حاملة شارة الصليب الأحمر أردوها شهيدة وسط جراحها وأناتها، وهناك أُسرٌ أُبيد معظم أفرادها في تلك القرية، في ذلك الصباح الذي لا ينسى ولم يرحموا حتى النسوة العجزة والشيوخ الكبار فقد كان رصاصهم يقصدهم ويحصدهم على مختلف أحوالهم، وقد مثلوا بالقتلى وأرغموا الأسرى على أن يدوسوا جثثهم، وأخذوا سبعة من الأسرى فطافوا بهم شوارع القدس الجديدة، ثم عذبوهم في شوارع القرية على مرأى من أسرهم، ثم غابوا في غياهب المجهول إلى اليوم، واتجهوا إلى نسوة القرية اللاتي فاتهن دور الموت، سلبوا حليهن وكل ما معهن وجردوهن من الحجاب وسيروهن حافيات الأقدام عاريات الرؤوس والوجوه، وأخذت تلك الأشلاء الباقية من الأسر طوابير في شوارع القدس بين سب اليهود وتشهيرهم، ثم أودعن المستشفى الإيطالي في ضواحي القدس الجديدة حيث توزع ذلك الجمع الحزين بين القدس العربية ومختلف القرى».

«إن **مناحم بيغن** قائد عصابة الأرغون التي تولت مع غيرها مجزرة دير ياسين، يتحدث عن دفاع العرب عن قريتهم فيقول: «إن نارهم كانت حامية وقاتلة، وقد اضطر اليهود أن يحاربوا العرب من شارع إلى شارع ومن دار إلى دار»[1].

(١) المرجع السابق ص(٤٢٦)، وهو يعتمد على الثورة، ص(١٦٢) لمناحم بيغن.

«وقد تحدثت الحاجة زينب أحمد موسى إحدى نساء دير ياسين اللائي طوّف بهن اليهود في شوارع القدس، تحدثت إلى المؤرخ عارف العارف فذكرت: أن اليهود أرغموها بعد المعركة على أن تحمل زهاء ثمانين جثة من قتلاهم في ذلك اليوم، أما مجموع ضحايا العرب في دير ياسين فكان مائتين وخمسين شهيداً وشهيدة، ويؤكد الكاتب اليهودي «هاري ليفين» أن الجماعات اليهودية الثلاث اشتركت في تلك المجزرة البشرية سواء في ذلك شتيرن والأرغون وجيش الهاجانا اليهودي، وأفاد الدكتور دي رينيه الذي تمكن من دخول القرية يوم الحادث أن عدداً كبيراً من المدنيين غير المسلحين من الرجال والنساء قد ذبحوا ذبح الأنعام».

لقد حدثت هذه المجزرة، وبلغ من فظاعتها أن أخذ اليهود جثث العرب ورموا بها في الآبار وأقفرت تلك القرية من كل عربي فيها، وكان هناك مائة مسلح من جيش الإنقاذ الذي كونته الجامعة، وأشرفت عليه لجنتها العسكرية يعسكرون في عين كارم القريبة من دير ياسين، وكان صوت الرصاص وصرخات النساء والأطفال يتردد في أصداء أجوائهم، ولكن أحداً منهم لم يتحرك لنجدة دير ياسين، أما الإنجليز فقد صرح وزير مستعمراتهم كريتش جونز في مجلس العموم قائلاً: «إن جميع الحقائق التي توافرت لدينا تثبت هذه الجريمة القاسية، وإنني لا أستطيع سوى التعبير عن الكراهية والاحتقار اللذين تشعر بهما حكومة صاحب الجلالة تجاه هذه الأعمال التي هزت العالم كله[1]، وبينما يعبر الوزير البريطاني عن أسفه وكرهه للجناة، يتناسى أن حكومته الآسفة كانت

(١) المرجع السابق وهو يعتمد على نكبة بيت القدس، (ج١ ص١٧٦).

المسئولة عن الأمن دوليًّا وقانونيًّا حتى الخامس عشر من مايو (آيار)، وأن هذه المجزرة كانت في التاسع من أبريل (نيسان) تحت سلطان علم بريطانيا، وبالسلاح الذي كونته ووزعته طوال انتدابها، بل إنه يتناسى أن الجيش البريطاني والبوليس الخاضع للضباط البريطانيين كانوا يسمعون المعركة ويتابعونها من بعد، ولم يتحركوا لإنهائها أو حتى لإنقاذ الأطفال والنساء والمدنيين غير المحاربين، ولطالما أسرعت جيوش بريطانيا تفك حصار اليهود وتحارب العرب في كل موقعة تدرك أن جانب العرب فيها هو الغالب.

وفي عام ١٩٥٢ تكشفت في محكمة إسرائيلية حقائق رهيبة عن تلك المعركة، فشهد السفاح «مردخان نوفمان» واضع خطة مذبحة دير ياسين أنه اتفق مع «دافيد ليثيل» على أن تشترك عصابتا الأرغون وشتيرن تحت حماية مدافع الهاجانا، وأنهما تابعا المعركة التي استمرت من الرابعة صباحًا حتى الخامسة مساءً من قرية جبعات شاؤول.

هكذا مرت معركة دير ياسين بعد يوم واحد من استشهاد البطل الفلسطيني عبد القادر الحسيني في معركة القسطل، وتركت هذه المذبحة عديدًا من الأطفال الأيتام والنسوة الأرامل[1].

---

(١) زار الكاتب صالح مسعود ـ رحمه اللَّه ـ ومعه بعض الزملاء من القدس عام ١٩٦٤ الآنسة هند الحسيني التي أشرفت منذ تاريخ النكبة على تربية وتعليم أطفال القرية الحزينة، زاروها في دار الطفل ولقد راعهم منظر أولئك الأطفال الصغار الذين شبوا ونموا وتخرج بعضهم وما زال بعضهم يواصل الدراسة، واستمعوا إليهم ينشدون أهازيج العودة، ويتغنون بدير ياسين ويافا وحيفا وتلك المرابع الخالدة السليبة.

«وسيبقى هذا العدوان لطخة عار في جبين الصهيونية إلى الأبد وأصدق وصف لهذه المذبحة ما أورده جاك دي رينيه كبير مندوبي هيئة الصليب الأحمر حين عرض حياته للخطر واستطاع أن يصل إلى القرية ويرى بعيني رأسه عواقب المأساة، ومما قاله: لقد ذبح ثلاثمائة شخص بدون أي مبرر عسكري، أو استفزاز من أي نوع كان وكانوا رجالاً متقدمين في السن ونساء وأطفالاً رضعًا اغتيلوا بوحشية بالقنابل اليدوية والمدى، وبأيدي قوات أرجون اليهودية ـ ووصف رينيه القوات اليهودية التي لقيها في مكان الحادث فقال: إنها تألفت من رجال ونساء مسلحين بالمسدسات والمدافع نصف الرشاشة والقنابل اليدوية ومدي كبيرة كان معظمها لا يزال ملطخًا بالدماء، بل إن شابة أرته مديتها وهي لا تزال تقطر دمًا ـ وكأنها علامة على النصر».

«وقد شق رينيه طريقه إلى دور القرية فرأى الجثث المشوهة للضحايا ومنهم فتاة عمرها عشر سنوات وعجوزان ما زلن يتنفسن بالرغم من أنهن جرحن وتركن لكي يدركهن الموت».

«وهكذا نجحت العصابات الصهيونية من مذبحة إلى أخرى في طرد مليون عربي بين مسلم ومسيحي من قرابة اثنتي عشرة مدينة وخمسمائة قرية في عام ١٩٤٨».

«ومذبحة دير ياسين نذكرها هنا؛ لأنها أصبحت نموذجًا أوليًّا لعدد من الغارات الإرهابية الصهيونية التي حققت أهدافها في تفريغ فلسطين من أصحابها العرب».

* **مذابح أخرى:**

«وتلك قرية ناصر الدين من أعمال طبرية التي مسحها الصهيونيون من الوجود، وتلك مذبحة بيت الخوري ٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ حيث قتل اليهود من استطاعوا أسره من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال».

«وتلك قرية الزيتون حيث جمع اليهود في أوائل مايو (أيار) بعض الرجال والشيوخ مع نسائهم وأطفالهم في جامع القرية ثم بثوا الألغام في جوانب المسجد فتهدم على من فيه، وتلك قرية شرفات التي نامت في السابع من فبراير (شباط) ١٩٥١ وادعة هانئة، فهاجمها فصيل من جيش اليهود، وبث فيها الألغام والقنابل، فقتل عديدًا من سكانها بينهم ثلاثة نسوة وخمسة أطفال لا يزيد عمر أكبرهم عن ١٣ عامًا».

«وتلك قرية نله التي هوجمت في التاسع من فبراير (شباط) ١٩٥١ وتسرب أحد اليهود فقتل في بيت واحد رجلاً وطفلاً وطفلة، وعادوا لها من جديد في هجوم ثان فقتل وجرح عديد من سكانها».

* **مذبحة شرفات:**

في ٧ شباط سنة ١٩٥١ تسلل اليهود إلى بيت المختار «العمدة» في القرية والبيوت المجاورة وكثير من البيوت الأخرى ونسفوها على من فيها من الرجال والنساء والأطفال.

* **مذبحة قرية بيت جالا:**

في ٦ كانون الثاني سنة ١٩٥٢ تسلل عدد من دوريات اليهود إلى قرية بيت جالا المجاورة لبيت لحم مهد المسيح ـ عليه السلام ـ فنسفوا

عدة منازل من القرية الآمنة على من فيها من النساء والأطفال والشيوخ.

* **مجزرة قبية:**

وهي قرية عربية تقع على بعد حوالي كيلو مترين شمال القدس في المنطقة الغربية، ومع ذلك فقد هاجمها اليهود بفوج كامل التسليح ليلة ١٤ تشرين أول سنة ١٩٥٣، ونسفوا منازلها بالمدفعية الثقيلة والديناميت وقتلوا السكان الآمنين العزل من السلاح وقتلوا النساء والأطفال. وقد آلم هذا العمل الوحشي كبير مراقبي الهدنة الجنرال «بنيكة» فوضع تقريراً منصفًا وشديداً عن المذبحة فكان جزاؤه أن أعفي من منصبه لصلة اليهود بالإدارة الأمريكية.

قرية تُدَكّ بالمدافع ويمثِّل مشاة اليهود بسكّانها، ويذّبحوا نساءها وأطفالها في صورة وحشية موغلة في الهمجية.

«وتذكر جريدة يهودية تلك الأحداث، فتقول: «إن السلطات اليهودية أعدمت ١٦ شابًّا من قرية عيلبون (قضاء الناصرة) برصاص الرشاشات بعد أن اختارتهم من بين ذكور القرية التي غادرها سائر الشبان عبر الحدود اللبنانية، ولم يبق فيها غير الشيوخ والعجزة، وقد أحرق الجنود اليهود عائلة آل زريق في داخل بيتها إرهابًا لسائر السكان لحملهم على الخروج من البلاد».

❑ وقد أثبت القائد عبد اللّه التل في كتابه «خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية» ذلك الحادث المرعب الذي نشرته الصنداي أوبزرفر اللندنية في الحادي عشر من يونيو (حزيران) ١٩٥٠ من مراسلها في بيروت فيليب توينبي، والذي يقول فيه: «أحاط بوليس إسرائيل بمائة

عربي وسلمهم إلى الجيش بحجة أنهم خالفوا نظام الحدود، وظل الجنود يسوقونهم في ساعة مبكرة من الصباح إلى ساعة متأخرة من الليل إلى مكان سحيق خطر على الحدود، وقد عصبوا عيونهم، وكانوا إذا تلكئوا في السير ضربوهم على وجوههم وظهورهم بعصي غليظة من المطاط، ومنعوا عنهم الماء، ثم رفعت العصابات عن أعينهم ودفعهم الجنود إلى الجري، وأخذوا يطلقون النار فوق رؤوسهم وبين أرجلهم، وكانت المنطقة التي أرغموا على الجري بها هي وادي عربة المرعب الواقع جنوب البحر الميت حيث لا يستطيع الحياة فيه إلا الحشرات، وقد ضل الطريق أغلبهم عدا السعداء منهم الذين وجدهم بعض الأعراب فأخذوهم إلى أقرب مخفر للحدود الأردنية».

«ويضيف القائد عبد اللّه التل أن المراسل يذكر أنه كان بين هؤلاء المنكودين أطفال لم يتجاوزوا الثامنة وشيوخ جاوزوا الثمانين، وأن الجنود سكبوا الماء الذي كان محمولاً في سياراتهم أمام الأطفال والشيوخ الذين كانوا يتلهفون على قطرة ماء لإطفاء لهيب العطش القاتل، والذي زاده أوارًا حرارة الجو اللافحة في وادي عربة».

❑ «وتلك قرية نحالين التي حاول اليهود هدمها في ليلة من مارس (آذار) ١٩٥٤، ولكن الحرس الوطني الفلسطيني وقسمًا من الجيش الأردني حالا دون تدميرها كلها، ومع ذلك استطاعوا أن يقتلوا ثلاثة من جنود الجيش وثمانية من أهل القرية، وأن يجرحوا أربعة عشر رجلاً بجراح خطيرة».

«وهناك إحصاء أجرته الجامعة العربية يفيدنا أن ضحايا الفلسطينيين

منذ الشهر الخامس لعام ١٩٥٠ أي بعد النكبة بعامين إلى العاشر من شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٦ قبيل العدوان الثلاثي، كانوا يمثلون من الشهداء ما يزيد عن ٥٥١ شهيداً من ٣٢ مدينة وقرية على مختلف الحدود العربية».

* **مذبحة غزة:**

في ٢٨ شباط سنة ١٩٥٥ تسلل الجنود اليهود إلى معسكر اللاجئين في قطاع غزة وسلطوا نيران رشاشاتهم وقنابلهم على الآمنين العزل في خيامهم وقتلوا ٣٩ عربيًّا وجرحوا ٣٣، وكانوا يقصدون قتل الجميع ولكن اللّه سلم.

* **مذبحة شاطئ طبريا:**

في ١١ كانون الأول ١٩٥٥ هاجم اليهود المخافر على شاطئ طبريا الشرقية وقتلوا غدراً ٥٦ عربيًّا بين عسكري ومدني وامرأة.

* **مذبحة غزة الثانية:**

في ٥ نيسان ١٩٥٦ سلط اليهود نيران مدافعهم على مدينة غزة الآهلة بالسكان وكذلك فعلوا في قرية دير البلح وعيسان وخزاعة، ونجم عن ذلك العدوان استشهاد ٦٠ عربيًّا من بينهم ٢٧ سيدة وأربعة أطفال وجرح ٩٣ منهم ٣٢ سيدة و٨ أطفال.

* **مجزرة غرندل:**

في ١٣ يوليو سنة ١٩٥٦ قتل فيها ١٢ عربيًّا.

* **مذبحة حوسان:**

في ليلة ٢٥ أيلول ١٩٥٦ هاجم اليهود قرية حوسان داخل الحدود

الأردنية وقتلوا ٣١ عربيًّا ما بين رجل وامرأة وشيخ وطفل.

* **مذبحة قلقيلية:**

في ١٠ تشرين أول سنة ١٩٥٦ هاجم اليهود قرية قلقيلية في الضفة الغربية الأردنية واستخدموا المدافع الثقيلة فقتل ٢٥ عربيًّا وجرح ١٣.

* **مجزرة كفر قاسم:**

في ٢٨ تشرين أول سنة ١٩٥٦ غداة العدوان الثلاثي على مصر وقف اليهود على أبواب القرية بغير علم من الفلاحين المسالمين وأخذوا يحصدون كل من يمر بهم من أهل القرية. وقتل في هذه المجزرة ٥٧ عربيًّا منهم ١٧ امرأة كما جرح ٢٥ شخصًا.

«كانت الحياة في القرى العربية في الأرض المحتلة تسير وفق نظام مستمر يقضي بمنع التجول ابتداء من السادسة مساء، وكان فلاحو كفر قاسم يغادرون منازلهم إلى الحقول، فلا يحين الموعد الرسمي إلا وقد وصل واستقر كل منهم في بيته إلى الصباح التالي، وفي الثامن والعشرين من أكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٦ أصدر اليهود أمرًا إلى عمدة كفر قاسم بأن الجميع يجب أن يكونوا داخل منازلهم في الخامسة مساء، قال العمدة: «إننا في الخامسة إلا ربعًا الآن، وقد تعود الفلاحون العودة في السادسة إلا ربعًا، وتوجد استحالة في إبلاغهم هذا الأمر المفاجئ ولم يبق إلا ربع ساعة، إني أرجوكم إعطاءنا فرصة نصف ساعة لإبلاغ الجميع الموعد الجديد»، ولكن القائد اليهودي ششنة شادمي كان يبيت أمرًا وجاء رده: «هذا أمر عسكري لا بد من تنفيذه، أخطر القرية واترك لنا أمر من هم في الحقول».

«وكجري العادة كل يوم أخذت جموع العرب الصغيرة تعود من حقولها في الخامسة والنصف قبل نصف ساعة من الموعد المحدد عادة لمنع التجول، وبعد نصف ساعة من الموعد الجديد الذي لم يعلموه ولم يبلغ إليهم، وعلى أبواب القرية استعد ضابطان وأحد عشر جنديًّا يهوديًّا بمدافعهم الرشاشة التي فتحوها على الأبرياء، فسقط منهم ٥٧ عربيًّا، كان منهم سبع عشرة امرأة وطفلاً وجرح ٢٧ شخصًا.

كانت هذه الجريمة مصنوعة بيد ضباط ثلاثة من عصابات اليهود، وهم القائد «ششنة شادمي» والرائد «مالنكي» والملازم «غبريال دهان» والشاويش «شالوم دفير» وعشرة من الجنود.

وأمام هياج الرأي العام العالمي، تظاهرت إسرائيل بسخطها على الفاعلين، وصدرت أحكام على بعضهم: ١٧ سنة سجنًا، وعلى البعض الآخر بـ ١٣ سنة سجنًا، ولكنها تمثيلية سبق لليهود أن مثلوها في دير ياسين حين أصدرت بيانًا استنكاريًّا، ثم بعد عامين ثبت أن المؤامرة كانت رسمية، وسبق لها أن اغتالت الكونت «برنادوت» في القدس الجديدة وأصدرت بيانًا استنكاريا، ثم ثبتت موافقتها، وأنها لم تتخذ ضد الفاعلين أي إجراء».

«على أن الصحف اليهودية ذكرت أن غرف المسجونين من هؤلاء السفاحين تحولت إلى غرف من فنادق الدرجة الأولى، وأنهم يغادرونها مساء كل يوم إلى ذويهم ومنازلهم حتى أن أحدهم تزوج خلال مدة سجنه القصيرة ولم يمض أحد منهم مدة العقوبة، ولا ربعها، بل عادوا إلى وحداتهم العسكرية برتب أكبر».

لقد دار حديث صحفي مهم مع الضابط اليهودي «مالنكي» يثبت كم هي موغلة في الحقد روحهم وآراؤهم بالنسبة لنا، سأل الصحفي الضابط المذكور فدار الحديث على الوجه التالي:

س ـ هل أنت نادم على ما فعلت؟

ج ـ بالعكس لأن الموت لأي عربي في إسرائيل معناه الحياة لأي إسرائيلي والموت لأي عربي خارج إسرائيل معناه الحياة لإسرائيل كلها.

س ـ ماذا كان شعورك بعد الحكم عليك؟

ج ـ كنت مطمئنًّا للمعاملة التي سأعامل بها؛ لأن العمل الذي قمت به واجب وطني وديني.

وسئل الملازم «غبريال دهان»:

س ـ كم عربيًّا اصطدت في المجزرة؟

ج ـ ١٣ فقط.

س ـ ماذا كان شعورك أثناء المجزرة؟

ج ـ كنت متعطشًا للدم العربي وقد شربت حتى سكرت.

س ـ هل في نيتك معاودة الشرب؟

ج ـ إذا سمحت الظروف.

وسئل الشاويش شالوم:

س ـ كم عدد ضحاياك في المجزرة؟

ج ـ ١٥ لقد ضربت الرقم القياسي وكان حظي أحسن من زملائي في اختيار المكان الذي وقفت فيه»[١].

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٤٤٦، ٤٤٧)، «خطر اليهودية» ص(٣٣٠ ـ ٣٣١).

* مذابح العدوان الثلاثي :

هذه أعمال اليهود في السلم فما بالنا في الحرب، وقد واتت الفرص وساعدت الظروف، وممكن أن يكون أضعاف ذلك في ظلال الحرب وفي جنبات النزال العسكري الذي يفرض كل حين على الدول الإسلامية المستضعفة الذليلة بأسباب كثيرة ليس هذا مجال سردها.

ففي أيام العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ تشرين أول سنة ١٩٥٦ ولغ الإسرائيليون في الدماء العربية والإسلامية، وفتكوا بالكثير ممن يريدون التخلص منهم ومن القرى التي يريدون التخلص منها حسب المخطط المرسوم.

* مذابح غزة وخان يونس :

تقدم الصهاينة نحو خان يونس، وبدءوا بتطويق الأحياء وتفتيشها، وأخذوا ينتقون الرجال، ويأخذونهم إلى البرية قرب مقابر جماعية معدة لذلك ويطلقون عليهم النار وجبات وجبات. واستبيحت القرية خمسة أيام لا يخرج أحد ولا يتجول أحد والقتل مستمر، والنهب مستمر. وما إن خرج من بقي من النساء والشيوخ حتى وجدوا الأرض قد ملئت بالجثث المتعفنة، والتي تنبعث من المقابر الجماعية، وكل قبر يحمل الكثير الكثير.

يقول الفلاحون بعد ذلك أن المحاريث كانت تكشف عن مقابر كثيرة في الأرض، وكانت تصطدم بالجثث والثياب المدفونة. وحين جاء الشتاء وفاضت السيول ظلت تكشف عن الكثير كذلك، ويقول أحدهم

الذي فقد ولده وظنه خارج القرية: لولا أن السيل كشف عن سترة ولدي سليمان البنيّة التي كان يلبسها ما عرفته من كثرة ما شوّه الجسد حيث إن كثيرًا من معالمه قد عبث بها الموت. . .

وقد احتضن والد سليمان السترة البنية وظل يجهش بالبكاء الذي لا يعلم لوعته إلا اللّه سبحانه.

ويظل القتل الجماعي والفردي مستمرًّا استمرار التعتيم الإعلامي واستمرار انشغال الأمة العربية والإسلامية وانشغال العالم بأخبار هذا العدوان، ولكن المضيعين داخل الأرض السليبة لا ينشغل عنهم العدو بشيء أبدًا بل ينفرد بالفريسة المجردة من السلاح والقوة.

وتتوالى القصص الغريبة: رأت دورية إسرائيلية طفلاً يلعب لا يتجاوز التاسعة من عمره فقفزت إلى رأس الجنود فكرة رهان. . من منهم يستطيع أن يصيب ساق الطفل.

انطلقت الرصاصة الأولى بين قدمي الطفل الذي هرب فزعًا. . انطلقت الثانية. . أما الثالثة فقد استقرت في ساق الطفل اليمنى. وبينما كان الطفل يتلوى في دمه ويتكوم من الألم كان الجنود الصهاينة يقهقهون فرحًا؛ لأن أحدهم كسب الرهان.

وتمر خلسة أخت المدرس صلاح اللبابيدي ببيت أخيها الذي انقطعت أخباره، ولما دخلت وجدت طفليهما يغوصان في دماء والديهما ويبكيان بصوت ضعيف ولوعة للذين لا يستجيبان أبدًا، الطفلة كانت لا تتعدى السنة والطفل كان يقارب السنتين، أما الأم الحسناء القتيلة فكانت شبه عارية. وقال الراوي: وهذا بعض القصة.

* مجزرة رفح يرويها الناجون منها :

يقول محمود أبو هلال: ليلة ١٢/ ١١/ ١٩٥٦ نادى الصهاينة في مكبرات الصوت على جميع الذكور من الأهالي من سن ١٥ حتى سن ٧٠ سنة يتجمعون الساعة الخامسة صباحًا بالمدرسة الأميرية الابتدائية للبنين في رفح، وهي ذات ساحة متسعة وسور عال مبني بالحجر. وكان الناس لا يستطيعون التخلف فالبلاد محتلة والجيش الصهيوني مستعد. وبالفعل في الصباح الباكر سارع الناس إلى المدرسة المذكورة والصهاينة على جانبي الطريق يشبعون الناس ضربًا وركلاً حتى وصل العدد في المدرسة إلى حوالي عشرين ألفًا أمروا أن يجلسوا القرفصاء فكانوا بحرًا بشريًّا هائلاً لا يعرف له مصير، ثم انطلق الصهاينة إلى القرية يقتلون كل من تخلف.

ولقد عثروا على أولاد تقل أعمارهم عن ١٥ سنة، وعلى شيوخ تزيد أعمارهم عن ٧٠ سنة، ولكنهم لم يعفوهم من القتل أمام أمهاتهم وأمام النساء.

ثم رجعوا إلى الأمواج البشرية التي تنتظر في المدرسة فصاروا يختارون منهم من يشاؤون.

ثم أمروا الناس أن يسيروا عشرة عشرة في محاولة لمعرفة الجندي العربي من مشيته، ثم يأخذونه للقتل، وأثناء ذلك كان أزيز الرصاص لا يهدأ فإذا النساء والصبيان في رفح يخرجن في مظاهرة الموت ويزحفن إلى المدرسة رغم الرصاص الذي يحصد الكثير حصدًا ويتجمعن حول المدرسة، وينهدم السور ويصير كل يبحث عن زوجه أو زوجته وولده

ويلجأ النساء والصغار والكبار إلى الحجارة ليقاتلوا بها الموت والرصاص.. ويهرب اليهود من هذا الطوفان.

وانجلت المعركة عن ساحات من الجثث والأشلاء[1].

وما زالت المذابح مستمرة في كل مكان تصل إليه اليهود أو يصل إليه أحد أعوانهم في القرى وفي المدن وفي المخيمات في كل مكان.

مذابح تل الزعتر بيد الصليبيين واليهود ... فملة الكفر واحدة:

تل الزعتر من مخيمات الفلسطينيين في لبنان يقع في ضاحية شرق بيروت تتبع جبل لبنان وشماله الدكوانة، وجنوبه الحازمية، وشرقه بيت مري وبرمانة، وغربه سن الفيل.

وكان من أوائل المخيمات الفلسطينية التي تعرضت لهجوم بعد هجوم لسنين طويلة... وكل هجوم كان يُحطّم معاني حضارة الإنسان وقيمه. وقد تعرّض تلّ الزعتر منذ العاشر من يونية ١٩٧٦م، لأكثر من ثمانية وسبعين هجومًا، واستمر حصاره أكثر من خمسة وخمسين يومًا، يقود الحصار والهجوم حزب الأحرار الوطنيين الذي يرأسه كميل شمعون، ثم انضمّت إليهم الكتائب وسائر التنظيمات المسيحية في لبنان، مثل حرّاس الأرز والتنظيم، ثم ساندتهم قوى أخرى.

---

(١) طالع في هذا الموسوعة الفلسطينية في كل بلد من البلدان التي ذكرناها، وهي مرتبة على حروف المعجم كل بلد في مادتها. كما يراجع كتاب «النكبة» ـ عارف العارف (١/١٥٦ و١٦٩) وما بعدها ط المطبعة العصرية، كما يطالع الصهيونية والنازية ـ معين أحمد محمود ص(٢٤) وما بعدها، ط المكتب التجاري، بيروت. و«الصهيونية والنازية» ص(٢٣٤) وما بعدها.

وقد سقط التل بعد معارك دامية كشفت عن بطولات أذهلت العالم، وكشفت عن ثلاثة آلاف وخمسمائة قتيل من سكان تل الزعتر، كما أنّ عائلات كثيرة أُبيدت بكاملها. سقط تل الزعتر في ١٢ آب (أغسطس) ١٩٧٦م. فإلى ملحمة تلّ الزعتر[١].

❁ جولة في تل الزعتر ❁

رُدَّ السيوفَ إلى الأغمادِ وانتظِر
مَا ينقُلُ «التل» من هَولٍ ومن خَبرِ
هُنَاكَ... دُنيا المُرُوءَاتِ التي انتفضت
عليكَ في وثْبةٍ وهَّاجَة الظفَرِ
جَرَحتَ أطراف لِينٍ من إباءَتِها
في لمحَةٍ من أناة الصبرِ والحَذرِ
وللإبَاءَةِ لينٌ وهي شامخةٌ
على رَعَادِيدَ مَالوا أو عَلى غُدُرِ[٢]
حتى انجَلَى صَبرُهَا عَن وَمضِ مُحرِقةٍ
من الصوَاعِقِ أو خطفٍ من الشَّررِ
وَعُدتَ هَرولةً حَيرانَ مُنكمِشًا
تلوذُ في عَثَراتِ الذُلِّ والصغَرِ

(١) ديوان «موكب النور» لعدنان النحوي ص(١٣)، و«ملحمة فلسطين» للنحوي ص(١٣٣ ـ ١٤٦).

(٢) جمع غدور وهو كثير الغدر.

يَا «ابنَ الكتَائِبِ»...! وَيلٌ من مُجالَدَةٍ
تَرُومُهَا! فانظُرِ الأحدَاثَ واعتَبِرِ
رُدَّ السُّيوفَ على أثلامِهَا طُويَت
إن لَم يَعُد لِحَيَاءٍ فيكَ مِنْ أثَرِ
هي المُرُوءَةُ! خَجلَى... كُلمَا نظرَت
إلَيكَ أغضَت بِطَرف عَنْك مُنكَسِرِ
هي الرُّجُولَةُ غَضبى!... كُلمَا التَفَتَت
إلَيكَ مَالَت بِعَين السُّخطِ والكَدَرِ
فَلاَ السيوفُ التي جَرَّدتَ مُنجيَةٌ
وَلا الوُجُوهُ التي أخفَيتَ بالعُذُرِ[1]
مَضَى بِأقنِعَةٍ خَرسَاء مُستَتِرًا
خَلفَ الصَّلِيب غَرِيبُ الوَجهِ والصُّوَرِ
أزِح صَلِيبَكَ... نَنظُر أي مُقتَحِمٍ
على الحِمَى، أو دَعِيٍّ كاذبٍ أشِرِ.
مَا بينَ كُفرٍ صَرِيحٍ في عَدَاوتِهِ
وَبينَ دَسٍّ على الأديَانِ مُعْتَكِرِ

❀ ❀ ❀

«مُخَيمَ التَّلِّ» كَم وَشَّيتَ ناحِيَةً
وكَم نَثرتَ على الأطلالِ من زَهَرِ

(١) جمع عذير وهو النصير.

تَـنَـفـسَ الـصُـبـحُ والآمَـالُ زَاهِـرَةٌ
تَـفَـتَّـحَـتْ عـن شـبـابٍ زَاهـرٍ عَـطِـرِ
رَعـيـتَـه زَمَـنًـا فـي ظـلِّ حـانِـيَـةٍ
مـن الـضُـلـوعِ وشـوقٍ بـالُمـنَـى خَـضِـرِ
غَـذَوتَـهُ مـن لِـبـانِ الحَـقِّ مـكـرُمَـةً
هـدي الحَـنـيـفَـةِ فـي قـلـبٍ وفـي بَـصَـرِ
نَمـا...! فـكـانَ الـفَـتَـى! أنـظـارُهُ عـلِـقَـت
هُـنـاكَ.. بـالـروضِ، بـالـسـاحَـاتِ بـالـنـهـرِ
بِـزَقـزَقَـاتٍ عَـلـى الأغـصَـانِ لاغِـيَـةٍ
بـجَـدوَلٍ ضَـاحِـكٍ بـالـوردِ مُـؤتـزِرِ
بِـسَـاحَـةِ المَـسـجـد الأقـصَـى ورابِـيَـةٍ
ومُـرتَـقـى مُـعـشِـبٍ مـنـهـا ومُـنـحَـدرِ
بِـالـوَحِـي، بِـالـنُّـورِ، بـالـتـاريـخِ مـن حِـقَـبٍ
زَخَّـارَةٍ بِـعـطَـاءِ الحَـقِّ، بـالـسِّـيـرِ
يَـهُـزه الـشـوقُ والـتـحـنَـانُ مُـضـطـربًـا
إِلَـى حَـنـانٍ وشـوق فـي الـرُّبَـى نـضِـرِ
هُـنـاكَ... تَـخـتـصِـرُ الأزمَـانَ نَـظـرَتُـهُ
وتَـلـتَـقِـي عُـصُـرُ الـتـاريـخِ بـالـعُـصُـرِ
هُـنَـاكَ... أنـظَـارُهُ ظَـلَّـت مُـعَـلَّـقَـةً
يُـقـلِّـبُ الـطـرفَ فـي دُنـيـا مـن الـذِّكَـرِ

وَظَـهـرُهُ لِـذَوي قُـربَـاهُ مُـنـكَـشِـفٌ
عـلـى مَـواثِـيـقَ أغـنـتـهُ عـنِ الحَـذَرِ
حـتـى دَوتْ خـلـفَـهُ أصـدَاءُ نـازلَـةٍ
وأطـبـقَـت حَـولَـهُ مـحـمُـومَـةُ الـنُـذُرِ
هـزتـهُ وانـتـزَعَـتـهُ فـاسـتـدَار لـهـا
مـسـتـبـشِـرًا بِـقَـضَـاءِ الـلَّـه والـقَـدرِ
نَـادَتـهُ رابـيَـةٌ مـن خَـلـفِ رَابِـيَـةٍ
لمَ التفَاتَتُكَ الغَضبى...؟ إلى خَطرِ...
غـدًا سَـألـقَـاكِ فـي بُـشـرى مُـعَـطَّـرَةٍ
مـن الـشـهـادَةِ أو فـي زَهـو مُـنـتَـصِـرِ
وعـدًا مَـن الـلَّـه إحـدَى الحُـسـنَـين لـنَـا
وَوعـدُهُ الحَقُّ...! جدَّ الأمرُ... فانتظِري
وَهَـبَّ مـن خـيـمَـةٍ مُـلـتَـاعَـةٍ ومَـضـى
لخـنـدقٍ مـائِـجٍ فـي الـدارِ مُـصـطَـبِـرِ

❁ ❁ ❁

تَـفَـجَّـرَ الحِـقـدُ أهـوَالاً مُـدَمِّـرَةً
تَـمُـورُ أحـشـاؤُهَـا مَـورًا عـلـى سُـعُـرِ
تُـلـقِـي بـهِ حُـمَـمًـا سـوداءَ قـاتِـمَـةً
وتـنـجَـلـي عـن لـظًـى فـي الـدارِ مُـسـتَـعـرِ

يَطوي النهارَ لَيالٍ من دَواكِنِهَا
ومن سَوادٍ على الآفاقِ مُنتَشرِ
وأطبقت لُجَجُ الأحقادِ وانتَشَرت
تُقيمُ حولك من سُورٍ ومن جُدرِ
وَمَا دَرت أن عِندَ اللَّه كاشِفَةً
لكُلِّ مُنغلقٍ من كيدِهَا القذرِ

❁ ❁ ❁

صَبَرت في خَندَقٍ دامٍ تشُقُّ بهِ
دربًا على صُدُقٍ للَّه أو صُبرِ
أراعَكَ الطفلُ لم تدفَع براءتُهُ
ولا ابتسَامَتُهُ وحشًا من البشرِ
جَرَى ليلقَاهُ مُغتَرًّا بطلعَتِهِ
يظنهُ جَارَهُ للمأزَقِ الخطِرِ
«عَمَّاهُ» ما لَمَست أطرافَ مَرحَمَةٍ
ولا حَنَانَ قريبٍ أو أخي حَضرِ
فَحَزَّهُ وَرَمى الأشلاءَ واختَلَطَت
مَع ابتسامَتِهِ أصدَاءُ مُحتَضرِ
أمِ الصَّبايَا إذا هَبَّت أو ابتدَرَت
عزائِمًا في ظِلالِ الحُسنِ والخَفَرِ
تَصُوغ من حلباتِ المجدِ حِليتهَا
وتنتقِي لليالِيهَا من الدُّررِ

ضَفَائِرُ الغارِ مالت في تَموُّجِهَا
على الميادينِ ظلاًّ غيرَ مُنحسرِ
حَنَّت لها خطراتُ الغيدِ واضطربت
لذكرِ أمجَادهَا خفَّاقةُ الأزُرِ
أمِ الشكَالَى وقد ألقت على غُصَصٍ
أفلاذَهَا فتلقت غُصَّةَ الخبَرِ
أم اليتامَى على حد الظبا انتشرت
أشلاؤُهَا قطعًا موصُولةَ الصُّورِ
صبرًا فَتى «التلِّ»! كم أطبقتَ من هُدُبٍ
عَلى شهيِّ المُنَى في دربكَ الوعِرِ
حتى جلوت على الميدانِ صُورَتَهَا
نَديةَ الذكرِ أو مُخضلَّةَ العُمُرِ
كتائبَ الغدرِ! لا روِّيتِ حَاقِدَةً
من النفُوسِ ولا أشبعتِ من نَظَرِ
أمامكِ «التلُّ» روَّى من مشاهدِهِ
طرفًا يَعُد خاسِئًا بالعَارِ والكَدَرِ
ظننتهِ هيِّنًا لانت مسَارِبُهُ
فَارتَدَّ كالطودِ يروي آيةَ العِبَرِ
كم جولةٍ حَشدت فيهَا ظُنونُهُم
هولاً منَ الكبرِ عَادت عَودَ مُندَحِرِ

تجـرعُـوا حَـسَـراتٍ مِـنـكَ قـاتِـلَـةً
ولـوَّعـتـهُـم لـيـالـي الـنَّـحـسِ والـنُّـكُـرِ

❁ ❁ ❁

صَـفـائِـحَ الـزنـكِ! كـم أفـنـيـتِ قُـنـبُـلـةً
وكـم أبَـيـتِ عـلـى الأحـدَاثِ والـغِـيَـرِ
نـشـرتِ مـن ظـلـكِ الُمـمـتَـدِّ أجـنِـحَـةً
تَـضُـم شَـاردَةَ الآمَـالِ والأثُـرِ
شـبـابُـكِ الـصـيـدُ أغـنَـتـهُـم خِـيَـامُـهُـم
عـنِ الـقُـصـورِ وعـنِ لـهـوٍ وعـن سـمـرِ
تـطـلَّـعُـوا... فـاشـرَأبـت مـن تَـطـلُّـعِـهِـم
إلـى الـعُـلا أنجُـمٌ مَـشـدُوهَـةُ الـنـظـرِ
رَأتِ عُـلاهَـا تـدَنَّـى عـنـهُـم ومـضَـوا
إلـى عُـلا مُـشـرِقٍ بـالـنُّـورِ مُـزدَهِـرِ
هـنـاكَ...! فُـتـحَـتِ الجَـنـاتُ وائـتَـلَـقَـت
لـهـم مَـقَـاعِـدُ مـن نُـورٍ ومـن زَهَـرِ
فـأقـبـلُـوا لـنَـعِـيـمِ الخُـلـدِ صَـادِقَـةً
نُـفـوسـهـم زُمَـرًا مَـوصُـولَـةَ الـزُّمَـرِ
مـنَ الألـى صَـدَرُوا عـن فِـطـرةٍ ومـضَـوا
عـلـى هُـدَى الـلَّـه مـن آيٍ ومـن سُـوَرِ

على مَدَى الدهر كم جَالت مواكِبُهُم
مَضفورَةَ الغَارِ أو وهَّاجَةَ الغُرَرِ
مَواكِبَ الحق! جُوزي كل ضَائِقَةٍ
وَرَجِّعِي زَهو مَجدٍ غَيرِ مُندَثرِ
لا تحزُنَنكِ أرحَامٌ إذا قُطِعت
حِينًا وَصِرتِ الآسَادَ كالهِررِ
لم يحفظُوا العهدَ فارتدت عَواقِبُهُم
إلى مَزَالقَ من نَارٍ ومن حُفَرِ

❀ ❀ ❀

تَجُرُّ في وَحشَةِ الظلمَاءِ ذِلتَهَا
على صَدى نَازِف من جُرحِهَا الغَبِرِ[1]
نَهضت يا «تَلُّ» فانفَضَّ الظلامُ على
كَوَاكبٍ نثرتهَا هَالَةُ القمرِ
قَالُوا سَقَطت أو استلَمتَ ما صَدَقُوا
وأنت لُؤلُؤةُ الأمجَادِ والظفَرِ
نِلتَ الذي رُمتَهُ، بل جُزتَهُ شَرَفًا
على عُلُوِّ الذي تَرجُو من القَدَرِ
وبَاءَ غيرُكَ...! لم يَظفَر بِمَكرُمَةٍ
تخطَّفتهُ الدنايَا خَطفَ مُهتَصِرِ

(١) الجرح الذي لا يزال ينتفض.

هَـــوَى وخـلَّفَ أشـــلاءً مُـمزَّقـــةً
مـن المُـروءَةِ بـين الـنـابِ والـظُّـفُـــرِ
يـهـوي فتعلُو، ويستخذِي فتنهَضُ من
عُـلاً عـلـى وثـبـاتٍ لـلـعُـلاَ حُـمُـرِ

❀ ❀ ❀

وَاهًـا عـلـى أمَّـةِ الإسـلامِ صـيَّـرَهـا
حُـبُّ الحَـيـاةِ غُـثـاء الـسـيـلِ والـنـهَـرِ
مَـالـوا إلى عَـرَضِ الـدنـيَـا وخـضـرَتِـهـا
وأدبـرُوا عـن جِـهَـادٍ مُـورِقٍ خـضـرِ
مُـدت لـهـم بُـسُـطُ الـدنـيـا مُـرَفَّـهَـةً
عـلـى فـراشٍ نَـدِيٍّ الـطـيـبِ والـسُّـتُـرِ
وأسـلـمُـوا لـلـعِـدَى أعـنَـاقَـهُـم ذُلُـلاً
عـلـى شِـفَـارٍ تُـدَمِّـي رَعـشـةَ الخَـورِ
يَـا أمَّـةً عَـربَـدت أهـواؤُهَـا فَـجـرتْ
عـلـى أعَـاصـيـرِهَـا مَـجـنُـونَـةَ الـسَّـكَـرِ
مَـاتَـت بـهـم هِـمَـمُ الأبـطَـالِ وانـطـلـقـت
عـلـى الـسـرى هِـمَـمُ الأشـبَـاهِ والـصُّـورِ
رَمـت بـهـم عـن سُـرُوجِ الـعِـزِّ أحـصـنَـةٌ
ومـرغـتـهُـم عـلـى الأوحَـالِ والـعَـفَـرِ

❀ ❀ ❀

مَسَارِحَ الشرقِ...! كم أخرجتِ داميَةً

مـن المَآسِـي وكَـمْ مَـوَّهـتِ مـن خَـبَـرِ

تحَـرَّكَـت خَـلـفَـك الأشـبَـاحُ صَـامِـتَـةً

وأنـطَـقَـت «بـبـغـاوَاتٍ» مـن الـبَـشَـرِ

وحَـرَّكـتْ مِـن دُمًى لانـت عـلـى يَـدِهَـا

ودُونـهـا الـشـعـبُ فـي تِـيـهٍ وفـي خَـدرِ

مُـصـفِّـقًـا لـبُـطُـولاتٍ مُـزَيَّـفَـةٍ

بـكـل لـــونٍ مـن الألـــوانِ مُـبـتَـكـرِ[1]

❁ ❁ ❁

(١) من ديوان «موكب النور» للدكتور عدنان النحوي ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

* **مذابح صبرا وشاتيلا** (١٦ ـ ١٨ من سبتمبر ١٩٨٢):

بصبرا هُتِّكت أعراضُ قومي وشاتيلا خناس بكتْ أنينا

وقعت هذه المذبحة بمخيّم صابرا وشاتيلا الفلسطيني بعد دخول القوات الإسرائيلية الغازية إلى العاصمة اللبنانية بيروت، وإحكام سيطرتها علي القطاع الغربي منها، وكان دخول القوات الإسرائيلية انتهاكًا للاتفاق والتعهد الخطي الذي قدّمه المبعوث الأمريكي الصليبي فيليب حبيب عبر شفيق الوزّان رئيس الحكومة اللبنانية بأن المدنيين الفلسطينيين لن يُمسّوا بسوء، ولن يتعرضوا للأذى!!

القوات اليهودية بموافقة أمريكية أوربية تجتاح لبنان وبعبدا مقر رئاسة الجمهورية، ويحكمون الحصار حول بيروت ويسدون منافذها.

وباشرت قوات العدو اليهودي أعنف القصف وأقصى التدمير عن طريق البر والبحر والجو للقواعد الفلسطينية ومخيّماتها لا تفرق بين مدني وعسكري.

تدخلت الأنظمة العربية على استحياء بعدما استفحل الأمر، لا لتؤدب الغاصب أو لتردع النصيري الخائن أو الشيعي الزنديق من الدروز، ومنظمة أمل، وإنما لإقناع المقاتلين الفلسطينيين بالخروج من لبنان، وأن تلقي سلاحها وتخرج عزلاء «يوزّعون كما توزع السبايا... سبايا الحروب» تاركين وراءهم النساء والأطفال.

وقامت المدفعية والطائرات الإسرائيلية بقصف صابرا وشاتيلا، بعد خروج فصائل المقاتلين ولم يبق إلا النساء والأطفال والشيوخ والمدنيين. وأغلقت الدبابات اليهودية الطرق المؤدية إلى صبرا وشاتيلا وبرج

البراجنة، وأدخلت القوات اليهودية ـ مقاتلي الكتائب المتعطشين لسفك دماء المسلمين بعد اغتيال رئيس لبنان بشير الجميل ـ واستمر تنفيذ المذبحة على مدى أكثر من يوم كامل «ستة وثلاثون ساعة، والصليبيون يذبحون المسلمين في المخيم تحرسهم قوات اليهود.

استمرت المذبحة طوال يوم الجمعة وصباح يوم السبت، وأيقظ المحرر العسكري الإسرائيلي رون يشاي إرييل شارون وزير الدفاع في حكومة مناحم بيجين ليبلغه بوقوع المذبحة في صابرا وشاتيلا فأجابه شارون ببرود «عام سعيد» وفيما بعد وقف بيجين أمام الكنيست ليعلن باستهانة «حوييم قتلوا حوييم فماذا نفعل؟» أي: «غرباء قتلوا غرباء... فماذا نفعل؟».

لقد اعترف تقرير لجنة كاهان الإسرائيلية بمسئولية بيجين وأعضاء حكومته وقادة جيشة عن هذه المذبحة: بيجين، وشامير، وإرييل شارون وزير الدفاع، ورفائيل إتيان رئيس الأركان استناداً إلى اتخاذهم قرار دخول الكتائب إلى صبرا وشاتيلا. إلا أن اللجنة اكتفت بتحميل النخبة الصهيونية المسئولية غير المباشرة، ولكن مسئولاً بالأسطول الأمريكي الذي كان راسيًا قبالة بيروت أكد ـ في تقرير مرفق إلى البتاجون تسرّب إلى خارجها ـ المسئولية المباشرة للنخبة السياسية والعسكرية الإسرائيلية وتساءل: «إذا لم تكن هذه هي جرائم الحرب، فما الذي يكون؟».

لقد سجّل الضابط الأمريكي «وستون بيرنيت» بدقة وساعة بساعة ملابسات، وتفاصيل المذبحة ـ لقد راح ضحية مذبحة صبرا وشاتيلا ١٥٠٠ شهيد من الفلسطينيين واللبنانيين العُزّل بينهم الأطفال والنساء،

كما تركت قوات الكتائب وراءها مئات من أشباه الأحياء، كما تعرضت بعض النساء للاغتصاب المتكرر، تمت المذبحة في ظل الالتزامات الأمريكية المتشددة بحماية الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين المسلمين المدنيين العزل[١] .

وجرت واحدة من أفجر المذابح في التاريخ، تبقر بطون الحوامل، وتنتهك الأعراض، وتقتل الشيوخ والأطفال.. لا غسل.. ولا دفن إلا بالبلدوزرات...

هذا وفاء أمريكا وأوربا وفرنسا.. واليهود، والباطنية من الدروز والنصيرية ومنظمة «أمل الشيعية».. هذا وفاء الصليبيين الموارنة والكتائب.

❁ زغردة الخيام[٢] ❁

قال الدكتور عدنان النحوي:

«تعرضت مخيمات الفلسطينيين في لبنان لهجوم ومجازر. ولعلها ابتدأت في «تل الزعتر» سنة ١٩٧٦، ثم امتدت إلى «صبرا» و«شاتيلا» سنة ١٩٨٢م، ثم معارك شديدة سنة ١٩٨٥م حول صبرا وشاتيلا وبرج

---

(١) نقلاً عن موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» ـ بتصرف ـ مجلة القدس العدد ٢٢ ومجلة الإصلاح السنة الخامسة العدد ٥٣ شوال ١٤٠٢هـ المجتمع.

(٢) نشرتها عكاظ في عددها (٧٦٢١) في (١٤٠٧/٩/٣هـ) (١٩٨٧/٥/١٠م)، والشرق الأوسط في عددها (٣١٥٠) في ١٤٠٧/١١/١٨هـ (١٩٨٧/٧/١٤م). وجريدة الرأي العام الكويتية في عددها (٨٣٨٥) في ١٤٠٧/٨/٥هـ (١٩٨٧/٤/٣م)، ومجلة البلاغ في عددها (٨٩٦) في ١٤٠٧/١٠/١٨هـ (١٩٨٧/٦/١٤م)، ومجلة الإصلاح في عددها (١٢٠) في جمادى الأولى ١٤٠٨هـ (١٩٨٨/١/١٩م)، ومجلة الرائد في عددها (١٠١).

البراجنة، ثم كان الحصار الطويل للمخيمات سنة ١٩٨٦م، حصاراً دام أكثر من خمسة أشهر حتى كتابة هذه القصيدة للمخيمات: برج البراجنة، وصبرا وشاتيلا في بيروت، وعين الحلوة والمية وميّة في صيدا، والرشيدية في صور، وغيرها. ولقد حملت الصحف أخباراً تشير إلى أن الناس كانوا يسألون الفتوى الشرعية لجواز أكل الجرذان والقطط وغيرها. لفتة إيمانية على غصات الكرب وحشرجات الموت.

أهدي هذه الأبيات إلى كل مؤمن يقاتل في سبيل اللّه لينصر الحق ويدحض الباطل.

جَوعُوهُ! يا لفحَةَ الشمسِ ميلي
واستثيري ضمَائراً من نيَامِ
أو ذَرُوهُ! مَا عَادَ يدري أليلٌ
أم نَهَارٌ يَمُرُّ بينَ الخِيامِ
بَينَ عينَيهِ ظُلةٌ من دُخَانٍ
حَوَّمَت أو دُجُنَّة من قتامِ
وبَقَايا التاريخِ تَهوِي على الأفـ
ـقِ شظايا تَنَاثرت في الظَلامِ
وتَهَاوَت مُنَاهُ كالوَرَقِ اليَا
بِسِ في زَفرة اللَّظى والضرَامِ

(١) «زغردة»: مصدر «زغرد» ومعناها هنا المرأة رددت صوتها بلسانها في فمها عند الفرح.

جَـوِّعـوا واقـطـعُـوا المِـيـاهَ ورُدُّوا
مـــن عـــلاج الجِـــراحِ والآلامِ
أرجِـعُـوهـا فَـلـيـس يَـشـفِـيـه إلا
وثـبَـةٌ لـلـرَّدَى وخـفـقُ حُـسَـامِ
يَـا هَـديـرَ (الحَـديـدِ) يَـزحَـفُ بـالَمـو
تِ وقـصـفَ الـنـيـرانِ مـن أعـلامِ
وانـهـيَـارَ الـفَـضَـاءِ بـالحُـمَـمِ الـسـو
داء يَـهـوي عَـلـى بَـقَـايـا حُـطَـامِ
يـا زُحـوف الـرَّدَى أطِـلِّـي وهـاتـي
مِـن وَقُـودٍ لِمـعـمَـعٍ ولِـطَـام
مـن فـتًـى مُـقـبـلٍ وشـيـخ نِـزَال
وفَـتَـاةٍ تَـلَـفـعَـت وَغُـلام
ورَضـيـع حَـبَـا لَمـلـحَـمَـة الَمـو
تِ ونَـادَى يَـا أُمَّـةَ الإسـلامِ!
يَـا عُـهُـودًا تـوثـقَـت بِـعُـهُـودٍ
وَحَـنَـانَ الـتـاريـخ والأرحَـامِ!
أقَـبـلـي! هـا هُـنَـا الـشـهـادَةُ لـلـ
ـه عَـلَـى جَـولَـةٍ ومَـوجِ حِـمَـامِ
عَـبَـقٌ مـن أريـجِـهَـا نـشَـرتـهُ
لِـوَفـيٍّ بِـعَـهـدِهِ والـذمَـامِ

شَـرَفُ الـدَّهـرِ أن يَـهُـبَّ رِجـالٌ
لَمـيـادِيـنـهَـا وَضَـربِ الـهَـامِ
يـا لَـهِـيـبَ الـكُـبُـودِ مـن ظـمَـأٍ دا
مٍ وحـرَّ الأشـوَاقِ مـن إقـدَامِ
ظـمـأ مَـزَّق الـشـفَـاهَ فَـغَـابَـت
بَـيـنـهَـا صَـرخَـةُ الـنـدَاءِ الـدَّامـي
صـرخَـةٌ لـم تَـزَل تَـدَافَـعُ فـي الـصـد
رِ عـلـى شـوقِـهِ الـكـبـيـرِ الـظَّـامـي
لـم تـزَل تـدفَـعُ الحـيـاةَ وتَـسـري
فـي عُـروقٍ خـفَّـاقَـةٍ وعـظـامِ
جَـوِّعـوه! فـمـا يَـزَالُ لـدَيـهِ
نَـفـسٌ عـاصِـفٌ ولـفـحُ ضِـرَامِ
واقـطَـعُـوا المـاءَ! زَودَتـه الـلـيـالي
بَـلَـلاً مـن صَـلاتِـهِ والـصـيـامِ
وَخُـشُـوعٍ يُـفَـتِّـح الـدربَ نُـورًا
وأمَـانـيًـا لِـزَاحِـفٍ مِـقـدَامِ
لـم تَـزل فـي عُـرُوقِـهِ غَـضـبَـةُ الحـ
ـق وفـي قَـلـبِـهِ إبـاءُ الـكِـرَامِ
بَـينَ كـفَّـيـه شُـعـلَـة مـن يَـقـين
أشـرقـت فـي دُرُوبِـهِ والـظـلامِ

بَينَ جَنبَيــــهِ لَهفَــةُ الشوق للنّصــ

ـــر وأنـــدَاءُ فَرحَـــةٍ وابتِســـامِ

لا يُبـالـــي أطَـــالَ أم قَصُـرَ الـدر

بُ، خُطـــاهُ مَشَاعِلُ الأيـــامِ

❁ ❁ ❁

جَـوعُـوه وحَـاصِـرُوا مـن خِـيَـامٍ

هـي أقسَـى مـن قَـلـعَـةٍ وإكَـامِ

يـسـألُـون الـفَـتـوى! أيُـؤكَـلُ جُـرذَا

نٌ! حَـلالٌ يـكـونُ أم مـن حَـرَامِ؟

يـا لإشـرَاقَـةِ اليَـقِـيـن مـع الـكـر

بِ وبَـلـوَى الجِـرَاحِ والأسـقَـامِ

يـا إبَـاءَ الخِـيـامِ، يـا شـرَف الإيـ

ـمَـان، يـا زَهـوةَ الـفِـعَـالِ الـعِـظَـامِ

إن صَـدَقـتُـم لـلّـه كُـنـتُـم رجَـالاً

رَفَـعـت أمَّـةً بِـغَـيـرِ كَـلامِ

لَـيـسَ يُـجـدِي وَقـعُ الحُـسَـام إذا مـا

كَـانَ فـي غَـيـرِ عِـزَّةِ الإسـلامِ

إن يَـكُـن صَـبرُكَ الشـدِيـدُ لـغـيـر اللّـ

ـه تَـرجـع بِـذِلـةٍ ومَـلامِ

كَـيفَ تَرجُو في السَّاحِ من غَيرِهِ النَّصـ

ـرَ وَتـرضـى غـوَايَـةَ الأقـزامِ؟!

كيفَ تَمضِي بغَيرِ هدي من اللَّـ
ـه ونُورٍ في حُلكَةٍ وصِدَامِ

❁ ❁ ❁

حَاصِروهُ وضَيقُوا مِن حِصارٍ
وامنَعُوا عَنهُ مضغَةً من طَعَامِ
واقطَعُوا الماءَ! فاللَيالي عِطَاشٌ
سَوفَ تُروَى دَمًا وَكأسَ حِمَامِ
وانثروا بَسمَةَ الطُفُولة أشلاَ
ءً تَرَامَت ومزِّقُوا مِن خِيامِ
واسحَقُوها معَ الجَماجِمِ، صُبُّوا
من دِمَاءٍ على الحصَى والرَّغَامِ
واجمَعُوها مَعَ الأنِين ونَادُوا
يَا وحُوشَ الغَابَاتِ والآجَامِ
أنتِ أحنَى عَلَى ابن آدمَ مِن أهـ
ـلٍ وقُربَى ودَعوَةٍ من وئَامِ
وَارفَعِيهَا هَديةً لِرِجَالٍ
بَاقَةً من (حَضارةٍ) و(سلامِ)!
لِرِجَال هُناكَ في مَجلسِ الأمـ
ـنِ (كِرَامٍ) وَثُلةٍ من (عِظَامِ)
(لِرِجَالٍ) هُنَاكَ تَقبَعُ في الوَحـ
ـلِ وفي مُنتِنٍ منَ الإجرَامِ

يَـــا حَـضَـارَاتُ ولـولـي واسـتـغِـيـثـي
مـن ذِئَـــابٍ وعـصـبـةٍ مـن طَـغَـــامِ

❁ ❁ ❁

أيُّ مَـكـرٍ رَمَـــاهُ فـي الـدَّرب ألـقَـــا
هُ غَـريـبًـا مُـشـتـتَ الأحـــــــلامِ
مـن تُـرَى سَـــاقَـــهُ لِـهـذِي المَيَـادِيـــ
ـــنِ عَـلَـى مَـهْـمَـــهٍ بَـعـيـــدٍ دَامِ
مـن تُـرَى قـطَّـع الـوشـائـــجَ مـن دِيـــ
ـــنٍ وقُـربَـى الأخـــوالِ والأعـمَـــامِ
إنَّـــهُ نَـازحٌ هَـــوَاه «فِـلَـسـطِـيـــ
ـــنُ» وخَـفـقُ الـسُّـفُـــوحِ والآكَـــامِ
إن ميـدَانـــهُ هُـنـــاكَ «فلَسطِيـــ
ـــنُ» ربَـاطٌ لجَـولَـةٍ والـتِـحَـــامِ
أيُّ مـكـرٍ يَـحُـوكُ فـي الـلـيـــلِ أشـــرَا
كًـا ويـرمـي حَـبَـائِـلاً مـن أثَـــامِ؟!
أهُـنَـــا مـن دَمِ المَجَـــازر أنـهَـــا
رٌ وَهـذي دَعَـــاوَةٌ مـن سَـلامِ؟!
أيُّ سِـلـم يُـرَادُ يـا قَـومُ أم هـــــ
ـــذا خِـــدَاعُ الألبَاب والأفـهَـــامِ؟!
مـن تُـرَى جَـمـعَ «الـضـحـايـا» عَـلَـى
الـسَّـاحِ وأعـطَـى الـسِّـكِـينَ لـلـحَّـــامِ؟!

انـزعُـوا عَـنكُـمُ القِنـــاعَ لـنَلـقَـــى
مَـا وَرَاءَ الأسـتَـارِ والأوهَـــــامِ
يا لنَجـوى الأشبـاح في عَتمَةِ اللـ
ـــيـل ونَـجـوَى المُؤامـراتِ الـدوامـي
يا لِقَـاء (الـكبَـار) مُؤتَـمرَ الوهـ
ـــن ودَعـــوى هـزيمـــةٍ ووئـــامِ
مَـن تُـرَى مَـثَّـلَ (الـلـجُـوءَ) لَـدَيـهِ
فـي مَـيَـادين خُـطـبَـــةٍ وكـلامِ
احـمـلـوا الـطـفـل والـرضـيـعَ وشَـيـخًـا
وبَـقَـايـا الأطـــرَافِ والأجـسَـامِ
ودَعـوهـــا لـكـي تُـفَـاوضَ عَـنـــا
هـي أولَـى مـن فَـارس وَهُـمَـــامِ
فَـعَـسَـى أن تُـفِـيـقَ فـيـهِ قُـلُـوبٌ
وعَـسـى أن يُـفِـيـقَ بَـعـضُ الـنـيَـــامِ

❁ ❁ ❁

يـا رِجـالَ الخِـيَـامِ صَـبـرًا فَـلَـسـتُـم
وحـدَكـم فـي أسًـى وشـرٍّ مُـقَـامِ
لـسـتُـمُ وحـدَكُـم ضَـحَـايـا حِـصَـارٍ
يـا ضَـحَـايـا الـهَـــوَانِ والإجـرَامِ
كُـلـنَـا يـا خِـيـامُ أسـرَى حِـصَـارٍ
مُـطـبِـقٍ حَـولـنَـا وأسـرَى حِـزَامِ

مـن رُبـى مَـشـرقٍ تـنـاءَى وَغَـــرب
يـتـرامَـى ومِـن رَوَابـي الـشَّـــامِ
طَـوَّقَـتـنَـا مِـنَ الأعَـــادِي حُـشُـــودٌ
وأحَـاطَـت بـنَـــا دوَاهِـي الخـصَـــامِ
وصَـنَـعـنَـا الـقُـيـــودَ مِن رَعشَةِ الخَـــو
فِ ومـن شَـهـــوَةٍ ومـن أحـــلاَمِ
وَرَكـعـنَـا بِـهـــا أذلاءَ نـسـتَـجـد
ي عَـطـــاءَ الأنـصَـاب والأزلامِ
يَا لـهـذا الحِـصَـــارِ طَـــالَ مَـــدَاهُ
خَـلـفَ آفـاقـــه حُـشُـــودُ الظـــلامِ
أوقِـــدِي يَـا عُـصُـــورُ مـن شـعـلـة الـــ
ـحَـقِّ مَـنَـــارًا مـن جُـــوعِـــهِ والأُوَامِ
سَـوفَ تَـعـلُـو عَـلـى الـبُـــرُوج بُـــرُوجٌ
مِـن جـهَـــادٍ وقَـلـعَـــةٌ مـن رُكَـــامِ
سَـوفَ نـبـنـي مـنَ الجَـمَـاجِـــمِ أبـــرَا
جًـا ونُـعـلـي شَـواهِـقَ الأعـــلامِ
ثـمَّ تَـبـقَـى يَـا «بُـــرجُ» أعلَـى وأقسَـى
بَـيـنَ أنـشُـودَةٍ وبـيـنَ حِـمَـــامِ
مِـن رِجَـالٍ تَـمـضِـي عـلـى الـعَـهـــدِ لِلَّـــ
ـــهِ وَمـن صَـادقٍ ومـن ضَـرغـــامِ

مجزرة رهيبة وقعت بالمسجد الإبراهيمي بالخليل في فجر الخامس عشر من رمضان ـ ٢٦ فبراير ١٩٩٤م حين أطلق الطبيب اليهودي «باروخ جولد شتاين» عضو منظمة كاخ[١] رصاصه على المسلمين، وهم يُصلّون الفجر في المسجد الإبراهيمي، فقتل ستين مسلمًا وجرح أكثر من تسعين مات معظمهم بعد ذلك.

وارتفعت أصوات اليهود بالتراتيل اليهودية داخل المسجد الإبراهيمي.

وبعد أيام قلائل من المذبحة صوّر طاقم تلفزيوني أجنبي أولاد المستوطنين اليهود في الخليل ـ وهم في طريقهم إلى مدارسهم ـ يغنون كلمات جديدة لأغنية شعبية تقول:

«لم أنتقم بما يكفي... لم أقتل عربيًّا بيدي»!!

وأصبح السفاح جولد شتاين «بطلاً أسطوريًّا» لدى شباب إسرائيل، ففي أجهزة الإعلام اليهودي تسمع وصف الطالبة «نيزعيزرا» ١٧ عامًا بالمدرسة الدنماركية الثانوية بالقدس لما ارتكبه السفاح قائلة:

«لقد كانت مهمة مقدسة... كان ينبغي أن يأخذ معه قنابل يدوية».

وتقول: «سيلفان ساسون» الطالبة في نفس المدرسة:

«إنه عمل بطولي... إنه قديس... لقد ثأر لكل دماء الجنود الذين قتلهم الإرهابيون»[٢].

---

(١) هذا السفاح كان يسكن في مستعمرة كريات أربع بالخليل. وهو طبيب فيزيائي من أصل أمريكي، وهو كولونيل سابق في الجيش الإسرائيلي، شارك في غزو لبنان سنة ١٩٨٤.

(٢) «مذبحة الحرم الإبراهيمي» لمحمد عبد اللّه السمان وحسن عاشور ص(١١٨) ـ نقلاً عن جريدة «العربي» القاهرية ٧ مارس ١٩٩٤.

وتذكر وكالات الأنباء أنه في لحظات دفن القاتل الصهيوني وقف حاخام إسرائيلي قائلاً: «إن ميلون عربي لا يساوون ظفر يهودي واحد».

هذا وقد هتف المشتركون في مراسم دفن السفاح ـ وهم يحملون رشاشات «عوزي» قائلين: «كلنا جولدشتاين.. إن شعب إسرائيل مريض وأعطانا جولد شتاين وصفة العلاج».

بعد المذبحة مباشرة قال المتحدث الرسمي باسم حركة «كاخ» «نرعام فيدرمان»: نطأطئ روسنا أمام القديس البطل الدكتور باروخ جولد شتاين!!.

وقال المستوطن «تيرن فولك» من مستوطنة «كريات أربع» حيث مسكن السفاح جولدشتاين: إن المجزرة عمل عظيم ومهم.

وصاح: «أريي بن يوسف» أمام التلفزيون الإسرائيلي يصف المجزرة: إنها هدية أُرسلت لنا في عيد البوريم[1] »[2].

ونختم الكلام عن هذه المذبحة بما قاله هذا السفّاح عن المسلمين من أهل فلسطين قبل المذبحة بأيام قلائل للصحفي الأمريكي: «توم روبارتيس»: «لا بد وأن نطردهم.. إنهم نازيو اليوم...»!! إن لم تستح فاصنع ما شئت».

ماذا بقي أيها المسلمون... هذا نفير يصكّ آذان النيام والغافلين ليفيقوا قبل أن يتحولوا إلى غنائم حرب وسبايا وهنود حمر.

---

(١) عيد البوريم هو يوم الانتقام من العرب... لا يمكن أن يمر هذا اليوم إلا ويكون اليهود قد ارتكبوا عدة جرائم ضد العرب لا تقلّ عن القتل العاجل.. أو على الأقل: القتل البطيء.

(٢) «مذبحة الحرم الإبراهيمي» ص(٢٥، ٢٦).

إن جرائم أولاد الأفاعي من اليهود فاقت كل أساليب الهمجية ومحاكم التفتيش بل ما خطرت على قلب بشر.

* إحراق المسجد الأقصى ٢١/٨/١٩٦٩م:

تم إحراق المسجد الأقصى بتاريخ ٢١/٨/١٩٦٩، وفور ظهور الحريق قامت السلطات الإسرائيلية بقطع المياه عن منطقة الحرم، وحاولت منع المسلمين وسيارات الإطفاء التي هرعت من البلديات العربية من القيام بإطفائه. وكاد الحريق يأتي على قبة المسجد المبارك لو لا استماتة المواطنين العرب. فقد اندفع المسلمون عبر النطاق الذي ضربته قوات الشرطة الإسرائيلية، وتمكنوا من إطفاء الحريق وادّعت إسرائيل في البدء أن ماسًا كهربائيًّا كان السبب في الحريق. ولكن تقارير المهندسين العرب أوضحت بجلاء أن الحريق تمّ بفعل أيد مجرمة، الأمر الذي اضطر إسرائيل إلى الادعاء بأن شابًّا أستراليًّا يدعى دينيس مايكل وليم موهان ويبلغ من العمر ٢٨ عامًا هو الذي ارتكب الجريمة... وزعمت أنها قبضت عليه وستقدمه للمحاكمة، ولم تمض وقت طويل حتى أعلنت إسرائيل أن دينيس هذا معتوه وأطلقت سراحه»[1].

* ما الذي أخرج الثعابين من جحورها؟

في تحقيق صحفي بجريدة الأهرام ١٢/٣/١٩٩٤ للكاتبة عزة سامي عن الخلايا السرية للجماعات اليهودية المتطرفة!! ما كشفت عنه صحيفة «الإكسبريس» الفرنسية عن منظمات صهيونية تقول فيه:

---

(١) «بيت المقدس» لشراب ص(٤٨٠).

«. . . لقد أعادت المذبحة الأخيرة[١] للأذهان مذبحة دير ياسين. . . ومذبحة دير قاسم في ٢٩ من أكتوبر ١٩٥٦م، وواقعة المسجد الأقصى في الثامن من أكتوبر ١٩٩٠م عندما اقتحمت جماعة يهودية متطرفة المسجد بهدف تدميره وإقامة هيكل سليمان. . . وبدلاً من أن تتدخل قوات الاحتلال لحماية المصليين أخذت تطلق النار، والقنابل المسيلة للدموع، فسقط أكثر من عشرين قتيلاً من المصلين. . .»

ثم قالت الصحيفة الفرنسية:

«ما أخرج الثعابين من جحورها[٢] وجعلها تعلن ـ صراحة وجهراً ـ الحرب على فرائسها. . .

هذه الجماعات الدينية المتطرفة[٣] لم تتحمل فكرة تحطيم آمالها في إبادة الشعب الفلسطيني، وتدمير المسجد الأقصى، والأماكن المقدسة الإسلامية، وهي التي تعدّ ـ منذ زمن طويل ـ لحربها المقدسة!!».

* دفن الفلسطينيين أحياء، وحرقهم وهم أحياء، وإلقاؤهم من الطائرات وهم أحياء:

نشرت صحيفة الأهراء:

«أن جنود إسرائيل أصابهم سعار ضرب الفلسطينيين بوحشية، ولعل هذه آخر شهادة دولية حتى كتابة هذه السطور عن همجية جنود

---

(١) «مذبحة المسجد الإبراهيمي».

(٢) متى دخلت الثعابين اليهودية جحورها؟.

(٣) كلهم كفار متطرفون. . . أما من يدّعون بأن هناك حمائم وصقور فهم بله غافلون.

إسرائيل، وقد أدلى بهـا فريق طبي أمريكي بعد زيارة لمستـشفيات الضفة وغزة، وقد وصلت هذه الوحشية إلى حد مروّع: أن يدفن جنود إسرائيل الفلسطينيين أحياء، وهي جريمة بشعة يتفوق بها جنود إسرائيل عن جرائم النازيين القدامى»[١].

ونشـرت الوفـد أيضًا: «قـوات الاحتـلال الإسرائيـليـة تحرق ١٤ فلسطينيًّا أحياء».

وكانت الأهرام تنشـر: «قوات الاحتلال تلقي ثلاثة فلسـطينيين من الطائرة»[٢].

* قانا... وما أدراك ما قانا؟؟

عناقيد الغضب، ومجزرة قانا تصيبنا بنزيف في الكرامة...

«في عري الملابس المحتـرقة على الأجداث المتفحمة بـالنابالم رأيت عُرْينا وعوارتنا رحت أسمع كلمات الشيخ سعد الدين بلهاس: «في ثانية واحدة فقدت كل شيء... لقد فقدت ١٤ من أبنائي وأحفادي وزوجتي في ثانية واحـدة... لا أرغب في الحياة... أبلغو الأطباء بـأن يتركوني أموت».. كان الـشيخ قد لجأ إلى قـواعد قوات دولية، ربما كـان بعض أفرادها قد خدم في البوسنة فشارك فـي اغتصاب نسائنا هناك، وفي دفن ضحايانا في المقابر الجماعية، ذهب الـشيخ بلهاس إلى هناك هو وعائلته هربًا من قـصف أبناء الشيطـان فتعرضوا لمذبـحة جماعية فاق ضـحاياها

(١) «بغداد عروس عروبتكم» للدكتور محمد عباس ـ ص(٦١٠) ـ مكتبة مدبولي الصغير.
(٢) المصدر السابق ص(٦١٥).

المائة، وأثناء قيام المصورين بتصويره أصابت صدره شظية فصرخ فيهم: كفى . . . اذهبوا إلى مقر القوات الدولية والتقطوا الصور لأشلاء الضحايا التي التصقت بالجدران.

❑ ويقول محمد شوقي: «عندما سقطت القذيفة الأولى انهار الجدار علينا وطارت رأس سيدة كانت تقف إلى جواري، كما تحول رجل كان يقف إلى جواري إلى كومة أشلاء، لقد شاهدت أمي وإخوتي الستة يُقتلون».

❑ وتقول فاطمة إسماعيل: «كنت أجري كالمجنونة لكي أبحث عن طفلي في حين كانت قدماي منغمستين في برك الدماء تصل إلى ما فوق كاحلي».

❑ ويقول فادي جابر وهو يبكي: «سقطت سيدة بجواري مغشيًّا عليها فمددت يدي لكي أسند رأسها، فسقط مخها بين يدي:

❑ ويقول حسين شوقي: «لقد كان بين ذراعيّ طفل مات بسبب اندفاع شظية في جسده. . . كنا نسير على أيادي وأرجل ورؤوس متطايرة ومتناثرة في كل مكان في موقع القوة الدولية»[١].

هي إسرائيل اليهودية وهذي ثمارها في بلادنا.

فلسطين ٢٦١٠٠٠ قتيل، و١٨٦٠٠٠ جريح، و١٦١٠٠٠ معوق، وهجرة خمسة مليون لاجئ لبنان ٩٠٠٠٠ قتيل، و١١٥٠٠٠ جريح، ٩٦٢٧ معوق.

وفي مصر ٣٩٠٠٠ قتيل، ٧٣٠٠٠ جريح و٦١٠٠٠ معوق[٢].

(١، ٢) «إني أرى الملك عاريًا» للدكتور محمد عباس ص(٥٨٥، ٥٨٩) ـ مكتبة مدبولي.

* **سفاحون أولاد أفاعي وأبناء شياطين:**

أينسى أبناء المسلمون في فلسطين بن جوريون وأيامه السود؟

أينسى أبناء المخيمات مناحم بيجين وعصابة «الأرجون زفاي ليومي»؟ مناحم بيجين الذي قال عنه بن جوريون: أنه هتلري بمعنى الكلمة.

أينسى الأحناف بيريز وقد كان هو السفّاح الذي زوّد الكتائب الصليبية بالسلاح ليقوموا بمذابح تل الزعتر ـ يوم أن كان وزيرًا للدفاع؟

بعد حصار استمر ٥٠ يومًا [٢٢ يونيو ١٩٧٦ ـ ١٢ أغسطس ١٩٧٦]. قام مجرموا الكتائب بذبح ألفين ـ حسب تقديرات الصليب الأحمر الدولي ـ.

* **السفاح شارون:**

آريل شارون جلاد لبنان وماضيه العريق في التعذيب والاضطهاد..

عهد إليه موشى ديان في أغسطس عام ١٩٥٣ بإنشاء وقيادة «الوحدة ١٠١» التي كُلّفت بأعمال انتقامية ضد القرى العربية على الحدود، نشرت الرعب بين العرب ودفعتهم إلى الفرار.

شارون قائد مذبحة قبية التي ذُبح فيها ستة وستين من الأهالي ثلاثة أرباعهم من النساء والأطفال.

ونسفت الوحدة (١٠١) في مذبحة «قبيَّة» الأردنية واحدًا وأربعين منزلاً ومدرسة على من فيها من الأهالي، ثم جمعت بعد ذلك كل من تبقى من السكان الأحياء وعددهم ٤٢ بين رجال ونساء وأطفال وأدارت ظهورهم لتفرّغ فيهم الرصاص وتحولهم إلى أشلاء ممزقة... إضافة إلى

بقية الضحايا من القتلى والجرحى في الشوارع والأزقة وداخل المدارس والبيوت ودور العلاج[١].

وهو سفاح صبرا وشاتيلا التي قام فيها سفاحو الكتائب بالواجب كما قال إتيان.

لا ينسى المسلمون الفلسطينيون لشارون ما عاشوا «صور المذبوحين في صبرا وشاتيلا، والملتقطة تحت شمس متوهجة من اهتراء.. الوجوه المشوّهة، الأجساد الممزقة، أكداس الأعضاء المبتورة، ركام جثث الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، أكرر، كانت جثث الأطفال الرضع الممثل بها، تختلط بجثث الحيوانات المذبوحة، صور المجازر هذه انضمت في عصرنا إلى لوحات فظائع الحرب العالمية الثانية، التي لا تمحى.

مئات الجثث المشوّهة والممزقة، جثث الأطفال والفتيات والعجائز المغتصبة والمقطّعة قتل الكثيرون وهم نيام، أطفال لم يتجاوزوا الثالثة ـ أو الرابعة من أعمارهم، وهم غارقون في ثياب نومهم وأغطيتهم المصبوغة بدمائهم... حطموا رؤوس بعض الأطفال والرضع على الجدران.

وجدت أيدي نساء مبتورة عند معاصمها حتى أمكن انتزاع حليها.

يقول الضابط الكتائبي إلياس حبيقة ضاحكًا لمن يسأله من جنوده ماذا يفعل بـ ٥٠ امرأة وطفل: «نفذ إرادة اللّه»! أي: اقتلهم.

قبل دخول الكتائب بلحظات قال شارون وزير الدفاع، عندما اتّصل

---

(١) انظر: «مذبحة الحرم الإبراهيمي» ص(١٠٦، ١٧٤).

(٢) «إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة» لإيليان هاليفي وألفريد ليلينتال ترجمة رياض صوما ص(٧، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣١) ـ دار المروج.

به دروري هاتفيًا: «إن أصدقاءنا يدخلون «المخيمات» تهانينا»[٢].

❑ أدلى آريل شارون بحديث لصحيفة «بديعوت أحرونوت» في ٢٦ مايو ١٩٧٤ قال فيه: «اضربوهم.. لا تتوقفوا عن ضربهم.. عليكم أن تضربوا الإرهابيين أينما كانوا: في إسرائيل... أو في البلاد العربية... أو في غيرها... وأنا أعرف كيف نفعل ذلك ـ فلقد سبق لي أن فعلتها!!»[١].

❑ ذكرت صحيفة «هاعولام» في ٢٤ أغسطس عام ١٩٧٣ ما يلي:

«في حرب ١٩٦٧ كان الجيش الذي هاجم سيناء تحت قيادة شارون، وهو المسئول ـ شخصيًا ـ عن مصرع مئات من الجنود المصريين ـ إذا رفض اعتبارهم أسرى حرب خلال الأيام الأخيرة للحرب ـ لأن تعليمات [ديّان] كانت تقضي بعدم الالتجاء إلى أسر الجنود المصريين في سيناء، وتأمر بإبادتهم»!![٢].

* ويدنس المسجد الأقصى ويقتحمه:

قام شارون باقتحام ساحات المسجد الأقصى المبارك صباح يوم الخميس الموافق ٢٨ من سبتمبر سنة ٢٠٠٠م، وهو مدجج بثلاثة آلاف جندي من الشرطة الإسرائيلية وحرس الحدود لتبدأ بعدها انتفاضة الأقصى المباركة.

ارحلْ عن القدسِ واترك ساحة الحرمِ
هل يلتقي الطهرُ يا خنزيرُ بالرممِ؟

(١) «مذبحة الحرم الإبراهيمي» ص(١٠٨).
(٢) المصدر السابق ص(١٠٦).

كيف اجترأتَ على أرضٍ مُطهرةٍ
أسرى بها خيرُ خلقِ اللَّهِ والأممِ؟
هذا الترابُ الذي لوثتَ جبهتَهُ
ما زال يصرخُ بين الناسِ في ألمِ
لوثتَ بالعارِ أعتابًا مباركةً
وجئتَ كالكلبِ... في حشدٍ من الغنمِ
تاريخك الآن بالأوحالِ نكتبهُ
لكلّ أطفالنا.. في القبرِ والرحمِ
يا أقذرَ الناس تلهو في مساجدِنا
وتَقذِفُ القُدسَ بالنيرانِ والحممِ
كيف اجترأتَ على أقداسِنا سفهًا
وجئتَ كالموتِ... بالحراسِ والخدمِ؟
من حقك الآن أن تزهو بما فعلتْ
أقدامك السودُ بالصلواتِ والحرمِ
من حقكَ الآن أن تختالَ في سفهٍ
وأن تدوسَ جبينَ القدسِ بالقدمِ
من حقكَ الآنَ أن تَسْبِيَ مساجدَنَا
فسَيفُكَ الوغدُ فوق الكلِّ مُحتكمِ
من حقكَ الآنَ ما دامت عزائمنا
قدْ هدّها العجزُ واسترختْ إلى العدمِ

صابرا شاتيلا وأنهارٌ مسافرةٌ

من الدماءِ وأناتٌ بكل فمِ...

في راحتيك دماءٌ أغرقت زمنًا

وجهَ الصغارِ وأذكتْ نارَ منتقمِ[1]

*** باراك قاتل أبي جهاد وألفين من الأسرى المصريين:**

باراك قائد فرقة «سايرت ماتكال المختارة يسمونه «نابليون الصغير»، والقائد الرئيس والموجه لاغتيال القيادي الفلسطيني أبو جهاد عام ١٩٨٨ لدوره في الانتفاضة.

وقام عام ١٩٨٨م بإعادة بعث فرق المستعرفيم «أي المستعربين» التي تهدف إلى التسلل متنكرة في أزياء عربية إلى الأوساط الفلسطينية النشيطة في الضفة والقطاع واغتيال قادتها.

يقول عن دوره في حرب ١٩٦٧: «كنت آنذاك ضابطًا صغيرًا بالجيش، وكان الجنود والقادة الإسرائيليون يتفننون في التعذيب والتنكيل بالأسرى المصريين قبل قتلهم وتجريدهم من السلاح، ولم أرحم قرابة الألفين من الأسرى، وأبقيتهم يومين في الصحراء حيث كانت الشمس ملتهبة..

وأمرت قوات الجيش التابعة لي بتجميع الأسرى في مجموعتين كبيرتين، وطلبت منهم خلع ملابسهم والنوم على بطونهم ساعة القيلولة، وأمرت بإطلاق نار القوات الإسرائيلية، وحددت لهم أحد عشر دقيقة فقط للتخلص من الألفي أسير، كانوا[2] يقفون بأحذيتهم فوق

(١) من قصيدة: «رسالة إلى شارون» لفاروق جويدة.

(٢) أي: الجنود الإسرائيليون.

رءوس وصدور الأسرى المصريين، وكل من يصرخ كان يقتل في الحال وتُلقى جثته بمساعدة جنديين إسرائيليين إلى الصحراء».

باراك الذي أرفق بدعايته الانتخابية صوره الملتقطة، وهو على جناح طائرة سابينا البلجيكية التي اختطفت عام ١٩٧٢، وقام ضمن مجموعة إسرائيلية ـ من بينها نتنياهو ـ بقتل الفدائيين الفلسطينيين الذين كانوا على متنها وكان ظاهرًا، وهو يضع قدميه على جثة أحد الفدائيين القتلى.

□ باراك الذي شارك في اغتيال خمسين فلسطينيًّا ببيروت عام ١٩٧٢ بينهم عدد من قيادات منظمة التحرير الفلسطينية، بعد أن تخفّى في ثياب امرأة وارتدى باروكة نساء على رأسه واغتالهم وهم نيام بين أبنائهم في جنح الليل[١].

هذه خسة اليهود وإفسادهم وفسادهم في الأرض.

ولهذا قال لويس التاسع عشر قولته المشهورة التي تمثل بها نابليون: «أفضل حجة مع اليهودي أن تغرز خنجرك في معدته»[٢].

وكتب نابليون إلى أخيه جيروم ملك وستغاليا يقول له: «ما من عمل أكثر خسة يمكنك فعله أكثر من استقبالك لليهود... لقد فعلت كل ما يمكن أن يبرهن عن احتقاري لأحط شعب على وجه الأرض»[٣].

---

(١) من مقالة: «أي سلام ننتظر من سفّاح محترف» لصلاح عبد المقصود ـ مجلة القدس العدد السادس صفر ١٤٢٠هـ ص(١٢ ـ ١٥).

(٢) «حكومة العالم الخفية» ص(١٠٠)، و«اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار» لتوفيق الواعي ص(٢٠١) ـ دار ابن حزم.

(٣) «فرنسا القديمة» ص(٩٩)، وكتاب «اليهود» للواعي ص(٢٠٤ ـ ٢٠٥).

* في زهرة المدائن وفلسطين يقتلون الزهور من أطفال الحجارة:

قام اليهود منذ اندلاع الانتفاضة المباركة في ٨/ ١٢/ ١٩٨٧ من مساجد غزة المباركة والجامعة الإسلامية بها بقتل أطفال الحجارة العزل الذين لا يملكون إلا مقاليع داود النبي المسلم، وهم الفتية الأبابيل الذين جاءوا على قدر لطرد إسرائيل:

قتل اليهود في الشهر الأول أربعين مسلمًا. وفي الشهر الثاني (٨/ ١/ ١٩٨٨ ـ ٧/ ٢/ ١٩٨٨) واحدًا وخمسين مسلمًا، وفي الشهر الثالث (٨/ ٢/ ١٩٨٨ ـ ٧/ ٣/ ١٩٨٨): خمسين مسلمًا، وفي الشهرالرابع (٨/ ٣/ ١٩٨٨ ـ ٧/ ٤/ ١٩٨٨) ستة وثمانين مسلمًا.

تعالى معي لترى قائمة الشهداء حسب الفئات العمرية[1].

الفئة العمرية	عدد الشهداء	النسبة المئوية
أقل من سنة	١٧	٧,٥٪
١ ـ ٩	٣	١,٣٪
١٠ ـ ١٩	٦٩	٣٠,٤٪
٢٠ ـ ٢٩	٨٢	٣٦,١٪
٣٠ ـ ٣٩	١٤	٦,٢٪
٤٠ ـ ٤٩	١٠	٤,٤٪
٥٠ ـ ٥٩	١٢	٥,٣٪
أكبر من ٦٠	١٩	٨,٤٪
غير محدد	١	٠,٤٪
المجموع	٢٢٧	١٠٠٪

(١) انظر كتاب: «الانتفاضة المباركة» لغسان حمدان ص(٤١٧ ـ ٤٣٢) ـ مكتبة الفلاح.

نشرت جريدة الأهرام:

«بكى نيل كينوك زعيم حزب العمال البريطاني هو وزوجته عندما شاهدا ضحايا الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية المحتلة، وقال كينوك: إن القوات الإسرائيلية أطلقت الرصاص على ظهور الشبان الفلسطينيين وأن هذا العمل لا يبرره أي شيء.

قال صبي لكينوك: أنه كان في المنزل عندما أطلقوا عليه الرصاص، وأنه لم يشترك في المظاهرات.

وقالت جلينيس زوجة كينوك والدموع تنهمر من عينيها: «من المثير للقلق بدرجة بالغة أن تشاهد مرضى وجرحى مثل هؤلاء إنهم في سن ابني.

كانت نفس الصحف تنشر أيضًا في نفس اليوم عن قيام مخابرات إسرائيل باغتيال ثلاثة فلسطينيين في لارناكا، ثم نسف سفينة العودة»[1].

* وما قتل الدُّرّة وأطفال انتفاضة الأقصى من الناس ببعيد:

كان استشهاد الطفل محمد جمال الدرة ابن الاثني عشر ربيعًا ـ الطفل البريء الطاهر ـ شرارة أيقظت الضمائر النائمة، وبعثت النبض في القلوب الخامدة، وأجرت في عروق أطفال المسلمين همة ملتهبة فسقط أربعمائة من شباب فلسطين وأطفالها في انتفاضة الأقصى هذا العام.

«احتمى محمد الدّرّة وأبوه من رصاص اليهود بحائط صغير وبرميل حديدي، وجلسا على الأرض متجاورين ملتصقين، والطفل يحاول أن يدفن رأسه بين ركبتيه، وقد جلس في هيئة احتباء.

---

(١) «بغداد عروس عروبتكم» ص(٦١١ ـ ٦١٢).

ـ الأب يرفع يده مستغيثًا، ومتوسلاً للجنود الإسرائيليين ألا يطلقوا عليهما الرصاص من أعلى.

ـ الصيحات والاستغاثات تـدوي في الهواء أمام صرخات الرصاص وزئير الانفجارات وانتشار الدخان.

ـ الطفل يزداد التصاقه وتشبثه بجنب أبيه الجريح وظهره، وجزءٍ من قميصه، والفزع يكاد يمزق وجهه وعينيه.

ـ استغاثات الأب الجريح تزداد مـع تدفق الدم من جراحه... بلا جدوى.

ـ الرصاصات القاتلة الغادرة تصيب الـطفل، وترديه فيهوى بنصفه الأعلى على الفخذ اليمنى لأبيه، وقد انكفأ بوجهه المفزوع على كفيه.

ـ الأب يميل برأسه إلـى اليمين ـ بعد أن فارق ابنـه الحياة، وأصيب هو بـعدة رصاصات، وبـدأ رأسه يميل قـليلاً إلى أسـفل، كزهرة عـباد شمس ذابلـة شاحبة، فوق رقبـته النحليـة المعروقة، وقد زم شفـتيه في صمت مستسلـم رهيب، كأنه يخشى أن يئن أو يتوجـع فيقلق ولده وهو في نومتـه الأبدية، وكانت آخر كـلماته المفزوعـة لأبيه «لو بتحـب ربنا احميني يا بابا».

كتب الكاتب الفرنسي الشهير «فرنـسيس كباتندا» في مقال له بمجلة «جـون أفريـك»: «.. أن محـمـد الدرة لـم يـكن ضـمن انـتـفاضـة الفلسطينيين، وأيضًا لم يكن محترفًا في رمي الحجارة، وقد أظهر محمد الدرة للـعالم وحشية الـشرطي الإسرائيلـي، حيث إنه لم يكـن موجودًا بمحض إرداتـه في هذا المكان، ولـكنه وجد نفسـه مع أبيه في مـواجهة

الاحتلال الإسرائيلي، إن محمد الدرة لم يكن يملك رصاصًا للدفاع عن نفسه، لم يكن يملك إلا قلبًا حزينًا، وعيونًا تملؤها دموع الخوف..»[1].

ولله در الشاعر أحمد بخيت حين يقول في قصيدته «مناجاة رثائية دامعة»:

يا كحلَ عيني يا محمد
يا رغيف الطيبين
يا يوم عيدي
يا شهيدي
يا مخيم لاجئين
احمل سلامي للكليم
وللمسيح
وللأمين
يا ذاهبًا للموت وحدْكَ
والجنود على الحدود
لتعيد للقبل الشفاه
وللمصلين السجودْ
يا راميًا حجر الكرامة
هل رأى البارود عاره؟
اقرأ علينا آية الثوارِ

(١) من مقالة «الطفل الفلسطيني الشهيد: محمد الدّرّة في قلوب الشعراء» للدكتور جابر قميحة. مجلة القدس العدد ٢٤ رمضان ١٤٢١هـ ص(٧٥، ٧٦).

من سِفر الحضارة
وَدَع رهان الخاسرين
ومت
لتنطلق البشارة
دبابتي لحْمي
دمي البارودُ
قنبلتي حجارة

ولله درّ الدكتور عبد الرحمن العشماوي في قصيدته «هو رامي أو محمّد» حيث يقول:

صور المأساة تشهدْ
أن طفلاً وأبًا كانا على وعدٍ من الموت محدَّدْ
مات رامي أو محمدْ
مات في حضن الأب المسكينِ
والعالم يشهدْ
مشهدٌ أبصره الناسُ
وكم يخفَى عن الأعينِ مشهدْ
. . . . . .
إن حسَّ العالم المسكون بالوهم مبلّدْ
إن شيئًا اسمه العطفُ على الأطفالِ
في القدس تجمدْ
صورة المأساة تشهد

أن جرح الأمةِ النازف منها لم يُضمدْ
أن دَيْن المجد ما زال علينا لم يسددْ
أن باب المجد ما زال عن الأمة يُوصدْ
أن إرهاب بني صهيون
في صورته الكبرى تجسد
أن لصًا دخل الدار وهدد
أن جيشًا من بني صهيون للإرهاب يحشد
أن نار الظلم والطغيان توقد
أن أشجارًا من الزيتون تُجتثّ
وفي موقعًا يُغْرس غرْقدْ
أن ما أدلَى به التاريخ من أخبار صهيون مؤكد.

❁ المشـــــرّد ❁

يا أخي!... أنتَ معي في كِل درب ... فاحمل الجرحَ وسر جنبًا لجنبِ
قد مشيناها خطًى دامية ... أنبتت فوق الثرى أنضر عشبِ
نحن إنْ لم نحترقْ كيفَ السَّنى ... يملأُ الدنيا ويَهدي كل ركبِ
والدّمُ الحرُّ الذي وَحدنا ... خلدَ التاريخَ في أروعِ كُتبِ

❁ ❁ ❁

سر معي في طرُقِ العُمر وقُل ... أينَ من يحمي الحِمى أو من يُلَبي؟
فَهنا الأيتامُ في أدمعهم ... وهُنا.. تهوي العَذارى مثل شُهب
الوشاحاتُ تَعرِّي زَهرها ... بعد ما كانت موشاة بِسُحبِ

وشيوخ حملوا أعوامَهم ... مُثقلاتٍ بِشَظايا كل خَطبِ
هُم ضحايا الظلم، هل تعرفهم؟ ... إنهم أهلي ـ على الدهرِ ـ وصحبي
يا رفاقَ الدهر!... هل شردكم ... في الورى. عَدوٍ أم مُحِب؟!!
زُعماءٌ!... دَنسوا تاريخكم ... وملوكٌ!.. شردوكم دون ذنبِ
وجيوشٌ!... غفر اللَّه لها ... سلمت أوطانكم من غَير حرب
دُوَلٌ تحسبها شرقيةً ... وإذا أمعَنتَ فالحَاكمُ غَربي
يَومَ مزت للوغي راياتِها ... حَكمت فيه على تشريد شعب

❁ ❁ ❁

يا فلسطين!.. وكيف الملتقى؟ ... هل أرى بعد النوى أقدسَ تُربِ
عَبقُ السؤدد في ذَرَّاته ... وأناشيدُ الهوى في كل شعبِ
هل أرى حَبَّابِهِ هازجةً ... والنسيماتُ عن الأمجادِ تُنبِي
وأرى قَلبي على شاطئها ... نَاشرًا أحلامَه العذراء قُربي
وأرَى السمراءَ تلهو بالهوى ... تَهَبُ النُّورَ لعيني كُل صَب

❁ ❁ ❁

أيها الباكي!... وهل يُجدي البكا ... بعدما أصبَحتَ في كل مَهَب
كَفكفِ الدمعَ وسر في أفُقٍ ... حافلٍ بالأملِ الضاحكِ رَحب
تَنثُر الأنجمَ في موكبِه ... موكبُ الحرية الحمراء يُصبي
يا أخي!... ما ضاعَ منا وَطنٌ ... خالدٌ نحمِلهُ في كل قلب[1]

(١) لأبي سلمى «عبد الكريم الكرمي» ص(١٥٦ ـ ١٥٧) ـ ديوان أبي سلمى ـ دار العودة بيروت.

❁ سنعود ❁

فلسطينُ الحبيبة كيف أغفُو ... وفي عينيَّ أطيافُ العَذاب
أطهِّر باسمكِ الدنيا ولو لَمْ ... يبرح بي الهوى لكتَمتُ ما بي
تمرُّ قوافلُ الأيامِ تَروي ... مُؤامرةَ الأعادي والصحاب
فلسطينُ الحبيبة!... كيف أحيا ... بعيدًا عَنْ سهولك والهضاب
تُناديني السفوحُ مُخضَّباتٍ ... وفي الآفاقِ آثارُ الخِضاب
تُناديني الشواطئ باكياتٍ ... وفي سَمعِ الزمانِ صَدى انتِحاب
تُناديني الجداولُ شارداتٍ ... تَسير غريبةً دون اغتراب
تُناديني مدائنُك اليتامَى ... تُناديني قُراك مع القِباب

❁ ❁ ❁

وَيسألُني الرفاقُ ألا لقاءٌ ... وهل مِن عودة بعدَ الغيابِ
أجل!... سنُقبِّلُ التربَ المُندى ... وفوقَ شِفاهنا حُمرُ الرِغاب
غدًا سنعود والأجيالُ تُصغي ... إلى وقع الخطى عِندَ الإياب
نَعودُ مع العواصفِ داوياتٍ ... مع البَرق المقدسِ والشهاب
مع الأمل المجنَّح والأغاني ... مع النسرِ المحلِّق والعقاب
مع الفجر الضحوكِ على الصحارى ... نعودُ مع الصباح على العُباب
مع الراياتِ دامية الحواشي ... على وهَجِ الأسنّة والحراب

❁ ❁ ❁

ونَحنُ الثائرين بكل أرضٍ ... سَنَصهَرُ باللَّظى نِيرَ الرقاب
تُذيبُ القلبَ رَنةُ كل قيدٍ ... ويجرحُ في الجوانح كل ناب
أجل!... ستعودُ آلافُ الضحايا ... ضحايا الظلم تَفتَحُ كُلَّ باب[1]

(١) لعبد الكريم الكرمي «أبي سلمى» من ديوانه ص(١٧٢ ـ ١٧٤).

❁ أرض فلسطين ❁

ما الشعرُ إن لم يَلُح فيه سَنَى وطنٍ ... ولم يُعطره منهُ السهلُ والجَبَل
ناجَى فِلسطين فاخضَلَّت ذوائبُه ... وخلدَتهُ فراياتُ العلى خِصَلُ

❁ ❁ ❁

زَحَفتُ ألثمُ أرضي وهيَ باكِيةٌ ... والقَلبُ بَاكٍ وَرَاحَت تنتشي القُبَلُ
وَعُدتُ أنشقُ من عِطرِ التراب هَوًى ... في ظلِّه التقَت الأجدادُ والرسُل
أهلي عَلَى الدهرِ... تُدميني جِراحُهمُ ... في حُبهم يَتَساوَى العُذرُ والعَذَلُ
خيامُهم في مَهب الريحِ مُعْولَةٌ ... وَدورُهُم من وراءِ الدمع تَبتَهل
تَقاذَفَتهم دُرُوبُ العُمرِ داميةً ... وأنكرتهُم رُبوعُ الأهلِ والمِلَلُ
على المَشارِفِ أعراضٌ مُمزقةٌ ... وفي كُهوفِ الربى الإنسانُ مُبتَذَل
في كل أرض شَظاياهم مُشردَةٌ ... وَتَحتَ كُلِّ سَماءٍ مَعشرٌ ذُلُل
أطوفُ أحمل أنى سرتُ نَكبتَهم ... كأنني طيفُ ثارٍ والحِمى طلل

❁ ❁ ❁

يا فِتيةَ الوَطن المسلوبِ!.. هَل أملٌ ... على جباهِكم السمراء يكتملُ
أنتم بَنُو الشعبِ... لا الطغيانُ يُرهِبُكم ... ولا زعيمٌ على الشيطانِ يتكِل
تَبنُونَ أمجَادَهُ والخُلدُ رَفرفُها ... كأنما هي بالآبادِ تتصِل
إن الطريقَ إلى العلياءِ مُظلِمَةٌ ... ولن نَضِل وفي أيديكمُ الشعَلُ

❁ ❁ ❁

يا عارِيًا من ثيابِ المجدِ!.. كيفَ تَرَى ... أرضَ الخلودِ وقد ضلت بكَ السبل
هذي فلسطين!... هل أشجتكَ تُربتُها ... تبكي الأحِباءَ.. من غابُوا ومن رَحلوا
وَهل شَجاكَ الدمُ المطلُولُ، تَسفحُه ... أيدي الجُناة.. وقد عاهَدتَ من قتلوا

تبكي المروءات مُرخاةٌ غدائرُها ... وما انتخت للجِهادِ البيض والأسَل
تبكي العذارى وأذيالاً مُطهرةً ... لَم يحمِ تلك الذيولَ... الفارسُ البَطلُ
تبكي دويلاتِ سوءٍ، سُميت دُوَلاً ... وَخلفَ كل رداءٍ يختفي «هُبَل»
حَربًا على الشعب ما زَالت مُضللةً ... لا كانت الحربُ.. بل لا كانت الدول

❁ ❁ ❁

قال المُلوكُ غدًا نحمِي ديارَكُمُ ... لَيتَ الأذِلاء ما قالوا وما فعلوا
وعَللونا بساحِ المجدِ ننزلها ... إذا بهم سَاعة الجُلى، هم العلُلُ
قالوا: الكرامةُ!.. قلنا: أين صاحبها؟! ... قالوا: الرجولةُ.. قلنا: أيُّهم رجُل
باعوا فلسطين فلتهنأ ضمائرُهم ... أما تراها على الدولارِ تشتعل
وكيفَ تُنقِذُ أرضَ العُربِ «جامعةٌ» ... يَسودُها مبدأ التفريقِ والجَدَل
أُنظرُ إليها وقد شالت نجائبها ... كأنها موكبٌ للعار ينتقِل

❁ ❁ ❁

يا أيها الشعب!... ركبُ الفجرِ منتظِرُ ... بعدَ السرَى وعلى الآمالِ يَشتمِل
من يشتري وطنًا أو يبتغي بَدَلاً ... وأينَ في الكونِ أو في الجنةِ البَدَل
هذي النداءاتُ من أهلي مخضبة ... الدهرُ يَسمَعُ والتاريخُ يرتجِل[1]

❁ ❁ ❁

(١) لأبي سلمى من ديوانه ص(٢١٥ ـ ٢١٧).

❁ الدّم العـربي المطـلول ❁

كُلما قُلتُ: أطَل الفُجرُ غابا ... أَتُرى تَغدو فِلسطينُ سرَابا

وإذا الدمعُ رَوىَ عَنها الهوى ... وَجَلا صورتَها ذابَت وذابا

وإذا ما الدمُ رَوى أرضَها ... حالَت الأرضُ بهِ قفرًا يبابا

وعلى الدربِ إذا لاحت مُنًى ... دامياتٌ تَرتَجي منها الإيابا

مَسَحَ الأهلُ رسوماتِ الخُطى ... لم نَجِد خَلفَ المُنَى إلا ترابا

أيها السائلُ عن داري استَمِع ... إن في أرضِ «فلسطينَ» انتِحابا

بُحت الأرضُ تُنادي شعبَها ... ثم لما تَسمَعِ الأرضُ جَوابا

جَثَم الأعداءُ ما حولَ الحِمى ... وعَدا أهلي على أهلي ذِئابا

صرخت مِنا الجراحاتُ عِتابا ... كَيف لا يَسمع أهلونا العِتابا

سَجَنوا أهلي وَهُم مَن فَتَحوا ... كل يومٍ للعُلى والمَجدِ بابا

مَزقوهم وَهمُ من وَحَّدوا ... بَينهم شَعبًا ودارًا ورغابا

ثُم قالوا خَوفَ أن نَنسى ألا ... بِئسَ ما قالوا آفتِئاتا وكذابا

كَيفَ نَنسَى وعلى كُل ثَرَى ... دَمُنا يَسري سعيرًا والتهابا

وخيالاتُ بلادي. ارتسمَت ... في الجباهِ السمرِ ألوانًا عِذابا

صُوَرُ النكبةِ في أعيُنِنَا ... قد حَملنَاها هَوانًا وعذابا

وَبهَا نُبصر أشلاءَ الحِمى ... ثُم لا نَلقَى من الأهلِ صِحابا

دَمُنَا يَصرخُ أنى سرتُم ... لم يَزَلْ يَطلُبُ أهلُونا الحِسابا

نحنُ مَن حَطمَ أصنامَكم ... وَجَعَلنا الحُكْمَ للشعبِ غِلابا

أنتُمُ لولا «فلسطين» لقًى ... أنتُمُ لولا «فِلسطين» ذنابى

نحن مَن نَضَّرَ قَوميتكم ... وعن الأعينِ مزقنَا الحِجابا

أورقَت أنفسكُم من دَمعِنا ... بَعدَما جَفت قُشورًا ولُبابا
وَمَحونا باللظى عارَكُمُ ... ثم صرنا سُبَّةَ الدَّهرِ وعَابا
لَيتَ شِعري!... ما الذي قَدمتُمُ ... «لِفلسطين» سِوى الوأدِ عِقابا[1]

❁ ❁ ❁

❁ درب الدمـــوع ❁

يا مَن ألمَّ بهِ الربيعُ وما شدا ... لم يبقَ من أرجِ الهوَى إلا الشذا
قَد كانَ لي وطنٌ وكانَ ربيعُهُ ... يُهدي إلى العُمْر الأزاهِرَ والندى
واليومَ من خَللِ الدموعِ يهيبُ بي ... وَيمدُّ من خَلفِ الحدودِ لي اليدا
فإذا التَفَت إلى ديارِكَ مرةً ... فَتَلفُّتِي نَحوَ الديارِ على المدَى

❁ ❁ ❁

أشَجاكَ أنكَ بَعدَ طُولِ تَفرقٍ ... ألفَيتَ مَنزِلهَا بوجهكَ مُوصَدا؟!
وأنا الذي لم ألقَ داري والحِمى طـ ... ـالَ السؤالُ!.. ولم يجبه حتى الصدى
وسألتُ عن وطنِي ومن أودَى بِهِ ... هل كانَ أهلي الأقَربونَ.. أم العِدي
وَبدا السرابُ على المشارفِ ظامِئًا ... وأراه مِثلَ اللاجئين مُشرَّدا
عَجَبًا!... أفي دربي الأريجُ مُضيعًا ... والنورُ في قَلب المشوق وما اهتَدى
أهلي؟!.. وأينَ همُ؟!.. وأين رُبوعُهم؟! ... عفى الزمانُ وجالَ بينهم الرَّدى
في كل دربٍ من شظاياهم لظى ... يَسمُ الجباهَ، مُعَفرًا ومُسَودا
تَركُوا المُشردَ في العراءِ فلم يَهُنْ ... والسيفُ أمضَى ما يكونُ مُجردا

---

(١) لأبي سلمى ص(٢٤٣ ـ ٢٤٤).

إني أنادي الشعبَ من وادي الأسى ... شَعبي الشريد!... أسامعٌ مِني النِدا
فيهِ الدماءُ تَصيح: أين عُروبتي ... وَكرامتي؟!.. لم ألقَ إلا أعبُدا
قالوا «الرَّوافد» قلتُ والوطنُ الذي ... قد ضيعُوه، فَهل «فلسطينُ» الفدا
وتَوافَدُوا وتَدارسوا أدوارَهم ... كُلٌّ يُمارسُ دَورَهُ المُتعدِدَا
وتجَمعوا فَوقَ الضحايا قِمةً ... كم قِمةٍ كانت حَضيضًا أوهَدَا

❁ ❁ ❁

لم يسمَعُوا مِنَّا الأنينَ فَقَد بَنَوا ... ما بيننا صرحَ الطغاةِ مُمردًا
لَمَ يحَفلوا بالنَّهر حِينَ بكى ولا ... شَهِدوا هنُاك الدمعَ كيفَ تَبَددا
قالوا: وقد وقفوا على أشلائِنا ... سَنُحرر الوَطنَ السليبَ لكُم غدا
مَن ذا يُحررهُ؟!.. وكيفَ؟!.. وشعبُه ... ما زالَ بينَ الأقربينَ مُقَيدا[1]

❁ ❁ ❁

(١) لأبي سلمى ص(٢٩٦ ـ ١٩٧).

اليهـــود
إخـوان الخنـازيـر والقـرود

اليهود إخوان الخنازير والقرود

هذه صفحات تطالعنا فيها سحنة يهود.. وكنود يهود.. وجحود يهود.. وكفر يهود وغلظ حسهم، وجلافة قلوبهم، وبذاءتهم ووقاحتهم حتى في حق اللَّه، ومن أصدق من اللَّه قليلاً؟!:

(١) الإله عند اليهود:

* قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

❑ ولقد حفلت ديانتهم المحرّفة بالتصورات الوثنية، وقد تضمنت كتبهم المحرفة أوصافًا لإلههم لا ترتفع كثيرًا على أوصاف الإغريق في وثنيتهم لآلهتهم.

❑ وصْفُهم اللَّه بالجهل تعالى اللَّه عما يقول اليهود علوًّا كبيراً:

جاء في الإصحاح الثالث من سفر التكوين: «بعد ارتكاب آدم لخطيئة الأكل من الشجرة (وهي كما يقول كاتب الإصحاح شجرة معرفة

الخير والشر)، وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط الجنة، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة، فخشيتك، لأني عريان، فاختبأت، فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟.

وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان صار كواحد منا عارفًا الخير والشر، والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا، أو يأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الربُّ الإله من جنة عدن، ليعمل في الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة شجرة الحياة».

واضح ما في هذه النقول من وصف اللَّه ـ سبحانه ـ بالجهل، وأنه لا يدري أين آدم حتى عرفه هو، وأنه كالبشر يتمشى كما يتمشى البشر، وأن السبب في إخراج آدم من الجنة ليس هو معصية آدم لربه كما وضحه القرآن، وإنما هو خوف اللَّه تعالى من أن يأكل الإنسان من شجرة الحياة فيكون من الخالدين! وأن اللَّه لم يُعَرِّف الإنسان الخير والشر، وإنما علم ذلك عندما أكل من الشجرة، وكل ذلك كذب وافتراء على اللَّه سبحانه وتعالى.

❑ ويفهم من كلامهم أن حياة اللَّه التي لا آخر لها إنما كانت بسبب أكله من شجرة الحياة ـ سبحانه ـ عما يقولون.

❑ **نسبتهم الحزن والندم إلى اللَّه ـ سبحانه وتعالى:**

وكما نسبوا إلى اللَّه ـ سبحانه ـ الجهل نسبوا إليه الحزن والندم على فِعْلِ فعله، فهم يذكرون أنه حزن على خلق الإنسان لما كثر شرّه وفساده

في عهد نوح: «ورأى الربّ أن شرّ الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الربّ أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه، فقال الربُّ: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء؛ لأني حزنت أني عملتهم، وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب».

واستمع إلى هذه الخرافة التي وردت في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين: «بعدما عمرت الأرض بذرية نوح، وكانت كلّها لسانًا واحدًا ولغة واحدة، وحدث في ارتحالهم شرقًا أنهم وجدوا نعمة في أرض شنعار، وسكنوا هناك، وقال بعضهم لبعض: هلم نصنع لَبِنًا ونشويه شيًّا، فكان لهم اللبن مكان الحجر، وكان لهم الحجر مكان الطين، وقالوا: هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجًا رأسه في السماء ونصنع اسمًا، لئلا نتبدد على وجه كل الأرض.

فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونها، وقال الرب: هو ذا شعب واحد، ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه، هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم، حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان المدينة، لذلك دعي اسمها بابل؛ لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هنالك بددهم الرب على وجه الأرض».

أي خرافة هذه التي تزوِّر الحقيقة، وتكاد تمحو معالمها!، وأي إله هذا الذي ترسمه هذه الخرافة؟ هذا الإله الذي يخاف البشر، ويخاف تكتلهم واجتماعهم، فإذا به يحاربهم قبل أن تجتمع كلمتهم، ويصلب

عودهم، ويشتتهم في أقطار الأرض بعد أن يبلبل ألسنتهم.

ونسب اليهود إلى اللَّه فعل الشر، كما نسبوا إليه الندم على ما فعل، ففي سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الرابع والعشرون: «فجاء الربّ وباء في إسرائيل من الصباح إلى الميعاد، فمات من الشعب من دان إلى بئر السبع سبعون ألف رجل، وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها، فندم الرب على الشر. فقال للملاك المهلك الشعب: كفى الآن، رويدك».

فإذا تركنا ما حكاه القرآن عن ضلالة اليهود في وصفهم لربهم، وما في التوراة من تحريف وزيف ونظرنا في (التلمود) وهو الكتاب الذي سطره علماء اليهود وحاخاماتهم، وله من الأهمية في نظرهم فوق ما للتوراة، لو نظرنا فيه لهالنا ذلك الضلال الذي وقع فيه اليهود لا في العقيدة فحسب، بل في شتى مناحي الشريعة.

❑ قولهم: إن اللَّه يقرأ ويتعلّم التلمود ويلعب تعالى اللَّه عما يقولون علواً كبيراً:

وسأكتفي بأن أنقل من كتاب «الكنز المرصود في قواعد التلمود» ما يتعلق بالعزة الإلهية، فمن ذلك أن اللَّه عندهم يحتاج إلى أن يقرأ ويتعلم، كما أنه يهزل ويلعب سبحانه وتعالى، فقد ورد في تلمودهم: «أن النهار اثنتا عشرة ساعة: في الثلاثة الأولى منها يجلس ويطالع الشريعة، وفي الثلاثة الثانية يحكم، وفي الثلاثة الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاثة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك».

واسمع ما هو أدهى وأعظم: «أنه لا شغل للَّه غير تعلمه التلمود مع الملائكة»، وليس الملائكة فقط، بل مع (أسمودية) ملك الشياطين في

مدرسة السماء.

وما الحوت الذي يلعب معه الرب؟ إنه حوت كبير جدًّا يمكن أن يدخل في حلقه سمكة طولها ثلاثمائة فرسخ بدون أن تضايقه، وبما أن له هذا الحجم، فإن اللَّه خاف إذا ما تناسل أن يهلك الدنيا، ولذا فإنه رأى أن يحرمه زوجته؛ لأنه لو لم يفعل ذلك لامتلأت الدنيا وحوشًا أهلكت من فيها، ولذلك حبس اللَّه الذكر بقوته الإلهية، وقتل الأنثى وملحها وأعدها لطعام المؤمنين في الفردوس.

ويضيفون إلى هذه الخرافات التي أصبحت عقائد لهم أن: «اللَّه لم يلعب مع الحوت بعد هدم الهيكل، ولم يمل بعد هدم الهيكل إلى الرقص مع حواء بعدما زينها بملابسها، وعقص لها شعرها».

تبًّا لهم وبعدًا، إنهم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قول الأمم الضالة المشركة، فإلههم حسب تصورهم لا يختلف عن البشر، يفكر تفكيرهم، ويفعل فعلهم، يلعب، ويرقص، ويحزن، ويبكي، على ماذا؟ على هدم هيكل اليهود الذي بناه لهم سليمان.

والهيكل يرمز إلى مجد اليهود، وقد جعلوا اللَّه من ذلك التاريخ الذي هدم فيه الهيكل إلى اليوم يبكي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد قائلاً: «تبًّا لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي».

ويدَّعون أن اللَّه تضاءلت ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ:

بل يغالون في التحريف والتدجيل، فيقولون: إن اللَّه تضاءلت ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ عما يقولون علوًّا عظيمًا ـ بسبب حزنه على خراب الهيكل «وشغل اللَّه مساحة أربع سماوات بعد أن كان ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان».

❑ ويدّعون أنه ـ سبحانه وتعالى ـ «يُحقّر نفسه»:

ويصفون العلي المجيد بأنه يحقر نفسه ـ سبحانه ـ عندما يمجِّده عباده ـ ويقصدون بهم اليهود طبعًا ـ «ولما يسمع الباري ـ تعالى ـ تمجيد الناس له، يطرق رأسه ويقول: ما أسعد الملك الذي يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك، ولكن لا يستحق شيئًا من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشقاء».

قاتلهم اللَّه أنّى يؤفكون.

❑ ويلطم ويبكي ـ سبحانه وتعالى ـ:

ومما افتروه على ربِّ العزة ـ جلَّ وتقدَّس عما يقولون ـ أنه يلطم ويبكي، وتتساقط دموعه، كل ذلك على شقاء اليهود وما حلّ بهم. «يتندم اللَّه على تركه اليهود في حالة التعاسة، حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم، فتسقط من عينه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه، وترتجف الأرض في أغلب الأحيان، فتحصل الزلازل».

❑ وينسبون إليه الخطأ والاعتراف بالذنب، والتكفير عن الذنب، فيزعمون كذبًا وزورًا أن القمر خطَّأ اللَّه ـ سبحانه ـ، وقال للرب ـ سبحانه عما يقولون ـ: «أخطأت حيث خلقتني أصغر من الشمس، فأذعن اللَّه لذلك، واعترف بخطئه، وقال: اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي؛ لأني خلقت القمر أصغر من الشمس»، ولا أدري كيف ساغ أن يزعموا أن اللَّه يكفر، وتُرى لمن يكفر؟!

إن العقول التي تفتري هذا الافتراء سخيفة سخافة كبيرة، وإن العقول التي تؤمن بهذه السخافة وتصدقها لا تقل عنها سخافة، والحمد

للَّه الذي هدانا للحق والنور المبين.

ومن جملة سخافاتهم التي هي عقائد عندهم: «أن اللَّه يستولي عليه الطيش، كما حصل ذلك منه يوم غضب على بني إسرائيل، وحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد ذهاب الطيش منه، ولم ينفذ ذلك اليمين؛ لأنه فَعَلَ ضد العدالة».

ويحلف ويظلم ويكفر ـ قاتلهم اللَّه ـ:

ولم يقف الأمر عند كونه يحلف، ويحلف جهلاً وطيشًا، ويظلم ويكفر، بل زعموا أنه يحتاج إلى التكفير عن يمينه، فقد جاء في تلمودهم: «إن اللَّه إذا حلف يمينًا غير قانونية احتاج إلى من يحلله من يمينه، وقد سمع أحد العقلاء من الإسرائيليين أن اللَّه تعالى يقول: من يحللني من اليمين التي أقسمت بها؟ ولما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلله منها اعتبروه حمارًا، لأنه لم يحلل اللَّه من يمينه، ولذلك نصبوا ملكًا بين السماء والأرض اسمه (مي) لتحليل اللَّه من أيمانه ونذوره عند اللزوم»[1].

«بذل المجهود في إفحام اليهود» لكبير أحبار اليهود الحكيم السموءل بن يحيى المغربي {ت ٥٧٠هـ} والذي أسلم:

يقول ـ رحمه اللَّه ـ: {«ومما ينخرط في هذا السلك قولهم: «عور إلاما يشنان أدوناي هاقيصا مشاثيخا». تفسيره: انتبه لِمَ تنام يا رب؟ استيقظ من رقدتك».

وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيانات والكفريات من شدة الضجر من

(١) «العقيدة في اللَّه» للدكتور عمر سليمان الأشقر ص(٢٨٢ ـ ٢٨٦) بتصرف.

الذل والعبودية والصغار، وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بعداً.

فأوقعهم ذلك في الطيش والضجر، وأخرجهم إلى نوع من الزندقة والهذيان الذي لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة. فتجرؤوا على اللَّه بهذه المناجاة القبيحة، كأنهم يُنخون اللَّه بذلك لينتخي لهم، ويحمى لنفسه؛ لأنهم إذا ناجوا ربهم بذلك، فكأنهم يخبرونه بأنه قد اختار الخمول لنفسه، وينخونه للنباهة واشتهار الصيت، فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات في الصلاة يقشعر جلده، ولا يشك في أن كلماته تقع عند اللَّه تعالى بموقع عظيم، وأنه يؤثر في ربه، ويحركه بذلك، ويهزه وينخيه. وهؤلاء على الحقيقة ينبغي أن يُرحم جهلهم وضعف عقولهم»[1].

❑ «وجاء في سفر الملوك الثاني ١٩/ ١٥ ـ ١٦: وصلى حَزَقِيّا أمام الرب وقال: أيها الرب إله إسرائيل.. أمل يا رب أذنك واسمع. افتح يا رب عينيك وانظر».

ومما جاء من وقاحتهم مع اللَّه ما جاء في سفر نَحَميا ١/ ٦: «لتكن أذنك مصغية، وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك»، وجاء في المزمور ٨٩/ ٣٨ ـ ٣٩ في مخاطبتهم للَّه تعالى: لكنك رفضت ورَذَلت».

٨٩/ ٤٦: حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء؟

وجاء في إرمياء ٤/ ١٠: فقلتُ: آه يا سيدُ الربُّ، حقًّا إنك خداعًا خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً: يكون لكم سلام. وقد بلغ السيف النفس»[2].

---

(١) «بذل المجهود في إفحام اليهود» للحكيم السموءل بن يحيى ـ تعليق عبد الوهاب طويلة ـ ص(١١١ ـ ١١٢) ـ دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت.

(٢) هامش «بذل المجهود» ص(١١١ ـ ١١٢).

❑ يزعمون أنهم رأوا الله ـ سبحانه وتعالى:

جاء في سفر الخروج ٢٤/٩ ـ ١١: ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شِبْهُ صنعةٍ من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة. ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل. فرأوا اللَّه، وأكلوا وشربوا.

وزعموا في سفر التكوين ١٧/١ ـ ٢٢ أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ رآه. وزعموا في ١٨/١ ـ ٨ أنه رآه وجادله.

❑ وزعموا أنه صارع يعقوب وهزمه يعقوب قاتلهم اللَّه:

«بل زعموا في سفر التكوين ٣٢/ ٢٤ ـ ٣٠ أنه ظهر ليعقوب ليلاً فتصارعا حتى الصباح، وأبى يعقوب أن يطلقه حتى يباركه، فباركه وسمّاه إسرائيل»[1].

❑ وإله التوراة إله مادي يفرح وينتعش برائحة الأضاحي المحرقة.. سفر اللاويين الإصحاح الأول ص(١٥٧ ـ ١٥٨).

❑ واللَّه عندهم له أولاد تزوجوا ببنات الأرض فقد ورد في سفر التكوين الإصحاح السادس ص(١٠): «إن أبناء اللَّه رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا.. وبعد ذلك أيضًا إذ دخل بنو اللَّه على بنات الناس وولدن لهم أولادًا هؤلاء هم الجبابرة».

* قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

(١) حاشية «بذل المجهود» ص(١١٣).

(٢) طعنهم في الأنبياء ونسبة القبائح إليهم:

«ينسب اليهود إلى الأنبياء والمرسلين أعمالاً قبيحة، فمن ذلك:

١ ـ أنّ نبي اللّه هارون صنع عجلاً وعبده مع بني إسرائيل، إصحاح (٣٢) عدد (١) من سفر الخروج.

وقد بيّن ضلالهم هذا القرآن عندما حدّثنا أنّ الذي صنع لهم عجلاً جسدًا له خوار هو السامريّ، وأن هارون قد أنكر عليهم إنكارًا شديدًا.

٢ ـ أن إبراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قدّم امرأته سارة إلى فرعون حتى ينال الخير بسببها. إصحاح (١٢) عدد (١٤) من سفر التكوين. وقد كذبوا على خليل الرحمن.

٣ ـ ومن ذلك أن لوطًا عليه السلام شرب خمرًا حتى سكر، ثم قام على ابنتيه فزنى بهما الواحدة بعد الأخرى.. سفر التكوين، إصحاح (١٩) عدد (٣٠). ومعاذ اللّه أن يفعل لوط ذلك، وهو الذي دعا إلى الفضيلة طيلة عمره، وحارب الرذيلة»[١].

قال الحكيم السموءل بن يحيى:

«وجعلوا ذلك النبي قد شرب الخمر حتى سكر، ولم يعرف ابنتيه، ووطئهما فأحبلهما، وهو لا يعرفهما. فولدت إحداهما ولدًا سمته (مؤاب) تعني: أنه من الأب، والثانية سمّت ولدها (بَنْ عَمَّى) تعني أنه من قبيلتها[٢].

---

(١) «الرسل والرسالات» للدكتور عمر سليمان الأشقر ص(١٠٤ ـ ١٠٥) مكتبة الفلاح، و«دار النفائس».

(٢) انظر «سفر التكوين» (١٩/ ٣٠ ـ ٣٨).

وهذان الوَلَدان عند اليهود من (الممزريم)[١] ضرورة؛ لأنهما من الأب وابنتيه. فإن أنكروا أن التوراة لم تكن نزلت لزمهم ذلك؛ لأن عندهم أن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ لما خاف في ذلك العصر من أن يقتله المصريون بسبب زوجته، أخفى نكاحها، وقال: هي أختي. علمًا منه بأنه إذا قال ذلك لم يبق للظنون إليهما سبيل.

وهذا دليل على أن حظر نكاح الأخت كان في ذلك الزمان مشروعًا. فما ظنك بنكاح البنت الذي لا يجوز ولا في زمن آدم ـ عليه السلام ـ؟[٢].

مؤاب هو أبو المؤابيين إلى اليوم، وبَنْ عَمَّى هو أبو بني عَمُّون إلى اليوم.

وعوبيد {عابد} جد داود، واسم أمه راعوث كما في إنجيل متى ١/ ٥ ـ ٦، وراعوث مؤابية، فهي من جدات سليمان وعيسى ـ عليهما السلام ـ ورحبعام بن سليمان من أجداد عيسى ـ عليه السلام ـ كما في إنجيل متى ١/ ٧ ـ ١٦، واسم أمه نعمة العمونية كما في سفر الملوك الأول ١٤/ ٢١. فراعوث المؤابية جدة داود وسليمان وعيسى ـ عليهم السلام ـ ونِعمة العمونية جدة عيسى ـ عليه السلام ـ على حد زعم أهل الكتاب وتلفيقهم، وجاء في سفر التثنية ٢٣/ ٢: لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب.

٢٣/ ٣: لا يدخل عَمُّوني ولا مؤابي في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد ا.هـ.

والعجب كله من أهل الكتاب، كيف دخل داود وسليمان وعيسى

(١) الممزريم: أولاد الزنى. وممزير هو ابن الزنا كما جاء في (زكريا ٩: ٦).
(٢) «بذل المجهود في إفحام اليهود» ص(١٦٩، ١٧٢).

ـ عليهم السلام ـ في جماعة الرب؟! بل كيف صار عيسى ابنًا للَّه ـ على زعمهم ـ ونسب ناسوته هكذا؟!

* وقال اليهود الكذابون الدجالون المفترون:

{«أن يعقوب ـ عليه السلام ـ سرق مواشٍ من حميّه، وخرج بأهله خلسة دون أن يُعلمه.. سفر التكوين إصحاح (٣١) عدد (١٧).

وأن راوبين زنى بزوجة أبيه يعقوب، وأن يعقوب ـ عليه السلام ـ علم بهذا الفعل القبيح وسكت... سفر التكوين، إصحاح (٣٥) عدد (٣٢)}[١].

وعندهم في توراتهم المحرفة أكبر إساءة إلى يهوذا ابن نبي اللَّه يعقوب ـ عليه السلام ـ ويهوذا ينتسب اليهود إليه..

يقولون إن يهوذا بعد ما ماتت زوجته، وأصعد إلى منزل يقال له: «تمناث» ليجزّ غنمه، فلما أخبرت ثامار «زوجة ابنه الذي توفي» بإصعاد حميّها إلى تمناث، لبست زيّ الزواني، وجلست في مستشرف على طريقه لعلمها بشيمته، فلما مرّ بها خالها زانية فراودها، فطالبته بالأجرة، فوعدها بجدي، ورهن عندها عصاه وخاتمه، فدخل بها، فحملت منه بفارص[٢]. وفارص هذا جدّ كل من داود وسليمان والمسيح ـ عليهم السلام ـ كما في سفر أخبار الأيام الأول ٢/ ١ ـ ١٥، وفي الباب الأول من إنجيل متى.

ففارص المولود بالزنى مع المحارم هو جدّ داود ـ عليه السلام ـ كما يزعم هؤلاء الكذابون.

---

(١) «الرسل والرسالات» للأشقر ص(١٠٥).

(٢) انظر «سفر التكوين» (٣٨/ ٦ ـ ٧).

❑ ويكذبون ويقولون: {«إن داود ـ عليه السلام ـ زنى بزوجة رجل من قوّاد جيشه، ثم دبّر حيلة لقتل الرجل، فقُتِل، وبعدئذ أخذ داود الزوجة وضمّها إلى نسائه، فولدت له سليمان.. سفر صموئيل الثاني إصحاح (١١) عدد (١).

❑وأن سليمان ارتدّ في آخر عمره وعبد الأصنام وبنى لها المعابد.. سفر الملوك الأول، إصحاح (١١) عدد (٥).

(٣) قتل الأنبياء الصالحين على يد يهود أفاعيل ليست مثلها أفاعيل!!!

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾{آل عمران: ٢١}.

* وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾{المائدة: ٧٠}.

❑إن تاريخ أمة من الأمم لم يشهد ما شهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وجحود وتنكّر للهداة، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم، وهي أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين ـ وقد كفروا أشنع الكفر واعتدوا.. أشنع الاعتداء وعصوا أبشع معصية، وكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل.

ومخاليق تقتل الأنبياء وتذبحهم وتنشرهم بالمناشير لا ينتظر منها إلا استباحة دماء البشر واستباحة كل وسيلة قذرة تنفّس عن أحقادهم وفسقهم»[1].

---

(١) «معركتنا مع اليهود» لسيد قطب ص(٢٧) ـ دار الشروق.

قتل اليهود من الأنبياء: حزقيال، وأشعيا، وأرميا، ويحيى، وزكريا، وحاولوا قتل عيسى ـ عليه السلام ـ فنجاه اللَّه منهم ورفعه إلى السماء.

(٤) الملائكة في عقيدة اليهود:

يعتقد اليهود أن الملائكة يأكلون ويشربون كالبشر. وهذه النظرة واضحة فيما رُوي في قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي سدوم وعمورة كما جاء في «سفر التكوين» الإصحاح الثامن عشر ص(٢٥ ـ ٢٦).

❑ وعند اليهود أن الروح القدس يمكن أن يقوم بوظيفة الشيطان فيرسله اللَّه للتدليس على الأنبياء كما ورد في سفر الملوك الإصحاح الثاني والعشرون ص(٥٧٩).

❑ والملائكة في التلمود قسمان:

ـ قسم لا يطرأ عليه الموت، وهو الذي خُلِق في اليوم الثاني.

ـ وقسم يطرأ عليه الموت وهم قسمان أيضًا:

منهم من يموت بعد مكثه مدة طويلة، ومنهم من يموت في يوم خلقه بعد أن يرتل للَّه ويقرأ التلمود ويسبح التسابيح، ويخلق اللَّه كل يوم مَلَكًا جديدًا عند كل كلمة يقولها»[1].

❑ والملائكة على زعمهم تجهل اللغة السريانية والكلدانية، وتجهل الملائكة هاتين اللغتين لسبب مهم وهو أنه يوجد لدى اليهود صلاة باللغة الكلدانية، وهم يجهلون هذه اللغة حتى لا يحسدوا اليهود على صلاتهم»[2].

---

(١) «أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة» لوفا صادق ص(١٦، ١٧، ١٨) ـ دار الفرقان ـ عمان.

(٢) المصدر السابق ص(١٨).

❑ عداوتهم لجبريل ـ عليه السلام ـ:

ويعادون جبريل المطاع ثم الأمين.. وله المكانة السامية عند ربه.

* قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

● روى البخاري في «صحيحه»، وأحمد في «مسنده» عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: بلغ عبد اللَّه بن سلام مقدم رسول اللَّه ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: قال: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أخبرني بهن آنفًا جبريل**»، قال: فقال عبد اللَّه: ذاك عدو اليهود من الملائكة...»[1].

(٥) سوء أدب اليهود:

كل ما مرّ يدل على كفرهم وسوء أدبهم مع اللَّه وأنبيائه وملائكته، وانظر إليهم حيث يلوون ألسنتهم بالكلام البذيء على رسول اللَّه ﷺ، فعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: مر يهودي برسول اللَّه

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم برقم (٣٣٢٩) بهذا اللفظ، ورواه أيضًا في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ (٨/ ١٦٥) برقم (٤٤٨٠) وفيه: «ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾ [البقرة: ٩٧]، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» كما في «الموارد» للهيثمي.

ﷺ فقال: «السام عليك»[١]، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وعليك**»، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أتدرون ما يقول؟ قال: السام عليك**»، قالوا: يا رسول اللَّه، ألا نقتله؟ قال: «**لا**»، قال: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب، فقولوا: وعليكم**»[٢].

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول اللَّه ﷺ فقالوا: «السام عليكم» قالت عائشة: ففهمتُها فقلت: وعليكم السام واللعنة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مهلاً يا عائشة إن اللَّه يحب الرفق في الأمر كله**»، فقلت: يا رسول اللَّه أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول اللَّه ﷺ: «**قد قلت: وعليكم**»[٣].

* وقد سجل اللَّه عز وجل على اليهود ليَّ ألسنتهم بالسوء في قوله عز وجل: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا

(١) السام عليك: يعني الموت، وقد فسره رسول اللَّه ﷺ بذلك في حديث رواه أحمد في «مسنده» بسند رجاله رجال الصحيح عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام، قالوا: يا رسول اللَّه وما السام؟ قال: الموت. رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٨)، وقد رواه البخاري (١٠/ ١٤٣) رقم (٥٦٨٧)، ومسلم (٤/ ١٧٣٥) رقم (٨٨/ ٢٢١٥)، ولكن ليس عندهما هذا التفسير مرفوعًا إلى رسول اللَّه ﷺ.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب استتابة المرتدين (١٢/ ٢٨٠ رقم ٦٩٢٦) عنه.. بهذا اللفظ، ورواه مسلم في كتاب السلام (٤/ ١٧٠٥) برقم (٦/ ٢١٦٣)، وابن ماجه في سننه في الأدب (٢/ ١٢١٩) رقم (٣٦٩٧).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» في الأدب (١٠/ ٤٤٩) برقم (٦٠٢٤)، ومسلم في «صحيحه» في السلام (٤/ ١٧٠٦) برقم (٢١٥٦)، والترمذي (٢٧٠٢)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٣٧)، والبيهقي في «سننه» (٩/ ٢٠٣).

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: كان على رسول اللَّه ﷺ ثوبان قِطْرِيَّان غليظان[١]، فكان إذا قعد فعرق ثقلا عليه، فقدم بَزٌّ من الشام لفلان اليهودي، فقلت: لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة، فأرسل إليه فقال: قد علمت ما يريد، إنما يريد أن يذهب بمالي أو بدراهمي، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**كذب، قد علم أني من أتقاهم للَّه وآداهم للأمانة**»[٢].

(٦) مكر اليهود وخداعهم:

من صفات اليهود المنغرسة في أعماقهم مخادعة الآخرين ومحاولة المكر بهم بشتى الأساليب والوسائل؛ وذلك لعجزهم عن تحقيق غاياتهم بالقوة المكشوفة؛ ولهذا يسلكون الطرق الملتوية لتحقيقها، ولكن اللَّه عز وجل رد كيدهم إلى نحورهم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ومن أساليب مكرهم التي عرفت واشتهرت: محاولتهم إغراء

---

(١) ثوبان قطريان: الثوب القطْري ـ كما قال ابن الأثير ـ هو ضرب من البرود فيه حمرة، ولها أعلام فيها بعض الخشونة، ا.هـ، وقطريان: قال الأزهري: في أعراض البحرين قرية يقال لها: قَطَر، وأحسب الثياب القطرية نسبت إليها، فكسروا القاف للنسبة وخففوا» انظر «النهاية» (٤/ ٨٠).

(٢) رواه الترمذي في «سننه» في البيوع (٤/ ٢٠٩، ٢١٠) عن عائشة... بهذا اللفظ ثم قال: حديث حسن صحيح، قال: وفي الباب عن ابن عباس وأنس وأسماء بنت يزيد، ورواه النسائي في «سننه» في البيوع (٧/ ٢٩٤) عنها بهذا اللفظ أيضًا، ورجال إسنادهما ثقات رجال الصحيح.

رسول اللَّه ﷺ في رجوعه عن القبلة التي تحول إليها «الكعبة».

ومن ذلك أيضًا: محاولتهم إغراء رسول اللَّه ﷺ عن طريق وعدهم له باتباعه شريطة أن يقضي لهم في خصومة أوجدوها بينهم.

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال كعب بن أسد وابن صوريا وشأس بن قيس بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم، وسادتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم؛ ونؤمن لك ونصدقك، فأبى رسول اللَّه ﷺ، فأنزل اللَّه فيهم: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩ ـ ٥٠].

ومن أمثلة مكرهم وخداعهم ما ورد عن عطاسهم عند رسول اللَّه ﷺ كي يدعو لهم بالرحمة، ولكنه رد كيدهم في نحورهم.

عن أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ، يرجون أن يقول لهم: «يرحمكم اللَّه»، فيقول: «يهديكم اللَّه ويصلح بالكم»[٢].

(١) رواه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٥٦٧) قال: قال ابن إسحاق. فذكره من غير إسناد، ورواه ابن جرير في «تفسيره» في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ..﴾ (٦/ ١٧٧) بإسناد رجاله موثقون.

(٢) رواه الترمذي في «سننه» في الأدب (٧/ ٣٦٣، ٣٦٤) برقم (٢٧٤٠)، وقال بعد سياقه: =

(٧) الحسد داء متأصل في اليهود:

عند اليهود أشنع دركات الحسد الذميم، «تناقلوه تقليداً واتباعًا أبناءً وأحفادًا، وتأصّل ذلك في مجتمعهم، يحسد بعضهم بعضًا ويحسدون غيرهم، وإذا اجتمعوا ونادرًا ما يجتمعون على أمر جامع وجهّوا معظم حسدهم لمن يجدون لديه ما يُحسد عليه من الأميين (الجوييم) وهم سائر الأمم غير اليهود في عرفهم.

ومع الحسد الشنيع تغلي قلوبهم بالغيظ والتآمر والكيد»[1].

* قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

* وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ذلك ما يفعله الحقد اللئيم بالنفوس الهابطة.. الرغبة في سلب الخير الذي يهتدي إليه الآخرون.. هذا الحسد اللئيم والانفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين، وهو

= وفي الباب عن علي وأبي أيوب وسالم بن عبيد وعبد اللَّه بن جعفر وأبي هريرة، وقال بعده: هذا حديث حسن صحيح، قلت: رجال إسناده ثقات. ورواه أبو داود في «سننه» في الأدب (٥/ ٢٩١، ٢٩٢)، ورجال إسناده ثقات. ورواه الحاكم في «مستدركه» في الأدب (٤/ ٢٦٨) ثم قال: هذا حديث متصل الإسناد.. ورواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٠٠، ٤١١) بإسنادين مختلفين ورجالهما ثقات.

(١) «مكايد يهودية عبر التاريخ» لعبد الرحمن حَبَنَكَة الميداني ص(٤٣٨ ـ ٤٣٩) دار القلم دمشق.

الذي انبعثت منه دسائسهم كلها وما تزال لزعزعة العقيدة في نفوس المسلمين. . فهذا مكمن الدسيسة حقد نتن وكيد لئيم وحسد ذميم.

* قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

هذا ألأم الحسد أن يحسد ذو النعمة الموهوب، قد يحسد المحروم ويكون الحسد منه رذيلة! أمّا أن يحسد الواجد المغمور بالنعمة، فهذا هو الشر الأصيل العميق! شر يهود! المتميّز الفريد!

* وانظر إلى حسد قارون لموسى وهارون ـ عليهما السلام ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية كان ابن عم موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ فبغى عليهم أي: حسدهم؛ لأنه قال: ذهب موسى وهارون بالأمر؛ فلم يبق لي شيء.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين**»(١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اليهود قوم حُسَّد، وإنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على السلام وعلى آمين**»(٢).

● وقال ﷺ: «**إن اليهود ليحسدونكم على السلام والتأمين**»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد، وابن ماجه (٨٥٦)، وصححه الألباني في «صفة الصلاة» باب التأمين وجهر الإمام به ص(٥٥)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ٤٤٩).

(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» رقم (٥٧٤)، وأخرجه مختصرًا البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٨)، وابن ماجه (٨٥٦).

(٣) صحيح: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٤٣)، وأبو نعيم في «أحاديث مشايخ أبي القاسم الأصم» (١/ ٣٥)، والضياء عن أنس، وابن خزيمة، وأبو نعيم عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٩٩٧)، و«الصحيحة» رقم (٦٩١، ٦٩٢).

(٨) حب المال والجشع وعبادة الذهب فهم قوم قارون والسامري:

اليهود في كل زمان ومكان، يستهويهم حب المال، فتطير له قلوبهم، وتتهاوى له نفوسهم، وتتشهّاه أفئدتهم. وتبهر به أبصارهم، ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى منه وأكرم.

أين قارون؟ قد هلكت في الزمان جديسه وطُسَمه، ولقد ذهب من كان وكان اسمه، فلا عينه ترى ولا رسمه، ولا جوهره يحس ولا جسمه.

* وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

لقد أحرق موسى ـ عليه السلام ـ العجل الذهبي، ونسفه في اليم نسفًا، ولكن ظل الذهب وعجله في أفئدة اليهود يعبدونه كما قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]. فالفكر اليهودي فكر مادي مفرط.

«ولجشعهم قد يرتكبون في سبيل ذلك شتى المحرمات حتى لو اضطرهم ذلك إلى قتل صاحب المال والقضاء عليه، وقد حصل بعض ذلك في زمن المصطفى ﷺ.

* روى البخاري، ومسلم وغيرهما بالسند إلى أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: عدا يهودي في عهد رسول اللَّه ﷺ على جارية فأخذ أوضاحًا[1] لها كانت عليها ورضخ رأسها، فأتى بها أهلها رسول اللَّه

(١) الأوضاح: جمع وضح، وهو نوع من الحليّ، يُعمل من الفضة، وسُمِّيت بها لبياضها انظر: «النهاية» (٥/١٩٦).

ﷺ، وهي في آخر رمق وقد أصمتت، فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «**من قتلك؟ فلان؟**» لغير الذي قتلها، فأشارت أن لا، فقال: «**فلان؟**» لقاتلها، فأشارت أن نعم، فأمر به رسول اللَّه ﷺ، فرضخ رأسه بين حجرين[1].

وقد حدثت لليهود مع بعض الصحابة، وأمام رسول اللَّه ﷺ مواقف مخجلة تبين حرص اليهود على الدنيا وحبهم لها.

● عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان بالمدينة يهودي، وكان يسلفني في ثمري إلى الجذاذ، وكانت لجابر الأرض التي بطريق رومة، فجلست، فخلا عامًا[2]، فجاءني اليهودي عند الجذاذ ولم أجذ منها شيئًا، فجعلت أستنظره إلى قابل فيأبى، فأُخبر بذلك النبي ﷺ، فقال لأصحابه: «**امشوا نستنظر لجابر من اليهودي**»، فجاءوني في نخلي، فجعل النبي ﷺ يكلم اليهودي فيقول: أبا القاسم، لا نظرة، فلما رأى النبي ﷺ قام فطاف في النخل، ثم جاء فكلمه، فأبى. فقمت فجئت بقليل رطب فوضعتـه بين يـدي النبي ﷺ فأكل، ثم قال: «**أين عريشك يا**

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في الطلاق (٩/ ٤٣٦) برقم (٥٢٩٥)، ورواه أيضًا في عدة مواضع أخرى، انظر (٥/ ٧١) رقم (٢٤١٣) مثلاً، ورواه مسلم في «صحيحه» في القسامة (٣/ ١٢٩٩) برقم (١٥/ ١٦٧٢) عن أنس.. قريبًا من هذا، ورواه الترمذي (٥/ ٨١، ٨٢) رقم (١٣٩٤)، وأبو داود (٤/ ٦٦٥، ٦٦٦) رقم (٢٨، ٤٥٢٩)، والنسائي (٧/ ١٠٠)، (٨/ ٢٢)، وابن ماجه (٢/ ٨٨٩) رقم (٢٦٦٦)، ورواه الدارمي (٢/ ١٠) رقم (٢٣٦٠)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٦٣، ١٧١)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ١١٦) رقم (١٠١٧١).

(٢) اختلف الشُّرّاح في ضبطها وتأويلها، انظر «الفتح» (٩/ ٥٦٨)، ولعلّ أرجح المعاني «فجلست الأرض فخلا النخل عامًا من الثمرة» واللَّه أعلم.

جابر؟» فأخبرته، فقال: «**افرش لي فيه**». ففرشته، فدخل فرقد ثم استيقظ، فجئته بقبضة أخرى فأكل منها، ثم قام فكلم اليهودي فأبى عليه، فقام في الرطاب في النخل الثانية، ثم قال: «**يا جابر، جذ واقض**»، فوقف في الجذاذ، فجذذت منها ما قضيته، وفضل منه، فخرجت حتى جئت النبي ﷺ فبشرته، فقال: «**أشهد أني رسول الله**»[1]

(٩) بخل اليهود وشحّهم:

* وقد سجل اللَّه ذلك عليهم في كتابه العزيز في قوله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [النساء: ٣٧].

* وقال تعالى عنهم: ﴿**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**﴾ [النساء: ٥٣].

لو كان لهم نصيب في ملك اللَّه لضنّوا ـ بكزازتهم وشحهم أن يعطوا الناس نقيرًا.. والنقير النقرة تكون في ظهر النّواة ـ وهذه لا تسمح كزازة يهود وأثرتها البغيضة أن تعطيها للناس، لو كان لها في الملك نصيب! والحمد للَّه أن ليس لها في الملك نصيب.. وإلاّ لهلك الناس جميعًا، وهم لا يُعطون حتى النقير!!!.

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في الأطعمة (٩/ ٥٦٦) رقم (٥٤٤٣) عن جابر.. وقد رويت هذه القصة فيما كان على والد جابر من الدين، وأشار ابن حجر إلى إمكانية تعدد القصة.. انظر «اليهود في السنة المطهرة» لعبد العزيز الشقاري (٢/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦) ـ دار طيبة.

(١٠) طلبهم من نبي الله موسى اتخاذ الأصنام آلهة:

* قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

التواءات بني إسرائيل وانحرافاتهم وانحلالاتهم وجهالاتهم - جبلات ثقيلة، أخلدت إلى الأرض طويلاً، حتى ما تريد أن تنهض من الوحل الذي تمرّغت فيه طويلاً، طبيعة نفوس مخلخلة العزيمة، ضعيفة الروح، ما تكاد تهتدي حتى تضل، وما تكاد ترتفع حتى تنحط، وما تكاد تمضي في الشعور المستقيم حتى ترتكس وتنتكس... ذلك إلى غلظ في الكبد، وتصلب عن الحق، وقساوة في الحس والشعور! وها هم أولاء على طبيعتهم تلك، ها هم أولاء ما يكادون يمرون بقوم يعكفون على أصنام لهم حتى ينسوا تعليم أكثر من عشرين عامًا منذ أن جاءهم موسى - عليه السلام - بالتوحيد، وينسوا معجزة اللحظة التي أنقذتهم من فرعون وملئه وأهلكت هؤلاء جميعًا! وهؤلاء كانوا وثنيين قالوا لفرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ ينسى اليهود هذا كله ليطلبوا إلى نبيهم رسول رب العالمين أن يتخذ لهم بنفسه آلهة! ولو أنهم هم اتخذوا لهم آلهة لكان الأمر أقل غرابة من أن يطلبوا إلى رسول رب العالمين أن يتخذ لهم آلهة.. ولكنما هي إسرائيل! جهالة وحمق في أبعد الحدود وأحط الصور... اختارهم لرسالة التوحيد وليورثهم الأرض المقدسة، وليس وراء ذلك فضل ولا منة، فكيف بعد هذا كله يطلبون

إلى نبيهم أن يطلب لهم إلهًا غير اللَّه؛ وهم في نعمته وفضله يتقلّبون؟!

(١١) شركهم وعبادتهم العجل واتخاذه إلهًا:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١].

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣].

* وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

* وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

❑ إسرائيل هي إسرائيل!، ويهود هم يهود! كثافة حسٍّ، ومادية فكر

ما كادوا يرون عجلاً من ذهب يخور حتى نسوا ربهم الذي أنقذهم من الذل وعكفوا على عجل الذهب؛ وفي بلاهة فكر وبلادة روح قالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ راح يبحث عنه على الجبل، وهو هنا معنا. وقد نسي موسى الطريق إلى ربه وضلّ عنه!

وهي قولة تضيف إلى معنى البلادة والتفاهة اتهامهم لنبيهم الذي أنقذهم بأنه غير موصول بربه، حتى ليضل الطريق إليه، فلا هو يهتدي ولا ربه يهديه!.

❑ لم يكن هذا العجل عجلاً حيًّا يسمع قولهم ويستجيب له، فهو في درجة أقل من درجة الحيوانية، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ صورة ساخرة هازئة صورة العجل يُدخل في القلوب إدخالاً، ويحشر فيها حشراً محبة شديدة منهم لعبادة العجل.

طبيعة بني إسرائيل التي تلتوي عن الطريق، والتي ما تكاد ترتفع عن مدى الرؤية الحسية في التصور والاعتقاد.. طاروا إلى الضلال، وتهافتوا عليه.. صورة رزية وجو هابط مترد بانحرافاته وخرافاته وارتكاساته وانتكاساته وشركياته ووثنياته. ويبقى الذهب معبود إسرائيل الأصيل!.

(١٢) الإشراك في العبادة:

* عبادة اليهود شركية باطلة، حيث يعتقدون أن للَّه ولدًا، ويشركون معه في عبادته غيره، وقد سجل اللَّه عز وجل عليهم بعض مظاهر الإشراك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن

قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

فهم لم يكتفوا في الإشراك بالقول المتقدم بل عبدوا أنبياءهم وصالحيهم واتخذوا قبورهم مساجد وأوثانًا يعبدونها من دون اللَّه:

● روى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ وعبد اللَّه بن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قالا: لما نزل برسول اللَّه ﷺ، طفق يطرح خميصة[1] له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «**لعنة اللَّه على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يحذر ما صنعوا[2].

● وروى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قاتل اللَّه اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[3].

---

(١) الخميصة ـ كما قال ابن الأثير ـ هي: ثوب خز أو صوف معلم، وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة. انظر «النهاية» (٢/ ٨١).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في الصلاة (١/ ٥٣٢) برقم (٤٣٥، ٤٣٦)، ورواه مسلم في «صحيحه» في المساجد (١/ ٣٧٧) برقم (٢٢/ ٥١٣)، والنسائي (٢/ ٤١)، والدارمي (١/ ٢٦٧)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢١٨)، (٦/ ٣٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٨/ ٤٦٥) رقم (١٥٩١٧)، و(٥/ ٤٣١، ٤٣٢) رقم (٩٧٥٤).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» في الصلاة (١/ ٥٣٢) رقم (٤٣٧)، ورواه مسلم في المساجد (١/ ٣٧٦) رقم (٢٠/ ٥٣٠)، ورواه أبو داود في الجنائز (٣/ ٥٥٣) رقم (٣٢٢٧)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٥١٨).

(١٣) اليهود نبذوا كتابهم ولاذوا بالسحر يتبعونه ويعلّمونه:

* قال تعالى عن اليهود: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

عجبًا لليهود ينبذون كتاب اللَّه وراءهم ظهريًّا، ويتبعون هذا الباطل وهذا الشر الذميم؟!

* سحر لبيد بن الأعصم اليهودي لرسول اللَّه ﷺ:

● روى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: واللفظ لمسلم ـ سحر رسول اللَّه ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول اللَّه ﷺ يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة، دعا رسول اللَّه ﷺ، ثم دعا، ثم قال: **«يا عائشة، أشعرت أن اللَّه أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب[1]، قال: من طَبَّه؟ قال: لبيد بن**

(١) مطبوب: أي: مسحور، والطب: هو السحر «الفائق» (٢/ ٣٥٣).

الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مُشْط ومُشاطة[١] قال: وجُبٍّ طلعة ذكر[٢]، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان[٣]».

قالت: فأتاها رسول اللَّه في أناس من أصحابه، ثم قال: يا عائشة: **«واللَّه لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين»**. قالت: فقلت: يا رسول اللَّه، أفلا أحرقته؟ قال: **«لا، أما أنا فقد عافاني اللَّه، وكرهتُ أن أثير على الناس شرًّا، فأمرتُ بها فدُفنت»**[٤].

(١٤) إيمانهم بالجبت والطاغوت:

* قال تعالى في حق اليهود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٢].

---

(١) المشط: هو الآلة التي يسرح بها الشعر، والمشاطة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية، عند التسريح بالمشط «الفائق» (٤/ ٣٣٣، ٣٣٤).

(٢) وجب طلعة ذكر: هو وعاء طلع النخيل «النهاية» (١/ ٢٣٤).

(٣) في بئر ذي أروان، وعند البخاري: في بئر ذروان: وهي بئر لبني زريق في نخلهم بالمدينة انظر «فتح الباري» (١٠/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» في الطب (١٠/ ٢٢١، ٢٢٢) رقم (٥٧٦٣) ـ عن عائشة... قريبًا من هذا، ورواه أيضًا بعدة ألفاظ، ورواه مسلم في «صحيحه» في السلام (٤/ ١٧١٩ ـ ١٧٢١) برقم (٤٣/ ٢١٨٩) ـ عن عائشة.. بهذا اللفظ. ورواه ابن ماجه في «سننه» في الطب (٢/ ١١٧٣) برقم (٣٥٤٥)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٥٧، ٦٣)، والحميدي في «مسنده» (١/ ١٢٥ ـ ١٢٧) برقم (٢٥٨)، والشافعي في «مسنده» ص(٣٨٢، ٣٨٣)، والبيهقي في «سننه» (١/ ١٣٥)، ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٩٦).

قال أبو إسحاق، عن حسان بن فائد عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه قال: «الجبت»: السحر، و«الطاغوت»: الشيطان[١].

وهكذا رُوي عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن والضحاك والسدي.

❑ وعن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير، والشعبي، والحسن، وعطية: «الجبت»: الشيطان، وزاد ابن عباس: بالحبشية. وعن ابن عباس أيضًا: الجبت: الشرك. وعنه: «الجبت»: الأصنام. وعن الشعبي: «الجبت»: الكاهن.

وعن ابن عباس: «الجبت»: حيي بن أخطب. وعن مجاهد: «الجبت»: كعب بن الأشرف.

❑ وقال العلاّمة أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه «الصحاح»: «الجبت»: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، وعن جابر بن عبد اللَّه أنه سُئل عن الطواغيت فقال: هم كهان تنزل عليهم الشياطين[٢].

❑ وقال الإمام مالك: هو كل ما يُعبد من دون اللَّه عز وجل»[٣].

وهكذا رواه ابن جرير[٤]، وابن أبي حاتم.

ومعنى قوله في «الطاغوت»: «إنه الشيطان» قوي جدًّا؛ فإنه يشمل

---

(١) إسناده قوي: انظر «فتح الباري» (٨/ ٢٥٢).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٥٤٥٢).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤/ ١١٥ ـ ١١٧) ـ طبعة أولاد الشيخ.

(٤) «تفسير الطبري» (٥/ ٤١٧).

كل شر كان عليه أهل الجاهلية، من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها»[1].

(١٥) افتراؤهم الكذب على اللَّه وتقوّلهم عليه:

* قال تعالى عن اليهود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٤٩ ـ ٥٠].

دعوى اليهود أنهم شعب اللَّه المختار وقد بدّلوا وحرّفوا كلام اللَّه، وقتلوا الأنبياء وأكلوا السحت ونسبوا إلى اللَّه ما لم يقله.. وزعمهم أنهم أبناء اللَّه وأحباؤه، وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة، وأنه لا يهتدي ولا يُقبل عند اللَّه إلا مَن كان هُودًا.

واللَّه سبحانه يشهد على اليهود ـ أنهم إذ يزكون أنفسهم ويدّعون أن اللَّه راض عنهم ـ يفترون عليه الكذب، ويشنّع بفعلتهم هذه، ويوجه الأنظار إلى بشاعتها.

* وقال تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

وهذا كشف لكذبهم وتبجحهم وافترائهم على اللَّه.. إذ يزعمون أنهم لا يؤمنون بمحمد ﷺ؛ لأن اللَّه عهد إليهم ـ بزعمهم ـ ألا يؤمنوا لرسول، حتى يأتيهم بقربان يقدمونه، فتقع المعجزة، وتهبط نار

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٤٧).

تأكله، على نحو ما كانت معجزة بعض أنبياء بني إسرائيل. وما دام محمد لم يقدم لهم هذه المعجزة فهم على عهد مع اللَّه!!

* وقال تعالى مبينًا افتراءهم على اللَّه: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٣ ـ ٩٤].

يتحداهم اللَّه أن يرجعوا إلى التوراة، وأن يأتوا بها ليقرءوها، وسيجدون فيها أن أسباب التحريم خاصة بهم وليست عامة... ويكفي أنهم يصمهم اللَّه بالافتراء والتقول والكذب عليه.

(١٦) تحريفهم كلام اللَّه «التوراة»:

تعرضت التوراة للفقد والضياع بسبب التفريط في التحفظ عليها وحفظ ما فيها فصارت تلك المفقودات نسيًا منسيًّا.

* قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

* بل قامت طائفة من الأحبار والكهنة بتحريف كلام اللَّه بتغييره وتبديله: قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

* وأضافوا إلى كلام اللَّه ونقصوا منه ما شاءت لهم أهواؤهم ثم يدّعون أن ذلك وحي اللَّه قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا

هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

* وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨].

* وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

* واعترف أهل الكتاب بتحريف كتابهم المقدس:

ما هو الكتاب المقدّس؟

سؤال طرحه علماء الترجمة الفرنسية المسكونية (العالمية) في بداية فصل بعنوان:

مدخل إلى الكتاب المقدّس ثم أجابوا عليه بأنه:

«مجموعة كتب مختلفة جدًّا، تمتد على أكثر من عشرة قرون وتُنسب إلى عشرات من المؤلفين المختلفين. بعضها وضع بالعبرية (مع بعض المقاطع بالآرامية) وبعضها الآخر باليونانية. وهي تنتمي إلى أشد الفنون الأدبية اختلافًا كالرواية التاريخية ومجموعة القوانين والوعظ والصلاة والقصيدة الشعرية والرسالة والقصة...

صدرت جميع هذه الكتب عن أناس مقتنعين بأن اللّه دعاهم

لتكوين شعب يحتل مكانًا في التاريخ بتشريعه ومبادئه في الحياة الفردية والجماعية.

أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين عُرِفوا بأنهم لسان حال اللَّه وسط شعبهم، ظل عدد كبير منهم مجهولاً، معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة.

وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية، انتشرت زمنًا طويلاً بين الشعب، وهي تحمل آثار ردود فعل القرّاء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية، لا بل أحدث الأسفار ما هي أحيانًا إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة»[1].

□ «أسفار الكتاب المقدس ـ إذن ـ هي كتب مؤلفة بكل معنى الكلمة، إذ إنها نتاج عمل «مؤلفين ومحررين»، انتشرت شفاهًا زمنًا طويلاً قبل تدوينها، ثم ما لبث هذا التدوين أن تعرّض «لتنقيحات وتعليقات» كرد فعل لقرائها وكتبتها المسئولين عن الحفاظ عليها، وتقديمها للناس، ويزداد الأمر سوءًا فيما يتعلق بمؤلفيها، إذ ظلّ عدد كبير منهم مجهولاً.

□ إن الناس ـ كل الناس ـ في حياتهم اليومية يحتاجون إلى وثائق لا حصر لها، وكل وثيقة من هذه الوثائق تصبح لا قيمة لها على الإطلاق ويُلقى بها في سلة المهملات إذا لم يُعرف مصدرها المختص على وجه اليقين، فما بالنا إذا كان الأمر يتعلّق بأسفار خلع عليها بعض

(١) «كتب الشريعة الخمسة» ص(٣٣ ـ ٤٤)، وهي ترجمة عربية صدرت عن دار المشرق ببيروت عام ١٩٨٤م، مأخوذة من الترجمة الفرنسية المسكونية التي قام بها ١٢٥ عالمًا.

الناس صفة القداسة باعتبارها كلام اللَّه»[١] .

▫ وتقول دائرة المعارف الأمريكية:

«لقد سجل الإسرائيليون حكمة الشيوخ وأقوالهم وسلوكهم والأحداث التاريخية الهامة، وواضح أن كل ما سجّلوه لم يكن مختصًّا بالمسائل الدينية، إلا أنه بعد أن استقرت حياة الطائفة الإسرائيلية بدأت تظهر بالتدريج، وعن غير قصد، عناصر من هذه الآداب اعتبرتها الطائفة ركائز لحياتها العقائدية، وبهذا أعطيت هذه العناصر وقارًا خاصًّا تفرّدت به، وتحولت بذلك إلى كتابات مقدسة. ولا شك أن الكُتّاب الأصليين لهذه الكتب لم يدر بخلدهم أن ما كتبوه وسجّلوه سيكون له مثل هذه القداسة في حياة الطائفة الإسرائيلية في يوم من الأيام»[٢] .

▫ يتكون «العهد القديم» حسب عقيدة اليهود والمسيحيين البروتستانت من ٣٩ سفرًا. بينما يضيف الكاثوليك ٧ أسفار أخرى تحت اسم «الأسفار القانونية الثانية»، وهي مأخوذة من أسفار منحولة تعرف باسم الأبوكريفا، وهي موضع جدل على مرّ العصور وهي: يهوديت وطوبيا والمكلبيون الأول والثاني والحكمة ويشوع بن سيراخ ومقاطع من إستير ودانيال خاصة بالترجمة اليونانية لهذين السفرين.

▫ قال علماء الكتاب المقدّس!! في دائرة المعارف البريطانية:

«لقد أصبح من الواضح أن هذه الأسفار لا تحتوي كل الصدق، وأن ليس كل ما تحتويه هذه الأسفار بصادق»[٣] .

---

(١) «القرآن لا يشهد لتوراة اليهود» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٦ ـ ٧).

(٢) «دائر المعارف الأمريكية» ـ طبعة ١٩٥٩ (٣/ ٦١٣).

(٣) «دائر المعارف البريطانية» طبعة ١٩٦٠م (٢/ ١٠٥).

* أمثلة من تحريف اليهود أولاد الأفاعي للتوراة:

١ ـ تقر التوراة المحرّفة عبادة الشيطان!

كما جاء في «لاويين ١٦: ٢ ـ ١٠»:

«قال الرب لموسى كلّم هارون أخاك.. يأخذ تيْسَيْنِ من المعز لذبيحة خطية.. ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب.. ويلقي هارون على التيْسَيْنِ قرعتين: قرعة للرب، وقرعة لعزازيل. ويقرّب هارون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب، ويعمل ذبيحة خطية.

وأما التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيًّا أمام الرب ليكفّر عنه ليرسل إلى عزازيل إلى البرية».

يقول علماء الترجمة الفرنسية المسكونية تعليقًا على هذه الفقرة: «يبدو أن عزازيل بحسب الترجمة السريانية هو اسم شيطان، كان العبرانيون والكنعانيون القدامى يعتقدون أنه يسكن البرية. والبرية أرض عقيمة لا يمارس فيها اللَّه عمله المخصب»[١].

«سبحان اللَّه!

هل البرية أو الصحراء بعيدة عن سلطان اللَّه؟!

وحتى لو لم يكن عزازيل شيطانًا، بل كان ملكًا أو كبير الملائكة، فإن اختصاصه بتقديم قربان إنما يعني عبادته.. يعني الشرك باللَّه»[٢].

٢ ـ كذلك تقرّ التوراة المحرفة الناس من غير بني إسرائيل على عبادتهم

---

(١) «كتب الشريعة الخمسة» ص(٥٧).

(٢) «القرآن لا يشهد لتوراة اليهود» ص(٣٨ ـ ٣٩).

الأجرام السماوية، باعتبار ذلك قدرًا إلهيًّا قسمه الرب لتلك الشعوب، بينما يتفرد الإسرائيليون بعبادة اللَّه فلا يشاركهم فيه أحد!.

«لئلا ترفع عينيك إلى السماء، وتنظر الشمس والقمر والنجوم كل جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت السماء فتغتر وتسجد لها وتعبدها ـ تثنية ٤: ١٩».

٣ ـ كذلك تقرّ توراة اليهود المحرّفة استعباد غير الإسرائيليين ليكونوا عبيدًا لبني إسرائيل أبد الدهر! انظر: لاويين ٢٥: ٣٩ ـ ٤٦.

٤ ـ **ومن التحريف**: تحريف بشارة محمد خاتم النبيين ﷺ كما في «ترجمة إنجليزية اليوم» تثنية ١٨: ١٨ ـ ٩.

٥ ـ **ومن التحريف**: حذف عقيدة البعث ويوم القيامة:

لقد حذفت من التوراة عقيدة البعث والحساب يوم القيامة، وهي التي أكّد عليها كل من الإنجيل والقرآن.

فلم تبدأ الإشارة ـ مجرد إشارة ـ إلى عقيدة البعث والجزاء في الآخرة إلا بعد موسى بأكثر من خمسة قرون (أشعياء ٦٦: ١٦). ثم في صورة صريحة في سفر دانيال، وإن كانت محرّفة أيضًا؛ لأنها تتحدث عن قيامة «**كثيرين من الراقدين في تراب الأرض**»، وليس قيامة الجميع إذ تقول: «كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون: هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي» دانيال ١٢: ٢»، ولقد علّق علماء الترجمة الفرنسية المسكونية على ذلك بقولهم: «الوعد بالقيامة الفردية للناس يُؤكد تأكيدًا صريحًا أول مرة في العهد القديم، في هذا الكتاب (١٢/ ٢ ـ ٣).

٦ ـ ومن تحريف التوراة: أنها تفرض على بني إسرائيل أن يقرضوا غيرهم بربًا، بينما تحرّم ذلك عندما يكون المقترض من الإسرائيليين! «للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك» تثنية ٢٣: ١٩ ـ ٢٠»[١].

٧ ـ ومن التحريف: ما ورد في قصة الطوفان، سفر التكوين، إصحاح ٦، ٧، ٨ وما ورد في قصة لوط «سفر التكوين» إصحاح ١٨ (١٨)، إصحاح (١٩) ٣، وسفر التكوين، إصحاح ١٩ (١٥)، وما ورد في قصة يوسف أنه حكى الرؤيا لإخوته قبل أبيه في أكثر من مرة (سفر التكوين، إصحاح ٣٧ (٥).

وتزعم التوراة أن مريم كانت نبية من الأنبياء، وليس ذلك بصحيح (سفر الخروج، إصحاح ١٥ (٢، ٢١).

ومن التحريف ما ذكرته عن الابن الوحيد أنه إسحاق[٢] . . . (سفر التكوين إصحاح» (١، ٢).

٨ ـ ومن التحريف: الغزل في التوراة:

ومما يدل على تحريف التوراة ما اشتملت عليه بعض أسفارها من غزل شهواني صريح[٣] ، ومن تعبير ماجن فظيع تعفّ عنه الكتب الجنسية

---

(١) «القرآن لا يشهد لتوراة اليهود» ص(٤٠ ـ ٤١).

(٢) «تعصب اليهود» للدكتور عمر عبد العزيز القرشي (١/ ٨٢ ـ ٨٣). يراجع في ذلك كتاب «إظهار الحق» للشيخ رحمة اللّه الهندي، و«نقد التوراة» للشيخ أحمد حجازي السقا.

(٣) انظر تعليق الشيخ محمد الغزالي في كتابه «التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام».

الهابطة، وفي سفر «نشيد الإنشاد» الكثير والكثير من الغزل السافر الماجن[١] . .

قال ول ديورانت صاحب «قصة الحضارة» عما يشيع في الأسفار من عبارات مهيّجة للشهوة فقال: «وفي هذه الكتابات الغرامية العجيبة مجال واسع للحدث والتخمين، فقد تكون مجموعة من الأغاني البابلية الأصل، وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين، ومهما يكن أصلها، فإن وجودها في التوراة سرّ خفي. . ولسنا ندري كيف غفل، أو تغافل رجال الدين عمّا في هذه الأغاني من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال «أشعياء وأرمياء»[٢] .

والحق أنها بين سفر الجامعة، وسفر أشعياء[٣] .

* **الفحش من القول:**

جرى التقليد عند بعض أنبياء الكتاب المقدّس أن يشبهوا علاقة الشعب الإسرائيلي بربه كعلاقة المرأة بزوجها!!، فحين يزيغون عن تطبيق تعاليم الرب يعتبرون كالزوجة الخائنة التي تزني مع آخرين.

وفي واحدة من المرات، جاء الوحي إلى النبي حزقيال يقول عنهم: «كان امرأتان (دولتا إسرائيل ويهوذا). . زنتا بمصر. في صباهما

---

(١) انظر سفر «نشيد الإنشاد» الإصحاح الأول (٢ ـ ١٧)، و«الإصحاح الثاني» (٥ ـ ٨). ، وفي «الإصحاح الثالث» (١ ـ ١١)، و«الإصحاح الرابع» (١ ـ ١١)، و«إصحاح» ٥ (٧)، و«إصحاح» ٧ (١ ـ ٩).

(٢) «قصة الحضارة» لول ديورانت (٣/٣٨٨) ترجمة د/ زكي نجيب محمود ـ مطابع الدجوي.

(٣) «تعصب اليهود» ص(٨٤ ـ ٨٦).

زنتا. هناك دغدغت ثديهما، وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما (البكارة!)، وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيّهم كمنيّ الخيل!

حزقيال ٢٣: ١ ـ ٢٠».

وجدير بالذكر أن عبارة «لحمهم كلحم الحمير» هي ترجمة عربية مزوّرة، اضطروا لتلفيقها خجلاً من حقيقة النص. فهي في الترجمة القياسية المراجعة (R.S. v) هكذا:

and doted upon her para mours there whose me mbers were like those of asses, andwhose issue was like that of horses

وترجمتها إلى العربية هي:

«وعشقت معشوقيها الذين لهم أعضاء ذكورة مثل أعضاء ذكورة الحمير، ومنيّهم كمنيّ الخيل»[1] هل هذا كتاب مقدس أم محرف وأحاديث فواحش؟!

(١٧) قسوة قلوب اليهود:

* قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

* وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً...﴾ الآية [المائدة: ٧٤].

قلوب ملؤها الجفاف والقسوة والجدب، قلوب صلدة لا تنض منها

(١) «القرآن لا يشهد لتوراة اليهود» ص(١١٠ ـ ١١١).

قطرة ولا يلين لها ملمس، ولا تنبض فيها حياة، قلوب جامدة خاوية.

قسوة القلوب شنشنة يهود من قديم!! قلوب قاسية جاسية مجدبة كافرة.

قسوة تبدو في ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة، وفي تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية، ومهما حاولوا ـ مكرًا ـ إبداء اللين في القول عند الخوف وعند المصلحة، والنعومة في الملمس عند الكيد والوقيعة، فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشي بجفاف القلوب والأفئدة التي لا تلين بعاطفة نبيلة؛ وقسوة قلوبهم ناتجة عن أنانيتهم المفرطة، وماديتهم وكبرهم، وعقدة الاستعلاء التي تأصلت فيهم، وحبهم للحياة الدنيا وزينتها وشهواتها، وجرأتهم الوقحة على اللَّه، وعلى معصيته، وعلى ارتكاب أقبح صور الفسق والفجور، وعلى نقض عهودهم ومواثيقهم مع اللَّه وأنبيائه.

(١٨) الخيانـــة:

من جرائم اليهود المتكررة في سلوكهم لجوؤهم إلى الخيانة، مع كل من يعطونه عهدًا وميثاقًا من الناس، رسولاً كان أو غير رسول.

* قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وهذا خطاب للرسول ﷺ ـ يصوّر حال يهود في المجتمع المسلم في المدينة، فهم لا يكفّون عن محاولة خيانة رسول اللَّه ﷺ ـ وقد كانت لهم مواقف خيانة متواترة. بل كانت هذه هي حالهم طوال إقامتهم

معه في المدينة ـ ثم في الجزيرة كلها ـ وما تزال هذه حالهم في المجتمع الإسلامي على مدار التاريخ. على الرغم من أن المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد الذي آواهم، ورفع عنهم الاضطهاد، وعاملهم بالحسنى، ومكّن لهم من الحياة الرغيدة فيه. ولكنهم كانوا دائمًا ـ كما كانوا على عهد الرسول ﷺ ـ عقارب وحيّات وثعالب وذئابًا تضمر المكر والخيانة، ولا تني تمكر وتغدر. إن أعوزتهم القدرة على التنكيل الظاهر بالمسلمين نصبوا لهم الشباك وأقاموا لهم المصائد، وتآمروا مع كل عدو لهم، حتى تحين الفرصة، فينقضوا عليهم، قساة جفاة لا يرحمونهم، ولا يرعون فيهم إلاً ولا ذمة أكثرهم كذلك.. كما وصفهم اللّه سبحانه في كتابه، وكما أنبأنا عن جبلتهم التي أورثها إياهم نقضهم لميثاق اللّه من قديم.

الفعلة الخائنة، والنيّة الخائنة، والكلمة الخائنة، والنظرة الخائنة تملأ الجو، وتلقي ظلالها وحدها على القوم.. فهذا هو جوهر جبلتهم، وهذا هو جوهر موقفهم، مع الرسول ﷺ ومع الجماعة المسلمة.

(١٩) لا عهد لليهود ولا ميثاق، فما من ميثاق إلا نقضوه:

* قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

* وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ الآية [المائدة: ١٣].

هؤلاء الذين انطلقوا من كل قيد، كما تنطلق البهيمة، لولا أن البهيمة مقيدة بضوابط فطرتها، وهؤلاء لا ضابط لهم قال تعالى مبينًا

نقضهم كل عهد أبرموه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥ ـ ٥٦].

❑ إذا نُقِض عهد اللَّه من بعد ميثاقه، فكل عهد دون اللَّه منقوض، فالذي يجرؤ على عهد اللَّه لا يحترم بعده عهداً من العهود.

❑ سمة من سمات اليهود الوبيئة أنهم لا يثبتون على عهد، ولا يجتمعون على رأي فما من عهد يقطعونه على أنفسهم حتى تندّ منهم فرقة فتنقض ما أبرموا، وتخرج على ما أجمعوا:

قد أخلفوا ميثاقهم مع اللَّه تحت الجبل، ونبذوا عهودهم مع أنبيائهم من بعد، ونبذوا عهودهم مع رسول اللَّه ﷺ، وكانوا أول من أعان عليه أعداءه؛ وأول من عاب دينه، وحاولوا بث الفرقة والفتنة بين المسلمين، مخالفين ما عاهدوا المسلمين عليه.

وبئست هي من خلة في اليهود أن ينقضوا عهدهم، وينبذوا كتاب اللَّه وراء ظهورهم، وقد أخذ اللَّه عليهم أن يؤمنوا بكل رسول يبعثه، وينصروه ويحترموه، فلما جاءهم كتاب من عند اللَّه مصدق لما معهم، خاسوا بذلك العهد، فيا لها من خلة بشعة زرية، تنضح بالكنود والجحود، وتتسم بالغلظة والحماقة، وتفيض بسوء الأدب والقحة.

قد وقف اليهود من خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام موقفًا لئيمًا ماكرًا عنيداً، وخانوه وخانوا مواثيقهم معه، فباءوا بالطرد من هدى اللَّه، وقست قلوبهم فلم تعد صالحة لاستقبال هذا الهدى.

❀ ❀ ❀

(٢٠) هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا:

* قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

حين يستأنس الإنسان في تفسير هذا الكلام الرباني بالواقع التاريخي المشهود منذ مولد الإسلام حتى اللحظة الحاضرة، فإنه لا يتردد في تقرير أن عداء اليهود للذين آمنوا كانوا دائمًا أشد وأقسى وأعمق إصرارًا وأطول أمدًا من عداء الذين أشركوا!

لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى.. منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة، وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة.. وشنوا حربًا مريرة على الإسلام ورسولنا ﷺ وعلى الأمة المسلمة في تاريخها الطويل؛ ولم تَخْبُ لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرنًا، وما تزال حتى هذه اللحظة يتسعّر أوارها في أرجاء الأرض جميعًا.

لقد أضمروا العداء للإسلام والمسلمين منذ اليوم الأول الذي جمع اللَّه فيه الأوس والخزرج على الإسلام، فلم يعد لليهود في صفوفهم مدخل ولا مخرج.

ولقد استخدموا كل الأسلحة والوسائل التي تفتقت عنها عبقرية المكر اليهودية، وأفادتها من قرون السبي في بابل، والعبودية في مصر، والذل في الدولة الرومانية، ومع أن الإسلام قد وسعهم بعدما ضاقت بهم الملل والنحل على مدار التاريخ، فإنهم ردّوا للإسلام جميله عليهم

بأقبح الكيد وألأم المكر منذ اليوم الأول.

لقد ألبوا على الإسلام والمسلمين كل قوى الشرك في الجزيرة العربية، ولما غلبهم الإسلام بقوة الحق استداروا يكيدون بتأليب خصومه عليه في أنحاء الأرض.. حتى انتهى بهم المطاف أن يكونوا في العصر الأخير هم الذين يقودون المعركة مع الإسلام في كل شبر على وجه الأرض، وهم الذين يستخدمون الصليبية والوثنية في هذه الحرب الشاملة على جذور هذا الدين.

* وصدق اللَّه العظيم: ﴿لتجدنَّ أشدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِّلَّذينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

إن الذي ألّب الأحزاب، وجمع بين اليهود من بني قريظة وغيرهم، وبين قريش في مكة، وبين القبائل في الجزيرة هم اليهود.

والذي ألّب العوامَّ، وجمع الشراذم، وأطلق الشائعات، وفرّق المسلمين حتى قُتِل عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ عبد اللَّه بن سبأ اليهودي.

والحركة الباطنية القرمطية التي أقضت مضاجع المسلمين كان وراءها اليهود وميمون القداح اليهودي وأولاده وأحفاده، وهم الذين ساعدوا الصليبيين ومكنوهم من بلاد الشام وفلسطين.

والذي قاد حملة الوضع والكذب في أحاديث رسول اللَّه ﷺ يهودي.

ثم إن الذي كان وراء إثارة النعرات القومية في دولة الخلافة الأخيرة؛ ووراء الانقلابات التي ابتدأت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدال «الدستور» بها في عهد السلطان عبد الحميد، ثم انتهت بإسقاط الخلافة

وإلغائها جملة على يد مصطفى كمال أتاتورك.. وهو من يهود الدونمة.

❑ والحركة التنصيرية التي وُجِّهت لشعوب الأمة الإسلامية، يعمل في قيادتها يهود متسترون ينافقون النصارى.

❑ والحركة الاستشراقية العاملة على هدم الإسلام ونشر الإلحاد وراءها اليهود.

❑ والنحلة البهائية الخائنة المتآمرة على الإسلام والمسلمين وراءها يهود.

❑ والماسونية والشيوعية والاشتراكيات والقوميات في ديار المسلمين وراءها اليهود.

❑ وسائر ما تلا ذلك من الحرب المعلنة على طلائع البعث الإسلامي في كل مكان على وجه الأرض وراءه يهود!

❑ لقد كان وراء النزعة المادية الإلحادية.. يهودي هو كارل ماركس.

❑ ووراء النزعة الحيوانية الجنسية فرويد اليهودي.

❑ ووراء علم الاجتماع الذي قوّض الأسرة ومعظم النظريات الهدّامة لكل المقدسات دركايم اليهودي.

❑ ووراء الإباحية جان بول سارتر اليهودي.

لقد كانت الحرب التي شنّها اليهود على الإسلام أطول أمدًا، وأعرض مجالاً من تلك التي شنها عليه المشركون والوثنيون... على ضراوتها ـ قديمًا وحديثًا..

إن المعركة مع مشركي العرب لم تمتد إلى أكثر من عشرين عامًا في جملتها. وكذلك كانت المعركة مع فارس في العهد الأول.

أما في العصر الحديث فإن ضراوة المعركة بين الوثنية الهندية والإسلام ضراوة ظاهرة؛ ولكنها لا تبلغ ضراوة الصهيونية العالمية...

التي تعد الماركسية مجرد فرع لها.

وليس هناك ما يماثل معركة اليهود مع الإسلام في طول الأمد وعرض المجال إلا معركة الصليبية.

يقدّم اليهود في النص على الذين أشركوا.. ثم راجعنا هذا الواقع التاريخي، فإننا ندرك طرفًا من حكمة اللَّه في تقديم اليهود على الذين أشركوا!

إنهم هذه الجبلّة النكدة الشريرة، التي ينغل الحقد في صدورها على الإسلام ونبي الإسلام، فيحذر اللَّه نبيه وأهل دينه منها.. ولم يغلب هذه الجبلة النكدة إلا الإسلام وأهله يوم أن كانوا أهله حقًّا!.. ولن يخلص العالم من هذه الجبلة النكدة إلا الإسلام يوم يفيء أهله إليه.

(٢١) يشهدون لأهل الباطل ضد أهل الحق:

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كان الذين حزّبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة، حيي بن أخطب، وسلام بن الحقيق وأبو رافع، والربيع بن الحقيق، وأبو عامر، ووحوح بن عامر، وهودة بن قيس. فأما وحوح وأبو عامر وهودة، فمن بني وائل، وكان سائرهم من بني النضير.. فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتاب الأول، فاسألوهم: أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم: فقالوا: دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه.

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش: ألا ترى هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية. قال: أنتم خير منه. قال: فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾، ونزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى: ﴿نصيرا﴾[1].

وليس هذا بالعجيب من اليهود.. إنه موقفهم دائمًا من الحق وأهله، إنهم ذوو أطماع لا تنتهي، وذوو أهواء لا تعتدل، وذوو أحقاد لا تزول! وهم لا يجدون عند الحق وأهله عونًا لهم في شيء من أطماعهم وأهوائهم وأحقادهم، إنما يجدون العون والنصرة ـ دائمًا ـ عند أهل الباطل، ومن ثم يشهدون للباطل ضد الحق.

(٢٢) اليهود أهل الفسق والفجور وأتباع الشهوات وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

* قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/١١٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/٣٠٦)، وابن جرير (٨/٩٧٨٦) و(٣٠/٣٣٠)، وابن أبي حاتم (٣/٥٤٤٠)، وصحح إسناده ابن كثير، وكذا صححه أبو حاتم بن حبان (١٤/٦٥٧٢).

كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٨١].

مجتمع اليهود هو مجتمع الشريرين المفسدين المنحرفين ـ لم يؤد أحبارهم الأمانة التي استحفظوا عليها وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأملى بعضهم لبعض في الفسق والفجور والظلم والبطش والجور والاعتداء.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن الدنيا حلوة خضرة وإن اللَّه مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**(١).

□ واليهود هم الذين نشروا الرذيلة في كل مكان وحاربوا الفضيلة، وهم أصحاب بيوت الدعارة في العالم وناشروا الانحلال الجنسي، ومروجو الأدب الخليع، والمتاجرون بأعراضهم، وكم فيهم من إستير وألف إستير، وهم أصحاب النظريات المنحلة المتعفنة، وهم الداعون المروجون لتلك النظريات التي تجعل من الإنسان حيوانًا مصابًا بالسعار الجنسي الذي لا حدّ له.

□ ولهبوطهم ونتنهم صوّروا أنبياء ـ وحاشاهم ـ فاسقين فاجرين، ولصقوا الزنا بأنبياء اللَّه الكرام وبيوتهم.

□ فداود عليه السلام جعلوه محبًّا للعذارى يتدثر بهن حين يصاب بالقشعريرة كما في سفر الملوك الإصحاح الأول ص(٥٢٨)، وجعلوا سليمان مزواجًا له سبعمائة زوجة وثلاثمائة من السراري كما في سفر الملوك الإصحاح الحادي عشر ص(٥٥٣ ـ ٥٥٤).

---

(١) رواه مسلم.

ويرسم الحاخامات المنحرفون صورة رزية لبيت داود عليه السلام، فمن أولاده من يزني بزوجات أبيه كما جاء في «سفر صموئيل الثاني» الإصحاح السادس عشر ص(٥١٠) عن أبشالوم ابن داود مع سراري أبيه.

وجعلوا أمنوم بن داود زانيًا بأخته ثامار كما جاء في سفر صموئيل الإصحاح الثالث عشر ص(٥٠١ ـ ٥٠٢).

إنها فعلة منكرة يسطّرها الحاخامات اليهود ويلبسونها ثوب التوراة، وهي فعلة يترفع عنها بعض أنواع الحيوان، ولم تعرفها البشرية قط إلاّ على أيدي اليهود فضلاً عن أن يكون عملاً يتحدث عنه كتاب مقدس، وأنبياء اللَّه وأولادهم برآء من هذه التهم الباطلة.

وبالرجوع إلى التلمود نجده يطفح بالقاذورات التي تشمئز منها النفوس فهو يعطي اليهود الحق في الزنا من غير اليهوديات مستندًا لما ورد في التوراة «لا تشته امرأة قريبك»، ومفهومها عندهم إباحة ارتكاب الفحشاء مع الأجانب.

ويقص التلمود عن الرابي ألعاذر «أنه لم يترك في العالم بأسره امرأة من غير أن يضاجعها، وفي بعض الأيام سمع أن واحدة منهن تقتضي مضاجعتها صندوقًا من الذهب فحمل الصندوق وذهب إليها قاطعًا سبعة أنهر، وبعد أن مات نادى الرب من أعالي السماء أن الرابي ألعاذر قد دخل الحياة الأبدية»[1].

«والشعب اليهودي أكثر شعوب الأرض انغامسًا في أوحال الجنس وبحر الرذيلة، وواقعهم خير شاهد على ذلك، فهم مديرو تجارة الرقيق

(١) «همجية التعاليم الصهيونية» ص(١٧٦)، نقلاً عن «أخلاق اليهود» لوفا صادق ص(٥٣).

الأبيض في أوربا وأمريكا»[١] .

❑ وإسرائيل تتجر بالأعراض وتصدر الفتيات إلى جميع مواخير العالم[٢] ، وإلى البارات والملاهي والنوادي الليلية التي تشرف عليها جمعيات يهودية منظمة.

وأخطر جمعية لتوريد الفتيات الإسرائيليات لأسواق الرقيق الأبيض يشرف عليها شلوموبير لشتين من أعضاء حزب المابام البارزين.

❑ ومن ألمانيا وحدها ربحت فتيات إسرائيل ثمانية عشر مليون مارك ألماني. ويعترف شلومو بافتخار أن هذه التجارة تديرها الأسر الأرستقراطية في المجتمع اليهودي[٣] .

❑ وسرت عدوى الرذيلة إلى العالم بأسره بواسطة اليهود مما ينذر بتحطيم المجتمعات القائمة وهدم الكيانات الموجودة.

فها هي فرنسا لم تستطع أن تقاوم في الحرب العالمية الثانية أكثر من أسبوعين؛ لأن جيلاً كاملاً من الفرنسيين قد ماتت روحه بسبب الفسق واللهو والرفاهية والتخنث والميوعة التي نشرها اليهود في فرنسا.

❑ والدعارة في أمريكا يهودية في القائمين عليها، وفي سماسرتها وتجارها، ويكفي أن نعلم أن ملكة الدعارة في نيويورك طوال خمسين سنة هي اليهودية بولي أدلر التي نشرت عنها كتب عدة توضح كيف

(١) «اليهودي العالمي» لهنري فورد ـ تعريب خيري حماد ص(١٣٦) ـ منشورات المكتب التجاري ببيروت.

(٢) «من يحكم واشنطن وموسكو» تأليف بنامين فريد مان ودنيس فاهي ـ إعداد زهدي الفاتح ـ دار النفائس بيروت. انظر المقدمة ص(٧).

(٣) «جذور البلاء» لعبد اللّه التل ص(١٧٣) ـ دار الإرشاد ـ بيروت.

كانت تدير صناعة الفسق[١] .

❑ ونشر اليهود الشذوذ الجنسي في كهوف السان جرمان ببارس، وأقبية البيكادلي وحي التبوهو في بريطانيا، وبارات معروفة في نيويورك وهوليود ومدن السويد والنرويج وهولندا.

❑ وفي بريطانيا استغل اليهود فضيحة اللورد اليهودي المخنث الذي ضبط مع عشيقه، وقادوا حملة تهدف إلى إباحة الشذوذ الجنسي، وكان قائد الحملة يهودي اسمه «ولفندن» حيث قدّم مشروعه للبرلمان سنة ١٩٥٧م، وقد لبى مجلس العموم البريطاني رغبتهم، ووافق على مشروع قانون يبيح الشذوذ الجنسي.

❑ ونجد اليهود يتولون نشر المجلات الداعرة والأدب الخليع، ونلمس أصابعهم وراء الأفلام الداعرة التي تعرض في السينما والتلفاز.

❑ وقد استغل اليهود النساء للتوصل إلى مراكز السلطة والضغط على السياسيين كما حدث قبل الثورة الفرنسية، فقد عمل اليهود على اصطياد (دي ميرابو)، وكان من كبار رجالات فرنسا، ومن النبلاء وصديقًا للدوق (دور ليان) ابن عم الملك فقدّم إليه اليهود امرأة يهودية حسناء اسمها (مدام هيوز)، فلعبت بلب الرجل حتى أمست عشيقته، وهكذا أغرقه اليهود هو وصديقه دورليان بالفاحشة حتى أصبح قصر الدوق دورليان المسمى بقصر (الباليه رويال) مباءة للرذيلة ومنبعًا لكافة الأقاصيص المتضمنة تحطيم الأخلاق.. وبذلك أصبح هذان الرجلان مطية لليهود في تدبير الثورة الفرنسية التي كان الرابح الوحيد من ورائها اليهود»[٢] .

---

(١) «جذور البلاء» ص(١٧٧).

(٢) «مكائد يهودية» ص(٢٥٥ ـ ٢٥٧).

(٢٣) قتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢١ - ٢٢].

والمتتبع لتاريخهم الأسود يلاحظ أنهم يكيدون دعاة الحق الذين يأمرون بالعدل والقسط والهدى من الناس من كل أمة، حتى يقتلوهم، إما اغتيالاً بأيديهم، أو بأيدي الذين يستأجرونهم للاغتيال، أو يدبرون ضدهم مؤامرة يسلّطون عليه فيهم حاكمًا أو سلطانًا يستجيب لدسائسهم ووساوسهم.

كما حاولوا مع الحاكم الروماني لقتل عيسى - عليه السلام - لولا أن أنجاه اللَّه منهم فرفعه إليه.

* قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦ - ١٥٨].

(٢٤) زعمهم أنهم أبناء اللَّه وأحباؤه:

* قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وما بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

زعموا للَّه أبوة سبحانه وتعالى، إلا تكن أبوّة جسد فهي أبوّة الروح. وهي أيًّا كانت لون من الشرك، وكانوا يقولون تبعًا لهذا: أن اللَّه لن يعذبهم بذنوبهم! وأنهم لن يدخلوا النار إلا أيامًا معدودات، ومعنى هذا أن عدل اللَّه لا يجري مجراه! وأنه ـ سبحانه ـ يحابي فريقًا من عباده.. تعالى اللَّه، وقد ولّدت هذه العقيدة الباطلة مع عوامل أخرى عند اليهود عقدة الاستعلاء على البشر، وجعلتهم يتصوّرون أن من حقهم على الناس جميعًا أن يعترفوا لهم بهذا الاختصاص والتميّز.. يتصورون أنهم آلهة، ولزام على الناس أن يخضعوا لهم خضوع العبيد.

وفي مصطلحاتهم نجدهم يسمّون أنفسهم «الشعب الأزلي» كما يسمّون أنفسهم «الشعب الأبدي»، و«شعب اللَّه المختار»، و«شعب اللَّه» كما وردت في كتابهم (٢ صمويل ١٤: ١٣)، و«شعب مقدس» (التثنية ١٤: ٢).

❑ ويتبع ذلك إيمانهم العميق بحقارة أمم العالم. واللغة العبرية تميزهم بلفظ خاص بهم هو «الجوييم»، ومعناه سفلة الناس وأشرارهم، وتعني عند اليهود: القذارة المادية والروحية والكفر. وأصبحت كلمة «جوي» عندهم سبّة.

❑ ولم يقف اليهود في شغفهم باحتقار الأمم الأخرى عند تسميتها «جوي»، بل ظهر إلى جانبها عدد من ألفاظ السباب أشهرها «عاريل» ومعناها الأقلف، أي الذي لم تجر له عملية الختان، أو الطهارة. وهناك أيضًا من ألفاظ السباب «ممزير»، ومعناها «ابن الزنا»، وأصبحت لفظة «عاريل» من نصيب المسيحي؛ لأن الختان غير شائع عنده. أما لفظة «ممزير» أي: ابن الحرام، فقد آلت إلى المسلم؛ لأنه في تفكير أصحابها

مولود من سيدنا إبراهيم لكن عن طريق هاجر، التي يعتبرونها أجنبية وجارية، فكل من ينتمي إليها، منتسبًا بالأصل أو بالدين إلى سيدنا محمد ﷺ ـ وهو من سلالة سيدنا إسماعيل عليه السلام ـ يعتبر في هذا الفكر اليهودي العنصري المتحجر من أبناء الحرام، «ممزير»![1] .

(٢٥) العنصرية عندهم واحتقارهم لغيرهم:

❑ لقد وصل التعصب بيهود إلى اعتبار اللَّه إلهًا خاصًّا بهم، وليس لباقي الشعوب حظ من الاتصال به[2] .

❑ وهم يعتقدون أن اللَّه ميّزهم عن شعوب الأرض في كل شيء في أجسادهم وأرواحهم ومصيرهم في اليوم الآخر، فهم يزعمون أنهم خُلقوا على الصورة البشرية استحقاقًا لذلك، أما الشعوب الأخرى فقد خُلقت على نفس الصورة من أجل أن يسهل على اليهود تسخيرهم للخدمة، ولكي يأنس الأسياد بالعبيد، فهم عندهم بهائم في صورة البشر.

فقد ورد في التلمود: «إن اللَّه خلق غير اليهود بالصورة البشرية إكرامًا لليهود؛ لأن غير اليهود وُجدوا لخدمة اليهود ليلاً ونهارًا بدون ملل، ولا يُوافق أن يكون خادم الأمير حيوانًا له بالصورة الحيوانية بل يجب أن يكون إنسانًا لكي يكون لائقًا لخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا من أجلهم».

❑ ذكر المفكر الجزائري «مالك بن نبي» ـ رحمه اللَّه ـ: أنه كان في متجر في باريس يشتري بعض الحاجات، فدخلت امرأة جزائرية من

---

(١) «الشخصية الإسرائيلية» للدكتور حسن ظاظا ص(٤٧ ـ ٤٩) ـ دار القلم دمشق.

(٢) «جذور البلاء» ص(٢١).

قسنطينة، ومعها ولد لها يبكي، فزجرته أمه بلهجة تلك البلدة التي تشبه لهجة يهود الجزائر. فما إن سمعتها امرأة أخرى كانت قابعة هناك حتى اقتربت منها وسلّمت عليها بتلك اللهجة، وقالت لها مشيرة إلى الشعب الفرنسي: الحمد للّه الذي سخّر لنا هذه الأبقار، ظانة إياها أنها يهودية مثلها[١].

❑ يقول الحكيم السموءل المغربي الحبر اليهودي السابق عن اليهود:

«ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب، وسائر الأمم بالشوك المحيط بأعالي حيطان الكرم، وهذا من قلة عقولهم ونظرهم؛ فإن المعتني بمصالح الكرم، إنما يجعل على حيطانه الشوك حفظًا وحياطة للكرم ولسنا نرى اليهود من بقية الأمم إلا الضرر والذل والصغار، وذلك مبطل لقولهم»[٢].

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ

---

(١) هامش كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود» ص(١٠٢).
(٢) «بذل المجهود» ص(١٠١ ـ ١٠٢).

﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

❑ وفي التلمود أن نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات[١].

❑ في سفر اللاويين الإصحاح العشرون ص(١٩١): «أنا الرب إلهكم الذي ميّزكم من الشعوب».

❑ والإسرائيلي أرفع منزلة من الملائكة عند اللَّه بزعم التلمود الذي يقول: «إن الإسرائيلي معتبر عند اللَّه أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أميٌّ إسرائيليًّا، فكأنه ضرب العزّة الإلهية»[٢].

❑ قول «إبربانيل»: «الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية، أما الشعوب الباقية فمماثلة للحمير حتى أنهم يعتبرون بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات»، وقال الرابي مناحم: «أيها اليهود أرواحكم مصدرها روح اللَّه، وأما باقي الأمم فليست كذلك؛ لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة».

❑ وانظر إلى توراتهم المحرفة «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح؛ فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك»[٣].

---

(١) «الكنز المرصود» ص(٦٧).

(٢) المصدر السابق ص(٦٦).

(٣) سفر التثنية الإصحاح العشرون ص(٣١٠).

❑ وفي التلمود نجد من الرزايا ما هو أعظم مما في التوراة المحرّفة:

فالأمي إذا سرق ولو شيئًا تافهًا استحق الموت، فأما اليهودي فمباح له ذلك بقول التلمود: «إذا سرق أولاد نوح ـ أي غير اليهود ـ شيئًا ولو كانت قيمته طفيفة جدًّا يستحقون الموت؛ لأنهم قد خالفوا الوصايا التي أعطاها اللَّه لهم، وأما اليهود فمصرّح لهم أن يضروا الأمي؛ لأنه جاء في الوصايا لا تسرق مال القريب»[١].

❑ والتلمود يبيح قتل غير اليهودي حيث يقول: «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها؛ لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين»[٢].

جاء في التلمود: «إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدّها بحجر».

❑ كما تحرم الشفقة على غير اليهودي حيث يقول التلمود: «غير جائز أن تشفقوا على ذي جنة»[٣].

❑ وفيما يتعلق بالأعراض فهي مستباحة: قال الحاخام (رشي): «إن اليهودي لا يُخطئ إذا تعدّى على عرض الأجنبي؛ لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد؛ لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل كبهيمة، والعقد لا يوجد مع البهائم».

---

(١) «الكنز المرصود» ص(٧٢ ـ ٧٣).

(٢) «الكنز المرصود» ص(٨٤ ـ ٨٥).

(٣) «الكنز المرصود» ص(٧٠).

ويقول (ميمانود): «إن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات» أي: غير اليهوديات. وقال الحاخام «تام»: «إن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أو إناثًا لا عقاب عليه؛ لأن الأجانب من نسل الحيوانات»[1].

❑ قال سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «وتفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم، فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم وعصوا أنبياءهم، وجحدوا نعمة اللَّه عليهم، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم فقد أعلن اللَّه حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة، وقضى عليهم بالتشريد. وتذكير اللَّه لهم بهذا التفضيل إطماعًا لهم كي ينتهزوا الفرصة المتاحة على يد الدعوة الإسلامية فيعودوا إلى مركب الإيمان».

* وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤].

فكان فيما مرّ من نصوص القرآن الردود المفحمة لما يدعون لأنفسهم من العلو والتميّز عن باقي البشر. أما اعتبارهم لأنفسهم أنهم أفضل من الناس بدعوى النسب النبوي فهو حجة عليهم؛ ذلك أنهم خانوا نهج أنبيائهم وقد قال تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣]، وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

---

(١) انظر «الكنز المرصود» ص(٨٩).

❑ ودعوى النسب باطلة من وجه آخر غير الذي مرّ:

فهل يمت يهود الفلاشا من اليهود الأحباش، ويهود الأشكناز «من الجنس الجرماني»، ويهود التاميل اليهود الأفارقة الزنوج»، واليهود الهنود، ويهود الخزر من الجنس التركي إلى بني إسرائيل كما يقول العلاّمة السويسري: (أوجين بيتار).

ويقول أيضًا (أوجين بيتار) في كتابه «الأجناس البشرية في التاريخ»، وهو بالفرنسية: «إن جميع اليهود في نظر علماء الأنثروبولوجيا، على الرغم من كل ما يدّعيه اليهود المنضوون تحت الفكرة العنصرية الإسرائيلية، بعيدون عن الانتماء إلى «جنس يهودي». وكما يقول رينان: «لا توجد سحنة يهودية، بل هناك عدّة سحنات يهودية»، فما أكثر المتهودين من جميع الآفاق، ودعوى نسب اليهود الآن إلى إسرائيل إنما هو ادّعاء خارفيّ من نسج الخيال[1].

(٢٦) أخذهم الربا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل:

* قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠ ـ ١٦١].

اليهود يقدسون المال ويحبونه حبًّا جمًّا، ويسلكون في جمعه شتى الطرق، حتى ولو كانت خسيسة غير شريفة، وهم في الناس أئمة أكلة الربا، وأكلة أموال الناس بالباطل، وقد توارثوا هذا الخُلُق خلائف عن

(١) انظر «الشخصية الإسرائيلية» للدكتور حسن ظاظا ص(٣٥، ٣٦).

أسلاف، ويزعمون أنه لا حرج عليهم في أكل أموال الأميين (الجوييم) بالباطل.

❑ وأباحت لهم توراتهم المحرّفة السرقة من المصريين عند خروجهم من بلدهم (سفر الخروج ـ الإصحاح الثالث ص(٩١)، والإصحاح الثاني عشر ص(١٠٦ ـ ١٠٧).

ونسبوا إلى نبيهم يعقوب ـ عليه السلام ـ أنه غش سيده لابان في غنمه (سفر التكوين ـ الإصحاح الثلاثون ص(٤٨ ـ ٤٩).

❑ وتبيح لهم توراتهم المحرّفة ابتزاز مال الناس عن طريق الربا، فقد جاء في «سفر التثنية»: «لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة، أو ربا طعام أو ربا شيءٍ ما مما يقرض بربا، للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك»[١].

وفي التلمود: «مصرح لكم بزيادة قيمة الفوائد واستعمال الربا وارتكاب السرقة والنهب مع الأمي؛ لأن حياته وأمواله في أيديكم مباحة»[٢].

❑ ويحرم على اليهودي في التلمود رد المال المفقود لصاحبه إذا كان من الأميين، وقد نص التلمود على «أن اللّه لا يغفر ذنبًا ليهودي يرد للأمي ماله المفقود»[٣].

* قال تعالى عن اليهود: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢].

(١) «سفر التثنية ـ الإصحاح الثالث والعشرون» ص(٣١٦).
(٢) «الكنز المرصود في قواعد التلمود» تأليف دكتور هلنغ ودكتور شارل لوران ص(٨١) ـ ترجمة د. يوسف حنا نصر اللّه ـ بيروت.
(٣) «الكنز المرصود» ص(٧٥).

* وقال تعالى: ﴿وترى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢].

والسحت: كل مال حرام... والربا والرشوة وثمن الكلمة والفتوى! في مقدمة ما كانوا يأكلون.

وفي بروتوكولات حكماء صهيون البروتوكول السادس: «سنبدأ بتنظيم احتكارات عظيمة هي صهاريج للثروة الضخمة لتستغرق خلالها الثروات الواسعة للأميين غير اليهود إلى حد أنها ستهبط جميعها، وتهبط معها الثقة بحكوماتها يوم تقع الأزمة السياسية»(١).

وجاء في نفس البروتوكول أن الأرستقراطيين ما زالوا خطرًا عليهم؛ لأن معيشتهم المستقلة مضمونة لهم بمواردهم، ولذلك يجب علينا أن نجرد الأرستقراطيين من أراضيهم بكل الأثمان، وأفضل الطرق هو فرض الأجور والضرائب، وهذه الطرق ستُبقي منافع الأرض في أحط مستوى(٢).

❑ وفي بروتوكولاتهم: «بمعاونة الذهب، وكله في أيدينا، سنقوم بعمل الأزمات الاقتصادية العالمية ونصيب الصناعات بالتوقف، وننشئ احتكارات ضخمة»(٣).

❑ وجاء في البروتوكول العشرين: «إن ما أحدثوه من أزمات اقتصادية في العالم كان بطريق سحب العملة من التداول فتراكمت ثروات ضخمة، وسحب المال من الحكومة التي اضطرت بدورها إلى

(١) «بروتوكولات حكماء صهيون» ص(١٣٧ ـ ١٣٨) «الخطر اليهودي» ترجمة محمد خليفة التونسي ـ دار الكتاب العربي.
(٢) المصدر السابق ص(١٣٥).
(٣) «اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار» للدكتور توفيق الواعي ص(٨٣) ـ دار ابن حزم.

الاستنجاد بمُلاّك هذه الثروات لإصدار القروض، ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات أعباء ثقيلة اضطرتها إلى دفع فوائد المال المقترض وكبّلت بذلك أيديها»[١] .

❑ ولقد سار اليهود على هذه المخططات حتى تمكنوا من السيطرة على زمام الاقتصاد العالمي، وإن جماعة المرابين في العالم ليسوا سوى عصبة من اليهود يتحكمون في مصائر الدول كآل روتشلد الذين شيدوا إمبراطورية المال اليهودية عن طريق الربا[٢] .

❑ وقد كانت تجارة العبيد تشكل المصدر الأول لثروتهم، وكانوا يحتكرون التجارات المفسدة كتجارة المخدرات، وتجارة الرقيق الأبيض، وصناعة المسكرات وتسويقها[٣] .

وتقول الموسوعة البريطانية حول هذا الموضوع: «كان لدى التجار والمرابين اليهود ميل شديد للتخصص بالتجارة، وكان مما ساعدهم على الامتياز في ذلك الحقل مهارتهم وانتشارهم في كل مكان، وكانت تجارة أوروبا في العصور المظلمة في أيديهم وخاصة تجارة الرقيق»[٤] .

❑ وكان اليهود يسعون من أجل أن يكون إصدار العملة في أيديهم، يقول أمشل باور: دعنا نتولى إصدار النقد في أمة من الأمم والإشراف عليه ولا يهمنا بعد ذلك من الذي يسنّ القوانين[٥] . وقد قال ذلك في

---

(١) «بروتوكولات حكماء صهيون» ص(١٩٨).

(٢) «أحجار على رقعة الشطرنج» تأليف وليام غاي كار ـ ترجمة سعيد جزائرلي ص(٧٦) ـ طبعة دار النفائس.

(٣) المصدر السابق ص(٥٣).

(٤) المصدر السابق ص(٥٤ ـ ٥٥).

(٤) «أحجار على رقعة الشطرنج» ص(٥٥).

بيان الدافع الذي دفع اليهود للحصول على السيطرة على مصرف إنجلترا عام ١٦٩٤م.

وقام الملك إدوارد الأول في انجلترا بإصدار أمر حرّم بموجبه على اليهود ممارسة الربا، ولكنهم لم يعبؤوا بذلك مما أدى إلى طردهم من إنجلترا أولاً ودول أوربا الأخرى بعد ذلك[١].

ومن الحوادث التي افتعلها اليهود في إنجلترا من أجل جمع المال بعد معركة «واترلو» أنهم روّجوا هزيمة إنجلترا في تلك المعركة مع أنها كانت المنتصرة مما جعل الذعر يعمّ الأوساط المالية فهبط سعر الجنيه الإسترليني إلى شلن واحد، واستغل المرابون اليهود هذا الظرف، فقاموا بشراء ما يمكن شراؤه من سندات وأسهم وممتلكات، وجمع المرابي الشهير ناثان روتشيلد في هذه الحادثة خمسة ملايين جنيه[٢].

* ابنة دايان وعبادتها للمال شنشنة نعرفها من يهود:

في رواية «طوبى للخائفين» للكاتبة اليهودية (يائيل دايان) ابنة موشي دايان قالت: «الصبي يحب أن يذهب إلى الكنيس مع أمه، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذي لا يذهب إليه إلا القليلون ثار أبوه في وجهه بحديث له مغزى عميق، قال له: أيام زمان حين كنا يهودًا في روسيا وغيرها كان من الضروري بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات، ونحافظ على ديننا فقد كان الدين اليهودي لنا وسيلة لنتعاون ونتعاطف، أما الآن

---

(١) نفس المصدر ص(٥٧ ـ ٥٨).

(٢) «حكومة العالم الخفية» تأليف شيريب سبيريدوفيتش ـ ترجمة مأمون سعد ـ دار النفائس ـ بيروت.

فقد أصبح لدينا شيء أهم هو الأرض، أنت الآن إسرائيلي، ولست مجرد يهودي، إني قد تركت في روسيا كل شيء؛ ملابسي ومتاعي وأقاربي وإلهي، وعثرت هنا على رب جديد، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال ألا تحس بذلك؟، وأخذ والد الصبي حفنة من تراب الأرض وسكبها في كف ابنه، وقال له: امسك هذا التراب، اقبض عليه، تحسسه تذوقه، هذا هو ربك الوحيد، إذا أردت أن تصلي للسماء، فلا تصلي لها لكي تسكب الفضيلة في أرواحنا، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا، هذا هو المهم، إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد»[1].

(٢٧) الرشوة دين يهود:

هذا من طباعهم التي درجوا عليها، ومعلم من معالم الفساد الاجتماعي في المجتمع اليهودي.

وقد حاول اليهود ـ بصفاتهم المعهودة ـ رشوة أحد أصحاب رسول اللَّه ﷺ حين أرسله ليخرص ثمار خيبر، بموجب الصلح الذي عقدوه مع رسول اللَّه ﷺ، ولكنه أخزاهم وردهم خائبين:

● روى ابن حبان في «صحيحه» ـ كما في «الموارد» ـ والبيهقي في «سننه» بالسند إلى عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ.. فذكر قتال رسول اللَّه ﷺ لأهل خيبر وصلحه معهم.. إلى أن قال: وكان عبداللَّه ابن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم، ثم يضمنهم الشطر، قال:

---

(١) «مقارنة الأديان (اليهودية)» للدكتور أحمد شلبي ص(١٩٢ ـ ١٩٣) ـ مكتبة النهضة المصرية.

فشكوا إلى رسول اللَّه ﷺ شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، قال: «يا أعداء اللَّه! تطعموني السحت؟! واللَّه لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ، ولأنتم أبغض اليَّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل بينكم، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض»[(١)].

● وروى مالك في «الموطأ»، والبيهقي في «سننه» من طريقه بالسند إلى سليمان بن يسار أن رسول اللَّه ﷺ كان يبعث عبد اللَّه ابن رواحة إلى خيبر، فيخرص بينه وبين يهود خيبر، قال: «فجمعوا له حليًّا من حلي نسائهم، فقالوا له: هذا لك وخفف عنا، وتجاوز في القسم، فقال عبد اللَّه ابن رواحة ـ رضي اللَّه عنه ـ: يا معشر اليهود، واللَّه إنكم لمن أبغض خلق اللَّه إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت، وإنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض»[(٢)].

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» كما في «موارد الظمآن» في كتاب المغازي والسير ص(٤١٢، ٤١٣) رقم (١٦٩٧)، كما رواه البيهقي في «سننه» في كتاب السير (٩/ ١٣٧، ١٣٨)، وفي كتاب المساقاة (٦/ ١١٤). ورجال إسناد أبي داود وابن حبان ثقات.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» في المساقاة (٢/ ٧٠٣، ٧٠٤) رقم (٢)، وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح، وهو مرسل في جميع الموطآت، كما ذكر المحقق، وقد ذكر السيوطي في «تنوير الحوالك» (٣/ ١٨٥، ١٨٦) أنه رواه أبو داود وابن ماجه موصولاً، قلت: هذا صحيح، انظر: «سنن أبي داود» (٣/ ٦٩٧، ٦٩٨) رقم (٣٤١٠)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٥٨٢) رقم (١٨٢٠) ـ كلاهما رواه موصولاً من حديث ميمون بن مهران عن مقسم عن ابن عباس. . فذكره، ولكن ليس فيه قصة الرشوة هذه. وقد رواه البيهقي في «سننه» في الزكاة (٤/ ١٢٢، ١٢٣) عن طريق مالك بالسند إلى سليمان بن يسار، ورجاله إلى مالك موثقون.

(٢٨) ظلمهم وصدّهم عن سبيل اللَّه:

ومن جرائم اليهود ظلمهم الشنيع، والصدّ عن سبيل اللَّه، بالتضليل الفكري، والإفساد السلوكي، وباستخدام أنواع المغريات النفسية، وباستخدام سلطان القوة أحيانًا.

* قال اللَّه تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

وقد استشرى فيهم هذا السلوك كثيرًا، فهم أئمته في العالم[١].

□ اليهود أعداء للحق في ذاته، جاسية قلوبهم، غليظة أكبادهم لا يحنون رؤوسهم إلا للمطرقة!

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

(٢٩) سعيهم في الأرض فسادًا وإفسادًا:

من صفات اليهود أنهم يسعون في الأرض فسادًا، والمتتبعون لمعظم مراكز الفساد الفكري والسلوكي والنفسي في العالم يلاحظون أنها مؤسسات يهودية تدار بأفكار ونفوس وأموال يهودية وتستثمر لمصالح يهودية.

* قال تعالى: ﴿...وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ الآية [المائدة: ٦٤].

---

(١) «مكايد يهودية» ص(٤٥٣).

❑ بمخططات شيطانية عمل اليهود على شقاء البشرية، وإفساد العالم، وصدق قول أوسكار ليفي: «نحن اليهود لسنا إلا مفسدي العالم ومحركي الفتن فيه وجلاّديه، وقول موريس صموئيل: «نحن اليهود.. نحن المدمرون لكل شيء... ولسوف نبقى مدمرين إلى الأبد»[١].

❑ وقد كشفت بروتوكولات حكماء صهيون عن تخطيطهم الشيطاني الذي ينم عن خبث ولؤم دفين في نفوسهم، واستخدموا لتطبيق هذه المخططات وسائل شتى كالمحافل الماسونية والجمعيات السرية، بالإضافة إلى نشر الأفكار والمذاهب الهدامة عن طريق وسائل الإعلام ومناهج التعليم.

❑ واليهودية التلمودية هي التي أنشأت هذا الدين الوضعي ليحلّ محل الدين السماوي، وظلت تنفخ فيه بوسائلها المختلفة حتى أصبح المذهب المادي أساسًا للفكر الغربي والماركسي، وعمّ التفسير المادي كل مجالات السلوك والحياة الاجتماعية والتاريخ، وأصبح هناك معارضة شاملة للروحية والمعنوية والمثالية، وكل ذلك كان له الأثر البالغ في التربية والأخلاق والمجتمع والاقتصاد[٢].

❑ ولم تكتف الصهيونية العالمية بالفساد الفكري الذي حققته، وإنما سعت جادة لإفساد الواقع العملي في أوربا والعالم أجمع، فكل ما تعانيه البشرية اليوم من فساد وويلات هو من صنع اليهود ومن مخططاتهم:

أولاً: هدم الدين، وقد استبدلوه بالمذاهب القومية والعنصرية، وهم

---

(١) «أخلاق اليهود» ص(٩٨).

(٢) «المخططات التلمودية الصهيونية» لأنور الجندي ص(١٥٩ ـ ١٦١).

مروجوا السحر والتنجيم والأساطير.

ومن اليهود اليهودي شاؤل المعروف (ببولس)، وهو الذي حرّف أصول النصرانية، وقال بألوهية المسيح، وأحل التثليث محل التوحيد، وابتدع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر.

❑ومن وسائلهم نشر الإلحاد بين الأمم كما جاء في البروتوكول الرابع ص(١٣١): «يجب علينا أن ننزع فكرة اللّه ذاتها من عقول غير اليهود، وأن نضع مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية».

❑ ولقد قامت المحافل الماسونية التي هي وكر من اليهودية بدور فعال في هدم الأديان، فقد جاء على لسان أحد أقطابهم في مؤتمر المشرق الأعظم الماسوني لعام ١٩٢٣م قوله: «يجب أن لا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره، ولتحقيق الماسونية العالمية يجب سحق عدونا الأزلي الذي هو الدين مع إزالة رجاله»[١].

❑ وجاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة ١٩٢٢م قولهم: «ويجب أن لا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان»، ومن أقوالهم أيضًا: «ستحل الماسونية محل الأديان، وأن محافلها ستقوم مقام المعابد»[٢].

❑ من وسائلهم: إفساد الفرد والأسرة، وتفكيك روابط الأسرة، وإشاعة التحلل والإباحية، ومن وسائلهم في ذلك سيطرتهم على المسرح والسينما، وتثبيت مفاهيم معينة أبرزها الجريمة والجنس وهدم الأسرة، والاستهزاء برجال الدين إلا الحاخام اليهودي، وكل هذه الأفلام لها الأثر الفعال على المشاهدين فكريًا وعقائديًا وأخلاقيًا[٣].

---

(١) «مكايد يهودية» ص(٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٢) المصدر السابق ص(٢٣٧).

(٣) انظر: «اليهودي العالمي» لهنري فورد ص(١٧٧) ـ تعريب خيري حمّاد ـ المكتب التجاري.

❑ واليهود وراء المسرح وما فيه من دعارة.

يقول فاريل: «إن اليهودي هو القيّم على المسرح الأمريكي» ويعلل هذا الكاتب الأمريكي عناية اليهود بالمسرح بأنهم يجنون من ورائه فائدتين عظيمتين:

❑ **الفائدة الأولى**: الحصول على المال، **والثانية**: أن المسرح يعتبر السوق الرائج للاتجار بالبنات؛ ذلك أن دور الدعارة تحصل على ما تحتاجه من البنات عن طريق العاملين في المسرح الذي يشكل اليهود نسبة ٨٥ بالمائة منهم... ويقول: «وهذا التمثال العظيم لصناعة الحماقة والرذيلة (يقصد صناعة المسرح والسينما) الذي أُنشئ في أكثر مناطق العالم ازدحامًا وكثافة يشبه في شكله إن حدّقت فيه من بعيد رجلاً يهوديًّا محدودبًا»[١].

❑ وامتد إفسادهم إلى الأدب من روايات مكشوفة، وكتب فاحشة داعرة ومجلات عهر وعري.. وموسيقى «وليست موسيقى الجاز إلا اختراعًا يهوديًّا، وليست هذه الحركات المثيرة بما فيها من قذارة والتي تتسق مع النغمات التي تبعث الغرائز إلا من عمل اليهود»[٢].

❑ واليهود هم تجار الخمور في العالم «وقد ظهر أن ستين في المائة من صناعة تقطير الويسكي والاتجار به بالجملة في أيدي اليهود.. وهم يمسكون أيضًا بزمام تجارة السيجار ويصدق هذا القول على أوربا ولا سيما روسيا ورومانيا وبولندا، أما الولايات المتحدة فقد غدا الويسكي

---

(١) «من يحكم واشنطن وموسكو المقدمة» ص(٤) ـ تأليف بنامين فريدمان ودنيس هافي.

(٢) «اليهودي العالمي» ص(١٨٤).

فيها سلعة يهودية في القرن التاسع»[١]. فماذا ترتجي من عالم تفشّت فيه هذه الأوبئة الفتّاكة على أيدي هؤلاء الشياطين أعداء الإنسانية؟

(٣٠) اليهود وإيقاد نار الحروب:

* قال اللّه تعالى عن اليهود: ﴿... وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ الآية [المائدة: ٦٤].

«في عام ١٨٥٩ ـ ١٨٧٠م وضع مخطط عسكري من اليهود لإقامة ثلاث حروب عالمية وثلاث ثورات كبرات، وذلك لهدم الأديان وتقويض صرح المجتمعات»[١]، لقد كتب اليهودي اللندني الدكتور أوسكار ليفي: «نحن معشر اليهود صنعنا الحرب العالمية؛ نحن اليهود لسنا إلا مضللي العالم وحارقيه وقاتليه، إن ثورتنا الأخيرة لم تقم بعد»[٢].

لقد بدأت مؤامرات النورانيين وهم كبار أحبار المؤامرة اليهودية لإثارة الحروب وسفك دماء الألوف بل الملايين من الأبرياء...

ولقد بدأت مؤامرات يهود في المقر المصرفي المرابي اليهودي الشهير: «ميشيل ماير بلور» المعروف كثيراً باسم جد أسرته «رولد شيلت» والتي تهيمن على إمبراطورية مالية يهودية عالمية.

وقد اجتمع في هذا المقر في مدينة فرانكفورت الألمانية ثلاثة عشر رجلاً من سادة الذهب والمرابطين المسيطرين على مؤسسات وشبكات

---

(١) «مكايد يهودية».

(٢) «حكومة العالم الخفية» ـ تأليف شيريب سبيريدوفيتش ترجمة مأمون سعد ـ دار النفائس ـ بيروت.

مالية عالمية الانتشار ومعظمهم من اليهود، وقرروا الإطاحة بالأنظمة الملكية في أوربا والقضاء على جميع الحكومات الشرعية في العالم.

وطوّر هؤلاء خبرتهم الواسعة في بيع السلاح وشرائه تحت أقنعة مختلفة بواسطة أجهزة وسيطة لجميع الجهات الممكنة في الحروب والثورات الأوربية، وطوروا تجارة الحرب حتى حولوها إلى صناعة هائلة خفية، تمتد مرافقها السرية إلى قلب العديد من الحكومات والدول والمنظمات، وتمتص خيرات الشعوب ودماءها بجشع شيطاني بفضل الحروب والهياجانات المستمرة التي تفرضها باستمرار على شعوب العالم!!

وهكذا تكتشف لنا الحقيقة المرعبة ـ حقيقة حركات التحريض على الهيجان والفوضى.. وحقيقة الحروب التي دفعت الشعوب ثمنها سيولاً من الدماء، وكان المحرك الحقيقي لها جميعًا القوى الخفيّة التي تسيّر الأحداث من وراء الستار. أما المستفيد فهم النورانيون الذين يوجهون هذه القوى الخفية حسب مصلحتهم ومخططاتهم ويجنون الأرباح الفاحشة في حين تدفع الشعوب الثمن باهظًا.

لقد تقاتل زعماء الشيوعية والنازية وغدر بعضهم ببعض وزجّوا بشعوبهم في حروب دموية كلّفت ويلات لا تحُصى..

ثم اكتشفوا بعد فوات الأوان أنهم ليسوا سوى دُمَى تحرّكها وتسيطر عليها أصابع النورانيين.

أما الجماهير المخدوعة أو المغلوبة على أمرها فقد دفعت الثمن فاحشًا من جراء مخططات مجموعة من أساطين الشر لا ينظرون إلى الإنسانية إلا كقطيع من البقر الحلوب[1].

(١) انظر «اليهود.. وراء كل جريمة» وليم كار ـ شرح وتعليق خير اللّه الطفّاح ص(٤٩ ـ ٥١) ـ دار الكتاب العربي.

❑ اليهود هم الذين جرّوا الولايات المتحدة لحرب ألمانيا في عهد الرئيس ويلسون الذي وقع فريسة لأطماع المرابين اليهود[١] .

* **اليهود وراء الحربين العالميتين:**

عن طريق سيطرة اليهود على بريطانيا تسببوا في نشوب الحربين العالميتين الأولى والثانية فقد نجح اليهود في إيهام الإنجليز أن الحرب العالمية الأولى ضد ألمانيا لا بد أن تعود عليهم بالخير العميم، وبخاصة بعد اقتسام المستعمرات الألمانية فخاضت بريطانية الحرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨م[٢] .

❑ قال هرتسل أبو الصهيونية في كتابه «الدولة اليهودية»: «نحن اليهود حينما نغرق نتحوّل إلى عناصر ثورية مخرّبة، وحينما ننهض تنهض معنا قوتنا الرهيبة لجمع مال العالم في بنك اليهود».

❑ وقال ماركوس رافاج الروماني: «نحن اليهود نقف من وراء جميع حروبكم وإن الحرب الأولى قامت لتحقيق سيطرتنا على العالم».

❑ وقال هنري فورد: «إنني واثق من أن الحروب تتم ليستفيد طرفٌ ما منها، والذي استفاد دائمًا هم اليهود العالميون، يبدءون الحروب بالدعاية التي يوجهونها من بلد لآخر، وقبل الحرب يتاجرون بالسلاح والذخيرة ويثرون من وراء تلك التجارة، وأثناء الحرب نفسها يثرون من القروض التي يقدمونها للطرفين المتحاربين، وبعد الحرب يضعون أيديهم على جميع مصادر الثروة في البلاد»[٣] .

---

(١) «من يحكم واشنطن وموسكو» ص(٢٤).

(٢) «اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار» ص(٦٢).

(٣) «الأفعى اليهودية» للتل ص(٢٩).

ولم يكتف اليهود بزج بريطانيا في حرب دامية شملت أوربا كلها، بل زجّوا بالولايات المتحدة في حرب، مقابل وعود بريطانيا لهم بتحقيق أطماعهم في فلسطين. فقد ذكرت جريدة الجويش كرونكل Jewish chronicle في عددها الصادر بتاريخ ٧ فبراير ١٩٣٦م أسرارًا خطيرة عن دور اليهود في زج الولايات المتحدة في الحرب مما أدّى إلى ذبح عشرات الألوف من الأمريكان وخسارة آلاف الملايين من الدولارات في داخل البلاد، ذهبت جميعها لجيوب اليهود الذين أداروا دفّة الحرب بالشكل الذي يؤمن انتصار الحلفاء ليتسنى لهم تحقيق وعودهم لليهود.

وقدّمت الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى تسعة آلاف مليون دولار ونصف المليون معونة لحلفائها، كما صرفت على قواتها نفسها ٢٢ ألف مليون و٦٢٥ مليون دولار، أما تكاليف الحرب كلها فزادت على ٢٠٨ ألف مليون دولار، كما زادت الخسائر في الحرب على ١٥١ مليون دولار[١].

أما الخسائر البشرية فقدرت في الحرب العالمية الأولى كما يلي:

٩,٩٩٨,٧٧١ عدد القتلى حسب الإحصاءات الرسمية.

٦,٢٩٥,٥١٢ عدد الجرحى ذوي الإصابات الخطيرة.

١٤,٠٠٢,٠٣٩ عدد الجرحى ذوي الإصابات العادية.

١٠,٠٠٠,٠٠٠ عدد ضحايا الحمى الوافدة الأسبانية، وهي من نتائج الحرب.

٤٦,٢٧٩,٩٢٢ المجموع.

---

(١) «الحروب والشعوب» لبدر الدين السباعي ص(٣) ـ دار ابن الوليد ـ حمص.

* الحرب العالمية الثانية:

أخذ اليهود يدبرون لإشعال نار الحرب العالمية الثانية، وبدأت المعركة الدعائية كعادتهم ضد ألمانيا، وأعلنوا الحرب ضد هتلر والنازية التي أظهرت عداءها لليهود بسبب بشاعتهم وخبثهم ومكرهم.

❑ واستطاع اليهود بما لهم من نفوذ خطير وسيطرة تامة على صحافة أوربا وأمريكا أن يصوروا النازية وحشًا مفترسًا يهدد أوربا وأمريكا. واستغل اليهود نفوذهم الكامل على حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، وأعلنوا في بادئ الأمر الحرب الاقتصادية على ألمانيا، وفرضوا قوانين المقاطعة على دول أوربا الغربية والولايات المتحدة بقصد خنق ألمانيا تمهيدًا لتدميرها عسكريًّا. وأعلنت صحف اليهود صراحة أنها أعلنت الحرب على هتلر منذ اليوم الأول الذي تسلم فيه السلطة. كما أعلنوا صراحة أن الحرب العالمية الثانية لا بد أن تُعلن من أجل الدفاع عن أسس اليهودية.

❑ وأكثر من ذلك فإن جيمس فورستال وزير الدفاع في عهد ترومان قد نشر في مذكراته أن سفير الولايات المتحدة في بريطانيا زمن الحرب، وهو جوزيف كيندي، قد اعترف أمامه بأن تشمبرلين رئيس الحكومة البريطانية قد أخبره أن أمريكا واليهودية العالمية قد أكرها بريطانيا على الدخول في الحرب ضد ألمانيا.

وخسرت الولايات المتحدة من أجل اليهودية العالمية:

٣٥٠ ألف مليون دولار تكاليف الحرب.

١٠٤ ألف مليون دولار مساعدات مالية ومعدات للحلفاء.

أما عدد القتلى من الشعب الأمريكي فقد بلغ ٢٥٦٣٣٠ قتيلاً،

ومئات الألوف من الجرحى والمفقودين هذا في أمريكا.

أما الخسائر العامة في الحرب العالمية الثانية فقد كانت كما يلي:

٣٢ مليون قتيل في ساحة الحرب.

٢٠ مليون قُتلوا نتيجة الغارات الجوية على المدنيين.

٣٦ مليون قُتلوا في معسكرات الاعتقال.

٣٠ مليون فقدوا عضواً أو أكثر من أعضائهم وأصبحوا غير قادرين على العمل.

١٥ مليون من الأطفال الأيتام الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم وأسرهم [١].

* اليهود وراء الحروب الصليبية:

«أثار الاحتكار اليهودي للتجارة والذهب في أوربا في القرون الوسطى حنق البارونات الجرمانيين أي: سادة الأرض والحرب الذين استولوا على أراضي المقاطعات الأوربية وقسموها بينهم بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية، ونهبوا خيراتها بالتعسف والقوة القاهرة، وكانت مزاحمة الاحتكاريين اليهود لهم على انتهاب الخيرات بواسطة الربا أحد الأسباب الرئيسية التي دفعتهم إلى التطلع نحو الشرق الإسلامي المزدهر، وبالتالي كانت أحد أسباب الحروب الصليبية لا سيما وأن هذا التزاحم على سبل الشعوب الأوربية البائسة عن طريق البطش والربا الفاحش أدى إلى سقوط أوربا في هوّة من الفقر والفاقة والتأخر وانهيار كل أثر للحضارة عندها بعد قرون قليلة من سقوط روما بيد البربر والجرمانيين.

---

(١) «الحروب والشعوب» ص(٤).

كانت هذه أوضاع أوربا التي مهدت لاتفاق بعض ملوك وأمراء المسيحية مع البارونات الإقطاعيين الباحثين عن المغنم الطامحين إلى الاستيلاء على العالم عنوة، وذلك بشن حملة صليبية كبرى. وقد التقت مصالحهم جميعًا مع مصالح المرابين والاحتكاريين اليهود الذين دعوا إلى فكرة هذه الحملة بكل قواهم وإمكانياتهم المالية، وانتشروا في أوربا كلها لتحريض حكام المقاطعات وسادة الحرب المسيطرين عليها وإقناعهم عن طريق فتح خزائنهم على مصراعيها لهم لتجنيد المحاربين ورشوة المتخاذلين.

وكانوا بذلك القوة الخفية التي عملت من وراء الستار على قيام الحروب الصليبية. ذلك أنهم وجدوا في هذه الحروب الفرصة الذهبية التي تيتح لهم تقديم القروض إلى زعماء الحملات وأمراء المقاطعات والبارونات وسلطات الكنيسة ذاتها بالربا الفاحش والمتاجرة بالعتاد والسلاب إلى جانب الأهداف السياسية، وهي إضعاف قوة الإسلام والمسيحية معًا.

وفشلت الحروب الصليبية بعد أن كبّدت الإنسانية أرواحًا وأموالاً لا تقع تحت حصر. وقد امتلأت خزائن الربا والاحتكار بفوائد الأموال المقترضة لتلك الحروب..!

تمخضت الحروب الصليبية بعد ذلك عن النتيجة الأخرى التي ما كانت في الحسبان، وهي أنْ حصل المرابون اليهود على مغانم هائلة من تلك الحروب، وخرجوا بنتيجتها أطول باعًا وأكثر خبرة. وكان لهذه النتيجة أثرها العميق في تطور الأحداث خلال الحقب التالية لهذه الأحداث» [1].

(١) «اليهود وراء كل جريمة..» لوليم كار ص(٦٠ ـ ٦٢).

(٣١) اليهود أشعلوا الثورة الإنجليزية:

خلال القرن السابع عشر الميلادي دبر اليهود إقامة الثورة الإنجليزية التي قُتِل فيها ملك بريطانيا (شارلس الأول)، وتم فيها تصفية جميع أنصاره من البرلمان، وبلغ اليهود فيها ما يريدون.

❑ وكان الملك (إدوارد الأول) قد طردهم من إنجلترا، عندئذ قرّر محتكرو الذهب اليهود في فرنسا وهولندا وألمانيا أن يجعلوا إنجلترا هدفهم الأول لإثارة الإضطرابات وأعمال الهدم والتخريب، وحركوا منظماتهم في إنجلترا لإثارة الخلافات الحادة، ودب الخلاف الشديد بين ملك إنجلترا (شارلس الأول) وبين أعضاء البرلمان الإنجليزي.

❑ واتصل اليهودي الهولندي: «مناسح بن إسرائيل» بالقائد الإنجليزي المشهور (أوليفر كروميل) واشتراه بالمال الكثير للقيام بأعمال تنتهي بالإطاحة بالعرش البريطاني.

ولما تم لليهودي الهولندي شراء هذا القائد تألفت مجموعة من أرباب الذهب اليهود لتمويل المؤامرة وإدارتها، كان منهم الزعيم اليهودي البرتغالي (فرناندیز كارفاجال) الملقب في كتب التاريخ باليهودي العظيم، وقد أصبح هذا الرجل فيما بعد رئيس المستشارين العسكريين لكروميل.

❑ ودفع اليهود إلى إنجلترا مئات من الثوريين المحترفين المدربين، وانضموا إلى المنظمات اليهودية الفوضوية فيها، وانطلق الجميع بالأعمال الإرهابية الواسعة النطاق، وقاد هذه الأعمال الإرهابية الإجرامية زعيم يهودي اسمه (دي سوز)، وكان هذا اليهودي سفيراً للبرتغال في إنجلترا.

❑ وبدأت الثورة الإنجليزية بالنزاع الديني الذي أثير بين الكاثوليك

والبروتستانت من مذهب (كالفن)، وجدير بالذكر أن (كالفن) منشئ المذهب المعروف باسمه في المسيحية البروتستانتية كان يهوديًّا، وكان اسمه (كوهين).

وكتب القائد (كروموبل) زعيم الثورة الإنجليزية المتآمر ـ مع القادة اليهود إلى رئيس كنيس (مولخيم) في هولندا الحاخام «اينزابرات بتاريخ ١٦ حزيران ما يلي بالحرف الواحد: «سوف أدافع عن قبول اليهود في إنجلترا مقابل المعونة المالية، ولكن ذلك مستحيل طالما الملك شارلس لا يزال حيًّا، لا يمكن إعدام الملك شارلس دون محاكمة...».

وفي ٩ كانون الثاني (١٦٤٩م) أُعلن تشكيل محكمة سُمِّيت محكمة «العدالة العليا» عُهِد إليها بمهمة محاكمة الملك، وكان ثلثا أعضاء هذه المحكمة من أعضاء جيش كروموبل، ولم يقبل أي محام إنجليزي بأن يقوم بدور المدعي العام ضد الملك، لذلك كلّف اليهودي (فرناندیز كارفاجال) أحد اليهود الأجانب واسمه (إسحاق دوريلاوس) بأن يقوم بهذه المهمة، وانتهت المحاكمة وأدين الملك (شارلس الأول).

وظفر اليهود بما أرادوا، وفي يوم ٣٠ كانون الثاني ١٦٤٩م قُطع رأسه بالبلطة علنًا أمام المصرف اليهودي القائم في ساحة «هواتيهول» في لندن.

وبعد أن تم إعدام الملك خدمة لليهود على يد عميلهم كروموبل الذي أعلن نفسه دكتاتورًا على إنجلترا.

وتحت تأثير المخطط اليهودي هاجم (كروموبل) إيرلندا عام ١٦٤٩م، بإمداد مالي من اليهود، وفي عام ١٦٥٢م دخلت إنجلترا الحرب ضد هولندا، وفي عام ١٦٥٤م اشتبكت إنجلترا في عدد من

الحروب الأوروبية حتى مات (كروميل)، وعاد النظام الملكي، وكُشف الستار عن مؤامرات (كروميل) مع اليهود، ونبش الشعب الإنجليزي عن جثته وجثث كبار أعوانه وعلّقها على المشانق.

وأخذ اليهود يستأجرون أجراء آخرين لتنفيذ مخططاتهم ويبذلون لهم الأموال.

❑ وفي سنة ١٦٨٩م استطاع المرابون اليهود أن يصلوا إلى السيادة على الجانبين الاقتصادي والسياسي في إنجلترا. ولم تجن إنجلترا من أحداثها وحروبها وفتنها إلا الخسائر والمتاعب الكثيرة، ولم يكن المستثمر لها إلا أولئك اليهود المحرضون المقنّعون[1].

وأصبح بنك إنجلترا تحت سيطرتهم الاقتصادية، وحصل اليهود على حق إصدار العملة البريطانية.

(٣٢) اليهود والثورة الفرنسية:

❑ قال المؤرخ السياسي والاقتصادي لويس بلان: «إن الماسونية كانت معملاً للثورة «أما عن تمويل الثورة الفرنسية فتعترف دائرة المعارف اليهودية أنه كان وراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها وتذكر أسماءهم صريحة وهم:

دانيال اتزج من برلين، وديفد فريد لاندر من برلين، وهرز سيرفبير من الألزاس، وينجامين جولد سمد من لندن، وإبراهيم جولد سمد من

(١) انظر إلى كتاب «أحجار على رقعة الشطرنج» للأمير ويليام كاي كار، وكتاب «اليهود وراء كل جريمة» لوليم كار ص(٧٢ ـ ٨٤).

لندن، وموزس موكاتا من لندن، وهو عم المليونير الإنجليزي مونيغيوري[١].

❑ دعا (روتشيلد الأول)[٢] اثنى عشر رجلاً يهوديًّا من أرباب المال إلى «فرانكفورت» وبين لهم الدور الذي لعبته المؤامرة اليهودية في الثورة الإنجليزية، وقدّم دراسة عن الأخطاء التي ارتكبت فيها لتلافيها، ثم أوضح (روتشيلد الأول) أن الفوائد المادية الكثيرة التي حصل عليها اليهود نتيجة لإقامتهم الثورة الإنجليزية تعتبر قليلة جدًّا بالنسبة إلى الغنائم الضخمة التي يمكن الظفر بها حينما يتمكنون من إشعال نيران الثورة في فرنسا.

وتم الاتفاق بين المؤتمرين وبين روتشيلد الأول على توحيد الهدف، وتبني المخطط الثوري المدروس بعناية الذي قدّمه لهم (رتشيلد الأول)، وعلى وضع إمكانياتهم المالية لتنفيذه. وأبرز (روتشيلد الأول) الوثائق المكتوبة التي عهد إليه بها جماعة النورانيين من الحاخامين اليهود، وقرأها عليهم، وتتضمن هذه الوثائق تنظيم خطة للعمل مرسومة بدقة بالغة وعناية فائقة. وبدءوا ذلك بخلق فراغ كبير بين الأسرة الحاكمة وبين الشعب، ثم بإثقال كاهل البلاد بالديون اليهودية التي أظهرت الملك (لويس السادس عشر) أمام شعبه مبذرًا أنانيًّا ظالمًا، وأخيرًا بتمويل الثورة ضد هذا الملك.

❑ ومن المعروف أن (نيكر) اليهودي السويسري كان وزيرًا للمالية في عهد لويس السادس عشر ملك فرنسا، فأغرق هذا الوزير فرنسا

(١) "Atonid teese" p. 13 ، و«اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار» ص(٦٠).

(٢) واسمه الأصلي (امشل باور)، وهو من كبار المرابين اليهود، وله صلة قوية بحاخامات اليهود.

بالديون حتى وصلت إلى ١٧٠ مليون جنيه إسترليني، وهي ديون باهظة في ذلك الحين، وكانت الملكة ماري إنطوانيت بما لها من قوة الشخصية عقبة في طريق خطط الثوار واليهود والماسون، وتلقّت منهم الإنذار تلو الإنذار لتفسح لهم مجال العمل فلم تعبأ بهم، فرسموا خطة تجويع فرنسا، ثم أشاعوا أن الملكة قد أوصت على عقد ماسي بربع مليون جنيه بينما شعبها يتضوّر جوعًا، واستغلت الصحافة الواقعة تحت نفوذ اليهود الحادث المختلق لنشر هذه الكذبة في الشعب الجائع. ولم تكن الملكة في حالة تمكنها من تكذيب هذه الفرية التي اختلقها اليهود الذين يعملون في تجارة الجواهر.

وأخذ اليهود يلصقون بالملكة فضائح مفتراة، وكتب مزوّرة ينسبونها إليها تشتمل على وعود غرامية.

ووقع اختيار اليهود على الكونت (دي ميرابو) ليكون اليد المنفِّذة، وكان هذا الكونت صديقًا حميمًا للدوق (دورليان) ابن عم الملك والأستاذ الأعظم للماسونية، وكان خطيبًا ذا تأثير في الجماهير، وكانت حياته الإباحية المشينة قد طوّقت عنقه بالديون، وهذه في نظر قادة المؤامرة صفات ملائمة جدًّا لجعله الوجه الرئيسي للثورة الفرنسية التي يخططون لإقامتها. وأغرقوه في الديون، وعقد أصحاب الديون اجتماعًا معه لتوثيق ديونهم، وكان ذلك حيلة منهم ليقدموه إلى اليهودي ذي الثراء الفاحش «موسى مندلوهن» فتظاهر هذا بمساعدته ووضعه تحت كنفه ليعدّه لتنفيذ المؤامرة اليهودية، وعرف هذا اليهودي نفسيّة (دي ميرابو) فقدّمه إلى امرأة يهودية حسناء اسمها (مدام هيوز)، ووفق خطة مرسومة لم تلبث هذه المرأة أن لعبت بلبّ الرجل حتى أمست عشيقته،

وعندئذ فقد الرجل كيانه وصار ألعوبة في أيدي اليهود، فهو غريق بالديون لهم، وغريق بالشهوات أيضًا، ولّما وصل الرجل إلى هذه المرحلة كشفوا له بعض أسرار مؤامرتهم وأقسم يمين الولاء لهم.

وللإمعان في حصاره دفعوه إلى الانغماس في فضائح مشينة، ثم نشروها سرًّا بين الناس حتى تلطخ بالفضائح، ونبذته طبقة النبلاء التي ينتمي إليها، فامتلأ بمشاعر الحقد على طبقته والرغبة في الانتقام، وأمسى جاهزًا نفسيًّا للقيام بتفجير الثورة.

ولم يعلم (دي ميرابو) وصديقه الدوق (دورليان) من أهداف المؤامرات إلاّ أن الغرض منها إجبار الملك لويس السادس عشر على التنازل عن العرش فقط لمصلحة ابن عمه (دورليان) الذي سيتولى العرش بعده.

❑ وعن طريق الدوق (دورليان) استطاع قادة المؤامرة أن يتسللوا إلى قلب الماسونية الفرنسية، وأغرقوا الدوق (دورليان) في الرذيلة والفاحشة والمتع الفاجرة، حتى صار قصره المسمّى بقصر «الباليه رويال» وهو من القصور الملكية مباءة لكل رذيلة ومنبعًا لكافة الأقاصيص المتضمنة تحطيم المعتقدات الدينية في فرنسا.

❑ واستخدم اليهود أحد منازل الدوق (دورليان) لطباعة المنشورات التي تحرّض على الثورة وتنشر الفضائح بطريقة مثيرة.

وقامت الثورة واندلعت نيرانها في عام ١٧٨٩م، وانطلق المحرّضون والمجرمون يعملون الذبح والقتل والاغتصاب العلني، وأخذ الذين جهّزوا للقيام بالثورة بتصفية كل الذين عُرِفوا بولائهم للملك وللبلاد، ومشت الثورة في الطريق المرسوم لها، وَصوّت الدوق (دورليان) في الجمعية

الوطنية على إعدام ابن عمه الملك (لويس السادس عشر) معتقدًا أنهم سوف يجعلونه ملكًا دستوريًّا على البلاد، وأُعدم الملك وأُعدمت الملكة، وفُتِك بعشرات الألوف من أبناء فرنسا الأبرياء.

وأنهى الدوق مهمته المرسومة له في نظر المتآمرين، وصار من الضروري الخلاص منه، فاستدرجوه حتى انتهى به الأمر إلى المقصلة، فكان أحد ضحايا الثورة التي كان فريسة لحبائلها، واتخذته جسرًا عبرت عليه لتحقيق أهدافها، ثم هدمته.

وهكذا جرت الأمور وتتابعت لصالح اليهودية العالمية، وزُوِّرت الحقائق التاريخية، وسُمِّيت هذه الثورة اليهودية في حقيقتها بالثورة الفرنسية الكبرى[1].

* فرنسا بعد الثورة تقع في قبضة اليهود:

ووقعت فرنسا تحت تأثير اليهود بعد الثورة الفرنسية، ولم يدخل النصف الأول من القرن العشرين حتى كان اليهود يسيطرون على جوانب الحياة كلها من تجارية وسياسية وعسكرية وثقافية. ووصلوا إلى أعلى مراتب السلطة في فرنسا فكان منهم (ليون بلوم) رئيس الجمهورية، وكان منهم (منديس فرانس) رئيس الوزراء الفرنسي، وغيره من الوزراء اليهود في الحكومات الفرنسية المتعاقبة.

وهناك إحصائية عن الاتحادات الاحتكارية التي يهيمن عليها اليهود

---

(١) انظر: «أحجار على رقعة الشطرنج»، و«اليهود وراء كل جريمة» لوليم كار، و«مكائد يهودية» ص(٢٢٣ ـ ٢٣٦)، و«اليهود تاريخ إفساد» ص(٦٠ ـ ٦١)، و«الأفعى اليهودية» للتل (١٣ ـ ١٤).

في فرنسا منذ الحرب العالمية الثانية حتى يومنا هذا بلغت ٧٣ اتحادًا، ولم يترك اليهود للشعب الفرنسي سوى اتحاد الحانوتية ليأخذ الفرنسيون حريتهم في دفن بعضهم بعضًا[١].

وأصبح أمر اليهود في فرنسا مثل القصة الرائعة القائلة: أين ينام غوريلا وزنه ٨٠٠ باوند؟ والجواب هو: حيثما يريد أن ينام فالكل طوع أمره[٢].

□ «أدرك المؤرخ البريطاني الكبير والتر سكوت من خلال تحليله العميق لأحداث التاريخ لا سيما التاريخ الأوربي الدور الذي لعبته القوى الخفية وراء واجهة الثورة الفرنسية، ويستطيع من يُتَاح له الاطّلاع على مؤلفه الضخم «حياة نابليون» متابعة التفصيلات الدقيقة للأحداث التي تكشف الأصل اليهودي للمؤامرة.

وقد أشار والتر سكوت في كتابه إلى حقيقة تبعث على التساؤل وهي: «إن معظم وجوه الثورة الفرنسية كانت وجوهًا أجنبية عن فرنسا» يقدّم كملاحظة مستغربة: استعمال هؤلاء لعدد من التعابير اليهودية الخاصة، وقد جلب انتباهه بشكل خاص حَدَث معين هو ظهور الشخص المدعو (مانويل) بطريقة غامضة وتعيينه في منصب المدعي العام لـ(كومون) باريس.. وكان مانويل هذا هو المسئول عن اعتقال آلاف من الضحايا في سجون فرنسا هم بعينهم الذين قضوا نحبهم في المجزرة الكبرى المدبرة التي جرت خلال شهر أيلول عام ١٧٩٢م في داخل هذه

(١) «الأفعى اليهودية» لعبد اللّه التل ص(٢٩) وما بعدها.
(٢) «اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار» ص(١١٥).

السجون وذهب ضحيتها ٨٠٠٠ من أولئك السجناء في سجون باريس وحدها..

وكان يساعد مانويل هذا شخص يهودي اسمه (دافيد) أو (داود)، وهو أحد الأعضاء في لجنة الأمن القومي الباريسية التي اشتهرت خلال الثورة (كما اشتهر دافيد) بنداءاتها الداعية للمطالبة بالمزيد من الضحايا وسفك الدماء»[1].

* اليهود ونابليون:

قرر أرباب المال العالميين من اليهود بعد هذه المرحلة استثمار الرجل الصاعد نابليون بونابرت، ودعمه واستغلال نتائج أعماله لتنفيذ مآربهم.. وبدأت منذئذ سلسلة الحروب النابليونية التي كان هدفها الإطاحة بعدد كبير من العروش الأوربية.

اجتاح نابليون بجيوشه أوروبا بأجمعها حتى وصل عام ١٨٠٤م إلى الذروة فنصّب نفسه إمبراطورًا على فرنسا، وعيّن إخوته ملوكًا للدول الأوربية، أما ناتان روتشيلد (اليهودي) فدبّر الأمور بحيث جعل من إخوته الأربعة ملوك المال في أوربا، وأصبح هؤلاء بالتالي السلطة الخفية وراء العروش التي أحدثها نابليون.

واتجه أرباب المال من اليهود إلى تجارة فاحشة هي تجارة الحروب، وقد سارت مشاريع سادة الأموال على عجلات ذهبية وتدفّق عليهم سيل الأموال من تقديم مواد الحرب إلى كافة المتحاربين دون استثناء...! غير أن عائقًا جديدًا ظهر في الأفق: الإمبراطور نابليون.

---

(١) «اليهود وراء كل جريمة» ص(١١٩).

❑ كان نابليون مرتاحًا في البداء إلى حلفائه أصحاب الأموال الضخمة الذين يمدّونه بالقروض، والمؤن كلما احتاج إليها لتمويل جيوشه وإعداد حملاته، ولكن الشك خامره في طبيعة ما يقوم به هؤلاء، وأدرك بثاقب نظره أن شيئًا ما يجري في الخفاء، فالتزم جانب الحذر تجاههم منذئذ، وأخذ يتربص الفرص لضرب تجار الحروب ضربة قاضية، وكان حينئذ منهمكًا في الحرب الروسية، ووجد النورانيون حكماء صهيون الفرصة مواتية لتسديد ضربتهم أولاً.. وكان انهيار الجيش النابليوني في الحملة الروسية.

والحقيقة في هذه الفاجعة التي هي أكبر فاجعة عسكرية عرفها التاريخ أن الهزيمة كانت لتخريب خطوط الاتصال بأيدٍ خفية مما منع وصول الذخائر والأسلحة إلى جيش نابليون، في الوقت الذي تدفقت فيه الأموال والذخائر على الجيوش القيصرية.

❑ واضطر نابليون إلى التنازل عن العرش عام ١٨١٤م ونُفي إلى جزيرة ألبا، وعندما هرب منها محاولاً العودة، كان في هذه المرة يجابه القوى الخفية التي كانت ممسكة بالخيوط جميعًا.. وكانت معركة (واترلو) بعد عودة نابليون النهاية بالنسبة له.. أما بالنسبة لـ (ناتان روتشيلد) فكانت على العكس الفرصة التي مكنته من أن يسطو سطوًا حقيقيًّا على ماليات أوربا..[1].

ونختم بماء جاء في جلسة مجلس النوّاب الفرنسي عام ١٩٠٤ حين قال النائب دي روزانب: إننا متفقون إذن بصورة كاملة على هذه النقطة

---

(١) «اليهود وراء كل جريمة» ص(١٢١ ـ ١٢٣).

بالتحديد.. وهي أن الماسونية كانت الصانع الوحيد للثورة الفرنسية، وعندئذ نهض النائب (جومل)، وهو أحد أعضاء محفل «الشرق الأكبر» الفرنسي، وأجاب بملء فيه: «نحن لا نعلم ذلك فحسب.. بل إننا نعلنه على الملأ»[1].

(٣٣) اليهود وتغلغلهم في أمريكا، وإيقادهم للحرب الأهلية الأمريكية وقتلهم للينكولن رئيس أمريكا:

بدأ تفكير المرابين العالميين اليهود يتجه إلى المستعمرات الأمريكية منذ أن كانت مستعمرات إنجليزية، وحاولوا أن يمتلكوا حق إصدار النقد في أمريكا عن طريق بنك إنجلترا، ودام الصراع أعوامًا بين الثوار الأمريكيين والقوات الإنجليزية، تعهّد المرابون اليهود خلالها تمويل هذه الحروب التي كانت بلا ريب فرصة جنت خلالها مجموعة روتشيلد أموالاً طائلة عن طريق إمداد الحكومة البريطانية بالجنود المحترفين من مقاطعة «هس الألمانية»، ولما انتصرت أمريكا، سعى المرابون إلى إنشاء بنك أمريكا، وسعى المرابون اليهود إلى السيطرة على الاقتصاد الأمريكي حتى قال جيفرسون رئيس أمريكا: «إنني مؤمن بأن هذه المؤسسات المصرفية ـ البنوك ـ أشد خطرًا على حرياتنا من جيوش غازية»، وأثارت هذه الانتقادات المكشوفة مخاوف المرابين العالميين ونبهتهم إلى قرب قيام صعوبات في وجههم بمناسبة موعد تجديد امتياز «بنك أمريكا» عام ١٨١١م.. فعمد (ناتان روتشيلد) إلى توجيه تهديد بنفسه إلى الرئيس الأمريكي (أندرو جالكسون) جعل مضمونه على الشكل التالي:

---

(١) المصدر السابق ص(١٢٥).

«هناك حلاّن فقط: فإما الموافقة على تجديد الامتياز أو الرفض.. وعندئذ ستجد الولايات المتحدة نفسها، وقد داهمتها حروب مريعة».

ولكن الرئيس جاكسون لم يلتفت لهذا التهديد الذي لم يصدّقه، وأجاب وفد الممولين العالميين بهذه الكلمات: «لستم إلا مجموعة من اللصوص والأفاعي وسوف أعمل على تحطيمكم.. بل وأقسم باللّه أنني سوف أحطمكم»، وعمد المرابون إلى جرّ بريطانيا لحرب مع أمريكا عام ١٨١٢م، ولم يكن هدف ناتان روتشيلد منها إلا إفلاس الخزانة الأمريكية بنتيجة مصاريف الحرب الطائلة، حتى تصبح بحالة لا تجد معها مفرًّا من استجداء القروض الخارجية.. أما الضحايا والدمار والخراب فهذا مما لم يدخله (ناتان روتشيلد) بحسابه!!.. وقد تحقق هذا المخطط بصورة كاملة وصوّت الكونجرس عام ١٨١٦م على تجديد امتياز بنك أمريكا.

* الحرب الأهلية الأمريكية ١٨١٦ ـ ١٨٦٦م ودور المرابين اليهود فيها:

في عام ١٨٥٧م في لندن، وفي عقد قران ليونورا ابنة عميد الفرع الإنجليزي لأسرة روتشيلد (لونيك روتشيلد) على عضو أسرة روتشيلد في فرنسا.. اجتمع عدد كبير من أرباب المال العالميين وأقطاب السياسة.. وكان من هؤلاء بنجامان دزرائيلي السياسي اليهودي الذي أصبح فيما بعد رئيسًا لوزراء إنجلترا عدة مرات، ويعد أشهر رجال إنجلترا على الإطلاق في القرن التاسع عشر.

❑ قال دزرائيلي موجهًا حديثه إلى رئيسي فرعي أسرة روتشيلد في باريس ولندن: «إذا أردتما فسوف تقسّم الولايات المتحدة إلى شطرين:

. . . نعطي أحدهما إلى جيمس «رئيس الفرع الفرنسي»، والآخر إلى «ليونيل» ـ أما نابليون الثالث ـ إمبراطور فرنسا آنئذ ـ فسوف يفعل ما أشير عليه به، وفيما يتعلق بـ«بسمارك» ـ مستشار ألمانيا ـ فإن الخطة التي أعددناها له هي من ثقل الوطأة بحيث سنشغله عنا تمامًا وعيَّن آل روتشيلد قريبهم (يهود. ب. بنيامين) مندوبًا رئيسيًّا لهم في أمريكا.

ونفّذ المرابون خطة دزرائيلي، فأقنعوا نابليون الثالث باحتلال المكسيك، واختصت بريطانيا بإعادة احتلال الولايات الشمالية في الولايات المتحدة.

❑ وكان هدف سادة المال اليهود مزدوجًا من إشعال هذه الحروب؛ فهي تخلق لهم أولاً فرصة ذهبية يستطيعون فيها تقديم القروض وبيع السلاح بالربا الفاحش لنابليون الثالث، ولقوات الولايات الجنوبية.

❑ والهدف الثاني: تصبح هذه الولايات تحت سلطانهم المباشر وإضافة إلى هذا فإنهم كانوا يريدون من هذه الحرب منع الرئيس الأمريكي «لينكولن» من تحرير العبيد في أمريكا، ولم تسر الحرب كما اشتهاها اليهود، وانتصر لنكولن، وأصبح خطرًا شديدًا عليهم فقد أحس بسيطرتهم على النقد ومحاولة سيطرتهم على العملة وإصدارها وشن هجومًا علنيًّا شديدًا عليهم، وجاء في هذا الهجوم ما يلي حرفيًّا:

«إنني أرى في الأفق نُذُر أزمة تقترب شيئًا فشيئًا.. وهي أزمة تثيرني وتجعلني أرجف خشيةً على سلامة بلادي، فقد أصبحت الرشوة المنهج السائد وسوف يتبعها وصول الفساد إلى أعلى المناصب. . . كما ستصبح ثروة البلاد بأكملها تحت سيطرة فئة قليلة لن تتورّع عن ابتلاع

وعن تحطيم الجمهورية بالتالي»... وقرروا أن يغتالوه.. وقد كان، فاغتاله اليهودي «جون ديكلز بوث» ليلة ١٤ نيسان ١٨٦٥ في المسرح. وعثر المحققون على رسالة الشفرة في أمتعة القاتل، ووجدوا مفتاح هذه الشفرة بحوزة «يهوذا.ب. بنيامين» عميل روتشيلد الأول في أمريكا لتشكل برهانًا قاطعًا على وجود علاقة ما بين القاتل «بوث» وبين المرابين العالميين، وبموت لينكولن انزاحت العقبة الكبرى التي كانت تسد الطريق أمام المرابين اليهود للسيطرة على اقتصاد الولايات المتحدة، ويكفي أن نقول: إن الماليين العالميين حققوا في الحرب العالمية الثانية أرباحًا أسطورية يبلغ مقدارها أربعين مليار دولار[1].

* اليهود خلف كل جريمة:

كان اليهود وراء الانقلابين اللذين وقعا في فرنسا سنة ١٨٣٠م وفي سنة ١٨٤٨م، وكانوا وراء اغتيال غستاف الثالث ملك أسوج، وابن الملك شارل العاشر الدوق دي باري، والملكة إلياصابات في النمسا والملك همبرت الأول في إيطاليا وإسكندر الثاني وإسكندر الثالث في روسيا، وشارل الثاني في البرتغال.

كما أسهموا في حرب السبعين ١٨٧٠م التي وقعت بين فرنسا وبروسيا. كما كان من أبرز حروب آخر القرن التاسع عشر التي دبرها اليهود من أجل أهدافهم هي حرب البوير بين الإنجليز وشعب البوير (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢م) تلك الحرب التي ذهب ضحيتها زهرة شباب إنجلترا وعشرات الألوف من شعب البوير، من أجل نقل الذهب من جنوب

(١) انظر «اليهود وراء كل جريمة» ص(١٢٨ ـ ١٤١).

أفريقيا إلى بنوك اليهود في بريطانيا[١] .

(٣٤) اليهود صانعو الشيوعية:

مطامع اليهود في روسيا قديمة، وكل حاكم يبغي رفاهية شعبه وقفوا له بالمرصاد، ويظهر هذا جليًّا في موقفهم من القيصر «إسكندر الثاني»، وجرت محاولتهم الأولى لاغتياله عام ١٨٦٦م، ثم تكررت ثانية عام ١٨٧٩م، ولكن القيصر أفلت بأعجوبة من كلتا المحاولتين.. إلا أنهم نجحوا أخيراً باجتذابه إلى بيت غانية يهودية اسمها (هسيا هلغمان) حيث تمكنوا من اغتياله عام ١٨٨١م!.

وكانت خطة مؤامرتهم فيما يتعلق بروسيا تقضي بإيقاع الحرب بين روسيا وبريطانيا بهدف مزدوج وهو:

- تعميم النتائج المعتادة للحرب من إنهاك مادي ومعنوي واقتصادي وانحلال خلقي وفوضى اجتماعية على كلا الشعبين.
- اجتناء الأرباح الفاحشة من صفقات بيع آلات التدمير والفتك للطرفين، ومدّهما في آن واحد بالقروض اللازمة بالربا المضاعف.
- يقول البروفسور (غولدين سمث) أستاذ علم التاريخ الحديث في جامعة أكسفورد في عدد تشرين الأول ١٨٨١م من مجلة هذه الجامعة: «كنا على حافة الحرب مع روسيا.. هذه الحرب التي لو نشبت لشملت كل الشعوب التي تضمها الإمبراطوريتان. وكانت المصالح اليهودية في كافة أرجاء أوربا تبذل أقصى ما يسعها من جهد لدفعنا إلى هذه

(١) «اليهود تاريخ إفساد» ص(٦١ ـ ٦٢).

الحرب.. وكان بُوقها الرئيسي الصحافة اليهودية في ڤيينا عاصمة الإمبراطورية النمساوية»[١].

▫ وأعقب اغتيال القيصر المصلح موجة استياء عارمة في كل أرجاء روسيا ضد اليهود، وأصدرت الحكومة الروسية القوانين الشهيرة التي عُرِفت باسم «قوانين مايو/ أيار» ونصّت على أحكام وأنظمة قاسية ضد اليهود، فقرروا الدخول في حرب دون هوادة مع روسيا.

▫ بدأت هذه الحرب على الصعيد الاقتصادي والتجاري، فحاربوا التجارة الروسية في كافة أنحاء العالم، وفرضوا الحظر على كل منتجات روسيا ومبادلاتها؛ حتى حلّت الضائقة بالخزينة الروسية ووصلت إلى أشدها عام ١٩٠٥م، وفي الوقت نفسه انتشرت في جميع أرجاء الإمبراطورية الروسية الخلايا الإرهابية والفوضوية التي كانت القوى الخفية نفسها تغذيها بالمال وتدفعها إلى بث الأحقاد والفوضى في جميع الطبقات، وأطل شبح الفوضى والإرهاب على هذه الإمبراطورية الواسعة التي أخذت التصدعات تتسع في كيانها.

▫ واستفادت من هذه الأوضاع المحزنة التي تردت فيها روسيا الأحزاب الثورية التي نشأت بين صفوف المثقفين والعمال والطبقات التي كانت تئن من وطأة الأزمات، وظهرت نواة الحزب الشيوعي. واختار اليهود فترة حدة الأزمة عام ١٩٠٥م ليثيروا الحرب اليابانية الروسية، فكانت تلك الضربة التي لم تستطع الإمبراطورية الروسية الوقوف على قدميها بعدها أبدًا.

---

(١) «اليهود وراء كل جريمة» ص(١٥٠).

❑ وقبل ذلك عمدت خلايا اليهود الفوضوية إلى تدبير سلسلة من الاغتيالات:

فاغتالوا (بوغولييوف) وزير التعليم ١٩٠١م انتقامًا منه للأحكام المتعلقة بالتعليم في (قوانين) «مايو/ أيار» التي تنص على تحديد عدد اليهود المقبولين في المدارس الروسية.

❑ وتلا ذلك عام ١٩٠٢م اغتيال (دسبياغين) وزير الداخلية بسبب «قوانيين مايو/ أيار» التي تمنع اليهود من العيش إلا في الأحياء المخصصة لهم، واغتالوا رئيس وزراء روسيا (فيتشيليف غون بليهف) عام ١٩٠٤م، واغتالوا الأمير الغراندوق (سرجيوس) عمّ القيصر. واغتالوا الجنرال (دوبراسوف) الذي قضى على ثورة ١٩٠٥، اغتالوه سنة ١٩٠٦م.

❑ وثارت ثائرة القيصر (إسكندر الثالث) لهذه الاغتيالات المتعاقبة والفوضى العارمة فأصـــدر بلاغًا ألقى فيه تبعة الاضطرابات والأزمة الاقتصادية على عائق الزعماء والمرابين اليهود، بيد أن الشيوعيين الذين استقطبوا الحركة الثورية تحت اسم «الحزب الاجتماعي الثوري» قرروا اغتيال القيصر وعهدوا بذلك إلى الدموي (غيشوين) والخياط اليهودي (إيفنو آزيف) و(إسكندر أوليانوف) وفشلت المحاولة، وأعدم (أوليانوف) وغضب شقيقه الأصغر (فلاديمير أوليانوف) وانضم إلى الحزب الثوري بدوره متخذًا له اسمًا نضاليًّا عُرِف به طوال حياته وهو (لينين).

❑ قرر اليهود إثارة الحرب بين اليابان وروسيا لتوجيه ضربة ساحقة إلى هذه الأخيرة، وقامت مؤسسة (كوهين ـ لوب) الأمريكية بتمويل الحكومة اليابانية سرًّا.

وتقضي هذه الخطة بسحب مؤسسة روتشيلد فجأة لمعونتها المالية

عندما تصل الحرب ذروتها، في نفس الوقت الذي يعمد فيه المخربون الذين يعملون لحساب جماعة روتشيلد خاصة والمهندسون في كافة صفوف الجيش والإدارات الحكومية إلى بث الفوضى في أجهزة التموين والاتصال وخطوط المواصلات وتخريب الخط الحديدي الذي ينقل الإمدادات الروسية إلى الشرق الأقصى بحيث ينهار الجيش الروسي بصورة لا قيام منها.. وقد تم بالفعل تنفيذ هذه الخطة بأكملها.. ودهش العالم أجمع آنئذ لانهيار الجيش الإمبراطوري الضخم أمام دولة اليابان الناشئة، ولكن اليهود هم اليهود!!

وحين جرت مفاوضات الصلح في مدينة (بوتسموث) بالولايات المتحدة عام ١٩٠٥م اتصل الكونت (ويت) مندوب القيصر بالمرابي العالمي اليهودي (يعقوب شيف) ممثل مجموعة (كوهين ـ لوب) التي موّلت اليابان للاستفسار منه عن سبب وقوف هذه المؤسسة المالية العملاقة ضد روسيا فأجابه: «.. أنت تدرك ـ وأنت الرجل الاقتصادي والسياسي ـ أنه لا يمكن أن تتوقع من المصالح اليهودية ونفوذ الأمريكيين اليهود أن تعمل إلا ضد الحكومة الروسية التي تحارب المصالح المالية لليهود ولا نؤمّن لليهود الروس متطلباتهم وحقوقهم».

وكان يعقوب شيف هو المشرف على تمويل الحركات الفوضوية في روسيا منذ عام ١٨٩٧م واستمر في هذه العملية حتى بعد اندلاع الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م، وهذا أمر مفضوح تحدثت عنه الجرائد العالمية بصراحة ونشرت عنه جريدة (الفيغارو) الفرنسية تقريراً كاملاً في عددها الصادر في ٢٠ شباط ١٩٣٢م[١].

(١) «اليهود وراء كل جريمة» ص(١٥٣ ـ ١٥٤).

❑ وفي عام ١٩٠٣م تنادى زعماء الحركات الشيوعية في روسيا وأوربا الشرقية وألمانيا الغربية إلى عقد مؤتمر في لندن، وانقسمت في هذا الاجتماع إلى قسمين (البولشفيك) الذين استلم زعامتهم لينين، و(المنشفيك) الذين استلم زعامتهم اليهودي (مارتوف).

❑ تزوج لينين من يهودية، وانضم لينين في سويسرا - بإيعاز من النورانيين اليهود - إلى الزعماء الشيوعيين والثوريين القدامى الذين التقى بهم هناك، وأهمهم (بليخانوف) - وهو المسيحي الوحيد بينهم باستثناء لينين - واليهودي (ليودوتش)، و(إكسلرود) و(جوليوس تسيد رياوم)، واليهودية (فيرازا سوليش) وغيرهم، وشكلوا جمعية ماركسية أسموها «مجموعة تحرير العمال»، وكان تسيد رياوم مشهوراً في الأحياء اليهودية في روسيا كواحدٍ من أعنف القادة الإرهابيين اليهود، وقد أطلق على نفسه اسمًا عرفً به فيما بعد هو (مارتوف) وهو بعينه الذي تزعم المنشفيك فيما بعد.

وأصدر هؤلاء جريدة باسم الحركة الشيوعية العمالية بالألمانية وسميت (إيسكرا) أي: الشرارة، وانضم إلى تحريرها تروتسكي الزعيم اليهودي وكانت زوجة لينين اليهودية سكرتيرة للتحرير.

❑ قرر الحزب الشيوعي عقد مؤتمره الخامس عام ١٩٠٧م لبحث الثورة وحضره لينين مع (٩١) ممثلاً للبولشفيك، ومثّل مارتوف «المنفشفيك» على رأس (٨٩) مندوبًا عنهم، وحضرته اليهودية (لوزا لكسميورغ) الشهيرة على رأس وفد الشيوعيين البولونيين واليهودي (رافائيل إيراها موفتيش) مع وفد الحزب الشيوعي الألماني ... إلخ

ونصّت القرارات التي اتخذت على استمرار العمل تحت واجهة

واحدة والعناية بشكل رئيسي بالدعاية على أوسع نطاق ممكن.

❑ أصدر البولشفيك بعد المؤتمر عام ١٩٠٨م جريدة ناطقة بلسانهم أسموها (بروليتاريا) وعهد بالإشراف على تحريرها إلى (لينين) و(زينوفييف) و(دويرو فينسكي).

كما أصدر المنشفيك جريدة لهم باسم «غولوس ـ سوسيال ـ ديموكراتا» عُهِد بها إلى (بنيخانوف) و(اكسلرود) ومارتوف، و(دان) و(مارتينوف).

وجميع هؤلاء المحررين وهم زعماء الشيوعية الأوائل وأقطابها المفكرون هم من اليهود، باستثناء لينين وبليخانوف فقط.. أما تروتسكي ـ اليهودي أيضًا ـ فقد اتخذ لنفسه خطًّا شبه مستقل وأنشأ في فيينا عاصمة النسما جريدة ناطقة بلسان اتجاهه أسماها «فيينا برافدا». وفي عام ١٩٠٩م انضم اثنان من كتلة الزعماء اليهود إلى لينين دون قيد أو شرط هما زميلاه في جريدة بروليتاريا: زينوفييف وكونوا جبهة ثلاثية حكمت روسيا فيما بعد واستمرت على ترابطها حتى وفاة لينين عام ١٩٢٤م.

❑ واغتال اليهود أكبر مصلح عرفته روسيا في تاريخها وهو ستوليبين في إحدى ليالي شهر أيلول عام ١٩١١م في مسرح كييف من قبل محام يهودي اسمه (مرداحي يوغووف)[1].

❑ وانتشر الفساد في روسيا ولعب فيه راسبوتين الراهب المزيف دجّال روسيا الأكبر وعميل محفل المرابين العالميين اليهود وكهنوت صهيون الدور الأكبر، وتمرغت في الأوحال سمعة القيصرة وسيدات الإمبراطورية

(١) «اليهود وراء كل جريمة» ص(١٦٣).

وأميرات الأسرة القيصرية وزوجات رجال المجتمع والحكم، وكثرت الليالي الداعرة وحفلات المجون الجماعية التي تقام كل ليلة في مخادع القصور والبلاط الملكي ذاته، وأصبحت مناصب الدولة تباع وتشترى في أحضان العشيقات، ولعب إسبوتين نفس الدور الذي لعبه (كوديرلوس دي لاكو) في نفس الثورة الفرنسية، وصارت أوساط القصر الإمبراطوري مقرًّا للإباحية واللذات الفاسدة الجماعية مما لم يشهد له مثيل من قبل ذلك سوى في قصر (الباليه رويال) في باريس قُبيل الثورة الفرنسية.

* اندلاع الثورة اليهودية الشيوعية الحمراء عام ١٩١٧م:

بدأت الاضطرابات في روسيا منذ مطلع ١٩١٧م حين سببت الخلايا اليهودية المنتشرة في كل مكان نقص التموين في العاصمة بطرسبرغ، وحالة تشبه المجاعة، وحرّض زعماء المنشفيك - وكلهم من اليهود - مجموعات من الرعاع على القيام بأعمال الشغب. والاضطرابات... ثم وزّعت الشبكات الأموال والتعليمات على كل أتباعها، وأخذت المظاهرات تجوب الشوارع دون انقطاع، وامتنع على موجهي المظاهرات إثارة صدام مسلح مع قوات الأمن وإسقاط عدد من الضحايا من الإرَهابيين بهدف تهييج الرأي العام.

ولكن ذلك لم يفتّ من عضد المؤامرة، فقد عمدت الشبكات الإرهابية إلى تنصيب عدد من الرشاشات في أمكنة مخفية رُتّبت بعناية، ولدى تجدد المظاهرات أطلق الفوضويون أنفسهم النار على المظاهرات بصورة بدا معها الأمر وكأن الجنود هم الذين أطلقوا النار...! وهكذا سقط مئات القتلى بأيدي من غرروا بهم.. فكانت هذه الضربة المريرة نذير المذابح التي عمَّت منذئذ، وأصبحت العاصمة بأجمعها مسرحًا لها

بعد أن فُقد زمام الأمن نهائيًّا، وبلغ ذروته حين وُجِّهت الخلايا التي تقود المظاهرات الرعاع إلى اقتحام السجون وإطلاق سراح المجرمين واللصوص الذين انتشروا في الشوارع يسفكون الدماء ويشعلون الحرائق واقتحموا منازل السكان للنهب والاغتصاب على قارعة الطريق.

وانتشرت روح التمرد في وسط الجيش وقتل الجنود ضباطهم وتحوّلوا إلى شراذم مسلحة فوضوية تجوب البلاد وتعيث فيها فسادًا.

وعاد تسعون ألفًا من الإرهابيين والفوضويين إلى روسيا، ووصل تروتسكي والعصابات اليهودية التي نظمها وجندها في نيويورك.

وفي ١٧ أكتوبر ١٩١٧م استولى لينين على الحكم وأعلن النظام الشيوعي.

❑ أما السادة الجدد لروسيا فكانوا أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي، وهم: لينين وزينوفيف وكامينيف وتروتسكي وبوخارين وتومسكي وستالين... وهم جميعًا من اليهود باستثناء لينين وستالين. بيد أن زوجة لينين كانت يهودية، وزوجة ستالين كانت يهودية (روزا كاغانوفيتش)، وهي شقيقة كافانوفيتش الزعيم الشيوعي الشهير أيام ستالين، والذي زوّج ابنه ميخائيل لابنة ستالين سفتلانا.

❑ وفي الأيام الأولى للثورة استولى اليهود على السلطة وانتقموا من الشعب الروسي وقتلوا ملايين الأبرياء (٢٠ مليونًا) من الشيوخ والنساء والأطفال.

❑ وفي مجلس إدارة الحرب كان الأكثرية من اليهود، وكانت نسبة اليهود في الوظائف المهمة نحو ٨٠٪.

❑ حين أرسلت الحكومة الألمانية لينين ورفاقه إلى روسيا لإشعال الثورة كان عدد الذين رافقوه ٢٢٤ ثائرًا منهم ١٧٠ يهوديًّا جميعهم من نيويورك وألمانيا، وحين اندلعت نار الثورة الشيوعية طغى عليها الطابع التلمودي الذي يسري في دماء اليهود فيحيلهم إلى وحوش كاسرة.

❑ قالت جريدة فرنسا القديمة عدد ١١٨: «عندما نشاهد ما للرعب البولشفيكي من السمة الفظيعة في روسيا عندما نشاهد أن سادة البلاد يدفن بعضهم حيًّا، ويُشوى بعضهم على النار وينشر بعضهم ما بين خشبتين...

وكان اليهود البولشفيك يتفننون في تعذيب الضحايا البريئة وتشويه الجثث وقطع الأطراف قبل الموت، ودفن الأحياء في قبور يحفرونها بأنفسهم.

وسحق عظام الفك، وسمل العيون، وبقر البطون، وإخراج الأمعاء.. وقتل الأطفال والشيوخ والنساء...».

❑ قالت مجلة «فرنسا القديمة» في عددها (١٦٠) لعام ١٩٢٠م: «إن اليهود هم الذين دبّروا الثورة الروسية بدسائسهم، وبذلوا الملايين في سبيلها، وأثاروها انتقامًا من الشعب الروسي.

❑ لما هبّت الثورة الشيوعية في شهر أكتوبر عام ١٩١٧م كان أعضاء «منظمة العمال اليهودية» أول من حمل لافتات الثورة، وعندما عُقد أول اجتماع للجبهة الشيوعية في أمريكا احتفالاً بانتصار رفاقهم في روسيا كانت أول برقية وصلت إلى المؤتمر برقية (يعقوب شيف) مدير مصارف (كوهين وليب)، وقد جاء في هذه البرقية الإعراب عن فرحة الشعب اليهودي لهذا النصر الذي ننتظره من سنين طويلة.

* الشيوعية نبت يهودي:

قد غدا من الأمور البديهية لدى الباحثين أن الشيوعية نبت يهودي خالص.

❑ فقد كان أول منطلق فكري لها صادراً عن اليهودي (موسى هس) صاحب كتاب «روما والقارس» الصادر في ١٨٦٢م.

❑ وتبعه من بعده اليهودي (كارل ماركس) و(إنجلز) ففلسف المذهب، وقعّد قواعده، وشرح أهدافه، ووضّح نظرياته.

❑ ثم تلا ذلك المقررات السرية لحكماء صهيون، التي فيها توصية اليهود الصريحة بأن يدفعوا مختلف الأمم إلى الشيوعية.

جاء في البروتوكول الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون قولهم: «إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا محررِّين للعمال، جئنا لنحررهم من هذا الظلم، حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين، ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال...».

❑ وجاء في بيان المشرق الأعظم الفرنسي الماسوني عام (١٩٠٤م) في الصفحة (٢٣٧) ما يلي:

«إن الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية؛ لأن مؤسسيها (كارل ماركس) و(إنجلز) هما من ماسونيي الدرجة الحادية والثلاثين، ومن منتسبي المحفل الإنجليزي، وإنهما كانا من الذين أداروا الماسونية، وبفضلها أصدرا «البيان الشيوعي» المشهور.

❑ وفي ألمانيا قامت ثورة شيوعية بقيادة اليهوديين روزا لوكسمبرغ

وكارل لاينبخت ولم تنجح.

▫ وفي هنغاريا قامت ثورة شيوعية بقيادة اليهودي بيلاكوهين الإرهابي الخطير الذي وضع دستور الحياة للشعب الهنغاري، ويعتبر مثالاً للقسوة والظلم والإرهاب مما أدى إلى قيام اضطرابات دامية ذهب ضحيتها عشرات الألوف من الشعب البريء[1].

▫ وقامت ثورة شيوعية في رومانية بقيادة اليهودية آنا بوكر.

▫ «وُزِّعت في لندن منشورات صادرة عن منظمة إنجليزية أمريكية مناهضة للشيوعية والصهيونية، تقول فيها:

إن مجلس السوفيت الأعلى، والمكتب السياسي فيه يتألف من (٩٠٪) من اليهود السوفييت، وإن أبرز الزعماء السوفييت ينتمون إلى الصهيونية، حتى إن (ليونيد بريجنيف) وهو الشخص الوحيد من بين كبار الشخصيات السوفيتية الذي ليس يهودي الأصل والديانة متزوج من يهودية، وإن جميع أولاده تربّوا على الطريقة اليهودية، ويجيدون اللغة العبرية.

وذكرت هذه النشرة: أن هؤلاء اليهود تنكّروا تحت أسماء روسية، وتخلّوا عن أسمائهم اليهودية، ومن بين هؤلاء على سبيل المثال:

- وزير الدفاع السوفيتي.
- وزير الخارجية (أندريه جروميكو).
- رئيس هيئة الاستخبارات السوفيتي.
- قائد القوات الجوية.

---

(١) «دائرة المعارف البريطانية» (١٣/ ٥٢٧).

ـ قائد سلاح المدرعات.

ـ رئيس هيئة الأركان.

وتقول المنشورات أيضًا: أن (٩٠٪) من سفراء الاتحاد السوفيتي في الخارج هم من اليهود، وعلى رأسهم سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن»[١].

أكّدت بحوث المتتبعين في الستينات من القرن العشرين الميلادي أن أصول وزراء المعارف في جميع بلدان أوربا الشرقية هم من اليهود بلا استثناء[٢].

المنظمات الشيوعية التي قامت في مختلف بلدان العالم كان روّادها الأولون من العناصر اليهودية البحتة، حتى في الدول العربية:

ففي العراق انطلق الحزب على أيدي اليهود نذكر منهم على سبيل المثال: يهوذا صديق ـ يوسف زلوف ـ حزقيل صديق ـ موشى مراد كوهين ـ يوسف زلخة ـ ساسون دلاّل ـ موشى مختار ـ إبراهيم شاؤول وغيرهم.

وفي سورية ولبنان كان سكرتيره العام في أول الأمر اليهودي «جاكوب» الذي جاء من فلسطين ليترأس الحزب.

وفي مصر أيضًا كان مؤسسه يهودي أيضًا.

فالحركة الشيوعية وما يدخل في فلكها حركة يهودية في منابعها، ومجاريها، ومصابِّها.

* القنبلة الذّرِّية على هيروشيما وناغازاكي مأساة وراءها المرابين اليهود:

كانت اليابان موشكة على الاستسلام دون ما حاجة لهذه الجريمة

---

(١) «مكايد يهودية» ص(٣٩٣ ـ ٣٩٤).

(١) المصدر السابق ص(٣٩٣).

النكراء، وقد صرّح بذلك علنًا الجنرال ماك آرثر قائد القوات الأمريكية في الشرق الأقصى، وغيره من كبار القادة الأمريكيين آنذاك، بل قد كُشف الستار فيما بعد أن اليابان كانت قد أجرت محاولات عديدة طالبة الاستسلام والدخول في مفاوضات للصلح، ولكن محاولاتها قوبلت بالرفض البات الذي أوعز به أولئك الذين كانوا يعدون لألقاء القنبلة.

لم تنفع احتجاجات بعض كبار الضباط الأمريكيين ممن نفروا من هذه الوسيلة البربرية في منع وقوع الكارثة؛ لأن برنارد باروخ وبقية ممثلي المرابين العالميين كانوا قد أقنعوا الرئيس روزفلت بضرورة استعمالها بالرغم من معارضة الجنرال ماك آرثر وبقية القادة الوطنيين الأمريكيين، وهكذا سقطت القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما، ولم تلبث أن تبعتها القنبلة الثانية على ناغازاكي[1].

(٣٥) اليهود واستعمال الرشوة والجنس للسيطرة على الأشخاص:

(إستير) وما أدراك ما (إستير)؟! و(سفر إستير) وسفر (يهوديت) والانحرافات الإبليسية والخطط الشيطانية:

ويحتوي سفر إستير المشار إليه على قصة امرأة يهودية جميلة اسمها (إستير) رآها اليهود وسيلة مناسبة يصلون بها إلى السلطان في بلاد فارس، فعملوا بوسائلهم الخاصة حتى أدنوها وقرّبوها إلى مَلِك الفرس فاستحسنها وتزوّجها. ولما أصبحت زوجة الملك استطاعت أن تملك قلبه بفتنتها ودهائها، وبذلك استطاعت أن تؤثر عليه، وأن تُدخل ابن عمها (مردخاي) إلى بلاطه، وأن تجعل له حظوة عنده. ولما بلغ مردخاي مكان

(١) «اليهود.. وراء كل جريمة» ص(٢٤٧، ٢٤٨).

الحظوة عند الملك أخذ يعمل بكل ما أوتي من حيلة ودهاء كي يبسط نفوذ اليهود في فارس، ويمكّن لهم متتبعًا الخطط المعروفة في تاريخ اليهود حيثما وجدوا بالخمور والنساء والرشوة حتى علا شأن اليهود في فارس. ثم تآمروا على المخلصين من أهل فارس، وأوقعوا بينهم وبين الملك، فإذا بالملك الفارسي يقبض على وزيره المخلص هامان، الذي كان يعرف مكر اليهود ويودّ أن يخلص البلاد منهم، ويأمر الملك بشنقه وأنصاره. وأسرع اليهود في ظل هذه المكيدة إلى الخلاص من كل من يعارضهم من الفرس المخلصين لبلادهم فأخذوا يقتلون ويذبحون حتى بلغ عدد القتلى من الفرس على يد اليهود سبعين ألفًا في ليلة واحدة، وكان ذلك في يوم الثالث عشر من شهر آذار، ولذلك صار اليوم التالي لهذه المذبحة وهو اليوم الرابع عشر من آذار عيدًا من أعياد اليهود حتى اليوم.

❑ وقد مرّ فيما تقدم كيف استخدم اليهود النساء في كل ثوراتهم يقول الأميرال الأمريكي وليام غاي كار: «برع اليهود في استعمال الرشوة والمال والجنس للوصول إلى السيطرة على الأشخاص الذين يشغلون المراكز الحساسة على مختلف المستويات في جميع الحكومات وفي مجال النشاط الإنساني، فإذا وقع أحد الأشخاص المهمين في قبضتهم يجب أن يحاط بالعقد من كل جانب، كما يجب أن يستنزف للعمل في سبيلهم عن طريق الابتزاز بالتهديد السياسي أو الخراب المالي أو جعله ضحية لفضيحة عامة كبرى، كما حدث في فضيحة وزير الحربية الأسبق في بريطانيا المدعو (بروفوميو) مع فتاة لعوب تسمى (كريستين كيلر) تلك الفضيحة التي هزّت بريطانيا، وتلتها سلسلة من الفضائح لشخصيات

بريطانية كبيرة مع فتيات صغيرات أو غانيات، وتبين بنتائجها أن شخصية اجتماعية ضخمة ذات علاقات رفيعة هو الدكتور (وارد) كان المنظم والمدبر لتلك العلاقات بين الشخصيات السالفة والفتيات المذكورات، ولم يكشف الستار بعد عن ملابسات وأهداف الفضيحة التي زكمت رائحتها الأنوف في عام ١٩٦٣م.

كما حدثت أيضًا فضيحة مماثلة إبان فترة معركة السويس وهزّت فرنسا بأجمعها، وهي الفضيحة التي كان بطلها المسيو لوتروكيه، رئيس مجلس النواب الفرنسي الأسبق وعدد من كبار الشخصيات الفرنسية، والتي كشفت الستار عن ليال حمراء جنونية، كان يقضيها هؤلاء الأشخاص مع فتيات مراهقات عاريات... إلخ

وفي هذه القضية كما في تلك، وكما في عدد من القضايا المماثلة تشير الأصابع إلى المخطط الشيطاني ويتجه الاتهام إلى المؤامرة الصهيونية العالمية التي تعمل في الظلام»[١].

(٣٦) اليهود صانعو الماسونية وهي نبت يهودي شيطاني:

«الماسونية هم أيدي اليهود التنفيذية لمخططات البطش ومؤامرات الاضطهاد والإعدام والسحق السارية المفعول على جميع شعوب العالم»[٢].

الماسونية على أية حال جمعية سرية أسست قديمًا على يد اليهودي

---

(١) انظر: «أحجار على رقعة الشطرنج» ص(١١ ـ ١٢).

(٢) من كتاب «اليهودية والماسونية» للشيخ عبد الرحمن الدوسري ص(٤٢) ـ دار السنة نقلاً عن مقال في مجلة «لاتوميا» ١٩٢٨ نقلاً عن الجنرال لودندروف.

(أحيرام أبيود) وضمّت إليها (هيردوس الثاني) عدو المسيحية الأكبر وعقدت أول اجتماع لها عام ٤٣م وحضر هذا الاجتماع الملك (هيردوس) ومستشاراه اليهوديان (أحيرام أبيود، وموآب لافي)، ثم تلى هذا الاجتماع اجتماعات أخرى، وتعددت أوكار الماسونية في كل مكان من أوربا، وانضم إليها عدد من السذّج بادئ الأمر، وذلك للتمويل، واخترعت شعاراتها البرّاقة {حرية ـ مساواة ـ إخاء ـ تعاون}، وانخدع كثيرون بهذا الشعار فكثر المنضمون إلى ما يُسَمّى بالماسونية الزرقاء، ثم بدأت تنهج نهجًا جديدًا بالنسبة للتنظيم وعضويتها.

□ ففي عام ١٧٧٠م اتصل عدد من اليهود المرابين بـ(آدم وايزهاوبت) أستاذ اللاهوت بجامعة أنفولد شتات الألمانية وكلّفوه بمراجعة بروتوكولات حكماء صهيون القديمة، وإعادة تنظيمها على أسس حديثة بهدف وضع خطة لكنيس الشيطان للسيطرة على العالم عن طرق فرض عقيدة الإلحاد والشرّ على البشر جميعًا. وقد أنهى وايزهاوبت مهمته خلال عام ١٧٧٦م وقدّم المخطط الذي يرسم ما يلي:

١ ـ الهدف الأول: تدمير جميع الحكومات الشرعية، وتقويض الأديان السماوية.

٢ ـ تقسيم البشر إلى معسكرات متنابذة تتصارع فيما بينها بشكل دائم حول عدد من المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعنصرية.

٣ ـ تسليح هذه المعسكرات بعد تكوينها.

٤ ـ بث سموم الشقاق والنزاع داخل البلد الواحد وتمزيقه إلى فئات متناحرة وإشاعة الحقد فيه، وتقويض دعاماته الأخلاقية والدينية والمادية.

ثم قام وايزهاوبت بدعم من النورانيين بتنظيم المحفل المكلف

بقيادتها الذي كانت الخطوة التالية له تأسيس المحفل الماسوني والذي عرف فيما بعد باسم محفل الشرق الأكبر، وأصبح يستقطب كل الجمعيات الماسونية القديمة في العالم، ويسيرها إلى وجهة جديدة تخدم اليهود وأغراضهم وأحلامهم بتحقيق وطن قومي لهم، ثم صيانة هذا الوطن»[1].

❑جاء في البروتوكول الرابع: «إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا».

❑ويلاحظ الباحثون أنه يتردد بين أعضاء الماسونية العامة (الماسونية الرمزية) كلمات يهودية صرفة مأخوذة من كتب اليهود، منها ما يلي: (المختار العظيم ـ الكاهن الماسوني ـ فارس الشمس ـ فارس السيف).

❑ومن الكلمات التي تردّد في الماسونية الرمزية (الأستاذ الأعظم لهيكل أورشليم) وهو لقب أحد اليهود المشهورين واسمه (هارمبام).

❑ومن الرموز التي يرددها أكثر الماسونيين دون أن يفقهوا معناها (شبولت): ومعناها في العبرية السنبلة، وقد كانت هذه الكلمة علامة على اليهود.

❑(بوعز): هم اسم لرجل من بني إسرائيل ذي شأن عند اليهود.

❑(جاكين) وهو اسم آخر ملوك يهوذا.

❑(جادا) وهو اسم أحد الأسباط الاثنى عشر من أسباط بني إسرائيل.

---

(١)«اليهود والماسونية» للشيخ عبد الرحمن الدوسري ص(٤٢ ـ ٤٤).

(العمودان): وهما يشيران عندهم إلى العمودين اللذين كانا يتقدمان بني إسرائيل عند خروجهم من مصر بقيادة موسى عليه السلام.

* الروتاري واللوينز:

هما من أندية اللوينز وهما وجهان لعملة واحدة: الماسونية.

* من أقوال الماسون:

من أقول المحفل الماسوني الأكبر سنة ١٩٢٢م:

«سوف نعلنها حربًا شعواء على العدو الحقيقي للبشرية، الذي هو الدين، وهكذا سوف ننتصر على العقائد الباطلة وعلى أنصارها».

وجاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة (١٩٢٢م) قولهم: «يجب أن لا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا أن لا نألوا جهدًا في القضاء على مظاهرها».

وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة (١٩١٣م) قولهم: «سوف نتخذ الإنسانية غاية من دون اللَّه».

وفي مجلة أكاسيا الماسونية ١٩٠٣م قولهم:

«إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة».

ومن أقوالهم: «ستحل الماسونية محل الأديان، وإن محافلها ستقوم مقام المعابد».

وقد صدق السياسي الإنجليزي المشهور (بنيامين) حين قال سنة ١٨٤٤م: «إن الذين يديرون دفّة السياسة في العالم ليسوا الذين هم على

كراسي الحكم ظاهرًا وإنما هم الذين يكمنون وراء الكواليس»[١].

وصرّح نابليون الثالث ملك فرنسا عام ١٨٥٩م بقوله: «يجب أن لا نخدع أنفسنا، فإن الدنيا تدار من قبل المنظمات السرية»[٢]. ومن ثمار الماسونية النكدة: الثورة الفرنسية والشيوعية وفصل الدين عن الدولة.

(٣٧) اليهود أحرص الناس على حياة:

* قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

خصلة أخرى في يهود تفيض بالزراية وتنضح بالتحقير والمهانة: أحرص الناس على حياة.. أي حياة، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق! حياة فقط!. حياة بهذا التنكير والتحقير! حياة ديدان أو حشرات... إنها يهود في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ما ترفع رأسها إلا حين تغيب المطرقة، فإذا وجدت المطرقة نكّست الرؤوس، وعنت الجباه جبنًا وحرصًا على الحياة... أي حياة!

يود أحدهم لو يعمر ألف سنة... ذلك لأنهم لا يرجون لقاء اللّه، ولا يحسون أن لهم حياة غير هذه الحياة... وما يغلق أحد على نفسه هذا المنفذ إلى الخلود وعالم الآخرة إلا وحقيقة الحياة في روحه ناقصة أو مطموسة.

* وهم أجبن الناس على الإطلاق قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي

(١، ٢) «اليهودية والماسونية» ص(٤٩).

صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٣ ـ ١٤].

وهذه حالة اليهود في أي زمان وفي أي مكان، لا يقاتلون أهل الإيمان إلا في المستعمرات المحصنة، فإذا انكشفوا لحظة ولّوا الأدبار.

هم يرهبون المؤمنين أشد مما يرهبون اللَّه، ولو خافوا اللَّه ما خافوا أحدًا من عباده.

* وقال تعالى مصورًا الجبن اليهودي إذ يقولون لكليم اللَّه موسى عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]، وقولهم أيضًا: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

جبلة يهود تبدو هنا على حقيقتها، مكشوفة بلا حجاب ولو رقيق من التجمل.. إنما هو الجبن والتمحل والقحة. يفزعون من الخطر أمامهم فيرفسون بأرجلهم كالحمير ولا يقدمون!

والجبن والتوقح ليسا متناقضين ولا متباعدين؛ بل إنهما لصنوان في كثير من الأحيان، يُدفع الجبان إلى الواجب فيجبن، فيحرج بأنه ناكل عن الواجب، فيسبّ هذا الواجب، ويتوقح على دعوته التي تكلّفه ما لا يريد.. وقاحة العاجز، الذي لا تكلّفه وقاحة اللسان إلا مدّ اللسان! أما النهوض بالواجب فيكلّفه وخز السنان!

* وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ

قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وهم الذين قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده.

فهل تعي الأمة الإسلامية جبن اليهود الذي سيختبئون يومًا خلف الشجر والحجر؟!

(٣٨) انعدام الحياء عند اليهود:

كلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم، وقلة الحياء وانعدامه من موت القلب.

- وقد قال ﷺ: «**آخر ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(١).
- وقال ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شت**»(٢).
- وقال ﷺ: «**ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه ابن عساكر في «تاريخه» عن أبي مسعود البدري، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢).

(٢) رواه البخاري وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن مسعود، وأحمد عن حذيفة.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي وابن ماجه عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٣١).

❑ قال حبيب بن أوس:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاءُ
يعيش المرء ما أستحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء
وما في أن يعيش المرء خير إذا ما الوجه فارقه الحياء

❑ وقال العَرْجيّ:

إذا حُرم المرء الحياء فإنه بكل قبيح كان منه جديرُ
له قحة في كل شيء وسرّه مُباح وخِدْناه خنًا وغرور[1]

على مر التاريخ إذا ذكرت القحة وقلة الحياء ذكر اليهود، وهذه الخصلة من ألصق الخصال باليهود، ولو لم يكن لهم إلا تبديل كتابهم، وإلصاق أفحش عبارات الخنا والغزل الصريح التي تعف عن ذكرها مجلات الجنس والدعارة بكتابهم لكفى... ويكفي ما في نشيد الإنشاد، ولعلّ فيما مرّ كفاية لتوضيح هذه الخصلة فيهم، ولقد ضرب اليهود المثل الأرذل في التبذل والقحة وعدم الاحتشام حين يلصقون العيب بنبيهم كليم اللّه موسى ـ عليه السلام ـ لأنهم كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى عورة بعض، فمقتوا من شذّ عن ذلك وهو نبي اللّه موسى ـ عليه السلام ـ الحيي.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

● عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده،**

(١) «لباب الآداب» للأمير أسامة بن منقذ ص(٢٨٤ ـ ٢٨٧) ـ دار الكتب السلفية.

فقالوا: واللَّه ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر[١] فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في أثره يقول: «ثوبي يا حجر» حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: واللَّه ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربًا»[٢].

وقد كانت نساء بني إسرائيل لا تقل عن رجالهم في عدم الحياء والاحتشام فصفة الإغراء في نساء اليهود قد فاقت بها قريناتها في سائر العصور، ولهذا كانت النساء من أول الفتن التي وقعت على بني إسرائيل كما صرح بذلك رسول اللَّه ﷺ.

● وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن اللَّه مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**[٣].

● وقد ذكر لنا رسول اللَّه ﷺ صورة مما كانت تفعله نساء بني إسرائيل:

● روى مسلم في «صحيحه» وأحمد في «مسنده» ـ واللفظ له ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ ذكر الدنيا

(١) آدر: بالدال المهملة، أي بيّن الأدرة وهو انتفاخ يحصل بالخصية «النهاية» (١/ ٣١)، «فتح الباري» (١/ ٣٨٦).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في الغسل (١/ ٣٨٥) برقم (٢٧٨)، ورواه مسلم في «صحيحه» في الحيض (١/ ٢٦٧) رقم (٧٥/ ٣٣٩)، ورواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣١٥) وقد رواه الجميع في عدة مواضع أخرى.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٩٨) رقم (٩٩/ ٤٧٤٢)، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٢)، ورواه البيهقي في «سننه» في النكاح (٧/ ٩١)، جميعهم عن أبي سعيد بهذا اللفظ.

فقال: «**إن الدنيا خضرة حلوة، فاتّقوها واتقوا النساء**، ثم ذكر نسوة ثلاثًا من بني إسرائيل، **امرأتين طويلتين تُعرفان، وامرأة قصيرة لا تُعرف، فاتخذت رجلين من خشب وصاغت خاتمًا فحشته من أطيب الطيب، المسك، وجعلت له غلقًا، فإذا مرت بالملأ أو بالمجلس قالت به ففتحته ففاح ريحه**، قال المستمر ـ أحد رواة الحديث ـ **بخنصره اليسرى فأشخصها دون أصابعه الثلاثة شيئًا وقبض الثلاثة**»[1].

● كما بين رسول اللّه ﷺ ضربًا آخر من ضروب الإغراء عند اليهود:

روى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج، على المنبر، فتناول قصة من شعر، وكانت في يدي حرسي، فقال: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت النبي ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول: «**إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم**»[2].

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» في كتاب الألفاظ من الأدب (٤/ ١٧٦٥، ١٧٦٦) برقم (١٨/ ٢٢٥٢) ـ عن أبي سعيد.. فذكره قريبًا من هذا، وليس فيه «**إن الدنيا خضرة حلوة فاتقوها واتقوا النساء**». رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣) عن أبي سعيد.. بهذا اللفظ، ورجال إسناده ثقات رجال «الصحيح»، وروى النسائي بعضه في «الزينة» (٨/ ١٥١، ١٩٠) ورجال إسناده موثقون.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في أخبار الأنبياء (٦/ ٥١٢) برقم (٣٤٦٨)، ورواه مسلم في اللباس (٣/ ١٦٧٩) برقم (١٢٢/ ٢١٢٧)، والترمذي في «الأدب» (٨/ ٢١) برقم (٢٧٨٢)، وأبو داود في «الترجل» (٤/ ٣٩٦) رقم (٤١٦٧)، والنسائي في «الزينة» (٨/ ١٨٦)، ورواه مالك في «الموطأ» في الشعر (٢/ ٩٤٧) رقم (٢)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٩٥)، والحميدي في «مسنده» (٢/ ٢٧٣) برقم (٦٠٠)، والشافعي في «مسنده» ص(١٦١)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ١٤٣) رقم (٥٠٩٤).

وبسبب الإغراء الجنسي هذا انتشرت في المجتمع الإسرائيلي الجرائم الخلقية كالزنى، وأصبح أمرًا طبيعيًّا فيهم، ويكشف عن ذلك الوضع الاجتماعي مجموعة من القصص أوردها الرسول ﷺ عظة لأمته واعتبارًا:

● روى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: ـ واللفظ للبخاري ـ قال رسول اللَّه ﷺ: «**كان رجل في بني إسرائيل يقال له: جريج يصلي، فجاءته أمه فدعته، فأبى أن يجيبها، فقال: أجيبها أو أصلي؟ ثم أتته فقالت: اللَّهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فقالت امرأة: لأفتنن جريجًا، فتعرضت له فكلمته، فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا، فقالت: هو من جريج، فأتوه وكسروا صومعته وأنزلوه وسبّوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي: قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين**»[1].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بينما كلب يطيف بركية، قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها، فاستقت له، فسقته إياه، فغفر لها به**»[2].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب المظالم (٥/ ١٢٦، ١٢٧) برقم (٤٢٨٢) ـ عن أبي هريرة.. بهذا اللفظ، ورواه مسلم في «صحيحه» في البر والصلة (٤/ ١٩٧٦، ١٩٧٧) برقم (٧، ٨/ ٢٥٥٠) ـ عنه.. مطولاً، قريبًا من هذا.
ورواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٠٧، ٣٠٨، ٤٣٤) عنه.. بعدة روايات مختصرة ومطولة، قريبًا من هذا.

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٤/ ١٧٦١)، ورواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٥٠٧) قريبًا بهذا اللفظ من هذا.

فهذه الأخبار وأمثالها، تبين لنا ما كان منتشرًا في المجتمع اليهودي من فساد وبغي وفجور.

(٣٩) نكران اليهود للجميل:

ومن صفات اليهود المتأصلة فيهم نكرانهم الجميل، وهي صفة ملازمة للجشع وحب المال والبخل به؛ لأنه يتهالك في البحث عن المال وطلب الإحسان والشفقة في سبيله، ثم بعد ذلك يقلب ظهر المجن للمحسن إليه، وينكر فضله وإحسانه؛ لأنه باع خلقه وضميره ـ إن وجد ـ للمال وبالمال.

● وأوضح مثل يدلنا على ذلك قصة الأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل التي أخبرنا عنها رسول اللَّه ﷺ:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا للَّه**[1] **ـ عز وجل ـ أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل** ـ أو قال البقر، هو شك في ذلك[2] : إن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر ـ **فأعطي ناقة عُشَراء**[3] ، **فقال: يبارك لك فيها، وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب هذا**

---

(١) بدا للَّه: أي سبق في علمه فأراد إظهاره، وعند مسلم «أراد اللَّه أن يبتليهم».

(٢) بيّن مسلم في رواية أن الشك من إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي طلحة، أحد رواة هذا الحديث.

(٣) ناقة عُشَراء: هي التي أتى على حملها عشرة أشهر، ثم اتُّسع فيه فقيل لكل حامل. «النهاية» (٣/ ٢٤٠).

عني، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب، وأعطي شعرًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملاً وقال: يبارك لك فيها، وأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد اللَّه إليَّ بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه، فرد اللَّه إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدًا، فأنتج هذا وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره، فلا بلاغ اليوم إلا باللَّه ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرًا أتبلغ به في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، قال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرًا فأعطاك اللَّه؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك اللَّه إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك اللَّه إلى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت به الحبال في سفره، فلا بلاغ اليوم إلا باللَّه ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، قال له: قد كنت أعمى فرد اللَّه بصري، وفقيرًا فقد أغناني، فخذ ما شئت، فواللَّه لا أجهدك اليوم بشيء أخذته للَّه، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي اللَّه عنك، وسخط على صاحبيك»[1].

(٤٠) عدم انتفاعهم بالعلم وتركهم العمل به:

خصلة زرية بائسة، ومثل سيئ شائن أن قلوبهم ليست فاقهة مدركة

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب أحاديث الأنبياء (٦/ ٥٠٠، ٥٠١)برقم (٣٤٦٤) ـ عن أبي هريرة.. بهذا اللفظ. ورواه مسلم في «صحيحه» في كتاب الزهد والرقاق (٤/ ٢٢٧٥ ـ ٢٢٧٧) برقم (١٠/ ٢٩٦٤) ـ عن أبي هريرة.. بهذا اللفظ بطوله. ورواه البيهقي في «سننه» في كتاب النكاح (٧/ ٢١٩) عنه بهذا اللفظ.

واعية تعمل بما تحمل.

* قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

قوم لم يقدروا أمانة العلم، وما فقهوا حقيقتها، ولا عملوا بها، ومن ثَمّ كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام، وليس له منها إلا ثقلها، فهو ليس صاحبها.

يخلع اللَّه عليهم من فضله ويعطيهم من علمه، فانحرفوا عن الهدى، وهبطوا من الأفق المشرق والتصقوا بالطين المعتم؛ وأصبحوا غرضًا للشيطان لا يقيهم منه واق، بعدما انسلخوا من الهدى والعمل انسلاخًا، وكان لهم من الإيمان جناح يرفون به إلى عليين، فإذا بهم انحطوا إلى أسفل سافلين.

❑ يُعطون دين اللَّه، ثم لا يهتدون به، واتخذوا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه واتباع الهوى به، فإذا هم أمساخ شائهو الكيان، هابطون عن مكان الإنسان إلى مكان الحيوان، الحمار أو الكلب الذي يتمرّغ في الطين.

❑ أخلد بنو إسرائيل وأحبارهم إلى الأرض، واستذلهم الشيطان، وتركوا العمل بما عندهم من علم، وقست قلوبهم ولهثوا وراء الحطام، وحرصوا على ظلم أنفسهم كمن يعض بالنواجذ على مكان له في قعر جهنم يخشى أن ينازعه إياه أحد من المتسابقين معه في الحلبة! فهو ما يني يقدم كل صباح ما يثبت به مكانه هذا في جهنم! وما يني يلهث وراء هذا المطمع لهاثًا لا ينقطع حتى يفارق هذه الحياة الدنيا.. فيا لها

من نهاية نكدة بائسة أن يسفل من يحمل العلم بين جنبيه ليكون مسخًا في مرتبة الحيوان الحمار أو الكلب.

● عن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: «**هذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه على شيء**»، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن، فواللَّه لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا، فقال: «**ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟**» قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت ـ رضي اللَّه عنه ـ، قلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء؟، فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء، قال: صدق أبو الدرداء، إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس، الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعًا[1].

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» في كتاب العلم (٧/ ٣٠٤) برقم (٢٦٥٥)، وقال بعد سياقه: هذا حديث حسن غريب، ومعاوية بن صالح أحد رواته ثقة عند أهل الحديث، ولا نعلم أحدًا تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان. ورواه الدارمي في «سننه» في المقدمة (١/ ٧٥) برقم (٢٩٤)، ورجاله موثقون، ورواه الحاكم في «مستدركه» في كتاب العلم (١/ ٩٩) عن أبي الدرداء بهذا اللفظ، ثم قال: هذا إسناد صحيح من حديث البصريين، وسكت عنه الذهبي، وقد روي هذا الخبر من طريق آخر عن عوف بن مالك الأشجعي. فقد رواه ابن حبان في «صحيحه» كما في «الموارد» في كتاب العلم ص(٥٩) برقم (١١٥)، ورجال إسناده ثقات، وقد أشار إليه الترمذي في «سننه» فقال: وروى بعضهم ها الحديث عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ. انظر «سنن الترمذي» (٧/ ٣٠٤، ٣٠٥)، ورواه الحاكم في «مستدركه» في كتاب العلم (١/ ٩٩) عن عوف بن مالك بهذا اللفظ، ثم قال: هذا صحيح وقد احتج الشيخان بجميع رواته.

❑ آفة بني إسرائيل وعلمائهم وأحبارهم جعلهم الدين حرفة لا عقيدة حارة دافعة يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، يأمرون بالخير ولا يفعلونه، ويدعون إلى البر ويهملونه، يسمعون الناس قولاً جميلاً، ويشهدونهم فعلاً قبيحًا، فيجعلون الناس لا يثقون بالدين وأهله، تنبعث كلماتهم ميتة، وتصل هامدة، مهما تكن طنانة رنانة، فليست أفعالهم ترجمة حية لما يقولون، وتجسيدًا واقعيًّا لما ينطقون.

* قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

إن الأقوال تستمد جمالها من صدقها لا من بريقها. إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة، لأنها منبثقة من حياة.

(٤١) كتمان العلم والحق وتحريفهم له ولبسه الباطل:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

أبرز أفاعيل اليهود وأقاويلهم كتمانهم للحق الذي يعلمونه، ولبسه بالباطل لإحداث البلبلة عند الناس في صحة الإسلام، وفي وحدة الأسس والمبادئ بينه وبين الأديان من قبله، وفي تصديقه لها وتصديقها له صفة بشعة غاية البشاعة، حين يأخذ اللَّه عليهم العهد أن يبيِّنوه للناس، ويبلغوه، ولا يكتموه أو يخفوه، وأنهم نبذوا هذا العهد مع اللَّه، وفعلوا هذه الفعلة الفاضحة من كتمهم الحق ابتغاء ثمن قليل، ولو كان ملك الأرض كلها طوال الدهور! فما أقل هذا الثمن ثمنًا لعهد اللَّه!

وما أقلّ هذا المتاع متاعًا حين يُقاس بما عند اللَّه!.

* وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

❑ يلبسون الحق بالباطل لإخفائه وكتمانه وتضييعه في غمار الباطل، على علم وعن عمد وفي قصد.. وهو أمر مستنكر قبيح!!، قد درجوا على هذا الأمر من وقتها حتى اللحظة الحاضرة.. فهذا طريقهم على مدار التاريخ وفي خلال القرون المتطاولة دسوا في التراث الإسلامي ما لا سبيل إلى كشفه إلا بجهد القرون! ولبسوا الحق بالباطل في هذا التراث كله ـ اللَّهم إلا هذا الكتاب المحفوظ الذي تكفل اللَّه بحفظه أبد الآبدين، دسّوا ولبسوا في التاريخ الإسلامي وأحداثه ورجاله، ودسوا ولبسوا في الحديث النبوي، وفي التفسير، ودسوا ولبسوا في الرجال أيضًا، فالمئات والألوف كانوا دسيسة على التراث الإسلامي، وما يزال هذا الكيد قائمًا ومطردًا.

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

كتموا ما يعلمون أنه الحق من أمر نبوته، وما أكثر أحابيلهم وأباطيلهم في هذا.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

لقد كان اليهود يعرفون مما بين أيديهم من الكتاب مدى ما في رسالة محمد ﷺ من حق وصدق، ومع هذا يكتمون الحق الذي أنزله اللَّه

لغرض من أغراض الدنيا فاستحقوا لعنة اللَّه، ولعنة اللاعنين كأنما تحولوا إلى ملعنة، ينصب عليها اللعن من كل مصدر، ويتوجه إليها ـ بعد اللَّه ـ من كل لاعن.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٤ ـ ١٧٥].

يأكلون ثمن الكتمان نارًا في بطونهم، ولا يكلمهم اللَّه ولا يزكيهم فهم مهانون مزدرون.

فما أخسرها صفقة يدفعون فيها الهدى ويقبضون الضلالة! ويؤدون المغفرة ويأخذون فيها العذاب، فما أغباها من صفقة! ويا لسوء ما ابتاعوا وما اختاروا! ويا لطول صبرهم على النار التي قصدوا إليها قصدًا واختاروها اختيارًا، إنه لجزاء مكافئ لشناعة الجريمة.

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ٣٧].

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**قيل لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾. فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة**»[1].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في أحاديث الأنبياء (٦/ ٤٣٦) رقم (٣٤٠٣)، ومسلم في «صحيحه» في التفسير (٤/ ٢٣١٢) رقم (١/ ٣٠١٥)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣١٨).

● وروى ابن جرير بسنده إلى عبد اللَّه بن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: جاء رسول اللَّه ﷺ رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أنك من ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من اللَّه حق، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ اللَّه عليكم من الميثاق، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، فبرئت من إحداثكم**»، قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا، فإنا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك ولا نتبعك، فأنزل اللَّه تعالى فيهم: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨](١).

● وروى البخاري ومسلم ـ واللفظ له ـ وغيرهما بالسند إلى حميد ابن عبد اللَّه بن عوف أخبره أن مروان قال: اذهب يا رافع ـ لبوّابه ـ إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا، لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ .. ﴾ [آل عمران: ١٨٧] هذه الآية، وتلا ابن عباس: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ

---

(١) رواه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٥٦٧) عن ابن إسحاق من غير إسناد، ورواه ابن جرير في «تفسيره» في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (٦/ ٢٠٠) عن ابن عباس بهذا اللفظ، ورجال إسناده موثقون.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه»[(١)].

وأشْهَرُ مثال على كتمانهم العلم وتحريفهم للمعلومات في عهد رسول اللَّه ﷺ هي حادثة الرجل والمرأة اللذين زنيا.. وكلاهما من اليهود:

● روى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ واللفظ للبخاري ـ أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: «**كيف تفعلون بمن زنى منكم؟**» قالوا: نُحَمِّمهما[(٢)]، ونضربهما، فقال: «**ألا تجدون في التوراة الرجم؟**» فقالوا: لا نجد فيها شيئًا، فقال لهم عبد اللَّه بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ من دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريبًا من حيث موضع الجنائز عند

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في التفسير (٨/ ٢٣٣) رقم (٤٥٦٨) ـ عنه.. قريبًا من هذا. ورواه مسلم في «صحيحه» في صفات المنافقين (٤/ ٢١٤٣) رقم (٨/ ٢٧٧٨) ـ بهذا اللفظ، ورواه الترمذي في «سننه» في التفسير (٨/ ١٩٠، ١٩١) برقم (٢٠١٨)، وقد رواه الحاكم في «مستدركه» في التفسير (٢/ ٢٩٩) قريبًا من هذا، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه!!.

(٢) نحممهما: أي نسكب عليهما الماء الحميم، أي الحار، وقيل: نجعل في وجوههما الحمة وهي السواد انظر «فتح الباري» (٨/ ٢٢٤).

المسجد، فرأيت صاحبها يجنأ عنها، يقيها الحجارة»[١].

● وعن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى أناس من اليهود بالمدينة أن سلوا محمدًا عن ذلك، فإن أمركم بالجلد فخذوه عنه، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه، فسألوه عن ذلك فقال: «**أرسلوا إلى أعلم رجلين فيكم**»، فجاءوا برجل أعور يقال له: ابن صوريا، وآخر، فقال لهما النبي ﷺ: «**أنتما أعلم من قبلكما؟**» فقالا: قد نحانا قومنا لذلك، فقال النبي ﷺ: «**فأنشدكم بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وظلل عليكم الغمام، وأنجاكم من آل فرعون، وأنزل المن والسلوى على بني إسرائيل، ما تجدون في التوراة من شأن الرجم؟**» فقال أحدهما للآخر: ما نشدت بمثله قط، ثم قالا: نجد ترداد النظر زنية، والاعتناق زنية، والقبل زنية، فإذا شهد أربعة أنهم رأوه يبدي

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في التفسير (٨/ ٢٢٤) رقم (٤٥٥٦)، ورواه مسلم في «صحيحه» في الحدود (٣/ ١٣٢٦) رقم (٢٦/ ١٦٩٩) ـ قريبًا من هذا، ورواه الدارمي في «سننه» في الحدود (٢/ ٩٩) رقم (٢٣٢٦)، ورواه أبو داود الطيالسي في «مسنده»، كما في المنحة في الحدود (١/ ٣٠١) رقم (١٥٣٠) ـ قريبًا من هذا، لكن فيه «فدعا ابن صوريا، فجعل يقرأ حتى إذا انتهى إلى موضع الرجم وضع يده على موضع الرجم، فقال ابن سلام: ارفع يدك..» ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» في الحدود (٧/ ٣١٨) برقم (١٣٣٣١، ١٣٣٣٢)، ورواه البيهقي في «سننه» في الحدود (٨/ ٢٤٦) كلاهما عن عبداللَّه بن عمر.. بلفظ البخاري.

وفي رواية للبخاري وغيره عن ابن عمر: «فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد اللَّه بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم..» رواه البخاري في الحدود (١٢/ ١٦٦) رقم (٦٨٤١)، ورواه أبو داود في «سننه» في الحدود (٤/ ٥٩٣) رقم (٤٤٤٦)، ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨١٩) رقم (١).

ويعيد، كما يدخل الميل في المكحلة فقد وجب الرجم، فقال النبي ﷺ: «هو ذاك»، فأمر به فرجم، فنزلت: ﴿... فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢](١).

(٤٢) التحايل على المحرمات:

ما أكثر الحيل حين يلتوي القلب وحين يموت وحين يراد التفلّت من النصوص، تتهاوى العزائم أمام هيجان المطامع، وتنسى يهود عهد اللَّه.

* قال تعالى: ﴿واسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود في «سننه» في الحدود (٤/ ٦٠٠) رقم (٤٤٥٢) ـ عن جابر.. مختصرًا، ورواه الحميدي في «مسنده» (٢/ ٥٤١، ٥٤٢) رقم (١٢٩٤) ـ عن جابر.. بهذا اللفظ، ورجالهما ثقات عدا مجالد بن سعيد الهمداني، فإنهم ضعفوه.
ورواه الدارقطني في «سننه» في النذور (٤/ ١٦٩) رقم (٣٢) ـ عنه.. مختصرًا، وقال: تفرد به مجالد عن الشعبي، وليس بالقوي. ورواه البزار في «مسنده»، ـ كما في «كشف الأستار» في الحدود (٢/ ٢١٩، ٢٢٠) رقم (١٥٥٨) ـ عن جابر قريبًا من هذا، وفي إسناده مجالد، كما ذكره الهيثمي في «مجمعه» (٦/ ٢٧١، ٢٧٢) وقال بعده: رواه أبو داود وغيره باختصار، ورواه البزار من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر وقد صححها ابن عدي، وذكره ابن حجر في «مطالبه» (٣/ ٣٢٦، ٣٢٧) وعزاه إلى الحميدي في «مسنده».

ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٣ ـ ١٦٦].

قد طلبوا أن يكون السبت يومًا مقدسًا يحرم عليهم فيه العمل، فما وفوا بعهد وما استمسكوا بميثاق إن هذا ليس مَن طبع يهود، ومِن ثم اعتدوا في السبت على طريقتهم الملتوية. راحوا يحوطون على الحيتان في يوم السبت، ويقطعونها عن البحر بحاجز، ولا يصيدونها! حتى إذا انقضى اليوم تقدّموا وانتشلوا السمك المحجوز! فحق عليهم جزاء النكول عن عهدهم مع اللَّه، والنكوص عن مقام الإنسان ذي الإرادة فانتكسوا بهذا إلى عالم الحيوان والبهيمة، الحيوان الذي لا إرادة له، والبهيمة التي لا ترتفع عن دعوة البطون وكان المسخ إلى القرود لمن سدروا في غيهم وانتكسوا جزاءً وفاقًا.

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: بلغ عمر أن فلانًا باع خمرًا، فقال: قاتل اللَّه فلانًا، ألم يعلم أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قاتل اللَّه اليهود، حرمت عليهم الشحوم، فجملوها فباعوها**»[1].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في البيوع (٤/ ٤١٤) رقم (٢٢٢٣) ـ عن ابن عباس بهذا اللفظ، ورواه مسلم في «المساقاة» (٣/ ١٢٠٧) رقم (٧٢/ ١٥٨٢) «وفيه أنه سمرة»، وكذا عند النسائي في «سننه» في الفرع والعتيرة (٧/ ١٧٧). وكذا رواه ابن ماجه في الأشربة (٢/ ١١٢٢) رقم (٣٣٨٣)، والدارمي في «سننه» في الأشربة (٢/ ٤) رقم (٢١١٠)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٥، ٢٤٧)، وعبد الرزاق في «مصنفه» في المغازي (٦/ ٧٥) برقم (٤٦، ٤٧، ١٠٠)، والحميدي في «مسنده» (١/ ٩) رقم (١٣، ١٤) وبيع سمرة ـ رضي اللَّه عنه ـ للخمر محمول على أنه ليس خمرًا، وإنما عصيرًا والعصير يسمى خمرًا، كما قد يسمى العنب به؛ لأنه يؤول إليه، قاله الخطابي، ثم قال: ولا يظن بسمرة أنه باع عين الخمر بعد أن شاع تحريمها، وإنما باع العصير، انظر «فتح الباري» (٤/ ٤١٤، ٤١٥).

● وروى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول وهو بمكة عام الفتح: «**إن اللَّه ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**»، فقيل: يا رسول اللَّه أرأيت شحوم الميتة؟ فإنه يطل بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس، فقال: «**لا، هو حرام**»، ثم قال رسول اللَّه ﷺ عند ذلك: «**قاتل اللَّه اليهود؛ إن اللَّه لما حرم شحومها جملوه**[1] **ثم باعوه، فأكلوا ثمنه**»[2].

● وروى أبو داود في «سننه» والبيهقي بالسند إلى عبد اللَّه بن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «رأيت رسول اللَّه ﷺ جالسًا عند الركن، فرفع بصره إلى السماء، فضحك، فقال: «**لعن اللَّه اليهود ـ ثلاثًا ـ إن اللَّه حرم عليهم الشحوم فباعوها، وأكلوا أثمانها، وإن اللَّه إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه**»[3].

● وروى ابن حبان في «صحيحه» ـ كما في «الموارد ـ وعبد الرزاق

---

(١) جملوه: يقال: جملت الشحم وأجملته إذا أذبته واستخرجت دهنه، وجملت أفصح من أجملت «النهاية» (١/ ٢٩٨).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في البيوع (٤/ ٤٢٤) رقم (٢٢٣٦) ـ عن جابر بهذا اللفظ، ورواه مسلم في «صحيحه» في المساقاة (٣/ ١٢٠٧) رقم (٧١/ ١٥٨١) ـ عنه. والترمذي في البيوع (٤/ ٢٩٨) رقم (١٢٩٧)، وأبو داود في البيوع (٣/ ٧٥٦، ٧٥٧) رقم (٣٤٨٦)، والنسائي في الفرع والعتيرة (٧/ ١٧٧)، وابن ماجه في التجارات (٢/ ٧٣٢) رقم (٢١٦٧)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٣٢٤، ٣٢٦).

(٣) رواه أبو داود في «سننه» في البيوع والإجارات (٣/ ٧٥٨ رقم ٣٤٨٨) ـ عن ابن عباس، ورجال إسناده ثقات، ورواه البيهقي في «سننه» في البيوع (٦/ ١٣) عنه بهذا اللفظ، كما رواه في الضحايا (٩/ ٣٥٣) بإسناد آخر عن ابن عباس قريبًا من هذا اللفظ، ورجال إسنادهما ثقات.

في «مصنفه» بالسند إلى أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: لما حرمت الخمر، قال: إني يومئذ لأسقي أحد عشر رجلاً، فأمروني فكفأتها، وكفأ الناس آنيتهم بما فيها، حتى كادت السكك أن تمتنع من ريحها، قال أنس: وما خمرهم يومئذ إلا البسر والتمر مخلوطين، قال: فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنه كان عندي مال يتيم، فاشتريت به خمرًا، فتأذن لي أن أبيعه فأردّ على اليتيم ماله؟ فقال النبي ﷺ: «**قاتل اللَّه اليهود، حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها**»، ولم يأذن له النبي ﷺ في بيع الخمر[1].

(٤٣) الطبقية في تنفيذ الأحكام:

وأعني بهذا تطبيق الأحكام الشرعية من حدود وغيرها على طبقة دون أخرى، حيث تطبق الأحكام على الفقراء والكادحين، على حين يترك الأغنياء المترفون يعيثون في الأرض فسادًا ويفعلون ما يشاءون.

ولا شك أن هذا نابع من عدم الإيمان الحقيقي بتلك الأحكام، وعدم مراقبة الباري عز وجل في تطبيقها.

وقد نعى رسول اللَّه ﷺ على بني إسرائيل تلك الخصلة الذميمة، واستنكر على بعض أصحابه ـ رضوان اللَّه عليهم ـ حين أراد ـ عن عدم معرفة بالحكم ـ الشفاعة لأحد المحكومين.

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» كما في «الموارد» في البيوع ص(٢٧٣، ٢٧٤) رقم (١١١٩) عن أنس.. بهذا اللفظ، ورجال إسناده ثقات، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» في الأشربة (٩/ ٢١١، ٢١٢) رقم (٦٩٧٠) ـ عن أنس.. بهذا اللفظ، ورجاله ثقات، وهم بعض سند ابن حبان، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» في المغازي (٦/ ٧٦) برقم (١٠٠٥٠) بهذا الإسناد، وذكر بعضه.

● روى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى عائشة ـ رضي اللَّه عنها، واللفظ للبخاري ـ، أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فقالوا: من يكلم فيها النبي ﷺ؟ فلم يجترئ أحد أن يكلمه، فكلمه أسامة بن زيد، فقال: «**إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، لو كانت فاطمة لقطعت يدها**»(١).

وتتضح طبقيتهم أيضًا في تنفيذ الأحكام من خلال إقرار أحد أحبارهم أمام رسول اللَّه ﷺ في قضية اليهوديين الزانيين، وقد قدمنا بعض ذلك في صفة سابقة، ومن ذلك أيضًا.

● روى مسلم في «صحيحه» وأبو داود في «سننه» وغيرهما بالسند إلى البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي مُحَمَّمًا مجلودًا فدعاهم ﷺ، فقال: «**هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟**» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «**أنشدك باللَّه الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟**» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد،

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في المناقب (٧/ ٨٧) رقم (٣٧٣٣) ـ عن عائشة.. بهذا اللفظ، وقد رواه في عدة مواضع بعدد من الروايات، ورواه مسلم في «صحيحه» في الحدود (٣/ ١٣١٥) رقم (٨، ٩/ ١٦٨٨) ـ عنها.. قريبًا من هذا. وفيه «إنما أهلك الذين قبلكم» وفيه «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت»، ورواه النسائي في «سننه» في كتاب قطع السارق (٨/ ٧٢ ـ ٧٥) عن عائشة.. بهذا اللفظ، وبعده روايات أخرى، ورواه الترمذي في الحدود (٥/ ١١٩) رقم (١٤٣٠)، وأبو داود في الحدود (٤/ ٥٣٧، ٥٣٨) رقم (٤٣٧٣)، ورواه ابن ماجه في الحدود (٢/ ٨٥١) رقم (٢٥٤٧)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ١٦٢)، والطيالسي في «مسنده» كما في المحنة في الحدود (١/ ٢٩٦).

قلنا: تعالوا، فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اللَّهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**»، فأمر به فرجم، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ**﴾ [المائدة: ٤١][1]. يقول: ائتوا محمداً، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة: ٤٧] في الكفار كلها.

وقد أدرك المصطفى ﷺ بعضاً مما يتحاكمون به من مظاهر الطبقية المجحفة:

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فُودي بمائة وسق[2] من تمر، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من

(١) رواه مسلم في «صحيحه» في الحدود (٣/ ١٣٢٧) رقم (٢٨/ ١٧٠٠) ـ عن البراء بن عازب ـ بهذا اللفظ، ورواه أبو داود في «سننه» في الحدود (٤/ ٥٩٥ ـ ٥٩٧) رقم (٤٤٤٨، ٤٤٤٧)، ورواه ابن ماجه في الحدود (٢/ ٨٥٥) رقم (٢٥٥٨)، ورواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٦)، والبيهقي في «سننه» في الحدود (٨/ ٢١٣، ٢٤٦).

(٢) الوسق: ستون صاعًا، وأصله الحمل «النهاية» (٥/ ١٨٥).

قريظة، فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي ﷺ، فأتوه، فنزلت ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢].

والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠][1].

ولقد حكم بينهم الرسول ﷺ بالعدل، امتثالاً لأمر ربه - عز وجل -، فساوى بينهم في الدية، كما صرحت بذلك بعض الروايات:

● عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدوا نصف الدية وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة، فسوى رسول اللَّه ﷺ بينهم»[2].

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» في أول كتاب الديات (٤/ ٦٣٤، ٦٣٥) رقم (٤٤٩٤) عن ابن عباس.. بهذا اللفظ، ثم قال: قريظة والنضير جميعًا من ولد هارون النبي عليه السلام. ورواه النسائي في «سننه» في القسامة (٨/ ١٨) عنه بهذا اللفظ، ورواه الدارقطني في «سننه» في الحدود والديات (٣/ ١٩٨) رقم (٣٤٤) - عنه أيضًا، ورجال إسنادهم جميعًا موثقون، ورواه الحاكم في «مستدركه» في الحدود (٤/ ٣٦٦، ٣٦٧) عن ابن عباس.. به ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، ورواه البيهقي في «سننه» في الجنايات (٨/ ٢٤) بسند الحاكم وأبي داود عن ابن عباس.. بهذا اللفظ.

(٢) رواه أبو داود في «سننه» في كتاب الأقضية (٤/ ١٧، ١٨) رقم (٣٥٩١) عن ابن عباس بهذا اللفظ، ورواه النسائي في «سننه» في القسامة (٨/ ١٩) عنه بهذا اللفظ، ورواه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٦٣) عنه أيضًا ورجال إسنادهم جميعًا موثقون، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية، كما رواه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٥٦٦).

(٤٤) التقليد الأعمى:

لغلوّ اليهود في أحبارهم فقد قلّدوهم وانقادوا لهم في كل ما يشيرون به ويأمرون، ولو كان في ذلك معصية للخالق ـ عز وجل ـ.

ومن المؤسف له أن هؤلاء الأحبار الذين يقلدونهم ليسوا أهلاً للتقليد ولا للمتابعة، فقد كانوا يأمرونهم بالمنكر وينهونهم عن المعروف، وتنكبوا الصراط المستقيم حين بعث محمد ﷺ، وقد بيّن ﷺ أن بعض اليهود لو آمنوا به ﷺ لآمن اليهود جميعًا:

● روى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى أبي هريرة واللفظ لمسلم عن النبي ﷺ قال: «**لو تابعني عشرة من اليهود، لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم**»[(١)].

والمقصود بالعشرة هنا هم رؤساء اليهود وأحبارهم الذين عندهم الحل والعقد[(٢)].

□ وقد بين ﷺ في حديث آخر أنهم يربون أولادهم على تلك العقائد الضالة التي يعتقدونها، وأنهم يغيرون بذلك فطرتهم السليمة التي فطرهم اللَّه عليها.

● روى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه**

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في مناقب الأنصار (٧/ ٣٧٤) برقم (٣٩٤١) عن أبي هريرة بلفظ: «لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود» ورواه مسلم في «صحيحه» في صفة المنافقين وأحكامهم (٤/ ٢١٥١) برقم (٣١/ ٢٧٩٣) عنه بهذا اللفظ، ورواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٤٦) عنه.. قريبا من هذا.

(٢) انظر «فتح الباري» (٧/ ٢٧٥).

يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها من جدعاء»[١، ٢] .

(٤٥) حب الظهور عند اليهود:

هذا الداء خصلة متأصلة عند اليهود، حب الظهور ولو كان ذلك على حساب دينهم أو عقيدتهم.

وقد بلغت بهم الوقاحة وحب الظهور أن تعاطى بعضهم الكهانة زمن رسول اللَّه ﷺ، بل وادعى النبوة، كما فعل ابن صياد، أو صائد، ولكن رسول اللَّه ﷺ لسعة حلمه ومراعاته لبنود الصلح الذي أبرمه مع اليهود، لم يعنفه ولم يؤذه، بل ترك الأيام تكشف دجله، وتبين زيفه وكذبه[٣] .

ولقد اختبره رسول اللَّه ﷺ بنفسه، ليكشف للناس حقيقته.

---

(١) جدعاء: الجدع: هو القطع، والجدعاء مقطوعة الأطراف. «النهاية» (١/ ٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في الجنائز (٣/ ٢٤٥، ٢٤٦) برقم (١٣٨٥) عن أبي هريرة، ورواه في عدة مواضع أخرى، ورواه مسلم في «صحيحه» في القدر (٤/ ٢٠٤٧، ٢٠٤٨) برقم (٢٢ ـ ٢٦٥٨/٢٥) عنه بهذا اللفظ، وزاد بعده: ثم يقول أبو هريرة: واقرؤا إن شئتم: ﴿فطرت اللَّه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللَّه﴾ [الروم: ٣٠]، ورواه الترمذي في القدر (٦/ ٣١٢) برقم (٢١٣٩) عنه قريبًا من هذا، وأبو داود في «سننه» (٥/ ٨٦) رقم (٤٧١٤)، ومالك في «الموطأ» في كتاب الجنائز (١/ ٢٤١) رقم (٥٢)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢٣٣، ٢٧٥)، والحميدي في «مسنده» (٢/ ٤٧٣، ٤٧٤) رقم (١١١٣)، والطيالسي في «مسنده» كما في المنحة (٢/ ٢٣٥) رقم (٢٨٢٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ١٩) رقم (٢٠٠٨٧).

(٣) انظر «فتح الباري» (٦/ ١٧٣)، و«صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨/ ٤٦ ـ ٤٨)، و«معالم السنن» للخطابي (٤/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠).

● عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن عمر انطلق في رهط من أصحاب النبي ﷺ مع النبي ﷺ قِبَلَ ابن صَيَّاد حتى وجده يلعب مع الغلمان عند أُطُم بني مَغَالة، وقد قارب يومئذ ابن صياد يحتلم، فلم يشعر بشيء حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده، ثم قال النبي ﷺ: «**أتشهد أني رسول اللَّه؟**» فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول اللَّه؟ قال له النبي ﷺ: «**آمنت باللَّه ورسله**»، قال النبي ﷺ: «**ماذا ترى؟**» قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، قال النبي ﷺ: «**خلط عليك الأمر**»، قال النبي ﷺ: «**إني قد خبأت لك خبيئًا**»، قال ابن صياد: هو الدخ، قال النبي ﷺ: «**اخسأ، فلن تعدو قدرك**»، قال عمر: يا رسول اللَّه، ائذن لي أضرب عنقه، قال النبي ﷺ: «**إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله**»[1].

فأنت ترى ذلك الدعيّ يقول بكل وقاحة لرسول اللَّه: «أتشهد أني رسول اللَّه»، ثم يقول كعادة الكهان جميعًا: «يأتيني صادق وكاذب».

وكان رسول اللَّه ﷺ يجتهد أن يرى من ابن صياد ما تنكشف به حقيقة حاله، وذلك ليعلم الصحابة ـ رضوان اللَّه تعالى عليهم ـ ذلك الدعي على حقيقته من غير أن يضطر ﷺ إلى المساس بما عاهد عليه اليهود من مصالحة.

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في الجهاد (٦/ ١٧١، ١٧٢) برقم (٣٠٥٥) بهذا اللفظ، ورواه مسلم بهذا اللفظ في «صحيحه» في الفتن (٤/ ١٢٤٤)، والترمذي (٢٢٥٠)، وأبوداود (٤٣٢٩)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٤٨)، وعبد الرزاق في «مصنفه» في الجامع (٢٠٨١٧).

● وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: انطلق النبي ﷺ وأبي بن كعب يأتيان النخل الذي فيه ابن صياد، حتى إذا دخل النخل طفق النبي ﷺ يَتَّقي بجذوع النخل وهو يَخْتِلُ أن يسمع من ابن صياد شيئًا قبل أن يراه، وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة، له فيها رَمْزَةٌ[1]، فرأت أم صياد النبي ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: أي صاف ـ وهو اسمه ـ فثار ابن صياد فقال النبي ﷺ: «**لو تركته بيَّن**»[2].

● وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: لقي رسول اللَّه ﷺ ابن صائد في بعض طرق المدينة، فاحتبسه وهو غلام يهودي وله ذؤابة، ومعه أبو بكر وعمر، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**أتشهد أني رسول اللَّه؟**»، فقال: أتشهد أنت أني رسول اللَّه؟ فقال النبي ﷺ: «**آمنت باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر**»، قال النبي ﷺ: «**ما ترى؟**» قال: أرى عرشًا فوق الماء!! فقال النبي ﷺ: «**ترى عرش إبليس فوق البحر، قال فما ترى؟**» قال: أرى صادقًا وكاذبين أو صادقين وكاذبًا، قال النبي ﷺ: «**لُبِّس عليه، فدعاه**»[3].

وقد أسلم بعد ذلك، غفر اللَّه له.

(٤٦) كذب اليهود:

وهذا لا ينتطح فيه عنزان.. فالكذب ألصق صفة بهم.. كذبوا

(١) الرمز هو الإشارة والحركة باليدين أما الزمر فهو الصوت.

(٢) رواه البخاري (٣٠٥٦)، (١٣٥٥)، ومسلم (٢٩٣) وعبد الرزاق، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٤٩).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» في الفتن (٤/ ٢٢٤١) عن أبي سعيد قريبًا من هذا، ورواه الترمذي في «سننه» في الفتن (٧/ ٢٦، ٢٧) برقم (٢٢٤٨) بهذا اللفظ.

على اللَّه وكذبوا على أنبيائه، وكذبوا على الناس:

* قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

* وقال تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٣ ـ ٩٤].

* وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٤٩ ـ ٥٠].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

* وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

* وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

* وقال تعالى أيضًا في وصفهم: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

❑ اليهود قوم بلغ بهم الفجور مداه وفسدت قلوبهم، وانطمست أرواحهم، وراج الكذب في ناديهم، وبار الحق في أوساطهم الملعونة - وما ظنك بقوم يكذبون على اللَّه أشد الكذب... تهش أسماعهم للكذب، وما تعرف ألسنتهم إلا الكذب، وعلى مَن؟ على اللَّه، وعلى دينه وشرعه، وعلى أنبيائه وسيرتهم، وعلى الأبرار. وكفى بهذا إثمًا مبينًا.. أي جبلة هم يهود حين يجترئون على اللَّه فيقولون عليه ما لم يأذن به ويشرعه، وينسبون كل خصلة قبيحة إلى أنبيائه الأطهار، لقد اتهموهم بتهم لا تليق بأحط البشر، ونسبوا إليهم ما يأنف منه كل دعي ولقيط، وكيف سوّغت لهم عقولهم الوقاحة والكذب أن يضعوا كتبًا هي العهر والدعارة في أقذر صورها، ويقولون هي من عند اللَّه، وما هي من عند اللَّه؟ ويكفي التلمود بيانًا لافتراءاتهم الشنيعة على اللَّه ودينه[1].

(١) فضح التلمود «تعاليم الحاخامين السرية» لزهدي الفاتح ص(٢١) - دار النفائس.

* ومن أظلم ممن افترى على اللَّه الكذب: التلمود ما هو؟

❑ التلمود: اسم مأخوذ من «لامود» العبرية، ومعناها «تعاليم»، وبهذا كان التلمود هو الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية، وهو الذي يفسّرها ويبسطها.

يرى اليهود أن نص التلمود مقدّس، وموحى به من عند اللَّه تعالى، ويذكرون أن اللَّه قد خاطب به موسى ـ عليه السلام ـ ويستدلون على هذا بماء جاء في سفر الخروج حيث جاء: «وقال الرب لموسى، اصعد به إلى الجبل وكن هناك، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم»[1].

❑ يقول الحاخام اليهودي «سيمون بن لاكيس» في تفسير هذا النص: «إن المراد من الألواح الوصايا العشر، والشريعة هي القانون المكتوب المنسوب إلى الأنبياء، والوصايا هي التلمود، أو «المشناة» أي: أصل التلمود قبل شرحه، ويستشهد بلفظة «كتبتها» على قداسة نص التلمود، وأنه من كتابات موسى المقدسة، وأما لفظة «لتعليمهم» فتفيد قداسة شروح التلمود «الجمارا»؛ لأن الشروح تأتي أثناء التعليم، وسواء صح هذا التفسير أم لم يصح، فإنه يدل على إيمان اليهود بقداسة التلمود، وهم يرون أنه ظل ينتقل شفاهة منذ عهد موسى ـ عليه السلام ـ جيلاً بعد جيل حتى عُرِف بالقانون الشخصي المتداول مع العهد القديم «القانون المكتوب».

ويدّعي اليهود أن التعاليم الشفوية انتقلت من موسى ـ عليه السلام ـ

---

(١) «سفر الخروج» الإصحاح ٢٤ (١٢).

إلى «جوشو»، وهذا نقله إلى الشيوخ السبعين، وهم نقلوه بدورهم إلى الرسل الذين نقلوه إلى كبير اليهود، وأخذ ينتقل بين عدد من الرابين شفاهة حتى تمت كتابتها.

وفي القرن الثاني ظهر الرابي «جيهوذا» الملقب بالقديس والأمير، فبادر إلى جمع الألواح «القانون الشفهي» في كتاب سمّاه «مشناة» أي: «القانون الثاني» أو القانون المساعد، وقد احتوى هذا الكتاب على ستة أجزاء رئيسية[١].

وعلى هذا يكون التلمود: هو القانون الشفهي، والمنشاة هي الكتاب التلمودي المدون.

واهتمامًا بكتاب المشناة الذي يعتبره اليهود المرجع الرسمي الموثوق به أخذ رجال القانون اليهودي في شرح المشناة ودوّنوه معها وسمي المكتوب بـ «الجمارة».

وعلى هذا، فقد كوّنت المشناة والجمارة كتابًا واحدًا، هو التلمود على اعتبار أن المشناة هي القانون الثاني المكتوب، والجمارة هي تحليل لآراء اليهود وشروحهم، وللتلمود نسختان هما «تلمود بابل» و«تلمود القدس». وتلمود القدس يبلغ ثلث تلمود بابل وينقصه العمق والشمول اللذين يمتاز بهما تلمود بابل[٢].

ومن اليهود من يفضّل التلمود على التوراة، وقد ورد في صحيفة من التلمود: «أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق عليها مكافأة،

---

(١) «فضح التلمود» ص(٢١ ـ ٢٣) بتصرف.

(٢) انظر: «اليهودية» للدكتور أحمد غلوش ص(٥٦) بتصرف.

ومن درس التلمود استحق حسن الجزاء، ومن احتقر أقوال التوراة فلا جناح عليه، ومن احتقر التلمود استحق الموت»[١].

وقد قال مؤلفو التلمود: «إن حمار الحاخام لا يأكل شيئًا محرمًا، والحاخام معصوم من كل خطأ فيجب على اليهود تصديقه، والعمل بأوامره مهما كانت»[٢].

ويقولون: «نعترف جهارًا بسموّ التلمود أكثر من كتاب الشريعة الموسوية».

وقد مرّ الكثير من أكاذيب اليهود وكذب التلمود.

(٤٧) قذارة اليهود:

جمع اليهود بين القذارة الحسية والقذارة المعنوية، فجمعوا النتن بنوعيه:

● عن سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«طهّروا أفنيتكم؛ فإن اليهود لا تطهر أفنيتها»**[٣].

● وقال ﷺ: **«نظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود، تجمع الأكباء في دورها»**[٤].

---

(١) «تعصب اليهود» لعمر بن عبد العزيز قرشي ص(١٠٢ ـ ١٠٥).

(٢) «اليهود بين القرآن والتلمود» لعادل هاشم موسى ص(٦١، ٦٢)، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (١٢٤).

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٨٣٠)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٢٣٦).

(٤) «الأكباء» جمع: «كِبي»: الكناسة.

حديث حسن: أخرجه الدولابي في «الكنى» (٢/١٣٧)، وحسنه الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٧).

(٤٨) نفاق اليهود ورياؤهم:

ليس في الوجود قوم ألأم وأمكر من يهود لخستهم.. فاليهودي لئيم خبيث خادع متآمر.. ملتو مقلق معتم.. يتلوى، ويراوغ.

* واليهود يضيفون إلى خراب الذمة وكتمان الحق، وتحريف الكلم عن مواضعه الرياء والنفاق والخداع والمراوغة. قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٦ ـ ٧٧].

* وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

قال الشيخ محمد أبو زهرة: لا نجد في اليهود إلا الرياء وملق الأقوياء والنفاق، وأن يكون للقول ميدان وللعمل ميدان، ولقد أشاعوا النفاق في الأرض حتى توهّم الناس أن من لا ينافق ليس بكيس، ومن لا يتملق لم يؤت الحكمة، ومن لم يداهن فهو أحمق.. لقد نشروا النفاق في الأرض كلها، وبثوا له الدعاية بأسماء مختلفة، فمرة بأنه الحكمة ومرة بأنه الكيس وثالثة بأنه السياسة الناجحة»[1].

(١) مجلة «لواء الإسلام» عدد شعبان ١٣٨٧هـ ص(٧٢٢).

* قال تعالى عن اليهود: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١].

(٤٩) الحقد والكراهية:

أما عن حقد اليهود على غير اليهود وكراهيتهم لغير اليهود فانظر إلى أقوالهم:

- غير اليهود كلاب.. الأمم الخارجة على دين اليهود ليست كلابًا فحسب بل حميرًا أيضًا.
- بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات.
- الذي يقتل أجنبيًّا، أي غير يهودي يُكافأ بالخلود في الفردوس.
- حياة غير اليهودي ملك لليهودي، فكيف بماله؟
- لليهود مناسبتان دمويتان ترضيان إلهنا يهوه: إحداهما عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية والأخرى مراسم ختان أطفالنا.
- الخارجون على دين اليهود خنازير نجسة.
- ولقد زعمت يهود أن إسرائيل سأل إلهه قائلاً: لماذا خلقت غير شعبك المختار؟ فأجابه قائلاً: لتركبوا ظهورهم، وتمتصوا دماءهم وتحرقوا أخضرهم وتلوثوا طاهرهم وتهدموا عامرهم.
- صوّر التلمود غير اليهود بأنهم حيوانات في صورة إنسان، هم حمير وكلاب وخنازير، بل الكلاب أفضل منهم؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس مصرحًا أن يطعم الأجنبي، وغير مصرح أيضًا أن يطعمهم لحمًا، بل يعطيه للكلب؛ لأنه أفضل منهم[1].

---

(١) انظر «الكنز المرصود» ص(٦٩، ٧٠، ٧٤، ٨٦، ٨٥)، و«الأفعى اليهودية» لعبد اللَّه التل، وحقيقة إسرائيل» لشيث خطاب.

ـ وقالوا: يسوع الناصري «يعني عيسى ـ عليه السلام ـ موجود في لجات الجحيم بين القار والنار «عياذًا باللَّه»، وأمه مريم أتت به من العسكري باندار سفاحًا (جاشاها).

هذه نقطة من بحار حقد أبناء الأفاعي قتلة الأنبياء، ورجمة المرسلين. وكل محاولاتهم مع نبي اللَّه ﷺ ومع المسلمين ما هي إلا صورة من حقدهم المستقر في أعماق نفوسهم.

* قال تعالى: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[المائدة: ٥٩ ـ ٦٠].

(٥٠) العتو في الأرض والتكبر والتجبّر والتمرد على اللَّه وقولهم أرنا اللَّه جهرة:

* قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[الأعراف: ١٦٦].

❑ وانظر إلى سوء تمردهم وقبح زعنفتهم[1]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[البقرة: ٥٥].

---

(١) الزعنفة: هي رديء الشيء ورذاله.

* وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

(٥١) كفرهم بنعم الله تعالى عليهم:

أنعم اللَّه على بني إسرائيل بعشر نعم عظيمة لم تتوفر كاملة لغيرهم من الأمم فما رعوها حق رعايتها، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

(١) تفضيلهم على العالمين:

* قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]. وهذه المكرمة وهذه النعمة من تفضيلهم على أمم زمانهم، وللَّه أن يفضّل غيرهم عليهم إذا لم يرعوا هذه النعمة حق رعايتها، وأن تفضيلهم كان بسبب اتباعهم شرائع اللَّه، فالفضل مقصور على المستقيمين منهم على ذلك، وأما المنحرف فله نصيب من المثل السيئ الذي ضربه اللَّه لهم من التشبه بالكلب والحمار، ومن اللعنة على لسان داود وعيسى ابن مريم.

وهم ليسوا بأفضل من أمة محمد ﷺ، فهي خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ...﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٢) تنجية بني إسرائيل وإغراق آل فرعون:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠].

(٣) إكرامهم بإكرام نبيهم موسى عليه السلام بموعد لمناجاة ربه وتكليمه بالوحي بلا واسطة:

بل قرّبه اللَّه نجيًّا من وراء حجاب، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥١ ـ ٥٢].

انظر إلى ضخامة خطيئة بني إسرائيل وقبح شركهم برب أنجاهم ممن يسومهم سوء العذاب، وأقرّ أعينهم برؤية هلاكهم، ثم تكون عاقبتهم معه أن يعبدوا عجلاً، زاعمين ألوهيته عليهم وعلى موسى.

(٤) إنزال التوراة على موسى عليه السلام وهي أكبر نعمة على بني إسرائيل:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣].

والفرقان إما أن يكون المعجزات الخارقة التي أمد اللَّه بها موسى عليه السلام، وإما أن يكون المقصود به صفة للتوراة.

* قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

(٥) النعمة الخامسة على بني إسرائيل: هي نعمة العفو الأول عن شركهم باللَّه وعبادة بعضهم العجل:

وسكوت بعضهم الآخر عن الإنكار والواجب الرادع بحيث عمّتهم العقوبة التي تقضي إفناءهم بأيديهم لولا عفو اللَّه عنهم وتوبته عليهم.

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

«وطريقة تبوبتهم هو أن يقتل بعضهم بعضًا، لا يحنو والد على ولده، ولا قريب على قريبه.

❑ قال ابن عباس: إنهم قالوا لموسى: كيف يقتل الآباء الأبناء والإخوة الإخوة، فأنزل اللَّه عليهم ظلمة لا يرى فيها بعضهم بعضًا، فقالوا: من آية توبتنا أن يقوم السلاح فلا يقتل وترفع الظلمة، فاقتتلوا حتى خاضوا في الدماء. وصاح الصبيان: يا موسى العفو العفو، فاستغفر موسى، فنزلت التوبة، وقام السلاح وارتفعت الظلمة.

❑ قال مجاهد: بلغت القتلى سبعين ألفًا. قال قتادة: جعل القتل للقتيل شهادة وللحي توبة»[1].

(١) «يهود الأمس سلف سيئ لخلف أسوأ» للشيخ عبد الرحمن الدوسري ص(٦٣) ـ مكتبة السوادي.

(٦) النعمة السادسة: إحياؤهم بعدما أهلكتهم الصاعقة وهم ينظرون بسبب تمردهم:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة: ٥٥ ـ ٥٦].

انظر إلى تمردهم بعد توبتهم من عبادتهم العجل وتقتيلهم لأنفسهم، فأمرهم عجيب لا تؤثر في نفوسهم الخبيثة توبة، فقالوا: أرنا اللَّه عيانًا لا لبس فيه. فأخذتهم الصاعقة، ثم أحياهم اللَّه ـ عز وجل ـ.

(٧) الإنعام السابع: نعمة الإظلال بالغمام:

وذلك في أرض التيه سخر اللَّه لهم السحاب يظلهم من الشمس حتى لا تلفح وجوههم وتؤلم أبدانهم، بل أكرمهم اللَّه بهذا الظل الظليل الذي ذكرهم به للامتنان. وتعظم هذه المنّة؛ لأنها جاءتهم وهم متلبسون بمعصية اللَّه في عدم دخول الأرض المقدسة، وتحريمها عليهم أربعين سنة كتب اللَّه عليهم أن يتيهوا في الأرض، ومع هذا لطف بهم فظللهم بالغمام، فألطاف اللَّه بهذه الأمة ألطاف عظيمة باهرة، ومقابلتهم لها مقابلة كافرة.

(٨) الإنعام الثامن: هي إنزال المَنّ والسَّلْوى ليتنعموا بأكلهما ويتفكهوا بلذائذهما.

أما المَنّ فهو مادة فيها بعض الحلاوة واللزوجة القليلة تنزل كالندى أو كخفيف الجليد حتى تكون إذا تكاثفت تشبه الإسفنج الأبيض إذا

كانت واقعة على مدر أو حجارة أما إذا وقعت على أشجار أو ورود فإنها تتأثر بلون ما وقعت عليه منها.

❑ وأما السلوى فطائر معروف يُسَمّى (السمان).

* وقابلوا هاتين النعمتين العظيمتين بخطيئة كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا من طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

(٩) الإنعام التاسع: إذن اللَّه لهم بدخول بيت المقدس (القرية) وأن يأكلوا منها حيث شاءوا رغداً:

وذلك بعد تحريمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض لقاء تمردهم عن أمر ربهم، وجبنهم عن قتال عدوهم، وقولهم لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨ ـ ٥٩].

والمراد سجود الخضوع للَّه ـ عز وجل ـ والخشوع وليس سجود العبادة المعروف. إظهاراً للتواضع الذي يحصل بطأطأة الرأس إعظامًا للَّه الذي مكنهم من دخوله، فأصبح دخولهم بحول اللَّه وقوته لا بسبب جهادهم وتفوقهم وانكسار عدوهم أمام قوتهم، وأمرهم اللَّه أن يعلنوا توبتهم أمام الناس حيث قال لهم: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ ليقرنوا خضوع

القلب بنطق اللسان، ملتمسين من اللَّه حط الذنوب، وأخبرهم أنه يغفر لهم خطاياهم إذا امتثلوا، فماذا فعلوا ويهودهم يهود أهل غدر ولا عهد لهم؟

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قيل لبني إسرائيل:** ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ **فبدّلوا، فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة من شجرة**»[1].

قال أكثر المفسرين: إنهم لم يدخلوا الباب سجدًا كما أمرهم اللَّه، بل دخلوه زاحفين على إلياتهم قائلين: (حبة في شعيرة) أو (حنطة) يقصدون بهذا أنهم يريدون الأكل.

لقد كابروا، وبدّلوا قول اللَّه، وخالفوا أوامر اللَّه ليس عن جهل يستوعب مزيد تفصيل، ولا عن اشتباه يحتمل التأويل.

(١٠) الإنعام العاشر على بني إسرائيل: استسقاء موسى لهم:

* قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

وهذا من أكبر نعم اللَّه عليهم في الدنيا؛ لأن حياة كل شيء متوقفة على الماء خصوصًا البشر، بل على الخصوص بني إسرائيل الذين عطشوا

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ (٦/ ٣١٢)، ومسلم برقم (٣٠١٥) في التفسير.

في التيه، وساورهم الهلع والقلق وأخذوا يتذكرون مياه مصر المتدفقة، ويلومون موسى على إخراجهم، فكانت هذه النعمة عظيمة جدًّا بالنسبة إلى حالتهم المذهلة المخيفة. وكانت المعجزة، بل خمس معجزات،

❑ **إحداها:** أن نفس ظهور الماء معجزة.

❑ وكون خروجه من حجر صغير معجزة ثانية يتفجر الماء من صخرة صماء يابسة، ولو كانت رطبة لما صحّ في الحسبان أن يعتصر منها قدر قارورة، فكيف وهي يابسة للغاية؟!

❑ وكون خروج الماء على قدر حاجتهم معجزة ثالثة.

❑ وكون خروجه عند ضرب الحجر بالعصا معجزة رابعة، وإكرامًا لنبي اللَّه موسى ـ عليه السلام ـ.

❑ ثم انقطاع الماء عند الاستغناء عنه معجزة خامسة.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ فهذا بتعيين من اللَّه تعالى على يد موسى ـ عليه السلام ـ لكل سبط عينًا من العيون الاثنتى عشرة يختص بها دون سواه[1].

كفر بنو إسرائيل بنعم اللَّه، وتسفلوا بأنفسهم إلى أحط المستويات، وذلك لطبيعة أنفسهم الهابطة وخستها في مقابلة النعم.

(٥٢) جدال اليهود لأنبيائهم وتعنتهم معهم:

تتسم يهود باللجاجة والتعنت والتلكؤ في الاستجابة، وتمحل المعاذير، وجدالهم لأنبيائهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...﴾ وقوله تعالى: ﴿لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا

(١) انظر: «يهود الأمس» للدوسري.

مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ واحدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ . . . ﴾ [البقرة: ٦١].

يظللهم اللَّه بالغمام من الهاجرة، حيث الجحيم يفور بالنار ويقذف بالشواظ ويفيض نعمه عليهم طعامًا شهيًّا ـ لا يجهدون فيه ولا يكدون، ويفيض عليهم الري بخارقة.

لقد كانوا بين الصحراء بجدبها وصخورها، والسماء بشواظها ورجومها، فأما الحجر فقد أنبع اللَّه لهم منه الماء، وأما السماء فأنزل لهم منها المنّ والسلوى، ولكن جبلة اليهود الهابطة المتداعية أبت على القوم أن يرتفعوا إلى الأعلى، فقد هفت نفوسهم للمطاعم التي ألفوها في دار الذل والهوان!.

* وقمة التعنت واللجاجة في قصة البقرة:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧ ـ ٧١].

فانظر إلى التلكؤ في الاستجابة للتكاليف، وتلمس الحجج والمعاذير، والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان وسوء الأدب ﴿ادع لنا ربك﴾ وكأنه ليس ربهم هم، واتهامهم لنبيهم الكريم بأنه يهزأ بهم ويسخر منهم، وهذا من قلب الحقائق (رمتني بدائها وانسلت).

وانظر إلى تعقيدهم وتضييقهم شددوا، فشدد اللَّه عليهم.

❑ عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: «أنهم لو ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم، ولكنهم شدّدوا، فشدّد اللَّه عليهم»[1].

فانظر إلى سيرة القوم الملتوية وطباعهم الخسيسة تعلم قبح يهود وضلالهم، وسوء أدبهم وجدالهم.

(٥٣) سعيهم في خراب المساجد:

* قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

❑ قال الشيخ عبد الرحمن الدوسري ـ رحمه اللَّه ـ:

«ذكر اللَّه هذه الآية ضمن الآيات التي يتكلم بها عن بني إسرائيل؛ لأن الاجتراء على حرمة المساجد والسعي في خرابها خرابًا معنويًّا هو من أعمال اليهود غير المباشرة، فهم الذين يسعون بالدس تارة وبالتعليم تارة على منع ذكر اللَّه ذكرًا تامًّا حسبما يقتضيه مدلول لا إله إلا اللَّه وعلى

---

(١) موقوف صحيح الإسناد: انظر «جامع البيان» للطبري (١/ ٣٣٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٩٨).

التخريب المعنوي للمساجد. فالوثنيون في عهد النبوة الذين يتلقون التعليم من يهود منعوا رسول اللَّه ﷺ، ومنعوا أبا بكر من عمارة بيوت اللَّه بالذكر والصلاة. والوثنيون العصريون الذين تلقوا ويتلقون تعاليمهم من اليهود على اختلاف مبادئهم ومذاهبهم وألقابهم، من شيوعية واشتراكية وبعثية وقومية علمانية وغيرها، كلهم يجنون على المساجد بجنايات مختلفة، منها ما يعمّ التخريب الحسي والمعنوي كما جرى في البلاد الشيوعية، ومنها ما يخص التخريب المعنوي كفرض الرقابة على المنابر.

ذكر المفسرون أو بعض المفسرين أسبابًا لنزول هذه الآية لا يصح شيء منها ومن أغربها ما حكاه ابن جرير ـ رحمه اللَّه ـ من حادثة (بختنصر) البابلي. ومن أغربها ما حكاه ابن جرير ـ رحمه اللَّه ـ من حادثة النصارى معه في هذا الصنيع، مع أن حادثة (بختنصر) كانت قبل وجود المسيح والنصارى بست مائة وثلاث وثلاثين سنة.. وكما قلنا سابقًا إن السبب هم اليهود، وهم الذين أغروا مشركي قريش على الصد عن المسجد الحرام، وأغروا بعدهم القرامطة، ثم الصليبيين ثم أفراخهم في هذا الزمان من أصحاب المبادئ العصبية والمذاهب المادية.. وهو بحمد اللَّه واضح»[1].

* اعتداءات اليهود على المسجد الأقصى:

أما سعي اليهود في تخريب المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي فهي أوضح من الشمس في رابعة النهار. ونذكر اعتداءاتهم على المسجد

(١) «يهود الأمس» ص(٢٦٤ ـ ٢٦٦).

الأقصى المبارك:

- في ٧/٦/١٩٦٧م: احتلال القدس والمسجد الأقصى.

- في ٢٧/٦/١٩٦٧م: قرار اليهود بتوحيد القدس.

- في ١٤/٨/١٩٦٧م: قرار بمنح وزير الشئون الدينية اليهودي الإشراف على الأماكن المقدسة.

- في ١٥/٨/١٩٦٧م: يقيم شلومو غورن - الحاخام الأكبر للجيش الصلاة في ساحة المسجد الأقصى.

- في ٢١/٨/١٩٦٩م: مايكل روها يحرق المسجد الأقصى.

- في ١١/٥/١٩٨٠م: اكتشاف مخزن للمتفجرات بالقرب من المسجد الأقصى والإعداد لنسف المسجد الأقصى.

- في ٢٨/٨/١٩٨١م: اكتشاف نفق أسفل المسجد الأقصى قد حفرته السلطات اليهودية.

- في ٣١/٨/١٩٨١م: تصدّع الأبنية الملاصقة للمسجد بسبب الحفريات.

- في ٢/٣/١٩٨٢م: محاولة مجموعة مسلحة اقتحام المسجد الأقصى.

- ١١/٤/١٩٨٢م: هاري جولدمان يقتحم قبة الصخرة ويقتل اثنين من المصلين ويجرح أكثر من ٦٠ مسلمًا.

- في ٢٥/٧/١٩٨٢م: يوئيل ليرنر من حركة كاخ يخطط لنسف المسجد الأقصى.

- في ٨/١٠/١٩٩٠م: مذبحة المسجد الأقصى وقُتِل فيها ٢٣ مسلمًا وجُرِح ٨٥ آخرين، قام بها الجيش اليهودي.

- في ٢٧/٧/١٩٩٦م: اقتحام مجموعة من أمناء الهيكل اليهود لساحة المسجد الأقصى بحراسة الجيش، ثم تكررت تلك الانتهاكات إلى يومنا الحالي.

- في ٢٤/٩/١٩٩٦م: فتح النفق أسفل المسجد الأقصى، وحدوث صدامات مع القوات اليهودية أسفرت عن مقتل ٦٢ فلسطينيًّا ومئات الجرحى.

- في ١١/٣/١٩٩٧م: صدور قرار من المستشار القضائي يسمح لليهود بالصلاة في المسجد الأقصى.

- ٢٧/٥/١٩٩٧م: حاخامات اليهود يطالبون بتقسيم المسجد الأقصى، ويحثون أتباعهم على الصلاة في المسجد الأقصى.

- في ٢٤/١/١٩٩٩م: استغلال قبة الصخرة في حملة دعائية للسياحة في إعلان نشرته وزارة السياحة اليهودية.

- في ١٠/٨/١٩٩٩م: قيام سلطات الاحتلال بإغلاق فتحة التهوية، ومعالجة الرطوبة في جدار المسجد الأقصى القديم.

- في ٢٧/٩/١٩٩٩م: قيام شركة يهودية للنبيذ بلصق صورة القدس يتوسطها المسجد الأقصى على زجاجات النبيذ.

- في ٢/١٢/١٩٩٩م: رئيس بلدية القدس يصدر أمرًا بمنع مواصلة أعمال الترميم في المصلى المرواني.

- في ٢٠/١٢/١٩٩٩م: الشرطة اليهودية تضع كاميرات مراقبة في الطرقات المؤدية للمسجد الأقصى.

- في ٩/٣/٢٠٠٠م: جمعية يهودية متطرفة تُدعى (عزرات مناحيم) تعمل لإقامة قاعة احتفالات كبرى في ساحة البراق لإقامة

الاحتفالات اليهودية.

- في ٢٦/٦/٢٠٠٠م: الوكالة اليهودية تعرض أفلامًا صهيونية على جدار المسجد الأقصى، تروّج بها لهجرة اليهود إلى القدس خاصة وفلسطين عامة.

- في ٢٨/٩/٢٠٠٠م: تدنيس المجرم إريل شارون المسجد الأقصى بتجواله في ساحات المسجد الأقصى.

- في ٢٩/٩/٢٠٠٠م: اندلاع انتفاضة الأقصى عقب صلاة الجمعة وسقوط عدد كبير من القتلى والجرحى.

(٥٤) اليهود وسيطرتهم على وسائل الإعلام العالمية:

من أجل أن لا تفضح الصحافة اليهود وتبين للعالم مخططاتهم في السياسة والاقتصاد والأدب فيقف العالم أمام مساعي اليهود لإفساد العالم قررت القيادات اليهودية أن يقبض اليهود على ناصية الصحافة العالمية، ووكالات الأنباء بأي ثمن وبأية وسيلة ليستخدموها في نشر ما يريدون نشره من زيف يفسد أفكار الناس ويتلاعب بعقولهم، ويطمس عنهم وجه الحقيقة بالمتناقضات التي يثيرونها أمام أعينهم، وفي عرض الأنباء العالمية التي تخدم مصالح اليهود، وذلك ضمن حشد كبير من الأنباء التي لا تمس اليهود بمنفعة ولا مضرة، وهم يتعمّدون نشرها ليملئوا بها الفراغ الفكرى المتعطش للأنباء، هذا حينما يكون في الأفكار هذا الفراغ، أما الأنباء الحقيقية التي يمكن أن تضرّ بمصالحهم فإنهم يكتمونها، ويخنقونها خنقًا، ولا يسمحون لها أن ترى النور مهما كلف الثمن.

ولقد بدأ اليهود زحفهم الشامل للسيطرة على الصحافة العالمية

ووكالات الأنباء منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي[١] .

❑ جاء في البروتوكول الثاني عشر من بروتوكولات حكماء (شياطين) صهيون قولهم: (سنعالج قضية الصحافة على النحو التالي:

١ ـ سنمتطي صهوتها، ونكبح جماحها، وسنفعل مثل ذلك أيضًا بالنسبة إلى المواد المطبوعة الأخرى، إذ لا جدوى من تخلصنا من الحملات الصحفية إذا كنا معرّضين للنقد عن طريق المنشورات والكتب.

٢ ـ لن يصل أي إعلان للناس إلا بعد مراقبتنا، وقد تمكنا من تحقيق ذلك الآن إلى الحد الذي لا تصل فيه الأنباء إلا عبر الوكالات المختلفة المتمركزة في مختلف أنحاء العالم.

❑ويتابع حكماء صهيون فيقولون:

«والأدب والصحافة قوتان تعليميتان كبيرتان، وستصبح حكومتنا مالكة لمعظم الصحف والمجلات».

❑ويقولون أيضًا: «من خلال الصحافة أحرزنا نفوذًا.. وبقينا نحن خلف الستار.. وبفضل الصحافة كدّسنا الذهب ومع أن ذلك كلفنا أنهارًا من الدم فقد كلفنا التضحية بكثير من بني جنسنا»[٢] .

«وإذا سمحنا بظهور عشر مجلات مستقلة فيجب أن يكون لنا ثلاثون صحيفة مقابلها، ولن نجعل الناس يشكون في سيطرتنا على هذه الصحف، ولذا فسنجعلها من النوع الذي يناقض بعضه بعضًا في الأفكار والاتجاهات لنحصل على ثقتهم، ولنجتذب خصومنا الذين لا يتطرق

---

(١) «مكايد يهودية» ص(٣١٨).

(٢) انظر: «البروتوكول الأول من برتوكولات حكماء صهيون» لشوقي عبد الناصر ص(٦٧).

إليهم الشك في قراءتها، فيقعون في الشَّرَك الذين نصبناه لهم، ويفقدون كل قوة على الإضرار بنا».

❑ والسياسة اليهودية في ميدان الصحافة تتضمّن الأمور التالية:

الأمر الأول: مراقبة كل ما يعدّ للنشر قبل طبعه، من قبل الأجهزة اليهودية، أو الواقعة تحت نفوذهم.

الأمر الثاني: شراء أكبر عدد ممكن من الصحف المنتشرة في العالم، أو وضعها بالرشوة تحت نفوذ اليهود، وتوجيهها وفق سياستهم.

الأمر الثالث: إخفاء هوية هذه الصحف اليهودية أو الواقعة تحت النفوذ اليهودي، وذلك بتوجيهها أن تتظاهر وكأنها معارضة لنظراتهم وآرائهم، كيما يثق بها القرّاء، فتجذب إليها أعداء اليهود، وعند ذلك يعرف اليهود أعداءهم، فيدبرون الخطط لإيقاعهم في شركهم بوسائلهم الكثيرة.

الأمر الرابع: تصنيف الصحف اليهودية إلى ثلاث مراتب:

ـ الصحافة الرسمية، ومهمتها أن تكون دائمة اليقظة للدفاع عن مصالح اليهود.

ـ الثانية: الصحافة شبه الرسمية، ومهمتها استمالة المحايدين وفاتري الهمة لخدمة مصالح اليهود.

ـ الثالثة: الصحافة التي تتظاهر بالمعارضة والمخاصمة لليهود، ومهمتها كشف أعدائهم الحقيقيين، حتى يعرفوهم حق المعرفة، فيسلّطوا عليهم ما لديهم من وسائل لجذبهم وضمهم إلى صفهم، أو مقاومتهم، أو تجميد نشاطهم، أو تعطيل طاقاتهم.

الأمر الخامس: توجيه كل مجموعة من الصحف اليهودية أو الواقعة تحت نفوذهم لتأييد أحد المذاهب السياسية أو الاجتماعية المختلفة حتى تكون صحفهم لها مئات الأيدي، وكل يد ستجسّ نبض الرأي العام المتقلّب؛ ليتخذ اليهود الخطوات المناسبة لجذب الرأي العام نحو مقاصدهم[1].

❑ وقد أعرب قادة اليهود عن امتلاكهم الفعلي لناصية الصحافة وتاج صاحبة الجلالة بمختلف أشكالها في العالم، فجاء في البروتوكول الثاني من بروتوكولات حكماء صهيون قولهم:

«إنّ الصحافة التي في أيدي الحكومات القائمة هي القوة العظيمة التي نحصل بها على توجيه الناس، فالصحافة تبيّن المطالب الحيوية للجمهور، وتعلن شكاوى الشاكين، وتولّد الضجر أحيانًا بين الغوغاء، وأن تحقيق حرية الكلمة قد ولد في الصحافة، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت في أيدينا، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذًا، وبقينا نحن وراء الستار».

* اليهود وفضيحة نيكسون في ووترغيت:

اليهود هم اليد الخفية التي تتحكم في الأخبار وفي سياسة الصحف، وفي الساسة وفي الترويج لهم وفي فضحهم وإسقاطهم وإظهار مخازيهم إذا لم ينفذوا خططهم: وما أخبار ووترجيت وغيرها بخافية على أحد:

لما ظهرت في إدارة الرئيس الأمريكي نيكسون بوادر نقد لأسلوب

(١) انظر: «مكايد يهودية» ص(٣٢١ ـ ٣٢٢).

اليهود في الولايات المتحدة فحرّكت اليهود الصحافة الأمريكية.

يقول ستيفن د. إيزاكس: كان رئيس الجمعية الأمريكية لرؤساء تحرير الصحف حينذاك هو نورمان ا ـ إيزاكس من صحيفة «ذي كوريير جورنال ولويز فيل تايمز «وهو يهودي هاجم تصريحات آغينو نائب الرئيس نيكسون في الخطب وعبر شبكات التلفزيون قائلاً: إن الهجوم المكشوف من جانب نائب الرئيس الأمريكي على الصحافة يشكل خطراً واضح المعالم على حرية الصحافة. ولم يتطرق إيزاكس إلى التيار الباطني الذي قصده نائب رئيس الولايات المتحدة وهو يحمل العداء لليهود بسبب أفعالهم.

ثم صدرت الأوامر اليهودية بإسقاط حكومة نيكسون وفضحها. ولم يخطر في بالي أبدًا أن هناك: «أحكامًا يهودية»، فالمرء حسب ظني في الصحافة يعامل الأخبار والتعليقات بحس الطبيب، أي بطريقة محترفة وغير منحازة. هذه التجربة أذهلتني، وبرهنت عن وجود زر يضغط عليه المرء في أمريكا فتصدر استجابات متوقعة. وتحرك إيزاكس وأرسل إلى الصحف وكتّاب التعليقات في الأعمدة في جميع أنحاء البلد بغض النظر عما إذا كان أصحاب الصحف والصحافيون من اليهود أم لا، فالكل موالٍ لليهود.

والجمعيات اليهودية الأمريكية التي تنظّم للدفاع عن اليهود قد عبّأت طاقاتها على الفور لكي تقدر الواقع الناجم عن ملاحظات آغينو، وتعمل على رسم الخطط الكفيلة بذلك. وأخفقت إدارة نيكسون رغم استخدامها لشبكات التلفزيون. وليس هذا فحسب ولكن اليهود رتبوا فضيحة ووترغيت، بل إذا صحّ التعبير كشفوا عن الأسلحة المعدة لمثل

هذا الموقف فكشفوا الغطاء عن ووتر غيت تلك الفضيحة التي أودت بنيكسون وحكومته، وكانت درسًا قاسيًا لكل من تُسوّل له نفسه أن يغامر بالهجوم على اليهود وانتقاد أفعالهم مهما كانت.

والواقع نفسه أن الصحافيين السياسيين اليهود هم من بين أعلى صفوف المثقفين والمحنكين اليهود، وهم الذين يقفون في أمريكا على أعلى درجة في السلّم، من المحررين والمعلقين اليوميين وبوصفهم ورثة الكتبة القدامى لليهود.

ويلعب اليهود دورًا غير متكافئ على نحو بارز في عالم التعليق السياسي داخل الولايات المتحدة. فالمثقفون اليهود يميلون إلى البروز؛ لأن العديد منهم قد روّجت له وسائل الدعاية أيما ترويج، وبما أن لديهم مسحة من ذلك «الطبال»، فإنهم هم أنفسهم غالبًا من الخبراء في الدعاية لأنفسهم؛ لأنهم لا ينتعشون بالوعي الجماهيري لأفكارهم بل بنوعية جمهورهم»[1].

* السيطرة على سائر وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتلفاز:

بعد أن عرفت يد العبث اليهودي كيف تستغل الصحافة ووكالات الأنباء التي ملكتها أو سقطت تحت نفوذها منذ نحو قرن، امتد عبثهم بنفس المهارة إلى وسائل الإعلام الأخرى.

وتنفيذًا لمقرّرات القيادات اليهودية في العالم استطاع اليهود بوسائلهم أن يسيطروا على إذاعات عالمية كبرى في مختلف دول المعسكرين الشرقي

---

(١) انظر: «اليهود والسياسة الأمريكية» ص(٤٧) وما بعدها، و«اليهود تاريخ إفساد» ص(١٠٢ ـ ١٠٤).

والغربي، ثم استطاعوا أن يمدّوا هذه السيطرة نفسها إلى وسيلة الإعلام الحديثة، ألا وهي «التلفزيون».

ولما تمكن اليهود من بسط نفوذهم على هاتين الأداتين الإعلاميتين ـ وهما أعمّ وأشمل، وأنفذ وأفعل، استطاعوا أن ينقلوا إليهما الأصوات الجنسية المنكرة والصور العاهرة الفاجرة، ودفعوا معظم الأصوات الناعمة، والأجسام الفاتنة العارية العاهرة إلى احتلال كراسي الأستاذية الكبرى في مدرسة الفسق هذه لتفسد كل بيت وكل نَفْس، وفتحوا لهؤلاء الأساتذة الجدد قنوات الذهب بشرط أن يتقيّدوا بالخطة العامة التي وضعها شياطين يهود لإفساد الأرض.

* «روبرت مردوخ» البليونير اليهودي إمبراطور الإعلام في العالم:

«نشر الأستاذ الدكتور (إبراهيم إمام) بحثًا حول الإعلام في جريدة «الندوة» في يوم الأحد، ١٢ شعبان ١٤٠٩هـ بالعدد (٩١٦٠) أقتبس منه ما يلي لأهميته في مجال الإعلام، واستغلال اليهود له بصورة خطيرة:

❑ (روبرت مردوخ) بليونير يهودي، أسترالي الجنسية، يمتلك إمبراطورية إعلامية منبثة في جميع أنحاء العالم، يسيطر على (١٥٠) صحيفة في أربع قارات، ففي «الولايات المتحدة الأمريكية» يمتلك صحيفتين يوميتين و(٢٠) مجلة أسبوعية، وعدد كبيرًا من محطات الإذاعة والتلفزيون ودُور النشر.

وفي «بريطانيا» يمتلك «خمس» صحف يومية، منها صحيفة

«التايمز» اللندنية التي تعتبر من ناحية نفوذها السياسي والاقتصادي أهمّ صحف بريطانيا، وربما العالم بأسره، ويمتلك صحيفة «صنداي تايمز»، وثلاث صحف أخرى، منها «نيوز أوف ذي ورلد» التي تُوزّع ما يزيد على ستة ملايين نسخة.

ويمتلك في «أستراليا» وحدها أكثر من مائة صحيفة يومية، ويمتلك في «آسيا» أكبرَ صحيفة يومية.

▫ واشترى «مردوخ» هذا سنة (١٩٨٩) شركة «ترينجل» الأمريكية، التي تُصدِر مجلة «دليل التلفزيون» التي توزِّع ما يزيد على عشرين مليون نسخة.

▫ ثم امتلك في «بريطانيا» نظام «التلفزيون القمري» الذي يبث البرامج عن طريق القمر الصناعي، هذا النظام يتفرّع عنه أربع قنوات تليفزيونية:

ـ **الأولى**: مخصصة للترفيه والإمتاع والتسلية: من مسرحيات ومسلسلات، وأفلام فكاهية، وأشرطة المغامرات.

ـ **الثانية**: مخصصة للأخبار والشئون العامة والتعليقات، على مدى (٢٤) ساعة كل يوم.

ـ **الثالثة**: قناة أوربية لإحكام السيطرة على العقل الأوربي بوجه عام، لا سيما بعد نجاح السوق الأوربية المشتركة، وقرب إعلان الوحدة السياسية بين الدول الأوربية.

ـ **الرابعة**: مخصصة لعرض الأفلام السينمائية المختلفة.

بالإضافة إلى محطتين تلفزيونيتين تعملان بنظام التلفزيون السلكي،

وهو نظام يعمل على أساس ما يطلبه المشترك، نظير مبلغ من المال يضعه المشترك في صندوق ملحق بجهاز التلفزيون، ويطلب ما يشاء رؤيته من موضوعات أو أخبار أو أفلام في مختلف الشئون.

قال: ويرى علماء الإعلام والاجتماع أن (روبرت مردوخ) قد أحدث ما يمكن اعتباره ثورة إعلامية تلفزيونية لصالح المنظمات الصهيونية، وهي موجَّهة للعقل الغربي بوجه عام، وللعقل الأوربي بوجه خاصّ لخدمة مصالح اليهود.

لقد أنفق (روبرت مردوخ) في السنة الأولى (٢٩٧) مليون دولار، بالإضافة إلى (١٨) مليون دولار للدعاية، مع استعداده لإنفاق أضعاف هذه المبالغ، بغية إيصال برامجه إلى جميع الجماهير، وهو يدرك تمامًا أن الأرباح الحقيقية تنتظره في نهاية المطاف.

ومما يلفت النظر أن (روبرت مردوخ) يفعل ما يفعله تحت شعار الحرية أحد أضلاع المثلث الماسوني المعروف، فهو يقول في دعايته لمشروع التلفزيون القمري: إنه يهدف إلى تحقيق الحرية للإنجليز، وذلك «بفطامهم» من البث المفروض عليهم من قبل هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) وقناة التلفزيون التجاري (I.T.V) ويزعم أنه سوف يقدم نوعية جديدة من البرامج المبتكرة التي تشبع رغبات المشاهدين، وتحررهم من ربقة الإذاعات الرسمية»[1].

* اليهود.. اليهود وتلفزيون أمريكا:

لا تقتصر سيطرة اليهود على وسائل الإعلام، بل تسيطر بشكل

(١) مكايد يهودية» ص(٣٢٩ ـ ٣٣١).

واسع على الشبكات التلفزيونية الثلاث الكبرى، وهي (C.B.S - A.B.C- N.B.C).

▫ فالشبكة الأمريكية (A.B.C) رئيسها يهودي، واسمه (ليونارد جونسون) ومديرها العام يهودي، واسمه (مارتن روبنشتاين).

▫ وشبكة (C.B.S) يملكها اليهودي (وليم بيلّي) ومديرها العام اليهودي (ريتشارد سالانت) و(بيلّي) جاء إلى أمريكا مهاجرًا معدمًا مع ولديه صموئيل ويعقوب.

▫ وشبكة (N.B.C) يسيطر عليها اليهود سيطرة تامة من خلال رئيسها اليهودي (ألفرد سلفرمان) الذي خلف رئيسها السابق (روبرت سارنوف) ومديرها العام الحالي هو اليهودي (روبرت سيكوسر)، ويمتلك الشبكة اليهودي (دافيد سارنون) جاء إلى أمريكا مهاجرًا من روسيا لا يملك شيئًا.

فأصحاب الشبكات التلفزيونية الأمريكية ومديروها هم من اليهود، ويستغلونها لتحقيق أهداف اليهودية العالمية الصهيونية، مع استغلال الشعوب، وتحقيق الثراء الفاحش، للسيطرة على العالم، وامتلاك ناصية دول الأرض جميعًا.

▫ وتعرّض الدكتور (إبراهيم إمام) في مقال آخر بالعدد (٩١٦٦) من جريدة الندوة لسياسة الإعلام الصهيوني فأبان ما يلي:

يقوم الإعلام الصهيوني على مفاهيم فرويد للنفس البشرية، التي تعتبر الطاقة الجنسية «اللبيدو» هي أهم طاقات الإنسان، وتنادي بضرورة انطلاق الغريزة الجنسية، وعدم كبتها، حتى تحولت الحضارة الغربية إلى

مواخير من الفساد، وأوكار للزنى واللواط. واشتهر كتّاب الفجور من أمثال (د.هي. لورنس) لاسيما في قصته الطويلة «عشيق الليدي تشاترلي» التي أحدثت ضجة عنيفة في المجتمع الإنجليزي، وكانت بداية السقوط إلى الهاوية.

❑ وفي أمريكا تخصصت دور النشر اليهودية في إذاعة روح الرذيلة وإشاعة الفجور بين الشباب، لا سيما مجلة «بلاي بوي» فهي مؤسسة ضخمة متخصصة في نشر أخبار الجنس والعري الفاضح وهي تنتشر انتشاراً هائلاً بين الشباب والفتيات.

وتخصصت دور السينما لعرض أفلام جنسية حقيرة وصريحة ومخجلة، وبلغ بهذه الدور أن صوّرت المسيح في مواقف جنسية مخجلة مع مريم المجدلية.

❑ ويقوم الإعلام الصهيوني أيضًا على ترسيخ الشعور بالذنب في نفوس الغربيين لما فعله هتلر باليهود كما يزعمون، وقد تكوّنت عقدة الذنب فعلاً في نفوس الغربيين، إلى حدّ أن صارت تهمة العداء للسامية (أي: لليهود من عموم الساميين) من أشد الاتهامات وقعًا في نفوسهم، وكثيراً ما أدت هذه التهمة إلى انتحار شخصيات كبيرة ووزراء مرموقين.

❑ ويقوم الإعلام الصهيوني من جهة أخرى بزرع بذور اليأس في نفوس العرب والمسلمين، فيقدّم من الأفلام، والأشرطة المرئية (الڤيديو) المشاهد التمثيلية لتحقير العرب والمسلمين، وتصويرهم للعالم الغربي بصورة مزرية»[1]، أو أنهم وحوش كاسرة.

---

(١) مكايد يهودية» ص(٣٣١ ـ ٣٣٢).

(٥٥) اليهود وصنع السياسة العالمية:

اليهود القابعون وراء الوجوه السياسية الظاهرة يتلقون تعليماتهم من القيادات اليهودية المكتومة في العالم، التي تضع بمكر عظيم خططها الشاملة الرامية إلى هدم الأنظمة القائمة في كل الدول، تمهيدًا لإقامة ملك اليهود الشامل على أنقاضها.

❑ واليهود يديرون دفّة السياسة العالمية من وراء حجب داخل المعسكرين الشرقي والغربي، فهم يوجّهون سفنها للصدام حينما تدعو المصلحة اليهودية إلى ذلك، ويوجهونها للوئام حينما تدعو مصلحة يهود إليه، يزجّون بها في متلاطم المخاوف، أو يسوقونها إلى موانئ السلامة حسب مصالحهم.

جاء في «البروتوكول الثاني من بروتوكولات حكماء صهيون قولهم:

«وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد، ولن يكونوا مدّربين على فن الحكم، ولذلك سيكون من اليسير أن يُمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا، في أيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دُرِّبوا خصيصًا على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة».

❑ وجاء في البروتوكول العاشر قولهم:

«ولكي نصل إلى هذه النتائج سندبر انتخاب أمثال هؤلاء الرؤساء ممن تكون صحائفهم السابقة مسوَّدة بفضيحة، أو صفقة أخرى سرية مريبة، إن رئيسًا من هذا النوع سيكون منفذًا وافيًا لأغراضنا؛ لأنه سيخشى التشهير، وسيبقى خاضعًا لسلطان الخوف الذي يتملك دائمًا الرجل الذي وصل إلى السلطة، والذي يتلهف على أن يستبقي امتيازاته وأمجاده المرتبطة بمركزه الرفيع.. سنعطي الرئيس المسئول الذي يكون

ألعوبة خاصة في أيدينا سلطة تقديم القوانيين وتعديلها.

وإلى ذلك سنعطي الرئيس سلطة إعلان الحكم العرفي، وسنوضح هذا الامتياز بأن الحقيقة هي أن الرئيس ـ لكونه رئيس الجيش ـ يجب أن يملك هذا الحق».

❑ ومع وجودهم في معظم عواصم ومدن العالم استطاعوا أن يكونوا بمثابة حزب سياسي منظم له فروع ومؤسسات كبيرة منتشرة في معظم دول الأرض، وهذا ما جعل حكماء صهيون يقولون في البروتوكول الحادي عشر:

«من رحمة اللّه أن شعبه المختار مشتت، وهذا التشتت الذي يبدو ضعفًا أمام العالم قد ثبت أنه كل قوتنا، التي وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية».

❑ وتسرب اليهود في معظم الدول الغربية والشرقية إلى المراكز الخطيرة في وزاراتها ودوائرها السياسية والإدارية والعسكرية لا سيما مراكز السلطة العليا.

ومتى تسنت لهم فرصة التقرّب من السلطة العليا بذلوا ما يستطيعون بذله من مال ونساء ونفاق ومخادعة ومهادنة ورشوة وبذل رذيلة.

❑ ومنطلقات خطة العمل اليهودي السياسي في معظم دول العالم منذ القرن الثامن عشر الميلادي ما يلي:

النقطة الأولى: الاستيلاء على المال لتحريكه في خدمة السياسة اليهودية.

النقطة الثانية: الاستيلاء على وسائل الإعلام.

النقطة الثالثة: التسلل إلى بطائن السلطات العليا للتأثير عليها، والتلاعب في سياستها والتسلل إلى مراكز هامة تقع من دون مراكز السلطات العليا في مختلف الدوائر السياسية والعسكرية.

النقطة الرابعة: تأسيس المنظمات ذات الشعارات الإنسانية الخادعة، وذات الأهداف اليهودية السرية، التي لا يطلع عليها في هذه المنظمات غير القادة من اليهود.

النقطة الخامسة: إشعال نيران الفتن والثورات والانقلابات، وإقامة الحروب الكبرى.

ونجد شواهد هذه الحقائق فيما كتبه مؤلفو كتاب «اليهودي العالمي» الأمريكيون: إذ قالوا: «ليس ثمّة من شك في أن المال اليهودي العالمي كثير العناية بموضوعي الثورات والحروب، ولم تُنف هذه الحقيقة في الماضي، وما زالت مؤكدة بالنسبة إلى الحاضر.

فمثلاً العصبة التي تألّفت لمحاربة (نابليون) كانت طلائعها يهودية، وقد اتخذت لها مستقرًّا في هولندا، وعندما غزا (نابليون) هذه البلاد انتقل المركز إلى «فرانكفورت» على نهر السين، ولعل أبرزهم (آل روتشيل) و(آل شيف)، و(آل سبيير).

❑ ووسائل اليهود للوصول إلى السلطة ميكافيلية، فصلاة الحاخامات اليوم سياسية، وترانيمهم تكتيكية، وتسبيحاتهم اقتصادية، ولا دخل للأخلاق في السياسة، فبروتوكولات حكماء صهيون تقول: إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيّد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه.

لهذا نرى اليهودي (دزرائيلي) الذي ادعى النصرانية وصار رئيسًا للوزارة البريطانية في أواخر القرن التاسع عشر يقول للبريطانيين: «لا بأس بالغدر والكذب والوقيعة إذا كان هذا سيؤدي إلى النجاح».

❑ وفي فرنسا لم يدخل النصف الأول من القرن العشرين حتى كان اليهود يسيطرون على كل جوانب الحياة في فرنسا. ووصلوا إلى أعلى قمة فكان منهم (ليون بلوم) اليهودي الذي أصبح رئيسًا للجمهورية الفرنسية، (ومنديس فرانس) رئيس الوزراء الفرنسي.

❑ ولقد مرّ بك استيلاؤهم التام على مقاليد السلطة في روسيا الشيوعية.

* اليهود يديرون السياسة في أمريكا منذ نشأتها:

تدخل آل روتشيلد في شئون أمريكا منذ نشأتها ووجهوا دفة سياستها، وكانوا هم سادة الحرب في أوربا أكثر من جيل كامل: (انسليم في فرانكفورت) و«سولومون) في ڤيينا، و(ناتان ماير) في لندن، و(شارل) في نابولي، و(جيمس) في باريس.

❑ وامتد سلطان المال اليهودي في أمريكا حتى بلغ قمته في شركة «كون لويب وشركاه»، وكان يرأس هذه الشركة اليهودي «يعقوب شيف»، وكان بين شركاء «يعقوب شيف» (فيليكس واربورغ) الذي تزوّج من أسرة (شيف) وغدا أفراد أسرة (واربورغ) من كبار أصحاب النفوذ في التمثيل الدبلوماسي الأمريكي.

❑ ولقد مرت الولايات المتحدة الأمريكية بعهد من الحكم اليهودي الذي يماثل إلى حد كبير سيطرتهم على روسيا، وقد يبدو هذا القول غريبًا

وقويًّا، لكنه أقل من الحقيقة الساخرة، وليست هذه الحقيقة وليدة شائعات مغرضة، أو ثمرة وجهة نظر متحيّزة، وإنما هي ثمرة تحقيق قام به موظفون من الحكومة الأمريكية وظهرت نتائجه في سجلات الحكومة الأمريكية[١].

* اليهودي «برنارد باروخ» «دزرائيلي» أمريكا ومُحرّك سياستها قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها:

اليهودي (برنارد باروخ) يهودي من «وول ستريت» كان يُطلق عليه اسم: قنصل يهوذا في أمريكا، ويُقال: إنه مرة أشار إلى نفسه قائلاً: انظروا إلى «دزرائيلي الولايات المتحدة».

وقال أمام حشد ضخم من أعضاء الكونغرس: لقد كان لي على الغالب سلطان في الحرب أكثر من أي رجل آخر[٢].

ولا ريب في أن هذا القول صحيح كل الصحة، حقًّا إن هذا الرجل لم يكن مبالغًا في حديثه، لقد كان له سلطان أكبر من سلطان غيره، فقد امتد إلى كل بيت ومخزن ومصنع ومصرف وقطار ومنجم، وكان لسلطانه علاقة بالجيوش والحكومات ومجالس التجنيد، وكان في وسعه أن يرفع الإنسان أو يحطمه، وقد تمكّن سلطانه من إرغام غير اليهود على أن يعرضوا جميع أسرارهم أمامه وأمام شركائه اليهود، متيحًا لهم معرفة وامتيازات لا يستطيعون الحصول عليها لو دفعوا ملايين الجنيهات الذهبية.

ولم يكن أحد من الأمريكيين قد سمع بهذا الرجل قبل نشوب

---

(١) «مكايد يهودية» ص(٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١).

(٢) أي: في الحرب العالمية الأولى.

الحرب في عام ١٩١٧م، وقد صعد نجمه دفعةً واحدة من غياهب الغموض دون سمعة سابقة، ليحتل مكان الصدارة والحكم في شعب يخوض الحرب، ولم يكن للحكومة أيّة علاقة به سوى توفير المال اللازم لإطاعة أوامره.

❑ وقد تبيّن من التحقيق الذي قام به الكونجرس الأمريكي أن تأثير اليهودي (برنارد باروخ) على الرئيس الأمريكي (ولسن) إبان الحرب العالمية الأولى قد أدّى إلى تبدلات ضخمة في الحكومة الأمريكية، الأمر الذي مكّنه من أن يُصبح أقوى رجل في أيام الحرب العالمية الأولى.

❑ ويبدو أن مجلس الدفاع الوطني قد غدا في الحقيقة مجرد صورة ليس إلاّ، ولم يكن المجلس الأمريكي هو الذي قاد البلاد في الحرب، وإنما قادتها أوتوقراطية يرأسها يهودي، وقد احتل اليهودي فيها من قمتها إلى قاعدتها كل مركز ذي أهمية.

❑ اسمعوا ما قاله في وصف زيارة قام بها الرئيس (ولسن) في عام ١٩١٥م: «خُيِّل إليّ أن الحرب ستنشب في وقت أسرع مما كان منتظرًا.. وقلتُ له بكل ما لديّ من حزم: إنني قلق جدًّا من ضرورة تعبئة الصناعات في البلاد، وأصغى إليّ الرئيس بكل انتباه واهتمام كما هو شأنه دائمًا معي، ثم لفت نظري إلى مجلس الدفاع الوطني، وسألني وزير الحربية عن رأيي في هذا المجلس، فقلت: «إنني أوثر أن يكون هناك شيء آخر، فالمجلس لا يعدو أن يكون استشاريًّا، وكل ما أريده شيء آخر».

وقد تحقّق لـ (برنارد باروخ) ما يريد، فقد أصدر الرئيس أمره بتغيير

جهاز الحكم، لكي يصبح المستر (باروخ) أقوى رجل في الحرب، ولا ريب في أن ما عمله باروخ كان بارعًا.

ولم يكن في وسع أي إنسان أن يطلب ما طلبه إلاّ إذا كان يهوديًّا.

ولقد نفّذ رئيس الولايات المتحدة له ما أراده، ولم يكن ما أراده إلاّ أن يغدو القوة المسيطرة على الإنتاج الأمريكي، وقد تحققت غايته، وأصبح له من السلطان ما يفوق سلطان (لينين) وحلفائه في روسيا.

مضى باروخ يعمل، وغدا رئيس جهاز للسيطرة لم تعرف الحكومة الأمريكية ولن تعرف مثيلاً له، وقد حدّثنا هو عن سلطانه فقال:

أولاً: السلطة على استخدام الرساميل الموجودة في مشاريع الأمريكان الفردية ـ وكانت هذه السلطة تحت الإشراف الاسمي للجنة القروض التي كان يسيطر عليها يهودي آخر، هو (يوجين ماير الصغير).

ثانيًا: السيطرة على جميع المواد، وكانت هذه تعني بالطبع كل شيء، وكان يستعين بالخبراء ـ وكلهم من اليهود ـ. فلقد كان هو الذي يتولى اختيار أعضاء اللجنة التي تعمل في هذا الميدان.

ثالثًا: السيطرة على الصناعات، فلقد كانت له صلاحية إتخاذ القرارات عن الأماكن التي يشحن منها الفحم، أو يُباع فيها الفولاذ، أو تُقام فيها الصناعات، وكانت سيطرته كما قال في شهادته أمام الكونجرس تشمل (٣٥٧) ميدانًا من ميادين الصناعة في الولايات المتحدة، وتتضمّن بالطبع جميع المواد الأولية في العالم، فهو صاحب الكلمة العليا فيها..

رابعًا: الصلاحية في تقرير الفئات من الرجال الذين يُطلبون لأداء الخدمة

العسكرية، وكان هو الذي يحدّد لرئيس التجنيد العام الفئات التي يجب تجنيد أفرادها، قال: «وكان علينا أن نتّخذ قراراتنا على ضوء الحاجة، وأن نبتّ في الصناعات التي يمكننا وقفها لنأخذ العاملين فيها إلى الجيش.

خامسًا: السلطة على أفراد الطبقة العاملة في البلاد؛ فقد قال: «وكنّا قد قرّرنا تخفيض عدد الرجال في ميادين العمل، لنستعيض عنهم بالنساء، وهو ما كانت النقابات العمالية ترفضه أشد الرفض، وكنا نحدد الأسعار بالنسبة إلى الإنتاج كله، لا بالنسبة إلى الجيش والأسطول وحدهما، بل بالنسبة إلى الحلفاء والسكان المدنيين أيضًا».

* باروخ يُحرّك «مؤتمر فرساي» كما يحلو له:

ولم يقتصر نفوذ باروخ على أوقات الحرب وحدها، بل استمر أيضًا بعد حلول السلم، فقد ذهب إلى فرساي، كعضو في وفد الرئيس (ولسن) إلى مؤتمر الصلح.

يقول باروخ: كنت أقدّم للرئيس (ولسُن) المشورة إذا ما طلبها مني، وكان عليّ أن أعمل في موضوع بنود التعويضات في معاهدة الصلح، فقد كنتُ المفوّض الأمريكي المسئول عما أسموه: «القطاع العام» وكنت عضوًا في المجلس الاقتصادي الأعلى المسئول عن المواد الخام.

❑ وأقر (باروخ) في شهادته بأنه اتخذ مقعده مع الرجال الذين كانوا يتفاوضون لعقد معاهدة الصلح، وأنه اشترك في اجتماع رؤساء وزارات «الخمسة الكبار».

❑ وقد برز اليهود بشكل واضح في الوفد الأمريكي إلى الحدّ الذي أثار تعليقات الجميع، وأطلق الفرنسيون على مؤتمر فرساي اسم: «مؤتمر

الكاشير»، وكان عدد اليهود العالميين الذين يرأسهم (باروخ) كبيرًا، وكان وجودهم في الجلسات السرية للمؤتمر واضحًا إلى الحدّ الذي دفع مراقبًا ذكيًّا كالدكتور (ديلون) إلى أن يقول في كتابه «القصة الخفية لمؤتمر الصلح» ما يلي:

«قد يبدو من المدهش لبعض القرّاء ـ لكنّ هذه الدهشة لا تقلّل مطلقًا من الحقيقة القائمة ـ وهي أن عددًا كبيرًا من المندوبين اعتقدوا أن التأثيرات الحقيقية التي تقوم وراء الأنكلوسكسونيين هي يهودية في طابعها وكان سير المصالح التي تم تشكيلها وتطبيقها في هذا الاتجاه من وحي اليهود الذين اجتمعوا في باريس لغاية واحدة، وهي تحقيق برنامجهم المدروس دراسة كاملة، والذين تمكنوا من تنفيذه بصورة صحيحة..»[1].

وهذه المقتطفات تدل دلالة مؤكدة على مدى تأثير اليهود وتغلغلهم في جميع المجالات، ومدى تدخلهم في سياسات الدول الكبرى.

* ومثال آخر على تغلغل اليهود في السياسة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي «روزفلت» في الفترة ما بين ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م:

نذكر أبرز الشخصيات اليهودية التي كان يستعملها روزفلت في حكمه في الفترة بين ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م:

ـ برنارد باروخ، مستشار روزفلت للشئون الاقتصادية.

ـ هنري مورجانتو، مستشار روزفلت للشئون المالية، ثم أصبح وزيرًا للمالية وتقدر ثروته بألف مليون دولار.

ـ صموئيل روزنمان، مستشارًا للشئون السياسية.

---

(١) انظر: «مكايد يهودية» ص(٣٧١ ـ ٣٧٥) بتصرف نقلاً عن كتاب «اليهودي العالمي».

ـ ولترلبمان، مستشار روزفلت للشئون القضائية «القانون الدولي».

ـ لويس براندیس، مستشار روزفلت للشئون القضائية.

ـ فيلكس فرانكفورتر، كبير المستشارين في البيت الأبيض وعضو المحكمة العليا.

ـ هربرت فايس، «مفتاح» وزارة الخارجية الأمريكية.

ـ مردخاي أزكيال، «مفتاح» وزارة الزراعة.

ـ ناثان مارجولد، «مفتاح» وزارة الداخلية.

ـ ازيد ورلوين، «مفتاح» وزارة العمل.

ـ نورمان أرنولد هارولد ناثان، مستشار النائب العام.

ـ وليم بوليه، سفير الولايات المتحدة في فرنسا.

ـ لورنس شتنهار، سفير الولايات المتحدة في ألبيرو.

وغير هؤلاء عشرات الأعضاء في الكونجرس والولايات والمحافظات وبخاصة مدينة نيويورك، وعشرات القضاة وآلاف الصحافيين والناشرين والموزعين»[1].

لقد ساق اليهود الأمريكيين كما يساق القطيع من الغنم، واتخذوا من حكام أمريكا صنائع لهم وعملاء، وتحققت لهم السيطرة الكاملة عليهم:

مثال ذلك: (جون كيندي) لم يحقق لهم ما يريدون، ولم يشأ أن يمضي معهم إلى آخر الشوط الذي طلبوه منه؛ لأن الولايات المتحدة في عهده تبنّت مشروع قرار في الجمعية العامة للأمم المتحدة لحلّ مشكلة

(١) «الأفعى اليهودية» ص(٣٧).

اللاجئين الفلسطينيين، وبسبب التزامها بالبيان الثلاثي الذي يضمن حدود دول المنطقة، مع التزامها بأمن إسرائيل وازدهارها، فأهدر اليهود دمه وقتلوه في «تشرين الثاني» سنة ١٩٦٣م بإطلاق النار عليه، ولم يُعرف القاتل، ومكّنوا لعميل آخر يثقون في ولائه للصهيونية وهو (ليندون جونسون)، وأوكلوا به حسناء يهودية صارت عشيقة له، حرّكته كما تريد مصالح إسرائيل واليهود وبدا هذا واضحًا جليًّا.

يقول ستيفن د. إيزاكس صاحب كتاب «اليهود والسياسة الأمريكية»: «إن توسل المصالح اليهودية ونشدانها قد حدث في كل الحملات الأخيرة لانتخابات الرئاسة الأمريكية»[1].

(٥٦) اليهود أكبر جواسيس العالم:

كوّن اليهود أكبر شبكة تجسس ممتدة على وجه البسيطة، لا تعادلها شبكة أخرى في العالم.

وهم يتاجرون بالتجسس لحساب كل الأطراف المتنازعة، إذ لا تربطهم بأي طرف منها عاطفة خاصة، حتى يتقيدوا بالولاء الصادق له، فما ولاؤهم إلا للمصلحة اليهودية العالمية.

❑ في أيّة عاصمة يقف وجه يهودي ليدفع لهذه العاصمة من حقيبته ما يهمها أن تعلمه من أسرار عن الدول الأخرى، بالثمن الذي يراه هو مكافئًا لقيمة السر، بينما تمتد الأيدي اليهودية السوداء في الخفاء لتلقي في حقيبتها ما تحصل عندها من أسرار هذه العاصمة، فيبيعها وجه يهودي آخر في العواصم الأخرى التي يهمها أن تعرف هذه الأسرار،

(١) «اليهود والسياسة الأمريكية» لإيزاكس ص(١٣٠).

فالأسرار تُسرق من جهة لتُباع في جهات أخرى مرات متعددة، ثم لا يكون الرابح فيها إلا العاملين على سرقتها وبيعها، وتستطيع هذه الشبكة اليهودية أن تخضع هذه السلع إلى احتكارات واسعة، يوجهونها دائمًا لما يضمن للسياسة اليهودية العالمية تحقيق المصالح الخاصة بها، ذات الأهداف الطامعة الطامحة إلى حكم العالم.

❑ وفي ميدان التجسس استطاع اليهود أن يكونوا جواسيس مهرة في الحرب العالمية الأولى، فينقلوا المعلومات العسكرية من ألمانيا وبريطانيا وحلفائها، وأن يوقعوا بألمانيا الخسائر الفادحة بسبب ذلك، وأن يتسببوا في انهيارها في الحرب، وذلك نكاية بها؛ لأنها لم ترض[1] أن تعطيهم وعدًا بالمساعدة لإقامة الوطن اليهودي في فلسطين.

وقد استطاع اليهودي الدكتور (حاييم وايزمن) أثناء الحرب العالمية الأولى أن يسرق أسرارًا كيميائية من روسيا القيصرية بواسطة بعض اليهود المنبثين فيها، وأن يتاجر بها فيبيعها للحلفاء مقابل أن يساعدوا اليهود في الهجرة إلى فلسطين، وتأسيس الدولة اليهودية[2] ، و(حاييم وايزمن) قد صار فيما بعد أول رئيس للدولة في إسرائيل.

❑ وربما يعطي جواسيس اليهود معلومات مضللة كاذبة، مع أنهم يأخذون الأجر الكبير عليها، إذا كان في ذلك مصلحة لليهودية العالمية، أو لدولتهم في إسرائيل، بل إنهم يحتفظون لأنفسهم بما يريدون من هذه المعلومات، ويسمحون بتبليغ ما تريد المصلحة اليهودية السماح به،

---

(١) بل تكاسلت في إعطائهم الوعد، فقد كان في نيّة الألمان أن يعطوهم وعدًا كما بيّنا.

(٢) أذاع ذلك راديو موسكو نقلاً عن جريدة البرافدا في أحد أعدادها الصادرة في أوائل عام ١٩٦٠م

ويدخرون لكل وقت ما يصلح منها لأن يكون سلاحًا مناسبًا لتحقيق هدف يهود. واليهود في تدبير المكايد أمهر، وعلى دقة الأسرار وكتمانها أقدر، وعلى حفظها حتى يحين وقتها أصبر[١].

ولك أن تتخيل أن أعلى مستشار لقائد القوات الجوية المصرية قبل حرب يونيو ٦٧ كان يهوديًّا، وهو الذي أشرف على نقل المعلومات بدقة إلى اليهود، وأشرف على سكر الطيارين المصريين في حفلة ماجنة ليلة المعركة وغادر مصر مع خيوط فجر ٥ يونيو ٦٧ وكتب كتابًا سماه «وتحطمت المطارات عند الفجر».

(٥٧) اليهود وهدم الروابط والأواصر الاجتماعية:

جاء في «بروتوكولات حكماء صهيون»: «سننشر بين الشعوب أدبًا مريضًا قذرًا يساعد على هدم الأسرة وتدمير جميع المقومات الأخلاقية»[٢].

«يجب أن نحوّل شبابهم إلى مجانين بالكلاسيك والمجون المبكر الذي أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا وقهرماناتنا في البيوت الغنية، وكتابنا ومن إليهم، ونساؤنا في أماكن لهوهم، وإليهن أضيف من يسمين نساء المجتمع والراغبات من زملائهن في الفساد والترف.

يجب أن يكون شعارنا كل وسائل العنف والخديعة.. إن هذا الشر هو الطريق الوحيد للوصول إلى هدف الخير، ولذلك يلزم ألا نتردد لحظة واحدة في نشر الرشوة والفساد والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق أهدافنا»[٣].

---

(١) انظر: «مكايد يهودية» ص(٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١).

(٢) «بروتوكولات حكماء صهيون» ـ البروتوكول (١٢).

(٣) المصدر السابق ـ البروتوكول الأول.

❑ «إننا نقصد أن نبدوا كما لو كنا المحرّرين للعمال.. جئنا لتحريرهم من هذا الظلم، عندما ننصحهم بأن ينضموا إلى جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين. ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طبقًا لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية.

غير أن فائدتنا نحن في هزال الأمين غير اليهود وضعفهم، وأن قوتنا تكمن في أن يبقى العامل في فقر ومرض دائمين لأننا بذلك سنبقيه عبدًا لإرادتنا ولن يجد فيمن يحيطون به قوة ولا إرادة للوقوف ضدنا.. إن الجوع سيمنح رأس المال حقوقًا على العامل أكثر مما تستطيع سلطة الحاكم الشرعية أن تمنح الأرستقراطية من الحقوق»[1].

❑ واليهود يبثون عوامل الشقاق بين الناس في المجتمع الواحد، ويغرسون بذور الخلاف والخصام والعداء، ويثيرون الأحقاد والضغائن والحزازات القومية والطبقية والمذهبية والحزبية لتحقيق سيادتهم المطلقة على الجميع.

جاء في البروتوكول الرابع:

«لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنًا، ومن هذا كله تتقرر حقيقة: هي أن كل حكومة منفردة، لن تجد لها سندًا من جاراتها حين تدعوها إلي مساعدتها ضدنا؛ لأن كل واحدة منها ستظن أن أي عمل ضدنا هو نكبة على كيانها الذاتي.

---

(١) المصدر السابق ـ البروتوكول الثالث.

❑ وجاء في البروتوكول العاشر: «علينا أن ننهك كل إنسان بالمنازعات والعداوات والحزازات والحروب والمجاعة، وانتشار الأوبئة والعوز والفاقة، حتى يجد غير اليهود أن لا مناص لهم من مناشدتنا العون المادي والسلطان».

❑وجاء في البروتوكول الخامس: «هذه السياسة ستساعدنا أيضًا في بذر الخلافات بين الهيئات وفي تفكيك كل القوى المتجمعة»[١].

(٥٨) اليهود وهتلر: أكذوبة قتل هتلر لستة ملايين يهودي:

«تقرير لوشتر» وأكذوبة وأسطورة «الهولوكست»[٢]

نعرف أن الأسطورة هي نتاج للمخيلة البشرية البدائية البسيطة، فيها ظلٌّ من الحقيقة، لكن نسبة اصطناع الذهن الإنساني لوقائعها أكبر، هي تعيش ـ برغم التطور المادي للعالم ـ لأنها تعكس بوضوح صورة العقل الإنساني في أولياته، وتبين للحاضر نتفًا من واقع الماضي للكائن الحي، وكيف تطور إلى ما هو عليه الآن.. ومع نمو الوعي البشري يُسقط الإنسان كثيرًا من هذه الأساطير، أو الخرافات، أو يحتفظ ببعضها في متحف الذاكرة، كتعبير قائم عن بكارة الفكر الإنساني حينما كان طفلاً ما زال يحبو على مدارج الإدراك.

وعلى مدار التاريخ البشري المعروف، والذي يمتد لبضعة آلاف من السنين لم تعرف البشرية أسطورة عاشت واتسع مداها، واعتُرف بها

---

(١) انظر: «مكايد يهودية» ص(٣٤٠، ٣٤١).

(٢) ترجمة أيمن علي ـ دار الشروق ـ القاهرة ٢٠٠٠ م ـ نقلاً عن مجلة القدس ص(٣٦ ـ ٣٩) العدد ٢٦ ـ ذو القعدة ١٤٢١هـ فبراير ٢٠٠١م.

كحقيقة مطلقة، وفُرض حتى على الكافرين بها الإيمان الأعمى بتفاصيلها المزيفة، والتصديق الكلي بأحداثها المختلفة.. كأسطورة «المحرقة» أو «الهولوكست» حسب المصطلح الشائع، والتي بُنيت على إشاعات مبالغٌ فيها تزعم قيام النازيين الألمان بإحراق ستة ملايين يهودي في مواقع معسكرات الاعتقال الألمانية ببولندا، خلال وقائع الحرب العالمية الثانية.

وقد أصبح لهذه الأسطورة سطوة العقيدة ونفوذها، فهي تُدرَّس في معاهد العلم، وتقرأ وقائعها في المعابد، وتقام لها المتاحف وتنظم الاحتفالات وتؤلف الكتب وتخرج المسرحيات والأفلام وتعد الأغاني!

وقد استخدمت ذريعة «المحرقة» استخدامًا شديد المهارة والدهاء لتحقيق غايات محددة، واستطاعت الصهيونية العالمية وإسرائيل أن تستفيد منها أيما استفادة على كافة الأصعدة، لكي تُرسِّخ من وجودها، وتضاعف من سطوتها، ولكي تفرض الصمت ـ بالقهر ـ على كل مخالفيها، في العالم الغربي (الحر)، ثم لابتزاز الدول الغربية، وفي مقدمتها ألمانيا، حيث تمتص من ثروات المواطن الألماني سنويًّا ما لا يقل عن مليون مارك، على هيئة مساعدات وتعويضات عسكرية واقتصادية، كان آخرها تمويل بناء ثلاث غواصات نووية، تقدر كلفتها بـ(٣٠٠) مليون دولار، تمكنت إسرائيل ـ حسب تحليل صحيفة «هآرتس» الصهيونية (٤/ ٤/ ١٩٩٩) «من إعادة انتشارها الاستراتيجي بالشرق الأوسط».

كذلك ففي مثل هذه الأيام من العام الماضي وافقت الحكومة الألمانية بالاشتراك مع العديد من الشركات الألمانية العملاقة ـ مثل: دايملر، كرايسلر، البنك الألماني، فولكسفاجن، بي. إم. دبليو، وغيرها ـ على تأسيس «صندوق تعويضات» لضحايا النازية برأسمال قيمته (١,٧) بليون

دولار، بشكل مبدئي، غير أن المنظمات اليهودية ـ مدعومة من حكومتي إسرائيل وواشنطن ـ لم توافق على هذا الاقتراح، على أساس أن «التعويضات غير كافية وغير عادلة!!» واشترطوا أن يكون في حدود (٢٠) بليون دولار! (صحيفة الحياة: ٥/٩/١٩٩٩م)، وهو أمر شديد الدلالة، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار موقف هذه الدول من التعويضات المشروعة للشعب الفلسطيني الذي هُجِّر بقوة السلاح من بلده، ولضحايا العدوانية العنصرية الصهيونية من مصريين ولبنانيين وعرب آخرين (الأسرى على سبيل المثال!).

من المدخل السابق نستطيع أن ندرك لماذا تستميت الحركة الصهيونية والدولة الإسرائيلية من أجل إبقاء سيف «المحرقة» معلقًا فوق رؤوس العالمين، ولماذا ترد بعدوانية لا مزيد عليها على أي مثقف حر أو أكاديمي نزيه يحاول الاقتراب من هذه المنطقة المحرمة، محاولاً توضيح الحقائق المجردة، وإزالة الالتباسات المصطنعة والافتراءات الملفقة التي تدور بشأنها، ولعل قضية المفكر الفرنسي «روجيه جارودي» هي أقرب مثال في هذا الشأن، وإن لم تكن الأمثولة الأخيرة فيه، فقد سبقه مفكرون وعلماء أحرار عديدون، أشار إليهم (د. عبد الوهاب المسيري) في دراسته القيِّمة: «الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ» دار الشروق، ١٩٩٧م، مثل المفكر الفرنسي (بول راسينيه) الذي كتب في الخمسينيات دراسة ضخمة عنوانها «أسطورة غرف الغاز»، والبروفيسور «آرثر باتس» الأستاذ بجامعة «تورث ويسترن» الذي كتب «أكذوبة القرن العشرين»، وأستاذ الأدب في جامعة ليون «روبرت فوريسون» صاحب سلسلة المقالات والكتاب الذي قدم له العالم اللغوي الشهير «نعوم تشومسكي»،

«ستاجليش» ـ قاضي «همبروج» ـ الذي كتب «أسطورة أوشفتيز»، والمؤرخ البريطاني «ديفيد إرفنج» وغيرهم من العلماء والبحاثة، الذين أكدوا بالقرائن اليقينية، والمعلومات والتحاليل العقلية انتفاء الإمكانية الموضوعية لقيام النازيين الألمان بإعدام ستة ملايين يهودي ـ كما يزعم ـ في محارق بولندا الشهيرة، دون أن ينفي هؤلاء بالطبع ـ ولا نحن أيضًا ـ جريمة النازية في حق البشر، وبعضهم من اليهود، وانطلاقًا من المبدأ الإنساني الذي صاغه (جارودي): «إن قتل إنسان واحد بريء، يهوديًّا كان أو غير يهودي، هو جريمة في حق الإنسانية بأسرها».

وتعود قصة التقرير الذي نعرض له، والذي عُرف باسم «تقرير لوشتر» إلى أوائل عام ١٩٨٨م، حيث كانت الإدارة الكندية تحاكم «أرنست زوندل»، وهو كندي من أصل ألماني بتهمة «ترويج أخبار كاذبة» عقب نشره كتيبًا بعنوان «هل قُتل ستة ملايين حقًّا؟!» ناقش خلال صفحاته حقيقة الادعاء السائد بأن النازيين أبادوا ستة ملايين يهودي خلال الحرب العالمية الثانية، في غرف إعدام الغاز التي استخدم فيها ـ بشكل أساسي ـ غاز «سيانيد الهيدروجين» (غاز زيكلون ب)، الذي يغلي عند درجة (٢٥,٧) مئوية، وهو قابل للذوبان في الماء، يميل لونه للإزرقاق الخفيف، وهو غاز شديد الخطورة والسمية، يتحلل بعنف مع الحرارة أو القلويات أو الماء، وما أن يبدأ التفاعل لا يمكن السيطرة عليه، حيث يتفاعل ذاتيًّا وينفجر، ويتم تحضيره من الاختلاط الكيماوي لسيانيد الصوديوم، مع حمض الكبرتيك المخفف، حيث يعد من أقوى وأخطر المطهرات الغازية، وتستخدم نسب محسوبة منه، تحت احتياطات مشددة، لمكافحة الأمراض الخطرة كالطاعون والتايفويد بالقضاء على الفئران

والبراغيث والقمل، ويتم هذا الإجراء داخل مبانٍ أنشئت خصيصًا لهذا الغرض، تخضع لشروط أمن محكم تفاديًا لمخاطر انتشاره وتسربه الشديدة على كل الكائنات الحية.

وفي ثنايا محاكمة «أرنست زوندل» طلب محاميه من المهندس الأمريكي (فريد أ. لوشتر) الخبير في تصميم وإنشاء معدات الإعدام المستخدمة في سجون الولايات المتحدة، بالمساعدة في استجلاء معالم الحقيقة، وعلى إثر ذلك، قام (لوشتر) بصحبة فريق من المعاونين والمترجمين والمصورين السينمائيين بالسفر إلى بولندا، حيث زاروا مواقع أفران الغاز المزعومة وتفقدوها بعناية، كما تم لهم الاطلاع على الرسوم الهندسية الإنسانية لها، وعلى سجلاتها التاريخية (خاصة في الفترة التاريخية محل التحقيق)، كما عاينوا ما وصفت بـ«غرف الغاز» الشهيرة، وحصلوا على عينات منها لتحليلها، كذلك تم لهم دراسة الصور الملتقطة لهذه المعسكرات، من الجو، أثناء الحرب العالمية والرجوع إلى كافة ما أمكن توفيره من وثائق ومراجع ضرورية.

وبعد الدرس والتمحيص، صاغ المهندس (لوشتر) تقريره القنبلة، الذي احتوى مجمل آرائه المبنية على الفحص العلمي المحايد لمعسكرات الاعتقال الرئيسة في بولندا، والتي دارت حولها أسطورة «الهولوكست»، وهي معسكرات «أوشفيتز»، و«بركناو» و«ميدانك»، وملحقاتها من عنابر حرق الجثث وما يشاع عنها غرف إعدام الغاز، وأثبت الباحث في تقريره أنه بعد أن أتم فحص منشآت المعسكرات، وقام بعمل قياسات فنية والحصول علي عينات طب شرعي، ودراسة كل ما كتب عن تصميم المنشآت، وعن غاز «زيكلون ـ ب»، وكذلك الرسوم الأصلية لعنابر

حرق الجثث، قد توصل ـ عن يقين ـ إلى نتيجة حاسمة، مفادها أن كاتب هذا التقرير «لا يجد أي دليل على أن المنشآت التي يُدّعى أنها غرف إعدام قد أنشئت لاستخدامها في مثل هذا الغرض، ويخلص «علاوة على ذلك ـ إلى أنه بسبب تصميم وإنشاء تلك المنشآت، لا يمكن أن تكون قد استخدمت ـ على الإطلاق ـ لغرف إعدام بالغاز!

فغرف الإعدام بالغاز لها مواصفات محكمة لا يمكن بأي حال التهاون فيها، وإلا سببت موت كل المقيمين في محيطها بما فيهم القائمين على شئونها، خاصة وأن الفحوصات السابقة كانت قد رصدت اهتراء فتحات التهوية والأبواب، الأمر الذي يقطع بعدم صلاحية الغرف لهذه الغاية.

ويخلص التقرير بتسجيل «الرأي الهندسي» النهائي، فيقول: «إن أيًّا من المنشآت التي تم فحصها لم تُستخدم على الإطلاق في إعدام البشر، وإن عنابر حرق الجثث لم يكن في طاقتها على الإطلاق إنجاز حجم العمل الذي يُنسب إليها». إنها أدلة ـ على حد وصف المهندس «لوشتر» ـ «صارخة» والرأي العلمي والثابت لمؤلف هذا التقرير ـ كما جاء في خلاصته ـ هو أن «غرف الإعدام بالغاز المزعومة في المواقع محل الفحص لم تُستخدم، ولا يمكن استخدامها إطلاقًا، أو التفكير في استخدامها كغرف للإعدام بالغاز!».

انتهى تقرير «لوشتر» الصارم الكاشف، الذي عرَّى ـ الحقائق «العنيدة» واحدة من أكبر أكاذيب التاريخ وفضح أبعادها، ومع هذا لم تُبرِّئ المحكمة (أرنست زوندل) المتهم الذي وصفه (د. روبرت فورسيون) بـ«الرجل العبقري الذي يمزج بين العقل الحاد والتفهم الكامل للناس

والمواقف»، والذي «ضحَّى بكل شيء مقابل الوصول إلى الحقيقة والدقة التاريخية».

وأثبتت وقائع محاكمته المحزنة أن هناك فارقًا كبيرًا بين «الحقيقة التاريخية» و«الحقيقة السياسية».. فالأولى لا يمكن تزييفها مهما مرَّ عليها من عمر، وجرى في مواجهتها من مؤامرات، أما الثانية فهي خاضعة لأهواء المتحكمين وأغراض المتكسبين. وبرغم كل ما تقدم، فقد خرج «أرنست زوندل» منتصرًا، كما يؤكد (د. فورسيون) سيشار إليه ذات يوم باعتباره «المناضل السلمي الذي حقق انتصاره بقوة العقل والإقناع» ا.هـ.

إن «المحرقة» مشكلة ذات أبعاد هائلة، إلا أن هذا العملاق عملاق على أقدام من طين (د. أرثر بتس).

* «الدعاية اليهودية إلى أين تقودنا؟ ولماذا تكذب علينا؟».

«نشرت جريدة «المدينة المنورة» في عددها (٤٨٤٣) في ١٢ ربيع الثاني ١٤٠٠ هجرية ما جاء في جريدة «سيوتلايت» الأمريكية، بعنوان (الدعاية اليهودية إلى أين تقودنا، ولماذا تكذب علينا؟) حول الكذبة الكبرى التي صنعها اليهود وروّجوها، التي تزعم أن هتلر قتل ستة ملايين يهودي.

لقد استخدم اليهود هذه الكذبة الكبرى على نطاق أوسع جدًّا في تحقيق الأغراض التالية:

١ ـ إقامة دولة يهودية في فلسطين.

٢ ـ هجرة اليهود إلى أمريكا.

٣ ـ الحصول على تعويضات ضخمة من ألمانيا الغربية لإسرائيل.

٤ ـ إيهام كل من يهاجم اليهود بالعداء للسامية.

٥ ـ تصلُّب اليهود وتشدّدهم، ورفعهم شعار «لن تتكرَّر أبدًا».

٦ ـ نشر كتب وإصدار أفلام بدون انقطاع عن هذا التعذيب.

وبمناسبة إصدار فيلم «هولو كاست» أحد الأفلام التي تصدر عن قصة اليهود مع «هتلر» تساءلت جريدة «سبوتلايت» في مقال مطوَّل:

١ ـ هل حقيقةً قَتَلَ هتلر ستة ملايين يهودي؟

٢ ـ هل مات كلّ ضحايا عنابر الغاز؟

٣ ـ من الذي يقف وراء الأفلام والكتب التي تروِّج لهذه الكذبة الكبيرة؟

وتفنِّد الجريدة هذه الكذبة اليهودية، فتقول:

يوجد كثيرون يعيشون اليوم، قيل: إن (هتلر) قد قتلهم في عنابر الغاز.

وتذكر ما حقَّقه كبار أساتذة التاريخ من أن هذه الإشاعة اليهودية كاذبة.

ففي مقال كتبه البروفيسور «فوريسون» أستاذ التاريخ بإحدى جامعات فرنسا، قال: إنَّ أكبر كذبة، هي أنَّ (هتلر) قد أحرق ستة ملايين يهودي، وأنَّ الوقت قد حان ليعرف العالم أنَّ قصَّة الستة ملايين يهودي كانوا ضحيَّة (هتلر) ليست حقيقيَّة، وأضاف أنَّه لا يدافع عن (هتلر) ولا يقول: إنه لم يقتل أو يعذِّب اليهود، لكن الموضوع وضع في شكل مبالغ فيه جدًّا.

ولمَّا كتب مقالاً حول هذا الموضوع ونشره في جريدة «لي موند» الفرنسية، انتقده عدد من اليهود، ووجَّه اليهود له تهديدًا بالقتل.

وذكرت جريدة «سبوتلايت» أنَّ من الضحايا التي ذكرت في قوائم

الستة ملايين المسز (سيمون فيل) مع أنَّها رئيسة البرلمان الأوروبي، وهي فرنسية يهودية، وكانت من قادة الحركة النسائية في فرنسا، ووصلت إلى منصب وزيرة صحة في فرنسا قبل أن تتقلد منصب رئيسة البرلمان الأوروبّي، فهي قتيلة من ضحايا هتلر في القوائم، وحيَّة ترزق في الواقع إلى غير ذلك من أمثلة ووقائع ذكرتها التحقيقات.

ب ـ نشرت جريدة «الشرق الأوسط» في عددها (٢١٤٣) الصادر في ١٥/ ١/ ١٤٠٥هـ و١٠/ ١٠/ ١٩٨٤م ما يلي:

نيويورك ـ كونا: اتهم زعيم يهودي بارز القيادة الصهيونية في إسرائيل باستخدام «الرشوة والابتزاز» للحصول على أموال من الشعب الأمريكي...

وحذَّر من أنَّ السياسة الإسرائيلية الحالية ستقود إلى «موجة رهيبة من المشاعر المعادية لليهود» في الولايات المتحدة.

وأبلغ «هارفيف شايبر» الذي يقول: إنَّه فسخ ارتباطه مع إسرائيل، والصهيونية، بعد قيام إسرائيل مؤتمرًا صحفيًّا، قائلاً:

إنَّ القيادة الصهيونية تستخدم المحرقة كأداة عاطفية للضغط على حكومة الولايات المتحدة، والمنظمات اليهودية، لإعطائهم البلايين من الدولارات، حتَّى يكون بإمكانهم شنَّ حرب ضدَّ العرب، لا سيما العرب الفلسطينيون.

و(شايبر) هذا هو رئيس لجنة دولة الأرض المقدَّسة، وقد حضر المؤتمر الحاخام (المر بيرغر) وشخصيّات يهودية بارزة أخرى.

وقال (شايبر) في هذا المؤتمر:

«إنَّ المسئولين عن عمليات الإبادة في معسكرات الاعتقال إبَّان الحرب

العالمية الثانية، لم يكونوا الألمان، بل: اليهود أنفسهم.

وقال: لقد أبيد معظم أفراد عائلتي في المعسكرات، نصفُهم على أيدي يهود، والنصف الآخر على أيدي يهود متعاونين مع النازيين، كانوا يسمُّون أنفسهم (جودنيرات) أو المجلس اليهودي».

ج ـ نشرت جريدة «الشرق الأوسط» في عددها (٢٠٩٨) الصادر في يوم الأحد ٢٩ من ذي القعدة ١٤٠٤هـ و٢٦/٨/١٩٨٤م ما يلي:

في حديث خاص لـ «الشرق الأوسط» أكد «توم مارسيلوس» رئيس «مؤسسة مراجعة التاريخ» بمدينة «تورانس» في ولاية «كاليفورنيا» الأمريكية أنه في ٤ تموز يوليو تعرض مبنى المؤسسة لحريق غامض أدى إلى تدمير الآلاف من المجلدات والمخطوطات الثمينة، التي تزيد قيمتها على نصف مليون دولار.

وحاولت شرطة مدينة «تورانس» اعتبار الحادث بأنه نتيجة لإلقاء قنبلة مولوتوف ألقيت من الباب الخلفي، ولكن المسؤولين في المؤسسة كذبوا رواية الشرطة، وقالوا: إن المبنى كان محصنًا، ولا بد أن مجموعة كبيرة كسرت الباب الرئيسي، ودخلت المخزن الخلفي، وأشعلت النار في محتوياته، مستخدمة قاذفات اللَّهب.

وأضاف «مارسيلوس» أن المؤسسة كانت رصدت مبلغ خمسين ألف دولار، مكافأة لمن يثبت دعوى استخدام غرف الغاز لقتل اليهود في «معسكر أوسفتش» النازي، وأن المنظمات اليهودية قد انتقدت هذا الإجراء.

وقال: إن جريمتنا كانت أننا نطقنا بالحقيقة، وكان هذا عقابنا، فلقد أثار ذلك حفيظة المنظمات اليهودية، لأن مجرد اكتشاف أن إبادة

اليهود لم يكن إلا مجرد خدعة مزيفة سيقلب الأمور رأسًا على عقب، كما سينهي قضية الشعور بالذنب تجاه اليهود التي تستغلها هذه المنظمات لكسب الدَّعم والتأييد لإسرائيل.

وذكر أن كثيرًا من العاملين في المؤسسة قد تعرَّضوا للتهديد بالقتل، وأن المؤسسة ذاتها تعرضت لتظاهرات أمامها، كان المتظاهرون يحملون أعلام إسرائيل، ويهتفون بتهديدات بالقتل للباحثين والعلماء الذين يعملون فيها، وتعرضت أيضًا لثلاث عمليات تخريبية خلال عامي ١٩٨١م و ١٩٨٢م.

ويؤكد خبراء وعلماء المؤسسة أنهم توصلوا إلى ما يثبت أن نظرية «الهولوكوست» نظريَّة خاطئة، تستخدمها الحركة الصهيونية للادعاء بأن ستة ملايين يهودي قد تعرَّضوا للفناء في غرف الغاز النازيَّة.

ويقولون: إنَّ عدد اليهود الذين عاشوا تحت سيطرة النازيين خلال سنوات حكم الرايخ الثالث، لم يتجاوز ثلاثة ملايين ونصف المليون، وذلك طبقًا لسجلات إحصائية جمعوها من الحكومات المختلفة، لأقليّات عاشت في أوروبا خلال تلك المدَّة.

ويقولون: إنَّ اعترافات الضباط الألمان في محاكمات «نورمبرج» حول الجرائم ضدّ اليهود، تمَّ الحصول عليها تحت التهديد بالقتل، كما أدلى بمعظمها موظفون لم يكونوا في معسكرات الاعتقال أصلاً.

وجاء في هذا التحقيق الصحفي أنَّ كثيرًا من الباحثين العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع بالبحث والمراجعة قد تعرَّضوا لتهديدات من منظمات يهوديَّة، وتشويه لسمعتهم»[1].

---

(١) «مكايد يهودية عبر التاريخ» ص(٣٩٤ ـ ٣٩٨).

* إحقاقاً للحق:

«بعد نشوب الحرب العالمية ووقوف اليهود في جميع أنحاء العالم ضد ألمانيا، وبعد أن سال دم الجنود الألمان في ساحات القتال، فقد ثار عداء الألمان بشكل عنيف ـ ضد اليهود ـ لا سيما وأن اليهود أصبحوا بموقفهم هذا بمثابة الأعداء المشتركين في الحرب ضد ألمانيا، فكان من الطبيعي أن تحاربهم ألمانيا، وأن يذهب البعض منهم ضحايا.. كما فقدت جميع الأمم المشتركة في الحرب ضحايا من أبنائها بل إن عدد الضحايا من كل من الروس والإنجليز والأمريكيين والألمان أنفسهم بلغ العديد من الملايين.

وزعماء اليهودية العالمية هم الذين قادوا اليهود إلى هذا الموقف السيئ وهم عليمون بذلك.

لقد فعل هتلر أقصى ما يمكنه أملاً منه في الوصول إلى عقد صلح مع لندن ينتهي به التوتر مع بريطانيا حتى لا يخوض الحرب، وذلك في فترة وجود تشامبرلين على رأس الحكومة البريطانية، واشتدت حملة الدعاية والتشهير ضد تشامبرلين التي قادها المرابون اليهود حتى اضطروه إلى الاستقالة، وفي اليوم الذي صعد في ونستون تشرشل إلى الحكم أي (١١ مايو ١٩٤٠) أصدر أمره إلى الطائرات البريطانية بالإغارة على المدن الألمانية للمرة الأولى فاتحًا بذلك الباب لقصف السكان المدنيين في المدن وفي العالم كله!، وأودع تشرشل جميع خصومه السياسين السجون لفترات غير محدودة، وقد اعتبر من خصومه كل من يُعرف بعدائه لليهودية العالمية أو للصهيونية، وكل من حاول منع وقوع الحرب. ولم يخمد صوت قائدٍ كالأميرال دومفيل فلم يكد يخرج من سجنه حتى نشر

كتابه الشهير (من أميرال إلى البحار الناشئ) الذي كشف فيه سر الأحداث التي قادت إلى الحرب العالمية الثانية، وتبعه الكولونيك رامزي فألف كتابه (حرب دون اسم)، وتمكن هذان الكتابان بالرغم من اختفائهم من الأسواق من فضح بعض أسرار المؤامرة الصهيونية للرأي العام الإنجليزي والأوربي[1].

(٥٩) طرد اليهود من أوروبا لفسادهم:

لفساد اليهود وفضائحهم في الاحتيال والرشوة والربا طُرِدوا من أوربا؛

- ففي عام ١٢٥٣م طردوا جميعًا من الأراضي الفرنسية لمخالفتهم لقوانين البلاد.
- ثم بدأ الجلاء الكبير من أوربا إذ طردتهم إنجلترا في عهد الملك إدوارد الأول.
- وفي عام ١٣٠٦م طردتهم فرنسا مرة ثانية وبصورة كاملة.
- وتبعتها سكسونيا إحدى الدول الجرمانية عام ١٣٤٨م فطردت يهودها أيضًا.
- ثم هنغاريا في عام ١٣٦٠م.
- وبلجيكا عام ١٣٧٠م.
- وسلوفاكيا عام ١٣٨٠م.
- والنمسا عام ١٤٢٠م.
- وهولندة عام ١٤٤٤م.

---

(١) انظر: «اليهود وراء كل جريمة» ص(٢٣٤ ـ ٢٤٣).

ـ وأخيراً أسبانيا عام ١٤٩٢م»[١] .

«تقول الموسوعة البريطانية ص(٥٧) المجلد الثالث عشر طبعة عام ١٩٤٧ عن موضوع اليهود في أسبانيا: «كان القرن الرابع عشر العصر الذهبي لليهود في أسبانيا، ولكن خطابات أحد قسس مدينة أشبيلية المدعو فرناندو مارتينز أدت في عام ١٣٩١ إلى قيام أول مجزرة عامة لليهود الذين كانوا محسودين لثرائهم، ومحط كره الجميع لأنهم كانوا متعهدي جمع الضرائب».

وكان المتعهدون اليهود المذكورون يشترون من الحكومة حق جباية الضرائب من الشعب في القرون الوسطى لقاء مبلغ معين ثابت يدفعونه سلفًا. فتوضع السلطات العامة في خدمتهم، ويمنحون حق التنكيل والتعذيب وزجّ المواطنين في السجون ومصادرة أموالهم لقاء جمع المبالغ التي يعينون مقاديرها حسب أهوائهم.

واستغل اليهود هذا الوضع أبشع استغلال واستعملوا من القسوة والوحشية ما يندى لها جبين الإنسانية.

وقصة «أوقية اللحم» خير شاهد: وهي أن يقتطع المرابي اليهودي من لحم مَدينه أوقية.. يقطعها من جسمه وهو حيّ فملأ هذا الإجراء أفئدة السكان حقدًا وغضبًا عارمًا على اليهود»[٢] .

❑ واستمرت العاصفة في أوربا ضد اليهود.. وفي عام ١٤٩٥م طردتهم ليتوانيا من أراضيها.

❑ ثم البرتغال في عام ١٤٩٨م.

---

(١) «اليهود وراء كل جريمة» ص(٦٤ ـ ٦٥).

(٢) المصدر السابق ص(٦٧).

ثم إيطاليا في عام ١٥٤٠م.

ثم باغلويا عام ١٥٥١م[١].

وتسلل اليهود عائدين إلى الأقطار التي كانوا قد طُردوا منها. فقد عاد اليهود إلى إنجلترا عام ١٦٠٠م، وإلى هنغاريا عام ١٥٠٠م، ولكنهم طُردوا منها ثانية عام ١٨٥٢م، وعادوا إلى سلوفاكيا عام ١٦٩٢م ولكنهم طردوا منها ثانية أيضًا عام ١٧٤٤م، وعادوا إلى ليتوانيا عام ١٧٠٠م[٢].

(٦٠) اليهود والجمعيات السرية الهدّامة:

يعتمد اليهود شياطين الإنس على الجمعيات السرية والحركات الهدّامة في بلوغ مآربهم، وهم ينشئون هذه الجمعيات بأنفسهم، أو يوعزون بإنشائها إلى عملائهم، أو يجدونها قائمة فيندسون فيها ليصلوا إلى مآربهم، ولينفثوا فيها سمومهم ولا تكاد توجد في العالم جمعية ذات أسرار إلا واليهود خلفها، كالقرامطة، وكانوا خلف عشرات الجمعيات التي أنشئت منذ قرون في أوربا ضد النصرانية:

كجمعية «فرسان المعبد»، وجمعية «القداس الأسود»، وجمعية «الصليب الوردي»، وجمعية «البناء الحر» التي تُسمّى بالماسونية[٣].

وهذه الجمعيات السرية اليهودية تتطور بتطور العصور وتتزايد بتزايد الأيام، ومن الجمعيات السرية: أندية الروتاري، والأنرهويل، والروتراكت والليونز، إلخ. وذلك فضلاً عن اختلاط الأنساب والصلات

---

(١) المصدر السابق ص(٦٧).

(٢) المصدر السابق ص(٧١).

(٣) «بنو إسرائيل في القرآن والسنة» ص(٦٠٦، ٦٠٧).

المحرمة بين الصهيونية والصليبية التبشيرية، والشيوعية، والرأسمالية، العلمانية، والبهائية، والقاديانية، والإبراهيمية، ودعاة السلام العالمي، وتوحيد الأديان واللغات وغيرهم[١].

وإذا افتضح أي أسلوب لتلك الجمعيات السرية بحثوا عن ثوب جديد يسترون به سوآتهم وحقدهم وخبثهم ومكرهم للأديان، يدّعون كسر الحواجز العقدية كلها بين البشر، فاخترعت أندية «شهود يهوه» و«بناي بريث»، و«مدارس الإليانس»، و«مدارس سان جورج»، و«التسلح الخلقي»، و«الاتحاد والترقي»، و«اليوجا»، و«المتفائلات»، و«محفل الفاهمين»، و«السورو بتسمت» وغير ذلك مما تعرفه حكومات الشرق والغرب[٢].

«والذي يجب أن نعرفه أن وجود ناد واحد من هذه الأندية في بلادنا يحدد بوضوح وجلاء ملامح علاقة أعضاء هذه الأندية بالنشاط الدولي والخفي للصهيونية العالمية، وإن خفي ذلك على «عميانا» فلن يخفى على ذوي الأنوف السليمة»[٣].

(٦١) اليهود وتحريفهم النصرانية على يد بولس «شاؤول» اليهودي:

بولس ويحتل من النصرانية الصدارة، وهو الذي حرّف النصرانية

---

(١) «الروتاري في قفص الاتهام» لأبي إسلام أحمد عبد اللّه ص(١٦) ـ بتصرف ـ طبع دار الاعتصام.

(٢) المصدر السابق ص(١٥٩).

(٣) المصدر السابق ص(٢٢٣).

عن أصولها الربانية الصحيحة التي أنزلها اللَّه على عبده المسيح عيسى ابن مريم.

كان هذا الرجل يهوديًا طرسوسيًّا أو رومانيًّا من الفريسيين، وكان اسمه «شاؤول» ولم ير عيسى ـ عليه السلام ـ ولا سمعه يدعو الناس ويبشر بدين اللَّه مع أنه قد أدرك زمانه.

قالوا: وكان في أول عهده من أكبر أعداء النصارى الذين آمنوا بعيسى وصدّقوه واتبعوه، حتى أنزل بهم ألوانًا من الاضطهاد والقتل والتعذيب، وبعد أن رفع اللَّه عيسى بمدة أعلن بشكل مفاجئ دخوله في النصرانية، وادّعى هذا الكذّاب الأشر أن يسوع «عيسى» بنوره العظيم هبط عليه عندما كان قريبًا من دمشق، وقال له: لماذا تضطهدني؟! فقال بولس وهو مرتعد ومتحيِّر: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له: قم وكرِّز[1] بالمسيحية. ومن ذلك الحين نشط بالدعوة إلى النصرانية المحرّفة معلنًا أن عيسى هو ابن اللَّه.

وصار هذا اليهودي أحد الرسل السبعين الذين نزل عليهم روح القدس في اعتقاد النصارى الكذابين بعد رفع المسيح، وأُلهموا التبشير بالنصرانية، ويسمى النصارى هؤلاء السبعين رسلاً: أي: رسلاً للتبشير بالنصرانية في الأقطار.

وتفاقم تأثير «بولس» حتى صار معلّمًا لمرقص أحد كتّاب الأناجيل الأربعة، إذ لازمه ملازمة التلميذ لأستاذه، كما صار معلّمًا لـ«لوقا» أحد كتاب الأناجيل الأربعة أيضًا، وكان «لوقا» التلميذ الحبيب

---

(١) كرِّز: أي: عظ الناس وادعهم إليها.

والرفيق الملازم لبولس.

▫ يقول «لوقا» في ختام حكايته لقصة أستاذه «بولس» وكيف هبط عليه يسوع: «وللوقت جعل يكرِّز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن اللَّه، وهذه الفكرة لم تكن قد عُرفت من قبل.

ولما اجتمع في عام ٣٢٥ ميلادية «مجمع نيقية» الذي اجتمع فيه ثمانية وأربعون ألفًا من البطارقة والأساقفة، وكانوا مختلفين في الآراء، وحمل الإمبراطور الروماني قسطنطين النصارى في زمانه على القول بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول[1] وشرّد أصحاب سائر المذاهب.

▫ إن فكرة الصلب وسفك الدم والفداء نظرية بوليسية أقحمها بولس في نصرانية المسيح الحقة، فلقد تأثرت الأناجيل التي كُتِب أقدمها وهو إنجيل مرقس بعد أن أنهى بولس كتابة رسائله بأكثر من ١٥ سنة بنظرية سفك دم المسيح عن كثيرين، تلك التي روّج لها بولس وجعلها إنجيله الوحيد الذي يبشر به فهو يقول في رسالته إلى أهل كورنثوس: «إنني لم أعزم أن أعرف شيئًا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبًا» (٢: ٢).

▫ «لقد دخل بولس المسيحية وفق رواية خطؤها واضح تمامًا، ففي الإصحاح (٩) إن المسافرين مع بولس سمعوا الصوت ولم ينظروا النور، وفي الإصحاح (٢٢) عكس ذلك تمامًا: نظروا النور ولم يسمعوا الصوت، فبداية دخول بولس إلى المسيحية قصة مشكوك فيها تمامًا[2].

---

(١) راجع «محاضرات في النصرانية» للشيخ محمد أبو زهرة.

(٢) «مناظرة بين الإسلام والنصرانية» ص(١٥٢ ـ ١٥٣) ـ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

❑ «إن نصرانية بولس تقوم أساسًا على فكرة الإله المخلِّص المقتول، ولقد كانت الديانات التي شاعت في العالم الروماني في ذلك الوقت مثل ديانات إيزيس، ومثيرا، وسيبل تقوم على نفس الفكرة، ولهذا يقول مؤرخو الديانات إن التشابه ملحوظ بين المسيحية وتلك الديانات»[1] .

❑ يقول الدكتور محمد جميل غازي: «إن المسألة أصبحت من الوضوح بحيث لابد من الإقرار بأن تسمى الديانة «المسيحية» الديانة البولسية. فهي تُنسَب بحق لبولس، وليس للمسيح ـ عليه السلام ـ . كذلك من المفيد معرفة أن الفاتيكان يعترف بموقف بولس من المسيحية وعدم حرصه عليها. فقد جاء في كتاب نشره الفاتيكان سنة ١٩٦٨ بعنوان «المسيحية عقيدة وعمل» ما يلي في صفحة (٥٠).

❑ «كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع. إن هذا الإقرار الخطير يتفق وكل ما قاله اللواء أحمد عبد الوهاب عن بولس والمسيحية.

❑ يقول الأستاذ إبراهيم خليل أحمد: «إن النص الذي تكلم عن أكل جسد المسيح، وشرب دمه إنما هو نص مقتبس من المصادر الوثنية. . . وأنا كقسيس سابق لا أقدر أن أتصور أن كسر لقمة وإعطائها لأخ ـ في العقيدة ـ يضعها تحت أسنانه تتحول إلى جسد المسيح، ويشعر أن لحمًا تحت أسنانه. . !

❑ ما أريد قوله هو بيان كيف استطاع بولس إفساد المسيحية لقد قال المسيح: «ما جئت لأنقض شريعة موسى». . فكيف يأتي بولس بعد هذا

---

(١) المصدر السابق ص(١٥٦).

ليُبطل الختان»[١].

وبالنسبة للطلاق نجد شريعة موسى تسمح بالطلاق كما في سفر التثنية، لكن بولس يعمل على إشاعة الفاحشة بين الناس، فإذا كانت المرأة على خلاف مع زوجها فإنه يأمرها بعدم الطلاق[٢]، ثم يعترف بولس بخطاياه الجسدية التي عجز عن الفكاك منها والتي جعلته واحداً من سبايا الخطيئة، ولقد أثبت باعترافه هذا دون أن يدري أن الزعم بصلب المسيح وقتله، الذي عاش بولس يفلسفه ويدعو له، قد ذهب سدى، لا زال بولس باعترافه عبداً للخطيئة، وثمنها عنده موته الأبدي[٣]. (انظر رومية ٧: ١٤ ـ ٢٤).

(١) المصدر السابق ص(١٦٠، ١٦١).
(٢) المصدر السابق ص(١٦٢).
(٣) المصدر السابق ص(١٦٣).

فهرس الموضوعات

الموضـــوع — الصفحة

فلسطين في ظل انتداب بريطانيا الخائنة عدوة المسلمين ٥ ـ ٣١
* فلسطين في ظل انتداب بريطانيا ٧
* طردوهم من بلادهم فلماذا أتوا بنفايات البشر إلى بلادنا فلسطين؟ ٧
* وهاك تاريخ بريطانيا الأسود مع بلادنا فلسطين ٨
* تاريخ بريطانيا الأسود مع فلسطين ١١
* الإنكليز يسلّحون العصابات اليهودية لمعاونتهم في وأد أية مقاومة فلسطينية ١٢
* ماذا فعلت بريطانيا مع الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٢٩م ١٣
* الفلسطينيون يواصلون جهادهم وبريطانيا تواصل تنفيذ المؤامرة. ١٦
* إجهاض بريطانيا للانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٣م ٢٠
* الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٥م وموقف الإنجليز منها ٢١
* لجنة جون ودهيد في ٢٧ إبريل سنة ١٩٣٨م ٢٦
* حرص حزب العمال البريطاني على تهويد فلسطين ٢٩
* خيانة الأمم المتحدة ٣١
جهاد شعب فلسطين وذكر الأبطال الميامين ٣٣ ـ ١٦٣
* جهاد شعب فلسطين وذكر الأبطال الميامين ٣٥
* أحمد الجزّار والي عكا ينحر الفرنسيين أمام أسوار عكا ٣٥
* جهاد فلسطين في العصر الحديث وبطولات على أرض الإسراء ٣٦
* ثورة «البراق» في ٢٣/٨/١٩٢٩م ٣٦
* الحركة الجهادية عام ١٩٣٥م وإمامها وشيخها الشيخ عز الدين القسّام ٣٩

الموضـــوع	الصفحة
* كان الإسلام يمتزج به	٤٠
* عز الدين القسّام شيخ المجاهدين بفلسطين سلفي العقيدة والمنهج	٥٠
* عملية «نهلال» ضربة موجعة في أكبر رموز الصهيونية	٥٣
* الاستعداد للجهاد	٥٤
* القسام يعلن الجهاد المقدس	٥٥
* معركة يعبد	٥٨
* إنك واللَّه اليوم أخطب منك حيًّا	٦٣
* قال القسّام:	٦٦
* الحمد للَّه الذي شرّفني باستشهاد أبي	٦٧
* هذا عز الدين فماذا قال القسّام	٧٠
* شنشنة أعرفها من أخزم	٧٠
* البحث عن قبر لعز الدين القسّام «قصيدة»	٧١
* يا بلادي ما أعظم ما تنجبين من رجال!!	٩١
* أول هجوم مسلح بعد استشهاد القسّام	٩١
* الموت للخونة	٩٢
* ثورة ١٩٣٦م قادتها من القسّاميين	٩٤
* للَّه درّك يا قسّام ودرّ تلاميذك	٩٦
* واصل شعب فلسطين جهاده لأعدائه وقد تمثّل ذلك في	٩٧
* للَّه درّك يا شعب فلسطين المسلم	٩٧
* معركة بلعا وبطولة المجاهدين	٩٨

الصفحة

الموضـــوع

* وهذي معارك أُخر فيها الزاد والعبر ٩٩
* الانتفاضة الفلسطينية تستأنف جهادها عام ١٩٣٩م ١٠٠
* تراجم قسّامية لا ينساها تاريخ الجهاد ١٠١
* الشيخ فرحان السعدي ١٠١
* البطل محمد صالح الحمد ١٠٣
* الشيخ عطية أحمد عوض ١٠٤
* الشيخ يوسف سعيد أبو درة ١٠٤
* الشيخ نمر السعدي ١٠٦
* عبد اللّه الأصبح ١٠٧
* حسين علي الزبيدي ١٠٧
* أبو إبراهيم الصغير ١٠٨
* أحمد عبد الرحمن جابر ١٠٩
* محمود خضر (أبو خضر) ١٠٩
* أبو إبراهيم الكبير ١١٠
* جهاد شعب فلسطين بعد صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧م ١١١
* معارك يافا ١١٥
* معارك حيفا ١١٧
* الشهيد عبد القادر الحسيني بطل معركة القسطل ١١٩
* معركة بني نعيم ١٢٢
* الشاعر عبد الرحيم محمود ١٢٤
* مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني المجاهد الكبير ١٢٥

الموضـــوع	الصفحة
* موسى العلي الردايدة قائد مجاهدي العبيديين	١٢٨
* معركة الدهيشة	١٢٩
* معركة رامات راحيل	١٣٠
* معركة حوسان	١٣١
* حتى لا ننسى الأبطال الجبال الميامين من أرض الإسراء فلسطين	١٣٢
* معركة الكرامة «الخميس ٢١ مارس ١٩٦٨م	١٣٤
* عبد اللّه يوسف عزّام البطل الفلسطيني والمجاهد الكبير	١٣٩
* القائد اليهودي يوسي بليد يؤدي التحية أمام جثمان الطيار المجاهد اعترافًا بشجاعته وبطولته «عملية النسر»	١٤٢
* يا حمز رجالك ما ماتوا: «عملية حائط البراق في القدس ـ منتصف أكتوبر ١٩٨٦م»	١٤٤
* الانتفاضة المباركة ١٧ ربيع الآخر ١٤٠٨هـ ـ ٨/ ١٢/ ١٩٨٧م	١٤٥
* نكتة فقهية: رمي العدو بالحجارة من الجهاد المشروع	١٤٦
* الصبية الأبابيل: أصغر مجاهد سنه تسع سنوات يا معشر المترفين	١٤٨
* عامر أبو سرحان رائد ومفجر ثورة السكاكين «عملية البقعة».	١٥٢
* بطلنا عامر سعود صالح أبو سرحان من قرية العبيدية	١٥٢
* بطل في إثر بطل	١٥٧
* البطل محمود أبو الهنود يواجه مئات اليهود بأسلحتهم	

الموضـــوع — الصفحة

وطائراتهم.. للّه در أمّ أوحدت به..... ١٥٨
* انتفاضة الأقصى وبواكير الحصاد «بداية النهاية»..... ١٥٩
* ونختم بشذا الرياحين: شيخ المجاهدين في فلسطين الشيخ أحمد ياسين..... ١٦٠
الدور البطولي للمجاهدين المتطوّعين في فلسطين ١٩٤٨م ١٦٥-٢٥٣
* الدور البطولي للمجاهدين المتطوعين في فلسطين ١٩٤٨م... ١٦٧
* من أقوال رجالات الإخوان..... ١٦٨
* معركة مستعمرة كفّار ديروم.. دروس وعبر..... ١٧٦
* نماذج فذة للشهادة في سبيل اللّه..... ١٧٨
* نموذج تطبيقي لحرب العصابات..... ١٨١
* معركة كفّار ديروم الثانية..... ١٨٤
* معركة كفّار ديروم الثالثة والتلاحم الرائع بين البطل أحمد عبد العزيز والمجاهدين من الإخوان..... ١٨٥
* البطل محمود عبده ورجاله من الإخوان المسلمين يواصلون حرب العصابات ضد اليهود بنجاح مدهش انطلاقًا من قاعدتهم في بئر سبع..... ١٨٨
* لبيب الترجمان بطل من الإخوان..... ١٨٩
* مستعمرة رامات رحيل وهزيمة منكرة على يد أحمد عبدالعزيز ورجاله..... ١٨٩
* البطل حسين حجازي «بطل تل بيوت»..... ١٩٣
* أكبر خطيئة في تاريخ الحروب قبول الجيوش العربية للهدنة

الموضـــوع	الصفحة
ليفلت مائة ألف يهودي محاصرون بالقدس من إبادة محققة...	١٩٥
* اليهود يغتنمون الهدنة ويحتلون العسلوج ويُلقنهم جند اللَّه الذين يحبون الموت درسًا.....	١٩٧
* الجيش المصري يستعين بأبطال الإخوان المسلمين لتحرير العسلوج.....	١٩٨
* محمود عبده بطل فذّ للَّه دره.....	٢٠٠
* البطل أحمد عبد العزيز مفخرة الجيش المصري والعسكرية المصرية يفاوض بعزة المسلم وفطنته.....	٢٠٣
* وسقط البطل أحمد عبد العزيز أبرز شخصية عسكرية أنجبتها المعارك على ثرى فلسطين.....	٢٠٤
* كيف قُتل الشهيد البطل أحمد عبد العزيز فخر العسكرية المصرية؟.....	٢٠٥
* للَّه درّهم.. صفحات من جهادهم.....	٢٠٧
* غدر يهودي أثناء الهدنة الأولى، وتأديب الإخوان لليهود...	٢١٢
* جهود الإخوان في إرباك مستعمرات النقب.....	٢١٤
* اشتراك الإخوان مع الجيش المصري في معركة «بيرون إسحاق».....	٢١٤
* معركة دير سنيد «ياد مردخلي» في ١٩ مايو سنة ١٩٤٨م...	٢١٥
* حصار الفالوجا وبطولة معروف الحضري.....	٢٢٣
* جزاء سنمار.....	٢٢٥

الموضـــوع — الصفحة

* فرض الهدنة الثانية في ١٨ يوليو ١٩٤٨م لإنقاذ اليهود ٢٢٦
* خطة الإخوان لإنقاذ الجيش والاحتفاظ بما بقي من فلسطين تمهيداً لمعركة التحرير ٢٢٨
* معركة «التبة ٨٦» (٢٣/١٢/١٩٤٨) وبطولات الإخوان بعد قرار حلّ جماعتهم ٢٣١
* معركة دير البلح مفخرة كبرى من مفاخر الإخوان ٢٣٦
* شهادة القادة العسكريين للأبطال من الإخوان المسلمين ٢٣٧
* الإخوان المسلمون السوريون في فلسطين ٢٣٨
* معاركنا في القدس ٢٣٨
* اشتداد المعارك بعد جلاء الإنجليز ٢٣٩
* معركة القطمون ٢٤١
* معركة الحي اليهودي في القدس القديمة ٢٤٢
* نسف الكنيس اليهودي ٢٤٥
* معركة القدس الكبرى ٢٤٦
* العودة إلى دمشق ٢٥١
* إنصاف الناس من شيم الأكرمين ٢٥٣
مذابح اليهود للمسلمين في فلسطين ٢٥٥-٣٢٢
* مذابح اليهود للمسلمين في فلسطين ٢٥٧
* مذبحة دير ياسين ٢٥٩
* مذابح أخرى ٢٦٦
* مذابح شرفات ٢٦٦

الموضـــوع	الصفحة
* مذبحة قرية بيت جالا	٢٦٦
* مجزرة قبية	٢٦٧
* مذبحة غزة	٢٦٩
* مذبحة شاطئ طبريا	٢٦٩
* مذبحة غزة الثانية	٢٦٩
* مجزرة غرندل	٢٦٩
* مذبحة حوسان	٢٦٩
* مذبحة قلقيلية	٢٧٠
* مجزرة كفر قاسم	٢٧٠
* مذابح العدوان الثلاثي	٢٧٣
* مذابح غزة وخان يونس	٢٧٣
* مجزرة رفح يرويها الناجون منها	٢٧٥
* مذابح تل الزعتر بيد الصليبيين واليهود.. فملة الكفر واحدة	٢٧٦
* جولة في تل الزعتر «قصيدة» للدكتور عدنان النحوي	٢٧٧
* مذابح «صبرا وشاتيلا» (١٦ ـ ١٨ سبتمبر ١٩٨٢)	٢٨٧
* زغردة الخيام «قصيدة» للدكتور عدنان النحوي	٢٨٩
* مجزرة المسجد الإبراهيمي ٢٦ فبراير ١٩٩٤ ـ ١٥ من رمضان	٢٩٨
* إحراق المسجد الأقصى ٢١/٨/١٩٦٩م	٣٠٠
* ما الذي أخرج الثعابين من جحورها؟	٣٠٠
* دفن الفلسطينيين أحياء، وحرقهم وهم أحياء، وإلقاؤهم من	

الموضـــوع — الصفحة

الطائرات وهم أحياء ٣٠١
* قانا.. وما أدراك ما قانا؟! ٣٠٢
* سفّاحون أولاد أفاعي وأبناء شياطين ٣٠٤
* السفّاح شارون ٣٠٤
* ويدنس المسجد الأقصى ويقتحمه ٣٠٦
* باراك قاتل أبي جهاد وألفين من الأسرى المصريين ٣٠٨
* في زهرة المدائن وفلسطين يقتلون الزهور من أطفال الحجارة ٣١٠
* وما قتل الدّرّة وأطفال انتفاضة الأقصى من الناس ببعيد ٣١١
* «مناجاة رثائية دامعة».. يا كُحل عيني يا محمد ٣١٣
* المشرد «قصيدة» ٣١٥
* سنعود «قصيدة» لأبي سلمى ٣١٧
* أرض فلسطين «قصيدة» لأبي سلمى ٣١٨
* الدم العربي المطلول «قصيدة» لأبي سلمى ٣٢٠
* درب الدموع «قصيدة» لأبي سلمى ٣٢١
اليهود.. إخوان الخنازير والقرود ٣٢٣-٥٢٦
* اليهود إخوان الخنازير والقرود ٣٢٥
(١) الإله عند اليهود: ٣٢٥
* وصفهم اللَّه بالجهل ـ تعالى اللَّه عمّا يقول اليهود علوًّا كبيرًا ٣٢٥
* نسبتهم الحزن والندم إلى اللَّه سبحانه وتعالى ٣٢٦
* قولهم: إن اللَّه يقرأ ويتعلّم التلمود ويلعب ـ تعالى اللَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا ٣٢٨

الموضـــوع	الصفحة
* ويدّعون أن اللَّه تضاءلت ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ	٣٢٩
* ويدّعون أنه ـ سبحانه وتعالى ـ «يُحقِّرُ نفسه»	٣٣٠
* ويلطم ويبكي ـ سبحانه وتعالى ـ	٣٣٠
* وينسبون إليه الخطأ والاعتراف بالذنب	٣٣٠
* ويحلف ويظلم ويُكفِّر ـ قاتلهم اللَّه	٣٣١
* بذل المجهود في إفحام لليهود للحكيم السموءل بن يحيى الحبر الذي أسلم	٣٣١
* ويزعمون أنهم رأوا اللَّه سبحانه وتعالى	٣٣٣
* وزعموا أنه صارع يعقوب، وهزمه يعقوب ـ قاتلهم اللَّه! ...	٣٣٣
* وهو يفرح وينتعش برائحة الأضاحي المحرقَة	٣٣٣
(٢) طعنهم في الأنبياء ونسبة القبائح إليهم:	٣٣٤
* كلامهم في نبي اللَّه هارون ـ عليه السلام ـ	٣٣٤
* كلامهم في خليل الرحمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ	٣٣٥
* ما افتروه على نبي اللَّه لوط ـ عليه السلام ـ	٣٣٥
* وجعلوا داود وسليمان وعيسى من نسل الزنى	٣٣٥
* ويعقوب يسرق مواش من حميه ـ قاتلهم اللَّه ـ	٣٣٦
* ويقولون إن روابين زنى بزوجة أبيه يعقوب، وأن يعقوب علم بهذا وسكت	٣٣٦
* ويهوذا ابن يعقوب المنتسبون إليه قالوا عنه إنه زنى بزوجه ابنه بعد موته!!	٣٣٦
* وداود جعلوه زانيًا ـ قاتلهم اللَّه ـ	٣٣٧

الصفحة

الموضـــوع

* وسليمان ارتد في ـ آخر عمره ـ ٣٣٧
(٣) قتل الأنبياء والصالحين على يد يهود.. أفاعيل ليست مثلها أفاعيل!! ٣٣٧
(٤) الملائكة في عقيدة اليهود يأكلون ويشربون ٣٣٨
* الملائكة في التلمود قسمان ٣٣٨
* عداوتهم لجبريل ـ عليه السلام ـ ٣٣٩
(٥) سوء أدب اليهود ٣٣٩
(٦) مكر اليهود وخداعهم ٣٤١
(٧) الحسد داء متأصل في اليهود ٣٤٣
(٨) حب المال، والجشع وعبادة الذهب فهم قوم قارون والسامري ٣٤٥
(٩) بخل اليهود وشحّهم ٣٤٧
(١٠) طلبهم من نبي اللّه موسى ـ عليه السلام ـ اتخاذ الأصنام آلهة ٣٤٨
(١١) شركهم وعبادتهم العجل واتخاذه إلهًا ٣٤٩
(١٢) قولهم عزير ابن اللّه وشركهم ٣٥٠
(١٣) نبذ اليهود لكتابهم، واتباعهم للشياطين وتعلمهم السحر، وتعليمه للناس ٣٥٢
* سحر بيد بن الأعصم اليهودي لرسول اللّه ﷺ ٣٥٢
(١٤) إيمانهم بالجبت والطاغوت ٣٥٣
(١٥) افتراؤهم الكذب على اللّه وتقوّلهم عليه ٣٥٥

الموضوع	الصفحة
(١٦) تحريفهم التوراة كلام اللَّه	٣٥٦
* واعتراف أهل الكتب بتحريف كتابهم المقدس	٣٥٧
* ما هو الكتاب المقدس؟	٣٥٧
* أمثلة من تحريف اليهود أولاد الأفاعي للتوراة	٣٦٠
* تقرّ التوراة المحرّفة عبادة الشيطان!	٣٦٠
* كذلك تقرّ التوراة المحرّفة الناس - من غير اليهود - على عبادتهم الأجرام السماوية	٣٦١
* التوراة المحرّفة تقرّ استعباد غير اليهود ليكونوا عبيداً لهم أبد الدهر	٣٦١
* تحريفهم البشارة بمحمد ﷺ خاتم النبيين	٣٦١
* حذفهم عقيدة البعث ويوم القيامة	٣٦١
* ومن التحريف: فرض على بني إسرائيل إقراض غيرهم بربا	٣٦٢
* ومن التحريف: ما ورد في قصة الطوفان، وقصة يوسف وإسحاق	٣٦٢
* ومن التحريف: الغزل الفاحش في التوراة في نشيد الإنشاد	٣٦٢
* الفحش في القول!!!	٣٦٣
(١٧) قسوة قلوب اليهود	٣٦٤
(١٨) الخيانة	٣٦٥
(١٩) لا عهد لليهود ولا ميثاق، فما من ميثاق إلا نقضوه	٣٦٦
(٢٠) هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا	٣٦٨
(٢١) يشهدون لأهل الباطل ضد أهل الحق	٣٧١
(٢٢) اليهود أهل الفسق والفجور وأتباع الشهوات وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٧٢

الصفحة

الموضوع

(٢٣) قتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس ٣٧٧
(٢٤) زعمهم أنهم أبناء اللَّه وأحباؤه ٣٧٧
(٢٥) العنصرية عندهم واحتقارهم لغيرهم ٣٧٩
(٢٦) أخذهم الربا وقد نُهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل ٣٨٤
* ابنة دايان وعبادتها للمال.. شنشنة نعرفها من يهود ٣٨٨
(٢٧) الرشوة دين يهود ٣٨٩
(٢٨) ظلمهم وصدّهم عن سبيل اللَّه ٣٩١
(٢٩) سعيهم في الأرض فسادًا وإفسادًا ٣٩١
(٣٠) اليهود وإيقاد نار الحروب ٣٩٥
* اليهود وراء الحربين العالميتين ٣٩٧
* اليهود وراء الحروب الصليبية ٤٠٠
(٣١) اليهود أشعلوا الثورة الإنجليزية ٤٠٢
(٣٢) اليهود والثورة الفرنسية ٤٠٤
* فرنسا بعد الثورة تقع في قبضة اليهود ٤٠٨
* اليهود ونابليون ٤١٠
(٣٣) اليهود وتغلغلهم في أمريكا، وإيقادهم للحرب الأهلية الأمريكية، وقتلهم للينكولن رئيس أمريكا ٤١٢
* الحرب الأهلية الأمريكية ١٨١٦ ـ ١٨٦٦ ودور المرابين اليهود فيها ٤١٣
* اليهود خلف كل جريمة ٤١٥
(٣٤) اليهود صانعوا الشيوعية ٤١٦
* اندلاع الثورة اليهودية الشيوعية الحمراء عام ١٩١٧م ٤٢٢
* الشيوعية نَبْتٌ يهودي ٤٢٥

الموضـــوع	الصفحة
* القنبلة الذرية على هيرو شيما، وناغازاكي مأساة وراءها المرابين اليهود	٤٢٧
(٣٥) اليهود واستعمال الرشوة والجنس للسيطرة على الأشخاص	٤٢٨
(٣٦) اليهود صانعوا الماسونية وهي نبت يهودي شيطاني	٤٣٠
* الروتاري واللوينز	٤٣٣
* من أقوال الماسون	٤٣٣
(٣٧) اليهود أحرص الناس على حياة	٤٣٤
(٣٨) انعدام الحياء عند اليهود	٤٣٦
(٣٩) نكران اليهود للجميل	٤٤١
(٤٠) عدم انتفاعهم بالعلم وتركهم العمل به	٤٤٢
(٤١) كتمان العلم والحق وتحريفهم له ولبسه الباطل	٤٤٥
(٤٢) التحايل على المحرمات	٤٥١
(٤٣) الطبقية في تنفيذ الأحكام	٤٥٤
(٤٤) التقليد الأعمى	٤٥٨
(٤٥) حب الظهور عند اليهود	٤٥٩
(٤٦) كذب اليهود	٤٦١
* ومن أظلم ممن افترى على اللّه الكذب: التلمود ماهو؟	٤٦٤
(٤٧) قذارة اليهود	٤٦٦
(٤٨) نفاق اليهود ورياؤهم	٤٦٧
(٤٩) الحقد والكراهية	٤٦٨
(٥٠) العتو في الأرض والتكبر والتجبر والتمرد على اللّه وقولهم أرنا اللّه جهرة	٤٦٩

الصفحة

الموضـــوع

(٥١) كفرهم بنعم اللَّه تعالى عليهم ٤٧٠
١ ـ تفضيلهم على العالمين ٤٧٠
٢ ـ تنجية بني إسرائيل وإغراق آل فرعون ٤٧١
٣ ـ إكرامهم بإكرام نبيهم موسى ـ عليه السلام ـ بموعد لمناجاة ربه، وتكليمه بالوحي بلا واسطة ٤٧١
٤ ـ إنزال التوراة على موسى ـ عليه السلام ـ وهي أكبر نعمة على بني إسرائيل ٤٧١
٥ ـ النعمة الخامسة على بني إسرائيل: هي نعمة العفو الأول عن شركهم باللَّه وعبادة بعضهم العجل ٤٧٢
٦ ـ النعمة السادسة: إحياؤهم بعدما أهلكتهم الصاعقة وهم ينظرون بسبب تمردهم ٤٧٣
٧ ـ الإنعام السابع: نعمة الإظلال بالغمام ٤٧٣
٨ ـ الإنعام الثامن: هي إنزال المن والسلوى ليتنعموا بأكلهما ويتفكهوا بلذائذهما ٤٧٣
٩ـ الإنعام التاسع: إذن اللَّه لهم بدخول بيت المقدس (القرية) وأن يأكلوا منها حيث شاءوا رغداً ٤٧٤
(١٠) الإنعام العاشر على بني إسرائيل: استسقاء موسى لهم. ٤٧٥
(٥٢) جدال اليهود لأنبيائهم وتعنتهم معهم ٤٧٦
* قمة التعنت واللجاجة في قصة البقرة ٤٧٧
(٥٣) سعيهم في خراب المساجد ٤٧٨
* اعتداء اليهود على المسجد الأقصى ٤٧٩
(٥٤) اليهود وسيطرتهم على وسائل الإعلام العالمية ٤٨٢
* اليهود وفضيحة نيكسون في ووترغيت ٤٨٥

الموضـــوع	الصفحة
* السيطرة على وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتلفاز.....	٤٨٧
* «روبرت مردوخ» البليونير اليهودي إمبراطور الإعلام في العالم.....	٤٨٨
* اليهود وتلفزيون أمريكا.....	٤٩٠
(٥٥) اليهود وصنع السياسة العالمية.....	٤٩٣
* اليهود يديرون السياسة في أمريكا منذ نشأتها.....	٤٩٦
* اليهودي «برنارد باروخ» «دزرائيلي» أمريكا ومحرك سياستها قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها.....	٤٩٧
* باروخ يحرك «مؤتمر فرساي» كما يحلو له.....	٥٠٠
* مثال آخر على تغلغل اليهود في السياسية الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي «روزفلت» في الفترة ما بين ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م.....	٥٠١
(٥٦) اليهود أكبر جواسيس العالم.....	٥٠٣
(٥٧) اليهود وهدم الروابط والأواصر الاجتماعية.....	٥٠٥
(٥٨) اليهود وهتلر: أكذوبة قتل هتلر لستة ملايين يهودي: «تقرير لوشتر» وأكذوبة وأسطورة «الهولوكست».....	٥٠٧
* «الدعاية اليهودية إلى أين تقودنا؟ ولماذا تكذب علينا؟»...	٥١٣
(٥٩) طرد اليهود من أوربا لفسادهم.....	٥١٩
(٦٠) اليهود والجمعيات السرية الهدامة.....	٥٢١
(٦١) اليهود تحريفهم النصرانية على يد بولس «شاؤول» اليهودي.....	٥٢٢
فهرس الموضوعات	٥٢٧ ـ ٥٤٥

* * *

تذكير النفس بحديث القدس

واقدساه

تأليف

الدكتور سيد حسين العفاني

الجزء الثالث

الناشر
مكتبة معاذ بن جبل
ت ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠

توزيع
دار العفاني
ت وفاكس ٠٨٢٣١٧٣٤٤

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
الطبعة الأولى

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية
مكتبة معاذ بن جبل
جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨
بني سويف ت: ٠٨٢/ ٣١٧٣٤٤

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠١ / ٢٧٢٧

٢٢
٥١٢

تذكيـــر النفـس
بحديث القدس
واقدســاه

بسم الله الرحمن الرحيم

عداوة اليهود الملاعين للنبي سيد المرسلين

عداوة اليهود الملاعين للنبي سيد المرسلين

منذ أول لحظة ظهر نور الإسلام ناصبه يهود العداء، واليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا بنص كتاب اللَّه ومن أصدق من اللَّه قيلا؟. وهم الذين قال تلمودهم:

ـ العرب.. الأمة المحتقرة.

ـ والعرب هم مرتكبوا تسعة أعشار الجرائم في العالم.

ـ و«العربي يعبد الغبار الذي يعلق بصندله»[1].

❑ وهؤلاء السفهاء من الناس معشر يهود وقفوا من رسول اللَّه ﷺ موقفًا مخزيًا مشينًا كله عار عليهم وشنار.. وهذه سطور من مواقفهم مع سيد البشر ﷺ.

(١) كفرهم بالنبي ﷺ، وجدالهم في نبوته:

لقد كان اليهود يعلمون قرب ظهور النبي ﷺ، وكانوا يستفتحون به على الأوس والخزرج وغيرهم كما قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٨٩].

❑ عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة اللَّه تعالى وهداه لنا، لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم

---

(١) «بروتوكولات حكماء صهيون» (٤/ ١٦١ ـ ١٦٢) لعجاج نويهض بتصرف.

ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يُبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث اللَّه رسول اللَّه ﷺ أجبناه حين دعانا إلى اللَّه تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به»[1].

❑ وعن معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعتبة بن وهب ـ رضي اللَّه عنهم ـ أنهم قالوا لليهود: يا معشر اليهود اتقوا اللَّه، فواللَّه إنكم لتعلمون أنه رسول اللَّه، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حرملة ووهب بن يهوذا: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل اللَّه من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيرًا ولا نذيرًا بعده، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ في قولهما: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [المائدة: ١٩].

● عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: بلغ عبد اللَّه بن سلام مقدم رسول اللَّه ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: قال: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أخبرني بهن آنفًا جبريل**»، فقال عبداللَّه:

---

(١) «سيرة ابن هشام باب إنذار يهود برسول اللَّه ﷺ» (١/ ٢١١). وقد رجّح الشيخ أحمد شاكر أن يكون الحديث موصولاً، قال: «لأن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري تابعي ثقة يحكي عن أشياخ منهم، فهم آله من الأنصار، وعلى هذا رجّحنا اتصاله» [«تفسير الطبري» بتحقيق شاكر (٢/ ٣٣)].

ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**»، قال: أشهد أنك رسول اللَّه، ثم قال: يا رسول اللَّه، إن اليهود قوم بهت، وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود، ودخل عبد اللَّه البيت، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أي رجل فيكم عبد اللَّه بن سلام؟**» فقالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أفرأيتم إنْ أسلم عبد اللَّه؟**»، قالوا: أعاذه اللَّه من ذلك، فخرج عبد اللَّه إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمداً رسول اللَّه، فقالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه»[٢].

● وعن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم، وكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: «**يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، يحطّ اللَّه عن كل يهودي تحت أديم السماء الذي كان عليه**»، قال: فما أجابه منهم أحد، ثم ردّ عليهم، فلم يجبه أحد، ثم ثلّث فلم يجبه أحد، فقال: «**أبيتم، فواللَّه إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفى، آمنتم أو كذّبتم**»، ثم انصرف وأنا معه حتى دنا أن يخرج، فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد، قال:

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٦/ ١٠٧) عن ابن عباس، ورجال إسناده ثقات.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم (٦/ ٣٦٢، ٣٦٣) برقم (٣٣٢٩)، و(٨/ ١٦٥) برقم (٤٤٨٠)، ورواه أحمد (٣/ ١٠٨)، وابن حبان في «صحيحه».

فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: لا نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب اللَّه ولا أفقه منك، ولا من أبيك من قبلك ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد: فإني أشهد له باللَّه أنه نبي اللَّه الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردّوا عليه شرًّا، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«كذبتم، لن يُقبل قولكم، أما آنفًا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذا آمن فكذبتموه، وقلتم فيه ما قلتم، فلن يُقبل قولكم»**، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول اللَّه ﷺ وأنا وعبد اللَّه بن سلام، فأنزل اللَّه: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ...** ﴾[1] {الأحقاف: ١٠}.

● وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبداللَّه ابن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ ... **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ...** ﴾[2] {الأحقاف: ١٠}. مبينًا كفر اليهود وإصرارهم على كفرهم.

* قال تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ {البقرة: ١٢٠}.

---

(١) إسناده صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» كتاب نبوة نبينا محمد ﷺ ـ باب فيما كان عند أهل الكتاب من علامات نبوته ﷺ، وأخرجه أحمد (٦/ ٢٥)، والطبري في «جامع البيان» (٢٦/ ١١)، والطبراني(١٨/ ٨٣)، والحاكم (٤/ ٤١٥)، وصححه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح: رجاله ثقات رجال مسلم غير محمد بن هارون النخعي وهو ثقة. انظر «الإحسان في تقريب صحيح بن حبان» (١٦/ ١١٨ ـ ١٢٠) رقم (٧١٦٢).

(٢) رواه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة.

* وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

* وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠].

(٢) تعنتهم في الأسئلة معه:

لقد وقف اليهود من الإسلام ونبي الإسلام ذلك الموقف العدائي المتعنّت المكشوف، وكادوا له ذلك الكيد المُبَيّت المستمر العنيد، وهذه جبلة ليست جديدة عليهم، وليست طابع هذا الجيل وحده إنهم هم هم من عهد موسى ـ عليه السلام ـ نبيهم وقائدهم ومنقذهم ـ إنهم هم هم غلظ حس، وهم هم كفرًا وغدرًا، وهم هم قحة وافتراء، وموت وجدان.

* قال تعالى: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

● عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء أناس من اليهود إلى رسول اللَّه ﷺ فقالوا: يا محمد إن موسى جاء بالألواح من عند اللَّه

فأتينا أنت بالألواح من عند اللَّه حتى نصدقك فأنزل اللَّه: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ...﴾[1].

* وقال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨].

جاء رافع بن حُرَيملة حبر اليهود - من يهود بني قينقاع - ووهب بن زيد - وهو حبر من يهود بني قريظة - إلى رسول اللَّه ﷺ، فقالا: يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجّر لنا أنهارًا نتبعك ونصدقك.

● وجاء رافع بن حُريملة إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا محمد، إن كنت رسولاً من اللَّه كما تقول، فقل للَّه فليكلمنا حتى نسمع كلامه.

* قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

● وجاء جبل بن أبي قُشير، وشَمْويل بن زيد، وهما من أحبار يهود بني قريظة إلى رسول اللَّه ﷺ فقالا: يا محمد، أخبرنا متى تقوم الساعة إن كنت نبيًّا كما تقول. وهذا تعنت وسوء أدب مع الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا

(١) «تفسير ابن جرير» (٦/ ٧).

يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(٣) جدالهم مع النبي ﷺ:

الجدل لذات الجدل طبع يهود، والمراء الذي لا يسير على منهج وإنما للهوى، جدال فيما يعلمون وفيما لا يعلمون.

* لقد جادلوا النبي ﷺ في شأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذي قال اللَّه تعالى فيه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

* وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، فجادلوه في أمره وهو سابق على وجودهم ووجود كتبهم وديانتهم.

* قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥ ـ ٦٨].

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول اللَّه ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًّا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي

﴿إِبْرَاهِيمَ...﴾ الآيات[١].

* وفي شأن المسيح ـ عليه السلام ـ:

جادلوا في شأن نبي اللَّه عيسى ـ عليه السلام ـ وقد قالوا فيه وفي أمه البتول الصديقة المطهرة ما قالوا.

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «أتى لرسول اللَّه ﷺ نفر من اليهود، فيهم أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع وأزار بن أبي أزار وأشيع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل؟ قال: «**أومن باللَّه وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**»، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بما آمن به، وما نعلم أهل دين أقل حظًّا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شرًّا من دينكم، فأنزل اللَّه فيهم[٢]: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [المائدة: ٥٩].

* وجادلوا النبي ﷺ في النسخ:

جادل اليهود النبي ﷺ في النسخ فأنكروه؛ لأنه يستلزم في زعمهم البداء، وهو الظهور بعد الخفاء، وهم يعنون بذلك أن النسخ إما أن يكون لغير حكمة، وهذا عبث محال على اللَّه، وإما أن يكون لحكمة ظهرت، ولم تكن ظاهرة من قبل، وهذا يستلزم البداء وسبق الجهل، وهو

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٢).

(٢) «تفسير ابن جرير» (٦/ ٢٩٢).

محال على اللَّه تعالى.

❑ واستدلالهم هذا فاسد؛ لأن كلاً من حكمة الناسخ وحكمة المنسوخ معلوم للَّه تعالى من قبل، فلم يتجدّد علمه بها، وهو سبحانه ينقل العباد من حكم إلى حكم لمصلحة معلومة له من قَبْل بمقتضى حكمته وتصرفه المطلق في ملكه.

واليهود أنفسهم يعترفون بأن شريعة موسى ناسخة لما قبلها، وجاء في نصوص التوراة النسخ، كتحريم كثير من الحيوان على بني إسرائيل بعد حله قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، وقال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]. وثبت في التوراة أن آدم كان يُزَوِّج من الأخت، وقد حرم اللَّه ذلك على موسى، وأن موسى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل، ثم أمرهم برفع السيف عنهم»[1].

* جدالهم معه في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام:

● عن البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان رسول اللَّه ﷺ يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان معه فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد باللَّه لقد صليت مع النبي ﷺ جهة مكة فداروا كما هم قِبَل البيت، وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان

(١) «مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان ص(٢٣٤ ـ ٢٣٥) ـ مكتبة المعارف بالرياض.

يصلي قِبَل بيت المقدس، فلما ولّى وجهه قِبَل البيت أنكروا ذلك»[١] .

* قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٢ ـ ١٤٤].

وعلّم اللَّه نبيه الرد على أقاويل اليهود، ولجاجهم الذي يقوده الهوى، وتؤرثه المصلحة، ويحدوه الغرض والكيد الناصب الذي لا يفتر، وفتنتهم للمسلمين ليل نهار، ودسائسهم وتمويههم وتضليلهم وبلبلتهم وتلبيسهم واللَّه كفيل برد مكرهم وكيدهم.

(٤) إيذاؤهم لرسول اللَّه ﷺ بالقول السيئ والخطاب القبيح:

لسوء أدب اليهود وقحتهم نالوا من رسول اللَّه ﷺ.

يقول الحكيم السَّمَوْءل الحبر اليهودي الذي أسلم: «وأما رسول اللَّه ﷺ وشرف وكرم وعظم، فله فيما بينهم اسمان فقط. فعليهم لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين: أحدهما (فاسول) وتفسيره: الساقط.

(١) أخرجه البخاري ـ كتاب الإيمان، باب الصلاة، وأحمد (١/ ٢٥٠)، والترمذي (١/ ٨٦).

والثاني: (موشكاع) وتأويله: المجنون.

وأما القرآن العظيم، فإنه يُسَمّى فيما بينهم (قالون) وهم اسم للسوءة بلسانهم. يعنون بذلك أنه عورة المسلمين وسوءتهم»[١]، لعنهم اللَّه ولعنهم اللاعنون، هم السفهاء وما بعد قول اللَّه من قول.

● عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: سلّم ناس من اليهود على رسول اللَّه ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقال: «**وعليكم**»، فقالت عائشة ـ وغضبت ـ: عليكم السام واللعنة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مهلاً يا عائشة! فإن اللَّه يحب الرفق في الأمر كله**»، فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «**بلى قد سمعت فرددت (وعليكم) وإنما نجاب ولا يجابون علينا**»[٢].

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

سوء أدب، وخسة وسيلة، وانحطاط سلوك من سفهاء اليهود الذين كانوا يميلون ألسنتهم في نطق هذا اللفظ وهم يوجهونه لسيد البشر ﷺ حتى يؤدي معنًا آخر مشتقًّا من الرعونة والحمق والخفة. فنهى اللَّه تعالى المسلمين عن استعمال هذه الكلمة.

* وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ

(١) «بذل المجهود في إفحام اليهود» ص(١٥٩).

(٢) رواه مسلم ـ كتاب السلام ـ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء: ٤٦].

تبجح والتواء في أقذر مظاهره مع الطيب الذي أدّبه ربه، وهجاء كعب بن الأشرف سفيه يهود للنبي ﷺ، وكذا سفيه اليهود أبو عفك تسود به صفحات التاريخ ونالهما به الخزي في الدارين.

(٥) استهزاؤهم بالدين وشعائره:

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٧ ـ ٥٨].

هذا قول اللَّه في يهود أفلا يغار المسلم إذا أُهين دينه، وأُهينت عبادته، واتخذ موقفه بين يدي اللَّه مادة للهزء واللعب من السفهاء الكافرين، فهم أعداء المسلمين، يعادونهم من أجل دينهم، ومن أجل ما منّ اللَّه به عليهم من استوائهم على صراط اللَّه المستقيم.

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**المؤمن يغار واللَّه أشد غَيْرًا**»[1].

رُفع إلى عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ رجل قد قتل يهوديًّا فسأله عن قصته فقال: إن فلانًا خرج غازيًا وأوصاني بامرأته، فبلغني أن يهوديًّا يختلف إليها فكمنت له حتى جاء، فجعل ينشد، ويقول:

---

(١) رواه مسلم.

وأبيضَ غـرَّه الإسـلام منـي خَلَوْت بعُرْسـه ليـلَ التمـام
أبيت على ترائبهـا ويُمسي على جـرداء لاحقـةِ الحِـزَامِ
كأن مواضـع الرَّبَـلات منـها فِئـامٌ ينظـرون إلى فئـام

فقمت إليه فقتلته، فأهدر عمر دمه.

لله در هذا الغيور ممن يغضب لمحارم اللَّه والمسلمين إذا استُحِلّت كما يغضب النمر إذا حُرب، فكيف بمن يستهزئون بدين اللَّه ومقدسات المسلمين، يطلقون الكعبة والأقصى ومكة على اسم نواديهم الليلية، وأنواع خمورهم، ودعاياتهم السياحية، أو يطبعون آيات من القرآن على أحذيتهم، وهذا الاستهزاء تكتب فيه المجلدات.

«كان إذا أذّن المؤذن وقام المسلمون إلى الصلاة قال اليهود: قاموا، لا قاموا، وكانوا يضحكون إذا ركع المسلمون وسجدوا، وقالوا في حق الأذان: لقد ابتدعت يا محمد شيئًا لم نسمع به فيما مضى من الأمم، فمن أين لك صياح مثل صياح العير؟ فما أقبحه من صوت، وما أسمجه من أمر.

وقيل: إنهم كانوا إذا أذّن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم، وتغامزوا على طريق السخف والمجون، وتجهيلاً لأهلها وتنفيراً للناس عنها، وعن الداعي إليها»[1].

وثارات لاسلامي تعايشني تُغَذِّيني
تبث النور في قلبي وتنبض في شرايني
وإسلامي له عرقي له نبضي وتكويني

(١) تفسير القرطبي (ج٦) ص(٢٤٤) ـ طبع دار الكتب.

أنا ماذا أكون أنا

بلا ربي بلا ديني

أنا ماذا أكون أنا

أجيبوني أجيبوني؟

(٦) بذر النفاق في المجتمع الإسلامي وإيجادهم المنافقين من العرب :

عمد اليهود إلى بعض حلفائهم من عرب يثرب ممن لم يدخلوا بعد في الإسلام، وإلى آخرين دخلوا فيه دون أن يتمكن الإسلام في قلوبهم، وجعلوا يوسوسون لهؤلاء وهؤلاء، وبذلك استطاع اليهود أن يكوّنوا حزبًا مستورًا من المنافقين من عرب يثرب، وصاروا يغذّونهم بعوامل النفاق التي لهم فيها باع طويل مارسوه منذ آلاف السنين في مختلف الأمم، ويؤكد ذلك خمود صوت المنافقين في المدينة بعد إجلاء اليهود عنها.

* قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

والشياطين هم يهود بجبلتهم الملتوية المؤوفة الطبع، وتسويلاتهم للمنافقين ووساوسهم التي كان يوسوسون بها إلى المنافقين بما يصدّعون به بنيان المجتمع المسلم ويوهنون قواه، ويكونون سندًا ليهود إذا ما ألّمت بهم داهية.

مثلما فعل معهم عبد اللّه بن أبيّ بن سلول لما حاصر النبي ﷺ يهود بني قينقاع ونزلوا على حكمه، فتقدّم عبد اللّه بن أبيّ بن سلول، وألحّ على الرسول أن يكفّ عنهم ويؤمّنهم، ففعل الرسول ذلك،

واكتفى بإجلائهم عن المدينة، فذهبوا إلى الشام ونزلوا بأذرعات وفيها هلكوا.

(٧) تظاهر بعض اليهود بالدخول في الإسلام نفاقًا:

اتخذ بعض أحبار اليهود في أيام النبي ﷺ من النفاق ردءًا وتعوذًا بالإسلام، وسعيًا في تفريق المسلمين من داخل صفوفهم ودسًّا على الإسلام.

وممن دخل في الإسلام نفاقًا من يهود بني قينقاع: سعيد بن حنيف، وزيد بن اللُّصيت، ونعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى، وكنانة بن صورياء، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وسلسلة بن برهام.. وكم كان لهؤلاء من دسائس وفتن كادوا بها الإسلام والمسلمين.

فهذا زيد بن اللُّصيت لما ضلّت ناقة النبي ﷺ، يحاول أن يلقي الشك في قلوب المسلمين فيقول: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟! فبلغت كلمته الخبيثة هذه رسول اللَّه ﷺ، فقال: «**إن قائلاً قال: يزعم محمدًا أنه يأتيه خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإني واللَّه ما أعلم إلا ما علّمني اللَّه، وقد دلّني اللَّه عليها، فهي في هذا الشِّعْب قد حبستها شجرة بزمامها**»، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول اللَّه ﷺ، وكما وصف[1].

(٨) الوقيعة وإشعال الفتن بين المسلمين من الأوس والخزرج:

حاول اليهود أن يوقدوا العداوة بين الأوس والخزرج بتذكير الحيّين

(١) «مكايد يهودية» ص(٥١ ـ ٥٢)، والأثر أخرجه الواقدي في المغازي (٢/ ٤٢٣) بسنده عن ابن رومان وعاصم بن عمر بن قتادة بنحوه، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٥٩) عن جابر ابن عبد اللَّه في قصة طويلة.

بيوم «بعاث» في الجاهلية لتقطيع حبل اللَّه بين المتحابين فيه، وكادوا يردون المسلمين كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، والتحذيرات القرآنية تشي بشدة ما كانت تلقاه الجماعة المسلمة من كيد اليهود في المدينة، ومن بذرهم لبذور الشقاق والبلبلة باستمرار... وهو دأب يهود في كل زمان، وفي كل مكان.

❑ عن زيد بن أسلم، قال: «مَرّ شاس بن قيس ـ وكان شيخًا قد عتا ـ كبر وأسنّ ـ في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، ـ على نفر من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة[1] بهذه البلاد، واللَّه ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابًّا من اليهود كان معه، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، وذكّرهم يوم بعاث، وما كان قبله وأنشِدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ـ وكان يوم بعاث يومًا اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ـ ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيّين على الرّكب: «أوس بن قيظي» ـ أحد بني الحارثة بن الحارث ـ من الأوس ـ و«جبار بن صخر» أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ـ ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم واللَّه رددناها الآن جذعة[2] ، وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاح

(١) أمّ الأوس والخزرج.
(٢) يريد عودة الحرب شابة فتية قوية.

السلاح، موعدكم الظاهرة ـ وهي الحرّة ـ فخرج إليهم رسول اللَّه ﷺ فيمن معه من المهاجرين من أصحابه، حتى جاءهم فقال: «**يا معشر المسلمين، اللَّه اللَّه، أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم، بعد إذ هداكم اللَّه إلى الإسلام، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا؟**»، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول اللَّه ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ اللَّه كيد عدو اللَّه «شاس بن قيس» فأنزل اللَّه في شاس بن قيس وما صنع: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ...﴾ الآية، وأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما، الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا

تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٥][1].

(٩) كيدهم للإسلام بالدخول فيه ثم الارتداد عنه:

من مكر يهود الأسود دخول بعضهم في الإسلام على سبيل النفاق، ثم الردة عنه سخطة عليه، وذلك ليصيدوا عند ردتهم بعض المسلمين فيفتنوهم عن دينهم ويرتدّوا معهم، ويحدثوا في صفوف المسلمين تصديعًا، ويقذفوا في قلوب المسلمين الشك والحيرة.

اجتمع عبد اللَّه بن ضيف، وعديّ بن زيد، وهما من يهود بني قينقاع، والحارث بن عوف، وهو من يهود بني قريظة، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية، حتى نلبّس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينهم، ففضح اللَّه سوءتهم هذه، ونزل قول اللَّه تعالى فيهم: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٢ ـ ٧٣].

(١٠) تلاعبهم بأحكام اللَّه تعالى ومحاولتهم فتنة الرسول عند تقاضيهم إليه:

وانظر إلى العرض المغري الماكر الخبيث، وانظر هل أخذه الشيطان

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٢٣، ٢٤).

منهم أم أخذوه منه؟:

اجتمع من أحبار يهود كعب بن أسد، وابن صَلُوبا، وعبد اللَّه بن صُوري، وشاس بن قيس، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فإنما هو بشر. فأتوا إلى رسول اللَّه ﷺ، فقالوا له: يا محمد، إنك قد عرفت أنّا أحبار يهود، وأشرافهم وسادتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعك يهود، ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك». . يا لقبح يهود حين يذهبون إلى النبي الأمين المعصوم، ويطلبون منه هذا، عميت بصيرتهم وقلوبهم. قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩ ـ ٥٠].

(١١) تعييرهم من أسلم منهم وضغطهم عليهم:

لما أسلم من أسلم من أحبار يهود سلّطوا عليهم ألسنتهم بالتعيير والتنقيص والشتائم، بعد أن كانوا سادتهم ووجهاءهم:

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: لما أسلم عبد اللَّه بن سلام وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من يهود فآمنوا وصدّقوا ورغبوا في الإسلام ورسخوا فيه، قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ في

ذلك من قولهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[1] {آل عمران: ١١٣}.

وقصد اليهود من التعيير صد من لم يسلم بعد من اليهود، ومعارضة الحجج التي ستتوجه إليهم بسبب إسلام طائفة من الأحبار والرؤساء.

(١٢، ١٣) نقض عهودهم مع النبي ﷺ وحربهم إياه:

رحم اللَّه الشيخ محمد الغزالي إذ يقول: «لو تركت الحمير نهيقها والأفاعي لدغها لترك اليهود نقضهم للعهود»[2].

يهود هم يهود، حافظ النبي ﷺ على عهده معهم ووفّى لهم، ولم ينكث به، فإذا بهم ينقضون العهد كعادتهم، وقابلوا دعوته لهم بالاستهانة والتحدي، وإعلان استعدادهم لمحاربته.

* غدر بني قينقاع:

كان (بنو قينقاع) أول جماعة يهودية هددت المسلمين بالحرب ونكث العهد، فإنه لما انتصر المسلمون في «بدر» كان لذلك النصر وقع الصاعقة على قلوبهم فاستشاطوا غضبًا وسخطًا، وأعلنوا استهانتم بالنصر وقلّلوا

---

(١) رواه ابن هشام في «السيرة» في باب ما أنزل اللَّه من البقرة في المنافقين ويهود (١/٥٥٧)، ورواه البيهقي في «دلائله» في باب ما جاء في دخول عبد اللَّه بن سلام - رضي اللَّه عنه - على رسول اللَّه ﷺ (٢/٢٥٥) عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: ... فذكره بهذا اللفظ، ورجال إسناده موثّقون، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع هنا.

(٢) «فقه السيرة» للشيخ محمد الغزالي ص(٣٢٤).

من شأنه وقيمته، وهذا أول ما تمخضت عنه الليالي من مكر يهود ولؤمهم، وخرجت الأفاعي من جحورها تبث سمومها ويعلو فحيحها، وسعى بنو قينقاع إلى حتفهم بظلفهم:

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: لما أصاب رسول اللَّه ﷺ قريشًا يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: «**يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا**»[1]، قالوا: يا محمد، لا يغرنّك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا[2]، لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ في ذلك: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [آل عمران: ١٢ ـ ١٣].

● روى ابن هشام في «السيرة» بسنده إلى محمد بن كعب القرظي: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ لها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًّا، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو داود في «سننه» (٣٠٠١) ـ كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة وضعّفه الشيخ الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».

(٢) الأغمار: جمع غُمر، وهو الجاهل الغرّ الذي لم يجرّب الأمور. «النهاية» (٣/ ٣٨٥).

المسلم بالمسلمين على اليهود، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

وحين علم رسول اللَّه ﷺ بذلك سار إليهم على رأس جيش من المهاجرين والأنصار، وكان حامل اللواء حمزة بن عبد المطلب ـ رضي اللَّه عنه ـ.

وحين علم اليهود بمقدمه ﷺ إليهم تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم النبي ﷺ فيها خمس عشرة ليلة، واستمر الحصار حتى قذف اللَّه في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول اللَّه ﷺ فأمر بهم فرُبطوا، قال: فكانوا يكتفون أكتافًا، واستعمل الرسول ﷺ على كتافهم المنذر بن قدامة السالمي[1].

وأتى عبد اللَّه بن أبيّ إلى النبي ﷺ ليحسن إلى مواليه ـ وكانوا حلفاء الخزرج ـ فخلى رسول اللَّه ﷺ سبيلهم ـ وكانوا أربع مائة حاسر وثلاث مائة دارع ـ، وغنم رسول اللَّه ﷺ والمسلمون ما كان لديهم من مال، وأجلاهم النبي ﷺ عن المدينة، واستقروا بأذرعات. وكان إجلاؤهم في ذي القعدة في السنة الثانية من الهجرة.

* بنو النضير ونقضها عهدها مع رسول اللَّه ﷺ:

نقض بنو النضير عهدهم مع رسول اللَّه ﷺ، وكان على رأس الناكثين لعهدهم سلام بن مشكم كبير بني النضير.

● عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٢٩).

ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول اللَّه ﷺ، حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أنّ لهم ما أقلّت الإبل من الأمتعة والأموال، إلا الحلقة ـ يعني: السلاح ـ فأنزل اللَّه فيهم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...﴾ [الحشر: ١]، إلى قوله: ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ...﴾ [الحشر: ٢]. . فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء فأجلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان اللَّه قد كتب عليهم ذلك؛ ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، وأما قوله: ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ فكان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام[1].

● عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى عبد اللَّه بن أبيّ بن سلول ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول اللَّه ﷺ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر، يقولون: إنكم آويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عددًا، وإنما نقسم باللَّه لنقتلنه أو لتخرجنه، أو لنستعين عليكم بالعرب، ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم. فلما بلغ ذلك بن أبيّ ومن معه من عبدة الأوثان، تراسلوا فاجتمعوا، وأرسلوا، وأجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ فلقيهم في جماعة، فقال: «**لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما**

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» (٢/ ٤٨٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ٣٥٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وسكت عنه الذهبي. وقد روى البخاري أول هذا الحديث معلقًا عن عروة حيث قال: قال الزهري عن عروة: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد. . انظر «فتح الباري» (٧/ ٣٢٩).

تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم»، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرّقوا، فلما بلغ ذلك كفار قريش، وكانت وقعة بدر، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود، إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء - وهو الخلاخل - فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر فأرسلت إلى النبي ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبرًا حتى نلتقي في مكان كذا، نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإن صدّقوك وآمنوا بك آمنا كلنا. فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبرًا من يهود، حتى إذا برزوا في براز من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه: كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلاً؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا وصدّقناك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه، واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول اللَّه ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى ابن أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول اللَّه ﷺ، فأقبل أخوها سريعًا حتى أدرك النبي ﷺ، فسارّه بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان من الغد غدا عليهم رسول اللَّه ﷺ بالكتائب فحاصرهم، وقال لهم: «**إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه**»، فأبوا أن يعطوه عهدًا فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون، ثم غدا الغد

على بني قريظة بالخيل والكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم، وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم، حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل إلا الحلقة.. والحلقة: السلاح ـ فجاءت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم وخشبها، فيهدمونها، فيحلون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام»[1].

● ولابن إسحاق وجلّ أهل المغازي سبب آخر في غزوة بني النضير:

❑ قال ابن إسحاق: خرج رسول اللَّه ﷺ إلى بني النضير، يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول اللَّه ﷺ عقد لهما.. وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم رسول اللَّه ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أصبت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ ورسول اللَّه ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ـ فَمَن رجل يعلو هذا البيت، فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ـ أحدهم ـ فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة، كما قال: ورسول اللَّه

---

(١) **إسناد صحيح**: رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ٣٥٨) رقم (٩٧٣٣)، وأبو داود في «سننه» برقم (٣٠٠٤).. إلا أنه لم يذكر القصة، وقد ذكر ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٣٣١) أن ابن مردويه روى هذه القصة بإسناد صحيح، قال ابن حجر ص(٢٣٣): «فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يعينوه في ديّة الرجلين، ولكن وافق ابن إسحاق جلّ أهل المغازي فاللَّه أعلم..

ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي ـ رضي اللَّه عنهم ـ، فأتى رسول اللَّه ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، فلما استلبث[1] النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول اللَّه ﷺ، حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول اللَّه ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم[2].

● روى البخاري ومسلم عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: حاربت قريظة والنضير، فأجلى بني النضير، وأقرّ قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة.. ولفظ مسلم: «أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول اللَّه ﷺ».

* إجلاء بني النضير:

□ قال ابن سعد: «وبعث إليهم رسول اللَّه ﷺ محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلدي، فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجّلتكم عشرًا، فمن رُئِي بعد ذلك ضُربت عنقه، فمكثوا على ذلك أيامًا يتجهزون، وأرسلوا إلى ظهر لهم بذي الجدر، وتكاروا من ناس من أشجع إبلاً، فأرسل إليهم ابن أبيّ: لا تخرجوا من دياركم، وأقيموا في حصنكم؛ فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب،

---

(١) استلبث: استفعل من اللبث، وهو الإبطاء والتأخر، كأنه تأخر عليهم فاستلبثوه أي: استبطئوه.. «النهاية» (٤/ ٢٢٤).

(٢) رواه ابن هشام في «السيرة» (٢/ ١٩٠)، والبيهقي في «سننه» (٩/ ٢٠٠، ٢٠١)، وهو مرسل، ورواه ابن جرير في «تفسيره» (٦/ ٩٢ ـ ٩٤)، وهو مرسل عنعنه ابن إسحاق.

يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع حييّ فيما قال ابن أبيّ، فأرسل إلى رسول اللَّه ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، فأظهر رسول اللَّه ﷺ التكبير، وكبّر المسلمون، وقال: «**حاربت يهود**».

قال ابن سعد: فسار رسول اللَّه ﷺ إليهم وصلى العصر في فضاء بني النضير، وعلي - رضي اللَّه عنه - يحمل رايته، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم. وكان اليهود قد أغلقوا عليهم باب الحصن، ولبثوا في داخله، وغدر بهم ابن أبيّ، ولم يف بما وعدهم به»[١].

❑ وحاصر رسول اللَّه ﷺ بني النضير ست ليال كما ذكر ابن هشام[٢]، وقد ذكر الواقدي وابن سعد أن مدة الحصار دامت خمسة عشر يومًا[٣]، ولم يجد المسلمون بُدًّا من التضييق عليهم فعمدوا إلى بعض بساتينهم، فقطعوا من نخلها وحرّقوا.

❑ عن عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما - حَرّق رسول اللَّه ﷺ نخل بني النضير وقطع، وهي البُوَيْرة فنزلت: ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ...**﴾[٤] [الحشر: ٥].

وحين طال الحصار على يهود، ورأوا ما يفعله رسول اللَّه ﷺ والمسلمون؛ أرسل إليه حيي بن أخطب قائلاً: يا محمد، إن كنت تنهى

---

(١) «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٥٧، ٥٨)، و«السيرة» لابن هشام (٢/ ١٩١).

(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ١٩١).

(٣) «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٥٨)، و«المغازي» للواقدي (١/ ٣٧٢، ٣٧٣).

(٤) رواه البخاري (٤٠٣١)، ومسلم، والترمذي (١٥٥٢)، وأبو داود (٢٦١٥)، وابن ماجه (٢٨٤٤)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٥٢، ١٢٣).

عن الفساد لِمَ تقطع النخل؟ نحن نعطيك الذي سألت[١] ونخرج من بلادك، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها، ولكم ما حملت الإبل إلا الحلقة**»، فقبل اليهود بذلك[٢].

وقد تولى عملية إخراجهم من المدينة محمد بن مسلمة، بأمر من رسول اللَّه ﷺ، فخرجوا في ستمائة بعير[٣].

❑ قال ابن إسحاق: فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم مَن سار إلى الشام فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر: سلاّم ابن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع، وحُيَيّ بن أخطب، فلما نزلوها، دان لهم أهلها[٤].

❑ ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها[٥].

* قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ ۝٢ وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**﴾ [الحشر: ٢ - ٣].

---

(١) يعني بذلك: ديّة العامريين.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٥٨).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٥٨).

(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٩١).

(٥) «السيرة» (٢/ ١٩٢).

* مقتل عمرو بن جحّاش شيطان يهود لعنه اللَّه:

كان عمرو بن جحّاش هو الذي حمل الصخرة الكبيرة، وهمّ بإلقائها على رسول اللَّه ﷺ وحين أسلم يامين بن عمير قال له رسول اللَّه ﷺ: «**ألم تر إلى ابن عمك عمرو بن جحّاش وما همّ به من قتلي؟**» فقال: أنا أكفيكه يا رسول اللَّه، فجعل لرجل من قيس جُعْلاً على أن يقتل عَمْرًا، فاغتاله فقتله[1].

* بنو النضير وتحزيب الأحزاب ضد رسول اللَّه ﷺ:

منذ أن استقر سادة بني النضير في خيبر، لم يهدأ لهم بال، وأصبح شغلهم الشاغل العمل على الانتقام من نبي اللَّه ﷺ والمسلمين بأي وسيلة، فعمدوا إلى استفزاز القبائل العربية الموتورة أو الطامعة، وتحريضها على رسول اللَّه ﷺ.

روى البيهقي في «سننه» عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي وعثمان بن يهوذا قالوا: كان الذين حزّبوا الأحزاب نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، وكان من بني النضير حيي بن أخطب، وكنانة ابن الربيع بن أبي الحقيق وأبو عمار، ومن بني وائل - حي من الأنصار من أوس اللَّه -: وحوح بن عمرو، ورجال منهم، خرجوا حتى قدموا على قريش فدعوهم إلى حرب رسول اللَّه ﷺ، فنشطوا لذلك[2] ا.هـ.

وقد ذكر ابن إسحاق والواقدي وابن سعد ضلوع بني النضير في

---

(١) «السيرة» لابن هشام (٢/ ١٩٢)، والواقدي في «مغازيه» (١/ ٣٧٤).

(٢) «سنن البيهقي» - كتاب الجزية - باب نقض أهل العهد أو بعضهم العهد (٩/ ٢٣٢)، و«السيرة» لابن هشام (٢/ ٢١٤).

تحزيب الأحزاب بشكل موسع، فقد ذكروا ـ واللفظ للواقدي ـ أن يهود بني النضير لما قدموا خيبر، خرج حيي بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي ـ من الأوس من بني خطمة ـ وأبو عامر الراهب، في بضعة عشر رجلاً إلى قلة يدعون قريشًا وأتباعها إلى حرب محمد ﷺ، فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمدًا ﷺ، فقال أبو سفيان: هذا الذي أقدمكم ونزعكم؟! قالوا: نعم، جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله، قال أبو سفيان: مرحبًا وأهلاً.. وقد ذكروا أن قريشًا سألتهم بصفتهم أهل الكتاب الأول ـ عن دين قريش خير أم دين محمد؟ فكان جوابهم ـ قاتلهم اللَّه ـ أنتم أولى بالحق منه إنكم لتعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه.. وأخذت وقريش في الجهاز، وسيّرت في العرب، تدعوهم إلى نصرها، وألّبت أحابيشها ومن تبعهم، ثم خرجت اليهود حتى جاؤوا بني سليم، فوعدوهم يخرجون معهم إذا سارت قريش، ثم ساروا في غطفان، فجعلوا لهم تمر خيبر سنة وينصرونهم، ويسيرون مع قريش إلى محمد إذا ساروا، فأنعمت بذلك غطفان، ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينة بن حصن.

ولقد أثمرت تلك الجهود اليهودية الدنيئة الخبيثة عن اجتماع عشرة آلاف مقاتل التقوا على حدود المدينة وأحاطوا بها.

* **نقض بني قريظة للعهد:**

ذهب طاغية بني النضير حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد زعيم بني قريظة، يحرضه على نقض العهد ويشجعه على ذلك:

❑ عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي وعثمان بن يهوذا.. فذكر خبر يهود بني النضير مع قريش، ثم قال: وخرج حيي ابن أخطب حتى أتى كعب بن أسد، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، فلما سمع به كعب أغلق حصنه دونه، فقال: ويحك يا كعب، افتح لي حتى أدخل عليك، فقال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشئوم، وإنه لا حاجة لي بك ولا بما جئتني به، إني لم أر من محمد إلا صدقًا ووفاء، ووادعني موادعة، فدعني وارجع عني، فقال: واللَّه إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك[1] أن آكل معك منها، فأحفظه[2]، ففتح له، فلما دخل عليه قال له: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر، بقريش معها قادتها، حتى أنزلتها برومة، وجئتك بغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتها إلى جانب أحد، جئتك ببحر طام لا يرده شيء، فقال: جئتني واللَّه بالذل، ويلك، فدعني وما أنا فيه، فإنه لا حاجة لي بك، ولا بما تدعوني إليه، فلم يزل حيي بن أخطب يفتله في الذروة والغارب[3] حتى أطاع له وأعطاه حيي العهد والميثاق لئن رجعت قريش وغطفان قبل أن يصيبوا

---

(١) الجشيشة: نوع من الطعام، قال ابن الأثير: هي أن تطحن الحنطة طحنًا جليلاً، ثم تجعل في القدور ويُلقى عليها لحم أو تمر وتطبخ «النهاية» (١/ ٢٧٣).

(٢) فأحفظه: أي أغضبه، من الحفيظة وهي الغضب «النهاية» (١/ ٤٠٨).

(٣) قال السهيلي في «الروض الأنف» (٦/ ٣١١): هذا مثله، وأصله في البعير يستصعب عليك، فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك، فيجد البعير لذة، فيأنس عند ذلك.

محمداً لأدخلن معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب العهد، وأظهر البراءة من رسول اللَّه ﷺ وما كان بينه وبينه[١].

● قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول اللَّه ﷺ الخبر وإلى المسلمين؛ بعث رسول اللَّه ﷺ سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن دُليم، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد اللَّه ابن رواحة.. وخوّات بن جبير.. فقال: «**انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لي لحنًا أعرفه، ولا تَفُتُّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس**»، قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فنالوا من رسول اللَّه ﷺ، وقالوا: مَنْ رسول اللَّه؟ لا عهد بيننا وبين محمد، ولا عقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ـ وكان رجلاً فيه حِدّة ـ، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة؟ ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول اللَّه ﷺ فسلّموا عليه، ثم قالوا: عَضَلٌ والقارة أي: كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اللَّه أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين**»[٢].

ولكن اللَّه ـ عز وجل ـ ثبّت المؤمنين، وقوّى عزائمهم، فأبقى رسول اللَّه ﷺ الجيش في مواقعه تجاه المشركين، وبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، ليوهنوا بني قريظة ويوهموهم بالمواجهة؛ وذلك خوفًا

---

(١) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٢٠، ٢٢١)، والبيهقي في «سننه»، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ٣٦٧ ـ ٣٧١) (٩٧٣٧).

(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٢١، ٢٢٢).

على النساء والذراري منهم[١] .

* وقد كان خوف المسلمين من بني قريظة أشد كثيراً من خوفهم من مشركي العرب؛ وذلك لوجود الخندق حاجزاً عن المشركين، ولا حاجز بين المسلمين ويهود.

وعظم بلاء المسلمين واشتد خوفهم، وكانوا كما وصفهم اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب: ١٠ ـ ١١].

● عن عبد اللَّه بن الزبير ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كنت يوم الأحزاب جُعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبت، رأيتك تختلف، قال: أو هلْ رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول اللَّه ﷺ قال: «**من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟**» فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول اللَّه ﷺ أبويه فقال: «**فداك أبي وأمي**»[٢] .

● وعن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ يوم الخندق: «**مَن يأتينا بخبر بني قريظة؟**»، فقال الزبير: أنا، فذهب على فرسٍ،

---

(١) «المغازي» للواقدي (٢/ ٤٦٠).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب فضائل الصحابة ـ باب مناقب الزبير بن العوام (٧/ ٨٠)، رقم (٣٧٢٠)، ورواه مسلم في «صحيحه»، وأحمد في «مسنده» (١/ ١٦٤، ١٦٦).

فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا. فذهب على فرسٍ، فجاء بخبرهم.، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ: «**لكل نبي حواريّ**[١]، **وحواريّ الزبير**»[٢].

«وقد بلغ من خوفه ﷺ على أصحابه من بني قريظة، أن كان لا يسمح لهم بمغادرة المواقع إلا في الضرورة القصوى، وكان يأمرهم بأخذ سلاحهم؛ زيادة في الحيطة والحذر»[٣].

● وفي حديث أبي سعيد الخدري ي قصة الشاب حديث العهد بالعُرْس، حين خرج النبي ﷺ إلى الخندق، وكان يستأذن في أنصاف النهار، فاستأذن يومًا، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قريظة**»[٤].

واشتد الأمر على المسلمين وضاقت عليهم السبل، حتى آن لهذه الغمّة أن تزول بتيسير اللَّه وتوفيقه؛ حيث سخّر اللَّه لعباده المسلمين رجلاً يدعى «نعيم بن مسعود الغطفاني انطلت حيلته على اليهود والمشركين وفرّق كلمتهم، وشتت شملهم، فارتدوا على أعقابهم إلى ديارهم خاسرين: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ**

---

(١) الحواريّ: هو الخالص من كل شيء. قاله مصعب الزبيري، والحواريّ: خالصة الإنسان وصفيّه المختص به كأنه أخلص ونقي من كل عيب. وتحوير الثياب: تبييضها وغسلها، ومنه سمي أصحاب عيسى: حواريين؛ لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب. وقيل: الحواري: الناصر.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) «اليهود في السنة المطهرة» (١/ ٣٣٦).

(٤) رواه مسلم في كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها (٤/ ١٧٥٦)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٧٦، ٩٧٧) رقم (٣٣).

الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

* غزوة بني قريظة:

ما كاد رسول اللَّه ﷺ يستريح من الأحزاب وجموعهم، حتى قفل راجعًا إلى المدينة، وبينما هو يغتسل من وعثاء الحرب وغبارها إذا بجبريل ـ عليه السلام ـ يوجهه إلى بني قريظة.

● عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أن رسول اللَّه ﷺ لما رجع يوم الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل، وقد عصب رأسه الغبار، فقال: وضعتَ السلاح؟! فواللَّه ما وضعتُه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فأين؟**» قال: ها هنا، وأومأ إلى بني قريظة، قالت: فخرج إليهم رسول اللَّه ﷺ[(١)].

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «**لا يُصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد بنا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يُعنف واحدًا منهم»[(٢)].

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كأني أنظر إلي الغبار ساطعًا في زقاق بني غَنْم، موكب جبريل ـ عليه السلام ـ حين سار

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الجهاد باب الغسل بعد الحرب والغبار (٦/ ٣٠) رقم (٢٨١٣)، (٤١١٧)، ومسلم (٣/ ١٣٨٩)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٥٦).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب المغازي ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٧/ ٤٠٧، ٤٠٨) ورواه مسلم في «صحيحه» (٣/ ١٣٩١) قريبًا من هذا اللفظ، لكن فيه «الظهر» بدل «العصر»، والبيهقي في سننه (٧/ ٤٠٨).

رسول اللَّه ﷺ إلى بني قريظة»[١].

❑ وحين وصل إلى بني قريظة نزل على بئر من آبارهم يُقال لها بئر أنا أو أنى[٢] وكان رسول اللَّه ﷺ في ثلاثة آلاف مقاتل، والخيل ست وثلاثون[٣].

● وكان رسول اللَّه ﷺ قد قدّم علي بن أبي طالب في كوكبة من فرسان المسلمين يستطلعون الطريق.

قال أبو قتادة: انتهينا إليهم، فلما رأونا أيقنوا بالشر، وغرز علي ـ رضي اللَّه عنه ـ الراية عند أصل الحصن، فاستقبلونا في صياصيهم، يشتمون رسول اللَّه ﷺ وأزواجه. قال أبو قتادة: فسكتنا وقلنا: السيف بيننا وبينكم، وطلع رسول اللَّه ﷺ، فلما رآه علي ـ رضي اللَّه عنه ـ رجع إلى رسول اللَّه ﷺ، وأمرني أن ألزم اللواء، فلزمته، وكره أن يسمع رسول اللَّه أذاهم وشتمهم.

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أن رسول اللَّه ﷺ حين وصل إلى حصونهم أمر أصحابه أن يستتروا بالحجف ويستروه بها، حتى يسمعوا كلامهم، وحين سمع ما سمع قال: «**يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت أتشتمونني؟**»، قال: فجعلوا يحلفون بالتوراة التي أُنزلت على موسى ما فعلنا، ويقولون: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً..

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب المغازي ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم (٧/ ٤٠٧) رقم (٤١١٨)، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢١٣).

(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥).

(٣) «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٧٤).

ثم دعاهم رسول اللَّه ﷺ وإلى كلمة الحق التي يعرفونها، ولكنهم أبوا واستكبروا[1].

● وحين لم يستجيبوا أمَرَ النبي ﷺ برميهم بالنبال، فتراموا ساعة من الزمن حتى دخل الليل فانجحروا فلم يطلع منهم أحد.

واستمر المسلمون على حصارهم فترة من الزمن، يترامون بالنبل والحجارة، وقد حصل بينهم أثناء ذلك قتال ومبارزة.

وحين ملّوا الحصار وأرهقتهم الحرب؛ أرسلوا نبّاش بن قيس إلى رسول اللَّه ﷺ يعرض عليه أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير. فأبى رسول اللَّه ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه ﷺ.

▫ وعلمت يهود أن الأمر خطير، وأن عاقبتهم ستكون وخيمة؛ جزاء نقضهم للعهد، ومحاربتهم للَّه ولرسوله وللمؤمنين وقال لهم كعب ابن أسد سيدهم: «ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا».

▫ وقبل أن يستسلم بنو قريظة لرسول اللَّه ﷺ والمؤمنين أسلم نفر من اليهود وهم ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد.

▫ وفي الليلة التي استسلم في صبيحتها بنو قريظة دعا عمرو بن سعدي قومه إلى المهادنة وإعطاء الجزية فلم يرضوا بذلك، وكان عمرو هذا قد سخط غدرهم، ولم يرض بالدخول فيه من أول الأمر. وخرج ونجّاه اللَّه بوفائه.

---

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» في كتاب المغازي (٣/ ٣٤، ٣٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبي، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ٣٧٠) رقم (٩٧٣٧).

ولقد ذكر الواقدي وابن سعد[١] أن الحصار دام خمسة عشر يومًا، وذكر ابن إسحاق أن مدة الحصار كانت خمسًا وعشرين ليلة[١]، واستسلمت بنو قريظة.

* سعد بن معاذ يحكم في اليهود بحكم اللَّه من فوق سبع سماوات:

● عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت ـ بعد ما ذكرت مصاب سعد يوم الخندق، ومسير رسول اللَّه ﷺ إلى بني قريظة ـ قالت: فأتاهم رسول اللَّه ﷺ فنزلوا على حكمه، فردّ الحكم إلى سعد فقال: إني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تُقَسّم أموالهم[٢].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتي به على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم أو خيركم**»، فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك، فقال: تُقَتّل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، قال: «**قضيت بحكم اللَّه**»، وربما قال: «**بحكم الملك**»[٣].

---

(١) «المغازي» للواقدي (٢/ ٤٩٦)، و«الطبقات» لابن سعد (٢/ ٧٤).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب المغازي ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٧/ ٤١١، ٤١٢) رقم (٤١٢٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ـ باب جواز قتال من نقض العهد (٣/ ١٣٨٩)، والبيهقي في «سننه» (٩/ ٩٧).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب المغازي ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٧/ ٤١١)، ورواه في (٦/ ١٦٥) رقم (٣٠٤٣)، ورواه مسلم في «صحيحه» في كتاب الجهاد والسير باب جواز قتال من نقض العهد (٣/ ١٣٨٨)، وأبو داود في «سننه» ـ كتاب الأدب (٥/ ٣٩٠) رقم (٥٢١٥)، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٢)، والبيهقي في موضعين (٦/ ٥٧، ٥٨) (٩/ ٦٣).

● وعن جابر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «رمي سعد يوم الأحزاب، فقطعوا أكحله، فحسمه النبي ﷺ بالنار، فانتفخت يده، فتركه فنزفه الدم، فحسمه مرة أخرى، فانتفخت يده، فلما رأى ذلك قال: اللَّهم لا تخرج نفسي حتى تقرّ عيني من بني قريظة، فاستمسك عِرْقه، فما قطرت منه قطرة حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه رسول اللَّه ﷺ، فحكم أن يقتل رجالهم، وتُسبى نساؤهم وذراريهم، قال: وكانوا أربعمائة، فلما فرغ من قتلهم، انفتق عرقه»[1].

* للَّه در سعد بن معاذ، ودرّ أم أوحدت به:

سعد بن معاذ! وما أدراك ما سعد.. سعد يحكم في اليهود بحكم اللَّه، سعد الذي اهتز لموته عرش الرحمن.. ما أحوجنا إلى قلامة ظفره ما أحوجنا وأحوج أمتنا إلى من يقتفي أثره.. قلتُ في اليهود:

هم قوم البهت ويا طيري ... ذي قولة حبر الإيمان
وصفية أم الأبرار ... هارون وموسى عمران
برآء منهم.. هم منا ... صاحوا: يا حكم القرآن
يذرون الدمع لغيبته ... ولغيبة سعد الفرسان
سعد بن معاذ تعرفه ... و«اهتز سرير الرحمن»

* ما فعله ﷺ ببني قريظة:

حين نطلق سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ بالحكم استُنْزِل بنو قريظة من حصنهم، ثم أمر رسول اللَّه ﷺ بالرجال فسيقوا إلى دار أسامة بن

---

(١) **إسناده حسن**: رواه أحمد وابن سعد والدارمي.

زيد مُكتَّفين، وقد تولى كتافهم محمد بن مسلمة، وأمر ﷺ بالنساء والذراري، والسلاح والأثاث فجُمعوا في دار بنت الحارث(١)، وتُرِكت الإبل والغنم في مواقعها ترعى الشجر(٢).

وأُمر بحفر خنادق عميقة في سوق المدينة، وأمر رسول اللَّه ﷺ بإحضار الرجال المحكوم عليهم وأمر بإعدامهم، فأعدموا دفعة بعد دفعة، حتى لم يبق منهم أحد. ولقد أعدم هؤلاء اليهود في ليلة واحدة، وجرت عملية الإعدام على ضوء سعف النخيل(٣)، وتولى عملية قتل اليهود الخونة علي بن أبي طالب والزبير بن العوّام.

وذكر ابن حجر احتمال أن يكون عدد اليهود ٤٠٠ وما ذُكر من الزيادة هم أتباع لبني قريظة(٤).

وقال ابن إسحاق: إنهم ست مائة أو سبع مائة(٥).

* قتل شيطان يهود حُيَيّ بن أخطب:

ذكر ابن إسحاق أنه أُتي بحييّ بن أخطب شيطان بني النضير وعليه حُلّة له فُقّاحيّة(٦)، قد شقّها عليه من كل ناحية قدر أنملة؛ لئلا يُسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول اللَّه ﷺ قال: أما واللَّه ما لُمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يَخْذل اللَّه يُخْذَل، ثم أقبل

(١) واسمها: كيسة بنت الحارث بن كريز قاله السهيلي في «الروض الأنف» (٦/ ٣٣٣).
(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٤٠)، و«المغازي» للواقدي (٢/ ٥١٢، ٥١٣).
(٣) «السيرة الحلبية» (٢/ ١٢٠).
(٤) انظر «فتح الباري» (٧/ ٤١٤).
(٥) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٤١) نقلاً عن ابن إسحاق.
(٦) فقاحية: ضرب من الوشي.

على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر اللَّه، كتاب وقدر وملحمة كتبها اللَّه على بني إسرائيل، ثم جلس فضُربت عنقه[١].

* على كل حال لا تعقلون... هو واللَّه السيف:

ذكر ابن إسحاق أن بني قريظة حين دعوا للقتل أرسالاً، سأل بعضهم كعب بن أسد سيد بني قريظة قائلاً: ما ترى محمد يصنع بنا؟

قال: ما يسوؤكم وما ينوؤكم، ويلكم! على كل حال لا تعقلون، ألا ترون أن الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب منكم لا يرجع، هو واللَّه السيف، قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتم[٢].

❑ عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه قال: «حاربت قريظة والنضير، فأجلى بني النضير، وأقرّ قريظة ومنّ عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسّم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمّنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم، بني قينقاع، وهم رهط عبد اللَّه بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة»[٣].

وطهرت المدينة من أدران الخبث والمكر والخديعة، «**إن المدينة تنفي خبثها**»[٤] وينصع طيبها.

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٤١).

(٢) «سيره ابن هشام» (٢/ ٢٤١).

(٣) رواه البخاري (٤٠٢٨)، ومسلم (٣/ ١٣٨٧)، وأبو داود (٣/ ٤٠٧ رقم ٣٠٠٥)، وأحمد (٢/ ١٤٩).

(٤) جزء من حديث رواه البخاري رقم (١٨٨٣)، ومسلم (٢/ ١٠٠٦)، و«الموطأ» (٢/ ٨٨٦).

* قَتْل شياطين اليهود أكابر مجرميها:

بعد أن ذكرنا قتل حييّ بن أخطب نذكر قتل شيطان يهود كعب بن الأشرف لعنه اللَّه.

* مقتل كعب بن الأشرف:

كان هذا اللعين شاعرًا يقول الشعر في هجاء رسول اللَّه ﷺ والمسلمين فينسب إليهم ما ليس فيهم، ويُشبِّب بنسائهم ويحرض عليهم كفار قريش وخاصة بعد غزوة بدر إذ إنه لما جاء النبأ بهزيمة قريش في بدر جعل يقول: ويلكم، هؤلاء سراة الناس قد قُتلوا وأُسِروا فما عندكم؟ واللَّه لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها وجعل يرثي قريشًا ويقول:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهلُّ وتدمعُ

قتلت سراة الناس حول حياضه ... لا تبعدوا إن الملوك تصرع

● عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى اللَّه ورسوله**»، فقام محمد بن مسلمة، فقال: يا رسول اللَّه أتحب أن أقتله؟ قال: «**نعم**»، قال: فأذن لي أن أقول شيئًا، قال: «**قل**».

فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنّانا، وإني قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضًا واللَّه لتملنه، قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين، قال: نعم، ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهِنك نساءنا وأنت أجمل

العرب؟! قال: ارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب الواحد، فيقال: رُهِن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللأْمة، قال سفيان: يعني: السلاح، فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة ـ وهو أخو كعب من الرضاعة ـ فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد ابن مسلمة وأخي أبو نائلة، قالت: أسمع صوتًا كأنه يقطر منه الدم، قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعِي إلى طعنة رمح لأجاب ـ قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين[1] فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرة: ثم أشمكم ـ فنزل إليهم متوشحًا وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا أي أطيب. قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب، قال عمرو: فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه، ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقَتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه[2].

قال الواقدي: فلما بلغوا بقيع الغرقد كبّروا، وقام رسول اللَّه ﷺ تلك الليلة يصلي، فلما سمع رسول اللَّه تكبيرهم بالبقيع كبّر، وعرف أنهم قد قتلوه، ثم انتهوا يعدون حتى وجدوا رسول اللَّه ﷺ

---

(١) قال غير عمرو: أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر.

(٢) رواه البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب قتل كعب بن الأشرف (٧/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) برقم (٤٠٣٧)، ورواه مسلم (٣/ ١٤٢٥)، وأبو داود في «سننه» (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢) رقم (٢٧٦٨).

واقفًا على باب المسجد فقال: «**أفلحت الوجوه**»، فقالوا: ووجهك يا رسول اللَّه، فحمد اللَّه على قتله.

● عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن محمد بن مسلمة، وأبا عبس بن جبير وعباد بن بشر قتلوا كعب بن الأشرف، فقال النبي ﷺ حين نظر إليهم: «**أفلحت الوجوه**»[(١)].

قال محمد بن مسلمة: فأصبحنا، وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو اللَّه، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه.

وكانت ليلة مقتله ليلة أربع عشرة من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً[(٢)].

* مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري رأس المحرضين للأحزاب:

ذكر ابن سعد أن قتله كان في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول اللَّه ﷺ[(٣)]، كان تحزيبه للأحزاب دافعًا قويًّا مبيحًا لدمه، فقد جعله ابن إسحاق على رأس قائمة المحرضين للأحزاب.

● عن البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «بعث رسول اللَّه ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمّر عليهم عبد اللَّه ابن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول اللَّه ﷺ ويعين عليه، وكان

---

(١) **صحيح الإسناد:** رواه الحاكم في «مستدركه» ـ في كتاب معرفة الصحابة ـ باب ذكر مناقب محمد بن مسلمة (٣/ ٤٣٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وفيه إسماعيل بن عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن أويس، ضعيف عندهم، وقال ابن أبي خيثمة: صدوق ضعيف العقل.

(٢) «المغازي» (١/ ١٨٩)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٣١).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٩١).

في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم، فقال عبد اللَّه لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف بالبوّاب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنّع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبداللَّه إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلتُ فكمنتُ، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علّق الأغاليق على وتد، قال: فقمت إلى الأقاليد(١) فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت عليّ من داخل، قلت: إن القوم نذروا إليّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع، فقال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش، فما أغنيت شيئًا، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثخنته، ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب(٢) السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الباب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب

(١) الأقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح «فتح الباري» (٧/ ٣٤٣).

(٢) ضبيب: ذكر الخطابي أن هذا غير محفوظ، وإنما هو «ظبة السيف» وهو حرف حد السيف، ويجمع على ظبات «الفتح» (٧/ ٣٤٤).

فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك، قام الناعي على السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء، فقد قتل اللَّه أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته، فقال لي: «ابسط رجلك»، فبسطت رجلي فمسحها، فكأنها لم أشتكها قط»[1].

* مقتل أسير بن زارم[2] شيطان يهود:

تولى أسير بن زارم زعامة يهود بعد قتل أبي رافع، وأخذ في جمع يهود الشمال وتحريضهم على رسول اللَّه ﷺ، ولم يكتف بذلك، بل بدأ بتأليب قبائل غطفان وجمعها لقتال رسول اللَّه ﷺ وقال: «إنه واللَّه ما سار محمد إلى أحد من يهود إلا بعث أحدًا من أصحابه فأصاب منهم ما أراد، ولكني أصنع ما لم يصنع أصحابي، فقالوا: وما عسيت أن تصنع ما لم يصنع أصحابك؟ قال: أسير في غطفان فأجمعهم، فسار في غطفان فجمعها.

● عن عروة بن الزبير قال: بعث رسول اللَّه ﷺ عبد اللَّه ابن رواحة في ثلاثين راكبًا فيهم عبد اللَّه بن أنيس إلى أسير بن زرام حتى أتوه بخيبر، وبلغ رسول اللَّه ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزو رسول اللَّه ﷺ فأتوه فقالوا: إنا أرسلنا إليك رسولُ اللَّه ﷺ ليستعملك على

---

(١) رواه البخاري ـ في كتاب المغازي ـ باب قتل أبي رافع (٧/ ٣٤٠، ٣٤١) رقم (٤٠٣٩)، والبيهقي في «سننه» في كتاب «السير» (٩/ ٨٠)، والطبري في «تاريخه» (٢/ ٤٩٣ ـ ٤٩٥).

(٢) هكذا سماه ابن سعد (٢/ ٩٢)، والواقدي (٢/ ٥٦٦)، وأما ابن إسحاق فقد سمّاه: اليسير بن رزام وقال ابن هشام: ويُقال: ابن رازم (٢/ ٦١٨) وكذا سمّاه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ص(٤٥٠).

خيبر، فلم يزالوا به يخدعونه حتى أقبل معهم في ثلاثين راكبًا مع كل واحد منهم رديف من المسلمين، فلما بلغوا قرْقرة ـ وهي من خيبر على ستة أميال ـ ندم اليسير بن رزام اليهودي، فأهوى بيده إلى السيف سيف عبد اللَّه بن أنيس، ففطن له عبد اللَّه بن أنيس، فزجر راحلته، واقتحم عبد اللَّه بن أنيس حتى استمكن من اليسير بن رزام، فضرب عبد اللَّه ابن أنيس رجله فقطعها، واقتحم اليسير بن رزام وفي يده مِخْرَش من شَوْحَط[1] فضرب عبد اللَّه بن أنيس فشَجَّه مأمومة، وانكفأ كل رجل من المسلمين إلى رديفه، فقتله، غير واحد من اليهود أعجزهم شدا، ولم يصب من المسلمين أحد، وقدموا على رسول اللَّه ﷺ فبصق في شجة عبد اللَّه فلم تقح ولم تؤذه[2].

فتْح خيبر معقل شياطين اليهود

وهي بلدة في شمال الحجاز، على بعد ١٧٣ كم من المدينة المنورة، وكانت ملجأ وملاذًا لكثير ممن أُجلي عن المدينة من يهود بني قينقاع والنضير وغيرهما.

وحين انتصر النبي ﷺ على يهود بني قريظة وقتل رجالهم جن جنون أهل خيبر وهاجوا ماجوا، وعزموا على غزو رسول اللَّه ﷺ من شدة فجورهم وبغيهم.

---

(١) مخرش من شوحط. عصا مُعْوَجّة كالصولجان، والشوحط: ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القسي «النهاية (٢/ ٢٢، ٥٠٨).

(٢) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم ص(٤٥٠)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٩٢) و«المغازي» (٢/ ٥٦٧، ٥٦٨).

لما صالح رسول اللَّه ﷺ المشركين في الحديبية في شهر ذي الحجة سنة ست من الهجرة، أمر رسول اللَّه ﷺ بالمسير إلى خيبر في أواخر شهر محرم كما ذكر ابن إسحاق، أو في صفر كما ذكر الواقدي[١] في السنة السابعة من الهجرة، وأمّر النبي ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري[٢] ، وكان دليل النبي ﷺ في تلك الغزوة حسيل بن خارجة الأشجعي.

ونزل النبي ﷺ في طريقه إلى خيبر بوادٍ يُقال له: «الرجيع» بين اليهود وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول اللَّه ﷺ؛ وكان عامر بن الأكوع يحدو بالقوم.

عن سلمة بن الأكوع ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعرًا، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللَّهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداءً لك ما أبقينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا
وألقينْ سكينةً علينا ... إنا إذا صيح بنا أبينا
وبالصياح عوَّلوا علينا

(١) انظر «المغازي» (٢/ ٦٣٤)، و«الطبقات» (٢/ ٦٣٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٢٨)، و«السيرة الحلبية» (٣/ ٣١).

(٢) انظر «صحيح ابن خزيمة» ـ جماع أبواب السهو (٢/ ١٢٠) رقم (١٠٣٩)، والحاكم مختصرًا (٣/ ٣٦)، وصححه الحاكم والذهبي، قال أبو هريرة: «لما خرج رسول اللَّه ﷺ إلى خيبر، استخلف سباع بن عرفطة الغفاري. . . .» الحديث.

● فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن هذا السائق؟**» قالوا: عامر بن الأكوع، قال: «**يرحمه اللَّه**»، قال رجل من القوم[١]: وجبت يا نبي اللَّه، لولا أمتعتنا به»[٢].

ولما وصل المسلمون إلى الصهباء ـ وهي من خيبر، وهي أدنى خيبر حطوا الرِّحال وصلّوا العصر. وكان اليهود يقومون كل ليلة قبل الفجر، فيلبسون السلاح ويصفون الكتائب وهم عشرة آلاف مقاتل»[٣].

* اللَّه أكبر خربت خيبر:

● عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قومًا لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كفّ عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم، قال: فخرجنا إلى خيبر، فانتهينا إليهم ليلاً، فلما أصبح ولم يسمع أذانًا ركب وركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ، قالوا: محمد واللَّه، محمد والخميس[٤]، قال: فلما رآهم رسول اللَّه ﷺ قال: «**اللَّه أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم**

---

(١) في رواية لمسلم في «صحيحه» (٣/ ١٤٤٠) برقم (١٣٢/ ١٨٠٧)، عن سلمة ـ رضي اللَّه عنه ـ غزوة ذي قرد، وذكر هذه القصة، وقال في آخرها، قال رسول اللَّه ﷺ: «**غفر لك ربك**»، قال: وما استغفر رسول اللَّه ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي اللَّه، لولا ما متعتنا بعامر.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب المغازي ـ باب غزوة خيبر (٧/ ٤٦٣، ٤٦٤) رقم (٤١٩٦)، ورواه مسلم في «صحيحه» ـ في كتاب الجهاد باب غزوة خيبر (٣/ ١٤٢٧ ـ ١٤٢٩)، ورواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٧، ٤٨).

(٣) «المغازي» للواقدي (٢/ ٦٤٢).

(٤) الخميس: هو الجيش، سُمِّي به؛ لأنه مقسوم بخمسة أقسام: المقدمة والساقة، والميمنة والميسرة والقلب.

فساء صباح المنذَرين»[1] .

وعسكر النبي ﷺ بالرجيع وهو وادٍ قريب من خيبر.

* حصار حصون النطاة:

قاتل رسول اللَّه ﷺ أهل حصون النطاة، وهي عبارة عن مجموعة حصون أهمها «حصن ناعم»، وحصن «الصعب بن معاذ»، وحصن قلعة الزبير، واستمات أهل هذه الحصون في الدفاع عنها، وقاتلوا أشد القتال: مبارزة، ومراماة والتحامًا.

● عن سلمة بن الأكوع ـ رضي اللَّه عنه ـ . . . فذكر حداء عامر برسول اللَّه ﷺ ثم قال: فلما قدمنا خيبر، خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

❑ قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

❑ قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في تُرس عامر، وذهب عامر يَسْفُلُ له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ في كتاب الأذان ـ باب ما يُحقن بالأذان من الدماء (٢/ ٨٩) رقم (٦١٠)، ومسلم في «صحيحه» ـ كتاب النكاح ـ باب فضيلة إعتاق أمته (٢/ ١٠٤٥)، والترمذي في «سننه» (٥/ ٢٦٨) رقم (١٥٥٠)، ومالك في «الموطأ» رقم (٤٨)، والنسائي في «سننه» (١/ ٢٧١)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٢٠٦)، والبيهقي في «سننه» (٢/ ٢٣٠، ٩/ ١٥٣).

نفسه، قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول اللَّه بطل عمل عامر؟ قال رسول اللَّه ﷺ: «**من قال ذلك؟**» قال: قلت: ناس من أصحابك، قال: «**كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين**»(١).

● وعن سلمة بن الأكوع ـ رضي اللَّه عنه ـ : «. . . . فلما تصاف القوم كان سيف عامر قصيراً، فتناول به ساق يهودي ليضربه ويرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر، فمات منه، قال: فلما قفلوا، قال سلمة: رآني رسول اللَّه ﷺ وهو آخذ بيدي، قال: «**ما لك؟**»، قلت له: فداك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبط عمله، قال النبي ﷺ: «**كذب من قاله، إن له لأجرين**» وجمع بين أصبعيه «**إنه لجاهد مجاهد، قلّ عربي مشى بها مثله**»(٢).

* «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح اللَّه على يديه»:

كان حصن ناعم أشد حصون خيبر وأعتاها، وهو أول حصون النطاة، وقد أبلى المسلمون عنده بلاءً حسنًا.

وبعد أسبوع كامل من الحصار استخدم المسلمون خلاله كل أنواع التضييق على الأعداء، ومن بين ذلك: قطع بعض النخيل، وإتلاف المحاصيل.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» في كتاب الجهاد والسير ـ باب غزوة ذي قرد (٣/ ١٤٤٠، ١٤٤١) رقم (١٣٢/ ١٨٠٧)، ورواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٥١، ٥٢) عن سلمة بهذا اللفظ، ورواه البيهقي في كتاب السير (٩/ ١٥٤) عن سلمة قريبًا من هذا.

(٢) سبق تخريجه: رواه البخاري ومسلم، وأحمد.

● عن سهل بن سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح اللَّه على يديه، يحب اللَّه ورسوله، ويحبه اللَّه ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون[1] ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول اللَّه ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**»، فقيل: هو يا رسول اللَّه يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول اللَّه ﷺ في عينيه ودعا له، فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول اللَّه، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق اللَّه فيه، فواللَّه لأن يهدي اللَّه بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**»[2، 3] .

وحين أعطى رسول اللَّه ﷺ لعليّ اللواء زحف المسلمون صفًّا واحدًا إلى حصن ناعم، ذلك الحصن الذي استعصى على المؤمنين من قبل.

---

(١) يدوكون: قال ابن الأثير: أي: يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه، يقال: وقع الناس في دوكة ودوكة، أي: في خوض واختلاط . «النهاية» (٢/ ١٤٠).

(٢) حمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه. انظر «الفتح» (٧/ ٤٧٨).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب المغازي باب غزوة خيبر (٧/ ٤٧٦) رقم (٤٢١٠) عن سهل بن سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ فذكره بهذا اللفظ. ورواه مسلم في «صحيحه» في كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ (٤/ ١٨٧٢) رقم (٣٤/ ٢٤٠٦) عن سهل بن سعد، فذكره بهذا اللفظ. ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» في كتاب الجهاد (٥/ ٢٨٧، ٢٨٨) عن سهل... فذكره مختصرًا، وقد رواه البخاري في «صحيحه» عن سلمة بن الأكوع قريبًا من هذا في كتاب الجهاد (٦/ ١٢٦) رقم (٢٩٧٥)، وكذا مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٤/ ١٨٧٢) رقم (٣٥/ ٢٤٠٧).

وقد روى الواقدي أن أول من خرج إليهم من ذلك الحصن هو الحارث أخو مرحب، وقد ثبت له علي ـ رضي اللَّه عنه ـ فتبادلا ضربات فقتله علي ـ رضي اللَّه عنه ـ، ثم بعد ذلك خرج مرحب اليهودي ـ الذي قتل عامر بن الأكوع ـ وبرز إليه عليّ وقتله.

● وفي حديث سلمة بن الأكوع عند أحمد ومسلم ذكر قصة الخروج إلى خيبر... إلى أن قال: فأتيتُ عليًّا فجئت به أقوده ـ وهو أرمد ـ حتى أتيت رسول اللَّه ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ، وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي ـ رضي اللَّه عنه ـ :

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندرة

قال: فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه.

وبعض أهل السير يقول: إن محمد بن مسلمة هو قاتل مرحب والأول أقوى. ثم برز بعد مرحب أسير فقتله محمد بن مسلمة، ثم برز ياسر فقتله الزبير، ثم اشتبك المسلمون مع أعداء اللَّه تحت حصن ناعم، بعد مقتل قادتهم، فقتل من اليهود خلق كثير.

وبعد صولات وجولات في ساحة القتل انهزمت يهود إلى حصونهم، فلحقهم المسلمون بقيادة علي ـ رضي اللَّه عنه ـ، فدخلوا عليهم الحصن.

وأخيرًا افتتح المسلمون أعظم حصون خيبر وأعتاها ـ حصن ناعم ـ

ولكن اليهود كانوا قد أخلوه من المقاتلة، وأفرغوه من المئونة، ولم يبق فيه إلا اليسير من الثقل من الذرية والنساء لم يسعفهم الوقت في نقلهم إلى حصن الصعب بن معاذ الذي يلي هذا الحصن مباشرة.

وبعد أن طهر المسلمون هذا الحصن من أدران المشركين نقلوا الحرب والجهاد إلى حصن الصعب بن معاذ، وكان ضخمًا منيعًا لا يستطيع المسلمون تسلقه ولا هدمه؛ فأخذوا في حصاره فترة طويلة من الزمن، حتى نفذ قوتهم، وانتهت مئونتهم، وأصابهم الجوع والمسبغة وأضرّ بهم مما اضطرهم إلى ذبح الحمر الأهلية، وطبخها فنهاهم النبي ﷺ وأمرهم بإكفاء القدور فأكفئوها. ثم انتقلت اليهود إلى حصن قلعة الزبير، فتحصنوا فيه فقاتلهم المسلمون قتال الأبطال حتى أجلوهم عنه إلى حصون الشق، وحين أنهى المسلمون فتح حصون النطاة، انتقل رسول اللَّه ﷺ بعسكره من وادي الرجيع إلى المنزلة.

ثم ضرب حصاره على حصون الشق وأهمها حصن أبي، وحصن النزار، وأثناء ذلك الحصار وقعت مبارزة بين المسلمين وفلول اليهود. وبعد فترة من الزمن افتتح المسلمون حصن أبي، وتجمعت فلول اليهود في حصن النزار، واستماتوا في الدفاع عنه، ورموا المسلمين بالنبل والحجارة، وكانوا أشد أهل الشق قتالاً، ولكن عزيمة المسلمين الصادقة وإيمانهم الذي لا يتزعزع شتت شمل اليهود، فخرجوا من الحصن لا يلوون على شيء، مخلفين وراءهم النساء والذراري، متوجهين إلى الجزء الأخير من خيبر؛ ألا وهي حصون الكتيبة وهي: «القموص، والوطيح، وسلالم». ومن بين الغنائم التي استولى عليها المسلمون في هذا الحصن أم المؤمنين صفية بنت حيي ـ رضي اللَّه عنها ـ.

* حصار اليهود في حصون الكتيبة ومصالحتهم:

تحصنت اليهود في حصون الكتيبة، واجتمع إليهم فلول اليهود من النطاة والشق، فأغلقوا عليهم الأبواب، ولم يخرج منهم أحد لمبارزة ولا لغيرها. فاستمر المسلمون في حصارهم أربعة عشر يومًا حتى نفذت مؤنة اليهود، وخارت عزائمهم وأيقنوا بالهلكة، فسألوا رسول اللَّه ﷺ الصلح على الجلاء، فقبل منهم ذلك[1].

وقد صالحهم رسول اللَّه ﷺ على أن يجلوا منها، ولرسول اللَّه ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة، ولهم ما حملت ركابهم، وقد تولى جمع الأموال فروة بن عمرو البياضي، فجمعوا أثاثًا كثيرًا وبزًّا وسلاحًا كثيرًا وغنمًا وبقرًا.

ولكن لما كانت خيبر ذات نخيل وزراعة، والمسلمون مشغولون بالجهاد للدعوة إلى اللَّه وإعلاء كلمته؛ لهذا رأى رسول اللَّه ﷺ أن يبقيهم على أرضهم، يعملونها ويشتغلون في استثمارها؛ ولرسول اللَّه ﷺ والمسلمين نصف المحصول، على أن للمسلمين إجلاؤهم متى أرادوا.

● عن ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من تمر أو زرع[2].

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن عمر بن الخطاب

---

(١) «السيرة النبوية» (٢/ ٣٣٧).

(٢) رواه البخاري ـ في الحرث والمزارعة (٥/ ١٣) برقم (٢٣٢٩)، ورواه مسلم في المساقاة (٣/ ١٨٦)، والترمذي (٥/ ٧١، ١٣٨٣)، وأبو داود (٣٤٠٨)، وأحمد (٢، ٢٢، ١٥٧)، والبيهقي (٦/ ١١٣).

أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول اللَّه ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها، وكانت الأرض لما ظهر عليها للَّه وللرسول وللمسلمين، فسأل اليهود رسول اللَّه ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل، ولهم نصف التمر، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**نقركم على ذلك ما شئنا**»، فأقروا حتى أجلاهم عمر - رضي اللَّه عنه - في إمارته إلى تيماء وأريحاء[(١)].

وقد قُتِل من يهود خيبر كما ذكر الواقدي ثلاثة وتسعون رجلاً[(٢)].

* يهود فدك وتيماء ووادي القرى:

ذكر ابن إسحاق أنه لما فرغ رسول اللَّه ﷺ من خيبر قذف اللَّه الرعب في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع اللَّه تعالى بأهل خيبر؛ فبعثوا إلى رسول اللَّه ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول اللَّه ﷺ خالصة؛ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[(٣)].

وقد ذكر الواقدي أن رسول اللَّه ﷺ حين أقبل على خيبر بعث محيصة بن مسعود إلى فدك، يدعوهم إلى الإسلام، وقد امتنعوا وأظهروا السوء؛ مُعْتَدِّين بإخوانهم من يهود خيبر وحين جاءهم الخبر بمقتل

---

(١) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس (٦/ ٢٥٣) رقم (٣١٥٢) بهذا اللفظ، لكن فيه «لليهود» بل «للَّه»، ورواه مسلم في المساقاة (٣/ ١١٨٧، ١١٨٨) رقم (٦/ ١٥٥١) بهذا اللفظ، ورواه ابن ماجه في «سننه» (٢/ ٨٢٤) رقم (٦٧ - ٢٤٦٩)، ورواه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٤٩)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ٥٥) رقم (٩٩٨٩).

(٢) «المغازي» (٢/ ٧٠٠).

(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣٥٣).

يهود وفتح خيبر أذعنوا وصالحوا رسول اللَّه ﷺ على أن لهم نصف الأرض بتربتها، وقد ثمنها لهم عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ بخمسين ألف درهم، حين عزم على إجلائهم إلى الشام[١].

وفي طريقه ﷺ إلى المدينة مر على وادي القرى، فوجدهم قد تهيئوا للقتال وانضوى إليهم أناس من مشركي العرب.

فذكر الواقدي أن رسول اللَّه ﷺ عبأ أصحابه ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ثم دعاهم إلى الإسلام ورغبهم، فلم يستجيبوا، فكان بينهم وبين المسلمين مبارزة استمرت حتى قتل من اليهود أحد عشر رجلاً، كلما قتل رجل دعا من بقي إلى الإسلام[٢].

قال الواقدي: فقاتلهم حتى أبوا، وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها عنوة، فغنم المسلمون أموالهم، وأصابوا أثاثًا ومتاعًا كثيرًا، وأقام رسول اللَّه ﷺ بوادي القرى، وترك النخل والأرض بأيدي اليهود وعاملهم عليها.

فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول اللَّه ﷺ خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول اللَّه ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم وأموالهم.

* آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون:

ولما فتح المسلمون خيبر، وأخضعوا يهود وادى القرى وفدك وتيماء عادوا إلى المدينة مع رسول اللَّه ﷺ.

---

(١) «المغازي» (٢/ ٧٦، ٧٧).

(٢) «المغازي» للواقدي (٢/ ٧١٠، ٧١١).

● عن أنس بن مالك أنه أقبل وهو أبو طلحة مع النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ صفية مردفها على راحلته، فلما كانوا ببعض الطريق عثرت الناقة فصرع النبي ﷺ والمرأة، وأن أبا طلحة اقتحم عن بعيره فأتى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا نبي اللَّه جعلني اللَّه فداءك هل أصابك شيء؟ قال: «**لا، ولكن عليك بالمرأة**»، فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه فقصد قصدها، فألقى ثوبه عليها، فقامت المرأة، فشد لهما على راحلتهما، فركبا فسارا حتى إذا كانوا بظهر المدينة أو قال: أشرفوا على المدينة قال النبي ﷺ: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**»[1].

* إجلاء بقية اليهود:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «بينما نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول اللَّه ﷺ فقال: «**انطلقوا إلى يهود**»، فخرجنا معه حتى جئناهم، فقام رسول اللَّه ﷺ فناداهم فقال: «**يا معشر يهود، أسلموا تسلموا**»، فقالوا: قد بلّغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: «**أسلموا تسلموا**»، فقالوا: قد بلّغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: «**ذلك أريد**»، ثم قالها الثالثة: «**اعلموا أنما الأرض للَّه ورسوله، وإني أريد أن أجليكم عن هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئًا فليبعه، وإلا فاعلموا أنما الأرض للَّه ورسوله** ﷺ»[2].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في الجهاد (٦/ ١٩٢، ١٩٣) برقم (٣٠٨٥) ـ عن أنس بهذا اللفظ، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٨٧، ١٨٩) عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ بهذا اللفظ أيضًا.

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه» (٣٠٠٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود». كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة.

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «بينما نحن في المسجد خرج النبي ﷺ فقال: «**انطلقوا إلى يهود**»، فخرجنا حتى جئنا إلى بيت المدْراس، فقال: «**أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض للَّه ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئًا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض للَّه ورسوله**»[1].

قال ابن حجر (٦/ ٣١٣): «والظاهر أنهم بقايا من اليهود تأخروا بالمدينة بعد إجلاء بني قينقاع وقريظة والنضير، والفراغ من أمرهم؛ لأنه كان قبل إسلام أبي هريرة، وإنما جاء أبو هريرة بعد فتح خيبر».

(١٤) الحرب الاقتصادية ضد النبي ﷺ والمسلمين:

أراد اليهود أن يُخذلوا أهل المدينة عن الإنفاق على الرسول ﷺ خشية الفقر، فقد طاف رهط من أحبار يهود منهم: حييّ بن أخطب، وكردم بن قيس حليف كعب بن الأشرف، وهما من أحبار يهود بني النضير ـ وأسامة بن حبيب ونافع بن نافع ـ وهما من أحبار يهود بني قريظة، وبحري بن عمرو، ورفاعة بن زيد بن التابوت وهما من أحبار يهود بني قينقاع على أهل يثرب من الأنصار الذين كانوا يخالطونهم قبل الإسلام فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تُسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرون علام يكون.

* قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ**

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الجزية ـ والموادعة ـ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب.

أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٧ ـ ٣٨].

ودفع اليهود إخوانهم المنافقين وعلى رأسهم عبد اللَّه بن أبيّ بن سلول ليقولوا: «لا تنفقوا على من عند رسول اللَّه حتى ينفضّوا».

* قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، وظن هؤلاء أنهم بحجبهم أموالهم عن النبي ﷺ وفاتهم أن مولَى هو الغني المُقيت الذي لا ينقص ملك هو قيمه ومفاتيح خزائن السماوات والأرضين بيده.

(١٥) شتمهم زوجات النبي ـ رضوان اللَّه عليهن ـ والتشبيب بهن، وشتمهم نساء المسلمين والخوض الدنيء في أعراضهن:

وكم لاقت أمهات المؤمنين ـ رضي اللَّه عنهن ـ ونساء المسلمين من لسان شيطان يهود كعب بن الأشرف وشعره ما لاقين، والمؤمن غيور واللَّه أغير منه، ولعلّ طرد يهود بني قَينقاع بسبب المسلمة التي تعرض لها يهود في سوق بني قينقاع دليل على ذلك، ثم يأتي قتل كعب على يد محمد بن مسلمة ورجاله ليخرس لسانه البذيء إلى الأبد ويبقى طهر الطاهرات يعطر الكون من عفافهن، وحياءهن وكرّم اللَّه إحداهن وهي أم المؤمنين عائشة بنزول عشر آيات من فوق سبع سماوات في براءتها مما نسبه إليها عملاء يهود من المنافقين.. وهذا دور يهود على مدار التاريخ بداية من إفكهم وقولهم القبيح على الصديقة مريم التي أحصنت فرجها وكانت من القانتين.

(١٦) محاولتهم قتل النبي ﷺ وسمهم إياه:

وهذي جريمة جرائم اليهود إذ كيف سوّلت لهم أنفسهم الدنيئة الخبيثة قتل الطهر في أجمل مظاهره.. وقتل التقوى والخير بمحاولة قتلهم سيد المرسلين ﷺ.. إن أنفسًا شريرة ماكرة تسمح لأن يمر هذا في خاطرها فقط دون أن تحاسب نفسها لهي خائنة لكل معنى طاهر من المعاني الجميلة التي يعرفها البشر.

لقد سحروا.. وما اكتفوا بهذا.. بل حاولوا قتله كما ذكرنا سابقًا..

لما ذهب إلى بني النضير فنجاه اللَّه من شرهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

بل وسمّوا النبي ﷺ بعد فتحه لخيبر:

فقد عمدت زينب بنت الحارث اليهودية إلى شاة مصليّة على النار فأشبعتها سمًّا، وركزت علئ الذراع، وقدمتها هدية إلى رسول اللَّه ﷺ ومن معه من المسلمين.

● عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن امرأة يهودية أتت رسول اللَّه ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول اللَّه ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: «**ما كان اللَّه ليسلطك على ذلك**»، أو قال: «**علي**»، قال: قالوا: **ألا تقتلها؟** قال: «**لا**»، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول اللَّه ﷺ»[1].

---

(١) رواه البخاري في الهبة (٥/ ٢٣٠) رقم (٢٦١٧) ـ مختصرًا، ورواه مسلم في كتاب السلام (٤/ ١٧٢١) رقم (٤٥/ ٢١٩٠) بهذا اللفظ، ورواه أبو داود في «الديات» =

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: «**اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود**»، فجمعوا له. فذكر الحديث إلى أن قال: «**هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**»، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «**هل جعلتم في هذه الشاة سمًّا؟**»، قالوا: نعم، قال: «**ما حملكم على ذلك؟**»، قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريح، وإن كنت نبيًّا لم يضرك[1].

وقد نقل البيهقي عن الواقدي أنه قال: المثبت عندنا أن رسول اللَّه ﷺ قتلها وأمر بلحم الشاة فأحرق[2].

ثم قال البيهقي: اختلفت الروايات في قتلها، ورواية أنس بن مالك أصحها[3]، ويحتمل أنه ﷺ في الابتداء لم يعاقبها حين لم يمت أحد من أصحابه مما أكل، فلما مات بشر بن البراء أمر بقتلها؛ فأدى كل واحد من الرواية ما شاهد.

وقد تأذى رسول اللَّه ﷺ من ذلك السم أذى شديدًا، فكان يعوده المرض بين الفينة والأخرى:

وقد تتابع المرض على رسول اللَّه ﷺ من جرّاء تلك الأكلة؛ حتى مات بسببها شهيدًا.. فما بيننا وبين اليهود أكبر ثأر وهو قتلهم لنبينا

= (٤/٦٤٧) رقم (٤٥٠٨)، وأحمد في «مسنده» (٣/٢١٨)، والبيهقي في «سننه» (٨/٤٦)، (١٠/١١).

(١) رواه البخاري في الجزية والموادعة (٦/٢٧٢) رقم (٣١٦٩) ـ عنه.. بهذا اللفظ، ورواه الدارمي في «المقدمة» (١/ ٣٥، ٣٦) رقم (٧٠)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤٥١).

(٢) «سنن البيهقي» ـ كتاب الجنايات (٨/٤٧).

(٣) «إن امرأة يهودية أتت رسول اللَّه....».

ﷺ كما يحلف على ذلك عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ وسمهم لأبي بكر الصديق أيضًا.

روى البخاري في «صحيحه» مُعَلقًا، والحاكم في «مستدركه» موصولاً، وغيرهما بالسند إلى عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أَبْهَرِي**[1] **من ذلك السم**»[2].

● وعن أم مبشر ـ ويقال أم بشر ـ أنها قالت للنبي ﷺ في المرض الذي مات فيه: ما تتهم بنفسك يا رسول اللَّه؟ فإني لا أتهم بابني إلا الشاة المشوية التي أكل معك بخيبر، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وأنا لا أتهم إلا ذلك بنفسي، هذا أوان قطع أبهري**»[3].

● وعن أبي الأحوص عن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ

---

(١) أَبْهَرِي: الأبهر هو عرق مستبطن بالقلب إذا انقطع مات صاحبه، انظر: «فتح الباري» (٨/ ١٣١).

(٢) رواه البخاري في «المغازي» (٨/ ١٣١ رقم ٤٤٢٨) ـ معلقًا قال: قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ .. فذكره. قال الحافظ: «وهذا قد وصله البزّار والحاكم والإسماعيلي من طريق عنبسة بن خالد، عن يونس، بهذا الإسناد، وقال البزار: تفرّد به عنبسة عن يونس أي بوصله. ورواه الحاكم موصولاً في «مستدركه» في المغازي (٣/ ٥٨)، ثم قال بعده: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه البخاري فقال: وقال يونس. وقد رواه البيهقي من طريق الحاكم في «سننه» (١٠/ ١١).

(٣) رواه أبو داود في «الديات» (٤/ ٦٥١) رقم (٤٥١٣) عنها ـ بهذا اللفظ ـ بإسناد رجاله ثقات، ورواه الحاكم في «مستدركه» في معرفة الصحابة (٣/ ٢١٩)، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، كما رواه عبد الرزاق في «مصنفه» مرسلاً عن ابن كعب بن مالك (١١/ ٢٩) رقم (١٩٨١٥)، ورجال إسناده ثقات. وأم مبشر هي أم بشر بن البراء بن معرور مات من أثر سم خيبر.

قال: «لأن أحلف باللَّه تسعًا أن رسول اللَّه ﷺ قُتل قتلاً أحبّ إليّ من أن أحلف واحدة [أنه لم يقتل][(١)]، وذلك بأن اللَّه - عز وجل - اتخذه نبيًّا وجعله شهيدًا»[(٢)].

«قتل قتلاً» قال السندي: بسُمٍّ ما تناول من الذراع بأن ظهرت آثاره عند الوفاة، ولا ينافي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، إذ يكفي فيه العصمة عن القتل على الوجه المعتاد فيه، وقد عُصِم منه لا ريب.

قوله: لأن أحلف باللَّه تسعًا.. أحب إليّ...»:

قال السندي: ذلك لما فيه من إظهار شرفه ومكانته عند اللَّه بأنه نبي وشهيد، ولا شك أن غاية الاجتهاد في إظهار شرفه خير من قلة الاجتهاد.

□ وقد ذكر الإمام أحمد هذا الحديث مكررًا برقم (٣٨٧٣)...، وذلك بأن اللَّه جعله نبيًّا واتخذه شهيدًا»، قال الأعمش: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: كانوا يرون أن اليهود سمُّوه، وأبا بكر»[(٣)].

---

(١) زيادة عند الحاكم.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (٣٦١٧)، والحاكم في «مستدركه» (٣/ ٥٨)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي! وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه وتخريجه للمسند. والحديث صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الأحوص، وهو عوف بن مالك فمن رجال مسلم. قال الحاكم: «أحب إليّ من أن أحلف واحدة أنه لم يُقتل».

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٣٨٧٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»ا.هـ. وإسناده صحيح على شرط مسلم.
قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، وآخره مرسل من رواية إبراهيم النخعي فقط.

(١٧) سَمّ اليهود لأبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ:

سمّ اليهود أبا بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ كما مرّ بك.

قال ابن القيم عن الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ: «فهو الثاني في الإسلام، وفي بذل النفس، وفي الزهد، وفي الصحبة، وفي الخلافة، وفي العمر، وفي سبب الموت؛ لأن الرسول ﷺ مات من أثر السم، وأبو بكر سُمّ فمات»[١].

سمّ أولاد الأفاعي والحيّات سيد كهول أهل الجنة خلا النبيين والمرسلين، وهو ثاني اثنين، وهو وعمر من هذا الدين السمع والبصر.

● عن عبد اللَّه بن حنطب ـ رضي اللَّه عنه ـ «أن النبي ﷺ رأى أبا بكر وعمر، فقال: «**هذان السمع والبصر**». يعني: أبا بكر وعمر»[٢].

● وعن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أبو بكر وعمر من هذا الدين، كمنزلة السمع والبصر**»[٣].

(١٨) إجلاء عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ لليهود عن جزيرة العرب:

● عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: لما فدع[٤] أهل خيبر يدي

---

(١) «الفوائد» لابن القيم ص(٧٢)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ١٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي في «سننه» (٤/ ٣١١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٩) وقال صحيح الإسناد، وقال الذهبي: «حسن»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٨١٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٠٠٤).

(٣) **صحيح، وإسناده حسن**: أخرجه الطبراني، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠). وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٤٧٦، ٤٧٧): «وأما حديث الخطيب عن جابر فهو صحيح، وإسناده حسن». وقال: «هذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات».

(٤) فدع: الفدع: هو زوال المفصل، فَدَعت يداه: إذا أُزيلتا من مفاصلهما.

عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ، قام (عمر) خطيبًا فقال: إن رسول اللَّه ﷺ كان قد عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: «**نقرّكم ما أقرّكم اللَّه**»، وإن عبد اللَّه بن عمر خرج إلى ماله هناك، فعدي[١] عليه من الليل، ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا[٢]، وقد رأيت إجلاءهم. فلما أجمع[٣] (عمر) على ذلك أتاه أحد بني الحقيق[٤]، فقال: يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرّنا محمد ﷺ، وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أتظن أني نسيت قول رسول اللَّه ﷺ: «**كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك[٥] ليلة بعد ليلة؟**»، فقال: هذه هُزَيْلة[٦] من أبي القاسم، فقال

---

(١) فعدي عليه من الليل: قال ابن حجر «الفتح» (٥/ ٣٨٦): «قال الخطابي: كأن اليهود سحروا عبد اللَّه بن عمر فالتوت يداه ورجلاه، كذا قال، ويُحتمل أن يكونوا ضربوه، ويؤيده تقييده بالليل في هذه الرواية».

(٢) تهمتنا: أي الذين نتهمهم بذلك. (٣) فلما أجمع: أي: عزم.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧): «وهذا لا يقتضي حصر السبب في إجلاء عمر إياهم، وقد وقع لي فيه سببان آخران: أحدهما رواه الزهري عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة قال: ما زال عمر حتى وجد الثبت عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**لا يجتمع بجزيرة العرب دينان**»، فقال: من كان له من أهل الكتابيْن عهد فليأت به أنفذه له، وإلا فإني مجليكم. فأجلاهم. أخرجه ابن أبي شيبة وغيره. ثانيهما: رواه عمر بن شبة في «أخبار المدينة» من طريق عثمان بن محمد الأخنسي قال: لما كثر العيال ـ أي الخدم ـ في أيدي المسلمين وقووا على العمل في الأرض أجلاهم عمر. ويحتمل أن يكون كل هذه الأشياء جزء علة في إخراجهم. والإجلاء: الإخراج عن المال والوطن على.

(٤) أحد بني الحقيق: هو رأس يهود خيبر.

(٥) القَلوص: الناقةُ الصابرة على السير، وقيل: الشابة، وقيل: أول من يركب من إناث الإبل، وقيل: الطويلة القوائم، وإشار ﷺ إلى إخراجهم من خيبر وكان ذلك من إخباره بالمغيّبات قبل وقوعها.

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الشروط ـ باب «إذا اشترط في المزارعة «إذا شِئتُ =

عمر: كذبت يا عدو اللَّه، فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضًا من أقتاب وحبال وغير ذلك».

وقال عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ: «إن اللَّه ـ عز وجل ـ قد أذن في جلائكم، فقد بلغني أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يجتمع بجزيرة العرب دينان**»، فمن كان عنده عهد من رسول اللَّه ﷺ فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول اللَّه من اليهود فليتجهّز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول اللَّه ﷺ منهم»[1].

* مقتل عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ:

اعلم يا أخي أن كيد اليهود يدمغهم به التاريخ في كل العصور ومن الجهل بمكان استصغار مقدمات الشر، واحتقار أوائل الفتن، فمعظم أحداث التاريخ الكبرى التي تحوّل فيها تاريخ الأمم قد بدأت بنواة صغيرة لم يلق لها الناس بالاً في أول الأمر، ثم نمت فكانت شجرة كبرى ذات جذور متغلغلة وفروع ممتدة وآثار عظيمة.

فانظر: بداية سمّ اليهود رسول اللَّه ﷺ، وسمّوا أبا بكر، وكان وراء مقتل عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ عبد اللَّه بن سبأ اليهودي، وألّهوا عليًّا وأوجدوا التشيع في ديار المسلمين... وعمر ـ رضي اللَّه عنه ـ قد أجلاهم فماذا فعلوا معه؟!

يذهب قوم إلى أن لهم يد في مقتل عمر. ولكن هذا الأمر يحتاج إلى حجة قوية.. أما كون النصارى قتلوه عن طريق العبد النصراني أبو

= أخرجتك»، والدارقطني في «الغرائب»، وعمر بن شبة في «أخبار المدينة».

(١) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٦٨).

لؤلؤة فيروز فهذا ثابت.

قال الأستاذ (عبد الرحمن حَبَنَكة الميداني):

«يمكن القول بأن مقتل عمر بن الخطاب قد كان نتيجة مؤامرة خبيثة دبّرها النفاق اليهودي بالاشتراك مع الحاقدين من غيرهم، ونفّذها عبد نصراني يقال له: أبو لؤلؤة فيروز، ولم يكن عذره فيها إلا عُذْرًا ملفقًا أريد به كتم مدبري الجريمة الحقيقيين»[1].

ويقول الأستاذ (عبد اللَّه التل) في كتابه «جذور البلاء»:

«إذا عدنا إلى التاريخ الإسلامي بعد عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ، ألفينا أصابع اليهود في مؤامرة قتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ واضحةً جلية. فها هو اليهودي كعب الأحبار يتظاهر بالإخلاص للخليفة فينقل إليه نبوءات التوراة «الكاذبة» عن مقتله بعد ثلاثة أيام، وما عهدنا الكتب السماوية تبين عن مقتل أحد وتحدد وقت التنفيذ. ولكنها أساليب اليهود في المكر والخداع. فالواقع يؤكد أن كعب الأحبار كان على علم بمؤامرة الهرمزان وأبي لؤلؤة، وعلى علم بموعد التنفيذ، فتظاهر أن التوراة تنبئ عن مقتل الخليفة ليبعد الشك عن نفسه فيما لو اتسع التحقيق وكُشِفت المؤامرة. وحين نُفِّذت الجريمة اكتفى عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ بالثأر من الهرمزان وجفينة النصرانية، وأبو لؤلؤة منفذ الجريمة قتل نفسه. ولم يجر تحقيق ما بين الفرس واليهود والنصارى الذين كانوا حاقدين على العرب عامة وعلى الخليفة عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ خاصة، لتظهر أصابع

(١) «مكايد يهودية» ص(١٤٩).

الإجرام اليهودي.

ونجا كعب الأحبار بينما أصيب الإسلام بأول ثلمة لم ترتق حتى يومنا هذا»[١].

* لا نوافق أبداً على قول محمد حسين هيكل وعبد اللَّه التل:

لا نوافق أبدًا بأن كعب الأحبار كان وراء مقتل عمر، فكعب الأحبار وثّقه الجهابذة من أهل العلم، وأنه حسن إسلامه كالذهبي وابن حجر وغيرهم من أساطين العلماء... وعدّله ووثقه ورضوا دينه أكابر الصحابة كعمر ومعاوية.. وهما ليسا بالخِبَّيْن، ولكن الخِبّ لا يخدعهما وقد نوّر اللَّه بصيرتهما. ولا نقبل هذا القول إلا بدليل أوضح من الشمس في رابعة النهار، وقد قال ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث...**»[٢].

(١٩) مقتل عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ وراءه ابن السوداء عبد اللَّه بن سبأ اليهودي:

ابن السوداء عبد اللَّه بن سبأ اليهودي اليمني الذي تظاهر بالإسلام، وقدم إلى البصرة يبث سمومه فيها وينادي بالرجعة قائلاً للناس: «كيف تؤمنون برجعة المسيح ولا تؤمنون برجعة نبيكم محمد، وكيف تسكتون على اغتصاب الخلافة من آل البيت»[٣]. وجعل يقول: «إن لكل نبي

---

(١) «جذور البلاء» لعبد اللَّه التل ص(١٦٣ ـ ١٦٤)، و«الفاروق عمر» لمحمد حسين هيكل (٢/ ٣١٩) ـ مطبعة مصر ١٣٦٤..

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) «تاريخ الأمم الإسلامية» لمحمد الخضري ص(٥٣) ـ المكتبة التجارية.

وصيًّا وعلي وصي لمحمد، ومحمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء، ومن أظلم ممن لم يُجز وصية رسول اللَّه ﷺ ووثب على حق وصيِّه وتناول أمر الأمة».

وبعد أن ذاع أمره طُرد من البصرة إلى الكوفة، ليبث سمومه فيها أيضًا، ويخرج إلى مصر، ويجمع حوله الغوغاء والدهماء ليثور الثائرون ظلمًا على ذي النورين ـ رضي اللَّه عنه ـ، ويزوّرون الكتب على لسان عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ ويحاصر الثوار عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ، ويمنعون عنه الماء، ويلحون عليه في التنازل عن الخلافة ويأبى، ويقول: «لن أخلع سربالاً سربلني به اللَّه أبدًا»، ويصبر تنفيذًا لوصية رسول اللَّه ﷺ.

● **«يا عثمان إن اللَّه مُقمِّصُك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني»**[1].

هكذا أوضح النبي ﷺ هويتهم.. مؤامرة يتولاها ويعدّ لها الناقمون على الإسلام.. محنة هبطت بها شراسة المتآمرين إلى السفح.

منعوه زواره، ومنعوه الماء الذي تتفجر به بئر رومة التي اشتراها من خالص ماله وأهداها للمسلمين.

حاصروه أربعين يومًا، وعنده في الدار من المهاجرين والأنصار قريب من سبعمائة، وخَلْقٌ من مواليه، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق، أن يكف يده، وأن ينطلق إلى منزله، وقال

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٩٤٧).

لرقيقه: من أغمد سيفه فهر حرّ.

شيخ تستحي منه الملائكة تجاوز الثمانين يقتله من لا يستحون.

عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ أصبح يحدّث الناس، قال: «رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: يا عثمان، أَفْطِر عندنا». فأصبح صائمًا وقُتل من يومه»[1].

قتلوه وهو يقرأ القرآن وسال الدم على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وباء بها ابن السوداء عبد اللَّه بن سبأ اليهودي.

(٢٠) اليهود وتأليه علي، مثلما ألّهوا موسى ـ عليه السلام ـ، ونشأة الشيعة على يد اليهود:

حرّف اليهود دينهم وجعلوا موسى ـ عليه السلام ـ إلهًا لأخيه هارون، وكذلك إلهًا لموسى، أو شبه إله.

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت أن الرب جعل موسى إلهًا لهارون أخيه، وكذلك إلهًا لفرعون، فقال لموسى:

«أليس هارون اللاوي أخاك.. أنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان.. وهو يكلم الشعب عنك..

وهو يكون لك فمًا، وأنت تكون له إلهًا» خروج ٤: ١٤ ـ ١٦.

«قال الرب لموسى: انظر. أنا جعلتك إلهًا لفرعون. وهارون أخوك يكون نبيك» خروج ٧: ١.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ١٩٠).

وهذا ما تقوله أيضًا ترجمة التوراة للكاثوليك.

أما ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك فقد جعلت موسى مثيل اللَّه!: «هو يخاطب الشعب عنك، ويكون لك فمًا، وأنت تكون له بمثابة اللَّه» خروج ٤: ١٦.

وأما التراجم الإنجليزية والفرنسية فقد اختلفت هي الأخرى مثلما حدث في التراجم العربية.. وهنا نلاحظ.

ـ اتفاق ترجمة الملك جيمس الإنجليزية مع ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك في جعل موسى بالنسبة لهارون بمثابة: اللَّه، وجعله إلهًا بالنسبة لفرعون.

ـ اتفاق الترجمة الفرنسية المسكونية مع ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت في جعل موسى إلهًا لكل من هارون وفرعون.

ـ اتفاق الترجمة القياسية الإنجليزية ـ بوجه عام ـ مع ترجمة لوي سيجو الفرنسية في جعل موسى مثل اللَّه، بالنسبة لكل من هارون وفرعون»[1].

ـ ومثلما أفسدوا النصرانية عن طريق (بولس) اليهودي الأصل، وهو أول من قال بألوهية المسيح وراجت هذه الفكرة عند النصارى وصارت صُلب دينهم المحرّف.

ـ ثم اتجه اليهود لتحريف الإسلام عن طريق ابن السوداء (عبد اللَّه ابن سبأ اليهودي) فغالى أتباع عبد اللَّه بن سبأ من الغوغاء والدهماء من

---

(١) «اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية» للواء أحمد عبدالوهاب ص(٣٢ ـ ٣٣) ـ مكتبة وهبة.

المبتدعة في عليّ ونهاهم عليّ ـ رضي اللَّه عنه ـ فلم يرتدعوا، فحرّقهم بالنار إمعانًا في التنكيل بهم، فقالوا: لا يعذب بالنار إلا رب النار، ولما قتل علي ـ رضي اللَّه عنه ـ قالوا: برجعته وعلى يد هؤلاء المبتدعة وإمامهم في الضلالة عبد اللَّه بن سبأ نشأ الفكر الشيعي المغالي المنحرف عن الجادة ـ أنكر ابن سبأ قتل الإمام وزعم أن عليًّا لم يقتل وأنه حي، وأن فيه الجزء الإلهي، وأنه هو الذي يجيء في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه[١].

ولم تكن دعوة التأليه هذه بالشيء الجديد عند اليهود، فقد كانوا واضعي خطة تأليه المسيح ـ عليه السلام ـ حين عجزوا عن القضاء على المسيحية، فجعلوها تقوم على أسس التثليث أو الأقانيم الثلاثة، وغدت محنة علي بأصحابه كمحنة المسيح، وكلا المحنتين من صنع اليهود[٢].

وظهرت الاثنى عشرية من غلاة الشيعة التي قالت بتحريف القرآن، والرجعة، والبداء وتكفر الصحابة إلا أربعة.

❑ «والحق أن التشيع أصبح مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة وحقد، وكل من استهدف إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية. وكل من كان يقصد استقلال بلاده والخروج على مملكته. كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءته أهواؤهم»[٢].

❑ «وكان من بين هؤلاء المتقنعين بالتشيع والمتسترين وراءه أبناء

---

(١) خطط المقريزي: للمقريزي (٤/ ١٨٢) ـ ط. النيل.

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ١٨٦ ـ مكتبة المثنى ببغداد.

اليهودية المتحطمة في يثرب وخيبر، والنصرانية المهزومة في تبوك ابتداء والروم انتهاء، وأبناء الفرس المكسورين في القادسية وفارس»[١].

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير ـ رحمه اللَّه وطيّب ثراه ـ:

«المؤسس الأول للتشيع الذي عرف فيما بعد هو عبد اللَّه بن سبأ، الذي أرسله يهود صنعاء إلى المدينة متلبسًا بلباس الإسلام، ومتبطنًا الكفر أشد الكفر والنقمة على الإسلام والمسلمين، وهو أول من أسّس التشيع الحالي، التشيع الذي فرّق بين المسلمين وجماعتهم بترويج العقائد التي تختلف تمامًا عما يعتقده المسلمون مقتبسًا عن كتاب اللَّه ـ عز وجل ـ وسنة النبي ﷺ من وصاية علي وإمامته وخلافته بعد النبي بلا فصل، وغيبته ورجعته وتكفير أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي اللَّه عنهم أجمعين ـ، وإظهار البراءة من أصحاب النبي ﷺ بسبهم وشتمهم.

فحاربه علي ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ وأظهر البراءة منه ولعنه وأراد قتله، ولكنه بطلب من أصحابه سيّره إلى المدائن ونفاه هناك»[٢].

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «لقد أنكر بعض المعاصرين وخاصة الشيعة منهم وجود عبد اللَّه بن سبأ مكذبين الشواهد الواضحة، والبراهين الثابتة، والأدلة القاطعة في وجوده، ولقد فنّدنا مزاعمهم في كتابنا «الشيعة وأهل البيت»، ومن أراد المعرفة فليرجع إليه، كما ذكرنا مساعيه في بث سموم الفتنة والفساد، ونشر أفكاره الغريبة على المجتمع

---

(١) «الإسماعيلية تاريخ وعقائد» لإحسان إلهي ظهير ص(٣٥) ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور باكستان.

(٢) المصدر السابق ص(٣٩ ـ ٤٠).

الإسلامي في كتابنا «الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ»[١].

ومن بعده ظهر المغيرة بن سعيد العجلي الذي زاد في عقائد الشيعة أشياء كثيرة، منها اتصاف علي وأولاده بأوصاف لا تليق بالأنبياء والرسل، وأفرط القول فيه حتى وصفهم بأوصاف الإله الواحد القهار، ووصف نفسه بالإمام وأحيانًا بالرسالة، وأباح المحرمات، وقال بتناسخ الأرواح والحلول.. قال جعفر الباقر: «لعن اللَّه المغيرة بن سعيد ولعن اللَّه يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعوذة والمخاريق، إن المغيرة كذب على أبي فسلبه اللَّه الإيمان»[٢].

(٢١) الفاطميون ونسبهم إلى ميمون بن ديصان اليهودي، وما فعلوه بإمام أهل السنة بمصر، وجناية «الإسماعيلية والباطنية» على الأمة المحمدية:

ظهر ميمون بن ديصان القداح اليهودي في الكوفة سنة ٢٧٦هـ، وكان يسرّ اليهودية ويظهر الإسلام نفاقًا، فنصب هذا الخبيث للمسلمين الحبائل، وبغى بهم الغوائل.

وقد كان ميمون القدّاح على ما يذكر المحققون يهوديًّا متعصبًا لليهودية، وهو من ولد الشلعلع من يهود، وكان حبرًا من أحبارهم، وعالمًا بالفلسفة والتنجيم، ومطلعًا على أصول المذاهب والأديان، وكان صائغًا في السلمية[٣] على ما ذكره العالم الفقيه محمد بن مالك اليماني

---

(١) المصدر السابق ص(٣٩).

(٢) المصدر السابق ص(٤٠، ٤١).

(٣) بلدة من بلاد الشام.

من فقهاء اليمن في أواسط المئة الخامسة للهجرة في كتابه «كشف أسرار الباطنية» يقول: «الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب إلاّ من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم، فإنه يشهد لهم الزور، ويساعدهم في جميع الأمور، . . . والدليل على أنهم من ولد اليهود، استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة، وتفويضهم تدبير السياسة ما زالوا يحكّمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم. وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد»[١].

❑ ويصرح قاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني البصري والمعاصر للحاكم وابنه الظاهر بأن المهدي عبيد اللَّه رأس دولة العبيديين ابن يهودي حداد وأن اسمه سعيد فيقول: «سعيد الذي زعم أنه ابن الحسين بن محمد ابن أحمد بن عبد اللَّه بن ميمون القداح. . أن سعيد هذا ليس هو ابن الحسين، وإنما هو ابن امرأة الحسن هذا وأبوه يهودي حدّاد من أهل سليمة من أرض الشام. . ثم صار سعيد إلى سلجماسة من أرض المغرب، وتسمى بعبيد اللَّه»[٢].

❑ وقد أنكر العلماء نسبة الفاطميين إلى أهل البيت، وأقروا «بأنهم كفار فسّاق فجار ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، وقد عطّلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبّوا الأنبياء، ولعنوا السلف

(١) «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» لمحمد بن مالك الحمادي اليمني ـ تعليق الكوثري ص(١٨، ١٩، ٢٠) ـ مطبعة الأنوار سنة (١٩٣٩).

(٢) «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار الهمذاني ـ تحقيق د. عبد الكريم عثمان ص(٥٩٧) ـ ط. دار العربية بيروت.

وادعوا الربوبية»[١]

ومن قال بذلك القاضي أبو محمد بن الأكفاني، وأبو القاسم الجزري، وأبو العباس بن الشيوري ، ومن الفقهاء أبو حامد الإسفراييني وأبو محمد بن الكفلي، وأبو الحسن القدوري وأبو عبد اللَّه الصيمري، وأبو عبد اللَّه البيضاوي، وأبو علي بن حكمان، وأبو القاسم التنوخي، وابن الجوزي، وابن كثير، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وعبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» ص(٢٨٣)، و«أصول الدين» ص(٣٢٩)، وابن حزم الظاهري في كتابه «الفصل»، وكتابه «جمهرة أنساب العرب» ص(٦٠، ٦١)، وأبو المظفر الإسفرائيني، وابن تغري بردي في كتابه «النجوم الزاهرة» (٤/ ٧٥)، والنويري في كتابه «نهاية الأرب» (٣٥/ ١٣٠، ١٣١)، والقلقشندي في كتابه «نهاية الأرب»، والسخاوي في كتابه «الضوء اللامع»، وابن حجر في كتابه «رفع الإصر عن قضاة مصر»، والأمير عز الدين بن باديس صاحب تاريخ أفريقيا والمغرب، وابن عذارى المراكشي في كتابه «البيان في أخبار المغرب».

* معد بن إسماعيل المعز لدين اللَّه أبو تميم الإمام الإسماعيلي الرابع وقتله لابن النابلسي إمام أهل السنة في مصر:

وهو المغالي في إسماعيليته وآرائه الكفرية والباطنية في اللَّه، وبدء الخليقة، والنبوة والوصاية والإمامة، والقرآن، وأصحاب النبي، والثواب والعقاب، والقيامة والمعاد، والحلول والتناسخ، أخذ بعضها من الفلاسفة

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٣٤٥، ٣٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥/ ١٣٢، ١٣٣).

الملحدين، وتأثر بالأفلاطونية الجديدة والفيثاغورية الحديثة، ودين المجوس والثنوية والصابئين والوثنيين.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير، والذهبي قصة قتله لإمام أهل السنة بمصر أبي بكر النابلسي «الزاهد العابد الورع الناسك التقي.. أُحضر بين يدي المعز فقال له: بلغني عنك أنك قلت: لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم، فقال: ما قلت هذا، فظنّ أنه رجع عن قوله فقال: كيف قلت؟ قال: قلت: ينبغي أن نرميك بتسعة ثم نرميهم بالعاشر. قال: ولم؟ قال: لأنكم غيّرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وأطفأتم نور الإلهية، وادعيتم ما ليس لكم، فأمر بإشهاره في أول يوم، ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضربًا شديدًا مبرحًا، ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث فجيء بيهودي[1] فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن، قال اليهودي: فأخذتني رقّة عليه، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات ـ رحمه اللَّه ـ»[2].

كما ذكر المؤرخون أنه أراد ادّعاء النبوة لنفسه، ولكنه خاف من رعيته في المغرب فتراجع وأذّن مؤذنه فوق صومعة جامع القيروان: «أشهد أن معدًا رسول اللَّه فارتجّ البلد لذلك»[3].

* العزيز باللَّه نزار:

خلف بعد أبيه المعز لدين اللَّه. ذكر الإمام الذهبي: «وفي أيامه

---

(١) انظر: جيء «بيهودي» وهذا ليس عن مصادفة.

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٨٤) ـ ط. بيروت، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٤٨ ـ ١٤٩).

(٣) «البيان المغرب» (١/ ٢٨٢)، و«الإسماعيلية» ص(١٣٦).

أظهر سبّ الصحابة جهارًا»، وبمثل ذلك نقل ابن عذارى عن ابن سعدون.

وكان قد استوزر في أيامه اليهود والنصارى، وسلّطهم على رقاب المسلمين، فوقع منهم الأذى البالغ في حقهم[١] فأنكر الناس عليه ذلك حتى أن امرأة كتبت إليه: «بالذي أعزّ اليهود بمنشا، والنصارى بابن نسطورس، وأذلّ المسلمين بك إن لا نظرت في أمري»[٢].

* الحاكم بأمر اللَّه:

خلف العزيز باللَّه نزار ابنه الوحيد أبو علي المنصور الحاكم بأمر اللَّه الذي ذكره الذهبي بقوله: «الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية... وكان شيطانًا مريدًا، جبارًا عنيدًا، كثير التلوّن، سفّاكًا للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر.. كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكامًا يلزم الرعية بها، أمر بسبّ الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع وأمر عماله بالسب»[٣].

وهذا الحاكم هو إله الدروز الذي يعبدونه.

* المستنصر أبو تميم سعد بن الظاهر بن الحاكم:

كانت أمّه سوداء لتاجر يهودي يقال له: أبو سعد سهل بن هارون التستري، فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة

---

(١) «تاريخ ابن إياس» (١/ ١٩٠).

(٢) «الكامل» لابن الأثير (٧/ ١٧٦)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ص(١١٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٦٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٧٣، ١٧٤).

إليه استدنت أمه أبا سعد ورقّته درجة عليا[١] .

كان مستهترًا بالعقائد الإسلامية والمعتقدات الدينية، وكان من عادته كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة، وهو موضع نزهة، فيخرج إليه بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل الهزء والمجانة، ومعه الخمر في الروايا عوضًا عن الماء يسقيه الناس كما يفعل بالماء في طريق مكة[٢] .

وقد أنشد الشريف العقيلي المستنصر في ذلك صبيحة يوم عرفة:

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ... ولا تضح ضحى إلا بصهباء

وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم ... إلى منى، فصفّهم مع كل هيفاء

وعج على مكة الروحاء مبتكرًا ... فطف بها حول ركن العود والناء»[٣]

❑ وقد ذكر ابن عذارى عن ابن سعدون أنه أرسل من كتب السبّ في أستار الكعبة في ليلة ظلماء فأصبح الناس فوجدوه فضج المسلمون لذلك، وأكثروا البكاء لسب الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ[٤] .

❑ وقال الإمام الذهبي: «وكان سب الصحابة فاشيًا في أيامه والسنة غريبة مكتومة»[٥] .

فسلط اللَّه عليه الغلاء والقحط إلى حد تجاوز الوصف.

❑ ولقد عمد العبيديون إلى تولية اليهود المناصب العليا، فعُيِّن

---

(١) «الخطط» للمقريزي ص(٣٥٥).

(٢) «النجوم الزاهرة» (٥/ ١٧، ١٨).

(٣) «الاتعاظ» (٢/ ٢٦٥).

(٤) «البيان المغرب» (١/ ٢٨٧).

(٥) «السير» للذهبي (١٥/ ١٩٦).

اليهودي أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي وزيراً واستمر في الوزارة من عام (١٠٤٤ إلى عام ١٠٤٧) بعد أن أعلن إسلامه نفاقًا، واستعان هذا اليهودي بيهودي آخر يُقال له: أبو سعد التستري، وطفقا جميعًا مع العناصر اليهودية الأخرى المنبثة في البلاد يمعنون في التعصب الذميم لليهود، وانطلقت الحناجر بالتضجر، وظهرت الآهات على ألسنة الشعراء، حتى قال الحسن بن خاقان متهكمًا:

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غايـــة آمالهم وقـــد ملكوا
العزّ فيهم والمـال عنـدهمُ ... ومنـهـمُ المسـتشـار والملكُ
يا أهل مصر قد نصحتُ لكم ... تهـوَّدوا فقد تهـوّد الفـلكُ

* **ملحوظة**: تولّى اليهود في فترات من تاريخ الحكم الإسلامي مناصب عليا في الدولة، فأذلّوا المسلمين في ديار الإسلام، ومنهم سعد الدولة بن الصفي الذي كان له الإشراف على ديوان العراق في ظل دولة المغول منذ سنة ٦٥٦هـ، وعين أخاه فخر الدولة في الديوان، وعيّن فيه يهوديًّا آخر لقبه «مهذب الدولة»، واسمه «نصر بن الماشيري»، ونشط نشاطًا كبيراً في الفتك بالصالحين، فقتل زين الدولة الحظائري «ضامن التمغات»، ومجد الدين إسماعيل بن إياس ضامن أعمال «الحلة» ونائب الديوان في بغداد، وصلب جمال الدين بن الحلاوي ضامن «تمغات» بغداد، فثار المسلمون ثورة عنيفة على اليهود وفتكوا بسعد وإخوته، وكثير من أعيان اليهود وعامتهم[1].

❑وفي دولة الأنـدلس، وفي ظـل حكم البـربـر، وفي أيـام الملك

(١) انظر «مكايد يهودية» ص(١٨٨ ـ ١٩٠).

«باديس» بغرناطة تسلل اليهود عن طريق التجارة والصيرفة والربا وتجارة الخمور والرقيق والجواري.. واستطاع يهودي يُقال له: (ابن نغرالة) أن يصل إلى كرسي الوزارة، وأمسى هذا اليهودي هو الآمر الناهي في شئون الدولة في الأندلس يتصرف بها كما يشاء، ويأخذ المسلمون بما يهوى من ظلم وعسف، واستاء المسلمون من تسلطه الشنيع ومن تفشي الفسق والفجور على يد اليهود، فقال الشاعر:

أبـاديسُ أنـت امـرؤٌ حـاذقٌ ... تصيب بظنـك مرمى اليقـينْ
فكيـف تحبُّ فـراخ الزِّنـا ... وقـد بغّضـوك إلى العالمـينْ
وكيـف استنـمت إلى فـاسـق ... وقارنتـه وهـو بئـس القريـن
فـلا تتخـذ منهـمُ خادمًـا ... وذرهم إلى لعنـة اللاعنـين
فقد ضجّت الأرض من فسقهم ... وكادت تميـدُ بنـا أجمعينْ

وسمّ هذا اليهودي وليّ العهد، وصرف التهمة عنه إلى حاشية الملك، وأرسل إلى صاحب المرية يستعديه على ملك غرناطة، ولما ضاق المسلمون به ذرعًا، ثاروا عليه وقتلوه قبل أن ينفذ مؤامرته الشنعاء[١، ٢].

(٢٢) القرامطة الذين فعلوا الأفاعيل بالمسلمين، وصلتهم باليهود:

لما بث ميمون بن ديصان القداح دعاته في سواد الكوفة أجابه من

---

(١) «مكايد يهودية» ص(١٩١ ـ ١٩٢).

(٢) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/١٥٦): «أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه... وقال أحد الشعراء فيه:

الماكر الغـادر الغاوي لشيعتـه ... شرّ الزنادق من صحب وتُبّـاع
العابدون إذن عجلاً يخاطبهـم ... بسـحر هـاروت من كفر وإبداع
لو قيل للروم أنتم مثلهم لبكـوا ... أو لليهـود لسدّوا صمـغ أسماع

هذا الموضع رجل يُعرف بحمدان بن الأشمث ويلقب بقرمط، وهو رأس القرامطة الذين فعلوا الأفاعيل بالمسلمين.

في سنة ٢٩٤ خرج زكويه القرمطي بالقرامطة وأغاروا على الحجاج الخراسانيين بعد رجوعهم من مكة في مكان يقال له عقبة الشيطان، وقتلوا الرجال عن آخرهم، وسبى القرامطة من النساء ما أرادوا وقتلوا سائرهن، وقد بلغ قتلاه من الحجاج في هذا العام عشرين ألفًا.

وأبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي القرمطي يدخل مكة في ذي الحجة سنة سبع وثلاثمائة، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفًا، وقطع الركن يوم النحر.. قتل اللعين في المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة من الرجال والنساء، وهم متعلقون بالكعبة وردم بهم زمزم، وفرش بهم المسجد وما يليه. وقتل في سكك مكة وشعابها من أهل خراسان، والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفًا، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك. واقتلع الحجر الأسود من موضعه يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، وذهب به معه إلى أن رُدّ في يوم الثلاثاء من يوم النحر من سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

وبطل الحج من العراق بسبب هذا القرمطي اللعين ثلاث سنين متوالية من هذه السنة»[1].

هذا اللعين الذي كان يقول عند الكعبة: أين الطير الأبابيل؟

---

(١) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي المكي ص(٧٤، ١٨٥) ـ مطبعة السنة المحمدية.

❑ وفي هذا يقول شاعرهم:

خذي الدفَّ يا هذه والعبي ... وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة ... وهذي شرائع هذا النبي
فقد حطّ عنا فروض الصلاة ... وحطّ الصيام ولم يتعب
فلا تطلبي السعي عند الصفا ... ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين ... من أقربين ومن أجنبي
فكيف تحلي لهذا الغريب ... وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن رَبَّهُ ... وسقّاه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء ... حلالاً فقُدِّست من مذهب[1]

❑ «ولقد كان الأصبع اليهودي في حركة القرامطة متستر إلى أن كشفه الخليفة المعتضد حين ضيّق الخناق على عزرا بن صمويل كبير تجار اليهود في بغداد، واعترف عزرا بأن اليهود قد مدوا يد العون المالي إلى القرامطة، وحركات بابك الخرمي والسبئيين وميمون القداح، واعترف كذلك بمساعدة اليهود السرية للروم رغم أن تسامح المسلمين أيام العباسيين قد جلب على اليهود النعيم والرخاء، ومع ذلك فإنهم عمدوا إلى مساندة كل حركة تخريبية تقوم في ديار الإسلام»[2] .

---

(١) «كشف أسرار الباطنية» ص(٥٨، ٥٩).

(٢) «الثائر الأحمر» لعلي أحمد باكثير ص(١٣٤ ـ ١٤٠) ـ القاهرة ١٩٥٣ .

(٢٣) مصطفى كمال أتاتورك من يهود الدونمة.. هو واليهود أسقطوا الخلافة العثمانية وعزلوا السلطان عبد الحميد:

تم إسقاط الخليفة عبد الحميد الثاني وفق مسرحية من إعداء المخابرات البريطانية على النحو التالي: أعلن مجلس النواب القرار بعد الفتوى العجيبة بعزله، وتحت ضغط من الاتحاديين. ثم استدعى الصدر الأعظم توفيق باشا إلى المجلس لإبلاغ القرار للخليفة، ولكنه اعتذر فانتخب الاتحاديون وفدًا عجيبًا يندى له الجبين، سيظل يذكره التاريخ أبدًا، فقد كان مؤلفًا من الفريق البحري عارف حكمت وآرام أفندي الأرمني، وعمانوئيل قراصو اليهودي نائب سالونيك، وأسعد طوبطائي الأرناؤطي الخائن، ودخل الوفد على السلطان عبد الحميد فوجدوه واقفًا وكأنه بانتظارهم هادئ الأعصاب متزنًا فقرأ الفتوى عارف حكمت أمامه، فأجابه السلطان الخليفة: «ذلك تقدير العزيز العليم»، فتقدم أسعد طوبطائي، وقال له: لقد عزلتكم الأمة، ولكن عبد الحميد غضب، وقال: تقصد أن الأمة خلعتني... لا بأس، ولكن لماذا جئتم بهذا اليهودي «يقصد قراصو» إلى مقام الخلافة؟[1].

مرّ بك كيف عارض السلطان عبد الحميد الثاني فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين واستقر رأي الصهيونية العالمية على الإطاحة بالسلطان عبد الحميد.

❑ أوصى البارون اليهودي التركي «هيرس» بإنفاق مائتين وخمسين مليون فرنك لتأمين إقامة وطن قومي ليهود العالم.

---

(١) «صحوة الرجل المريض» ص(١٥٥).

❑ وقد أعطى قره صو أربعمائة ألف ليرة ذهبية قبضها من البنك الإيطالي وسلّمها لثري اسمه (نجيب دراغا) الذي أعطاها لأيوب صبري أحد أعضاء «الاتحاد والترقي» لصرفها على أحداث مجزرة ٣١ مارس التي أطاحت بحكم عبد الحميد، وكان قره صو أحد أربعة أبلغوا عبدالحميد قرار عزله، رغم أنه يتمتع بالجنسيتين الإيطالية والعثمانية، وقد فاخر قره صو بعدها بقوله: «إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة إنكليزية ما لم ينفذه عبد الحميد بخمسة ملايين»[1].

❑ وقد اعترف الكاتب الشيوعي التركي إلهامي سوسيال بدور الماسونية في الإطاحة بعبد الحميد قائلاً: «إن إجبار عبد الحميد على قبول المشروطية ١٩٠٨م، ثم الإطاحة به عن العرش نهائيًّا كان من فعل الماسون، الذين لعبوا أخطر أدوارهم في الحادثتين، وأن كبار رجال الاتحاد والترقي كلهم تقريبًا من الماسون».

وبالفعل فقد كان أحمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثين الاتحادي ماسونيًّا من أب إنكليزي وأم نمساوية، ودوره مشهود في إثارة الأقليات ومجزرة ٣١ مارس.

❑ وسعيد باشا القبرصي هو أحد رجال الماسونية.

❑ وكان محمود طلعت باشا الصدر الأعظم الاتحادي، ووزير الداخلية أستاذًا لمحفل سالونيك، وكذلك كان جمال باشا ناظر البحرية، ومانياس زاده توفيق وزير العمل، ومدحت شكري العضو الدائم والأمين العالم للجنة المركزية الاتحادية.

---

(١) المصدر السابق ص(٢٢٨).

وعمانوئيل قره صو نائب سلانيك والأستاذ الأعظم لمحفل مقدونيار يزوتا، ومحمد جاويد النائب ووزير المالية، والدكتور رضا توفيق الطبيب والنائب والكاتب، جميع هؤلاء كانوا من أعضاء الاتحاد والترقي ومن الماسونيين في وقت واحد.

وقد نظمت الماسونية العالمية المؤامرة الأرمنية الأولى بتشجيع من كال إدوارد السابع ملك بريطانيا الماسوني الذي قدّم ١٣ ألف ليرة ذهبية للمنظمة الأرمنية «الطاشناق» لقتل عبد الحمد، وتم القبض على الأرمن بالباب العالي فتدخل السفير لحمايتهم بحجة الامتيازات الأجنبية وتم له ما أراد.

ثم رتبت الماسونية المؤامرة الأرمنية الثانية للتخلص من عبدالحميد فكلّف يهود سويسرا اليهودي إدوارد جورج الفرنسي الجنسية بالتعاون مع منظمة الطاشناق الأرمنية أيضًا، لإدخال عربة صنعت خصيصًا ووصلت استانبول قطعة قطعة وتم تركيبها لتكون «قنبلة جحيم» تحت كرسي القيادة حيث تنفجر في الوقت الذي يخرج فيه السلطان عبد الحميد لصلاة الجمعة بجامع يلذر، وقد ذهب ضحيتها عشرات الأرجل والأيدي البشرية، وبقي عبد الحميد وحيدًا ليركب عربته ويدخل بها قصر يلذر، وكشفت لجنة التحقيق برئاسة نجيب ملحم عن وجود نشرة تحتوي ٢٢ مادة من دستور المنظمة الصهيونية العالمية، كما ألقى القبض على كريستوفر ميكائليان وابنته روبينا وقسطنطين قيوليانا وهو يهودي روسي اضطر لقطع شرايينه والموت انتحارًا[١].

(١) المصدر السابق ص(٢٣٠).

❑ وسيطر يهود الدونمة الذين يظهرون الإسلام ويبطنون اليهودية، وهم أتباع «سباتاي سيفي» ومن ورائهم الصهيونية العالمية على «الاتحاد والترقي».

❑ وفي عام ١٩١٠م أرسل السفير البريطاني لدى الأستانة مذكرة إلى حكومته يبين فيها سيطرة اليهود على «الاتحاد والترقي» و«تركيا الفتاة»، قال فيها: «إن الجمعية تبدو في تشكيلها الداخلي تحالفًا ثنائيًّا يهوديًّا تركيًّا، فالأتراك يمدونها بالقوة العسكرية، واليهود بالعقل المدبر والمال والنفوذ الإعلامي في أوربا»[1].

* هـ. س أرمسترونج والمخابرات البريطانية وراء اليهودي مصطفى كمال أتاتورك:

عرف الكابتن هـ.س أرمسترونج كيف يختار مرشحه لرئاسة تركيا العلمانية، ووجد ضالته في «الذئب الأغبر» و«الرجل الصنم» مصطفى كمال أتاتورك وهو ابن غير شرعي، وأمه عرفها مجتمع سالونيك بسوء سمعتها.

ولقد أملى اللورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا في وزارة ديفيد لويد جورج على عصمت باشا مبعوث مصطفى كمال إلى بريطانيا عام ١٩٢١م الشروط التالية للموافقة على استقلال تركيا:

١ ـ أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

٢ ـ أن تلغى الخلافة الإسلامية.

---

(١) المصدر السابق ص(٢٥٦).

٣ ـ أن تتعهّد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

٤ ـ أن تختار تركيا لها دستورًا مدنيًّا بدلاً من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة، ونفذ أتاتورك ما أملته عليه بريطانيا.

وقد ألّف المؤرخ الألماني اليهودي (أميل لودفيغ) كتابًا بتمجيد مصطفى كمال حيث سماه «الذئب الأغبر»، وفيه يقارن بينه وبين نابليون ويفضله عليه؛ لأنه ألغى الخلافة.

وحين ألغى مصطفى أتاتورك الخلافة استعان بثلاثة من رجاله أحدهم ضياصفت السكرتير العام لحزب الشعب، وهو يهودي «دونمة» قدير حاضر البديهة كان يسرد على مسامعه أنباء اليوم الهامة وشئون الحزب.

قال مصطفى كمال أتاتورك وقد وقف مرة يفتتح جلسة البرلمان التركي بعد فصله للسلطنة عن الخلافة، وقبيل انقضاضه نهائيًّا على الخلافة نفسها فقال: «نحن الآن في القرن العشرين، لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون «أي القرآن الكريم».. ويصفق له أنصاره من الماسون والدونمة وعملاء الإنكليز، ويقول قائلهم: سلمنا البلاد لأيدي أتاتورك الأمينة، وتركيا الكعبة للعرب، وتأخذه النشوة فيقول: «سنطيح برأس كل خليفة يحاول أن يُدخل أنفه في أمور الدولة..»[1]

لقد كانت بيوت اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية أوكارًا لجمعية الاتحاد والترقي يمهدون فيها للقضاء على دولة الخلافة.. ولقد اعترفت الماسونية ربيبة الصهيونية بجميل (مصطفى كمال) فجاء في «دائرة المعارف

(١) المصدر السابق ص(٢٧٣).

الماسونية» ما يلي: «إن الانقلاب التركي الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة فقد أبطل السلطنة، وألغى الخلافة، وأبطل المحاكم الشرعية، وألغى دين الدولة الإسلامية، أليس هذا هو ما تبتغيه الماسونية في كل أمة ناهضة فمن يماثل أتاتورك من رجالات الماسون سابقًا ولاحقًا»[1].

❑ وقبيل وفاة (مصطفى كمال) اليهودي الماسوني استدعى السفير البريطاني في أنقرة وأعلمه برغبته في ترشيحه لوراثته في رئاسة تركيا مما يؤكد عمالته للإنجليز وأن ولاءه لبريطانيا كان يفوق ولاءه لتركيا.

❑ قال الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في تركيا، وكان معاصرًا لمصطفى كمال:

«والرجل ـ أي مصطفى كمال ـ من لا تجد إنكلترا مثله، ولو جدّت في طلبه من حيث إنه يهدم ماديات الإسلام وأدبياته ولا سيما أدبيّاته في اليوم ما لا تهدم إنكلترا نفسها في عام فلما ثبتت كفايته وقدرته من هذه الجهات فوق كفايته وقدرته في طرد اليونان من الأناضول استخلفته لنفسها وانسحبت من بلادنا»[2].

يا أخت أندلس عليك سلام ... هوت الخلافة عنك والإسلام
طوي الهلال عن السماء فليتها ... طُويت وعم العالمين ظلامُ
خفت الأذانُ فما عليك مُوحِّدٌ ... يسعى ولا الجُمَع الحسانُ تقامُ

(١) المصدر السابق ص(٢٧٣).
(٢) المصدر السابق ص(٢٨١).

ويقول شوقي ـ رحمه اللَّه ـ:

عادت أغاني العُرْسِ رَجْعَ نواحِ ... ونُعيتِ بين معالمِ الأفراحِ
كُفِّنْتِ في ليل الزفاف بثوبه ... ودُفِنْتِ عند تبلّج الإصباح
شُيِّعتِ من هَلَعٍ بَعبْرَة ضاحكٍ ... في كل ناحيةٍ وسَكْرَة صاحِ
ضجّت عليك مآذن ومنابرٌ ... وبكت عليك ممالِكٌ ونواحِ
الهند والهة ومصر حزينة ... تبكي عليك بمدمع سَحَّاحِ
والشام تسأل والعراق وفارس ... أَمَحَى من الأرض الخلافةَ ماحِ
خَطْب أتى طول الليالي دونه ... قد طاح بين عشيةٍ وصباح
وعلاقة فُصِمت عرى أسبابها ... كانت أبرّ علائق الأرواح
بكت الصلاة وتلك فتنة عابث ... بالشرع عربيد القضاء وقاح
أفتى خزعبلة وقال ضلالةً ... وأتى بكفر في البلاد بُواحِ
فلتسمعن بكل أرضٍ داعيا ... يدعو إلى الكذّاب أو لسجاح
ولتشهدنّ بكل أرض فتنةً ... فيها يباع الدين بيع سَمَاحِ
يُفتي على ذهب المعز وسيفه ... وهوى النفوس وحقدُها الملحاحِ

(٢٤) خروج الدّجال من اليهود، وخروجهم معه:

اليهود وراء كل فتنة.. لا يتركون فتنة إلا وأذكوها.. حتى آخر فتنة على وجه الأرض.. الدجال. فالدّجال أعظم فتنة على وجه الأرض منذ خلق اللَّه السماوات والأرض إلى يوم القيامة يخرج من يهود أصبهان وهي بلدة بفارس:

● عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يخرج الدّجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم السيجان»**[١، ٢].

□هذه بعض صفات يهود.. قال البوصيري في لاميته الشهيرة:

والعابدونَ العجلَ قَدْ فُتِنُوا به ... ودّوا اتخاذ المرسلين عُجُولا
فإذا أتتْ بُشرى إليهم كذّبوا ... بهوى النفوسِ وَقتّلوا تقتيلا
أبناءُ حَيّاتٍ أَلَمْ ترَ أنّهم ... يَجِدُون تِرْياقَ السموم قتولا
أخلَوْا كتاب اللَّه من أحكامه ... غَدْرًا وكان العامرَ المأهولا
جعلوا الحلالَ به حرامًا والهُدَى ... غَيًّا وموصولَ التقى مفصولا
كتموا العبادة والمعاد وما رَعَوْا ... للحق تعجيلا ولا تأجيلا
ودعاهُمُ ما ضيّعوا من فضله ... أن يملئوه من الكلام فضولا
وكفاهمُ أن مثّلوا معبودهم ... سبحانه بعباده تمثيلا
وبأنهم دخلوا له في قُبّةٍ ... إذ أزمعوا نحو الشآم رحيلا
وبأن إسرائيلَ صارع ربه ... فرمى به شكرًا لإسرائيلا

---

(١) السيجان: جمع ساج، وهو ـ كما قال ابن الأثير ـ الطيلسان الأخضر، وقيل: هو الطيلسان المقور، ينسج كذلك. «النهاية» (٢/ ٤٣٢).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» ـ كتاب الفتن ـ باب: في بقية من أحاديث الدّجال (٤/ ٢٢٦٦) بهذا اللفظ، لكن فيه «يتبع الدّجال..» وفيه «الطيالسة» بدل ما هنا، والطيالسة جمع طيلسان، وهو: أعجمي معرّب، وهو: ثوب يلبس على الكتف، يحيط بالبدن، ينسج للبس خال من التفصيل والخياطة.
ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٢٤) بهذا اللفظ إلا أن فيه «التيجاني» بالتاء بدل السين.

وبأنهم ضربوا ليسمع ربُّهم ... في الحرب بوقاتٍ لهم وطُبُولا
وبأنه من أجل آدم وابنه ... ضرب اليدين ندامةً وذُهُولا
وبأن رب العالمين بدا له ... في خلق آدم يا له تجهيلا
وبدا لهم في قوم نوحٍ وانثنى ... أسفًا يَعُضُّ بنانه مذهولا
وبأن إبراهيم حاول أكله ... خبزا ورام لرجله تغسيلا
وبأن أموال الطوائف حُلِّلَتْ ... لهمو ربًا وخيانة وغلولا
وبأنهم لم يخرجوا من أرضهم ... فكأنما حسبوا الخروج دخولا
لم ينتهوا عن قذف داود ولا ... لوط فكيف بقذفهم روبيلا
وعزوا إلى يعقوب من أولاده ... ذكرًا من الفعل القبيح مهولا
ودعوا سليمان النبي بكافرٍ ... واستَهْوَنُوا إفكًا عليه مقولا

* جزاء اليهود إخوان الخنازير والقرود:

اللَّه يفعل ما يريد، وحكمه ماضٍ في العبيد، على النهج الشديد ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ...﴾ [هود: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦].

واللَّه سبحانه وتعالى عدل، وما يُنزله بالكافرين من أنواع الهلاك والخزي في الدنيا، وما أعده لهم من العذاب المهين في الآخرة، فهو لما يستحقونه، فإنه لا يأخذ إلا بذنب، ولا يعذب إلا بعد قيام الحجة.

● عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه**

ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[1] [هود: ١٠٢].

● وعن جابر بن عبد اللَّه، عن عبد اللَّه بن أنيس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**يحشر اللَّه العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب، أنا الملك أنا الديان**»[2].

حصادك يومًا ما زرعت وإنما ... يدان الفتى يومًا كما هو دائِنُ

وانظر إلى جزاء اللَّه لليهود في الدارين:

* جزاء اللَّه لليهود في الدنيا:

(٢٥) غضب اللَّه عليهم:

ومن يقدر على غضب اللَّه، قال تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١]. وقال تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة: ٩٠].

* وقال تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧].

* وقال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه.

(٢) «صحيح البخاري» ـ كتاب التوحيد ـ باب: قول اللَّه تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾

وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٢].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠].

* وقال تعالى: ﴿ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه: ٨١].

عرفوا الحق ثم حادوا عنه فاستحقوا غضب اللَّه، الذي لا يقوم لغضبه شيء...

* قوله تعالى: ﴿ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ غضب بعد غضب بحسب تكرر كفرهم وإفسادهم وقتلهم الأنبياء. وقصد التعدد في قوله: ﴿ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ أظهر، ولا ريب أن تعطيلهم ما عطلوه من شرائع التوراة وتحريفهم وتبديلهم يستدعي غضبًا، وتكذيبهم الأنبياء يستدعي غضبًا آخر، وقتلهم إياهم يستدعي غضبًا آخر، وتكذيبهم المسيح وطلبهم قتله ورميهم أمه بالبهتان العظيم يستدعي غضبًا، وتكذيبهم النبي ﷺ يستدعي غضبًا، ومحاربتهم له وأذاهم لأتباعه يقتضي غضبًا وصدهم من أراد الدخول في دينه عنه يقتضي غضبًا، فهم

الأمة الغضبية أعاذنا اللَّه من غضبه، فهي الأمة التي باءت بالغضب المضاعف المتكرر وكانوا أحق بهذا الاسم والوصف من النصارى. فهذا غضب مشفوع باللعنة والمسخ، وهو أشد ما يكون من الغضب.

واليهود أغلظ كفرًا من النصارى، ولهذا كان الغضب أخص بهم واللعنة والعقوبة فإن كفرهم عن عناد وبغي، فالتحذير من سبيلهم والبعد منها أحق وأهم بالتقديم وليس عقوبة من جهل كعقوبة من علم وعاند»[١].

● عن عدي بن حاتم وذكر قصة إسلامه.. إلى أن قال ـ حكاية عن رسول اللَّه ﷺ ـ فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: «**ما يُفِرُّك أن تقول (لا إله إلا اللَّه) فهل تعلم من إله سوى اللَّه؟**» قال: قلت: لا، قال: ثم تكلم ساعة، ثم قال: «**إنما تفرُّ أن تقول (اللَّه أكبر) وتعلم أن شيئًا أكبر من اللَّه؟**» قال: قلت: لا، قال: «**فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال**»[٢].

● وعن عبد اللَّه بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي ﷺ وهو بوادي القرى، وهو على فرسه، فسأله رجل من بلقين، فقال: يا رسول اللَّه من هؤلاء؟ قال: «**هؤلاء المغضوب عليهم**» وأشار إلى اليهود، قال: فمن هؤلاء؟ قال: «**هؤلاء الضالين**»، يعني النصارى، قال: وجاء رجل، فقال: استشهد مولاك، أو قال: غلامك فلان، قال: «**بل يُجرّ إلى النار في عباءة غلّها**»[٣].

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية.

(٢) صحيح: رواه الترمذي في «سننه» في كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة فاتحة الكتاب (٨/ ١٥١، ١٥٢، ١٥٣) برقم (٢٩٥٦)، ورواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٧٨) قريبًا من هذا، وابن حبان في «صحيحه» كما جاء في «الموارد» (١٢٧٩) قريبًا من هذا، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٢٠٢).

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٧٧) بهذا اللفظ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣١٠): رواه كله أحمد ورجاله رجال الصحيح. ورواه أبو يعلى، وقال الهيثمي: إسناده صحيح. وقال البوصيري: رواته ثقات. ورواه أحمد بن منيع، ورواته ثقات كما قال البوصيري.

(٢٦) لعنة اللَّه إياهم:

* قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

واللعن دعاء بالطرد مطلقًا من رحمة اللَّه.. ويا شقوة من طرده اللَّه من رحمته التي وسعت كل شيء.

● قال ﷺ: «**لعن اللَّه اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[١].

● وقال ﷺ: «**لعن اللَّه اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢].

● وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لعن اللَّه اليهود، إن اللَّه حرّم عليهم الشحوم، فباعوها، وأكلوا ثمنها، وإن اللَّه إذا حرّم على قوم أكل شيء حرّم عليهم ثمنه**»[٣].

(٢٧) عقوبتهم بالتيه:

* قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

□ قال ابن كثير: «لما دعا عليهم موسى - حين نكلوا عن الجهاد -

---

(١) رواه أحمد عن أسامة بن زيد، ورواه أحمد والبخاري، ومسلم، والنسائي عن عائشة وابن عباس معًا، ورواه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه النسائي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٠٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، والبيهقي في «سننه»، والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٠٧).

حكم اللَّه عليهم بتحريم دخولها مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه، يسيرون دائمًا لا يهتدون للخروج منه»[١].

(٢٨) ضُربت عليهم الذلة والمسكنة:

«لليهود موقع تاريخي قضاه اللَّه عليهم وهو القاعدة، وما عداه شذوذ قد يكون لهم ضمن مقتضيات الحكمة الربانية في المجتمع البشري.

هذا الموقع التاريخي الذي هو القاعدة هو موقع الذلة والمسكنة[٢] أينما ذهبوا، وحيثما وجدوا، ضربت عليهم المسكنة تعيش في ضمائرهم وتكمن في مشاعرهم. قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

* وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فالذلة مضروبة عليهم أينما ثقفوا وأينما وجدوا في الشرق أو في الغرب، هذه هي القاعدة في تاريخهم الطويل.

وأما الاستثناء الذي هو شذوذ القاعدة، فهو أن الذلة المضروبة

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٥٦).

٢) «مكايد يهودية» ص(٤٥٥).

عليهم ترتفع عنهم بحبل من اللَّه وحبل من الناس.

(٢٩) سومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ[١] رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ[٢] سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

قال ابن كثير: (تأذّن): تفعل من الأذان، أي: أعلم، قاله مجاهد، وقال غيره: أمر، وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة؛ ولهذا تُلُقِّيَت باللام في قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ أي: على اليهود.

كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكُشدانيين والكُلدانيين، ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم، وأخذهم منهم الجِزَى والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت صغاره وذمته يؤدون الخراج والجِزَى.

وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس: هي الجزية، والذين يسومونهم سوء العذاب: محمد رسول اللَّه ﷺ، وأمته إلى يوم القيامة.

قلت: «ثم في آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصار الدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ آخر الزمان»[٣].

---

(١) وإذ تأذن ربك: علم ربك ما سيكون من يهود إلى يوم القيامة، فقضى عليهم بملاحقتهم بالعقوبة.

(٢) يسومهم: يحمّلهم ويكلّفهم ويضرب عليهم، ويسوقهم بعنف وشدة.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/٤٢٨ ـ ٤٢٩).

فهو إذْن الأبد الذي تحقق منذ صدوره، فبعث اللَّه على اليهود في فترات من الزمان من يسومهم سوء العذاب، والذي سيظل نافذًا في عمومه، فيبعث اللَّه عليهم بين آونة وأخرى من يسومهم سوء العذاب، وكلما انتعشوا وانتفشوا وطغوا في الأرض وبغوا، جاءتهم الضربة ممن يسلطهم اللَّه من عباده على هذه الفئة الباغية النكدة، الناكثة العاصية، التي لا تخرج من معصية إلا لتقع في معصية، ولا تثوب من انحراف حتى تجنح إلى انحراف.

ولقد يبدو أحيانًا أن اللعنة قد توقفت، وأن يهود قد عزّت واستطالت! وإن هي إلا فترة عارضة من فترات التاريخ.. ولا يدري إلا اللَّه من ذا الذي سيسلط عليهم في الجولة التالية، وما بعدها إلى يوم القيامة.

لقد تأذن اللَّه بهذا الأمر الدائم إلى يوم القيامة.

فاليهود إخوان القردة والخنازير.. معذبون أبدًا وضائعون أبدًا...

❑ ورحم اللَّه محمود حسن إسماعيل حيث يقول في قصيدته: «قيامة الثأر»:

❁ قيامة الثـــأر ❁

مشرَّدُونَ أَبدَا..

وتائهون أَبدَا..

مهما طلبْتُمْ لخطاكمْ سكنَا،

مهما نَهبتُمْ في سُراكمْ وطنَا،

فالأرض تحت رِجْسِكم دَمارُ
وصمت قبرٍ، همسُه جبارُ
وحين ينقَضُّ لديه الثَّارُ
ستصْبحون بَدَدَا . .
محيَّرون أَبدا
وضائعون أَبدا

❁ ❁ ❁

مشردون أَبــدا
وتائهون أَبــدا
ولعنة الأكوان تَجري في خُطاكم سَرْمدا . .
ملءَ الدروب، والغيوب، باغتتكم رصدَا
ينسَلُّ من أَوزاركم، من كل أُفْق أَو صدَى
شبَّتْ سَدُومُ من حشاكم نارَهُ
وجرَّعتْكُمْ قبل «موسَى» عارَهُ
وفرَّقتكُمْ كي تذوقوا ثارَهُ . .
. . في ظلُماتٍ أَنكرتْ من غيظها وجودَكم
وأَنْشَبت في الريح من أَصفادها قيودَكمْ
تقذفكم بويلها، وليلها الضَّرير

في القلق المنبوذ تحت ضيعة المصير
في آهة مصلوبة على صدَى . .
وصوت ذل مستطيرٍ ردَّدا . .
مشتَّتُونَ أبـــدا
مُفَتَّتُون أَبَـــدا

مشردون أَبـــدا . . وأَبـــدًا مشردين!
مضيَّعون أَبـــدا وسرمَدًا مضيَّعينْ!
بكل نور شَعَّ للإنسان، كنتم جاحدينْ
لكل إِلهامٍ من السماءِ، رحتم مفسدين
لكل دين أَرسل اللَّه، ذهبتم منكرين
عن كل شرع من نبي جاءَ، قمتم مُعْرضين
وكلُّ هادٍ مرَّ بالدنيا، وقفتم ناقمين . .
«موسى» يناجي اللَّه فوق سينا،
وأَنتم للعِجل ساجدينا؛
محيَّرين التِّيهَ أربعينا . .
حتى نُسِخْتُم فيه أَجمعينا!
وحين جاءَ خاتَمِ الهُداةِ

من النبِّيين إلى الحياة،
بذرتُمُ السُّمَّ على الراحات
وكنتم مزاحفَ الحياتِ
لمن سرى لنور في الآياتِ
فعاودتكمْ لعنة اللِّعْناتِ
وعدتُم للتيه والشتاتِ..
لا تبصرون في الضلال أحدا
ولو تَخذتُمْ كل إفك سنَدَا
الكون في طريقكم تبدَّدَا
والناس صاروا لعَنَاتٍ وعِدَا!!
ممزَّقون.. أَبـــدا
مطاردون.. أَبـــدا

❁ ❁ ❁

مشردون أَبــدا
وتائهون أَبـــدا
وفي يديكم لم يزل دم السماءِ ينزف الخطيئَهْ
على تراب لم تزل أقداسه رغم الدجى مضيئه
مشى عليه عاركم بخطوة أَفَّاقة دنيئه
متاهةً، دُنِّس طهرُ الكون من أرجاسها الخبيئَهْ

حطَّتْ بكم خيانةٌ ستحصدون ويْلها
ونوْبة للتيه، يومًا تشربون ذُلَّها..
وتعبرُون دربكُمْ على نعوش «بابل»...
منذُ مراثي الذل تُشجى وخزَة السَّلاسِل
وأَنتُمُ في كل أرض سيرة القلاقلِ
والغدر، والضياع، والشّرور، والمباذِلِ..
على سماءِ المسجد الأَقصى وفي محرابه
وفي سفوح جبل النار وفي هضابه
وفي ضفاف دجلة والبأس في عبابِهِ
وفي ثرى دمشق، في زمجرة لغابه
وفي حمى النيل، وهول النار في شبابه
في ثورة دكَّتْ ظلام الرق من قِبابِه..
.. قيامةُ الأَحرار هبَّت للفدا
لتدفن اللصوص في غياهب الردَى
فيرجعــون للمــدَى
مشتَّتين أَبــدا
مضيَّعين أَبــدا

مشرَّدُون أَبــدا

وتائهون أَبــدا

مهما استجاروا . . فالمجيرُ لعنة الأَقدارِ

ولعنة الشعوب من سُراهم الغدارِ

ولعنة السماءِ في العشيِّ والإِبكارِ

ولعنة الذل . . رمتها قبضة الأَحرار

. . يومَ يدق الهول باب تائهٍ مشردٍ مخْذُولْ

وتصبح الزنود كالريح فوق تيه «إسرائيل»

تزفُّها للتيه من جديد

ملعونةً في خطوها الشريدِ

وراية النصر بكفِّ الثائِر

تحدو ضُحاها عزمــات الناصر

تشدو . . وتشدو أَبــدا

مشردون أَبــدا

وتائهــون أَبــــــدا[1] .

(١) قصيدة «قيامة الثأر» لمحمود حسن إسماعيل ـ الأعمال الكاملة .

(٣٠) وقوع المسخ فيهم:

يا لذل اليهود ويا لمهانتهم وهوانهم على اللَّه حيث وقع المسخ فيهم.. حيث مسخ اللَّه بعضهم قردة وخنازير، كما حصل لأصحاب السبت. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ١٦٣]. أي: ذليلين حقيرين مهانين.

* وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

● عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**الحيات مسخُ الجن صورة، كما مسخت القردة والخنازير من بني إسرائيل**»[1].

▫ قال قتادة: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: فصار القوم قردة تَعَاوىَ لها أذناب بعدما كانوا رجالاً ونساء.

▫ وعن مجاهد: مُسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه اللَّه ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

---

(١) صحيح: قال الهيثمي في «المجمع» (٤/٤٦): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، والبزار بالاختصار، ورجاله رجال الصحيح [ولم يذكروا لفظ: «صورة»]، ورواه الطبراني في «الكبير»، وأبو الشيخ في «العظمة»، والضياء، وابن أبي حاتم، وابن حبان [وفيه لفظ: «صورة»]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٠٣).

وبعد أن ساق ابن كثير أقوال الأئمة قال: قلت: «والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد ـ رحمه اللَّه ـ من أن مسخهم إنما كان معنويًّا لا صوريًّا، بل الصحيح أنه معنوي صوري واللَّه تعالى أعلم»[١].

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود، فتستحلوا محارم اللَّه بأدنى الحيل**»[٢].

(٣١) ابتلاؤهم بالطاعون:

ومن عقوبات بني إسرائيل في الحياة الدنيا ابتلاؤهم بالطاعون عقابًا من اللَّه لهم، قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[البقرة: ٥٩].

● عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول اللَّه ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الطاعون رجس أُرسل على طائفة من بني إسرائيل ـ أو على من كان قبلكم ـ فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**»[٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٣٦ ـ ٤٤٠).

(٢) إسناده جيد: أخرجه ابن بطة في جزء «الخلع وإبطال الحيل» ص(٢٤)، وجود إسناده ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ٥١٣)، وحسّنه في «تهذيب السنن» (٥/ ١٠٣)، وابن تيمية في «الفتاوى» (٢٩/ ٢٩)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤٤٢): وهذا إسناد جيد.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب (٥٤) حديث رقم (٣٤٧٣)، ومسلم في «صحيحه» ـ كتاب السلام باب الطاعون والطيرة (٤/ ١٧٣٧)، ومالك في الموطأ ـ كتاب الجامع ـ باب ما جاء في الطاعون (٢/ ٨٩٦) رقم (٢٣)، وأحمد في =

(٣٢) الإصر والأغلال التي كانت على يهود، والتشديد عليهم في العبادة:

تنطع اليهود وشدّدوا على أنفسهم فشدّد اللَّه عليهم في العبادات والأطعمة والأعياد، وغير ذلك بتكاليف تهدّ الأركان.

* قال تعالى مبينًا نعمته على هذه الأمة المحمدية: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

* وقال تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

● عن عبد الرحمن بن حسنة قال: «انطلقت أنا وعمرو بن العاص إلى النبي ﷺ فخرج ومعه درقة[١] ثم استتر بها ثم بال، فقلنا: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمع ذلك فقال: «**ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل؟ كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابهم البول منهم، فنهاهم صاحبهم عن ذاك فهو يعذب في قبره**»[٢].

= «مسنده» (٥/ ٢٠١) بهذا اللفظ، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ١٤٦) رقم (٢٠١٥٨).

(١) درقة: بفتح الدال والراء هو: الترس، يتخذ من الجلود، ليس فيه خشب ولا عصب «تاج العروس» (٦/ ٣٤٢)، و«عون المعبود» (١/ ١٠).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (١/ ٢٦، ٢٧) رقم (٢٢)، والنسائي (١/ ٢٦ ـ ٢٨) إلا أن فيه: «فقال بعض القوم» وابن ماجه (١/ ١٢٤، ١٢٥) رقم (٣٤٦)، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨٤).

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: دخلت عليّ امرأة من اليهود فقالت: إن عذاب القبر من البول، فقلت: كذبت، قالت: بلى، إنا لنقرض منه الجلد والثوب، فخرج رسول اللَّه ﷺ إلى الصلاة وقد ارتفعت أصواتنا، فقال: «ما هذا؟»، فأخبرته بما قالت، فقال: «صَدقَت». فما صلى بعد يومئذ صلاة إلا قال في دبر الصلاة: «**رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أعذني من حر النار وعذاب القبر**»[١].

ومن هذه الأغلال والإصر: نظام الأعياد التي يعيّدونها للَّه في السنة، وهي عيد الفطير وعيد الحصاد وعيد المظال، وكذلك عيد كل سبت، لا يعمل فيه أدنى عمل، وكذلك سبت المزارع. ففي كل سنة سابعة سبت للأرض، لا يزرع فيها، ولا يقطف الكرم، بل تترك الأراضي عطلاً، وغلاّت الكروم مأكلاً لفقراء شعبهم ووحوش البرية، ومنها: أن من ضرب أباه أو أمّه أو شتمهما أو تمرّد عليها وعصاهما يُقتل حدًّا. وكذا من يعمل يوم السبت يُقتل. ومَن كان به جن أو تابعة يرجم بالحجارة حتى يموت. ومن تزوج فتاة فادّعى أنه لم يجد لها عذرة، ثم تبين كذبه، جميعًا يُقتلان، وإن أمسكت امرأة عورة رجل تقطع يدها. إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات المنطوح، يرجم الثور ولا يُؤكل لحمه، ومن اضطجع مع امرأة طامث يقطعان من شعبهم، ومن طلّق امرأته، ثم تزوّجت آخر، وطلّقها أو مات، فلا يجوز لزوجها الأول أن يرجعها»[٢].

---

(١) رواه النسائي في «سننه» ـ في كتاب السهو باب الذكر والدعاء بعد التسليم (٣/ ٧٢) بهذا اللفظ، ورواه أحمد في «مسنده» (٦/ ٦١).

(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (٧/ ٢٨٨٢) ـ عيسى الحلبي.

❑ «والحائض كل من مسّها يكون نجسًا إلى المساء، وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا، ومن كان له ابن معاند أو مارد يمسكه أبوه وأمه، ويأتيان إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه، ويقولون: ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكّير، فيرجمه جميع رجال مدينته حتى يموت.

❑ وتحريم بعض الطيور، وكل متاع خزف وقع فيه منها، فكل ما فيه يتنجّس، وأما هو فتكسرونه.

❑ لا تُؤخذ فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يقتل.

❑ إذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجسًا سبعة أيام. ومن مسّ ميْتًا ميتة إنسانٍ ما يكون نجسًا سبعة أيام.

❑ وكل بكر ذكرٍ يُولد من بقرك ومن غنمك تقدّسه للرب إلهك. لا تشتغل على بكر بقرك ولا تجُزّ بكر غنمك»[1] فالحمد للّه الذي وضع عنا هذه الأغلال.

(٣٣) تقطيعهم في الأرض:

قطّعهم اللّه تقطيعين لحكمة ربانية:

❑ ففي التقطيع الأول: قطّعهم اللّه اثنتي عشرة أسباطًا أممًا، فلن تكون لهم أمة واحدة مجتمعة متكاتفة مستقرة.

هذا هو قضاء اللّه عليهم، ولئن اجتمعوا لمدّة وجيزة فلابد أن

---

(١) انظر «محاسن التأويل» (٢/ ٧٣٤ ـ ٧٣٨).

يتفرّقوا مختلفين متصارعين.

❑ حتى في أيام ملكهم الكبير، فإن دولتهم الموحدة لم تلبث آنئذ ـ أكثر من عهدي داود وسليمان عليهما السلام، حتى انقسمت إلى دولتين بعد سليمان عليه السلام، هما: مملكة (يهوذا) ومملكة «إسرائيل».

ولم تقم لهم بعد ذلك دولة مستقلة حتى قيام دولة (إسرائيل) المعاصرة.

* وفي بيان هذا التقطيع الأول قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

❑ وفي التقطيع الثاني: قطّعهم اللَّه في الأرض أممًا، فهم موزّعون في شتى الأرض، وحين يُحشرون إلى مكان جامع في أرض الشام، فيلقوا في النهاية عذابًا كتبه اللَّه عليهم كما قال حُيَيّ بن أخطب شيطان يهود «كتاب وقدر، وملحمة كتبها اللَّه على بني إسرائيل».

* وفي هذا التقطيع الثاني قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]، فهم أشتات موزعون في الأرض... و«إسرائيل» في فلسطين أمر عارض واستثناء وشذوذ إلى الزوال إن شاء اللَّه.

(٣٤) العداوة والبغضاء قائمة بينهم إلى يوم القيامة وقلوبهم شتى:

قد تخدع المظاهر فترى تضامن اليهود، وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخادع، وخبر السماء الصادق يُنبئنا عن العداوة بينهم قال تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

* وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤]، «وما تزال الطوائف اليهودية متعادية، وإن بدا في هذه الفترة أن اليهودية العالمية تتساند؛ وتوقد ناراً لحرب البلاد الإسلامية وتفلح! ولكن ينبغي ألا ننظر إلى فترة قصيرة من الزمان ولا إلى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة. ففي خلال ألف وثلاثمائة عام.. بل من قبل الإسلام.. واليهود في شحناء، وفي ذل كذلك وتشرد ومصيرهم إلى مثل ما كانوا فيه، مهما تقم حولهم الأسناد، ولكن مفتاح الموقف كله في وجود العصبة المؤمنة لها وعد اللَّه»[١].

(٣٥) قتل المسلمين لليهود، وانتصارهم عليهم:

نوقن بهذا أكثر من يقيننا بوجودنا، يوم أن يستيقظ العملاق ليصب على الأمة الغضبية جام غضب اللَّه.

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«تقاتلون اليهود، فتسلّطون عليهم حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبد اللَّه هذا يهودي ورائي فاقتله»**[٢].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»**[٣].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) «في ظلال القرآن» (٢/ ٩٢٩، ٩٣٠).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد اللَّه! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا الغرقد[١]؛ فإنه من شجر اليهود»[٢].

● وفي حديث الدجال: «فيهزم اللَّه اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق اللَّه عز وجل يتواقى به يهودي، إلا أنطق اللَّه ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة، إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد اللَّه المسلم هذا يهودي فتعال اقتله»[٣].

جزاؤهم في الآخرة

(٣٦) تعذيب يهود في قبورهم:

اليهود يعذّبون في قبورهم، وليس هذا خاصًّا بهم، وإنما يشترك معهم عصاة المسلمين في ذلك:

● عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خرج النبي ﷺ، وقد وجبت الشمس فسمع صوتًا، فقال: «يهود تعذّب في قبورها»[٤].

---

(١) الغرقد: شجيرة ارتفاعها من متر إلى ثلاثة، بيضاء السوق والفروع، تُؤكل أزهارها البيضاء المخضرة المخروطية.

(٢) رواه مسلم.

(٣) جزء من حديث سيأتي تخريجه.

(٤) رواه البخاري في كتاب الجنائز ـ باب التعوذ من عذاب القبر (٣/ ٢٤١) رقم (١٣٧٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت، والنسائي في «سننه» (٤/ ١٠٢)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٤١٧، ٤١٩).

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: إنما مرّ رسول اللَّه ﷺ على يهودية يبكي عليها أهلها، فقال: «**إنهم ليبكون عليها، وإنها لتعذّب في قبرها**»[١].

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: بينما نبي اللَّه ﷺ في نخل لنا لأبي طلحة، يتبرز لحاجته، قال: وبلال يمشي وراءه يكرم نبي اللَّه ﷺ أن يمشي إلى جنبه، فمر نبي اللَّه ﷺ بقبر فقام حتى لمّ إليه بلال، فقال: «**ويحك يا بلال هل تسمع ما أسمع؟**»، قال: ما أسمع شيئًا، قال: «**صاحب القبر يعذب**»، قال: فسئل عنه، فوُجد يهوديًّا»[٢].

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا ﷺ يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا، ولو أن اليهود تمنّوا الموت، لماتوا ورأوا مقاعدهم في النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول اللَّه ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا ولدًا**»[٣].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ في كتاب الجنائز ـ باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببكاء أهله عليه.. (٣/ ١٥٢) رقم (١٢٨٩)، ورواه مسلم في «صحيحه» (٢/ ٦٤٣)، والترمذي (٣/ ٣١٩، ٣٢٠) برقم (١٠٠٦)، والنسائي في «سننه» (٤/ ١٧)، وابن ماجه في «سننه» (١/ ٥٠٨) برقم (١٥٩٥).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٥١)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٥٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) **صحيح الإسناد**: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٤٨)، وقد صحح أحمد شاكر إسناده، انظر تعليقه في «المسند» (٤/ ٥١) برقم (٢٢٢٥). وقد رواه أيضًا ابن مردويه كما قال ابن حجر.

(٣٧) تعذيبهم يوم القيامة:

● عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ أن ناسًا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول اللَّه: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «نعم... ثم ذكر الحديث إلى أن قال: **«إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير اللَّه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا ما كان يعبد اللَّه برًّا وفاجرًا وغُبَّرات**[١] **أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيُقال لهم: مَن كنتم تعبدون؟ قالوا: نعبد عزير ابن اللَّه، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيُشار: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار، كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار...»**[٢] الحديث.

(٣٨) دخولهم النار وخلودهم فيها:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**[٣].

---

(١) غُبّرات: بضم الغين وتشديد الباء، جمع غابر، أو جمع غُبّر، وهو جمع غابر فيكون جمع الجمع، وغبر الشيء بقيته، والمراد هنا: من كان يوحد اللَّه منهم «فتح الباري» (١١/ ٤٤٩)، و«النهاية» (٣/ ٣٣٨).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ في كتاب التفسير باب ﴿إن اللَّه لا يظلم مثقال ذرة﴾ (٨/ ٢٤٩، ٢٥٠) رقم (٤٥٨١)، ومسلم في «صحيحه» ـ كتاب الإيمان ـ باب معرفة طريق الرؤية.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» ـ في كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ (١/ ١٣٤)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧١).

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني، ولا يؤمن بي إلا دخل النار، فجعلت أقول: أين تصديقها في كتاب اللَّه؟ حتى وجدت هذه الآية: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾** [هود: ١٧]، قال: الأحزاب، الملل كلها»[(١)].

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، ورجل يحب رجلا لا يحبه إلا للَّه، ورجل أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع يهوديًّا أو نصرانيًّا»**[(٢)].

* وقال تعالى: **﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [البقرة: ٨٠ ـ ٨١].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: لما افتتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: **«اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود فجمعوا له»**... فذكر الحديث، إلى أن قال ﷺ لهم: **«من أهل النار؟** قالوا: نكون فيها يسيرًا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ:

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٤٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين وسكت عنه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان ـ باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١/ ٦٧)، قريبًا من هذا، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٨٨) بهذا اللفظ، (٣/ ٢٣٠) بلفظ: «**يهوديًا نصرانيًّا**».

«اخسئوا فيها ووالله لا نخلفكم فيها أبدًا»[١] .

وكفر اليهود والنصارى وخلودهم في النار عليه إجماع المسلمين لا يماري في هذا إلا مأفون العقل منكر لمعلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

* نحن واليهود:

(٣٩) تحريم موالاتهم ومحبتهم هم والنصارى:

وسنفرد لهذا فصلاً كاملاً تحت عنوان: «العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون».

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

* وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب «الجزية والموادعة» (٦/ ٢٧٢) رقم (٣١٦٩)، والدارمي في «المقدمة» (١/ ٣٥، ٣٦) رقم (٧٠).

والذين قالوا إنا نصارى في هذه الآية هم من أسلم من النصارى كالنجاشي كما هو واضح جلي من الآيات بعدها ولا ينازع في هذا إلا من ينكر معلومًا من الدين بالضرورة، هذه عقيدتنا وموقفنا من أعداء ديننا من اليهود والنصارى. . . هذا موقفنا من الغرب: يهوده والنصارى:

الغرب يبكي خيفةً
إذا صنعت لعبةً
من علبة الثقاب
وهو الذي يصنع لي
من جسدي مشنقة
حبالها أعصابي!
والغرب يرتاع إذا
أذعت يومًا، أنه
مزق لي جلبابي
وهو الذي يهيب بي
أن أستحي من أدبي
وأن أذيع فرحتي
ومنتهى إعجابي
إن مارس اغتصابي!
والغرب يلتاع إذا
عبدت ربًّا واحدًا
في هدأة المحراب
وهو الذي يعجن لي
من شعرات ذيله

ومن تراب نعله
ألفًا من الأرباب
ينصبهم فوق ذرا
مزابل الألقاب
لكي أكون عبدهم
وكي أؤدي عندهم
شعائر الذباب
وهو.. وهم
سيضربونني إذا
أعلنت عن أحبابي
وإن ذكرت عندهم
محبة الإسلام والأصحاب[1]
سيصلبونني على
لائحة الإرهاب!
رائعة كل فعال الغرب والأذناب
أما أنا، فإنني
ما دام للعقيدة انتسابي
فكل ما أفعله
نوع من الإرهاب!

❁ ❁ ❁

هأنذا أقولها

(١) أصحاب رسول الله ﷺ.

أكتبها . . أرسمها
أطبعها على جبين الغرب
بالقبقاب
نعم . . أنا إرهابي[١] ! .

(٤٠) قتل من سب رسول اللَّه ﷺ :

● عن علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت؛ فأبطل رسول اللَّه ﷺ دمها»[٢] .

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ، فجمع الناس فقال: «**أنشد اللَّه رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام**»، فقام الأعمى يتخطى الناس، وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه: أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي: «**ألا فاشهدوا**

(١) لأحمد مطر . . مع تعديلات في بعض الأبيات.
(٢) رواه أبو داود في «سننه» في الحدود (٤/ ٥٢٩، ٥٣٠) رقم (٤٣٦٢)، والبيهقي في «سننه» عنه (٧/ ٦٠)، (٩/ ٢٠٠).

أن دمها هدر»[١]

(٤١) إما الإسلام وإما الجزية وإما السيف:

* قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

● عن بريدة الأسلمي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا أمّر أميرًا على جيش أو سريّة، أوصاه في خاصته بتقوى اللَّه، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزوا باسم اللَّه في سبيل اللَّه**»، إلى أن قال: «**وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم...**» إلى أن قال: «**فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم، فإن هم أبوا فاستعن باللَّه وقاتلهم**»[٢].

ومقدارها على كل فرد ذكر من أهل الذمة وهو دينار واحد يدفعه كل عام، لا تسقط الجزية أبدًا عنهم ودع عنك قول من قال بسقوطها عن النصارى في كتابه «مواطنون لا ذميون».

وأما اليهود فهم الآن حربيون ما لهم عندنا إلا الإسلام أو السيف

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» في الحدود (٤/ ٥٢٨، ٥٢٩) برقم (٤٣٦١)، والنسائي في «سننه» (٧/ ١٠٧، ١٠٨)، والدارقطني في «سننه» (٣/ ١١٢، ١١٣)، والبيهقي في «سننه» (٧/ ٦٠).

والقصتان هما عبارة عن حادثة واحدة، ويمكن أن تكونا قصتين، كما يدل عليه ظاهر الحديثين.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» في الجهاد والسير (٣/ ١٣٥٧، ١٣٥٨)، والترمذي في «سننه» (٥/ ٣٣٨) رقم (١٦١٧).

بعد أن قتلوا من المسلمين ما قتلوا وأخذوا أرضهم عنوة. . فلا بد أن تؤخذ أرض المسلمين منهم وتعود إلى أهلها وكما أخذوها عنوة تؤخذ منهم عنوة.

(٤٢) تحريم التشبه باليهود والنصارى:

اللَّهم باعد بيننا وبين يهود كما باعدت بين المشرق والمغرب، ولا تجمع بيننا وبين قوم طالما عاديناهم فيك:

نحن مأمورون شرعًا بأن نخالف صراط المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى وأن لا نتشبه بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية:

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ نهي مطلق عن مشابهتهم، وهو خاص أيضًا في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي»[(١)].

* وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

* وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

● قال رسول اللَّه ﷺ: «من تشبّه بقوم فهو منهم»[(٢)].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية ص(٤٣).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود عن ابن عمر، والطبراني في «الأوسط» عن حذيفة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٠٢٥).

● وعن ابن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ليس منا من تشبه بغيرنا، ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف**»(١).

نهى عن التشبه في المظهر أو الملبس، ونهى عن التشبه في الحركة أو السلوك، ونهى عن التشبه في القول أو الأدب؛ لأن وراء ذلك كله ذلك الشعور الذي يميز تصوراً عن تصور، ومنهجًا في الحياة عن منهج، وسمة عن سمة.

وهذه المخالفة لهدْي الكافرين تشمل أشياء كثيرة من العبادات والآداب والاجتماعيات والعادات وها نحن نسوقها ليكون المرء على بصيرة.

* ففي الصلاة:

١ ـ عن أبي عُمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: «اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس للصلاة، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضًا، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القُنع؛ يعني الشَّبُّور (وفي رواية: شبور اليهود)(٢) فلم يعجبه ذلك، وقال: «**هو من أمر اليهود**»، قال: فذكر له الناقوس، فقال: «**هو من أمر النصارى**»، فانصرف عبد اللَّه بن زيد بن عبد ربه، وهو مهتم لِهَمِّ رسول اللَّه ﷺ، فَأُرِي الأذان في منامه»(٣).

٢ ـ وعن عمرو بن عبسة قال: قلت: يا نبي اللَّه! أخبرني عمّا

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي، والطبراني في «الأوسط»، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣١٠)، و«السلسلة الصحيحة» (٢١٩٤).

(٢) وهو البوق.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الكثير من الأئمة ـ انظر «صحيح سنن أبي داود» رقم (٥١١).

علّمك اللَّه وأجهله، أخبرني عن الصلاة. قال: «**صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حين تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار. ثم صلِّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة؛ فإن حينئذ تُسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حين تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار**»(١).

٣ ـ الاختصاص والتميز في القبلة ـ لتتميز للمسلمين كل خصائص الوراثة: حسيها وشعوريها، وراثة الدين، ووراثة القبلة، ووراثة الفضل من اللَّه جميعًا، لم يكن بُدّ من تميز المكان الذي يتجه إليه المسلم بالصلاة والعبادة وتخصيصه كي يتميز هو بتصوره ومنهجه واتجاهه، فهذا التميز تلبية للشعور بالتفرد، كما أنه بدوره ينشئ شعورًا بالامتياز والتفرد.

٤ ـ وكما لا يصلي إلى القبلة التي يصلون إليها، كذلك لا يصلي إلى ما يصلون له، بل هذا أشد فسادًا.

● فعن جندب بن عبد اللَّه البجلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»(٢).

٥ ـ عن شدّاد بن أوس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خالفوا اليهود؛ فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا في خفافهم**»(٣).

وهذا أمر منه ﷺ بمخالفة اليهود مطلقًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩)، وأبو عوانة (١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) في «صحيحيهما».

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧ ـ ٦٨)، وأبو عوانة(١/ ٤٠١) في «صحيحيهما».

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود في «سننه». انظر: «صحيح سنن أبي داود» (٦٥٩).

٦ ـ وعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا صلى أحدكم في ثوب فليشده على حقوه**[١]، **ولا تشتملوا اشتمال اليهود**»[٢].

٧ ـ وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن النبي ﷺ نهى رجلاً وهو جالس معتمد على يده اليسرى في الصلاة، فقال: «**إنها صلاة اليهود**»، وفي رواية: «**لا تجلس هكذا، إنما هذه جلسة الذين يعذبون**»[٣].

* ومن الجنائز:

عن جرير بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اللحد لنا والشق لأهل الكتاب**»[٤].

* ومن الصوم:

٨ ـ عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يزال الدين ظاهراً ما عجّل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون**»[٥].

٩ ـ وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «حين صام رسول اللَّه ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول اللَّه! إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فإذا كان العام المقبل إن**

---

(١) الحقو: هو معقد الإزار.

(٢) **سنده صحيح**: أخرجه البيهقي والطحاوي، وصححه الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٧٢).

(٣) الرواية الأولى للحاكم بإسناد صحيح، والأخرى لأحمد بسند حسن على شرط مسلم.

(٤) أخرجه أحمد، والطحاوي في «مشكل الآثار» وابن سعد، وله شاهد من حديث ابن عباس، قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص(٣٣): «وهو مروي من طرق فيها لين، لكن يصدق بعضها بعضاً».

(٥) **إسناده حسن**: رواه الترمذي، وأحمد، وأبو داود، والحاكم وابن حبان بإسناد حسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٦٨٩)، و«تخريج المشكاة» رقم (١٩٩٥).

شاء اللَّه صُمنا اليوم التاسع»، قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول اللَّه ﷺ»[١].

١٠ ـ وعن أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام، ويقول: «**إنهما يوما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم**»[٢].

١١ ـ وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «خرج رسول اللَّه ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم، فقال: «**يا معشر الأنصار! حمروا وصفروا، وخالفوا أهل الكتاب**»، قال: فقلنا: يا رسول اللَّه! إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون؟، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**تسرولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب**»، فقلنا: يا رسول اللَّه! إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون! قال: «**فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب**». قال: فقلنا: يا رسول اللَّه! إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم[٣] ويوفرون سبالهم[٤]، قال: «**قصّوا سبالكم، ووفروا عثانينكم، وخالفوا أهل الكتاب**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١)، والبيهقي (٤/ ٢٨٧) وغيرهما.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٣٢٤)، والحاكم (١/ ٤٣٦) ومن طريقه البيهقي (٤/ ٣٠٣)، وهذا إسناد حسن، وقال الحاكم «صحيح»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا ابن خزيمة كما في «نيل الأوطار» (٤/ ٢١٤)، ونسبه لابن حبان أيضًا. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٩٨): «رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات، وصححه ابن حبان.

(٣) العثانين: جمع عثنون، وهي: اللحية.

(٤) السبال: جمع سبلة «بالتحريك»، وهي: الشارب.

(٥) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٣١): رواه أحمد، والطبراني ورجال أحمد رجال «الصحيح»، خلا القاسم، وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر. وحسّنه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٩١).
وللحديث شاهد من رواية جابر بن عبد اللَّه عند الطبراني في «الأوسط» قال في آخره: «**وخالفوا أولياء الشيطان بكل ما استطعتم**».

١٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»[١].

١٣ ـ وعنه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**غيّروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى**»[٢].

١٤ ـ وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي ﷺ، ثم فرق بعد»[٣].

فأمر النبي ﷺ استقر أخيرًا على مخالفة أهل الكتاب حتى في الشَّعْر!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا صار الفرق شعار المسلمين، وكان من الشروط المشروطة على أهل الذمة أن لا يفرقوا شعورهم»[٤].

* ومن الآداب والعادات:

١٥ ـ عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ مرفوعًا: «**لا تسلّموا تسليم اليهود؛ فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف والإشارة**»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٩١)، ومسلم (٦/ ١٥٥)، وأبو داود (٢/ ١٩٥)، والنسائي (٢/ ٢٧٣)، وابن ماجه (٢/ ٣٨١)، وأحمد (٢/ ٢٤٠، ٢٦٠، ٣٠٩، ٤٠١).

(٢) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٢/ ١٦١ و٤٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٤٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٧)، (٧/ ٢٢١)، (١٠/ ٢٩٧)، ومسلم (٧/ ٨٣)، وأبو داود (٢/ ١٩٣)، والنسائي (٢/ ٢٩٢)، وابن ماجه (٢/ ٣٨٣)، وأحمد (٢٢٠٩، ٢٣٦٢، ٢٦٠٥، ٢٩٤٤).

(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لابن تيمية ص(٨٢).

(٥) **سنده جيد**: أخرجه النسائي بسند جيد قاله الحافظ في «الفتح» (١١/ ١٢)، وقد أورده الهيثمي في «المجمع» بنحوه (٨/ ٣٨) ثم قال: «رواه أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط» ورجال أبي يعلى رجال «الصحيح»: انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٨٣).

١٦ ـ وعن الشريد بن سويد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «مرّ بي رسول اللَّه ﷺ وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري، واتكأت على ألية يدي، فقال: «**أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟!**»[(١)].

١٧ ـ وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**نظِّفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود، تجمع الأكباء[(٢)] في دورها**»[(٣)].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**طيِّبوا ساحاتكم[(٤)]، فإن أنتن الساحات ساحات اليهود**»[(٥)].

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد اللَّه وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم**»[(٦)].

---

(١) **صحيح على شرط البخاري**: أخرجه أبو داود (٢/ ٢٩٥)، وأحمد (٤/ ٣٨٨)، والحاكم (٤/ ٢٦٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ١٩٨/ ٣٠٥٧)، وصححه الألباني أيضًا في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٦ ـ ١٩٧).

(٢) جمع «كبى» ـ بالكسر والقصر ـ: الكُناسة..

(٣) **حديث حسن**: أخرجه الدولابي في «الكنى» (٢/ ١٣٧) قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه نظيف يحب النظافة، جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم، طيب يحب الطيب، فنظّفوا....**»، وأخرجه الترمذي، ويتقوى الطريق الأول بما رواه سعد مرفوعًا بلفظ: «**طهروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تنظف أفنيتها**»، أخرجه الطبراني في «الأوسط». وحسّن الحديث الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٧).

(٤) المراد: المتسع أمام الدار.

(٥) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» عن سعد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٩٤١)، و«الصحيحة» رقم (٢٣٦).

(٦) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٥١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٧٣) وابن عساكر، وقد علق البخاري في «صحيحه» (٦/ ٧٥) بعضه، وقال ابن تيمية في «الاقتضاء» ص(٣٩): وهذا إسناد جيد، وقال الحافظ العراقي في «تخريج

فانظر ـ رحمك اللَّه ـ إلى التميّز حتى في الأشياء الظاهرة، فلا يشبه الزيّ الزيّ حتى يشبه القلب القلب.

* **يا معشر يهود أسلموا تسلَموا:**

كيف ترضون لأنفسكم بالكفر والخلود في النار والذل يوم القيامة فيكون الواحد منكم فداءً للمسلم من النار؟!

● فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل اللَّه مكانه النار يهوديًّا أو نصرانيًّا**»(١).

● وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها اللَّه لهم ويضعها على اليهود والنصارى**»(٢).

● وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة دفع اللَّه عز وجل إلى كل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا، فيقول: هذا فكاكك من النار**»(٣).

= الإحياء» (١/ ٣٤٢): «سنده صحيح»، وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٢٢): سنده حسن.

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ـ كتاب التوبة ـ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤/ ٢١١٩)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٩٨)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده».

(٢) رواه مسلم واللفظ له في «صحيحه» ـ كتاب التوبة (٤/ ٢١٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٥٣) فذكره قريبًا من هذا.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» ـ كتاب التوبة ـ (٤٨/ ٢٧٦٧)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤٠٠).

* **يا معشر يهود أسلموا ينجيكم اللَّه من النار ويؤتكم أجركم مرتين ويضاعف لكم الثواب:**

● عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «**أسلم**»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطِع أبا القاسم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد للَّه الذي أنقذه من النار**»[١].

● وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة يُؤتون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأمَة فيُعلّمها فيحسن تعليمها، ويؤدبها فيحسن أدبها، ثم يعتقها فيتزوجها، فله أجران، ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمنًا ثم آمن بالنبي ﷺ فله أجران، والعبد الذي يؤدي حق اللَّه وينصح لسيده**»[٢].

وهذه رفعة ما بعدها رفعة، فأسلموا ما دام في أعماركم فسحة، فإن النفس قد يخرج ولا يعود، وإن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي اللَّه عز وجل.

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ في الجنائز ـ باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (٣/ ٢١٩) برقم (١٣٥٦)، وأبو داود في «سننه» (٤/ ٤٧٤) رقم (٣٠٩٥) قريبًا من هذا، وأحمد في «مسنده» (٣٥/ ٢٨٠).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الجهاد باب فضل من أسلم من أهل الكتابين (٦/ ١٤٥، ١٤٦) رقم (٣٠١١)، ومسلم ـ في كتاب الإيمان، والنسائي في النكاح (٦/ ١١٥)، وابن ماجه (١/ ٦٢٩) برقم (١٩٥٦)، والدارمي (٢/ ٧٧، ٧٨)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤١٤)، والبيهقي في «سننه» (٧/ ١٢٨) جميعهم بهذا اللفظ.

القدس لنا
ولا حَقّ لليهود
في فلسطين

فلسطين كل فلسطين لنا يا أبناء الحيات والأفاعي

نقول لليهود:

نقول لهم مثلما قال أشعياء: «تسمعون سمعًا ولا تفهمون. مبصرين تبصرون ولا تنظرون؛ لأن قلب هذا الشعب قد غلظ. وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم» [متى ١٣: ١٤ ـ ١٥].

أطلقها أشعيا النبي قبل سبعة قرون من مولد المسيح عليه السلام الذي رددها ليهود عصره، فجعلوا أصابعهم في آذانهم وأصرّوا واستكبروا استكبارًا.

ماذا يقول الدجاجلة من يهود:

يقول «وايزمان» لرئيس وزراء بريطانيا:

«لو أن موسى نفسه جاء يدعو اليهود لغير فلسطين ما تبعه أحد».

ويقول شامير: «إن الإرهاب الذي كنت أمارسه كان له هدف سامي، وهو التمكين لوطني وعقيدتي، أما الفلسطينيون فكان هدفهم ليس عادلاً، إنهم يقاتلون من أجل أرض ليست لهم.. أرض شعب إسرائيل».

ويقول الدّجال الكذاب الأشر إسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل السابق ورئيس الوفد الإسرائيلي في مدريد يوم ٣١ أكتوبر ١٩٩١م: «خلال ألفي عام من الترحال حطّ الشعب ها هنا لمئات السنين حتى طرد من هذه الأراضي (أسبانيا) قبل خمسمائة سنة. وفي ختامها عبر الشاعر والفيلسوف الكبير يهودا هاليفي عاليزي عن شوق جميع اليهود إلى صهيون فقال: «إن قلبي في الشرق وأنا في أقصى أرجاء الأرض».

يجب أو يتعيّن على الواحد منا أن ينظر اليوم إلى السيادة اليهودية على أرض إسرائيل على خلفية تاريخية لإدراك معنى السلام بالنسبة للشعب في إسرائيل. لقد تمت ملاحقة اليهود عبر التاريخ في كل القارات تقريبًا، في بعض البلدان تقبّل الأهالي اليهود بصعوبة، وفي بلدان أخرى تعرّض اليهود للاضطهاد والتعذيب والذبح.. وشهد هذا القرن خطة إبادة نُفذت على أيدي النظام النازي.. أمكن تنفيذها؛ لأن أحدًا لم يدافع عنا، فقد كنا بدون وطن، وكذلك بدون حماية.. وفي الواقع فقد جاءت ولادة إسرائيل من جديد بعد وقت قصير جدًّا من الكارثة، جعلت العالم ينسى مطالبنا القديمة، وأننا الشعب الوحيد في أرض إسرائيل بدون توقف، أو الذي ظلّ في أراضي إسرائيل بدون توقف خلال حوالي أربعة آلاف سنة. فنحن الشعب الوحيد باستثناء فترة المملكة الصليبية القصيرة. الآن رجعت له سيادة مستقلة في هذه الأرض.. ولم يعبر شعب عن علاقته بأرضه بصورة ثابتة ومتواصلة مثلنا، فعلى مدى آلاف السنين قال شعبنا في كل فرصة على أثر شاعر المزامير «لن أنساك يا أورشليم»، وعلى مدى آلاف السنين تمنينا لبعضنا البعض أن نكون في أورشليم في السنة القادمة».

وعلى مدى آلاف السنين عبّرت صلواتنا وأدبنا عن الشوق العميق للعودة إلى بلادنا، فأرض إسرائيل هي وطننا الحقيقي. وكل دولة أخرى مهما كانت سخية فهي ليست سوى مهجر ومحطة مؤقتة في طريقنا إلى ديارنا.. وقد عبّرت الحركة الصهيونية سياسيًّا عن مطالبتنا بأرض إسرائيل.. وفي عام ١٩٢٢م اعترفت عصبة الأمم بأحقية مطلبنا، وأدركت المنطق التاريخي المقنع لإقامة وطن قومي يهودي في أرض إسرائيل. وأقرت الأمم المتحدة هذا الاعتراف من جديد بعد الحرب

العالمية الثانية.. إن الأمم المتحدة لم تخلق إسرائيل. لقد قامت الدولة اليهودية وتكوّنت لأن الطائفة اليهودية الصغيرة التي كانت تقيم في أرض إسرائيل تحت الانتداب ثارت على الحكم الأجنبي الإمبريالي.

لقد جلب العداء العربي الإسرائيلي أيضًا معاناة إنسانية، وشجع زعماء العرب على فلسطين تحت الانتداب مئات الألوف من السكان على الهرب من بيوتهم، ومعاناة هؤلاء هي وصمة على جبين الإنسانية!»[1].

يزعم اليهود أن لهم حقًّا في فلسطين والقدس، وما أقذر تبجحهم هذا؛ فإن الدعاوى يحتج لها ولا يحتج بها، فلا سند لهم من التاريخ أو التوراة أو الدين.

ففلسطين والقدس إسلامية عربية، أما دعاوى اليهود فدخان في هواء.

❑نقول لمزوري التاريخ ومخترعي الأساطير من يهود.. تذكروا ما كتب تيودور هرتزل في مذكراته عن المؤتمر الصهيوني العالمي في بازل بسويسرا عام ١٨٧٩م: «إذا أردت تلخيص نتائج المؤتمر في كلمة أحتفظ بها سرية غير قابلة للنشر، فإنها تكون هكذا: في بازل أُسست الدولة اليهودية».

❑نقول لليهود: لماذا لم يظهر هذا الحق طوال القرون الماضية؟ بل لماذا لم يظهر في أول الأمر عند ظهور الصهيونية السياسية المنظمة على يد (هرتزل)؟ فمن المعروف أن فلسطين لم تكن هي المرشحة لتكون الوطن

---

(١) «رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٨ ـ ٩) ـ مكتبة التراث الإسلامي.

القومي لليهود. بل رشحت عدة أقطار في أفريقيا وأمريكا الشمالية كذلك، ولم تظهر فكرة فلسطين ـ باعتبارها أرض الميعاد ـ إلا بعد فترة من الزمن.

لقد حاول هرتزل الحصول على مكان في (موزمبيق) ثم في (الكنغو) البلجيكي. كذلك كان زملاؤه في إنشاء الحركة الصهيونية السياسية، فقد كان (ماكس نوردو) يلقب بالإفريقي، و(حاييم وايزمان) بالأوغندي، كما رشحت (الأرجنتين) عام ١٨٩٧م و(قبرص) عام ١٩٠١م، و(سيناء) في ١٩٠٢م ثم (أوغندا) مرة أخرى في ١٩٠٣م بناء على اقتراح الحكومة البريطانية. وأصيب هرتزل بخيبة أمل كبيرة؛ لأن اليهود في العالم لم ترق لهم فكرة دولة يهودية سياسية، سواء لأسباب أيديولوجية، أو لأنهم كانوا عديمي الرغبة في النزوح عن البلاد التي استقروا فيها. بل إن مؤتمر الحاخامات الذي عقد في مدينة فيلادلفيا في أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر أصدر بيانًا يقول: إن الرسالة الروحية التي يحملها اليهود تتنافى مع إقامة وحدة سياسية يهودية منفصلة!.

وإزاء هذا الموقف، فكر (هرتزل) في طريقة يواجه بها هذا الوضع، وهداه تفكيره إلى أن يحول الموضوع إلى قضية دينية يلهب بها عواطف جماهير اليهود.. ورأى أن فلسطين هي المكان الوحيد الذي يناسب هذه الدعوة الجديدة، ولليهود بفلسطين علائق تاريخية، ولهم فيها مقدسات دينية، وارتفعت راية الدين على سارية المشروع والتهبت العواطف، وانتصر رأي (هرتزل)، وإن يكن بعد وفاته، فقد احتضن المؤتمر اليهودي العالمي فكرة الوطن اليهودي في فلسطين عام ١٩٠٥م، بعد موته بسنة.

* إبطال مزاعم إسرائيل التاريخية في فلسطين:

أولاً: فلسطين عربية منذ فجر التاريخ حتى اليوم:

يقول ساباتينو موسكاتي، الأستاذ بجامعة روما، في كتابه «الساميون في التاريخ القديم»: «إذا أخذنا بالتعريف الحديث لكلمة الشعب، لوجدنا أنه مجموعة من الناس قد تتكون من عناصر وأجناس مختلفة لكنها تتجانس فيما بينها وتكون شخصية لها خصائصها المميزة بسبب الموقع الجغرافي واللغة والعوامل التاريخية والثقافية.

فإذا طبقنا هذا المقياس ـ للشعب ـ على الشعوب المتكلمة باللغات السامية فإنا نجد أن العامل الأول وهو الموقع الجغرافي قد تحقق فعلاً، حيث سكنت هذه الشعوب منطقة سامية واحدة وهي شبة الجزيرة العربية ومناطق على هيئة أنصاف دوائر (أَهِلَّة) تحدها من الشمال (وادي الرافدين وسوريا)، ذلك أن مجموعات الشعوب التي سكنت هذه المنطقة موزعة حسب مناطق إقامتها كالآتي:

البابليون والأشوريون في بلاد الرافدين، والأراميون والعبريون وغيرهم في سوريا، ثم العرب في شبه الجزيرة العربية. هذا مع العلم بأن الأحباش في أثيوبيا يعتبرون نتيجة لإحدى الهجرات إليها من شاطئ الجنوب العربي.

وبالنسبة للعامل الثاني وهو اللغة، فرغم تعدد اللهجات السامية إلا أنها جميعًا متقاربة بدرجة كبيرة. وإذا نظرنا إلى الحركة التاريخية لشعوب هذه المنطقة وعلاقتها ببعضها، أي إلى العامل الثالث، نجد أنها تسير في اتجاه واحد يتكرر على مر العصور، وهو حركة هجرة من قلب شبه الجزيرة العربية إلى المناطق المجاورة..

وعلى ذلك يمكننا تعريف الساميين **بأنهم سكان شبه الجزيرة العربية في أول عصور التاريخ، وقد عاشوا في تجانس لغوي واجتماعي وعنصري**».

هذا وتعرف فلسطين في الأسفار الإسرائيلية باسم أرض كنعان حفيد نوح: «وهذه مواليد نوح: سام وحام ويافث.. وبنو حام، كوش ومصرايم وفوط وكنعان.. وكنعان ولد صيدون بكره، وحثا واليبوس والأموري والجرجاشي والحويّ» [تكوين ١٠: ١ ـ ١٨].

فاليبوسيون هم أبناء كنعان الساكنون في أرضهم ـ فلسطين ـ منذ فجر التاريخ وكان موطنهم مدينة يبوس وما حولها، والتي يقول عنها سفر يشوع: «هي أورشليم ـ ١٨: ٢٨»، وحتى نهاية ما يعرف في التاريخ الإسرائيلي باسم: عصر القضاة (من ١٢٠٠ ق.م إلى ١٠٢٠ ق.م، والذي يعاصر الأسرة رقم ٢٠ في التاريخ الفرعوني، لم يكن في مدينة يبوس مواطن إسرائيلي واحد على الإطلاق. فنحن نقرأ في سفر القضاة: «في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل.. وفيما هم عند يبوس قال الغلام لسيده: تعالى نمل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها.. فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل» [١٩: ١١ ـ ١٣].

فاليبوسيون ـ وغيرهم ـ خرجوا من شبه الجزيرة العربية واستوطنوا أرض فلسطين من قبل أن يظهر العبريون في التاريخ بعشرات القرون. وكانت العاصمة هي يبوس، التي دعاها الإسرائيليون فيما بعد: أورشليم»[1].

---

(١) «تاريخ انهيار دولة إسرائيل» للواء أحمد عبد الوهاب ص(١٠٥ ـ ١٠٧) ـ مكتبة التراث الإسلامي.

□ فاليبوسيون هم أول من بنى القدس، وذلك من نحو ثلاثين قرنًا قبل الميلاد. وكانت تسمى «أورشالم» أو مدينة «شالم».

فالعرب الكنعانيون هم أول من سكن فلسطين عامة، إلى أن جاءهم إبراهيم عليه السلام مهاجرًا من موطنه الأصلي بالعراق، غريبًا، وقد دخل فلسطين هو وزوجه سارة، وعمره ـ كما تقول أسفار العهد القديم ـ ٧٥ سنة.

ولما بلغ (١٠٠) سنة ولد له إسحاق[١]، ومات إبراهيم وعمره (١٧٥) سنة، ولم يمتلك شبرًا من فلسطين، حتى إن زوجه سارة لما ماتت طلب من الفلسطينيين لها قبرًا[٢] تدفن فيه.

ولما بلغ إسحاق (٦٠) سنة ولد له يعقوب، ومات إسحاق وعمره (١٨٠) سنة، ولم يملك شبرًا أيضًا منها.

ارتحل يعقوب بذريته بعد أبيه إلى مصر، ومات بها وعمره (١٤٧) سنة، وكان عدد بنيه وأولادهم (٧٠) نفسًا لما دخلها، وكان عمره (١٣٠) سنة[٣].

ومعنى هذا أن المدة التي عاشها إبراهيم وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب في فلسطين: (٢٣٠) سنة، وقد كانوا فيها غرباء لا يملكون من أرضها ذراعًا ولا شبرًا.

وتقول التوراة: إن المدة التي عاشها بنو إسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى: (٤٣٠) سنة[٤]، كانوا أيضًا غرباء لا يملكون شيئًا، كما تقول

---

(١) سفر التكوين: ف١٢.
(٢) سفر التكوين: ف١٣.
(٣) سفر التكوين: ف٤٦.
(٤) سفر التكوين: ف١٥.

التوراة: إن المدة التي عاشها موسى وبنو إسرائيل في التيه بسيناء: (٤٠) سنة، أي أن العهد الذي صدر إليهم من اللَّه مضى عليه حينذاك (٧٠٠) سبعمائة سنة، وهم لا يملكون في فلسطين شيئًا فلماذا لم يحقق اللَّه تعالى وعده لهم؟!

ومات موسى عليه السلام ولم يدخل أرض فلسطين، إنما دخل شرقي الأردن ومات بها[1]، والذي دخلها بعده: يشوع (يوشع)، ومات بعد ما أباد أهلها (كما تقول التوراة). وقسم الأرض على أسباط بني إسرائيل، ولم يقم لبني إسرائيل ملك ولا مملكة، وإنما قام بعده قضاة حكموهم (٢٠٠) سنة، ثم جاء بعد القضاة حكم الملوك: شاؤول وداود وسليمان، فحكموا (١٠٠) سنة بل أقل، وهذه هي مدة دولتهم، والفترة الذهبية لهم. وبعد سليمان انقسمت مملكته بين أولاده: يهوذا في أورشليم، وإسرائيل في شكيم (نابلس)، وكانت الحرب بينهما ضروسًا لا تتوقف، حتى جاء الغزو البابلي فمحقهما محقًا، دمر الهيكل وأورشليم، وأحرق التوراة، وسبى كل من بقي منهم حيًّا، كما هو معلوم من التاريخ.

ويعلق على ذلك الشيخ عبد المعز عبد الستار في كتابه «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» قائلاً:

فلو جمعت كل السنوات التي عاشوها في فلسطين غزاة مخربين، ما بلغت المدة التي قضاها الإنجليز في الهند أو الهولنديون في أندونيسيا! فلو كان لمثل هذه المدة حق تاريخي لكان للإنجليز والهولنديين أن يطالبوا به مثلهم!

---

(١) «سفر الخروج»: التثنية: ف٣.

ولو كانت الأرض تملك بطول الإقامة في زمن الغربة لكن الأولى بهم أن يطالبوا بملكية مصر التي عاشوا فيها (٤٣٠) سنة بدل فلسطين التي عاش فيها إبراهيم وأولاده (٢٠٠) سنة أو تزيد قليلاً، ودخلوها شخصين وخرجوا (٧٠) نفسًا!.

إن الحق الذي يدّعونه ـ كما يقول الشيخ عبد المعز ـ خرافة وصلافة، فهم لم يقيموا في فلسطين إلا غرباء، كما تصرح بذلك أسفارهم، فهل للغريب أو عابر السبيل أن يدّعي ملكية الأرض التي أقلّته، أو الشجرة التي أظلته؛ لأنه قال تحتها ساعة من نهار؟! على أنهم لم يقيموا بها آمنين عاملين مستثمرين، وإنما أقاموا في سلسلة متصلة من الغارات الدامية، والحروب الدائرة التي لم تتوقف فيما بينهم بعضهم وبعض «يهوذا وإسرائيل»، وفيما بينهم وبين الفلسطينيين على أنهم لم يكادوا ينفكون من الغزو البابلي، حتى جاءهم الغزو الروماني فأباد خضراءهم ومزقهم كل ممزق، ثم جاء الفتح الإسلامي وهم مشردون في الأرض، محرم عليهم أن يقيموا في أورشليم، حتى إن البطريك صفرنيوس بطريرك القدس شرط على أمير المؤمنين عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ وهو يسلمه مفاتيح القدس: ألا يسمح لليهود بدخول إيليا أو الإقامة فيها.

لقد دخلها العرب وهي خالية من اليهود، بعد ما طردهم الرومان، وأسلم أهلها، وبقي العرب فيها أكثر من ألف وأربعمائة عام، أفلا يكون لهم حق تاريخي[1].

(١) انظر: «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» للشيخ عبد المعز عبد الستار ص(١٧ ـ ٢١)، وكتاب «هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين العربية؟» لمحمد أحمد أبو فارس ـ بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع، وكتاب «القدس قضية كل مسلم» للدكتور يوسف القرضاوي ص(٤٧ ـ ٥٤).

* **مناقشة هادئة:**

ونضيف إلى هذه الحقائق مناقشة هادئة نتمم بها إبطال دعوى الحق التاريخي التي زعم بها اليهود أن فلسطين كلها كانت أرض الآباء والأجداد.

❑ يقول مؤلف «تاريخ اليهود»: «والذي لا شك فيه أن داود ـ الذي يقال: إن مملكة إسرائيل وصلت في عهده إلى أقصى درجات اتساعها ـ لم يتمكن من فرض سيطرته، لا على المنطقة بين النيل والفرات، ولا على أرض كنعان وحدها، ولا حتى على منطقة شرق فلسطين الجبلية، وعلى ذلك فإن الأدلة التاريخية تؤكد أن أكبر رقعة استطاعت إسرائيل السيطرة عليها في أي وقت من الأوقات لم تكن في العصور القديمة، وإنما في العصر الحديث، عند احتلالها مجمل أرض فلسطين ومرتفعات الجولان، وجنوب لبنان وأرض سيناء، وكان ذلك للمرة الأولى عام (١٩٦٧م).

فلم يكن لبني إسرائيل وجود ـ أيام داود ـ لا في أي موقع بالساحل الفلسطيني، ولا في الجليل بشمال فلسطين، بخلاف موقع صغير عند تل القاضي، ولا في صحراء النقب في الجنوب، وكان وجودهم عندئذ منحصرًا في بعض المواقع الجبلية في المنطقة الممتدة من دان «تل القاضي» في الشمال إلى «بئر سبع» في الجنوب.

❑ لقد انقسمت مملكة إسرائيل التي أنشأها داود ـ عليه السلام ـ ثم انقسمت من بعده إلى يهوذا، وإسرائيل وقد حكم في أورشليم من بعد سليمان عشرون ملكًا حتى ابتداء السبي البابلي، وذلك في الفترة من عام (٩٣٠) ق.م، «وفاة سليمان» حتى عام (٥٨٦) ق.م.

أما المملكة الشمالية، التي كان اسمها إسرائيل، وعاصمتها شكيم (نابلس)، فقد حكمها الابن الثاني لسليمان الحكيم، أي عام (٩٣٠ق.م) وانتهى وجودها سريعًا. ففي عام (٧٢٢ق.م) أغار عليها سرجون الثاني ملك بابل، ودمر وجودها، ونقل جميع أهلها إلى شرق الفرات، وأحل محلهم سكانًا جددًا من أبناء الرافدين. وكان عدد ملوك إسرائيل هذه تسعة عشر ملكًا، عاشوا في شغب، ومخالفات خائبة مع الوثنيين لمهاجمة أبناء عمومتهم في أورشليم.

وإذا حسبنا عمر هاتين الدولتين، تكون أورشليم (يهوذا) قد عمرت (٤٣٤) سنة بما فيها ملك شاول وداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ (وإسرائيل) عمرت (٢٩٨) سنة فقط، منذ عهد شاول (١٠٢٠ق.م).

وكما نرى فإن سيادة اليهود على قطعة محدودة من أرض فلسطين انتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ستة قرون، وبعد خمسة وعشرين قرنًا وبعض قرن، يحاولون أن يعيدوا هذا التاريخ السحيق مرة أخرى، ويا له من تاريخ، ويا لها من عودة!.

«إن المملكة الصغيرة التي أقامها الإسرائيليون في أجزاء من فلسطين ـ والتي لم تضم إليها في يوم من الأيام حتى في عهد سليمان الذي كان يمثّل قمة التواجد الإسرائيلي في فلسطين ـ لم تضم السهل الساحلي الممتد حول غزة وعسقلون واشدود ويافا، ولم تستطع أن تطرد الشعب العربي بقبائله التي بقيت مقيمة في أراضيها، بعد أن عجزت كل محاولات الإسرائيليين لاستئصالهم منها.

فعلى عهد سليمان تقول الأسفار: «جميع الشعب الباقين من الأمورين والحثيين والفرزين واليبوسيين، الذين ليسوا من بني إسرائيل.

أبناؤهم الذين بقوا من بعدهم في الأرض، الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم، جعل عليهم سليمان تسخير عبيد ـ (الملوك الأول ٩ : ٢٠ ـ ٢١).

هذه المملكة سرعان ما بدأت في التمزق والانهيار، ولمّا تعمر أكثر من بعض عشرات من السنين، وحق لها أن تُعرف باسم: مملكة الدماء والفساد»[١].

❑ لقد كانت المملكة التي أقامها داود عليه السلام قصيرة العمر، فقد انقسمت بمجرد موت سليمان عليه السلام إلى قسمين: أحدهما المملكة الجنوبية أو مملكة يهوذا، وقد اتخذت أورشليم التي استولى عليها داود من اليبوسيين، عاصمة لها. وانتسب إليها اليهود فيما بعد.

❑ أما الثانية فهي مملكة إسرائيل أو المملكة الشمالية، وقد صارت السامرة عاصمة لها، وانتسب إليها السامريون.

وكانت الولايتان الصغيرتان غالبًا في عداء مستمر.

❑ عاشت مملكة إسرائيل نحو قرنين من الزمان، وقد ضمت عشرة أسباط، وكانت أكثر عددًا من أختها مملكة يهوذا أو مملكة الجنوب إلى أن قضى عليها الأشوريين عام ٧٢٢ق.م. وقد اقتلعوا شعبها وحملوه معهم في سبي كبير ثم ذرّوه بين شعوب الإمبراطورية الأشورية. ولم يعرف لهم أثر حتى اليوم، ولم تبق لهم إلا تسمية هي تسمية الأسباط العشرة المفقودين.

❑ لقد استطاعت مملكة الجنوب التي ضمّت سبطي يهوذا وبنيامين أن تقاوم عوامل الفناء بعد أختها مملكة الشمال نحو مائة وثلاثين عامًا إلى أن قضى عليها الكلدانيون عام ٥٨٧ق.م. وأخذوا شعبها سبايا إلى

(١) «رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٨٢ ـ ٨٣).

أرض بابل.

* مملكتا كفر وفساد:

لقد ارتدت المملكتان عن التوحيد إلى الوثنية وما صاحب ذلك من فساد وانحلال منذ اليوم الأول.

❑ وها هو يربعام ـ الذي كان عبدًا لسليمان ـ يستغل رغبة الإسرائيليين الدفينة في عبادة العجول الذهبية ـ كما تقول أسفارهم فأقام لشعبه في مملكة الشمال «عجلي ذهب وقال لهم: هو ذا آلهتك يا إسرائيل..

والزمان الذي ملك فيه يربعام اثنتان وعشرون سنة {الملوك الأول ١٢: ١٤ ـ ٢٠}.

وكذلك ضلت مملكة الجنوب التي ولي عليها رحبعام بن سليمان منذ اليوم الأول {انظر الملوك: ١٤: ٢١ ـ ٢٤}، {أخبار الأيام الثاني ٣٦: ١٤ ـ ٢٠}.

كان الكفر والوثنية هو طابع مملكة الجنوب طيلة عهود ملوكها: أبيام، واخزيا، يهورام، وعثليا، امصيا، وعزريا، ويوثام، وآحاز، ومنسى، وآمون، ويهو آحاز، ويهو ياقيم، ويهو ياكين، وصدقيا.

❑ لقد كان المجتمع اليهودي في أعوامه القليلة في فلسطين مجتمعًا رعائيًّا أخذ من طبائع المدن الآسيوية الهرمة وعيوبها وخرافاتها.

* والحق أبلج لو يبغون رؤيته:

❑ «في مناظرة أقيمت يوم ٣١ يناير ١٩٦١م بقاعة هيلل بمونتريال في كندا بين المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي وبين السفير الإسرائيلي في كندا ياكوف هرتزوج.. ردّد السفير الإسرائيلي نفس المزاعم التي يرددها الإسرائيليون صباح مساء عما يسمونه بالحقوق

التاريخية في فلسطين، فقال موجهًا حديثه لتوينبي:

«ولكن يا سيدي الأستاذ لنعد إلى مسألة الارتباطات التاريخية التي كنت أشير إليها. لقد ردّدت الصحف قولك: أن ليس لإسرائيل حق تاريخي ـ فهل أورد بعض حقائق تتعلق بهذا الأمر:

أولاً: أن الإقامة اليهودية في أرض إسرائيل لم تنقطع طوال التاريخ بل كانت إقامة متصلة.

الأمر الثاني: أن العودة لإسرائيل أمر جوهري في عقيدتنا الدينية وفي صلواتنا وأعيادنا، وفي كل وجه من وجوه آمالنا القومية».

* **الرّد**:

إن هذين الزعْمين يمكن إبطالهما بسهولة؛ فبالنسبة للإقامة في أرض فلسطين نجد أن التاريخ في صف العرب، فهم السكان الأصليون منذ آلاف السنين، ومن قبل أن يولد إسرائيل وبنيه، وهم السكّان الذين استمروا فيها آلاف السنين بعد مولد إسرائيل إلى اليوم. ولم يحدث لهم ما حدث للإسرائيليين من سبي وضياع بين الشعوب وتحريم إقامة في فلسطين وفي عاصمتها القدس بالذات:

❑ وقال الأستاذ توينبي في رده على السفير الإسرائيلي: هناك شيء في القانون، بل أعتقد في كل أشكال القانون يقول بسقوط الحق نتيجة التقادم.

❑ فإذا أخذنا مثلاً عام ١٣٥ الميلادي باعتباره التاريخ الذي قام فيه الرومان بطرد الجانب الأكبر من سكان فلسطين اليهود ـ فإذا أخذنا هذا التاريخ وقلنا أن سقوط الحق لا ينطبق حتى على هؤلاء الذين غادروا البلاد في ذلك التاريخ، ماذا يحدث بالنسبة لمدينة كمونتريال؟ لقد كان هنود الألجونكوين يسكنونها منذ ثلاثمائة أو أربعمائة سنة على الأكثر،

فهل يقال كذلك بضرورة عودة مونتريال إليهم، وبعودة إنجلترا لأهل ويلز؟

مستر هر تزوج: نعم.

بروفيسور توينبي: أحقًّا؟! إذن فعليك أن ترحّل خمسين مليونًا من الإنجليز (سكان إنجلترا) وتجعل منهم لاجئين!»[١].

* **تنبيه هام:**

لم يسكن أحد من الإسرائيليين مدينة يبوس (القدس/ أورشليم) إلا بعد موسى بأكثر من ٣٠٠ سنة.

ومن الطبيعي أن تكون التوراة قد خلت من كل حديث عن أورشليم (القدس) تصريحًا أو تلميحًا. فلا علاقة لمن يعتنق اليهودية قديمًا أو حديثًا بطقوس في القدس.

* حائط المبكى ملك للمسلمين والمسجد الأقصى ليس على أنقاض هيكل سليمان:

جاء في تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عن حائط المبكى (٣٠ مترًا) في ديسمبر ١٩٣٠م[٢].

«إن المسألة التي نبحث فيها الآن تدور حول ملك ما زال في

---

(١) «رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام» ص(١٠٨ ـ ١١٠).

(٢) هي لجنة دولية برئاسة وزير خارجية السويد وعضوين أحدهما هولندي والآخر سويسري نشرت تقريرها في ديسمبر ١٩٣٠م، وقد وافقت الجمعية العمومية لعصبة الأمم، وحكومة بريطانية ـ الدول المنتدبة على فلسطين ـ على قرارات هذه اللجنة. وصدر أمر الملك جورج الخامس بتنفيذها. وصدر عدد خاص من الجريدة الرسمية بتنفيذ ذلك اعتبارًا من يوم ٨ يونيو ١٩٣١م.

تصرف المسلمين منذ قرون عديدة. فالبراق جزء من الحرم الشريف، وليس فيه حجر يعود إلى عهد الملك سليمان والممر الكائن عند الحائط ليس طريقًا عامًّا، لكنه أنشئ فقط لمرور سكان محل المغاربة وغيرهم من المسلمين في ذهابهم إلى مسجد البراق، ومن وإلى الحرم الشريف، وبالتالي فهذه المحلة إسلامية بحتة، وبما إنه ليس لليهود حقوق في ذلك المكان، فإن وجودهم عند الحائط في أيام معلومة لا يعني سوى أنه من قبيل التسامح الذي أبداه نحوهم المسلمون، والذي يفوق ما أبداه المسيحيون لهم، ولذا فلا يستطيع اليهود أن يستعملوا هذا التسامح كوسيلة لتقديم مطالب بحقوق مطلقة كما يحاولون أن يفعلوا الآن.

إن قدسية الحائط الغربي الذي هو جزء من الحرم الشريف لا ينازع فيه منازع.

وقد ورد ذكر إسراء النبي ﷺ إلى القدس في القرآن الكريم على الوجه الآتي: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ [الإسراء: ١]، إن هذه الأمور توضح صريحًا القدسية الخاصة التي للحرم الشريف والمباني التابعة له في نظر المسلمين في جميع أقطار العالم. أما تقديس الحائط والرصيف فإنه آت من أنه محل البراق، نزل فيه النبي ﷺ ومر به ثم ربط براقه في الحائط نفسه ليلة الإسراء، وبناء على تقديس المسلمين لهذا المحل وقف أصحاب الأملاك المجاورة أملاكهم.

على اللجنة أن تصدر قرارًا بشأن مطالب وادعاءات اليهود، ومع أن اليهود لا يدعون ملكية الحائط ولا ملكية الرصيف الكائن أمامه (خطاب وكلاء فريق اليهود الختامي ـ مختصر اللجنة ص ٩٠٨) فقد رأت اللجنة

أن من واجبها التحقيق في مسألة الملكية من الوجهة القانونية.

❑ **فاللجنة تصرح في هذا المقام استناداً إلى التحقيق الذي أجرته بأن حق ملكية الحائط وحق التصرف به وما جاوره من الأماكن المبحوث عنها في هذا التقرير عائد للمسلمين ذلك إن الحائط نفسه ملك المسلمين لكونه جزءاً لا يتجزأ من الحرم الشريف» اهـ.**

❑ فمحل البراق ليس لليهود ولا لأحد فيه حق بل من أوقاف المسلمين «وقف أبي مدين الغوث» بحارة المغاربة.

❑ وقال الدكتور جمال حمدان في كتابه «فلسطين أولاً»:

«فأولاً وأصلاً ليست فلسطين «وطنًا تاريخيًّا» لليهود، ضيعوه، ولكن لم ينسوه كما يزعمون؛ لأن وجودهم فيها انقطع كلية منذ ٢٠٠٠ سنة، وقبل ذلك لم يدم إلا فترة قصيرة للغاية أغلبها انقضى في الواقع منذ نحو ٤٠٠٠ سنة، وقبل ذلك جميعًا لم تكن فلسطين وطن اليهود الأصلي بل كانوا دخلاء عليه غزاة. فلا هو إذن وطن أصلي ولا هو وطن تاريخي، لا هو وطن أب أو أم ولا هو وطن بالتبني. هو فقط وبالتحديد احتلال عابر، كاحتلال إنجلترا لأجزاء من غرب فرنسا بضعة قرون في العصور الوسطى ثم طردها منها. فالقول اليوم بعلاقة بين اليهود وفلسطين هو ادعاء تاريخي خاطئ ولا أساس له من العلم»[1].

* إحصائية دقيقة بعدد اليهود في فلسطين والقدس:

١ ـ سنة ٦٣٦م يوم فتح المسلمون القدس، لم يوجد يهوديٌّ واحد.

---

(١) «فلسطين أولاً» لجمال حمدان ص(٢٠٣) ـ مكتبة مدبولي.

٢ ـ في عام ١١٧٠ ـ ١١٧١م زار بنيامين تدولا، الإسباني فلسطين وذكر أنَّ فيها (٢٠٠) يهودي.

٣ ـ وفي القرن المذكور، (١١٧٠ ـ ١١٧١م) لم يكن في القدس إلا يهوديٌّ واحد «تاريخ القدس» لعارف العارف ص(٢٣٥).

٤ ـ وفي عام ١٢٦٧م كتب موسى بن نحمان جيروندي: أن في القدس عائلتين يهوديتين يعملون في الصباغة «بلادنا فلسطين» ـ ١/ قسم ١/ ٥٥٠).

٥ ـ وبعد ذلك بنحو ثلاثة قرون ١٥٦٠م بلغ عددهم في القدس ١١٥ يهوديًّا.

٦ ـ في النصف الثاني من القرن السابع عشر ١٦٧٠م عجز يهود القدس وعددهم (١٥٠) يهوديًّا عن دفع دينهم البالغ ألف قرش «تاريخ القدس» لعارف العارف ص(٢٣٥).

٧ ـ إذن من سنة ١٥٦٠ ـ ١٦٧٠م تراوح عددهم من ١١٥ ـ ١٥٠ يهوديًّا. وقبل هذا التاريخ، كان في القدس عائلتان فقط. ونحن نعرف أنّ العهد التركي بدأ سنة ١٥١٦م في فلسطين، ومعنى هذا أنَّ العهد التركي استلم القدس، وفيها عائلتان قد يكونان من خمسة أشخاص، إلى عشرة.. فوصل عددهم إلى المائة في بداية العهد، أو بعد البداية بقرن تقريبًا.

٨ ـ وكان عدد اليهود في فلسطين كلها في النصف الأول من القرن التاسع عشر حوالي ثمانية آلاف يهودي، كما ذكر موسى حاييم منتفيوري، الثريّ الإنجليزي اليهودي (العالم العربي ـ لنجلاء عزّ الدين ص٣٠٠)، وكانوا موزعين على أربع مدن: هي القدس، وطبريا،

والخليل، وصفد.

٩ ـ وفي سنة ١٨٤٥م بلغ عددهم في فلسطين نحو ١٢,٠٠٠ يهودي.

١٠ ـ وفي سنة ١٨٨٢م بلغ عددهم ٢٤,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٨٩٠م بلغ عددهم ٤٧,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٩٠٠م بلغ عددهم ٥٠,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٩١٤م بلغ عددهم ٨٥,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٩١٦ ـ ١٩١٨م بلغ عددهم ٦٥,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها. ونقص عددهم في هذه الحقبة بسبب الحرب العالمية الأولى.

وفي سنة ١٩٢٢م بلغ عددهم ٨٣,٠٠٠ ألف نسمة، عادوا إلى الزيادة مع العهد البريطاني، وكانت نسبتهم تساوي ١١٪ في فلسطين كلها.

١١ ـ كان عدد سكان مدينة القدس في المدة التي كانت تحت سيطرة إبراهيم باشا المصري ١١,٠٠٠ نسمة وبلغ عدد اليهود من مجموع السكان في القدس (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف نسمة (١٨٣١ ـ ١٨٤٠م).

◻ ومعنى هذا أنَّ وصول العدد إلى الآلاف كان في عهد إبراهيم باشا، وهذا يدل على أنهم وجدوا نوعًا من التراخي للسكنى في القدس، والدليل على ذلك ما يلي:

أولاً: نقلاً عن المحفوظات الملكية المصرية ـ وهي الأوراق الرسمية

للحكومة) صدر تصريح من الحاكم المصري بترميم كنيس اليهود، على شرط أن لا يُزاد شيءٌ على المباني القديمة.

ثانيًا: أنشأت الإدارة المصرية مجلس شورى في القدس، وكان من بينهم وكيلٌ لطائفة اليهود.

ثالثًا: صدور مرسوم بإلغاء الضرائب والعوائد التي تؤخذ من رؤوس النصارى واليهود.

رابعًا: طلب اليهود في القدس أن يُسمح لهم بشراء الأملاك والأراضي الزراعية وممارسة الحراثة والفلاحة والزراعة، وبيع الأغنام والأبقار وتملك المصابن والمعاصر، ولما عرض الأمر على مجلس الشورى في المدينة رفض الطلب، ولم يسمح لهم بغير الاشتغال بالتجارة. ولما رُفع القرار إلى محمد علي باشا أجاب على الطلب بقوله: «لا يُسمح ببيع الأراضي في القدس ونواحيها إلى اليهود الأجانب، نظرًا لعدم وجود مسوغ شرعي لهذا العمل». «المحفوظات الملكية» (٣/ ٢٣٠).

خامسًا: قال الأستاذ مصطفى الدبّاغ: «ليس في المصادر القديمة، بأنه سُمح لليهود - في العهد المملوكي، بزيارة حائط البراق (أو المبكى المزعوم)، ولعله حدث في عهد السلطان سليمان القانوني المتوفى عام ١٥٦٦م أو في عهد ولده سليم الثاني (١٥٦٦ - ١٥٧٤م) يوم سمح لليهود الفارين من أسبانيا والبرتغال باللجوء إلى طبرية، واشتهر من هولاء اللاجئين (يوسف ناسي) الذي حصل على امتيازات كثيرة من السلطانين المذكورين» «القدس» (٢/ ٢٦٢).

ويظهر أنهم كانوا في ابتداء الأمر يقفون عند الحائط دون إحداث ضجيج.. ولما اشتدت شوكتهم في أيام إبراهيم باشا، أصبحوا يعلنون

عن وجودهم بالبكاء والعويل والصُّراخ، كما تقول الوثيقة المرافقة المنقولة من المحفوظات المصرية سنة ١٢٥٥هـ.

سادسًا: كانت بريطانية قد أعلنت حمايتها للدروز والبروستانت واليهود في سورية وجبل لبنان وفلسطين، وكان من جرّاء ذلك أن أقامت بريطانية بموافقة السلطات أول قنصلية غربية في القدس سنة ١٨٣٩م، وجهت معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين، وكانت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس، كما يقول تقرير القنصلية البريطانية (١٩٣٨ ـ ١٩١٤م) «عن تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي ص(٢٧).

سابعًا: وبناءً على ما سبق، أصبح القنصل البريطاني ذا نفوذ عند الإدارة العسكرية يعرض عليها رغبات اليهود المقيمين، والوافدين، بأسلوب يدعو إلى السخرية.. ومن ذلك أن قنصل بريطانية رفع إلى الإدارة أنَّ أحد الرعايا الإنجليز، أو من اليهود، ـ حسب قانون الحماية ـ حصل له (لُطْفٌ) [ربما معناها المرض] ونذر على نفسه أن يبلّط زقاق البراق (عند حائط المبكى) ويستدعي رخصة بذلك.. [انظر نصّ الطلب، وجواب الموافقة عليه] بعد هذا. والمناقشات التي تمّت حوله. وفي قراءة النص، معرفة ما وصلت إليه اللغة العربية في إحدى العواصم العربية (القدس).

فقد جاء في المحفوظات الملكية المصرية في ذكرها لحوادث محرم ١٢٥٦هـ آذار ١٨٤٠م حول طلبات اليهود الوقحة بشأن حائط النحيب أو المبكى الذي رُبط به البراق ليلة الإسراء العظيمة ما يلي:

١ ـ [عريضة[1] من إمضاء الحاج محمد شيخ المغاربة بالقدس

---

(١) ترجمة المكتوب في الفقرة الأولى: أن اليهود كانوا يزورون حائط البراق (المبكى) قبل =

الشريف موجهة إلى إسماعيل عاصم بك حكمدار حلب: دولتلو[١] سنيّ الهمم كريم الشيم سعادة البيك المفخم أدام الباري شريفَ وجوده. المعروض بساحة المكارم الحميدة أن عبدكم[٢] شيخ فقراء المغاربة المجاورين في الحرم الشريف وفي زاوية (أبا مدين)[٣] أفندم. والكلُّ متقيدٌ بما يجبُ عليه لعدلِ دولتكم العادلة السنية أفندم، وحارة عبيدكم[٤] ملاصقة إلى

= زمن إبراهيم باشا، ولا يرفعون أصواتهم. ومنذ بدأ عهد إبراهيم، أخذوا يرفعون أصواتهم معلنين عن عبادتهم، ثم طلبوا أن يبلطوا الأرض الوقفية أمام الحائط.

(١) دولتو: لا زالت مستخدمة في البلاد العربية في ألقاب رؤساء الوزارات، فيقولون: (دولة فلان).

(٢) قوله: «عبدكم» تدل إلى نوع العلاقة التي كانت بين الشعب والحاكم.

(٣) أبو مَدْين: صوفي أندلسي مشهور ولد في إحدى قرى إشبيلية، وتوفي عام ٥٩٤هـ (١١٩٧م) وقد بلغ منزلة رفيعة في المغرب.. ويظهر أن المغاربة الذين كانوا يفدون إلى بيت المقدس، اتبعوا مذهبه الصوفي. ففي سنة ٧٢٠هـ في عهد السلطان محمد بن قلاوون، أُنشئت في حيّ المغاربة الموقوف زاوية للصوفي أبي مَدْين شعيب بن الحسين الأندلسي، وأصبح الوقف ـ وقف المغاربة ـ يعرف بأوقاف أبي مَدْين الغوث.

(٤) يقصد حارة المغاربة: وقد أوقف الملك الأفضل ـ علي بن صلاح الدين ـ ما يحيط ويتصل بحائط البراق على طائفة المغاربة سنة ٥٨٨هـ ـ ١١٩٣م.

وقد بنيت منازل للوقف متواصلة منذ ذلك الوقت، بحيث أحاط المسلمون من سكانها بمكان البُراق من الخارج إحاطة مؤدية إلى حراسته، وبلغ من تراص هذه المنازل حول هذا المكان الذي هو جدار الحرم الغربي، أن جدار الحرم، وبقية أبنية هذا الوقف، استعمل ممرًّا ليسلك منه السكان المسلمون إلى منازلهم وهذا الممرّ الخاص الموقوف وقفًا إسلاميًّا، لم يمنع المسلمون فيما مضى الزائرين والسائحين من الوقوف فيه للنظر إلى تلك الناحية التاريخية الأثرية من الخارج غير أن اليهود أخذوا تدريجيًّا، يقلبون هذه الزيارة العادية إلى مراسم دينية فانتبه إلى هذا الأمر المسلمون في حينه، فمنعوهم من استخدام أدوات العبادة في هذا المكان..

والقصة التي نعرض لها، هي البدايات الأولى لجرأة اليهود على الأماكن المقدسة عند المسلمين.

حائط الحرم الشريف الذي رُبط (في) البراق ليلة الإسرى البهية، واليهود من قديم يزوروا[١] تلك الحائط زيارة في (الأصبات)[٢] من غير رفع أصواتهم وإظهار مقالهم (ومن ذو أكام سنة كلما لهم في الأذية)[٣] برفع أصواتهم وكثرة جمعياتهم بحيث أن تلك المحل المذكور كل صباح يظن أن به كنيسة لهم، والآن مرادهم بناء الأرض الموجودة بالمحل المذكور بالبـــلاط لتوصلهم لمآربهم فتجاسر عبدكم بتقديم عريضة العبودية لأعتابكم حيث البلاد بلاد دولتكم وبهمتكم في أيام دولتكم لا تحدثُ لهم مرغوبهم المصرّين عليه بلصق حائط البُراق الشريف. رَبَّنا من كرمه وإحسانه يُديم دولتكم، وإذا تحسنُ برأي المكارم إحالة المادة هذه لمجلس الشرع الشريف والأمر أمركم أفندم.

---

(١) يزوروا: هي يزورون، مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، ولكن العربية قد وصلت إلى الحضيض في أواخر العصر التركي، وإذا كان هذا أسلوب الكتابة في القدس، وفي المسجد الأقصى موئل العلماء، فكيف في بقية الأقاليم. وقد أشار إلى الدّرك الذي وصلت إليه العربية في العصر التركي، الشيخ سليمان الفاروقي (١٨٨٢ ـ ١٩٥٨م) فقال من قصيدة رفعها إليه السلطان محمد رشاد قُبيل الحرب العالمية الأولى:

لسانُهم أخْلَقَ الإغفـــالُ جدَّتَه ... فبات ينعى على الكُتّاب ما كتبوا
تفشت اللهجةُ العجماءُ فيه إلى ... أنْ أنكرته بنوه الخُلَّص النُّجُب
أيســـتهانُ به والدين جـــاء بـه ... ودونه ألسُنٌ من دونها القُضُبُ؟
بِضْعٌ وعشرون مليونًا لهم لغـةٌ ... تَمُوتُ ما بينهم يا شدَّ ما غُلبوا

(٢) الأصبات: يقصد «الأسبات» جمع يوم السبت.

(٣) «ومن ذو أكام سنة» أي: منذ سنوات قليلة. وقوله: «كلما لهم في الأذيّة» أي: أخذتْ أذيتهم في ازدياد. . ، والمكتوب ليس تركيًّا، وإنما هو (عربكي).
والخلاصة أن تعبير المعروض يُفهم منه أن أذية اليهود أخذت في ازدياد منذ بداية العهد المصري؛ لأنهم وجدوا رعاية خاصة من السلطان الحاكم.

٢ ـ رأي مجلس شورى القدس في عريضة الحاج محمد: لدى المذاكرة على هذا الإعراض المتقدم لسعادة حكمدار حلب المحترم من الشيخ محمد شيخ المغاربة بخصوص اليهود وأحداثهم، وشرح سعادة المشار إليهم للمجلس الأمر برؤية هذه المادة وأن القديم يبقى على قدمه رؤي أنَّ المحل المذكور الذي مُراد اليهود أن يبلطوه فهذا أولاً ملاصق لصور الحرم الشريف ومحل ربط البراق الشريف، والثاني أنه ليس لهم به حق حيث أن هذا المحل هو طريق مستمر في حارة المغاربة يُتوصل به إلى دور الوقف سيدنا أبي مَدْين الغوث قدس سره، وثالثًا: أنّه ما سبق لليهود أن[1] يعمروا في تلك المحل مطلقًا، ولا يجوز شرعًا أن الأجنبي يعمّر في ملك الغير خصوصًا، وأن طائفة اليهود ليس لهم شرعًا أن يحدثوا شيئًا زيادة عن القديم[2] بل يبقى القديم على قِدَمه، ولا سبق لهم في هذا المحل عمروا شيء، وقد صدرت الأوامر الشريفة السرّ عسكرية في مثل ذلك أنهم لا يحدثوا شيئًا مُطلقًا، بل يبقى القديمُ على قدمه. ومن حيث الحالة هذه واليهود الآن مرامهم الإحداث اقتضى إفادة حضرة متسلم القدس الشريف لأجل حالاً يمنع اليهود المذكورين من التعمير ومن الإعلان بأصواتهم بقرب الحرم الشريف بل يكونوا على حسب عادتهم

---

(١) قوله: «إنه ما سبق لليهود أن يعمروا» أي: لم يسبق لهم أن عمروا. وليست لهم ملكية قديمة فيه.

(٢) قوله: زيادة عن القديم: توحي بأن لهم قديما. وإنما يقصد: القديم بالنسبة إلى الكاتب. أي: منذ بدأ تسربهم إلى القدس من أيام سليمان القانوني. فهم لا قديم لهم قبله. وحتى الكنيس الذي سُمح لهم بترميمه ليس قديمًا. ومن أين لهم القِدم، وهم ممنوعون من سُكنى القدس، ويوم شرط عمر ـ رضي اللّه عنه ـ أن لا يساكنوا النصارى في بداية الفتح، لم يكن لهم كنيسة.. فمتى بَنَوا هذا الكنيس؟

فقط. فبناءً على ذلك صدرت هذه الخلاصة من مجلس شورى القدس الشريف لحضرة السيد أحمد آغا الدزدار[١] قائمقام ملكية متسلم القدس الشريف ليجري العمل بموجبها ٥/ ذي الحجة سنة ١٢٥٥هـ.

٣ ـ تعليق إسماعيل عاصم بك حكمدار حلب في ٥ ذي الحجة سنة ١٢٥٥هـ: «حضرات أرباب مجلس شورى القدس الشريف: غِبّ مطالعة هذا الإعراض تُنظر هذه المادة بحق اللّه تعالى والقديمُ يبقى على قِدمه من دون إحداث شيء.

٤ ـ صورة فرمان شريف سرّ عسكري[٢] صادر في ١٤ شوال سنة ٥٥ مضمونه الشريف: وردت ورقة من قونسلوس دولة الإنكليز ويذكر أن واحد من الرعايا كان حصل لهُ لطف ونذر على نفسه أن يبلّط زقاق البراق ويستدعي رُخصة بذلك فيلزم تعطوا إلى الرعايا المذكورة الرخصة بتبليط الزقاق المذكور ويكون معلومكم[٣].

حضرات أرباب مجلس شورى القدس المحترم: اطلعنا على

---

(١) دُزدار: بضم الدال المهملة وسكون الزاي: لفظ أعجمي معناه حافظ القلعة، وهو الوالي و«دُز» معناه القلعة، و«دار» حافظ فتصبح «حافظ القلعة»، ومنه «خازندار» أي: حافظ الخزنة.

(٢) سر عسكري: منسوب إلى «سرّ عسكر» وكان إبراهيم باشا قد اتخذ لقب «سرّ عسكر بلاد العرب»، ولذلك يروى أن محمد علي باشا بعث لولده إبراهيم، أنه لا يوافق على لقب «سر عسكر بلاد العرب» الذي اتخذه إبراهيم باشا لنفسه ويوجب الاكتفاء باسم «إبراهيم» كما اكتفى هو بالاسم «محمد علي»، ثم يقول لولده: إنَّ هذه الألقاب جوفاء لا تليق بإبراهيم، وإن إذاعتها يدل على الضعف لا القوة.

(٣) قوله: «فيلزم تعطوا» مفهومها أن سرّ عسكر بلاد العرب، إبراهيم باشا، وافق على طلب قنصل بريطانية، ويطلب من مجلس الشورى الموافقة على ذلك.

خلاصة حضراتكم المحرر جانبه اقتضى حررنا لحضراتكم صورة الأمر الشريف السر عسكري قايمقام ملكية السيد أحمد دُزدار متسلم القدس الشريف.

٥ ـ العريضة التي رفعها المجلس المذكور إلى الباشمعاون الخديوي في ٨ ذي الحجة ١٢٥٥هـ: «إلى الباشمعاون الخديوي المعروض لدولتكم العلية لدى المذاكرة على هذا المعروض المتقدم لسعادة حكمدار حلب من شيخ المغاربة بالقدس المشروح باطنه بخصوص تبليط اليهود زقاق البراق الكائن بحارتهم بقرب دور وقف سيدي أبي مدين الغوث قدس سره الملاصق لصور الحرم الشريف وشرح المشار إليه للمجلس بالأمر بإبقاء القديم على قدمه من دون إحداث شيء.

* تنبيـــه:

حتى النكبة ١٩٤٨م لم يزد مجموع ملكيات اليهود عن ٦,٥٪ من أراضي فلسطين الزراعية، أقلّه اشتُرِي بالابتزاز والطرق الملتوية، وأغلبه عملية نزع ملكية عامة بالاحتيالات القانونية.

فانظر إلى التزوير الوقح والمعيب للتاريخ حين يقول أولاد الأفاعي وأبناء الحيات وإخوان القردة والخنازير أن لهم حقًّا تاريخيًّا في الأرض المقدسة المباركة الطاهرة أرض فلسطين وبيت المقدس.

عدد اليهود في القدس[١]

السنة	العدد
٦٣٦م	لا يوجد يهودي واحد
١٢٦٧م	عائلتان يهوديتان
١٥٦٠م	١١٥ يهوديًّا
١٦٧٠م	١٥٠ يهوديًّا
١٨٣٨م	٣٠٠٠ يهودي
١٨٤٤م	٧١٢٠ يهوديًّا
١٨٧٦م	١٢٠٠٠ يهودي
١٨٩٦م	٢٨١٢٢ يهوديًّا
١٩٢٢م[٢]	٣٣٩٧٠ يهوديًّا
١٩٣١م	٥١٢٢٢ يهوديًّا
١٩٤٤م	٩٧٠٠٠ يهودي
١٩٦٧م[٣]	١٩٧٧٠٥ يهودي
١٩٧٥م	٢٥٩٤٠٠ يهودي
١٩٨٥م	٣٢٧٧٠٠ يهودي
١٩٩٣م	٤٠٦٤٠٠ يهودي
١٩٩٨م	٤٢٠٠٠٠ يهودي

(١) جمعت من مصادر علمية موثقة.

(٢) في فترة الانتداب البريطاني.

(٣) في ظل الاحتلال الإنجليزي للقدس بشِقَّيها.

* **حقيقة دامغة:**

إذا حسبنا عمر دولتا اليهود في القدس وفلسطين قديمًا تكون أورشليم (يهوذا) قد عمرت (٤٣٤) سنة بما فيها ملك شاول وداود وسليمان، (وإسرائيل) عمرت (٢٩٨) سنة فقط، منذ عهد شاول (١٠٢٠ ق.م).

وكما نرى فإن سيادة اليهود على قطعة محدودة من أرض فلسطين انتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ستة قرون، وبعد خمسة وعشرين قرنًا وبعض قرن، يحاولون أن يعيدوا هذا التاريخ السحيق مرة أخرى، ويا له من تاريخ، ويا لها من عودة!.

وكان ختام الوجود اليهودي في فلسطين في عهد الرومان عام ٧٠م.

* **حديث القرآن عن إفساد بني إسرائيل وعقوبتهم:**

وقد تحدث القرآن الكريم عن هاتين النهايتين: تدمير سيادتهم بالأسر البابلي، وإنهاء وجودهم بالسحق الروماني، وذلك في الآيات الكريمة: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا

وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾ .
﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾
[الإسراء: ٤ ـ ٨].

* آيات سورة الإسراء ورأي بعض علماء العصر :

وقد ذهب بعض علماء العصر مثل الشيخ الشعراوي والشيخ عبدالمعز عبد الستار[١] وغيرهما إلى أن المرة الأولى في إفساد بني إسرائيل كانت في عصر النبوة بعد البعثة المحمدية، وهي ما قام به بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وأهل خيبر، من كيد وبغي على الرسول ﷺ وأصحابه، وقد نصرهم اللَّه عليهم.

وكان العباد المسلطون عليهم هم النبي ﷺ والصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ بدليل مدح هؤلاء بإضافتهم إلى اللَّه بقوله: ﴿ عِبَاداً لَّنَا ﴾. أما إفسادتهم الثانية فهي ما يقومون به اليوم من علو كبير وطغيان عظيم، وانتهاك للحرمات، وإهدار للحقوق، وسفك للدماء، وغيرها.

وسيتحقق وعد اللَّه تعالى بتأديبهم وعقوبتهم وتسليط المسلمين عليهم كما سلطوا من قبل.

* تفنيدنا[٢] لهذا الرأي وأدلة ذلك :

ورأيي أن هذا التفسير ضعيف لعدة أوجه:

أولاً: أن قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ أي:

---

(١) والدكتور صلاح الخالدي وغيرهم كما سنبين في فصل لاحق.
(٢) هذا التفنيد للشيخ القرضاوي في كتابه «القدس» (٦٠ ـ ٦٣).

أنهينا إليهم وأعلمناهم في الكتاب، والمراد به: التوراة، كما قال قبلها: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وما جاء في الكتاب أي أسفار التوراة يدل على أن هاتين المرتين قد وقعتا، كما في سفر تثنية الاشتراع.

ثانيًا: أن قبائل بني قينقاع والنضير وقريظة لا تمثل بني إسرائيل في قوتهم وملكهم، إنما هم شرائح صغيرة من بني إسرائيل بعد أن قطعوا في الأرض أممًا.

ثالثًا: أن الرسول ﷺ والصحابة لم يجوسوا خلال ديار بني إسرائيل ـ كما أشارت الآية الكريمة ـ إذ لم تكن لهم ديار، وإنما هي ديار العرب في أرض العرب.

رابعًا: أن قوله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ لا يعني أنهم من عباده الصالحين، فقد أضاف اللَّه تعالى الكفار والعصاة إلى ذاته المقدسة، كما في قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧].

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

خامسًا: أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

يتضمن امتنان اللَّه تعالى عليهم بذلك، واللَّه تعالى لا يمتن على بني إسرائيل بإعطائهم الكرة على المسلمين.

سادسًا: أن اللَّه تعالى إنما رد الكَرَّة لبني إسرائيل على أعدائهم بعد أن عاقبهم في المرة الأولى؛ لأنهم أحسنوا وأصلحوا، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، واليهود ـ كما عرفناهم

شاهدناهم ـ لم يحسنوا ولم يصلحوا قط، ولذا سلط اللَّه عليهم هتلر وغيره. كما يبتلي ظالمًا بظالم. وهم منذ نحو مائة سنة يمكرون بنا ويتآمرون علينا، ليسرقوا أرضنا، فمتى أحسنوا حتى يرد اللَّه لهم الكرة علينا؟!.

سابعًا: أن اللَّه تعالى قال في المرة الآخرة: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

والمسلمون لم يدخلوا مسجدهم قبل ذلك بالسيف والقهر، ولم يتبروا ما علوا تتبيرًا، بل لم يكن شأن المسلمين أبدًا التتبير والتدمير في حروبهم وفتوحهم. إنما هو شأن البابليين والرومان الذين سلطوا على الإسرائيليين.

ثامنًا: أن ما أجمع عليه المفسرون القدامى أن مرتي الإفساد قد وقعتا، وأن اللَّه تعالى عاقبهم على كل واحدة منهما، وليس هناك عقوبة أشد وأنكى عليهم من الهزيمة والأسر والهوان والتدمير على أيدي البابليين الذين محوا دولتهم من الوجود، وأحرقوا كتابهم المقدس، ودمروا هيكلهم تدميرًا، وكذلك ضربة الرومان القاصمة التي قضت على وجودهم في فلسطين قضاء مبرمًا، وشردتهم في الأرض شذر مذر، كما قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]. والواضح أنهم اليوم يقعون تحت القانون الإلهي المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]. وها هم قد عادوا إلى الإفساد والعلو والطغيان، وسنة اللَّه تعالى أن يعود عليهم بالعقوبة التي تردعهم وتؤدبهم، وتعرفهم قدر أنفسهم، كما قال الشاعر:

إن عادت العقرب عدنا لها ... بالنعل والنعل لها حاضرة!

* يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وهذا الدمار الأول، الذي تم على أيدي البابليين، وتحدث عنه القرآن الكريم على النحو الذي نراه كان بالغ التأثير على اليهود. فقد أزال معظم الوجود اليهودي من فلسطين. وظهر من السهولة التي أجلى بها البابليون سكان (منطقة إسرائيل)، على يد «سرجون»، ثم سكان (منطقة يهوذا»، على يد «نبوخذ نصر». أن جذور هؤلاء القوم لم تكن عميقة في أرض فلسطين، وإذا استثنينا المعبد وقصر سليمان، فلا تكاد تذكر لهم آثار خلال تسعة قرون قبل هذا الإجلاء. وكل ما يمكن أن نقوله: إنهم أقاموا في جزء من أرض كنعان، بما فيها من قرى صغيرة. وحتى المدن كانت أشبه بالقرى، باستثناء أورشليم وشكيم (نابلس)[١].

* **حقيقة هامة:**

كتب الدكتور حسّان حلاق في «صحيفة النهار» اللبنانية فقال:

منذ أن تولى السلطان عبد الحميد الثاني السلطنة العثمانية (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م) تنبه إلى خطورة إشغال الأراضي الفلسطينية لا سيما من اليهود، لهذا فقد أصدر منذ فترة مبكرة فرمانات سلطانية عدة تمنع إقامة اليهود الدائمة في فلسطين. وفي عام (١٨٨٢م) صدرت قرارات جديدة بهذا المعنى ردًّا على محاولات «جمعية أحباء صهيون»: الحصول على إذن رسمي بالهجرة، وقد حاول في الفترة ذاتها «لورنس أوليفانت» (L. oiphant) أن يوسط إستراوس السفير الأمريكي في الآستانة

(١) انظر «القدس ومعاركنا الكبرى» لمحمد صبح ص(٢١٨ ـ ٢٢٠).

للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، غير أن مساعيه فشلت لدى السلطان والأوساط العثمانية، وكان جواب السلطان عبد الحميد الثاني: «أن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية جهة من المملكة إلا في فلسطين، وأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين، ولكنها لا ترحب بإقامة مملكة لليهود في فلسطين يكون أساسها الدين، وعلى اليهود المهاجرين إلى الأراضي العثمانية أن يصبحوا رعايا عثمانيين، وأن يقبلوا القوانين المعمول بها في الإمبراطورية.

لهذا فقد حرص السلطان عبد الحميد على تعيين متصرفين في فلسطين ممن يستطيعون منع الهجرة اليهودية، واستقرار اليهود في مدنها، وكان في مقدم هؤلاء متصرف القدس رؤوف باشا (١٨٧٦ ـ ١٨٨٨م)، وعندما تيقنت الدولة العثمانية أن بعض الدول الأجنبية تساعد على تسريب اليهود إلى فلسطين أصدر الباب العالي قراراً في (٢٩ حزيران ١٨٩٢م) تضمن ضرورة منع الذين يحملون جنسيات أجنبية من الدخول إلى فلسطين، وتكررت هذه الفرمانات، وأبلغت إلى القنصليات الأجنبية، مع استياء الدولة العثمانية من ممارستها في دعمها الهجرة اليهودية.

هذا وقد أكد وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F.O) موقف الدولة العثمانية الصارم ضد الهجرة اليهودية، ومن بينها تقارير ديكسون (Dickson) القنصل البريطاني في القدس حينما أشار في تقرير بتاريخ (١٤ شباط ١٨٩٢م) إلى أن التعليمات الصادرة من الباب تفيد بأن هجرة اليهود بقصد الاستقرار في فلسطين غير مسموح بها، أما الذين يرغبون في زيارة البلاد كحجاج فسوف يسمح لهم بالإقامة لمدة تتراوح بين شهر

أو شهرين ينبغي عليهم بعدها مغادرة البلاد.

لقد حاول الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل أن يحصل على فرمان من السلطان عبد الحميد الثاني للسماح لليهود بهجرة رسمية منظمة، ووسّط لهذه الغاية: البابوية وإنكلترا والنمسا وألمانيا، والقوى الأمريكية وبعض الأوساط التركية، ولما تأكد له فشل مساعيه رأى هرتزل ضرورة القضاء على الدول العثمانية، ومما قاله: «إن القضاء على الدولة العثمانية أو تقسيمها هو الحل الوحيد لقيام الدولة اليهودية، إنه إذا تم تقسيم تركيا في المستقبل القريب، فسوف تقف الدولة الصهيونية التي تقام في فلسطين حاجزًا، أما إذا قبل السلطان بالمطالب والعروض اليهودية، فهذا مما يبدل سياسة الصهيونية نحوه، فنحن نستطيع أن نسند السلطان سندًا قويًّا بالمال إذا هو تخلى لنا عن قطعة أرض لا قيمة كبيرة لها عنده،(يوميات هرتزل ١٣ نيسان ١٨٩٦م). وكان ما كان، مما قصصناه قبل الآن، من أمر هرتزل والسلطان.

* مزاعم إسرائيل الدينية في القدس وفلسطين:

يعتقد اليهود أنهم شعب اللّه المختار، والأمة المفضلة على سائر الأمم، وأنهم بنو إسرائيل، وأن ثمت ميثاقًا إلهيًّا ربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه اللّه لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ميثاق سرمدي إلى قيام الساعة. وأنه لابد من قيام دولة يهودية تجمع اليهود في فلسطين.

* وقفة متأنية لمناقشة الدعوى اليهودية للشيخ يوسف القرضاوي:

يقول ـ حفظه اللّه ـ :«أحب أن أقف وقفة متأنية أمام ما زعمه

كتبة «العهد القديم» من نصوص تقول: إن اللَّه وعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأن يعطي لنسله أرض فلسطين، وكذلك وعد ابنه إسحاق، ووعد حفيده يعقوب الذي سمَّوه «إسرائيل»، وعلى هذا الأساس سموا هذه الأرض: أرض الميعاد. في هذه الوقفة نسأل عدة أسئلة:

من هم نسل إبراهيم؟

أولاً: ما المقصود بنسل إبراهيم ـ عليه السلام ـ أهم أبناؤه من صلبه، أم أبناؤه الروحيون؟ أعني: الذين يتبعون ملَّته، وينهجون نهجه، ويهتدون بهداه؟ أما أبناؤه وأحفاده من صلبه، فهم ـ مثل أبيهم إبراهيم ـ لم يملكوا من هذه الأرض شبراً واحداً. فما المقصود بالأبناء إذن؟.

إن المنطق الملائم للنبوة وللخلة التي تميز بها إبراهيم (خليل اللَّه): أن يكون أولى الناس به من آمن به واتبع هداه، وهذا ما ذكره القرآن حين قال: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [آل عمران: ٦٨].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

بينت الآية أن الإمامة لا تنتقل بالوراثة، وأن الظالمين لا يستحقون عهد اللَّه؛ لأن ما عند اللَّه ينال بالأعمال، لا بالأنساب كما قال رسول الإسلام: «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**».

وقد برئ إبراهيم من أبيه لما تبين له أنه عدو للَّه، كما برئ من قومه لما كفروا باللَّه، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

*وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

أليس إسماعيل من نسل إبراهيم؟!

ثانيًا: لو فرضنا أن المراد بنسل إبراهيم أولاده من صلبه، فلماذا حرم أبناء إسماعيل بكره وولده الأول؟ ولماذا انحاز اللَّه ـ الحكم العدل ـ إلى بني إسرائيل ضد بني إسماعيل؟!.

❑ لقد ذكرت التوراة ـ في سفر التكوين ـ أن (إسماعيل ابن إبراهيم) في أكثر من اثني عشر موضعًا. إلا أن الإسرائيليين يقولون: إن إسماعيل ابن الجارية هاجر، وإسحاق ابن الحرة سارة، ولكن أليس كلاهما كان ابن إبراهيم؟ وكلاهما نبيًّا ورسولاً من عند اللَّه؟ وهل يحرم أولاد الرجل ميراثهم من أبيهم بسبب أمهاتهم؟.

❑وهنا سؤال آخر مهم ـ سأله لهم. د. حسان حتحوت ـ عن أبناء إسرائيل (يعقوب) ـ الاثنى عشر، فقد ذكرت التوراة أن إسرائيل تزوج ابنتي خالته: راحيل وليئة، وجاريتيهما: زلبا وبلحا، وقد ولدت الجاريتان ستة من أبناء إسرائيل، فلم اعتبرتموهم من بني إسرائيل، ولم تنقصوا من بنوتهم مثقال ذرة؟ وهنا لا يجدون جوابًا. هذا، وقد استمر التسري بالجواري في بني إسرائيل، فقد ذكرت أسفار العهد القديم أن داود كان له مائة زوجة ومائتان من الجواري، وأما ابنه سليمان فكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة جارية. ولا نزاع في أن هؤلاء الجواري أنجبن أولادًا لداود وسليمان، ولا ريب أن أولاد هؤلاء السراري من بني

إسرائيل، فما يقول اليهود في ذلك أيضًا؟.

* الحكم العدل حرّم الظلم على نفسه:

ثالثًا: كيف يعطي اللَّه ـ الحكم العدل، الذي حرم الظلم على نفسه، وحرمه على عباده ـ أرضًا يملكها أصحابها ملكًا شرعيًّا مستقرًّا، لفئة من الناس، هم دخلاء على هذه الأرض، غرباء عنها، وأين عدل اللَّه تعالى وقسطه، وهو يحب المقسطين، ولا يحب الظالمين؟

* وعد مشروط لم يف اليهود بشرطه:

رابعًا: هل هذا الوعد ـ إن صح ـ بمنح هذه الأرض: وعد مطلق أو وعد مشروط؟ وإذا كان مشروطًا فهل تحققت شروطه؟ الذي يقرأ «الكتاب المقدس» عند النصارى ـ وخصوصًا أسفار العهد القديم، يجد أن وعد اللَّه لبني إسرائيل إنما هو وعد مشروط، بأن ينفذوا التعاليم، ويحفظوا العهد، ويصونوا أوامر الرب ونواهيه، حتى يكونوا أهلاً لنصر اللَّه وتمكينه، وهذا هو المعقول والملائم للعدالة الإلهية، والحكمة الربانية، فإن اللَّه لا يعامل الناس بأنسابهم، بل بأعمالهم.

* اليهود نقضوا عهد الرب:

ينقل لنا محمد أبو فارس هذه النصوص:

التثنية/٦: ١٨: «احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته، وفرائضه التي أوصاكم بها».

التثنية/٦: ١٨: «اعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير، وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي خلف الرب لآبائك».

التثنية/٧: ١١: «فاحفظوا الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا

أوصيك اليوم لتعلمها».

هذه النصوص الثلاثة من سفر التثنية ـ العهد القديم ـ تشرح الشروط وتفصل الأسس التي جعلها الرب «رب بني إسرائيل» جوهر «العهد».

لكن.. هل أدى.. والتزم.. وحافظ الطرف الثاني على ما أمره الرب به؟

الكتاب المقدس ـ الذي هو حسب اعتقاد أتباعه المسيحيين كتاب نصوصه ربانية، واتباعه طاعة لأوامر الرب ـ يسجل:

أولاً: سفر الخروج/ ٣٢: ٢ ـ ٣ ـ ٤: «فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأْتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكًا[1]، فقالوا: «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر».

لقد عبد بنو إسرائيل أصنامًا من دون اللّه الواحد الذي قام «العهد» بينه وبينهم، وهكذا ارتدوا إلى الوثنية وخرقوا ـ من جانبهم ـ بقيادة هارون (شقيق النبي موسى)! شروط وأسس «العهد».

ثانيًا: النبي إيلياه (إلياس) بعد ذلك بزمن طويل يخاطب الرب بهذه الكلمات:

---

(١) في القرآن: أن الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل هو السامري، وأن هارون ـ عليه السلام ـ أنكر عليهم هذا العمل، ولكنهم لم يسمعوا له. انظر الآيات (٨٥ ـ ٩٨) من سورة طه، وفيها: ﴿**ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري* قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى**﴾.

الملوك الأول/٩: ١٠: «.. لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف.. وهم يطلبون نفسي ليأخذوها».

ثالثًا: النبي موسى عليه السلام «ذاته» (أي قبل النبي إيلياه عليه السلام) كان قد قال:

التثنية/٩: ٢٣ ـ ٢٤: «يقول موسى: عصيتم قول الرب إلهكم، ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله، قد كنتم تعصون الرب منذ عرفتكم».

رابعًا: الرب نفسه يقول ليشوع:

يشوع/ ٧: ١١: «الرب يقول: قد أخطأ إسرائيل بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام، بل سرقوا، بل أنكروا..».

ملاحظة: «أخطأ إسرائيل» في هذا النص تعني: ارتكبوا خطيئة.

خامسًا: خاطب نحميا بني إسرائيل بهذا القول:

نحميا/ ٣: ٢٠: «حقًّا إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا ختنموني يا بيت إسرائيل، يقول الرب».

سادسًا: نورد مرة أخرى مخاطبة وجهها موسى إلى بني إسرائيل:

عدد/ ٣٢: ١٤: «يقول موسى لبني إسرائيل: فهو ذا أنتم قمتم عوضًا عن آبائكم تربية أناس خطأة لكي تزيدوا أيضًا حنق (غضب) الرب على بني إسرائيل».

سابعًا: ميخا/ ٣: ٩ ـ ١٠ ـ ١١: «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب، وقضاة بيت إسرائيل، الذين يكرهون الحق، ويعوجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم، رؤساؤها

يقضون بالرشوة، وكهنتها يُعلِّمون بالأجرة، وأنبياؤها يعرفون بالفضة . . ».

نكتفي بهذه الأمثلة السبعة من أسفار العهد القديم، حيث إنها تكشف مقدار التزام وطاعة بني إسرائيل لشروط وبنود «العهد» الذي يدعون قيامه بين الرب وإبراهيم وإسحاق من بعده ويعقوب من بعدهما.

أيضًا في العهد الجديد من الكتاب المقدس يوجد نصوص تصف مسلكيات القوم مع «العهد المزعوم».

أولاً: يوجه يسوع المسيح للإسرائيليين هذا الخطاب:

متى/ ٢١: ٣١: ٤٣: «قال لهم يسوع: الحق أقول لكم أن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت اللَّه؛ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت اللَّه ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل آثاره».

ثانيًا: يوحنا المعمدان هكذا يخاطب بني إسرائيل:

متى/ ٣: ٧: «قال لهم . . يا أولاد الأفاعي».

ثالثًا: يسوع نفسه يقول لبني إسرائيل:

متى/ ٢٣: ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣: «فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء، أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم».

❑ هكذا . . . واستنادًا على نصوص توراتية من الكتاب المقدس أوردناها حرفيًّا في هذا الفصل، يتضح أنه ومنذ أيام موسى ويوشع بعده، ثم إيلياه وأرميا وعزرا، ونحميا وميخا، ويوحنا المعمدان، وأخيرًا

في زمن يسوع المسيح، خرقت ـ من جانب واحد ـ شروط وأسس وبنود «العهد» الذي أبرم بين اللَّه وإبراهيم، خرقت مرارًا ومرارًا ـ وفي عصور كثيرة، وعليه يبرز التساؤل:

وهل ـ بالرغم من هذا الاستهتار «بعهد الرب» وخرقه ـ لا تزال قائمة حقوق توراتية في القرن العشرين بعد المسيح لأحد أو لجماعة في بلدان ذات سيادة واستقلال مثل فلسطين ولبنان وسوريا، ومصر والأردن؟ لجماعات مثل «الفلاشا» الأثيوبيين، أو لمواطنين من روسيا وأوكرانيا، أو لأمريكيين وأرجنتينيين (مثل الذين يعيشون في الكيبوتز) باسم «عهد» خرقه بنو إسرائيل منذ عشرات القرون ـ مرات ومرات ومرات ـ في حقبات مختلفة من التاريخ؟ هل في مثل هذه المطالبات بحقوق.. ذرة من إقناع ومنطق وإنصاف؟[1].

* منطق القرآن: الأرض يرثها الصالحون:

إن منطق القرآن: أن اللَّه تعالى يعطي الأرض ويورثها للصالحين من عباده، وليس لعرق من العروق، وجنس من الأجناس، فاللَّه تعالى لا يعامل الناس بعروقهم وأنسابهم، بل بإيمانهم وأعمالهم، وتقواهم للَّه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

* يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فالصالحون هم الذين يرثون الأرض من أهلها الذين طغوا وظلموا،

---

(١) انظر «هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين؟» لمحمد أحمد أبو فارس ص(٣١، ٣٢).

وكذبوا رسل اللَّه وآذوهم وصدوا عن سبيل اللَّه.

* كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

ولقد كانت الأمة الإسلامية هي الأمة المؤهلة لوراثة أرض النبوات، وتحقيق وعد اللَّه لإبراهيم في أن يعطي هذه الأرض لنسله ـ إن صحت هذه النبوءة ـ فها هم أبناء إسماعيل بن إبراهيم، بل ها هم أبناء إبراهيم الروحيون، الذين هم أولى الناس به، وأتبعهم لملته، قد ورثوا الأرض وقاموا بحقها، وأقاموا فيها العدل والإحسان، أربعة عشر قرنًا من الزمان. وهم أصحاب الأرض وأهلها، وهم باقون فيها إن شاء اللَّه حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها، ووجودهم في هذه الأرض هو الوجود الشرعي الوحيد الذي يقره اللَّه ورسوله والمؤمنون، وكل المنصفين من عباد اللَّه. وأما وجود الصهاينة فهو وجود دخيل غاصب معتد أثيم، يستحيل أن يدوم. فهو حتمًا إلى زوال. وما ربك بغافل عما يعملون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧][1].

* حقيقة يذكرها الدكتور جمال حمدان:

وأكرر قول الدكتور جمال حمدان في كتابه «فلسطين أولاً» ص(٢٠٣ ـ ٢٠٤): «فأولاً وأصلاً ليست فلسطين وطنًا تاريخيًّا لليهود، ضيّعوه، ولكن لم ينسوه كما يزعمون؛ لأن وجودهم فيها انقطع كلية

(١) «القدس» للشيخ القرضاوي ص(٧٣ ـ ٨٢).

منذ ٢٠٠٠ سنة، وقبل ذلك لم يدم إلا فترة قصيرة للغاية أغلبها انقضى في الواقع منذ نحو ٤٠٠٠ سنة، وقبل ذلك جميعًا لم تكن فلسطين وطن اليهود الأصلي بل كانوا دخلاء عليه غزاة، فلا هو إذن وطن أصلي ولا هو وطن تاريخي، لا هو وطن أب أو أم ولا هو وطن بالتبني، هو فقط وبالتحديد احتلال عابر، كاحتلال إنجلترا لأجزاء من غرب فرنسا بضعة قرون في العصور الوسطى، ثم طردها منها. فالقول اليوم بعلاقة بين اليهود وفلسطين هو ادعاء تاريخي خاطئ ولا أساس له من العلم».

* وأخطر من هذه الحقيقة:

ثم استطرد الدكتور جمال حمدان قائلاً: «ولكن لا يقل خطورة عن هذا القول بأن هناك علاقة بين يهود اليوم واليهود الذين خرجوا من فلسطين منذ ٢٠٠٠ سنة. فالثابت عمليًّا أن يهود الخروج ذابوا في الشتات تمامًا دمويًّا ودينيًّا، بالتزاوج والتحول، ويهود اليوم هم نسل متحولين إلى اليهودية وليسوا من سلالة بني إسرائيل التوراة، ليسوا ساميين بل أوربيون أو أمريكيون من سلالات ألبية ونوردية وسلافية.. إلخ. وحين يدّعون أرض فلسطين اليوم، فهي مطالبة غرباء أجانب تمامًا بأرض لم تطأها قط أقدام أجدادهم بالدم، تمامًا كما لو ادعاها اليابانيون مثلاً أو الإسكيمو!».

* لله درك يا جمال حمدان:

«اليهود ليسوا من بني إسرئيل»

يقول د. جمال حمدان ـ رحمه اللّه ـ: «والحقيقة التاريخية التي نود أن نصر عليها بشدة هي أن «اليهود ليسوا من بني إسرئيل»، بمعنى أن

الصهيونيين الذين يحتلون فلسطين اليوم ليسوا من نسل بني إسرائيل التوراة، أو سلالتهم، سواء مباشرة أو غير مباشرة، حقًّا إن بني إسرائيل التوراة بدءوا كموجة أو شعبة من الشعوب السامية التي ينتمي إليها العرب، ولغة كلٍّ لغة سامية. وحقًّا إن أصلهم يرقى إلى يعقوب حفيد إبراهيم بمثل ما أن العرب تنحدر من صلب إسماعيل بن إبراهيم. وحقًّا كذلك قامت لهم دولة في جزء داخلي من فلسطين استمرت قرونًا أربعة إلا قليلاً هي القرون التي تسبق التاريخ المسيحي مباشرة.

ولكن ماذا إذن؟ لسنا نريد بعد هذا أن نقول إن تاريخهم الذي كان ـ بشهادة كل الأديان ـ سجلاً بشعًا من سفك الدم والغدر والفساد كان عابرًا قصير العمر هناك. ولم يزد عن أن يكون مجرد جملة اعتراضية في تاريخ فلسطين. ولسنا نريد أن نقول إن فلسطين كانت كنعانية (عربية) قبل بني إسرائيل لألف سنة على الأقل، وعادت عربية بعدهم لنحو ألفي سنة على وجه التقريب. فهذا كله وإن كان صحيحًا، فإنه يهمل قضية حاسمة خطيرة، وهي أن يهود العالم اليوم لا علاقة لهم البتة بتلك القبيلة الغابرة إلا علاقة ادعاء موهوم وانتحال.

ذلك أن الأدلة التاريخية توضح أن الإسرائيليين الذين فروا من مجازر الرومان وخرجوا من فلسطين بعد سقوط أورشليم لم يكن عددهم ليزيد عن بضع عشرات من الآلاف أو مئات من الآلاف على الأكثر. وأهم من هذا ما حدث لهذه الشراذم والشظايا المتطايرة في المهجر منذ أن بدأ الشتات (الياسبورا). فقد تشتّت أغلب هؤلاء في بلاد البحر المتوسط ابتداء من تركيا حتى أسبانيا ومن العراق حتى المغرب. وفي هذا الوسط الجديد الذي ظلت أجزاء منه وثنية لقرون بعد ذلك، لم

يبدأ تقوقعهم وعزلتهم المعروفة إلا بعد أن كانوا قد اختلطوا وتزاوجوا بدرجة أو بأخرى مع السكان الأصليين. وفي هذا الاختلاط لم يفقدوا نقاوة دمائهم الجنسية فحسب، وإنما تحوّل كثير من الأهالي الوثنيين إلى اليهودية عند التزاوج معهم.

ومعنى هذا أنهم اليوم ليسوا نسلاً خالصًا للمهاجرين الإسرائيليين أولاً، وأنهم ثانيًا: إن لم يكن قد ذابوا بدرجة أو بأخرى فإن جزءًا منهم كبيرًا ليسوا إلا قطاعًا من جسم الأهالي الوطنيين أنفسهم. هؤلاء هم اليهود «السفاراديم» الذين لا يمثلون اليوم إلا ٢٠٪ من مجموع يهود العالم.

الأشكناز أوروبيون تهوَّدوا

وتبقى الأغلبية الساحقة ـ ٨٠٪ ـ وهي الشكناز (الأشكنازيم) الذين يشملون يهود أوربا والعالم الجديد. أصل هؤلاء الثابت علميًّا وتاريخيًّا أن أعدادًا ضئيلة للغاية من يهود الانتشار تسللوا إلى جنوب أوروبا ووسطها وشرقها حيث كان المناخ الديني السائد لا يزال الوثنية. وهناك لم يتزايد اليهود أو تتوسع اليهودية بالتكاثر. وإنما أساسًا وفي الدرجة الأولى بالتحول والتبشير. فالتزاوج القليل الذي كان يمكن أن يتم كان يعني أن يتحول الأهالي من الوثنية إلى اليهودية وليس العكس بداهة.

ولكن المهم أن التاريخ يسجل هنا موجات وعمليات ضخمة من التحول بالجملة إلى اليهودية وصلت أحيانًا إلى حدود الملايين. ولعل مثلاً واحدًا يكفي هنا: تحول الخزر في القرن الثامن الميلادي.

من نسل هذه الملايين المتحولة يأتي يهود الأشكناز مباشرة. ومعنى هذا أن يهود أوربا ليسوا إلا من أبناء تلك البلاد، وأنهم بالجنس والسلالة

أوربيون لحمًا ودمًا ـ روس أو بولنديون، نمسويون أو ألمان، تشيك أو رومانيون.. إلخ. معناه أنهم لا علاقة لهم إطلاقًا ببني إسرائيل التوراة ـ إلا في العقيدة المستعارة. أما دون ذلك، أما من حيث الموطن والسلالة، من حيث الدم والعرق فهم أوروبيون من قمة الرأس إلى أخمص القدم. والأدلة والوثائق التاريخية الثابتة تؤكد هذا الانتماء بينما تثبته الدراسات الأنثروبولوجية كل يوم بالمقاييس الجسمية لليهود والتي لا تختلف بتاتًا عن السكان الأصليين الذين يعيشون بينهم.

آريون لا ساميون

باختصار إذن اليهود جملة وتفصيلاً ليسوا من بني إسرائيل ليس هناك «يهودي تائه» أو متجول، وإنما هناك ببساطة يهودي متحول. ولهذا فإنهم حين يتجهون الآن إلى فلسطين فإنهم لا يعودون، وإنما يغتصبون: ليست هي عودة الغائب الذي يئوب ولكنها غزو الأجنبي الدخيل الذي يعتدي ويسلب، وليست فلسطين «أرض الميعاد» أو الأجداد في أي معنى ولكنها مجرد أرض الرسالة والعقيدة فقط. أبعد من هذا، ليس اليهود «ساميين» في أي معنى رغم ما في هذا من تناقض ساخر كما سنرى ـ فهم ـ الشكناز منهم على الأقل ـ أريون أو هندو أوربيون لا يختلفون في ذلك عن الشعوب التي ينتمون إليها جنسيًّا. وهم حين يلتقطون العبرية من متحف اللغات الميتة لينفثوا في عظامها النخرة الحياة بالقسر والابتسار فإنما ينتحلون لسانًا غريبًا مثلما هو من قبل أصلاً مكتوبًا.

والموقف كله من الغرابة والشذوذ بل السفه بمثل ما لو هب الستمائة أو السبعمائة مليون من البوذيين الصينيين والهنود الصينيين اليوم فقرروا أن الهند ـ وهي الموطن الأصلي للبوذية وإن كانت تخلو منها الآن ـ

ينبغي أن تكون «الوطن القومي» للبوذية وأن يهاجروا إليها ليقيموا دولتهم فيها! والتشبيه على غرابته صحيح في كثير من جزئياته بما في ذلك أن الصينيين والهنود الصينيين ليسوا من نسل سكان الهند أكثر مما أن يهود أوروبا وأمريكا من نسل إسرائيل. أما اليهود الذين هم اليوم من نسل إسرائيل حقًّا فهم البضعة عشر ألفًا التي كانت بفلسطين العربية حتى سنة ١٩٠٠م تقريبًا، يُضاف إليهم ولكن بدرجة كبيرة من الشك والحذر بضع مئات من الآلاف من يهود «السفارديم» في البلاد العربية، لهذا جميعًا فالصهيونية مجتمع دخيل تمامًا على فلسطين، وليس لهم فيها جذور أو أصول ـ أو حق بالتالي ـ سواء بالتاريخ أو الجنس، سواء باللسان أو الدين، وهم يدعونها وينتزعونها»[1].

ويقول أيضًا تحت عنوان: «مجتمع خلاسي طائفي»:

«ليس على ظهر الأرض ـ ومساحتها ٥٧ مليون ميل مربع ـ ٧٩٠٠ ميل مربع تضم ولو قدرًا ضئيلاً من التنافرات والأخلاط التي تضمها إسرائيل، بل ليس هناك قارة من القارات ـ حتى أمريكا ـ تقارب ما في المسخ الإسرائيلي من تباين وتناقضات بشرية. وإذا استبدلنا البعد المكاني بالبعد الزماني فاستعرضنا أضخم الإمبراطوريات في التاريخ وأشدها تخليطًا ـ ابتداء من روما عبر شارلمان وإمبراطورية النمسا والمجر حتى الإمبراطورية، التي لم تكن تغيب عنها الشمس بكل ما تضمه من شعوب متباينة وقوميات شتى ـ فلن تجد منها ما يقارب إسرائيل الميكروسكوبية ـ كدت أقول الميكروبية! ـ تنافرًا وخلاسية. أما لكي تجد هذا المثيل فلا بد أن توسع دائرتك لتشمل العالم كله، نعم كله. فلا

(١) «فلسطين أولاً» ص(٢٥٤ ـ ٢٦٠).

يكاد يوجد على ظهر الأرض جنس رئيسي أو ثانوي، قومية أو شعب، لغة أو ثقافية، لا تتمثل في إسرائيل.

ويقول: «إن جميع الألوان بكل درجاتها وظلالها تتمثل في سكان إسرائيل كقوس قزح بشري شديد الغرابة، فإلى جانب اليهود البيض الأوربيين من إشكناز وسفارديم يوجد اليهود السمر الشرقيون من اليمن والهند، وإلى جانب اليهود الصفر الأسيويين يوجد «اليهود السود»، كالفلاشا الحبشية.. إلخ. متحف جنسي خلاسي لا مثيل له في العالم.. ولقد نحكم له بأنه متحف حي ولكن هذا في ذاته وفي الحقيقة حكم عليه بالموت كدولة سياسية.

وأما قوميًّا فيكفي أن نذكر أن إسرائيل تلقت من يوم قيامها في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ حتى منتصف ٦١ بالتحديد مليون مهاجر بالضبط يرجعون في أصولهم ومصادرهم إلى ٧٩ دولة! فإذا عرفنا أن الدول المنضمة إلى هيئة الأمم المتحدة تعدت أخيرًا فقط المائة بقليل، فلن نبعد عن الحقيقة كثيرًا إذا افترضنا أن إسرائيل في مجموعها ـ نحو ٢,٢٥ مليون نسمة ـ تضم ممثلين لكل دولة في العالم تقريبًا. ولهذا وكما في الولايات المتحدة فليس هناك إسرائيلي إلا وله صفة جنسية أخرى، فهو إما إسرائيلي روماني، أو إسرائيلي ـ إيطالي أو تركي أو هندي.. إلخ.

وهذه الثنائية المزيفة لا تعني إلا انفصامًا في الجنسية وانعدامًا للقومية. وهي تفسر أيضًا ذلك التعدد المذهل في الأحزاب السياسية والتكتلات والمنظمات الحزبية التي تقدم قائمة مرهقة لا نهاية لها من وحدات مفتتة تفتيتًا ذريًّا. ومعنى هذا جميعًا أن إسرائيل في جوهرها وعلى ضآلتها العامة «دولة أقليات» لا يعرف العالم لها مثيلاً»[1].

(١) «فلسطين أولاً» ص(٢٦٢ ـ ٢٦٤).

* وغاب عنه ـ رحمه اللَّه ـ:

غاب عنه ـ رحمه اللَّه ـ أن الذي يجمع هذا الشتات هو الدين والدين فقط فاليهودية جنس ووطن ودين وليس غير هذا يجمع هذا الشتات المتنافر.

* خيانة بل خيانات:

ومن هنا ندرك قول من خانوا، وقالوا: إن اليهود والعرب أبناء عمومة، فقد قال فيصل بن الحسين الهاشمي مخاطبًا القاضي الأمريكي اليهودي (فيلكس فرانكفورتر في ١٩١٩م: «إن العرب واليهود أبناء عم من الناحية العنصرية.. إننا سنرحب باليهود ترحيبًا قلبيًّا في عودتهم إلى البلاد.. وهناك مجال في سوريا يتسع لنا جميعًا».

ويعود نبي الوطنية والقومية كما كانوا يلقبونه ـ فيصل بن الحسين ـ ليقول في مؤتمر الصلح بباريس في نفس العام فيعلن أن: «هناك صلات وثيقة من القرابة والدم بين العرب واليهود، كما أنه ليس ثمة تعارض واضح في الصفات المميزة للشعبين».

❑ وبعد نحو نصف قرن من هذه التصريحات التي تصدر على مستوى القيادة السياسية، ولكنها تتكلم، أو تسمح لنفسها أن تتكلم، بلسان الأنثروبولوجيين تعود نفس النغمة لترتفع على نفس المستوى بنفس اللسان، حين يعلن أحدهم أثناء زيارته للولايات المتحدة أنه لا يُكنّ شيئًا ضد اليهود!! «لأننا أبناء عمومة في الدم». وهذا حسين الأردن آخر الهاشميين يأتي من بعده ليعلن أخيرًا جدًّا أن العرب واليهود عاشوا مراحل طويلة في التاريخ جنبًا إلى جنب وفي صداقة كأقارب وجيران،

ويقول: «رابين ابن عمي» «رابين قائد شجاع».

ثم يقول الدكتور جمال حمدان معلقًا على تلك المقولات في كتابه «فلسطين أولاً» ص(٢٨٨ ـ ٢٩٠).

عميقة إذن هي الفكرة، فكرة قرابة الدم بين العرب واليهود، ومنتشرة متفشية هي إذن بين الكثيرين لا في الخارج فحسب ولكن بين العرب أنفسهم، بل وعلى مستوى قياداتهم، بغض النظر عن كونها قيادات رجعية دعية فُرضت أو فرضت نفسها عليهم، ولا جدال أن لهذا الفكرة نتائجها وتخريجاتها السياسية التي يمكن أن ترتب عليها، كما فعل فيصل بن الحسين في الواقع حين رحب باليهود في سوريا في النص السابق.

فرغم أن من الثابت المقرر في القانون الدولي أن ترك شعب لوطنه ألافًا سحيقة من السنين لا يمكن إلا أن يحرمه كل حق في المطالبة بالعودة إليه الآن، ورغم أن الفقهاء الدوليين يسخرون من مجرد فكرة إعادة تشكيل الخريطة السياسية للعالم على أساس غزوات وهجرات وتوزيعات الماضي الغابر، الأمر الذي يمكن أن يقلب صورة الدنيا رأسًا على عقب بشكل ساخر بل سخيف لا يتصور، نقول رغم هذا كله فإن فكرة قرابة العرب واليهود في الدم قد يمكن أن تلقي بعض ظلال على قضيتنا المصيرية الأولى في فلسطين، وقد يمكن أن تفتح بابًا للحلول الخاطئة أو الخائنة، سيئة النية أو ساذجة النية.

وليس هذا مجرد استدلال أكاديمي أو إسقاط منطقي، وإنما هو بالفعل ما نجده في أكثر من دائرة من الدوائر العربية وغير العربية. فليس بعيدًا مشروع الملك عبد اللّه، الذي اقترحه بنفسه على بريطانيا حلاًّ

لمشكلة فلسطين في الأربعينات، من إنشاء «مملكة سامية» يكون هو على رأسها يكون لليهود فيها حكمهم الذاتي! وفي السنوات الأخيرة ترددت فكرة «الاتحاد الفيدرالي السامي» بين بعض اليهود من صهيونيين وغير صهيونيين وضد الصهيونيين. ولعلنا أن نكتفى منها هنا بذكر مشروع ألفريد ليلينتال في كتابه الأخير The Other Side of the Coin الذي يقترح فيه أن يعود الصهيونيون الإسرائيليون الذين من أصل أوروبي إلى أوروبا، ويبقى الإسرائيليون الذين هم من أصل شرقي في فلسطين، وذلك مع عودة عرب فلسطين إليها ليعيشوا معهم في دولة واحدة جديدة، تدخل مع الوقت في علاقات اقتصادية مع بقية الدول العربية، متطلعة إلى اتحاد اقتصادي مع الأردن وغزة ومتجهة في النهاية إلى «اتحاد سامي» كبير!.

ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه المشروعات أو نقدها، فكل حل لا يعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل ١٩٤٨م بل قبل ١٩١٨م مرفوض بلا نقاش، وكل حل لا يزيل إسرائيل من الوجود لا محل له من البحث العلمي، ولكن سؤالنا المحوري هو الأساس الجنسي المزعوم في تلك المشروعات: أحقًّا نحن أقارب اليهود وأبناء عمومتهم؟ على أي أساس علمي ذلك، وأي دليل تاريخي ينهض بذلك؟ واضح أن المجال هو مجال الأنثروبولوجي والأنثربولوجيا ـ علم الإنسان ـ بما يحلل من تاريخ قديم وحديث وبما يدرس من لغة ووثائق دينية وبما يقتبس من أجسام وصفات تشريحية ووراثية.. إلخ[1].

(١) انظر «فلسطين أولاً» ص(٢٨٧ ـ ٢٩١).

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن يهود فلسطين التوراة كانوا بإجماع الباحثين جماعة سامية من عنصر البحر المتوسط بصفاته المعروفة التي أهمها طول الرأس والسمرة في لون الشعر والعين، ثم القامة المتوسطة والأنف السقيم، أما اليهود المعاصرون فهم في سوادهم الأعظم يختلفون عن هذا النمط البيولوجي كل الاختلاف، فأقلية ضئيلة جدًّا هي التي تبدي تلك الصفات، وهي تتمثل في أغلب السفارديم وبعض اليهود الشرقيين، أما الكتلة الكبرى من يهود العالم ـ الأشكناز ـ ففيها شقرة وألوان فاتحة أكثر مما ـ أو بقدر ما ـ فيها من سمرة، ولكن الأهم من ذلك أنها جميعًا من عراض الرءوس، أي النقيض المباشر والمطلق ليهود فلسطين القديمة.

بهذا إذن لا يعرف اليهود أي وحدة جنسية ويشتد فيهم التنافر في الصفات البيولوجية، وتتعدد بينهم السلالات والأنواع إلى أقصى حد. فعلى سبيل المثال يقدر أن كل نوع أو سلالة جنسية معروفة في أوربا يمكن بسهولة أن تلتقط من بين يهود القارة، وأن أغلب اليهود يمثلون خليطًا بطريقة أو بأخرى بين عديد من تلك الأنواع والسلالات. كذلك من السهل جدًّا أن نلتقط من بين يهود روسيا أفرادًا يمتازون بالصدع الواسع والأنف العريض القصير وعظام الوجنة البارزة بدرجة لا تفرقهم عن جماعات الفن المغولية التي تسكن منطقة الفولجا، بينما يوجد بين اليهود الألمان أفراد هم بكل معنى الكلمة نورديون مثاليون.

❑ وبالمثل يمكن أن نضيف على مستوى العالم متناقضات كالموزايكو تكاد تغطي كل ما نعرف بين البشر من اختلافات في الصفة الجنسية. فثمة «اليهود السود» مثل الفلاشة في الحبشة، والداجاتون Daggatuns

جنود الصحراء الكبرى، ويهود التاميل الملونون في جنوب غرب الهند، بل واليهود الصفر أحيانًا في التركستان، عدا ـ بالطبع ـ اليهود الشقر في أوربا. أو كما لاحظ (دالبي) في أواخر القرن الماضي: هناك كل الأنواع والألوان بين اليهود: البيض والسمر والسود. هناك اليهودي الربعة غليظ الملامح عريض الرأس من الأشكناز، واليهودي النحيف دقيق الملامح طويل الرأس من السفارديم. ثمة الأنف «اليهودي المحدب» والأنف المفغر ـ نقيض الأنف اليهودي الكامل ـ بل كثير من يهود روسيا. ثمة العيون اللوزية في السفارديم والمكتنزة الضخمة في الأشكنازيم، وأحيانًا العيون المغولية المسحوبة الشريطية في يهود وسط آسيا، وفضلاً عن هذا فإن الدراسات السيرولوجية أثبتت تمامًا أن اليهود يبدو فيما بينهم تفاوتًا كبيرًا جدًّا في فئات الدم مما ينفي تجانس الأصل، وأكثر من ذلك لا تبدي تلك الفئات أية علاقة بفئات الدم عند اليهود الذين تبقوا في السامرة حتى يومنا هذا، مما يؤكد عمق انفصالهم جنسيًّا عن الأصل القديم.

واضح تمامًا إذن أن الحديث عن وحدة جنسية بين اليهود ككل لا محلّ له من حقيقة أو علم على الإطلاق، وأن اليهود لا يعرفون الوحدة الجنسية أكثر مما يعرفون الوحدة الجغرافية. وواضح بالتالي أن النقاوة الجنسية المزعومة لهم إنما هي محض «خرافة» كما يقول الأنثروبولوجي الكبير (ربلي)، والواقع أن هذه قضية لم تعد موضوع جدل بين العلماء، فكما قال (رينان) من قبل، أن المغزى الأثنولوجي لكلمة يهود ـ على الأقل في شرق ووسط أوربا ـ قد انتهى منذ أمد طويل. وفي نفس المعنى أكد (دالبي) أنه ليس ثمة بعد أي شيء كقضية جنس يهودي على الإطلاق. وكما يقول (ربلي) من بعد: ليس اليهود جنسًا بل مجرد

يهود بكل بساطة».

❑ وعلى هذا فالحكم الحاسم الأخير يُعلق مؤلفو كتاب «نحن الأوربيين» وهم جوليان مكسلي وهارون وكار سوندرز: ونحن نعتقد أنه على صواب: «إن اليهود لا يمكن أن يُصنَّفوا كأمة ولا حتى كوحدة إثنولوجية، بل هم بالأحرى مجموعة اجتماعية دينية تحمل قدرًا كبيرًا من عنصر البحر المتوسط والأرميني وغيرهما كثير، وتتفاوت تفاوتًا عظيمًا في الصفات الجسمية»، ثم يضيف هؤلاء الكتاب قائلين: «إن اليهود المحدثين لم يكونوا أرمينيين في الأعم الأغلب، فإنهم بالتأكيد يبدون من الصفات الأرمينية أكثر مما يُبدون من الصفات «السامية»، وأن النمط الجنسي الذي يميز طائفة السامريين، وإن كنا نلقاه بين اليهود المحدثين إلا أنه بالتأكيد نادر بينهم».

ومن بعد (ربلي) يقرر هرتون Booton بجزم قاطع: «حقيقة هي لا شك أن اليهود مختلطون جنسيًّا ومن أصول طبيعية متنوعة».

ويؤكد (أشلي مونتجيو) نفس الانتهاء فيقرر أن اليهود ليسوا وحدة أثنولوجية بل باصطلاحه معزولة حضارية»[1].

* هل امتلك إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أرض كنعان:

عاش إبراهيم عليه السلام في فلسطين غريبًا بين سكانها ومالكيها الأصليين، لم يمتلك فيها موضع قدم، حتى إذا فاجأه موت زوجه سارة، انطلق يبحث عن مقبرة يمتلكها ليواري جثمان زوجه وموتى بيته، وفي هذا كلم إبراهيم بني حث ليشتري منهم مقبرة، لكنهم لما كانوا يوقرونه

(١) انظر: «فلسطين أولاً» ص(٣١٦ ـ ٣٢١).

كرجل صالح يعيش بينهم، فقد فوضوه أن يختار أفضل مقابرهم هبة منهم دون مقابل، فرفض إبراهيم عليه السلام، وأعطى لعفرون بن صوحر أربع مئة شاقل من الفضة ثمنًا للمقبرة[١].

إن أسفار العهد القديم ـ الكاذبة المحرّفة ـ تقرر أن إبراهيم تلقى وعودًا إلهية واضحة كل الوضوح بأنه شخصيًّا سوف يمتلك أرض كنعان، هذا بالإضافة إلى تملّك نسله لها ملكًا أبديًّا ولكن هذا ما حدث فهل يخلف اللّه وعده لخليله عليه السلام يا أولاد الأفاعي يا من تفترون على اللّه الكذب «أعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا أبديًّا».

وكل نصيب الخليل إبراهيم عليه السلام كان مقبرة إن صح اعتبار مقابر الموتى ملكًا يتوارثه الأحياء ويتنازعون امتلاكه.

ونعلم من الأسفار {سفر التكوين ٢٦: ١٢ ـ ١٧} أن إسحاق قد عاش في أرض كنعان غريبًا متجولاً، لم يمتلك فيها موضع قدم. وكانت ثروته تتركّز في المواشي والعبيد وما تغلّه الأرض التي يزرعها من محاصيل، ولأن إسحاق لم يمتلك من الأرض شيئًا فقد تعرّض للطرد والأذى من سكانها الأصليين.

والشيء الذي تؤكده أسفارهم أن يعقوب عليه السلام وبنيه عاشوا في أرض كنعان غرباء مستضعفين لم يمتلكوا فيها شيئًا، وأن إقامتهم في أي بقعة منها كانت مرتبطة برضاء أهلها وموافقتهم.

«قال يعقوب لشمعون ولاوي: كدرتماني بتكريهكما إياي عند

---

(١) «انظر: «سفر التكوين» ٢٣: ٢ ـ ١٦.

سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين وأنا نفر قليل، فيجتمعون عليّ ويضربونني فأباد أنا وبيتي» [تكوين ٣٤: ٢ ـ ٢٠].

ولم يحدث أن امتلك يعقوب عليه السلام شيئًا في أرض كنعان سوى قطعة أرض صغيرة اشتراها بماله الخاص لينصب فيها خيمته ويقيم عليها مذبحًا للّه [تكوين ٣٣: ١٨ ـ ١٩].

لقد كانت تلك كل علاقة يقعوب عليه السلام بأرض كنعان حتى رحل إلى مصر، إلى أن توفاه اللّه ودفن في مغارة المكفيلة بأرض كنعان، تنفيذًا لوصية كان قد أوصى بها بنيه [تكوين ٥٠: ١٢ ـ ١٤].

❑ إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام لم يمتلك أي منهم أرض كنعان، وأن ما نجده في سفر التكوين من وعود إلهية بذلك إنما هو من صنع الكتبة الإسرائيليين وافتروا على اللّه الكذب، فإن اللّه لا يُخلف وعده.

إن علماء الترجمة الفرنسية المسكونية يقررون أن مؤلفي «سفر التكوين» الذي جاءت به هذه الوعود، إنما هو من عمل كتبة عديدين استقوا معلوماتهم من أساطير الشرق الأدنى القديم.

*** حقائق:**

❑ إن نصوص الأسفار تحرم على بني إسرائيل، منذ عهد موسى عليه السلام التملك أو الاعتداء على أراضي معينة جعلها اللّه موطنًا دائمًا لشعوب معينة [انظر سفر التثنية ٢: ٤ ـ ١٩].

---

(١) انظر: «تاريخ انهيار دولة إسرائيل» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٢١ ـ ٢٦) بتصرف ـ مكتبة التراث.

لقد سكن الموآبيون والعمونيون في شرق الأردن، وسكن الأدوميون بنو عيسو جنوب أرض موآب وجنوب غرب البحر الميت.. ولقد حُرمت تلك المناطق الثلاث على بني إسرائيل منذ عهد موسى فليس لهم إلا إمكانية العبور برضا أهلها {تثنية ٢: ٦}.

ليس في الأسفار ـ إذن ـ ما يمكن أن يُقال له أرض إسرائيل الكبرى. فما ذلك إلا تضليل باسم الدين، وشعار زائف يخدع البسطاء والجاهلين.

لقد كان الرب عز وجل ضد إقامة دولة إسرائيل كما جاء في {صموئيل الأول ٨: ٤ ـ ٦}.

اجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى نبيهم صموئيل، وقالوا له: اجعل لنا ملكًا يقضي لنا، وصلى صموئيل إلى الرب. فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك.. لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم».

لقد كان هذا يعني ـ حسب قول الرب ـ رفضًا لحكم اللَّه لهم عن طريق أنبيائه ومنهم صموئيل، وكان رفضهم لصموئيل ـ في حقيقة الأمر ـ رفضًا للَّه.

انظر إلى أولاد الأفاعي الذين يفترون على اللَّه الكذب، قالوا: إن رب إسرائيل وعد أن يبقى ملك سليمان على الشعب الإسرائيلي إلى الأبد، وكذّبهم الواقع، فقد انقسمت مملكته إلى مملكتين من بعده: قضى الأشوريون على الأولى عام ٧٢١ ق.م، وقضى البابليون على الثانية عام ٥٨٦ق.م.

* **لا أبدية للتملك :**

لقد مكّن لبني إسرائيل وفضلّهم على العالمين في أيامهم، فما رعوا حق اللَّه وما وفوا بعهد اللَّه، اعتبرهم اللَّه خير أمة، ثم حصل منهم ما حصل من نكس العهود قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ فكان اليهود بعد ذلك أشد الناس فسادًا في الأرض..

ولا أبدية للتملّك أو تفضيل بني إسرائيل على العالمين، فقد انتزع منهم بعدما نقضوا عهد اللَّه وعهد رسوله.. فقد كان التمكين مشروطًا بكونهم على صراط اللَّه المستقيم على الإسلام، فلما حادوا عن الإسلام حقت عليهم لعنة اللَّه.

* **إبراهيم عليه السلام وذريته ومنهم أنبياء بني إسرائيل ومن اتبعوهم كانوا على الإسلام ونحن أولى بهم من اليهود :**

نحن أولى بإبراهيم عليه السلام وذريته منهم.. نحن أولى بأنبياء بني إسرائيل ومن اتبعوهم على الهدى فهم مسلمون، أما اليهود فهم كفار مخلدون في النار.

لا عبرة بما قاله «الحاخام عوفاديا يوسف» الزعيم الروحي لحزب شاس الديني المتشدد، في ضلالته التي ألقاها مساء السبت ٥ أغسطس ٢٠٠٠م في القدس متطاولاً على الذات الإلهية قائلاً: «أن اللَّه يندم كل

(١) «تاريخ انهيار دولة إسرائيل» ص(١١٩، ١٢٠).

يوم أن خلق العرب والفلسطينيين!»[١] ، وأذيع من الإذاعة الإسرائيلية صباح ٦ أغسطس ٢٠٠٠م.

إن هذا الكافر الضال المضل يجهل ما في توراته التي تعاقبه بالرجم «من جدف على اسم الرب فإنه يُقتل. يرجمه كل الجماعة رجمًا»[١] . {لاويين ٢٤: ١٤ ـ ١٥}.

□هم من ملتنا برآء من المغضوب عليهم والضالين.

* قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {آل عمران: ٦٧ ـ ٦٨}.

* وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ {البقرة: ١٢٨}.

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ {البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٣}.

---

[١] المصدر السابق ص(١٢٠).

* وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ...﴾ [الحج: ٧٨].

* وقال تعالى عن يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

* وقال تعالى عن السحرة الذين أسلموا: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

* وقال تعالى عن موسى وقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

* وقال تعالى عن بلقيس وسليمان عليه السلام: ﴿...قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

* نحن أولى بأنبياء بني إسرائيل من اليهود، فقد نعتهم اليهود بأقبح النعوت:

❑ يا معشر يهود... يا بني الساحرة، ونسل الفُسّاق والزناة.. قال لكم يحيى بن زكريا عليهما السلام: «يا أولاد الأفاعي.. لا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا» [متى ٣: ٧ ـ ٩].

❑ وقال لكم المسيح: «أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملئوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي، كيف

تهربون من دينونة جهنم» {متى ٢٣: ٣١ ـ ٣٣}.

□يا معشر يهود أنتم الذين قلتم في الأسفار بخيانة موسى وهارون عليهما السلام للرب {تثنية ٣: ٥١}.

□ونحن نتلو قول ربنا في كتابه إلينا: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ {مريم: ٥١ ـ ٥٣}.

□وأنتم يا معشر يهود تقولون وتفترون في أسفاركم على داود عليه السلام، وتنسبون إليه الزنا والقتل والمذابح وجعلتموه يعرف وسط شعبه بأنه رجل الدماء {سفر صموئيل الثاني}.

جعلتموه قاطع طريق وزعيم عصابة كما تقول الترجمة العربية لكتابكم المقدس الصادرة عن دار المشرق ببيروت، نقلاً عن الترجمة الفرنسية المسكونية الشهيرة (T. O. B) التي وصفته بأنه: che Fde Bande وجعلتموه يتظاهر بالجنون ويسيل ريقه على لحيته أمام أخيش ملك جت {صموئيل الأول ٢١: ١٠ ـ ١٥}.

جعلتموه مرتزقًا بين الفلسطينيين يلح على محاربة الإسرائيليين!! {صموئيل الأول ٢٩: ١ ـ ١٢}.

جعلتموه يعذب أسراه بتقطيعهم إربًا بالمناشير والنوارج، ويحرق البعض الآخر بطرحهم في أفران من الآجر. {صموئيل الثاني ٨: ٢}، و{صموئيل الثاني ١٢: ٢٩ ـ ٣١}.

□ونحن أولى بنبي اللَّه داود عليه السلام المسلم منكم وقرآننا نتلوه صباح مساء يقول عنه: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا

سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[ص: ١٧ ـ ٢٠].

وأنتم معشر يهود يا أبناء الأفاعي قلتم عن أبناء داود عليه السلام ما قلتم:

قلتم إن ثامار بنت داود، اغتصبها أخوها أمنون، فحقد عليه أبشالوم أخوه وشقيقها وقتله.. [صموئيل الثاني ١٣: ١ ـ ٢٩]، هذا وصف بيت النبوة يا إخوان القردة والخنازير.

وسليمان عليه السلام وصفتموه بأقذر الصفات:

ادعيتم أنه بدأ حكمه بالانتقام من خصومه، وأولهم أخيه الأكبر أدونيا ومن شايعه مثل يوآب قائد الجيش وابياثار الكاهن، وما كان قتل سليمان عليه السلام لأخيه أدونيا بسبب تمرد قام به الأخير، ولكنه بسبب أنه طلب من بثشبع أم سليمان أن تتوسط له لدى أخيه سليمان لكي يعطيه ابيشج الشونمية الجميلة امرأة له، «فحلف سليمان عليه السلام بالرب قائلاً: إنه اليوم يقتل أدونيا، فأرسل الملك سليمان بيد بناياهو بن يهوداع فبطش به فمات. [الملوك الأول: ٢: ١٣ ـ ١٥].

جعلتم سليمان عليه السلام يرتد ويكفر ويبني النصب للمعبودات الوثنية ويقدم لها القرابين إرضاءً لنسائه الكثيرات:

«وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورث إلاهة الصيدونيين.. وعمل سليمان الشر في عيني الرب... حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين.

ولمولك رجس بني عمون.. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن» {الملوك الأول ١١: ١ ـ ٨}.

❑ ألا لعنة اللَّه على اليهود.

أما نحن المسلمون فنقول: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ {البقرة: ١٠٢}.

* وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ {ص: ٣٠}.

* يا معشر يهود يا أبناء الأفاعي:

أنتم الذين كفرتم بالمسيح عبد اللَّه ورسوله المسلم ـ ولمزتموه في أمه قائلين (لم نولد من زنا) {يوحنا ٨: ٤١}.

❑ ونحن نتلو صباح مساء: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ {آل عمران: ٤٢}.

* وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ {التحريم: ١٢}.

❑ كفرتم بالمسيح عليه السلام ونحن نتلو قول ربنا: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ {آل عمران: ٤٥}.

❑ فمن أولى بهؤلاء الطاهرين منا يا إخوان القردة والخنازير إلى أيّ الفريقين: نحن أم اليهود ينحاز أنبياء بني إسرائيل؟ إلينا لأنا وهم دين واحد وهو الإسلام: لو أن أنبياء بني إسرائيل بعثوا اليوم جميعًا إلى مَن ينحازون؟

«قطعًا ينحازون إلى المسلمين، فيقول النبي ﷺ لما رأى صحيفة من التوراة في يد واحد من المسلمين قال: «**لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**»، فهذا شأن موسى عليه السلام فما بالك بمن عداه من أنبياء بني إسرائيل؟ ويقول النبي ﷺ أيضًا: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟**»، ويقول أيضًا: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم ـ المهدي ـ: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللَّه لهذه الأمة**»، فعيسى عليه السلام يصلي أول ما ينزل مأمومًا إظهارًا لاتباع شريعة محمد ﷺ، فنحن في اعتقادنا الجازم أن الفتح الإسلامي لفلسطين في عهد الخلافة الراشدة هو امتداد للحكم الإسلامي الذي أقامه داود وسليمان عليهما السلام في مملكتيهما، وهذه كانت ممالك إسلامية حكمها أنبياء اللَّه بمنهج اللَّه، فالحق التاريخي المزعوم الذي ينادي به اليهود هو في الحقيقة حجة عليهم لا لهم؛ لأن هؤلاء كانوا على نفس ملتنا وعلى نفس ديننا دين الإسلام»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «غزة أريحا» شريط للشيخ محمد إسماعيل المقدم.

العقيدة السلفية
أولاً
لو كانوا يعلمون

«لا يصلح آخر هذه الامة إلا
بما صلح به أولها»
الإمام مالك

العقيدة السلفية أولاً لو كانوا يعلمون

التوحيد محور الحياة ولب ورأس دعوة الرسل. . « نقطة البداية في حياة المسلم وحياة الأمة الإسلامية، وهو نقطة النهاية، ومن ضل عنه خسر كل شيء، خسر الدنيا والآخرة، وهو أضل من حمار أهله، فحياته ضنكه، وسعيه مردود، وذنبه غير مغفور، وآخرته شقاء»[1].

ودعوة الناس إلى توحيد اللَّه علمًا ومعرفة في القلب والضمير، وعبادة وتوجهًا بالعلم والسلوك هي القضية الكبرى في الإسلام، وهي القضية التي جرى حولها الصراع خلال تاريخ البشرية الطويل، وهي القضية التي حملها الرسل، وكانت المحور الذي ترتكز دعوتهم عليه.

والدعوة إلى التوحيد واجب الدعاة الأول.

وأصل هذه الرسالة الخالدة: كلمة التوحيد «لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه».

هذه الكلمة العظيمة «التي لأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، وأسست الملة، ولأجلها جُرّدت السيوف للجهاد، وهي حق اللَّه على جميع العباد».

وحقيقة هذه الكلمة «مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علمًا، والتصديق به عقدًا، والإقرار به نطقًا، والانقياد له محبة

(١) «التوحيد محور الحياة» للدكتور عمر الأشقر ص(٢٩) ـ مكتبة الفلاح، دار النفائس.

وخضوعًا، والعمل به باطنًا وظاهرًا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكمال في الحب في اللَّه، والبغض في اللَّه، والعطاء للَّه، والمنع للَّه، وأن يكون اللَّه وحده إلهه ومعبوده.

والطريق إليه: تجريد متابعة رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى اللَّه ورسوله»[١].

«هذه الكلمة العظيمة بكل مفاهيمها ومقتضياتها قد غابت عن حس الناس اليوم إلا من رحم اللَّه»[٢].

قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ: «على الدعاة الإسلاميين اليوم ـ جميعهم ـ أن يعالجوا سوء الفهم لمعنى «لا إله إلا اللَّه»، ويعالجوا واقعهم الأليم بذلك العلاج والدواء نفسه. ومعنى هذا واضح جدًّا؛ إذا تدبرنا قول اللَّه ـ عز وجل ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾.

فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر وفي كل وقت وحين، ويقتضي ذلك منا أن نبدأ بما بدأ به نبينا ﷺ وهو إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولاً، ومن عبادتهم ثانيًا، ومن سلوكهم ثالثًا»[٣].

إن طائفة كبيرة من الدعاة «قد أعرضوا بالكلية عن الاهتمام بالأصل الأول ـ أو بالأمر الأهم، وأعرضوا عن الإصلاح الذي بدأ به

---

(١) «الفوائد» لابن القيم ص(١٤٣).

(٢) «الولاء والبراء في الإسلام» لمحمد بن سعيد القحطاني ص(١٢ ـ) دار طيبة.

(٣) «التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام» شريط مسجل للشيخ الألباني، وطبع في مجلة السلفية العدد الرابع عام ١٤١٩هـ ثم في كتاب طبع دار الفضيلة.

الرسول ﷺ، بل بدأ به كل الأنبياء، وقد بينه اللَّه تعالى بقوله: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦] فهم لا يُعنون بهذا الأصل الأصيل والركن الأول من أركان الإسلام كما هو معلوم لدى المسلمين جميعًا؛ هذا الأصل الذي قام يدعو إليه أول رسول من الرسل الكرام ألا وهو نوح عليه السلام قرابة ألف سنة، والجميع يعلم أن الشرائع السابقة لم يكن فيها من التفصيل لأحكام العبادات والمعاملات ما هو معروف في ديننا هذا؛ لأنه الدين الخاتم للشرائع والأديان، ومع ذلك فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يصرف وقته وجلّ اهتمامه للدعوة إلى التوحيد، ومع ذلك أعرض قومه عن دعوته كما بيّن اللَّه عز وجل ذلك في محكم التنزيل.. فهذا يدل دلالة قاطعة على أن أهم شيء ينبغي على الدعاة إلى «الإسلام الحق» الاهتمام به دائمًا هو الدعوة إلى التوحيد، وهو معنى قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَه إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [محمد: ١٩] هكذا كانت سنة النبي ﷺ عملاً وتعليمًا.

أما فعله: فلا يحتاج إلى بحث؛ لأن النبي ﷺ في العهد المكي إنما كان فعله ودعوته محصورة في الغالب في دعوة قومه إلى عبادة اللَّه لا شريك له.

أما تعليمًا: ففي حديث أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ الوارد في «الصحيحين» أن النبي ﷺ عندما أرسل معاذًا إلى اليمن قال له: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللَّه، فإن هم أطاعوك لذلك...**» إلخ الحديث، وهو معلوم ومشهور إن شاء اللَّه تعالى.

إذًا، قد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يبدءوا بما بدأ به وهو الدعوة

إلى التوحيد»[1] .

ثم قال الشيخ الألباني: «غالب المسلمين اليوم الذين يشهدون بأن «لا إله إلا اللَّه» هم لا يفقهون معناها جيدًا». لذلك فأنا أعتقد أن أول واجب على الدعاة المسلمين ـ حقًّا ـ هو أن يدندنوا حول هذه الكلمة وحول بيان معناها بتلخيص، ثم بتفصيل لوازم هذه الكلمة الطيبة. أنا أقول اليوم: لا فائدة مطلقًا من تكتيل المسلمين ومن تجميعهم، ثم تركهم في ضلالهم دون فهم هذه الكلمة الطيبة، وهذا لا يفيدهم في الدنيا قبل الآخرة»[1] .

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن عقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها ليست واضحة للأسف في أذهان كثير ممن آمنوا بالعقيدة السلفية نفسها، فضلاً عن الآخرين الذين اتبعوا العقائد الأشعرية ـ أو الماتريدية أو الجهمية في مثل هذه المسألة»[1] .

وقال أيضًا: «لا يجوز أن نتوهم بأن الدعوة إلى العقيدة الصحيحة هي اليوم من اليسر كما كان الحال في العهد الأول».

إن النبي ﷺ لما ذكر الغرباء في بعض تلك الأحاديث، قال: «**للواحد منهم خمسون من الأجر**»، قالوا: منا يا رسول اللَّه أو منهم؟ قال: «**منكم**»، وهذا من نتائج الغربة الشديدة للإسلام اليوم التي لم تكن في الزمن الأول، ولا شك أن غربة الزمن الأول كانت بين شرك صريح وتوحيد خال من كل شائبة، بين كفر بواح وإيمان صادق، أما الآن فالمشكلة بين المسلمين أنفسهم، فأكثرهم توحيده مليء بالشوائب، ويوجه

(١) من كلام الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ.

العبادات إلى غير اللَّه ويدعي الإيمان؛ هذه القضية ينبغي الانتباه لها أولاً، وثانيًا: لا ينبغي أن يقول بعض الناس: إننا لا بد لنا من الانتقال إلى مرحلة أخرى غير مرحلة التوحيد، وهي العمل السياسي».

... إننا نؤمن بالتسلسل الشرعي المنطقي في آن واحد، نبدأ بالعقيدة، ونثني بالعبادة، ثم بالسلوك؛ تصحيحًا وتربية، ثم لا بد أن يأتي يوم ندخل فيه في مرحلة السياسة بمفهومها الشرعي»[1]. قبل السياسة العقيدة.

□ يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «أصحاب الدعوة إلى دين اللَّه، وإقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة، خليقون أن يقفوا طويلاً أمام هذه الظاهرة الكبيرة... ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عامًا.. لتقرير هذه العقيدة؛ ثم وقوفه عندها لا يتجاوزها إلى شيء من تفصيلات النظام التي يقوم عليها، والتشريعات التي تحكم المجتمع المسلم الذي يعتنقها.

لقد شاءت حكمة اللَّه أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى الدعوة لها منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسول اللَّه ﷺ أولى خطواته في الدعوة بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه»[2].

□ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «يجب أن ندرك خطأ المحاولة، وخطرها معًا، في تحويل العقيدة الإسلامية الحية التي يجب أن تتمثل في واقع تام حي متحرك، إلى «نظرية» للدراسة والمعرفة الثقافية لمجرد أننا نريد أن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «في ظلال القرآن» (٢/ ١٠٥).

نواجه «النظريات» البشرية الهزيلة بنظرية إسلامية!.

إن العقيدة الإسلامية يجب أن تتمثل في نفوس حية»[١].

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها... من كان على مثل ما كان عليه ﷺ.

● عن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه قال: ألا إن رسول اللَّه ﷺ قام فينا فقال: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار**[٢]**، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة**»[٣].

● وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ وفيه زيادة: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[٤].

وهو حسن بشواهده.

❑ قال البربهاري في «شرح السنة»:

«ومن اقتصر على سنة رسول اللَّه ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة فَلَج[٥] على أهل البدعة كلهم، واستراح بدنه، وسلم له دينه إن

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٠١٣).

(٢) هذا لا يعني الخلود إلا للغلاة من الطوائف الذين مرقوا وكفّرهم أهل العلم.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨). وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٤).

(٤) **حسن**: أخرجه الترمذي في «الإيمان» (٥/ ٢٦)، وابن وضاح في «البدع» ص(٨٥)، والآجري في «الشريعة» ص(١٥)، والحاكم (١/ ١٢٨ ـ ١٢٩)، واللالكائي في «السنة» (١٤٧)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» ص(١٦).

(٥) فلج: أي ظفر وفاز.

شاء اللَّه؛ لأن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ستفترق أمتي**»، وبين لنا رسول اللَّه ﷺ الناجي منها فقال: «**ما كنت أنا عليه اليوم وأصحابي**»[١].

فلا فلاح للناس إلا بالالتزام بعقيدة السلف علمًا وتطبيقًا فعقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها ليست واضحة عند كثير من الدعاة.

وكلمة لا إله إلا اللَّه «هذه الكلمة العظيمة بكل مفاهيمها ومقتضياتها قد غابت عن حس الناس اليوم إلا من رحم اللَّه، ومن هذه المفاهيم بل من أهمها موضوع «الولاء والبراء»[٢].

قال الشيخ حمد بن عتيق ـ رحمه اللَّه ـ: «إنه ليس في كتاب اللَّه تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ـ أي الولاء والبراء ـ بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»[٣].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: «إن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحّد اللَّه، وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض، كما قال اللَّه تعالى في سورة المجادلة: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾[المجادلة: ٢٢][٤].

ومن شروط لا إله إلا اللَّه شروط ذكرها صاحب «معارج القبول» لهذه الكلمة حتى تنفع صاحبها في الآخرة»[٥].

---

(١) «شرح السنة» للبربهاري ص(١٠٥) ـ مكتبة الغرباء الأثرية.

(٢) «الولاء والبراء» ص(٢٠).

(٣) المصدر السابق ص(٢١).

(٤) «مجموعة التوحيد» ص(١٩).

(٥) «لا إله إلا اللَّه» للدكتور ياسر برهامي ص(٥٦) ـ دار المروة.

و«ليس المراد من هذا عدّ ألفاظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له اعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها والتوفيق بيد اللَّه»[١].

* **ومن هذه الشروط:**

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك.

* قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾ [المائدة: ٥٤].

● وفي الحديث: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللَّه منه كما يكره أن يقذف في النار**»[٢].

قال الشيخ حافظ الحكمي ـ رحمه اللَّه ـ: «وعلامة حب العبد ربه: تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه، وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى اللَّه ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه»[٣].

---

(١) «معارج القبول» للشيخ حافظ بن حكمي (١/ ٣٧٧).
(٢) رواه البخاري ومسلم عن أنس.
(٣) «معارج القبول» (١/ ٣٨٣).

قال ابن القيم[١] :

أتحب أعداء الحبيب وتدّعي حبًّا له مـــا ذاك في إمكـان

قال الأستاذ «محمد قطب»:

«كان من مقتضيات «لا إله إلا اللَّه» في ذلك الحين ـ وفي كل حين ـ الأخوة في اللَّه، والحب والبغض في اللَّه، والولاء والبراء في اللَّه»[٢].

. . . وقال: «وأما الولاء والبراء فهو صنو الحب والبغض»[٣] .

* تمييع الإخوان لقضية «الولاء والبراء» وأخطاء فادحة وكلمات خطيرة لا تُقبل منهم ولا من الشيخ حسن البنا رحمه اللَّه:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

أقسم باللَّه أني لا أقصد إلا النصح، وليس من منهجي تتبع الزلات ونسيان المحاسن. . وكتابتي عن جهاد الإخوان في فلسطين. . مع غيرهم من بقية طوائف الأمة ـ تكفي لذب هذه التهمة عني. .

أقول ليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمد قصد الباطل. . نعم، ولكن من النصح للَّه ولرسوله والمؤمنين نبيّن الأخطاء الكبيرة الفادحة التي لا يجوز السكوت عنها أبدًا فالدين النصيحة.

واللَّه لقد قفّ شعري من هذه الكلمات.

لا بد أن نقول لمن أخطأ في مسألة: قد أخطأت، وللمصيب نقول:

---

(١) «النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» لابن القيم ص(١٥٨).

(٢، ٣) «كيف ندعو الناس» لمحمد قطب ص(١١٠) ـ دار الشروق.

أحسنت وبارك اللَّه فيك.. فإن انزلاق هؤلاء الدعاة وخطؤهم في قضية «الولاء والبراء» وتساهلهم فيها بغير دليل شرعي أمر يرفضه الإسلام ويأباه؛ لأن موضع القدوة لنا هو رسول اللَّه ﷺ وصحابته الأجلاء وسلفنا الصالح وكفى.. وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول اللَّه ﷺ.

وليس من حق فرد ـ كائنًا من كان أن يجعل من آرائه سلمًا يرتقي عليه الموالون للكفار.

أقول هذا الكلام تقدمة بين يدي الكلام الآتي لكبار دعاة الإخوان المسلمين عفا اللَّه عنهم.. لو ألقي هذا الكلام على مسامعنا بدون معرفة القائل لتوهمنا أنه صاحب كامب ديفيد أو حسن المغرب أو حسين الأردن.

❑ وأقسم باللَّه لست مبالغًا، عفا اللَّه عنا وعن الجميع، واستمع إلى العجب العجاب...

❑ «خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن حضّ على مصافاتهم ومصادقتهم»، هكذا يقول حسن البنا غفر اللَّه له.

❑ ما هكذا تورد الإبل.. هذا خطأ كبير لا بد من النزول عنه.

في كتاب «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل» للأستاذ محمود عبد الحليم[1] وقدم له مرشد الإخوان المسلمين الحالي الأستاذ مصطفى مشهور وقال عن الكتاب «مادة تعين الباحثين على مهمة التأريخ الصادق لهذه الجماعة، ومصدرًا يرجع إليه كل إنسان شريف ينشد الحقيقة في مظانها الصحيحة!!!»[2]، وطبع هذا الكتاب في دار الدعوة بالإسكندرية...

---

(١) قال عنه الأستاذ مصطفى مشهور في مقدمته للكتاب: «من الرواد الأوائل الذين سبقوا إلى هذه الجماعة وعاشوا وجاهدوا في ظلها وعاصروا أحداثها منذ الثلاثينات».

(٢) مقدمة الكتاب ص(٨).

يقول الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه في الجزء الأول، تحت عنوان الفصل الثاني «في فلسطين»:

يقول عن «لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية» التي حضرت إلى مصر في سنة ١٩٤٦م، وطافت هذه اللجنة بالبلاد العربية متظاهرة بأنها لجنة تبحث عن العدالة بالاستماع إلى أطراف النزاع، وقد حضرت إلى مصر وعقدت في القاهرة جلستين، وكانت جلستها الأخيرة في ١٩٤٦/٣/٥م وقد استمعت في هذه الجلسة إلى السيد مراد البكري وعبد المجيد صالح باشا وصالح حرب باشا والدكتور منصور فهمي باشا والأستاذ المرشد العام.. تقول جريدة المصري: وقد تكلّم الجميع في حماس مخلّ ثم ساد الجلسة السكون عندما جاء دور الشيخ حسن البنا، وقد ارتجل كلمة هادئة رزينة باللغة العربية جمعت بين قوة الحجة وسرعة البديهة وحضور النكتة. وتولى الترجمة الأستاذ أحمد السكري وكيل الإخوان المسلمين.

وقد استهل الشيخ البنا كلمته بالاعتذار عن إلقائها باللغة الإنجليزية - ثم قال: «إنه لا يريد أن يتحدث عن مشكلة فلسطين من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقد طال فيها البحث ولا حاجة إلى تكرار ما قيل. واستطرد قائلاً: «باسم الإخوان المسلمين أؤيد ما أعلنه العرب وزعماؤهم ومندوبوهم وكذلك الجامعة العربية!!

والناحية التي سأتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية؛ لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي، ولهذا فإني أحب أن أوضحها باختصار؛ فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية!!! لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم!!!!!!!!!، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة

قومية وقد أثنى عليهم!!!! وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وحينما أراد القرآن الكريم أن يتناول مسألة اليهود تناولها م الوجهة الاقتصادية والقانونية، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾.

ونحن حين نعارض بكل قوة الهجرة اليهودية، نعارضها لأنها تنطوي على خطر سياسي اقتصادي، وحقنا أن تكون فلسطين عربية.

ولي كلمة أخيرة: من الوجهة الدينية؛ **فإن اليهود يقولون عن فلسطين إنها أرض الميعاد.. ونحن لا مانع لدينا من أن يكونوا في يوم القيامة معنا!!!!»**[1].

لا يعلم إلا اللَّه وحده مدى حزني وغمي وكآبتي لمثل هذا القول من الشيخ حسن البنا، وكان فقد ناظري أهون عليّ من قراءة هذا، وأردت أن أتحقق من هذا الكلام.. وعلى مرأى من الناس ومسمع في مسجد المدينة الجامعية الجديدة بالأسكندرية ناقشتُ الأستاذ مصطفى مشهور في هذا الكلام وأنه ينبغي أن يحذف هذا الكلام؛ لأنه يسيء إلى تاريخ الشيخ حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ، وإذا برد الأستاذ مصطفى مشهور ينزل عليّ وعلى الملأ ينزل عليّ كالصاعقة إذ قال مدافعًا: «كيف تبغض أناسًا وأنت تريد أن تدعوهم إلى الإسلام؟!».

إن أنس نفسي لن أنسى هذا الكلام ما حييت...

---

(١) «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل» لمحمود عبد الحليم عضو الهيئة التأسيسية الجزء الأول ص(٤٠٩ ـ ٤١٠) ـ دار الدعوة بالأسكندرية.

ويا ليته سكت، وتذكرت مقالة الأستاذ «محمد محمد حسين» في كتابه القيم «الإسلام والحضارة الغربية» حيث قال:

«نحن حين ندعو إلى إعادة النظر في تقويم الرجال لا نريد أن ننقص من قدر أحد، ولكننا لا نريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام[١] جديدة معبودة لأناس يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ، وأن أعمالهم كلها حسنات لا تقبل القدح والنقد، حتى أن المخدوع بهم والمتعصب لهم والمروّج لآرائهم ليهيج ويموج إذا وصف أحد الناس إمامًا من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه، في الوقت الذي لا يهيجون فيه ولا يموجون حين يُوصف أصحاب رسول اللَّه ﷺ بما لا يقبلون أن يوصف به زعماؤهم المعصومون»[٢].

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[آل عمران: ١١٨].

«نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين، ويواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل اللَّه هذه الآية تنهاهم عن مباطنتهم، خوف الفتنة منهم عليهم»[٣].

إن كل جملة قالها البنا تحتاج إلى الرد المفصل عليها، وليس هذا مجالها.

---

(١) هذا الكلام على العموم.. لا نقصد به شخص الشيخ حسن البنا ـ غفر اللَّه له ـ وإنما هو كلام عام فليست أخطاء أي إنسان ـ مهما كان ـ مقدسة.

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» ص(٥٠).

(٣) «أسباب النزول» للواحدي ص(٦٨).

* **لأستاذ حامد أبو النصر مرشد الإخوان والخطأ العقائدي الكبير ـ غفر اللَّه له ـ وقوله: «لا نعادي اليهود من أجل دينهم»:**

يقول الأستاذ حامد أبو النصر: «نحن الإخوان المسلمون لا نُعادي اليهود من أجل دينهم أو عقيدتهم فلكل دينه وعقيدته، ولا نحارب أصحاب الأديان من أجل دينهم فلهم دينهم ولنا ديننا»[١] !!!!!.

❑ هل يُعقل أن يقول هذا كبير جماعة الإخوان!!! فماذا أبقيتم للسادات؟؟

* **وإليك الطامة الكبرى:**

يقول الإستاذ حامد أبو النصر في مقالة له بمجلة المجتمع بعنوان «رسالة من الإخوان المسلمين إلى الرئيس حسني مبارك»: «وأخيراً فإنه ينبغي علينا أن نصر إصراراً لا تفريط فيه ولا مساومة معه، على ضرورة اعتراف إسرائيل بحق تقرير المصير للفلسطينيين حتى يقيموا دولة مستقلة على ترابهم الوطني وعاصمتها القدس، وينبغي أن نحرص تمام الحرص ألا يضيّع هذا الطلب أي تزيّد أو تشدد»[٢].

أليس هذا اعترافًا من الإخوان بحق إسرائيل في الوجود؟! هل تمحون جهادكم على أرض فلسطين..؟ اتقوا اللَّه في شباب المسلمين.. إنكم تضيّعون أحلى ما عندكم...

* **الرد على هذه الأخطاء الشنيعة:**

الولاء والبراء من لوازم «لا إله إلا اللَّه». ولا تجوز موالاة اليهود

---

(١) مجلة المجتمع ـ العدد ٧٨٣ ـ ١٢ محرم ١٤٠٧ هـ ص(١٦).

(٢) مجلة المجتمع ـ عدد ٨١٠ ـ ٢٤/ ٨٧٣ ص(٢٠).

والنصارى ومصافاتهم أو مصادقتهم:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

قال ابن جرير ـ رحمه اللَّه ـ في «تفسيرها»: «من تولى اليهود والنصارى من دون اللَّه، فإنه منهم، أي من أهل دينهم وملّتهم، فإنه لا يتولى متولٍ أحدًا إلا وهو به وبدينه وما عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه»[(١)].

وقال ابن حزم: «صحّ أن قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «أخبر اللَّه في هذه الآية: أن متوليهم هو منهم وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١].

فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب. فالقرآن يصدق بعضه بعضًا»[(٣)].

وقال ابن القيم: «إن اللَّه قد حكم ولا أحسن من حكمه ـ أنه مَن تولى اليهود والنصارى، فهو منهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

---

(١) «تفسير الطبري» (٦/ ٢٧٧).

(٢) «المحلى» لابن حزم (١٣/ ٣٥).

(٣) «الإيمان» لابن تيمية ص(١٤) ـ المكتب الإسلامي.

فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم. وهذا عام، خصّ منهم من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنه يقر ولا تقبل منه الجزية، بل إما الإسلام أو السيف لأنه مرتد بالنص والإجماع»[1].

□ قال الأستاذ سيد قطب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

«نزل القرآن ليبث الوعي اللازم للمسلم في المعركة التي يخوضها بعقيدته، لتحقيق منهجه الجديد في واقع الحياة. ولينشئ في ضمير المسلم تلك المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من لا ينتمي إلى الجماعة المسلمة، ولا يقف تحت رايتها الخاصة. المفاصلة التي لا تنهي السماحة الخلقية. فهذه صفة المسلم دائمًا. ولكنها تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلا للّه ورسوله والذين آمنوا.. الوعي والمفاصلة اللذان لا بد منهما للمسلم في كل أرض وفي كل جيل».

* ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: إنها حقيقة لا علاقة لها بالزمن؛ لأنها حقيقة نابعة من طبيعة الأشياء.. إنهم لن يكونوا أولياء للجماعة المسلمة في أي أرض ولا في أي تاريخ.. وقد مضت القرون تلو القرون ترسم مصداق هذه القولة الصادقة، لقد ولي بعضهم بعضًا في حرب محمد ﷺ والجماعة المسلمة في المدينة، وولي بعضهم بعضًا في كل فجاج الأرض، على مدار التاريخ، ولم تختل هذه القاعدة مرة واحدة، ولم يقع في هذه الأرض إلا ما قرره القرآن الكريم، في صيغة الوصف

[1] «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ٦٧، ٦٩).

الدائم، لا الحادث المفرد، واختيار الجملة الاسمية على هذا النحو ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: ليست مجرد تعبير! إنما هي اختيار مقصود للدلالة على الوصف الدائم الأصيل!.

ثم رتب على هذه الحقيقة الأساسية نتائجها، فإنه إذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، فإنه لا يتولاهم إلا من هو منهم. والفرد الذي يتولاهم من الصف المسلم، يخلع نفسه من الصف ويخلع عن نفسه صفة هذا الصف «الإسلام» وينضم إلى الصف الآخر؛ لأن هذه هي النتيجة الطبيعية الواقعية:

* ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: وكان ظالمًا لنفسه ولدين اللَّه وللجماعة المسلمة.. وبسبب من ظلمه هذا يدخله اللَّه في زمرة اليهود والنصارى الذين أعطاهم ولاءه. ولا يهديه إلى الحق ولا يرده إلى الصف المسلم:

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: لقد كان هذا تحذيرًا عنيفًا للجماعة المسلمة في المدينة. ولكنه تحذير ليس مبالغًا فيه. فهو عنيف، نعم؛ ولكنه يمثل الحقيقة الواقعة. فما يمكن أن يمنح المسلم ولاءه لليهود والنصارى ـ وبعضهم أولياء بعض ـ ثم يبقى له إسلامه وإيمانه، وتبقى له عضويته في الصف المسلم، الذي يتولى اللَّه ورسوله والذين آمنوا.. فهذا مفرق الطريق.

وما يمكن أن يتميع حسم المسلم في المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من ينهج غير منهج الإسلام؛ وبينه وبين كل من يرفع راية غير راية الإسلام؛ ثم يكون في وسعه بعد ذلك أن يعمل عملاً ذا قيمة في الحركة الإسلامية الضخمة التي تستهدف ـ أول ما تستهدف ـ إقامة نظام واقعي

في الأرض فريد؛ يختلف عن كل الأنظمة الأخرى، ويعتمد على تصور متفرد كذلك من كل التصورات الأخرى.

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم، الذي لا أرجحة به ولا تردد، بأن دينه هو الدين الوحيد الذي يقبله اللَّه من الناس ـ بعد رسالة محمد ﷺ ـ وبأن منهجه الذي كلفه اللَّه أن يقيم الحياة عليه، منهج متفرد، لا نظير له بين سائر المناهج، ولا يمكن الاستغناء عنه بمنهج آخر، ولا يمكن أن يقوم مقامه منهج آخر، ولا تصلح الحياة البشرية ولا تستقيم إلا أن تقوم على هذا المنهج وحده دون سواه، ولا يعفيه اللَّه ولا يغفر له ولا يقبله إلا إذا هو بذل جهد طاقته في إقامة هذا المنهج بكل جوانبه: الاعتقادية والاجتماعية؛ لم يأل في ذلك جهدًا، ولم يقبل من منهجه بديلاً ـ ولا في جزء منه صغير ـ ولم يخلط بينه وبين أي منهج آخر في تصور اعتقادي، ولا في نظام اجتماعي، ولا في أحكام تشريعية، إلا ما استبقاه اللَّه في هذا المنهج من شرائع مَن قبلنا من أهل الكتاب.

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم بهذا كله هو ـ وحده ـ الذي يدفعه للاضطلاع بعبء النهوض بتحقيق منهج اللَّه الذي رضيه للناس، في وجه العقبات الشاقة، والتكاليف المضنية، والمقاومة العنيدة، والكيد الناصب، والألم الذي يكاد يجاوز الطاقة في كثير من الأحيان، وإلا فما العناء في أمر يغني عنه غيره ـ مما هو قائم في الأرض من جاهلية.. سواء كانت هذه الجاهلية ممثلة في وثنية الشرك، أو في انحراف أهل الكتاب، أو في الإلحاد السافر.. بل ما العناء في إقامة المنهج الإسلامي، إذا كانت الفوارق بينه وبين مناهج أهل الكتاب أو غيرهم قليلة، يمكن الالتقاء عليها بالمصالحة والمهادنة؟

إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية، يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح. فالدين هو الدين الأخير وحده عند اللَّه. والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي.. إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن اللَّه لا يقبل دينًا إلا الإسلام، وبأن عليه أن يحقق منهج اللَّه الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه بديلاً، ولا يقبل فيه تعديلاً ـ ولو طفيفًا ـ هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.. وفي القرآن كلمة الفصل.. ولا على المسلم من تميع المتميعين وتمييعهم لهذا اليقين!»[1].

ويقول أيضًا بعد سرده لبعض الآثار:

فهذه الأخبار في مجموعها تشير إلى تلك الحالة التي كانت واقعة في المجتمع المسلم، والمتخلفة عن الأوضاع التي كانت قائمة في المدينة قبل الإسلام، وكذلك عن التصورات التي لم تكن قد حسمت في قضية العلاقات التي يمكن أن تقوم بين الجماعة المسلمة واليهود والتي لا يمكن أن تقوم.. غير أن الذي يلفت النظر أنها كلها تتحدث عن اليهود، ولم يجئ ذكر في الوقائع للنصارى.. ولكن النص يجمل اليهود والنصارى،

---

(١) «الظلال» (٢/ ٩١١ ـ ٩١٢).

ذلك أنه بصدد إقامة تصور دائم وعلاقة دائمة وأوضاع دائمة بين الجماعة المسلمة وسائر الجماعات الأخرى، سواء من أهل الكتاب أو من المشركين (كما سيجيء في سياق هذا الدرس)، ومع اختلاف مواقف اليهود من المسلمين عن مواقف النصارى في جملتها في العهد النبوي، ومع إشارة القرآن الكريم في موضع آخر من السورة إلى هذا الاختلاف في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ...﴾ إلخ.. مع هذا الاختلاف الذي كان يومذاك، فإن النص هنا يسوي بين اليهود والنصارى ـ كما يسوي النص القادم بينهم جميعًا وبين الكفار.. فيما يختص بقضية المحالفة والولاء. ذلك أن هذه القضية ترتكز على قاعدة أخرى ثابتة هي: أن ليس للمسلم ولاء ولا حلف إلا مع المسلم، وليس للمسلم ولاء إلا للّه ولرسوله ﷺ وللجماعة المسلمة، ويستوي بعد ذلك كل الفرق في هذا الأمر، مهما اختلفت مواقفهم من المسلمين في بعض الظروف.

على أن اللّه سبحانه وهو يضع للجماعة المسلمة هذه القاعدة العامة الحازمة الصارمة، كان علمه يتناول الزمان كله، لا تلك الفترة الخاصة من حياة رسول اللّه ﷺ وملابساتها الموقوتة، وقد أظهر التاريخ الواقع فيما بعد أن عداء النصارى لهذا الدين وللجماعة المسلمة في معظم بقاع الأرض لم يكن أقل من عداء اليهود، وإذا نحن استثنينا موقف نصارى العرب ونصارى مصر في حسن استقبال الإسلام، فإننا نجد الرقعة النصرانية في الغرب، قد حملت للإسلام في تاريخها كله منذ أن احتكت به من العداوة والضغن، وشنت عليه من الحرب والكيد، ما لا

يفترق عن حرب اليهود وكيدهم في أي زمان! حتى الحبشة التي أحسن عاهلها استقبال المهاجرين المسلمين واستقبال الإسلام، عادت فإذا هي أشد حربًا على الإسلام والمسلمين من كل أحد، لا يجاريها في هذا إلا اليهود.

وكان اللَّه سبحانه يعلم الأمر كله. فوضع للمسلم هذه القاعدة العامة. بغض النظر عن واقع الفترة التي كان هذا القرآن يتنزل فيها وملابساتها الموقوتة! وبغض النظر عما يقع مثلها في بعض الأحيان هنا وهناك إلى آخر الزمان.

وما يزال الإسلام والذين يتصفون به ـ ولو أنهم ليسوا من الإسلام في شيء ـ يلقون من عنت الحرب المشبوبة عليهم وعلى عقيدتهم من اليهود والنصارى في كل مكان على سطح الأرض، ما يصدق قول اللَّه تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وما يحتم أن يتدرع المسلمون الواعون بنصيحة ربهم لهم. بل بأمره الجازم، ونهيه القاطع، وقضائه الحاسم في المفاصلة الكاملة بين أولياء اللَّه ورسوله، وكل معسكر آخر لا يرفع راية اللَّه ورسوله.

إن الإسلام يكلف المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعًا على أساس العقيدة. فالولاء والعداء لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء إلا في العقيدة، ومن ثم لا يمكن أن يقوم الولاء ـ وهو التناصر ـ بين المسلم وغير المسلم؛ إذ إنهما لا يمكن أن يتناصرا في مجال العقيدة، ولا حتى أمام الإلحاد مثلاً ـ كما يتصور بعض السذج منا وبعض من لا يقرءون القرآن! ـ وكيف يتناصران؟ وليس بينهما أساس مشترك يتناصران عليه؟!!

إن بعض من لا يقرءون القرآن، ولا يعرفون حقيقة الإسلام،

وبعض المخدوعين أيضًا يتصورون أن الدين كله دين! كما أن الإلحاد كله إلحاد! وأنه يمكن إذن أن يقف «التدين» بجملته في وجه الإلحاد؛ لأن الإلحاد ينكر الدين كله، ويحارب التدين على الإطلاق.

ولكن الأمر ليس كذلك في التصور الإسلامي، ولا في حس المسلم الذي يتذوق الإسلام، ولا يتذوق الإسلام إلا من يأخذه عقيدة، وحركة بهذه العقيدة، لإقامة النظام الإسلامي.

إن الأمر في التصور الإسلامي وفي حس المسلم واضح محدد، الدين هو الإسلام، وليس هناك دين غيره يعترف به الإسلام؛ لأن اللَّه سبحانه يقول هذا، يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، ويقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وبعد رسالة محمد ﷺ لم يعد هناك دين يرضاه اللَّه ويقبله من أحد إلا هذا «الإسلام».. في صورته التي جاء بها محمد ﷺ وما كان يقبل قبل بعثة محمد من النصارى لم يعد الآن يقبل. كما أن ما كان يقبل من اليهود قبل بعثة عيسى عليه السلام، لم يعد يقبل منهم بعد بعثته.

ووجود يهود ونصارى ـ من أهل الكتاب ـ بعد بعثة محمد ﷺ ليس معناه أن اللَّه يقبل منهم ما هم عليه، أو يعترف لهم بأنهم على دين إلهي، لقد كان ذلك قبل بعثة الرسول الأخير، أما بعد بعثته فلا دين ـ في التصور الإسلامي وفي حس المسلم ـ إلا الإسلام، وهذا ما ينص عليه القرآن نصًّا غير قابل للتأويل.

إن الإسلام لا يكرههم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام؛ لأنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ولكن هذا ليس معناه أنه يعترف بما هم عليه «دينًا» ويراهم على «دين».

ومن ثم فليس هناك جبهة تدين يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد! هناك «دين» هو الإسلام، وهناك «لا دين» هو غير الإسلام، ثم يكون هذا اللادين عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفة، أو عقيدة أصلها وثني باقية على وثنيتها، أو إلحادًا ينكر الأديان، تختلف فيما بينها كلها. ولكنها تختلف كلها مع الإسلام. ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء...

والمسلم يتعامل مع أهل الكتاب هؤلاء؛ وهو مطالب بإحسان معاملتهم ـ كما سبق ـ ما لم يؤذوه في الدين، ويباح له أن يتزوج المحصنات منهن ـ على خلاف فقهي فيمن تعتقد بألوهية المسيح أو بنبوته، وفيمن تعتقد التثليث أهي كتابية تحل أم مشركة تحرم ـ وحتى مع الأخذ بمبدأ تحليل النكاح عامة، فإن حسن المعاملة وجواز النكاح، ليس معناها الولاء والتناصر في الدين، وليس معناها اعتراف المسلم بأن دين أهل الكتاب ـ بعد بعثة محمد ـ ﷺ هو دين يقبله اللَّه، ويستطيع الإسلام أن يقف معه في جبهة واحدة لمقاومة الإلحاد!

إن الإسلام قد جاء ليصحح اعتقادات أهل الكتاب، كما جاء ليصحح اعتقادات المشركين والوثنيين سواء. ودعاهم إلى الإسلام جميعًا؛ لأن هذا هو «الدين» الذي لا يقبل اللَّه غيره من الناس جميعًا. ولما فهم اليهود أنهم غير مدعوين إلى الإسلام، وكبر عليهم أن يدعوا إليه، جابههم القرآن الكريم بأن اللَّه يدعوهم إلى الإسلام، فإن تولوا عنه فهم كافرون!

والمسلم مكلف أن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام، كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء. وهو غير مأذون في أن يُكره أحدًا من هؤلاء

ولا هؤلاء على الإسلام؛ لأن العقائد لا تنشأ في الضمائر بالإكراه. فالإكراه في الدين فوق أنه منهي عنه، هو كذلك لا ثمرة له.

ولا يستقيم أن يعترف المسلم بأن ما عليه أهل الكتاب ـ بعد بعثة محمد ﷺ ـ هو دين يقبله اللَّه، ثم يدعوهم مع ذلك إلى الإسلام! إنه لا يكون مكلفًا بدعوتهم إلى الإسلام إلا على أساس واحد، هو أنه لا يعترف بأن ما هم عليه دين. وأنه يدعوهم إلى الدين.

وإذا تقررت هذه البديهية، فإن لا يكون منطقيًّا مع عقيدته إذا دخل في ولاء أو تناصر للتمكين للدين في الأرض، مع من لا يدين بالإسلام.

إن هذه القضية في الإسلام قضية اعتقادية إيمانية. كما أنها قضية تنظيمية حركية!

من ناحية أنها قضية إيمانية اعتقادية نحسب أن الأمر قد صار واضحًا بهذا البيان الذي أسلفناه، وبالرجوع إلى النصوص القرآنية القاطعة بعدم قيام ولاء بين المسلمين وأهل الكتاب.

ومن ناحية أنها قضية تنظيمية حركية الأمر واضح كذلك، فإذا كان سعي المؤمن كله ينبغي أن يتجه إلى إقامة منهج اللَّه في الحياة ـ وهو المنهج الذي ينص عليه الإسلام كما جاء به محمد ﷺ بكل تفصيلات وجوانب هذا المنهج، وهي تشمل كل نشاط الإنسان في الحياة، فكيف يمكن إذن أن يتعاون المسلم في هذا السعي مع من لا يؤمن بالإسلام دينًا ومنهجًا ونظامًا وشريعة، ومن يتجه في سعيه إلى أهداف أخرى ـ إن لم تكن معادية للإسلام وأهدافه فهي على الأقل ليست أهداف الإسلام ـ إذ الإسلام لا يعترف بهدف ولا عمل لا يقوم على أساس العقيدة مهما بدا في ذاته صالحًا ـ والذين كفروا ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

والإسلام يكلف المسلم أن يخلص سعيه كله للإسلام.. ولا يتصور إمكان انفصال أية جزئية في السعي اليومي في حياة المسلم عن الإسلام، لا يتصور إمكان هذا إلا من لا يعرف طبيعة الإسلام وطبيعة المنهج الإسلامي، ولا يتصور أن هناك جوانب في الحياة خارجة عن هذا المنهج يمكن التعاون فيها مع من يعادي الإسلام، أو لا يرضى من المسلم إلا أن يترك إسلامه، كما نص اللَّه في كتابه على ما يطلبه اليهود والنصارى من المسلم ليرضوا عنه!.. إن هناك استحالة اعتقادية كما أن هناك استحالة عملية على السواء.

ولقد كان اعتذار عبد اللَّه بن أبي بن سلول، وهو من الذين في قلوبهم مرض، عن مسارعته واجتهاده في الولاء ليهود، والاستمساك بحلفه معها، هي قوله: إنني رجل أخشى الدوائر! إني أخشى أن تدور علينا الدوائر وأن تصيبنا الشدة، وأن تنزل بنا الضائقة، وهذه الحجة هي علامة مرض القلب وضعف الإيمان، فالولي هو اللَّه، والناصر هو اللَّه، والاستنصار بغيره ضلالة، كما أنه عبث لا ثمرة له، ولكن حجة ابن سلول، هي حجة كل ابن سلول على مدار الزمان، وتصوره هو تصور كل منافق مريض القلب، لا يدرك حقيقة الإيمان، وكذلك نفر قلب عبادة بن الصامت من ولاء يهود بعد ما بدا منهم ما بدا؛ لأنه قلب مؤمن فخلع ولاء اليهود وقذف به، حيث تلقاه وضم عليه صدره وعض عليه بالنواجذ عبد اللَّه بن أبي بن سلول!

إنهما نهجان مختلفان، ناشئان عن تصورين مختلفين، وعن شعورين متباينين، ومثل هذا الاختلاف قائم على مدار الزمان بين قلب مؤمن وقلب لا يعرف الإيمان!»[1].

(١) «الظلال» (٢/ ٩١٣ ـ ٩١٦).

ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «إن البعض يخلط بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وبين الولاء الذي لا يكون إلا للَّه ولرسوله ﷺ وللجماعة المسلمة، ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة، وأن هذا شأن ثابت لهم، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم.

وسذاجة أية سذاجة، وغفلة أية غفلة أن تظن أن لنا وإياهم طريقًا واحدًا نسلكه للتمكين للدين!! أمام الكفار والملحدين. فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة ضد المسلمين.

فلندع من يغفل عن هذا ولنكن واعين للتوجيه القرآني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾[1].

* نحن لا نكفر أحدًا إلا بيقين وبعد قيام الحجة عليه:

نحن لا نكفر أحدًا وليس هذا من طبعنا، ولو أن هناك ألف باب لتكفير الرجل، وباب واحد نحكم به على الرجل بالإسلام لحكمنا له بالإسلام.

فنحن نحكم بالإسلام بأدنى شبهة ولا نُخرِج من الإسلام إلا بيقين.

ونعلم أن هناك فرقًا بين «كفر النوع وكفر العين» وأن الرجل قد يرتكب الكفر الأكبر ولا يكفر به، فربما كان الرجل جاهلاً أو متأولاً أو نشأ ببلدة لا تعرف الإسلام، أو كان حديث عهد بإسلام أو غلبة علماء السوء على البلدة.

---

(١) «الظلال» (٢/ ٩٠٩ ـ ٩١٠).

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

«فهذا أمر من اللَّه بمباينة الكفار، وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهْي عن موالاتهم إذا اختاروا الكفر على الإيمان»[١].

قال القرطبي: «وهذه الآية باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين»[٢]

* وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال ابن كثير: «قد شُرِعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم إلى أن توحدوا اللَّه فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان»[٣].

واليهود والنصارى كفار مخلدون في النار بنص القرآن والسنة وإجماع المسلمين.. وتكفي آية واحدة من كتاب اللَّه لا ننساها إن نسينا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٦).
(٢) «أحكام القرآن للقرطبي» (٨/ ٩٤).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١٣/ ٥١٣) ـ مكتبة أولاد الشيخ.

أسماءنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

ومن أصدق من اللَّه قيلاً؟. فالعداوة والبغضاء بيننا وبينهم حتى يسلموا ولا عبرة بقول حسن البنا وحامد أبو النصر..

يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ:

«هي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم، وهو الكفر بهم والإيمان باللَّه، وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم باللَّه وحده. وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئًا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان.

وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل. وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين»[1].

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم

(١) «الظلال» (٦/ ٣٥٤٢).

بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ١، ٢].

قال ابن كثير في «تفسيره» (١٣/ ٥١١): «نهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء».

وقال سيد قطب في «الظلال» (٦/ ٣٥٤٠ ـ ٣٥٤١): «يذكرهم بجريرة هؤلاء الأعداء عليهم وعلى دينهم وعلى رسولهم، وعدوانهم على هذا كله في تجنّ وظلم، فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة؟ كفروا بالحق، وأخرجوا الرسول والمؤمنين، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا باللَّه ربهم؟ والأدهى من هذا كله والأشد والأنكى ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

وهذه عند المؤمن أشد من كل أذى ومن كل سوء يصيبه باليد أو اللسان، فالذي يود له أن يخسر هذا الكنز العزيز.. كنز الإيمان ويرتد إلى الكفر هو أعدى من كل عدو يؤذيه باليد واللسان!

والذي يذوق حلاوة الإيمان بعد الكفر، ويهتدي بنوره بعد الضلال، ويعيش عيشة المؤمن بتصوراته ومداركه ومشاعره واستقامة طريقه وطمأنينة قلبه يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يُلقى في النار أو أشد، فعدو اللَّه هو الذي يود أن يرجعه إلى جحيم الكفر وقد خرج منه إلى جنة الإيمان، وإلى فراغ الكفر الخاوي بعد عالم الإيمان المعمور».

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

* وقال تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير: «من اتخذ الكفار أعوانًا وأنصارًا وظهورًا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من اللَّه في شيء، أي قد برئ من اللَّه وبرئ اللَّه منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل»[1].

* وقال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال الأستاذ «سيد قطب» في «الظلال» (٦/ ٣٥١٤ ـ ٣٥١٥):

«إنها المفاصلة الكاملة بين حزب اللَّه وحزب الشيطان.. ما جعل اللَّه لرجل من قلبين في جوفه، وما يجمع إنسان في قلب واحد وُدّين: ودًّا للَّه ورسوله وودًّا لأعداء اللَّه ورسوله! فإما إيمان أو لا إيمان. أمّا هما

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٢٨).

معًا فلا يجتمعان.

فراوبط الدم والقرابة هذه تنقطع عند حد الإيمان.. إنها يُمكن أن تُرعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين: لواء اللَّه ولواء الشيطان. والصحبة بالمعروف للوالدينِ المشركيْن مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب اللَّه وحزب الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطّعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد. ولقد قتل أبو عبيدة أباه في يوم بدر، وهمّ الصديق بقتل ولده عبد الرحمن، وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد ابن عُمير، وقتل عُمر وحمزة وعلى وعبيدة والحارث أقرباءهم وعشيرتهم، متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة. وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان اللَّه...

وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب اللَّه وحزب الشيطان، وإلى رايتين اثنتين: راية الحق وراية الباطل. فإما أن يكون الفرد من حزب اللَّه فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل، وهما صفّان متميزان لا يختلطان ولا يتميّعان!!

لا نسب ولا صهر، ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية.. إنما هي العقيدة والعقيدة وحدها».

● عن جرير بن عبد اللَّه البجلي ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ بايعه على أن: «**تنصح لكل مسلم وتبرأ من الكافر**»[1].

---

(١) **حديث حسن**: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٥٧) ـ ط ٢ ـ المكتب الإسلامي.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في اللَّه والبغض في اللَّه**»(١).

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في اللَّه والمعاداة في اللَّه، والحب في اللَّه والبغض في اللَّه**»(٢).

● وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من أحبّ للَّه، وأبغض للَّه، وأعطى للَّه، ومنع للَّه فقد استكمل الإيمان**»(٣).

❊ حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى هي من أجل العقيدة:

❑ قال الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «إن حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة هي من أجل العقيدة. وهم قد يختصمون فيما بينهم ولكنهم يلتقون دائمًا في المعركة ضد الإسلام والمسلمين.

وقد يرفعون لهذه المعركة أعلامًا شتى ـ في خبث ومكر وتورية ـ لأنهم قد جرّبوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة، فخوفًا من حماس العقيدة الإسلامية وجيشانها: أعلنوا الحرب باسم الأرض والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية، وألقوا في

---

(١) حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» ص(٤٥)، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود مرفوعًا، وحسنه الألباني في تخريج «الإيمان» لابن أبي شيبة.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٣٦).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والضياء، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٠).

روع المخدوعين منا: أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها! ولايجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها، فهذه سمة المتخلفين المتعصبين! وذلك ليأمنوا جيشان العقيدة من جديد، بينما هم في قرارة نفوسهم جميعًا يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها فأدمتهم جميعًا!.

فإذا نحن خُدعنا بخديعتهم فلا نلومنّ إلا أنفسنا، ونحن نبتعد عن توجيه اللَّه لنبيه ﷺ ولأمته وهو سبحانه أصدق القائلين: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

هذا هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه وما سواه فمرفوض مردود. ولكن الأمر الحازم والتوجيه الصادق ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ على سبيل القصر والحصر، هدى اللَّه هو الهدى وما عداه فليس بهدى»[1].

إذا نحن خُدِعنا بخديعتهم فلا نلومن إلا أنفسنا، ومن أصدق من اللَّه قيلاً؟ ومن أصدق من اللَّه حديثًا؟

* قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

* وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

---

(١) «الظلال» (١/١٠٨) بتصرف.

* وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

* وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤].

* وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً..﴾ [النساء: ٨٩].

* وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الآية [المائدة: ٨٢].

* وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨].

* المجد للعذراء Ave Mary لا عاصفة الصحراء أيها البُله:

«إن الاسم الرمزي لحرب تدمير العراق ليس عاصفة الصحراء، بل المجد للعذراء AveMary ، كانت هذه الترتيلة الكنسية في تحية وتمجيد العذراء مريم هي الصيحة التي أطلقها السفاح شوارتسكوف مع أول صاروخ في حرب الخليج، ولقد كتبوا على صاروخ منها: إن كان محمدهم لا يستجيب لدعائهم فليدعوا المسيح، . . . وفي مخبأ العامرية في بغداد قتل مئات المدنيين، من بينهم أكثر من أربعمائة طفل بصاروخ من صواريخ المجزرة الأطلسية في حرب الخليج»[1] .

ولكي لا ننسى فما زال أمام عيني حديث قائد قوات التحالف

(١) «إني أرى الملك عاريًا» للدكتور محمد عباس ص(١٥٨).

شوارتزكوف مع مراسل إذاعة الجيش الإسرائيلي في ٢٩/٤/١٩٩١م، وأبرز ما في الحديث هو رائحة التعصب اليهودي التي تفوح من فم هذا المتعصب. فقد اعترف هذا القائد بالتخطيط لتدمير قوات العراق العسكرية، وبالعلاقات الحميمة بين إسرائيل وأمريكا في المجالات الأمنية والعسكرية، وبالعلاقات التي تربط هذا القائد بالقادة العسكريين اليهود، وأخيرًا بأن أمريكا خاضت هذه الحرب من أجل إسرائيل «إن الحرب التي خاضها رجالنا في منطقة الخليج ضد صدّام كانت من أجلكم.. من أجل إسرائيل، وقد عمل الرجال على تحطيم عدوكم»[1].

* لا وألف لا للقرضاوي ـ غفر اللّه له ـ:

❑ يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «القدس قضية كل مسلم» تحت عنوان «حقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل»:

«أودّ أن أبيّن هنا بوضوح: نقطة مهمة، كثيرًا ما يشوبها الغموض أو الالتباس في أذهان كثير من الناس، ولا سيما من المتدينين المسلمين. وكثيرًا ما تستغلها إسرائيل في دعايتها الصهيونية، لكسب الرأي العام ـ وخصوصًا الغربي ـ إلى صفها. هذه النقطة تتعلق بأسباب المعركة بيننا وبين اليهود وحقيقتها، فما هذه الأسباب التي أشعلت نار الحرب بيننا وبين اليهود في فلسطين، قبل أن تقوم إسرائيل في سنة ١٩٤٨م وبعد قيامها إلى اليوم؟»، ثم قال: «هل نعادي إسرائيل لأنها سامية؟» ثم فنّد هذا.

---

(١) «مجلة السنة» ـ العدد السابع عشر ـ ربيع الثاني ١٤١٢ هـ ص(٢٩).

وتحت عنوان: «هل نعادي إسرائيل لأنها يهودية؟» قال:

«وإذا كانت «السامية» ليست واردة في أسباب حربنا وعداوتنا لإسرائيل، فكذلك «اليهودية» باعتبارها ديانة ليست هي السبب...

فلو كنا نحارب اليهود من أجل العقيدة، لحاربنا النصارى المسيحيين أيضًا.

ومن أجل هذا يتبيّن لنا خطأ بعض عوام المتدينين الذين يتوهمون أن الحرب القائمة بيننا وبين اليهود حرب من أجل العقيدة، ومعنى هذا: أننا نقاتل اليهود؛ لأنهم يهود كفروا برسالة محمد، وحرّفوا كلام اللَّه عن موضعه، شوّهوا حقيقة الألوهية في كتابهم، فقد شبّهوا الخالق بالمخلوق ولوّثوا صورة الرسل والأنبياء.. إلى آخر ما هو معروف عنهم، ممّا حكاه القرآن من قتلهم الأنبياء بغير حق، وتطاولهم على اللَّه حتى قالوا: يد اللَّه مغلولة، وقالوا: إن اللَّه فقير ونحن أغنياء!

وهذه النظرة التي قد تخطر في بال بعض الناس خاطئة تمامًا، فاليهود كما رأينا يعتبرهم الإسلام أهل كتاب، يبيح مؤاكلتهم، ويبيح مصاهرتهم، وقد عاشوا قرونًا بين ظهراني المسلمين، وقد طردهم العالم، لفظهم لفظ النواة، من أسبانيا وغيرها، ولم يجدوا صدرًا حنونًا إلا في دار الإسلام، وأوطان المسلمين، ولم يفكّر المسلمون يومًا أن يحاربوا اليهود»[1].

وتحت عنوان «السبب الحقيقي لمعركتنا مع اليهود» قال القرضاوي:

«والواقع أن المعركة بدأت بيننا وبين اليهود، بسبب واحد لا شريك

(١) «القدس قضية كل مسلم» للدكتور يوسف القرضاوي ص(٣٨ ـ ٤١) ـ مكتبة وهبة.

له، وهو أنهم اغتصبوا أرضنا ـ أرض الإسلام، أرض فلسطين ـ وشردوا أهلنا، أهل الدار الأصليين، وفرضوا وجودهم الدخيل بالحديد والنار، والعنف والدم.. تكلم السيف فاسكت أيها القلم! وستظل المعركة قائمة بيننا وبينهم ما دامت الأسباب قائمة، وسيظل الصلح مرفوضًا إذا كان مبنيًّا على الاعتراف بأن لهم حقًّا فيما اغتصبوه من الأرض، إذ لا يملك أحد أن يتنازل عن الأرض الإسلامية، إنما يمكن إقامة هدنة بيننا وبين إسرائيل!!، لفترة من الزمن، تقصر أو تطول، يكفّ فيها الطرفان عن الحرب، ويسود فيها لزمن، وتتبادل بعض العلاقات مع بعض!!!»[1]، ثم قال تحت عنوان: «الطابع الديني للمعركة»:

«وهذا لا ينفي الطابع الديني عن المعركة، فالمعركة ـ وإن كانت من أجل الأرض لها بواعثها الدينية، وأهدافها الدينية.

فكل معركة يدخلها المسلم للدفاع عن حق، أو لمقاومة باطل، أو لإقامة عدل، أو للثورة على ظلم، فهي معركة دينية، لأنها معركة في سبيل اللَّه. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾[النساء: ٧٦].

والإسلام يوجب على المسلمين ـ بالتضامن ـ الدفاع عن أرض الإسلام، ويعتبر ذلك من أقدس أنواع الجهاد، كما يعدّ من قُتل في ذلك شهيدًا من أعظم الشهداء. والجهاد ـ دفاعًا على الأرض ـ فرض عين على أهلها حتى تحرر، وإذا لم يكف أهلها للدفاع عنها، وجب على من يجاورهم، حتى يشمل المسلمين كافة في النهاية، ولا يجيز شرع الإسلام

---

(١) المصدر السابق ص(٤٤ ـ ٤٥).

للمسلمين أن يتنازلوا عن ذراع واحد من أرض الإسلام.

فإذا كانت أرض الإسلام هي أولى القبلتين، وثالث المسجدين المقدسين، كان الجهاد في سبيل تحررها أوجب وأعظم وأشرف، وأعلى مكانًا في دين اللَّه»[1].

* **الرد على القرضاوي:**

الحرب والعداوة بيننا وبين اليهود حرب من أجل العقيدة ومن أجل الأرض، والجهاد في الإسلام جهاد دفع وجهاد طلب:

قول القرضاوي: «وإذا كانت السامية ليست واردة في أسباب حربنا وعداوتنا لإسرائيل، فكذلك اليهودية باعتبارها ديانة ليست هي السبب».

وهذا القول يكفي في الرد عليه ما رددنا به على الشيخ حسن البنا والأستاذ حامد أبو النصر.

❑ قوله: «فلو كنا نحارب اليهود من أجل العقيدة، لحاربنا النصارى المسيحيين أيضًا» وفي هذا القول أكبر دليل على أن الشيخ القرضاوي يرى أن الجهاد في الإسلام جهاد دفع فقط، وليس فيه جهاد طلب.

❑ نحن نعادي اليهود أولاً لكفرهم؛ ولأنهم أشد الناس عداوة للمسلمين؛ ولأنهم قتلة الأنبياء من غضب اللَّه عليهم ولعنهم وهم مخلدون في النار أبدًا، وكذا نعادي النصارى بسبب كفرهم وهم الضالون كما نعتهم بذلك القرآن الكريم ولعنهم اللَّه وهم المخلدون في النار أيضًا.

❑ زيادة على عداوتنا الدينية للطائفتين اليهودية والنصرانية فإنا

(١) «القدس قضية كل مسلم» للقرضاوي ص(٤٥ ـ ٤٦).

نعادي اليهود أيضًا؛ لأنهم اغتصبوا أغلى مقدساتنا، وأسالوا الدماء أنهارًا، واغتصبوا نساءنا وهتكوا أعراضنا وذبحوا شيوخنا.

لا تصالح..

ولو توّجوك بتاج الإمارة

كيف تخطو على جثة ابن أبيك

وكيف تصير المليك

على أوجه البهجة المستعارة

كيف تنظر في يد من صافحوك

فلا تبصر الدم في كل كف..

إن سهمًا أتى من الخلف سوف يجيئك من كل خلف..

لا تصالح ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام..

وارْوِ قلبك بالدم..

واروا التراب المقدس وارو أسلافك الراقدين إلى أن تردّ عليك العظام..

إنه ليس ثأرك وحدك لكنه ثأر جيل فجيل

لا تُصالح

ولو وقف ضد سيفك كل الشيوخ.. والرجال التي ملأتها الشروخ..

هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم

وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ

لا تصالح

فليس سوى أن تريد

أنت فارس هذا الزمان الوحيد..

وسِواك المسوخ

* يا بن الإسلام يا بن عقيدتي:

اياك أن تفاوض.. انزف دمك واكتب به كتابك الدامي عن خيانتنا. أعطه للتاريخ مثلاً. فسوف يوقظ قلوبًا أعطبها العفن.. وسوف يهزّ أرواحًا دنّستها الخطيئة وكللتها الخيانة.

* ما هكذا يا شيخ قرضاوي تورد الإبل: دعاة الإخوان يسيرون في هذه النقطة على نهج المدرسة العقلية:

❑ قول الشيخ القرضاوي: «وإذا كانت (السامية) ليست واردة في أسباب حربنا وعداوتنا لإسرائيل، فكذلك «اليهودية» باعتبارها ديانة ليست هي السبب» ا.هـ.

أي اليهودية ليست سبب حربنا وعداوتنا لقد حرّف رواد المدرسة العقلية الحديثة مفهوم بغض الكافرين وعداوتهم وأحلّوا محلها المحبة والصداقة.. وهذا خطأ بيّن سبق البنا وحامد أبو النصر والقرضاوي إليه كثير منهم:

الشيخ محمد عبده:

ذكر محمد عبده في كتابه «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» ثمانية أصول زعم أنها أصول الإسلام ضمنها تحريف هذه العقيدة المهمة (محبة المؤمنين وبغض الكافرين)، ومما يثير العجب والأسى في آن واحد أن هذه الأصول التي ذكرها محمد عبده للإسلام لم يكن من بينها لا أركان الإسلام، ولا أركان الإيمان، وما أدري على أي شيء استند في تسميتها أصولاً، وها هي ذي أصول الإسلام على زعمه التي ذكرها في كتابه:

١ ـ الأصل الأول: النظر العقلي لتحصيل الإسلام، وقال في

التمهيد لهذا الأصل (فلا يصح أن يؤخذ الإيمان باللَّه من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة، فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله اللَّه إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود اللَّه، وبأنه يجوز أن ينزل كتابًا ويرسل رسولاً)[١].

٢ ـ الأصل الثاني: قال عنه: اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا يُنظر إليه[٢] على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل!!

٣ ـ الأصل الثالث: البعد عن التكفير.

٤ ـ الأصل الرابع: الاعتبار بسنن اللَّه في الخلق.

٥ ـ الأصل الخامس: قلب السلطنة الدينية.

٦ ـ الأصل السادس: حماية الدعوة لمنع الفتنة.

٧ ـ الأصل السابع: مودة المخالفين في العقيدة.

٨ ـ الأصل الثامن: الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة[٣].

ألم يقرأ هذا الشيخ حديث الرسول ﷺ الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» «**لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه**»[٤]، فهل يضيق الإنسان على من بينه وبينه مودة. وحديث الرسول ﷺ في خطبة أول جمعة بالمدينة: «**الحمد للَّه أحمده**

---

(١) «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده ص(٤٨).

(٢) ليعلم القارئ الكريم أن هذا القليل الذي لا ينظر إليه في نظر الشيخ هم الصحابة والتابعون وأئمة المذاهب الأربعة وغيرهم من أعلام الإسلام، وأن هذا الأصل الذي ذكره من أصول الفلاسفة والمعتزلة!!

(٣) انظر هذه الأصول من ص(٤٨ ـ ٧٠) من كتاب «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده.

(٤) «صحيح مسلم» كتاب السلام (٤/ ١٧٠٧).

وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا اللَّه... ولا تفرطوا في جنب اللَّه قد علمكم اللَّه كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن اللَّه إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في اللَّه حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ولا قوة إلا باللَّه..»[١] .

وقد تابع محمد عبده من هم على شاكلته من أهل الدفاع ومودة الكافرين فمن يقرأ مقدمة كتاب «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبي زهرة يجده يصف أقباط مصر بأنهم إخوانه وأبناؤه وأصدقاؤه بل يصفهم بأنهم من المخلصين، ولم يكونوا من الذين ظلموا[٢] ، وقد عدد قواعد العلاقات الدولية في الإسلام فجعلها تدور على مجموعة نقاط هي:

١ ـ المساواة. ٢ ـ التعاون. ٣ ـ الكرامة الإنسانية. ٤ ـ التسامح.
٥ ـ الحرية. ٦ ـ الفضيلة. ٧ ـ العدالة. ٨ ـ المعاملة بالمثل.
٩ ـ الوفاء بالعهد. ١٠ ـ المودة. وقال تحت هذه القاعدة العاشرة (المودة).

«إن الأخوة الإنسانية العامة التي أوجب الإسلام بها التعارف عندما يختلف الناس أجناسًا وقبائل يجب وصلها بالمودة والعمل على الإصلاح ومنع الفساد ولو اختلف الناس دينًا وأرضًا وجنسًا... وإن المودة الموصولة لا يقطعها الحرب ولا الاختلاف في الدين. وفتح باب المودة للشعوب قد ينهي الحرب ويفتح باب السلام العزيز الكريم»[٣] !! ويقول

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٢١٣)، وقال ابن كثير: هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال، ثم أورد ابن كثير خطبة النبي ﷺ عن طريق البيهقي، وقال: هذه الطريق أيضًا مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

(٢) انظر «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبي زهرة ص(٤).

(٣) «انظر: «العلاقات الدولية» لأبي زهرة ص(٢٦١ ـ ٢٧١).

في كتابه «المجتمع الإنساني في ظل الإسلام»: «تقوم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس المودة»[١].

والبر والصلة والهدية والضيافة والصدقة لا يلزم منها المحبة ولا المودة فالكافر تبغضه؛ لأن اللَّه يبغضه وتعدل معه وتحسن إليه.

فالعدل في المعاملة وإطعام الطعام والمجادلة بالحسنى شيء والمحبة والمودة والصداقة شيء آخر فالنوع الأول في الموالاة.

أما النوع الثاني: فهو من الموالاة ولا تجوز مودة الكافر ومحبته، ولو كان ذميًّا بل الواجب بغضه؛ لأن اللَّه يبغضه والمؤمن الحق هو الذي يحب ما يحب اللَّه ويبغض ما يبغض اللَّه فها هو ذا عبد اللَّه ابن رواحة ـ رضي اللَّه عنه ـ لما أرسله رسول اللَّه ﷺ إلى يهود خيبر ـ وهم أهل ذمة ـ لكي يخرص نخيل خيبر فحاولوا رشوته قال لهم: (يا أعداء اللَّه تطعموني السحت واللَّه قد جئتكم من عند أحب الناس إليّ ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض)[٢] فهل جهل عبد اللَّه ابن رواحة ـ رضي اللَّه عنه ـ وأرضاه أصلاً من أصول الإسلام وقاعدة من قواعد العلاقات الدولية كما يزعم أصحاب مودة الكافرين.

ولأصحاب مودة الكافرين فهم غريب لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ

(١) «المجتمع الإنساني» ص(١٩٠).
(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ١٩٧).

اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]. فهم كعادتهم لا يأخذون تفسير السلف للآيات والأحاديث إلا إذا وافق ما عندهم يقول أبو زهرة: «ولقد جعل القرآن الكريم اختلاف الناس شعوبًا وقبائل للتعارف والتعاون لا للتباغض والتنازع، ولذلك قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ... ﴾ الآية، فاختلاف الشعوب في الأرض له غاية جليلة أرادها اللَّه سبحانه وتعالى، وهي التعارف وهذا التعارف له ظواهر:

الأولى: اللقاء على مودة وتراحم في أمن وسلام لا في حرب وخصام.

الثانية: التعاون على أن ينتفع الإنسان بكل خيرات الأرض بحيث ينتفع أهل كل إقليم بما في الإقليم الآخر من خير ويمده بما عنده من فائض أرضه في مقابل أن ينتفع هو بما عنده، فإذا كانت الأرض مختلفة فيما تنتج فالإنتاج كله للإنسانية كلها فتكون تفرقة الأقاليم ليكون الاستغلال كاملاً فتستغل الأرض في كل أجزائها مهما تباعد وتتفرق.

الثالثة: من الظواهر تكريم الإنسان في هذه الأرض فلا يوجد تعارف إذا كان إقليم يحتقر إقليمًا؛ لأن ذلك يكون تناكرًا، ولا يكون تعارفًا ولا بد أن يحترم أهل الأرض حرية أهلها فلا يكون إذا لم تحترم الحرية؛ لأنه إذا كان أساس العلاقات الإرهاق النفسي وعدم احترام الحرية الشخصية لا يكون ذلك تعارفًا بل يكون استعبادًا واسترقاقًا أو استعمارًا بلغة ذلك العصر. فأهل كل بلد يدير إدارته بالطريق التي يراها ويعتنقون من العقائد ما شاءوا من غير حريجة دينية ولا إرهاق نفسي بل إن الإسلام ذهب به فرط احترامه للحرية إلى حماية العقيدة الدينية المخالفة من أن يُعتدى عليها، وقاعدته الفقهية «وأمرنا أن نتركهم وما يدينون».. وإن التعارف لا يكون كاملاً إلا إذا أزيلت المحاجزات الإقليمية في الأرضين

بحيث يهاجر كل إنسان إلى ما يحب من الأرض»[١].

فانظر أيها القارئ إلى هذا الفهم الغريب، فقد جعل هذا الكاتب من معاني التعارف: المودة والرحمة وعدم الخصام والتنازع والتكريم والحرية الشخصية والتعاون إلى غير ذلك، ولم يقل أحد من علماء السلف أن الآية تدل على هذه المعاني واللغة لا تساعد الكاتب على ما ذهب إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «وليعلم إن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وأن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن اللَّه سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله للَّه فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه»[٢].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «أن اللَّه تعالى عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى ومجوس ومشركين وملحدين ومارقين وغيرهم ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم، وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين، ودلائل هذا من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، فكل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية، فإنه تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك فإنه يجب التقرب إلى اللَّه ببغضه ومعاداته وجهاده

---

(١) «المجتمع الإنساني» لأبي زهرة ص(٥١ ـ ٥٣)، وانظر كتاب «أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية» للدكتور علي بن نفيع العلياني ص(٣٥٠ ـ ٣٥٧) ـ دار طيبة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٠٨).

باللسان واليد بحسب القدرة، فالولاء والبراء تابع للحب والبغض، والحب والبغض هو الأصل وأصل الإيمان أن تحب في اللَّه أنبياءه وأتباعهم وأن تبغض في اللَّه أعداءه وأعداء رسله»[1].

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾: نهى اللَّه عباده المؤمنين أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء والبدع أصحابًا وأصدقاء يفاوضونهم في الرأي ويسندون إليهم أمورهم».

* يا شيخ يوسف القرضاوي: الجهاد في الإسلام ليس جهاد دفع فقط بل هو جهاد دفع وطلب:

قول الشيخ القرضاوي قول مرفوض إذ إنه يقصر الجهاد في فلسطين على أنه دفاع عن الأرض فقط وقوله متخبط وإلا:

* ما معنى قوله: «وستظل المعركة قائمة بيننا وبينهم ـ أي اليهود ـ ما دامت الأسباب قائمة، وسيظل الصلح مرفوضًا إذا كان مبنيًّا على الاعتراف بأن لهم حقًّا فيما اغتصبوه من الأرض ـ إذ لا يملك أحد أن يتنازل عن الأرض الإسلامية»، ثم يأتي بنقيض ذلك: «إنما يمكن إقامة هدنة بيننا وبين إسرائيل، لفترة من الزمن، تقصر أو تطول، يكف فيها الطرفان عن الحرب، ويسود فيها الأمن، وتتبادل بعض العلاقات مع بعض»!!! ما هذا الكلام العجيب الغريب المتناقض؟!!

* وما معنى قوله: «فلو كنا نحارب اليهود من أجل العقيدة لحاربنا

---

(١) «الفتاوى السعدية» للسعدي ص(٩٨).

النصارى المسيحيين أيضًا»[١].

وهذا الكلام يعني أنه يقول أنه ليس في الإسلام إلا جهاد الدفع فقط.. ولا مرية في ذلك.

أما عدم حرب المسلمين للنصارى ـ أي جهاد الطلب ـ الآن فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي اللَّه ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين. وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»[٢].

* لآلئ للأستاذ سيد قطب أحلى من الشهد وأرق من نسيم السحر:

يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «فإن كان المسلمون اليوم لا يملكون بواقعهم تحقيق هذه الأحكام فهم ـ اللحظة ومؤقتًا ـ غير مكلفين بتحقيقها ـ ولا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها ولهم في الأحكام المرحلية سعة يتدرجون معها حتى ينتهوا إلى تنفيذ هذه الأحكام الأخيرة عندما يكونون في الحال التي يستطيعون معها تنفيذها.. ولكن عليهم ألا يلووا أعناق النصوص النهائية لتوافق أحكام النصوص المرحلية وعليهم ألا يحملوا ضعفهم الحاضر على دين اللَّه القوي المتين وعليهم أن يتقوا اللَّه في مسخ هذا الدين وإصابته بالهزال بحجة أنه دين السلم والسلام. إنه دين السلم والسلام فعلاً ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير اللَّه وإدخال

(١) «القدس قضية كل مسلم» ص(٤١).
(٢) «الصارم المسلول» لابن تيمية ص(٢٢١).

البشرية كافة في السلم كافة.

إنه منهج اللَّه هذا الذي يريد البشر على الارتفاع إليه والاستمتاع بخيره وليس منهج عبد من العبيد ولا مذهب مفكر من البشر حتى يخجل الداعون إليه من إعلان أن هدفهم الأخير هو تحطيم كل القوى التي تقف في سبيله لأطلاق الحرية للناس أفرادًا في اختياره.. إنه حين تكون المذاهب التي يتبعها الناس مذاهب بشرية من صنع العبيد، وحين تكون الأنظمة والشرائع التي تصرف حياتهم من وضع العبيد أيضًا فإنه في هذه الحالة يصبح لكل مذهب ولكل نظام الحق في أن يعيش داخل حدوده آمنًا ما دام أنه لا يعتدي على حدود الآخرين، ويصبح من حق هذه المذاهب والأنظمة والأوضاع المختلفة أن تتعايش وألا يحاول أحدها إزالة الآخر. فأما حين يكون هناك منهج إلهي وشريعة ربانية ووضع العبودية فيه للَّه وحده وتكون إلى جانبه مناهج ومذاهب وأوضاع من صنع البشر العبودية فيها للعباد، فإن الأمر يختلف من أساسه ويصبح من حق المنهج الإلهي أن يجتاز الحواجز البشرية ويحرر البشر من العبودية للعباد ويتركهم أحرارًا في اختيار العقيدة التي يختارونها في ظل الدينونة للَّه وحده.

والمهزومون الذين يحاولون أن يلووا أعناق النصوص ليخرجوا من الحرج الذي يتوهمونه في انطلاق الإسلام وراء حدوده الأولى ليحرر البشر في الأرض كلها من العبودية لغير اللَّه ينْسون هذه الحقيقة الكبرى، وهي أن هناك منهجًا ربانيًّا العبودية فيه للَّه وحده يواجه مناهج بشرية العبودية فيها للعبيد»[1].

(١) «فقه الدعوة» لسيد قطب اختيار أحمد حسن ص(٢١٧ ـ ٢٢٢).

* يا شيخ يوسف القرضاوي: قصر الجهاد في الإسلام على جهاد الدفع فقط بدعة منكرة، فالجهاد جهاد دفع وطلب:

قصر الجهاد في الإسلام على جهاد الدفع فقط بدعة منكرة تخالف الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وإجماع سلف الأمة، وهذه البدعة هي أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط وأن المسلمين لا يجوز لهم أن يغزوا الكفار لأجل إخضاعهم لسلطان الإسلام وإعلاء كلمة اللَّه على كلمتهم إلا إذا سبق الكفار بالاعتداء على المسلمين.

«هذه البدعة المنكرة لم يقلها أحد من علماء المسلمين المعتبرين، وأول من ظهرت على ما أعلم على أيدي تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة التي من أشهر رجالها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا. وتلاميذ هذه المدرسة أعجبوا بما عند الغرب من مفاهيم في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية فبذلوا قصارى جهودهم ليوضحوا للناس أن هذه المفاهيم موجود مثلها وأفضل منها في الإسلام. ولقد كان أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين يحملون على الإسلام حملة شعواء قوامها أن الإسلام انتشر بالسيف بينما انتشرت المسيحية بالمحبة والسلام، فأراد هؤلاء أن ينفوا التهمة عن الإسلام، فقالوا: إن الإسلام لا يستخدم السيف إلا للدفاع فحسب وقد غاب عن أذهانهم الفرق بين أهداف الجهاد في الإسلام وأهداف الحروب الأخرى التي يعرفها الناس في جاهلياتهم والتي عرفتها أوربا في تاريخها كله»[1].

يقول محمد عبده عن الجهاد الإسلامي: «فقتال النبي ﷺ كله

(١) «أهمية الجهاد» لعلي بن نفيع ص(٣١٨ ـ ٣١٩).

كان مدافعة عن الحق وأهله وحماية لدعوة الحق؛ ولذلك كان تقديم الدعوة شرط لجواز القتال، وإنما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان، فإذا مُنعنا من الدعوة بالقوة بأن هُدد الداعي أو قُتل فعلينا أن نقاتل لحماية الدعاة ونشر الدعوة لا للإكراه على الدين فاللَّه يقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، ويقول: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وإذا لم يوجد من يمنع الدعوة ويؤذي الدعاة أو يقتلهم أو يهدد الأمن ويعتدي على المؤمنين فاللَّه تعالى لا يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح ولا لأجل الطمع في الكسب، ولقد كانت حروب الصحابة في الصدر الأول لأجل حماية الدعوة ومنع المسلمين من تغلب الظالمين لا لأجل العدوان، فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التي دخلت حوزة الإسلام، ويؤذونهم وأولياؤهم من العرب المتنصرة ومن يظفرون به من المسلمين.

وكان الفرس أشد إيذاء للمؤمنين منهم فقد مزقوا كتاب النبي ﷺ ورفضوا دعوته وهددوا رسوله، وكذلك كانوا يفعلون وما كان بعد ذلك من الفتوحات الإسلامية اقتضته طبيعة الملك، ولم يكن كله موافقًا لأحكام الدين، فإن من طبيعة الكون أن يبسط القوي يده على جاره الضعيف، ولم تعرف أمة قوية أرحم في فتوحاتها بالضعفاء من الأمة العربية شهد لها علماء الإفرنج بذلك، وجملة القول في القتال أنه شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها، فعلى من يدعي من الملوك والأمراء أنه يحارب للدين أن يحيي الدعوة الإسلامية ويعد لها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر وعلومه، ويؤيد ذلك بالاستعداد التام لحمايتها من العدوان، ومن عرف حال الدعاة إلى الدين

عند الأمم الحية، وطرق الاستعداد لحمايتهم يعرف ما يجب في ذلك وما ينبغي له في هذا العصر»[١]، ويقول محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ هذه غاية للأمر بقتال أهل الكتاب ينتهي بها إذا كان الغلب لنا. أي قاتلوا من ذكر عند وجود ما يقتضي وجوب القتال كالاعتداء عليكم أو على بلادكم أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم»[٢] فهذا تصريح واضح من رواد المدرسة العقلية الحديثة بأن الجهاد في الإسلام هو للدفاع فقط، مما يبين بوضوح لا خفاء فيه أن المدرسة العقلية الحديثة هي التي حملت لواء الانهزامية وتذويب الشخصية الإسلامية في الشخصية الغربية وتفسير النصوص بأهوائهم معرضين عن تفسير علماء الإسلام لها.

* من قال بهذه البدعة غير المدرسة العقلية وغير الدكتور القرضاوي ومن ردّ عليهم من أهل العلم:

«وقد تأثر بهذه البدعة المنكرة ـ قصر الجهاد على الدفاع ـ كثير من الكتاب المعاصرين كعبد الوهاب خلاف في كتابه «السياسة الشرعية»، ومحمود شلتوت في كتابه «من هدي القرآن»، ومحمد أبو زهرة في كتابه «العلاقات الدولية»، ومحمد عبد اللَّه دراز في كتابه «دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية»، ووهبة الزحيلي في كتابه «العلاقات الدولية في الإسلام»، ومحمد عزة دروزة في كتابه «الجهاد في سبيل اللَّه في القرآن والحديث»، وحامد سلطان في كتابه «أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية» وعلي علي منصور في كتابه «الشريعة

(١) «تفسير المنار» (٢/ ٢١٥ ـ ٢١٨).
(٢) «تفسير المنار» (١٠/ ٢٨٩).

الإسلامية والقانون الدولي»، وجمال البنا في كتابه «حرية الاعتقاد في الإسلام»، وعبد الخالق النواوي في كتابه «العلاقات الدولية والنظم القضائية»، ومحمد رأفت عثمان في كتابه «الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية»، وأحمد محمد الحوفي في كتابه «سماحة الإسلام»، وغير هؤلاء كثير من الكتاب وأصحاب الرسائل العلمية بل هو تيار جارف عند كُتاب هذا العصر يكاد يطغى على الحق ويغطيه لولا حفظ اللَّه للحق بحفظ أصوله ـ الكتاب والسنة ـ ثم لولا وجود كتب فقهاء الإسلام وعلمائه الذين ماتوا قبل إطلالة هذا العصر المشؤوم الذي تُوَجَّه فيه معارف المسلمين وعلومهم بأيدي أعدائهم. وقد تصدى لهذه البدعة جمع من علماء المسلمين وبعض طلبة العلم فأنكروها على أصحابها ومن أشهر هؤلاء العالم الجليل سليمان بن سحمان والشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان في كتابه القيم «دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع»، والشيخ عبد الرحمن الدوسري في كتابه «الأجوبة المفيدة في مهمات العقيدة» والشيخ أبو الأعلى المودودي في كتابه «الجهاد» والشهيد سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق» وفي تفسيره الشهير في «ظلال القرآن»، والشيخ محمد قطب في كتابه «المستشرقون والإسلام» (مخطوط) والدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه «مجموعة بحوث فقهية» والأستاذ صالح اللحيدان في كتابه «الجهاد بين الطلب والدفاع»، والأستاذ محمد بن ناصر البعوان في كتابه «القتال في الإسلام»، والأستاذ عبد اللَّه بن أحمد قادري في كتابه «حقيقة الجهاد في سبيل اللَّه وغايته» (مخطوطة)، والأستاذ عابد بن محمد السفياني في كتابه «دار الإسلام ودار الكفر وأصل العلاقة بينهما» (مخطوطة)»[1].

(١) «أهمية الجهاد» ص(٣٢٥ ـ ٣٢٦).

* إجماع أهل العلم على جهاد الطلب:

❑ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله للَّه وأن تكون كلمة اللَّه هي العليا فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين»[١].

فانظر كيف نقل اتفاق المسلمين على قتال من يمنع أن يكون الدين كله للَّه، وأن تكون كلمة اللَّه هي العليا، وابن تيمية من أكثر العلماء معرفة بمذاهب فقهاء الأمة الإسلامية، فهل يظن ظان أنه يعلم خلافًا لأحد من المسلمين في هذه الغاية العظيمة للجهاد ويكتمه؟ اللَّهم لا.

❑ وهذا إمام المفسرين في عصره ابن جرير الطبري ينقل إجماعًا مشابهًا لما نقله ابن تيمية إذ يقول: «وأجمعوا أن موادعة أهل الشرك من عبدة الأوثان ومصالحة أهل الكتاب على أن أحكام المسلمين عليهم غير جائزة إلى الأبد باطلة إذا كان بالمسلمين قوة على حربهم»[٢] فليت شعري ما موقف أصحاب الدفاع والتعايش السلمي من هذا الإجماع؟!.

❑ ويقول الإمام الشوكاني في «السيل الجرار»: «غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام أو تسليم الجزية أو القتل معلوم من الضرورة الدينية، ولأجله بعث اللَّه تعالى رسله وأنزل كتبه وما زال رسول اللَّه ﷺ منذ بعثه اللَّه إلى أن قبضه إليه جاعلاً هذا الأمر من أعظم مقاصده ومن أهم شؤونه، وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ولا لبعضها، وما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا

---

(١) «السياسة الشرعية» لابن تيمية ص(٣١).

(٢) «اختلاف الفقهاء» للطبري ص(١٤).

تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين بما ورد من إيجاب المقاتلة لهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم والتمكن من حربهم وقصدهم إلى ديارهم»[١] .

* **ولأصحاب هذه البدعة المنكرة نقول:**

«إن علماء الإسلام تكلموا على حكم قتال الكفار قبل أن تبلغهم الدعوة إلى الإسلام كما هو مبسوط في كتب التفسير والأحاديث والفقه فلو كان لا يقاتل إلا المعتدي فما فائدة هذا البحث في هذا الباب! هل يتصور أن يعتدي الكفار على المسلمين وهم لا يعرفون من المسلمون؟ وإلى ماذا يدعون؟»[٢] .

* **لقد مرّ الجهاد في تشريعه بمراحل:**

❑ **المرحلة الأولى:** مرحلة الكفّ عن المشركين والإعراض عنهم والصبر على أذاهم.

❑ **المرحلة الثانية:** إباحة القتال من غير فرض:

* قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

❑ **المرحلة الثالثة:** فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط:

* قال تعالى: ﴿... فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ

---

(١) «العبرة» للقنوجي.

(٢) «أهمية الجهاد» ص(٣٣٦).

وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٩٠ ـ ٩١].

المرحلة الرابعة: قتال جميع الكفار على اختلاف أديانهم وأجناسهم ابتداءً وإن لم يبدءوا بقتال حتى يُسْلموا أو يدفعوا الجزية:

وهذه المرحلة بدأت من انقضاء أربعة أشهر من بعد حج العام التاسع من الهجرة، ومن بعض انقضاء العهود المؤقتة وتُوفي الرسول ﷺ والعمل على هذه المرحلة الأخيرة وعليها استقر حكم الجهاد.

* قال تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

* وقال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

● قال ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللَّه**»[1].

● وقال ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه،**

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر، والنسائي عن أبي بكرة، ابن ماجه والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة.

وأني رسول اللَّه، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللَّه»[١] .

وهذه المراحل قد ذكرها علماء الإسلام في مؤلفاتهم من كل مذهب: ذكرها السرخسي في «المبسوط» (١٠/ ٢)، والشافعي في «أحكام القرآن» (٢/ ٩ ـ ١٩)، وابن رشد في «مقدماته» (١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).

❑ قال ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «فلما فتح اللَّه مكة وانقطع قتال قريش ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره اللَّه تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة»[٢] .

❑ وقال ابن القيم: «ثم فُرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرمًا، ثم مأذونًا به، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور»[٣] .

«وقد استقر أمر الجهاد على المرحلة الأخيرة التي ذُكِرت في سورة التوبة، وهي قتال المشركين حتى يسلموا، وقتال أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية مع الذل والصغار»[٤] .

❑ قال ابن القيم: «فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول «براءة» على

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وهو متواتر، وقد أخرجه ابن نصر المروزي في أول كتابه «الصلاة» من حديث ابن عمر، وأنس، وأبي هريرة، ومعاذ بن جبل.

(٢) «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» لابن تيمية (١/ ٧٤).

(٣) «زاد المعاد» لابن القيم (٣/ ٦٩ ـ ٧١).

(٤) «أهمية الجهاد» ص(١٤٧).

ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة»[١].

▫ ولكون سورة «براءة» المقررة لحكم المرحلة الأخيرة من مراحل الجهاد هي آخر السور نزولاً اعتبر علماء السلف أن المرحلة الأخيرة للجهاد ناسخة لبقية المراحل.

▫ قال ابن العربي: «قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ..﴾ الآية ناسخة لمائة وأربع عشر آية»[٢].

* والقول بالنسخ مروي عن:

ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة[٣]، ومجاهد وأبي العالية[٤]، والضحاك بن مزاحم[٥]، والربيع بن أنس[٦]، والحسين بن الفضل[٧]، وابن زيد[٨]، وموسى بن عقبة[٩]، وعطاء[١٠]، وابن الجوزي[١١].

وكذلك قال بالنسخ: ابن تيمية[١٢]، والشوكاني[١٣]، والقرطبي[١٤] وجمع من العلماء في شتى العصور الإسلامية.

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٦٠).
(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ٢٠١).
(٣) «فتح القدير» للشوكاني (١/ ٤٩٧).
(٤) «فتح القدير» (١/ ١٩١).
(٥) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥).
(٦) «تفسير البغوي» (١/ ١٦٨).
(٧) «تفسير القرطبي» (٨/ ٧٣).
(٨) «القرطبي» (٢/ ٣٣٩).
(٩) «أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ٨١) ـ دار الكتاب العربي بيروت.
(١٠) «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٢).
(١١) «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٣٧٦) ـ المكتب الإسلامي.
(١٢) «الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية ص(٣٦).
(١٣) «فتح القدير» (١/ ٢٧٥).
(١٤) «تفسير القرطبي» (٢/ ٣٣١).

❑ يقول صديق حسن خان البخاري: «وما جاء في موادعتهم أو في تركهم إذا تَركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين»[١].

* هدف الجهاد الأكبر تعبيد الناس للّه وحده وإخراجهم من العبودية للعباد:

* قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

* ويقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

❑ قال ابن كثير: «ثم أمر تعالى بقتال الكفار ﴿حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك. قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي: يكون دين اللّه هو الظاهر على سائر الأديان»[٢].

❑ وقال ابن الجوزي: «﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس: أي: يخلص له التوحيد»[٣].

❑ قال ابن جرير الطبري: «فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يُعبد إلا اللّه وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد اللّه من الأرض وهو الفتنة، ويكون الدين كله للّه، وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها للّه

---

(١) «الروضة الندية» لصديق حسن خان (٢/ ٣٣٣) ـ دار المعرفة بيروت.
(٢) «ابن كثير» (١/ ٣٢٩).
(٣) «زاد المسير» (١/ ٢٠٠).

خالصة دون غيره»[١] .

وقال الشوكاني: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتنة وأن يكون الدين للَّه وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحلّ قتاله»[٢] .

● عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«بُعثت بين يدي الساعة بالسيف؛ حتى يُعبد اللَّه تعالى وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعِل الذُّلُّ والصغارُ على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم»**[٣] .

ولقد كان هذا الهدف العظيم للجهاد حاضرًا في حسّ الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ أثناء معاركهم مع أعداء اللَّه.

ففي «صحيح البخاري» عن جبير بن حيّة قال: «فندبنا عمر واستعل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة: سل عمّا شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد نمصّ الجلد والنّوى من الجوع ونلبس

---

(١) «تفسير الطبري» (١٣/ ٥٣٧).

(٢) «فتح القدير» (١/ ١٩١).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، وصححه السيوطي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٤٩): رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه ابن المديني وغيره وضعّفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات.
وصححه الألباني في «حجاب المرأة» (١٠٤)، و«الإرواء» (١٢٥٦).

الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيًّا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا أنا نقاتلكم حتى تعبدوا اللَّه وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قُتِل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثله قط ومن بقي منا ملك رقابكم»[١].

❑ وقال ربعي بن عامر لرستم: «إن اللَّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللَّه، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نقضي إلى موعود اللَّه. قالوا: وما موعود اللَّه؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي».

❑ قال الشافعي: «فدل كتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ أن فرض الجهاد إنما هو على أن يقوم به من فيه كفاية للقيام به حتى يجتمع أمران: **أحدهما**: أن يكون بإزاء العدو المخوف على المسلمين من يمنعه.

والآخر: أن يجاهد من المسلمين مَن في جهاده كفاية حتى يسلم أهل الأوثان أو يعطي أهل الكتاب الجزية»[٢].

❑ ويقول محمد بن الحسن الشيباني: «فرضية القتال المقصود منها إعزاز الدين وقهر المشركين»[٣].

---

(١) «صحيح البخاري مع الفتح» (٦/ ١٩٠).
(٢) «الأم» للشافعي (٤/ ١٦٧).
(٣) «السير الكبير» للشيباني (١/ ١٨٨).

ويقول ابن عبد البر المالكي: «يقاتل جميع أهل الكفر من أهل الكتاب وغيرهم من القبط والترك والحبشة والفزارية والصقالبة والبربر والمجوس وسائر الكفار من العرب والعجم يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون»[١].

ويقول ابن القيم: «والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة اللَّه هي العليا ويكون الدين كله للَّه.. فإن من كون الدين كله للَّه إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله والرق على رقابهم فهذا من دين اللَّه، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة»[٢].

والجهاد مستمر إلى قيام الساعة ولا ينتهي جهاد الكفار إلا إذا أسلموا أو خضعوا لحكم الإسلام، ودفعوا الجزية حالة كونهم متلبسين بالذل والصغار، وأجمع المسلمون على أن اليهود والنصارى من غير العرب إذا دفعوا الجزية وجب الكفّ عن قتالهم، أما غيرهم فأشهر المذاهب في ذلك أربعة:

الأول: وهو قول الشافعي والمشهور من مذهب الإمام أحمد ومذهب أبي ثور والثوري أنه لا يُقبل من أهل الشرك إلا الإسلام أو السيف.

الثاني: وهو قول أبي حنيفة ورواية عن الإمام أحمد وابن القاسم وأشهب وسحنون أن الجزية لا تؤخذ من العرب وتُؤخذ ممن عداهم من الكفار عمومًا.

---

(١) «الكافي في فقه أهل المدينة» لابن عبد البر ص(٤٦٦).

(٢) «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ١٨).

الثالث: وهو رواية عن الإمام مالك وادعى ابن جهم الإجماع أن الجزية لا تُقبل من قريش فقط وتُقبل من سائر الكفار.

الرابع: أن الجزية تُقبل من كل كافر على وجه الأرض أيًّا كان دينه. وهذا مروي عن الإمام مالك والأوزاعي وابن القيم، وإليه مال كثير من المعاصرين[١].

قال الدكتور علي بن نفيع العلياني:

«والذي يظهر لي واللَّه تعالى أعلم بالصواب أن القول الراجح هو قول الشافعي والمشهور عن الإمام أحمد، وهو أن أهل الشرك لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو السيف أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواءً أكانوا عربًا أم غير عرب فتُقبل منهم الجزية وكذلك المجوس وإن كانوا مشركين للأدلة المخصصة لهم من سائر المشركين»[٢].

جاء في كتاب «تنوير الأبصار».. وهو من أشهر كتب الأحناف ـ ما يلي (وهو ـ أي الجهاد ـ فرض كفاية ابتداء) وفرض عين إن هجم العدو»[٣].

وجاء في كتاب «تبين الحقائق شرح كنز الدقائق» وهو من مراجع فقه الأحناف ـ ما يلي: «الجهاد فرض كفاية ابتداء يعني يجب علينا أن

---

(١) «أهمية الجهاد» ص(١٨٦ ـ ١٨٧)، وانظر هذه المذاهب وأدلة أصحابها في «تفسير القرطبي» (٨/ ١١٠)، و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ٣٨٩)، و«اختلاف الفقهاء» للطبري ص(٢٠٠)، و«المغني» لابن قدامة (٨/ ٣٦٢).

(٢) «أهمية الجهاد» ص(١٨٨).

(٣) «حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة» لابن عابدين (٤/ ١٢٣).

نبدأهم بالقتال وإن لم يقاتلونا لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ و﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، وقال: ﴿انفِرُوا خِفَافًا﴾ الآية.

● وقوله ﷺ: «**الجهاد فرض ماض منذ بعثني اللَّه إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**»[١].

● وقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللَّه..**» الحديث وعليه إجماع الأمة»[٢].

وجاء في شرح «فتح القدير» ـ وهو من أمهات كتب الأحناف ـ ما يلي: «وقتال الكفار واجب وإن لم يبدءوا للعمومات»[٣] أي: عموم النصوص الشرعية، ويقول السرخسي: «فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول: الواجب دعاؤهم إلى الدين وقتال الممتنعين منهم من الإجابة؛ لأن صفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبها كانوا خير الأمم، قال اللَّه تعالى: ﴿كنتم خير أمة﴾.. الآية، ورأس الأمر بالمعروف الإيمان باللَّه فعلى كل مؤمن أن يكون آمرًا به داعيًا إليه، وأصل المنكر الشرك، فهو أعظم ما يكون من الجهل والعناد؛ لما فيه من إنكار الحق من غير تأويل، فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما يقدر عليه»[٤].

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب الغزو مع أئمة الجور برقم (٢٥٣٢).

(٢) «تبيين الحقائق» (٣/ ٢٤١).

(٣) «فتح القدير» لابن الهمام (٥/ ٤٤١).

(٤) «المبسوط» للسرخسي (٢/ ١٠).

*** لا للوحدة مع العلمانيين والالتقاء مع اليساريين لا بد أن تسير خطواتنا كلها وفق منهج الله: ولاءً وتعاوناً وشعاراً وفكراً وممارسة:**

«تجربة عبد الله عزام مع منظمة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية»

* قال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال ابن كثير: «أي بالتكذيب والاستهزاء فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره غير ما كانوا فيه من التكذيب.. والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمة: أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير موضعها»[1].

لا بد من المفاصلة بين المؤمنين والمشركين:

* قال تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾ [النساء: ١٤٠].

لا بد أن تتجرد الأنفس المجاهدة لله، وتتحرر من ضغط الأوضاع والضرورات والمصالح.

إن الحمية لله، ولدين الله، ولآيات الله.. هي آية الإيمان، وما تفتر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد، وينزاح بعدها كل حاجز، وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار.. وإن الحمية لتكبت في أول

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٧٧).

الأمر عمدًا، ثم تهمد، ثم تخمد، ثم تموت.

فمن سمع بالاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله. فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة. وهو المعبر بين الإيمان والكفر.

ما أحوج العصبة المؤمنة بعد أن تستيقن مهمتها في الأرض، وبعد أن تستوضح حقيقة العقيدة التي تدعو إليها ومقتضياتها من إفراد اللَّه سبحانه بالولاء بكل مدلولاته، وبعد أن تستصحب معها في مهمتها الشاقة تلك الحقائق والمشاعر.. ما أحوجها بعد ذلك كله إلى القطع والمفاصلة والتبرؤ.

لن يتحقق وعد اللَّه بالنصر والتمكين في الأرض بالالتقاء مع العلمانيين واليساريين مثلما حدث في تجربة عبد اللَّه عزام والإسلاميين عند انضمامهم لمنظمة فتح وهم يعلمون كيف نشأت وعلى يد من نشأت وبالرغم من هذا تساهلوا وانضموا وسمعوا وأطاعوا. ثم تمخّض الجبل فولد فأرًا.

❑ يقول الدكتور عدنان النحوي في كتابه «عبد اللَّه عزّام.. أحداث ومواقف»: «مع سنة ١٩٦٦م قامت جهود مكثفة لدراسة دور الحركة الإسلامية وموقفها من قضية فلسطين، ومن الأحداث الهائجة، ومن العمل الفدائي الدائر. كان هنالك ثلاثة آراء أو ثلاثة مواقف:

* **فريق يرى التعاون مع منظمة التحرير**: دون أن يقدِّم أسبابًا مقنعة لوجهة نظره هذه.

* **وفريق يرى ضرورة قيام العمل الإسلامي المتميز**: ليقدّم للناس

الصورة التطبيقية الصادقة لمعنى الجهاد في سبيل اللَّه شعارًا وفكرًا ومنهجًا وممارسة.

* وفريق ثالث وافق هؤلاء، ووافق هؤلاء، على بسمة هنا وبسمة هناك.. وفي مرحلة الحوار كان القرار عدم التعاون، وفي مرحلة أخرى تغيّر القرار إلى صورة أُخرى.

كان من أهم ما طرحه الفريق الثاني الذي كان ينادي بالجهاد في سبيل اللَّه، هو أن كل منظمة في داخل منظمة التحرير مرتبطة بصورة أو بأخرى باتجاه محدد وسياسة ملزمة ونهج خاص ـ وأن هذه المنظمات على هذا النحو التقت في إطار قومي إقليمي يصهر الجميع في بوتقته، على صورة لم تكن تسمح للنهج الإيماني المتميز أن يفرض وجوده وخطّه، مما يُفْقد العمل قدرًا غير قليل من استقلاله الحقيقي...

يضاف إلى ذلك أن منظمة التحرير قامت لتحقيق أهداف محددة أعلن عنها جمال عبد الناصر في تصريحه الذي نشرته مجلة ريالتي الفرنسية في عددها لشهر إبريل سنة ١٩٦٥م حيث قال: «نعم على الفلسطينيين أن يقوموا ابتداءً من الآن بتحقيق رغباتهم وجميع البلدان العربية مؤيدة إلى أقصى حد ما ستقوم به هذه المنظمة التي لها جيش تتولى تدريبه وتجهيزه الدول العربية. وعندما تستكمل المنظمة استعداداتها سوف تشرع في العمل من أجل تطبيق مقررات الأمم المتحدة بفلسطين وبحقوق العرب في فلسطين» إذن مهمة منظمة التحرير محددة منذ البداية، منذ سنة ١٩٦٥م: «من أجل تطبيق مقررات الأمم المتحدة بفلسطين».. فكيف ينسجم هذا مع الشعارات المطروحة والمواثيق المكتوبة [ويتناقض مع شعار إزالة دولة اليهود وعدم الاعتراف بكيانهم، فإلى أين

إذن تسير القافلة؟! وعلى من يقع اللوم والعتاب غداً إذا انجلت الأمور عن مأساة؟!!.

وهل المسلمون يؤيدون هذا الاتجاه؟ وهو اتجاه معلن غير مخفيّ، فإن غاب تصريح عبد الناصر عن مسامع بعض الناس، فقد وضع بعض رجال فتح والمنظمة كتبًا تفصّل ذلك. فكتاب «فلسطيني بلا هوية» لصلاح خلف، وخطاب ياسر عرفات في هيئة الأمم يطالب فيه بالدولة العلمانية في فلسطين، وكثير غير ذلك يكشف حقيقة الدور»[1].

❑ يقول الدكتور عدنان النحوي:

«وفي إحدى جولات الحوار انتهى الموقف بصورة سريعة إلى التعاون مع منظمة التحرير، واستمرت العلاقة والاتصالات التي كانت تظهر وتغيب، والتي كان من ثمرتها قيام القواعد التي تسمّى اليوم «قواعد الشيوخ» شمال الأغوار في منطقة إربد وكانت هذه القواعد لا تزيد عن أربع، وربما كانت أقل. وكانت تابعة كلها لقوات العاصفة وتحت إشرافها، على أن تُعطى القاعدة حق الأذان والصلاة. ولعلها كانت القواعد الوحيدة التي يقوم فيها الأذان في أوقاته، وتُقام صلاة الجماعة في أوقاتها. واشترك الشيخ عبد اللَّه عزام في إحداها، معلمًا وداعية إلى اللَّه ورسوله ومجاهدًا في سبيل اللَّه. ولعله رضي بذلك متوقعًا أن تكون هذه القواعد منطلقًا لبناء قواعد أخرى، يدوِّي فيها الأذان وتُقام فيها الصلاة وتقودها راية الإيمان والتوحيد. ولكن الظن لم يتحقق»[2].

❑ ثم قال النحوي: «هكذا أظن أنه ـ أي عزام ـ كان يأمل أو

(١) «عبد اللَّه عزام أحداث ومواقف» للنحوي ص(٢٩ ـ ٣١).

(٢) «عبد اللَّه عزام» للنحوي ص(٣٣ ـ ٣٤).

يتمنّى، وإلا فكيف قبل راية أخرى لتظلل قواعد الإيمان. لقد كانت تجربة حقيقية استفاد منها كثيراً في مقبل حياته ولكن هل أفادت التجربة الجميع؟! إن كثيراً من التجارب تضيع من حياة المسلمين! ولقد ألمح إلى هذه التجربة بمرارة في كتابه «حماس» دون أن يفصل في التحليل كانت القاعدة تابعة رسميًّا إلى فتح، إلى قوات العاصفة. وربما لم يتساءل الكثيرون في غمرة الفرحة لماذا تكون هذه القاعدة هي القاعدة الوحيدة.

وإذا كان الجميع يتغنّى بالإسلام في المناسبات والندوات فلماذا لا تكون القواعد كلها تحترم الإسلام وتنفِّذ نهجه على تكامله وتناسقه؟! وما هو معنى هذا الود والصحبة على مناهج متضاربة؟! وهل تستمر الحالة على هذا المنوال؟»[1].

❑ قال النحوي: «رأى عبد اللَّه عزّام أن الواقع يدفع القتال إلى دروب عدة ومسالك شتى. وأن الإيمان والتوحيد ليسا هما اللذيْنِ يقودان حقيقة الميادين هنا وهناك، وأن النهج الإسلامي لم يستطع أن يمسك بزمام الأمور.. وأن البوتقة الوطنية الإقليمية ما زالت هي التي تصهر العاملين كلهم، ولم يستطع التيار الإسلامي أن يقدم حقيقة الفكر والنهج، سواءً في الميدان العسكري أو السياسي، في قضية فلسطين حتى يجذب القلوب والسواعد إلى النهج المتميّز، النهج الموعود بالنصر»[2].

❑ يقول الدكتور النحوي عن انضمام عدد من شباب الحركة الإسلامية إلى حركة فتح يقول: «منهم من انسلخ عن آداب الإسلام

---

(١) المصدر السابق ص(٣٤).

(٢) المصدر السابق ص(٣٥).

وعن شرعه وقواعده. فمنهم من ترك الشعائر، ومنهم من تركت نساؤهم الحجاب وانطلقن سافرات، ومنهم من استباح الخمر، ومع ذلك كله فقد ظلت روابط الود والصداقة بينهم وبين صفوف الحركة الإسلامية مما سهّل عليهم نقل أفكارهم الوطنية والقومية واليسارية إلى عدد من أبناء الحركة الإسلامية وإن أقلّ ما فعلوه هو أنهم ميّعوا جدّية التصورات الإيمانية وخلطوها بانفتاح اليسار على قبول الكيان اليهودي في أرض فلسطين المسلمة. ومن خلال هذه التصوّرات المضطربة نشأت علاقات مختلفة بين منظمة التحرير والحركات الإسلامية المتعددة في مختلف البلدان العربية.. وأصبحت معاني الوطنية والقومية والإقليمية هي القوة الجامعة في كثير من الأحيان عمليًّا في الميدان، مع بقاء الشعارات المختلفة مرفوعة تتزاحم في الساحة، وتتنافس على إثبات الوجود تنافسًا تغيب في طيّاته القضايا الأساسية التي قام الناس لأجلها»[1].

ويقول النحوي: {«لم تستطع الحركة الإسلامية أن تتخذ موقفًا موحدًا من منظمة التحرير، فقد تضاربت الآراء والمواقف.. واستغرق الخلاف لقاءات كثيرة وزمنًا غير قليل، وتأثر التنظيم الفلسطيني بكل الخلافات القائمة في الحركة الإسلامية، وبعلاقات مضطربة لبعض أفراده مع منظمة التحرير.

وبالرغم من وجود رأي عام خافت ينادي بضرورة قيام الحركة الإسلامية بواجبها في بناء الجهاد الإسلامي المستكمل لشروطه ليتولى هو زمام قضية فلسطين، بالرغم من ذلك وبالرغم من الدراسات والشروح

(١) «عبد اللّه عزام» ص(٢٢).

والمناقشات، فإن الاتجاه الذي تغلّب عمليًّا هو التعاون مع فتح ومنظمة التحرير في ميادين عدة وتقديم مساعدات مالية لها.

ولقد برز هذا التعاون واضحًا في ما يسمى «بقواعد الشيوخ»، ويحدثنا عن مرارة هذا التعاون الدكتور عبد اللَّه عزّام ـ رحمه اللَّه ـ، الذي عانى هو نفسه من هذا التعاون في معسكرات «قواعد الشيوخ».

ويحدثنا حسين خليل حسين عن هذا التعاون بصورة أوضح وأوسع في كتابه «الشيخ عبد اللَّه عزّام» حيث يقول: «.. وهنا نود أن نقول بصريح العبارة أن الحركة الإسلامية قرّرت المشاركة في الجهاد لكنهم لم يرتكبوا حماقة تكوين منظمة مستقلة!!!.. فآثروا نكران الذات وانضووا تحت لواء حركة فتح!!![1] ، ورفضوا حتى مجرّد أن يطلق عليهم اسم «فتح الإسلامية»، وهذا الاختيار كان يجسّد علاقة حميمة ربطت بين الحركة الإسلامية ومعظم قادة فتح من أمثال أبي عمار وأبي جهاد وأبي إياد وأبي السعيد وأبي ماهر، وأبي صبري، وأبي سامي وغيرهم..» ويقول: «.. وفي فتح تلتقي كل الأفكار والآراء والتيارات على أن تصب جميعها في بوتقة واحدة...»، ويقول أيضًا: «كان زعماء هذه الحركة الإسلامية يشكلون أحد الروافد الرئيسية لمساعدة حركة فتح ماديًّا وسياسيًّا وفي الحقل الاجتماعي .. بل لقد كانوا في أحلك الظروف العصيبة يشكلون الدعامة القوية للحركة لمساعدتها على الوقوف في وجه كل العواصف والأعاصير المدمرة»[2][3] .

(١) انظر إلى هذا التخبط.. ولا يدل هذا إلاّ على عقيدة مشوّشة.

(٢) «الشهيد عبد اللَّه عزام» لحسين خليل حسين ـ دار أسامة للنشر ـ الرياض ـ الطبعة الأولى.

(٣) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٢١٧ ـ ٢١٨).

تعالى معي إلى أقوال عبد اللَّه عزام نفسه:

يقول الدكتور عدنان النحوي في كتابه «عبد اللَّه عزام»:

«ولنسمع رأي الدكتور عبد اللَّه عزام في كتابه «حماس» ص(٤٩) يقول ـ رحمه اللَّه ـ: . . وقد كانت بداية فتح نظيفة جَادّة فيها شخصيات متزنة. . ، ثمَّ رأيت الغُثاء وقد طمَّ وعمَّ عليها، وكثر الزبد بسبب الكوادر الواسعة التي لم تجد من يملؤها سوى الهاربين من التجنيد الإجباري أو الساقطين في امتحان الإعدادية العامة، أو الذين لم يجدوا عملاً في المجتمع، فالتجئوا إلى حمل السلاح دون تربية أو إعداد، والتقطتهم الأيدي اليسارية التي تتاجر بالدماء وتختفي غالبًا وراء أبواق أجهزة البثّ، لتبني قصور أمجادها على جماجم الطّيبين من أبناء فلسطين، الشباب الأغرار الذين التقطتهم وربتهم على اليسار والتمرّد على الأديان جميعًا، وعلمتهم تمجيد ستالين ولينين وجيفارا وماو وهوشي منه، ورفعت شعار العلمانية، وحاربت الملتزمين بأخلاقهم، وضيقت على الصادقين في مسيرتهم».

ثم يقول الدكتور النحوي معلقًا:

«حديث الدكتور عبد اللَّه عزّام يطرح أسئلة كثيرة. . أولاً: لماذا ربى هو بهذا التعاون؟! لماذا رضي المسلمون؟! هؤلاء الذين التجئوا إلى السلاح بدون تربية والتقطهم اليسار لماذا لم يلتقطهم المسلمون والدعاة المسلمون»[1].

ثم يقول ـ رحمه اللَّه ـ[2] في ص(٥١): «وعايشنا الأحداث سنة

(١) «عبد اللَّه عزام» للنحوي ص(٦٥).

(٢) عبد اللَّه عزام في كتابه «حماس» ص(٥١).

١٩٨٢م، إذ دخل اليهود لبنان وحاصروا بيروت، وتدخل العرب..»، إلى أن يقول: «والخدعة التي انقادت بها المنظمة يوم أَن رضيت أَن تلقي سلاحها وتخرج عزلاء يُوزَّعُون كما توزَّع سبايا الحروب، ثمَّ إبقاء النساء والأطفال في مخيمي صبرا وشاتيلا والعمل بهم تقتيلاً وذبحًا وبقر بطون النساء...».

❑ يقول النحوي: «معظم النقد والملاحظات كان ينصبُّ على الأشخاص وعلى العلاقات الشخصية، ولم يكن هنالك تحليل أو دراسة لنهج هذا الرجل أو هذه المؤسسة أو تلك وأهدافهم وتطابق النهج والأهداف. لم يكن هنالك دراسة للخُطة أو النهج حتى يتمَّ القبول أَو الرفض. التعاون أو عدمه، على أساس من قبول النهج والمسيرة والخطة والأهداف. لا بُدَّ من إثارة هذه القضية لخطورتها. فمنذ طفولتنا حتى يومنا هذا نتناول أخطر قضايا الأمة ونزنها بميزان الأشخاص وعلاقتنا بهم ونظرتنا لهم فقط، دون مناقشة المناهج والمسيرة والراية والأهداف، ودون ردّ ذلك كلِّه إلى ميزان ثابت. أَعرض هذه القضية لخطورتها في ميزان الإسلام وصدق الإيمان، ولخطورتها في صياغة جوهر الولاء في ميدان الممارسة والتطبيق، حين يتحول الولاء إلى أشخاص فقط ولاءً منعزلاً عن نهج وأهداف.

لا بد إذن أَن نلتزم مناقشة الخُطة والنهج والأهداف، مع مناقشة الأشخاص والعلاقات والسلوك، وردّ ذلك كله إلى منهج اللَّه ردًّا دقيقًا أمينًا، ينكشف من خلاله الولاء والعهود والمواثيق، ولنتحقّق من تطابق النهج والأهداف. ويقول الدكتور عبد اللَّه عزام عن تلك المنظمات واحدة واحدة حتى تلك التي تعاون معها في تجربته الأُولى، يقول: «.. إذ قلَّما

كنت تجد آنذاك مصليًا في المنظمات. ولعلك تستطيع أن تدرك السوء البالغ الذي كانت تحياه المنظمات والدرك الهابط الذي كانت تتخبَّط فيه أنه في ٤ نيسان ١٩٧٤م، (الذكرى المئوية لميلاد لينين)، اتفقت المنظمات جميعًا دون استثناء على أن تحتفل ولمدة أسبوع بهذه الذكرى..».

ويقول ـ رحمه اللَّه ـ كذلك: «وأذكر أني طُلبت لمحاكمة عسكرية؛ لأنني انتقدت جيفارا..» (يلاحظ القارئ الكريم أن هذا حدث في فتح التي كان يتعاون معها).

ويقول ـ رحمه اللَّه ـ كذلك في ص(٧٧): «لتَبَجُّح أَهل الباطل وانتفاشهم وانتفاخهم أن عدد المسلمين كان قليلاً في منظمة فتح. لقد كانت المنظمة اليسارية تسبُّ اللَّه ورسوله عمدًا أمامنا ليغيظونا،.. فكانت كلمة السرّ في الليل أثناء الحراسة شتم اللَّه أو النبي أو الدين..».

ويذكر بعض الأسماء التي برزت في فلسطين في الحزب الشيوعي، نُعيد بعض ما يرويه هنا للذكرى والعبرة والتأمل، ولمراجِعة حساباتنا ومسيرتنا ومواثيقنا: «وأبرزت اليهودية الشيوعية «إميل توما» سكرتيرًا لنقابة العمل الشيوعية في حيفا و«إميل حبيبي» سكرتيرًا لها في الناصرة، و«فؤاد نصر» سكرتيرًا لها في يافا». وكان الجميع يطالبون بإقامة دولة لليهود في فلسطين.

وكان محمود درويش وسميح القاسم يحملان العلم اليهودي الإسرائيلي في مؤتمر صوفيا الدولي! وكان هؤلاء كلهم يقولون عن اليهود: «شعب له حق الحياة كما لنا حق الحياة»! وأقول أيضًا: هذا ما نصّ عليه صلاح خلف في كتابه «فلسطيني بلا هوية». وهذا ما ردّده كثير من رجال المنظمة ومن رجال فتح. فلماذا كان القتال إذن؟!

لا شك أنها تجربة مرَّة في غاية المرارة. فهل نقل ـ رحمه اللَّه ـ تجربته هذه إلى المسلمين؟! هذا ما نعتقده! وهو لم يخض هذه التجربة وحده، فلقد خاضها أعداد تحطَّمت أحلامهم على نتائج هذه التجربة. ولكنها تظل تجربة غنيّة تعلّم المسلم معنى التعاون الذي يجيزه الإسلام والذي لا يجيزه. تعلمه معنى الولاء بين المؤمنين. فقد خضع هذا النَّفَر من المؤمنين لنظام منظمة التحرير، وقسوته عليهم وإذلاله لهم، بينما لم يتحمَّل المؤمنون بعضهم بعضًا، فدنا عدوٌّ ونأى صديق. واختلطت الشعارات والمبادئ والموازين.

تُعلّمنا هذه التجربة أن محمود درويش ورفاقه عَميتْ أَبْصارهم عن رؤية الحقيقة حين قالوا عن اليهود: إنه شعب له حق الحياة كما لنا حق الحياة، عميتْ أبصارهم عن رؤية الحقيقة مِنْ أنَّ اليهود أَخذوا ونالوا حقَّ الحياة في أَرض ليست لهم، وأَننا نحن خسرنا وحُرمنا من حق الحياة في أرضنا. والذي يثير العجب والذهول أن يردِّد هذا الكلام الذي يقوله محمود درويش ورفاقه بعضُ قادة المنظمة فيما يكتبون، ويؤمن به آخرون من القادة دون أَن يعلنوه، من الذين يعطفون على اليهود وحقِّ اليهود، وهم ينتسبون لنا، ويتظاهرون بأنهم يعرفون مأساتنا ومعاناتنا وهول الظلم الواقع علينا. ولكن هذه التصريحات لا تحمل إلا العطف على اليهود المعتدين، وإلا تأييد الظالمين، وإلا تجاهل ما يقع علينا، نحن أَهلهم، إن كانوا حقًّا ينتسبون لنا، من ظلم الظالمين المغتصبين المعتدين الطاغين»[1].

ويقول الدكتور النحوي أيضًا عن علاقة الإسلاميين بمنظمة

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٦٧ ـ ٦٩).

التحرير: «من محاضرة أحد الدعاة المسلمين، أحد الأساتذة الدعاة العاملين، من محاضرة في جامعة الكويت وعنوانها: «البنية الداخلية للتجربة الفلسطينية على صعيد قضية فلسطين»، نجد صورة واضحة عن طبيعة التعاون. كانت المحاضرة قبل قيام الانتفاضة، وبعد مجازر لبنان، وبعد انشقاق «أبي موسى» عن حركة فتح. كانت منظمة التحرير تمرُّ في أصعب ظروفها، كانت في واقع يهدِّد سلامة تنفيذ سياستها وأهدافها التي قامت عليها كما أعلنها عبد الناصر. في هذه اللحظات الحرجة في شهر رمضان لسنة ١٤٠٥هـ، جاءت المحاضرة لتوضح ظلالاً قوية من العلاقات، وتوضح أهمية الدعم الذي قدّمته الحركة الإسلامية لمنظمة التحرير، لتجتاز المحنة التي تمرُّ بها. ولقد عبّر الأستاذ الداعية عن ذلك بقوله: «الآن خلّه يطيب وبعدين نمسكه من ودنه»!، ولكن الحقيقة كانت أنَّ بعدين [أي: فيما بعد] التقى المجلس الوطني الأخير ليعلن السياسة الأخيرة، ولم تُمسك أُذن، ولم يتغير نهجٌ، وتحققت الأهداف المعلنة منذ سنة ١٩٦٥م، بالقرارات الخطيرة، والتنازلات الواضحة الكبيرة المذهلة! ومضت منظمة التحرير في إعلان تنازلاتها واضحة صريحة جريئة ثابتة، لا تحمل أيّ نيّة للتراجع، ولم يعد هنالك مجال للتراجع. ومن الأسئلة التي وجِّهت للمحاضر الكريم، ومن الإجابات عليها، يتضح الموقف والتعاون والدعم!»[1].

في قول الدكتور عبد اللَّه عزام، وهذا القول الأخير للدكتور أحمد نوفل: أول ما نلاحظه هو توافق النصيْنِ من حيث الدلالة على دعم الحركة الإسلامية لمنظمة التحرير!! وفي محاضرة الدكتور أحمد نوفل

(١) المصدر السابق ص(٦٤ ـ ٦٥).

تصريح واضح عن الأيادي الممدودة للتعاون!!

«ومن ناحية أخرى، فهنالك فرق كبير بين ما نسمعه من الأخ الكريم الأستاذ المحاضر في محاضرته التي ألقاها في جامعة الكويت، والتي أوردنا منها جملة أو جملتين لتعذر نقلها هنا كلها، وبين خلاصة التجربة والمشاهدة التي ينقلها الدكتور عبد اللَّه عزام، فبينما يعرض الأول من بين الانتقادات الرغبة في التعاون ومدّ الأيادي، ويسوّغ ذلك بالأخوة القائمة، فإن الآخر يكشف عن حسرة ومرارة وألم من نتائج التجربة. والأول حين يتحدث عن نتائج حرب لبنان سنة ١٩٨٢م، وخروج منظمة التحرير منها، فإنه يقول في محاضرته:

«الآن إذا وقع أخي المسلم وأصابته الجراحة..، نوقف الآن التلاوم، ليس لنا أن نتلاوم..»، أما الدكتور عبد اللَّه عزام فيقول: «والخدعة التي انقادات إليها المنظمة يوم أَن رضيت أَن تُلقي سلاحها وتخرج عزلاء يوزَّعون كما توزَّع سبايا الحروب...». ولا شك أن هاتين نظرتان مختلفتان لقضية واحدة. ربما كان الدكتور عبد اللَّه عزام استفاد من تجربته التي خاضها، وربما لم يستفد الآخرون الفائدة نفسها. وربما كان هنالك رأي ثالث»[1].

لقد قال بعض قادة فتح ممّن رغب الأستاذ الداعية بالتعاون معهم، ومدّ الأيدي لهم باسم الأخوّة التي ذكرها الداعية حين قال: «إذا وقع أخي المسلم..»!!، قال بعض هؤلاء الإخوة: «.. ولأن الحركة الفلسطينية حركة علمانية بصورة قاطعة»[2].

(١) المصدر السابق ص(٦٦ ـ ٦٧).

(٢) كتاب «فلسطيني بلا هوية» لصلاح خلف ص(٢٦٠).

« ويقول محمد درويش، كما يذكر عبد اللَّه عزام في كتابه «حماس»: «. . . وفي سنة ١٩٦١م دخلت الحزب الشيوعي، فتحدَّدت معالم طريقي» فلا عجب أن تسمعه شاعرًا تتغنّى به الصُّحُف العربية وهو يقول شعره: «نامي فعين اللَّه نائمة عنا وأسرار الشحارير».

من هذه المقتطفات والنصوص، ومن هذه المواقف والأحداث، ومن هذه العلاقات والارتباطات، يدرك كلُّ مسلم عرف دينه إيمانًا وعلمًا، أن العلاقات لم يكن ينظّمها «التوحيد» بقواعده وأسسه، ولم يكن يضبطها ويوجهها، وظلت العلاقات الشخصية تبرز في إطار واضح على شكل ما يسميه بعضهم بالأحلاف الوطنية، الأحلاف التي أصبح للمسلمين تجارب كثيرة مريرة فيها، تجارب لم يكن يستفيد منها إلا الفكر اليساري وحده. قد نعلن أن ولاءنا للَّه. ولكننا في واقع الممارسة يضطرب الميزان في أيدينا، فلا يعود التوحيد والإيمان وقواعدهما هي التي تحدِّد الولاءات، ولا هي التي تحدِّد الحبَّ أو البغض، ولا هي التي ترسم العهود والمواثيق. ولم يعد التوحيد بصورته القرآنية هو الذي يحدِّد المواقف والاتجاهات، ولا هو الذي يرسم المناهج، فتعددت الاتجاهات واضطربت وتصادمت!

لا تَقُل لي: مراحِلُ ودَهاء ... كل يوم تَضيقُ حَوْلي الحدودُ
كلَّ بضع من السنين ترانا ... ألفَ ميلٍ إلى الوراء نعود
وعدوِّي أراه يقفز وثبًا ... لمزيدٍ وما كفاهُ المزيدُ
لا تَقُلْ لي: رأيٌ وخطة نهج ... ذاكَ نَهْجٌ تضيع فيه الجهودُ
كلَّ يوم نرمي ونُعْلي شعارًا ... وعدوِّي له شِعارٌ وحيدُ

ولدينا من العواطف نارٌ أَكَلَتْنا ومِنْ هِوانا وقودُ
وخُطانا على الطريق شتاتٌ كل حِزْبٍ بما لديهِ سَعِيدُ»[١]

إن صاحب الدعوة والجهاد الحق له هدف، وله منهج، وله طريق، وهو يمضي في طريقه على منهجه إلى هدفه مفتوح العين، مفتوح القلب، يقظ العقل، لا يرضى بالوهم، ولا يعيش بالرؤى، ولا يقنع بالأحلام، ولا يرضى بالغبش.

❑ يقول الشيخ سيد قطب:

«ما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية[٢] في منتصف الطريق، ولا أن يلتقيا في أي طريق. وذلك حال الإسلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان.. جاهلية الأمس وجاهلية اليوم، وجاهلية الغد كلها سواء. إن الهوة بينها وبين الإسلام لا تُعبر، ولا تُقام عليها قنطرة، ولا تقبل قسمة ولا صلة. وإنما هو النضال الكامل الذي يستحيل فيه التوفيق».

❑ لا غبش ولا التواء ولا انحراف ولا خلط في العقيدة والمنهج..

إن التوحيد منهج، والعلمانية منهج آخر ولا يلتقيان.. التوحيد منهج يتجه بالإنسان إلى اللَّه وحده لا شريك له، ويحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، وآدابه وأخلاقه، وتصوراته كلها عن الحياة والوجود غير متلبسة بالشرك في أي صورة من صوره الظاهرة والخفية ... وهي تسير.

أول خطوة في الطريق هي تميّز الداعية وشعوره بالانعزال التام عن

---

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٧٠ ـ ٧١).

(٢) وهل بعد سب اللَّه ورسوله، وبعد الاستهزاء بدينه، وبعد اختيار العلمانية منهجًا وفكرًا هل بعد هذا كله جاهلية؟!.. إن لم تكن هذه جاهلية فليس على ظهر الأرض جاهلية.

الجاهلية: تصورًا ومنهجًا وعملاً، فلا التقاء في منتصف الطريق.

لا ترقيع، ولا أنصاف حلول، ولا التقاء.. وبغير هذه المفاصلة سيبقى الغبش وتبقى المداهنة ويبقى اللبس ويبقى الترقيع.. والدعوة إلى الإسلام والجهاد لا تقوم على هذه الأسس المدخولة الواهنة الضعيفة. إنها لا تقوم إلا على الحسم والصراحة والشجاعة والوضوح..

* **كلمات للحياة:**

يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ في «الظلال» (٢/ ٩٤٠، ٩٤١): «إن دين اللَّه ليس راية ولا شعارًا ولا وراثة!! إن دين اللَّه حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء، تتمثل في عقيدة تعمر القلب، وشعائر تقام للتعبد، ونظام يصرف الحياة.. ولا يقوم دين اللَّه، إلا في هذا الكل المتكامل.. وكل اعتبار غير هذا الاعتبار تمييع للعقيدة وخداع للضمير.

وصاحب الدعوة لا يكون قد بلّغ عن اللَّه إلاّ إذا أبلغهم حقيقة الدعوة كاملة.. وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل وبين ما يدعوهم إليه من الحق، حين يفعل هذا صاحب الدعوة.. ـ مراعاة للظروف والملابسات ـ يكون قد خدعهم وآذاهم»ا.هـ.

ويقول ـ رحمه اللَّه ـ أيضًا في «الظلال» (٥/ ٦١٧):

«إن كلمة «مصلحة الدعوة»[٢] يجب أن ترتفع من قاموس أصحاب الدعوات؛ لأنها مزلة، ومدخل للشيطان، يأتيهم حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص ولقد تتحول «مصلحة الدعوة» إلى صنم

---

(١) بدون الضابط الشرعي.

يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه منهج الدعوة الأصيل.

إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على منهجها، ويتحروا هذا المنهج، دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحرّي من نتائج..

فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتّقُوه هو خطر الانحراف عن المنهج لسبب من الأسباب، سواءً كان هذا الانجراف كثيرًا أو قليلاً واللّه أعلم منهم بالمصلحة، وهم ليسوا بها مكلفين، إنما هم مكلفون بأمر واحد: ألا ينحرفوا عن المنهج، وألا يحيدوا عن الطريق» اهـ.

*** الولاء للّه ولرسوله:**

«إن أول ما يولده التوحيد الصادق في نفوس المؤمنين ولاء خالص للّه سبحانه وتعالى، ولاء نقيّ، ولاء ممتد في حياة المؤمن، لا يضعف ولا يتقطع، ولا يتفلّت. وإن أول معاني الولاء أن يكون اللّه ورسوله أحب إلى المؤمنين مما سواهما، وأن يظهر هذا الحب الأعلى في الكلمة والرأي والشعار والخطوة والموقف، أن يظهر سمة بارزة في حياة المؤمن ويظل كل حب في حياة المؤمن في الحياة الدنيا يخضع لخصائص منهج اللّه، يحمل منه سماته وصفاته، ويحمل كذلك الموازنة الأمينة بين هذا الحب وذاك حتى لا تضل الموازنة ولا تتيه.

وإن المعنى الثاني للولاء هو أن لا يقوم في حياة المؤمن ولاء إلا أن ينبع من ولائه للّه، ويخضع له، ويرتبط به.

والمعنيان الأول والثاني مرتبطان معنى وفكرًا وممارسة»[1].

يجب أن لا يعلو شعار أبدًا على شعار التوحيد، ولا تعلو راية،

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٢٤٥ ـ ٢٤٦).

ولا يرتفع حب فوق حب اللَّه ورسوله.

إن جهاد الصحابة في أرض الشام وفلسطين قام على صفاء الإيمان والتوحيد، وصفاء الولاء، والعلم بكتاب اللَّه وسنة رسوله.

إن جَهْلنا عقيدة الصحابة الذين فتحوا فلسطين جعل الأمور تختلط علينا فلم نعد نعرف العدو من الصديق، وحتى صارت البسمة الصفراء تربط صداقة مع عدو، والكلمة المنافقة تنشئ ودًّا مع فاجر، والعناق المخادع يربط ولاءات، وبعد أن اتضحت الأمور كلها ما عذر المجاهدين الصادقين حتى يجهلوا القريب والبعيد، والمقرّب والمبعد، فدنا عدو ماكر، ونأى صديق وفيّ، وانسلّ شيطان واندس مجرمون.

ولقد استغل الأعداء والمنافقون هذا الجهل، فزيّنوا الباطل حتى صدّقه الجاهلون، وأخفوا الحق عن الغافلين.

إن قضية الولاء للَّه سبحانه وتعالى هي التي تقرر النصر أو الهزيمة، وهي منبع القوة في حياة المسلمين، وفي قضاياهم، ومصدر النصر كله من عند اللَّه، والركون إلى الظالمين يعني فقد القوة وفقد النصر، وأهم من ذلك كله، فإن الركون إلى الظالمين هو الطريق إلى النار، إلى جهنم.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

❑ حزب اللَّه ليس هو المرجو والمثل الأعلى، بل هم من الرافضة الذين يكفرون الصحابة ويفسقونهم، وحسن نصر اللَّه ليس صلاح الدين القرن العشرين فكفى دجلاً وتلميعًا بل هو خوميني العرب:

«لكم عانت أمة الإسلام من خلط المفاهيم وتشويه صورتها، ومن

تبديل الحقائق وتزويرها، ولكم عانت كثيراً من تجارب مريرة خدعتها زخرفة الصورة وبهاء منظرها، وحلو منطق مُزَخْرِفها..».

ومن هذا الخلط التلميع الدائم والمستمر لحزب اللَّه وكأنهم جند اللَّه المنتظرون حتى يقول أحد الناس عن حسن نصر اللَّه زعيم حزب اللَّه الشيعي: «إنه صلاح الدين في القرن العشرين».

هذه السنون الخداعة التي نعيش فيها جعلت من المبتدعة المتطرفين في بدعتهم قادة وأبطالاً تصاغ لهم الأمجاد كاذبة وتهتف لهم الجماهير.

❑ فهمي هويدي، وحلمي القاعود، ومجدي أحمد حسين، ومنتصر الزيات، ومحمد مورو، وعبد العظيم المطعني، ودعاة الإخوان يلمعون صورة حزب اللَّه المبتدع وكأنه قدوة الأمة:

إن العامي من أهل السنة تنضبط عنده المعايير أكثر مما تنضبط عند دعاة مشهورين على غير منهجه السديد، تختلط عليهم الأمور؛ لأنهم يقيسونها بعاطفتهم على غير هدى من عقيدة السلف.. وإلا فانظر إلى المرموقين وقولهم:

❑ يقول **فهمي هويدي**: في مقالة بعنوان «**إنهم يرصعون جبين أمتنا**»:

«إن المقاومة الإسلامية في لبنان تمثل لنا ضوءاً باهراً في الأفق المعتم، وصوتًا جسوراً وسط معزوفة الانكسار، وقامة سامقة تصاغر إلى جوارها دعاة الانبطاح والهرولة، وهي مع هذا كله لم تنل ما تستحقه من متابعة وتقدير في الخطاب الإعلامي العربي. ويحزن المرء أن بعضًا منا أغمضها حقها، محاولاً النيل منها وتلطيخ صورتها الوضاءة.

إن الإفصاح عن مشاعر المؤازرة والامتنان لأولئك الشباب بمثابة «فرض عين» لا يسقط بالتقادم!! إنهم يدافعون - بهذا الدور البطولي

الذي يقومون به ـ عن شرف الأمة العربية وعن الأمل في أعماق كل واحد فينا، إنهم يرفعون رؤوسنا عاليًا ويرصِّعون جبين أمتنا»[١] .

❑ ويقول «حلمي القاعود»: «إن حزب اللَّه يقوم بدور رائد في إيقاظ الأمة وتقديم الدليل على قدرتها لصد العدوان»[٢] .

❑ ويقول «مجدي أحمد حسين»: «فالمقاومة الإسلامية لحزب اللَّه واحدة من أبرز معالم نهضة الأمة وأكبر دليل على حيويتها»[٣] .

❑ ويقول منتصر الزيات:

«إن المؤشرات تدل على فشل محاولات التسوية الجارية لكونها انهزامية، وهذا يفتح الباب واسعًا لبقاء حزب اللَّه رمزًا حيويًّا للمقاومة الإسلامية!! بل والعربية، وسيتمتع في هذا الإطار بالشموخ والاستعلاء على كل دعاوى التسوية الاستسلامية السائدة في المنطقة»[٤] .

❑ ويقول د. محمد مورو: «لماذا حظيت المقاومة الإسلامية بهذا القدر الهائل من التضامن الشعبي العربي والإسلامي؛ بل من كل المستضعفين في العالم؟

وهل يتحول الطرح السياسي والحضاري لتلك المقاومة إلى أيديولوجية للمحرومين في كل مكان في العالم في مواجهة النمط الحضاري والقيمي الغربي الذي يهدد العالم بأسره؟ لماذا نجحت المقاومة

---

(١) «إنهم يرصعون جبين أمتنا» مقالة لفهمي هويدي بجريدة الأهرام (٣٠/ ٣/ ١٩٩٩م).

(٢) جريدة «الشعب» القاهرية الصادرة عن حزب العمل يوم (٩/ ٣/ ١٩٩٩م).

(٣) «وانتصرت المقاومة» لمجدي أحمد حسين ص(٧) ـ مركز يافا للدراسات والأبحاث ـ الطبعة الأولى.

(٤) جريدة «الحياة»، العدد (١٣٥١٢)، (٣/ ١٢/ ١٤٢٠هـ)، (٩/ ٣/ ٢٠٠٠م).

اللبنانية في أن تصبح طليعة لكل قوى التحرر العربي على اختلاف مشاربها الدينية والطائفية والسياسية والطبقية؟! وبصيغة أخرى: لماذا نجحت المقاومة اللبنانية في الخروج من مأزق الطائفية الضيق!!! إلى رمز للتحرر لكل إنسان مسلمًا كان أم مسيحيًّا، عربيًّا أم عالميًّا، أبيض أو أسود؟ لماذا كانت المقاومة ـ وحزب اللَّه بالتحديد ـ هي الجزء الحي في النسيج العربي الذي اهترأت الكثير من أجزائه وأُطُرِه الفكرية والتنظيمية؟»[١] .

❑ مهلاً مهلاً يا قوم، فما هكذا تورد الإبل.. لا تحسبوا الشحم فيمن شحمه ورم: أمام الحقائق ينهار هذا المديح الفارغ، ولنعد إلى الوراء قبل أن نتكلم عن حلم حزب اللَّه بتكوين دولة تقوم على تبنّي المذهب الجعفري الاثنى عشري منهجًا ونظامًا:ـ

❑ إن العلاقة بين لبنان وإيران علاقة متميزة على اختلاف مراحلها الزمنية: «فحين استولى الصفويون على حكم إيران في مطلع القرن السادس عشر وجعلوا من التشيع الإمامي دين الدولة والأمة، كان التشيع يذوي ويتلاشى، سواء في مدارس النجف أو في مدارس خراساسان، فعمد الشاه إسماعيل إلى استقدام علماء من جبل عامل ـ جنوب لبنان ـ لتدريس الفقه الإمامي، فكان منهم: بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين بن عبد الصمد الذي أصبح شيخ الإسلام في أصفهان على عهد الشاه عباس الكبير، وكان منهم أيضًا علي بن الحسين العاملي المعروف بالمحقق الكركي الذي روّج المذهب وبالغ في ذلك بحيث لقبه بعضهم بمخترع مذهب الشيعة»[٢] .

(١) «الجهاد في سبيل اللَّه، حزب اللَّه نموذجًا» للدكتور محمد مورو ص(٦٢) مركز يافا للدراسات والأبحاث.

(٢) «حقيقة المقاومة.. قراءة في أوراق الحركة السياسية الشيعية في لبنان» لعبد المنعم شفيق =

□ «ومنطقة جبل عامل (أو عاملة) في قلب جنوب لبنان كانت أهم مرجعية شيعية في العالم بين القرنين الميلاديين الرابع عشر والسادس عشر، ومع بداية هذا التعاون مع الدولة الصفوية أُبيد الآلاف من أهل السنة من العامة والعلماء، ففي تبريز ـ العاصمة ـ وحدها كان السنة فيها لا يقلون عن ٦٥٪ من السكان، وقد قُتل منهم في يوم واحد ٤٠ ألف سني!! كما أجبر الألوف على التحول القسري إلى مذهب الإمامية[١]. كما كانت هناك مؤامرات عديدة وتعاون مع قوى غربية على إسقاط الدولة العثمانية، وهي من الأمور غير الخافية عبر التاريخ[٢].

«وقد استهوت التجربة الصفوية الشيعية ـ المضطهدين ـ في العراق وجبل عامل ـ جنوب لبنان ـ والبحرين، وذهب العلماء بالخصوص ليدعموا تأسيس الدولة الشيعية (الصفوية) الوليدة»[٣].

* أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين[٤]:

لقد كان للحركات الباطنية الشيعية ـ من النزارية ـ الحشاشين ـ، والفاطميين المستعلية. والنصيرية ـ والدروز ـ أكبر الأثر في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين.

وكان لقلاعهم في الشام «قلعة المرقب» وقلعة الخوابي، وقلعة

= ص(٢٩) نقلاً عن «تطور الفكر السياسي الشيعي» لأحمد الكاتب، و«تاريخ جبل عامل» لمحمد جابر آل صفا.

(١) انظر: «تاريخ الصفويين وحضارتهم» لبديع جمعة وأحمد الخولي ص(٥٥) ـ دار الرائد العربي.

(٢) «مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية» ص(٧٧، ١٢٥).

(٣) «تطور الفكر السياسي الشيعي» لأحمد الكاتب ص(٣٧٩).

(٤) اسم كتاب رسالة ماجستير ليوسف إبراهيم الشيخ عيد ـ طبع دار المعالي.

صهيون، وقلعة المينقة، وقلعة بانياس ووادي التيم، وجبل الشوف، وجبل عالية ـ دور كبير في خيانة المسلمين، ولقد عاونوا الصليبيين على احتلال بلاد الشام وساعدوهم في ذلك، واغتالوا خلفاء المسلمين وعلمائهم وقوادهم: فقتلوا الخليفة المسترشد العباسي سنة ٥٢٩هـ، وقتلوا الخليفة الراشد العباسي سنة ٥٣٢هـ وقتلوا الوزير نظام الملك سنة ٤٨٥هـ، وقتلوا الوزير أبا المجاسن عبد الجليل سنة ٤٩٥هـ، وقتلوا أباطالب السميري الوزير سنة ٥١٦هـ، وقتلوا الوزير معين الملك «أبا نصر» والوزير عضد الدين أبا الفرج والوزير نظام الملك مسعود بن علي والوزير فخر الملك أبا المظفر عليّ بن نظام الملك وقتلوا من الفقهاء: الفقيه أحمد بن الحسين البلخي، وأبا القاسم ابن إمام الحرمين والفقيه عبد اللطيف بن الخجندي، والفقيه أبا المحاسن الروياني، والقاضي عبيداللّه بن علي الخطيبي، والقاضي صاعد بن عبد الرحمن أبا العلاء، والقاضي أبا سعد محمد بن نصر الهروي، والواعظ أبا جعفر بن المشاط، والواعظ أبا المظفر الخجندي.

ومن السلاطين قتلوا السلطان داود بن السلطان محمود، والسلطان بكتمر.

ومن الأمراء: الأمير بلكابك سرمز سنة ٤٩٣هـ، والأمير أحمديل بن إبراهيم الروادي والأمير تاج الملوك بوري بن طغتكين، والأمير آقسنقر الأحمديلي، والأمير أغلمش، والأمير شهاب الدين الغوري، والأمير جناح الدولة حسين، والأمير خلف بن ملاعب، والأمير شمس الملوك إسماعيل بن بوري والأمير برسق الكبير.

ومن قادة المجاهدين ضد الصليبيين قتلوا الأمير مودود صاحب

الموصل قتلوه بعد فراغه من صلاة الجمعة في مسجد دمشق وهو صائم، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين فيه: «إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على اللَّه أن يبيدها»[1].

وقتلوا قائدًا آخر من قادة الجهاد ضد الصليبيين وهو الأمير قسيم الدولة آقسنقر البرسقي سنة ٥٢٠هـ قتلوه في المسجد الجامع بعد صلاة الجمعة، وحاولوا قتل صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٠هـ داخل معسكر جيشه، ومرة أخرى سنة ٥٧١هـ وهو محاصر لحلب... وحاربوا صلاح الدين ونور الدين محمود زنكي وتحالفوا مع الفرنجة أيام أن كانت لهم دولة في مصر وهي الدولة الفاطمية.

❑ وماضي منظمة أمل الشيعية التي خرج منها «حزب اللَّه» أسود فلقد قتلوا المئات من الفلسطينيين وأهل السنة في المخيمات الفلسطينية بداية من ٢٠/٥/١٩٨٥ وحتى ١٨/٦/١٩٨٥، ودفعوا أهل السنة من الفلسطينيين لأكل القطط والكلاب وفعلوا ما لم تفعله إسرائيل وسقط من الفلسطينيين ٣١٠٠ بين قتيل وجريح، وذبحوهم من الأعناق واغتصبوا النساء وهذا نقدمه بداية لكلامنا عن «حزب اللَّه» الذي انبثق عن منظمة أمل وخرج من عباءتها.

*** من فم قادة حزب اللَّه ندينهم، فهم شيعة اثنا عشرية أسيادهم علماء قم وإيران:**

حتى لا يُزيّف الواقع ويُلَمّع المبتدعة من الشيعة من رجال حزب اللَّه

---

(١) «الكامل» لابن الأثير (١٠/٤٩٦، ٤٩٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/١٧٣)، و«الروضتين» لأبي شامة (١/٢٧).

فإنا ننقل أقوالهم وصلتهم بشيعة إيران إخوانهم في المذهب الاثنا عشري الجعفري: يقول محمد حسين فضل اللَّه المرشد الروحي لحزب اللَّه: «إن علاقة قديمة مع قادة إيران الإسلامية بدأت قبل قيام الجمهورية الإسلامية، إنها علاقة صداقة وثقة متبادلة، ورأيي ينسجم مع الفكر الإيراني ويسير في نفس سياسته»[(١)].

ولما قيل لحسن نصر اللَّه[(٢)] الأمين العام لحزب اللَّه: إن دور حزبه لن ينتهي؛ لأنه حزب مستورد من الخارج (سوريا أو إيران) فقال: «لنكن واضحين ونحكي الحقائق، الفكر الذي ينتمي إليه «حزب اللَّه» هو الفكر الإسلامي، وهذا الفكر لم يأت من «موسكو» أيام الاشتراكية ولا من «لندن» أو باريس، إذن نحن لم نستورد فكرًا، وإذا كان من يقول: إن الفكر إيراني. أقول له: إن هذه مغالطة؛ لأن الفكر في إيران هو الفكر الإسلامي الذي أخذه المسلمون إلى إيران، وحتى هذا الفكر خاص بعلماء جبل (عامل). اللبنانيون هم الذين كان لهم التأثير الكبير في إيران

(١) «مجلة المجتمع»، العدد ٩٥٥، «حلقات الإسلام والكونجرس»، الحلقة ٣٨ ص(٤٦)، د. أحمد إبراهيم خضر.

(٢) حسن عبد الكريم نصر اللَّه (خوميني العرب) من مواليد ٢١ أغسطس ١٩٦٠، عُيّن مسئولاً عن حركة أمل في بلدة البازورية في قضاء صور، وسافر إلى النجف في العراق عام ١٩٧٦م لتحصيل العلم الديني الإمامي، وعُين مسؤولاً سياسيًّا في حركة أمل عن إقليم البقاع وعضوًا في المكتب السياسي عام ١٩٨٢م، ثم ما لبث أن انفصل عن الحركة وانضم إلى حزب اللَّه، وعُيّن مسئولاً عن بيروت عام ١٩٨٥م، ثم عضوًا في القيادة المركزية وفي الهيئة التنفيذية للحزب عام ١٩٨٧م، واختير أمينًا عامًّا على أثر اغتيال الأمين العام السابق عباس الموسوي عام ١٩٩٢م مكملاً ولاية سلفه، ثم أعيد انتخابه مرتين عام ١٩٩٣م، و١٩٩٥م.
وردت هذه الترجمة لنصر اللَّه في مقدمة حواره مع «مجلة الشاهد السياسي»، العدد ١٤٧، ٣/١/١٩٩٩م.

على المستوى الحضاري والديني في القرون السابقة، أين هو الاستيراد؟ هذا الحزب كوادره وقياداته وشهداؤه لبنانيون»[١] .

وقال الناطق باسم حزب اللَّه ـ ذاك الوقت ـ إبراهيم الأمين: «نحن لا نقول: إننا جزء من إيران؛ نحن إيران في لبنان، ولبنان في إيران»[٢] .

ويقول حسن نصر اللَّه: «إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام، والدولة التي تناصر المسلمين والعرب! وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه، كما أن المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا»[٣] .

«وقد عيّن مرشد الثورة الإيرانية على خامنئي الشيخ محمد يزبك عضوًا ثوريًّا لحزب اللَّه والمدرس بحوزة الإمام المنتظر ببعلبك، والسيد حسن نصر اللَّه أمين عام الحزب «وكيلين شرعيين» عنه في لبنان في الأمور الحسبية والوجوه الشرعية، فيستلمان عنه الحقوق ويصرفانها في مصالح المسلمين ويجريان المصالحات الشرعية، ويعينان الوكلاء مِن قِبَلِهما»[٤] .

صلة حزب اللَّه بمنظمة أمل:

منظمة أمل هذه أنشأها موسى الصدر وله من الصلة الوثيقة بالخوميني ما له. يقول نبيه بري: «إن حركة أمل ليست حركة دينية، وميثاق الحركة الذي تمت صياغته في عام ١٩٧٥م من قِبَل ١٨٠ مثقفًا

[١] «مجلة المقاومة»، العدد (٤٠) ص(٢٩)، وهي مجلة شهرية تصدر في مصر، تعني بشئون حزب اللَّه، يصدرها د. رفعت سيد أحمد ـ مركز يافا للدراسات والأبحاث.
[٢] «جريدة النهار» (٥/ ٣/ ١٩٨٧).
[٣] «مجلة المقاومة»، العدد ٢٧ ص(١٥ ـ ١٦).
[٤] «مجلة السفير» اللبنانية (١٨/ ٥/ ١٩٩٥م).

لبنانيًّا معظمهم من المسيحيين!! يدعو إلى إلغاء النظام الطائفي»[١] .

في ٨/ ١٠/ ١٩٨٣م أعلن المفتي الجعفري عبد الأمير قبلان باسم المجلس الشيعي الأعلى ما يلي: «إن حركة أمل هي العمود الفقري للطائفة الشيعية، وإن ما تعلنه أمل نتمسك به كمجلس شيعي أعلى، ومن ثَمّ فإن ما يعلنه المجلس الشيعي تتمسك به الحركة»[٢] .

جاء هذا التأييد للحركة بعد الانشقاق الذي خرجت به «أمل الإسلامية» [حزب اللَّه فيما بعد] وبعد الحضور الفعلي «لحزب اللَّه» على أرض الصراع[٣] .

«وكان حسين الموسوي وهو نائب رئيس حركة أمل قد أعلن عن انشقاقه عن منظمة أمل وأعلن «أمل الأمل الإسلامية» التي تحولت فيما بعد إلى حزب اللَّه»[٤] .

❑ يقول حسن نصر اللَّه الأمين العام لحزب اللَّه: «إننا حريصون على علاقة طيبة مع «أمل» ونحن نعمل على تطوير هذه العلاقة، وهناك لجنة ثنائية من أحد قادة «أمل» مع أخيه في حزب اللَّه ينظرون في كل الأمور المشتركة سياسية وعسكرية، وسياستنا تقول: إن الموضوعات التي نتفق عليها نتعاون معًا، وما نختلف عليه لا يؤدي الخلاف في وجهة

---

(١) «حقيقة المقاومة» ص(١١٧)، و«نص الميثاق في أمل والشيعة» لنورثون ص(٢٢٩ ـ ٢٦٤)، و«أمل والمخيمات الفلسطينية» ص(١٥٥).

ونبيه بري كان رئيسًا لمجلس النواب اللبناني، وهو قائد حركة أمل وعضو المجلس الشيعي الأعلى.

(٢) «أمل والمخيمات».

(٣) «حقيقة المقاومة» ص(١٢٢ ـ ١٢٣).

(٤) انظر «حقيقة المقاومة» ص(١١٩).

النظر إلى نزاع، حتى الخلافات تم تنظيمها، والطابع العام لعلاقتنا الإيجابية والتنسيق والتعاون، وقبل أسابيع حضرت لقاء مع الرئيس (بري) لتثبيت هذه الصيغة وتفعيلها»[١].

قال حسن نصر اللَّه هذا الكلام عن «أمل» بعد ذبحها للفلسطينيين وأهل السنة.

❑ «وبهذا يتضح أنه لم يكن هناك إبعاد كبير «لحركة أمل» بقدر ما هو زحزحة من الصورة «العسكرية» والمواجهة إلى الساحة «السياسية» واستبقاؤها لأدوار أخرى تتوافق والمتغيرات السياسية لإيران وملفاتها في لبنان»[٢].

*** ميثاق حزب اللَّه ينص على أنه شيعي إمامي اثنا عشري جعفري:**

جاء في ميثاق حزب اللَّه المعلن في ٢٦ جمادى الأول ١٤٠٥هـ الموافق ١٦ شباط ١٩٨٥م: «إننا أبناء أمة حزب اللَّه التي نصر اللَّه طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم.. نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسّد حاضراً بالإمام المسدد آية اللَّه العظمى روح اللَّه الموسوي الخميني دام ظله.. مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة... أما ثقافتنا فمنابعها الأساسية: القرآن الكريم، والسنة المعصومة!!!!، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا...

إن الإمام الخميني القائد أكّد مراراً على ضرورة صلاح العالم

---

(١) حوار أجرته «مجلة المصور» المصرية في شهر مارس ١٩٩٩م، ونشرته «مجلة المقاومة» في العدد ٤٠ / إبريل ١٩٩٩م ص(٢٦).

(٢) «حقيقة المقاومة» ص(١٢٤).

واهتمامه بتزكية نفسه قبل الآخرين. . .»[١] .

* الخميني إمام حزب اللَّه ضال مضل شيعي اثنا عشري جعفري متطرف :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «. . . وقال بعضهم لأحمد بن حنبل: إنه يثقل عليّ أن أقول فلان كذا وفلان كذا. . . فقال: «إذا سكتَّ أنت وسكتُّ أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟ ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة والعبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحبّ إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه. . . وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين وهذا أفضل. فتبيّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل اللَّه، إذ تطهير سبيل اللَّه ودينه ومنهاجه وشريعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه اللَّه لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب. . فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء»[٢] .

الخميني ضال مضل وارجع إلى كتابه «الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه» وكتابه «تحرير الوسيلة» ومختصره «من هنا المنطلق» وكتابه «جهاد النفس أو الجهاد الأكبر». والأحاديث الواردة في الصحاح والتي بدونها يضيع ديننا لا ترد على لسانه أبدًا بل يرد في كتابه «الحكومة

(١) «حقيقة المقاومة» ص(٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٨).

(٢) «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية (٤/ ١١٠).

الإسلامية» ص(٣٧ وما بعدها) أنه لا يعترف بها.

يترحم الخميني على «النوري» صاحب كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» والذي طبع سنة ١٢٩٨هـ. وقد قال علماء الشيعة عنه إنه من أعظم علماء الشيعة وكبار رجال هذا القرن.

ويحيل الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» عند ذكره لأحد الأحاديث إلى كتاب «دعائم الإسلام» وهو الكتاب الأكبر عند الإسماعيلية الباطنية الغلاة.

ويرجع الخميني إلى كتاب «الكافي» للكليني وفيه من الكفريات والضلالات الشيء الكثير كالأحاديث الواردة فيه بنقض القرآن وتحريفه، وأن الأئمة يوحى إليهم، وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء، وأنهم إذا شاءوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم، وفيه تكفير أبي بكر وعمر وعمرو وعثمان، وعقيدة الكليني في القرآن أنه ناقص محرف.

* الخميني الضال يذهب إلى تحريف القرآن:

هناك إجماع من الشيعة وعلى رأسهم الخميني على تقدير النوري، صاحب كتاب «مستدرك الوسائل» ويترحم عليه، و«الكافي» للكليني، و«الوسائل» للحر العاملي»، و«الاحتجاج» لأحمد الطبرسي وكلها تقول بتحريف القرآن.

وبين أيدينا وثيقة وهذه الوثيقة كتاب باللغة الأردية موثق من عدد من آياتهم المعاصرة ومنهم الخميني وهو طبقًا لما جاء في صدر الكتاب مراعين في ذكرهم النص الأردي:

١ ـ آية اللّه العظمى... محسن حكيم طباطبائي مجتهد أعظم نجف أشرف.

٢ ـ آية اللَّه العظمى. . . أبو القاسم خوئي نجف أشرف.
٣ ـ آية اللَّه العظمى. . . روح اللَّه خميني.
٤ ـ آية اللَّه العظمى. . . محمود الحسيني.
٥ ـ آية اللَّه العظمى. . . محمد كاظم شريعتمداري.
٦ ـ مصدقة ماليجناب سيد العلماء علامة سيد علي تقي النقودي مجتهد لكهنو.

ويتضمن هذا الكتاب نصًّا بالعربية في حدود صفحتين كله يدور حول كيفية لعن صنمي قريش وهما حسب اعتقادهم ـ أبو بكر وعمر ـ واتهامهما بتحريف القرآن الكريم. . . ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾.

❑ وسنكتفي من هذا النص بموضع الشاهد لحديثنا.

«بسم الله الرحمن الرحيم. . . اللَّهم العن صنَمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وافكيهما وابنيتهما اللذيْن خالفا أمرك وأنكرا وحيك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرّفا كتابك»[1].

❑ الخميني: الذي يقول في كتابه «جهاد النفس» ص(١٨) عن معاوية ـ رضي اللَّه عنه ـ: «معاوية ترأس قومه أربعين عامًا، ولكنه لم يكسب لنفسه سوى لعنة الدنيا وعذاب الآخرة»، ويقول في «الحكومة الإسلامية» ص(٧١): «ولم تكن حكومة معاوية تمثل الحكومة الإسلامية أو تشبهها من قريب ولا بعيد».

ويتهم الصحابي الجليل سمرة بن جندب بأنه يفتري أحاديث تمس من كرامة أمير المؤمنين[2].

(١) «تحفة العوام» مقبول جديد ص(٤٢٢).
(٢) «الحكومة الإسلامية» للخميني ص(٧١).

❑ يعتقد الخميني في نصوص «الكافي» للكليني، وقد ورد فيه أن الصحابة ارتدوا إلا ثلاثة.

❑ **الخميني**: الذي يتهجم على هارون الرشيد فيصفه بالجهل فيقول: «وها هو التاريخ يحدثنا عن جُهّال حكموا الناس بغير جدارة ولا لياقة، هارون الرشيد، أية ثقافة حازها؟ وكذلك من قبله ومن بعده»[١].

❑ **الخميني**: الذي يطعن في خيار الأمة وينال من شرف روّادها يثني على الأقزام الملاحدة مثل النصير الطوسي فيقول: «ويشعر الناس بالخسارة أيضًا بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأمثاله ممن قدّموا خدمات جليلة للإسلام»[٢].

والطوسي هذا هو محمد بن محمد بن الحسن الخوجه نصير الدين الطوسي المسئول مع عدو اللَّه ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد عن الذبح العام الرهيب الذي ارتكبه الوثني هولاكو في أمة محمد ﷺ عند استيلائه على عاصمة الإسلام بغداد سنة ٦٥٥هـ، وكان الطوسي قبل ذلك من ملاحدة الإسماعيلية.

❑ قال ابن القيم: «ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاكو شفى نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه من الملاحدة واستشفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين.. ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد... وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من

---

(١) «الحكومة الإسلامية» ص(١٣٣).

(٢) المصدر السابق ص(١٢٨).

الملحدين الكافرين باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»[١] .

* **الخميني الضال المضل المغالي في أئمته الاثنا عشر:**

فيقول: «إن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون»[٢] .

ويقول في ص(٥٢): «والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارًا فجعلهم اللَّه بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا اللَّه، وقد قال جبرائيل ـ كما ورد في روايات المعراج ـ لو دنوت أنملة لاحترقت».

ويقول: «والأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة»[٣] .

ويقول في ص(٥٢): «وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

❑ قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: «ومن اعتقد في غير الأنبياء كونه أفضل منهم أو مساوٍ لهم فقد كفر، وقد نقل على ذلك الإجماع غير واحد من العلماء»[٤] .

وهذا هو مذهب غلاة الرافضة كما قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (١/ ١٧٧).

❑ قال الإخوان عن حكم الخميني أنه: «الحكم الإسلامي الوحيد في العالم».

---

(١) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (٢/ ٢٦٣).

(٢) «الحكومة الإسلامية» ص(٥٢).

(٣) المصدر السابق ص(٩١).

(٤) «الرد على الرافضة» لشيخ الإسلام ابن عبد الوهاب ص(٢٣).

ونحن نقول عن الخميني إمام حزب اللَّه أنه إمام من أئمة الكفر:

جاء في بيان التنظيم الدولي للإخوان المسلمين وصف حكم الخميني بأنه «الحكم الإسلامي الوحيد في العالم»[١].

وقالت مجلة الاعتصام: «أن ردود الفعل التي أحدثتها (حركة الخميني) كان مبعثها أن حركة الخميني حركة إسلامية مائة في المائة»[٢].

* **ونحن نقول عن الخميني أنه إمام من أئمة الكفر:**

وندلل على هذا بما سبق وقلناه عن عقيدته وبالآتي أيضًا.

(١) الاتجاه الوثني عنده:

في كتابه «كشف الأسرار» تحت عنوان «ليس من الشرك طلب الحاجة من الموتى»:

يقول: «يمكن أن يقال إن التوسل إلى الموتى وطلب الحاجة منهم شرك؛ لأن النبي والإمام ليس إلا جمادين فلا يتوقع منهما النفع والضرر.

والجواب: إن الشرك هو طلب الحاجة من غير اللَّه مع الاعتقاد بأن هذا الغير هو إله ورب.

وأما إذ طلب الحاجة من الغير من غير هذا الاعتقاد فذلك ليس بشرك، ولا فرق في هذا المعنى بين الحي والميت، ولهذا لو طلب أحد حاجته من الحجر والمدر لا يكون شركًا، مع أنه قد فعل فعلاً باطلاً!!!.

ومن ناحية أخرى نحن نستمد من أرواح الأنبياء المقدسة والأئمة

---

(١) انظر: «الشيعة والسنة ضجة مفتعلة» وهو من سلسلة الكتب التي تصدرها دار المختار الإسلامي ص(٥٢).

(٢) مجلة الاعتصام ـ العدد الخامس ـ السنة الثانية والأربعون ربيع أول ١٣٩٩هـ.

الذين أعطاهم اللَّه قدرة.

لقد ثبت بالبراهين القطعية والأدلة العقلية المحكمة حياة الروح بعد الموت، والإحاطة الكاملة للأرواح على هذا العالم!!!»[١].

(٢) اعتقاده تأثير الكواكب والأيام على حركة الإنسان وهو قول الصابئة الكفار:

يقول الخميني: «يكره إيقاعه ـ يعني عقد الزواج ـ والقمر في برج العقرب، وفي محاق الشهر، وفي أحد الأيام المنحوسة في كل شهر وهي سبعة: يوم ٣، ويوم ٥، ويوم ١٣، ويوم ١٦، ويوم ٢١، ويوم ٢٤، ويوم ٢٥ ـ وذلك من كل شهر ـ»[٢].

❑ ويقول صاحب «التحفة الاثنا عشرية: «إن الصابئين كانوا يحترزون عن أيام يكون القمر بها في العقرب، أو الطرف، أو المحاق وكذلك الرافضة»، وكانت الصابئة يعتقدون أن جميع الكواكب فاعلة مختارة، وأنها هي المدبرة للعالم السفلي، وكذلك الرافضة»[٣].

(٣) قوله بالحلول والاتحاد:

«وله كتابان خطيران في ذلك: «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية»، و«سر الصلاة».

❑ قوله بالحلول الخاص:

يقول عن أمير المؤمنين علي: «خليفته [يعني خليفة الرسول ﷺ]

---

(١) «كشف الأسرار» للخميني ص(٣٠).

(٢) «تحرير الوسيلة» للخميني (٢/ ٢٣٨).

(٣) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٢٩٩) لشاه عبد العزيز الدهلوي، واختصره الشيخ محمد شكري الألوسي ـ المطبعة السلفية ـ.

القائم مقامه في الملك والملكوت، المتحد بحقيقته في حضرت الجبروت واللاهوت، أصل شجرة طوبى، وحقيقة سدرة المنتهى، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى، معلم الروحانيين، ومؤيد الأنبياء والمرسلين عليّ أمير المؤمنين»[١].

ومن منطلق دعوى حلول الرب لعلي ـ كما يُفترى ـ ينسب الخميني لأمير المؤمنين علي أنه يقول: «كنت مع الأنبياء باطنًا ومع رسول اللَّه ظاهرًا»[٢].

ويعلق الخميني قائلاً: «فإنه عليه السلام صاحب الولاية المطلقة الكلية والولاية باطن الخلافة.. فهو عليه السلام بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس بما كسبت!!، ومع كل الأشياء معيّة قيّومية ظلية إلهية ظل المعية القيومية الحقة الإلهية إلا أن الولاية لما كانت في الأنبياء أكثر خصهم بالذكر»[٣].

ويقول في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، قال: «أي: ربكم الذي هو الإمام»[٤].

ب: قوله بالحلول والاتحاد الكلي:

يقول: «النتيجة لكل المقامات والتوحيدات عدم رؤية فعل وصفة حتى من اللَّه تعالى، ونفي الكثرة بالكلية، وشهود الوحدة الصرفة»[٥].

---

(١) «مصباح الهداية» للخميني ص(١).
(٢) «مصباح الهداية» ص(١٤٢).
(٣) المصدر السابق ص(١٤٢).
(٤) «مصباح الهداية» ص(١٤٥).
(٥) «مصباح الهداية» ص(١٣٤).

ثم ينقل عن أحد أئمته أنه قال: «لنا مع اللَّه حالات هو هو ونحن نحن، وهو نحن، ونحن هو»[١].

ثم يعلق على ذلك بقوله: «وكلمات أهل المعرفة خصوصًا الشيخ الكبير محي الدين مشحونة بأمثال ذلك مثل قوله: الحق خلق، والخلق حق، والحق حق، والخلق خلق».

«ويستدل على مذهبه في وحدة الوجود بقول ابن عربي والذي يصفه بالشيخ الكبير[٢]، والقونوي، ويصفه بـ «خليفة الشيخ الكبير محي الدين»[٣].

«وهكذا يتبين أن الخميني قد أخذ منهج أهل الحلول والاتحاد»[٤].

ثالثًا دعوى النبوة:

أفرزت لوثات التصوف عند الخميني دعوى غريبة وكفرًا صريحًا حيث يرسم للسالك أسفارًا أربعة:

- ينتهي السفر الأول إلى مقام الفناء.
- وينتهي السفر الثاني إلى الفناء عن الفناء وتتم دائرة الولاية.
- أما في السفر الثالث فإنه: «يحصل له الصحو التام ويبقى بإبقاء اللَّه، ويسافر في عالم الجبروت والملكوت والناسوت، ويحصل له حظ من النبوة، وليست له نبوة التشريع، وحينئذ ينتهي السفر الثالث، ويأخذ

---

(١) المصدر السابق ص(١١٤).
(٢) المصدر السابق ص(٨٤، ٩٤، ١١٢).
(٣) المصدر السابق ص(١١٠).
(٤) «أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» ـ للدكتور ناصر القفاري (٣/ ١١٥١).

في السفر الرابع»[١].

ـ وبالسفر الرابع: «يكون نبيًّا بنبوة التشريع»[٢].

فمراحل السفر عنده هي: الفناء، والولاية وفيها الفناء عن الفناء، والنبوة بلا تشريع، ثم النبوة الكاملة.

وقوله هذا يتضمن أن النبوة مكتسبة عن طريق «رياضات» ومجاهدات أهل التصوف.

قال القاضي عياض: «نكفّر من أدعى النبوة لنفسه، أو جوّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة الصوفية»[٣].

وقد ذكر الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية: «أن الفقيه الرافضي بمنزلة موسى وعيسى»، وادعى فخر الحجازي: «أن الخميني أعظم من النبي موسى وهارون» فعينه نائبًا عن طهران ورئيسًا لمؤسسة المستضعفين أعظم مؤسسة مالية في البلاد[٥].

* الخميني يكفّر صحابة رسول الله ﷺ عامة ويصرّح بتكفير الشيخين:

يقرر الخميني في كتابه «تحرير الوسيلة» مشروعية التبري من أعداء الأئمة في الصلاة[٦] ـ وأعداء الأئمة في قاموس الشيعة هم صحابة رسول الله ﷺ إلا ثلاثة أو سبعة.

(١، ٢) «مصباح الهداية» ص(١٤٩).

(٣) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠ ـ ١٠٧١).

(٤) «الحكومة الإسلامية» ص(٩٥).

(٥) «الثورة البائسة» لموسى الموسوي ص(١٤٧).

(٦) «تحرير الوسيلة» للخميني (١/ ١٦٩).

وهو في كتابه «كشف الأسرار» يصرّح بتكفير الشيخين[١] .

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي في ترجمته لبعض نصوص «كشف الأسرار» ما يتضمن مجاهرة الخميني بهذا الكفر[٢] .

* ونكفر الخميني بتفضيله مهدي الشيعة المنتظر على النبي محمد ﷺ:

فقد قال الخميني في خطاب له بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي ـ كما يعتقدون ـ في الخامس عشر من شهر شعبان ١٤٠٠هـ وأذيع من راديو طهران: «لقد جاء الأنبياء جميعًا من أجل إرساء قواعد العدالة لكنهم لم ينجحوا حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية.. لم ينجح في ذلك، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك هو المهدي المنتظر»[٣] .

❑ وفي احتفال رسمي وجماهيري أقيم في عبدان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م تأييداً لإقامة الجمهورية الإسلامية ألقى د. محمد مهدي صادقي خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة ومما جاء في هذه الخطبة:

«أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة

---

(١) «كشف الأسرار» للخميني ص(١١٢) وما بعدها، وانظر «صورتان متضادتان» لأبي الحسن الندوي ص(٥٧ ـ ٥٨).

(٢) «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية» لأبي الحسن الندوي ـ ندوة العلماء ـ الهند.

(٣) «مجلة المجتمع» الكويتية العدد (٤٨٨) في ٨/ ٧/ ١٩٨٠م، و«نهج الخميني في ميزان الفكر الإسلامي» لبشار عواد ص(٤٥ ـ ٤٧) دار عمار للنشر.

المكرمة حرم اللَّه الآمن يحتلها شرذمة أشد من اليهود. . .» وذكر قبل ذلك بأنه حين تثبت ثورته سينتقلون إلى القدس وإلى مكة المكرمة وإلى أفغانستان وإلى مختلف البلاد»[١] .

❑وانظر ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهده في أثناء زيارته لإيران، حتى يقول: بأنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران والذي يقيمون فيه شعارات مكتوبًا عليها «سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار»[٢] .

* حزب اللَّه من الشيعة الإمامية الاثنا عشرية الجعفرية ـ وهذه معتقداتهم الكفرية:

لقد أجاد وأفاد وأحسن في فضح الشيعة الاثنا عشرية الشيخ إحسان إلهي ظهير الذي تعد كتبه عنهم أحسن ما كتب في فضحهم حتى قتلوه ـ رحمه اللَّه ـ.

❑ قالوا بتحريف القرآن، وممن قال بذلك الكليني والنوري والحرالعاملي والخميني.

❑ وفي السنة المطهرة كانت لهم أصول منكرة كقولهم إن الإمام يوحى إليه بل يأتيه خلق أعظم من جبريل، ومن سمع حديثًا من أحد من الأئمة له أن يقول فيه: قال اللَّه؛ لأن قولهم كقول اللَّه.

❑ وفيهم روح القدس التي بها «عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت

---

(١) أذيعت هذه الخطبة من صوت الثورة الإسلامية من عبادان الساعة ١٢ ظهرًا من يوم ١٧/٣/١٩٧٩م

(٢) «الفتنة الخمينية» للشيخ محمد آزاد ص(٩).

الثرى» وبها يرون ما غاب عنهم في أقطار الأرض وما في عنان السماء، ويذهبون إلى عرش الرحمن كل جمعة ليأخذوا من العلم ما شاؤوا.

❑ وقالوا: إن اللَّه سبحانه يناجي عليًّا والأئمة.

❑ وهم جهمية في نفي الصفات، وقدرية في نفي القدر، ومرجئة في قولهم بأن الإيمان معرفة الإمام وحبه، ووعيدية بالنسبة لغيرهم، حيث يكفّرون ما عدا طائفتهم.

❑ ويعتقدون أن الأئمة أنزلت عليهم كتب إلهية، وعندهم كتب الأنبياء يقرؤونها ويحكمون بها.

❑ وقالوا: إن الأئمة يأكلون من الجنة في الدنيا، وأن حساب الخلق إلى الأئمة يوم القيامة.

❑ وقالوا: إن لِقم بابًا إلى الجنة، وأهل قم لا يحشرون كسائر الناس.

❑ وقالوا: بالإمامة، والعصمة، والتقية، والغيبة، والرجعة، والظهور والطينية، والبداء وغيرها من العقائد الكفرية مما يضيق المجال هنا لشرحه وبيانه[1].

* تكفير علماء الأمة للشيعة الإمامية الاثنا عشرية بسبب تكفيرهم للصحابة ولعنهم إياهم:

كتب الشيعة الإمامية وأقوال أئمتهم مليئة باللعن والتكفير لمن

---

(١) انظر كل كتب الشيخ إحسان إلهي ظهير: «الشيعة والتشيع»، و«الشيعة والسنة»، و«الشيعة وأهل البيت»، و«الشيعة والقرآن»، و«موقف الخميني من الشيعة والتشيع» لمحمود سعد ناصح، و«أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» للدكتور ناصر القفاري، و«جاء دور المجوس» للدكتور عبد اللَّه الغريب.

رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وسائر الصحابة أجمعين وتقول كتبهم: إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة: سلمان والمقداد وأبا ذر.

يقول ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفراً قليلاً.. إما بضعة عشر أو أكثر ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا»[١].

وهم يخصون كبار الصحابة بمزيد من الطعن والتكفير لهم، ولهم في ذلك أقوال ونصوص تقشعر من سماعها جلود المؤمنين.

وهم يخصون أبا بكر وعمر وعثمان ـ رضي اللَّه عنهم ـ وزراء رسول اللَّه ﷺ وأصهاره بالنصيب الأولى من التكفير، وانظر ما كتبه المجلسي شيخهم وكافرهم في كتابه «البحار» الذي يعدونه المرجع الوحيد في تحقيق المذهب، وانظر إلى «الكافي» للكليني، ورجال الكشي ونصوص كتب الشيعة تربو على المجلدات في تكفير الشيخين، بل ترى أن من أعظم الكفر الحكم بإسلامهما[٢]، وحينًا تنعتهم بأنهم الجبت والطاغوت[٣] وتارة تصب عليهم اللعنات ولا سيما في أدعية الزيارات[٤]، وأذكار ما بعد الصلوات حيث يستبدلونها بلعن الشيخين وسائر المسلمين[٥].

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣/ ٣٥٦).
(٢) «أصول الكافي» (١/ ٣٧٣).
(٣) المصدر السابق (١/ ٤٢٩).
(٤) «من لا يحضره الفقيه» لابن بابوية القمي (٢/ ٣٥٤).
(٥) «مستدرك الوسائل» للنوري (١٠/ ٣٤٢).

وقالوا: إن إبليس أرفع مكانًا في النار من عمر، وأن إبليس شرف عليه في النار.

وزعموا أن محمد بن أبي بكر بايع عليًّا ـ عليه السلام ـ على البراءة من أبيه[١] وأن أباه في النار[٢] «معاذ اللَّه».

❑ وقالوا تحت قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ قالوا: «ما بعث اللَّه نبيًّا إلا وفي أمته شيطانان يؤذيانه ويضلان الناس بعده، فأما صاحبا نوح... وأما صحابا محمد فجبتر وزريق[٣].

وزريق مصغر لأزرق والمراد أبو بكر، وجبتر معناه الثعلب والمراد به عمر.

❑ وفي قوله سبحانه: «﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾، قالوا: فلان وفلان، ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ يعني: نعثل، ﴿مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ طلحة والزبير، ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ معاوية»[٤].

قال المجلسي في «بحار الأنوار» (٢٣/ ٣٠٦): «المراد بفلان وفلان أبو بكر وعمر، ونعثل هو عثمان».

وكتب الشيعة الاثنا عشرية الرئيسية تطفح بهذا الركام:

«الكافي» للكليني، و«من لا يحضره الفقيه» لابن بابوية القمي،

---

(١) «رجال الكشي» ص(٦١).

(٢) «رجال الكشي» ص(٦٠).

(٣) «تفسير القمي» (١/ ٢١٤) طبعة النجف ١٣٨٦هـ.

(٤) «تفسير القمي» (٢/ ١٠٦)، و«بحار الأنوار» للمجلسي (٢٣/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

و«بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي، و«وسائل الشيعة» للحرالعاملي، و«مستدرك الوسائل» للنوري الطبرسي.

* **ولذا كفّرهم الأئمة:**

❑ قال النووي: «إن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع»[١].

قال الشيخ ملا علي القاري: «قلت: وهذا في غير حق الرافضة الخارجة في زماننا فإنهم يعتقدون كفر أكثر الصحابة فضلاً عن سائر أهل السنة والجماعة، فهم كفرة بالإجماع بلا نزاع»[٢].

❑ وذكر النووي في «شرح مسلم» أن الإمامية لا يكفرون الصحابة، ويرى أن التكفير إنما هو عند غلاة الشيعة[٣]، فالإمامية في عصر النووي كانوا لا يكفرون الصحابة، أو أن الإمام ـ رحمه اللَّه ـ لم يعرف ذلك عنهم.

وقد ذهب إلى كفرهم الإمام مالك، وأحمد، والبخاري وغيرهم كالقرطبي وابن تيمية والألوسي.

* **الإمام مالك:** روى الخلال عن أبي بكر المروذي قال: سمعت أبا عبداللَّه يقول: قال مالك الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس لهم اسم أو قال: نصيب في الإسلام[٤].

❑ قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ**

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/ ٥٠).

(٢) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لملا علي القاري (٩/ ١٣٧).

(٣) «شرح النووي» (١٥/ ١٧٣).

(٤) «السنة» للخلال (٢/ ٥٥٧).. وإسناده صحيح.

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال: «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك ـ رحمة اللَّه عليه ـ في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من أهل العلم»[1].

❑ قال القرطبي: «لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحداً منهم، أو طعن عليه في روايته فقد رد على اللَّه رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين»[2].

* **الإمام أحمد**: وردت عنه روايات عديدة في تكفيرهم:

فقد روى الخلال عن أبي بكر المروذي قال: سألت أبا عبد اللَّه عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: ما أراه على الإسلام».

❑ وقد جاء في كتاب «السنة» للإمام أحمد قوله عن الرافضة: «هم الذين يتبرءون من أصحاب محمد ﷺ ويسبونهم، وينتقصونهم ويكفرون الأئمة إلا أربعة: علي وعمار والمقداد وسلمان، وليست الرافضة

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٩)، وانظر «روح المعاني» للألوسي (٢٦/ ١١٦)، فقد ذهب إلى تكفيرهم، وانظر أيضًا في استنباط وجه تكفيرهم من الآية ـ في «الصارم المسلول» ص(٥٧٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٩٧).

من الإسلام في شيء»[١].

* وقال البخاري ـ رحمه الله ـ: «ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعارون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم»[٢].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: هما ملتان الجهمية والرافضية[٣].

وسأل رجل الفريابي عمن يشتم أبا بكر؟ قال: كافر، قال: فيصلى عليه؟ قال: لا. وقال: لا تمسوه بأيديكم ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته[٤].

وممن كفّرهم أحمد بن يونس، وأبو زرعة الرازي، وابن قتيبة.

قال عبد القاهر البغدادي: «وأما أهل الأهواء من الجارودية والهشامية والجهمية والإمامية الذين أكفروا خيار الصحابة ـ فإنا نكفرهم ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم»[٥].

وقال القاضي أبو يعلى: «وأما الرافضة فالحكم فيهم.. إنْ كفّر الصحابة أو فسّقهم بمعنى يستوجب به النار فهو كافر».

* وقال ابن حزم: «وأما قولهم ـ يعني النصارى ـ في دعوى الروافض تبديل القرآن، فإن الروافض ليسوا من المسلمين»... وهي طائفة تجري

---

(١) «السنة» للإمام أحمد ص(٨٢) تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري.
(٢) «خلق أفعال العباد» للإمام البخاري ص(١٢٥).
(٣) المصدر السابق ص(١٢٥)، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣٥/ ٤١٥).
(٤) «الصارم المسلول» لابن تيمية ص(٥٧٠).
(٥) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي ص(٣٥٧).

مجرى اليهود والنصارى في «الكذب والكفر»[١] .

ثم قال: «ومن قول الإمامية قديمًا وحديثًا أن القرآن مبدل..».

ثم قال: «القول بأن بين اللوحين تبديلاً كفر صريح وتكذيب لرسول اللَّه ﷺ»[٢] .

❑ وقال الإسفرايني: «وليسوا في الحال على شيء من الدين، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين».

❑ وقال أبو حامد الغزالي: «فلو صرّح مصرح بكفر أبي بكر وعمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ، فقد خالف الإجماع وخرقه، وردّ ما جاء في حقهم من الوعد بالجنة والثناء عليهم والحكم بصحة دينهم وثبات يقينهم وتقدمهم على سائر الخلق في أخبار كثيرة»، ثم قال: «فقائل ذلك إن بلغته الأخبار واعتقد مع ذلك كفرهم فهو كافر»[٣] .

❑ وقال القاضي عياض ـ رحمه اللَّه ـ: «نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء».

والشيعة المعاصرون يعدون هذا من ضرورات مذهبهم ومنكر الضروري كافر عندهم.

❑ وقال السمعاني: «واجتمعت الأمة على تكفير الإمامية؛ لأنهم يعتقدون تضليل الصحابة، وينكرون إجماعهم وينسبونهم إلى ما لا يليق بهم»[٤] .

---

(١) «الفصل» لابن حزم (٢/ ٢١٣).

(٢) «الفصل» (٥/ ٤٠).

(٣) «فضائح الباطنية» لأبي حامد ص(١٤٩).

(٤) «الأنساب» للسمعاني (٦/ ٣٤١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول اللَّه ﷺ إلا نفرًا قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب ـ أيضًا ـ في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم.

بل من يشكك في كفر مثل هذا؟ فإن كفره متعين»[1].

وساق الإمام ابن كثير بعض الأحاديث الثابتة في السنة، والمتضمنة نفي دعوى النص والوصية التي تدعيها الرافضة لعلي، ثم قال بعدها معقبًا: «ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم أطوع للَّه ولرسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدّمه، ويؤخروا من قدّمه بنصه، وحاشا وكلا، ومن ظن بالصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم ـ ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور، والتواطئ على معاندة الرسول، ومضادته في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحلّ من إراقة المدام»[2].

وكفرهم شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب في رسالته «الرد على الرافضة»، والشيخ شاه عبد العزيز الدهلوي في «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٣٠٠).

وكفرهم الإمام الشوكاني فقال: «وبهذا يتبين أن كل رافضي خبيث يصير كافرًا بتكفيره لصحابي واحد، فكيف بمن كفّر كل الصحابة

---

(١) «الصارم المسلول» ص(٥٨٦ ـ ٥٨٧).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٢٥٢).

واستثنى أفراداً يسيرة»[١] .

▫ وعندما جاء بعض آياتهم لمناظرة العالم الرباني الشيخ الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» قال لهم: «لو كنا نتفق على أصول واحدة لناظرتكم، ولكن لنا أصول ولكم أصول، وبصورة أوضح لنا دين ولكم دين»[٢] .

▫ وكفرهم الشيخ تقي الدين الهلالي في رسالته «مناظرتان بين رجل سني وإمامينِ مجتهدينِ شيعيين»[٣] .

* **للمخدوعين في «حزب اللَّه» الاثني عشري نقول:**

▫ إن لم ترضوا بأقوال هؤلاء العلماء الجهابذة من أساطين الإسلام، فاقرؤوا رسالة الشيخ محب الدين الخطيب: «الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية»، والشيخ محمد بهجة البيطار في كتابه «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» ص(١٣١)، والقاسمي، ومحمد رشيد رضا، والدكتور مصطفى السباعي في مقدمة كتابه: «السنة ومكانتها في التشريع» ص(١٧)، وهو شيخ الإخوان في سوريا ـ رحمه اللَّه ـ، والشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، وشيخ علماء الجزائر البشير الإبراهيمي، وأحمد أمين، والدكتور محمد رشاد سالم.

* **سلوا التاريخ يخبركم عن الرافضة الاثني عشرية:**

▫ [«من الذي تآمر مع التتار حتى استولوا على بغداد وقتلوا الخليفة

(١) «نثر الجوهر على حديث أبي ذر» للشوكاني.
(٢) «وجاء دور المجوس» ص(١٥١).
(٣) المصدر السابق ص(١٤٨).

المستعصم، وقتلوا معه ـ غدرًا وفي ساعة واحدة ـ مائتي وألف شخصية من العلماء والوجهاء والقضاة، واستمرت المذابح فيها بضعًا وثلاثين يومًا، قُتِل فيها حوالي ثمانمائة ألف مسلم ومسلمة؟.

ومن الذي تسبب في انحسار المدّ الإسلامي العثماني في أرجاء أوربة، وطعن الخليفة العثماني في ظهره بزحفه على عاصمة الخلافة بينما كان يتغلغل بجيوشه في أحشاء النمسا إلى أن دخل قلب «ڤيينا»، وكادت أوربا تدخل في حظيرة الإسلام لولا اضطرار الجيش العثماني إلى الانسحاب والرجوع إلى الرافضة لدحرهم ودفعهم؟»[١].

ومن الذي تحالف مع ملك المجر ضد الدولة العثمانية؟[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديمًا على بيت المقدس حتى استنقذه المسلمون منهم»[٣].

«ومن الذي سلّم أرض المسلمين في باكستان الشرقية لقمة سائغة للهندوس حتى يقيموا عليها الدولة المسخ «بنجلاديش»؟[٤].

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «وها هي باكستان الشرقية ذهبت ضحية بخيانة أحد أبناء «قزلباش» الشيعة يحيى خان في أيدي

---

(١) انظر: «الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا» للدكتور محمد عبد اللطيف هريدي ـ دار الصحوة ـ القاهرة.

(٢) مقدمة كتاب «حقبة من التاريخ» لعثمان الخميس والمقدمة للدكتور محمد إسماعيل المقدم ص(٩ ـ ١٠) ـ دار الإيمان.

(٣) «منهاج السنة» لابن تيمية (٤/ ١١٠).

(٤) مقدمة: «حقبة من التاريخ» ص(١٠).

الهندوس»[١] .

❑ وقد عارض شيوخ الشيعة في باكستان تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد قال زعيم الشيعة مفتي جعفر حسين في مؤتمر صحفي بأن الشيعة يرفضون تطبيق الحدود الإسلامية؛ لأنها ستكون على مذهب أهل السنة[٢] .

*** وللرافضة دور خبيث في عدم قيام دولة إسلامية في أفغانستان :**

وتعامل طهران مع نظام نجيب الشيوعي في كابول لم يعد سرًّا، وقد تلقى نظام كابول معونات مالية من طهران طيلة السنوات الماضية، كان آخرها ما صرّحت به إذاعة كابول الملتقطة في باكستان أن النظام الأفغاني تسلم من طهران معونة نقدية إلى صندوق اللجنة النسائية مقدارها ٤٥ مليون روبية أفغانية... وأصبح قادة المجاهدين يشيرون بأصابع الاتهام إلى ضلوع حكام طهران في كثير من محاولات الاغتيال الفاشلة والناجحة التي تعرض لها كثير من قادة المجاهدين المخلصين ومناصريهم في أفغانستان وباكستان[٣] .

*** الدولة الصفوية ترعرعت بشيعة لبنان ولا ينكر هذا حسن نصر اللّه ـ وهي التي ذبحت أهل السنة :**

في الدولة الصفوية التي أسسها الشاة إسماعيل الصفوي فُرِض التشيع الاثنى عشري على الإيرانيين قسرًا وجُعِل المذهب الرسمي لإيران.

---

(١) «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير ص(١١).

(٢) «الأنباءالكويتية» في (١/ ٥/ ١٩٧٩م).

(٣) «مجلة السنة» ـ العدد ١٧ ـ ربيع الثاني ١٤١٢هـ ص(٧١، ٧٢).

ولقد أعمل سيفه في أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم يجب عليه أن يهتف قائلاً: «بيش باد كم باد»، هذه العبارة تعني في اللغة الأذربيجانية أن السامع يوافق على السب ويطلب المزيد منه، أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبته حالاً، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع والأسواق وعلى المنابر منذرًا المعاندين بقطع رقابهم[١].

وكبير شيوخ لبنان الكركي الذي يلقبه الشيعة بالمحقق الثاني والذي قربه الشاه طهماسب ابن الشاه إسماعيل وجعله الآمر المطاع في الدولة فاستحدث هذا الكركي بدعًا في التشيع فكان منها «التربة التي يسجد عليها الشيعة الآن في صلواتهم، فقد ألف فيها رسالة سنة ٩٣٣هـ»[٢].

وهو «مخترع الشيعة» وقد ألف رسالة في لعن الشيخين - رضي اللَّه عنهما - سمّاها «نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت»[٣].

ويقال: إنه هو الذي شرع السبّ في المساجد أيام الجمع[٤].

فليهنأ حسن نصر اللَّه بشيوخه من الرافضة الذين أقاموا الدولة الصفوية.. التي تعاونت مع الأعداء مع البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس مع محاربتهم

---

(١) «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري» لكامل مصطفى الشيبي ص(٥٨).

(٢) «الفكر الشيعي» ص(٤١٦).

(٣) «الفكر الشيعي» ص(٤١٦).

(٤) الموضع نفسه من المصدر السابق.

للسنة وأهلها.

وما يقول حسن نصر اللَّه في أن أسياده بطهران لم يسمحوا ببناء مسجد واحد لأهل السنة حتى اليوم على الرغم من أنها تضم على مرأى ومسمع من الحكومة الإيرانية اثنى عشر كنيسة، وأربعة معابد يهودية وعدداً من معابد المجوس عبدة النار؟

* حسن نصر اللَّه وسوريا وإيران:

تتمتع القيادة الرسمية لحزب اللَّه، بما فيها الأمين العام الحالي حسن نصر اللَّه بعلاقات جيدة مع كل من سورية وإيران، ومن المرجح أن تستجيب لمتطلبات الأولى وحساسياتها بقدر استجابتها لمتطلبات الأخيرة وحساسياتها. وتقدير ميزانية الحزب بين العشرين مليون دولار والمئة والستين مليون دولار. والمال الإيراني يغرق لبنان عن طريق بعلبك منذ عام ١٩٨٢م، ويغدق على التنشئة العسكرية لميليشيات حزب اللَّه، كما يغدق للقيام بأعمال خيرية.

ويقدر زين حمود «دخل حزب اللَّه المالي النقدي من إيران بثلاثة ملايين دولار ونصف المليون في الشهر الواحد، بخلاف دخل شركات البناء والمقاولات والعقارات والاستشارات ومزارع الدواجن والسمك. وذلك منذ ١٩٩٠م، أما علي نوري زاده، فذهب إلى أن دخل الحزب الخميني بلغ عشرين مليون دولار في عام ١٩٩٠م، وخمسين مليون في عام ١٩٩١م، ويقدر أن يبلغ مئة وعشرين مليونًا في ١٩٩٢م، ومئة وستين في ١٩٩٣م»[1].

---

(١) «حزب اللَّه من الداخل ـ أسرار وخفايا» لزين محمود ـ مجلة الشراع (١٤/٨/١٩٩٥).

وتشير بعض المصادر إلى ارتفاع ميزانية حزب اللَّه في عهد رفسنجاني إلى ٢٨٠ مليون دولار[١].

وقد تواتر الخبر واستفاض العلم للقاصي والداني عن هذا الدعم الإيراني اللامحدود لحزب اللَّه.

«ولم تكن إيران وحدها على خط الدعم العام لحزب اللَّه، فقد كانت سوريا شريكًا وحليفًا قويًّا لإيران، وكان لهذا التحالف أثره على حزب اللَّه، وتحديد مساره»[٣].

* حقيقة النجاح العسكري لحزب اللَّه:

بداية نحن نفرح بأي انتصار حقيقي لحزب اللَّه على إسرائيل مثلما فرح رسول اللَّه ﷺ بانتصار الروم على الفرس؛ لأنهم أقرب إلى الحق من فارس فهم أهل كتاب وإن حرّفوا دينهم.

ونحن نفرح بانتصار هؤلاء المبتدعة من الشيعة الإمامية الاثنا عشرية من رجال حزب اللَّه.

وإن كنا نوقن بأن هذا النصر ليس على المستوى اللائق بهذا الزخم الضخم من الضجيج الإعلامي.

«ولقد أعلن زعماء حزب اللَّه في الماضي أنهم سيواصلون محاربة «إسرائيل» حتى «تحرير القدس»!! ولكنهم قالوا مرات كثيرة ما هو عكس

---

(١) «مجلة المجلة»، العدد ١٠١٣، (١١/٧/١٩٩٩م).

(٢) انظر حوار محمد حسين فضل اللَّه «مجلة الوسط»، العدد ٢٢٢/١١/٢/١٤١٦هـ، وحوار حسن نصر اللَّه مع «مجلة المقاومة» العدد ٣١ ص(٦).

(٣) انظر «حقيقة المقاومة» ص(١٦٣).

ذلك، أي أن هدفهم هو تحرير الأرض اللبنانية، وليس من شأنهم مواصلة العمل ضد «إسرائيل» بعد تحقيق هذا الهدف»[١].

«لم يبادر حزب اللَّه أبدًا بعمل ضد أراضي «إسرائيل»، وقصر هذا النشاط على الأراضي اللبنانية. ورغم أن مقاتلي حزب اللَّه قد وصلوا عدة مرات إلى خط الحدود، إلا أنهم لم يتسللوا إلى الأراضي الإسرائيلية، وكان يمكنهم أن يفعلوا ذلك بدون شك.

كما أن الحزب قد اعتمد على الحرب البعيدة وعدم المواجهة المباشرة مع جيش الدفاع الإسرائيلي، وذلك بزرع الألغام، والتي كانت تمثل نسبة عالية من الإصابات للجيش الإسرائيلي»[٢].

* شعارات لتخدير المغفلين لا تنطلي علينا:

مع أنه أتى في ميثاق حزب اللَّه أنه: «يجب إزالة إسرائيل من الوجود». ويدعو لتوحيد العرب والمسلمين ـ كما يقولون ـ لتحرير فلسطين كلها «من النهر إلى البحر!!» إلا أنه في الخطاب الذي ألقاه حسن نصر اللَّه في بنت جبيل عقب الانسحاب الإسرائيلي، والذي حضره مائة ألف جنوبي، أشار نصر اللَّه إلى أن حزب اللَّه لن يشارك في أي عمل عسكري ضد إسرائيل لهدف تحرير فلسطين!! وخلا هذا المهرجان الخطابي من شعار «زحفًا زحفًا نحو القدس».

وقد تكرّس التزام حزب اللَّه بضوابط الصراع مع إسرائيل في تفاهمي يوليو (تموز) ١٩٩٣م، إبريل (نيسان) ١٩٩٦م حيث تعهد الحزب

---

(١) «حقيقة المقاومة» ص(٢٢١).

(٢) «حقيقة المقاومة» ص(٢٢١).

بعدم ضرب أهداف إسرائيلية داخل فلسطين المحتلة بداية، وهو أمر كان الحزب يؤكد التزامه به، معتبراً أن إطلاق صواريخ «الكاتيوشا» على المستعمرات الإسرائيلية في الجليل ليس سوى رد فعل على الاعتداءات الإسرائيلية على المدنيين. وهذه المسألة تمثل تحولاً في رؤية حزب اللّه للصراع مع (إسرائيل) التي يتعاطى معها الحزب من حيث إنها أمر واقع موجود دون أن تكون لها أي صفة شرعية»[١].

* حسن نصر اللّه والسلام!!

«صرّح السفير السوري في واشنطن، وليد المعلم، أن حزب اللّه حركة مقاومة وطنية ولن تكون عقبة في طريق السلام إذا كان يلبي المصالح السورية واللبنانية، إن قيادة الحزب تدرك بأن أي اتفاق مقبول من سوريا ولبنان يكون ملزمًا لها على السواء.

وفي أثناء المباحثات السورية الإسرائيلية قصفت إسرائيل مدرسة أطفال في جنوب لبنان، بلدة عرب صاليم، وأدى ذلك القصف إلى جرح ١٥ تلميذاً وتلميذة وقد اضطر حزب اللّه إلى لزوم الصمت العسكري وعدم الردّ بالمثل لئلا يعكر جو المفاوضات!!!

بل لقد استبق حسن نصر اللّه الجميع باعترافه بأنهم أداة في يد المفاوضين في عملية السلام، فيقول: «إن المقاومة ورقة ضغط بيد المفاوض العربي»[٢].

---

(١) «حقيقة المقاومة» ص(٢١٤)، «جريدة الأنباء» العدد ٨٦٣٠، (٢٣/ ٢/ ١٤٢١هـ) ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٠م ـ وانظر «مجلة شؤون الأوسط» العدد ٥٩ يناير (١٩٩٧م) مقالة هيثم مزاحم: «حزب اللّه وإشكالية التوفيق بين الأيديولوجيا والواقع».

(٢) «جريدة الأنباء» (٨٣٣١) ١٤/ ٢/ ١٤٢٠هـ ـ ٢٧/ ٧/ ١٩٩٩م.

وهذا ما أكّده كذلك نائبه نعيم قاسم حين قال: «إن المقاومة تخدم الموقف السوري بشكل صريح؛ لأن سوريا تعتبر المتصدي الأساسي من خلال قدرتها على إدارة الوضع في المنطقة»[١].

وكما كان لحزب اللّه دور هام في ترسيخ الوجود الإيراني في لبنان، فقد كان له الدور نفسه في خدمة سوريا، وهذا ما دفع صحيفة (لوموند) الفرنسية إلى القول بأن دمشق استعادت دورها عاصمة للسياسة الشرق أوسطية، وذلك من طريق لبنان ودور الحزب الخميني فيه[٢]»[٣].

* حزب اللّه مبتدعة حتى النخاع:

بدت البغضاء من أفواههم لأهل السنة، وما تخفي صدورهم أكبر، فعقب اتفاق الطائف الذي كان من أسباب وقف الحرب الأهلية التي كانت تدور في لبنان كانت هناك عبارات مكتوبة «الوهابيون رجس من عمل الشيطان!!، سننتقم من الوهابيين، لن تمرّ هذه الجريمة دون عقاب».. هذه العبارات كانت محمولة على لافتات في تظاهرة أخرجها «حزب اللّه» في الجنوب اللبناني[٤].

□ وفي معرض رده على الأسئلة الموجهة إليه في أحد البرامج قال محمد حسين فضل اللّه: «لم يكن هؤلاء الذين حكموا العالم الإسلامي في الماضي يحكمون باسم الإسلام فنحن لا نعتقد ـ على سبيل المثال ـ

---

(١) «مجلة المجلد» العدد (١٠٣٢) ٢٧/ ١١/ ١٩٩٩م ـ ١٣/ ٨/ ١٤٢٠هـ.

(٢) «لوموند» ٢١/ ٢/ ١٩٩٥م.

(٣) «حقيقة المقاومة» ص(٢٠٧، ٢٠٨).

(٤) «حقيقة المقاومة» ص(١١).

أن الحكم العثماني كان عادلاً وحرًّا وإسلاميًّا!!!»[1].

إن حزب اللَّه استنساخ لعقيدة الآيات في قمّ.. يبث الحزب بدعه وسمومه ولعنه للصحابة وتفسيقهم وتكفيرهم في الحوزات والحسينيات ويستخدم التقية في طابوره الإعلامي: «تلفزيون المنار، وإذاعاته، صوت المستضعفين، و«صوت الإيمان»، و«صوت الإسلام» وصحيفته العهد، و«المقاومة» تصدر في مصر والقائم على إصدارها يساري مصري وترسم صورة نقية شفافة لحزب اللَّه لا تشوبها شائبة لخداع السذج.

ومع هذا فهم يبثون سمومهم وعقائدهم من خلال دور نشرهم: دار التيار الجديد ببيروت بلبنان وقد أصدرت كتيب «يا شهيد ـ لطمات حسينية»، والدار الإسلامية، وتتولى طبع كتب محمد حسين فضل اللَّه «الزعيم الروحي لحزب اللَّه».

وتقوم مؤسسة أهل البيت بطبع مراجع الشيعة مثل كتاب «الاحتجاج» للطبرسي، ونشرت دار الأضواء بعض الكتب التي كتبها كبار مؤلفي الشيعة مثل: الشريف الرضي ونصير الدين الطوسي.

وعلى شبكة الإنترنت تقوم مواقع حزب اللَّه وأبرزها «المقاومة» و«حزب اللَّه» و«المنار».

ولكن لا ينطلي دجلهم وكذبهم وعورهم على أهل السنة النابهين بل وعَوام أهل السنة الذي يهزم الواحد منهم جيشًا من المبتدعة.

---

[1] «قراءة في فكر زعيم ديني لبناني» ضمن حلقات «الإسلام والكونجرس الأمريكي» د. أحمد إبراهيم خضر ـ «مجلة المجتمع» العدد (٩٥٣) ص(٤٥).

* تمخَّض الجبل فولد فأرًا:

وهكذا تمخض الجبل فولد فأرًا... ويومًا ما سيعلم الناس الدور الخفي لحزب اللَّه كحزام أمني يحمي حدود إسرائيل الشمالية من أهل السنة.. قد يكون هذا الكلام جد غريب.. وستكشف الأيام عن هذا.

تمامًا مثل فضيحة «إيران جيت» التي سرّبها مهدي هاشمي - صهر آية اللَّه منتظري المرشح السابق لخلافة الخميني وأحد دعاة تصدير الثورة - مسئول مكتب دعم حركات التحرير في العالم عام ١٩٨٦م، وتم إعدامه ١٩٨٧م لتسريبه هذه الفضيحة التي كشفت للناس دجل الشيعة في إيران.. فما ظنك بأذنابهم في لبنان، ومن أراد المزيد في قضية «إيران جيت» فليرجع إلى مذكرات وزير الخارجية الأمريكي وقت حدوث الفضيحة (جورج شولتز) «اضطراب ونصر» - الأهلية للنشر والتوزيع بعمان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

□ وكم في الحسينيات والحوزات والزوايا يا مبتدعة الحزب الخميني «حزب اللَّه» من خبايا.

كم في الزوايا من خبايا، وإنّ موعد كشف زوركم لآت، وكل آتٍ قريب.. ويومها سيعلم الناس أن العدو لمّعكم لتكونوا حائطًا وسورًا منيعًا لحدوده الشمالية من أهل السنة... قد يكون هذا الكلام غريبًا في حاضرنا ولكن المستقبل يحمل ما يحمل والأيام حُبلى بالأعاجيب التي قد لا يصدقها عقل الآن... ولا نستبعدها نحن أهل السنة من استقرائنا للتاريخ.

* وأخيراً:

يقول ابن تيمية في كلمات له أسطع من الشمس في صدقها:

«فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًّا وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة»[١].

وقال: «ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن إنما تخرج عنهم»[٢].

من مجّد «حزب اللَّه» بعد ما سردنا من عقيدته وعقيدة إمامه الخميني فهو غاش لأهل الإسلام متشدق بفرية ما بعدها فرية، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

«الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل»، تلك الحكمة التي تجلّت في بعض المواقف الشجاعة من دعاة خُدِعوا أولاً بالسراب الإيراني، ثم لما لم يجدوه شيئًا أعلنوا رجوعهم للحق، وحذّروا الأمة، وكتبوا ناصحيها ومحذريها، وأخص بالذكر الأستاذ/ سعيد حوى ـ رحمه اللَّه ـ فرسالته الرائعة «الخمينية شذوذ في العقائد، وشذوذ في المواقف» خير مثال على ذلك»[٣].

فكل من سطّر حرفًا في الثناء على حزب اللَّه وأنه أمل الأمة

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٢٤٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٤٥).

(٣) من كلام الشيخ محمد إسماعيل المقدم في مقدمته «لحقبة من التاريخ» ص(١٦).

المنشود في طرد إسرائيل وتحرير القدس بعد أن بينا وأطلنا في النقل عن عقيدتهم، فإنا نقول فيه:

أثّـر البهتـان فيـه ... وانطلى الزور عليـه
مـلأ الجـوّ صراخًا ... بحيـاة قـاتـلِيـه
يا لَـهُ من بـبّـغـاء ... عقـله في أذنـيـه

❁ ❁ ❁

ولِلَّه در القائل:

يا إخوة الإيمان نهر عقيدتي ... يجوى وقد شكت الجفافَ الأنهرُ
نهرٌ روافِدُه تصفِّق للندى ... طربًا يحيط بها البساط الأخضرُ
نهرٌ من الإسلام يبدأ نبعُه ... وعلى مرافِئِهِ يطيب المنظرُ[1]

ويقول عن دعاة القومية والعلمانية:

غضبتُ لأمتي ممّنْ يغنّي ... لها وفؤاده دنسٌ وحِقدُ
تُعيرهم الصّحافةُ مقْلتيْها ... فهُم في عُرفها الركنُ الأشَدُّ
لهُمْ عبْر الإذاعة ألفُ صوتٍ ... وفي التِّلْفازِ أذرعَةٌ تُمَدُّ
على وطنية التفكير قاموا ... وتحت غطائها قبضوا ومدّوا
وباسم ثقافة العصر استباحوا ... حِمَى الفكر الأصيلِ وعنه نَدُّوا
أقول لهم ثقافتكم هباءٌ ... وليس لغيمكم برقٌ ورَعْدُ

(١) من قصيدة «لا تسألوا عن أمتي» للعشماوي من ديوانه «يا أمة الإسلام» ص(٧٦) ـ الناشر مكتبة العبيكان.

أقـولُ لهم: كتـاب اللّه فيكم ... إلى يَنبـوعـه الصـافي المَـرَدُّ
لنـا وطنيـة ليست نشـازًا ... فما تجـفـو الكتـابَ ولا تَنِـدُّ
لنـا البيت الحرام، لنا حـراءٌ ... نعـم، ولنـا تهامتنـا ونجـدُ
لنـا الأقـصى، لنا شـام ومصـر ... لنـا يَمَـنٌ وبـغـدادٌ وسِـنْدُ
لنـا في المغـرب العربـي أهـلٌ ... وأحبـابٌ، وفي كابـول جنْـدُ
لنـا الإسـلامُ يجمـع شـمل قومي ... وإنْ ورمتْ أنـوفُ من استبـدُّوا
ولا وطنيـة لدعـاة فكـرٍ ... دخيـلٍ، مِنْ سِـوانا يُسْـتَمَدُّ
إذا صـارتْ روابطُنـا تُرابًـا ... عليـه حبـال أمّتنـا تُشَـدُّ
فلا تعجبْ إذا اضطربتْ خُطانا ... وسـاوَمَنا على الأمجـادِ وَغْـدُ
ولا تعجب إذا صـارتْ رُؤانـا ... تَغِيمُ، وقَصْـرُ فرحتنـا يُهَـدُّ[1]

□ وللّه دره حين يقول:

هم أيها الأقصى دُعاةُ «عروبةٍ» ... بثيابها المستوردات تسربلوا
ملئـوا حقائبَهم بقوميّاتهم ... يا بئس ما حملوا، وما لم يَحمِلُوا
أفكارُ أمتنا تُصاغُ صياغَةً ... عند العدوّ، وداؤها متأصِّلُ
عُلَب يُغَلّفُها العدوُّ، وخَتْمُه ... فيها الصليبُ ونجمةٌ والمنجَلُ
يا ويحَ أمتنا ينكّس رأسُها ... عمْدًا، ومقلُتها الجميلةُ تُسْمَلُ
يا ويح أمتنا يمزَّق ثوبُها ... بيد ابنها الباغي الذي لا يَعقِـلُ
يا ويح أمتنا بخنجر بعضِ مَنْ ... نُسبوا إليها تُستباح وتُقتَلُ

(١) من قصيدة «دمعة حزن في مقلة عروس» للعشماوي ص(١٧١ ـ ١٧٣) من ديوان «يا أمة الإسلام».

يا مسجدَ الأقصى، عروبةُ قَوْمَنا ... وَهْمٌ كبير ما عليه مُعَوّلُ
زفّوا إلى الأوطان علمانيّةً ... سوداءَ، بالدَّعوى تصاغُ وتُصقَلُ
قالوا ستمحو الجرحَ عقلانيّةٌ ... فلبئس ما نطقوا به وتقوّلوا
غرسوا على درب الكرامة حنظلاً ... يا ليت شعري، هَلْ يساغُ الحنظلُ
ألقوْا كتاب اللَّه خلف ظهورهم ... وتلاعبوا بنصوصه وتأوّلوا
يا مسجد الأقصى، عواصف أمتي ... عصفتْ، وربّان السفينة أعزلُ
فإلى متى نبقى على أوهامهَا ... نبني، وعن نهج العقيدة نَشْغَلُ
يا مسجد الأقصى تَراكَمَ حولنا ... هَمٌّ، وأوهام، وليلٌ أليلُ

عُذْرًا، فقد يصحوا النَّؤوم ويمتطي
ظهرَ البطولةِ مَن لديه المِشْعَلُ
نَسْعَى، ونُنْذِرُ قومَنا، وإلهُنا
يقضي، ويكتب ما يشاء، ويفعَلُ[1]

❁ ❁ ❁

❑ يقول أحمد فرح عقيلان:

إنّ العروبة روحها إسلامها
والجسم دون الروح معناه الردى
اسأل صلاح الدين في حطينة
متفقهًا.. متديّنًا.. متعبدا

(١) من قصيدة «وقفة على بوابة المسجد الأقصى» من ديوان «يا أمة الإسلام» للعشماوي.

من يلتمس غير الحنيفة منقذاً
فهو الذي ابتاع الضلالة بالهدى
لما تبدّلنا شرائع غيرنا
بشريعة الإسلام أصبحنا سُدى
تلك المبادئ مزّقت أعلامنا
وغدا بها الشمل الجميع مبددا
وإذا اليهوديّ الذليل يجوس في
أقداسنا متبجحًا.. متمردا
إن الذي كتب اليهود أذلّة
كتب العلاء لحزبه والسؤددا
جيش العروبة حين أعلن أنّها
دين أقام العالمين وأقعدا
واليوم أعلن أنها دنيا فما
صمدت لفئران البرّية شرّدا!![1]

ويقول:

إن يُسلخ العُرب من إسلامهم رجعوا
على شمال المعالي بعض أصفار
اللّه يا قوم بالقرآن شرّفنا
فهل نبدّله مسموم أفكار

---

(١) ديوان «رسالة إلى ليلى» ص(٧٩).

مبـــادئ الكفر قـــد جـــرّت هزائمنا

وصيّرت عارنـــا نشـــرات أخبـــار

يا قـــوم لا ترتضـــوا الأصنـــام آلهـــة

فإنهـــا أهدرتنـــا أي إهـــدار[1]

ويقول:

هزمنـــا يـــــوم ضـــاع الدين منّا

أليس الكفـــر مصـــدر الانهـــزام؟

وهمنـــا بالمناصب وهـــي غُـــلّ

وأسـلمنا الأمـــانـــة للحرامـــي!!

ويقول: أحمد فرح عقيلان مصوّرًا حال العرب ومنهم الشعب الفلسطيني:

أبكي وأهلي عنّي في مخاصمـــة

نيرانـــهـــا بســـياط الذّل تصليني

في كل يـــوم لهم نصـرٌ ومعركة

في المهرجانـــات لا في مثـــل حطّين

كم أشعلوا بينهم حقـــدًا ومعركة

جيش البـــلاغـــة فيهـــا بالملايـين

كم روّجوا الهدم والترويج فانشغلوا

حـــول الهـــوى بين مـــاويٍّ ولينيني

---

(١) «جرح الإباء» ص(٢٤ ـ ٢٥).

لو تسمع اللعن في المذياع منهمرًا
خِلْتَ الفصاحة آلت للمجانين
وتحت ألف شعار سار موكبهم
يستنزل النصر من عند الشياطين
حتى نمت دولة الكفار واحتشدت
وكان ما كان من خزي ومن هون[١]

ويقول أحمد صدّيق:

فلسطين ضاعت يوم ضاعت عقيدة
وبات فساد الحال أقبح مقتنى![٢]

ويقول عدنان النحوي في المعنى نفسه:

لست أبكي ترابها ومروجًا
نضبت أو حجارة صمّاء!!
إنما أندبُ العقيدة تذوي
في نفوسٍ تعيسة والإباءَ
ما هجرنا ديارنا غير أنّا
قد هجرنا العقيدة السمحاءَ
لفظتنا الديار إذ ذاك لفظًا
وأحالت كرامنا غرباءَ[٣]

---

(١) «رسالة إلى ليلى» (٨٩ ـ ٩٠). (٢) «نداء الحق» لأحمد محمد الصديق ص(٢٢٦).
(٣) من ديوان «الأرض» للنحوي ص(٦٤).

❑ ويقول أحمد فرح عقيلان:

مبيناً أن النصر لا يكون إلا بوحدة في ظل العقيدة والإسلام.

أنـا مؤمن أن اليهـود وإن طغـوا
ستؤول دولتهم إلى أيدينـا
واللّه لن يحظـو بنـوم هـانئ
ما دام عرق الدين ينبض فينا
إسـلامنا لا يقبـل استسلامنا
اسـأل به كسـرى وقسطنطينا
واسـأل عماد الدين عن حصن الرُّها
واسأل صـلاح الدين عن حطينـا
لا نصر إلاّ بالتضامن مبدأً
صدقًا وإلاّ بالحنيفـة دينـا[1]

❁ ❁ ❁

(١) «جرح الإباء» (٥٣ ـ ٥٤).

إسلامية الراية

«وا إسلاماه»

«عودوا إلى اللّه تعودوا إلى فلسطين»

مفتي القدس

الحاج أمين الحسيني

ضاعت فلسطين براية القومية العربية والثورة العربية عام ١٩١٧م:

❑ ضاعت فلسطين يوم ضاعت الراية الإسلامية وحلّت بدلاً منها القومية العربية والعلمانية.

❑ ضاعت فلسطين يوم سقطت الثورة العربية لدعاة القومية العربية في الوحل ودخلوا مع اللنبي فلسطين عام ١٩١٧م لطرد العثمانيين... دخلوا مع اللنبي الصليبي لطرد الأتراك المسلمين!!

❑ يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في رسالته المشهورة «اسمعوها مني صريحة أيها العرب»: «من المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان، وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات. إنها جريمة قومية تبزّ جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدّامة المعروفة في التاريخ، وإنها خطوة حاسمة مشؤومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي»[1] .اهـ.

❑ يقول الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ : «إن الدعوة إلى القومية العربية ـ كما أنها إساءة إلى الإسلام ومحاربة له في بلاده ـ فهي أيضًا

(١) «اسمعوها مني صريحة أيها العرب» لأبي الحسن الندوي ص(١٨).

إساءة إلى العرب أنفسهم، وجناية عليهم عظيمة لكونها تفصلهم عن الإسلام الذي هو مجدهم الأكبر، وشرفهم الأعظم، ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم»(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ : كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية، بل لمّا اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ : «**أَبِدَعْوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!**»(٢) .

● وفي حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه أمر يحيى بن زكريا بخمس أن يعمل بهن .. ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثى جهنم**»، قيل: يا رسول اللَّه وإن صلى وصام؟ قال: «**وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوى اللَّه الذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عباد اللَّه**» .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ : «ذكر كثير من مؤرخي الدعوة إلى القومية العربية، ومنهم مؤلف الموسوعة العربية: أن أول من دعى إلى القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير في سوريا، ليفصلوا الترك عن العرب، ويفرّقوا بين المسلمين، ولم تزل الدعوة إليها في الشام والعراق ولبنان تزداد وتنمو حتى عُقِد لها أول مؤتمر في باريس من نحو ستين سنة وذلك عام ١٩١٠، وكثرت بسبب ذلك الجمعيات العربية وتعددت

(١) «نقد القومية العربية» لابن باز ص(١٨).
(٢) المصدر السابق ص(٢١).

الاتجاهات... فهل تظن أيها القارئ أن خصومنا وأعداءنا يسعون في مصالحنا بابتداعهم الدعوة إلى القومية العربية، وعقد المؤتمرات لها وابتعاث المبشرين بها؟ لا واللَّه... وكفى بذلك دليلاً لكل ذي لب على ما يُراد من وراء الدعوة إلي القومية العربية وأنها معول غربي استعماري يُراد به تفريقنا وإبعادنا عن ديننا»[1].

يقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «مع اللَّه» عن دعاة القومية العربية:

ما هؤلاء الناس؟ إنهم ليسوا عربًا ولا عجمًا ولا روس ولا أمريكان!! إنهم مسخ غريب الأطوار صفيق الصياح، بُلِيَتْ به هذه البلاد إثر ما صبغه الاستعمار بها وترك بذوره في مشاعرها وأفكارها، فهم ـ كما جاء في الحديث ـ من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، بيْد أنهم عدو لتاريخنا وحضارتنا وعبء على كفاحنا ونهضتنا، وعون للحاقدين على ديننا والضانين بحق الحياة له ولمن اعتنقه.

إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة، وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقها أكناف الليل، يجب أن يمزق النقاب عن سريرتهم وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم حتى لا يروج لهم خداع ولا ينطلي لهم زور، إن هؤلاء الذين يلبسون مسوح العروبة ويندسون خلال صفوف المجاهدين، ويزعمون أنهم مبشرون بالقومية العربية ورافعون لألويتها، وفي الوقت نفسه ينسحبون من تقاليد العروبة ويهاجمون أجلّ ما عرفت به، ويبعثرون العوائق في طريق الإيمان ورسالته. إن هؤلاء

---

(١) «نقد القومية العربية» ص(١٥ ـ ١٦).

الناس ينبغي أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة، وأن تُلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسّرها الاستعمار لهم، ووقف بعيدًا يرقب نتائجها المرة، وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن وصاحبها العظيم محمد بن عبد اللَّه ﷺ.

ولقد قرأنا ما يكتبون، وسمعنا ما يقولون، ولم يعوزنا الذكاء لاستبانة غاياتهم، فهم ملحدون مجاهرون بالكفر، يقولون في صراحة: إن الإسلام ليس إلا نهضة عربية فاز بها هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى، واستطاع في فورته العامة أن يجتاح العالم بقيادة رجل عبقري هو الزعيم الكبير محمد ﷺ، أي أن هذا الدين الجليل نبت من الأرض ولم ينزل من السماء، وأنه انطلاقة شعب طامح فاتح، وليس هداية مثالية فدائية جاءت من عند اللَّه لتنقذ العرب من جاهلية طامسة كانوا بها في مؤخرة البشر إلى حنيفية سمحة رفعت خسيستهم، ثم انتشر شعاعها بعد في أنحاء الأرض كما تنتشر الأضواء في عرض الأفق لدى الشروق. والفضل في ذلك كله للَّه وحده الذي اصطفى محمدًا وامتنّ عليه بالهدى والحق بعد أن قال له: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، كما يقول في العرب الذين أُرسل فيهم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. فأي زحف عربي هنالك؟ وأي عبقرية أنشأت من عندها هذا الغيث الممرع لأهل الأرض؟ إن الزعم بأن الإسلام «فورة عربية» أكذوبة كبرى، وأضلولة شائنة، وإن هذا القول ليس تكذيبًا للإسلام

فقط، بل دعوة خطيرة إلى تكذيب الديانات كلها، وإلى إشاعة الكفر والفسوق والعصيان في أنحاء الأرض، والغريب أن هؤلاء الناس يخاصمون الإسلام بعنف، ويحاربون أمته بجبروت، ويهادنون الأديان الأخرى من سماوية وأرضية، كأن الإسلام وحده هو العدو الذي كُلِّفوا باستئصاله وحده، لا بل هو العقبة الفذة التي وُضعت المعاول في أيديهم لإهالتها ترابًا. . أجل، وهل للاستعمار عدو في هذه البلاد إلا الإسلام؟ إنه مصدر المقاومة العنيدة، وروح الكفاح الباسل الذي أعيا المهاجمين وأحبط مؤامراتهم، ومن ثمّ فعلى الاستعمار أن ينسج خيوطه حوله ليقتله ويحول بينه وبين الحياة الكريمة. ولقد ابتدع القوميات الضيّقة واستجباها بشتى الأساليب من كيان هذا الدين، فلما سقطت أمام الإسلام في المعركة دسّ أتباعه تحت لواء القومية العربية، وزوّدهم بضروب من الادّعاء ليزاحموا العرب المخلصين في هذا الميدان، ولينالوا من الإسلام بطريقة أخرى.

وتفسير القومية العربية هذا التفسير الكفور الكنود هو حرب أخرى ضد الإسلام، وإنه لجدير أن يتسمى هؤلاء بأتباع «القومية العبرية» لا العربية، أليسوا يعملون لمصلحة الاستعمار وإسرائيل؟ ولقد مرّت أربعة عشر قرنًا على اشتباك العروبة بالإسلام أو بتعبيرنا نحن أهل الإيمان على تشريف اللَّه للعرب بحمل هذه الأمانة وإبلاغها للناس، ونظرة إلى الماضي البعيد تعرّفنا بسهولة أن العرب مرت عليهم أدهار قبل الإسلام لم يكونوا فيها شيئًا مذكورًا، ثم جاء هذا الدين فدخلوا التاريخ به وطار صيتهم تحت رايته، وصدق اللَّه إذ يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، ثم أخطأ العرب فظنوا هذا الدين العالمي الذي نزلت آياته يمنحهم امتيازًا خاصًّا، ويجعلهم عنصرًا أرقى من سائر

الأجناس... ولكن المهم أن العرب الأولين لما أرادوا المفاخرة والتميّز كان الإسلام مُتّكأهم ومعقد فخارهم، فبأي شيء يملئون أفواههم إذا لم يذكروا الإسلام؟ إن وطابهم خال وتاريخهم صفر، حتى جاء الأفّاكون في هذا الزمان بالبدعة التي لم يسمع بها إنسان، فإذا العروبة في نظرهم يجب أن تتجرد من الإيمان، وزعموا ـ قبّحهم اللّه ـ أنها بالانسلاح عن الدين تسمو وتسير، بل إن أحد الكتاب من هذه العصابة وجد الوجه الذي يُطالع به الناس ليقول: إن الإسلام جنى على العروبة، وإن الإسلام لأنه عالمي ـ ضار بالقومية العربية. وظاهر أن هذا الكلام بقطع النظر من بطلانه، إنما يروّج لحساب الاستعمار الغربي منه والشرقي على السواء، وأن قائله يخدم أهداف الغزاة الذين عسكرت جيوشهم في بعض أقطار العروبة وأنزلت بها الهون، ووقفت على حدود البعض الآخر تتربص به الدوائر.

❑ وكاتب آخر من هذه العصابة يطلب منا بإلحاح أن ننسى التاريخ لأنه لا يضم إلا رفات الموتى، وأن نتطلع إلى المستقبل فحسب. ونسي هذا الغرّ أن اليهود في كبد الشرق الأوسط أقاموا دولتهم بأمداد من التاريخ الموحي، وأنهم جعلوا اسم إسرائيل علمًا عليها. إنه حلال للناس جميعًا أن يستصحبوا تاريخهم في كفاحهم، أما نحن المسلمين فحرام علينا أن نذكر فصلاً من هذا التاريخ؛ وأن نستوحي منه عونًا في جهاد وأملاً في امتداد. إنها «قومية عبرية لا عربية» تلك التي يبشّر بها الملحدون وكارهو الإسلام، ولقد عرف الأولون والآخرون أننا نحن المسلمين أحنى الناس على العروبة وأوصلهم لمجدها وأخلصهم لقضاياها، وأن هؤلاء القوميين لا خير فيهم، بل إنهم مصدر شر طويل

وأذى ثقيل»[١] .

القومية العربية ودعاتها والثورة العربية الكبرى ورجالها هم الذين سلّموا فلسطين للنبي والإنجليز عام ١٩١٧م.

إن من أعظم الظلم وأسفه السَّفَه أن يقارن بين الإسلام وبين القومية العربية. وهل للقومية المجردة عن الإسلام من المزايا ما تستحق به أن تُجعل في صف الإسلام، أن يقارن بينها وبينه؟ لا شك أن هذا من أعظم الهضم للإسلام والتنكر لمبادئه السمحة وتعاليمه الرشيدة. وكيف يليق في عقل عاقل أن يقارن بين قومية، لو كان أبو جهل وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأضرابهم من أعداء الإسلام أحياء لكانوا هم صناديدها وأعظم دعاتها، وبين دين كريم صالح لكل زمان ومكان، دعاته وأنصاره هم محمد ﷺ، وأبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم من الصحابة صناديد الإسلام وحماته الأبطال ومن سلك سبيلهم من الأخيار؟ لا يستسيغ المقارنة بين قومية هذا شأنها وهؤلاء رجالها[٢] ، وبين دين هذا شأنه وهؤلاء أنصاره ودعاته، إلا مصاب في عقله أو مقلد أعمى، أو عدو لدود للإسلام ومن جاء به، وما مثل هؤلاء في هذه المقارنة إلاّ مثل من قارن بين البعر والدرّ، أو بين الرسل والشياطين ومن تأمّل هذا المقام من ذوي البصائر وسبر الحقائق والنتائج، ظهر له أن المقارنة بين القومية والإسلام أخطر على الإسلام من المقارنة بين ما ذُكر آنفًا. ثم كيف تصح

(١) «مع الله» للشيخ محمد الغزالي.

(٢) ومثلهم ساطع الحصري.. انظر كلام الاستاذ أنور الجندي عنه في كتابه «رجال اختلف فيهم الرأي».

المقارنة بين قومية غاية من مات عليها النار، وبين دين غاية من مات عليه الفوز بجوار الرب الكريم، في دار الكرامة والمقام الأمين»[1] .

بـرئتُ للّه مِن صَـفٍّ يوحّـده ... ذلُّ التراب وشكل اللحم والجسدِ

❑ وضاعت القدس لمّا ضاعت الراية الإسلامية لمعركتنا مع اليهود:

عروس جُلّلت بثـيـاب حُـزن ... يطوفُ بها على الشارين عبدُ

مراكبـهـا تُـسَيَّرُ في بحـار ... ولا هـدف على الشـطآن عبـدُ

❑ **آه يا قدساه:**

يا درّة حُفِظت بالأمس غاليـة ... واليـوم يرجونهـا للهو واللعب

هل يستوي مَن رسولُ اللّه قائده ... دومًـا وآخـر هـاديه أبـو لهب

❑ كانت النكبة القاصمة لفلسطين يوم نُحِّي الإسلام عن قيادة المعركة، نُحِّي عنها لتتولاها الجاهلية في صورة من صورها قومية أو علمانية يتعاجب بها الأوغاد كما يتعاجب الأطفال بالثوب المبرقش، ولم يتولّى عن راية الإسلام إلا جيل منكود موكوس منكوس، سقط في المستنقع الآسن وتمرّغ في وحله، وترك راية النجاة راية الإسلام تلوح للمكدودين في هجير الصحراء المحرق، والمرتقى النظيف الوضيء يلوح للغارقين في المستنقع.

❑ إن راية الإسلام راية استعلاء لا نتدسّس بها.. ليس فيها ما يشين.. بل فيها العز كل العز.

لا لن تَـذِلّ فهـذه راياتـها ... رغـم العواصف والدجى لم تحجم

ظمـأى يحركهـا نداؤك كلمـا ... عصف الطغـاة بركبهـا المتقدم

يا أمـة هبط الزمـان بمجـدها ذلاً وكانت في المقـام الأعظـم
لا عـزّ إلا بالكتـاب يـقـودنـا أكرم بـه من قـائـدٍ ومُعَـلِّمِ

إن المسلمين في معركتهم المقبلة مع اليهود لن يستجيبوا إلا لنداء الإسلام، ولن يصلحوا إلا به، ولن يتفاعلوا إلا معه.. سيعلو نداء الإسلام ويرتفع ويقوى ويشتد، ألا بارك اللَّه في الحناجر المؤمنة التي تطلق نداء الإسلام، والأصوات المباركة التي ترتفع بنداء الإسلام، والآذان الواعية التي تسمع نداء الإسلام.

إن راية الإسلام أفق وضيء يطهر دنيانا ومعركتنا مع اليهود من غبش الجاهلية، والعلمانيون يفرون منها إلى موتهم: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠ ـ ٥١].

لن تعود القدس إلا براية من الكعبة، وسامها من غار حراء، نشيدها من بدر، تعاليمها من السماء.

راية للَّه، ليست لماركس ولا لينين ولا ستالين، ولا ماوتس تونج، ولا جورج واشنطن ولا ديجول.

لقد حصروا قضية القدس في مضيق القومية الضيق وما علم المنكودون أن أمتنا عالمية وقضية القدس من هذه الواجهة عالمية قضية كل مسلم، تحتل القدس من قلوبنا السويداء.. ويبكي لمصابها المتهجدون على ضفاف نهر اللوار؛ أو صحراء سنجار، أو جبال قندهار، وعلى شواطئ النيل والفرات ومضيق الدردنيل.

* القوميون ثورة على الإسلام.. وكلهم كاذب، قالوا وما فعلوا:

كل من وقف تحت هذه الراية: من بعثيين، وعبد الناصر وأشياعه الذين دوّت أصواتهم بأن فلسطين هي القضية المركزية للأمة العربية. نقول لهم: إن سجل «بطولتهم» بائس مخزٍ وفشلهم الفكري بصدد هذا الشعار أنكى، ونقول لهم: كيف دخل اليهود القدس وأرض فلسطين.. ألم تكن القومية العربية هي التي قطعت أوصالنا كأمة إسلامية يوم دخل اللنبي القدس تحت حراب العرب وبنادقهم؟

❑ «ولا يستطيع القوميون العرب تبرير الطبيعة الدينية للقومية اليهودية»، وكان الحل الوحيد الذي يملكه القوميون العرب في هذا المجال أن يلجئوا إلى اختراع الثنائية الشهيرة في التفرقة بين «اليهودية» و«الصهيونية» فيزعمون أن اليهودية ديانة مبرأة من هذه الشرور، وهي بهذه المثابة موضع احترام القوميين العرب العلمانيين كأي عقيدة أخرى، أما الصهيونية فهي ـ على العكس ـ حركة استعمارية داخل اليهودية، ويجب محاربة هذه الصهيونية في فلسطين بوصفها عدوة الأمة العربية...».

وكل هذا دجل وخيانة تلوح لكل أبله وساذج فضلاً عن العقلاء الشرفاء الذين يحترمون عقول الناس.

❑ يقول القرضاوي: إذا كانت أرض الإسلام هي أولى القبلتين، وثالث المسجدين المقدسين، كان الجهاد في سبيل تحريرها أوجب وأعظم وأشرف، وأعلى مكانًا في دين اللّه.

وإذا كان مغتصبوها يحاربوننا بدوافع دينية، وأحلام دينية، كان أوجب علينا أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به، فإذا حاربونا بالتوراة حاربناهم بالقرآن، وإذا رجعوا إلى تعاليم التلمود رجعنا إلى البخاري ومسلم، وإذا قالوا نعظِّم السبت، قلنا: نعظِّم الجمعة، وإذا قالوا: الهيكل، قلنا: الأقصى. وبالجملة إذا قاتلونا تحت راية اليهودية قاتلناهم تحت راية الإسلام، وإذا جندوا جنودهم باسم موسى: جندنا جنودنا باسم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فنحن أولى بموسى منهم»[1].

* لماذا نتدسس بالإسلام وننحّيه عن قيادة المعركة واليهود عقيدتهم تعلو على كل شيء عندهم والمعركة يديرها التلمود:

لماذا ينحّون الإسلام عن المعركة، وكل ما عند اليهود تعلوه توراتهم ـ المحرّفة ـ والتلمود؟ «فاسم الدولة» إسرائيل على اسم نبي اللَّه إسرائيل عليه الصلاة والسلام، وعلم الدولة اليهودية له معنى، فهو يعبّر عن عقيدة اليهود، فهو عبارة عن أرضيته بيضاء يتخللها خطان أزرقان في وسطهما نجمة داود. ما اللونان الأزرقان؟ النيل والفرات، فمن النيل للفرات هذه هي المنطقة التي ترمز إليها نجمة داود. وشعار الدولة «الشمعدان».

«ومما يُؤسف له أنه حينما أراد العدو الصهيوني إقامة سفارة له في القاهرة أصرّ اليهود على أن يكون موقع السفارة على الجهة الغربية من النيل لماذا؟ لأن حدودهم تنتهي عند الضفة الشرقية، ولذلك رفض اليهود إقامة السفارة على الضفة الشرقية، وأصروا على أن تكون على الضفة الغربية احترامًا لعقيدتهم في أن حدود إسرائيل الكبرى تنتهي عند

(١) «القدس قضية كل مسلم» ص(٤٦).

الجهة الشرقية من النيل.

▫ كذلك تقدم اليهود بطلب استعمار أراضي المدينة المنوّرة وما جاورها قدّموه إلى الملك عبد العزيز أيام فقر السعودية وعدمها مقابل عشرين مليون ليرة ذهبًا، ولكن رفض الملك عبد العزيز بشدة ثم قدّموا له وسائل أخرى ففشلت.

▫ حين دخلت بعض كتائب الجيش اليهودي في أرض سيناء عام ٤٨ وقفت السيارات على الحدود وهبط منها الضباط والجنود وقبّلوا ترابها قبل أن يجتازوها لأنهم يعتبرون سيناء ملكًا لهم.

▫ وحينما وصل أوائل المهاجرين اليهود إلى فلسطين قال إسحاق شامير: «إن هجرة كبيرة كهذه تتطلّب أرض إسرائيل الكبرى»[1].

▫ أول سيارة جيب دخلت الأرض المصرية نزل منها حاخام يهودي ومعه نسخة كبيرة من التوراة!!

▫ تقول بنت دايان في كتابها «جندي من إسرائيل»: «إن فرائصنا كانت ترتعد بسبب أنباء تجمع جيش العدو على الجبهة الجنوبية مصر، فجاء إلينا الحاخام فصلى وقرأ نصوصًا من التوراة فانقلب الخوف أمنًا، أما الجيش المصري فكانت الإذاعة توجّهه: قاتل وأم كلثوم معك في المعركة، قاتل وعبد الحليم معك في المعركة، قاتل لأجل الربيع قاتل لأجل الحياة».

▫ أما جريدة الجيش السوري فقد كتبت قبل شهر من معركة حزيران ٦٧ بقلم «إبراهيم خلاص» يقول: «إن اللّه والرأسمالية والإمبريالية وكل

---

(١) غزة أريحا ـ شريط للدكتور محمد إسماعيل المقدم.

القيم التي سادت في المجتمع السابق أصبحت دُمًى محنّطة في متاحف التاريخ».

▫ «اليهودية لهم جنسية ووطن» أما نحن فعداؤنا للقومية الإسلامية:

هناك كتاب اسمه «تحطمت الطائرات عند الفجر» لباروخ نادل «يهودي كان مستشارًا لقيادة الأركان الجوية المصرية لمدة أربعة عشر عامًا، ورتّب حفلة ساهرة ليلة الخامس من يونيو ٦٧ حضرها أربعمائة طيار، وبعد الثانية ليلاً قسّم الضباط إلى قسمين:

ذكور وسمّاهم الميج المصري...، وإلى أن يقول في آخر الكلام أنهم بقوا في المستنقع الآسن الآثم لم ينصرفوا إلا بعد الرابعة فجرًا، يقول باروخ نادل: «وما غادرت سماء القاهرة إلا وقد رأيت الدخان يغطي سماءها من المطارات المحترقة التي أغارت عليها الطائرات الإسرائيلية الساعة الخامسة صباحًا.

▫ للّه در يوسف العظم حين يقول:

كان لحنُ الحيـاة فينا أذانًا ... يَتَغنَّى به الأبـاةُ الصيـدُ
يملئـون الوجـود بـرًّا ونورًا ... حين يصحو على الأذانِ الوجودُ
وإذا اللحن صيحةٌ من رقيعٍ ... وإذا الترس في المعامع «عـوُد»
هجروا المصحف الطهور وحاروا ... وابن «دَايَان» قاده «التَّلمودُ»

▫ ولا فض فوه حين يقول:

كم أشرقت في سماء المجد رايات ... ورتلت في رحـاب الخير آياتُ
وكان رائدنا يحدو مسيرتنا ... اللّه غايتنا الرحمن لا اللات

ودولة الحق بالإسلام تحكمنا ... واليوم تحكمنا ظلمًا دويلات
تقود أُمَّتَنا للحربِ غانيةٌ ... والجيش في الزحف قد ألهتهُ مغناةُ
الزِّقُّ والرِّقُّ والمزمارُ عدتُنا ... والخَصْمُ عدته علم وآلاتُ
وشِرْعةُ اللّه في القرآن نهجرها ... وشرعةُ الخصم تلمودٌ وتوراةٌ

* **بين رجلين وكلمتين:**

لما ذهب رابين للتوقيع على اتفاق السلام المزعوم أكّد عشية سفره إلى واشنطن أن القدس ستظل عاصمة لإسرائيل وللشعب اليهودي إلى الأبد... وأكد ذلك في حفل التوقيع حين قال أمام العالم: نحن قادمون من القدس العاصمة التاريخية والأبدية للشعب اليهودي!!

يقول الدكتور القرضاوي:

«والحق أني كنت أتابع حفل التوقيع الذي يرونه عُرْسًا، ولا أرى فيه إلاّ مأتمًا! كنت أقارن بين الموقفين وبين الكلمتين: موقف عرفات ورابين، وكلمتيهما، فأجد ـ وا أسفاه ـ فرقًا شاسعًا.

كان موقف رابين موقف المتفضِّل المتنازل، وموقف عرفات موقف الممتنّ الشاكر! حتى أنه ختم كلمته بتكرار كلمة: شكرًا بالإنجليزية «ثلاث مرّات»!.

لم ينس رابين أن يتحدث عن تاريخهم القديم والحديث، وكفاحهم الطويل، وشهدائهم وضحاياهم، تمهيدًا لحديثه عن السلام، واستشهد بالتوراة، وذكر فقرات من «سفر الجامعة»، ودعا إلى الصلاة من أجل السلام، ولم يكن همّ عرفات إلا المديح والشكر والعرفان، فلم يلتفت إلى شيء من قبيل ما ذكره رابين، ولم يستشهد بآية من القرآن، ولم

يجر على لسانه كلمة واحدة عن الإسلام! ولم يذكر المسجد الأقصى بعبارة واحدة!!»[١].

يقول الكاتب محمد حسنين هيكل في كتابه «سلام الأوهام»: «إن الضحيّة شرحت مأساتها بأسلوب الموظفين الحكوميين، وأما الجلاد فقد تحدّث عن نفسه بأسلوب الشهداء! وقال آخر: إن هناك خطأ حدث، فخطاب رابين كان في الأصل مكتوبًا لعرفات، وخطاب عرفات كان لا بد أن يكون خطاب رابين! ثم قال ثالث: إن رابين تحدّث عن المآسي الإنسانية التي عاشها الشعب الإسرائيلي. في حين أن عرفات بدا وكأنه يعتذر نيابة عن الشعب الفلسطيني وعن نفسه!»[٢].

ولله در الشاعر حين يقول:

قد هجرنا منابع الخير فينا ... وارتوينا من كل نبعٍ مكدّرْ
وطمسنا مشاعل النور جهلاً ... وتبعنا الضلال ينهى ويأمرْ

يقول الشاعر عن الأمة التي أضاعت رايتها الإسلامية فضاعت:

وبعثرت رايات أمجادها ... ونكّسَتْ في العار أعلامَها
واستسلمت للكفرِ مذعورَةً ... وضيّعتْ في التيه إسلامها
وألّهت جلادها وانثنت ... تسجد للسوط الذي سامها
فكيف ترجو النصرَ في عَفْلةٍ ... يا أمةً تصنعُ أصنامها؟

(١) «القدس» للقرضاوي ص(١٥٠ ـ ١٥١).
(٢) «سلام الأوهام» لمحمد حسنين هيكل ص(٣٣٠).

*** لو علَت راية الإسلام لما كانت هذه الأرجحة من الراقصين على الحبال، فالإسلام لا يعرف التلوّن:**

الكلمة الطيبة أصلها ثابت لا تعرف الأرجحة ولا الرقص على الحبال، القوم لما نحّوا الإسلام وهو الحق صاروا في أمر مريج فكل الثوابت عندهم والمقدسات قلبوها لأنهم ابتعدوا عن أمر ربهم وراية دينهم «نحن اليوم نشهد فصلاً جديداً لم يكن ليخطر لنا على بال، قلب كل الموازين، ونقض كل القواعد، وغيّر كل الثوابت التي أصبحنا وأمسينا عليها نصف قرن من الزمان، ونشّأنا على ذلك أطفالنا، وربّينا عليه شبابنا، فشب عليه الصغير، وهرم عليه الكبير، أن إسرائيل خطر عسكري وسياسي وديني واقتصادي وثقافي، وصنفت في ذلك مؤلفات، وأُنشئت لذلك مراكز ومؤسسات، وعُقد له ندوات ومؤتمرات.

وكم بدأنا وأعدنا في حقنا في الأرض وكل الأرض، وأن العدوان لا يكسب المعتدي شرعية، وما قام على الباطل فهو باطل... إلخ، ثم تخاذل المتخاذلون فإذا هم يرضون بالواقع بعد عدوان ٥/٦/١٩٦٧ وإذا هم يبنون سياستهم على مجرد إزاله آثار العدوان، والرضا بالعودة إلى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧م أي أن العدوان الجديد كأنما أضفى الشرعية على العدوان القديم! عدوان ١٩٦٧م أنسى عدوان ١٩٤٨م.

ثم زاد الطين بلة ـ كما يقولون ـ فرضي من رضي بمجرد حكم ذاتي تحت سلطان إسرائيل!!

... ثم انتهى المطاف إلى مد يد المصافحة إلى أبطال دير ياسين وصبرا وشاتيلا وغيرها.

كل هذا في مقابل ٢٪ من مجموع أرض فلسطين، على نحو ما

قال العربي قديمًا: إذا لم تكن إبل فمعزى!!

إن الشعوب قد تأتي عليها ساعات توقع فيها على هدنة أو صلح وهي كارهة مرغمة، بعد اندحارها في حرب لا تملك إلا التسليم. كما فعلت اليابان بعد ضربها بالقنابل الذرية، وكما فعلت ألمانيا بعد هزيمة هتلر.

ولكن أن يستسلم الفارس، وهو شاهر سيفه، حامل رمحه، ممتط جواده، وأن يعتبر استسلامه لعدوه مجدًا وفتحًا يحسب له، ويغيظ عليه، ويعد تنازله عن جزء من وطنه مكسبًا، ويطالب الحناجر أن تهتف باسمه، والأيدي أن تصفق له فهذا ما لم نعهده في تاريخ الأبطال والفرسان إلا حين يستحيل الفارس إلى دمية، والفرس إلى حمار، والسيف إلى عُكّاز!

* **إشفاقًا على أبنائنا:**

إنني أشفق على أبنائنا وشبابنا الذين حفظناهم أناشيد الجهاد، وأغاني العودة وعلّقنا قلوبهم وعيونهم بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة، ومسرى الرسول ﷺ، وأولى القبلتين، وصببنا في عقولهم وضمائرهم ووجدانهم كراهية بني صهيون وظلم إسرائيل التي قامت على اغتصاب الأرض، وانتهاك العرض، وتشريد الأهل، فإذا بنا ـ ما بين عشية وضحاها ـ نشطب هذا كله، وننسخه بجرة قلم، ليصبح العدو صديقًا، والاغتصاب مشروعًا، والعدوان مقبولاً، مع أن الوطن لم يتحرر، والمشرّد لم يعد إلى أرضه، والأقصى لم يزل أسيرًا، فكأننا نقول لهذا الجيل المسكين: لا تصدِّقونا فيما كنا نقول لكم، إن الذي كنا نسميه بالأمس جهادًا وبطولة ونضالاً أصبح اليوم عنفًا وإرهابًا، والذي كنا

نسميه سفّاحًا غدا اليوم شريفًا. لا يوجد شيء ثابت عندنا، كلّ ما كان حقًّا يمكن أن يكون باطلاً، افتحوا النوافذ لتهب عليكم نسمات إسرائيل، وافتحوا الأبواب لتدخل عليكم بضائع إسرائيل، وبنات إسرائيل أيضًا، و«إيدز» إسرائيل[1] !!

أُمّتي هَلْ لكِ بين الأُمَمِ ... مِنْبَرٌ للسيفِ أو للقلمِ
أَتَلَقّاكِ وطَرْفِي مُطْرَقٌ ... خجلاً مِن أَمْسِكِ المُنْصَرِمِ
ويكادُ الدَّمْعُ يَهْمِي عابثًا ... ببقايا كبرياءِ الألمِ
أمتي كم غُصّةٍ داميةٍ ... خَنَقَتْ نجوى عُلاكِ في فمي
أيُّ جرحٍ في إبائي راعفٍ ... فاتَه الأسى فلم يلتَئِم
ألإسرائيلَ تعلو رايةٌ ... في حِمَى المَهْدِ وظِلِّ الحرمِ؟
كيف أَغْضَيْتِ على الذُّلِّ ولمْ ... تنفُضي عنك غُبار التُّهَمِ؟
أو ما كنت إذا البغي اعتدى ... موجة من لهبٍ أو من دمِ؟
فيم أقدمتِ وأحجمت ولمْ ... يشتفِ الثأرُ ولم تنتقمي؟
اسمعي نوح الحَزَانَى واطَربي ... وانظري دمْعَ اليتامى وابسُمِي
ودعي القادة في أهوائها ... تتفانى في خسيس المغنمِ
رب «وا معتصماه» انطلقتْ ... ملءَ أفواهِ الصبايا اليُتَّمِ
لامست أسماعَهُم لكنها ... لم تُلامِسْ نَخْوَة المعتصِمِ
أمّتي كم صنمٍ مَجّدتِهِ ... لم يكن يَحْمِل طُهْر الصنمِ
لا يُلامُ الذئبُ في عُدْوانِهِ ... إن يكُ الراعي عَدُوَّ الغنمِ

(١) «القدس» للقرضاوي ص(١٤٧ ـ ١٥٠).

فاحبسي الشكوى فلولاكِ لما كانَ في الحُكْمِ عبيدُ الدِّرْهَمِ

▫ لو سمع عمر صرخة طفل مجهود، أبوه مفقود، وأخوه في القيود، لجنّد الجنود، ولداس اليهود، لو طرقت سمع المعتصم «وا معتصماه» لضاقت أرضه وسماه، ولقاد الكماة ولأخرج فلسطين من زنزانة الطغاة البغاة خمسون عامًا، ونحن نرى أيتامًا، ونشاهد أيامى، ونبصر آلامًا، ثم نتعامى، ولا يحرِّك فينا هذا كله أيثامًا.

من أراد أن يطلق القدس من الأسر أو يفكّه، فليأخذ دستوره من مكّة. القدس إسلامية ما ترطن، ولا تنتظر النصر من واشنطن. القدس تقلق، إذا جئنا بجيش فيه ميشيل عفلق. يحرر الأرض، ويحمي العِرْضَ من أدّى الفرض، وخاف يوم الَعَرْض.

▫ ما يحرّر فلسطين إلا طلاّب العز بن عبد السلام، وتلاميذ عزالدين القسّام.

▫ ما يحرّر فلسطين طلاب سخاروف، ولا يردّها لأهلها أهل الدفوف، إنما تعود على أيدي من يصلي ويطوف ويجاهد في الصفوف.

▫ يا معشر العرب: من أصابته مصيبة، فلم يأخذ الحلّ من طَيبة، عاد بالخيبة.

سيصغى لها من عالمِ الغيب ناصرٌ وللّـه أوس آخـرون وخـزرجُ

فلسطين إسلامية النسب، وليست عربية فحسب، ولذلك كان صلاح الدين فاتح القدس من الأكراد، والسلطان عبد الحميد ناصر فلسطين من الأتراك الأجواد، وبعض العرب أيام الصليبيين باعوها في سوق المزاد:

بعها فأنت لما سواها أبيعُ لك إثمها ولها المكان الأرفعُ

❑ لا تعود فلسطين عن طريق الملحدين، ولا عن طريق الوحدويين، وإنما تعود تحت رايات الموحدين.

❑ فلسطين غاب سلاطينها، فأفلس طينها، وهي تنتظر كتائب الموحدين مع الصباح، تنادي حيّ على الفلاح، ليعود الحق إلى أصحابه، والسيف إلى نصابه، ولتعود الوديعة إلى واليها، والطفلة إلى أبيها، والدار إلى راعيها:

لا تهيئ كفني ما مِتُّ بعدُ لم يزل في أضلاعي برق ورعدٌ
أنا تاريخي ألا تعرفُهُ خالد ينبِضُ في قلبي وسعدُ[1]

❑ يقول الدكتور النحوي:

«لما تحرّك أصحاب رسول اللّه ﷺ إلى بيت المقدس كانوا جميعهم يحملون تصورًا قرآنيًّا عن فلسطين وبيت المقدس والمسجد الأقصى. لم يتحركوا إليه في غزوة عربية كما أراد ماركس وإنجلز أن يفسّراها، ولم يتحركوا رغبة في عيش رغيد، ولا طمعًا في عدوان، ولا اغتصابًا لثروات! لا شيء من ذلك أبدًا. لقد كان هنالك باعث رئيسي لمسيرتهم كلها في الأرض، عبّر عنها المغيرة بن شعبة في ردّه على رستم قائد الفرس: «أن ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث اللّه إلينا رسولاً قال له: إني سلّطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني. وإني منتقم بهم منهم. وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ، ولا يعتصم به إلا عزّ».

(١) «مقامات عائض القرني» ـ «المقامة الفلسطينية» ص(٥١٩ ـ ٥٢٦).

فقال له رستم: وما هو؟ فقال: «أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، والإقرار بما جاء به من عند اللَّه». فقال: «ما أحسن هذا!! وأي شيء أيضًا؟» قال: «وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة اللَّه!»...

هكذا كانت مسيرة الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ إلى بلاد فارس، وإلى بلاد الشام، وإلى مصر، وكذلك إلى أبواب بيت المقدس، إلى المسجد الأقصى، إلى فلسطين. ولو فقدت أي مسيرة هذه القاعدة العظيمة لفقدت كل مسوّغاتها، وكل أسباب قوّتها، وعزة النصر المتنزلة من عند اللَّه.

❑ وفلسطين لها خصائص أُخرى إيمانية أيضًا. إن المسيرة إلى فلسطين على أساس القاعدة السابقة في مسيرة الأنبياء كلهم، هي مسيرة واحدة تحمل معها رسالة الإسلام، ومنذ إبراهيم ـ عليه السلام ـ مضت مسيرة النبوة تخصّ أرض فلسطين المسلمة كلها بنورها وبركتها...

أصبحت فلسطين أمانة في عنق أُمة الإسلام، إلى يوم القيامة. إنها ليست مجرد «وقف» نفهمه من حلول أحكام فقهية اجتهادية. إنها ملك وحق وأمانة، ونصوص من آيات وأحاديث. إنها مُلك دين ورسالة، وملك أمة ممتدة. وهي ليست قضية شعب محدود، ولا قضية تاريخ مجزوء، إنها ممتدة امتداد الإسلام، وامتداد الإيمان. إنها عاطفة إيمانية صادقة، وفكر إيماني صادق يمتزجان معًا عاطفة وفكرًا ليولّدا يقينًا وإيمانًا، ورسالة وتوحيدًا.

يا ربوة الأقصى إجلالك آية الـ ... إسـلام تجـلو حقّـه المشـهـودا

فبكل رابيــة طيــوف صحــابةٍ وبكل منعطفٍ ضممتِ نجيدًا
وبكل ميــدانٍ تــدور ملاحمٌ حملت لكِ الإسلامَ والتوحيدا[1]

* وضاعت فلسطين.. وضاعت القدس لما أصبحت رايتها علمانية:

ظهر تيار يدعو إلى أن القضية والعمل لها وفلسطين هي حق لكل فلسطيني، مهما كان كان فكره وحزبه، وجنسيته وعرقه، وكان هذا التيار يرى إمكانية التفاهم مع اليهود على صورة قريبة مما كانت تدعو له «عصبة التحرر الوطني» في فلسطين سابقًا، وعلى نحوها عبّر عنه بعض رجال هذا الاتجاه حسب ما ورد في كتاب صلاح خلف «فلسطيني بلا هوية».

ولقد صادف هذا الاتجاه فيْئًا وندًى في ظلال الدعوة إلى الاشتراكية والقومية التي كان يدعو لها جمال عبد الناصر في مصر والعالم العربي.

وكان هذا الاتجاه يرفع كل شعار يقتضيه الموقف، يدعي أنه لا يحارب الإسلام، بل ويمكن أن يهمس به إذا احتاج الإسلام والمسلمين، يفتح بابه لكل راغب. ولا عجب إذا أنت وجدت فيه أفرادًا كانت لهم جذور إسلامية.. ! ولكنهم قطعوا هذه الجذور مع انطلاقتهم الجديدة.

❑ قال الدكتور النحوي:

«لا بد هنا أن نقف وقفة واضحة مع هذا الاتجاه. فلو رجعنا إلى صحيفة عصبة التحرر الوطني الناطقة بلسان الحزب الشيوعي في فلسطين

---

(١) «على أبواب القدس» ص(٢٥١ - ٢٥٣).

والتي أخذت تصدر مع سنة ١٩٤٣م، لوجدنا هذا الشعار نفسه هناك. وهذا الاتجاه قد لا يصرح بأن اليهود فلسطينيون فلهم الحق في فلسطين كذلك، حتى لو كانوا قادمين من روسيا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ولا علاقة لهم بأنبياء اللَّه كلهم، ولا بيعقوب خاصة. ولكنه يشير إلى ذلك على قدر ما يسمح به الموقف كلما واتته الظروف. ثم نجد هذا الاتجاه خارج التنظيم الشيوعي الرسمي. قد نجده في داخل اتجاهات يسارية مختلفة، وربما وجدته عند أناس لهم جذور إسلامية. فكرة لها دعاتها ثم أخذت تنتشر هنا وهناك. يقول أحدهم: «ولأول مرة في حياتي استشعر الإحباط والحقد على الإنجليز.. والصهيونية التي حفرت هوة بين الفلسطينيين واليهود...»[١] ، ويتكرر هذا المعنى كثيرًا لنصُبَّ غضبنا على كل الناس إلا على اليهود!

ونجده كذلك عند من يقولون عن أنفسهم «وهكذا فإنهم استشفوا منذ البداية إمكانية إقامة دولة ديمقراطية في كامل فلسطين يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون كمواطنين متساوين. غير أن عوامل ذات طابع سياسي كانت تمنعنا من أن نجاهر قبل عام ١٩٦٨ بالعرض الذي ينبغي لنا أن نقدمه للإسرائيليين»[٢] . إذن أين الميثاق الوطني الذي استمر بريقه ربع قرن سقط من أجله مئات الألوف؟ كنا نعتب على الإنجليز الذين لم يجاهروا بحقيقة نياتهم للعرب وللمسلمين. وها نحن منا من يطوي قناعته ويعلن شعارات للناس حتى يُجْمَعُوا، فيذبَحُوا، ويفاجأ الباقون بالحسرة.

---

(١) «فلسطيني بلا هوية» ص(٢٨)

(٢) المصدر السابق ص(٦٤).

ونجد الاتجاه هذا كذلك عند من يقول: «. . . إذ ليس بوسعنا أن نكون مسلمين متعصبين وتقدميين في آن واحد»، ثم يقول: «. . .ولأن الحركة الفلسطينية حركة علمانية بصورة قاطعة»[١] .

هنا لابد من أن نتساءل كيف جاز لبعض المسلمين أن يعلنوا بوضوح عن دعمهم لهذا الاتجاه. وكيف جاز لمسلم يدعو إلى اللَّه ورسوله، يدعو إلى التوحيد كيف جاز له أن يدعو في محاضرة عامة في جامعة الكويت لهذا النهج، بعد أن جرده من كل الشوائب العلمانية والإلحاد واليسارية وطواها، ثم أبقى فيه ما يلقى من مقاومة الدولة هذه والدولة تلك، ليستدر عطف المستمعين؟! كيف جاز للداعية المسلم أن يفرق بين أناسٍ وأناس تضامنوا على نهج علماني واحد، وساروا على الدرب نفسه سنين طويلة.

وكذلك نجده عند من يقول: «. . . بأن هدفنا الاستراتيجي هو دعم إنشاء دولة ديمقراطية على امتداد فلسطين التاريخية (والسؤال هنا: ما هي التاريخية؟): يعيش فيها اليهود والعرب في وفاق وكمواطنين على قدر كامل من التساوي، وأوضحت أنه ليس لدي أي اعتراض بل بالعكس على التعايش مع اليهود، الشعب الذي عانى من اضطهادات بشعة. . . »[٢] .

وأخيراً ومع الصفحة الأخيرة نجد من يقول: «. . .لسنا متعارضين للحدود المفتوحة من حيث المبدأ فنحن ما زلنا أوفياء لمثلنا أو لحلمنا الذي ينص على توحيد فلسطين في دولة علمانية ديمقراطية تضم

---

(١) المصدر السابق ص(٢٦٠).

(٢) «فلسطيني بلا هوية» ص(٢٢١).

اليهود والمسيحيين والمسلمين الذين يضربون بجذورهم في هذه الأرض المشتركة. والحال هو أن الحدود المفتوحة تقود حتمًا إلى الحوار، ثم إلى التفاهم بهدف قيام مثل هذا التوحيد، بحيث يحل بدلاً من المواجهة القومية الصراع الطبقي الذي سيواجه بين الجماهير العربية واليهودية من جهة، وبين المستغلين والإمبرياليين من جهة أخرى. أي بين هذه الجماهير وبين أولئك الذين ولّدوا الحقد بين شعبينا قبل أن يقودوهما إلى الحرب»[١].

□لن نجد تعابير أدق من هذه التعابير لتدل على ذلك الاتجاه الذي أخذ يبرز مع عام ١٩٥٦م. نعم هو اتجاه قديم كانت تصر عليه القوى الشيوعية. ثم صدرت التوجيهات منذ الأربعينات إلى الحزب الشيوعي العربي في فلسطين بأن يتبنى الشعارات الوطنية حتى يتألف قلوب الناس، ثم يفجعها بنظرياته عن التعاون مع اليهود، اليهود القادمين من كل أنحاء الأرض، اليهود الذين لا علاقة لهم بفلسطين، لا تاريخًا ولا عاطفة ولا دينًا. هؤلاء الذين يقول عنهم «القائل» إنهم ذاقوا اضطهادات بشعة في أوروبا من الأوروبيين، فمن العدل إذن أن نخرج نحن من بلادنا ونقدمها لهم! ثم يقول عنهم إنهم يضربون بجذورهم في أرض فلسطين! هل يصدق أحدٌ أن عاقلاً يمكن أن يقول هذا؟!.

ويقول أحد أبناء هذا الاتجاه: «لقد حسبوا أنهم يشتمونني حين ذكروا أن أمي يهودية. لكن سوء الحظ يشاء أنها ليست كذلك...»[٢]. هؤلاء إن أخذنا عليهم كتمان أهدافهم مرحلة من الزمن، فإنهم ما زالوا

---

(١) المصدر السابق ص(٣٣٢).

(٢) المصدر السابق ص(٣٠٠).

يملكون حق الدفاع عن أنفسهم حين يقولون إنهم قد أعلنوا ذلك، ثم أعادوه، ثم أعادوه، فما ذنبهم إذا كنا لا نقرأ، أو نقرأ ولا نفهم، أو نُخْدع بمعسول الكلام والعناق والقبلة، والأعذار الواهية؟!.

وما ذنبهم إذا كان الميزان في أيدي بعض المسلمين مضطربًا، أو إذا تركوا ميزان الإسلام والإيمان!.

إن هذا الاتجاه الذي برز بيننا مع عام ١٩٥٦م هو امتداد لما كانت تعلنه صحيفة عصبة التحرر الوطني قبل ذلك بربع قرن تقريبًا، أي: بحدود عام ١٩٤٣م. ولكنه في الوقت نفسه يمثل اتجاه الدول الغربية، لا من حيث قناعتها به، ولكن من حيث صلاحيته في أن يكون مرحلة في مخطط عام، يمكن أن يدفعوا الناس إليه، أو أن يدفعوه إلى الناس، ثم يتجاوزوه. فالاتجاه يمثل إذن مصبَّ رغبات متناقضة، ومصالح مختلفة، قد تجد فيه لحظة توافق بينها.

إن الخطأ الكبير في هذا الاتجاه هو تجاهل الطرح الصحيح للحركة اليهودية. فلا فرق من حيث الأساس، وبالنسبة لنا بين اليهودي والصهيوني، ما دام جميعهم قد صبّوا جهودهم متضامنين لبناء دولتهم وارتكاب جريمتهم، حتى الحزب الشيوعي تضامن في ذلك، ولعب دورًا هامًّا في تغذية الهجرة اليهودية، وفي بناء دولة اليهود.

أما الوهم في أن اليهود غير الصهيونية والصهيونية غير اليهود اعتمادًا على اتجاه أفراد قلائل، واعتمادًا على ادعاءات مضللة من الحزب الشيوعي اليهودي الذي خدم الصهيونية، وأقر حقَّ إسرائيل، كما أقرته الرأسمالية سواء بسواء، بل على صورة أشد وأدهى، هو وهم مضلل.

ومن ناحية أخرى يريد هذا الاتجاه أن نسدَّ آذاننا عن الدويّ الهائل الذي يردِّده اليهود كلهم عبر التاريخ كله بالعودة إلى وهمهم ومزاعمهم من النيل إلى الفرات. ويريد هذا الاتجاه أن نغلق أعيننا عن الشعار الممتد في الكنيست، ويريد أن نصمَّ آذاننا ونغلق عيوننا عن إصرار دولة اليهود على التوسع والامتداد، ونكث كل المواثيق، وارتكاب أبشع الجرائم، مع صديقهم وعدوهم، من أجل تحقيق التوسع. فاليهود إذن هم الذين يمضون في سياسة التقدم المرحليّ، ونحن نسير في سياسة التنازل المرحلي. يريد هذا الاتجاه أن ننسى هذا كله، وننسى القرآن والسنّة، وننسى تاريخ اليهود ثم نضع يدنا بيدهم، فنُحضِر الروسي والألماني والفرنسي والإفريقي ولقطاء الأرض كلها، وقد سمَّوا أنفسهم يهودًا، وأنبياء اليهود كلهم منهم بُرآء عرقًا ودينًا وفكرًا، يريدوننا أن نُحضر هؤلاء، ونتنازل عن أرضنا المقدسة، ونتشرد نحن في الأرض ونؤويهم، لأنهم «مساكين»، «ذاقوا اضطهادات بشعة»! سبحان اللَّه! ما أسوأ التزييف، فإذا لم يكن هذا تزييفًا فماذا يكون إذن؟!

إن أطماع اليهود ودول الغرب والاتحاد السوفياتي في هذه المنطقة أوضح من الشمس في رأد الضحى. فسواء أخذ اليهود قسمًا من فلسطين، أو أخذوها كلها، فإنهم سيصارعون حتى يحققوا أوهامهم إن استطاعوا. هم الذين لا يريدون السلام أبدًا، هم اليهود كلهم لا عصبة منهم، كلهم يريدون الحرب ويريدون دولة اليهود، ويريدون أطماع اليهود. وليس عن عبث أن امتدّ دعم الدول الغربية والشرقية لليهود كلهم قرنًا من الزمن على الأقل، في صورة إجماع وتخطيط وتواطؤ مكشوف. وليس عن عبث يصرح وزراء خارجية الدول هذه «إسرائيل

وجدت لتبقى»[١] .

إلى صاحب كتاب «فلسطيني بلا هوية» وهو صلاح خلف «أبو إياد» من أبرز قادة منظمة التحرير الفلسطيني نهدي له ما قاله ريجان وأذاعه التلفزيون البريطاني: «عندما زار رئيس أمريكا «ريجان» إنجلترا سنة ١٩٨٢م أقيمت على شرفه مأدبة في أحد القصور القديمة في لندن. فوقف على رأس المائدة يُلقي كلمته ويقول ما معناه: إننا نعتز بهذا المكان فقد انطلقت منه الجيوش الصليبية!»[٢] .

إن الإنسان ليصاب بالدهشة كل الدهشة حين يرى التخبط العلماني لمنظمة التحرير منذ بدايتها والشعارات الجوفاء التي يرددونها والواقع شيء آخر، وانظر إلى صور من التخبّط:

صرّح أحمد الشقيري في اجتماع اللجنة السياسية العامة في جامعة الدول العربية بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٥٢، «إننا نلتزم بقرارات الأمم المتحدة»[٣] .

وفي ١٤ كانون الأول «ديسمبر» ١٩٦٢م يصرّح في اللجنة السياسية الخاصة: «إني أقبل نداء زميلنا من «الفولتا العليا» لتنفيذ مقررات الأمم المتحدة. ونحن لا نختار قراراً منها أو نؤثره على أي قرار آخر»[٤] . ولقد سبق لأحمد الشقيري أن أعلن في دورة جمعية الأمم المتحدة لسنة ١٩٥٢: «إني أودّ أن أعلن بصراحة أننا نقبل المباحثات المباشرة!!، بل

(١) «على أبواب القدس» ص(١٩٩ - ٢٠٣).

(٢) «على أبواب القدس» ص(٢٠٥).

(٣، ٤) «المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية» ص(٢٥٧، ٢٥٧، ٢٥٨) على الترتيب ـ لمهدي عبد الهادي ـ المكتبة العصرية بيروت.

إني مستعد للتفاوض مع أيّ شخص كائنًا ما كان، يحترم الميثاق ومقررات الجمعية العمومية»[١].

وهذا يعني قبول قادة المنظمة لقرار التقسيم.. فماذا بقي أيها الأشاوس بعد ذلك؟!

❑ وعلى درب الشقيري سار كل الأشاوس أبو عمار ياسر عرفات وبقية رفاقه، بل وتلا الخروج من الأردن مباشرة السفور عن الوجه العلماني الكالح المنكود. فقد تبنى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته المنعقدة في فبراير ١٩٧١م نموذج الدولة العلمانية التي تهيمن على كامل التراب الفلسطيني، ويتساوى فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون في الحقوق والواجبات.. ووجد الصليبيون والغربيون ضالتهم في أبي عمار ورفاقه من العلمانيين.

❑ قال جاكسون ديل محلل الواشنطن بوست عن عرفات: «إنه الزعيم الوحيد القادر على جرّ الفلسطينيين نحو الحلّ المنشود»[٢]، أو كما يقول السفير المصري في واشنطن عبد الرؤوف الريدي: «لقد جرّ الفلسطينيين إلى هذا الحل عبر طريق طويل وشاق وأقنعهم بأن عليهم أن يتجرعوا الدواء المر»[٣].

❑ وقال وليم كوانت مستشار الرئيس الأمريكي للشرق الأوسط «رحيل عرفات كان سيعطّل عملية السلام حتمًا»[٤].

---

(١) «المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية» ص(٢٥٧، ٢٥٧، ٢٥٨) على الترتيب ـ لمهدي عبد الهادي ـ المكتبة العصرية بيروت.

(٢، ٣) واشنطن بوست ٩ أبريل ١٩٩٢م «المنشود من قبل أمريكا وإسرائيل وزعماء العرب».

(٤) مجلة السنة العدد (٢٤) محرم ١٤١٣هـ ص(٥١).

* كلهم علمانيون.. وكلهم ياسر عرفات:

سواء في ذلك التيار الموالي لسورية: فاروق قدومي، وفصائل الرفض اليسارية: جورج حبش، ونايف حواتمة، وأحمد جبريل، وخالد الفاهوم.

والتيار الموالي للأردن: كمحمود عباس «أبو مازن»، والتيار الموالي لمصر: وفيه أبو الأديب «سليم الزعنون» ونبيل شعث وسعيد كمال.

والتيار الموالي للخليج ودوله: كخالد الحسن وهاني الحسن، وعبدالله الأفرنجي، ورفيق النتشة وأبي هشام «خليل المزين». بخلاف أبي إياد «صلاح خلف»، وهايل عبد الحميد «أبي الهول» وأبي يوسف النجار، وماجد أبو شرار وسعد صايل.

❑ يقول هاني الحسن: عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، والمستشار السياسي لياسر عرفات في لندن أمام الجمعية الراديكالية لحزب المحافظين البريطاني والتي نشرتها صحيفة السياسة الكويتية في عددها (٧٧٣٧) للسنة (٢٤) بتاريخ ١٥ رجب ١٤١٠هـ، الموافق ١١ شباط فبراير ١٩٩٠م: «انهمكنا في صراع حياة أو موت طوال عشرين سنة للتحضير للحلّ السياسي!! المطلوب أن نقنع شعبنا بدولة فلسطينية على ٢٣٪ من أرض فلسطين»[١].

❑ ويقول أبو إياد «صلاح خلف»: «الحركة الفلسطينية حركة علمانية بصورة قاطعة»[٢].

---

(١) «عبد الله عزام» للدكتور عدنان النحوي ص(٧٨).

(٢) «فلسطيني بلا هوية» ص(٧٠).

ويقترح خالد الحسن: «رئيس لجنة الشؤون الخارجية في المجلس الفلسطيني أن يكون هناك اتحاد كونفدرالي على النمط السويسري يضم إسرائيل وفلسطين والأردن، ودعا في محاضرة ألقاها في لندن إلى إقامة نظام كانتونان يضع حلولاً لمعظم المشاكل التي تقف في طريق تسوية النزاع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، وقال: إن اقتراحه هذا يحظى بتأييد ياسر عرفات... وأن تكون مدينة القدس عاصمة للكونفدرالية كما اقترح أن يوحد النظام الاقتصادي في الدول الثلاثة... ومما قاله في محاضرته هو اعتقاده أن الأمريكيين جدّيون في رغبتهم في حل سلمي للقضية الفلسطينية»[١].

خالد الحسن الذي يتهمه ياسر عرفات «بأنه لم يدخل معركة فلسطينية واحدة وأنه «تاجر» وليس مناضلاً، وأن هموم الشعب الفلسطيني في واد وهو في واد آخر وأن نفقاته في تنقلاته وأسفاره تكفي لإعاشة مخيم بأكمله»[٢].

وأما عرفات فهو كبيرهم الذي علّمهم السحر... عرفات الذي يمسك برئاسة (٣٣) لجنة داخل المنظمة ويدع للباقين اللجان الهامشية التي لا خيل فيها ولا مال!! حتى زواجه من سهى الطويل ابنة ريموندا الطويل المعروفة بعلاقاتها السرية بالأجهزة الأمريكية وبعض الشخصيات اليهودية... فهو يتم أيضًا لصالح جهات مشبوهة!!!

كم بددوا المال هدرًا في مباذلهم ... وفي ليالي الخنا ضاعت مُروءاتُ

---

(١) مجلة الحياة ٨/ ١١/ ١٩٩١، ومجلة السنة العدد (١٧) ـ ربيع الثاني ١٤١٢هـ ص(٣٣).
(٢) المجلة ١٣/ ٨/ ١٩، ومجلة السنة العدد (٢٤)، محرم ١٤١٣هـ ص(٥٤).

كان اليمين لنا ذُلاً يُمَزِّقنا وفي اليسار لنا بؤسٌ وويلاتُ
وقادة الشعب أمواتٌ بلا كَفَنٍ وهل يُحرّرُ أرض القدسِ أمواتُ
يا سوأةَ العمرِ في تاريخ أمتنا لقد بدت منكمُ للعين سوءاتُ

* من عطّروا التاريخ وزينوه... ومن ذبحوا التاريخ ودنّسوه:

سيذكر التاريخ قادة الجهاد الفلسطيني الأوائل الذين جاهدوا صامتين، وسجّل لهم التاريخ صفحات بيضاء ناصعة البذل والفداء والجهاد في سبيل اللَّه... يكفي أن نُطالع بيانات القيادات العسكرية في الميدان لترى الصورة الإيمانية والراية الإسلامية.

ففي خطاب «قائد الثورة العام» في ٦/٨/١٩٣٨م:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد،،

إن اللَّه معنا أيها المجاهدون. فقد مضى على جهادكم المقدس وقت طويل واللَّه حارسكم أينما كنتم في ثباتكم كيفما اتجهتم، يا أبناء دين محمد لكم في جهادكم هذا أسوة حسنة في نبيكم محمد بن عبد اللَّه ﷺ. هذا يوم من أيام فتوحات سيدنا عمر بن الخطاب... يا أبطال الجهاد إنني أعلم ووكلكم يعلم أن السلاح الذي تحاربون به عدوكم هو إيمانكم وثباتكم ونفوسكم الطاهرة... ثم يأتي التوقيع: قائد الثورة العام: المتوكل على اللَّه. ولقد حملت الفصائل أسماءها من أمجاد الإسلام، وألقابها من معاني الإيمان.

من هذه النماذج والحقائق تستطيع أجيالنا المؤمنة أن تقارن حالاً بحال، وشعارًا بشعار: أين جيفارا، كاسترو، هوشي منه، وجياب وغيرهم ممن أصبحوا شعارات جديدة في مسيرة جديدة؟[1].

وبعد هذا... «رابين ابن عمي»... «رابين قائد شجاع»... «وإنها لثورة حتى النصر»!!!

ليت الهوان الذي قد مسّ أُمَّتنا ... قد صبَّهُ في كُئُوس الحقد غيرهم
وليت من ذبحوا التاريخ يا وطني ... وزيَّفُوه وباعوا سيفَهُ عجمُ
لكنّ مَن ذبحوا التاريخ أمسِخةٌ ... باعوا الضمائر للشيطان وانهزموا
لو أن مُسْلِمَةَ الكذّابَ بينهمُ ... لكان أصدقَ من تمشي به قدمُ
إن نحنُ قلنا لهم سعدٌ وعكرمةٌ ... لَوَوْا رُءُوسهمُ العجفاءَ واتَّهموا
وإن هتفنا بأن اللّه خالقنا ... وأننا بكتاب اللّه نعتصِمُ
قامت قيامتهم وازورَّ قائدهم ... وأشرعوا صنمًا يهفو له صنمُ
ما عاد يسترهم شيء فقد برزوا ... والظُّفْرُ والنابُ والطاعون والورمُ
وضاقت الأرض غصَّت في مباذلهم ... كأنهم فوقها الأدواء والرممُ
لقد تمزّقت الأثواب فوقهم ... وبان تحت شعاع الشمس عُريهمُ

□أو كما قال فاروق جويدة:

وطنٌ يبيع الأرضَ والتاريخَ
في سوق النِّخَاسةِ
والنجاسةِ والضلالْ

(١) «على أبواب القدس» ص(١١٤ ـ ١١٥).

وطن حزين أنت يا وطنًا
تُسَلِّمُهُ النِّعالُ
إلى النعال[١] .

*** عودوا إلى اللَّه تعودوا إلى فلسطين:**

في لقاء المفتى الأسبق الشيخ محمد أمين الحسيني ـ رحمه اللَّه ـ مع أبناء وطنه وجهوا إليه السؤال التقليدي الآتي:

«متى نعود إلى فلسطين»؟

فأجاب: عودوا إلى اللَّه تعودوا إلى فلسطين!!

فسخر سفهاؤهم من جواب المفتي، وراحوا يتساءلون: ما علاقة العودة إلى اللَّه بالعودة إلى فلسطين؟!

وهل أخرجنا من ديارنا وأوطاننا إلا اللَّه؟! ودفعهم كرههم لما يدعوا إليه الشيخ الحسيني إلى الانخراط في الأحزاب والحركات القومية واليسارية: كحزب البعث العربي الاشتراكي، والحركة الناصرية، وحركة القوميين العرب، والأحزاب الشيوعية العربية. وبعد رحلة شاقة في مسيرة هذه الأحزاب القومية العلمانية دامت أكثر من ثلاثين عامًا، ثبت بالأدلة الأكيدة أن قادة هذه الأحزاب متآمرون مخادعون... وقد استغلوا كثيرًا من أبناء فلسطين في معاركهم ضد خصومهم سواءً كانوا من الدعاة إلى اللَّه أو من غيرهم، وأخيرًا فعلوا بالفلسطينيين ما عجز اليهود عن فعله.

وبعد هذه الرحلة الشاقة المضنية تذكّر العقلاء من أبناء فلسطين قولة المفتي ـ رحمه اللَّه ـ «عودوا إلى اللَّه تعودوا إلى فلسطين»[٢] .

---

(١) من قصيدة «لصوص العصر» من ديوان «كانت لنا أوطان» مؤسسة غريب.

(٢) «أمل والمخيمات الفلسطينية» ص(٢٥١ ـ ٢٥٢).

* **للّه درك من امرأة..أم خالد الحسن أبعد نظراً من قادة فتح، وأكثر منهم وعياً وعمقاً:**

أما والدة خالد الحسن ـ أحد قادة منظمة التحرير ـ فكانت تؤكد منذ بداية تأسيس فتح أن فلسطين لن يحررها إلا المجاهدون المسلمون الذين يقاتلون لتكون كلمة اللّه هي العليا ذكر أحد أبنائها القصة التالية:

كان زوجها ـ والد خالد الحسن ـ أحد المجاهدين الأشداء في ثورة الشيخ عز الدين القسّام، وكانت زوجته تشاركه في آماله وآلامه، وتؤدي دورها المطلوب في معركة المصير..وفرحت المرأة عندما سمعت أبناءها يتحدثون عن تأسيس فتح، وكانت تذكرهم بجهاد أبيهم، وتطلب منهم أن يرتسموا خطاه. واجتمع قادة فتح في بيت خالد، واستمر اجتماعهم طوال ليل ذلك اليوم، وكانت الأم ترصد حركات المجتمعين وأفعالهم، وكان الأبناء يستغربون من أمهم التصاقها بباب الحجرة التي تضم معظم قادة فتح..وبعد أن انفض الاجتماع، قالت الأم لأبنائها: شتان شتان بين اجتماعكم واجتماعات أبيكم وأصحابه..كانوا يقومون الليل صلاة وذكراً، وأنتم ما سمعت منكم إلا العبث والكلام الفارغ..وليست هذه مواصفات الذين سيحررون فلسطين من العدو المغتصب!!

ما أروع الفطرة السليمة، فهذه المرأة لم تجهد نفسها في البحث والتنظير، ولم تقرأ عشرات المؤلفات، بل لعلّها أمية لا تقرأ ولا تكتب، ومع ذلك فإنها أدركت بفطرتها التي لم تلوثها الأفكار والاتجاهات الدخيلة الشاذة بأن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن النصر من اللّه وحده لا شريك له، وليس من واشنطن، أو موسكو أو بكين، ومن يعتصم باللّه ويأخذ بأسباب النصر لا تهزمه أساطيل الدول

الكبرى ولا جيوشها ولا صواريخها ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

❑ حقًّا لقد كانت والدة خالد الحسن أبعد نظرًا من أبناءها ومن معهم من قادة فتح، وأكثر منهم وعيًا وعمقًا. .وتذكر أحد أبنائها نصيحة أمة بعد عقديْن من الزمن، وبعد أن تعامل مع قادة المنظمة عن كثب وسبر أغوارهم، وأدرك أنهم أصحاب أهواء وطلاب زعامة، وأنهم يتاجرون بقضية فلسطين كغيرهم من الحكام العرب. . .تذكّر الابن نصيحة أمه فتخلّى عن المنصب المرموق الذي كان يشغله في فتح، أما أخواه فتخلّوا عن منهج أبيهم وغرقوا في أوحال السياسة[1] .

«إن للإيمان نهجًا واضحًا جليًّا مشرقًا، وللضلالة نهجًا مظلمًا مضطربًا، ولن يلتقي النهجان».

نَهْجانِ قد مَيَّزَ الرحمنُ بينهما ... نَهْجُ الضلال ونهجُ الحق والرشَدِ
لا يجمعُ اللّه نهجَ المؤمنين على ... نَهْج الفسادِ ولا صِدْقًا على فَنَدِ
بَرِئْتُ للّه من صَفٍّ يُوَحِّدُه ... ذُلُّ الترابِ وشَكْلُ اللّحم والجسدِ
المؤمنون هم الأنساب صادقةً ... واللّه دونَ جميعِ الخلقِ مُعْتَمَدِي[2]

❁ ❁ ❁

(١) «أمل والمخيمات الفلسطينية» ص(٢٥٢ ـ ٢٥٣).
(٢) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٢٥٩).

فلسطين الأمل والمستقبل

فلسطين الأمل والمستقبل

على أرض القدس الطاهرة المباركة بصفة خاصة، وأرض الشام المقدسة بصفة عامة، سيبزغ فجر الإسلام الندي، وسيكون المستقبل كل المستقبل للإسلام، فعلى هذه الأرض جنود مجندة لخدمة الإسلام يأتي بهم الغد، وهم من خيرة عباد اللَّه في أرضه يحفظ اللَّه بهم دينه ويجاهدون في سبيل عز الإسلام، قائمون على الحق صابرون على ما يصيبهم في ذات اللَّه، يغزلون أجمل فجر للإسلام، فهم سوط اللَّه ينتقم بهم ممن يشاء.

وسفينتنا دومًا تسري ... مجراها باسم الرحمن
وشراع الإيمان سيسري ... بالنور لداجي الشطآن
يا حمز رجالك ما ماتوا ... ما عقمت أم الفتيان
والصبح قريب يا بلدي ... والنور سيغمر أوطاني

● عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلاّ لحق بالشام»[1].

قال عز الدين بن عبد السلام: «ومثل هذا لا يقال إلا توقيفًا، ولما علم الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ تفضيل الشام على غيره، دخل إليه منهم عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ على ما ذكره الوليد بن مسلم»[2].

---

(١) موقوف صحيح: أخرجه الحاكم موقوفًا (٤/٤٥٧) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

(٢) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٣٧).

* **الفجر المسلم على أرض فلسطين المباركة والأمل الوضيء:**

على أرض زهراء المدائن.. مدينة اللَّه.. بنت السماء التي ضمّت النور بالساعدين.. مسرى نبينا ﷺ.. يكحّل الأمل والفجر المسلم قلوبنا قبل أعيننا.. وتأمّل ما سيجري على أرضها وخبّرني عن وجيب قلبك بعد ذلك:

أولاً: قتال المسلمين لليهود والانتصار عليهم.

ثانيًا: الخلافة الإسلامية ونزولها ببيت المقدس.

ثالثًا: استقرار المهدي ببيت المقدس خليفة للمسلمين.

رابعًا: الملحمة العظمى.

خامسًا: فتوحات إسلامية غالية تنطلق من الأرض المقدسة «يا خيل اللَّه اركبي»:

١ ـ فتح القسطنطينية.

٢ ـ فتح روما عاصمة إيطاليا.

٣ ـ فتح الهند على يد أهل الشام زمن المهدي.

سادسًا: خروج الدجال وهلاكه على أرض فلسطين المباركة.

سابعًا: نزول عيسى وإقامته في الأرض المقدسة، وقتله لمن بقي من اليهود، وإبادتهم إبادة تامة.

ثامنًا: انتهاء فتنة يأجوج ومأجوج أمة الطغيان على الأرض المقدسة.

تاسعًا: العيش الطيب بعد المسيح.

عاشرًا: خروج الريح الطيبة التي تحشر أرواح المؤمنين ـ من الأرض المقدسة، وحشر الناس إلى أرض المحشر والمنشر.

* أولاً: قتال اليهود:

اليهود إخوان الخنازير والقرود أعدى أعداء المسلمين.. أُس الفساد في الأرض، قال عنهم الملك العلام: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤].

وتاريخ اليهود كله إفساد وفساد، ويأتي النص القرآني متكلمًا عن إفسادين لليهود تكلم عنهم المفسرون، فقالوا ما قالوا واجتهدوا غاية جهدهم، واعتمدوا على روايات إسرائيلية، وليس هناك حديث واحد صحيح عن رسول اللَّه ﷺ في تحديد هذين الإفسادين.

ومع إجلالنا وتقديرنا للعلماء السابقين إلا أنا نخالفهم في فهمهم للإفسادين.

والأقوال التي ذكرت في كتب التفسير مع أنها لا تستند إلى أي دليل من الأثر الصحيح عن الرسول ﷺ؛ فإنها - مع هذا - غير منسجمة مع السياق أولاً وآخرًا.

أما أولاً: فلأن ما قبل هذه الآيات كان حديثًا عن الإسراء بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما آخرًا: فلأنه جاء عقب هذه الآيات قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

الإفسادان مع هذه الآية وليس مع غيرها:

لقد ذكرت أن الإفساد صفة ملازمة لليهود في تاريخهم القديم، وإن إفسادات اليهود كثيرة، ولا يهم الأمة المسلمة أن تُحدّث عن هذه

الإفسادات إذ كانت لا علاقة لها بها، ولكن سياق الآيات يدل على أن هذين الإفسادين سيكون لهما علاقة بتاريخ هذه الأمة وحياتها ومستقبلها، وسيشكلان تهديداً مباشراً لدينها وعقيدتها، ولهذا جاءت الآيات القرآنية للتحدث عنها مباشرة في أثناء الحديث عن تكريم اللَّه لهذه الأمة برحلة الإسراء والمعراج المباركة.

❑ وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور فضل عباس ـ حفظه اللَّه ـ:

«والخلاصة أن سياق الآيات لا يمكن أن نتناساه ونتجاهله في تفسير الآيات الكريمة، فقوله سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤] ينبغي أن يؤول على ما يخص هذه الأمة، وأؤكد مرة أخرى على السياق، إذ إن إفساد بني إسرائيل من قبل لا يعني هذه الأمة، ولا يتفق مع السياق، ثم لماذا حدد الإفساد بمرتين اثنتين، إذا كان ذلك يتحدث عن تاريخهم قبل الإسلام؟» إلى أن يقول: «إفساد بني إسرائيل قبل القرآن ـ إذن ـ وقبل أمة الإسلام، رغم أنه لا يتصل بشأن من شؤون المسلمين، لم يكن ينحصر في مرتين كذلك، هاتان المرتان ـ إذن ـ حري بهما ألا تكونا إلا مع هذه الأمة المسلمة. وهذا ما ترشد إليه الآيات بكلماتها وأسلوبها، وهو ما يرد كذلك على الأقوال التي ذكرت في كتب التفسير»[1].

❑ وتحت عنوان: «الحرب في الإفسادين بينهم وبين المسلمين»: يقول الدكتور صلاح الخالدي ـ حفظه اللَّه ـ:

يكشف لنا سياق الآيات السابقة عن حقيقة هادية، وهي أن الحرب

---

(١) «المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج» للدكتور فضل عباس ص(١١٩ ـ ١٢٠).

والمعركة في الإفسادين، بين اليهود من جهة، وبين نفس الأمة من جهة أخرى، أي: أن إفساد اليهود الأول كان موجهًا إلى أمة، وأن هذه الأمة هي التي تزيل ذلك الإفساد، عندما تكون قوية، وأن الأجيال القادمة من هذه الأمة تصاب بالضعف، فيرد اللَّه لليهود الكرة على الأمة نفسها بأجيالها اللاحقة، فيغلبونهم ويتمكنون منهم، ويصبون عليهم إفسادهم الثاني، ثم تتقوى أجيال ثانية من نفس تلك الأمة، فتتمكن من اليهود، وتزيل إفسادهم الثاني.

فإذا علمنا أن إفسادهم الأول كان في المدينة، وأن المسلمين هم الذين قضوا على ذلك الإفساد، نعلم أن الكرة تعود لليهود في الإفساد الثاني على الأجيال اللاحقة من المسلمين، وهي الأجيال التي تعيش في هذا الزمان: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾[1].

* الإفساد الأول كان في المدينة المنوّرة، وقضاء الرسول ﷺ والصحابة عليه:

كان فسادهم وإفسادهم عقديًّا، وأخلاقيًّا، وعلميًّا، وسياسيًّا، فلما جاء الإسلام ونبيه ﷺ تربصوا به الدوائر، وناصبوه العداء ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] أنكروا نبوّته رغم أنه كانوا يبشرون به، وألّبوا عليه الأحزاب، وحاولوا قتله والغدر به، ولما استشرى خطرهم، وعم فسادهم، وتأذى

---

(١) «حقائق قرآنية» للدكتور صلاح الخالدي ص(١٣٦).

المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة منهم أشد الأذى سلط اللَّه عليهم الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، فخضدوا شوكتهم، واستأصلوهم من المدينة المنورة، بل من الجزيرة العربية، وأراحوا الناس من شرورهم وكيدهم، في ضربات متتالية متتابعة قضت على شرورهم وشوكتهم، فكانت غزوات بني النضير، وبني قريظة، وبني قينقاع، وغزوة خيبر، صفحات مشرقة في تاريخ السيرة العطرة، حددت الأسلوب الناجح للتعامل مع اليهود وهو مفهوم القوة، والقوة فقط.

وفي هذا جاء النص القرآني متطابقًا مع الحدث في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٤ ـ ٥].

«لقد ضمن اللَّه تحقيق وعده ببعث الصحابة على اليهود، لإزالة إفسادهم الأول في المدينة بقوله: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾، وتحقق ما وعد اللَّه به في هذه الآية الكريمة على أيدي الصحابة في المدينة، وبذلك قضوا على إفساد اليهود الأول»[1].

وإلى هذا مال الدكتور فضل عباس حيث قال:

«وعلى هذا تكون تلك المرة الأولى التي أفسد فيها بنو إسرائيل في الأرض، يوم أن اتصفوا بنكران الجميل، ورفضوا هذا التسامح الذي أكرمهم به النبي ﷺ والمسلمون، وتحالفوا مع الوثنية، وهموا بالقتل والسخرية والإعراض، فبعث اللَّه عليهم هؤلاء الصفوة الخيرة، عبادًا لنا

(١) «حقائق قرآنية» للدكتور صلاح الخالدي ص(١٢٥).

أولي بأسٍ شديدٍ فنفذوا حكم اللَّه فيهم، وانتهت هذه المرة الأولى»[١].

دولة اليهود اليوم هي الإفساد الثاني والأخير:

قد بينا قبل قليل أن الحرب في الإفسادين بين اليهود وبين المسلمين، وكيف أن اللَّه قد أذن بالقضاء عليهم في الإفساد الأول في المدينة المنورة على يد النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وكيف أن عجلة الزمان دارت مرة أخرى، فضعفت صلة المسلمين بربهم، وتحالف عليهم أعداؤهم من كل حدب وصوب في هذا القرن وكادوا لهم بأن أزالوا الرابطة التي تربطهم كدولة واحدة، ونظام واحد وهي الخلافة الإسلامية في بداية هذا القرن، وكيف حاول أعداؤنا من اليهود محاولاتهم الفاشلة مع السلطان عبد الحميد ـ رحمه اللَّه ـ بتقديم الإغراءات الكثيرة مقابل موضع قدم في أرض بيت المقدس ـ فلسطين ـ ولم تجد تلك المحاولات نفعًا، فتآمروا على إسقاط السلطان عبد الحميد. بل وإسقاط الخلافة الإسلامية، واستصدروا من ألد أعداء الإسلام بريطانيا وفرنسا وعد بلفور الذي أعطاهم ما لا تملكه هاتان الدولتان على أرضنا، حقًّا لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ولتبدأ مقدمات المرة الثانية للإفساد في حياة المسلمين، وهذا ما تدل عليه الآية الكريمة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور فضل:

«وعلى هذا فقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: على هؤلاء الذين جاسوا خلال الديار، لا على أشخاصهم، وإنما على

(١) «المنهاج» ص(١٢٠ ـ ١٢١).

ذريتهم من بعد، ويؤيد ما أقول:

أ ـ كلمة ﴿ثم﴾ وهي للتراخي ـ كما يقول علماء العربية ـ وهذا التراخي يتسع لأزمنة طويلة، ويدرك هذا من قرأ القرآن الكريم، فكلمة ﴿ثم﴾ إذن ـ تدل على المدة الزمنية الممتدة بين أولئك الصحابة، وبين عصرنا الذين نعيش فيه.

ب ـ ومن أعجب ما في الأمر، وأدل على الإعجاز والإيجاز كلمة ﴿الكرّة﴾ والكرّة يعبر بها عن الدولة، كما يقول علماء اللغة ـ والتاريخ يشهد أن لم تكن لليهود دولة في تاريخ المسلمين، والواقع يقول أن هذه الدولة إنما كانت في أيامنا هذه، وهذه هي المرة إذن التي كان لليهود فيها دولة، وهذا ما أشارت إليه كلمة ﴿الكرّة﴾»[1].

❑ وفي هذا يقول الدكتور الخالدي أيضًا تحت عنوان: «ثم رددنا لكم الكرة عليهم..»: «ننظر في هذه الجملة من الآية السادسة من السورة، لنستخرج منها بعض الدلالات على ما نقول:

عبرت الآية عن الإفساد الثاني بحرف ﴿ثم﴾ وهو حرف يدل على التراخي، أي: أن إفسادهم الثاني لا يعقب إفسادهم الأول مباشرة، وإنما هو متراخ متأخر عنه، فإفسادهم الأول كان بالمدينة، وإفسادهم الثاني، الآن، وبين الإفسادين فترة زمنية تقارب أربعة عشر قرنًا.

وهذا التراخي الزمني مستفاد من حرف ثم؛ لأن المعركة في الإفسادين هي بين اليهود والمسلمين، فإذا كانت الأجيال الأولى للمسلمين قوية، بحيث تمكنت من إزالة إفسادهم الأول، فإن خطر انحدار المسلمين يحتاج إلى فترة زمنية، ينحدرون فيها ويضعفون

(١) «المنهاج» ص(١٢١ ـ ١٢٢).

ويذلون، فيتمكن اليهود منهم، ويمارسون عليهم إفسادهم الثاني، هذه الفترة الزمنية أخذت أربعة عشر قرنًا!!

وكل كلمة في الجملة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ تدل على أن المعركة في الإفسادين هي بين المسلمين وبين اليهود» إلى أن يقول: «فاللَّه رد الكرة لليهود على الأجيال اللاحقة للمسلمين الأوائل، الذين أزالوا إفساد اليهود الأول، أي: أننا نحن مسلمي هذا الزمان المقصودون بالضمير في ﴿عليهم﴾، ولم يكن لليهود كرة أخرى على الأقوام السابقين، الذين حاربوهم قبل الإسلام، ودمروا كيانهم الماضي على أرض فلسطين، هل كان لليهود السابقين كرة أخرى على قوم بختنصر البابلي؟ أو سنحاريب الآشوري؟ أو تيطس اليوناني؟ وهل حاربوا في الماضي أولئك الأقوام؟ وهزموهم واحتلوا بلادهم؟»[1].

وتبرز مظاهر الإفساد بأقبح صوره في هذه الأيام في دولة اليهود.

«والحكم اليهودي يقوم على العلو وهو التكبر والانتفاش والتيه، والتبختر، والجبروت، العلو اليهودي يعني: استعباد الآخرين وإخضاعهم لليهود، وإذلالهم أمامهم، والقضاء على وجودهم وأموالهم، وأخلاقهم وإيمانهم وأعراضهم، وسحقهم أمام اليهود، وتحويلهم من بشر إلى حيوانات في صورة بشرية، ليخدموا اليهود، وإلا فما هم ببشر؛ لأنهم خلقوا من مني الحصان، كما يقول تلمود اليهود!!

إن اليهود يتعالون ويتكبرون على الشعوب الأخرى؛ لأنهم معقدون ناقصون مشوهون، مطعونون في نفسياتهم وشخصياتهم؛ لأنه لا يتكبر إلا ناقص، ولا يتعالى إلا مشوه.

---

(١) «حقائق قرآنية» ص(١٣٦ ـ ١٣٧).

وهذه الصفة والسمة لحكم اليهود: الإفساد والعلو، تدلنا أنه حكم وتحكم قصير، لزمن محدد قصير؛ لأنه لن يطول حكم يقوم على ذلك، وفق السنة الربانية القاطعة: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣][1].

* المعركة مع اليهود ذات مرحلتين:

إن بعض المسلمين يردد مقولة ينطوي باطنها على سلبية قائليها، وحبهم للقعود، ذلك أنهم يقولون: إننا لن ننتصر على اليهود إلا في زمن خروج الدجال. وهذا القول رغم أنه رجم بالغيب وتعطيل للشرع، فإن هناك من النصوص ما يدل على خلافه، ويثبت أن قتالاً سيخوضه المسلمون مع اليهود، وينتصرون عليهم فيه قبل زمن الدجال.

* المرحلة الأولى: هزيمة وإزالة وليس إبادة:

تحدثت عنها آيات سورة الإسراء، والتي توجّه إلى كيان اليهود على أرض فلسطين لتدميره، وإلى إفسادهم الثاني لإزالته، والتي تنتهي بانتصار المسلمين المجاهدين على اليهود، ويتحقق فيها تدمير كيانهما، وإزالة إفسادهم، واسترداد فلسطين كلها منهم، وتحويل اليهود بعدها إلى قوم أذلاء مستضعفين، ومجموعات مشتتة في مختلف البقاع.

* يقول اللَّه عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

إن إساءة الوجه لليهود تعني: هزيمتهم في المعركة، وإزالة فسادهم، والقضاء على علوهم وغطرستهم، إن سوء وجوههم يبدو في مرارة

---

(١) المصدر السابق ص(١٢٢ ـ ١٢٣).

الهزيمة، التي ينتج عنها زلهم وهوانهم وضعفهم.

* وقوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧] يساعد على توضيح طبيعة وسير المعركة بين المسلمين واليهود أيضًا، فهؤلاء المسلمون المجاهدون المنتصرون الذين دخلوا المسجد وغلبوا اليهود، سوف يتبرون كل ما علوا عليه تتبيرًا، وسوف يدمرون كل ما ظهروا عليه تدميرًا، وسوف يزيلون قوة وسلطان اليهود.

إنهم لا يبيدون اليهود إبادة في هذه المرحلة من معركتهم الطويلة مع اليهود، ولا يفنونهم إفناءً، وإنما يتبرون ويدمرون قوتهم، ويقضون على أسلحتهم، ويتحوّل اليهود بعد ذلك التدمير والتتبير لكل ما يملكون إلى مجموعة ذليلة مشتتة بين الشعوب والأمم.

وقد جاء عن النبي ﷺ من الأحاديث الدالة على قتال اليهود وانتصار المسلمين عليهم ما يلي:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن رسول اللَّه ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة؛ حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد اللَّه! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلاّ الغرقد، فإنه من شجر اليهود»** اللفظ لمسلم.

● وفي لفظ البخاري: **«لا تقوم الساعة؛ حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي:! يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤١٧)، والخطيب في «التاريخ» (٧/ ٢٠٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٢٤٣)، والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد المقدس، قال أبو حنيفة الدينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ٤٤ ـ ٤٥).

● ومن حديث عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**» اللفظ للبخاري.

● وفي لفظ آخر للبخاري: «**تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد اللَّه! هذا يهودي ورائي فاقتله**».

● وفي لفظ لمسلم: «**لتقاتلنَّ اليهود فلتقتلنهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم! هذا يهودي فتعال فاقتله**».

● وفي لفظ آخر لمسلم: «**تقتتلون أنتم ويهود، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي، تعال فاقتله**»[(١)].

❑ قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ في «فتح الباري»:

«**تقاتلون**»: جواز مخاطبة الشخص والمراد غيره ممن يقول بقوله ويعتقد باعتقاده؛ لأنه من المعلوم أن الوقت الذي أشار إليه ﷺ لم يأت بعد، وإنما أراد بقوله: «**تقاتلون**» مخاطبة المسلمين.

في الحديث إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتل الدجال، ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال»[(٢)].

❑ وقال في موضع آخر:

وفي الحديث ظهور آيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٢٥، ٣٥٩٣)، ومسلم (٢٩٢١)، والترمذي (٢٢٣٦)، وأبو يعلى (٥٥٢٣)، وابن حبان (٦٨٠٦ ـ الإحسان)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٦٧، ١٢٢، ١٣١، ١٣٥، ١٤٩)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٧٥).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ١٠٣).

شجرة وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة، ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء والأول أولى»[١].

فقد جاءت الأحاديث الشريفة مبينة وموضحة لقتال يحدث بين المسلمين وبين اليهود، ولليهود سطوة ودولة، وهم أصحاب نفوذ وسلطان، أصحاب القوة والدولة وهو ما يتناسب مع قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «**حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون**»، وقوله: «**حتى تقاتلوا اليهود**»، وقوله في حديث ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ: «**تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم**»، وقوله: «**تقاتلون اليهود**»، وقوله: «**لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم**»، وقوله: «**تقتتلون أنتم واليهود**».

والناظر إلى هذه العبارات بتدبر يشعر أن القتال الذي يكون بين المسلمين واليهود، إنما يحدث واليهود لهم سطوة وقوة، وشدة وبأس، وهو ما عبرت عنه الآيات بقولها: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ [الإسراء: ٦].

وهناك حتمًا قتال بين المسلمين واليهود قبل قتال اليهود الذين مع الدجال، فهناك نصوص تدل على نزول الخلافة في بيت المقدس، وكيف تنزل الخلافة بيت المقدس واليهود يسيطرون عليها، وعلى أرض فلسطين، إذ إن المسلمين الذين يعينون عيسى ـ عليه السلام ـ على قتال الدجال وشيعته من اليهود تكون مقر خلافتهم في بيت المقدس، وإمامهم في ذلك الزمان المهدي ـ عليه السلام ـ والذي يستقر في بيت المقدس، ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ فيما رواه عنه الصحابة الكرام ـ رضوان اللَّه عليهم ـ:

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٦١٠).

● عن ابن زغب الإيادي، قال: نزل عليَّ عبد اللَّه بن حوالة الأزدي فقال: بعثنا رسول اللَّه ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئًا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: «**اللَّهم لا تكلهم إليَّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم**». ثم وضع يده على رأسي ـ أو قال ـ: على هامتي ثم قال: «**يا بن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذٍ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك**»[1].

▣ فهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن دولة الخلافة الإسلامية ستنزل في أرض بيت المقدس، وأن الأمور العظام، ومنها الدجال سيدنو وقتها عند مجيء هذه الخلافة، فكيف ستأتي هذه الخلافة وتنزل بيت المقدس، واليهود يسيطرون على أرض فلسطين كاملة ومنها بيت المقدس؟

● ومنها ما جاء عن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال**»، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه، ثم قال: «**إن هذا الحق كما أنك ههنا أو كما أنك قاعد**»[2].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٥٣٥)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٢٥)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٨٣٨).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٥)، وأبو داود (٤٢٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٠٨) برقم (٢١٤)، و«مسند الشاميين» رقم (٣٥١٤) وهو حديث صحيح، قال عنه ابن كثير: هذا إسناد جيد وحديث حسن، وعليه نور الصدق وجلال النبوّة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٩٦).

فعمران بيت المقدس بالخلافة النازلة فيها، وسيكون هذا العمران قبل خراب يثرب الذي يتم حين يرسل جيش من الشام لقتل المهدي ـ عليه السلام ـ الذي يبايع خليفة للمسلمين على أثر موت خليفة من خلفاء المسلمين، الذين تنزل خلافتهم أو تكون مقر إقامتهم في بيت المقدس؛ لأن المهدي سرعان ما يعود إلى بيت المقدس ليستقر فيها خليفة للمسلمين، وهذا قبل خروج الملحمة، وقبل فتح القسطنطينية، وقبل خروج الدجال.

فهل ستقوم تلك الخلافة في بيت المقدس، والقدس مع ذلك عاصمة موحدة لدولة اليهود، وهل ستقوم هذه الخلافة في بيت المقدس دون قتال، أو جهاد إسلامي لليهود هناك؟ وتولي المهدي ـ عليه السلام ـ الخلافة على أثر موت خليفة من خلفاء المسلمين قد جاء:

● عن أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من (قريش) من أهل المدينة، هاربًا إلى مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة، والمدينة...**»[1]. وذكر الحديث.

● عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ وذكر الدجال... وقال فيه «**إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص**». قالت أم شريك: فأين العرب يا رسول اللَّه يومئذ؟ قال: «**هم يومئذ قليل، وجُلهم ببيت المقدس، وإمامهم مهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل**

---

(١) سيأتي تخريجه.

عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ...»[١] الحديث.

● وعن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة اللَّه لهذه الأمة»**[٢].

* المرحلة الثانية: مرحلة الإبادة والإفناء:

وهي التي تتم بها إبادة اليهود تمامًا، وإفناؤهم نهائيًّا، وإراحة البشرية من وجودهم، بحيث لا يبقى بعدها يهودي حيًّا، وهذه المرحلة متأخرة، لعلها لا تأتي إلا في اللحظات الأخيرة من عمر الدنيا، حيث سيظهر الدجال وهو ـ يهودي ـ من جهة الشرق، وحينها سيتبعه من يهود أصبهان وحدها سبعون ألف يهودي، ثم يحارب عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ الدجال ومن معه من اليهود. ويقتل الدجال بيده الشريفة ـ عليه السلام ـ وفيها سيقضي المسلمون على كل يهودي ممن كانوا معه.

❑ والأحاديث التي سنذكرها لاحقًا تدل على أن اليهود في هذه الجولة ـ المرحلة ـ سيكونون أشياعًا وأتباعًا وجنودًا، ليس لهم دولة وسطوة، والتعبيرات في هذه الأحاديث مختلفة تمامًا، عما ذكرنا في حديث ابن عمر وأبي هريرة في المرحلة الأولى، فالعبارات والكلمات في الحديثين المذكورين معبرة عن قوة وسطوة دولة اليهود بينما العبارات التي سأشير إليها في الأحاديث التالية تعبر عن وضعية التبعية، والضعف، فالسطوة والقوة للدجال، والتبعية والجندية، والتشيع من اليهود، ولذلك سنلحظ الاختلاف بين المرحلتين، ومن هذه الأحاديث التي تدل على

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) سيأتي تخريجه.

تبعيتهم وعدم وجود نفوذ لهم ما يلي:

● عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ينزل الدجال في هذه السبخة، بمر قناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى أن الرجل ليرجع إلى حميمه، وإلى أمه وابنته، وأخته، وعمته، فيوثقها رباطًا، مخافة أن تخرج إليه، ثم يسلط اللَّه المسلمين عليه، فيقتلونه، ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم: هذا يهودي تحتي فاقتله**»[(١)].

● من حديث أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا، عليهم الطيالسة**»[(٢)].

● من حديث سمرة بن جندب ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه: «قام يومًا خطيبًا فذكر في خطبته حديثًا عن رسول اللَّه ﷺ.....» إلى أن ذكر: «..... **أن عيسى ابن مريم ﷺ يُصبح فيهم فيهزمه-اللَّه عز وجل وجنوده حتى أن أصل الحائط أو جذم الشجر**[(٣)] **لينادي: يا مؤمن هذا كافر مستتر بي، تعال فاقتله....**»[(٤)].

● من حديث أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه عليه السلام فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال.. إلى أن قال: «... **فيقول عيسى ﷺ: إن لي فيك ضربة لن تفوتني بها، فيدركه**

---

(١) صحيح الإسناد: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٦٧)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٥٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٤)، وابن حبان (٦٧٩٨ ـ «الإحسان»).

(٣) الجذم: الأصل.

(٤) سيأتي تخريجه.

عند باب لُد الشرقي فيقتله فلا يبقى شيء مما خلق اللَّه عز وجل شيئًا يتوارى به يهودي إلا أنطق اللَّه ذلك الشيء، لا شجرة ولا حجر ولا دابة إلا قال: يا عبد اللَّه المسلم، هنا يهودي فاقتله ـ إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق ـ ...»[1].

وحين نعقد مقارنة بين ألفاظ الأحاديث في المرحلتين سيتبين لنا الفارق الواضح الذي يدل على القوة والسطوة، والنفوذ والدولة، في المرحلة الأولى، وأن اليهود فيها هم أصحاب القرار في قتال المسلمين، وبين التبعية والجندية، والتشيع للدجال في المرحلة الثانية، وأنهم لا يملكون فيها إلا تنفيذ قرارات الدجال، صاحب الشأن الأول، والقرار المسيطر في المرحلة الثانية:

- ألفاظ أحاديث ابن عمر، وأبي هريرة في المرحلة الأولى:
  - **يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون.**
  - **حتى تقاتلوا اليهود.**
  - **تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم.**
  - **تقاتلون اليهود.**
  - **لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم.**
  - **تقتتلون أنتم ويهود.**
- ألفاظ أحاديث المرحلة الثانية التي مع الدجال:
  - **فيقتلونه ويقتلون شيعته.**
  - **يتبع الدجال من يهود أصبهان.**
  - **فيهزمه اللَّه عز وجل وجنوده.**
  - **فيقتله فلا يبقى شيء مما خلق اللَّه عز وجل شيئًا يتوارى به يهودي إلا**

---

(١) سيأتي كاملاً.

أنطق اللَّه ذلك الشيء...»[١].

* ثانياً: نزول الخلافة الإسلامية بيت المقدس:

● من حديث النعمان بن بشير ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كنا قعوداً في المسجد، وكان بشير رجلاً يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول اللَّه ﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة، قال رسول اللَّه ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا فيكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم يكون ملكًا جبريًّا فتكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت**»[٢].

□ ولقد تحققت كل هذه المراحل حتى سقوط الخلافة عام ١٩٢٤م، وبقيت المرحلة الأخيرة التي ستُكحل بها جفوننا، وهي مرحلة الخلافة التي على منهاج النبوة إن شاء اللَّه، وستنزل هذه الخلافة في أرض بيت المقدس، وسيكون جل أعمالها القضاء على دولة اليهود إن شاء اللَّه.

● عن ابن زغب الإيادي، قال: نزل عليّ عبد اللَّه بن حوالة

---

(١) «الأرض المقدسة» لإبراهيم العلي ملخصًا من ص(١٦٣ ـ ١٧٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧٣)، والبزار، والطيالسي (٤٣٨). وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٨٩): رواه أحمد والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في «الأوسط» ورجاله ثقات، وصححه العراقي كما نسبه إليه الألباني، وصححه أيضًا في «الصحيحة» برقم (٥).

الأزدي فقال: بعثنا رسول اللَّه ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئًا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: «**اللَّهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم**». ثم وضع يده على رأسي ـ أو قال ـ على هامتي ثم قال: « **يا بن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك**»[1].

وسيكون في نزول الخلافة الإسلامية بيت المقدس عمران لها، وسبب ذلك الاهتمام الذي ستبديه الخلافة ببيت المقدس، وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ:

● عن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال**».

● ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبيه ثم قال: «**إن هذا هو الحق كما أنك ههنا أو كما أنك قاعد**»[2].

وسيمتد أمر هذه الخلافة فترة من الزمان يسعد الناس عامة بحكمها، ويشاء اللَّه أن يرزق الأمة بخليفة يحقق ما وعد رسول اللَّه بتحقيقه من فتح القسطنطينية، ويملأ الأرض عدلاً وخيرًا، كما امتلأت جورًا وظلمًا، وهو المهدي عليه السلام، ويكون ذلك على إثر موت

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سيأتي ذكر الحديث بتمامه وتخريجه.

خليفة، وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ كما جاء.

● عن أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من (قريش) من أهل المدينة، هاربًا إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة، والمدينة....**»[1].

وسيبادر المهدي ـ عليه السلام ـ إلى الإقامة ببيت المقدس مقر الخلافة الإسلامية، وذلك بعد الانتهاء من البعث الذي يرسله إليه من استأثر بالأمر في الشام، وقد جاء حديث صحيح عن النبي ﷺ يخبر عن نزوله ببيت المقدس.

● عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ وذكر الدجال... وقال فيه: «**إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعي ذلك اليوم يوم الخلاص**».

قالت أم شريك: فأين العرب يا رسول اللَّه يومئذ؟

قال: «**هم يومئذ قليل، وجُلهم ببيت المقدس، وإمامهم مهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ....**»[1] الحديث.

وسيبقى المهدي في الخلافة حتى نزول عيسى ـ عليه السلام ـ، ويصلي المهدي بعيسى ـ عليه السلام ـ إمامًا في بيت المقدس، ثم يتعاونان معًا على قتال الدجال وأشياعه من اليهود وغيرهم، ويعيش الناس بسعادة غامرة تحت حكم عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، وقد

---

(١) سيأتي تخريجه.

جاء هذا:

● عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة اللَّه لهذه الأمة**».

❑ قال ابن القيم: وهذا إسناد جيد.

* ثالثًا: ظهور المهدي واستقراره ببيت المقدس:

يعتقد أهل السنة والجماعة بأن رجلاً صالحًا من نسل فاطمة ـ عليها السلام ـ سيظهر في آخر الزمان ويكون خليفة للمسلمين.

❑ قال السفاريني: «وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدّ من معتقداتهم»[(١)].

ثم قال: «**فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرّر عند أهل العلم، ومدوّن في عقائد أهل السنة والجماعة**»[(٢)].

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**لتملأن الأرض جورًا وظلمًا، فإذا ملئت جورًا وظلمًا، يبعث اللَّه رجلاً مني، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملؤها عدلاً وقسطًا، كما ملئت جورًا وظلمًا، فلا تمنع السماء شيئًا من قطرها، ولا الأرض شيئًا من نباتها، يمكث فيكم سبعًا، أو ثمانيًا، فإن أكثر فتسعًا**»[(٣)].

● وقال ﷺ: «**لتملأن الأرض ظلمًا وعدوانًا، ثم ليخرجن رجل من**

---

(١) «لوامع الأنوار» للسفاريني (٢/ ٧٠).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٨١).

(٣) صحيح: رواه البزار، والطبراني في «الكبير» عن أبي سعيد الخدري كما في «صحيح الجامع»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٠٧٣).

أهل بيتي، حتى يملأها قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطول اللَّه ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي، يُواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وجورًا»**[٢] .

● وقال ﷺ: **«لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث اللَّه رجلاً من أهل بيتي، يملؤها عدلاً، كما ملئت جورًا»**[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيًا، ولا يعدُّه عدًّا»**[٤] .

● **«المهدي من عترتي**[٥] **من ولد فاطمة»**[٦] .

● **«المهدي منا أهل البيت، يصلحه اللَّه**[٧] **في ليلة»**[٨] .

---

(١) صحيح: رواه الحارث عن أبي سعيد، وكذا رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٩)، و«صحيح الجامع» (٥٠٧٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٠٤)، و«تخريج المشكاة» (٥٤٥٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود عن علي، كما في «صحيح الجامع»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٠٥).

(٤) رواه مسلم عن أبي سعيد. يحثو المال: أي: يغرف منه غرفًا.

(٥) عترتي أي: من نسلي وعشيرتي.

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٦٤)، وابن ماجه (٤٠٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٧) عن أم سلمة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٧٣٤).

(٧) أي: يهيئه لهذا الأمر.

(٨) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه عن علي، كما في «صحيح الجامع»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٧١)، و«صحيح الجامع» (٦٧٣٥).

● «المهدي مني، أجلى[١] الجبهة، أقنى[٢] الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت جورًا وظلمًا، يملك سبع سنين»[٣].

● «لا تذهب الدنيا، ولا تنقضي، حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[٤].

● «يكون في آخر الزمان خليفة، يقسم المال ولا يعده»[٥].

● «يكون في آخر أمتي خليفةٌ، يحثي المال حثيًا، ولا يعدُّه عدًّا»[٦].

● «يلي رجلٌ من أهل بيتي، يُواطئ اسمه اسمي، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لَطَوَّلَ اللَّه ذلك اليوم حتى يَلي[٧]»[٨].

● وفي حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه اللَّه الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا، أو ثمانيًا،

---

(١) أي: منحسر شعره عن مقدم رأسه.

(٢) يعني: طويل مع دِقّة فيه.

(٣) حسن: أخرجه أبو داود، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٧)، والحاكم في «المستدرك»، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٨٢٦)، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٣٦).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والترمذي عن ابن مسعود كما في «صحيح الجامع»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٧٥)، و«تخريج المشكاة» (٥٤٥٢).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن أبي سعيد وجابر.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن جابر.

(٧) أي: يتولّى الخلافة.

(٨) حسن: أخرجه أبو داود عن ابن مسعود، وأخرج الترمذي الشطر الأول عن ابن مسعود، وأخرج الشطر الثاني عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٤٥٢)، و«صحيح الجامع» (٨١٦٠).

يعني: حجة»[١].

* مبايعة صالحي الشام للمهدي ـ عليه السلام ـ :

● عن أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ عن النبي ﷺ قال: **يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من (قريش) من أهل المدينة، هاربًا إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويُبْعثُ إليه بعثٌ من الشام، فيُخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك، أتاه أبدال (أهل) الشام، وعصائب أهل العراق، فيبايعونه بين الركن والمقام، ثم ينشأ رجل من قريش أخوالُهُ كلبٌ، فيبعث إليهم بعثًا فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال، ويعملُ في الناس بسنة نبيهم ﷺ، ويُلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»**[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٨، ٣٦، ٧٠)، والحاكم (٤/ ٥٥٧، ٥٥٨)، وأبو يعلى (٩٨٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣١٤) عن أسانيد أحمد وأبي يعلى رجالهما ثقات. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود برقم (٤٢٨٦) (٤٢٨٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٦٧٥٧)، وأبو يعلى (٦٩٤٠)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣١٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٣) رقم (٩٣١)، و«الأوسط» برقم (١١٧٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣١٥): رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن القيم في «المنار المنيف» ص(١٤٤): الحديث حسن، ومثله ما يجوز أن يقال فيه: صحيح. وجاء مختصرًا من حديثها: أخرجه الحاكم (٤/ ٤٣١)، وابن أبي شيبة (١٥/ ٤٥ ـ ٤٦)، وأبو داود (٤٢٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ برقم٩٣٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣١٤): في «الصحيح» طرف منه، ورواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» باختصار، وفيه عمران القطّان، وثّقه ابن حبان وضعّفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح.

* نزول المهدي بيت المقدس وصلاته بعيسى ـ عليه السلام ـ إماماً:

جاء نزوله بيت المقدس، وصلاته بعيسى ـ عليه السلام ـ إمامًا من حديث عدد من الصحابة:

● من حديث أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ وذكر الدجال... وقال فيه: «.. **إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص**».

قالت أم شريك: فأين العرب يا رسول اللَّه يومئذ؟

قال: «**هم يومئذ قليل، وجُلهم ببيت المقدس، وإمامهم مهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، حين كبر للصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص ليتقدم عيسى يصلي بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه، فيقول: تقدم فصلها، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم**»[1].

● ومن حديث جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**» قال: «**فينزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فيقول أميرهم: تعال فصلِّ، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة اللَّه لهذه الأمة**»[2].

□ وقد ذكر الحافظ ابن القيم في كتابه «المنار المنيف في الصحيح

---

(١) صحيح: وسيأتي تخريجه في أحاديث خروج الدجال.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٦)، وأبو يعلى (٢٥٧٨)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٣٤٥، ٣٦٧ ـ ٣٦٨، ٣٨٤).

والضعيف» ص(١٤٧ ـ ١٤٨): رواية أخرى لهذا الحديث عن جابر وفيها التصريح بأن الرجل الذي يصلي بعيسى ـ عليه السلام ـ هو المهدي ـ عليه السلام ـ وعزاه للحارث بن أبي أسامة في «مسنده» فقال:

● عن جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فينزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فيقول أميرهم المهدي: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة اللَّه لهذه الأمة**».

وقال ابن القيم عقبه: وهذا إسناد جيد.

● ومن حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه**»[١].

وقال السيوطي ـ رحمه اللَّه ـ في كتاب «العرف الوردي» بعد أن ذكر مجموعة من الأحاديث، فيها التصريح بأن الإمام الذي يصلي خلفه عيسى ـ عليه السلام ـ هو المهدي ـ عليه السلام ـ بقوله:

«عن أبي الحسين الآبري: قد تواترت الأخبار، واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى ـ عليه السلام ـ فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى يصلي خلفه»[٢].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «مناقب المهدي»، كما عزاه إليه السلمي في «عقد الدرر» ص(٨٤) برقم (٣٥)، والسيوطي في «الجامع الصغير»، وصحّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٢٠).

(٢) «العرف الوردي» ص(٨١، ٨٣، ٨٤)، و«المنار المنيف» لابن القيم ص(١٤٨)، وابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٩٣).

* درر نفيسة لمحدث العصر الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ :

❑ قال محدث العصر الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ : «لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته على وجه الأرض؛ انتظارًا منهم لخروج المهدي ونزول عيسى ـ عليهما السلام ـ؛ يأسًا منهم؛ أو توهمًا أن ذلك غير ممكن قبلهما! فإن هذا توهم باطل، ويأس عاطل، فإن الله تعالى أو رسوله ﷺ لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام، ولا سلطان له على وجه الأرض إلا في زمانهما، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك، لقوله تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، وقوله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

ولقد كان هذا التوهم من أقوى الأسباب التي حملت بعض الأساتذة المرشدين والكُتّاب المعاصرين على إنكار أحاديث المهدي، وعيسى ـ عليهما السلام ـ على كثرتها وتواترها لما رأوا أنها عند المتوهمين مدعاة للتواكل عليها وترك العمل لعز الإسلام من أجلها! فأخطئوا في ذلك أشد الخطأ من وجهين:

الأول: أنهم أقرّوهم على هذا التوهم؛ على اعتبار أن مصدره تلك الأحاديث المشار إليها؛ وإلا لم يبادروا إلى إنكارها!.

والآخر: أنهم لم يعرفوا كيف ينبغي عليهم أن يعالجوا التوهم المذكور؟ وذلك بإثبات الأحاديث، وإبطال المفاهيم الخاطئة من حولها، وما مثلهم في ذلك إلا كمثل من أنكر عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره؛ لأن بعض المؤمنين به فهموا منه أن لازمه الجبر، وأنّ المكلّف لا كسب له ولا

اختيار، ولما كان هذا الفهم باطلاً بداهة سارعوا إلى إنكاره، ولكنهم أنكروا معه القدر أيضًا، لتوهمهم ـ أيضًا مع المتوهمين ـ أنه يعني الجبر فوافقوهم في خطئهم في التوهم المذكور، ثم زادوا عليهم خطأً آخر ـ فرارًا من الأول ـ وهو إنكارهم للقدر نفسه! فلولا أنهم شاركوهم في فهمهم منه الجبر لما أنكروه!

وهذا عين ما صنعه البعض المشار إليه من الأساتذة والكُتّاب، فإنهم لما رأوا تواكل المسلمين ـ إلا قليلاً منهم ـ على أحاديث المهدي وعيسى؛ بادروا إلى إنكارها لتخليصهم ـ بزعمهم ـ من التواكل المذكور! فلم يصنعوا شيئًا؛ لأنهم لم يستطيعوا تخليصهم بذلك من جهة؛ ولا هم كانوا على هدى في إنكارهم للأحاديث الصحيحة من جهة أخرى.

والحقيقة أن هؤلاء المنكرين ـ الذين يفهمون من هذه الأحاديث ما لا تدل عليه من التواكل المزعوم، ولذلك يبادرون إلى إنكارها تخلّصًا منه ـ قد جمعوا بين المصيبتين: الضلال في الفهم، والكفر بالنص! ولكنهم عرفوا أن الفهم المذكور ضلال في نفسه؛ فأنكروه بإنكار النص الذي فهموا ذلك منه!.

وعكس ذلك العامة، فآمنوا بالنص مع الفهم المذكور، فمع كل من الفريقين هدى وضلال، والحق الأخذ بهدى كل منهما، ونبذ الضلال الذي عندهما؛ وذلك بالإيمان بالنص دون الفهم الخاطىء.

وما مثل هؤلاء وهؤلاء إلا كمثل المعتزلة من جهة؛ والمشبِّهة من جهة أخرى، فإن الأولين تأوّلوا آيات وأحاديث الصفات، بتآويل باطلة أودت بهم إلى إنكار الصفات الإلهية، وما حملهم على ذلك إلا فرارهم

من التشبيه الذي وقع فيه المشبِّهة، والحقيقة أن المعتزلة أنفسهم شاركوا المشبِّهة في فهم التشبية من آيات الصفات، ولكنهم افترقوا عنهم بإنكار التشبيه بطريق التأويل الذي هو باطل أيضًا كالتشبيه؛ لما لزم منه من إنكار الصفات الإلهية، وأما المشبِّهة فلم يقعوا في هذا الباطل، ولكنهم ثبتوا على التشبيه، والحق الجمع بين صواب هؤلاء وهؤلاء، وردّ باطل هؤلاء وهؤلاء، وذلك بالإثبات والتنزيه؛ كما قال اللَّه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكذلك أقول في أحاديث نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وغيرها؛ فإن الواجب فيها إنما هو الإيمان بها، وردّ ما توهمه المتوهمون منها؛ من ترك العمل والاستعداد الذي يجب القيام به في كل زمان ومكان، وبذلك نكون قد جمعنا بين صواب هؤلاء وهؤلاء، ورددنا باطل هؤلاء وهؤلاء. واللَّه المستعان»[١، ٢].

* هدنة قبل الملحمة العظمى:

عن ذي مخبر ابن أخي النجاشي ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**تصالحون الروم صلحًا آمنًا حتى تغزوا أنتم وهم عدوًّا من ورائهم، فتنصرون وتغنمون، وتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تُلول، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل اللَّه غلب. فيثور المسلم**

(١) «قصة المسيح الدّجال» للألباني ص(٣٦ ـ ٣٨).

(٢) العجيب أن ناسًا من كبار أهل السنة زلّت أقدامهم في هذه المسألة ووافقوا فيها رجالات المدرسة العقلية الحديثة، ومن هؤلاء الشيخ أبو الوفا درويش، والشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، ولقد عارضهم في هذه المسألة الشيخ محمد خليل هرّاس وانتصر لمذهب أهل السنة في رسالته «رفع عيسى ابن مريم ﷺ حيًّا». رحم اللَّه الجميع وغفر لهم... وكلٌّ يُؤخذ من قوله ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ.

إلى صليبهم وهو منه غير بعيد، فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم، فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم اللَّه تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب، فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا»[1] .

* رابعًا: الملحمة العظمى، ونصر مسلمي الأرض المقدسة على الروم:

تحدّث رسول اللَّه ﷺ في سنته الصحيحة، عن الهدنة بين المسلمين وأعدائهم من الروم، وكيف يحاولون الغدر بالمسلمين، ويجمعون جمعًا يقارب مليون جندي، وتمتلأ قلوبهم بالأحقاد، ويقدمون إلى الأرض المقدسة ليقضوا على دولة الإسلام، وينصر اللَّه المسلمين نصرًا كبيرًا، وفي الأحاديث تفصيل ذلك:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«تكون بينكم وبين بني الأصفر هُدنة، فيغدرون بكم، فيسيرون إليكم في ثمانين غايةٍ، تحت كلِّ غايةٍ منهم اثنا عشر ألفًا»**[2] .

● وقال ﷺ: **«ستصالحون الروم صُلحًا أمْنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تُلول فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب، ويقول: غلب الصليب! فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله،**

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٦٧، ٤٢٩٢، ٤٤٩٣)، وابن ماجه (٤٠٨٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٧٠٨، ٦٧٠٩)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٩١، ٥/ ٤٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٢١)، والطبراني في «الكبير» برقم (٤٢٢٩، ٤٢٣٠، ٤٢٣١، ٤٢٣٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه عن عوف بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٩٩١).

فيغدر القوم، وتكون الملاحم، فيجتمعون لكم، فيأتونكم في ثمانين غايةً مع كلِّ غايةٍ عشرة آلاف»[١].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يُقال لها: الغُوطة، فيها مدينة يُقال لها: دمشق، خير منازل المسلمين يومئذ»[٢].

● وقال ﷺ: «إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة[٣] بالغوطة، إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام»[٤].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابقٍ[٥] فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا واللَّه لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب اللَّه عليهم أبدًا، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند اللَّه، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدًا، فيفتتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم[٦] في أهليكم، فيخرجون وذلك

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان عن ذي مخمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦١٢)، و«تخريج المشكاة» (٥٤٢٨).

(٢) أرض واسعة ذات نبات كثير.

(٣) فسطاط المسلمين: أي: مدينتهم التي يجتمع إليها الناس للقتال.
يوم الملحمة: الخروج لقتال بني الأصفر ـ النصارى ـ والغوطة: موضع بالشام.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١١٦).

(٥) الأعماق أو دابق: هما موضعان بالشام، قرب حلب.

(٦) أي: جاء بعدكم؛ فأغار عليهم.

باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يُعِدُّون للقتال، يسوّون الصفوف، إذ أُقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فأمَّهم، فإذا رآه عدو اللَّه ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللَّه بيده، فيريهم دمه في حربته» (١).

● ومن حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إذا وقعت الملاحم بعث اللَّه من دمشق بعثًا من الموالي، أكرم العرب فرسًا، وأجودهم سلاحًا، يؤيد اللَّه بهم الدين»** (٢).

● ومن حديث عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: **«عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام»** قلت: الروم تعني؟ قال: **«نعم»** (٣).

□ وقد تحدث النبي ﷺ عن هذه المعركة الفاصلة والمسماة بالملحمة العظمى، والملحمة الكبرى، وبأنه سيحدث فيها مقتلة لا يرى مثلها، أو مقتلة لم ير مثلها، وبأنها ستكون معركة عنيفة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، يكثر فيها القتل حتى أن الطائر يمر بجنبات المعركة وأرضها، فلا يجاوز أرض المعركة حتى يسقط ميتًا لكثرة الروائح المنبعثة من القتلى الذين ينتشرون على أرض المعركة، جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ حيث يقول:

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٠٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٥٤٨)، ونعيم بن حمّاد في «الفتن» (١٣٣٤)، وصححه الحاكم على شرط البخاري، وتعقّبه الذهبي: أنه على شرط مسلم، والحديث حسن فقط، كما قال الألباني في «فضائل الشام» للربعي ص(٥٩). وقال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد حسن.

(٣) سيأتي تخريجه في الحديث الذي بعده.

● عن يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد اللَّه بن مسعود! جاءت الساعة.

قال: فقعد وكان متكئًا فقال: «**إن الساعة لا تقوم، حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة**» ثم قال بيده: هكذا «ونحاها نحو الشام» فقال: «**عدو يجمعون لأهل الإسلام**[١]، **ويجمع لهم أهل الإسلام**، قلت: الروم تعني؟ **قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة**[٢]، **فيشترط المسلمون شرطة**[٣] **للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، على غير غالب، وتفنى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز الليل، فيفيء**[٤] **هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة.**

ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة.

فإذا كان اليوم الرابع، نهد[٥] **إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل اللَّه الدبرة**[٦] **عليهم، فيقتلون مقتلة، إما قال: لا يُرى مثلها، وإما قال: لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم**[٧] **فما يخلفهم**[٨] **حتى يخر ميتًا، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة،**

---

(١) لأهل الإسلام: لقتال أهل الإسلام.

(٢) ردة شديدة: أي: عطفة قوية.

(٣) يشترط المسلمون شرطة: يضربون على أنفسهم الشروط والعهود للقتال حتى الموت.

(٤) يفيء: يرجع.

(٥) نهد: نهض وقام.

(٦) الدبرة: الهزيمة.

(٧) بجنباتهم: بنواحيهم.

(٨) يخلفهم: يجاوزهم.

فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح! أو أي ميراث يقاسم؟

فبينما هم كذلك، إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون[1] ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول اللَّه ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس ظهر الأرض يومئذ»[2].

● وفي رواية ابن حبان قال:

«.... ثم يلتقون في اليوم الرابع، فيقاتلونهم ويهزمونهم حتى تبلغ الدماء نحر الخيل (ويقتتلون حتى أن بني الأب، كانوا يتعادون على مئة) فيقتلون حتى لا يبقى منهم رجل واحد. فأي ميراث يقسم بعد هذا، وأي غنيمة يفرح بها؟! ثم يستفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقسمون الدنانير بالترسة، إذ أتاهم فزعٌ أكبر من ذلك: إن الدجال قد خرج في ذراريكم، فيرفضون ما في أيديهم ويُقبلون، ويبعثون طليعة فوارس، قال رسول اللَّه ﷺ: «هم يومئذ خير فوارس الأرض إني لأعلم أسماءهم وأسماء آبائهم، وقبائلهم، وألوان خيولهم».

هذا هو حديث رسول اللَّه ﷺ عن الملحمة العظمى، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

والمتتبع لما عند أعداء الأمة من اليهود والنصارى يلحظ أمرًا هامًّا،

---

(١) فيرفضون: فيتركون.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٩)، والطيالسي (٣٩٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ١٣٨ ـ ١٣٩)، وأبو يعلى (٥٣٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥، ٤٣٥).

أن من العقائد المشتركة عندهم عقيدة «الهرمجدون» وهو الاعتقاد بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير وقوى الشر. وهو ما يسمى: بمعركة «مجدو» أو«الهرمجدون».

❑ وبلدة مجدو التي تنسب إليها هذه المعركة هي بلد في فلسطين، تبعد ٥٥ ميلاً عن تل أبيب، وتقع على بعد ١٥ ميلاً عن شاطئ المتوسط، وتقع جنوب شرق حيفا بمقدار ٢٠ ميلاً.

ورؤيتهم لهذه المعركة غائمة وغير واضحة المعالم.. والحديث عنها يتداول على نطاق واسع وعلى أعلى المستويات:

القسّ المبشر جيمي سواجارت، والمبشر جيري فالويل، وبيلي جريهام، والمبشر أوين، والقس ديلوتش، وآندرو لانج مدير الأبحاث في معهد الدراسات المسيحية ـ والمقيم بواشنطن، ووليام سافير المعلق الصحفي ـ في صحيفة نيويورك تايمز، ورئيس أمريكا السابق ريجان، وجيمس ملز رئيس مجلس شيوخ ولاية كاليفورنيا، وتوم داين من اللجنة المركزية الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة «الإيباك».

❑ قال الرئيس ريجان في اجتماع له مع اللوبي اليهودي:

«إنني أعود إلى أنبيائكم القدامى في العهد القديم، وإلى الدلائل التي تنبئ بمجدو، وأجدني أتساءل عمّا إذا كنا الجيل الذي سيشهد ذلك، لا أدري إن كنت لاحظت أيًّا من هذه التنبؤات في الأزمنة الأخيرة.... ولكن بالتأكيد هي تصف الزمن الذي نعيشه».

وفي أثناء رحلة نظمها المبشر «جيري فالويل» لزيارة الأرض المقدسة في فلسطين، التقى مع أعضاء الرحلة وزير الدفاع اليهودي آنذاك عام (١٩٨٢م). موشي آرينز وقال: «إن غزو لبنان ١٩٨٢ كانت بإرادة إلهية،

فهي حرب مقدسة مستمدة من العهد القديم، وهذا يؤكد النبوءة إذ إن هذا الغزو يمكن أن يعني أن معركة مجدو قد اقتربت.

نؤمن بما قال نبينا ﷺ والنصر فيها للمسلمين... أما أن تكون الملحمة هي معركة مجدو[1] أو غيرها فلا شأن لنا بهذا، وإذا جاء نهر اللَّه بطل نهر معقل...

* خامسا: يا خيل اللَّه اركبي:

* فتوحات إسلامية غالية تنطلق من الأرض المقدسة:

وتنطلق خيل اللَّه من الأرض المقدسة لتحقق أغلى الفتوحات زمن المهدي ـ عليه السلام ـ.

(أ) ـ فتح القسطنطينية:

● عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية، أو رومية؟

فدعا عبد اللَّه بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد اللَّه: بينما نحن حول رسول اللَّه ﷺ نكتب، إذ سُئل رسول اللَّه ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً، قسطنطينية أو رومية؟

● فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولاً: يعني القسطنطينية**»[2]

---

(١) يراجع كتاب «الحقيقة التوراتية للموقف الأمريكي» ـ لإسماعيل الكيلاني، وكتاب «المسيح الدجّال» ـ للأستاذ سعيد أيوب.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٦)، والدارمي (١/ ١٢٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٢٢)، (٤/ ٥٠٨)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢/ ١١٦). وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢١٩): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٦٦٤٥)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٤).

❑ وقد تحقق الجزء الأول من هذا الحديث ففتحت القسطنطينية بعد ثمانية قرون، على يد السلطان العثماني محمد الفاتح ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ، ولا بد أن يتحقق ما وعد النبي ﷺ من فتح روما عاصمة إيطاليا في هذه الأيام، وهو ما سيتحقق على يد الخلافة الراشدة التي تحدثنا عنها عند نزول الخلافة بيت المقدس.

وبنص حديث رسول اللَّه ﷺ ستُفتح القسطنطينية في عهد المهدي.

ولقد تأوّل بعض الناس فتح القسطنطينية الأخير بأنه فتح روما والتي كان يُطلق عليها سابقًا (القسطنطينية الرومية) «وهو اسم أطلق عليها لأنها تقوم على الأعمدة التي أقرّها قسطنطين في مجمع نيقية، وهي التي يفتحها المسلمون مع المهدي بعد الملحمة العظمى، والتي ذكرها النبي ﷺ بقوله: «**سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب في البحر...**»، وهو ما يؤكده القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» حيث قال: «روما هي مدينة لها ثلاثة جوانب في البحر والرابع في البر، وبها الآلاف من الأديرة والأسواق والتماثيل التي هي من الذهب والمرمر، وبها مرسى تقف عنده السفن، وبها كنيسة جميع أبوابها مفتوحة في اتجاه الشرق، ويوجد بها فسقية بها تمثال (راكب على بعير) ويقول أهل المدينة: إن الذي بناها قال لهم: عندما يأتيكم قوم على هذه الصفة فهم الذين يفتحونها»[١، ٢].

❑ وهذا الكلام كلام مرجوح.

● قال رسول اللَّه ﷺ: « **عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب**

---

(١) «الأرض المقدسة» لإبراهيم العلي ص(٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢) «آثار البلاد وأخبار العباد» ـ للقزويني ص(٥٩١ ـ ٥٩٢).

يثرب خروج الملحمة[١] وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»[٢] .

● وقال ﷺ : «سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب في البحر؟ لا تقوم الساعة حتى يغزُوها سبعون ألفًا من بني إسحق فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيسقط أحدُ جانبيها الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيفرج لهم، فيدخلونها، فيغنمون، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصَّريخ[٣] ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[٤] .

قال النووي في شرحه على «صحيح مسلم»، قال القاضي: كذا هو في جميع أصول «صحيح مسلم». (من بني إسحاق) قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ من (بني إسماعيل) وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة القسطنطينية»[٥] .

● وفي حديث ابن مسعود الذي مرّ سابقًا: «.... ثم يستفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقسمون الدنانير بالترسة،....» .

● وفي حديث أبي هريرة الذي مرّ: «.... فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علّقوا سيوفهم بالزيتون....» .

---

(١) أي: خراب يثرب سبب لخروج الملحمة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الصريخ: المنادي.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٢٠) عن أبي هريرة.

(٥) شرح «صحيح مسلم» للنووي (١٨/ ٤٣).

فللّه ما أعظم هذا الفتح الذي سيكون بالذكر والتهليل والتكبير.

(ب) ـ فتح روما عاصمة إيطاليا:

يا له من يوم أغرّ.. يغزو الإسلام فيه مقر البابوية ومعقل النصرانية، وللّه أبصار ترى هذا اليوم جهرة.. ترى راية الإسلام فوق كنائسهم، وتسمع صوت المؤذنين بدلاً، من القساقسة والرهبان.

(جـ) ـ فتح الهند على يد أهل الشام زمن المهدي ـ عليه السلام ـ :

وعد رسول اللّه ﷺ هذه الأمة بأن يفتح اللّه عليهم الهند. وأن يغفر اللّه تعالى للجيش الذي يغزو الهند، وأن يحرز اللّه هذا الجيش من النار يوم القيامة، وسيكون لأهل الأرض المقدسة دور كبير في هذا الفتح حيث سيغنمون ويفتحون تلك البلاد ويعودون، فيجدون عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ قد خرج في أرض الشام، جاء ذلك عن النبي ﷺ :

● عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: «وعدنا رسول اللّه ﷺ في غزوة الهند، فإن استشهدت كنت من خير الشهداء، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر» اللفظ لأحمد .

● وفي رواية أخرى قال: حدثني خليلي الصادق رسول اللّه ﷺ أنه قال: «**يكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند، فإن أنا أدركت، فاستشهدت فذلك، وإن أنا ـ فذكر كلمة ـ رجعت، وأنا أبو هريرة المحرر، قد أعتقني من النار**»[1] .

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٢٩، ٣٦٩)، والنسائي في «السنن» (٦/ ٤٢) برقم (٣١٧٣، ٣١٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥١٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير»، ونعيم بن حمّاد في «الفتن» رقم (١٢٣٧)، وسكت الحاكم والذهبي عليه، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» برقم (٧١٢٨)، وأنكر على الذهبي قوله بأن الخبر منكر. وله متابعات عند نعيم بن حماد في «الفتن» برقم (١٢٣٦، ١٢٣٩).

● وقد جاء عنه بلفظ عند نعيم بن حماد في «الفتن» حيث قال: عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ـ وذكر الهند ـ فقال: «**ليغزون الهند لكم جيش، يفتح اللَّه عليهم، حتى يأتوا بملوكهم مغللين بالسلاسل، يغفر اللَّه ذنوبهم، فينصرفون حين ينصرفون، فيجدون ابن مريم بالشام**». قال أبو هريرة: إن أنا أدركت تلك الغزوة، بعت كل طارف لي وتالد، وغزوتها فإذا فتح اللَّه علينا وانصرفنا فأنا أبو هريرة المحرر، يقدم الشام، فيجد فيها عيسى ابن مريم، فلأحرصن أن أدنو منه فأخبره أني قد صحبتك يا رسول اللَّه. قال: فتبسم رسول اللَّه ﷺ وضحك، ثم قال: «**هيهات، هيهات**»[1].

● ومن حديث ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**عصابتان من أمتي أحرزهما اللَّه من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام**»[2].

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٢٣٦).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (٦/ ٤٢ ـ ٤٣) برقم (٣١٧٥)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٢٧٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير»، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٦١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٩٣٤).

* سادساً: خروج الدجّال وهلاكه بيد المسيح ـ عليه السلام ـ على أرض فلسطين المباركة:

من فضائل الأرض المقدسة فلسطين نهاية أعظم وأعم فتنة منذ خلق آدم على أرضها، ألا وهي فتنة المسيح الدجّال، فكل فتنة تتضاءل وتصغر وتتضع لهذه الفتنة:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما بينَ خَلقِ آدمَ إلى قيام الساعةِ أمرٌ أكبرُ منَ الدجّال**»(١).

● وفي رواية: «**خلق أكبر من الدجّال**».

● وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: ذُكر الدجّال عند رسول اللَّه ﷺ فقال: «**لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجّال، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها، وما صنعت فتنة مذ كانت الدنيا، صغيرة ولا كبيرة، إلا لفتنة الدجّال**»(٢).

● وفي رواية ابن حبان قال: كنا عند النبي ﷺ فذكر الدجّال، فقال: «**لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجّال، إنها ليست من فتنة صغيرة، ولا كبيرة إلا تتضع لفتنة الدجّال، فمن نجا من فتنة ما قبلها نجا منها، وإنه لا يضرّ مسلمًا، مكتوب بين عينيه: كافر مُهجّاة ك، ف، ر**».

●وعن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: أخبرتني أمّ شريك،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٩، ٢٠، ٢١)، والحاكم (٤/ ٥٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤) برقم (٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣)، عن هشام بن عامر.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٩)، والبزار، وابن حبان (٦٨٠٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٣٥): رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح.

أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «**لَيفرَّنَّ الناسُ منَ الدَّجالِ في الجبال**».

قالت أم شريك: يا رسول اللَّه! فأين العرب يؤمئذ؟، قال: «**هم قليل**»[1].

وأحاديث الدجال متواترة رواها جمع كبير من الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم ـ منهم: هشام بن عامر، وعبد اللَّه بن مغفل، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن عبد اللَّه، وعبد اللَّه بن عمر، وأنس بن مالك، والنواس بن سمعان، وأبو هريرة، ونفير بن مالك، وعائشة، وأم سلمة، وعبادة بن الصامت، وعبد اللَّه بن عباس، وأبو بكرة الثقفي، وسفينة مولى رسول اللَّه ﷺ، وأبو سعيد الخدري، وفاطمة بنت قيس، وأم شريك، وعبد اللَّه بن مسعود، وعبد اللَّه بن عمرو، وأبو أمامة، وسعد ابن أبي وقاص، وسمرة بن جندب، ومجمّع بن جاريـة، وعثمان بن أبي العاص، وأسماء بنت عميس، وأسماء بنت يزيد.

وظهور الدجّال ونزول عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ وقتله للدجّال أمر من أمور العقيدة، وفيصل بين عقيدة السلف وعقائد غيرهم ممن يقولون أنها أحاديث آحاد، وأن أحاديث الآحاد لا يُعمل بها في العقائد، أو يتأولون ظهور الدجّال مثلما قال الشيخ محمد عبده: «إن الدجّال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها...»[2] !!!.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٥)، والترمذي (٣٩٣٠)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٢٤٩).

(٢) تفسير المنار (٣/ ٣١٧) للشيخ محمد رشيد رضا. وممن يذهب إلى ضعف حديث الدجّال، وأن طرقه كلها تدور على وهب بن منبه وكعب الأحبار ـ شيخ الأزهر السابق محمود شلتوت.

وتأويل أحاديث الدجّال شر مستطير، ومدخل للزنادقة والباطنية لهدم دين اللَّه، وما أمر البهاء والباب والقادياني الكذّاب منا ببعيد..

ولله در عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ الذي ما رآه الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجه: عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ على المنبر وهو يقول: «سيكون فيكم قوم من هذه الأمة يكذّبون بالرجم، ويكذّبون بالدجّال، ويكذّبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذّبون بعذاب القبر، ويكذّبون بالشفاعة، ويكذّبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا، فلئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود»[1].

كثير من الناس يغفل أمر الدجّال ويشككون في الأحاديث الواردة فيه، تارة في ثبوتها، وتارة في عدم ورودها بطريق التواتر ـ زعموا ـ، وتارة في دلالتها، فالواجب أن تُبيَّن للأمة هذه الفتنة العظيمة.

● عن راشد بن سعد قال: لما فُتحت اصطخر نادى منادٍ: ألا إن الدجّال قد خرج، قال: فلقيهم الصعب بن جثامة، قال: فقال: لولا ما تقولون لأخبرتكم أني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«لا يخرج الدجّال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر»**[2].

* علامات خروج الدجال:

جاء في حديث فاطمة بنت قيس أخت الضحّاك بن قيس، عن

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الداني في «الفتن»، وأحمد (١/ ٢٣) مختصرًا، وإسناده حسن كما قال الألباني في «قصة المسيح الدجال» ص(٣٠).

(٢) صحيح: رواه عبد اللَّه بن أحمد في «زوائد مسند أحمد» (٤/ ٧٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٣٥): «رواه عبد اللَّه بن أحمد من رواية بقيّة عن صفوان بن عمرو، وهي صحيحة، كما قال ابن معين، وبقية رجاله ثقات».

النبي ﷺ : «يا أيها الناسُ! هل تدرون لِمَ جمعتكم؟ إني واللَّه ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلاً نصرانيًّا، فجاء فبايعَ وأسلمَ، وحدثني حديثًا وافق الذي كنتُ أحدِّثكم عن المسيح الدجّال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخْمٍ وجُذامٍ[١] ، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفئوا[٢] إلى جزيرةٍ في البحر حين غروب الشمسِ، فجلسُوا في أَقرُب[٣] السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيهم دابةٌ أهلبُ[٤] كثير الشعر، لا يدرونَ ما قُبله من دبره من كثرة الشعرِ، فقالوا: ويلكِ ما أنتِ؟ قالت: أنا الجسَّاسة، قالوا: وما الجسَّاسة؟ قالت: أيها القومُ انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركمْ بالأشواق[٥] ، قال: لما سَمَّت لنا رجلاً، فرِقنا[٦] منها أن تكون شيطانةً، فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا بابَ الدير، فإذا فيه أعظمُ إنسان[٧] رأيناه قطُّ خَلقًا، وأشدُّه وثاقًا، مجموعةٌ يداهُ إلى عنقه[٨] ما بين رُكبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلكَ ما أنت؟ قال: قد قدرتمْ على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أُناسٌ من العرب، ركِبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم[٩] فلعبَ بنا الموجُ شهرًا ثم أرفأنا إلى جزيرتكَ هذه، فجلسنا في أقربُها، فدخلنا الجزيرةَ فَلَقِيَتْنا دابَّة أهلبُ، كثير الشعر، ما يُدرى ما قُبُله من دُبُره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلكِ ما

(١) قبيلتين من العرب.
(٢) أرفئوا أي: التجئوا إليها.
(٣) مفردها: قارب، وهو السفينة الصغيرة.
(٤) أهلب: كثير الشعر، غليظه.
(٥) أي: شديد الشوق إليه.
(٦) أي: خفنا.
(٧) أي: أكبر جثة.
(٨) قُيدت يداه إلى عنقه.
(٩) اغتلم: هاج وجاوز حدّه المعتاد.

أنت؟ قالت: أنا الجسَّاسةُ، قلنا: وما الجسَّاسة[١] ؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعًا، وفرقنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانةً، قال: أخبروني عن نخل بيسان[٢] ، قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبر[٣] ؟ قال: أسألكمْ عن نخلها هل يثمر؟ قُلنا له: نعم ، قال: أما إنها يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بُحيرة طبرية[٤] ؟ قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماءٌ؟ قُلنا: هي كثيرة الماء، قال: إن ماءَها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين ذُغَر[٥] ؟ قُلنا: عن أيِّ شأنها تستخبرُ؟ قال: هل في العين ماءٌ؟ وهل يزرَعُ أهلها بماءِ العين؟ قُلنا له: نعم هي كثيرةُ الماء، وأهلُها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبيِّ الأميين ما فعلَ؟ قالُوا: قد خرج من مكَّة، ونزل بيثربَ، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيفَ صنع بهم، فأخبرْناه أنهُ قدْ ظهر على من يَليه من العرب، وأطاعُوه، قال: قد كانَ ذلك! قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك خيرٌ لهمْ؛ أن يَطيعوه، وإني أخبركمْ عني، أنا المسيحُ وإني أوشك أن يؤذَن لي بالخروج فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع[٦] قرية إلا هبطتها في أربعين ليلةً، غير مكَّة وطَيبة[٧] ، هما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلَّما أردت أن أدخل واحدةً منهما استقبلني ملَكٌ بيده السيف صلتًا[٨] ، يصدُّني عنها، وإن على كلِّ نقْبٍ منها ملائكة يحرسونها.

---

(١) الجساسة: سُمِّيت بذلك لتجسسها الأخبار للدجّال، وقيل: إنها دابة الأرض.

(٢) بيسان: مدينة في فلسطين كثيرة النخيل.

(٣) تطلب منا أن نخبرك.

(٤) بحيرة طبرية: بحيرة موجودة في فلسطين، وهي حد فاصل بينها وبين الأردن.

(٥) عين زغر: عين ماء تقع جنوب البحر الميت، باتجاه خليج العقبة وهي بين القدس والعقبة بالجانب القبلي من الشام.

(٦) أي: أترك.

(٧) أي: المدينة.

(٨) صلتًا: مسلولاً.

ألا أُخبركم؟ هذه طَيبة، هذه طَيبة، ألا كنت حدثتكم ذلكَ؟ فإنه أعجبني حديث تميمٍ؛ أنه وافق الذي كنتُ أحدثكم عنه وعن المدينة، ومكةَ، ألا إنه في بحرِ الشامِ، أو في بحر اليمن، لا بل من قِبل المشرقِ، وما هو من قِبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو[1] »وأومأ بيده إلى المشرق«. قالت: فحفظت هذا من رسول اللَّه ﷺ[2].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «إني واللَّه ما قُمتُ مقامي لأمرٍ ينفَعُكمْ لرَغبة ولا لرَهبة، ولكنَّ تَميمًا الداريَّ أتاني فأخبرني خبرًا منعني القليولةَ من الفرحِ وقُرة العين، فأحبَبْتُ أن أنشُرَ[3] عليكُمْ فرحَ نبيِّكُمْ، ألا إنَّ تميمًا الداري أخبرني أن الرِّيحَ ألجأتْهُمْ[4] إلى جزيرةٍ لا يعرفونَها، فقَعدُوا في قواربِ السَّفينة حتى خَرجُوا إلى الجزيرة، فإذا هم بشيءٍ أهلبَ[5]، كثير الشعرِ، قالوا له: من أنتَ؟ قالتْ: أنا الجسَّاسةُ، قالوا: أخبرينا: قالت: ما أنا بمخبرتكم شيئًا؛ ولا سائلتكم شيئًا، ولكن هذا الدَّيْرُ[6] قد رمقتموه[7]، فأتوه فإن فيه رجلاً بالأشواق[8] إلى أن تُخبروه ويُخبركم، فأتوه، فدخلوا عليه، فإذا هم بشيخ موثَقٍ، شديد الوثاق، يُظهر

---

(١) ما هو: قال القاضي: لفظة ما هو زائدة، صلة للكلام، ليست بنافية. والمراد إثبات أنه في جهة المشرق.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٢)، وأبو داود (٤٣٢٦، ٤٣٢٧)، وابن ماجه (٤٠٧٤)، والترمذي (٢٢٥٣)، وابن منده في «الإيمان» برقم (١٠٥٧ حتى ١٠٧٠)، والآجري في «الشريعة»، والحميدي (٣٦٤)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٥٤ ـ ١٥٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٣٨٥ ـ ٤٠٣)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

(٣) أذيع.

(٤) اضطرّتهم.

(٥) كثير الشعر، غليظه.

(٦) أي: الدار.

(٧) نظرتم إليه ترقبونه.

(٨) أي: شديد الشوق.

الحزن؛ شديد التشكي؛ فقال لهم: من أين؟ قالوا: من الشام[١] ، قال: ما فعلت العرب؟ قالوا: نحن قومٌ من العرب، عمَّ تسألُ؟ قال: ما فعل هذا الرجلُ الذي خرج فيكم؟ قالوا: خيرًا، ناوَى[٢] قومًا، فأظهرهُ اللَّه عليهم، فأمْرُهم اليوم جميعٌ: إلههم واحدٌ، ودينهم واحدٌ، قال: ما فعلت عين زغر[٣] ؟ قالوا: خيرًا، يسقون منها زرعهم، ويستقون منها لسقيهم[٤] ، قال: ما فعل نخل بئر عمان وبيسان[٥] ؟ قالوا: يُطعِم ثمره كل عامٍ، قال: ما فعلت بحيرة طبرية؟ قالوا: تدفق جنباتُها[٦] من كثرة الماء، فزفر[٧] ثلاث زفرات، ثم قال: لو انفلتُّ[٨] من وثاقي هذا لم أدع أرضًا إلا وطئتها برجليَّ هاتين؛ إلا طَيبة، ليس لي عليها سبيل. إلى هذا انتهى فرحي، هذه طيبة، والذي نفسي بيده، ما فيها طريق ضيق ولا واسع، ولا سهل، ولا جبل ، إلا وعليه ملك شاهرٌ سيفه إلى يوم القيامة»[٩] .

● وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ ، فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجّال، وحذرناه، فكان

---

(١) أي: الشّمال.

(٢) عاداهم وحاربهم.

(٣) بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

(٤) لشربهم.

(٥) قرية بالشام، بين حوران وفلسطين، كثيرة النخل.

(٦) أي: فاض الماء من جوانبها.

(٧) أخرج نَفَسه بعد مدِّه إياه.

(٨) تخلصت.

(٩) **صحيح**: أخرجه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه عن فاطمة بنت قيس. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٠٨)، وقال (١/ ٤٩٢): «هذا الحديث بهذا السياق ضعيف الإسناد، فيه مجالد بن سعيد وليس بالقوي، وفيه ألفاظ منكرة تفرّد بها، لكنه قد تُوبِع على سائرِه بنحوه، مع زيادات كبيرة في متنه».

من قوله أن قال: «يا أيها الناس! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض، منذ ذرأ[١] اللَّه ذرية آدم أعظم من فتنة الدجّال، وإن اللَّه عز وجل لم يبعث نبيًّا إلا حذَّر أمته الدجّال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة[٢] فإن يخرج وأنا بين أظهركم[٣]، فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي، فكل حجيج نفسه، واللَّه خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة[٤] بين الشام والعراق. فيعيث[٥] يمينًا وشمالاً، يا عباد اللَّه! أيها الناس! فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفةً لم يصفها إياه قبلي نبيٌّ ...يقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ، يقرؤه كل مؤمنٍ، كاتبٍ أو غير كاتب.

وإن من فتنته أن معه جنةً وناراً، فناره جنةٌ، وجنته نارٌ، فمن ابتلي بناره فليستغث باللَّه، وليقرأ فواتح الكهف،....

وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني اتبعه، فإنه ربُّك، وإن من فتنته أن يسلَّط على نفسٍ واحدةٍ فيقتلها، ينشرُها بالمنشار حتى تُلقى شقين[٦]، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا، فإني أبعثه ثم يزعم أن له ربًّا غيري، فيبعثه اللَّه، ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي اللَّه، وأنت عدو اللَّه،

---

(١) خلَق.
(٢) يعني: ولا بد.
(٣) أي: بينكم
(٤) طريق.
(٥) يُفسد.
(٦) الشق: الجنب.

أنت الدجّال، واللَّه ما كنتُ قطُّ أشد بصيرةً بك[١] مني اليوم.

وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر، فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت.

وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه، فلا يبقى لهم سائمة[٢] إلا هلكت. وإن من فتنته أن يمر بالحي، فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت، وأعظمه، وأمدَّه[٣] خواصر وأدرَّه[٤] ضروعًا. وإنه لا يبقى شيءٌ من الأرض إلا وطئه وظهره عليه، إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقب[٥] من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صَلْتةً[٦] ، حتى ينزل عند الضريب الأحمر[٧] ، عند منقطع السبخة[٨] ، فترجف[٩] المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافقٌ ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبيثَ منها، كما ينفي الكِيرُ خبث الحديد، ويدعى ذلك اليومُ يومَ الخلاص، قيل: فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليلٌ،...

وإمامهم رجلٌ صالح، فبينما إمامُهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى[١٠] ليتقدم عيسى ، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصلِّ؛ فإنها لك

---

(١) فطنة وعلمًا بحقيقة حالك.

(٢) الإبل أو المواشي تترك للرعي ولا تُعلَف.

(٣) أوسعها وأتمها. والخواصر مفردها: الخصر؛ وهو وسطها.

(٤) أكثره.

(٥) طريق ويكون بين الجبلين.

(٦) مرفوعة؛ قد أخرجت من غمدها.

(٧) موضع خارج المدينة.

(٨) تقدم بيانها.

(٩) تتزلزل.

(١٠) يرجع إلى الوراء بظهره.

أقيمت، فيُصلِّي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءَه الدجّال، معه سبعون ألف يهوديٌّ، كلهم ذو سيف محلًّى وساجٍ[١]، فإذا نظر إليه الدجَّال ذاب كما يذوب الملح في الماء. وينطلق هاربًا،... فيدركه عند باب لُدٍّ[٢] الشرقي، فيقتله، فيهزم اليهود، فلا يبقى شيءٌ مما خلق اللَّه عز وجل يتواقى[٣] به يهوديٌّ، إلا أنطق اللَّه ذلك الشيء، لا حجر ولا شجرٌ ولا حائط ولا دابة، إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد اللَّه المسلم، هذا يهودي فتعال اقتله، فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا يدقُّ[٤] الصليب، ويذبح[٥] الخنزير، ويضع الجزية[٦]، ويترك الصدقة، فلا يُسعى على شاة ولا بعير، وتُرفع الشحناء[٧] والتباغض، وتُنزع حمة[٨] كل ذات حمة، حتى يُدخل الوليدُ يده في الحية، فلا تضره، وتضرُّ الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم، كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا اللَّه، وتضع الحربُ أوزارها[٩]، وتسلب قريشٌ ملكها[١٠]، وتكون الأرض كفاثور[١١] الفضة، تُنبت نباتها بعهد آدم حتى

---

(١) أي: نسيج.
(٢) بلدة قريبة من بيت المقدس.
(٣) يستتر.
(٤) يكسر.
(٥) أي: يقتله كما جاء ذلك صريحًا في رواية أخرى.
(٦) أي: يسقطها؛ فما من نصراني إلا ويؤمن به، ولا يهودي إلا قُتل.
(٧) التخاصم.
(٨) أي: سُمٌّ.
(٩) أثقالها وشدتها.
(١٠) أي: سيادتها.
(١١) ـ كخُوان ـ ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. الفاثور هي: الخوان.

يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثورُ بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات،...

وإن قبل خروج الدجّال ثلاث سنوات شداد[١]، يصيب الناس فيها جوعٌ شديد، يأمر اللَّه السماء السنة الأولى أن تحبِس[٢] ثُلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية، فتحبس ثُلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف[٣] إلا هلكت إلا ما شاء اللَّه، قيل: فما يُعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليلُ، والتكبير، والتحميد، ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام»[٤].

* مكان خروجه:

● عن أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن الدجّال يخرج من أرض قبل المشرق، يُقال لها: خُراسانُ، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة»[٥].

والمجان مفردها: مجن، وهو الترس.

---

(١) أي: تمنع السماء مطرها والأرض نباتها.

(٢) تمنع.

(٣) كالبقر والجاموس والشياه.

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه، وابن خزيمة في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك»، والضياء في «المختارة» عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٤٥٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٨٧٥).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٧٠٤)، والترمذي (٢٢٣٨)، وابن ماجه (٤٠٧٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٤، ٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٦٠٧)، و«الصحيحة» رقم (١٥٩١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**الدجّال يخرج من أرض بالمشرق يقالُ لها خرسانُ، يتبعه أقوامٌ كأن وجوههم المجانُّ المطرقة**»[١].

* مدة مُكْثه في الأرض:

● عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبد اللَّه بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تُحدِّث به؟ تقول: إن الساعة تقومُ إلى كذا وكذا. فقال: سبحان اللَّه! ولا إله إلا اللَّه، أو كلمة نحوها، لقد هممت أن لا أحدّث شيئًا أبدًا، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا، يُحرق البيت، ويكون، ويكون، ثم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يخرج الدجّال في أمتي، فيمكث أربعين** ـ لا أدري: أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا ـ، **فيبعث اللَّه تعالى عيسى ابن مريم، كأنه عُروة بن مسعود الثقفي، فيطلبه، فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوةٌ، ثم يرسل اللَّه ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل**[٢] **لدخلت عليه، حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس، في خفة الطَّيرِ، وأحلام**[٣] **السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا يُنكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: بم تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، فيعبدونها، وهم في ذلك دارٌ**[٤] **رزقهم، حسنٌ عيشهم، ثم يُنفخ في الصور، فلا**

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٢٣٨)، والحاكم في «المستدرك» عن أبي بكر، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٤٨٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٤٠٤).

(٢) أي: في جوفه.

(٣) أي: عقولها، والمقصود أن أخلاقهم ـ عدوانهم وظلمهم ـ كأخلاق السباع.

(٤) كثير.

يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتًا[١] ، ورفع ليتًا، وأول من يسمعه رجلٌ يلوط[٢] حوض إبله، فيصعق الناس، ثم يرسل اللَّه مطرًا، كأنه الطَّلُّ[٣] ، فينبت منه أجساد الناس، ثم يُنفخ فيه أخرى، فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثم يقال: يا أيُّها الناس! هلم[٤] إلى ربِّكم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، ثم يقال: أخرجوا بَعْثَ النار، فيُقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعةٌ وتسعون، فذلك يومٌ يجعل الولدانَ شيبًا، وذلك يومٌ يُكشف عن ساقٍ»[٥] .

● وعن النوّاس بن سمعان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ الدجّال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا. فقال: «ما شأنكم»؟ قلنا: يا رسول اللَّه، ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل. فقال: **«غير الدجالِ أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم[٦] ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ[٧] حجيج نفسه، واللَّه خليفتي على كل مسلم؛ إنه شابٌّ قططٌ[٨] ، إحدى عينيه كأنها عنبةٌ طافيةٌ، كأني أُشبهه**

---

(١) الليت بالكسر: جانب العنق.

(٢) يطينه ويصلحه.

(٣) الطلّ: المطر الخفيف.

(٤) هلمّ: تعالوا وأقبلوا.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٤٠) ، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٦)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٦/ ٣٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٠ ـ ٥٥١)، (٤/ ٥٤٣)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٢٥٣)، والبيهقي في «الاعتقاد» ص(٢١٣ ـ ٢١٥).

(٦) أي: مغالبه؛ بإظهار الحجة عليه.

(٧) المراد: كل امرئ.

(٨) أي: شعره شديد الجعودة ـ الالتواء ـ.

بعبد العُزّى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف[١] ، إنه خارج خلَّة[٢] بين الشام والعراق، فعاث[٣] يمينًا، وعاثَ شمالاً، يا عباد اللَّه فاثبتوا، قالوا: يا رسول اللَّه ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا؛ يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قالوا: يا رسول اللَّه! فذلكَ اليومُ كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال: لا، اقدروا له، قالوا: وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث[٤] استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم[٥] أطول ما كانت درًّا[٦] وأشبعه ضروعًا[٧] ، وأمدَّه خواصر[٨] ، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين[٩] ، ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويمرُّ بالخرْبةِ[١٠] ، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النَّحل[١١] ، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين[١٢] رمية الغرض[١٣] ثم يدعوه، فيُقبل ويتهلَّل[١٤] وجهه

(١) المراد: أول عشر آيات منها، كما جاء صريحًا في رواية أخرى.
(٢) أي: طريقٍ.
(٣) أفسد.
(٤) المطر.
(٥) إبلهم.
(٦) أي: أكثر ما كانت حلبًا.
(٧) أي: أملأه من كثرة اللبن.
(٨) أي: أوسعها وأتمها.
(٩) قد قطع المطر عنهم. يقال: محل المكان؛ إذا أجدب.
(١٠) الموضع المحروث للزراعة.
(١١) المراد: جماعاته.
(١٢) أي: قطعتين.
(١٣) أي: يجعل بين القطعتين مقدار رمية السهم إلى الهدف.
(١٤) أي: يستنير وتظهر عليه علامات السرور.

ويضحك، فبينما هو كذلك، إذ بعث اللَّه المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهروذتين[١] واضعًا كفَّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر[٢] ، وإذا رفعه تحدَّر[٣] منه جُمانٌ كاللؤلؤ[٤] فلا يحلُّ لكافرٍ يجدُ ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه[٥] حتى يدركه بباب لدّ[٦] فيقتله، ثم يأتي عيسى قومٌ قد عصمهم اللَّه منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هم كذلك إذ أوحى اللَّه إلى عيسى: إني أخرجت عبادًا لا يَدانِ[٧] لأحد بقتالهم فحرِّز[٨] عبادي إلى الطور، ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدبٍ[٩] ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها ويمرُّ آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرَّة ماءٌ! ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخُمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلمَّ[١٠] فلنقتل من في السَّماء، فيرمون بنشَّابهم[١١] إلى السماء، فيرد اللَّه عليهم نشَّابهم مخضوبة[١٢] دمًا، ويُحصر نبي اللَّه عيسى وأصحابه، حتى

---

(١) أي: حُلَّتَيْن.
(٢) أي: ماءً.
(٣) سقط.
(٤) كحبات اللؤلؤ.
(٥) أي: يطلب المسيحُ ابن مريم عليه السلام الدجالَ لعنه اللَّه.
(٦) بلدة قريبة من بيت المقدس.
(٧) أي: لا طاقة.
(٨) احفظهم وحصنهم في جبل الطور.
(٩) ما ارتفع وغلظ من الأرض.
(١٠) تعالوا.
(١١) بسهامهم.
(١٢) ملطخة.

يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه، فيرسل اللَّه عليهم النَّغفَ[١] في رقابهم، فيصبحون فرسى[٢] كموت نفسٍ واحدة. ثم يهبط نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملأه زهمُهُم[٣] ونَتْنُهم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى اللَّه عز وجل، فيرسل اللَّه طيراً كأعناق البُخْتِ[٤] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه، ثم يرسل اللَّه قطراً[٥]، لا يكن منه[٦] بيت مدرٍ[٧] ولا وبرٍ[٨]، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفة[٩]، ثم يُقال للأرض أنبتي ثمرتك، ورِدِّي[١٠] بركتك، فيومئذ تأكل العصابة[١١] من الرمانة، ويستظلون بقحفها[١٢]، ويبارك في الرِّسل[١٣]، حتى إن اللَّقحة من الإبل لتكفي الفِئام[١٤] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[١٥]

(١) دود، يكون في أنوف الإبل والغنم.
(٢) قتلى.
(٣) رائحتهم الكريهة المنتنة.
(٤) نوع من الإبل.
(٥) مطراً.
(٦) لا يخلو منه.
(٧) أي: البيوت المبنية.
(٨) أراد: خيام الأعراب من الوبر ـ الصوف ـ.
(٩) المرآة. وقيل: الحجر الأملس.
(١٠) أكثري.
(١١) الجماعة من الناس.
(١٢) أي: قشرها.
(١٣) اللبن.
(١٤) الجماعات.
(١٥) جماعة من القبيلة أقل من البطن.

من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحًا طيبةً، فتأخذهم تحت آباطهم[١]، فتقبض روح كل مؤمنٍ وكل مسلمٍ، ويبقى شرارُ الناس يتهارجون[٢] فيها تهارج الحُمرِ، فعليهم تقوم الساعة»[٣].

* أما عن صفاته الخَلْقيّة:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «ما بعث اللَّه من نبي إلا أنذر أمته الدجّال، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم. فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم أنَّ ربكم ليس بأعور، وإنه أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافيةٌ، ألا إن اللَّه حرم عليكم دماءكم، وأموالكم، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلَّغت: اللَّهم اشهد «ثلاثًا»، ويحكم[٤] ! انظروا لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض»[٥].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «ما بعث اللَّه من نبي إلا قد أنذر أمته الدَّجال الأعور الكذاب، ألا وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافرٌ، يقرؤه كلُّ مؤمن»[٦].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوبٌ بين عينيه «ك، ف، ر»[٧].

(١) مفردها: إبط؛ وهو ما بين المنكب والجناح.
(٢) يتسافدون؛ من الجماع والمواقعة.
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، والترمذي (٢٣٤١)، وأبو داود (٤١٥٢، ٤٢٩٩)، وابن ماجه (٤٠٧٥)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٩٢ ـ ٤٩٤).
(٤) كلمة توجع وترحم.
(٥) أخرجه البخاري عن ابن عمر.
(٦) رواه أحمد والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي عن أنس.
(٧) صحيح: أخرجه الترمذي عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٤٥٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٨٩).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «إني لأنذركموه «يعني: الدجال»، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولقد أنذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: إنه أعور، وإن اللَّه ليس بأعور»[١].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصيرٌ، أفحَجُ[٢]، جعدٌ[٣]، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة[٤]، ولا حَجراء[٥]، فإن ألبس عليكم[٦]؛ فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[٧].

● قال رسول اللَّه ﷺ: «إن الدجال ممسوح العين اليسرى، عليها ظَفَرَةٌ[٨]، مكتوب بين عينيه كافرٌ»[٩].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافيةٌ، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجلٌ آدم[١٠]

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي عن ابن عمر.

(٢) الأفحج: الذي يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه.

(٣) أي: جعد الشعر، والمراد: الشعر المتجمع الملتوي.

(٤) أي: بارزة.

(٥) أي: غائرة.

(٦) أي: اختلطت صفته عليكم.

(٧) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود عن عبادة بن الصامت، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» رقم (٥٤٨٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٤٥٩).

(٨) بفتح الظاء والفاء: لحمة تنبت عند المآقي، وتمتد إلى السواد فتغشيه كما في «النهاية»، وفي حديث حذيفة وغيره «ظفرة غليظة».

(٩) صحيح: رواه أحمد عن أنس، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١١٥، ٢٠١)، (٥/ ٣٨٦، ٤٠٥)، ومسلم (٨/ ١٩٥) عن حذيفة، وأحمد (٥/ ١٣) عن سمرة، و (٥/ ٢٢١) عن سفينة.

(١٠) الأُدمة: شدة السُّمرة، وأيضًا شدة البياض، والمراد هنا: البياض الشديد.

كأحسن ما ترى من أُدمِ الرِّجالِ، تَضربُ لَمَّتُهُ[١] بين منكبيه، رَجِلِ الشعر[٢]، يقطر رأسه ماءً. واضعًا يديه على منكبي رجلين، وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم، ثم رأيت رجلاً وراءه جعدًا قططًا[٣]، أعور العين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قطنٍ[٤]، واضعًا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيحُ الدجَّال»[٥].

● قال رسول اللَّه ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى، جُفالُ[٦] الشعر، معه جنةٌ ونارٌ، فناره جنَّة، وجنَّتُه نارٌ»[٧].

● وقال ﷺ: «الدجال عينه خضراء»[٨].

● وقال ﷺ: «الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه كافرٌ، يقرؤه كل مسلم»[٩].

● وقال ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدَّجَّال من الدجال، معه نهران يجريان، أحدهما رأيَ العين[١٠] ماءٌ أبيض، والآخر رأي العين نارٌ تأجَّجُ، فإما أدركهن واحد منكم، فليأت النهر الذي يراه نارًا، ثم ليغمِض، ثم لِيُطَأطِئ رأسه

---

(١) اللمّة: الشعر إذا تجاوز شحمة الأذن.
(٢) أي: مبلل قد سُرِّح بالمشط.
(٣) أي: شعره متجمع ملتو.
(٤) رجل من المشركين اسمه عبد العزى.
(٥) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمرو.
(٦) أي: كثيره.
(٧) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم، وابن ماجه عن حذيفة.
(٨) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ»، عن أُبيٍّ، ورواه أحمد، وأبو نعيم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٦٣)، و«صحيح الجامع» (١ ٠ ٣٤٠).
(٩) أخرجه مسلم عن أنس.
(١٠) أي: تراه العين.

فيشرب، فإنه ماءٌ باردٌ، وإن الدَّجَّال ممسوح العين اليسرى، عليها ظفرةٌ[١] غليظة، مكتوب بين عينيه: كافرٌ، يقرؤه كل مؤمنٍ، كاتبٍ وغير كاتبٍ»[٢].

● وفي حديث سمرة بن جندب عن الدجّال، قال رسول اللَّه ﷺ: «**... وإنه واللَّه ما تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذّابًا، آخرهم الأعور الدجال، ممسوح عين اليسرى، كأنها عين أبي تحيا، شيخ من الأنصار بينه وبين حجرة عائشة ـ رضى اللَّه عنها ـ حينئذ.. فإنه متى يخرج فإنه سوف يزعم أنه اللَّه**»[٣].

* **أتْباعه:**

كل كافر ومنافق، وكل يهودي ويهودية:

● عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة**»[٤، ٥].

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب[٦] من أنقابها إلا**

---

(١) لحمة من الجانب الداخلي للعين؛ تغطيها.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود عن حذيفة وأبي مسعود معًا.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (١١٢٧)، والترمذي (٥٦٢)، والنسائي (٣/ ١٤٠، ١٤٨، ١٥٣)، وابن ماجه (١٢٦٤)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٣٩)، والطحاوي في «معاني الآثار» (١/ ١٩٧)، وابن خزيمة (١٣٩٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٣، ١٦، ١٩، ٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣١، ٣٣٤)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وابن خزيمة، والترمذي، وأقرّ ابن حجر تصحيح الحديث في «فتح الباري» (١٣/ ٨٥).

(٤) الطيالسة: جمع طيلسان، وهو شال يتوشح به على الكتف.

(٥) رواه أحمد ومسلم.

(٦) النقب: الطريق الضيق في الجبل.

عليه الملائكة حافِّين[١] تحرُسُها، فينزل بالسَّبخَة[٢] فَتَرْجُفُ[٣] المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[٤] .

● وقال ﷺ: **«يجيء الدجال، فيطأ الأرض إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة فيجد بكل نقب من أنقابها صفوفًا من الملائكة، فيأتي سبخة الجُرُف[٥] ، فيضرب رواقه[٦] ، فترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة»[٧] .**

● عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ينزل الدجال في هذه السبخة، بمر قناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى أن الرجل ليرجع إلى حميمه، وإلى أمه وابنته، وأخته، وعمته، فيوثقها رباطًا مخافة أن تخرج إليه، ثم يُسلط اللَّه المسلمين عليه، فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم: هذا يهودي تحتي فاقتله»[٨] .**

● ومن حديث أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجال،

---

(١) المراد: تحوطها وتدور حولها.

(٢) السبخة: موضع خارج المدينة، مرتفع، تعلوه الملوحة.

(٣) أي: تتزلزل.

(٤) متفق عليه.

(٥) موضع قرب المدينة.

(٦) أي: يضع أثقاله.

(٧) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن أنس.

(٨) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٦٧)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» برقم (٥٣٥٣)، وله شواهد من حديث سمرة بن جندب، وأبي أمامة.

وحذرناه، فكان من قوله أن قال: «... **وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقب من نقابهما، إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة، حتى ينزل عند الظريب الأحمر، عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك يوم الخلاص**»[(١)].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**الدجّال لا يُولد له، ولا يدخل المدينة ولا مكة**»[(٢)].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ألا أحدثكم حديثًا عن الدجال، ما حدث به نبي قبلي قومه؟ إنه أعور، يجيء معه تمثال الجنة والنار، فالتي يقولُ إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه**»[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٦) برقم (٤٠٧٧)، وأبو داود (٤٣٢٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص(١٢١)، والبيهقي في «البعث» برقم (١٦٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، والآجري في «الشريعة» ص(٣٧٥)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٧٢) برقم (٧٦٤٤، ٧٦٤٥)، والحاكم (٤/ ٥٣٦)، والسنة لابن أبي عاصم برقم (٣٩١)، (٤٢٩)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» برقم (٣٧)، والروياني باختصار (١٠/ ١)، وصححه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقرّه الذهبي.

قال الشيخ الألباني: «وهذا من أوهامهما، فإن عمرًا الحضرمي لم يخرّج له مسلم شيئًا، وعطاء، وهو ابن أبي مسلم الخراساني، وإن أخرج له مسلم، فهو يهم كثيرًا، ويدلس، وقد عنعنه، فأنّى لإسناده بالصحة؟!.

لكن الحديث غالبه صحيح قد جاء مفرقًا في أحاديث، إلا قليلاً منه، فلم أجد ما يشهد له أو يُقوّيه».

(٢) صحيح: رواه أحمد عن أبي سعيد، كما في «صحيح الجامع» (١/ ٦٤٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٦٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٤٠٠).

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

● قال رسول اللَّه ﷺ : «إن مع الدجال إذا خرج ماءً ونارًا، فأما الذي يرى الناس أنها النار فماءٌ باردٌ، وأما الذي يرى الناس أنها ماءٌ بارد فنارٌ تُحرِقُ، فمن أدرك منكم فليقع في الذي يُرى أنه نارٌ؛ فإنه عذْب باردٌ»(١) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «إنما يخرج الدجال من غضبة يغضبها(٢) »(٣) .

● وقال ﷺ : «يخرج الدجال، فيتوجه قِبَلَهُ رجلٌ من المؤمنين، فيلقاهُ المسالحُ(٤) ، مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاءٌ، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربُّكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟ فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس! هذا الدجال الذي ذكر رسول اللَّه ﷺ، فيأمر الدجال به فَيُشَبَّحُ(٥) ، فيقول: خذوه وشجُّوه(٦) ، فيوسع بطنه وظهره ضربًا، فيقول: أما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذَّاب، فيؤمر به فَيُنْشَرُ بالمنشار، من مفرقه(٧) حتى يُفرق بين رجليه، ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائمًا، ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرةً، ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، فيأخذه الدجال

---

(١) رواه البخاري عن حذيفة.

(٢) أي: تفك قيوده وسلاسله من أجلها.

(٣) رواه أحمد في «مسنده» ومسلم عن حفصة.

(٤) أي: القوم ذوو السلاح؛ يحمون بها الثغور.

(٥) أي: يُمَدّ على بطنه للضرب.

(٦) أي: شُقُّوه، والمراد اضربوه ضربًا موجعًا.

(٧) أعلى الرأس ووسطه، وهو موضع فرق الشعر.

فيذبحه، فيُجعلُ ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلاً، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه في النار، وإنما أُلقي في الجنة، هذا أعظم الناس شهادةً عند رب العالمين»[١].

● وقال ﷺ: «يأتي الدجال وهو محرَّمٌ عليه أن يدخلَ نقاب المدينة، فينزلُ بعض السباخ[٢] التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجلٌ هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول اللَّه ﷺ حديثه: فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته؟ هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: واللَّه ما كنتُ قطُّ أشدَّ بصيرةً مني[٣] اليوم، فيريد الدجال أن يقتله، فلا يُسلَّط عليه»[٤].

● وقال ﷺ: «يخرج الدجال ومعه نهرٌ ونارٌ، فمن دخل نهره وجب وزره[٥]، ومن دخل ناره وجب أجره، وحُطَّ وزره، ثم إنما هي قيام الساعة»[٦].

● وقال ﷺ: «يأتي المسيح من قبل المشرق، وهمتَّه المدينة، حتى ينزل دُبُر أُحدٍ[٧]، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهنالك يَهْلِكُ»[٨، ٩].

---

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

(٢) مفردها: سبخة.

(٣) أي: بحقيقة أمرك.

(٤) رواه أحمد في «مسنده»، والبخاري ومسلم عن أبي سعيد.

(٥) أي: لزمه الإثم.

(٦) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والحاكم عن حذيفة كما في «الجامع الصغير»، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة (٥٣٩٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٨٠٤٩).

(٧) خلف أحد.

(٨) أي: يُقتل.

(٩) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن أبي هريرة.

* ما يعصم الإنسان من فتنة الدجّال:

الأسباب التي تعصم الإنسان من فتنة الدجال، ـ وما أعظمها من فتنة ـ هي:

أولاً: الاستعاذة باللَّه من شر فتنته، والإكثار منها لا سيما في التشهد الأخير في الصلاة:

● فقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر؛ فليستعذ باللَّه من أربع، يقول: اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[(١)].

وثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن جمع من الصحابة ـ منهم عائشة رضي اللَّه عنها ـ أن النبي ﷺ كان يستعيذ من فتنته.

بل إنه أمر بالاستعاذة من فتنته أمرًا عامًّا، كما في حديث زيد بن ثابت قال: «.. **تعوّذوا باللَّه من فتنة الدجال**»، قالوا: «نعوذ باللَّه من فتنة الدجّال».

ثانيًا: أن يحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف:

● فقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة «الكهف»؛ عُصِم من فتنة الدجّال**»[(٢)]. رواه مسلم وغيره عن أبي الدرداء.

ثالثًا: أن يبتعد عنه ولا يتعرَّض له:

إلا إن كان يعلم من نفسه أنه لن يضرّه؛ لثقته بربه، ومعرفته

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة كما في «الجامع الصغير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٩٩)، و«صفة الصلاة» (١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٨/ ١٦١)، وأحمد (٥/ ١٩٠).

بعلاماته التي وصفه النبي ﷺ بها؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من سمع بالدجال، فلينأ عنه، فواللَّه؛ إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه، مما يبعث به من الشبهات**»(١).

رابعًا: أن يسكن مكة والمدينة فإنهما حرمان آمنان منه، ومثلهما المسجد الأقصى والطور:

عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ، فقلنا: حدّثنا ما سمعت من رسول اللَّه ﷺ يذكر في الدجّال، ولا تحدثنا عن غيره وإن كان مصدقًا، قال: خطبنا النبي ﷺ فقال: «**أنذرتكم الدجال ـ ثلاثًا ـ فإنه لم يكن نبي قبلي إلا قد أنذره أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جعد آدم ممسوح العين اليسرى، معه جنة ونار، فناره جنّة، وجنته نار، ومعه جبل من خبز، ونهر من ماء، وإنه يمطر المطر ولا ينبت الشجر، وإنه يُسلَّط على نفس فيقتلها، ولا يُسلَّط على غيرها، وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحًا يبلغ فيها كل منهل، ولا يقرب أربعة مساجد، مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، والمسجد الأقصى، وما يُشَبّه عليكم فإن ربكم ليس بأعور**»(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٣١)، وأبو داود (٤٣١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٣١)، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٤٨٨)، و«صحيح الجامع» (٦٣٠١) عن عمران بن حصين.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٤، ٤٣٤ ـ ٤٣٥)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٤٧) برقم (١٩٣٥٢)، وعبد اللَّه بن أحمد في السنة (٢/ ٤٥٢، ٤٥٣) برقم (١٠١٦، ١٢٣٢)، والآجري في الشريعة ص(٣٧٥)، والبيهقي في «البعث» رقم (١٤٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٤٣): «أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٠٥): «رواه أحمد ورجاله ثقات».

قال الألباني ـ رحمه اللَّه ـ:

«اعلم أن الأرض المقدسة إنما جعلها اللَّه عصمة من الدجال لمن سكنها وهو مؤمن ملتزم بما يجب عليه من الحقوق والواجبات تجاه ربه، وإلا فمجرد استيطانها وهو بعيد في حياته عن التأدب بآداب المؤمن فيها ـ فممّا لا يجعله في عصمة منه ـ فسيأتي أن الدجال ـ عليه لعائن اللَّه ـ حين يأتي المدينة النبوية وتمنعه الملائكة من دخولها، ترجف بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق، ولا منافقة إلا خرج إليه»[1].

فهؤلاء المنافقون والمنافقات ـ وقد يكون نفاقهم عمليًّا ـ لم يعصمهم من الدجال سكنهم في المدينة النبوية، بل خرجوا إليه، وصاروا من أتباعه كاليهود! وعلى العكس من ذلك؛ فمن كان فيها من المؤمنين الصادقين في إيمانهم، فهم مع كونهم في عصمة من فتنته، فقد يخرج إليه بعضهم متحديًا وينادي في وجهه: هذا هو الدجّال الذي كان رسول اللَّه ﷺ يحدثنا حديثه..

فالعبرة إذن بالإيمان والعمل الصالح، فذلك هو السبب الأكبر في النجاة، وأما السكن في دار الهجرة وغيرها؛ فهو سبب ثانوي، فمن لم يأخذ بالسبب الأكبر، لم يفده تمسكه بالسبب الأصغر، وقد أشار إلى هذا النبي ﷺ بقوله للذي سأله عن الهجرة: «**ويحك! إن شأن الهجرة لشديد! فهل لك من إبل؟**» قال: نعم. قال: «**فهل تُؤتي صدقتها؟**». قال: نعم. قال: «**فاعمل من وراء البحار، فإن اللَّه لن يَترَك من عملك شيئًا**»[2].

---

(١) «قصة المسيح الدجال» ـ للشيخ الألباني ص(٣٢ ـ ٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢٠٧) «الفتح»، ومسلم (٦/ ٢٨)، وأبو داود (١/ ٣٨٨)، والنسائي (٢/ ١٨٢)، وأحمد (٣/ ٦٤).

● وما أحسن ما روى الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٢٣٥) عن يحيى بن سعيد: «أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي: أن هلمّ إلى الأرض المقدسة «يعني: الشام» فكتب إليه سلمان: «**إن الأرض لا تقدِّس أحدًا، وإنما يقدّس الإنسانَ عملُه**»[١].

* قتال الطائفة المنصورة له، وحصاره لهم في بيت المقدس:

ستكون الطائفة المنصورة للدجال بالمرصاد، بالرغم من الصعاب التي ستواجهها فتقاتله وتقوم على نصرة الإسلام، وستضطر للتحصن منه في بيت المقدس، حتى يمنّ اللَّه عز وجل عليهم بالفرج بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وسيحمي اللَّه بيت المقدس من الدجّال وشروره كما حمى المدينة، ومكة المكرمة.

● عن عمران بن حصين ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجّال. وأومأ بيده إلى الشام**»[٢].

● ومن حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**... إذا صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدّون للقتال، يسوّون الصفوف....**»[٣].

---

(١) «قصة المسيح الدجال» ـ للشيخ الألباني ص(٣٤ ـ ٣٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٣٧)، وأبو داود (٢٤٨٤)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١١١، ١١٦، ٢١١، ٢٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٥٠) (٢/ ٧١)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» برقم (٤٦)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٧)، وابن حبّان كما في «الإحسان» (٦٨١٣).

● ومن حديث سمرة بن جندب ـ رضي اللَّه عنه ـ في ذكر الدجّال ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «...**وإنه سيظهر على الأرض كلها غير الحرم، وبيت المقدس، وأنه يسوق المسلمين إلى بيت المقدس فيحصرون حصرًا شديدًا**»[1].

* هوان الدجّال على اللَّه عز وجل:

ورغم عظم فتنة الدجال، وأنها أكبر فتنة إلى قيام الساعة، إلا أنه هيّن القدر عند اللَّه تعالى، وكذا المتجبرون.

● عن المغيرة بن شعبة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال ما سألته، وإنه قال لي: «**ما يضرّك منه؟**». قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء. قال: «**بل هو أهون على اللَّه من ذلك**»[2].

* هلاكه على يد عيسى ـ عليه السلام ـ على أرض فلسطين المباركة:

لقد أخبرنا رسول اللَّه ﷺ أن الدجال سيهلك في مدينة اللد على أرض فلسطين، على يد عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، فيقتله بحربته، ويقتل المسلمون من معه من اليهود والكفار.

فعن مجمع بن جارية ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد، وأبو داود (١١٢٧)، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي، والطحاوي، وابن خزيمة، وصححه الحاكم والذهبي، وابن حجر (١٣/ ٨٥) «فتح»، وقد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢١٥٢، ٢٩٣٩)، وابن ماجه (٤٠٧٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٢)، وابن حبان (٦٧٨٢)، والطبراني (٢٠) من رقم (٩٥٠ حتى ٩٥٨).

ﷺ يقول: «**يقتل ابن مريم الدجّال بباب لُدّ**»[١].

وعند أحمد: «**ليقتلن ابن مريم الدجال...**».

● ومن حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنه ـ قالت: دخل عليّ رسول اللَّه ﷺ وأنا أبكي، فقال لي: «**ما يُبكيك؟**» قلت: يا رسول اللَّه: ذكرت الدجال فبكيت، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن يخرج الدجال وأنا حي كفيتكموه، وإن يخرج الدجال بعدي فإن ربكم عز وجل ليس بأعور، إنه يخرج في يهودية أصبهان، حتى يأتي المدينة فينزل ناحيتها، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل نقب منها ملكان، فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتي الشام مدينة بفلسطين بباب لد** ـ وقال أبو داود مرّة: **حتى يأتي فلسطين بباب لد** ـ، **فينزل عيسى ـ عليه السلام ـ فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة، إمامًا عدلاً، وحكمًا مقسطًا**»[٢]. اللفظ لأحمد.

● ومن حديث سفينة مولى رسول اللَّه ﷺ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ فقال: «**ألا إنه لم يكن نبي قبلي، إلا قد حذّر الدجّال أمته ... ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذلك الرجل، ثم يسير حتى**

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٠)، والترمذي (٢٢٤٤)، والحميدي برقم (٨٢٨)، والطيالسي (١٢٢٧)، وعبد الرزاق (٢٠٨٣٥)، وابن حبان (٦٨١١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٠٧٥ ـ ١٠٨١)؛ وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٥٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٨١٢٦).

(٢) **صحيح الإسناد**: أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٧٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ١٣٤) برقم (١٩٣٢٠)، وابن حبان برقم (٦٧٨٣)، والبيهقي في «البعث» برقم (١٩٨)، وقال الهيثمي: في «المجمع» (٧/ ٣٣٨): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق، وهو ثقة.

يأتي الشام فيهلكه اللَّه عز وجل عند عقبة أفيق»[١، ٢] .

ويُجمع بين حديث سفينة، وحديث عائشة بما قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ حيث قال: «**إن عيسى ـ عليه السلام ـ يدركه عند عقبة أفيق، فينهزم منه الدجال، فيلحقه عند باب مدينة اللد فيقتله بحربته وهو داخل إليها**»[٣] .

واللُدّ: مدينة تقع على مسافة ١٦ كيلو متر جنوبي شرق يافا، وحوالي خمسة أكيال شرق الرملة، وعلى مسافة ٢٦ كم شمال غرب القدس.

فهذي أرض فلسطين الطاهرة مقبرة للطواغيت، وكل من يريد بالإسلام والمسلمين شرًّا إلى آخر الزمان . . . درعًا واقيًا، حفظها اللَّه وحماها.

(١) عقبة أفيق: هي عقبة طويلة نحو ميلين تنزل منها إلى الأردن.

(٢) إسناده لا بأس به: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢)، والطيالسي برقم (١١٠٦)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٩٨ ـ ٩٩)، والبيهقي في «البعث» برقم (١٥٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٩٦)، وقال ابن كثير في «الفتن» ص(٨٦): إسناده لا بأس به، ولكن في متنه غرابة ونكارة . واللَّه أعلم.
وقال الهيثمي: في «المجمع» (٧/ ٣٤٠) بعد عزوه لأحمد والطبراني: ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر.

(٣) «الفتن والملاحم» لابن كثير (١/ ١١١).

قصة المسيح الدجّال ونزول عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقتله إِياه بفلسطين

على سياق رواية أبي أمامة

مضافًا إِليها ما صحّ عن غيره من الصحابة

❑ وهذه من نفائس الشيخ الألباني وسنخرجها بالرمز إلى مخرجيها:

آ: الآجري في «الشريعة».

ت: الترمذي.

حب: ابن حبان في «الصحيح».

حل: أبو نعيم في «الحلية».

حم: أحمد في «المسند».

حن: حنبل بن إسحاق في «الفتن».

خ: البخاري.

خب: أبو نعيم في «أخبار أصبهان».

خز: ابن خزيمة في «التوحيد».

د: أبو داود.

سع: ابن سعد في «الطبقات».

طب: الطبراني في«المعجم الكبير».

طس: الطبراني في «الأوسط».

طص: الطبراني في «الصغير».

طي: الطيالسي في «المسند».

عا: ابن أبي عاصم في «السنة».

عب: عبد الرزاق في «المصنف».

عد: ابن عدي في «الكامل».

عس: ابنهُ عبد اللَّه في «السنة».

عق: العقيلي في «الضعفاء».

ق: لهما.

ك: الحاكم في «المستدرك».

كر: ابن عساكر في «التاريخ».

م: مسلم.

ما: مالك في «الموطأ».

مت: ابن منده في «التوحيد».

مج: ابن ماجه.

من: ابن منده في «الإيمان».

مي: الدارمي.

ن: النسائي.

ني: أبو عمرو الداني في «الفتن».

ها: البيهقي في «الأسماء».

١ ـ «**يا أيها الناس! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ اللَّه ذريَّة آدم ـ [ولا تكون حتى تقوم الساعة][1] ـ أعظم من فتنة الدجال، [ولن ينجو أحدٌ مما قبلها إلا نجا منها][2] ، [وإنه لا يضر مسلمًا][3]** .

---

(١) م، ك، حم، ني ـ هشام بن عامر. حم، عس ـ جابر. طب، طس ـ عبد اللَّه بن مغفل.

(٢) حم، حب ـ حذيفة.

(٣) حب ـ حذيفة.

٢ـ «وإن اللَّه لم يبعث نبيًّا إلا حذر أمته [الأعور][١] الدجال، [إني لأنذركموه]»[٢] .

٣ ـ «وأنا آخر الأنبياء[٣] ، وأنتم آخر الأمم»[٤] .

٤ ـ «وهو خارج فيكم لا محالة، [إنه لحق، وأما إنه قريب، فكل ما هو آت قريب][٥] . [إنما يخرج لغضبة يغضبها][٦] ، [ولا يخرج حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة][٧] .

٥ ـ «فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم؛ فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي؛ فكل امرئٍ حجيج نفسه، واللَّه خليفتي على كل مسلم». وفي حديث أم سلمة: «وإن يخرج بعد أن أموت يكفيكموه اللَّه بالصالحين»[٨] .

٦ـ «وإنه يخرج [من [أرض] قبل المشرق][٩] (*) [يقال لها:

---

(١) خ ـ أنس.

(٢) ق ـ أنس.

(٣) م ـ أبو هريرة.

(٤) مج ـ ابن عباس.

(٥) البزار ـ أبو هريرة.

(٦) م (٨/ ١٩٤)، حب (٦٧٥٥)، حم (٦/ ٢٨٤)، ني (٢/ ١٢١).

(٧) طب (٢٠/ ٤٠١/ ٩٥٣) ـ المغيرة . م ـ ابن مسعود.

(٨) خز، طب.

(٩) م، ع[١] ـ أبو هريرة.

(*) قلت: هذا هو الثابت في «مسلم»، وأما قول الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٧٧): «وفي رواية: أنّه يخرج من أصبهان. أخرجها مسلم». ففيه نظر؛ لأنه ليس في «مسلم» أنه يخرج منها، وإنما فيه من حديث أنس: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا**».

قلت: فهذا ليس نَصًّا بأنه يخرج منها؛ بل هو يحتمل ذلك؛ لأنه يتحدث عن أتباعه من اليهود، ولا يتحدث عنه نفسه.

(١) لا يوجد رمز (ع) في قائمة رموز الكتب، ولم نَدْرِ ما مقصود الشيخ به.

«خراسان»[١] [*] في يهودية أصبهان[٢]، [كأن وجوههم المجان المطرقة][٣]، من خَلَّة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا [وعاث][٤] شمالاً، يا عباد اللَّه! فاثبتوا. [ثلاثًا][٥].

٧ ـ «فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي». وفي حديث عبادة: «إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ألا تعقلوا»[٦].

٨ ـ «إنه يبدأ فيقول: أنا نبي. ولا نبي بعدي».

٩ ـ «ثم يثني فيقول: أنا ربكم. ولا ترون ربكم حتى تموتوا».

١٠ ـ «وإنه أعور، [ممسوح][٧] [* *] العين اليسرى][٨]، [عليها ظفرة[* * *] غليظة][٩]، [خضراء كأنها كوكب دري][١٠] [* * * *]، [عينه اليمنى كأنها عنبةٌ

---

(١) حم، ت، مج، ك ـ أبو بكر.

(*) «الأحاديث الصحيحة» (١٥٩١).

(٢) حم، عس، حب، من، ني ـ عائشة. حم، م ـ أنس.

(٣) حم، ت، مج، ك ـ أبو بكر.

(٤) م ـ النواس بن سمعان. ك ـ نفير.

(٥) ك ـ نفير.

(٦) د، آ، حل، مت.

(٧) طب، طس ـ ابن مغفل.

(* *) أي: غير بارزة.

(٨) حم، م، مج ـ حذيفة. حم، حن ـ رجل من أصحاب النبي ﷺ. حم ـ أبو بكرة.

(* * *) هي بفتح الظاء والفاء: لحمةٌ تنبت عند المآقي، وقد تمتد إلى السواد فتغشيه. «نهاية».

(٩) حم ـ الحسن البصري. طب، طس ـ عبد اللَّه بن مغفل.

(١٠) حم، خب ـ أُبَيّ.

(* * * *) يعني: أنها شديدة الاتقاد.

طافية}[١] [*] ليست بناتئة، ولا حجراء}[٢] ، {جفال الشعر}[٣] ، {ألا ما خفي عليكم من شأنه؛ فلا يخفين عليكم}[٤] ، إن ربكم ليس بأعور، {ألا ما يخفى عليكم من شأنه؛ فلا يخفين عليكم أن ربكم ليس بأعور}[٥] ، {ثلاثًا}[٦] ، {وأشار بيده إلى عينيه}[٧] ، {وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا}[٨] .

١١ ـ «إنه يمشي في الأرض، وإن الأرض والسماء للَّه}[٩] .

١٢ ـ «إنه شاب قطط؛ كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن}[١٠] ، {قصير، أفحج، دعج}[١١] ، {هجان}[١٢] .

١٣ ـ «وإنه آدم، جعد[**] }[١٣] ، {جفال الشعر[***] }[١٤] .

١٤ ـ «وإنه مكتوب بين عينيه: كافر؛ يقرؤه {من كره عمله، أو

---

(١) خز، طب ـ أم سلمة. خ، م، حم، عس ـ ابن عمر.

(*) أي: بارزة، وهي غير الممسوحة؛ كما قال الحافظ.

(٢) آ، حل، حن ـ عبادة.

(٣) م، حم.

(٤) حم، حب، من، مت ـ عبد اللَّه بن عمر. مت ـ رجل من الصحابة.

(٥) حم، حب، من، مت ـ عبد اللَّه بن عمر.

(٦) مت ـ رجل من أصحابه ﷺ.

(٧) خ، مت ـ ابن عمر. حم، عس، مت، ك ـ جابر.

(٨) د ـ عبادة. م ـ عمر بن ثابت.

(٩) خز، طب ـ أم سلمة.

(١٠) حم، م، د، ت، مج، آ، حن، كر ـ النواس.

(١١) د، آ، حل، مت ـ عبادة.

(١٢) حم، خز، حب، مت ـ ابن عباس.

(**) الجعد: خلاف السبط.

(١٣) حم، حن ـ رجل صحابي.

(***) أي: شعث الشعر.

(١٤) حم، م، مج ـ حذيفة.

يقرؤه[(١)] كل مؤمن كاتب أو غير كاتب.

١٥ ـ «وإن من فتنته أنّ معه جنةً وناراً ، [ونهراً وماء][(٢)] ، [وجبل خبز][(٣)] . [وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار][(٤)] ، فناره جنة، وجنته نار.

[وسأله المغيرة بن شعبة عنه؟ فقال: قلت: إنهم يقولون: معه جبال من خبز، ولحم ونهر من ماء؟ قال: «هو أهون على اللَّه من ذلك»[(٥)] .

● وفي حديث آخر[(٦)] : [معه نهران يجريان، أحدهما ـ رأيَ العين ـ ماء أبيض، والآخر ـ رأي العين ـ نارٌ تأجَّج][(٧)] ، [فمن أدرك ذلك منكم، فأراد الماء؛ فليشرب من الذي يراه أنه نار][(٨)] ، [وليغمض[(٩)] [عينيه][(١٠)] ، ثم ليطأطئ [رأسه][(١١)] ؛ فإنه يجده ماءً [بارداً عذباً][(١٢)] [طيباً][(١٣)] ، [فلا تهللوا][(١٤)] . وفي أخرى[(١٥)] فمن دخل نهره حُطَّ أجره، ووجب وزره، ومن دخل ناره وجب أجره

---

(١) عب، حم، م، ت، ني ـ بعض أصحابه ﷺ .
(٢) حم، حن ـ رجل. طب ـ ابن عمرو.
(٣) حم، حن ـ رجل. حم ـ جابر. طب ـ ابن عمرو.
(٤) ق ـ أبو هريرة. ني (١/١٢٧).
(٥) خ (٧١٢٢)، م(٨/ ٢٠٠)، واللفظ له، حب (٦٧٤٤ و ٦٧٦٢)، حم (٤/٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٢).
(٦) ق، حب، حم ـ حذيفة وأبو مسعود.
(٧) م.
(٨) م، حب.
(٩) م، حم.
(١٠) حم.
(١١) حم.
(١٢) م، حم.
(١٣) م، حم.
(١٤) م، حم.
(١٥) حم.

وحطَّ وزره».

١٦ ـ «فمن ابتلي بناره، فليستغث باللَّه، وليقرأ {عليه}[١] فواتح سورة الكهف، {فإنها جواركم من فتنته}[٢] .

١٧ ـ وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثتُ لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! اتبعه؛ فإنه ربك!

١٨ ـ وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها، وينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين.

١٩ ـ وإن من فتنته أن يمر بالحي {فيدعوهم}[٣] ، فيكذبونه، {فينصرف عنهم}[٤] ، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت.

٢٠ ـ {وإن من فتنته أن يمر بالحي {فيدعوهم}[٥] ، فيصدقونه، {ويستجيبون له}[٦] ، فيأمر السماء أن تمطر، فتمطر، والأرض أن تنبت، فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمده خواصر، وأدَرَّه ضروعًا.

٢١ ـ {ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل}[٧] .

---

(١) م ـ النواس.
(٢) د ـ النواس.
(٣) م ـ النواس.
(٤) م ـ النواس.
(٥) م ـ النواس.
(٦) م ـ النواس.
(٧) حم، م، د، ت، مج، آ، حن، كر ـ النواس.

٢٢ ـ [يخرج في [زمان اختلاف من الناس، وفرقة][(١)] ،«و» بغض من الناس، وخفة من الدِّين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طيّ فروة الكبش][(٢)] .

٢٣ ـ [«ولا يخرج حتى تنزل الروم بالأعماق، أو بدابق، [يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام»][(٣)] ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلّوا بيننا وبين اللذين سَبَوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا واللَّه؛ لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم. [وتكون عند ذاكم القتال رَدَّة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نَهَد إليهم بقية أهل الإسلام]، فينهزم ثلث لا يتوب اللَّه عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم ـ [هم] أفضل الشهداء عند اللَّه ـ ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا، [فيجعل اللَّه الدَّبَرة عليهم «أي: الروم»، فيقتتلون مقتلة؛ إما قال: لا يُرى مثلها؛ وإما قال: لم يُرَ مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتًا، فيتعادّ بنو الأب؛ كانوا مائة؛ فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم؟]،

---

(١) حب، البزار ـ أبو هريرة.

(٢) عب، ك ـ حذيفة بن أسيد.

(٣) حم، م ـ ابن مسعود.

فيبلغون قسطنطينية، فيفتحونها».

وفي رواية: «سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول اللَّه! قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر. فيسقط أحد جوانبها الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر. فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، فيفرج لهم فيدخلوها، فيغنموا»[١].

فبينما هم يقتسمون الغنائم ـ قد علقوا سيوفهم بالزيتون ـ إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح {الدجال} قد خلفكم في أهليكم. {فيرفضون ما بأيديهم} فيخرجون، وذلك باطل، {فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول اللَّه ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ}، فإذا جاؤوا الشام، خرج}[٢].

٢٤ ـ «وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه؛ إلا {أربع مساجد: مسجد}[٣] مكة، و{مسجد}[٤] المدينة، {والطور، ومسجد الأقصى}[٥].

٢٥ ـ {وإن أيامه أربعون يومًا؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم}.

قالوا: فذلك اليوم الذي كسنة؛ أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا؛

---

(١) م، ني ـ أبو هريرة.
(٢) م، ني، ك ـ أبو هريرة.
(٣) حم، حن ـ رجل من أصحابه ﷺ.
(٤) حم، حن.
(٥) حم، حن.

اقدروا له قدره». قالوا: وما إسراعه في الأرض؟ قال: [كالغيث استدبرته الريح][١].

٢٦ ـ «وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر اللَّه السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر اللَّه السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت؛ إلا ما شاء اللَّه».

قيل: فما يُعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: «التهليل، والتكبير، والتسبيح، والتحميد، ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام».

٢٧ ـ «لا يأتي مكة والمدينة من نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة».

٢٨ ـ «وإنه ليس من بلدة إلا يبلغها رعب المسيح [الدجال]؛ إلا المدينة؛ [لها يومئذ سبعة أبواب][٢] ، على كل نقب من نقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح][٣] .

٢٩ ـ «حتى ينزل عند السبخة [سبخة الجرف][٤] ، [دبر أحد][٥] ، [فيضرب رواقه][٦] .

---

(١) م ـ النواس.
(٢) حم، خ، ك ـ أبو بكرة . ني (٢/١٢٨).
(٣) عب، حم ـ أبو بكرة.
(٤) حم، ق، حن، ني ـ أنس.
(٥) م، ع ـ أبو هريرة.
(٦) حم، ق، حن، ني ـ أنس. حم، ك ـ محجن بن الأدرع.

٣٠ ـ فترجف المدينة[١] بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص، {وأكثر من يخرج إليه النساء}[٢] .

٣١ ـ {فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، {ممتلئ شبابًا}[٣] ، {هو يومئذ خير الناس، أو من خيرهم}[٤] ، فتلقاه المسالح ـ مسالح الدجال ـ فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء! فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟

فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس! {أشهد أن}[٥] هذا الدجال الذي ذكر «وفي طريق: الذي حدثنا»[٦] رسول اللَّه ﷺ {حديثه}[٧] قال: «فيأمر الدجال به فَيُشبح[*] ، فيقول: خذوه وشبحوه. فيوسع ظهره وبطنه ضربًا، قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟! قال: أنت المسيح الكذاب! {فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته؛ أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا}[٨] . قال: فيؤمر به، فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، {فيقتله}[٩] .

---

(١) ني (١/١٢٨).
(٢) حم، حن ـ ابن عمر. حم، عس ـ جابر. حم، ك ـ عثمان بن أبي العاص.
(٣) م ـ النواس.
(٤) عب، حم، ق ـ أبو سعيد.
(٥) عب، حم، ق ـ أبو سعيد.
(٦) عب، حم، ق.
(٧) عب، حم، ق.
(*) أي: يمد للضرب.
(٨) عب، حم، ق.
(٩) عب، حم، ق.

« وفي حديث النواس: فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض»[١] . قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم. فيستوي قائمًا، قال: {ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك}[٢] ، ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: {واللَّه}[٣] ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال: ثم يقول: يا أيها الناس! إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه، فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[٤] .

٣٢ ـ {ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام}[٥] ، {ثم يأتي جبل إيليا، فيحاصر عصابة من المسلمين}[٦] ، {فيلقى المؤمنون شدة شديدة}[٧]، {ويفر الناس من الدجال في الجبال}[٨] ، فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول اللَّه! فأين العرب يومئذ؟ قال: «هم يومئذ قليل».

٣٣ ـ وإمامهم رجل صالح. {وقال ﷺ: «المهدي منا أهل البيت»، {من

---

(١) م.

(٢) م ـ النواس.

(٣) عب، حم، ق.

(٤) م، من، ك ـ أبو سعيد.

(٥) م، ع ـ أبو هريرة.

(٦) ك ـ حذيفة بن أسيد. حم، حن، كر ـ سفينة. عب ـ بعض أصحابه ﷺ.

(٧) البزار ـ أبو هريرة. حم ـ جابر. حم، حن، ع ـ عائشة. حم، ك ـ عثمان بن أبي العاص.

(٨) حم، م، ت ـ أم شريك.

أولاد فاطمة{(١)}، يصلحه اللَّه في ليلة{(٢)} (*)، {يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي}(٣)، {أجلى الجبهة، أقنى الأنف}(٤)، {يملأ الأرض قسطًا وعدلاً؛ كما ملئت جورًا وظلمًا}(٥)، {يملك سبع سنين}(٦).

● وقال ﷺ: «عصابتان من أمتي أحرزهما اللَّه من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام»(٧).

● وقال ﷺ: «من أدركه منكم، فليقرئه مني السلام»(٨).

٣٤ ـ {فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح؛ إذ نزل عليهم {من السماء}(٩)عيسى ابن مريم الصبح}، {عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين

---

(١) د ـ أم سلمة(١).

(٢) حم، مج، عق، عد، حل.

(*) أي: يتوب عليه ويوفّقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك. قاله الحافظ ابن كثير في «النهاية» (١/ ٤٣)، ولعلَّ المقصود بذلك أنه يصلحه؛ أي: يعده لتولي قيادة المسلمين؛ لا أنه كان فاسقًا فأصلحه اللَّه وتاب عليه.

(٣) د، ت ـ ابن مسعود(٢).

(٤) د ـ أبو سعيد(٣).

(٥) د، ت ـ ابن مسعود. د ـ أبو سعيد.

(٦) د ـ أبو سعيد. د ـ أبو سلمة(٤).

(٧) حم، ن، عد، عس ـ ثوبان. «الصحيحة» (١٩٣٤).

(٨) ك ـ أنس. «الصحيحة» (٢٣٠٨).

(٩) البزار، ها.

---

(١) «تخريج المشكاة» (٥٤٥٣).

(٢) «تخريج المشكاة» (٥٤٥٢).

(٣) «تخريج المشكاة» (٥٤٥٤).

(٤) «تخريج المشكاة» (٥٤٥٦).

مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُهُ ينتهي، حيث ينتهي طرفه}.

٣٥ ـ {وقال ﷺ: «ليس بيني وبينه نبي «يعني: عيسى»، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك اللَّه في زمانه الملل كلها إلا الإسلام».

❑ وقال: {كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم}.

وفي رواية: «وأمّكم»(١) منكم(٢)؟.

« قال ابن أبي ذئب: تدري ما «أمكم منكم؟» قلت: تخبرني. قال: «فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم ﷺ»}.

٣٦ ـ فرجع ذلك الإمام ينكص ـ يمشي القهقرى ـ ليتقدم عيسى، {فيقول: تعال صلِّ لنا}(٣). فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: {لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة اللَّه هذه الأمة}(٤)، تقدم فصلِّ. فيصلي بهم إمامهم.

٣٧ ـ {ثم يأتي الدجال جبل «إيلياء»، فيحاصر عصابة من المسلمين}(٥)، {فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية {إلا}(*) أن تقاتلوه حتى تلحقوا

---

(١) م.

(٢) خ، م، حب.

(٣) م ـ جابر.

(٤) م ـ جابر.

(٥) ك ـ حذيفة بن أسيد. حم، حن، كر ـ سفينة. عب ـ بعض أصحاب النبي ﷺ

(*) زيادة يقتضيها السياق سقطت من الأصل.

باللَّه، أو يُفتح لكم. فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا[١] .

٣٨ ـ [فبينما هم يعدون للقتال، ويسوون الصفوف؛ إذ أقيمت الصلاة][٢]، [صلاة الصبح][٣]، [فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم][٤] ، [فيؤم الناس، فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع اللَّه لمن حمده، قتل اللَّه المسيح الدجال، وظهر المسلمون]، فإذا انصرف قال: افتحوا الباب. فيفتح، ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، [فيطلبه عيسى عليه الصلاة والسلام][٥] .

٣٩ ـ [فيذهب عيسى بحربته نحو الدجال][٦] ، فإذا نظر إليه الدجال؛ ذاب كما يذوب الملح في الماء، [فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللَّه بيده، فيريهم دمه في حربته][٧] ، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله، [فيهلكه اللَّه عز وجل عند عقبة أفيق][٨] (*) .

٤٠ ـ فيهزم اللَّه اليهود، [ويسلط عليهم المسلمون][٩] ، [ويقتلونهم][١٠] ،

---

(١) ك ـ حذيفة بن أسيد.

(٢) م، ني، ك ـ أبو هريرة.

(٣) ك ـ النواس.

(٤) ك ـ حذيفة بن أسيد.

(٥) م ـ النواس.

(٦) حم، ك ـ عثمان بن أبي العاص.

(٧) م، ني، ك ـ أبو هريرة.

(٨) حم، حن، كر ـ سفينة.

(*) قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق، والعامة تقول: «فيق»، تنزل من هذه العقبة إلى الغور وهو الأردن، وهي عقبة طويلة نحو ميلين. «معجم البلدان».

(٩) عب، حم. ق، ت أبو هريرة.

(١٠) حم، ق، ني، خط ـ أبو هريرة.

فلا يبقى شيء مما خلق اللَّه يتوارى به يهودي إلا أنطق اللَّه ذلك الشيء؛ لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة ـ إلا الغرقدة؛ فإنها من شجرهم لا تنطق ـ إلا قال: يا عبد اللَّه المسلم! هذا يهودي [ورائي] فتعال فاقتله.

٤١ ـ [ثم يلبث الناس بعده (*) سنين سبعًا ليس بين اثنين عداوة][(١)].

٤٢ ـ فيكون عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أمتي [مصدقًا بمحمد ﷺ، على ملته][(٢)] حكمًا عدلاً، وإمامًا [مهديًا][(٣)] مقسطًا، [فيقاتل الناس على الإسلام، فـ][(٤)] يدق الصليب، ويذبح الخنزير، [وتجمع له الصلاة][(٥)]، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض [والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد][(٦)]، [حتى تكون السجدة

(*) أي: بعد هلاك الدجال، فلا ينافيه أن عيسى ـ عليه السلام ـ يمكث في الأرض أربعين سنة (فقرة: ٤٥)؛ كما هو ظاهر. وأمّا قول الحافظ ابن كثير (١/ ١٧٧) بعد أن ذكر الفقرة المشار إليها: وثبت في «صحيح مسلم» عن عبد اللَّه بن عمر(!) أنّه يمكث في الأرض سبع سنين، فهذا مع هذا مشكل...».

ونحوه قول الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٨٤): وروى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض ـ بعد نزوله ـ أنها سبع سنين.

أقول: فكل هذا لا أصل له في مسلم، وإنما فيه من حديث «ابن عمرو وليس «ابن عمر» ما ذكرناه في الأعلى: «ثم يلبث الناس بعده سنين سبعًا». فالذي يلبث هم الناس؛ وليس عيسى ـ عليه السلام ـ ؛ فلا إشكال. والحمد للَّه.

(١) حم، م، ك ـ ابن عمرو.

(٢) حم ـ سمرة. طب، طس ـ عبد اللَّه بن مغفل.

(٣) حم ـ أبو هريرة.

(٤) عب، حم، د، حب، آ ـ أبو هريرة.

(٥) حم ـ أبو هريرة.

(٦) حم، م، آ، من ـ أبو هريرة.

الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها}، {وتكون الدعوة واحدة لرب العالمين}[١] .

● {والذي نفسي بيده؛ ليُهِلَّنَّ ابن مريم بفج «الروحاء» حاجًّا أو معتمرًا، أو ليثنينهما}[٢] .

٤٣ ـ {ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم اللَّه منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة[٣] .

فبينما هو كذلك إذ أوحى اللَّه إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي لا يَدانِ لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور.

ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبريا، فيشربون ما فيها! ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. {ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر ـ وهو جبل بيت المقدس ـ فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء. فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد اللَّه عليهم نشابهم مخضوبة دمًا}[٤] .

● «ويحصر نبي اللَّه عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه، فيرسل اللَّه عليهم النّغف في رقابهم، فيصبحون فَرْسى، كموت نفس واحدة» .

● «ثم يهبط نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم» .

---

(١) عب، حم ـ أبو هريرة.
(٢) م (٤/ ٦٠)، حب (٦٧٨١)، حم (٢/ ٢٤٠ و٢٧٢ و٢٩٠ و٥١٣ و٥٤٠).
(٣) حم، م ـ النواس.
(٤) م.

● «فيرغب نبي اللَّه وأصحابه إلى اللَّه، فيرسل اللَّه طيراً كأعناق البخت فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء اللَّه».

● «ثم يرسل اللَّه مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة».

● «ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك، وردِّي بَرَكَتك».

● «فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسل، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس[(١)]، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدريهمات».

●[وقال ﷺ: «طوبى لعيش بعد المسيح، طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، فلو بذرت حَبَّكَ على الصفا لنبت، ولا تشاح، ولا تحاسد، ولا تباغض»][(٢)].

٤٤ ـ وتنزع حُمَةُ كل ذات حمة، [وتقع الأمنة على الأرض؛ حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم][(٣)]، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتُفرُّ الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السِّلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا اللَّه، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، [ثم يقال: تكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم].

---

(١) حم، م ـ النواس.

(٢) أبو بكر الأنباري، الديلمي ـ أبو هريرة. «الصحيحة» (١٩٢٦).

(٣) حم ـ أبو هريرة.

٤٥ ـ [فيمكث عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون][(١)].

٤٦ ـ [فبينما هم كذلك؛ إذ بعث اللَّه ريحًا [باردة من قبل الشام][(٢)]، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم].

● وفي حديث ابن عمرو: «فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه»[(٣)]، ويبقى شرار الناس [في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، قال: فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دارّة أرزاقهم حسن عيشهم][(٤)]، يتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة][(٥)].

٤٧ ـ [يُنفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا، ورفع ليتًا وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، فيصعق، ويصعق الناس].

«ثم يرسل اللَّه ـ أو قال: ينزل اللَّه ـ مطرًا كأنه الطَّل أو الظِّل ـ شك من الراوي ـ فتنبت منه أجساد الناس، ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]، ثم يقال: يا أيها الناس! هلمّ إلى ربكم، ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]. ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟،

---

(١) عب، حم، د، حب، آ ـ أبو هريرة.
(٢) حم، م ـ ابن عمرو.
(٣) حم، م.
(٤) حم، م ـ ابن عمرو.
(٥) حم، م ـ النواس.

فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين. فذاك يوم ﴿ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [المزمل: ١٧]، ذلك ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم: ٤٢][١، ٢].

* سابعًا: نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وإقامته في الأرض المقدسة، وقتله للدجال ولمن بقي من اليهود وإبادتهم إبادة تامة:

وقد مرّت الأحاديث من قبل:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»[٣].

● وقال ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟»[٤].

● وقال ﷺ: «ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مربوعٌ[٥] إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصَّرتين[٦]، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق[٧] الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك اللَّه في زمانه المِلَلَ كلها إلا الإسلام، ويُهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه

---

(١) حم، م ـ ابن عمرو.

(٢) «قصة المسيح الدجال» ـ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص(١٢٥ ـ ١٤٩) ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أوس بن أوس، وصححه الألباني في «تخريج فضائل الشام» (٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦)، و«صحيح الجامع» (٨١٦٩).

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٥) أي: متوسط القامة.

(٦) الثوب الممصر: الملون بصفرة ليست مشبعة.

(٧) يدق: يكسر.

المسلمون»[١] .

● وقال ﷺ : «ليقتلن ابن مريم الدجال بباب لُدٍّ»[٢] .

● قال ﷺ : «من أدرك منكم عيسى ابن مريم، فليُقرئه منِّي السَّلام»[٣] .

● وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، وإمامًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض[٤] المالُ حتى لا يقبله أحدٌ، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»[٥] .

● وقال ﷺ : «واللَّه، لينزلن ابن مريم حكمًا عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزيـــة، ولتُتركن القِلاصُ[٦] ، فلا يُســعى عليها، ولتذهبن الشـحناءُ والتباغض والتحاســد، وليدعـون إلى المال، فلا يقبله أحدٌ»[٧] .

● وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده، ليُهِلَّنَّ[٨] ابن مريم بفجِّ الرَّوحاء[٩]

---

(١) صحيح: رواه أبو داود عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٨٩)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٢١٨٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده عن مجمع بن جارية، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٤٦٢).

(٣) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك» عن أنس، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٣٠٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٠٠١).

(٤) يكثر ويزيد.

(٥) رواه أحمد، والبخاري ومسلم والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٦) نوع من أجود أنواع الإبل.

(٧) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٨) كأن يقول: لبيك بحجة وعمرة.

(٩) يقع بين مكة والمدينة.

حاجًّا، أو معتمرًا، أو ليثنينهما»[١، ٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«يقتل ابن مريم الدجال بباب لُدَّ»**[٣] .

فحياة عيسى ـ عليه السلام ـ ورفع اللَّه له حيًّا في السماء، ونزوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ آخر الزمان من عقيدة السلف الصالح:

❑ قال الإمام الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ من السماء»[٤] .

❑ وقال الإمام المفسر ابن عطية الأندلسي ـ رحمه اللَّه:

«وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى ـ عليه السلام ـ في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويفيض العدل وتظهر به ملة محمد ﷺ ، ويحج البيت ويعتمر»[٥] .

❑ قال الإمام السفاريني ـ رحمه اللَّه ـ:

«أجمعت الأمة على نزول عيسى ـ عليه السلام ـ ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد الإجماع أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء»[٦] .

---

(١) أي: يقرن بينهما.

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «شرح الطحاوية» ص(٥١٤).

(٥) «البحر المحيط» نقلاً عن ابن عطية (٢/ ٤٧٣).

(٦) «لوامع الأنوار» للسفاريني (٢/ ٩٤ ـ ٩٥).

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير سورة الزخرف عند قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾: «وقد تواترت الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى ـ عليه السلام ـ قبل يوم القيامة إمامًا عدلاً، وحكمًا مقسطًا»(١).

وقد أطال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية القول في أن «ابن مريم ـ عليه السلام ـ حي في السماء، وسينزل قبل قيام الساعة»(٢).

وقال العلامة الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ـ رحمه اللَّه ـ :

«وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ ثابت بالكتاب والسنة والإجماع». ثم قال: «والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الدجال، وفي نزول عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ»(٣).

وغير هؤلاء العلماء كثير منهم: ابن جرير الطبري، وابن حجر العسقلاني، ومحمود الآلوسي، والشوكاني، وأحمد شاكر، والألباني، والغماري، وعشرات غيرهم.

وهذي خلاصة أعمال المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين ينزل في آخر الزمان، ويا لها من أعمال عظيمة، ولقد ذكرها الرسول ﷺ في أحاديثه الصحيحة.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٣٢).

(٢) «الفتاوى الكبرى» (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣).

(٣) «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ص(١٤٧). يراجع كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للكشميري، و«رفع عيسى حيًّا» للهراس.

وسأورد فيما يلي خلاصة لأعمال المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين ينزل في آخر الزمان، وهي أعمال جليلة وخطيرة، ذكرها الرسول ﷺ في أحاديثه الصحيحة:

١ ـ كسر الصليب واستئصال عبادة النصرانية.

٢ ـ قتل الخنزير.

٣ ـ مقاتلة الدجال وأعوانه من اليهود.

٤ ـ قتله من بقي من اليهود حتى لا يجد أحد منهم ملاذًا يلجأ إليه.

٥ ـ عدم قبوله إلا دين الإسلام وانتهاء الملل كلها.

٦ ـ مقاتلة يأجوج ومأجوج.

٧ ـ انتهاء الجهاد في عصره لزوال راية الكفر والكفار.

٨ ـ انتهاء حكم الجزية.

٩ ـ يؤم المسلمين بعد أن يصلي وراء إمام المسلمين.

١٠ ـ الحج من فج الروحاء.

١١ ـ السفر للسلام على رسول اللَّه وصلاته في روضته الشريفة.

١٢ ـ الدعوة إلى القرآن والسنة والحكم بهما[1].

*** قتله الدجّال في منطقة اللد بفلسطين:**

● ومن حديث النواس بن سمعان ـ رضي اللَّه عنه ـ في حديثه الطويل عن الدجال قال رسول اللَّه ﷺ: «... **فبينما هو كذلك، إذ بعث اللَّه المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين،**

(١) «الأرض المقدسة» ص(٢٤٣ ـ ٢٤٤).

واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله...»[١].

* قتله لمن بقي من اليهود من أتباع الدجال:

● فمن حديث ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «.... ثم يسلط اللَّه المسلمين عليه، فيقتلونه، ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجر للمسلم: هذا يهودي تحتي، فاقتله»[٢].

● ومن حديث أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال... إلى أن قال: «..... فيقول عيسى ﷺ: إن لي فيك ضربة لن تفوتني بها، فيدركه عند باب لُد الشرقي فيقتله، فلا يبقى شيء مما خلق اللَّه عز وجل شيئًا يتوارى به يهودي إلا أنطق اللَّه ذلك الشيء، لا شجرة ولا حجر ولا دابة إلا قال: يا عبد اللَّه المسلم: هنا يهودي فاقتله ـ إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق...»[٣].

● وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»[٤].

● وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح: سبق تخريجه.

(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد اللَّه! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله. إلا الغرقد[١] ؛ فإنه من شجر اليهود»[١] .

● وقال ﷺ : «تقاتلون اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبد اللَّه هذا يهودي ورائي، فاقتله»[٢] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد، وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة، والبياض، سبط كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويعطل المِلَلَ حتى تهلك في زمانه كلها غير الإسلام، ويهلك اللَّه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعًا، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضًا، فيمكث ما شاء اللَّه أن يمكث، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه»[٣] .

● ومن حديث أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ في حديث الدجال الطويل قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «.... فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري، ومسلم والترمذي عن ابن عمر.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٢، ٢٤٧٦، ٣٤٤٨، ٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥)، والترمذي (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٤٠٧٨)، والطيالسي (٢٢٩٧)، وأبو يعلى (٥٨٧٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٠، ٢٧٢، ٢٩٠، ٢٩٤، ٤٠٦، ٤١١، ٤٨٢، ٤٩٤، ٥٣٨).

الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد ـ أي الطفل الصغير ـ يده في الحية ـ أي: في فمها ـ فلا تضره، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتُملأ الأرض من السلم، كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا اللَّه، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها»[1].

* إخراج الأرض بركاتها في زمانه ـ عليه السلام ـ :

● فمن حديث النواس بن سمعان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «.... ثم يرسل اللَّه مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة. ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ...»[2].

* حفظ الطائفة التي تقاتل معه من النار:

● فمن حديث ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ مولى رسول اللَّه ﷺ عن النبي ﷺ: «عصابتان من أمتي أحرزهما اللَّه تعالى من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ»[3].

* زيارته لقبر الرسول ﷺ :

● من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه

---

(١) مر تخريجه من قبل، وهو حديث الدجال الطويل الذي صححه الشيخ الألباني.

(٢) أخرجه مسلم، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وأحمد في «المسند».

(٣) سبق تخريجه.

ﷺ: «**ليهبطن عيسى بن مريم حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا، وليسلكن فجًّا حاجًّا أو معتمرًا، أو ليثنينهما، وليأتين قبري حتى يسلم عليَّ ولأردن عليه**».

قال أبو هريرة: «أي: بني أخي إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام»[(١)].

* ثامنًا: نهاية فتنة يأجوج ومأجوج على الأرض المقدسة:

وعلى هذه الأرض المقدسة ستكون نهاية أقوى أمة تخرج في آخر الزمان وهي فتنة يأجوج ومأجوج.

وقد استعاذ رسول اللَّه ﷺ من شرهم:

فعن زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ قالت: «خرج رسول اللَّه ﷺ فزعًا، محمرًّا وجهه، يقول: **لا إله إلا اللَّه، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق بأصبعه الإبهام، والتي تليها.

قالت: فقلت: يا رسول اللَّه، أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»[(٢)].

● وفي رواية: «**فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد بيده تسعين**».

ولتعلم كثرة عددهم وأنهم أكثر الأمم عددًا وأنهم أكثر أهل النار،

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٩٥)، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥)، ومسلم (٢٢٨٠)، وأحمد في «المسند» (٦/٤٢٨، ٤٢٩)، والترمذي (٢١٨٧)، وابن ماجه (٣٩٥٣)، وابن أبي شيبة (١٩٠٦١)، والبيهقي في «السنن» (١٠/٩٣). والرواية الأخرى: عند أحمد، والبخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة.

انظر إلى حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ.

● عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: عن النبي ﷺ قال: «**يقول اللَّه تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حملٍ حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد.** قالوا: يا رسول اللَّه: وأيّنا ذلك الواحد؟ قال: «**أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألف**» ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربُع أهل الجنة**»، فكبرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة**»، فكبرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**»، فكبرنا، فقال: «**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**»[1].

* كون خروجهم من علامات الساعة الكبرى:

● عن حذيفة بن أسيد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا فقال: «**ما تذاكرون؟**». قلنا: الساعة. قال: «**إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونارٌ تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**».

● وفي لفظ آخر قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» فذكر:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢)، وأحمد (٣/ ٣٢ ـ ٣٣)، وابن منده في «الإيمان» رقم (٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١).

الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»[1].

* قوتهم وبطشهم الشديد الذي لا قدرة لأحد به:

● فمن حديث النواس بن سمعان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال رسول اللَّه ﷺ: «.... فبينما هو كذلك، إذ أوحى اللَّه إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء.

ويحصر نبي اللَّه عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه إلى اللَّه تعالى، فيرسل اللَّه عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى، كموت نفس واحدة.

ثم يهبط نبي اللَّه عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم! فيرغب نبي اللَّه عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه إلى اللَّه، فيرسل اللَّه طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه».

● وفي رواية أخرى لمسلم قال: «.... لقد كان بهذه مرة ماء، ثم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، وابن ماجه (٤٠٤١)، وابن أبي شيبة (١٥/١٦٣)، والطبراني برقم (٣٠٢٩، ٣٠٣٠، ٣٠٣١، ٣٠٣٢، ٣٠٣٣).

يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخُمُر[١] وهو جبل ببيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد اللَّه عليهم نشابهم مخضوبًا دمًا ....»[٢].

● وفي رواية ابن ماجه قال: «سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم، وأترستهم سبع سنين»[٣].

● قال رسول اللَّه ﷺ: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعيده اللَّه أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم[٤]، وأراد اللَّه أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء اللَّه، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشِّفون الماء[٥]، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم الذي احفظَّ[٦]، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء! فيبعث اللَّه عليهم نغفًا[٧] في أقفائهم فيقتلهم بها، والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرًا[٨] من لحومهم ودمائهم»[٩].

---

(١) جبل الخُمر: هو جبل بيت المقدس، وسُمي بذلك لكثرة أشجاره الملتفة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٧٣).

(٤) أي: حان وقت خروجهم.

(٥) أي: يشربونه عن آخره.

(٦) انتفخ.

(٧) هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٨) أي: تسمن وتمتلئ شحمًا.

(٩) **صحيح**: أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والحاكم، وابن حبان عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٧٦)، و«السلسلة الصحيحة» (١٧٣٥).

● «تفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس كما قال اللَّه عز وجل: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ[١] يَنسِلُونَ﴾ فيغشون الناس[٢] ، وينحاز[٣] المسلمون عنهم إلى مدائنهم[٤] وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض،حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسًا، حتى إن من يمر من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا ماء مرَّةً، حتى إذا لم يبق من الناس أحدٌ إلا أحدٌ في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء! ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليه مختضبة[٥] دمًا للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك إذ بعث اللَّه عز وجل دُودًا في أعناقهم كنغف[٦] الجراد الذي يخرج في أعناقه فيصبحون موتى لا يسمع لهم حسٌّ، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري[٧] لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟ فيتجرد[٨] رجلٌ منهم محتسبًا نفسه، قد أوطنها[٩] ، على أنه مقتول، فينزل، فيجدهم موتى بعضهم على بعضٍ، فينادي : يا معشر المسلمين ألا أبشروا، إن اللَّه عز وجل قد كفاكم عدوَّكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لهم مرعى إلا لحومهم، فتشكر[١٠] عنه كأحسن ما شكرت

(١) الحدب: ما ارتفع من الأرض وغلظ.
(٢) أي: يحيطون بهم.
(٣) أي: يلجأ.
(٤) مدنهم.
(٥) ملطخة.
(٦) كدود.
(٧) أي: يبيع نفسه للَّه.
(٨) أي: يقوم مستعدًّا لذلك.
(٩) مهّدها وأرضاها.
(١٠) أي: تسمن وتمتلئ لحمًا .

عن شيء من النبات أصابته قط»[١].

* هلاّ اتعظ اليهود إخوان الخنازير والقرود:

هلاّ اتعظ اليهود بحديث يأجوج ومأجوج، وهؤلاء الذين يظنون أنهم انتصروا على أهل الأرض ويستطيعون قتال أهل السماء فيذلهم اللَّه ويبيدهم بأضعف شيء وهو الدود، ويفنيهم ويقتلهم جميعًا كنفس واحدة. حين لا يقدر أحد على دفع فتنتهم يلجأ عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن معه ويرفعون أكف الضراعة، ويستغيثون بربهم وهم في الأرض المقدسة، فيبيد اللَّه هؤلاء الجبابرة وتكون نهايتهم فيها ... فيا لها من مكرمة لهذه الأرض الطيبة المباركة.

* تاسعًا: طيب العيش بعد المسيح ـ عليه السلام ـ في الأرض المقدسة بل والأرض بأسرها:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاح، ولا تحاسد، ولا تباغض»**[٢].

---

(١) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٧٧)، وابن ماجه (٤٠٧٩)، وابن حبان (٦٨٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠)، وأبو يعلى (١١٤٤) عن أبي سعيد، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في «الزوائد» هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وقال ابن كثير في «النهاية» (١/ ١٨١): إسناده جيد، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٩٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٩٧٣).

(٢) **صحيح**: عزاه الألباني في «الصحيحة» (١٩٢٦) إلى أبي بكر الأنباري في حديثه، والديلمي (٢/ ١٦١)، والضياء في «المنتقى» من مسموعاته بمرو، وابن المحب في «صفات رب العالمين»، وصحح الحديث الشيخ الألباني في «الصحيحة»، و«صحيح الجامع».

* عاشراً: خروج الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين من الأرض المقدسة:

● عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبد اللَّه بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تُحدِّث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا.

فقال: سبحان اللَّه! ولا إله إلا اللَّه، أو كلمة نحوها، لقد هممت أن لا أحدث شيئًا أبدًا، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا، يُحرق البيت، ويكون، ويكون، ثم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، (لا أدري أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا). فيبعث اللَّه عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل اللَّه ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس، في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رزقهم، حسن عيشهم....**»[1].

● وفي حديث النواس بن سمعان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «.... **فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس! يتهارجون**

---

(١) أخرجه مسلم، وأحمد، والبيهقي في «الاعتقاد»، والنسائي في «الكبرى»، والحاكم في «المستدرك»، وابن حبان.

فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»[1] .

وأخيراً: حشر الناس إلى بيت المقدس أرض المحشر والمنشر:

● لقد مرّ من حديث أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « ... **ولنعم المصلى في أرض المحشر والمنشر**» .

□ لقد اختار اللَّه بيت المقدس لتكون المكان الذي يُحشر الناس إليه، ويحاسبهم فيه، وهذه فضيلة ما بعدها فضيلة نختم بها فضائل بيت المقدس الثابتة على مدار التاريخ.

❁ ❁ ❁

(١) سبق تخريجه.

الطريق إلى القدس والأقصى لن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أوّلها

الطريق إلى القدس والأقصى

طريقنا إلى القدس والأقصى واضح المعالم.. وللنصر أسبابه.. إن المشوار شاق وطويل، والجهد المطلوب غاية في الضخامة.. وأول الطريق خطوة.. وأول الغيث قطرة.. وأسباب الفوز سلسلة مترابطة لا تنفك واحدة منها عن بقية السلسلة..

حتى تعود لنا القدس والأقصى ويدوي تكبيرنا على الصخرة، والمآذن والجبال وفي ربوع الأرض المقدسة المباركة هناك مقومات للنصر:

(١) توبة الأمة الإسلامية وعودتها إلى اللّه عز وجل وبعدها عن المعاصي، فإنما تنصر الأمة بالطاعة:

لا يتنزّل النصر على أمة ماجنة عابثة لاهية غافلة شاردة بعيدة عن اللّه ورسوله.. يسب بعض أفرادها اللّه جهرة، بل بعض مقاتليها ـ إي واللّه ـ أمثال منظمات نايف حواتمة وجورج حبش وغيرهم..

أمجاهدون، وما استقام ولاؤهم ... للّه، وما بال المجاهد يشطح؟؟
أمجاهدون، وما أقاموا مسجدا ... للّه، أو رفعوا الأذان وسبّحوا؟؟
لغة الجهاد يجيد نظم حروفها ... رجل إذا نزل ابتلاء ينجح
ويلوذ باللّه العظيم ويرعوي ... عن غيّه لا يستبدّ ويجمح

أمة لا تغوص في مستنقع المعاصي الآسن.. ولا تتمرد على منهج ربها أمة لا تقلب الموازين، ولا تسير ضد السنن الربانية.

فيا أمة.. قصّفت في ساحك القنا ... وأحنيت للأوثان هامةَ خاسرِ
بَعُدتِ عن الرحمن فاشْقَيْ وَوَلْولي ... على غَصَصٍ مَلأى بقيح الجرائرِ
نشيدك أحزانُ المآتم فادمعي ... ومجدُكِ طيّاتُ الثَّرَى والمقابرِ

إن النصر من عند اللَّه تُكَحَّلُ به أفئدة أمة صابرة تعلم أنها إنما تنصر على عدوها بطاعتها للَّه، ومعصية عدوها له.. أمة تعلم أن اللَّه أعزها بالإسلام، فإن ابتغت العزة في غيره أذلها اللَّه عز وجل.

النصر يحتاج إلى تبتل ودمع وقنوت وضراعة إلى اللَّه وسلوا ليلة بدر عن بكاء النبي ﷺ وصلاته وسلوا ليلة الأحزاب وكل معارك الأمة.

(٢) إخلاص النية للَّه سبحانه وتعالى والصدق معه:

هذه الأمة لن تنصر إلا بإخلاص رجالاتها وقياداتها للَّه عز وجل.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما ينصر اللَّه هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[(١)].

● وعن أبيّ بن كعب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بَشِّرْ هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا؛ لم يكن له في الآخرة من نصيب**»[(٢)].

● وعند البيهقي: «**بشِّرْ هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا؛ فليس له في الآخرة من نصيب**».

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف**

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي وغيره، وهو في البخاري وغيره دون ذِكْر الإخلاص، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه» والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٥ ـ ١٦).

رجل»[١] . وذاك لصدقه وإخلاصه وإرادته وجه اللَّه عز وجل.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**كم منْ أشعث أغبر ذي طُمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على اللَّه لأبرّه، منهم البراء بن مالك**»[٢] .

النصر يحتاج إلى أكف ضارعة من أنفس مخلصة، مثل البراء بن مالك، والعلاء الحضرمي، وعبد اللَّه بن المبارك ومحمد بن واسع، ومعاذ بن جبل، وأبي عبيدة الأمين وقادة تعلم أن هذا طريق النصر مثلما قال قتيبة بن مسلم قائد الجيش الذي فتح كابل «أين محمد بن واسع؟».

قالوا في أقصى الميمنة فارد أصبعه إلى السماء؟

قال: أبشروا بالنصر.. هذه الأصبع الفاردة أحبّ إليّ من ألف سيف شهير وشاب طرير» فلما جاءه قال له: ما كنت تصنع؟

قال: كنتُ آخذ لك بمجامع الطرق: الدعاء.

كم من القادة يحتاجون إلى التطامن والمسكنة وترك الأبهة والجاه.. سقطوا في وحل الرياء وحب المنزلة حتى ولو ضاعت الأمة..

دلّني على قائد كخالد بن الوليد يتنازل عن أمرة الجيش وهو من هو في فتوحات الشام!!

إن للنية الصادقة أمارات ودلائل، وللنية المضطربة إشارات وعلامات. فكيف تكون النية خالصة للَّه في حمّى تنافس على الدنيا، وجنون سباق على مكاسب؟ وهل ضاعت الأمة إلا بأمثال أبي إياد.. أبي الهول.. أبي عمار وغيرهم؟

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم عن جابر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٩٥٧).

(٢) حسن صحيح: أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك.

(٣) تربية جيل النصر على عقيدة أهل السنة والجماعة:

الدعاة إلى الإسلام، والناشدون لتحرير القدس والأقصى لا بد لهم من تربية جيل النصر المنشود على العقيدة التي كان عليها الرسول وأصحابه.. عقيدة السلف، وتصفية العقيدة مما شابها من العقائد الباطلة والفاسدة والخرافيات والشركيات والبدع.. وأن يفهّموا الأجيال الدين الذي جاء به الرسول ﷺ المُستقى من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

▫ وللّه در مالك بن أنس إمام دار الهجرة القائل: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

▫ وما أجمل قول القائل: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تُقم لكم على أرضكم»..

ما سقطت القدس إلا على أيدي أهل البدع الفاطميين، وما ضاعت إلا لما ضاع الولاء وتحالف رجال الثورة العربية مع الإنجليز ضد المسلمين من الأتراك.. ما سقطت القدس إلا بعد أن انحرف الناس عن الجادة، وصار ربان السفينة علماني، يساري، أو قومي بعثي، أو ملاحدة، أو زنادقة.

▫ ومحال أن تعود القدس على أيدي أهل البدع من الرافضة من رجال حزب اللّه وغيرهم فقد قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ وأي نصر للّه ولدينه يأتي على أيدي أناس يسبون صحابة رسول اللّه ﷺ ويكفرونهم ويطعنون في الثوابت من هذا الدين.. وهم ومن على شاكلتهم كانوا الخنجر الذي طُعنت به الأمة «واللّه يفتح مغاليق الأمور

لمن علم في قلبه الصدق والعزيمة، وسلامة النهج وصفاء التوحيد والولاء»[1].

(٤) وحدة الأمة الإسلامية على أساس من وحدة العقيدة يعني كلمة التوحيد مع توحيد الكلمة:

الأمة المتراصة أقوى عند النزال من جبهات تلتقي وتفترق، وتسير وتقف، تجمعها مصالح آنيّة، وتفرقها مصالح آنيّتي. إنها سنّة اللّه في الحياة الدنيا، أن تكون الأمة أقوى وأعزّ، حتى ولو قلّ العدد.

من الأساس العقائدي السليم.. من القاعدة الإيمانية الرّبانية انطلقت كتائب الإسلام وتواثبت أمة الإسلام، لا يثقل مسيرتها «أحلاف وطنية» تضيّع معالم الإيمان، ولا يبطل صدقها «مسارعة» في «المحدثين» والعائمين»، والذين يحاربون اللّه ورسوله حينًا، ويتسترون حينًا آخر، صفّ واحد نقيّ لم يخالطه دَخل ولا ريبة ولا وهن ولا بدع.

شتان بين مسيرة يدفعها هوى وتصورات بشرية، وبين مسيرة تدفعها قواعد ربانية. شتان بين أمة ينير منهاج اللّه دربها، وأقوام يعطيهم الهوى بصيصًا من نور ثم ينطفئ..

* قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ولا عبرة بقول الدكتور القرضاوي: «لا مجال لإثارة الخلافات الدينية: سنة وشيعة، ولا الخلافات العرقية: عرب وأكراد، أو عرب وبربر، ولا الخلافات الأيديولوجية يمين ويسار، ولا الخلافات الطبقية:

---

(١) «عبد اللّه عزام» للنحوي ص(٣٢).

أغنياء وفقراء»[١].

ونقول للشيخ القرضاوي وهو من الدعاة إلى التقريب بين السنة والشيعة ـ: أنت تعلم دور الباطنية والرافضة في خيانة الأمة وقتل مجاهديها وعرقلة الحركات الجهادية ضد الصليبيين على مدار التاريخ الإسلامي...

ويكفي للرد على القرضاوي ما قاله شيخ الإسلام البربهاري في كتابه القيم «شرح السنة»: «واعلم أنه مَنْ تناول أحدًا من أصحاب محمد ﷺ فاعلم أنه إنما أراد محمدًا، وقد آذاه في قبره»[٢] فكيف ورجال حزب اللَّه يفسّقونهم ويكفرونهم؟!

قال البربهاري ـ رحمه اللَّه ـ: «مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رؤوسهم وأبدانهم في التراب، ويخرجون أذنابهم، فإذا تمكّنوا لدغوا. وكذلك أهل البدع، هم مختفون بين الناس. فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون»[٣] اهـ.

إن وحدة الأمة الإسلامية: «مليار وربع مليار مسلم» كفيل بالقضاء على إسرائيل «خمسة مليون يهودي».

القدس شأن الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن الفلسطينيين تخاذلوا وسلّموا في شأنها لوجب على مسلمي العالم أن يرفضوا ذلك، ويقاوموا الفلسطينيين أنفسهم.

---

(١) «القدس» للقرضاوي ص(١٦٢).

(٢) «شرح السنة» للبربهاري ص(١٢٣).

(٣) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (٢/ ٤٤)، و«المنهج الأحمد» (٢/ ٣٧).

(٥) تحرير الولاء لله ورسوله والمؤمنين وبغض اليهود والنصارى والشيوعين وكل الكافرين:

وهذا بيت القصيد لا بد أن يعلمه القاصي والداني، الصغير والكبير من هذه الأمة.. وبغض لهؤلاء لكفرهم أولاً، ولأنهم اغتصبوا ديارنا ثانية.

«يا مسلمون.. هذه هي أمريكا؟» «تقرير بدون تعليق»:

«بمناسبة مرور خمسين عامًا على إنشاء دولة إسرائيل، أصدرت جريدة هيرالد تريبيون الدولية تقريرًا خاصًّا في عددها رقم ٣٥٨١٨ بتاريخ ٢٩/٤/١٩٩٨م ونشرت فيه كلمات لعشرة رؤساء لأمريكا، على مدى خمسين عامًا منذ نشأة إسرائيل حتى الآن..

ويؤكدون في كلماتهم ضمانهم لأمن إسرائيل. وذكرت الجريدة في تعليقها «منذ تحقيق الاستقلال سنة (١٩٤٨م)، كان لإسرائيل مكان خاص في قلوب الأمريكيين، وفي قلوب رؤساء أمريكا، ففي كل إدارة، كان الرئيس يعترف بأهمية أمن إسرائيل بالنسبة للأهداف القومية الأمريكية.

نص ترجمة كلماتهم تحت عنوان

«الرؤساء الأمريكيون يتحدثون: ماذا تعني إسرائيل بالنسبة لي؟»

(١) بيل كلينتون:

أمريكا وإسرائيل يربطهما ميثاق خاص وعلاقتنا فريدة من نوعها بين كل الأمم.

فكما هو الحال في أمريكا، فإن إسرائيل تتمتع بديمقراطية قوية،

كرمز للحرية، وهي واحة للاستقلال، وملجأ للمظلومين والمضطهدين!!.

(٢) جورج بوش:

لقد تمتعت الولايات المتحدة وإسرائيل لأكثر من أربعين سنة بصداقة مبنية على احترام متبادل، والتزام بمبادئ الديمقراطية. ويبدأ استمرارنا بالبحث عن السلام في الشرق الأوسط بإدراك أن الروابط التي تُوحِّد بين دولتينا لا يمكن أن تنفصم.

(٣) رونالد ريجان:

يُثبت الرجال والنساء الأحرار بإسرائيل كل يوم قوة الشجاعة والإيمان، وبالرجوع لسنة ١٩٤٨م عندما وُجدت إسرائيل، ادّعى النقّاد أن الدولة الجديدة لا يمكن أن تستمر، والآن لا يشك أحد أن إسرائيل هي أرض الاستقرار والديمقراطية في منطقة الطغيان والاضطرابات.

(٤) جيمي كارتر:

بقاء إسرائيل ليس مجرد قضية سياسية، ولكنه التزام أدبي، وهذا هو إيماني العميق الذي أرتبط به، وهو الإيمان الذي يشاركني فيه الأغلبية العظمى من الشعب الأمريكي؛ فإن إسرائيل القوية الآمنة ليست مجرد اهتمام الإسرائيليين، ولكنه اهتمام الولايات المتحدة، والعالم الحر كله.

(٥) جيرالد فورد:

التزامي بأمن ومستقبل إسرائيل مبنيّ على مبادئ أساسية؛ وهو اهتمام شخصي؛ كإنسان متنور «مثقف»؛ كما أن دورنا في مساندة إسرائيل يُشرِّف تراثنا الوطني!!

(٦) ريتشارد نيكسون:

الأمريكيون يعجبون بالشعب الذي يحفر الصحراء ويحوّلها لحدائق؛

لقد أثبت الإسرائيليون بدلالات يقبلها الأمريكيون أن لديهم الشجاعة والوطنية والمثالية، والولع بالحرية، لقد رأيت ذلك وأؤمن بذلك.

(٧) ليندون جونسون:

إن مجتمعنا مُضاء بالإدراك الروحاني للأنبياء العبريّين؛ كما أن أمريكا وإسرائيل لديهم حب عام للحرية الإنسانية، ولديهم إيمان بالأسلوب الديمقراطي للحياة.

(٨) جون كينيدي:

إسرائيل لم تُخلق لتختفي، بل ستبقى وتزدهر؛ إنها وليد الأمن والوطن للشجعان، ولن تنكسر بالافتراءات، أو بإفساد معنوياتها؛ إنها تحمل درع الديمقراطية، وتشهر سيف الحرية.

(٩) دوايت إيزنهاور:

لقد أنقذت قواتنا بقايا الشعب اليهودي بأوربا من أجل حياة جديدة، وأمل جديدة في الأرض المتجددة، ونحن مع كل الرجال ذوي العزيمة الصادقة، وأُحيي الدولة الصغيرة، وأتمنى لها الفلاح.

(١٠) هاري ترومان:

لديّ إيمان بإسرائيل قبل تأسيسها؛ كما أن لدي إيمانًا بها الآن، وأعتقد أنه سيكون لها مستقبل متألق أمامها، ليس لمجرد أمة مستقلة جديدة، ولكن تجسيد للمثاليات العظمى لمدنيّتنا»[1].

❑ وقد مرّت بك تصريحاتهم من قبل وأن الحرب بيننا وبينهم

---

(١) «مقوّمات النصر وملحمة الملأ من بني إسرائيل» لصالح الحديدي ص(١١٠ ـ ١١٥) ـ مركز الإعلام العربي.

دينية، وأن حبهم وولائهم لإسرائيل من منطلق ديني توراتي بحت، فهم يُقدّسون التوراة «العهد القديم» مثلما يقدّسون الإنجيل «العهد الجديد».. وقيام إسرائيل وحمايتها قام على أساس التزام ديني من إنجلترا وأمريكا.. ومن قال بغير هذا فهو خائن للّه ورسوله وعامة المؤمنين، لا يحل لأمة أنعم اللّه عليها نعمة الإسلام أن تُعطي ولاءها لأعداء اللّه ورسوله والمؤمنين. عار على أمة أن تسلم رقابها ورقاب أبنائها وثرواتها وأرضها إلى أعدائها.

عار على الأمة أن تتنكر لإسلامها وتتسوّل نفايات الفكر اليوناني الروماني العفن عار على الغني أن يتسوّل.

(٦) الراية الإسلامية لمعركتنا القادمة:

هذه الراية هي حياتنا.. أملنا.. نور أبصارنا وبصيرتنا، وهي الراية الوحيدة لمعركتنا القادمة مع اليهود.. ليس لهذه الأمة الإسلامية إلا راية واحدة وشعار واحد لا يتبدّل مع المصالح الطارئة والرغبات الآنيّة، والارتجال والتقليد والتبعية. ولكنها راية الإيمان تخفق بالعزة والاستقلال، وشعار الإسلام يموج بالحرية والوعي. وأهم ما يميّز راية الإيمان وشعاره هو مطابقتهما للممارسة الواقعية، فلا يتناقض وعمل، ولا تتعارض راية مع خطوة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٢ ـ ٤].

إن راية القومية وراية العلمانية لا تجديان شيئًا في معركتنا القادمة مع اليهود.

إن اليهود والنصارى يحاربونا بالتوراة المحرّفة حربًا دينية تحت شعار الصليب والنجمة فلا نحاربهم إلا بالقرآن، وإذا رجعوا إلى تعاليم التلمود رجعنا إلى البخاري ومسلم، وإذا قالوا: نعظِّم السبت، قلنا: نعظِّم الجمعة، وإذا قالوا: الهيكل، قلنا: الأقصى، وإذا قاتلونا تحت راية اليهودية والنصرانية قاتلناهم تحت راية الإسلام.

❑ قال اللواء أركان حرب فوزي محمد طايل:

«إن فكرة القومية العربية هي فكرة خالية من العقيدة، بل من الأيديولوجية، فهي ليست إلا نعرة فارغة لا يقرها الإسلام تمخّضت عن جسد ميت يُدعى «الجامعة العربية» يحاول البعض ـ لأغراض خفيّة ـ نفث الروح فيه دون جدوى، فكان التسليم لإسرائيل وأطماعها خطوة خطوة، منذ عام ١٩٤٧م وحتى الآن».

* العالم المصري الفذ جمال حمدان[١] وقوله عن الإسلام:

«ما دخل العرب التاريخ إلا بفضل الإسلام».

❑ يقول الدكتور جمال حمدان[٢]:

«ما دخل العرب التاريخ إلا بفضل الإسلام بعد أن حاربوه طويلاً وبضراوة، قَبِل العرب الإسلام، وأقبلوا عليه بحماس لا يقلّ هوادة، ربما لأنهم أدركوا أنه أعظم استثمار قومي أتيح لهم في التاريخ. ولعلهم

(١) قال محمد حسنين هيكل في كتابه «أكتوبر ٧٣ والسلاح والسياسة» عن جمال حمدان: «لقد خطر لي منذ البداية أن أهدي هذا الكتاب ـ وهو الرابع من مجموعة «حرب الثلاثين سنة» إلى «جمال حمدان» ذلك العالم المصري الفذّ».

(٢) انظر كتاب «جمال حمدان صفحات من أوراقه الخاصة» للدكتور عبد الحميد صالح حمدان ص(٩٢).

انقضّوا عليه لينشروه بقوة وعنف خارج الجزيرة، فعن طريقه فرضوا سيادتهم ولسانهم على المنطقة وعلى عالم بأسره، وكوّنوا لأنفسهم رصيدًا تاريخيًّا قوميًّا يعيشون عليه إلى الأبد فضلاً عن المكاسب المادية البحتة».

«لقد خرج العرب من الصحراء، ودخلوا التاريخ بفضل الإسلام، وما كان لهم هذا ولا ذاك بدونه، لم يكن الإسلام بالنسبة للعرب رسالة من السماء فقط، ولكن أيضًا نجدة من السماء».

«قَبْل الإسلام لم يكن عرب الجزيرة أمة، ولا كان لهم تاريخ، حتى أمة بلا تاريخ لم يكونوا، بل مجرد حفنة أو شرذمة من القبائل المتحاربة المتعاركة، المتطاحنة المتعددة اللهجات وأحيانًا اللغات، وهي إن لم تكن تقع خارج التاريخ، فإن لها تاريخ فولكلوري على أكثر تقدير».

- ويقول: الإسلام جاء ليبقى.
- ويقول: عودة الإسلام ليقود من جديد[1] :

«عودة الإسلام أصبحت حقيقة واقعة في أكثر من مكان».

هذا قول الكبار أما الصغار من الزنادقة الذين يشوّهون الإسلام ويبرزونه على أنه مصدر للتخلف[2] ، وغير قادر على التعامل مع العالم المعاصر فهؤلاء وأقوالهم مصيرهم إلى مزبلة التاريخ.

- وما أصدق قول الشاعر فيهم:

يرمرمُ من فتات الكفر قوتًا ... ويلعق من كؤوسهم الثمالة

يُقبّلُ راحة الطاغوت حينًا ... ويلثم دونما خجل نعاله

(١) المصدر السابق ص(١٣٣ ـ ١٣٤).

(٢) انظر إلى كتاب «نقد الخطاب الديني» لنصر حامد أبو زيد ـ سينا للنشر طبعة ١ عام ١٩٩٢م، وكتاب فرج فودة «الملعوب» دار مصر الجديدة للنشر ـ طبعة ١٩٨٨م، وكتب سعيد العشماوي ومنها «الإسلام السياسي» الأهرام للإعلان ١٩٩٢م، وكتب حسن حنفي.

(٧) تبصير المؤمنين بحال وحقيقة اليهود المجرمين:

❑ قال اللواء أركان حرب «د. فوزي محمد طايل أستاذ الاستراتيجية الشاملة بأكادمية ناصر العسكرية في كتابه «النظام السياسي في إسرائيل» تحت عنوان (هل يمكن لإسرائيل أن تقيم سلامًا؟) يقول: «قامت إسرائيل على أيدي مقاتلي عصابات مسلحة، وأقامت هيكل الدولة على أساس أنها أمة مسلحة» ومزجت في المستعمرات بين «الزراعة والدفاع» وجعلت من «نظرية الأمن» أسلوبًا لإدارة الدولة، وأقامت نظامًا للحكم يوصف بأنه «ديمقراطية الدولة المعسكر».

وجعلت اقتصادها عسكريًّا «قلبًا وقالبًا» وجعلت من فكرة «الخطر الدائم» الوسيلة الرئيسية لإحداث التماسك الاجتماعي، وأفرز مجتمعها «نخبة عسكرية خالصة» وربطت بين «الهجرة والاستيطان والاغتصاب بالقوة».

فإسرائيل كما يقول «بن جوريون»: «لا يمكن أن تبقى إلا بقوة السلاح»[١].

❑يقول جابوتنسكي: إن التوراة والسيف أنزلتا علينا من السماء.

❑ ويقول تلميذه مناحيم بيجين الذي وقّع اتفاقية السلام: إن قوة التقدم في التاريخ ليست للسلام وإنما للسيف. وانطلاقًا من هذه الخلفية الثقافية أيضًا يؤمن قادة إسرائيل جميعًا بلا استثناء سواء ما يسمونهم الصقور أو ما يسمونهم الحمائم، أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق أمن إسرائيل جميعًا هي الهجوم والتوسع على حساب الأرض العربية والسكان العرب»[٢].

---

(١) «النظام السياسي في إسرائيل» للواء فوزي محمد طايل ص(٣٠٦ ـ ٣١١) ـ دار الوفاء.

(٢) انظر هامش ص(١١) من كتاب «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية ـ الجولة الإسرائيلية ـ العربية السادسة».

ولقد عرض اللواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل لأسلوب تفكير القادة الصهاينة من خلال كتاب (ريموند كوهين) «الثقافة والصراع في العلاقات المصرية الإسرائيلية».

وذكر ما قاله (إسحاق شامير) لجريدة ها آرتس في يناير سنة ١٩٨٧م: «لا سلام يدوم مع الأبد، إن الاستقرار الدولي والإقليمي يقوم على قواعد لِلُعبة قوامها «الردع المستمر».

❑ يقول فوزي طايل: «قد أزعم أني لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إنه بينما كان العرب في غفلة قامت إسرائيل بتمهيد الظروف الدولية ـ الإقليمية والمحلية ـ وقامت بدعم قواتها البشرية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية استعدادًا لجولة عقد التسعينات وربما لا أتجاوز الحقيقة إن قلت: إن هذا الاستعداد الضخم قد استغرق أكثر من عشرين عامًا من العمل المتواصل لتحقيق أهداف محددة»[1].

❑ يقول اللواء فوزي طايل: «لقد بدأت إرهاصات هذه الجولة تتكشّف، بل وبدأت إجراءات «الحرب النفسية» السابقة عليها من خلال مجموعة من التصريحات التي تهدف إلى «الردع» من خلال «الإخافة» أو «الغموض» ولعل أشهر وأهم التصريحات هي ما أعلنه مساعد رئيس الأركان الإسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٩٥م أن حربًا مع الدول العربية المجاورة لإسرائيل سوف تقع حتمًا، وعندها لن تتوقف قوات جيش الدفاع عند الضفة الشرقية لقناة السويس، بل سوف تتجاوزها إلى الغرب!

---

(١) مجلة «استراتيجيا» العدد ١٠٩ ـ السنة التاسعة ص(٢٨ ـ ٣٣) ـ انظر مقال «الجولة الإسرائيلية العربية السادسة» للواء فوزي محمد طايل من كتاب «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية» الكتاب الأول.

وصرّح الرئيس الإسرائيلي (حاييم هرتزوغ) في الثالث عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٩٥م ولأول مرة أن إسرائيل تمتلك سلاحًا نوويًّا، وقد كرر إسحاق رابين وزير الدفاع الإسرائيلي هذا الإعلان في محاضرة ألقاها في جامعة «حيفا» ضمن ندوه أقيمت في الأسبوع الأول من حزيران (يونيو) عام ١٩٩١م أن بلاده تمتلك أسلحة نووية، وأسلحة دمار شاملة قادرة على إبادة أي دولة، وأنه يتعين على جيش الدفاع الإسرائيلي، أن يظل هجوميًّا بكل ما في الكلمة من معنى، وأنه قادر على بقاء القوات الإسرائيلية الأقوى والأفضل تسليحًا بالمنطقة»[1].

ويواصل اللواء حديثه فيقول:

«تعتنق إسرائيل مبدأ «دفع الحدود إلى الأمام»، وذلك استنادًا إلى «معيار القوة المتقدمة»، ومفاده أن القوة التي لا تتقدم فلا بد أن تتقهقر، وأن الدولة التي لا تنمو من كل النواحي «بشريًّا وجغرافيًّا وعسكريًّا» تنهار تدريجيًّا، ولهذا فهي تخوض جولة كل عقد من الزمان، وتصاحب هذه الجولة عملية طرد تدريجي للسكان، واستيلاء على الأراضي، انطلاقًا من فكرة أن أرض «إسرائيل الكبرى» لا بد من أن تخلص لليهود وحدهم، فهي لا تتسع لحضارتين أو لعقيدتين دينيتين، لا يمكن قيام تصالح بينهما، وأن حل هذه المشكلة لا يكون إلا بالوسائل العسكرية على حد تعبير يوسف أولمرت».

---

(١) المصدر السابق ص(١٨ ـ ١٩).

* **معرفتنا للعدو وامتثال لأمر ربنا ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾** [الأنعام: ٥٥] :

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[النساء: ٧١].

ومن باب التعرّف على خطط أعدائنا التي وضعوها للاستحواذ على بلاد المسلمين وردّهم عن دينهم.

❑ يقول الأستاذ الدكتور حامد ربيع رئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد جامعة القاهرة سابقًا في مقال له تحت عنوان «مصر والحرب القادمة»: «إن قادة الصهيونية بصفة عامة، والإسرائيليين بصفة خاصة، لا يرون تناقضًا بين عرض السلام في الوقت الذي يعدّون فيه لاستخدام القوة، بل إنهم لا يرون أن أي اتفاقية للسلام ـ بما في ذلك الاتفاقية الإسرائيلية المصرية ـ ليست سوى مجرد نصوص لوقف مؤقت لإطلاق النار.. لا تعدو قيمتها قيمة قصاصة من الورق، وإن قيمتها الحقيقية ستظهر أثناء الحرب القادمة»[١].

❑ يقول الأستاذ الدكتور حامد عبد اللَّه ربيع أنه بإمكاننا هزيمة العدو إذا أخذنا بزمام المبادرة، ولم ننتظر الضربة الأولى والقاضية[٢].

* عوامل الضعف الخطيرة التي تهدد الكيان الإسرائيلي بالهزيمة:

❑ يقول اللواء د. فوزي طايل ـ رحمه اللَّه ـ:

«سوف يظلّ العامل البشري أخطر نقاط الضعف في إسرائيل، حتى

(١) «قراء في فكر علماء الاستراتيجية» مصر والحرب القادمة» أ.د حامد ربيع ص(٢٣) ـ دار الوفاء.

(٢) «مصر والحرب القادمة» أ.د حامد ربيع ص(١٣٠).

لو هاجر إليها كل يهود الاتحاد السوفيتي، لذا فهناك حساسية شديدة لدى إسرائيل تجاه الخسائر البشرية، وقد حاولوا التغلّب على هذه النقطة من خلال توفير أقصى وقاية ممكنة للدبابات (ميركافا) وبتوفير درع المشاة، ومهمات الوقاية «التقنية الحديثة» والطائرات من دون طيار، وتكتيكات جديدة، بيد أن هذه الأمور جميعها لم تقلّل من نقطة الضعف هذه كثيراً».

❑ «يقع ٩٠٪ من سكان إسرائيل، ٩٠٪ من منشآتها للصواريخ أرض/أرض على بقعة محدودة من الأراضي، يمكن أن تصل إليها الصواريخ من أراضي العراق أو سوريا خلال بضع دقائق.. كما يمكن أن تحقق المفاجأة، إذا ما وجهّت دول أخرى كإيران والمملكة العربية السعودية ومصر صواريخها بشكل مكثف إلى هذه الأهداف».

«تشكل قوات الاحتياط الإسرائيلية ٨٠ ـ ٨٥٪ من إجمالي قواتها، وهذه تحتاج قرابة ٤٨ ساعة كي تُعبّأ وتنضم إلى صفوف القوات العاملة، فإذا ما وُجِّهت «ضربة إحباط» Premptive Strike أو تم شن «هجوم استباقي» من الجبهة السورية أو الأردنية خلال هذه المدة فسوف تتغيّر نتيجة المعركة».

* «نحو استراتيجية لمواجهة الخطر الصهيوني»:

❑ تحت هذا العنوان واصل (فوزي طايل) الحديث بقوله:

«ليست إسرائيل سوى الكيان الدولي الرسمي الظاهر للحركة الصهيونية العالمية ذات القدرة على الحركة (الكوكبية)، وعلى هذا فمواجهة إسرائيل والتغافل عن النشاط الصهيوني العالمي لن يكون له نتيجة تذكر، وبالتالي فلا بد من تحرك استراتيجي (كوكبي) أيضًا لمواجهة ذلكم الخطر الصهيوني».

«مثل هذه الاستراتيجية يستحيل على دولة عربية واحدة، أو تجمّع عربي فرعي أو شبه إقليمي أن أن يقوم بها، إذن فلا بديل عن وحدة الأمة»[١].

* صدام محتمل من أجل القدس:

يقول اللواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل[٢]:

«إذا ما حاولنا التعرّف على ما يجري على الساحة الدولية ـ إعداداً لصدام محتمل من أجل القدس ـ نجد أن القوات الأمريكية تقوم ـ لمصلحة الصهيونية العالمية ـ بتأمين البحر المتوسط والبلقان، وتأمين الخليج والبحر الأحمر، فضلاً عن أمرين آخرين هامين:

ـ غرس ثقافة السلام.

ـ استعداء العالم على الإسلام.

* ثقافة السلام:

ثقافة السلام تعني محاولة تبديل سنة اللّه تعالى..

* قال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. ومهما فعلوا فلن تجد لسنة اللّه تبديلا، ولن تجد لسنة اللّه تحويلا، من أجل ذلك يحاولون استبدال

---

(١) وهذا ما طالب به الدكتور فوزي طايل في كتابه «نحو نهضة أمة، كيف نفكر استراتيجيًّا» طبعة مركز الإعلام العربي ص(١٣٤).

(٢) هذه المقالة كانت آخر الكلمات لعالم الاستراتيجية الشاملة أ.ح.د. فوزي طايل الذي التحق بالرفيق الأعلى في ليلة الجمعة ١٣ رمضان ١٤١٦هـ، فبراير ١٩٩٢م وكأنها وصية مودّع إلى علماء وجماهير الأمة.

الصراع من أجل السيطرة على البيئة، بالصراع الذي تحرّكه العقيدة؛ لأن ثقافة السلام تعني فرض الاسترخاء التام بين الناس، ودفعهم إلى التمتع بالمتع الحسية غير المشروعة، وبثّ شعور عام: أنه لا يوجد ما يستحق أن يضحي الإنسان من أجله بماله أو بنفسه.

يعني باختصار إلغاء فريضة الجهاد من خلال القفز فوق سنة التدافع التي جعلها اللَّه تعالى بين البشر وإلا فسدت الأرض، وهُدِّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم اللَّه كثيرًا.

فثقافة السلام هي بمثابة دعوة لأن (يسود الفساد الأرض) وأن يبلغ التسامح بين البشر حدّ نبذ العقيدة.

لذا ففي ظل ثقافة السلام لا يكون لهدم المسجد الأقصى أي مدلول، ولا يكون للأرض المقدسة حرمة.

❑ويفهم الإسرائيليون ثقافة السلام كما يلي:

أ ـ إحداث تغيير في التوجهات والمفاهيم والقيم[1].

ب ـ أو كما يقول (موردخاي جور) النائب السابق لوزير الدفاع الإسرائيلي: «إدارة أعمال سياسية قادرة على إيجاد مثل هذه الحلول». وقد ذكرت دراسة بمركز جافي للدراسات الاستراتيجية في ١٥/ ١٢/ ١٩٨٩م عن نزع السلاح: إن ثقافة السلام المزعومة لتستهدف عقيدة المسلمين بالدرجة الأولى، فهي صد عن سبيل اللَّه، ومحاولة لنزع شوكة المسلمين وإبعادهم عن أداء فريضة الجهاد، والتي لا تسقط عن هذه الأمة حال

(١) يراجع في ذلك كتاب «ثقافتنا في ظل النظام العالمي». للواء أ.ح.د. فوزي طايل ـ مركز الإعلام العربي.

ضعفها ولا حال قوتها، فالجهاد ماض إلي يوم القيامة. صدق رسول اللَّه ﷺ.

ولو راجعنا كلمات (موردخاي جور) التي قرأتها حالاً؛ لوجدناها هي نفس الكلمات التي ألقيت للأبواق الموجودة في بلادنا، فرددوها كما هي.

* **استعداء العالم على الإسلام:**

لو اجتمعت الإنس والجن على تجفيف منابع عقيدتنا الإسلامية، فلن يستطيعوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ولذا فإذا لقينا المجترئين على دين اللَّه كفانا ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

❑ يقول اللواء فوزي طايل ـ رحمه اللَّه ـ:

الولايات المتحدة الأمريكية هي مقر الجسم الرئيسي للصهيونية العالمية، منذ بدأت تلكم الحركة.

تغلغل الصهيونية في المجتمع الأمريكي (من مؤسسة الرئاسة وحتى الكنائس، مرورًا بالإعلام والاستخبارات والقوات المسلحة وغيرها).

❑ مثال: «التصويت على قرار الكونجرس بخصوص نقل السفارة الأمريكية إلى القدس في أكتوبر ١٩٩٥م كان بأغلبية ٩٣٪ عضو مجلس شيوخ.

وبالبحث وُجِد أن هؤلاء جميعًا ما بين يهودي، وبين ما يُشكِّل نسبة ١٠٠٪ كل أعضاء مكتبه الاستشاري (السفير د. عمر عامر نائب مساعد وزير الخارجية المصري في ندوة القدس بجامعة الأزهر يوم ١٢/ ١١/ ١٩٩٥م.

❑ مثال ثان على مدى هيمنة الصهيونية على عقلية المفكر

الاستراتيجي الأمريكي: مراكز الدراسات الاستراتيجية بالولايات المتحدة كلها تابعة لمجلس رؤساء المنظمات الصهيونية بأمريكا وأهمها: مركز الدراسات الاستراتيجية للشرق الأدنى.

❑ مثالث ثالث: أحد إصدارات معهد بحوث القوات الجوية الأمريكية تحت عنوان (Respoding tolow- Tutensity conflict chal-lenges) وفيه تناول الدكتور (Levis ware) موضوع «الصراع منخفض المستوى في الشرق الأوسط»، في بدايته يحاول أن يبرّر لماذا العداء للإسلام؟ فيقول: تميّز الإسلام بنظرة شاملة للكون ولمكان الإنسان فيه فهو بذلك يشكل تحديًّا أمام انتشار الثقافة والقيم الغربية.. ثم ينهي بحثه بقوله:

{«إن خطورة الإسلام هي خطورة دائمة وممتدة، تهدد إسرائيل والحضارة الغربية»، ويقول: «إن العرب هم أداة الشر المطلق الذي يسعى إلى إفساد برنامج الرب لشعبه المختار في أرض الميعاد. هناك حكمة يهودية تقول: «إذا أمسكت بالأسد فلا تدعه يفلت منك وإلا التهمك». وهذا هو ما نادى به ريتشارد نيكسون في كتابه المشهور «انتهزوا هذه اللحظة»}.

فهلاّ أبطلنا هذه المقولة، وفوّتنا عليهم فرصتهم المتوهمة؟

وواصل اللواء فوزي كلمته: «**لكن القدس ستكون سبب وحدة المسلمين بإذن اللّه**».

فما من شيء يستنفر إرادة الأمم ويوّحد صفها بقدر ما تفعل الأخطار... خاصة إذا اقتربت من أمور تمس العقيدة، والأمة مهددة في مقدساتها، وقيمها، وثرواتها، وأراضيها وأبنائها.. فماذا يبقى منها؟

ومتى يكون الجهاد في سبيل اللَّه إن لم يكن الآن؟

* طبيعة الجولة القادمة مع الصهيونية:

يقول اللواء أ.ح.د فوزي طايل:

«هناك جولة قادمة لا محالة.. وهي قريبة، كما أن أمامنا عمل جاد طويل وشاق؛ لنمحو به ما علق بحياتنا من شوائب، ولنخطو أول خطواتنا نحو نهضة شاملة بإذن اللَّه.

فأما عن طبيعة الحركة في المدى القريب، فالجولة القادمة مع الصهيونية هي جولة قتال متلاحم أشبه بقتال العصر الأول في الإسلام.

والعدو يدافع عن عقيدة ـ وإن كانت فاسدة ـ إلا أنه يؤمن بها إيمانًا راسخًا، ويعلم أنه يخوض من أجلها معركة حياة أو موت. والحقيقة أنهم ليسوا على حق، فهم لا يتمنون الموت أبدًا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٧].

أي أن طبيعة الجولة القادمة مع الصهيونية كالآتي:

أ ـ حرب شاملة عامة على طول الأرض، وعرضها.

ب ـ ليست ككل الحروب التقليدية، ولا يمكن أن تلعب الأسلحة النووية فيها أي دور.

جـ ـ وقد أتصور أن استعادة القدس تحتاج إلى تعبئة عامة للأمة، وعدم التحويل على ما كان يُسَمّى «الرأي العام العالمي» ولا المجتمع الدولي، ولا الشرعية الدولية لماذا؟ لأن كل هذه العناصر صهيونية أكثر من اليهود[1].

---

(١) «حصر الأستاذ فهمي هويدي في مقاله «دعوة للفهم وليس لليأس» الأهرام في ٣ ديسمبر

ولا سبيل إلا بانتفاضة إسلامية تشمل الأرض كلها، تتحوّل إلى ثورة بكل مفهوم هذه الكلمة.. ثورة تُغيّر «النظام العالمي الجديد» أُسسه، وأفكاره، ومبادئه، ومؤسساته، ورموزه، من خلال الجهاد في سبيل اللَّه، وهو أمر يتحسّب له التحالف الصهيوني الصليبي المعادي، ويعمل على إقامة تحالف دولي جديد من أجل خوضه»[١].

* **كيف تفكر إسرائيل؟ للأستاذ الدكتور حامد ربيع:**

هذا الكتاب هام جدًّا لمعرفة سبيل المجرمين من اليهود أعداء الدين، وهو لعالم متخصص في العلوم السياسية شغل من قبل (رئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد جامعة القاهرة)، وننصح بقراءته وهو يتناول: الاستراتيجية الإسرائيلية، وخصائصها الحركية، والمنطق العسكري والحرب القادمة، وميدان المعركة، ومفاهيم اليهود للسيطرة على المنطقة، والسلاح الصاروخي وموازين القوى في الشرق الأوسط وعملية تخريب إسرائيل للمجتمع العربي من الداخل ومن حرب على الإسلام من داخل المجتمع العربي[٢].

= ١٩٩١م ص(٧) الفريق الأمريكي للإشراف على المفاوضات فوجده: رئيس الفريق (دينيس روس)، ومعه (دانيال كورتسر) و(أرون ميلر) و(ريتسارد هاس) ـ وجميعهم من اليهود ـ، و(ويليام بيرنز) وهو النصراني الوحيد في الفريق!!» ا.هـ.

انظر هامش ص(١٣١) من كتاب «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية ـ مصر والحرب القادمة» أ.د حامد ربيع.

(١) «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية» الجولة الإسرائيلية ـ العربية السادسة».

(٢) «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية» كيف تفكر إسرائيل للّواء فوزي طايل ص(٢٧ ـ ٢٨).

* انهيار الولايات المتحدة قريباً جداً:

ومن معرفة سبيل المجرمين معرفة مآل الحضارة الأمريكية عدوة المسلمين الأولى، وكلام علماء الاستراتيجية حولها:

❑ يقول الدكتور جمال حمدان تحت عنوان: «انهيار الولايات المتحدة قريبًا جدًّا»: «الآن تتصارع الولايات المتحدة للبقاء على القمة، ولكن الانحدار لأقدامها سارٍ وصارم، والانكشاف العام تمّ، الانزلاق النهائي قريبًا جدًّا في انتضار أي ضربة من المنافسين الجدد ـ أوربا، ألمانيا، اليابان».

«وأمريكا تختلف عن كل دول الاستعمار السابق، لا في أنها فقط تنكر أي علاقة لها بالاستعمار، ولكن أساسًا في أنها أول مستعمر وقح متبجّح بصورة علنية فاجرة، فالمستعمرون قبلها كانوا يعرفون أنهم لصوص، ولكن لا يدّعون حقًّا في اللصوصية، إلا أمريكا فإنها لأول مرة تعلن بكل وقاحة أنها لصة ولها حق اللصوصية»[1].

* هل تمثل أمريكا اليوم مرحلة احتضار الحضارة؟

❑ يقول الدكتور جمال حمدان: «بداية نهاية الاتحاد السوفيتي ـ نقولها للمرة الألف بعد المليون! كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧م. منذ ذلك التاريخ أصبح خطر الإتحاد السوفيتي في الصراع العالمي مع أمريكا في النازل، ويدها السفلى المهتزة المنكسرة بل المكسورة.

ولذا من السفه النظرية المجنونة إن السوفيت هم الذين خدعوا

---

(١) انظر كتاب: «جمال حمدان صفحات من أوراقه الخاصة» للدكتور عبد الحميد صالح حمدان ـ دار الغد العربي ص(١٦٤).

مصر والعرب استدرجوهم إلى الحرب والهزيمة، حتى لو كانت نواياهم غير طيبة (ومن المسلم به أنهم لم يكونوا معنا قط ١٠٠٪، ولا حتى ٥٠٪، وكانت إسرائيل عندهم فوق العرب قطعًا، وأهم وأبقى وأقرب).

«الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة كما قاما معًا في غفلة من الزمن ستسقطان معًا في ساعة الحقيقة، ولقد سقط الاتحاد، والدور الآن على الولايات المتحدة والأيام بيننا».

ثم يقول الدكتور جمال حمدان:

«النظام العالمي الجديد[١] لا يوجد في عقل العالم، وإنما في «فراغ» عقل العالم العربي فقط، ولربما لو لم يوجد، لأوجده العرب»[٢].

(٨) استراتيجية إسلامية بعيدة المدى وكوادر علمية تحيط بالواقع علمًا:

المسيرة نحو القدس لها خطها ونهجها، ولها أهدافها ووسائلها، وكلها أهداف ووسائل ربانية إيمانية، ولكنها لا يمكن أن تسير دون نهج مفصّل واضح، يسمح لأفرادها أن يعرفوا ماذا يريدون، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

لا بد من توضيح جملة حقائق:

---

(١) أي: أمريكا.

(٢) «جمال حمدان ـ صفحات من أوراقه الخاصة» ص(١٨٠ ـ ١٨٢).

أ ـ من هم أعداؤنا؟

ب ـ كيف يفكر كل عدو من أعدائنا، وما هي إمكانياتهم؟

جـ ـ ماذا أعدّ كل عدو من أعدائنا؟

د ـ هل أعددنا أنفسنا لمواجهة هذه التحديات؟ لماذا نجح العدو في تحقيق أهدافه؟

س ـ لماذا نجح العدو في تكبيل الأمة بالأغلال؟ وإجبارها على التسليم له وقد اغتصب مقدساتها وأرضها وثرواتها، وسخر من عقيدتها؟

س ـ لماذا تقف الأمة موقف السلبية تجاه هذا الخطر الماحق الذي يتهدّد وجودها؟

ص ـ لماذا أصبحت الأمة لا تغار على عرض ولا دين ولا على مقدسات؟

❑ والسبب في ذلك كله: جهل الأمة بالإسلام والمقاصد الشرعية لهذا الدين، وبُعد الأمة عن ربها، وضعف الإيمان باللَّه في قلوب أبنائها. الفساد العقدي، والفساد السياسي والسلوكي والأخلاقي، والوقوع في الحرام.. وأكل الحرام، وتعطيل فرائض اللَّه وخاصة فريضة الجهاد في سبيل اللَّه، وعدم تحرير الولاء والبراء.

إن السبب يكمن في جهل الأمة بدينها، وبرسالتها التي من أجلها خُلِقت واستُخلِفت في هذه الأرض.

لقد ضُربت خلافتها، ومُزّقت وحدتها، وعُطِّلت شريعتها، وتسلط عليها الأعداء، وهي لا تحرك ساكنًا ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الأنفال: ٥٣].

▫ والحل سهل مع صدق النية واللجوء إلى اللَّه عز وجل:

ـ تحصيل العلوم الشرعية النافعة.

ـ تحصيل العلوم الكونية والعسكرية ومواكبة العصر الحديث وإعداد كوادر علمية وعسكرية على مستوى العصر.

▫الإيجابية في مواجهة تحديات العصر، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وإعداد الكوادر القيادية يضع كل فرد من أفرادها في اعتباره أن نصرة دينه، ونصرة أمته وتحرير القدس فريضة في رقبته.

* قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾[النساء: ٨٤].

وهذه التحديات تستلزم جهداً جماعيًّا.

هذه الكوادر تضع نصب عينيها أن قضية فلسطين والقدس هي شغلها الشاغل بعد توحيد اللَّه وعبادته.. لهذه القضية تحيا وتعيش، وتوالي وتعادي، يقول الدكتور الفذ جمال حمدان:

«إن قبول العرب نهائيًّا بضياع فلسطين نهائيًّا، وتثبيت إسرائيل، وهو مقابل الخروج الأندلسي مع فروق، سيكون اعترافًا من العرب عن إنهاء وحلّ العروبة نهائيًّا وإلى الأبد، بمعنى أن أمة قرّرت حل نفسها، واعتبار ذاتها ليست أمة ـ تمامًا ـ كما أعلن الاتحاد السوفيتي حل نفسه وإنهاء وجوده كدولة».

«وفي الحالين فإنه انتحار سياسي وقومي على مبدأ «بيدي لا بيد عمرو» والعدو المضاد في حالتنا هو إسرائيل، وفي حالة الاتحاد السوفيتي أمريكا، وفي الحالين فإن أمريكا هي القاتل النهائي عن بُعد».

«إذا كان اليهود يقولون: لا معنى لإسرائيل بدون القدس، فنحن نقول لهم: لا معنى للعرب بدون فلسطين».

* تعبئة الموارد الإسلامية وتحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال الطعام والسلاح:

لأنه أنّى لأمة أن تنتصر على عدو تتسوّل منه رغيف الخبز والسلاح!!؟

* استراتيجية إسلامية طويلة المدى:

ومن الإعداد لا بدّ أن تكون لنا خطة استراتيجية طويلة المدى في مواجهة هذه التحديات المعاصرة[1]، استراتيجية مستمدة من «هوية الإسلام» التي ضعنا يوم أن ضيّعناها، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

❑ وينبغي أن يُسمع لأهل الرأي والذكر في كل موقع من مواقع الحياة.. وأن تحترم التخصصات، وخاصة في المجالات العسكرية، وتكون الصدارة والمكانة فيها لأصحاب الكفاءات والجندية والتجرد لا للولاءات الشخصية التي دمّرت الأمة في أكبر نكبة حلت بها في يونيو ١٩٦٧م.

❑ لا بد من تفريع كوادر علمية في المجال النووي والكيمائي وإنشاء الصواريخ والطائرات كفيلة لإنهاء غطرسة اليهود والصليبيين في هذا المجال.

---

(١) انظر كتاب «كيف نفكّر استراتيجيًّا» للواء أ. ح. د. فوزي طايل ـ الناشر الإعلام للنشر والتوزيع.

❑ **حظر البترول، واستخدام هذا السلاح الفتّاك ضد أمريكا والصليبيين؛** لشل حركة الحياة عند الصليبيين، وهذا السلاح سلاح فتاك فعّال يصيب أمريكا ودول الغرب في مقتل إذا أُجيد استخدامه.

❑ **سحب الأموال العربية والإسلامية من بنوك أمريكا والغرب:** فليس من المعقول أن أموال العرب والمسلمين تستخدم لضربهم، من يتصور أن شركة «لوكهيد» التي تصنع طائرات الفانتوم التي قتلتنا معظم رأس مالها من أموال العرب المسلمين!!

يكفيك أن عدانا أهدروا دمنا ... ونحن مِن دمنا نحسو ونحتلبُ

❑ **قيام سوق اقتصادية إسلامية:**

لتحقيق التكامل بين الدول الإسلامية وسدّ احتياجاتها.

(٩) المقاطعة التامة لبضائع اليهود وأمريكا الصليبية:

لقد تزامنت المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل مع بداية الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وفي عام ١٩٢٢م طالب المؤتمر العربي الخامس، والذي عقد في مدينة نابلس الفلسطينية بمقاطعة جميع البضائع اليهودية، ثم تلا ذلك المؤتمر الإسلامي العالمي الذي عُقِد في عام ١٩٣١م، ومع انطلاق ثورة ١٩٣٦م تزايدات الحملة الشعبية للمنتجات اليهودية.

«وقد قدّرت مجموعة اقتصادية إسرائيلية خسائر إسرائيل من جرّاء المقاطعة منذ عام ١٩٤٨م بأكثر من ٧٦ مليار دولار أمريكي[1].

وفي عام ١٩٧٩م نصت معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية صراحة

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز ٢٥/ ٧/ ١٩٩١م.

على إنهاء المقاطعة الاقتصادية بين مصر وإسرائيل. وأغرقت البضائع الإسرائيلية الأسواق العربية.

❑ لقد وقفت المقاطعة العربية لإسرائيل ومنذ نشأتها حائلاً أمام تحقيق إسرائيل لأطماعها وأهدافها الاقتصادية في المنطقة، وحرمتها من الاستفادة من المقدرات والثروات الطبيعية التي حبا اللَّه بها هذه المنطقة.

وهذا السلاح هو سلاح مؤثر فعال. بل هو السلاح الوحيد المؤثر نسبيًّا في سجل المواجهة مع إسرائيل في وقتنا الحاضر.

❑ يقول روجيه جارودي: «يجب أن نلتزم بمقاطعة جذرية لكل ما هو أمريكي، سواء كانت منتجات صناعية بدءًا من الكوكاكولا.. إلى أفلام، وكذلك مقاطعة إسرائيل.. أعتقد أن هذا هو السلاح الوحيد المتاح»[١، ٢] الآن.

❑ ويقول شاؤول مزراحي - وهو أحد كبار الاقتصاديين الإسرائيليين - بأنه لا يمكن لإسرائيل أن تجد وسيلة لاستكمال إمكانيات صناعاتها بزيادة الصادرات إلى البلدان السائرة في طريق النمو ما دامت مبتورة عن بلدان المنطقة الذين هم أقرب جيرانها ويشكلون بذلك سوقًا طبيعيًّا لمنتجاتها.

❑ قال إسحاق رابين في تصريح له في الكنيست في عام ١٩٧٥م:

«بأن المقاطعة العربية إذا ما استمرت لسنوات أخرى، فإنها سوف تؤثر وبشكل كبير على قدرة إسرائيل في اجتذاب الاستثمارات الخارجية،

---

(١) «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» لروجيه جارودي ص(٣٦٩).

(٢) شركة كوكاكولا يملكها الثري اليهودي روبرت ماكسويل.

لذا فيجب علينا مواجهتها وتحطيمها[١] .

❑ ويقول أحد الخبراء الاقتصاديين الأمريكيين: «بأن الأثر الأكبر على إسرائيل من جراء المقاطعة هو في مجال الاستثمار وليس في مجال التبادل التجاري، ويكفي أن المقاطعة الهزيلة في السنوات الماضية أفزعتهم حتى أن الرئيس الأمريكي يصرّح لصحيفة لوفيجارو ١٠/٧/١٩٩١م، وصحيفة النيويورك تايمز ويقول: «إنني أود أن أرى نهاية المقاطعة العربية لإسرائيل».

❑ ورئيس الوزراء الإسرائيلي السابق «بعث برسالة إلى قادة الدول الصناعية السبع الكبرى قبل اجتماعهم في لندن يحثهم فيها على اتخاذ موقف حازم ضد المقاطعة العربية لإسرائيل، وعلى وضع قانون يحظر على المؤسسات الخاصة في هذه الدول الخضوع لقرارات المقاطعة العربية»[٢] .

❑ يقول الدكتور القرضاوي في فتواه بمقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية: «ها نحن نرى اليوم إخواننا وأبناءنا في القدس الشريف، وفي أرض فلسطين المباركة يبذلون الدماء بسخاء.. فعلينا نحن المسلمون في كل مكان ـ أن نعاونهم بكل ما نستطيع من قوة ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾.

ومن وسائل هذه المعاونة مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية مقاطعة تامة، فإن كل ريال أو درهم أو قرش، أو فلْس نشتري به سلعهم

---

(١) «حتى تكون مقاطعة العرب لإسرائيل سلاحًا إيجابيًّا» ـ مقال عبد المنعم سليم ـ مجلة الدعوة المصرية العدد (١٥) أغسطس ١٩٧٧م.

(٢) وكالات الأنباء ١٣/٧/١٩٩١م، مجلة السنة العدد (١٧) سنة ١٤١٢هـ ص(٥٢ ـ ٥٣).

يتحوّل إلى رصاصة تُطلق في صدور إخواننا وأبنائنا في فلسطين.

لهذا وجب علينا ألا نعينهم على إخواننا بشراء بضائعهم؛ لأنها إعانة على الإثم والعدوان. لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ـ رضي اللَّه عنه ـ ثم خرج معتمرًا، فلما قدم مكة قالوا: أصبوت يا ثمامة؟ فقال: لا، ولكني اتبعت خير الدين، دين محمد، ولا واللَّه لا تصل إليكم حبّة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول اللَّه ﷺ، ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا، فكتبوا إلى رسول اللَّه ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فكتب رسول اللَّه ﷺ إليه أن يخلّي بينهم وبين الحمل»!

والبضائع الأمريكية مثل البضائع الإسرائيلية في حرمة شرائها والترويج لها، فأمريكا اليوم هي إسرائيل الثانية، ولولا التأييد المطلق والانحياز الكامل للكيان الصهيوني الغاصب لما استمرت إسرائيل تمارس عدوانها على أهل المنطقة، ولكنها تصول وتُعربد ما شاءت بمال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي.

وأمريكا تفعل ذلك منذ عقود من السنين، ولم تر أي أثر لموقفها هذا ولا أي عقوبة من العالم الإسلامي.

وقد آن الأوان لأمتنا الإسلامية أن تقول: لا لأمريكا ولبضائعها التي غزت أسواقنا، حتى أصبحنا نأكل ونشرب، ونلبس ونركب مما تصنع أمريكا.

إن الأمة الإسلامية التي تبلغ اليوم مليارًا وثلث المليار من المسلمين في أنحاء العالم يستطيعون أن يوجعوا أمريكا وشركاءها بمقاطعتها، وهذا ما يفرضه عليهم دينهم وشرع ربهم.

«فكل من اشترى البضائع الإسرائيلية والأمريكية من المسلمين فقد ارتكب حرامًا، واقترف إثمًا مبينًا، وباء بالوزر عند اللَّه والخزي عند الناس.

إن المقاطعة سلاح فعّال من أسلحة الحرب قديمًا وحديثًا، وقد استخدمه المشركون في محاربة النبي ﷺ وأصحابه فأذاهم إيذاءً بليغًا، وهو سلاح في أيدي الشعوب والجماهير وحدها، لا تستطيع الحكومات أن تفرض على الناس أن يشتروا بضاعة من مصدر معين، فلنستخدم هذا السلاح لمقاومة أعداء ديننا وأمتنا حتى يشعروا بأننا أحياء، وأن هذه الأمة لم تمت، ولن تموت بإذن اللَّه.

على أن في المقاطعة معاني أخرى غير المعنى الاقتصادي: إنها تربية للأمة من جديد على التحرر من العبودية لأدوات الآخرين الذين علّموها الإدمان لأشياء لا تنفعها، بكل كثيرًا ما تضرها.. وهي إعلان أخوة الإسلام، ووحدة أمته، وأننا لن نخون إخواننا الذين يقدّمون الضحايا كل يوم، بالإسهام في أرباح أعدائهم، وهي لون من المقاومة السلبية يُضاف إلى رصيد المقاومة الإيجابية، التي يقوم بها الإخوة في أرض النبوّات، أرض الرباط والجهاد.

وإذا كان كل يهودي يعتبر نفسه مجندًا لنصرة إسرائيل بكل ما يقدر عليه، فإن كل مسلم في أنحاء الأرض مجندًا لتحرير الأقصى، ومساعدة أهله بكل ما يمكنه من نفس ومال، وأدناه مقاطعة بضائع الأعداء، وقد قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وإذا كان شراء المستهلك للبضائع اليهودية والأمريكية حرامًا وإثمًا، فإن شراء التجار لها ليربحوا من ورائها، وأخذهم توكيلات شركائهم

أشد حرمة، وأعظم جرمًا، وأعظم إثمًا، وإن تخفّت تحت أسماء يعلمون أنها مزوّرة، وأنها إسرائيلية الصنع يقينًا.

* قال تعالى: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾»[1] ا.هـ.

(١٠) الزهد وقصر الأمل والبعد عن الترف واللهو وحب الموت وكراهية الدنيا:

رحم اللَّه إمام دار الهجرة مالك بن أنس إذ يقول: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، وقد بيّن رسولنا ﷺ كيف صلح أول هذه الأمة.

● فعن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»[2].

فبالزهد تستقر الأقدام على الأرض، وتنزع الأرواح إلى السماء وترفرف إلى الآفاق اللائقة بكمال المسلم.

بالزهد يعلم المسلمون المعاصرون خسّة الدنيا وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، ويقيم اللَّه في قلوبهم شاهدًا يعاينون به حقيقة الدنيا والآخرة. فلا يرضونها ولا يرضون نقصها وهبوطها ولا يستغرقون فيها، فلا تهبط بهم، فيرفعون رؤوسهم إلى القمة التي أرادها لهم دينهم، ويتركون لهو الدنيا ولعبها وفخرها وتكاثرها، وترفها، ولا تتشعّب

---

(١) مجلة القدس ـ العدد ٢٤ ـ ص(١٨ ـ ١٩).

(٢) حسن: رواه أحمد في «الزهد»، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٨٤٥).

قلوبهم في أودية الدنيا ولا يتأرجحون ولا يتذبذبون، ولا تشتت قلوبهم، ولا تهن بالسعي وراء الشهوات والحزن على فقدها وضياعها.

وبقصر الأمل تطلب قلوبهم الجنّة في غدوّهم ورواحهم طلب من لا بد لهم منها فيتركون الدنيا قبل أن تتركهم، ويوجهون الهمّ إلى ما ينفعهم عند اللّه عز وجل.. وتتبدّل حياتهم وتتغيّر فيكون النصر.

أما المترفون الذين قال الشاعر يصف واحدًا منهم:

كهوف الليل في باريس قد قتلت مروءاتك
تغوص القدس في دمها وأنت صريع شهواتك
على أقدام مومسة هناك دفنت ثاراتك
فبعت الدين.. بعت القدس.. بعْت رماد أمواتِكْ

* خدّريهم يا كوكب الشرق:

في أعقاب الكارثة المدمرة، في الخامس من حزيران ١٩٦٧م، وقفت أم كلثوم تغني للمترفين، والدم البريء يسيل على كل رابية، والعار الأسود يجلّل جباه المخدّرين والمخدرات، ممن راحت تصنع وجوههم ولا يشعرون «هذه ليلتي وحلم حياتي».

لعل هذا الضياعَ الذي أصاب الأمة، وهذا الخدر الذي سرى في أعصابها هو الذي دعا صحفيًّا إلى القول في صحيفته البيروتيَّة، مُباهيًا دون خَجَلٍ: «إني أعرفُ مكانة أمِّ كلثوم عند العرب، وأعرفُ كذلك، أن حبَّ الكثيرينَ لها يُوازي حُبَّهم لفلسطينَ».

«كوكبَ الشَّرقِ» لا تَذُوبِي غَرَامَا ... وَدَلالاً وَحُرقَةً وَهُيَامَا
لا ولا تَنفُثِي الضَّيَاعَ قَصِيدًا ... عَبْقَرِيًّا أوْ تُرسِلِي الأنْغَامَا

فَدِمَاءُ الأَحبَابِ في كُلِّ بَيْتٍ ... تَتَنَزَّى وَتَبْعَثُ الآلامَا
وَجِرَاحُ «الأقْصَى» جِرَاحُ الثَّكَالَى ... وَدُمُوعُ «الأَقْصَى» دُمُوعُ الْيَتَامَى
أَيُّهَا الشَّعْبُ خَدَّرَتْهُ «اللَّيَالِي» ... مُثْقَلاتٍ تَفَجَّرَتْ آثَامَا
فَعَنِ الْحَقِّ تَارَةً يَتَلَهَّى ... وَعَنِ النُّورِ تَارَةً يَتَعَامَى
يَتَهَاوَى عَلَى ذِرَاعِ طَرُوبٍ ... أَوْ لَعُوبٍ في حُضْنِهَا يَتَرَامَى
وَإِذَا الشِّعْرُ بِالكُئُوسِ تَغَنَّى ... «وَالنُّوَاسِيُّ عَانَقَ الْخَيَّامَا»
وَأَنِينُ الكَمَانِ صَارَ أَذَانًا ... في حِمَى البَيْتِ وَالنَّدِيمُ إِمَامَا
وَإِذَا لَيْلَتِي وَحُلْمُ حَيَاتِي ... لَمْ نُحَطِّمْ في فَجْرِهَا الأَصْنَامَا
فَإِلامَ الجِهَادُ يَا «كَوْكَبَ الشَّرْ ... قِ» وَمَا بَالُنَا نَهُزُّ الْحُسَامَا؟
لا تُغَنِّي الْخِيَامَ يَا «كَوْكَبَ الشَّرْ ... قِ» وَتَسْقِي مِنْ رَاحَتَيْهِ الْمُدَامَا
فَفِلَسْطِينُ لاتُحِبُّ السُّكَارَى ... وَرُبَى الْقُدْسِ لا تُرِيدُ النِّيَامَا
وَلَوَ انَّ الخَيَّامَ يُبْعَثُ حَيًّا ... هَوَتِ الْكَأْسُ مِنْ يَدَيْهِ حُطَامَا
«كَوْكَبَ الشَّرْقِ» ضَاعَ قَوْمِيَ لَمَّا ... تَاهَ في حُبِّكِ الْقَطِيعُ وَهَامَا

❁ ❁ ❁

❑ كيف يأتي النصر بالمترفين المارقين الذين نسوا السلاح، من الذين يعيشون عيشة الأباطرة والقياصرة.. في أفخم القصور على شواطئ الريفيرا والريف الإنجليزي من أقزام منظمة التحرير الفلسطينية.

❑ أيرجى النصر ومن أغنياء الفلسطينيين من مات عنده الإحساس فاشترى مخلّفات عربة ديانا المحطمة بأربعة ملايين دولار.. تكفي لإطعام مخيم سنة كاملة؟! أو المترفين..

هناك في بعض الجهاتْ
يغفو الوُلاةْ
يغفو الوُلاةُ على سرير الطيِّباتْ
كل يُجالسُ عِجْلَهُ الذهبيَّ
يسألُهُ صكوك المغفرةْ
حينًا ويغفو كالصَّنَمْ
ما بينهم يوم الكريهة خالدٌ أو مُعْتصِمْ

● أخرج أبو داود في «سننه» عن ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه : «**يُوشكُ أن تَدَاعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: وَمِن قِلَّة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ اللَّه من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ اللَّه في قلوبكم الوَهْنَ**»، فقال قائل: يا رسول اللَّه، وما الوهن؟ قال: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**».

(١١) دور العلماء الربانيين في إيقاظ الأمة... نحن بحاجة إلى مثل سلطان العلماء وبائع الملوك والأمراء عز الدين بن عبد السلام:

إن الأمة في حاجة لمن يوقظها ويكون لها قدوة وأسوة حسنة. وليس هناك بعد رسول اللَّه ﷺ من نبيّ، فمن أجدر من العلماء وهم ورثة الأنبياء للقيام بهذا الدور؟

إن علماءنا يحتاجون إلى أن تكون لهم مصداقية، وهذه تأتي بأن يطوّع كل منهم نفسه ويقصرها على الحق قصرًا.

على كل عالم في هذه الأمة أن يكون إسلامًا يمشي على قدمين، يضرب المثل في إيمانه واعتصامه بحبل اللَّه، لا يأمر بالمعروف إلا وقد أمر نفسه به أولاً والتزم به، أن يكون مثالاً في الزهد والتواضع والتضحية والإيثار.. أن يتقدّم الصف حتى يتّبعه الناس.

❑ إن تربية جيل النصر على العقيدة الصحيحة، واستعادة القيم الإسلامية وتربية الأجيال القادمة على قيم الإسلام على حب الجهاد في سبيل اللَّه، وعلى طلب العلم، والإقبال على العمل وإتقانه، وعلى الاعتصام بحبل اللَّه ونبذ الفرقة، والاهتمام بعظائم الأمور، وعدم الانشغال بتوافهها، وألا تتولى إلا اللَّه ورسوله والذين آمنوا، والغيرة على الحرمات، وإعادة بناء الإنسان المسلم على أساسها دور كبير ينتظر العلماء الصادقين.

❑ الدور الأكبر الذي ينتظر العلماء الربانيين تصفية عقيدة الأجيال القادمة مما شابها من العقائد الباطلة والفاسدة والخرافات والشركيات، وتصفية السنّة مما شابها، وتصفية التاريخ الإسلامي مما شابه من الغث لإبراز لآلئ تاريخ أمتنا العظيم لاستخلاص العبر، وتصفية الفقه مما شابهُ من الآراء والمحدثات المخالفة، وتصفية الوعظ مما شابه من الإسرائيليات والخرافات وأحاديث القُصّاص، وتربية الأجيال على هذا، هذا هو أسّ أي إصلاح لإقامة دولة الإسلام.

❑ وينبغي على العلماء أن يوجّهوا المربين إلى إصلاح مناهج التعليم والتربية لإعداد النشء على حب الجهاد، وأن يضع نصب عينيه تاريخ القادة العظام الذين دوّخوا الكافرين. أمثال أبي عبيدة ومعاذ وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ونور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي

وقطز وبيبرس، وأن يدرس لهذا النشء، معارك الإسلام الفاصلة، وإلهاب عاطفتهم من الصغر على حب البذل والعطاء لدينهم.

▫ الواجب على العلماء الربانيين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويواجهوا الشر وهبوط الأرواح، وكلل العزائم، ويصونوا الأمّة أن يعبث بها كل ذي هوى، وكل ذي شهوة.

لا بد أن يُصلح العلماء اعوجاج الأمة وقادتها وفيهم الجبار الغاشم، والمتسلِّط، وفيهم الهابط الذي يكره الصعود، والمسترخي الذي يكره الاشتداد، والمنحلّ الذي يكره الجدّ، والظالم الذي يكره العدل، وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة وفيهم وفيهم، ممن ينكرون المعروف، ويعرفون المنكر، ولن تعود القدس إلاّ أن يقود العلماء الربانيين مسيرة الأمة ويوجهون الحكام إلى الخير.

* عز الدين بن عبد السلام ينكر على ملك دمشق التنازل عن ديار المسلمين، وعقد الصلح مع الفرنجة الصليبيين المعتدين:

لا بد أن يرفع العلماء لواء الخير في الأمة ويجهروا بكلمة الحق أمام من يتنازل عن ديار المسلمين، أو يعقد صلحًا مع اليهود المعتدين.. ولهم قدوة وأسوة بعز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء، فإنه لما تحالف الصالح إسماعيل حاكم دمشق مع الصليبيين، وأسلمهم قلعة صَفْد، وقلعة الشقيف، وصيدا، وبعض ديار المسلمين اختياراً؛ لينجدوه على الصالح نجم الدين أيوب، ودخل الصليبيون دمشق لشراء السلاح، لقتال أهل مصر، واستفتى أهل دمشق الشيخ في مبايعة الفرنج السلاح قال سلطان العلماء: يحرُم عليكم مبايعتُهم؛ لأنكم تتحققون أنهم يشترونه

ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين.

وترك عز الدين الدعاء للحاكم في الخطبة، وجدّد دعاءه في الجامع الذي كان يدعو به إذا فرغ من الخطبتين: «اللَّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد تُعزّ فيه وليّك، وتُذِلُّ فيه عدوّك، ويعمل فيه بطاعتك، ويُنهى فيه عن معصيتك».

والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين والنصر على أعداء اللَّه واعتُقِل الشيخ، وبقي مدة معتقلاً، وأُخرج الشيخ من معتقله فأقام مدة في دمشق، ثم انتزح عنها إلى بيت المقدس، وجاء الصالح إسماعيل والملك المنصور صاحب حمص وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس يقصدون الديار المصرية، فسيّر الصالح إسماعيل بعض خواصه إلى الشيخ بمنديله، وقال له: تدفع منديلي إلى الشيخ وتتلطّف به غاية التلطّف وتستنزله، وإن خالفك فاعتقله في خيمة إلى جانب خيمتي، فلما اجتمع الرسول بالشيخ شرع في مُسايسته وملاينته، ثم قال له: بينك وبين أن تعود إلى مناصِبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان، وتُقَبِّل يده لا غير.

وهنا قال سلطان العلماء كلماته النيّرَة، فيها استعلاء أهل العلم، قال: «واللَّه يا مسكين، ما أرضاه أن يقبِّل يدي، فضلاً أن أقبِّل يده. يا قوم، أنتم في وادٍ، وأنا في وادٍ، الحمد للَّه الذي عافاني مما ابتلاكم به»[1].

عزّة سلطان العلماء بربه.. يصون يده المتوضئة عن ملامسة عميل للصليبيين، وإن كان سلطان دمشق.. يصون يده التي تكتب العلم

(١) «طبقات الشافعية» (٨/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

وتسجد لمولاها.

«فقال له: قد رُسِم لي إن لم توافق على ما يُطلب منك وإلا اعتقلتك.

فقال: افعلوا ما بدا لكم. فأخذه واعتقله في خيمة إلى جانب خيْمة السلطان. وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه، فقال يومًا لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟ قالوا: نعم. قال: هذا أكبر قسوس المسلمين، وقد حبسته لإنكاره عليّ تسليمي لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه، ثم أخرجته فجاء إلى القدس، وقد جدّدت حبسه واعتقاله لأجلكم.

فقالت له ملوك الفرنج: لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليْه، وشربنا مرقتها»[1].

هذه شهادة الكفار في حق العلماء الربانيين[2].

الأمة تحتاج إلى مثال عبد اللَّه بن محيريز، وسعيد بن المسيب وجهبذ العلماء سعيد بن جبير والأوزاعي والثوري إمام الدنيا الذي كان يبول الدم إذا رأى المنكر ولم يتكلم، وابن أبي ذئب والعمري،

---

(١) «طبقات الشافعية» (٨/ ٢٤٤).

(٢) أين هذا من «فتوى تبيح الصلح مع إسرائيل من لجنة من علماء مصر برئاسة الشيخ محمد متولي الشعراوي!!» بل ويشبهون كامب ديفيد بأنها مثل صلح الحديبية!!!، ويقول الشيخ محمد الغزالي في المؤتمر الديني الذي عُقِد في جامعة القاهرة: «إن تعاليم الإسلام تدعونا لمحاورة اليهود وأخذ حقوقنا منهم، وأنه لا حقّ لما يردّده بعض شباب الجماعات الإسلامية بتحريم الجلوس معهم على مائدة المفاوضات، وقال: إن الرأي العام الإسلامي يرفض التفريط في شبر واحد من القدس أو أرض فلسطين!!!» ا.هـ من «الشرق الأوسط» ٢٨/ ١٠/ ١٩٩١م.

وأبي حازم الأعرج، وطاووس، وزياد العبدي، وعطاء بن أبي رباح، والطرطوشي، وشيخ الإسلام ابن تيمية.

إن أمة يقودها علماؤها الربانيون بكتاب اللَّه وسنة رسوله، ويخضع لهم القاصي والداني والصغير والكبير.. لن تُخطئ الطريق إلى القدس والأقصى.. مثلما قاد الشيخ آق شمس الدين تلميذه محمد الفاتح إلى فتح القسطنطينية.

(١٢) التوكل على اللَّه وحده:

وأعلى التوكل التوكل على اللَّه في نصرة دينه، ودفع فساد اليهود المفسدين، واسترجاع القدس درة بلاد المسلمين، هذا التوكل يجعل المتوكلين من جيل النصر يلهجون بما قاله محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

❑ عندما يتوكل القلب على اللَّه، ويتصل باللَّه، وينفض يده من كل الأشباح الزائفة والأسباب الباطلة للنصرة والحماية والالتجاء، ويتوكل على اللَّه وحده يأتي نصر اللَّه ومدده وفرجه.

❑ يتوكل المؤمن على اللَّه وحده، وهو مطمئن إلى موقفه وطريقه، مالئ يديه من وليّه وناصره، يعلم أن اللَّه الذي يهدي السبيل لا بد أن ينصر ويعين ويُثبِّت، يحسّ القلب أن عناية اللَّه سبحانه تقود خطاه وتهديه السبيل.

❑ تستشعر القلوب التي وجهت وجهها لفاطر السماوات والأرض ترجوا رحمته في نصرة دينه أن الأمر كله بيد اللَّه، وعموم قدرته،

وكمال ملكه، وتمام عدله وعظم إحسانه، فتتفتح كوى النور أمامها، وتبصر الآفاق المشرقة، وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة، فلا تتخلى عن دربها وطريقها.. تضع أمامها قول نبيها ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللَّه ثالثهما**»، وقول أم إسماعيل: «**إذن لا يضيّعنا**»، وقول جبريل - عليه السلام - لأم إسماعيل: «**إلى من وكلكما؟**» **قالت: إلى اللَّه. قال: وكلكما إلى خير كاف.. لا تخشي الضَّيْعة.. إن اللَّه لا يُضيِّع أهله**».

(١٣) بالدعاء والعبرات يتنزَّل النصر من السماوات:

● عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ سَرّه أن يستجيب اللَّه له عند الشدائد والكُرَب فليُكثر الدعاء في الرخاء**»[1].

وهذا الطريق عرفه السابقون من كرام الأمة.. بكى النبي ﷺ ليلة بدر وتضرّع إلى ربه حتى أصبح فكان النصر.

□ودعا محمد بن واسع عند فتح كابل؛ فكان النصر.

إنما يتنزل النصر على الأتقياء.. من ساروا على طريق الذل والانكسار والافتقار إلى اللَّه.. وهو أقرب من كل طريق، وما أدنى النصر والرحمة والرزق من قلوب منكسرة.. وما أنفع هذا الذل لملك الملوك لها، وأجداه عليها.

إذا استكان العبد، ووضع خده على عتبة العبودية، ونظر بقلبه إلى ربه ووليّه نظر الذليل إلى العزيز الرحيم، وتملق لربه خاضعًا له، باكيًا مستعطفًا.. أمات بالذل عزته، وجعل إلى اللَّه وحده حاجته، وأرسل على الوجنة عبرته، وسأل بالدعاء رحمته، وشكا إلى اللَّه غربته نزل

(١) حسن: رواه الترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٩٠).

النصر من السماء وأعزّ اللّه دينه وملته، ورجعت القدس لؤلؤة المسلم ودرّته.

(١٤) الجهاد في سبيل اللّه سبيلنا الوحيد.. سبيل المتقين لعودة القدس وفلسطين:

إنه جوهر الأمن في أمتنا.. إنه ذروة سنام ديننا.. إنه باب من أبواب الجنة.. إنه انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع من ثقلة اللحم والدم.. إنه الطريق الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة المنخوبة.. إنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة المهزولة.. الجهاد شرف للذين يسيرون على طريقه الصاعد إلى الآفاق الكريمة، أما الذين يعيشون على حاشية الحياة، وإنْ خُيِّلَ إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا أداء الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافه الرخيص، فما لهؤلاء والجهاد.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٢].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ

وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

* وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٨ ـ ٣٩].

□ كيف تنام الأمة عن الجهاد في سبيل اللَّه والأحاديث النبوية تحدو بها ليل نهار:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**أفضل الناس مؤمن يجاهد في سبيل اللَّه بنفسه وماله، ثم مؤمن في شِعْبٍ من الشِّعاب يتَّقي اللَّه ويَدَع الناس من شرِّه**»(١).

● وقال ﷺ: «**أفضل العمل الصلاة لوقتها، والجهاد في سبيل اللَّه**»(٢).

ويكفي الجهاد فضلاً تَمَنِّي الرسول ﷺ ألا يقعد خلف سريّةٍ، ويكفي الشهادة فخرًا تمنّي رسول اللَّه ﷺ لها.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**انتَدَبَ اللَّه لمن خرج في سبيله، لا يُخرجه إلا إيمانٌ بي، وتصديقٌ برسلي، أن أرجعه بما نال من أجرٍ أو غنيمة، أو أُدخله الجنة، ولولا أن أشُقّ على أُمتي، ما قعدتُ خلفَ سريّة، ولوددتُ أن أُقتل في سبيل اللَّه، ثم أحيا ثم أُقتل، ثم أحيا ثم أُقتل**»(٣).

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٢٣) رقم (١١٢٣)، وعند البخاري ومسلم: «**ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل اللَّه**».

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

ولما تمنى سليمان ـ عليه السلام ـ كثرة الأولاد؛ ليكونوا فرسانًا يجاهدون في سبيل اللَّه.

● عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال سليمان بن داود: لأطُوفنَّ الليلة على سبعين امرأة، تحمل كلُّ امرأة فارسًا يُجاهد في سبيل اللَّه. فقال له صاحبُه: إن شاء اللَّه. فلم يقُل، ولم تحمل شيئًا، إلا واحدًا ساقطًا أحَدُ شِقَّيْه**»، فقال النبي ﷺ: «**لو قالها لجاهدوا في سبيل اللَّه**». رواه البخاري ومسلم.

قال شعيب وابن أبي الزِّناد: «تِسْعِين». وهو أصحُّ.

● وقال ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**»(١).

● وقال ﷺ: «**إن سياحة أُمتي الجهاد في سبيل اللَّه**»(٢).

● وقال رسول اللَّه ﷺ لأبي ذرّ: «**أُوصيك بتقوى اللَّه تعالى، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكْر اللَّه تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه رَوْحُكَ في السماء وذِكْرك في الأرض**»(٣).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**أيّما مسلم رمى بسهمٍ في سبيل اللَّه، فبلغ مخطئًا أو مُصيبًا، فله من الأجر كرقبةٍ أعْتَقَهَا من ولد إسماعيل...**»(٤).

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي عن أبي موسى.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود، والحاكم في «المستدرك» وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي أُمامة، وأخرجه ابن عساكر وابن المبارك عن سعد بن مسعود الكِندي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٩٣).

(٣) حسن: رواه أحمد عن أبي سعيد، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٥٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٥٤٣).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن عمرو بن عبسة، وأحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٧٣٩)، و«الصحيحة» رقم (١٧٥٦).

● وقال ﷺ: «تكفَّل اللَّه لمن جاهد في سبيله، لا يُخرجه من بيته إلا الجهادُ في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يُدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»(١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاثة كلّهم ضَامِنٌ على اللَّه: رجلٌ خرج غازيًا في سبيل اللَّه، فهو ضامن على اللَّه حتى يتوفَّاه، فُيدخله الجنة أو يرُدّه بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ...»(٢).

● وقال ﷺ: «ثلاثة في ضمان اللَّه عز وجل: رجل خرج إلى مسجدٍ من مساجد اللَّه عز وجل، ورجل خرج غازيًا في سبيل اللَّه تعالى، ورجل خرج حاجًّا»(٣).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «عليكم بالجهاد في سبيل اللَّه، فإنه بابٌ من أبواب الجنة، يُذهِب اللَّه به الهمَّ والغمَّ»(٤).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «الرَّوْحة والغَدْوة في سبيل اللَّه، أفضل من الدنيا وما فيها»(٥).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «غَدْوَة في سبيل اللَّه أو رَوْحَة، خيرٌ مما

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم وصححه عن أبي أُمامة، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٧٢٧)، وصحيح الجامع» رقم (٣٠٥٣).

(٣) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥١)، و«الصحيحة» رقم (٥٩٨).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي أمامة، وأحمد والحاكم والهيثم، وابن بشران والضياء عن عبادة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٤١)، و«صحيح الجامع» (٤٠٦٣).

(٥) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، عن أبي سعيد.

طلعتْ عليه الشمسُ وغربتْ»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل اللَّه، خير من قيام ستين سنة»[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «موقفُ ساعةٍ في سبيل اللَّه، خيرٌ من قيامِ ليلة القَدْر عند الحجر الأسود»[٣] .

● وقال ﷺ في حديث معاذ: «وَذِرْوَة سَنَامه: الجهاد».

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «ما اغبرَّتْ قدما عبدٍ في سبيل اللَّه، إلا حرَّم اللَّه عليه النار»[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «مَثَلُ المجاهد في سبيل اللَّه ـ واللَّه أعلم بمن يُجاهد في سبيله ـ كمثل الصائم الدائم، الذي لا يفتُر من صيامٍ ولا صدقة، حتى يرجع، وتوكَّل اللَّه للمجاهد في سبيله إنْ توفّاه أن يُدخله الجنة، أو يرجعه سالمًا مع أجرٍ أو غنيمة»[٥] .

● وقال ﷺ : «مثل المجاهد في سبيل اللَّه ـ واللَّه أعلم بمن يجاهد في

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي عن أبي أيوب.

(٢) صحيح: أخرجه ابن عدي، وابن عساكر عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٢٩).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٦٣٦).

(٤) صحيح: رواه الشيرازي في «الألقاب» عن عثمان، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وأحمد عن عبد الرحمن بن جبر، وأحمد والدارمي عن مالك بن عبد اللَّه، والطيالسي وأحمد عن جابر.

(٥) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي عن أبي هريرة.

سبيله ـ كمثل الصائم القائم الخاشع الرّاكع الساجد»[١] .

● وقال ﷺ : «ما خالط قلبَ امرئ مسلم رَهْجٌ في سبيل اللَّه، إلا حرّم اللَّه عليه النار»[٢] .

● وقال ﷺ : «من راح رَوْحَة في سبيل اللَّه، كان له بمثْل ما أصابه من الغُبار مسكًا يوم القيامة»[٣] .

● وقال ﷺ : «من قاتل في سبيل اللَّه فُواق ناقة، فقد وجبتْ له الجنة، ومن سأل القتْل في سبيل اللَّه من نفسه صادقًا، ثم ماتَ، أو قُتل، فإنّ له أجر شهيد، ومن جُرح جرحًا في سبيل اللَّه، أو نُكب نَكْبَةً، فإنها تجيء يوم القيامة كأغْزَرِ ما كانت، لونها لون الزَّعْفَران، وريحها ريح المسك، ومن خرج به خُرَّاج في سبيل اللَّه، كان عليه طابع الشهداء»[٤] .

● وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده، لو أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسُهم أن يتخلَّفوا عني، ولا أجد ما أحْملُهم عليه، ما تخلَّفتُ عن سريّة تغزو في سبيل اللَّه، والذي نفسي بيده، لوددتُ أني أُقتل في سبيل اللَّه ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل»[٥] .

---

(١) صحيح: رواه النسائي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٥٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد عن عائشة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٢٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٦١٦).
والرهج: الغُبار.

(٣) حسن: رواه ابن ماجه والضياء عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٣٣٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٢٦٠).

(٤) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان عن معاذ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤١٦).

(٥) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

● وقال ﷺ: «لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل اللَّه، أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تُحبُّون أن يغفر اللَّه لكم ويُدخلكم الجنة؟ اغْزوا في سبيل اللَّه، من قاتل في سبيل اللَّه فُواق ناقة، وجبتْ له الجنة»(١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «يا أبا سعيد، من رضي باللَّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وجبتْ له الجنة. وأُخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض؛ الجهاد في سبيل اللَّه، الجهاد في سبيل اللَّه»(٢).

* قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩ ـ ٢٢].

● وقال ﷺ: «إن أرواح الشهداء في جوف طيرٍ خُضرٍ، لها قناديلُ معلَّقةٌ تحت العرش، تسرح من الجنة حيث شاءتْ، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطَّلع إليهم ربُّهم اطِّلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أيّ شيءٍ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلمّا رأوْا أنهم لم يُتركوا من أن يُسألوا، قالوا: يا ربّ، نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا، حتى نرجع

(١) حسن: رواه الترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٣٧٩)، و«تخريج المشكاة» (٣٨٣٠).

(٢) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي عن أبي سعيد.

إلى الدنيا فُنقتل في سبيلك مرةً أُخرى. فلمَّا رأى أنْ ليس لهم حاجة تُركوا»[١].

● وقال ﷺ: «للشهيد عند اللَّه سبع خصال: يُغفر له في أوّل دَفْعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحلَّى حُلَّة الإيمان، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفَزَع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنسانًا من أهل بيته»[٢].

● وقال ﷺ: «ما من مكلومٍ يُكْلَم في سبيل اللَّه، إلا جاء يوم القيامة وكَلْمُه يَدْمَى، اللّونُ لونُ الدمِ، والرِّيح ريح المسك»[٣].

● وقال ﷺ: «من سأل اللَّه الشهادة بِصِدْقٍ، بَلَّغَه اللَّه منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[٤].

● وقال ﷺ: «يُؤْتى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة، فيقول له: يا بن آدم، كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أيْ ربِّ، خير منزل. فيقول: سَلْ وتَمَنَّ. فيقول: يا ربِّ، ما أسأل ولا أتمنّى إلا أن تُردَّني إلى الدنيا، فأُقتل في سبيلك عشر مرارٍ؛ لما يرى من فَضْلِ الشهادة...»[٥].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «يضحك اللَّه إلى رَجُلَيْن قتلَ أحدُهما الآخَرَ، يدخُلان الجنة، يُقاتل هذا في سبيل اللَّه فيُقْتَل، ثم يتوب اللَّه على القاتِل

---

(١) رواه مسلم، والترمذي عن ابن مسعود.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن المقدام بن معدي كرب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٨٢)، و«أحكام الجنائز» (٣٥ ـ ٣٦).

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن سهل بن حنيف.

(٥) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي عن أنس.

فُيسلِم، فيُقاتِل في سبيل اللَّه فَيُسْتَشْهَد»[١] . وإنا لنرجو أن يكون عكاشة بن محصن وطليحة الأسدي من هؤلاء.

● وقال ﷺ : «يُغفر للشهيد كل ذنبٍ إلاَّ الدَّيْن»[٢] .

● وقال ﷺ : «لما أُصيب إخوانكم بأُحد، جعل اللَّه أرواحهم في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أنهار الجنة، تأكُل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلَّقة في ظلِّ العرش، فلمَّا وجدوا طِيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: مَنْ يُبلِّغُ عنّا أنَّا أحياء في الجنة نُرزق؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتَّكِلُوا عند الحرب؟ فقال اللَّه تعالى: أنا أُبلِّغهم عنكم»[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «عَجب ربُّنا من رَجُلٍ غزا في سبيل اللَّه، فانهزم أصحابُه، فَعَلِمَ ما عليه، فرجع حتى أُهريق دمُه، فيقول اللَّه عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي، رجع رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي، حتى أُهريق دمه»[٤] .

● وقال ﷺ : «عينان لا تَرَيَانِ النار: عينٌ بَكَتْ وَجَلاً من خشية اللَّه، وعين باتتْ تَكْلأ في سبيل اللَّه»[٥] .

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، ومسلم عن ابن عمرو.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم عن ابن عباس، وصححه الحاكم، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٢٠٥).

(٤) صحيح: رواه أبو داود عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٩٨١).

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤١١١).

● وبَيّنَ ﷺ أن الشهيد لا يُفتن في قبره فقال: «كفى ببارِقَةِ السيوف على رأسه فتنة»[١].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «رِبَاطُ شهرٍ خير من صيام دهرٍ، ومن مات مُرابطًا في سبيل اللَّه أمِنَ من الفزع الأكبر، وغُدِيَ[٢] عليه برزقه، ورِيحَ[٣] من الجنة، ويُجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه اللَّه»[٤].

● وقال ﷺ: «رباط يومٍ في سبيل اللَّه خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضع سَوْطِ أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والرَّوْحَة يَرُوحها العبد في سبيل اللَّه أو الغَدْوَة خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٥]

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «القتلى ثلاثة: رجلٌ مؤمنٌ جاهَدَ بنفسه وماله في سبيل اللَّه، حتى إذا لَقِيَ العدو قاتَلَهم حتى يُقتل، فذلك الشهيد المُمْتَحَن في خيمة اللَّه تحت عرشه، ولا يَفْضُلُه النبيون إلا بِفَضْلِ درجةِ النُّبوَّة. ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل اللَّه حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قُتل، فتلك مصمصةٌ محتْ ذنوبه وخطاياه؛ إن السيف محَّاءٌ للخطايا، وأُدْخِلَ من أيّ أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب ـ ولجهنم سبعة أبواب ـ وبعضها أفضلُ من بعضٍ. ورجل منافق، جاهد بنفسه وماله في سبيل اللَّه، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قُتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو

---

(١) صحيح: رواه النسائي عن رجل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٨٣).
(٢) مُرَّ عليه برزقه.
(٣) طُيِّب.
(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٤٧٩).
(٥) رواه مسلم عن سلمان.

النفاق»[١] .

● وقال ﷺ : «أفضل الشهداء من سُفِكَ دمه وعُقِر جواده»[٢] .

● وقال ﷺ : «أفضلُ الشهداء الذين يُقاتلون في الصَّفِّ الأوَّل، فلا يَلْفِتُون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك يتلبَّطُون[٣] في الغُرَف العُلا من الجنة، يضحك إليهم ربُّك، فإذا ضحك ربُّك إلى عبدٍ في موطنٍ، فلا حساب عليهم»[٤] .

اللَّهم اضحكْ إلينا، وارزقنا أعلى درجات الشهداء، واحشُرنا إليك من حواصل الطيور.

يا وَيْحَ نَفْسي وما ارتفعتْ بنا هِمَمٌ ... إلى الجنانِ وتالي القـومِ أوّابُ

إلى كَوَاعِب للأطرافِ قاصِرَة ... وَظِلٍّ طُوبَى وَعِطْرُ الشَّدْو يَنْسَابُ

إلى قنـاديـل عُلِّـقتْ شـرفًـا ... بعرشِ ربي لمن قُتِلُوا وما غَابُوا

قال أنس: أنزل اللَّه في الذين قُتلوا ببئر معونة قرآنًا قرأناه حتى نُسِخَ بعدُ: (أن بَلِّغوا قومَنَا أن قد لَقِينا ربَّنا فَرَضِيَ عنّا وَرَضِينَا عنه)[٥] .

---

(١) إسناده حسن: رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي المثنى ـ فقد روى عنه اثنان. أخرجه ابن حبان واللفظ له، والطيالسي ومن طريقه البيهقي، وأخرجه أحمد والدارمي، والطبراني، وقال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح خلا أبي المثنى وهو ثقة.
والشهيد المُمتَحَن: المصفَّى المهذّب، وعند أحمد والطبراني «المفتخر»، وقرف: أي كسب، ومصمصة: أي مطهرة من دنس الخطايا.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أُمامة، وأحمد، وأبو داود، عن عبد اللَّه بن حبشي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٥٠٤)، و«صحيح الجامع» رقم (١١٠٨).

(٣) أي: يتمرَّغون.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والطبراني في الكبير عن نعيم بن همار، وأخرجه أبو يعلى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧ ـ ١١).

(٥) رواه البخاري، ومسلم، والبغوي، وابن حبان.

● وقال ﷺ: «أنا زعيمٌ - والزعيم: الحميل - لمن آمن بي وأسلم وهاجر، ببيتٍ في ربض الجنة، وببيتٍ في وسطة الجنة، وأنا زعيمٌ لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل اللَّه، ببيتٍ في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غُرَف الجنة، فمن فعل ذلك، لم يَدَع للخير مطلبًا، ولا من الشَّرِّ مهربًا، يموت حيث شاء أن يموت».

والزعيم هو الحميل، هو الكفيل، وهو مدرج في الحديث[1].

فمتى يُشنّف أسماعنا خفق البنود وزئير الأسود من رجال اللَّه لفك القيود عن قدسنا الحبيب.. متى نسمع صوت المعركة ؟

ترنَّمْ وجَلْجِلْ
وبالنور أقبِلْ
وَهَاتِ الطُّبُولَ، وَهَاتِ الْخُيُولَ
وَهَاتِ الْبَيَارِقْ
وَهَاتِ الصَّدَى مِنْ مَزَامِيرِ «طَارِقْ»
وَأَيْقِظْ عَمُورِيَّةً مِنْ كَرَاهَا
وَذُقْ نَارَهَا، وَاسْقِنِي مِنْ لَظَاهَا
بَقَايَا ضُحَاهَا
وَخُذْ نَغْمَةً مِنْ سَمَاوَاتِ حِطِّينَ

---

(١) إسناده صحيح: رواه ابن حبان واللفظ له، والنسائي، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «السنن»، والحاكم في «المستدرك» وصححه، ووافقه الذهبي.

وَاخْضِبْ نِدَاءَكْ
وَأَوْغِلْ مَعَ الرِّيحِ فِي كُلِّ أُفْقٍ
وَفَجِّرْ إِبَاءَكْ
وَدُرْ بِالْعُصُورِ، وَبُوقِ النُّشُورِ
عَلَى الْهَامِدِينَ
وَأَنْشِبْ هَدِيرَكَ فِي كُلِّ كَهْفٍ عَلَى الشَّامِتِيْن
وَلاَ تَخْشَ لَيْلاً بِغَفْلاَتِنَا قَدْ نَسَجْنَا ظَلاَمَهْ
وَرُحْنَا مِنَ الْوَهْمِ نَشْكُو دُجَاهُ وَنَبْكِي خِيَامَهْ
وَنَحْنُ الَّذِينَ افْتَرَقْنَا فَتُهْنَا ضَيَاعًا بِدَرْبِهْ
وَدُسْنَا بِأَقْدَامِنَا كُلَّ نُورٍ هَدَانَا بِرَكْبِهْ
فَكَمْ صَحْوَةٍ لِلشُّعُوبِ تَرُدُّ مِنَ الْمَوتِ صَحْوَ الْحَيَاهْ
وَكَمْ يَقْظَةٍ مِنْ رَمَادِ الزَّوَالِ
هِيَ الْفَجْرُ تَخْضَرُّ مِنْهَا رُبَاهْ
صَحَوْنَا وَلاَ بُدَّ نَسْحَقُ بِالنُّورِ لَيْلَ الطَّرِيقِ
وَنَصْمُدُ، حَتَّى نَرُدَّ مِنَ اللَّيْلِ ضَوْءَ الشُّرُوقِ
فَزَمْجِرْ كَمَا كُنْتَ
حَتَّى تَرُدَّ إِبَاءَ السِّنِيْن
وَشُقَّ الصُّدُورَ

وَأَضْرِمْ بِهَا غَفْلَةَ الْوَاقِفِيْن
وَغَيِّرْ هَوَانَا
وَغَيِّرْ رُؤَانَا
وَأَشْعِلْ بِنَا ثَوْرَةَ لِلْيَقِيْن
وَلَنْ يَغْسِلَ الْعَارَ
إِلاَّ امْتِدَادُكَ فِي كُلِّ شَيْ
وَلَنْ يُرْجِعَ الثَّارَ
إِلاَّ انْتِفَاضُكَ فِي كُلِّ حَيْ
وَلَنْ يُرْجِعَ الدارَ
إِلاَّ اقْتِحَامُكَ ذُلَّ الْخَلِيَّهْ
وَمَحْوُكَ لِلْيَأْسِ مِنْ كُلِّ رُوحٍ غَبِيَّهْ
فَصَوْتُكَ فِي كُلِّ رُوحٍ حَيَاهْ
وَصَوْتُكَ لِلنَّصْرِ أَتْقَى صَلاَهْ
فَقَاتِلْ بِهِ فِي الْعُرُوقِ دَمَ الْيَائِسِيْن
وَأَيْقِظْ بِهِ فِي الدِّمَاءِ رُؤَى الْهَامِدِينْ
وَأَعْجِلْ بِهِ النَّصْرَ لِلصَّامِدِينْ
وَيَوْمَ نَرُدُّ التُّرَابَ الْحَبِيبَ لأَقْدَامِنَا
وَصَوْتُكَ بِالنَّصْرِ يَجْرِي نَشِيدًا لأَيَّامِنَا

سَتَسْمَعُ مَعْ كُلِّ أُفْقٍ أَذَانًا يَهُزُّ الشُّهُبْ
وَيَخْضَرُّ فِي الأَرْضِ لَحْنُ الْبُطُولَةِ
نَحْنُ الْعَرَبْ[1] .

(١٥) الثقة واليقين بنصر اللَّه للمؤمنين، وأن شمس الإسلام لا تغيب، والغد كل الغد لنا في القدس والأقصى:

لا مكان لليأس فسيبزغ الفجر.. لا مكان له في زمن اللَّه القادم، الثقة واليقين بوعد اللَّه لعباده المؤمنين تملأ نفوسنا بالأمل بأن المستقبل كل المستقبل لنا في قدسنا الحبيب، فلا عذر لمتخاذل كسول قانط يائس.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»[2] .

* قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣].

* وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢ ـ ٣٣].

---

(١) من قصيدة «صوت المعركة» لمحمود حسن إسماعيل.

(٢) حسن: رواه ابن أبي الدنيا.

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠ - ٢١].

* وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾ [المجادلة: ٥].

❑ والمبشرات من السنة النبوية كثيرة كثيرة كثيرة..

وقد أفردنا فصلاً كاملاً لمستقبل فلسطين الزاهر.. وأن أرض فلسطين ستكون أرض الخلافة في المستقبل، وسيهلك الدجال على أرض الصدق أرض فلسطين.. وعلى هذه الأرض الطاهرة ستكون نهاية يأجوج ومأجوج أكبر المفسدين في الأرض.

واللَّه لكأني أشم عبير فجرنا الصادق في قدسنا الحبيب.. يملأ أنفي أريجه الطاهر وعبقه الشذي.. وكأني أسمع من يحمل الراية، ويقول: يا خيل اللَّه، اركبي.

فانهضْ فهاتيك الرُّبى قدْ فوّحتْ ... بالعِطْرِ من عَبَق الجهـاد المُلْهِمِ
أمجادُ تـاريخٍ ووحـيُ نُبُـوّةٍ ... وجـلالُ إسـراءٍ وعِزَّةُ مسلِمِ
ورفيفُ آيـاتٍ تَمُوجُ بسـاحِها ... نُورًا فيغْمُـر من رُبًى أو مَعْـلَمِ
فانهضْ إذا أَوْفَيْتَ خُطّةَ مُؤْمِنٍ ... وصدقْتَ نهـجَ الفـارس المُتَرَسِّمِ

وتحفَّزَتْ كلُّ الرُّبى! يا حُسْنَها ... والغارُ فوقَ جبينِها والمِعْصَمِ
وازَّيَّنَتْ بالزاحفين كأَنَّهُمْ ... فَلَقُ الصَّبَاحِ جَلا عبيرَ العَنْدَمِ
كُلُّ الميادينِ التي هَيَّجْتَها ... هَبَّاتُ خَطَّارٍ وَلَهْفَةُ مُعْلَمِ
أَمَلٌ على أجفانِنا وكُبودِنا ... وعَلَى مُحَيَّانَا وفَوْقَ المَبْسَمِ
أملٌ كأن الفجرَ في بَسَمَاتِه ... ورفيفُه بين الطُّيوفِ الحُوَّمِ
ونَضُمُّ في أحنائِنا شَرَف الهوى ... والشوقَ بين مُجَنَّحٍ ومُكَتَّمِ
للَّه ما تَهْفُو القلوبُ إلى غدٍ ... زاهٍ على مَرِّ الزمانِ مُوَسَّمِ
ومواكِبُ الإيمانِ تجلو نصرَها ... لتعيدَ لألأَةَ الفُتُوحِ اليُتَّمِ[1]

❁ ❁ ❁

(١) من قصيدة «فلق الصباح» من «ملحمة فلسطين» للدكتور عدنان النحوي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
عداوة اليهود الملاعين للنبي سيد المرسلين	٥ ـ ١٣٦
* عداوة اليهود الملاعين للنبي سيد المرسلين	٧
(١) كفرهم بالنبي ﷺ وجدالهم في نبوته	٧ ـ ١١
(٢) تعنتهم في الأسئلة معه	١١ ـ ١٣
(٣) جدالهم مع النبي ﷺ	١٣ ـ ١٦
* وفي شأن المسيح عليه السلام	١٤
* وجادلوا النبي ﷺ في النسخ	١٤ ـ ١٥
* جدالهم معه في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام	١٥ ـ ١٦
(٤) إيذاؤهم لرسول اللّه ﷺ بالقول السيئ والخطاب القبيح	١٦ ـ ١٨
(٥) استهزاؤهم بالدين وشعائره	١٨ ـ ٢٠
(٦) بذر النفاق في المجتمع الإسلامي وإيجادهم المنافقين من العرب	٢٠ ـ ٢١
(٧) تظاهر بعض اليهود بالدخول في الإسلام نفاقًا	٢١
(٨) الوقيعة وإشعال الفتن بين المسلمين من الأوس والخزرج	٢١ ـ ٢٤
(٩) كيدهم للإسلام بالدخول فيه ثم الارتداد عنه	٢٤
(١٠) تلاعبهم بأحكام اللّه تعالى ومحاولتهم فتنة الرسول عند تقاضيهم إليه	٢٤ ـ ٢٥
(١١) تعييرهم من أسلم منهم وضغطهم عليهم	٢٥ ـ ٢٦
(١٢، ١٣) نقض عهودهم مع النبي ﷺ وحربهم إياه	٢٦
* غدر بني قينقاع	٢٦

الموضـــوع	الصفحة

بنو النضير ونقضها عهدها مع رسول اللَّه ﷺ ..... ٢٨ ـ ٣٢
* إجلاء بني النضير ..... ٣٢ ـ ٣٥
* مقتل عمرو بن جحّاش شيطان يهود لعنه اللَّه ٣٥
* بنو النضير وتحزيب الأحزاب ضد رسول اللَّه ﷺ ..... ٣٥ ـ ٣٧
* نقض بني قريظة للعهد ..... ٣٧ ـ ٤١
* غزوة بني قريظة ..... ٤١ ـ ٤٤
* سعد بن معاذ يحكم في اليهود بحكم اللَّه من فوق سبع سماوات ٤٤
* للَّه در سعد بن معاذ، ودر أم أوحدت به ٤٥
* ما فعله ﷺ ببني قريظة ٤٥
* قتل شيطان يهود حُيَيّ بن أخطب ٤٦
* على كل حال لا تعقلون.. هو واللَّه السيف ٤٧
* قتل شياطين اليهود أكابر مجرميها ٤٨
* مقتل كعب بن الأشرف ..... ٤٨ ـ ٥٠
* مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري رأس المحرضين للأحزاب ..... ٥٠ ـ ٥٢
* مقتل أسير بن زارم شيطان يهود ..... ٥٢ ـ ٥٣
* فتح خيبر معقل شياطين اليهود ٥٣
* اللَّه أكبر خربت خيبر ..... ٥٥ ـ ٥٦
* حصار حصون النطاة ..... ٥٦ ـ ٥٧
* «لأُعْطِيَنّ الراية غداً رجلاً يفتح اللَّه على يديه» ..... ٥٧ ـ ٦٠

الموضوع — الصفحة

* حصار اليهود في حصون الكتيبة ومصالحتهم ..... ٦١ ـ ٦٢
* يهود فدك وتيماء ووادي القرى ..... ٦٢ ـ ٦٣
* آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ..... ٦٣ ـ ٦٤
* إجلاء بقية اليهود ..... ٦٤ ـ ٦٥
(١٤) الحرب الاقتصادية ضد النبي ﷺ والمسلمين ..... ٦٥ ـ ٦٦
(١٥) شتمهم زوجات النبي ـ رضوان اللَّه عليهن ـ والتشبيب بهن، وشتم نساء المسلمين والخوض الدنيء في أعراضهن ٦٦
(١٦) محاولتهم قتل النبي ﷺ وسمهم إياه ..... ٦٧ ـ ٧١
(١٧) سمّ اليهود لأبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ ٧١
(١٨) إجلاء عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ لليهود عن جزيرة العرب .... ٧١ ـ ٧٣
* مقتل عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ..... ٧٣ ـ ٧٥
* لا نوافق أبدًا على قول محمد حسين هيكل وعبد اللَّه التل ٧٥
(١٩) مقتل عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ وراءه ابن السوداء عبد اللَّه بن سبأ اليهودي ..... ٧٥ ـ ٧٧
(٢٠) اليهود وتأليه علي، مثلما ألّهوا موسى ـ عليه السلام ـ ونشأة الشيعة على يد اليهود ..... ٧٧ ـ ٨١
(٢١) الفاطميون ونسبهم إلى ميمون بن ديصان اليهودي، وما فعلوه بإمام أهل السنة بمصر، وجناية «الإسماعيلية والباطنية» على الأمة المحمدية ..... ٨١ ـ ٨٣
* معد بن إسماعيل المعز لدين اللَّه أبو تميم الإمام الإسماعيلي الرابع وقتله لابن النابلسي إمام أهل السنة في مصر ..... ٨٣ ـ ٨٤

الموضـــوع	الصفحة
* العزيز باللَّه نزار	٨٤
* الحاكم بأمر اللَّه	٨٥
* المستنصر أبو تميم سعد بن الظاهر بن الحاكم	٨٥
(٢٢) القرامطة الذين فعلوا الأفاعيل بالمسلمين، وصلتهم باليهود	٨٨ ـ ٩٠
(٢٣) مصطفى كمال أتاتورك من يهود الدونمة.. هو واليهود أسقطوا الخلافة العثمانية وعزلوا السلطان عبد الحميد	٩١ ـ ٩٤
* هـ ـ س أرمسترونج والمخابرات البريطانية وراء اليهودي مصطفى كمال أتاتورك	٩٤ ـ ٩٧
(٢٤) خروج الدجال من اليهود، وخروجهم معه	٩٧ ـ ٩٩
* جزاء اليهود إخوان الخنازير والقرود	٩٩ ـ ١٠٠
* جزاء اليهود في الدنيا	١٠٠ ـ ١١٩
(٢٥) غضب اللَّه عليهم	١٠٠ ـ ١٠٣
(٢٦) لعنه إياهم	١٠٣
(٢٧) عقوبتهم بالتيه	١٠٣
(٢٨) ضُربت عليهم الذلة والمسكنة	١٠٤ ـ ١٠٥
(٢٩) سومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة	١٠٥ ـ ١٠٦
* قيامة الثأر	١٠٦
(٣٠) وقوع المسخ فيهم	١١٢ ـ ١١٣
(٣١) ابتلاؤهم بالطاعون	١١٣
(٣٢) الإصر والأغلال التي كانت على يهود، والتشديد عليهم	

الموضـــوع — الصفحة

في العبادة ..... ١١٤ ـ ١١٦
(٣٣) تقطيعهم في الأرض ١١٦
(٣٤) العداوة والغضاء قائمة بينهم إلى يوم القيامة وقلوبهم شتّى ١١٧
(٣٥) قتل المسلمين لليهود وانتصارهم عليهم ١١٨
* جزاؤهم في الآخرة ..... ١١٩ ـ ١٢٣
(٣٦) تعذيب اليهود في قبورهم ..... ١١٩ ـ ١٢١
(٣٧) تعذيبهم يوم القيامة ١٢١
(٣٨) دخولهم النار وخلودهم فيها ..... ١٢١ ـ ١٢٣
* نحن واليهود ١٢٣
(٣٩) تحريم موالاتهم ومحبتهم هم والنصارى ..... ١٢٣ ـ ١٢٦
(٤٠) قتل من سب رسول اللّه ﷺ ١٢٦
(٤١) إما الإسلام وإما الجزية وإما السيف ١٢٧
(٤٢) تحريم التشبه باليهود والنصارى ١٢٨
* في الصلاة ..... ١٢٩ ـ ١٣١
* ومن الجنائز ١٣١
* ومن الصوم ١٣١
* ومن الآداب والعادات ..... ١٣٣ ـ ١٣٥
* يا معشر يهود أسلموا تسلموا ١٣٥
* يا معشر يهود أسلموا ينجيكم اللّه من النار ويُؤتكم أجركم مرتين ويضاعف لكم الثواب ١٣٦

الموضـــوع	الصفحة

القدس لنا ولا حق لليهود في فلسطين ١٣٧ ـ ٢٠٢
* فلسطين كل فلسطين لنا يا أبناء الحيات والأفاعي ..... ١٣٩ ـ ١٤٣
* إبطال مزاعم إسرائيل التاريخية في فلسطين ١٤٣
* أولاً: فلسطين عربية منذ فجر التاريخ حتى اليوم ..... ١٤٣ ـ ١٤٨
* مناقشة هادئة ١٤٨
* مملكتا كفر وفساد ١٥١
* والحق أبلج لو يبغون رؤيته ..... ١٥١ ـ ١٥٣
* تنبيه هام ١٥٣
* حائط المبكى ملك للمسلمين والمسجد الأقصى ليس على أنقاض هيكل سليمان ١٥٣
* إحصائية دقيقة بعدد اليهود في فلسطين والقدس ..... ١٥٥ ـ ١٦٥
* عدد اليهود في القدس ١٦٥
* حقيقة دامغة ١٦٦
* حديث القرآن عن إفساد بني إسرائيل وعقوبتهم ١٦٦
* آيات سورة الإسراء ورأي بعض علماء العصر ١٦٧
* تفنيد هذا الرأي وأدلة ذلك ..... ١٦٧ ـ ١٧٠
* حقيقة هامة ..... ١٧٠ ـ ١٧٢
* مزاعم إسرائيل الدينية في القدس وفلسطين ١٧٢
* وقفة متأنية لمناقشة الدعوى اليهودية للشيخ يوسف القرضاوي ١٧٢ ـ ١٧٥
* الحكم العدل حرّم الظلم على نفسه ١٧٥

الصفحة

الموضـــوع

* وعد مشروط لم يفِ اليهود بشرطه ١٧٥
* اليهود نقضوا عهد الرب ..... ١٧٥ ـ ١٧٩
* منطق القرآن: الأرض يرثها الصالحون ١٧٩
* حقيقة يذكرها الدكتور جمال حمدان ١٨٠
* وأخطر من هذه الحقيقة ١٨١
* للَّه درك يا جمال حمدان: اليهود ليسوا من بني إسرائيل .... ١٨١ ـ ١٨٣
* الأشكناز أوروبيون تهودوا ١٨٣
* آريون لا ساميون ..... ١٨٤ ـ ١٨٧
* وغاب عنه ـ رحمه اللَّه ـ ١٨٧
* خيانة بل خيانات ..... ١٨٧ ـ ١٩٢
* هل امتلك إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ أرض كنعان ..... ١٩٢ ـ ١٩٤
* حقائق ..... ١٩٤ ـ ١٩٦
* لا أبدية للتملك ١٩٦
* إبراهيم ـ عليه السلام ـ وذريته ومنهم أنبياء بني إسرائيل ومن اتبعوهم كانوا على الإسلام ونحن أولى بهم من اليهود ..... ١٩٦ ـ ١٩٨
* نحن أولى بأنبياء بني إسرائيل من اليهود، فقد نعتهم اليهود بأقبح النعوت ..... ١٩٨ ـ ٢٠١
* يا معشر يهود يا أبناء الأفاعي ٢٠١

العقيدة السلفية أولاً لو كانوا يعلمون ٢٠٣ ـ ٣٣٤

* العقيدة السلفية أولاً لو كانوا يعلمون ..... ٢٠٥ ـ ٢١٢

الموضـــوع	الصفحة
* ومن هذه الشروط.....	٢١٢ ـ ٢١٣
* تمييع الإخوان لقضية «الولاء والبراء» وأخطاء فادحة وكلمات خطيرة لا تقبل منهم ولا من الشيخ حسن البنا رحمه اللَّه....	٢١٣ ـ ٢١٨
* الاستاذ حامد أبو النصر مرشد الإخوان والخطأ العقائدي الكبير ـ غفر اللَّه له ـ وقوله: «لا نعادي اليهود من أجل دينهم»	٢١٨
* وإليك الطامة الكبرى.....	٢١٨
* الرد على هذه الأخطاء الشنيعة.....	٢١٨
* نحن لا نكفّر أحدًا إلا بيقين وبعد قيام الحجة عليه.....	٢٣٠ ـ ٢٣٦
* حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى هي من أجل العقيدة.....	٢٣٦
* المجد للعذراء Ave Mary لا عاصفة الصحراء أيها البُله	٢٣٨ ـ ٢٣٩
* لا وألف لا للقرضاوي ـ غفر اللَّه له ـ.....	٢٣٩
* الرد على القرضاوي: الحرب والعداوة بيننا وبين اليهود حرب من أجل العقيدة ومن أجل الأرض، والجهاد في الإسلام جهاد دفع وجهاد طلب.....	٢٤٢ ـ ٢٤٤
* يا بن الإسلام يا بن عقيدتي.....	٢٤٤
* ما هكذا يا شيخ قرضاوي تورد الإبل: دعاة الإخوان يسيرون في هذه النقطة على نهج المدرسة العقلية.....	٢٤٤
* الشيخ محمد عبده.....	٢٤٤ ـ ٢٥٠
* يا شيخ يوسف القرضاوي: الجهاد في الإسلام ليس جهاد دفع فقط بل هو جهاد دفع وطلب.....	٢٥٠

الصفحة

الموضـــوع

* لآلئ للاستاذ سيد قطب أحلى من الشهد وأرق من نسيم السحر ٢٥١
* يا شيخ يوسف القرضاوي: قصر الجهاد في الإسلام على جهاد الدفع فقط بدعة شنيعة، فالجهاد جهاد دفع وطلب..... ٢٥٣ ـ ٢٥٥
* من قال بهذه البدعة غير المدرسة العقلية وغير الدكتور القرضاوي ومن رد عليهم من أهل العلم..... ٢٥٥ ـ ٢٥٧
* إجماع أهل العلم على جهاد الطلب..... ٢٥٧
* ولأصحاب هذه البدعة نقول..... ٢٥٨
* لقد مرّ الجهاد في تشريعه بمراحل..... ٢٥٨ ـ ٢٦٢
* هدف الجهاد الأكبر تعبيد الناس للّه وحده وإخراجهم من العبودية للعباد..... ٢٦٢ ـ ٢٦٨
* لا للوحدة مع العلمانيين والالتقاء مع اليساريين. لابد أن تسير خطواتنا كلها وفق منهج اللّه: ولاء وتعاونًا وشعارًا وفكرًا وممارسة..... ٢٦٨
* فريق يرى التعاون مع منظمة التحرير..... ٢٦٩
* وفريق يرى ضرورة قيام العمل الإسلامي المتميز..... ٢٦٩
* كلمات للحياة..... ٢٨٣
* الولاء للّه وللرسول..... ٢٨٤
* أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين..... ٢٨٩
* من فم قادة حزب اللّه ندينهم، فهم شيعة اثنا عشرية أسيادهم علماء قم وإيران:..... ٢٩١

الموضـــوع	الصفحة
* صلة حزب اللَّه بمنظمة أمل	٢٩٣ ـ ٢٩٥
* مثياق حزب اللَّه ينص على أنه شيعي إمامي اثنا عشري جعفري	٢٩٥
* الخميني إمام حزب اللَّه ضال مضل شيعي اثنا عشري جعفري متطرف	٢٩٦
* الخميني الضال يذهب إلى تحريف القرآن	٢٩٧
* الخميني الضال المضل المغالي في أئمته الاثنا عشر	٣٠٠
* ونحن نقول عن الخميني أنه إمام من أئمة الكفر	٣٠١
(١) الاتجاه الوثني عنده	٣٠١
(٢) اعتقاده تأثير الكواكب والأيام على حركة الإنسان وهو قول الصابئة الكفار	٣٠٢
(٣) قوله بالحلول والاتحاد	٣٠٢
* قوله بالحلول الخاص	٣٠٢
* ب: قوله بالحلول والاتحاد الكلي	٣٠٣
* ثالثًا: دعوى النبوة	٣٠٤
* الخميني يكفر صحابة رسول اللَّه ﷺ عامة ويصرح بتكفير الشيخين	٣٠٥
* ونكفر الخميني بتفضيله مهدي الشيعة المنتظر على النبي ﷺ	٣٠٦
* حزب اللَّه من الشيعة الإمامية الاثنا عشرية الجعفرية ـ وهذه معتقداتهم الكفرية	٣٠٧

الصفحة

الموضـــوع

* تكفير علماء الأمـــة للشيعة الإمـــامية الاثنا عشـرية بسبب تكفيرهم للصحابة ولعنهم إياهم ..... ٣٠٨ ـ ٣١١
* ولذا كفرهم الأئمة ٣١١
* الإمام مالك ٣١١
* الإمام أحمد ٣١٢
* وقال البخاري ـ رحمه اللَّه ـ ٣١٣
* وقال ابن حزم ..... ٣١٣ ـ ٣١٦
* للمخدوعين في «حزب اللَّه» الاثنى عشري نقول ٣١٦
* سلوا التاريخ يخبركم عن الرافضة الاثنى عشرية ٣١٦
* وللرافضة دور خبيث في عدم قيام دولة إسلامية في أفغانستان ٣١٨
* الدولة الصفوية ترعرعت بشيعة لبنان ولا ينكر هذا حسن نصر اللَّه ـ وهي التي ذبحت أهل السنة ٣١٨
* حسن نصر اللَّه وسوريا وإيران ٣٢٠
* حقيقة النجاح العسكري لحزب اللَّه ٣٢١
* شعارات لتخدير المغفّلين لا تنطلي علينا ٣٢٢
* حسن نصر اللَّه والسلام ٣٢٣
* حزب اللَّه مبتدعة حتى النخاع ٣٢٤
* تمخض الجبل فولد فأرًا ٣٢٦
* وأخيرًا ٣٢٧
* وللَّه در القائل ٣٢٨

الموضـــوع	الصفحة
* ويقول عن دعاة القومية العلمانية	٣٢٨
* ولله دره حين يقول	٣٢٩
* يقول أحمد فرح عقيلان	٣٣٠
* ويقول	٣٣١
* ويقول أحمد فرح عقيلان مصوراً حال العرب ومنهم الشعب الفلسطيني	٣٣٢
* ويقول أحمد صدّيق	٣٣٣
* ويقول عدنان النحوي في المعنى نفسه	٣٣٣
* ويقول أحمد فرح عقيلان مبيناً أن النصر لا يكون إلا بوحدة في ظل العقيدة والإسلام	٣٣٤
إسلامية الراية	٣٣٥ - ٣٣٧
* ضاعت فلسطين براية القومية العربية والثورة العربية عام ١٩١٧م	٣٣٧
* آه يا قدساه	٣٤٤
* القوميون ثورة على الإسلام . . وكلهم كاذب، قالوا وما فعلوا	٣٤٦
* لماذا نتدسس بالإسلام وننحيه عن قيادة المعركة واليهود عقيدتهم تعلو على كل شيء عندهم والمعركة يديرها التلمود	٣٤٧
* بين رجلين وكلمتين	٣٥٠
* لو علت راية الإسلام لما كانت هذه الأرجحة من الراقصين على الحبال، فالإسلام لا يعرف التلون	٣٥٢

الصفحة

الموضـــوع

* إشفاقًا على أبنائنا ٣٥٣
* وضاعت فلسطين.. وضاعت القدس لما أصبحت رايتها علمانية ٣٥٨
* كلهم علمانيون.. وكلهم ياسر عرفات ٣٦٦
* من عطروا التاريخ وزينوه.. ومن ذبحوا التاريخ ودنسوه ٣٦٨
* عودوا إلى اللّه تعودوا إلى فلسطين ٣٧٠
* للّه درك من امرأة.. أم خالد الحسن أبعد نظرًا من قادة فتح، وأكثر منهم وعيًا وعمقًا ٣٧١

فلسطين الأمل والمستقبل ٣٧٣ - ٤٨١

* فلسطين الأمل والمستقبل ٣٧٥
* الفجر المسلم عن أرض فلسطين المباركة والأمل الوضيء ٣٧٦
* أولاً: قتال اليهود ٣٧٧
* الإفسادان مع هذه الأمة وليس مع غيرها ٣٧٧
* الإفساد الأول كان في المدينة، وقضاء الرسول ﷺ والصحابة عليه ٣٧٩
* دولة اليهود اليوم هي الإفساد الثاني والأخير ٣٨١
* المعركة مع اليهود ذات مرحلتين ٣٨٤
* المرحلة الأولى: هزيمة وإزالة وليس إبادة ٣٨٤
* المرحلة الثانية: مرحلة الإبادة والإفناء ٣٩٠
* ثانيًا: نزول الخلافة الإسلامية بيت المقدس ٣٩٣
* ثالثًا: ظهور المهدي واستقراره ببيت المقدس ٣٩٦

الموضـــوع	الصفحة
* مبايعة صالحي الشام للمهدي ـ عليه السلام ـ	٣٩٩
* نزول المهدي بيت المقدس وصلاته بعيسى ـ عليه السلام ـ إمامًا	٤٠٠
* درر نفيسة لمحدث العصر الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ	٤٠٢
* هدنة قبل الملحمة العظمى	٤٠٤
* رابعًا: الملحمة العظمى، ونصر مسلمي الأرض المقدسة على الروم	٤٠٥
* خامسًا: يا خيل اللَّه اركبي	٤١١
* فتوحات إسلامية غالية تنطلق من الأرض المقدسة	٤١١
(أ) فتح القسطنطينية	٤١١
(ب) فتح روما عاصمة إيطاليا	٤١٤
(جـ) فتح الهند على يد أهل الشام زمن المهدي ـ عليه السلام ـ	٤١٤
* سادسًا: خروج الدجال وهلاكه بيد المسيح ـ عليه السلام ـ على أرض فلسطين المباركة	٤١٦
* علامات خروج الدجال	٤١٨
* مكان خروجه	٤٢٦
* مدة مكثه في الأرض	٤٢٧
* أما عن صفاته الخَلْقية	٤٣٢
* أتباعه	٤٣٥
* ما يعصم الإنسان من فتنة الدجال	٤٤٠
* أولاً: الاستعاذة باللَّه من شر فتنته، والإكثار منها لا سيما	

الموضـــوع الصفحة

في التشهد الأخير في الصلاة ٤٤٠
* ثانيًا: أن يحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ٤٤٠
* ثالثًا: أن يبتعد عنه ولا يتعرض له ٤٤٠
* رابعًا: أن يسكن مكة والمدينة؛ فإنهما حرمان آمنان منه، ومثلهما المسجد الأقصى والطور ٤٤١
* قتال الطائفة المنصورة له، وحصاره لهم في بيت المقدس ٤٤٣
* هوان الدجال على اللَّه ـ عز وجل ـ ٤٤٤
* هلاكه على يد عيسى ـ عليه السلام ـ على أرض فلسطين المباركة ٤٤٤
* قصة المسيح الدجال ونزول عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقتله إياه بفلسطين، على سياق رواية أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ مضافًا إليها ما صحّ عن غيره من الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ ٤٤٧
* سابعًا: نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وإقامته في الأرض المقدسة، وقتله للدجال ولمن بقي من اليهود وإبادتهم إبادة تامة ٤٦٦
* قتله الدجال في منطقة اللدّ بفلسطين ٤٧٠
* قتله لمن بقي من اليهود من أتباع الدجال ٤٧١
* إخراج الأرض بركاتها في زمانه ـ عليه السلام ـ ٤٧٣
* حفظ الطائفة التي تقاتل معه من النار ٤٧٣
* زيارته لقبر الرسول ﷺ ٤٧٣

الموضـــوع	الصفحة
* ثامنًا: نهاية فتنة يأجوج ومأجوج على الأرض المقدسة	٤٧٤
* كون خروجهم من علامات الساعة الكبرى	٤٧٥
* قوتهم وبطشهم الشديد الذي لا قدرة لأحد به	٤٧٦
* هلا اتعظ اليهود إخوان الخنازير والقرود	٤٧٩
* تاسعًا: طيب العيش بعد المسيح ـ عليه السلام ـ في الأرض المقدسة بل والأرض بأسرها	٤٧٩
* عاشرًا: خروج الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين من الأرض المقدسة	٤٨٠
* وأخيرًا: حشر الناس إلى بيت المقدس أرض المحشر والمنشر	٤٨١
الطريق إلى القدس والأقصى لن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها	**٤٨٣ ـ ٥٤٤**
* الطريق إلى القدس والأقصى	٤٨٥
(١) توبة الأمة الإسلامية وعودتها إلى اللَّه ـ عز وجل ـ وبُعدها عن المعاصي، فإنما تنصر الأمة بالطاعة	٤٨٥
(٢) إخلاص النية للَّه سبحانه وتعالى والصدق معه	٤٨٦
(٣) تربية جيل النصر على عقيدة أهل السنة والجماعة	٤٨٨
(٤) وحدة الأمة الإسلامية على أساس من وحدة العقيدة يعني كلمة التوحيد مع توحيد الكلمة	٤٨٩
(٥) تحرير الولاء للَّه ورسوله والمؤمنين، وبغض اليهود والنصارى والشيوعين وكل الكافرين	٤٩١
* «يا مسلمون.. هذه هي أمريكا؟» تقرير بدون تعليق	٤٩١

الصفحة

الموضـــوع

* نص ترجمة كلماتهم تحت عنوان «الرؤساء الأمريكيون يتحدثون: ماذا تعني إسرائيل بالنسبة لي؟» ٤٩١
(٦) الراية الإسلامية لمعركتنا القادمة ٤٩٤
* العالم المصري الفذ جمال حمدان وقوله عن الإسلام: «ما دخل العرب التاريخ إلا بفضل الإسلام» ٤٩٥
(٧) تبصير المؤمنين بحال وحقيقة اليهود المجرمين ٤٩٧
* معرفتنا للعدو وامتثال لأمر ربنا ﴿**وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**﴾ ٥٠٠
* عوامل الضعف الخطيرة التي تهدد الكيان الإسرائيلي بالهزيمة ٥٠٠
* نحو استراتيجية لمواجهة الخطر الصهيوني ٥٠١
* صدام محتمل من أجل القدس ٥٠٢
* ثقافة السلام ٥٠٢
* استعداء العالم على الإسلام ٥٠٤
* طبيعة الجولة القادمة مع الصهيونية ٥٠٦
* كيف تكفر إسرائيل؟ للأستاذ الدكتور حامد ربيع ٥٠٧
* انهيار الولايات المتحدة قريبًا جدًّا ٥٠٨
* هل تمثل أمريكا اليوم مرحلة احتضار الحضارة؟ ٥٠٨
(٨) استراتيجية إسلامية بعيدة المدى وكوادر علمية تحيط بالواقع علمًا ٥٠٩
* والحل سهل مع صدق النية واللجوء إلى اللَّه ـ عز وجل ـ ٥١١
* تعبئة الموارد الإسلامية وتحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال

الموضـــوع	الصفحة
الطعام والسلاح	٥١٢
* استراتيجية إسلامية طويلة المدى	٥١٢
(٩) المقاطعة التامة لبضائع اليهود وأمريكا الصليبية	٥١٣
(١٠) الزهد وقصر الأمل والبعد عن الترف واللهو وحب الموت وكراهية الدنيا	٥١٨
* خدريهم يا كوكب الشرق	٥١٩
(١١) دور العلماء الربانيين في إيقاظ الأمة.. نحن بحاجة إلى مثل سلطان العلماء وبائع الملوك والأمراء عزالدين بن عبدالسلام	٥٢١
* عز الدين بن عبد السلام ينكر علي ملك دمشق التنازل عن ديار المسلمين، وعقد الصلح مع الفرنجة الصليبيين المعتدين	٥٢٣
(١٢) التوكل على اللَّه وحده	٥٢٦
(١٣) بالدعاء والعبرات يتنزل النصر من السماوات	٥٢٧
(١٤) الجهاد في سبيل اللَّه سبيلنا الوحيد.. سبيل المتقين لعودة القدس وفلسطين	٥٢٨
(١٥) الثقة واليقين بنصر اللَّه للمؤمنين، وأن شمس الإسلام لا تغيب، والغد كل الغد لنا في القدس والأقصى	٥٤٢
* فهرس الموضوعات	٥٤٥

* * *

تذكير النفس بحديث القدس

واقدساه

تأليف

الدكتور سيد حسين العفاني

الجزء الرابع

الناشر
مكتبة معاذ بن جبل
ت ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠

توزيع
دار العفاني
ت وفاكس ٠٨٢٣١٧٣٤٤

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الأولى

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

بني سويف ت: ٠٨٢/ ٣١٧٣٤٤

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠١ / ٢٧٢٧

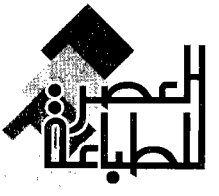

هـاتـف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكـس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨

تذكير النفس
بحديث القدس
واقدساه

بسم الله الرحمن الرحيم

القدس

فتاوى العلماء
في
حكم الصلح مع اليهود
وحكم العمليات الفدائية

فتاوى العلماء في حكم الصلح مع اليهود

أي مكانة أعزّ وأعلى من مكانة المُفتين الموقعين عن رب العالمين، وقلمهم سيد الأقلام وأشرفها إن اتقوا اللَّه عز وجلّ، فهم سادة الدنيا وملوك الآخرة.

وحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يُعِدَّ له عُدَّته، وأن يتأهب له أُهبته، وأن يعلم قدْر المقام الذي أُقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به؛ فإن اللَّه ناصره وهاديه، وكيف لا وهو المنصب الذي تولاّه بنفسه رب الأرباب، فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ...﴾ [النساء: ١٢٧] وكفى بما تولاه اللَّه بنفسه شرفًا وجلالة»[١].

وليعلم المفتي عمن ينوب في حكمه وفتواه، وليوقن أن مسئول غدًا وموقوف بين يدي اللَّه.

هذا المنصب الشريف به بعثت الرسل، وبالقيام به قامت السماوات والأرض وقد تولاه النبي ﷺ وكبار الصحابة والعلماء.

والفتوى دين فلينظر المستفتي عمن يأخذ دينه.

● وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى لا يُقدّس أمة لا يُعطون الضعيف منهم حقه**»[٢].

---

(١) «إعلام الموقعين» لابن القيم (١/ ٨) ـ دار الحديث.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح =

ولا أضعف من فلسطين هانت على الناس جميعها وهان على الناس أمرها وكتم علماء السوء حقها وفضلها والواجب تجاهها.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «أي الذين يخفون شيئًا مما أنزل اللَّه في كتابه، فلا يبلّغونه للناس مهما يكن موضوعه، أو يخفون معناه عنهم بتأويله، أو تحريفه، أو وضع غيره في موضعه برأيهم، واجتهادهم، ويستبدلون بما يكتمونه ثمنًا قليلاً من متاع الدنيا الفاني، كالرشوة والجُعل على الفتاوى الباطلة، أو قضاء الحاجات عند الناس، وغير ذلك من المنافع المؤقتة إذا اتخذوا الدين تجارة»[1].

ورحم اللَّه عبد اللَّه بن المبارك حين يقول:

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها
لقد رتع القوم في جيفة ... يبين لذي العقل إنتانها

* قول من يقول: «إن الصلح مع إسرائيل كصلح الحديبية» قول داعر:

هذه فتوى سوداء ضاعت بها الأمة. إنه ليس أشنع من خيانة المستأمن، وليس أبشع من تفريط المستحفظ، وليس أخس من تدليس المستشهد.. يخونون ويفرطون ويدلسون ويحرفون الكلم عن مواضعه.

= الجامع» رقم (١٨٥٤).

(١) «تفسير المنار» (٢/ ١٠٢).

* وقد قال رسول اللَّه ﷺ : «**غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال الأئمة المضلون**»[1] .

▫ ويرحم اللَّه من قال عن الذين يُلَوّنون الفتاوى حسب أمزجة الحكام، ويبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم:

إذا قيل هذا الماء نار رأيته ... عليها مجوسيًّا عريق المذاهب
وإن قيل هذي النار ماء رأيته ... يردّد للينبوع شوق السباسب
وإن قيل هذا الفجر قبر رأيته ... من الثكل يستجدي دموع النّواكب
وإن قيل هذا القبر فجر رأيته ... أذان مُصَلٍّ هزّ سمع الكواكب

▫ الاستسلام لإسرائيل الذي تسمونه زورًا وبهتانًا وإفكًا مبينًا سلامًا هو كصلح الحديبية الذي سماه اللَّه فتحًا مبينًا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ .

سلام عليكم سقاه الضباب ... وركبانه من قديم الأزلْ
بأجوائكم بُحّ صوت الضياء ... وتابوته في حماكمْ نزلْ
وواحاتكم من قديم الدهور ... يُغرّد فيها انتحار الأملْ

فأي سلام هذا الذي تقرونه سلام!!!

- من أجل أن تحصل إسرائيل على الشرعية.. وتأمن المستقبل.

- من أجل أن تندمج إسرائيل في المحيط العربي والإسلامي، وبالتالي تحقق أهداف وجودها بالنسبة لها وللغرب.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» عن أبي ذر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٦٥)، و«السلسلة الصحيحة» (١٩٨٩).

- من أجل فك الطوق من حول إسرائيل، وبالتالي حل مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة.

- من أجل أن تصبح إسرائيل شريكًا لنا في ثرواتنا.. ومن أجل أن تصبح جسرًا يعبر الغرب من فوقه.. وذريعة للتدخل في شؤوننا.

- من أجل أن يجرد العرب من أسلحتهم، وبالتالي تهديد أمنهم، والحيلولة دون استقلالهم ووحدتهم.

- من أجل تأمين المصالح الاستعمارية في بلادنا.. ومن أجل رهن العرب والمسلمين باسم حل قضية فلسطين!!

- من أجل تهجير يهود العالم.. وخلق واقع جديد.. وتوليد خطر أكيد، ولتطبق سيطرة الصهيونية والصليبية على أمتنا.. وهذا غيض من فيض.

الصلح المزعوم هو عبارة عن هدنة مطلقة غير محددة بمدة معلومة، وهذا لا يجوز؛ لأنه تعطيل لشعيرة الجهاد في سبيل اللَّه بل ذهب كثير من أهل العلم إلى أنه لا تجوز الهدنة أكثر من عشر سنوات - وهي المدة التي صالح عليها الرسول ﷺ قريشًا في الحديبية، وهي الحادثة التي يحتج بها الكثير من مؤيدي الصلح.

وبغض النظر عن هذا القول، فإنه مما لا شك فيه أنه لا يجوز عقد هدنة أبدية مع أي طائفة من طوائف الكفار، لا اليهود ولا غيرهم، قال في «المغني» (١٣/ ١٥٤): «.. لا يجوز المهادنة مطلقًا من غير تقدير مدة؛ لأنه يفضي إلى ترك الجهاد بالكلية..».

إن تاريخ اليهود هو سجل حافل بالغدر والخيانة والتآمر، وقد خانوا عهدهم مع أفضل الخلق ﷺ فكيف يكون مع غيره.

يقول أحد زعمائهم «مناحم بيجن» في كتابه «الثورة: قصة الأرجون» كما في كتاب «نظرية الأمن الإسرائيلي» ص(١٧): «لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل، ولا في أرض إسرائيل، ولن يكون هناك سلام للعرب، ولا في أرض العرب، وستستمر الحرب بيننا وبينهم، حتى لو وقّع العرب معنا معاهدة صلح...».

* قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٠٠] إنهم يفتعلون أكثر من مفهوم لأي بند كما حصل في اتفاقيات «كامب ديفيد» ثم يحققون ما يريدون على ضوء الفهم الذي فسروا به بنود الصلح.

إن وراء جهود المصالحة خطة أبعد لإنهاء حالة العداء بين جميع الشعوب والأديان من منطلق «النظام الدولي الجديد» الذي يفترضون فيه أن تنتهي الخصومات والحروب بين الشعوب في ظل هيمنة العالم الغربي.

وسيترتب على ذلك نزع السلاح ـ خاصة من أيدي المسلمين ـ بحجة أنه لا مسوغ له بعد المصالحة، كما سيترتب عليه ـ وهذا هو الأهم ـ جهود ضخمة للتطبيع، وتغيير المناهج الدراسية والسياسات الإعلامية وغيرها لحذف كل ما يعتقدون أنه إساءة إلى اليهود، ومنع الحديث عن هذه الأمور باعتباره إساءة إلى إحدى الدول المجاورة أو القريبة، ويمكن مراجعة الوثائق الخطيرة المنشورة في كتاب «التطوير بين الحقيقة والتضليل» وكتاب «التاريخ بين الحقيقة والتضليل» للدكتور جمال عبد الهادي. وسيترتب عليه رفع الحظر عن بضائعهم، وتبادل الخبرات والمصالح والمعلومات المتنوعة معهم. ولذلك بدأت الصحافة تطالعنا بمقالات وتحقيقات وندوات تؤكد أنه لم يعد هناك أعداء للإسلام، وأننا يجب أن

نقيم علاقتنا مع الجميع على ضوء المصالح المتبادلة فحسب!

٥ ـ الجلوس على مائدة المفاوضات مع اليهود، وعقد اتفاقيات الصلح الدائم معهم هو اعتراف بدولتهم وحقهم في أرض فلسطين، ونزع لملكية الأمة المسلمة لهذه الأرض المباركة بغير حق، وبغير رضا أو قبول من أصحاب الحق ـ وهم المسلمون ـ وهذا لا يجوز، وهو عقبة في وجه الأجيال التي ستعمل على تحرير بلاد الإسلام من الغاصبين، فإذا لم يتمكن المسلمون الآن من إعلان الجهاد على اليهود. فلا أقل من أن يفتحوا الطريق لمن يصنع ذلك، وقد علمنا يقينًا من الحديث المتفق عليه عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن للمسلمين معركة حاسمة مع اليهود، يقول فيها الحجر والشجر: «**يا مسلم يا عبد اللَّه هذا يهودي ورائي فاقتله**». وفي حديث نهيك بن صريح: على نهر الأردن! نعم على نهر الأردن بالذات!

٦ ـ من هو الذي يملك ـ شرعًا ـ أن يعقد الصلح مع اليهود؟ إن النبي ﷺ حين أراد مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة استشار السعدين ـ وهم أهل الأرض ـ فهل استشير الصالحون من أهل فلسطين في ذلك؟ ومن هو ولي أمرهم المتكلم باسمهم!!!

٧ ـ هل هناك معركة قائمة الآن بيننا وبينهم؟ أصحيح أن مثل هذا الخسف والهوان الذي يسمى السلام سيضع حدًّا لمعاناة المسلمين في فلسطين؟ أم أنه سيجعل كافة الأطراف ضدهم في آن واحد؟ ومتى حدث في حقب التاريخ كلها أن يستولي الكفار على دولة إسلامية ثم يلتقي المسلمون على مائدة المفاوضات ليكتبوا لهم وثيقة اعتراف واستسلام، ويمنحوهم المزيد من المكاسب المادية والمعنوية؟!

إن النبي ﷺ حين هم بمصالحة غطفان لحماية أرض المسلمين ورد العدو حتى يتقوى المسلمون على قتالهم، وحين علم كراهية الأنصار لذلك رفضه، فكان ذلك خيراً عظيماً للمسلمين، في كسر شوكة الأحزاب، وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً. أما الاستسلام المعروض اليوم فليس معه جهاد ولا إعداد ولا تقوية للمسلمين في المستقبل، ولم يتم ذلك عن مشورة المسلمين ولا عن موافقتهم.

❑ نشرت مجلة الفتح التي كان يرأس تحريرها محب الدين الخطيب ـ رحمه اللَّه ـ في مجلدها الصادر عام ١٣٥٦هـ عدد كبير من فتاوى العلماء من مختلف بلدان العالم الإسلامي يستنكر الموقعون عليها قيام دولة يهودية وأخرى عربية فكيف إذا كانت المسألة مصالحة اليهود الذين استولوا على فلسطين كلها ويصرون على عدم قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة.

❑ ومنها فتوى هذه نصها:

* **من علماء نجد إلى الملك ابن سعود:**

الاستنكار لتأسيس دولة يهودية في فلسطين

إلى حضرة إمام المسلمين عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، أيد اللَّه به الدين وحمى به حوزة الإسلام والمسلمين.

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، وبعد:

وفقك اللَّه، فقد بلغنا أنه يراد جعل فلسطين حكومة يهودية وحكومة عربية إسلامية، ولا يخفى عليك ـ سلمك اللَّه ـ أن جعل ولاية لليهود في بلاد الإسلام أمر باطل ومحرم؛ لأنه يعود على الإسلام وأهله

والحرمين الشريفين والبلاد المقدسة بأكبر الخطر وأعظم الضرر وكل من عنده غيرة دينية وهمة عربية يأنف ذلك ويأباه ويشمئز منه أعظم اشمئزاز، ويغار للَّه ولدينه ولحرمته أعظم غيرة. وغير خاف عليكم أن هذه الديار للعرب والمسلمين من قديم الزمان، فيجب على إمام المسلمين ـ أيده اللَّه ـ أن يقوم في إبطال هذا الفادح العظيم، غيرة للَّه ولرسوله ولدينه ولحرماته، وجميع المسلمين في نجد وغيرها قد غضبوا من هذا الأمر، وتحمسوا منه أشد الحماسة. ونحن ـ علماء المسلمين ـ لا نجيز ذلك ولا نقره ولا نقبله بأي طريق»[1].

❁ ❁ ❁

(١) مجلة الفتح ـ العدد ٥٦٣ الصادر بتاريخ ١٢ جمادى الآخرة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٦م.

* نداء علماء الأزهر سنة ١٩٤٧ إلى أبناء العروبة والإسلام بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين وحماية المسجد الأقصى:

بعد قرار تقسيم فلسطين الذي وافقت عليه الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ والذي يقضي بإقامة دولة يهودية، وأخرى فلسطينية على أرض فلسطين، قام علماء الأزهر الشريف بتوجيه ندائهم إلى أبناء العروبة والإسلام بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين وحماية المسجد الأقصى، وفيما يلي نص النداء:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا معشر المسلمين... قضي الأمر، وتألبت عوامل البغي والطغيان على فلسطين، وفيها المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين ومنتهى إسراء خاتم النبيين صلوات اللّه وسلامه عليه.

قضي الأمر، وتبين لكم أن الباطل ما زال في غلوائه، وأن الهوى ما فتئ على العقول مسيطرًا، وأن الميثاق الذي زعموه سبيلاً للعدل والإنصاف ما هو إلا تنظيم للظلم والإجحاف، ولم يبق بعد اليوم صبر على تلكم الهضيمة التي يريدون أن يرهقونا بها في بلادنا، وأن يجثموا بها على صدورنا، وأن يمزقوا بها أوصال شعوب وحد اللّه بينها في الدين واللغة والشعور.

إن قرار هيئة الأمم المتحدة قرار من هيئة لا تملكه، وهو قرار باطل جائر ليس له نصيب من الحق ولا العدالة، ففلسطين ملك العرب والمسلمين، بذلوا فيها النفوس الغالية والدماء الزكية، وستبقى إن شاء اللّه ملك العرب والمسلمين

وهم أهل الباطل، وليس لأحد كائنًا من كان أن ينازعهم فيها أو يمزقها.

وإذا كان البغاة العتاة قصدوا بالسوء من قبل هذه الأماكن المقدسة فوجدوا من أبناء العروبة والإسلام قساورة ضراغم ذادوا عن الحمى، وردوا البغي على أعقابه مقلم الأظافر محطم الأسنة، فإن في السويداء اليوم رجالاً وفي الشرى أسادًا، وإن التاريخ لعائد بهم سيرته الأولى ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

* يا أبناء العروبة والإسلام:

لقد أعذرتهم من قبل، وناضلتم عن حقكم بالحجة والبرهان ما شاء اللَّه أن تناضلوا حتى تبين للناس وجه الحق سافرًا، ولكن دسائس الصهيونية وفتنتها وأموالها قد استطاعت أن تجلب على هذا الحق المقدس بخيلها ورجلها، فعميت عنه العيون، وصمت الآذان والتوت الأعناق، فإذا بكم تقفون في هيئة الأمم وحدكم، ومدعو نصرة العدالة يتسللون عنكم لواذًا بين مستهين بكم، وممالئ لأعدائكم ومتستر بالصمت متصنع للحياد، فإذا كنتم قد استنفذتم بذلك جهاد الحجة والبيان، فإن وراء هذا الجهاد الإنقاذ لحقٍّ وحمايته جهادًا سبيله مشروعة، وكلمته مسموعة، تدفعون به عن كيانكم ومستقبل أبنائكم وأحفادكم، فذودوا عن الحمى، وادفعوا الذئاب عن العرين، وجاهدوا في اللَّه حق جهاده.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[النساء: ٧٦].

* يا أبناء العروبة والإسلام:

خذوا حذركم فانفروا ثباتًا أو انفروا جميعًا، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الأماجد قد خرّوا أمام الظلم ساجدين، أو قبلوا الذل صاغرين.

إن الخطب جلل، وإن هذا اليوم الفصل وما هو بالهزل، فليبذل كل عربي وكل مسلم في أقصى الأرض وأدناها من ذات نفسه وماله ما يرد عن الحمى كيد الكائدين وعدوان المعتدين.

سدوا عليهم السبل، واقعدوا لهم كل مرصد، وقاطعوهم في تجارتهم ومعاملاتهم، وأعدوا فيما بينكم كتائب الجهاد، وقوموا بفرض اللَّه عليكم، واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله، وأن من يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من اللَّه وإثم عظيم.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة: ١١١].

فإذا كنتم بإيمانكم قد بعتم اللَّه أنفسكم وأموالكم. فها هو ذا وقت البذل والتسليم، وأوفوا بعهد اللَّه يوف بعهدكم، وليشهد العالم غضبتكم للكرامة، وذودكم عن الحق ولتكن غضبتكم هذه على أعداء الحق وأعدائكم لا على المحتمين بكم ممن لهم حق المواطن عليكم وحق

الاحتماء بكم، فاحذروا أن تعتدوا على أحد منهم إن اللَّه لا يحب المعتدين ولتتجاوب الأصداء في كل مشرق ومغرب بالكلمة المحببة إلى المؤمنين:

الجهاد، الجهاد، الجهاد، واللَّه معكم.

* **وقد وقع على الفتوى كل من فضيلة:**

الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الجامع الأزهر، الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية، الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل شيخ الأزهر، الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية السابق، الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير الجامع الأزهر والمعاهد الدينية، الشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية، الشيخ عبد الجليل عيسى شيخ كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، الشيخ الحسيني سلطان شيخ كلية أصول الدين، الشيخ عيسى منون شيخ كلية الشريعة، الشيخ محمد الجهني شيخ معهد القاهرة، الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ القسم العام، الشيخ محمد الغمراوي المفتش بالأزهر، الشيخ إبراهيم حمروش، الشيخ محمود شلتوت، الشيخ إبراهيم الجبالي، الشيخ محمد الشربيني، الشيخ محمد العتريس، الشيخ محمد عرابة، الشيخ حامد محيسن، الشيخ عبد الفتاح العناني، الشيخ محمد عرفة، الشيخ فرغلي الريدي، الشيخ أحمد حميدة، الشيخ محمد أبو شوشة، الشيخ علي المعداوي، الشيخ عبد الرحمن عليش، أعضاء جماعة كبار العلماء وكثير غير هؤلاء من العلماء والمدرسين في الكليات والمعاهد الأزهرية في القاهرة والأقاليم المصرية.

* ثانياً: فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بتحريم الصلح مع الكيان الإسرائيلي ووجوب الجهاد:

اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر في يوم الأحد ١٨ جمادي الأولى سنة ١٣٧٥ الموافق (أول يناير سنة ١٩٥٦م) برئاسة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتي الديار المصرية سابقًا وعضوية السادة أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقًا (الشافعي المذهب)، والشيخ محمد شلتوت عضو جماعة كبار العلماء (الحنفي المذهب) والشيخ محمد الطنيخي عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والإرشاد (المالكي المذهب) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبلي المذهب) وبحضور الشيخ زكريا البري أمين الفتوى.

ونظرت في الاستفتاء الآتي وأصدرت فتواها التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الإسلامية في إبرام الصلح مع إسرائيل التي اغتصبت فلسطين من أهلها، وأخرجتهم من ديارهم وشردتهم نساء وأطفالاً وشيبًا وشبانا في آفاق الأرض واستلبت أموالهم واقترفت أفظع الآثام في أماكن العبادة والآثار والمشاهد الإسلامية المقدسة، وعن حكم

التواد والتعاون مع دول الاستعمار التي ناصرتها وتناصرها في هذا العدوان الأثيم وأمدتها بالعون السياسي والمادي لإقامتها دولة يهودية في هذا القطر الإسلامي بين دول الإسلام، وعن حكم الأحلاف التي تدعو إليها دول الاستعمار والتي في مراميها تمكين إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها، وفي ذلك تركيز لكيانها وتقوية لسلطانها مما يضيق الخناق على جيرانها ويزيد في تهديدها لهم ويهيئ للقضاء عليهم.

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل ـ كما يريده الدعوان إليه ـ لا يجوز شرعًا لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه، وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه. وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه. ففي الحديث الشريف: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد**» وفي حديث آخر: «**على اليد ما أخذت حتى ترد**». فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم على أي وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة في أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعًا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحي ومصلى الأنبياء الذي بارك اللّه حوله، وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية من أيدي هؤلاء الغاصبين وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا

السبيل وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[الأنفال: ٦٠]، ومن قصر في ذلك أو فرط فيه أو خذل المسلمين عنه أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة، وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والإسلام، وضد هذا القطر العربي الإسلامي فهو - في حكم الإسلام - مفارق جماعة المسلمين، ومقترف أعظم الآثام. كيف ويعلم الناس جميعًا أن اليهود يكيدون للإسلام وأهله وديارة أشد الكيد منذ عهد الرسالة إلى الآن، وأنهم يعتزمون أن لا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى، وإنما تمت خططهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهر النيل والفرات. وإذا كان المسلمون جميعًا - في الوضع الإسلامي - وحدة لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام، فإن الواجب شرعًا أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدي الغاصبين. قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

وأما التعاون مع الدول التي تشد أزر هذه الفئة الباغية وتمدها بالمال والعتاد، وتمكن لها من البقاء في هذه الديار فهو غير جائز شرعًا، لما فيه من الإعانة لها على هذا البغي والمناصرة لها في موقفها العدائي ضد الإسلام وديارة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقد جمع اللَّه ـ سبحانه ـ في آية واحدة جميع ما تخيله الإنسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته، وعلى تجارته التي يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء وحذر المؤمنين من التأثر بشيء من ذلك واتخاذه سببًا لموالاتهم فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوي فيها إمدادهم بما يقوي جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأى والفكرة وبالسلاح والقوة ـ سرًّا وعلانية ـ مباشرة وغير مباشرة. وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات. ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف التي تدعو

إليها الدول الاستعمارية وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية ابتغاء الفتنة وتفريق الكلمة والتمكين لها في البلاد الإسلامية والمضي في تنفيذ سياستها حيال شعوبها لا يجوز لأي دولة إسلامية أن تستجيب لها وتشترك فيها لما في ذلك من الخطر العظيم على البلاد الإسلامية وبخاصة فلسطين الشهيدة التي سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نكاية في الإسلام وأهله وسعيًا لإيجاد دولة لها وسط البلاد الإسلامية لتكون تكأة لها في تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين في أنفسهم وأموالهم وديارهم، وهي في الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهي عنها شرعًا، والتي قال اللَّه تعالى فيها: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض في القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التي تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾

ونحن الموقعين على هذه الوثيقة نعلن للمسلمين في هذه الظروف الصعبة أن اليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، اغتصبوا فلسطين، واعتدوا على حرمات المسلمين فيها وشردوا أهلها، ودنسوا مقدساتها، ولن يقر لهم قرار حتى يقضوا على دين المسلمين، وينهوا وجودهم ويتسلطوا عليهم في كل مكان.

ونحن نعلن بما أخذ اللَّه علينا من عهد وميثاق في بيان الحق أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، وأنه لا يجوز بحال من

الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين، وليس لشخص أو جهة أن تقر اليهود على أرض فلسطين أو تتنازل لهم عن أي جزء منها أو تعترف لهم بأي حق فيها.

إن هذا الاعتراف خيانة للّه ورسوله وللأمانة التي وكل إلى المسلمين المحافظة عليها، واللّه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وأي خيانة أكبر من بيع مقدسات المسلمين، والتنازل عن بلاد المسلمين إلى أعداء اللّه ورسوله والمؤمنين.

إننا نوقن بأن فلسطين أرض إسلامية وستبقى إسلامية وسيحررها أبطال الإسلام من دنس اليهود كما حررها الفاتح صلاح الدين من دنس الصليبيين، ولتعلمن نبأه بعد حين، وصلى اللّه على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد وقع على الفتوى ٦٣ عالمًا من ثماني عشرة دولة[1].

فتوى علماء فلسطين

السؤال: ما الحكم الشرعي في مؤتمر (مدريد) والصلح مع إسرائيل؟

الجواب: يحرم شرعًا المشاركة في مؤتمر مدريد؛ لأن من أهدافه التوصل إلى صلح مع إسرائيل. وبالتالي إسباغ الشرعية على وجودها في أرض فلسطين المباركة.. وإقرارها على عدوانها واغتصابها لأرض المسلمين وديارهم ومقدساتهم وأموالهم.. ومن ثم مساعدتها على تحقيق أهدافها العدوانية.

(١) «الطريق إلى بيت المقدس» د. جمال عبد الهادي (٣/ ٢٠٧ ـ ٢١٤).

* والأدلة الشرعية على هذه الفتوى كثيرة، نوجز منها ما يلي:

أولاً: قال اللَّه تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾والصلح مع إسرائيل إقرار للظلم، وقد نزلت الرسالات وبعثت الرسل لإقرار الحق والعدل.

ثانيًا: قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. والصلح مع إسرائيل سيشفع بمعاهدات اقتصادية وغيرها.. مما يحقق مصالح المعتدي.

ثالثًا: قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. والفتنة قادمة مع الصلح. وإسرائيل قائمة على الظلم. ولم تنته عن ظلمها.

رابعًا: قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾. أنتم الأعلون لأنكم على الحق.. فالحق يعلو.

خامسًا: قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. وإقرار الغاصب هو عين الإثم والعدوان.

سادسًا: أجمع العلماء على أن كل مسلم يحمل المسلمين على الهوان أو إقرار العدوان واستلاب الحقوق فهو حرام. وأدلة المجمعين لا

حصر لها.

سابعًا: من أسباب تشريع الجهاد، دفع الظلم والبغي.. وعقد الصلح فيه قطع لاستمرار فريضة الجهاد وقد قام سببه. ويجب أن يستمر الجهاد حتى يستنفد أغراضه.. وتزول أسبابه.. والرسول ﷺ يقول: «... **والجهاد ماض..**» أي إلى يوم القيامة.

ثامنًا: أجمع العلماء على وجوب الجهاد.. وجوبًا عينيًّا، حال استيلاء العدو على جزء من أرض المسلمين، وإخراج أهلها الشرعيين.

تاسعًا: قال العلماء: «إذا اقتضت ظروف المسلمين إيقاف القتال.. جاز ذلك مهادنة.. لا سلما ولا صلحًا».

نعم فالهدنة المؤقتة جائزة شرعًا.. إذا رأى خليفة المسلمين في ذلك مصلحة للمسلمين. أما الصلح الدائم فلم يقل أحد بجوازه. خصوصًا عندما يكون فيه تفريط بديار المسلمين ومصالحهم. أما ما يحتج به البعض.. من أن صلاح الدين الأيوبي قد عقد صلح الرملة مع الصليبيين، فإن ذلك لم يكن في حقيقته صلحًا، بل كان هدنة، بدليل أنه كان مؤقتًا بثلاث سنين وثلاثة أشهر.

عاشرًا: الحاكم المسلم.. الذي تختاره الأمة، هو المخول بعقد الهدنة لمصلحة الأمة، وهو غير مخول بعقد الصلح الدائم. وأي عقد يحل حرامًا.. فهو باطل حتى لو عقده الخليفة، فكيف بنا اليوم، وولاء الحكام لغير أمتهم، واعتزازهم بغير حضارتها، وهمهم نهب ثرواتها وتعويق مسيرتها، والمساومة على حقوقها؟!

وبعدُ يحرم شرعًا المشاركة في مؤتمر مدريد؛ لأن من أهدافه

التوصل إلى صلح مع إسرائيل. وبالتالي إسباغ الشرعية على عدوانها واغتصابها لأرض المسلمين وديارهم ومقدساتهم وأموالهم، ومن ثم مساعدتها على تحقيق أهدافها العدوانية، ويعتبر هذا الصلح كبيرة من الكبائر، وخيانة للَّه ورسوله وللمؤمنين، وهذا ما أجمع عليه العلماء.

وعليه: فعقد الصلح باطل شرعًا.. ثم أخلاقًا، ثم عرفًا دوليًّا، والأمة غير ملزمة به، ولا تتحمل مسئولياته، ولها الحق في التعامل معه بالوجه الذي تراه مناسبًا، حاضرًا ومستقبلاً.

ألا هل بلغنا... اللَّهم فاشهد

الجمعة ٢٤ ربيع الثاني ١٤١٢هـ
الموافق ١/ ١١/ ١٩٩١م.

مؤتمر علماء فلسطين
المسجد الأقصى المبارك
بيت المقدس

الشيخ عبد العزيز بن باز والقضية الفلسطينية

الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ هو سيد الفقهاء في عصرنا ومجدد زماننا وإن رغمت أنوف.. وموقفه من القضية الفلسطينية موقف إمام رباني يقظ عالم بواقع الأمة لا يعيش في كهف من كهوف الزمن.. نور يمشي على الأرض، وتأتي هذه الفتوى التي نسوقها لتخرس كل الألسنة التي لا تنطق بالحق وتأكل لحوم العلماء وهي مسمومة فإلى فتوى الشيخ فهي شافية كافية..

سُئل الشيخ: كيف السبيل وما هو المصير في القضية الفلسطينية

التي تزداد مع الأيام تعقيداً وضراوة؟

فأجاب: إن المسلم ليأمل كثيراً، ويأسف جداً من تدهور القضية الفلسطينية من وضع سيء إلى وضع أسوأ منه، وتزداد تعقيداً مع الأيام حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في الآونة الأخيرة، بسبب اختلاف الدول المجاورة، وعدم صمودها صفًّا واحداً ضد عدوها، وعدم التزامها بحكم الإسلام الذي علق اللَّه عليه النصر ووعد أهله بالاستخلاف والتمكين في الأرض، وذلك ينذر بالخطر العظيم، والعاقبة الوخيمة، إذا لم تسارع الدول المجاورة إلى توحيد صفوفها من جديد، والتزام حكم الإسلام تجاه هذه القضية، التي تهمهم وتهم العالم الإسلامي كله، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية أولاً وأخيراً، ولكن أعداء الإسلام بذلوا جهوداً جبارة لإبعادها عن الخط الإسلامي، وإفهام المسلمين من غير العرب، أنها قضية عربية، لا شأن لغير العرب بها، ويبدو أنهم نجحوا إلى حد ما في ذلك، ولذا فإنني أرى أنه لا يمكن الوصول إلى حل تلك القضية، إلا باعتبار القضية إسلامية، وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها، وجهاد اليهود جهاداً إسلاميًّا حتى تعود الأرض إلى أهلها، وحتى يعود شذاذ اليهود إلى بلادهم التي جاءوا منها، ويبقى اليهود الأصليون في بلادهم، تحت حكم الإسلام، لا حكم الشيوعية ولا العلمانية، وبذلك ينتصر الحق، ويخذل الباطل، ويعود أهل الأرض إلى أرضهم على حكم الإسلام، لا على حكم غيره واللَّه الموفق. .[1]

(١) «مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز» ـ الجزء الأول ص(٢١٨).

العمليات الانتحارية أو الاستشهادية
ما الحكم الشرعي فيها؟

الإفتاء توقيع عن رب العالمين.. ويا له من موقف ترتعد منه أفئدة كبار العلماء الربانيين وجلاً وخشية للَّه رب العالمين.

● وقد قال ﷺ: **«من أُفْتِي بفُتيا غير ثبت، فإنما إثمه على من أفتاه»** (١)

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«من أُفتِيَ بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه»** (٢).

فليس الأمر حماسة ولا عاطفة وإنما هو علم وأدلة ولا مجال للطعن في الثقات، أو أن نضيق واسعًا طالما روعيت الضوابط الشرعية والمصالح العامة.

والأمر يحتاج إلى دراسة مستفيضة من علماء ربانيين من أهل الاجتهاد: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

وهذه العمليات كثر حولها القيل والقال بين موافق ومعارض من العلماء:

فمن ذهب إلى عدم جوازها الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه اللَّه، والشيخ الألباني حرمها الآن، وجوّزها بإذن الخليفة أو القائد المولى من قِبَله.

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٤٥).

(٢) حسن: رواه أبو داود، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٤٤)، و«تخريج المشكاة» رقم (٢٤٢).

❑ وذهب إلى جوازها الشيخ القرضاوي، والدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر، والشيخ حامد البيتاوي رئيس رابطة علماء فلسطين، وجبهة علماء الأزهر وغيرهم.

❑ قال الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية: «إن هذه الطريقة لا أعلم لها وجهًا شرعيًّا، وأخشى أن تكون من قتل النفس».

قول الشيخ الألباني في العمليات الانتحارية

* **لا يجيزها إلا بإذن من الخليفة أو قائد الجيش المُولّى من قِبَله:**

❑ قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ:

«هذه عرفناها من اليابانيين وأمثالهم...

نحن نقول: العمليات الانتحارية كلها غير مشروعة وكلها محرمة، وقد تكون من النوع الذي يُخلد صاحبه في النار، وقد تكون من النوع الذي لا يخلد صاحبه.

أما أن تكون عملية الانتحار قربة يتقرّب بها إلى اللَّه إنسان يقاتل في سبيل أرضه، في سبيل وطنه، هذه العمليات ليست إسلامية إطلاقًا، بل أنا أقول اليوم ما يمثّل الحقيقة الإسلامية، وليس الحقيقة التي يريدها بعض المسلمين المتحمّسين.

أقول: اليوم لا جهاد في الأرض الإسلامية إطلاقًا. هناك قتال في كثير من البلاد، أما جهاد يقوم تحت راية إسلامية، ويقوم على أساس أحكام إسلامية، ومن هذه الأحكام أن الجندي لا يتصرف باجتهاد من

عنده إنما هو يأتمر بأمر قائده.

وهذا القائد ليس هو الذي نصّب نفسه قائدًا، وإنما هو الذي نصّبَه خليفة المسلمين، فأين خليفة المسلمين اليوم؟ أين الخليفة؟ بل الحاكم الذي رفع راية الإسلام ودعا المسلمون أن يلتفوا حوله، وأن يُجاهدوا في سبيل اللَّه عز وجل، هذا لا وجود له.

فالجهاد الإسلامي يُشترط أن يكون تحت راية إسلامية، هذه الراية الإسلامية لا وجود لها.. فإذن جهاد إسلامي لا وجود له إذن انتحار إسلامي لا وجود له.

أنا أعني انتحارًا قد كان معروفًا من قبل في عهد القتال بالحراب وبالسيوف وبالسهام.

نوع من هذا القتال كان يشبه الانتحار.

مثلاً:

حينما يهجم فرد من أفراد الجيش بسيفه على كردوس على جماعة من الكفار المشركين فيعمل فيهم ضربًا يمينًا ويسارًا فهذا في النادر قلّ ما يسلم، فهل يجوز له أن يفعل ذلك؟

نقول: يجوز ولا يجوز.

إذا كان قائد الجيش - هو في زمن الرسول ﷺ هو الرسول ﷺ أَذِن له جاز له ذلك، أما أن يتصرّف في نفسه فلا يجوز له؛ لأنها مخاطرة ومغامرة إن لم نقل مُقامرة تكون النتيجة خاسرة.. لا يجوز إلا بإذن الحاكم المسلم أو الخليفة المسلم لِمَ؟

لأن المفروض في هذا الخليفة المسلم أن يقدر الأمور حق قدرها،

وهو يعرف متى ينبغي أن يهجم مئة من المسلمين على ألف أو أقلّ أو أكثر فيأمرهم بالهجوم وهو يعلم أنه قد يُقتل منهم عشرات لكن يعرف أن العاقبة للمسلمين.

فإذا قائد الجيش المسلم المُوَلَّى لهذه القيادة من الخليفة المسلم أمر جنديًّا بطريقة من طرق الانتحار العصرية يكون هذا نوعًا من الجهاد في سبيل اللَّه عز وجل، أما انتحار باجتهاد الشباب المتحمِّس كما نسمع اليوم عن أفراد يتسلّقون الجبال، ويذهبون إلى جيش من اليهود ويقتلوا منهم عددًا، ثم يُقتلون ما الفائدة من هذه الأمور؟

هذه تصرفات شخصية لا عاقبة لها لصالح الدعوة الإسلامية إطلاقًا؛ لذلك نحن نقول للشباب المسلم: حافظوا على حياتكم»ا.هـ.

* وقفة مع كلام سيدنا الشيخ الإلباني ـ رحمه اللَّه ـ:

للشيخ الألباني في القلوب مكانة سامية، وهو في شغاف القلب نتقرب إلى اللَّه بحبه ولي مع كلامه ـ وأنا الحقير وهو الجليل القدير ـ وقفة ووقفات.

● في حديث جابر بن سمرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لن يبرح هذا الدين قائمًا يُقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»**[1].

□ أليس «لن يبرح، ولا تزال» أفعال تفيد الاستمرار؟ أي استمرار القتال على الدين ورسول اللَّه ﷺ قد أشار إلى أنه سيأتي على

---

(١) رواه مسلم.

المسلمين زمان لا يكون لهم فيه إمام، ومع ذلك فقد نص ﷺ على استمرار القتال. ووجود الطائفة المجاهدة القائمة بأمر اللَّه وهي باقية إلى نزول عيسى عليه السلام، قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي بأمر اللَّه لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم ظاهرون على الناس**»[١].

* هل يُشترط وجود خليفة للمسلمين للقيام بالفرض الكفائي للجهاد؟

والجواب أن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة لم تُشِر إلى مثل هذا الشرط.

يقول صاحب «الروضة الندية» في حكم الجهاد:

«هذه فريضةٌ من فرائض الدين أوجبها اللَّه تعالى على عباده المسلمين من غير تَقييدٍ بزمنٍ، أو مكانٍ، أو شخصٍ، أو عدلٍ، أو جور..»[٢].

وفي ذلك يقول الشيخ تقي الدين النبهاني أيضًا:

«الجهادُ فرضٌ مطلق، ليس مقيدًا بشيء، ولا مشروطًا بشيء. فالآية مطلقة ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ فوجودُ الخليفة لا دخل له في فرض الجهاد. بل الجهاد فرضٌ سواءٌ كان هناك خليفةٌ للمسلمين، أم لم يكن إلا أنه حين يكون للمسلمين خليفة قد انعقدت خلافتُه شرعًا، ولم يخرُج عنها بأي سببٍ من أسباب الخروج - فإن أمر الجهاد موكول إلى الخليفة واجتهاده ما دام خليفةً حتى ولو كان فاجِرًا، ويلزمُ الرعيةَ طاعتُه

---

(١) متفق عليه.

(٢) «الروضة الندية» لصديق حسن خان (٢/ ٤٨٠).

فيما يرى من ذلك، ولو أمر أي واحدٍ منهم أن يغزو مع فاجر، لما روى أبو داود بإسناده إلى أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الجهادُ واجبٌ عليكم مع كل أميرٍ برًّا كان أو فاجرًا**». . فإذا عُدِم الخليفةُ لم يؤخَّر الجهاد ولا بوجهٍ من الوجوه؛ لأن مصلحته تفوتُ بتأخيره».

أقول: وهذا الحكم هو الذي جاء في كتب الفقه الإسلامي. . يقول ابن قدامة في «المُغني»: «وأمرُ الجهاد موكولٌ إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعتُه فيما يراه من ذلك. . ـ ثم يقول ـ: ويغزو كل قومٍ من يليهم إلا أن يكون في بعض الجهات من لا يفي به من يليه فينقُلُ [ـ يعني: الإمام ـ] إليهم قومًا من آخرين، ويتقدمُ إلى من يُؤَمِّره أن لا يحمل المسلمين على مهلكة. . فإن عُدِمَ الإمام لم يؤخر الجهاد؛ لأن مصلحتَه تفوتُ بتأخيره»[1] [2].

* هل وجود خليفة للمسلمين شرط للقيام بالجهاد الذي هو فرض عين؟

[والجواب أن وجود الخليفة ليس شرطًا في القيام بالجهاد الذي هو فرض كفاية، فمن باب أوْلى، إذن، أن لا يكون شرطًا في القيام بالجهاد الذي هو فرض عين.

وأما كيف يتأدى القيام بهذا الجهاد فإن الأمر فيه راجعٌ إلى أمر القتال المُعيَّن من قبل السلطة العليا، أو المتفق عليه من قبل المُقاتلين في

(١) «المغني» لابن قدامة (١٠/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

(٢) «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» للدكتور محمد خير هيكل (٢/ ٨٧١، ٨٧٢) ـ دار البيارق.

حالة غياب الأمير المُعين ـ فإذا تعذرَ هذا وذاك، وفجأَ العدو أو تعينَ القتالُ وجب دفعُ العدو كيفما أمكن.

جاء في «المغني»: «إذا جاء العدو صار الجهادُ فرضَ عين فوجب على الجميع، فلم يجُز لأحدٍ التخلفُ عنه، فإذا ثبت هذا، فإنهم لا يخرجون إلا بإذن الأمير؛ لأنَّ أمر الحربِ موكولٌ إليه، وهو أعلم بكثرة العدو وقلتهم، ومكامن العدو وكيدهم، فينبغي أن يُرجع إلى رأيه؛ لأنه أحوط للمسلمين إلا أن يتعذر استئذانُه لمُفاجأةِ عدوهم لهم فلا يجب استئذانه؛ لأن المصلحة تتعين في قتالهم والخروج إليهم لتعيُّن الفساد في تركهم، ولذلك لما أغار الكفارُ على لقاح النبي ﷺ فصادَفهُم سلمة ابن الأكوع خارجًا من المدينة ـ تبعهم، فقاتلهم، من غير إذنٍ. فمدحه النبي ﷺ. وقال: «**خيرُ رَجَّالتنا سلمةُ بن الأكوع**»[1]»[2].

▫ فليس وجود الإمام شرطًا للقيام بفرض القتال للأعداء، وذلك أن آيات القرآن في شأن القتال جاءت مطلقة غير مقيدة بمثل هذا الشرط كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، ثم قد ورد في السيرة النبوية أن أبا بصير قتل العامري، وأخذ السلب، وقد كان أبو بصير في حالته تلك، لا إمام عليه، إذ لم يكن تحت حكم الرسول ﷺ بعد أن سلّمه عليه الصلاة والسلام لمبعوثيْ قريش؛ لأنه كما قال الإمام ابن القيم: كان قد «فُصل عن يد الإمام وحكمه»[3].

---

(١) «المغني» لابن قدامة (١٠/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، و«صحيح مسلم» (١٨٠٧).

(٢) «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» (٢/ ٨٨٩).

(٣) «زاد المعاد» لابن القيم (٣/ ٣٠٩).

قال ابن قدامة في «المغني» (١٠/ ٥٢٥) معلقًا على قصة أبي بصير ما نصّه: «فيجوز حينئذ لمن أسلم من الكفار أن يتحيّزوا ناحية، ويقتلون من قدروا عليه من الكفار، ويأخذون أموالهم، ولا يدخلون في الصلح، وإن ضمّهم الإمام إليه بإذن من الكفار دخلوا في الصلح، وحُرّم عليهم قتل الكفار وأموالهم».

ويستدل أيضًا بفعل الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم ـ في غزوة مؤتة بعد مقتل الأمراء الثلاثة الذين أمَّرهم النبي ﷺ، فاتفقوا على تأمير خالد بن الوليد، وقد رضي النبي ﷺ صنيعهم هذا.

● روى البخاري بسنده عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خَطَب رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد اللَّه ابن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح اللَّه عليه، وما يسرهم أنهم عندنا**»، قال أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ: «وإن عينيه لتَذْرفان» حديث (٣٠٦٣)، وفي رواية أخرى للبخاري عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ: «**حتى أخذ الراية سيف من سيوف اللَّه حتى فتح اللَّه عليهم**» حديث (٤٣٦٣).

قال ابن حجر: ـ لما قُتل ابن رواحة ـ «ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم الأنصاري، فقال: اصطَالحوا على رجل، فقالوا: أنت لها، قال: لا، فاصالحوا على خالد بن الوليد، وروى الطبراني من حديث أبي اليسر الأنصاري قال: أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب عبد اللَّه ابن رواحة، فدفعها إلى خالد بن الوليد، وقال له: أنت أعلم بالقتال مني». «فتح الباري» (٧/ ٥١٢)، وقال ابن حجر أيضًا: وفيه جواز التأمر في

الحرب بغير تأمير ـ أي بغير نص من الإمام ـ، قال الطحاوي: «هذا أصل يؤخذ منه على المسلمين أن يقدموا رجلاً إذا غاب الإمام يقوم مقامه إلى أن يحضر». «فتح الباري» (٧/ ٥١٣). وقال ابن حجر كذلك: قال ابن المنيِّر: «يؤخذ من حديث الباب أن من تعين لولاية وتعذرت مراجعة الإمام أو الولاية تثبت لذلك المعيّن شرعًا وتجب طاعته حكمًا»، كذا قال، ولا يخفى أن مثله معناه ما إذا اتفق الحاضرون عليه. «فتح الباري» (٦/ ١٨٠).

وقال ابن قدامة الحنبلي: «فإن عدم الإمام لم يؤخر الجهاد؛ لأن مصلحته تفوت بتأخيره، وإن حصلت غنيمة قسمها أهلها على موجب الشرع، قال القاضي: ويؤخر قسمة الإماء حتى يظهر إمام احتياطًا للفروج، فإن بعث الإمام جيشًا وأمَّر عليه أميرًا فقُتِل أو مات، فللجيش أن يؤمّروا أحدهم كما فعل أصحاب النبي ﷺ في جيش مؤتة لما قتل أمراؤهم الذين أمَّرهم النبي ﷺ، أمّروا عليهم خالد بن الوليد ـ رضي اللَّه عنه ـ، فبلغ النبي ﷺ فَرضِيَ أمرهم وصوَّبَ رأيهم، وسمى خالدًا «سيف اللَّه». «المغني والشرح الكبير» (١٠/ ٣٧٤).

وهذا قول البخاري «كتاب الجهاد ـ باب من تأمّر في الحرب بغير إمرة (٦/ ١٨٠)»، وقول ابن حجر والطحاوي وابن المنيّر وابن قدامة وشيخ الإسلام.

وهناك دليل آخر، وهو حديث عبادة بن الصامت ـ رضي اللَّه عنه ـ: «دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهِنا وعُسرِنا ويُسرِنا وأثرة علينا، وأن لا

ننازع الأمر أهله، قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من اللَّه فيه برهان**» متفق عليه، وهذا لفظ مسلم. فها هو الخليفة أو الإمام قد كَفَرَ وسقطت ولايته. ويجب الخروج عليه وقتاله وعزله ونصب إمام عادل، وهذا واجب بإجماع الفقهاء كما نقل ذلك النووي وابن حجر «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٢/ ٢٢٩) و«فتح الباري» (١٣/ ٧، ٨، ١٢٣). فهل نقول لا نخرج على الحاكم الكافر إذ لا إمام، ومن أين لنا الإمام وقد كَفَرَ ووجب الخروج عليه، أم ننتظر إمامًا مُغَيَّبًا ونترك المسلمين لفتنة الكفر والفساد؟ أيقول بهذا مسلم؟ إن الحديث السابق فيه تصريح من النبي ﷺ بمقاتلة الإمام والخروج عليه إذا كَفَرَ. فنحن نسأل أصحاب هذه الشبهة كيف يُقاتِل المسلمون في هذه الحالة حيث لا إمام؟ والرد الشرعي: أن يفعلوا كما فعل الصحابة في مؤتة فيؤمروا أحدهم.

«واستمرار القتال في حالة عدم وجود المسلمين تحت سلطة إمام يستوي فيه أن يكون القتال هجوميًّا أو دفاعيًّا؛ وذلك لأن قتال أبي بصير العامري، وقتله، كان دفاعيًّا لكي يتخلص من قبضة عدوه. وقتاله مع رفاقه لأصحاب عير قريش، واغتنامهم لتلك العير كان هجوميًّا، وفي كل ذلك لم يكونوا تحت سلطة إمام، فقد كان أبو بصير بادئ الأمر أمير نفسه، ثم صار أمير تلك العُصبة القليلة المجاهدة التي أقضت مضاجع قريش»[1].

* قال تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ**﴾ [النساء: ٨٤].

---

(١) «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).

قال القرطبي ما نصه: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾ ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده. ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**واللَّه لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي**»(١)، وقول أبي بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ وقت الردة: ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي»(٢).

وعلى هذا سار المسلمون، فلم يرد أنهم كانوا يوقفون القتال في الفترة التي كان يموت فيها الإمام إلى أن يتولى إمام غيره. وقد بقي المسلمون بعد مصرع آخر خليفة عباسي في بغداد على يد التتار، مدة طويلة ولا إمام عليهم، إنما بقي أمراء على الأقاليم، وظل القتال مع العدو ماضيًا لم يتوقف.

قال الزيني دحلان: «انقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم، وبقيت الدنيا بلا خليفة ثلاث سنين ونصف سنة.. وكان دخول التتر بغداد وقتلهم الخليفة المستعصم في العشرين من المحرم سنة ٦٥٦هـ»(٣).

وقال أيضًا: «في شهر رجب من هذه السنة أعني سنة تسع وخمسين وستمائة قدم شخص إلى مصر من بني العباس.. فبايعه الملك السلطان بيبرس والعلماء والناس بالخلافة»(٤).

ورغم انعدام الإمام في هذه الفترة فقد خاض المسلمون معركة هي

---

(١) السالفة: صفحة العنق، والعنق والرقبة كناية عن الذات، والمراد: حتى ولو انفردت في القتال وحدي، وللعبارة معنى آخر غير مرادها هنا، وهو كناية عن الموت.

(٢) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٩٣).

(٣) «الفتوحات الإسلامية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٦٢).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٧٠)، وانظر: «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٣١)، ٦٥٩هـ، وفيها بويع أول خليفة عباسي بمصر.

من مفاخر المسلمين إلى اليوم وهي معركة عين جالوت ضد التتار في عام ٦٥٨هـ، حدث هذا مع توافر أكابر العلماء ـ كعز الدين بن عبد السلام وغيره ـ ولم يقل أحد كيف نجاهد وليس لنا خليفة؟ بل إن قائد المسلمين في هذه المعركة «سيف الدين قطز» كان قد نَصَبَ نفسه بنفسه سلطانًا على مصر بعد أن عزل ابن أستاذه من السلطنة لكونه صبيًّا صغيرًا، ورضي بذلك القضاة والعلماء وبايعوا قطزًا سلطانًا، وعَدَّ ابن كثير فعل قطز هذا نعمة من اللَّه على المسلمين إذ ـ به ـ كسرَ اللَّه شوكةَ التتار «البداية والنهاية» (٢١٦/١٣) كما عَدَّ ابن تيمية هذه الطوائف التي قاتلت التتار في تلك الأزمنة من الطائفة المنصورة، فقال: أمّا الطائفة بالشام ومصر ونحوهم، فهُم في هذا الوقت المقاتلون عن دين الإسلام وهم من أحق الناس دخولاً في الطائفة المنصورة «مجموع الفتاوى» (٥٣١/٢٨).

وهذه القصة، من سيرة السلف الصالح، فيها رد على شبهة «لا جهاد بلا إمام» بالإضافة إلى الأدلة النَّصِّية، وهي حديث غزوة مؤتة وحديث عبادة بن الصامت فيما إذا كفر الإمام.

* **تنبيه هام**: الأصل في حالة وجود الإمام، أن يكون هو المرجع في تدبير أمور القتال. جاء في «المغني» لابن قدامة ما نصه: «فصل: وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته»[1].

وجاء في «تفسير القرطبي»: «قال سهل بن عبد اللَّه التستري:

---

(١) «المغني» لابن قدامة (٣٧٣/١٠).

أطيعوا السلطان في سبعة: في ضرب الدراهم والدنانير، والمكاييل والموازين، والأحكام، والحج، والجمعة، والعيدين، والجهاد»[١].

فهذا هو الأصل في قتال الأعداء أين يكون التدبير فيه للإمام حال وجوده وتجب فيه طاعته عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

* أما في وجود الإمام: وليس هذا في عصرنا هذا ولا في أيامنا هذه.

فاختلف العلماء في القتال بدون إذن الإمام:

□ الرأي الأول: أنه حرام:

جاء في «المغني» لابن قدامة: «لا يخرجون إلا بإذن الأمير إلا أن يتعذر استئذانه لمفاجأة عدوهم فلا يجب استئذانه... لتعين الفساد في تركهم»[٢].

وجاء في موضع آخر: «إذا دخل قوم لا منعة لهم دار الحرب بغير إذن الإمام فغنموا، فعن أحمد فيه ثلاث روايات: (إحداهن): أن غنيمتهم كغنيمة غيرهم يُخمّسه الإمام.. و(الثانية) هو لهم من غير أن يخمِّس.. (والثالثة) أنه لا حق لهم فيه.. لأنهم عصاة بفعلهم ما لم يكن لهم فيه حق، والأُوْلى أوْلى»[٣].

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٥٩).
(٢) «المغني» (١٠/ ٣٩٠).
(٣) «المغني» (١٠/ ٥٣٠ ـ ٥٣١).

الرأي الثاني: القتال بدون إذن الإمام مكروه وليس بحرام.

جاء في «المهذب»: «فصل: ويُكره الغزو من غير إذن الإمام، والأمير مِن قِبَله؛ لأن الغزو على حسب الحاجة، والأمير أعرف بذلك، ولا يحرم؛ لأنه ليس فيه أكثر من التغرير بالنفس، والتغرير بالنفس، يجوز في الجهاد»[١].

وجاء في «مختصر المزني»[٢]: «وإن غزت طائفة بغير إذن الإمام كرهته لما في إذن الإمام من معرفته بغزوهم ومعرفتهم، ويأتيه الخبر عنهم، فيُعينهم، حيث يخاف هلاكهم فيقتلون ضيعة. قال الشافعي: ولا أعلم ذلك يحرم عليهم» ا.هـ.

*** التفصيـــل:**

يُمكن تقسيم هذه العمليَّات من حيث الأسباب، والمُلابسات التي تُحيط بمصرع أو باستشهاد القائمين بها - إلى أربعة أنواعٍ، على النحو التالي:

١ - النوع الأول: ما لا إشكال فيه أنه من قبيل الاستشهاد المَبرُور.

٢ - النوع الثاني: ما فيه تفصيل في الحكم، بحسب الحال التي تقع فيها تلك العمليات، من تَوَفُّرِ الضرورة للقيام بها، أو عدمِ توفُّر الضرورة لذلك.

٣ - النوع الثالث: ما هو من قبيل الانتحار المَحظُور.

٤ - النوع الرابع: ما تتعدَّد فيه وجهاتُ النظر.

---

(١) «المهذب» لأبي إسحاق الشيرازي (٢/ ٢٢٩).

(٢) «مختصر المزني: الأم» (٨/ ٢٧٢).

١ ـ **النوع الأول**: ما لا إشكال فيه أنه من قبيل الاستشهاد المَبرُور.

يتمثَّلُ هذا النوع من العمليات الاستشهادية في العمليات التي يَعزِم القائمون بها على الشهادة، من غير أيِّ تفكير، أو تَدبير للخُرُوج منها على قَيد الحياة.. وذلك عن طريق الاشتباك مع العدو في قتال، بقَصد إلحاق الضررِ به. إمَّا بإيقاع الإصابات في صفوفه من قَتلٍ، وجِراحٍ.. أو بَبَثِّ الرعب؛ والقلق في نفوس مُقَاتليه، ورعاياه، وتجرئة المسلمين عليه.. مهما بلغت قوَّة هذا العدو. ولو قُدِّرت في ميزان القوَّة بعشرات أمثال القُوَّة الإسلامية التي تتصدَّى له، بل حتى لو جابه فيها المسلم الواحد ألفًا من الكفار..!

وهذا النوع من العمليات هو من القتال المَبرور. والمقتولُ فيه شهيدٌ في الدنيا والآخرة.

وفي هذا القتال، جاء في «تفسير القرطبي»: «وقال محمد بن الحسن: لو حَمل رَجُل واحد على ألفٍ من المشركين، وهو وحده، لم يكُن بذلك بأسٌ إذا كان يطمع في نجاةٍ، أو نكايَةٍ في العدو»[١]. ثم يقول القرطبي في هذا النوع من القتال. أي: في مُقَابَلَة الواحد للألف، وما شابه ذلك: «وإذا كان فيه نفعٌ للمسلمين فتلفت نفسه لإعزازِ دين اللَّه، وتوهين الكُفر ـ فهو المقامُ الشريف الذي مَدَحَ اللَّه به المؤمنين في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]. الآية، إلى غيرها من آيات المدحِ التي مَدَحَ اللَّه بها من بذل نفسه»[٢].

---

(١) «تفسير القرطبي»: «الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ٣٦٤). وانظر: «السير الكبير» (١/ ١٦٣ ـ ١٦٤).

(٢) «تفسير القرطبي» (٢/ ٣٦٤).

وفي هذا النوع من القتال أيضًا، ما جاء في «صحيح مسلم»: «عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ أُفْرِدَ يوم (أُحُد) في سبعةٍ من الأنصار، ورجلين من قريش. فلما رهقُوه[1]، قال: **«من يردهم عنَّا وله الجنَّة، أو هو رفيقي في الجنَّة؟»**، فتقدم رجلٌ من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رهقوهُ أيضًا، فقال: **«من يردُّهم عنَّا، وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟»**، فتقدم رجلٌ من الأنصار فقاتل حتى قُتِل. فلم يزل كذلك حتى قُتِلَ السبعة. فقال رسول اللَّه ﷺ لصاحبيه: **«ما أنصفنا أصحابَنا[2] !»**[3].

والذي يُلاحظُ على هذا النوع من القتال ـ أن مصرعَ من يُقتلُ فيه من المسلمين إنما يكون على يَدِ الكفارِ، وبسلاحهم.. ومن هنا كان لا إشكال في العمليات القتالية التي من هذا النَّوع أنَّها من قبيل العمليات الاستشهادية المبرُورة.

٢ ـ النوع الثاني: من العمليات ـ ما فيه تَفصيلٌ في الحكم، بحَسَب الحالة التي تقع فيها تلك العمليات ـ هل هي حالةُ ضرورةٍ لا غِنَى عن

---

(١) أي: الأعداء المشركون. ومعنى (رَهِقُوه): «غَشُوه، وقَرُبُوا منه» «شرح مسلم» للنووي (٧/ ٤٣٠).

(٢) معناه: ما أنصفت قريشٌ الأنصارَ لكون القُرشيين لم يخرجا للقتال. بل خرجت الأنصار واحدًا بعد واحد. ذكر القاضي وغيره: أن بعضهم رواه (ما أنصفَنا) بفتح الفاء. والمراد على هذا: الذين فَرُّوا من القتال. فإنهم لم يُنصِفوا لِفرارِهم». «شرح مسلم» للنووي (٧/ ٤٣٠ ـ ٤٣١).

(٣) «صحيح مسلم» رقم (١٧٨٩) (٣/ ١٤١٥). وانظر: «فتح الباري» (١٢/ ٣١٦) حيث نقل عن المهلّب قوله: «وقد أجمعوا على جواز تَقَحُّمِ المَهَالِك في الجهاد».

القيام بها. أم ليست كذلك؟

يتمثَّل هذا النوع من العمليات بِنَحو أن يضع المُقاتِلُ في سيارته بعض القنابل أو الموادِّ المتفجرة، أو يُحيط جسمه بحِزامٍ منها، ثم يقتحِمُ على الأعداء مقرَّهم، أو يُظهرَ الاستسلامَ لهم.. ثم يقوم بتفجير تلك الموادِّ أو القنابل بقصد القضاء على العدو الذي أمامه، ولو عن طريق التضحية الحتميَّة بنفسه..

هذا، والذي يُلاحظُ في مثل هذه العمليات أنَّ مصرع المقاتِلِ هنا إنَّما كان بفعلِ يديه، وبسلاحه هو، وعن طريق القصدِ لا عن طريق الخطأ.. وإن كان الهدفُ الأصليُّ من هذه العمليات هو القضاء على العدو، أو إلحاقِ الأذى به.

والذي يبدو أنَّه ينطبق على مثل هذه العمليات ما ينَطبِق على قتال العدو إذا تَتَرَّسَ بالمسلمين إلا أن التُّرسَ في هذه العمليات التي نحن بصددها هو المقاتِلُ نفسه.. كما أنه في حالة تترُّسِ العدو بالمسلمين ـ يكون العدو هو الذي عَرَّضَ هذا الدرعَ البشريَّ للخَطَر. بينما في حالتنا هُنا: أي: إحاطة المقاتل نفسه بالحزَام المتفجِّر، وما شابه ذلك ـ يكونُ المقاتلُ المسلم هو الذي عرَّض نفسه للخطر. إلا أن الشيء الهامَّ في كلتا الحالتين هو أن التوصل إلى قتل العدو إنما يكون عن طريق قتل الترسِ من المسلمين، على أيدي المسلمين من المقاتلين، وبسلاحهم هم كما في الحالة الأولى.. وعن طريق قَتلِ المُقَاتِل المسلم نفسه بيده. وبسلاحه هو كما في الحالة الثانية.. أي: حالة إحاطة المقاتل جسمه بالحزام المتفجر، وما إلى ذلك.

هذا، وما دامت الحالة الثانية تأخُذُ حكم الحالة الأولى فإن خلاصة هذا الحكم هو على النحو التالي:

أ ـ إذا كانت هناك ضرورةٌ لقتال العدو بحيث تلحقُ بالمسلمين أضرارٌ بالغَةٌ من جرَّاء التوقف عن القتال، هي أكبرُ من الأضرار التي تلحقهم من بدءِ القتال، أو الاستمرار فيه ـ ففي هذه الحال: يُضَحَّى بالمسلمين المُتَتَرَّسِ بهم من أجل التوصُّل إلى العدو، وقتاله، وقَتله..

* **حالة الضرورة:**

جرى التعبير في المراجع الفقهية عن حالة الضرورة هذه بعدة صور منها: أن يهجم العدو على المسلمين[١]، وأن يكون المسلمون في حالة التحام مع العدو في القتال[٢]. وأن يترتب على عدم القتال ما يُخشى منه على المسلمين من الإحاطة بهم، أو استئصالهم، أو هزيمة تصيبهم أو كثرة في قتلاهم، أو أي ضرر يلحق بهم[٣].

❑ حكم قتال العدو في حالة الضرورة إذا تترّس بدرع بشري من المسلمين أو غير المسلمين:

قال جمهور الفقهاء بوجوب قتال العدو إذا دعت الضرورة إلى

---

(١) «أحكام القرآن» للجصاص (٥/ ٢٧٤).

(٢) «المهذب» للشيرازي (٢/ ٢٣٤).

(٣) «فتح القدير» (٥/ ٤٤٨)، «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (٢/ ١٧٨)، «المغني» لابن قدامة (١٠/ ٥٠٥)، «الأحكام السلطانية للفرّاء» ص(٢٧)، «الأحكام السلطانية» للماوردي ص(٤٢)، «سبل السلام» (٤/ ٤٩)، «فتاوى ابن تيمية» (٤/ ٢٥٤)، «السيل الجرار» للشوكاني (٤/ ٥٣٣).

ذلك، ولو أدى هذا القتال إلى هلاك الدرع الذي يحتمي به العدو[١]، ولكن المسلمين المقاتلين في هذه الحالة يجب عليهم أمران:

أولاً: أن يتحاشوْا ضرب الدرع ما أمكنهم، إلا إذا حدث هذا الضرب بحكم الخطأ، أو بحكم الاضطرار[٢].

ثانيًا: عدم وجود القصد القلبي إلى ضرب أفراد هذا الدِّرع، وإن وُجد القصد الحسي اضطرارًا. بمعنى أن يكون الباعث القلبي على الضرب هو إرادة القضاء على العدو، لا إرادة القضاء على الدرع نفسه، وإن وُجدت هناك حالة اضطرار ألجأت المسلمين إلى قصد الدرع [الترس] بالضرب، أي: من حيث التوجه المحسوس إليه، لا من حيث التوجه القلبي، على اعتبار أن ذلك القصد الحسي ضرورة لا بد منها للتوصل إلى العدو والقضاء عليه، بينما القصد القلبي في ضرب الدرع، لا ضرورة تدعوا إليه، فيبقى في دائرة المحرمات[٣].

*** قال القرطبي:**

«قد يجوز قتل التُّرْس، ولا يكون فيه اختلاف إن شاء اللَّه. وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية.

فمعنى كونها ضرورية: أنها لا يحصل الوصول إلى الكفار إلا بقتل

---

(١) «فتح القدير» (٥/٤٤٧)، و«حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (٢/١٧٨)، و«مغني المحتاج» (٤/٢٢٤)، و«المغني» لابن قدامة (١٠/٥٠٥).

(٢) «المهذب» للشيرازي (تكملة المجموع: ١٩/٢٩٦)، و«مغني المحتاج» (٤/٢٢٤).

(٣) «فتح القدير» (٥/٤٤٨) ـ وكلمة القصد تعني عند الأحناف: الميل القلبي، وعند المالكية: التوجه الفعلي المحسوس لضرب الدرع.

الترس.

ومعنى أنها قطعية كلية: أنها قاطعة (عامة) لكل الأمة، حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين..

ومعنى كونها قطعية: أن تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعًا.

قال علماؤنا: وهذه المصلحة بهذه القيود لا ينبغي أن يختلف في اعتبارها.. ثم قال: ولا يتأتّى لعاقل أن يقول: لا يُقتل الترس في هذه الصورة بوجه؛ لأنه يلزم منه ذهاب الترس، والإسلام، والمسلمين، لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة نفرت منها نفس من لم يُمعن النظر فيها! فإن تلك المفسدة بالنسبة إلى ما يحصل منها عدم أو كالعدم. واللَّه أعلم»[1].

وكذلك يقال في مسألتنا هنا، فإذا كانت هناك ضرورة لقتال العدو وقتله على النحو الذي بيَّنَّاه، ولا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق العمليات الاستشهادية التي نحن بصددها فإنه يُقام بهذه العمليات، ويُضحَّى بالمسلمين القائمين بها من أجل التوصُّل إلى العدو وقتله، لدفعِ الضَّررِ الأكبر الذي يلحق بالمسلمين فيما لو لم ينتدب المسلمون لمواجهة العدو بأمثال تلك العمليات.

ب ـ وأما حين لا تكون هناك ضرورةٌ لقتال العدو ـ ففي حالة التَّتَرُّسِ ينبغي أن لا يُضرب التُّرسُ من المسلمين. وهذا يعني: أن يُتوقَّفَ

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨).

عن القتال، حفاظًا على دماءِ المسلمين المُتَتَرَّسِ بهم من إهدارها بلا ضرورة، أو مصلحة مشروعة، نحو ما سبق تفصيله في بحث (التَّتَرُّس).

وكذلك يقال في حالتنا هنا: حين لا تكون هناك ضرورةٌ في الوصول إلى العدو وقتله، أو إلحاقِ الضرر به ـ ينبغي التوقف عن القيام بالعمليات الاستشهادية حفاظًا على حياة المقاتلين من أن يُتلِفُوها بأيديهم، بلا ضرورةٍ، أو مصلحة شرعية.

هذه خلاصة ما يُقَال في حكم العمليات الاستشهادية بالقياس على مسألةِ التَّتَرُّس.. وما قيل في تسويغ إقدام المسلمين على قتل إخوانهم من المسلمين المُتَتَرَّس بهم هناك في حالة الضرورة يُقالُ هنا، في تسويغ قتل القائمين بالعمليات الاستشهادية لأنفسهم في حالة الضرورة أيضًا. والقصدُ الحقيقيُّ من القتل، في الحالتين هو العدو الكافرُ، وليس المسلم بطبيعة الحال.

* **تنبيه هام جدًّا:**

معلوم أن قتل المسلم لغيره من المسلمين أعظم جُرْمًا من قتل المسلم لنفسه؛ فقد قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٢٧) ـ حيث ذكر أن البخاري بإيراده لأحاديث قتل المسلم لنفسه، في «باب: فيما جاء في قتل النفس: «أراد أن يُلْحِق بقاتل نفسه قاتل غيره من باب الأولى؛ لأنه إذا كان قاتل نفسه الذي لم يتعد ظلم نفسه ثبت فيه الوعيد الشديد، فأوْلى من ظَلَم غيره بإفاتة نفسه»، فإذا كان ما هو أعظمُ جُرمًا لا حَرَج في الإقدام عليه. لا بحكم استباحة قتل المسلم لغيره من المسلمين، وإنما بِحُكم

الضرورة التي لا بد منها في حالة الحرب، تفاديًا لضررٍ أشدَّ ـ فإنه ينبغي بطريق الأولى أن لا يكون هناك حرجٌ في الإقدام على ما هو أقلُّ جُرمًا، لا بحكم استباحةِ الانتحار، أو قتل المسلم لنفسه، وإنما بحكمِ الضرورة التي لا بد منها في حالة الحرب ـ تفاديًا لضررٍ أشدَّ.

وبهذا ننتهي من النوع الثاني من أنواع العمليات الاستشهادية، ونأتي إلى النوع الثالث.

٣ ـ النوع الثالث: من العمليات ـ ما هو من قبيل الانتحار المحظُور.

يتمثلُ هذا النوع في نحو إقدام المقاتلين على الانتحار حتى لا يقعوا في أسر العدو.. أو من أجل أن يتخلصوا من التعذيب الواقع بهم. أو المُتوقَّع.. أو من أجلِ أن يستريحوا مما هم فيه من آلام الجراح.. وما إلى ذلك..

وحكم الانتحار في مثل هذه الظروف والمُلابسات هو التحريم؛ لأنه تنطبق عليه الأحاديث الكثيرة الواردة في الوعيد على قتل النفس.. ومنها ما جاء في «صحيح البخاري»، و«مسلم» عن جُندب ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ: «**كان برجُلٍ جراحٌ، فقتل نفسه. فقال اللَّه: (بَدَرَني عبدي بنفسه، حَرَّمْتُ عليه الجنة)**»[1].

وفي رواية عند البخاري: «**كان فيمن كان قبلكم رَجُلٌ به جُرحٌ، فَجزِعَ، فأخذ سكِّينًا، فحزَّ بها يده، فما رقأ[2] الدم، حتى مات. قال اللَّه تعالى: (بادَرني**

(١) «صحيح البخاري» واللفظ له رقم (١٣٦٤)، «فتح الباري» (٣/ ٢٣٧)، و«صحيح مسلم» رقم (١١٣) (١/ ١٠٧).

(٢) ما انقطع.

عبدي بنفسه[١] حرَّمت عليه الجنة)[٢] »[٣] .

جاء في «فتح الباري»، تعليقًا على هذا الحديث ما نصُّه: «وفي الحديث: تحريمُ قتل النفس.. وفيه: التحديثُ عن الأمم الماضية، وفضيلةُ الصبر على البلاء، وتركُ التضجر من الآلام، لئلا يُفضي إلى أشد منها، وفيه: تحريم تعاطي الأسباب المُفضيةِ إلى قتلِ النفس»[٤] .

٤ ـ **النوع الرابع**: ما تختلفُ فيه وجهات النظر من الأعمال الانتحاريَّة، أو الاستشهادية. مثَّل الفقهاء لهذا النوع بالسفينة التي يُحرقُها العدو، وفيها المسلمون الذين يضطرون إلى أحد خيارين: إما الموتُ حرقًا في النار. وإما الإلقاءُ بأنفسهم من السفينة ليمُوتوا غرقًا في الماء.

جاء في «المُدَوَّنة» للإمام مالك: «قلتُ: (والقائل هو سُحنُون يسألُ شيخه ابن القاسم، تلميذ الإمام مالك) ـ أرأيت السفينة إذا أحرقها العدو وفيها أهل الإسلام، أكان «مالكٌ» يكرَهُ لهم أن يطرحُوا بأنفسهم؟ وهل يراهم قد أعانُوا على أنفسهم؟ قال: بلغني أن (مالِكًا) سُئِل عنه، فقال:

---

(١) «كناية عن استعجال الموت المذكور. وقد استُشْكِل.. لما يوهمه سياق الحديث من أنه لو لم يقتل نفسه ـ كان قد تأخَّرَ عن ذلك الوقت، وعاش، لكنه بادر، فتقدم.. والجواب: .. أن المبادرة: من حيث التسبُّب في ذلك، والقصد له، والاختيار. وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها». «فتح الباري» (٦/ ٥٠٠).

(٢) في الجواب على ما استُشكل من تحريم الجنة على المؤمن إذا أقدم على الانتحار ـ جاء في «شرح النووي لصحيح مسلم» ما نصُّه: «يحتمل أنه كان مستحِلاًّ، أو يُحْرَمُها حين يدخلها السابقون والأبرار، أو يُطيلُ حسابه، أو يُحبس في الأعراف.. ويحتمل أن شرع أهل ذلك العصر تكفير أصحاب الكبائر» (١/ ٤٩١).

(٣) «صحيح البخاري» رقم (٣٤٦٣) «فتح الباري» (٦/ ٤٩٦).

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٥٠٠).

لا أرى به بأسًا. إنما يفرُّون من الموت إلى الموت! قال ابن وهب: قال ربيعةُ: أيُّما رجلٍ يفرُّ من النار إلى أمرٍ يعرف أن فيه قتله ـ فلا ينبغي له، إذا كان إنما يفرُّ من موتٍ إلى موتٍ أيسر منه، فقد جاء ما لا يحلُّ له. وإن كان إنما تَحَامَل في ذلك رَجاءَ النَّجاة.. فكلُّ مُتحاملٍ لأمرٍ يرجُو النَّجاةَ فيه فلا جُناح عليه، وإن عطبَ فيه.

قال: وبلغني عن ربيعة أنه قال: إن صبر فهو أكرمُ إن شاء اللَّه..»[١].

وجاء في قوانين الأحكام الفقهية، في التعبير عن هذه المسألة ما نصُّه:

«وقد اختُلِفَ في المركب يُلقَى عليه النارُ. ـ هل يُلقِي الرجل نفسه ليغرق أم لا؟ وأما إن قُوتِلَ فلا يُغرقُ نفسه، بل يقفُ للقتال حتى الموت»[٢].

وفي «الشرح الكبير» للدردير بعض التفصيل في هذه المسألة، قال: «وجازَ انتقَالٌ من سببِ موتٍ لآخر كحرقهم سفينةً ـ إن استمرَّ فيها هلك، وإن طرح نفسه في البحر هلك[٣]. ووجب الانتقال إن رجا به حياةً، أو طولها، ولو حصل له معها ما هو أشدُّ من الموت! لأنَّ حفظ النفوسِ واجبٌ ما أمكن!»[٤].

---

(١) «المُدوَّنة» للإمام مالك (٢/ ٢٥).

(٢) «قوانين الأحكام الشرعية» ص(١٦٥).

(٣) عبارة «منح الجليل» هنا: «كطرح نفسه في بحرٍ مع عدم معرفة عومٍ» (٣/ ١٦٥).

(٤) «الشرح الكبير» للدردير، وحاشية الدسوقي عليه (٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤).

وعلَّق الدسوقي على ما سبق فقال: «فَرضُ المسألة استواءُ الأمرين: أي: يعلمُ أنه إن مكثَ ـ (أي: في السفينة المحترقة) مات حالاً. وإن رمى نفسه في البحر مات حالاً. وأما إن علم أنه إن نزل البحرَ مكثَ حيًّا، ولو درجةً، أو ظن ذلك، أو شك فيه! وإن مكث (أي: في السفينة المحترقة) مات حالاً ـ وجب عليه النزولُ في البحر!»[1].

وجاء في «المُغني» لابن قدامة، في هذه المسألة ما نصُّه:

«وإذا ألقى الكُفارُ نارًا في السفينة فيها مسلمون، فاشتعلت فيها ـ فما غلبَ على ظنهم السلامةُ فيه من بقائهم في مركبهم، أو إلقاء نُفوسهم في الماء، فالأولى لهم فعله. وإن استوى عندهم الأمران ـ فقال أحمد: كيف شاءَ يصنعُ. قال الأوزاعيُّ: هما موتتان، فاختر أيسرهُما! وقال أبو الخطاب: فيه روايةٌ أُخرى أنهم يلزمُهم المُقام؛ لأنهم إذا رموا نفوسهم في الماء كان موتهم بفعلهم. وإن أقَامُوا فموتُهم بفعل غيرهم»[2].

أقول: يُلاحظُ مما تقدم من أقوال الفقهاء أن فكرةَ إقدام المُقَاتل على الانتحار بقتل نفسه بسلاحه هربًا من النار المشتعلة فيه، وفيما حوله ـ هي أمرٌ غير واردٍ، حتى وإن كان من شأن ما هو فيه أن تطولَ معه آلامه، وعذابه إلى أن يموت ـ ومن جهةٍ أخرى، يبدو من القول بجوازِ الانتقالِ من حالة موتٍ فرضها الأعداء على المسلم إلى حالةِ موتٍ أخرى يختارُها هو لنفسه، إذا تمكن من ذلك، عند تساوي الحالتين ـ يبدو من

---

(١) «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (٢/ ١٨٤).

(٢) «المغني» لابن قدامة (١٠/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥). وانظر: «الشرح الكبير» للمقدسي (١٠/ ٣٨٩).

هذا القول أن الارتماء في الماء إنَّما هو إقدامٌ على الانتحار بالغرق في حالة عدم معرفةٍ بالسباحة، وفنِّ العوم.. ومن هنا قال صاحبُ كتاب «الجهاد والفدائية في الإسلام» باحتمال جوازِ أن يُقدمَ المُقاتلُ الواقعُ تحت التعذيب على الانتحار بمباشرة قتل نفسه تخلصًا ممَّا هو فيه؛ إذ لا فرق في الظاهر بين انتحارٍ بالغرقِ، وقد أجازَهُ بعض الفقهاء، وبين انتحارٍ بالسِّلاح لم يتعرَّض الفقهاءُ لذكره في هذا الصَّدَد[1].

أقول: هذا ما يبدو من حيث الظاهر.

ولكنني أرى أن الفقهاء القائلين بجوازِ الارتماء في الماء، في الحالة المشار إليها ـ لم يكن في ذهنهم فكرةُ جوازِ الانتحار، لا بالماء، ولا بغير الماء.. وإنما الذي كان في ذهنهم هو فكرة الفرار من الحالة المؤدِّية إلى موتٍ مُحقَّقٍ فرضها العدو على المسلمين ـ فهذا الفرارُ جائزٌ، عندهم، بغضِّ النظر عن أن ما فرُّوا إليه تكونُ فيه النَّجاةُ، أو يكون فيه الهلاك. فالفعل الذي كان مدار بحثهم هو الفرارُ من الحالة التي فرضها العدو على المسلمين، بدليل أنهم بحثُوا هذه المسألة في موضوع الفرارُ من القتال أمام العدو ـ متى يجوزُ؟ ومتى لا يجوز؟

وعلى هذا، فمن اشتعلت النار في سفينته، وأيقَنَ بالهلاك يجُوزُ له الفرارُ من النَّار ـ عند هؤلاء الفقهاء ـ وإن كان لا مجال أمامه للهرب إلا الماء مما يترتَّبُ على هذا الهرب موتٌ مُحقَّق.

هذا، وليس من باب الفرار من النَّار مطلقًا، أن يُقدم هذا الذي

---

(١) «الجهاد والفدائية في الإسلام» لحسن أيوب ص(١٦٧).

تشتعل النارُ فيه أو فيما حوله على قتلِ نفسه بالسلاح، أو بالشَّنَق، أو بقطع الشرايين، وما شابه ذلك، فهذا ليس، في الواقع، فراراً من الحالة التي هو فيها حتَّى يُعطى حكمَ الفرار، وإنما هو إقدامٌ مُتعمَّدٌ على الانتحار، وهو منكرٌ في الإسلام أشدَّ الإنكار.

وعليه، فمن لاحظ من الفقهاء جانبَ الفرار، في المسألة التي نحن بصددها ـ قال بجواز الانتقال من النار إلى الماء بقصد الفرار من النار.

ومن لاحظ منهم جانبَ ما يُقدمُ عليه المقاتل من إلقاء نفسه بيده، وفعله في الهلاك ـ قال بتحريم الانتقال من النار إلى الماء.

أقول: والذي أراه هنا، أن المُقاتل، إذا كان قصده من تصرفه في مثل الحالة التي نتحدَّث عنها، أن يفر مما هو فيه من هلاك ـ فتصرُّفه لا غُبار عليه، وإن كان لا يرجو النَّجاة في الحالة التي فرَّ إليها.

وأما إذا كان قصدُه من تصرُّفه هو الانتحار، واستعجالَ الموت، فهو من قَبيل الانتحار. والمُقَاتل في مثل هذه الحالات هو فقيهُ نفسه و«**إنما الأعمال بالنيَّات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[1] وحسابُه في ذلك على اللَّه.. وأما بحسب الظاهر فلا يُعتبرُ أصحابُ مثل هذه التصرُّفات ـ هم من المُنتحرين ما دام الظاهر فيها أنها من قبيل الفرار من الهلاك» ا.هـ[2].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري رقم (١)، ومسلم رقم (١٩٠٧)، واللفظ للبخاري.
(٢) «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» ص(١٣٩٩ ـ ١٤٠٩).

* تنبيهات: هل يجوز إذا أشرفت سفينة على الغرق أن تُجرى قرعة لإلقاء بعض من فيها من الناس؟

□ قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١] «السابعة: الاقتراع على إلقاء الآدمي في البحر لا يجوز. وإنما كان ذلك في يونس وزمانه مقدمة لتحقيق برهانه، وزيادة في إيمانه؛ فإنه لا يجوز لمن كان عاصيًا أن يقتل ولا يرمى به في النار أو البحر، وإنما تجرى عليه الحدود والتعزير على مقدار جنايته. وقد ظن بعض الناس أن البحر إذا هال على القوم فاضطروا إلى تخفيف السفينة أن القرعة تُضرب عليهم، فيطرح بعضهم تخفيفًا؛ وهذا فاسد؛ فإنها لا تخف برمي بعض الرجال وإنما ذلك في الأموال، ولكنهم يصبرون على قضاء اللَّه عز وجل».

* وخالفه الإمام الغزالي:

جوز الإمام الغزالي الاقتراع على إلقاء الآدمي في البحر من أجل الآخرين، فإذا تطوع آدمي وألقى بنفسه في الماء لإنجاء الآخرين بدلاً من القرعة جوّزها الغزالي، وقاس عليها بعض أهل العلم العمليات الاستشهادية.

* رأي نميل إليه:

«حُسن الرفاقة في أجوبة سؤالات السواقة[1]:

وهو لأبي محمد المقدسي، وهو قول الدكتور محمد خير هيكل في

---

(١) لأبي محمد المقدسي.

http://www. geocities.com/maqdese

وإنا إذ نعرض هذا الرأي والاجتهاد نعرضه على كبار أهل العلم، ولجنة الإفتاء بالمملكة =

رسالته للدكتوراه «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية».

قال أبو محمد المقدسي:

المسألة السابعة: حول العمليات التي تُسمّى بالانتحارية ويسميها البعض بالاستشهادية»:

فبالنسبة للانتحار فلا يخفى على أحد حكمه في الشريعة.. وأنه من الكبائر التي توعد اللَّه عز وجل عليها وعيدًا شديدًا..

● فروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال رسول اللَّه ﷺ: «**من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسى سمًّا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**».

● وأخرج جماعة عن ثابت بن الضحاك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من قتل نفسه بشيء عُذِّبَ به يوم القيامة**».

● وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول اللَّه ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول اللَّه ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة وفاذة إلا أتبعها يضربها بسيفه، فقال: ما أجزء منا اليوم أحد كما أجزء فلان، فقال الرسول ﷺ: «**أما إنه من أهل النار**». فقال رجل من القوم: أنا صاحبه قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح جرحًا شديدًا فاستعجل

= العربية السعودية وغيرهم فهذه مسألة تعمّ بها البلوى.

الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه.. وفيه أن الرسول ﷺ لما أتاه خبره قال: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**».

● وفي «الصحيحين» مرفوعًا أيضًا: «**كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينًا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات قال اللَّه تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة**».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة..

فهذه الأحاديث فيها وعيد شديد لمن قتل نفسه، وأنه محرم من المحرمات بل كبيرة من كبائر الذنوب.. وظاهر بعضها أن قاتل نفسه خالد مخلد في نار جهنم.. وبعضها صريح في تحريم الجنة.. ومعلوم أن أهل السنة قد قيدوا هذه الإطلاقات في حق الموحدين على ضوء قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.. وبما رواه مسلم عن جابر في حديث الطفيل بن عمرو الدوسي وصاحبه الذي قطع براجمه فمات، فغفر اللَّه له بهجرته.. وسيأتي.

وتأويل لفظ.. «**في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**» في الحديث الأول. وقوله: «**حرمت عليه الجنة**» في الحديث الآخر.. أن ذلك في حق من استحل ذلك، أو في حق من فعله قنوطًا من رحمة اللَّه ويأسًا من روح اللَّه، واعتراضًا على قدر اللَّه تعالى، فذلك كفر يخلد صاحبه في نار جهنم.. ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

ومنه يظهر أن هناك فرق لا ينبغي أن يهمله من وزن بالحق وترك التطفيف

بين من قتل نفسه يأساً من رحمة اللَّه أو اعتراضاً على قدر اللَّه، أو جزعاً من الجراح والأمراض ونحوها.. وبين المسؤول عنهم الذين يفجرون أنفسهم بعبوات ناسفة لإحداث نكاية عظيمة في أعداء اللَّه..

وهذا فرق واضح ظاهر لنا، نعرفه ونعتبره..

فهؤلاء إن كانوا من الموحدين، ويقاتلون في سبيل اللَّه.. وتحت راية إسلامية لا عمية ولا جاهلية.. فمعاذ اللَّه أن نحكم ببطلان أعمالهم، أو نساويهم بمن قتل نفسه يأساً من رحمة اللَّه أو جزعاً من الجرحات ونحوها، فنقول بخلودهم في نار جهنم أو بتحريم الجنة عليهم[1].. فإن رحمة اللَّه بعباده الموحدين واسعة، وهو سبحانه أعدل الحاكمين، ولا يضيع عمل المحسنين ولا بر المؤمنين أعمالهم الصالحة الخالصة.. فقد روى مسلم في «صحيحه» عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ أن الطفيل بن عمرو الدوسي هاجر إلى رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة ومعه رجل من قومه، فاجتووا المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص له فقطع بها براجمه فشخبت يداه حتى مات، فرآه الطفيل ابن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنة. ورآه مغطيًا يديه فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ فقال: ما لي أراك مغطيًا يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت، فقصها الطفيل على رسول اللَّه ﷺ، فقال ﷺ: «**اللَّهم وليديه فاغفر**».

---

(١) كما إننا لا نجزم لهم ولا لغيرهم بعد انقطاع الوحي بالجنة والشهادة، وراجع بهذا «صحيح البخاري» (باب لا يقال فلان شهيد) لكن نسأل اللَّه أن يبلغهم منازل الشهداء، وهذا لا يتعارض مع معاملة قتيل المعركة الموحد معاملة الشهيد فلا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن بثيابه؛ لأن أحكام الدنيا تؤخذ بغلبة الظن.

قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ: «في الحديث حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة أن من قتل نفسه، أو ارتكب معصية ومات بغير توبة فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار بل هو في حكم المشيئة» اهـ.

قال أبو محمد عفا اللَّه عنه: ولا إشكال في هذا، مع الوعيد الشديد الوارد في الأحاديث المتقدمة؛ لأن اللَّه سبحانه له أن يعفو عن عباده الموحدين المحسنين، وأن ينفذ وعيده فيهم وهذا من كرمه وإحسانه ومحامده سبحانه لكنه لا يخلف وعده لهم.. ومعلوم الفرق بين إخلاف الوعد وإخلاف الوعيد.

لكن نستدرك فنقول: إن كون هؤلاء القائمين بهذه العمليات ليسوا كالمنتحرين يأسًا من الحياة أو اعتراضًا على قدر اللَّه وجزعًا من الجراح فهذه وحده لا يكفي لتسويغ مثل هذه العمليات بهذه الصورة أو ليمنحها وجهًا شرعيًّا؛ لأنهم إن خرجت ولم تتدرج تحت تلك النصوص الذامة المتوعدة لمن استعجل الموت لليأس، أو لألم الجراح.. فإنها لم تخرج من عموم النصوص الذامة المتوعدة لقتل النفس وعيدًا شديدًا ومن ذلك الحديث المتقدم «**من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة**».

وهذا الحديث وأمثاله مما تقدم هو كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «أي من يتعاطى ما نهاه اللَّه عنه متعديًا فيه، ظالمًا في تعاطيه أي عالمًا بتحريمه متجاسرًا على انتهاكه ﴿**فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا**﴾، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، فليحذر كل

عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد» ا.هـ. ونحوه عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ في موضعين من كتاب اللَّه، وكذلك عموم الأحاديث التي تنهى عن قتل النفس التي حرم اللَّه بالحق كحديث: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قيل: يا رسول اللَّه وما هن؟ قال: «**الشرك باللَّه والسحر وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق..**»[1] الحديث.

● ومثله حديث النبي ﷺ في حجة الوداع: «**ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.. ألا هل بلغت اللَّهم فاشهد..**».

❑ قال أبو محمد المقدسي ـ عفا اللَّه عنه ـ: «فهذه وغيرها نصوص عامة قطعية الدلالة في تحريم قتل النفس المعصومة، ولا يحل أو يجوز بحال أن يستثنى منها إلا ما استثناه الشرع والذين يقدمون على تفجير أنفسهم في مثل هذه العمليات مَدْعُوُّن إلى دراسة مثل هذه النصوص والوقوف عندها طويلاً قبل الإفتاء بمثل ذلك أو الإقدام عليه؛ لأن الغاية عند المسلمين لا تبرر الوسيلة.. فلسنا ميكاڤيليين[2] ولا بد للوسيلة أن تكون مشروعة كالغاية.. وليعلموا أن الحق ليس مع المذهب الأشد بل مع الأسَدِّ الموافق للأدلة.. وليتذكروا أن المرء لا يملك سبعة أرواح يجرب شيئًا منها هنا وشيئًا هناك.. بل هي نفس واحد فليحرص أن يبذلها في طاعة اللَّه ومرضاته على بصيرة من أمره..

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٢) نسبة إلى نيكولا ميكاڤيلي صاحب كتاب «الأمير»، ومن أشهر قواعده التي قعدها للأمراء لأجل تثبيت عروشهم «الغاية تبرر الوسيلة».

وللأسف الشديد فإني لم أطلع على دراسات علمية واعية راشدة لمن يقومون بمثل هذه العمليات.. فغالبهم يدفعهم العاطفة والحماس دون مراعاة الدليل الشرعي.. خصوصًا أن العلم الحديث ووسائله قد أفاد أمورًا تمكنهم من حفظ دماء إخوانهم الموحدين ويوّفرونها لأعظم مصلحة وأكبر مدة ممكنة.. فهناك ساعات التوقيت ومصائد المغفلين والمشاعل والألغام الإعثارية والضاغطة والصواعق الكهربائية وأقلام التوقيت وأجهزة التحكم عن بعد (الريموت كنترول) والخلايا الضوئية ونحوها.. مما لم يعد يعجز عنه ممن يقف خلف أمثال هذه العمليات، وهو يجعل المفتي الذي يعرف خطورة الفتوى، وأنه توقيع عن اللَّه يتوقف طويلاً قبل القول بجواز تلك العمليات التي يقتل المسلم نفسه فيها دون ضرورة حقيقية.. إذ إن هذه الإمكانات توسع آفاق العمل عند المجاهدين.. وما دام هناك طريق إلى حفظ وحقن دماء الموحدين وجب الأخذ بها فهناك الطرود والرسائل والحقائب ويفخخون السيارات ونحوها بشيء من هذه الوسائل.. وينكلون بأعداء اللَّه أشد التنكيل، بأقل الخسائر بصفوف الموحدين وليست الشهادة خسارة، وإنما الخسارة كل الخسارة في مخالفة الحكم الشرعي والموت على غير بصيرة..

❑ ونحن نقول دائمًا إن الأخ الموحد الذي يصل في التربية والإعداد إلى هذه المراحل المتقدمة، هو في الحقيقة جوهرة فريدة في مثل هذا الزمان.. لا ينبغي لقيادته إن كانت عاقلة أن تفرط به لأجل حذاءين أو ثلاثة أو نحوهم من علوج الشرك وعساكرهم، ممن يمكن أن يقضى عليهم بغير هذه الطريقة.. ممن أمكن قتله بالبندقية والمسدس والقنبلة أو

السيارة المفخخة دون قتل النفس.. فأي دليل من أدلة الشرع يجيز لأجله قتل النفس؟؟

شبهات والردّ عليها

* **استدل بعضهم للاحتجاج في هذا الباب بقول اللَّه تعالى في مدح المؤمنين: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾:**

وذكر الرجل يغير على الجيش وحده وقصة الصحابي الذي طلب من أصحابه أن يرفعوه على درع فيقذفوه إلى داخل حصن الكفار ليفتح لهم الباب.. وحديث أسلم أبي عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى فرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال الناس: ألقى بيده إلى التهلكة، يريدون قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فقال أبو أيوب ـ رضي اللَّه عنه ـ: «إنما تؤولون هذه الآية هكذا، أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة، أو يبلي من نفسه!!، نحن أعلم بهذه الآية إنما أنزلت فينا»، فذكر أن المراد بالتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد.. رواه أبو داود والترمذي وغيرهما.

ومثل ذلك ما رواه الحاكم عن إبي إسحاق السبيعي قال رجل للبراء ابن عازب: إن حملت على العدو وحدي فقتلون، أكنت ألقيت بيدي إلى التهلكة؟ فقال له: قال اللَّه لرسوله: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، إنما هذه في النفقة وفي رواية الترمذي: «لكن التهلكة أن يذنب الرجل الذنب فيلقي بيده إلى التهلكة فلا يتوب». كما ذكروا في

أدلتهم حديث: «**سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»، هذا غاية ما استدلوا به وكله لا يصلح في الاحتجاج به في محل النزاع..

الرّد عليهم

١ ـ قوله تعالى: ﴿**فيقتلون ويُقتلون**﴾ فرح هؤلاء بقوله تعالى: ﴿**ويُقتلون**﴾ بضم الياء.. مع أنها لا تدل دلالة صريحة على قتل نفسه بل على قتل أعداء اللَّه له.. ولو دلت فإنها دلالة ضعيفة ظنية محتملة وكان أولى لهم أن يحتجوا بقوله أولاً: ﴿**فَيقتلون**﴾ بفتح الياء. ثم يقولون: هو عام في قتلهم لغيرهم ولأنفسهم.. وهذه الطريق من الاستدلال هي بضاعة المفلسين فهؤلاء لما أفلسوا من الأدلة القطعية الصريحة، صاروا إلى هذه الدلالة الضعيفة، فأكثر ما يقال في هذا الدليل مع التنزل والتساهل لهم.. أنه نص محتمل، وهو مقيد بالنصوص القطعية الصريحة الدلالة، المتقدمة في تحريم قتل النفس، والنص المحتمل الظني الدلالة لا يجوز أن تعارض به النصوص القطعية الصريحة.. كما أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال؛ لأن الجزم بالاحتمال يفتقر للدليل.. وعلى كل حال فهو على تفسيرهم من قبيل المتشابه، فيجب رده إلى النصوص المحكمة البينة التي تحرم قتل النفس.. واللَّه تعالى أعلم.

٢ ـ أما قصة الصحابي الذي ألقي به في الحصن..فيجب على المحتج بها أولاً: أن يثبتها فقد قيل: «ثبت العرش ثم انقش» أي: أثبت صحة الدليل ثم استدل ولا يصح النقش قبل تثبيت العرش[1]، فإن

---

(١) وقد راجعت هذا الأثر فوجدته في «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩٠، ٢٩٤) عن محمد بن =

أثبتوها بالإسناد الصحيح قلنا لهم: هي فعل صحابي.. ومعلوم أن فعل الصحابي ليس حجة في محل النزاع.. قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، ولم يقل إلى الصحابة.. والاستئناس بأفعالهم شيء.. والاستدلال بها في محل النزاع واعتبارها حجة شرعية شيء آخر.. فكيف إذا جاءت هذه الأفعال معارضة لنصوص صريحة قطعية الثبوت قطعية الدلالة كالنصوص المتقدمة في النهي عن قتل النفس.. هذا على افتراض أن فعله كان قتلاً للنفس ونحن لا نسلم بذلك.. فإن قالوا: إنه إجماع سكوتي من الصحابة قلنا لهم: أنى لكم إثبات ذلك؟ ومعلوم أن الإجماع السكوتي حجة ضعيفة ظنية فيها اختلاف كبير، فكيف إذا جاء هذا الإجماع المزعوم معارضًا للنصوص القطعية الصحيحة.. ثم لا بد للإجماع عند القائلين به من مستند شرعي وهو الحجة لا سواه.. وهذا المستند الصريح الصحيح هو الدليل الذي ما زلنا نطالبكم به أصلاً وتفتقرون إليه.. ثم يقال لهم أخيرًا: أن القصة التي تحتجون بها تبين أن الصحابي لم يرد بفعله ذلك قتل نفسه بل أراد فتح الحصن للمسلمين..[1] وزعمهم أن احتمال موته كان كبيرًا ليس هو

= إسحاق وفي «البداية والنهاية» (٦/ ٢٦٨، ٣٢٥) في قصة مقتل مسيلمة الكذاب، وأما مسندًا فلم أجده فيما هو موجود من كتب السنة. لكنني وجدته في «سنن البيهقي»، في كتاب السير (٩/ ٤٤) حيث رواه بإسناده عن محمد بن سيرين! (أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه فيه رجال من المشركين فجلس البراء بن مالك على ترس فقال: ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم فرفعوه إليهم فألقوه من وراء الحائط فأدركوه قد قتل منهم عشرة).

(١) ثم تنبه أن المسألة في هذه القصة تنبني عليها مصلحة عظيمة، وهي فتح حصن استعصى على المسلمين، وليست هي فقط قتل بعض الكفار الذين يمكن قتلهم بأكثر من طريقة. ومع=

محل النزاع، فالأدلة كثيرة على جواز الإقدام في القتال على ما يغلب على الظن أن فيه شهادة. كحديث أبي أيوب وحديث البراء المتقدمين.. وإنما النزاع في قتل النفس بفعل المرء نفسه عمدًا وقصدًا..

٣ ـ أما حديث أبي أيوب والبراء.. فإنما يصلحان كما قلنا للحث على الجهاد والإقدام واستحباب الاستبسال في قتال الكفار، وإظهار القوة والشجاعة والبأس في وجوههم.. وليس في شيء منها ما يدل على جواز قتل المسلم نفسه بفعل يده.. إذ حاصلها أنه يتعرض أو يعرض نفسه لقتال الجمع ولإنكار منكر عظيم كما في حديث «**سيد الشهداء**».. فيغلب على ظنه أنه مقتول فيه دون جزم، وحتى لو كان جازمًا فهذا غير ذاك، والخلط بينهما تعد لحدود اللَّه ولبس للحق بالباطل وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فالنصوص المتقدمة صريحة قطعية في تحريم قتل النفس.. وهذا يقين لا يزول بمثل هذه الدلالة الضعيفة البعيدة، ولذلك فإن المتتبع لكلام أهل العلم في مثل هذه الأبواب يجدهم يشددون في هذه المسائل ويتورعون.. ولا يفتون تبعًا للحماس أو خوفًا من ألسنة المخالفين والمرجفين.. وإنما يفتون بما يعتقدونه موافقًا للدليل الشرعي ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا

= هذا فقد قال الشافعي في «الأم» (٤/ ١٦٨): أخبرنا الثقفي عن حميد عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ سأله: إذا حاصرتم المدينة كيف تصنعون؟ قال: نبعث الرجل إلى المدينة، ونضع له هنة من جلود، قال: أرأيت إن رمي بحجر! قال: إذًا يقتل. قال: فلا تفعلوا، فوالذي نفسي بيده ما يسرني أن تفتحوا مدينة فيها أربعة آلاف مقاتل بتضييع رجل مسلم» اهـ.

يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾ قال ابن قدامة المقدسي في «المغني» (٨/ ٤٧٨) كتاب الجهاد:

«(فصل) وإذا ألقى الكفار نارًا في سفينة فيها مسلمون فاشتعلت فيها، فما غلب على ظنهم السلامة فيه من بقائهم في مركبهم أو إلقاء نفوسهم في الماء فالأولى لهم فعله.

قال أبو الخطاب في رواية أخرى: أنهم يلزمهم المقام؛ لأنهم إذا رموا نفوسهم في الماء كان موتهم بفعلهم[١]، وإن أقاموا فموتهم بفعل غيرهم» اهـ.

فتأمل تفريقهم بين الموت بفعل المرء نفسه وبين الموت بفعل الغير، واعلم أن أشبه المسائل عند أهل العلم بمسألتنا هذه المسألة التي يمثل بها علماء الأصول في أبواب المصلحة المرسلة، وهي المسألة المشهورة بمسألة الترس، قال ابن قدامة في «المغني» (٨/ ٤٥٠): وان تترسوا بمسلم[٢]، ولم تدعوا حاجة إلى رميهم لكون الحرب غير قائمة، أو لإمكان القدرة عليهم بدونه أو للأمن من شرهم لم يجز رميه.

قال الأوزاعي والليث: «لا يجوز رميهم لقول اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ..﴾ الآية، وقال الليث: ترك فتح حصن يقدر على فتحه أفضل من قتل مسلم بغير حق، وكثيرًا ما يذكر الفقهاء في أبواب

---

(١) هذا بالطبع في حق من لا يحسن السباحة. وقد أجاز ذلك الإمام مالك كما تقدم خلافًا لابن قدامة.

(٢) أي اتخذوه ترسًا ودرعًا يتترسون به من نبالنا ورماحنا.. والصورة واحدة فقتل النفس المعصومة محرمة إن كانت نفس المسلم أو نفس أخيه.

المصلحة المرسلة قولهم: «لو تترس الكفار بجماعة من المسلمين بحيث لو كففنا عنهم لغلب الكفار على دار الإسلام واستأصلوا شافة المسلمين وقتلوا الترس.. ولو رمينا الترس وقتلناهم اندفعت المفسدة عن كافة المسلمين قطعًا، غير أنه يلزم منه قتل مسلم لا جريمة له..». فهذه المصلحة وإن كانت ضرورية كلية قطعية، لكن لعدم ظهور إقرار لها من الشارع باعتبارها، حصل فيها خلاف مشهور بين العلماء[١].

فطائفة منعت ذلك؛ لأن فيها قتل نفس، ولا يحل فداء النفس المعصومة بنفس مثلها.

* **وطائفة[٢] جوزت ذلك بشروط منها:**

- أن يكون في ترك الترس تعطيل للجهاد..

كما نقل ابن قدامة في «المغني» (٨/ ٤٥٠) عن القاضي والشافعي قولهم: «يجوز رميهم إذا كانت الحرب قائمة؛ لأن تركه يفضي إلى تعطيل الجهاد» اهـ.

- ومنها أن لا يمكن التوصل إلى الكفار إلا بقتل الترس.

- وأن يترتب على ترك الترس استئصال شأفة المسلمين واستباحة حرماتهم واحتلال البلد ومن ثم قتل الترس أيضًا..

فباللَّه عليك أيها المنصف كائنًا من كنت.. هل مثل هذا ينطبق على واقع العمليات المذكورة اليوم؟!.

---

(١) والرأي الراجح الجواز هو قول جمهور أهل العلم.

(٢) وهم جمهور أهل العلم وقولهم هو الراجح.

هل لا يمكن قتال الكفار إلا بطريقة العمليات التي تقوم على تفجير نفس معصومة؟

ألا يمكن ذلك بغير هذه الطريقة؟، وهل في ترك هذه الطريق بالذات استئصال لشأفة المسلمين وتعطيل للجهاد.. بحيث لا يمكن قتال الكفار والتنكيل بهم إلا عن طريق قتل النفس المعصومة؟

إذا كان الحال كذلك فلسنا ممن ينكرها.. أي إن كانت المصلحة المرجوة من وراء هذه العمليات أو المفسدة المراد دفعها ضرورية كلية قطعية لا يمكن التوصل إليها إلا بهذه الطريق فهذا لا ننكره، وللقائل به سلف من أهل العلم.. وقد تقرر عند العلماء أنه إذا ما تزاحمت مفسدتان احتملت أدناها في سبيل دفع أعظمها..

هذا مع أن الناظر في كثير من أهداف هذه العمليات ـ ولا أقول كلَّها ـ فإنه يجدهم من المدنيين نساء وصبيانًا أو عجائز وغيرهم.. وهذا تحفظ آخر لا بد من ذكره هنا..

فمعلوم أنه لا يجوز في ديننا أن يعمد إلى قتل الصبيان والنساء غير المقاتلات ونحوهم..

* فقد فسر أهل العلم ومنهم حبر القرآن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قوله تعالى: ﴿ولا تعتدوا﴾ بقوله: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير.. وروى مسلم في (باب ـ نساء غازيات.. والنهي عن قتل أهل الحرب). عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أيضًا قوله: «وإن رسول اللَّه ﷺ لم يكن يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان إلا أن تكون تعلم ما علم الخضر من الصبي الذي قتل..»[1].

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٢/ ١٩٠).

● وروى الإمام أحمد والحاكم والبيهقي وغيرهم عن الأسود بن سريع أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما بال قوم جاوزهم القتل حتى قتلوا الذرية.. ألا لا تقتلوا ذرية. ألا لا تقتلوا ذرية**».

□ والأدلة في هذا الباب مشهورة، بل أفتى مالك والأوزاعي بأكثر من هذا فقالوا: «لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال حتى لو تترس أهل الحرب بالنساء والصبيان أو تحصنوا بحصن أو سفينة وجعلوا معهم النساء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم..»[1] اهـ.

وهذا شبيه بمسألة الترس.. بل دونها؛ لأنه عصمة دماءِ صبيانِ الكفارِ ونسائهم لا شك دون عصمة دماء المسلمين.. ومعلوم أنه في أحوال معينة لا حرج في قتل نساءهم وصبيانهم. كأن يكون ذلك في إغارة ليلاً.. أو يرمى الكفار فيكون معهم من نسائهم وأطفالهم فيموتون دون أن يقصدوا.. فهذه كالتبييت الذي سئل عنه رسول اللَّه ﷺ.

● حيث روى البخاري في «صحيحه» في كتاب الجهاد ـ باب أهل الدار يُبيتون فيصاب الولدان والذراري ـ، وذكر فيه حديث الصعب بن جثامة، سُئل رسول اللَّه ﷺ عن أهل الدار يُبيتون من المشركين، فيصاب من نسائهم وذراريهم فقال: «**هم منهم**»، وسمعته يقول: «**لا حمى إلا للَّه ولرسوله** ﷺ». وكذلك إذا قاتلت المرأة أو الصغير أو أعانوا على القتال كما هو معلوم في مظانه في كتب الجهاد والسير فالأحاديث فيه كثيرة.

□ بل جوز العلماء قتل المرأة إذا كانت في صف الكفار وشتمت

(١) من «فتح الباري» ـ كتاب الجهاد ـ باب أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري.

المسلمين..

قال ابن قدامة في «المغني» (٨/ ٤٥٠): «(فصل) ولو وقفت المرأة في صف الكفار أو على حصنهم فشتمت المسلمين أو تكشفت لهم جاز رميها قصدًا، لما رواه سعيد حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة[١] قال: لما حاصر رسول اللَّه ﷺ أهل الطائف أشرفت امرأة فكشفت عن قبلها، فقال: «**ها دونكم فارموها**» فرماها رجل من المسلمين فما أخطأ ذلك منها.. ويجوز رميها إذا كانت تلتقط لهم السهام أو تسقيهم الماء أو تحرضهم على القتال؛ لأنها في حكم المقاتل[٢]، وهذا الحكم في الصبي والشيخ وسائر من مُنع من قتله منهم..»اهـ.

أما أن يعمد إلى تجمعات الأطفال والنساء غير المقاتلات كالمدارس ورياض الأطفال أو المستشفيات ونحوها، فتُختار لأنها أهداف سهلة، فهذا مخالف لهدي النبي ﷺ وفيه ضرر على الدعوة، وتشويه لصورة الجهاد الإسلامي المشرقة..

وعلى كل فالكلام في هذا الباب يطول.. وقد كفى ووفى فيه علماؤنا في كتب الفقه والحديث.. ويسهل على طالب الحق مراجعته في مظانه.

* **وقبل أن نختم هذه المسألة نلخص ما قلناه في النقاط الآتية:**

□ لم نقل ببطلان عمل أصحاب العمليات المسئول عنها أو بخلودهم في

---

(١) عكرمة تابعي وليس صحابي، فالحديث مرسل.

(٢) يجدر التنبيه إلى أن (المقاتل) في اصطلاح الفقهاء أخص وأدق من (المحارب) فجميع الكفار في دار الحرب حربيون، ولكن ليس جميعهم مقاتلة.

النار، بل فرقنا بين من يُقتلون فيها وبين من قتل نفسه يأسًا من الحياة أو تسخطًا واعتراضًا على أقدار اللَّه أو جزعًا من الجراح..[١] .

❑ وإنما لنا عليها ملاحظات وتحفظات أشرنا إلى بعضها.. ولذلك ندعو أهلها والمهتمين بها إلى دارستها دراسة شرعية مستفيضة واعية مدعومة بالأدلة الشرعية الصحيحة.

❑ أما إن كانت المفسدة المدفوعة بهذه العمليات قطعية كلية حقيقية، ولا يمكن دفعها إلا بقتل النفس بهذه الطريقة فهذا له من أصول الشريعة ما يؤيده.. وقد قالت به طائفة من أهل العلم المعتبرين بضوابط شرعية.

❑ ندعو المجاهدين إلى استغلال وسائل العلم الحديث في قتال أعداء اللَّه من باب قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، وذلك لإحداث أعظم نكاية بهم، مع أقل الخسائر في صفوف الموحدين خصوصًا تلك الخسائر التي تكون بأيدي المجاهدين أنفسهم..

❑ دعوناهم إلى التركيز على الأهداف العسكرية والأمنية ونحوها لأعداء اللَّه.

الحرج كل الحرج في قتل المسلم نفسه بيده لا بيد عدوه[٢] .

---

(١) فتحفظنا عليها بالصورة المذكورة شيء، وبطلان العمل وفساده شيء آخر، فعدم الجواز أو التحريم حكم تكليفي والبطلان والفساد حكم وضعي، ومعلوم الفرق بينهما عند علماء الأصول.. وليس كل نهي يقتضي الفساد والبطلان.

(٢) راجع «صحيح مسلم» ـ باب غزوة خيبر قصة قتل عامر بن الأكوع نفسه، حيث كان سيفه قصيرًا فتناول ساق يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب ركبته فمات منه..

وفي الحديث قول سلمة: «زعموا أن عامرًا حبط عمله» وفي رواية: «يقولون: بطل عمل =

أما الذين جعلوا قتل النفس وسيلة كسائر وسائل القتال؛ فهو ما لم يسبقهم إليه أحد من أهل العلم المعتبرين.. وقد كنا نسأل المخالفين.. فنقول: المحارب الواحد المقدور على قتله بالمسدس أو نحوه أيجوز تفجير النفس لقتله..؟؟ فيجيب جهالهم بعناد: نعم يجوز ذلك.. فلا نلتفت إليهم لإفلاسهم من الأدلة.. ويجيب عقلاؤهم: لا.. بالطبع لا يجوز لأنه يقدرعليه بدون قتل النفس.. فما الداعي لقتلها؟؟.

فنقول إذا لا بد للمسألة من ضوابط.. ومن المجازفة كل المجازفة، أن نجعل هذه الطريقة مثل أي وسيلة أخرى من وسائل القتال.. وبالتالي فتح الباب على مصراعيه دون ضوابط شرعية.. وخصوصًا أن الأدلة الشرعية الظنية الدلالة التي أوردها لا تسعفهم في تقرير ما ذهبوا إليه.. فاستدلالهم بنصوص القتال العامة في مسألة مخصوصة بعينها غاية في الضعف؛ لأن دلالة النص العام على فرد من أفراده دلالة مخصوصة بلا قرينة، هي دلالة ظنية كما قرره علماء الأصول.

ومعلوم أن الجهاد في سبيل اللَّه عبادة، بل هو من أشرف العبادات..

ومعلون أن: (الأصل في العبادات المنع حتى يأتي دليل صريح صحيح يشرع)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

= عامر قتل نفسه» وفي رواية أخرى قال سلمة: «يا رسول اللَّه أن أناسًا ليهابون الصلاة عليه، يقولون: رجل مات بسلاحه»، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**كذب من قاله إن له لأجرين**».

فتأمل هيبة الصحابة من هذا الأمر، وخوفهم من الدعاء له، وتخوفهم من حبوط عمله؛ لأنه قتل نفسه بسلاحه خطأ!! فكيف بمن قتل نفسه عامدًا؟؟ ومنه تعرف؛ أن الأمر ليس بالهين، ولا يغني فيه الكلام الحماسي العاطفي، بل لا بد من الكلام العلمي الرصين.

وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾، ولقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[1].

فيحتاج من جعل قتل النفس في الجهاد على إطلاقه مشروعًا كأي وسيلة من وسائل الجهاد الأخرى إلى دليل صريح صحيح يشرع ذلك.

وليست تلك الآيات العامة في قتال الكفار أدلة صريحة، ولا ظاهرة في الدلالة على المراد.. بل هي كاستدلال بعض جهال الصوفية لبدعة السماع التي يذكرون اللَّه فيها بالرقص والدف والغناء.. بعموم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾، وبعموم قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، ونحو ذلك من الآيات..

* وقد قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران: ٧].

فذم اللَّه تعالى الذين يتبعون المتشابه ويتركون المحكم..

* ثم قال عز وجل: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧].

فمدح سبحانه وتعالى وأثنى على من يردّ المتشابه المشكل إلى المحكم ليعرف مراد اللَّه منه.. ووصفها بأنها طريقة الراسخون في العلم.. جعلنا اللَّه وإياك منهم..

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ حديث رقم (١٧١٨).

فالمحكم في آيات القتال المذكورة.. أن يقتل المسلم عدوه أو يقتل بيد عدوه بعد المدافعة والدفع.. وأما قتل المسلم نفسه بنفسه ـ كوسيلة للقتال ـ فهو من المتشابه الذي يجب أن يكون له دليل شرعي صريح حتى يُستثنى من عموم النصوص المانعة عن قتل النفس أولاً.. ثم دليل صريح آخر يجعله وسيلة مشروعة من وسائل القتال..

* ولقد قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فسمى اللَّه عز وجل قتل النفس المعصومة أيًّا كانت بغير حق ﴿ عدواناً ﴾ بنص التنزيل، وقال تعالى في قتال الكفار: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

وهذه الآية وإن قيل: إنها منسوخة بآية السيف فالنسخ المقصود عند من قال به هو (منع قتال غير المعتدين) حيث أصبح قتال المشركين كافة، المعتدين والغير معتدين. أما الدلالات الأخرى الموجودة في الآية فلم يقل بنسخها أحد من العلماء، ولذلك احتج ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ بقوله تعالى: ﴿ وَلا تَعْتَدُوا ﴾ قال: «لا تقتلوا النساء والصبيان...».

❑ ولنا أن اللَّه تعالى استثنى من قتال الكفار كل ما يسمى اعتداء في القتل والقتال، فنسخ من ذلك ما تقدم، وبقيت جميع أنواع الاعتداء الأخرى مذمومة ممنوعة، ومن ذلك ما تقرر في الآية السابقة من قتل النفس المسلمة المعصومة فقد وصفه اللَّه تعالى بالاعتداء ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى ﴾ فخرج قتل النفس من أن يكون منهجًا أو طريقة أو وسيلة من وسائل

القتال.. إلا لضرورة كما قدمنا.. إذ الضرورات تبيح المحظورات..

* احتجاج البعض بفعل الغلام في قصة أصحاب الأخدود والرد عليه:

ثم إني سمعت البعض يحتج لجواز قتل النفس مطلقًا في مثل هذه العمليات دون قيد أو شرط، بفعل الغلام في قصة أصحاب الأخدود.. والخبر بطوله رواه مسلم في «صحيحه».. والجواب عن ذلك من وجوه:

□ **أحدها**: أن ذلك من شرع من قبلنا وليس من شرعنا، وقد قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. فما كان في هذا الخبر موافق لشرعنا من دعوة التوحيد والصبر على ذلك، أو كان من الفوائد التي قص الخبر علينا من أجلها قبلناه، وما لم يكن كذلك، بل كان من شرعنا ما يعارضه، فليس بشرع لنا، كتعلم السحر فإنه محرم في شرعنا.. وكذلك قتل النفس، فقد كان يشرع لمن قبلنا أن يقتلوا أنفسهم للتوبة مثلاً كما قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ الآية فإن كان هذا الغلام قد قتل نفسه بنفسه ـ ونحن لا نسلم بهذا كما سيأتي ـ فهو من شرع من قبلنا المنسوخ؛ لأنه مخالف لشرعنا.. وقد قرر علماء الأصول أنه إذا جاء شرع من قبلنا مخالفًا لشرعنا فليس شرعًا لنا..

□ **الوجه الثاني**: أن هذا الحديث فيه محكم ومتشابه فيعمل بالمحكم، ويرد المتشابه إلى شرع اللَّه المحكم، فإن أمر الغلام فيه إشكال وموانع تمنع من القياس عليه والاستدلال به:

فهو يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء بمجرد دعاء اللَّه تعالى، ولا يخذله اللَّه تعالى في شيء من ذلك، وهذا أقرب إلى معجزات الأنبياء منه إلى كرامات الأولياء؛ لأنه يحققه متى أراد وقضيته مع جليس الملك الأعمى تدل على ذلك.

وكذلك جزمة بقوله للملك: «إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به».. فهذا غيب لا يجزم به ولا يعلمه من البشر إلا الأنبياء، قال تعالى: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

وقد كان ذلك كما أخبر به الغلام، إذ لم يقدر الملك على قتله إلا بالطريقة التي دله عليها..

فإما أن يكون نبيًّا، وهذا الذي فعله وحيًا، وأمرًا من عند اللَّه كما قال الخضر عن قتله للغلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ وبالتالي لا يجوز فعله إلا بأمر من اللَّه ووحي خاص صريح.. أو أن يكون أمرًا لا يُقاس عليه كقوله تعالى لأم موسى عليه السلام: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، فجمهور العلماء على أنه إلهام وليس بوحي نبوة، ومعلوم عند كل عالم وجاهل أنه لا يصح الاقتداء بذلك والاستدلال به على جواز رمي الأبناء في البحر إذا ما خيف عليهم جور جائر أو صولة صائل.

فعلى أي الوجهين لا يصح القياس على فعل الغلام في دلالته للملك إلى الطريقة التي يمكنه قتله بها.

❑ **الوجه الثالث**: أن يقال أن فعل الغلام قد ترتب عليه مصلحة عظيمة إذ آمن الناس جميعهم الذين حضروا تلك الواقعة بسبب فعلته، فإن سلمنا أولاً بأن فعله كان قتل نفسه بيده، وجوزنا ثانيًا القياس عليه

والاستدلال به، فيجب تقييده عند من يزنون بالقسطاس المستقيم بمصلحة ضرورية عامة عظيمة كهذه، ولا يفتح الباب على مصراعيه ويجعل كما زعم المخالفون كأي وسيلة من وسائل القتال الأخرى ولا فرق.

وقد ذكرنا لك من قبل أن القائلين بمسألة الترس قد قيدوها بأن تكون المصلحة ضرورية كلية قطعية.

الوجه الرابع: أننا لا نسلم ـ كما أشنا من قبل ـ أن الغلام قد قتل نفسه بيده، بل الذي قتله حقيقة هو الملك بيده، فإن قالوا: قد دله على الطريق..

قلنا: ليس هذا محل نزاع، بل النزاع في أن يقتل المرء نفسه بيده، لا يقتل بيد عدوه.

فإن شئتم أن تقيسوا على هذا الخبر أو تستدلوا به، فقفوا عند حدوده ولا تتعدوه ولا تطففوا، فقيسوا على صورته مثلاً بمثل، فجوزا أن يدل المرء عدوه على الطريقة التي يقتله بها ليحقق بذلك مصلحة كلية قطعية ضرورية. لا أن يقتل نفسه بيده.

هذا إن جاز القياس عليها والاستدلال به في هذا الباب، وقد علمت من الوجوه المتقدمة أن دون ذلك خرط القتاد، هذا ما لزم استدراكه على هذه المسألة. أسأل اللَّه العلي القدير أن يُلهمنا رشدنا، وأن يسدد أقوالنا وأعمالنا، والحمد للَّه أولا وأخيرًا.

هذه خلاصة ما عندنا في هذه المسألة في هذا المقام، نقول به ولا يهمنا ما يشغب علينا مخالفونا إذ قائدنا وحادينا هو الدليل لا غير، ومرادنا رضى الرب لا رضى الناس، نسأل اللَّه تعالى أن يجعلنا ممن وصفهم رسوله ﷺ بقوله: «**لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه**».

ومعلوم أنه إن جاءنا المخالفون في هذا الباب بأدلة شرعية صحيحة تنقض ما قررناه فعلى الرأس والعين، وسنضرب بما قلناه عرض الحائط. فالحق أحق أن يتبع.

واللَّه يقول الحق ويهدي السبيل[1].

❑ هذا الرأي القائل: بأنه إن كانت المصلحة المرْجُوّة من وراء هذه العمليات أو المَفْسدة المُراد دفعها ضرورية كلية قطعية لا يمكن التوصل إليها إلا بهذه الطريقة جاز ولا ننكره، أما بغير هذه الضوابط فلا، قياسًا على «التُّرس».

❊ والرأي الآخر: الجواز على الإطلاق ولا نقول به.

والرأي الآخر رأى الجواز على الإطلاق:

❑ قال الدكتور نصر فريد واصل مفتي جمهورية مصر العربية:

العمليات الفدائية التي يقوم بها المجاهدون المسلمون دفاعًا عن أراضيهم المحتلة هي جهاد مشروع واستشهاد في سبيل اللَّه؛ لأن ما ترتكبه إسرائيل جريمة بكل المقاييس فهي لا تعرف غير هذا الأسلوب لردعها.

ويناشد الدكتور واصل وسائل الإعلام العربية والإسلامية المختلفة أن تنأى بنفسها عن وصف تلك العمليات الاستشهادية بأنها انتحارية؛ لأن هذا الوصف أمر خطير وقلب للحقائق فالانتحار له عقوبة في الشرع

(١) الأمر يحتاج إلى دراسة مفصلة من هيئات كبار العلماء.

عكس الاستشهاد الذي حث عليه الإسلام دفاعًا عن النفس والأهل والوطن والدين، وأكد فضيلته أن هذا الوصف مخالفة شرعية؛ لأنه ترديد لقول أصحاب المصلحة في إضعاف المسلمين ونوع من الممالأة للأعداء، مشيرًا إلى رفضه لعمليات خطف الطائرات؛ لأنها تقتل أبرياء ومسالمين وقد يصل الأمر بالمختطف إلى تفجير الطائرة ونحن لا نستطيع الجزم بأن كل من فيها من الأعداء. وقد يترتب على تلك العمليات انعكاسات سلبية ربما تضر بقضايا المسلمين أكثر مما تنفعها.

ويؤكد الدكتور رشاد خليل وكيل كلية الشريعة والقانون بالقاهرة على أن العمليات الفدائية هي من أقوى العمليات التي تقوم بها قوى المجاهدين الفلسطينيين فالفدائي يسعى بنفسه وهو يعلم أنه سيموت، والنية هنا يجب أن تكون الأساس، فإذا كان الفدائي يحارب لدنيا يصيبها أو مال يرجوه ويطلبه أو أي متاع آخر، فلا شك أن هذا من قبيل الانتحار؛ لأن ما قام به ليس لوجه اللَّه، أما إذا كانت نيته لتحرير الأرض والدفاع عن النفس والعرض فهذا عمل لا يدانيه عمل آخر، وثوابه الشهادة عند اللَّه عز وجل.

ويضيف هذه العمليات الفدائية يجب أن نزكيها وننميها بإعداد جيش من هذا النوع خصوصًا في هذه الأيام، فكل آيات الجهاد تحض على ذلك، وكل فتوى تخالف ذلك يجب تفنيدها؛ لأنها ليست صحيحة، فما تفعله إسرائيل يتطلب الجهاد بكل أنواعه.

ويقول الدكتور محمد فؤاد شاكر أستاذ ورئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة عين شمس إن الجهاد في سبيل اللَّه من فروض الكفاية ويتعين أن يصبح فرض عين إذا هوجم المسلمون في ديارهم، وأرض

فلسطين أرض محتلة وأهلها في حالة دفاع شرعي عن الأرض والنفس والمال، وبالتالي فإن كل ما يبذلونه من غال ونفيس من الأموال والأرواح جزء من الجهاد الشرعي، ويتعين عليهم ألا يقدموا أنفسهم بأنفسهم إلى موارد الهلاك، فعليهم أن يقاتلوا العدو حيث وجدوه، فإن انتصروا فهذا هو المأمول، وإن سقطوا في ساحة الجهاد فهم شهداء عند ربهم يرزقون.

ويضيف الدكتور فؤاد: إن صور الجهاد قد تتعدد فأحيانًا يكون بالمال وأحيانًا أخرى يكون بالكلمة، ولكن ليس المقصود من الجهاد القتل ولكن المقصود منه الدفاع عن الوطن والمال والعرض، ولقد نهى الرسول ﷺ عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وهو نهي عام بمعنى أنه لا ينبغي أن نقتل هؤلاء من الأعداء إلا لضرورة ولا ينبغي أن نقدم أمثالهم إلى ساحة المعركة إلا إذا هوجمنا في ديارنا، وبالتالي يكون قتلهم في ديارنا، ولذلك يظل الجهاد فرضًا على البالغ العاقل القادر عليه، وهذه العمليات الفدائية إذا كانت تضحية بغرض رفع ضرر عام عن الجماعة فالضرر الخاص يحتمل في مواجهة الضرر العام، وحقيقة الأمر أن هذا النوع من العمليات الفدائية ينبغي أن يكون بين المقاتلين بمعنى أن يتم التفجير في داخل ثكنة حربية أو في مواجهة من يحملون السلاح، أما التفجير العشوائي الذي قد يصيب المقاتل وغير المقاتل والكبير والصغير فلا أظنه مباحًا إلا من قبيل المعاملة بالمثل، فلا نتركهم يفجرون بيوتنا، ويعتدون على أطفالنا وشيوخنا، ونحن نقف مكتوفي الأيدي، والإسلام ينبهنا إذا اضطررنا إلى ذلك فالضرورة تقدر بقدرها، بمعنى أننا ينبغي ألا نتجاوز فكلما استطعنا أن نحمي طفلاً أو شيخًا أو امرأة فذلك أفضل؛ لأن دماء البشر معصومة.

ويشير الدكتور عبد الصبور شاهين إلى أن وضع الشعب الفلسطيني

الآن تحت الحصار الشديد خطير إلى الدرجة التي أصبح معها مستحيلاً أن يحصل على رغيف الخبز اليومي فضلاً عن أن يحصل المقاتلون على بعض السلاح الذين يدافعون به عن شعبهم وقضيتهم وأنفسهم وهذا الأسلوب الذي قاتل به الأبطال الفلسطينيون هو الممكن الوحيد الآن، ولذلك يجب أن نشجع هؤلاء «الشهداء الأحياء» والذين مضوا على طريق الخلود على إعلاء روح الفداء حين هبطت هذه الروح لدى الشعوب العربية من حولهم وأصبحوا وقد انفرد بهم العدو في حصار رهيب.

فإذا لم يكن من الموت بد ... فمن العار أن تموت جبانًا

وكأن الشاعر العربي عنى هؤلاء الأبطال عندما قال فيهم:

يجود بالنفس إن ضن الشجاع بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ويضيف: إن هؤلاء الفدائيين هم الذين يبرهنون على أن الأمة العربية والإسلامية لن تفنى ولن تهزم ولن تغلب.

د. جلال الدين عبد الرحمن أستاذ الشريعة بكلية الشريعة والقانون ـ يقول: الجهاد هو قتال مسلم لكافر لإعلاء كلمة اللَّه، أو دفاعًا عن الوطن وليس هناك وسيلة يدافع بها عن نفسه، فهذا أعلى درجات الجهاد والتضحية في سبيل اللَّه، وأصحاب رسول اللَّه ﷺ كانوا يضحون بأنفسهم، وكانوا يقبلون على الشهادة، فهذا الذي يلغم نفسه يطلب الشهادة ببذل نفسه رخيصة في سبيل الوصول إلى هدف شرعه اللَّه سبحانه وتعالى، وكون من يدعي أن هذا قتل للنفس بانتحار فهذا غير صحيح.

* كلام عشوائي:

ويقول دكتور عيسى زهران ـ رئيس قسم أصول الفقه بكلية الشريعة ـ: إن انتفاضة الفلسطينيين وما هم عليه الآن دفاع عن الدين والوطن وهذا جهاد، وما يقال: إنه انتحار مجرد كلام عشوائي[1]؛ لأن المعتدين عليهم كفار وجهاد الكفار واجب شرعي، ويتساءل: إذا لم يكن هذا جهادًا فما هو الجهاد؟ فالجهاد هو محاربة الكفار المعتدين الذين يغتصبون أراضي المسلمين ويزعجونهم ليلاً ونهارًا، فليس أمام الفلسطينيين تجاه هذا الطغيان المتعنت إلا أن يردوا كيدهم بكل ما أوتوا من قوة ويجب على المسلمين جميعًا أن يشدوا من أزرهم وأن يساعدوهم ويعاونوهم في هذا الوقت بالذات؛ لأنه وقت عصيب، وقد كاد اليهود أن يستولوا على أرضهم بالكامل، ولذلك فإن واجب أفراد الأمة الإسلامية والعربية أن يتضافروا بكل ما يملكون من قوة لنصرة القدس امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ فالجهاد الآن ضد اليهود أصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة لكي يخرج اليهود من الديار الإسلامية المباركة ديار القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

* المعاملة بالمثل:

وقد خالف رئيس رابطة علماء فلسطين الشيخ حامد البيتاوي فتوى مفتي السعودية، واستند إلى أن الجهاد مشروع من أجل حماية الدين

(١) ليس كلامًا عشوائيًا بل يستند إلى أدلة.

والأعراض وهو فرض كفاية، يصبح فرض عين إذا احتل الكفار شبرًا من بلاد المسلمين، الأمر الحاصل فعلاً في احتلال اليهود لفلسطين، وقال الشيخ البيتاوي: إن المبدأ الثاني: هو مبدأ المعاملة بالمثل والقرآن الكريم يقول: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾، آية أخرى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ومن هنا فإن منفذي هذه العمليات أبطال مجاهدون يحملون أرواحهم على أكفهم، والشاعر يقول:

سأحمل روحي على راحتي ... وألقي بها في مهاوي الردى
فإما ممات يسر الصديق ... وإما ممات يغيظ العدا

❁ ❁ ❁

فهي عمليات استشهادية جهادية وليست كما يزعمون انتحارية، وشدد الشيخ البيتاوي القول على من يقولون: إن هذه الأعمال لا تفيد، فقد ألقت الرعب والخوف في صفوف العدو الإسرائيلي الذي يمارس الإرهاب والعدوان منذ أن دنس أرض فلسطين.

أما الدكتور عبد العزيز الرنتيسي القيادي في حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فقد قال: إن الانتحار نية، وإذا كانت هناك نية لدى المستشهد بأن يتخلص من نفسه؛ لأنه مل الحياة، فهذا يكون انتحارًا، ولكن إذا كان يريد أن يستشهد ليضرب العدو ويتلقى أجرًا من اللَّه فهو شهيد، ومن يقوم بهذه العمليات شهداء، وقد أفتى كبار العلماء المسلمين بهذا مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ

الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]

* حول فتوى الشيخ الألباني بالهجرة من بعض مناطق فلسطين:

«الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ في زماننا هذا ـ راحلة علم عالية السَّنام، تامة الخَلق، مُتماسكةُ البناء، تغدو إليها رواحلُ العلم خفافًا خِماصًا، وتروحُ عنها ثقالاً بِطانًا، فقد أنعم اللَّه عليه بعلمٍ، أَوثقهُ إلى القرون الأولى، وأقامَهُ على جادَّتها، وأراه فيها من آيات العلم الكبرى، فكان لِزامًا عليها أن تقصدَه في رغبةٍ مُقسطةٍ تعرفُ له بها حقًّا لا تُؤدِّيه إيَّاه، إلا أن تأتيه بهذه الرغبة، فلا يرتدُّ طرفها عنه إلا بأخذها منه حظًّا وافرًا، تعرف به أنه حظٌّ لا يكون إلا منه، وأن الشيخ ما نِيلَ منه بأذى ولا يُنالُ ـ إن نِيلَ ـ إلا بسببه، فالحسدُ في الناس قديمٌ، وكان لا يَحسنُ أن يُنالَ من الشيخ من أُمَّته به، لكن، حين أقعدها الحسدُ، وفتكت سُوآه بأسباب العزّة فيها، وضلَّها غرورها، وجدت نفسها موثوقةً إلى عجزها، ولم تر في الشيخ إلا ظلاًّ عارضًا، وقديمًا قيل: «وما آفةُ الأخبار إلا رواتها»!.

وإن تتابُعَ الإغارة على الشيخ، ممن يَنسِبُون أنفسهم إلى العلم لا يُنبئُ إلا عن فساد وشرّ، ورغبةٍ في الإمعان بالباطل، ورغبةٍ عن العلم الصحيح، والوقوف عند بداياته، والظنِّ السَّيِّئ بالمسلم في نفسه وفي غيره، وإلا فما الذي يَحجزُهم عن لقياه، ونُصحه من قريبٍ إن كانوا يرون ما يستوجبُ النصحَ له، والتعرُّفَ إلى منهجه العلمي؟!

---

(١) «مجلة صوت الأزهر» ص(٢).

وليس يُنبئ عن الشيء مثله!! أو لم ير أولئك الأشياخُ فسطاطَ علم الشيخ يمتدُّ ويمتدُّ كل يوم، ويأوي إليه الألوفُ من المسلمين، بل الملايين الذين استنارت بصائرُهم بنور الحق، وهدوا إلى سواءِ القصد، حين أُلهموا أن ينهَلُوا من علم الشيخ في كتبه، ورسائله، وتسجيلاته، من بعيد ومن قريب، في حين يَرونَ (المشايخَ) و(الأشياخَ) و(الشَّيَخَةَ) و(المشيُوخاءَ) يُصرُّون على عداوَته، والطَّعنِ عليه، وتجريحِه، والقول فيه ما لم يقُلهُ أهلُ الجاهليَّة الأولى!

إنَّها ـ واللَّه ـ الفتنةُ، فتنةُ النَّفس الأمَّارة!! القرَّارة الجرَّارة!! البوَّارة الموَّارة!!

إنها أمشَاجُ العلم تتهارشُ في رَدخَةِ خلائفِ التعصُّب، من بعد تلكم المنارات التي علت في سماء القُرون، وضوَّأت آفاقَ الحياة، وأقبلت إليها ركائبُ طُلاب المعرفة من كل الأقطار، تنهلُ من معينها الثَّرِّ الصَّافي ما يُغنيها عن تلمُّس اليسير منه، في غير المدينة، ودمشق، والقاهرة، وبغداد، وقرطبة، وصنعاء، وبيت المقدس»[1].

ولقد أفتى الشيخ الألباني بوجوب الهجرة من البلاد التي يغلب عليها الكفر والفجور والفسق ـ ومنها بعض مناطق فلسطين ـ؛ بحيث لا يستطيع المسلم معها ـ الحفاظ على دينه أو نفسه ـ وهذه الفتوى مبثوثة في عدد من الأشرطة.

ومن الظلم أن تؤخذ مقطّعة، مجزّأة، مضافًا إليها سوء الظن أو ظن السوء.

قال الشيخ الألباني عن رسالة الشيخ محمد إبراهيم شقرة: «ماذا

(١) «ماذا ينقمون من الشيخ» لمحمد إبراهيم شقرة ص(٥٢٤).

ينقمون من الشيخ؟!»: «فلقد قرأت هذه الرسالة النافعة ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ والقاضية بإذنه سبحانه على إرجاف المرجفين وأباطيل المبطلين، وذلك بجمعها لشتات ما تفرّق من فتاوايَ المنثورة في الأشرطة والمجالس حول وجوب الهجرة من البلاد التي يغلب عليها الكفر والفجور والفسق؛ بحيث لا يستطيع المسلم ـ معها ـ الحفاظ على دينه أو نفسه.

ولقد استغل بعض ذوي الأغراض الشخصية والأهواء النفسية هذه الفُتيا أسوأ استغلال وأرخصه، ووظَّفوها لتحقيق مآربهم وتنفيذ مخططاتهم!

ورد أيضًا على الشيخ الألباني دكاترة عشرون ونّيف، وكانوا مهذبين في ردهم، ملتزمين أدب الشرع في ذلك.

قال الشيخ الألباني: «أين هم ـ وفّقهم اللَّه للخير ـ من خُطبة فقير العلم ذاك! الذي هو رأس الفتنة، حيث نفى صراحة أن يكون هناك ديار إسلامية! بل قال بالحرف الواحد ما نصُّهُ: «ما أرى إلا أنَّ الهجرةَ واجبةٌ من الجزائرِ إلى تلّ أبيب»!!، وقال: «لو خُيِّرتُ ـ أُقسمُ باللَّه ـ أن أعيشَ في أيِّ عاصِمَةٍ عربيَّةٍ لاخترت أن أعيشَ في القُدسِ تحت احتلالِ اليهود»!!.

فهل هذه الأقوالُ ـ يا مَعشرَ الدَّكاترة! ـ أخطرُ وأضلُّ، أم القائلُ بوجوبِ الأمرِ الذي هو قولُ جميع العلماء؟!

فسكوتُكم عن هذه الأقوالِ ـ التي لا نشكُّ أنَّكم معنا في بُطلانها، وضلالِ صاحبِها، فضلاً عن أقواله الأخرى الصَّريحَة بتكفيرِ القائلِ بالهجرَة من تحتِ الاحتلالِ اليهودي ـ لأكبرُ دليلٍ على أنَّ اجتماعَكُم في الرَّدِّ على القائلِ بالهجرةِ المشروعةِ، وسكوتَكُم عن فقيرِ العلمِ ذاك لم

يكُن خالصًا على نهجِ العلم الصحيح، وهذا أمرٌ قد انكشَف لكثيرٍ من أَلبَّاءِ المسلمين.

□ **وأقول أخيرًا لكل المُرجفينَ**: من أجل هذا كله لزمتُ الصمت!؛ داعيًا ربي جل وعلا أن يجعل الدَّائرَة على الظالمين المبطلينَ، وقائلاً: «**اللَّهم إني مظلومٌ فانتصر**»، والعاقبَةُ للمتقين.

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾.

□قال الإمام ابن عساكرَ في «تبيين كذب المُفتري»:

«اعلم ـ يا أخي ـ وفّقنا اللَّه وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتّقيه حق تُقاته، **أن لحومَ العلماء مسمومة، وعادةُ اللَّه في هَتك أستارِ مُنتقصيهم معلومة**؛ لأن الوقيعة فيهم ـ بما هم منه براءٌ ـ أمرٌ عظيم، والتناول لأعراضهم بالزُّورِ والافتراء مرتعٌ وخيم، والاختلاقَ على من اختارهُ اللَّه منهم لنعشِ العلم خُلُقٌ ذَميم.. والارتكابَ لنهي النبي ﷺ عن الاغتياب جسيم ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾»[1]

□يقول الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ:

«إن ما حرّره الأخ الفاضل الشيخ محمد شقرة في رسالته هذه من فتاواي وكلامي هو خلاصة ما أعتقده وأدين اللَّه به في هذه المسألة».

□يقول الشيخ محمد إبراهيم شقرة في رسالته ص(١٢، ١٣):

«وليس صعبًا على من يُخاصمُ من مكانٍ بعيدٍ بغير علمٍ ولا هُدًى

(١) «تبين كذب المفتري» للإمام ابن عساكر ص(٢٩ ـ ٣٠).

ولا كتابٍ منير؛ طاعةً لإبليسَ، ووفاءً له بالعهد ـ من فوق المنابر ومن تحتها، من فوق القِباب الخُضر ومن تحتها، من وراء الجُدُر المُسنَّدة ومن أمامها، من غياهبِ الغُرَفِ المظلمة ومن ظهورها ـ أن يُجيِّشَ ـ بكلماته الهوجاءِ ـ جيوشًا، ويُدمِّر دولاً، ويُفني قبائل وشعوبًا، ويمحو ما يشاء ومن يشاء، ومتى يشاء، وكيف يشاء، وأنَّى يشاء، ويُثبت! يُرغي بذلك ويُزبد، ويُغري فريَ الهاذي الأحمقِ المُعربد، ويُقيم الطامَّات من النُّوَبِ ولا يُقعِد، مدثِّرًا كل ذلك بخيالات الأطفال السذَّج، مُخليًا له بسوء أدبٍ، وكُزوزةِ وجهٍ، وبلادةِ حِسٍّ، وقماءةِ رجولةٍ، وركاكة دين، وفهاهة لسانٍ، وخُيلاءِ مجانينَ، وكبرياء صاغرين، وحقارة أشعبيِّين!!

▫ وماذا على الناقمين على الشيخ فتواه ـ زعموا ـ وهي مطيّةُ الكذب لو أنَّهم أتوهُ في داره، أو كلَّفوا إبهاماتهم الضغطَ على أرقام الهاتف يسألونه عن تلك الفُتيا، التي وجودها ذريعةً لألسنتهم السالقةِ الحدادِ، أن ينالوا من الشيخ ـ ظنُّوا ـ والظنُّ لا يُغني من الحق شيئًا ـ في عرضه، ودينه، وزرعه اليانعِ!

ولا ـ واللَّه ـ ما نالوا إلا من أنفسهم، ولا جلَدوا إلا أبشارَهم، ولا حطموا إلا عصفهم، ولا سفَّهُوا إلا أحلامَهُم!

▫ ويقول: ص(١٤ ـ ١٦):

أولاً: الهجرة قرينةُ الجهادِ، ماضيان معًا إلى يوم القيامة، كما قال ﷺ فيما رواه أحمد وغيره: «**لا تنقطعُ الهجرةُ ما دامَ الجهادُ**»، وإجماع الأمة مُنعقد على ذلك، وأما قوله ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**»، فإنَّه يرادُ به ـ خصوصًا ـ الهجرةُ الأولى من مكة إلى المدينة، وعلى هذا جماهير

العلماء:

❑ قال الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٢٠) بعد إيرادِه الأحاديث التي ورد فيها النهي عن الهجرةِ بعد الفتح:

«وهذه الأحاديثُ والآثارُ دالَّة على أن الهجرة قد انقطعت بعد فتح مكَّة، لأن الناس دخلوا في دين اللَّه أفواجًا، وظهر الإسلامُ، وثبتت أركانه ودعائمُه، فلم تبق هجرةٌ، اللَّهم إلا أن يعرضَ حالٌ يقتضي الهجرةَ بسبب مُجاورة أهل الحرب، وعدم القدرة على إظهارِ الدين عندهم، فتجبُ الهجرةُ إلى دار الإسلام، وهذا ما لا خلافَ فيه بين العلماء».

❑ وقد ذكرَ الإمام ابن العربي المالكي في «أحكام القرآن» (١/ ٤٨٤) أثناء تفسير قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فقال ـ رحمه اللَّه ـ ضمن بيانه أنواعَ الهجرة:

«.. الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضًا في أيام النبي ﷺ، **وهذه الهجرة باقيةٌ مفروضةٌ إلى يوم القيامة**»[1].

❑ **وها هنا تنبيهٌ مهمٌّ جدًّا؛ وهو أن الفُتيا ـ في أصلها ـ ليست موجَّهةً إلى أهل فلسطين وحدهم، ولكنها مُوَجَّهةٌ إلى كل من ينطبقُ عليهم مناط هذا الحكم المتصلِ بالخشيةِ على الدين والنفس.**

---

(١) ونقله عنه القرطبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠) وأقره.

وبمثل هذا أفتى كبار علماءِ الإسلام في حالاتٍ مُشابهةٍ مماثلةٍ في القرون الماضية؛ كَفُتيا شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة (٧٤٨هـ)، لأهل ماردين ـ وهي مدينةٌ في الشام احتلها العدو الكافر آنذاك ـ ؛ لما سُئِل عنهم: هل تجبُ عليهم الهجرةُ؟ فقال ـ رحمه اللَّه ـ كما في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٤٠): «والمُقيمُ بها إن كان عاجزًا عن إقامةِ دينه وجبت الهجرة عليه، وإلا استُحِبَّت ولم تجب».

وبنحو ذلك أفتى العلامةُ محمد العبدوسي المتوفى سنة (٨٤٩هـ) مُسلمي غرناطة ـ آخر معاقل الإسلام في الأندلس ـ عند سقوطها بأيدي الكفار؛ كما في كتاب «الحديقة المستقلة النضرَة»[1] .

ثانيًا: من عظيم الحكمة الإلهية أن اللَّه سبحانه لَمَّا شرع الهجرة أول ما شرعها إنما كانت من أقدس أرضٍ، وأعظمها حُرمةً عنده، وهي مكَّةُ، وناطها بأعظم إنسانٍ وأحبه إليه، وهو رسول اللَّه ﷺ .

◻ قال الشيخ محمد إبراهيم شقرة ص(٢٠ ـ ٢٥):

«◻ من أراد معرفة حقيقة الفتوى تامَّةً، فليتق اللَّه ربه أولاً، ثم ليجمع أجزاءها ثانيًا، ثم ليفهم ما يعني الشيخُ ويريده بفتواه ثالثًا، وكان خيرًا له لو أنهز همَّته العلمية القعساء!!! وشحذَ سكين تقواه المثلَّمة!!! وفهم عن الشيخ مراده، من غير حاجبٍ، ولا ترجمانٍ، ولا أفّاكٍ (هائجٍ)، ولا مُتعالمٍ (مُختَلطٍ)، ولا مُغرضٍ (باهت)، ولا طويلٍ (أَهبلَ)، ولا قصيرٍ (مُنبعج)!!

---

(١) انظر مقدمة تحقيق «الإفادات والإنشادات» ص(١٢ ـ ١٣) للشاطبي.

وقال: نُرتِّب فتوى الشيخ بأجزائها المُؤتلفة المُتفرّقةِ في نقاطٍ واضحةٍ محدَّدة:

ـ الهجرة والجهاد ماضيانِ إلى يوم القيامة.

ـ ليست الفُتيا موجَّهةً إلى بلدٍ بعينه، أو شعبٍ بذاته.

ـ وقد هاجر أشرفُ إنسانٍ وأعظمهُ محمد ﷺ، من أشرفِ بُقعةٍ وأعظمها؛ مكة المكرمة، وكلُّ إنسانٍ ـ منذُ خُلق الناس وإلى قيام الساعةِ ـ دون محمدٍ ﷺ منزلةً، وكلُّ بقاعِ الأرض دون مكة شرفًا وقُدسيّةً.

ـ وتجب الهجرةُ حين لا يجدُ المسلم مُستقرًّا لدينه في أرضٍ هو فيها، أو امتُحِنَ في دينه فلم يعد في وُسعِه إظهارُ ما كلَّفه اللَّه به من أحكامٍ شرعيّةٍ، أو خَشِيَ أن يُفتَنَ في نفسه من بلاءٍ يقعُ عليه أو مسٍّ أذى يُصيبه في بدنه فينقلبُ به على عَقبيه.

وهذه النقطةُ هي مناطُ الحكم في فتوى الشيخ والمُرتكزُ الأساس فيها ـ لو كانوا يعقلون! ـ وبها يرتبطُ الحكم وجودًا ونفيًا.

ولكن ـ وللأسف الشديد ـ قد غيَّبَ ذلك وأخفاه وكتمهُ الناقدون الحاقدون الحاطبون في مُحاضراتِهم و(ملاحِمِهم) المنبريَّة الانتخابيَّة!!

قال الإمام النووي في «روضة الطالبين» (١٠/ ٢٨٢):

« المسلم إذا كان ضعيفًا في دارِ الكفر، لا يقدر على إظهار الدينِ حَرُمَ عليه الإقامةُ هناك، وتجبُ عليه الهجرة إلى دار الإسلام..».

وحين يجدُ المسلم موضعًا ـ داخل القُطرِ الذي يعيشُ فيه ـ يأمَنُ فيه على نفسه ودينه وأهله، ويأى فيه عن الفتنةِ التي حلَّت به في مدينته أو في قريته، فعليه ـ إن استطاعَ ـ أن يُهاجرَ إلى ذلك المكان داخل قُطره

نفسه، وهذا أولى ـ ولا شكّ ـ من أن يُهَاجرَ إلى خارجِ قُطره، **إذ يكونُ أقربَ إلى بلده ليُسرع بالرجوعِ إليه بعد زوالِ السبب الذي من أجله هاجر.**

وهذه نُقطةٌ أخرى ـ أيضًا ـ قد غيَّبها أولئك (القوم) الذين لم يرقبوا في الشيخ، والعلم، والناس، إلاً ولا ذمَّةً!!

إذن، فالهجرةُ كما أنَّها مشروعةٌ من قُطر إلى قطرٍ، فهي مشروعةٌ من قريةٍ أو من مدينةٍ إلى قريةٍ أو مدينةٍ داخلَ القُطرِ نفسه، والمهاجرُ يعرفُ من نفسه ما لا يعرفُه منه غيرُه.

وهذا ـ ثالثًا ـ قد غيَّبه أولئك المُهَرِّجون على المنابر، والراقصون على الصحائف! زاعمين أن الشيخ يأمر أهل فلسطين بالخروجِ منها!! **نعم؛ هكذا ـ واللَّه ـ من غيرِ تفصيلٍ أو بيانٍ!!** ولكن:

فما يَبْـلُغُ الأعـداءُ مِن جاهِـلٍ ... مَا يَبْـلُغُ الجاهِـلُ مِن نَفْسِـه!

والهجرةُ من قُطرٍ إلى قُطرٍ لا تُشرعُ إلا بدواعيها وأسبابها من مثلِ ما ذكرنا في فقرةٍ مضت؛ ومن أعظم هذه الأسباب، أن تكون الهجرةُ للإعداد واتِّخاذ الأهبة التي أمر اللَّه بها؛ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾؛ لإجلاء الأعداء عن أرضٍ من أرض المسلمين، وتخليصها من أيديهم؛ ليعود إليها حُكمُ الإسلامِ كما كان من قبلُ.

فالهجرةُ ـ إذن ـ من الإعداد الذي أمر اللَّهُ به وحضَّ عليه، ومن أبطأ فيها ـ وقد تَهَيَّأت أسبابُها ودواعيها ـ فقد عصى اللَّه، ونأى بجانبه عن أمره.

فإن علمَ المسلمُ أو المسلمون أنهم ببقائهم في ديارِهم يَزدادون وهنًا إلى وهن وضعفًا إلى ضعفٍ، وأنهم إن هاجروا ذهب الوهنُ عنهم،

وزال الضعفُ منهم، وبقوا ـ بعد علمهم هذا ـ ولم يُهاجِروا؛ ـ إن استطاعوا ـ فهم آثمونَ عاصون أمر اللَّه، وربَّما عُوقبوا بمعصيتهم هذه عقوبةً أعظم وأشدَّ نُكرًا، تتلاشى فيها شخصيتهم، وتغيبُ معها صورتُهم، وتضلُّ بها عقيدتُهم، ثم لا يجدون لهم من دون اللَّهِ وليًّا ولا نصيرًا.

وما صار إليه المسلمون في الأندلس، وفي غيرها من البلاد، شاهد منظورٌ يَقُصُّ علينا من نبئه ما يبعثُ مَنسِيَّ الشَّجَن، ويُنسي لذَّة الوَسَن، ويُذكِّر محظورَ السنن! فهل من مُدَّكِرٍ؟

□ومما لا شكَّ فيه ـ مما كتمه ـ أيضًا ناقلو الفُتيا المُشيعونَ لها ـ أن هذا كلَّه مَنُوطٌ بالقُدرة والاستطاعة، لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ ولقوله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾؛ فإن لم يجدِ المسلمُ أرضًا يأوي إليها غيرَ الأرض التي هو فيها؛ يأمَنُ فيها على دينه، وينجو من الفتنة الواقعِ فيها، أو حِيلَ بينَه وبين الهجرة بأسباب مانعة قاهرة لا يستطيعُ تذليلَها، أو استوت الأرضُ كلُّها في الأسباب والدَّواعي المُوجبة للهجرة، أو عَلِمَ في نفسه أنَّ بقاءَه في أرضه آمَنُ لدينه ونفسه وأهله، أو لم يكُن من مُهاجَرٍ إلا إلى أَرض يُحكم فيها بالكُفر الصُّراح علانيةً، أو كان بقاؤه في أرضه المأذون له بالهجرة منها مُحقِّقًا مصلحةً شرعيّةً، سواءٌ أكانت هذه المصلحةُ للأمَّة، أم بإخراجِ أهل الكفر من كفرهم، وهو لا يخشى الفتنة على نفسه في دينه، **فهو في هذه الأحوال كلها، وفي الأحوال التي تُحاكيها، ليس في وُسعه إلا أن يبقى مُقيمًا في أرضه، ويُرجَى له ثوابُ المُهاجرين، فرارًا بدينهم، وابتغاءَ مرضاةِ ربِّهم.**

▫ قال الإمامُ النووي ـ في «الرَّوضة» (١٠/ ٢٨٢) ـ مُتَمِّمًا كلامَه الذي نقلتُه عنه ـ قبلُ ـ:

«.. **فإن لم يَقدر على الهجرة فهو مَعذورٌ إلى أن يَقدرَ**».

▫ ويُقالُ في أهل فلسطين ـ خصوصًا ـ ما يُقالُ في مثل هولاء جميعًا، فلقد سُئل الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ عن بعض أهل المدن التي احتلَّها اليهود عام ١٩٤٨م، وضَرَبوا عليها صبغَة الحكم اليهودي بالكليّة، حتى صار أهلُها فيها إلى حال من الغُربة المُرملة في دينهم، وأضحوا فيها عبدةً أذلاّءَ؟ فقال: هل في قُرى فلسطين أو في مُدُنها قريةٌ أو مدينةٌ يستطيع هؤلاء أن يَجِدُوا فيها دينهم، ويتَّخذوها دارًا يدرءُون فيها الفتنةَ عنهم؟ **فإن كان؛ فعليهم أن يُهاجروا إليها، ولا يَخرجُوا من أرض فلسطين، إذ إنَّ هجرتَهم من داخلها إلى داخلها أمرٌ مقدُورٌ عليه، ومُحقِّقٌ الغاية من الهجرة.**

وهذا تحقيقٌ علميٌّ دقيقٌ ينقُضُ زَعمَ من شوَّشَ وهوَّشَ مُدَّعيًا أن في فُتيا الشيخ إخلاءً لأرض فلسطين من أهلها، أو تَنفيذًا لمُخطَّطات يهود!! ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾».

خُـذْ ما تراه ودعْ شـيئًا سمعت به ... في روعة الحق ما يغنيـك عن كذب

❀ ❀ ❀

الأحاديث الضعيفة والموضوعة

الأحاديث الضعيفة والموضوعة

(١) «إن الصلاة في الصخرة بخمسين ألف صلاة».

«التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث» للشيخ بكر عبد اللَّه أبو زيد (٢٥٧).

(٢) «إن الصلاة فيه ـ الأقصى ـ بخمسين ألف صلاة».

«المنار المنيف» لابن قيم الجوزية (١٦٢).

(٣) «بيت المقدس بيت اللَّه وحج المساكين».

«التهاني في التعقب على موضوعات الصاغاني» لأبي اليسر عبد العزيز الغماري (٤٧).

(٤) «بيت المقدس طست من ذهب مملوء عقارب».

«الأسرار المرفوعة» (١٢٩)، «أسنى المطالب» (٤٥٦)، «تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين» لمحمد البشير الأزهري (١٣٠)، و«تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث» لابن الديبع الشيباني (٥٥)، و«الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث» للغزى ـ بكر بن عبد اللَّه أبو زيد (٨٦)، «الشذرة في الأحاديث المشتهرة» محمد بن طولون الصالحي، و«كشف الخفاء» (٩٣٠)، و«اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» لأبي المحاسن القاوقجي (١٤٢)، و«مختصر المقاصد» (٢٨٢)، و«المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» لملاعلى القاري (٧٨)، و«المقاصد الحسنة» (٣٠٧)، و«النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية» لمحمد

الأمير الكبير المالكي (٧٨)، و«النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة» لمحمد الصعدي اليمني (٤٧٧).

(٥) «بينا رسول اللَّه ﷺ ذات يوم في مجلسه إذ سمع دويّ الهواء؛ فإذا جبريل هبط إليه يذفّ بجناحين أخضرين منسوجين بالدر والياقوت، قال: فجلس عند رسول اللَّه ﷺ فقال: يا محمد! إن القدس شكت إلى ربها بتعطيلها، وافتخرت الكعبة بكثرة حجّاجها، وزوّارها، فاطلع اللَّه عليه في ظلل من الغمام والملائكة».

«ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ»[1] لمحمد بن طاهر ابن القيسراني المقدسي (٢٣٧١).

(٦) «بيت المقدس أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلّوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره؛ فمن لم يستطع فيهدي له زيتًا يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه فصلّى فيه».

ضعيف: أخرجه ابن ماجه، والطبراني في «الكبير» عن ميمونة، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٣٤٤).

انظر «ضعيف الجامع»، «مختصر المقاصد» (٢٨١)، و«الشذرة» (٢٧١).

(٧) «أربع مدائن من مدن الجنة في الدنيا: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق، وأربع مدائن من مدن النار في الدنيا: القسطنطينية، والطبرانية، وأنطاكية المحترقة، وصنعاء، وإن منشأ المياه العذبة والرياح اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس».

---

(١) «ترتيب أحاديث الكامل في تراجم الضعفاء وعلل الحديث».

منكر موضوع: أخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة، وفيه الوليد بن محمد الموقري. وصنعاء هذه بأرض الروم وليست صنعاء اليمن. وأنطاكية المحترقة بأرض الروم.

(٨) «أربع محفوظات وست ملعونات، فأما المحفوظات: فمكة، والمدينة، وبيت المقدس، ونجران، وأما الملعونات: فبردعة، وصعده، وأتافث، وصهر، وثكلا، ودلان».

منكر موضوع: أخرجه العقيلي في «الضعفاء» من حديث ابن عمر.

قال ابن عدي: حديث منكر، وأورده ابن الجوزي في الواهيات، وفيه محمد بن يحيى المأربي متروك، وعنه خطاب بن عمر مجهول، وأورده الذهبي في «الميزان» في ترجمتي خطاب بن عمر ومحمد بن يحيى المأربي. وقال: باطل وما أدري من افتراه أهو خطاب أو شيخه محمد ابن يحيى، وأخرج الديلمي نحوه. فهذه سلسلة الكذب واللَّه تعالى أعلم.

(٩) «إن اللَّه اختار من الملائكة أربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل... واختار من المدائن أربعة: مكة وهي البلدة، والمدينة وهي النخلة، وبيت المقدس وهي الزيتون، ودمشق وهي التين...».

منكر: أخرجه ابن عساكر من حديث أبي هريرة، وقال: منكر بمرة، وفيه العباس بن أسجور، وأبو محمد المراغي مجهولان»[1].

(١٠) «من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء»[2].

---

(١) «تنزية الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» لابن عراق الكناني (٢/ ٦٤ ـ ٦٥).

(٢) انظر «كشف الخفاء» (٢٦٣١)، و«اللآلي» (٢/ ١٣١)، و«الموضوعات» (٢/ ٢٢٠)، و«ترتيب الموضوعات» (٦٠٦).

موضوع: ذكره ابن عراق في «تنزية الشريعة» (٢/ ١٦٧).

وقال: رواه يوسف بن عطية وليس بشيء، قلت: هو الصفار وهو متهم.

(١١) «من حج حجة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلى في بيت المقدس، لم يسأله اللَّه عما افترض عليه».

باطل: أخرجه أبو الفتح الأزدي في الثاني من فوائده من حديث ابن مسعود وفيه بدر بن عبد اللَّه المصيصي.

قال الذهبي في «الميزان»: هذا باطل وآفته بدر[١].

(١٢) «من زارني وزار أبي إبراهيم في سنة واحدة ضمنت له على اللَّه الجنة».

باطل موضوع: قال ابن عراق في «تنزية الشريعة» (٢/ ١٧٦): «سئل النووي عنه فقال: باطل موضوع وكذلك ابن تيمية.

(١٣) «من حجّ فليقدس حجته من سنته».

لا أصل له: سئل النووي عنه فقال لا أصل له[٢].

(١٤) «من أحرم بحج أو عمرة من المسجد الأقصى، كان كيوم ولدته أمه».

ضعيف: أخرجه عبد الرزاق في «الجامع» عن أم سلمة، ورواه عنها أبو داود.

وقال المنذري: وقد اختلف في هذا المتن والإسناد اختلافًا كبيرًا،

---

(١) «تنزية الشريعة» (٢/ ١٧٥).

(٢) «تنزية الشريعة» (٢/ ١٧٦).

وضّعفه السيوطي، والألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٣٥٨).

(١٥) «من أهلّ بعمرة من بيت المقدس غُفِر له».

ضعيف: رواه ابن ماجه عن أم سلمة، وكذا رواه أبو داود، وضّعفه السيوطي، وضعّف هذا الحديث الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٥٠٣).

(١٦) «من أهلّ بعمرة من بيت المقدس، كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب».

ضعيف: رواه ابن ماجه عن أبي سلمة، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٥٠٤).

(١٧) «من أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أوْ وجبت له الجنة».

ضعيف: أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والدارقطني، والبيهقي، وأحمد عن أم سلمة مرفوعًا. وأعلّه بالاضطراب ابن كثير كما في «نيل الأوطار» (٤/ ٢٥٣)، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢١١).

(١٨) «الصخرة صخرة بيت المقدس على نخلة، والنخلة على نهر من أنهار الجنة، وتحت النخلة آسية امرأة فرعون، ومريمُ بنت عمران ينظمان سموط أهل الجنة إلى يوم القيامة».

موضوع: رواه ابن عساكر، وأبو بكر الخطيب في «فضائل بيت المقدس» عن عبادة بن الصامت مرفوعًا.

والحديث ساقه الذهبي في ترجمة محمد بن مخلد الرعيني الحمصي وقال: رواه أبو بكر محمد بن أحمد الواسطي الخطيب في

«فضائل بيت المقدس» بإسناد مظلم إلى إبراهيم بن محمد عن محمد بن مخلد وهو كذب ظاهر.

❑ وقال في ترجمة محمد بن مخلد: «حدّث بالأباطيل من هذا..» ثم ساق له حديثين هذا أحدهما.

❑ قال ابن حجر في «اللسان»: قال ابن عدي: منكر الحديث عن كل من روى عنه، وقال الدارقطني في «غرائب مالك»: «متروك الحديث».

❑ وقال ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٧١): «يحدث عن مالك وغيره بالأباطيل».

❑ قال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٤٠٧): «صليت في المسجد الأقصى، وزرت الصخرة للاطلاع فقط؛ فإنه لا فضيلة لها شرعًا، خلافًا لزعم الجماهير من الناس ومشايعة الحكومات لها، ورأيت مكتوبًا على بابها من الداخل حديثًا فيه أن الصخرة من الجنة، ولم يخطر في بالي آنئذ أن أسجله عندي لدراسته، وإن كان يغلب على الظن أنه موضوع كهذا».

والحديث ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٢٥٢). وانظر وضعه في «التنزيه» (١٧٦)، و«تذكرة الموضوعات» لمحمد بن طاهر الهندي (٧٦)، و«الكشف الإلهي» لمحمد السندروسي (٥١٠)، و«المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير» لأبي الفيض الغمّاري (٨٥)، و«ذيل اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (١٢٣).

(١٩) «جبل الخليل جبل مقدّس، وإن الفتنة لما ظهرت في بني إسرائيل أوحى اللَّه تعالى إلى أنبيائهم أن يفرّوا بدينهم إلى جبل الخليل».
منكر: رواه ابن عساكر عن الوضين بن عطاء أن رسول اللَّه ﷺ قال: فذكره.

قال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٨٢٥): وهذا إسناد واهٍ جدًّا، فإنه مع إرساله فيه نعيم بن حمّاد وهو ضعيف جدًّا، وإبراهيم بن ناصح وهو الأصبهاني. قال أبو نعيم: «متروك الحديث». وقال ابن مردوية في «تاريخه»: «حدّث بمناكير، قلت: وهذا من منكراته، بل أخشى أن يكون موضوعًا، وإن أورده السيوطي في «الجامع الصغير» ولم يعلّه المناوي بأكثر من الإرسال وهذا تقصير ظاهر.

(٢٠) «الصخرة عرش اللَّه الأدنى».

انظر التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث لبكر عبد اللَّه أبو زيد ص(٢٥٧)، و«اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» لأبي المحاسن القاوقجي (٢٩١)، و«التنكيت والإفادة في تخريج أحاديث خاتمة سفر السعادة» لابن همّات الدمشقي (٥٥)، و«تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على خاتم المرسلين» لمحمد البشير الأزهري (١٦٩)، و«الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لملاعلي القاري (٤٣٥)، و«المنار المنيف في الصحيح والضعيف» لابن القيم (١٥٤)، وعلى العموم كما قال ابن القيم في «المنار المنيف» (١٥٦): «كل حديث في الصخرة والقدم الذي فيها فهو كذب مفترى».

(٢١) قلنا: يا رسول اللَّه! إن ابتلينا بالبقاء بعدك؛ فأين تأمرنا؟ قال: «عليك بيت المقدس؛ فلعلك أن يفشو لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون».

انظر «ذخيرة الحفاظ» (٣٨٤٨).

(٢٢) «ما اشتهر أن صخرة بيت المقدس صعدت معه ﷺ ليلة الإسراء حين عرج به، وأن قدمه الشريف أثّر فيها».

انظر «أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب» للحوت ص(٣٧٧)، و«تحذير المسلمين» (٧٦).

(٢٣) «ما يُحكى أن الصخرة كانت منفصلة عن الأرض معلقة في الهواء ثم جُعل لها جدار لستر الأقدار».

انظر «أسنى المطالب» ص(٣٧٧).

(٢٤) الأحاديث في«فضل مدينة الخليل» لا تصح. انظر «الوضع في الحديث» لعمر حسن فلاته (٢/ ٧٤).

(٢٥) «من أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، أو وجبت له الجنة».

ضعيف: أخرجه أحمد، وأبو داود عن أم سلمة، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٥٠٢)، و«الأحاديث الضعيفة» (٢١١)، و«ضعيف أبي داود» (٣٨٢).

(٢٦) «من لم يأت بيت المقدس يُصلي فيه، فليبعث بزيت يُسرَج فيه».

ضعيف: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ميمونة، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٨٤٧)، و«ضعيف أبي داود» (٦٨). وانظر «أسنى المطالب» (١٤٨٧).

(٢٧) «العجوة والصخرة من الجنة».

ضعيف: قال الألباني في «الضعيفة» (٣/ ٤٠٧): وهو ضعيف لاضطرابه كما بينه في «إرواء الغليل».

بـــــدع
وأخطـــــاء شـائـعـة

«من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد ظن أن محمداً ﷺ خان الرسالة»

"مالك بن أنس"

بدع وأخطاء شائعة

تبًّا لمن خلفوا ﷺ في أمته بأقبح الخلف، فقد عظمت البلية، واشتدت الرزية، وظهر المبتدعون، وتنطّع المتنطّعون، وانتشرت البدع، ومات الورع، وانعكس الزمان، وحُزّب الأحزاب، وخُولِف الكتاب، ونعق إبليس بأوليائه نعقة فاستجابوا له من كل ناحيه، وأقبلوا نحوه مسرعين من كل قاصية فألبسوا شيعًا، ومُيِّزوا قطعا، وشمتت بهم أهل الأديان السالفة والمذاهب المخالفة، وما ذاك إلا عقوبة أصابت القوم عند تركهم أمر اللَّه، وصدفهم عن الحق، وميلهم إلى الباطل، وإيثارهم أهواءهم، وللَّه عز وجل عقوبات في خلقه عند ترك أمره ومخالفة رسله، فاشتعلت نيران البدع في الدين، وصاروا إلى سبيل المخالفين، فأصابهم ما أصاب من قبلهم من الماضين.

•عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[1].

• ولفظ مسلم: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

• وفي حديث أنس: **«فمن رغب عن سنتي فليس مني»**. متفق عليه.

•وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يكون في آخر الزمان دجّالون، كذّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم»**[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

•وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»(١) .

• وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**أبى اللَّه أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»(٢) .

• وعن العرباض بن سارية ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**»(٣) .

▫ قال أبو عمران الجوني: «ليت شعري، أي شيئ علم ربنا من أهل الأهواء حين أوجب لهم النار».

•وعن العرباض قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إياكم والبدع**»(٤) .

•وعن العرباض ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إياكم والمحدثات؛ فإن كل محدثة ضلالة**»(٥) .

▫ قال مالك بن أنس: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة،

---

(١) صحيح: رواه البزّار. وقال المنذري: إسناده حسن. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٥).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم في «السنة»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد وابن ماجه، والحاكم وابن أبي عاصم. وقال المنذري: رواه ابن أبي عاصم بإسناد حسن. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٧).

(٤) حسن: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٠)، وحسنه الألباني.

(٥) صحيح: رواه ابن أبي عاصم ـ واللفظ له ـ وابن حبان وابن ماجه، وصححه الألباني في التعليق على «السنة» لابن أبي عاصم (١/ ١٧).

فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة، لأن اللَّه يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينًا».

نعم.. لئن لم يسعنا ما وسع القوم، فلا وسعتنا ـ رحمة اللَّه ـ .

كل الطرق مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول اللَّه ﷺ، وكل صاحب فرية وبدعة ذليل أما تسمع قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

قال أبو إدريس الخولاني ـ رحمه اللَّه ـ : «لأن أرى في المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها، أحب إليّ من أن أرى بدعة لا أستطيع تغييرها».

وقال أبو الجوزاء ـ وقد ذكر أصحاب الأهواء ـ: والذي نفس أبي الجوزاء بيده، لأن تمتلئ داري قردة وخنازير، أحب إليّ من أن يجاورني رجل منهم، ولقد دخلوا في هذه الآية: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وقال الحسن: «صاحب البدعة لا يزداد اجتهادًا؛ صيامًا وصلاة إلا ازداد من اللَّه بعدًا».

وقال الفضيل بن عياض: «اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغترّ بكثرة الهالكين».

وعن سفيان قال: «كان رجل فقيه يقول: ما أُحبّ أني هديت الناس كلهم وأضللت رجلاً واحدًا».

قال مالك: «مهما تلاعبت به من أمر شيء، فلا تلاعبن بأمر دينك».

فيا شدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباءً منثورًا، ويا عظم المصيبة عندما يتبين أمانيه خُلّبًا، وآماله كاذبة غرورا، فما ظن من انطوت سريرته على البدعة والهوى بربه يوم تبلى السرائر، وما عذر المبتدع الذي ترك الوحيين وراء ظهره في يوم لا تنفع الظالمين فيه المعاذر.

ومن النصح للأمة في طريق العودة إلى اللَّه حتى تعود القدس أن نلجم العاطفة بحبل اللَّه المتين من كتاب وسنة، وإياكم أن تقولوا قولاً ليس لكم فيه سلف. وإم استطعتم ألا تحكّوا رؤوسكم إلا بأثر فافعلوا وهذه بعض البدع والأخطاء الشائعة حول بيت المقدس، والمسجد الأقصى والصخرة نسوقها بين أيدي المسلمين حتى يحذروها.

من البدع المتعلقة ببيت المقدس

١ ـ قصد زيارة بيت المقدس مع الحج وقولهم: «قدّس اللَّه حجتك»:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٦٠ ـ ٦١): «وأما زيارة بيت المقدس فمشروعة في جميع الأوقات، والسفر إليه لأجل التعريف به معتقدًا أن هذا قربة محرّم وليس السفر إليه مع الحج قربة، وقول القائل: «قدّس اللَّه حجتك» قول باطل لا أصل له، كما روى: «من زارني في سنة واحدة ضمنت له الجنة» فإن هذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث».

يراجع في ذلك: «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٥، ١٥٠)، (٣٧/ ١٤٣)، و«الإبداع في مضار الابتداع» للشيخ علي محفوظ

ص(٣٠٦)، و«مناسك الحج والعمرة» للألباني (١٦٥).

٢ ـ الطواف بقبّة الصخرة تشبها بالطواف بالكعبة، واستلام الصخرة وتقبيلها»:

يراجع في ذلك: «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢/ ٣٧٢، ٣٨٠ ـ ٣٨١)، و «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٢، ١٣، ١٣٥، ١٨/ ٤٨١، ٤٨٢)، «إصلاح المساجد» للقاسمي (١٩٢)، و«المدخل» لابن الحاج (٤/ ٢٤٣)، و«الباعث» لأبي شامة (١٢٠)(١) .

٣ ـ زعمهم أن من وقف ببيت المقدس أربع وقفات أنها تعدل حجة:

ذكرها الألباني في «بدع الحج» (١٦٨) نقلاً عن «الباعث» لأبي شامة ص(٢٠).

٤ ـ الصلاة عند قبر إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ :

ذكرها الألباني في «بدع الحج» (١٧٣).

صخرة بيت المقدس والبدع والأخطاء الشائعة المتعلقة بها

من الأخطاء الشائعة حول المسجد الأقصى؛ أن للصخرة المبني عليها القبة الذهبية والتي تسمى «مسجد قبة الصخرة» ـ والتي تركز عليه وسائل الإعلام الإسلامية والعالمية على أنها هي المسجد الأقصى ـ أن لها قداسة خاصة وقد ظهر من بعض المسلمين المغالاة في تقديس الصخرة ووصل الأمر بهم إلى حد التجاوز والإفراط حيث قيل في صخرة بيت المقدس:

(١) «معجم البدع» لرائد بن صبري بن أبي علفة ص(٤٩٣) ـ دار العاصمة.

١ ـ كان عليها ياقوتة تضيئ بالليل كضوء الشمس، ولا تزال كذلك حتى خربها بختنصر!!!.

٢ ـ أنها من صخور الجنة!!.

٣ ـ تحول صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء!!.

٤ ـ إليها المحشر ومنها المنشر!!.

٥ ـ سيد الصخور صخرة بيت المقدس!!.

٦ ـ مياه الأرض كلها تخرج من تحت الصخرة!!.

٧ ـ صخرة معلقة من كل الجهات!!.

٨ ـ عليها موضع قدم رسول اللَّه محمد ﷺ!!.

٩ ـ وعليها أثر أصابع الملائكة!!.

١٠ ـ الماء الذي يخرج من أصل الصخرة!!.

١١ ـ أنها على نهر من أنهار الجنة!!.

١٢ ـ المياة العذبة والرياح اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس!!.

١٣ ـ عرش اللَّه الأدنى، ومن تحتها بسطت الأرض!!.

١٤ ـ الصخرة وسط الدنيا، وأوسط الأرض كلها!!.

١٥ ـ عرج بالنبي ﷺ منها إلى السماء، وارتفعت وراءه، وأشار لها جبريل أن اثبتي!!.

١٦ ـ لها مكانة كالحجر الأسود في الكعبة!!.

وقد أنكر علماء المسلمين هذا التعلق بالصخرة، وبينوا أنها صخرة من صخور المسجد الأقصى، وجزءٌ منه، وليس لها أية ميزة خاصة.

فقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» مجلد

(٢٧) ـ كتاب الزيارة بتصرف ص(١١، ١٢، ١٣):

«أما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يُعظِّمون الصخرة، وما يذكره بعض الجهال فيها أن هناك أثر قدم النبي ﷺ، وأثر عمامته، وغير ذلك. فكله كذب، وأكذب منه من يظن أنه موضع قدم الرب، وكذلك المكان الذي يذكر أنه مهد عيسى ـ عليه السلام ـ كذب، وإنما كان موضع معمودية النصارى، وكذا من زعم أن هناك الصراط والميزان، أو أن السور الذي يضرب بين الجنة والنار هو ذلك الحائط المبني شرقي المسجد، وكذلك تعظيم السلسلة أو موضعها ليس مشروعًا.

والصخرة لم يصل عندها عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ، ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، ويزيد، ومروان، وبنى عليها عبد الملك بن مروان القبة.

وقال: إن عمر بن الخطاب لما فتح البلد قال لكعب الأحبار: أين ترى أن أبني مصلى المسلمين؟ قال: ابنِه خلف الصخرة، قال: خالطتك يهودية، بل أبنيه أمامها، فإن لنا صدور المساجد. فبنى هذا المصلَّى الذي تسميه العامة «الأقصى» ولم يتمسح بالصخرة، ولا قبّلها ولا صلى عندها، كيف وقد ثبت عنه في «الصحيح»: «أنه لما قبل الحجر الأسود قال: «واللَّه إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا إني رأيت رسول اللَّه ﷺ يقبلك لما قبلتك».

وقد ضعف الإمام ابن القيم كل الأحاديث الواردة في الصخرة،

فقال في «المنار المنيف» (٨٧، ٨٨): «وكل حديث في الصخرة فهو كذب مفترى، والقدم الذي فيها كذب موضوع مما عملته أيدي المزورين، الذين يروجون لها ليكثر سواد الزائرين، وأرفع شيء في الصخرة أنها كانت قبلة اليهود، وهي في المكان كيوم السبت في الزمان، أبدل اللَّه بها هذه الأمة المحمدية الكعبة البيت الحرام، ولما أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يبني المسجد الأقصى استشار الناس: هل يجعله أمام الصخرة، أو خلفها؟ فقال له كعب: يا أمير المؤمنين ابنِه خلف الصخرة، فقال: يا ابن اليهودية، خالطتك اليهودية! بل أبنيه أمام الصخرة حتى لا يستقبلها المصلون، فبناه حيث هو اليوم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموعة الرسائل الكبرى» ص(٥٧ ـ ٥٨): «كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر. وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان، ومعاوية ويزيد ومروان. . . .».

ثم ذكر أنه بنى القبة عليها، وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس، ثم قال: «وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة، وإنما يعظمها اليهود وبعض النصارى».

قال الألباني: «ومن ذلك تعلم أن ترميمها وتجديد بنائها وقد أنفقوا عليها الملايين من الليرات، إنما هو إسراف وتبذير، ومخالفة لسبيل المؤمنين الأولين».

وقال الشيخ الألباني في حجة النبي ﷺ تحت عنوان «بدع بيت المقدس»:

١٧ ـ تعظيم الصخرة بأي نوع من أنواع التعظيم كالتمسح بها وتقبيلها، وسوق الغنم إليها لذبحها هناك والتعريف بها عشية عرفة والبناء عليها، وغير ذلك».

ويراجع في ذلك «مجموعة الرسائل الكبرى» (٢/ ٥٦ ـ ٥٧).

ثم أردف الشيخ الألباني بعض البدع فقال:

١٨ ـ زعمهم أن هناك على الصخرة أثر قدم النبي ﷺ، وأثر عمامته، ومنهم من يظن أنها موضع قدم الرب سبحانه وتعالى[١].

١٩ ـ المكان الذي يزعمون أنه مهد عيسى ـ عليه السلام ـ.

٢٠ ـ زعمهم أن هناك الصراط والميزان، وأن السور الذي يضرب به بين الجنة والنار هو ذلك الحائط المبني شرق المسجد[٢].

٢١ ـ تعظيم السلسلة أو موضعها[٣].

«مجموعة الرسائل الكبرى» (٢/ ٥٩).

* ومن البدع:

«اعتقادهم أن النبي ﷺ لما أراد العروج ليلة الإسراء صعد على صخرة بيت المقدس، وركب البراق، فمالت الصخرة وارتفعت لتلحقه؛ فأمسكتها الملائكة»[٤].

---

(١) ذكر هذه الأمور كلها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في المجموعة (٢/ ٥٨ ـ ٥٩)، ووصفها بقوله: «فكله كذب»، وقال في مكان المهد «وإنما كان موضع معمودية النصارى»، وانظر: «إصلاح المساجد» للقاسمي ص(١٩٤).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٣)، و«إصلاح المساجد» (١٩٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٣)، و«إصلاح المساجد» (١٩٤).

(٤) انظر «الإبداع في مضار الابتداع» للشيخ علي محفوظ ص(٣٣٠)

❑ اتخاذ بيت المقدس قبلة والصلاة إليه، انظر «إصلاح المساجد» ص(١٩٣).

وليُحذر مما يفعله بعضهم من أنهم يتعمدون الصلاة خلف الصخرة، حتى يجمعوا في صلاتهم بنيّاتهم بين استقبال القبلتين: الكعبة والصخرة[1].

❑ وقال عبد اللَّه بن هشام صاحب كتاب «تحصيل الأنس لزائر القدس» «مخطوط» ص(٦٤).

«قد بلغني أن قومًا من الجهلاء يجتمعون يوم عرفة بالمسجد، وأن منهم من يطوف بالصخرة، وأنهم ينفرون عند غروب الشمس، وكل ذلك ضلال وأضغاث أحلام».

ومما تدل عليه عبارة صاحب المخطوطة: أن هناك تجاوزات لبعض عامة الناس في تقديس المسجد الأقصى، وكان رفضًا واضحًا من علماء المسلمين لهذه التجاوزات، وتحذيرًا للعامة منها.

❑ ويقول شيخنا محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه اللَّه ـ عن تقديس الصخرة في المسجد الأقصى: «الفضيلة للمسجد الأقصى، وليست للصخرة، وما ذكر فيها لا قيمة له إطلاقًا من الناحية العلمية، ولا ينبغي تقديس ما لم يقدسه الشرع، ولا تعظيم ما لم يعظمه الشرع».

❑ ومما يذكر في سيرة الصحابة وأئمة المسلمين أنهم إذا دخلوا المسجد الأقصى، قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر، ويقول شيخ

---

(١) انظر «المدخل» لابن الحاج (٤/ ٢٤٣).

الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» (٢/ ٨١٧): «وأما المسجد الأقصى فهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرِّحال، وهو الذي يُسميه كثير من العامة اليوم: الأقصى. والأقصى اسم للمسجد كله، ولا يسمى هو ولا غيره حرمًا، وإنما الحرم بمكة والمدينة خاصة.

فبنى عمر المصلى الذي في القبلة، ولم يصلِّ عمر ولا المسلمون عند الصخرة، ولا تمسَّحوا بها، ولا قبلوها.

وقد ثبت أن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه، وصلى فيه، ولا يقرب الصخرة ولا يأتيها، ولا يقرب شيئًا من تلك البقاع، وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعتبرين، كعمر بن عبد العزيز والأوزاعي وسفيان الثوري وغيرهم.

فصخرة بيت المقدس باتفاق المسلمين لا يسن استلامها، ولا تقبيلها، ولا التبرك بها كما يفعله بعض الجهال، وليس لها خصوصية في الدعاء، ويجب تحذير المسلمين من هذا الفعل.

ولم يثبت حديث صحيح في فضل الصخرة، وكل ما قيل فيها لا يصح سنده إلى رسول اللَّه ﷺ.

❑ ويقول شهاب الدين أبو محمود المقدسي في مخطوطة: «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام»، وهو يرفض التجاوز في تقديس المسجد الأقصى، والوصول به إلى ما فوق المنزلة المقبولة في عقيدة الإسلام: «قاتل اللَّه القصَّاصين والوضَّاعين، كم لهم من إفك على وهب وكعب، ولا شك في فضل هذا المسجد، ولكنهم قد غَلَوا».

وتنبية الناس على أمر صخرة بيت المقدس لا يقلل من فضائل المسجد الأقصى، فقد ذكر اللَّه تعالى في كتابه العزيز العديد من الآيات التي خصت المسجد الأقصى وبيت المقدس بالبركة والفضيلة، وثبت عن رسول اللَّه ﷺ في كتب الصحاح والسنن الكثير من الأحاديث التي نصت على ما حباه اللَّه تعالى من الخير والبركة، وبينت الخصائص التي تميز بها المسجد الأقصى وأرضه لما لها من مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في الشرع الإسلامي.

وكما قيل: مهما جلست تحدث بفضائل المسجد الأقصى فلن تنتهي إلى ما انتهى اللَّه إليه في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

فبركة المسجد الأقصى ثابتة بالكتاب والسنة، ولنا غنى في «الصحيح» منها عن الموضوع والمكذوب.

والخلاصة: أن كل ما قيل في هذه الصخرة أصله من أهل الكتاب، وليس له أصل في كتب العقيدة الإسلامية، ولا في الصحيح من حديث النبي ﷺ»[1].

* ومن البدع:

زيارة «معابد الكفار» مثل الموضع المسمى «بالقمامة» أو «بيت لحم» أو «صهيون» أو غير ذلك، مثل كنائس النصارى[2].

---

(١) مجلة «القدس لنا» ص(٣٠ ـ ٣١).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤).

* ومن الخطأ تسمية المسجد الأقصى حرمًا:

من الأخطاء الشائعة والدارجة على الألسن بين عوام الناس وخاصتهم القول بأن المسجد حرمٌ، وتسميته بالحرم الشريف.

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٨١٧): «الأقصى اسم للمسجد كله، ولا يُسمَّى هو ولا غيره حرمًا، إنما الحرم بمكة والمدينة خاصة».

❑ وقال في «المجموع» (٢٦/ ١١٧): «وليس في الدنيا حرم لا بيت المقدس، ولا غيره، إلا هذان الحرمان، ولا يُسمَّى غيرهما حرمًا كما يسمي الجهال. فيقولون: حرم القدس، وحرم الخليل، فإن هذين وغيرهما ليسا بحرم باتفاق المسلمين، والحرم المجمع عليه حرم مكة، وأما المدينة فلها حرم أيضًا عند الجمهور، كما استفاضت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ.

والذي عليه جمهور علماء المسلمين أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل منها في مسجد النبي ﷺ ويليه في الفضل المسجد الأقصى.

❑ وقال عبد اللَّه بن هشام الأنصاري المتوفي سنة ٦٧١هـ ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «تحصيل الأُنس لزائر القدس»: وما سمعته من كبار أهل البلد أنهم يقولون: حرم القدس. فيحرمون ما أحل اللَّه افتراء على اللَّه، ونعوذ باللَّه من الخذلان.

❑ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ «زاد المعاد» (١/ ٥٣): فذوات ما اختاره اللَّه واصطفاه من الأعيان والأماكن والأشخاص، وغيرها مشتملة على صفات وأمور قائمة بها ليست لغيرها، ولأجلها اصطفاها اللَّه،

وهو سبحانه فضلها بتلك الصفات، وخصها بالاختيار، فهذا خلقه، وهذا اختياره: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

إن مكة صارت حرامًا شرعًا، وقَدَرًا بتحريم اللَّه لها كما ثبت في «صحيح مسلم» (٩/ ١٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: **«اللَّهم إن إبراهيم حرَّم مكة، فجعلها حرمًا، وإني حرَّمت المدينة، حرامًا ما بين مأزميها: أن لا يُهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف، اللَّهم بارك لنا في مدينتنا، اللَّهم بارك لنا في صاعنا، اللَّهم بارك لنا في مدينتنا، اللَّهم اجعل مع البركة بركتين»**.

وإبراهيم ـ عليه السلام ـ لا يحرم ولا يحلل إلا بإذن اللَّه وتوجيهه، فإبراهيم حرمهَّا لتحريم اللَّه لها، والنبي ﷺ حرَّم المدينة بأمر اللَّه تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

ومن هنا يفهم أنه لا يجوز تحريم أمكنة لم يجعلها اللَّه حرمًا، وبهذا يظهر خطأ وبدعية من قال: «إن المسجد الأقصى حرمٌ»، وتسميتهم إياه: بالحرم الشريف».

وكذلك القول بأن المسجد الأقصى ثالث الحرمين عبارة غير دقيقة من حيث الاصطلاح الشرعي لأن الحرم هو: ما يحرم صيده وشجره، وله أحكام تخصه عن غيره، أما بيت المقدس فإنه لا يحرم صيده ولا شجره، كما هو الحال في المسجد الحرام في مكة والمسجد النبوي في المدينة، وذلك باتفاق العلماء، والبعض تجاوز حتى أطلق على المسجد الإبراهيمي في الخليل مسمى «الحرم الإبراهيمي»، وهذا لا يجوز لأنه

تحريم لهذا المسجد الذي لم يجعله اللَّه حرامًا.

قال شيخ الإسلام في «المجموع» (٢٧/ ١٤٨): «والدين دين اللَّه بلغه عن رسوله، فلا حرام إلا ما حرمه اللَّه، ولا دين إلا ما شرعه اللَّه، واللَّه تعالى ذم المشركين؛ لأنهم شرعوا في الدين ما لم يأذن به اللَّه، فحرموا أشياء لم يحرمها اللَّه كالبحيرة والسائبة والوصيلة، وشرعوا دينا لم يأذن به اللَّه كدعاء غيره وعبادته والرهبانية التي ابتدعها النصارى».

ومن أسمائه الثابتة في الكتاب والسنة: «المسجد الأقصى»، و«بيت المقدس»، و«مسجد إيلياء»، والمسجد الأقصى فيه من الفضل ما فيه، ولا نضيف في مسمياته ما لم يشرعه اللَّه تعالى»[1].

(١) مجلة «القدس لنا» ص(٣٢ ـ ٣٣).

الشعراء يناجون القدس والأقصى

❁ دمعة على قبر الطفل «محمد الدرة» ❁

أفديك يا ولدي بكل الحاكمينْ
الجاثمين هياكلاً فوق الشعوب
لهمْ أيادٍ من حديدْ
شرعهم: لا شرعَ ـ لا أخلاقَ
لا عهدًا لدينْ
أفديك يا ولدي بمن خانوا.. ومن جبنوا
على مرِّ السنينْ
البائعينَ ديارهم
والمالئين كروشهم
والعابدين عروشهم.. والحاضرين الغائبينْ
يا ليتهم كانوا مكانك عند قتلك
صاغرين.. مُصَفَّدين
يا ليتهم إذ شيعوك.. مضوا كذلك أجمعينْ
يا ليتهم رفع اليهود سلاحَهُمْ
في وجههم
وتجرّعوا طعم الرصاص
وصافحوا الوجه اللعين
من يشتهي سفك الدماء.. دماء كل المسلمين
يا ليت كأس الرعب دارت.. في حلوق المجرمين

❁ ❁ ❁

يا أيها الطفل الذي . . لرحيله
ذرفت دموع العالمين
يا أيها الطفل الذي نثرت دماه
فأَنْشَرتْ . . أمما من الأعراب
كانوا ميتين
يا آخرَ البسمات في شفتي . . يا مهجة
القلب . .
يا فلذة الكبد الطعين
سفكوا بلا ذنبٍ دماك . . وإنما
هي لعنةُ الحقد الدفينْ
أفديك يا ولداه بالدنيا . . وما ملكت يمين
يا أجمل الأطيار في وطني . . وغصن
الياسمين . .
يا نفحة الأقصى . . ويا غرس الجدود
الفاتحين . .
أطفالنا لما رأوك تئن محتضنًا أباك
تموت في الحصن الحصين
عمّ البكاء وأرعدت أوصالهم
هلعًا . .
وهاموا سائلين :
من سوف يحمينا إذا هجمت جيوش
المعتدين؟

من سوف يمضي للفدا ويعود بالنصر المبين؟
آباءنا..
قولوا لنا.. من سوف يحمي أرضنا؟
من ذا يذود عن الصغار..
يردّ كيد الغاصبين؟
يا ثورة الغضب التي.. ملأت قلوب المسلمين
يا وصمة العار التي
لحقت بنا
يا عز أمتنا المَهين
حتى متى نُمْحَى.. ونبقى صامتين؟
حتى متى باللّه نبقى صامتين؟![1]

❁ ❁ ❁

❁ بكاء الأسئلة «إلى ولدي محمد» ❁

من أين جاءتك الرصاصة يا محمد؟
قل كيف ثقّبت الجسد؟
قل يا ولدي
من دلها عن وردة تنمو بوديان الكبد؟
كنا معًا نمشي
فمن أودى بعطر صباك من عيني؟

---

(١) لمصطفى زكي مقلد ـ جريدة آفاق عربية، و«مجلة القدس» العدد (٢٤) ـ رمضان ١٤٢١.

ومن يا حبة العين
أسال الروح من شفتيك؟
أطفأ ضي ضحكات
كانت تونس لي دروبي؟
قل يا حبيبي
قل كيف أقرأ وجه أمك؟
إنها بالبيت تنتظر
قل كيف أقرأ وجه إخوتك الصغار؟
هم عند باب الدار
ينتظرون عودة طائر
غدر البنادق قتّله
يستعجلون إجابتي
وأنا أخبئ حيرتي بالأسئلة
فتشت عنك فلم أجدك
وكنت تمسك في يدي
أولم أكن بك أهتدي؟
أو لم أكن خبأت وجهك في صراخي؟
خبأت خوفك في ضلوع أبوتي
وزعقت: يا ولدي تجلد؟
أو لم أكن ـ قل يا محمد
جسدًا تفجر بالنداء المر:
لا..

لا تقتلوا ولدي
دعوا عينيه تحتضن الصباح
دعوه يلعب بالندى
ودعوه يغسل ثوبه بحنان أمه
لا تقتلوا ولدي
فعطر الفل يسبح ملء دمه
خلوه يحفر عمره نهراً يشق الأرض
إن الأرض ظامئة لكف يديه
يحفرها . .
يلون رملها بعبير حلمه
أو لم أكن . . . ؟
كنت الصراخ بحلقه
لم يسمعوا
جاء الرصاص محملاً بغباء سمه
شقت إليك رصاصة صدري
ومرت من فؤادي
حشّت عظام الظهر
لم ترحم عنادي
جاءت إليك وأنت تصرخ : يا أبي
وأنا أضمك يا محمد
هل غلقت شمس السماء عيونها؟
أم أن ليلاً غلف الدنيا بفحم سواده؟

قل يا ضنى روحي تكلم
وسدت رأسك ما تبقى من دمي
لم ألعن الأعداء ساعتها!
ولم ألم العرب!
ما بلني دمع الغضب
بل بلني صمت فسيح
ورأيتني أمشي إلى ضوء مريح
أمشي على وجهي لوجهك يا محمد[1] .

❁ ❁ ❁

❁ عذراً يا رامي ❁

إن الأمة آلمها ما حدث لإخواننا الفلسطينيين من قِبَل أمة الغدر والخيانة اليهود. ونظرت بعين الرحمة إلى الطفل محمد الدرة وهو يتألم من رصاصات المجرم الجنرال « عيورا ألندا» فيالله للمسلمين، فليس هو محمد وليس هو ألندا، وإنما هي العداوة الأبدية بين المسلمين واليهود.

ما بال قومي من أعدائهم رهبوا ... مطية الجبن والإذعان قد ركبوا
ما بال قومي قد تاهت نفوسهم ... ومن دم الأمة الأنهار تنسكب
أواه إن فؤادي يكتوي ألماً ... وفي حشاشة نفسي أوقد الحطب
العار في خاطري والنفس عاجزة ... والحال أعجب مما حاله العجب
تساؤل جال في نفسي وأقتله ... متى تدول على أعدائنا الحقب

(١) شعر ممدوح المتولي.

قد طال صمتي ولكن للدجى أمد ... عما قريب فجاج الأرض تلتهب
وهيج القلب رامي في براءته ... يحدوه حادي الهوى والمرتع الخصب
فصكه العلج في الساقين عن عمد ... إذ بالأب العاجز المسكين يحتجب
وأتبعوها بست ضيعته سدى ... ففارقت روحه والطفل يضطرب
جبينه في الدجى لآلاؤه قمر ... وفي المساء فؤاد الأم مستلب
سلوا «عيور ألندا» حين جندله ... هل هاله الزجر والتهديد والخطب
الغرب يعلم أنَّا أمة خُذِلَت ... خذلانها الكأس والقينان والطرب
يا نقطة السوء في تاريخنا ظمئت ... سيوفنا والعوالي السمر والحرب
يا ألف معتصم في ألف منهزم ... للَّه كم نددوا فيهم وكم شجبوا
باراك ينبح في الأقصى وأمتنا ... يا عارها صابها من عضه الكلب
لكن للَّه يومًا ليس يخلفه ... دع المقادير تجري أنت محتسب
«يا ليت شعري وليت الطير تخبرني» ... متى وكيف وهل يستيقظ العرب؟[1]

❁ إياك أن تصدقي معارك الحناجر ❁

يا قدسُ
يا مدينة البشائرْ
يا قلب كل صابر، وروح كل ثائر:
هذا خطابُ لاجئ
بروحه يُقامرْ

---

(١) لعبد اللَّه بن عبد الرحمن الميمان ـ عنيزة ـ المجلة العربية ـ رمضان ١٤٢١هـ ص(١٢١).

من بعدما أفنت جميع ما لديه
لعبةُ الخسائر
تلك التي يديرها التجار في المدائن الضرار

❁ ❁ ❁

يا قدسُ يا أُطروحة
ترغو بها الأشداق في المنابرْ
إياك أن تصدقي معارك الحناجرْ
إياك أن تصدقي حكاية النفيرْ
فالحلمُ
ـ حتى الحلم ـ في أوطاننا عسيرْ
والحرُّ فينا، لم يزل لعبدنا أجيرْ
وكلنا في موكب الكبائرْ
نسعى إلى السَّعيرْ

❁ ❁ ❁

يا قدسُ
يا مدينة البشائرْ
إياك أن تستمعي
لنخوة العشائرْ
فكل ما تملكه:
هراوة.. وناقة عقيرْ
يوقدها ـ على الطوى ـ محارب ضريرْ!

إياك أن تنتظري إفاقة الضمائرْ
فهذه القبائل التي تكالبت على
النَّذير
ينقصها الضمير
يا قدسُ
يا إباءنا الأسيرْ
هذا خطاب لاجئ ممتهن . . كسيرْ
دارت عليه في النَّوى الدوائرْ
وضاع دَرْبُه
فضيَّع المصيرْ
هذا خطاب لاجئ
ضاقت على خطوته المعابرْ
وأوصدت بوجهه أفواهها المقابرْ
فجدَّ في المسيرْ
حتى تجاوزت خطاه حافة الشفير
إياك أن تفكري بعودة المسافر
فقد قضت مدائن التخدير
ألا يطيل بينها عصفورك المهاجرْ
جناحه القصيرْ

❁ ❁ ❁

يا قدسُ

يا إباءَنا الأسيرْ
لا تسألي التحريرْ
لا تكثري الدعاء في الشعائر
ولتهنئي بأسرك الصغيرْ
فهذه العواصم الحرائر
تقتات من أثدائها
في أسرها الكبيرْ
وتصطلي حرارة الهجيرْ
ليستظل في قصورها
ويحتمي بها الخفيرْ
وعندما يأوي إلى فراشه
يطلبها لمخدع العشيرْ
فتستَحِمّ في دموعها
أمام سادة المخافرْ
ليمنحوها رخصة المرور للسريرْ
يا قدس لا تستنجدي
لا تطلبي النصيرْ
فهذه عواصم القصديرْ
في الرمق الأخير
وهذه مدائن الصغائر
تكتب تاريخ الفضاء

من على البعير
وترتضي واقعها المرير
في الزمن الحقير!![1]

❀ ❀ ❀

❀ حياة اللاجئين المسلمين من أهل فلسطين ❀

هذه القصيدة مشعل إيقاظ لأجيالنا المغيّبين تاريخيًّا ودينيًّا وإعلاميًّا:

وقفة استجواب عن فلسطين والقدس الشريف:

ووقفت أحمل في يدي نصف حقيبة
عند حد صنعته يد أخ وغربية
عند حد عربي ويكنى بالعروبة
رفع الشرطي رأسه
لم أكد أسمع همسه
قال لي: أين الجواز؟
قلت: لا أفقه ما تسأل عن أي جواز
قال: واسخفك من دون احتراز
جئت تبغي حدنا هذا دون احتراز
في الدنا يا
صاح من يعبر من غير جواز؟

---

[1] شعر هلال الفارع ـ كاتب أردني ـ مجلة الوعي الإسلامي العدد ٤١٨ ـ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ص(٢٧).

قلت: إلا أنا
هكذا أمري أنا
ليس غيري في الدنى هذي العجيبة
من يسمون أراضيه التي بيعت سليبة
من يكنون بلادًا خانها الأهل حبيبة

وهكذا هي الصورة لدى أجيال النكبة عن الفلسطينيين ليس بمنظورهم، ولكن بعيون الأجيال التي اكتوت بنار الهزيمة، والتي ناضلت بالمال والنفس من أجدادنا وأبنائنا في الحروب عام ١٩٤٨، ١٩٦٧، ١٩٧٣م وغيرها.

رفع الشرطي رأسه
قال لا تكثر ومن أنت وقل لي ما تريد
ما اسمك عنوانك رقم الدار صندوق البريد
قلت: اسمع
هذه أوصاف من كان له بيت مشيد
هذه أسماء لا يعرفها مثلي شريد
أنا لاجئ وابن لاجئ

وحسب حقوق الإنسان في عالم الديمقراطية الغربي فإن اللاجئين لهم نظم وحقوق، وكرامة إلا المسلمين والفلسطينيين، فحقوقهم في مخيمات غوث وحقارة.

وأخي يحمل صحنًا خلف طابور الوكالة
ولي ابن أنس اللعب بصندوق الزبالة

أنا لا أملك بيتًا
أنا لا أملك عنوانًا ولا بئر زيت
أنا لا أملك رقمًا لهوية
أنا لا أملك في الأصل هوية
ليس كرهًا في الهوية
بل لأني مذ خلقت، بل لأني مذ نشأت
لم أجد من يعطيني تلك الهوية
رفع الشرطي رأسه
قال: لا تطنب وقد حذرت أن آتي السياسة
أنا لا أهوى السياسة
علموني بفراسة
مسلك الشرطي لا يأتي السياسة
أو سيأتون براسه

ولم يذبحنا في عالمنا العربي أكثر من السياسة. لا لأنها كلها تعاسة بل لأن أكثر من تداولوا أمور السياسة كانـوا أبعد ما يكونون وعيًا وفهمًا للسياسة. حتى الذين انقلبوا على سالفيهم بعد نكبة فلسطين شغلوا الأمة بالذبح والمشانق للرأي الحر والوعي بأمور السياسة.

قلت: اسمع هذه ليست سياسة
هذه قصة أمري والحكاية
قبل أعوام ثلاثين وقد عشت البداية
كنت طفلاً يومها يمسك في ذيل أبيه

يشكو الإجهاد والجوع وفقدان أخيه
نمتطي الغربة والمجهول لا نعرف أين
كان كل البيت فوق الرأس صرة
كان كل البيت أسمالاً وإبريقًا وجرَّة
ثم جاء الجسر والتفتيش خوفًا
من حفاة لاجئين
ووقفنا فوق الجسر العار «جسر اللنبي»
بين النازحين
يسألونا إن نكن نرغب في العيش كرامًا لاجئين
لا تخافوا الجوع والأمطار أو حتى البطالة
فهنا فرع لصندوق الوكالة
أي نعم واللَّه ـ صندوق الوكالة
إنه صندوق غوث اللاجئين
قدمته الأمم الحرة عونًا مع خيمة
وحساء كل يوم مع زيتون وجبنة
وهنا خيمة درس إن تريدون الدراسة
كل ما تبغون إلا أن تمسوا السياسة
فدعونا نحن حكام السياسة
سنحل الأمر بالعقل والفطنة
وإحبول الكياسة
أنت تبقي داخل الخيمة من أجل الحراسة

أنت تبقي داخل الخيمة من غير حماسة
أنت لا تشكو همًّا
أنت لا تعرف ضيمًا

ثم ماذا بعد هذا أيها العالم.. أيها العالم الإسلامي العربي، لقد مرت بأمتنا حالة من التخدير. خطابة وأغان من أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا. ثم شوارع القدس العتيقة. وربما هذه الأيام ستكون الحرب خليك بالبيت والشاطر يحكي والصبايا العرايا في الفضائيات.

غنهم فيروز لحننا
ستعود القدس يومًا
صدقونا إنها ليست هزيمة
إنها ليل انتكاسة
صدقونا ـ كل ـ ما في الأمر أعراض انتكاسة
وصبرنا بغباء ـ نأكل العار الدفين
وصمتنا ـ صمت القبر بين الصامتين
وسحقنا بين هول الأمر والحكم اللعين
نتلظى ـ فوق نار الذل والقهر المهين

لِمَ كل هذا الصبر أيها الشاعر ومعك الشعب المكلوم لعله صبر رجاء غوث أو موت نترجى.

نترجى سبعة من دول العرب جيوشًا زاحفين

نترجى سبعة من دول العرب عروشًا زائفة
ولقد زادت وزادوا
وحمدنا الرب شكرًا ـ فلقد زادت وزادوا
منهم من عاهد الشرق وأنبأنا بحشد وحشود
منهم من هادن الغرب على قهر اليهود
وقرعنا كل طبل
ولبسنا كل ذلٍّ
وسمعنا كل مذياع ينادي النازحين
ها هي اليوم فلسطين تعود
وسمعنا عندليب النيل يصدح
وانتصرنا وانتصرنا ـ قمت أصرخ
أبتي ـ هيا إلى الصخرة نرجع
عادت الأرض إلينا ـ ها هو المذياع فاسمع
قم نصلي سجدًا للَّه رُكّع
أبتي
آن أن تزهو وتفرح
آن أن تلهو وتمرح
إننا حقًّا سنرجع
ها هو المذياع فاسمع

كل هـذا كان حلـمًا من خـيال فهـوى. وكم هو ألـم الخيبـة من الأحلام التي كانت تتم في اليقظة طوال نصف قرن وهنا بقية القصيدة:

ثم كان الغد
كأسًا من أذل الكأس يجرع
قد رجعنا وبحق ـ غير أني لوراء كنت أرجع
لم تضع أرضي فحسب ـ إنما ما ضاع أفظع
ضفته الحرة راحت
قبلها سيناء ضاعت
وجبال عند الجولان ضاعت
كنت أهفو الأمس لاستقبال جيش الفاتحين
فإذا بي وا لذلي أخرج اليوم
بجيش من جديد لاجئين

ولا بد لليل الظلام أن ينجلي ولا يكون الإسفار إلا بطريق الحق؛ إنه طريق العودة إلى اللّه، وهنا يوم يفرح المؤمنون بنصر اللّه؛ لقد أدرك جيل من أهملنا في فلسطين أن الجهاد هو الطريق، فقامت منظمات للجهاد منذ عام ١٩٦٥م، وبسبب عدم النضج الكامل بعدما تاهت المنظمات في ألاعيب السياسة، وأخطاء الشتات بين الأنظمة والانجراف بدون وعي لخطط المخابرات الصهيونية، فوقعت حروب على غرار داحس والغبراء. واليوم أفاق ونضج المجاهدون وطريق العودة بات ممهدًا بدماء الشهداء الأبطال من رماة الحجارة، وقادة الجهاد على أرض فلسطين، وهنا بقية القصيدة ما يجلو من الغمة سحابة:

غير أنا هذه المرة أدركنا الطريق

أيها اللاجئ في خيمة ذل يا رفيق
ليس إلا رصاصات البنادق
ليس لي إلا كتاب اللَّه في صدر البيادق
ليس لي إلا جهاد يزهو بالفيالق
ليس إلا جند اللَّه قدامًا زاحفين
ليس لي إلا بحزب اللَّه وا بيض الصحائف
ليس لي إلا سيوف اللَّه تعلوها المصاحف
ليس لي إلا بعالي الجنتين
ليس لي إلا بإحدى الحسنيين[1]

❁ ❁ ❁

(١) للشاعر د. محمد العاني ـ جامعة الإمارات ـ المجلة العربية ـ رمضان ١٤٢١هـ ص(٨٤ ـ ٨٥).

❁ انتفاضة الأقصى ❁

هل تبتغي طلقاتهم أحلامي
أم أنها حرب على الإسلام

هل يقتلون الخير في أجسادنا
أم يزرعون الشر في الأجسام

هل يبتغون القدس كيما يهدموا
في المسلمين جوامع الإلهام

هل بين أقصانا السليب ومكة
نسب عزيز أم صلات كرام

من أرضع الأقصى لبان تجلة
هل أخت صهيون بثديٍ دام

أم أنها بنت النبي محمد
نبع السلام ومولد الأعلام

هل صار أقصانا لصهيون أبًا
أم أنها أكذوبة الحاخام

ما يفعلون به وليس بهيكل
والهيكل المزعوم بعض رِمَام

هل أصبح الأقصى بُعيد شتاتنا
رمز الضياع ومسرح الآلام

حتام ساقية اليهود تخيفنا

والعرب بحر زاخر متراما

❁ ❁ ❁

أرض العروبة للإسلام مزرعة

تنمو بها الأُسْد في عزٍّ وإقدام

هم الكماة بمقلاع ومنفقةٍ

سل جند صهيون عنهم خلف آكام

ما بالهم تدّري أجسادهم فرقًا

من رعشة الشّبل أو من وثبة الرامي

غرقى قلوبهم في بحر خوفهم

ونور أعينهم في بطن أقدام

خلّوا بني العرب والإسلام عن أسد

ما جاع إلا إلى أشرار أقزام

لا تسلبوه بدعوى السلم مخلبه

ما عاد يملك من زأر وأقلام

لا يصلح السلم في غاب ومعمعة

إن خاب سِلْمك فاجهل دون إحجام

سِلْم الأذلّين ليس الكف يبرمه

وإنما عنقٌ يسعى لصمصام

دوري تأخر في السلم الذي وعدوا

جزّار صهيون مشغول بأغنام[١]

❁ ❁ ❁

❑ وللّه در محمد التهامي وهو يقول:

« أمـــاه[٢] » .. هـــذا الـــداء داء

الـــقـــدس عـــزّ شـــفـــاؤه

والمسجد الأقصى على بلواه

طـــــال بـــكـــــاؤه

وعـلا الـنـحـيـب وأعـولـت

فـــي ســـمـــعـــنـــا أصـــداؤه

وكـــأنمـــا نـــاحـــت عـــلـــيـــه

أرضـــــه وســـــمـــــاؤه

وقـد اسـتـبـيـحـت فـي حـراب

المـــعـــتـــديـــن دمـــاؤه

وأمـــام هـــوج الـــعـــاتـــبـــات

بـــدا يمـــيـــل بـــنـــاؤه

---

(١) لسامر محمد البارودي ـ المجلة العربية ـ رمضان ١٤٢١هـ ص(٣٢).

(٢) في أصل القصيدة: رمضان هذا الداء..

وتكاد تدفعه اللئام
فلا يطول بقاؤه
وتميل مئذنة الهلال
وتختفي أضواؤه
ويضيع مقدسنا الجليل
وتنمحي أسماؤه
ونعيش إن عشنا
وفي الدمع الغزير رثاؤه

❁ ❁ ❁

هل يا ترى حان الرحيل
وجمّعت أشياؤه؟
أم يستحي حق تبدّد
صدقه وحياؤه[1]؟

❁ ❁ ❁

(١) من قصيدة «رمضان هذا الزمان» ـ المجلة العربية ١٤٢١هـ ص(٧٩).

❁ أمتـــي ❁

أمـــتـــي هـــل لـــك بـــين الأمم
مـنـبـرٌ لـلـسَّـيـف أو لـلـقـلـمِ
أتـلـقـاك وطـرفـي مُـطـرَق
خـجـلاً مـن أمْـسِـكِ المُـنـصَـرمِ
ويـكـاد الـدمـع يـهـمـي عـابـثـا
بـبـقـايـا كـبـريـاءِ الألـمِ
أمـتـي كـم غُـصَّـةٍ دامـيـةٍ
خـنـقـت نجـوى عُـلاكِ فـي فـمـي
أي جُـرحٍ فـي إبـائـي راعـفٍ
فـاتـهُ الأسـى فـلـم يـلـتـئِـمِ
ألإسـرائـيـل تـعـلـو رايـة
فـي حِـمَـى المـهـدِ وظـلِّ الحـرمِ؟
كـيـف أغـضـت عـلـى الـذلِّ ولـم
تـنـفُـضـي عـنـك غُـبـارَ الـتُّـهَـمِ
أو مـا كـنـت إذا الـبـغـي اعـتـدى
مـوجـة مـن لـهـبٍ أو مـن دمِ؟
فِـيـمَ أَقْـدَمـتِ وأَحْـجَـمـتِ ولـم
يـشـتـف الـثَّـأر ولـم تـنـتـقـمـي؟

اسمعي نوح الحزانَى واطْربي
وانظري دمع اليتامى وابْسُمِي
ودعي القادة في أهوائها
تتفانى في خسيسِ المَغْنَمِ
رُبَّ «وامُعتصماهُ» انطلقتْ
ملء أفواه الصبايا اليُتَّمِ
لا مست أسماعَهم لكنَّها
لم تلامس نخوة المعتصمِ
أمتي كم صنمٍ مجّدته
لم يكن يحمل طُهر الصَّنمِ
لا يُلامُ الذِّئبُ في عُدوانه
إن يكُ الرَّاعي عدوَّ الغنمِ
فاحبسي الشَّكوى فلولاكِ لَمَا
كان في الحكم عبيدُ الدِّرهمِ[1]

❁ ❁ ❁

ولله در القائل:

مررت بالمسجد المحزون أسأله
هل في المصلَّى أو المحرابِ مروان

(١) لعمر أبي ريشة.

تغيَّر المسجدُ المحزونُ واختلفت
على المنابر أحرارٌ وعبدانُ
فلا الأذانُ في منائره
من حيث يُتلى ولا الآذانُ آذان

❁ ❁ ❁

وانظر إلى الشاعر كيف يستمطر الدمع:

أطفال يافا يصرخونَ وما لهم
عمرٌو ولا سعدٌ ولا خطَّابُ
يا ربُّ يا رحمن فانصر أمَّةً
قد أُغلِقَتْ من دونها أبوابُ

❁ ❁ ❁

❁ ولكنْ.. لا أحَد!! ❁

لا تصدقنا، إذا قلنا: «سنأتيك،
لنفديك».. فلن يأتي أحدْ!!
وإذا امتدَّت يدُ الهدم، فلن تمتدَّ
«كي تبنيك»، من هذي الملايين
التي تهدر.... يدْ!!
لا يغرنك العدد..

فهو «يا أقصى» غُثَاءٌ، كغثاءِ السَّيل،
لا وزن له.. وهو زبد!!

❁ ❁ ❁

لا تقل: أقبلت الخيل، إذا صحْنا..
فإن الغزل النَّاعم، بين الأخوة ـ الأعداء
بالفُصحى... صياح!!
فإذا ما اختلفوا... سالت جراحُ!
وإذا ما ائتلفوا... سالت جراحُ!
وبدت من كوَّة العتمةِ: راياتٌ،
ودوَّت في الإذاعات: بياناتٌ،
وهبَّت من عذابات فلسطين.... رياحُ!
ثمَّ... غاصتْ باسمها،
في لحمها ـ منهم ـ رماحُ!!
أيها الإخوةُ، في الشرق وفي الغرب،
وفي السَّهل، وفي الصَّعب، وفي الظَّهر،
وفي القلب... أعادينا من الكلِّ استراحوا..
سفحوا ما سفحوا من دمِنا..
ثم استراحوا!!

❁ ❁ ❁

نحن يا أقصى... كثيرون ـ كما الهمُّ ـ
ولكن الدّكاكين كثيرة!

والسَّكاكين التي تلمعُ في الأيدي:
كبيرة!
فَمَن الثُّوَّار؟!
والتّجّارُ!؟
والأحرارُ!؟
والشّطَّارُ؟!
. .من يملك ـ في هذا الدُّجى المُعتم! ـ
مصباح البصيرة!؟

❁ ❁ ❁

يا غريب الدّار. .
هذي الكُتل الضخمة: لا وزن،
ولا حُزنَ، ولا لون، ولا شأن لها!
كيف لا تنخسفُ الأرضُ بها؟!
كيف لا يمحقها اللَّه. . . ويستبدلها؟!
«. . . بسواها!!!»
فلدود الأرض ـ إن سدَّت عليه
سبل العيش ـ سلاح!
وإذا أطبقت الريح على الطَّير،
فللطير. . جناحُ!
«يتحدَّاها به. . .»
فالأفق الرَّحبُ. . . متاحُ!؟

❁ ❁ ❁

يا غريب الدار «يا أقصى!»
كلانا... بِيعَ من غير ثمن!
نحن.. باعونا تماثيل، لأمريكا..
وباعوا قبة الصخرة: للسُّيَّاح... أنتيكا!
فمن يشكو... لمن؟![1]

❁ ❁ ❁

❁ يا أمـة العرب الكِرام!! ❁

نامي.. بأحضان السَّلام
ترعاك أسرابُ الحمام..
وتصون حُلمَكِ: أن تعكِّرَ صفوَه،
سحب الظلام..
يا أمَّةً، رجعت من الهيجاء،
عاليةَ المقام..!
سحقت أعاديها،
وساقتهم إلى الموت الزُّؤام!
وأعادت الشرف الذي اغتصبوه،
بالقضب الدّوامي!
زعموا: سيمضي ـ قبل أن
نحظى به ـ مليون عامٍ!

---

(١) من ديوان «من أقوال الشاهد الأخير» لحيدر محمود ص(١٢ ـ ١٣) ـ دار كتابكم.

«فشروا!» . . فها هي ذي بيارقُنا،
تُزيِّنُ كلَّ هامِ!!
وتلوحُ . . ها هي ذي هناك،
تلوح من خلف الغمام . .
خفَّاقةً، فوق الفيالق،
وهي تُمسك بالزّمام . .
البحرُ طوعُ بنانها . .
والنهر يُصغي باحترام!
ومن المحيط، إلى الخليج،
سهامها . . فوق السِّهام!
نامي . .
فمن حق القنا . .
أن تستريح من الصدام . .
وعلى المحارب، أن يُجرب مرّةً،
دفء المنام!
ويذوق، من بعد الطِّعان،
يذوق فاكهة السلام!!
خدِّي مخدَّتُك الطرية،
والفراش من العظام
وغطاؤك الأهدابُ، يا قمرًا
يضيءُ دجى الظلام . .

إني قتيل «حضورك» المغزول،
من ريش النَّعام!
يقف الجميع، إذا خطرت،
وينحنون إلى الأمام..
ويقبِّلون يديكِ، من خوفٍ،
وعربون احترام..!
وأنا أخاف عليك
من حقدٍ عليك، ومن ملامِ!
يا أمةً، شغلت لحاظ عيونها
بال الآنام!!
فتجمّعوا في بابها «شوقًا!»
وذابوا من «هُيام!»
لا النِّفطُ بُغيتَهم..
ولا الذهب المكدَّس في الخيام
لكنه حبُّ القَطَا
«صدقوا!!!»
وأسراب اليمام!!
فترفقي بالعاشقين «إذن!»
وهُبِّي... للسلام!!
نامي على جمر الغرام..
يا أمة العرب الكرام..

تحميك أمريكا «الوفيَّة»
من إصابات الزكام!
«وترد عنك العين»، في
صحو الحياة، وفي المنام..!
نامي..
فها هي ذي بيارقُنا
تُزيِّنُ كل هام..
وحديثُنا.. فوق الحديث..
كلامُنا.. فوق الكلام!![1]

❁ ❁ ❁

❁ نشيد الحجارة ❁

يا حجارة «باب العمود!»
يا نشيد الأكفِّ التي تتحدى «القعود!»
علمينا الصمود..
علِّمي عرب الخوف..
كيف يجابه «زهر البنفسج» أحذية القهر
كيف يواجه بيتٌ من الشِّعْر،
خيل الجنود!!

---

(١) من ديوان «من أقوال الشاهد الأخير» لحيدر محمود ص(١٥ ـ ١٨).

يا حجارة «باب العمود. .»
يا حجارة سجِّيل،
كوني كطير أبابيلَ،
ترمي «يهود الهوى». .
واليهود، اليهود!!
إن للبيت ربًّا سيحميه، من غدرهم،
وسيحميه من ذُلِّنا
آه، يا ذلّ هذي البنود
آه، يا ذلّ هذي السيوف،
التي تتدلَّى من الأحزِمَة!
«غابةً. . معتمة!»
لا يرى الداخلون إليها،
سوى. . . جِيَفٍ مُتْخَمة. .
تتجشّأ. . أو تتقيّأ
ـ من كثيرة الشرب ـ
نخب اكتشاف الدواء الذي سيعيد،
إلى «الميِّتين». . فُحُوْلَتَهم. .
ويرد إلى الشَّرفِ العربيِّ المهان،
رجولتّه المفعمة!
آه، يا ذلَّ قطحانَ، يا ذلَّ عدنانَ،
يا ذلَّ نفطان. .

يا تعسَ ما تفعلُ الأنظمة!
آه، يا ذل أنفسنا المجرمة!
يا حجارة باب العمود!
يا حجارة سجِّيل،
كوني كطير أبابيل،
ترمي «يهود الهوى!»..
واليهود... اليهودْ!![1]

❁ ❁ ❁

❁ الشاهد الأخير ❁

على من تُنادي؟! أيَّهذا المكابدُ
ولم يبق في الصحراء، غيرك، شاهدُ
لقد أقفرت، إلا من الذل، أرضها
فكلُّ نُباتٍ، يطلع الرملُ، فاسِدُ
وكلُّ هواءٍ، هبَّ من جنباتِها
مراءٍ، وفي ذراته الحقدُ راقدُ
وليس دمًا، هذا الذي في عروقها
ولا نسمًا هذا الذي يتوالَدُ
ولا نبضُها النبضَ الذي تستفزُّهُ
ولا حوضُها، الحوضَ الذي أنت واردُ

(١) لحيدر محمود من ديوان: «من أقوال الشاهد الأخير» ص(١٩ ـ ٢١).

وتلك «الدُّمى»، ليست رماحًا، فتنتخي
ولا خيلها يوم الطراد، تطاردُ
بلى! كانت «الفُصحى» نشيد شعابها
وكانت شموس المدلجين: «القصائد»
وقد كان يا ما كان: سعف لنخلها
يُظِلُّ، وسيفٌ لا يُفَلُّ، وساعد
ولكنها «هانت»، على النفط، وانحنت
«لتسلم» أموال لها، وفائدُ!!

❁ ❁ ❁

على من تنادي؟! موسم النَّخوةِ انتهى
و «سوق عكاظٍ».. بالبضاعة كاسدُ!!
فلا قولَ، إلاَّ قولُ «رابين»، داويًا
ولا فعل، إلا فعله، يتصاعدُ
ولا خيل، إلا خيلهُ، تملأُ المدى
ولا ليل، إلا ليلهُ، والفراقدُ
له البحر، والشطآن، والنهر، والذُّرى
وتنسابُ إذ تنسابُ، منه الرَّوافدُ
له الزيت، والزيتون، والزهر، والنّدى
وما تشتهي أقدامهُ والسَّواعدُ

و«إنا إليه راجعون»!! وكلنا

أمام مُداه الذّابحات، طرائدُ!!

❁ ❁ ❁

وأني توجهنا، فثَّم مخالبٌ

وحيث مشينا، فالطريق مصائدُ!!

فقل لبني قحطانَ: لا خربت لكم

بيوت، ولا انهدَّت عليكم، قواعدُ

ولا احترقت بالنار، منكم، ضفيرة

ولا ضاع مولودٌ، ولا التاع والِدُ

ولا مات «مخلوق» من الجوع، بينكم

ولا نضبت، مما تطيب، الموائدُ

ولا «انفقأت» عين امرئٍ، وهو واقفٌ

ولا «انفلقت» أعصابه، وهو قاعدُ

ولا خسرت يومًا، تجارةُ تاجر

ولا هبطت، عن مستواها، «العوائدُ!!»

وعمت صباحا، يا «عباءات عزنا»!

ودمتم لنا طول المدى، يا أماجدُ!!

❁ ❁ ❁

على من تنادي؟! والأذى يتبع الأذى

وأعداؤك النّمل الذي يتزايدُ..

فإما نجا من طعنةٍ: جذع نخلة
بها تحتمي، «دبت» عليها المكائدُ
وإن هربت، من غدرهم: نسمةٌ، بها
حياتك، ردتها الرياحُ الشواردُ
تآمرت الدنيا عليك، فما لها
سواك: عدوًّا، تقتفي: وتُطاردُ
وقالوا: «غريب في المكان وطارئٌ!»
وقالوا: «غريب في الزمان، وزائدٌ!»
وقد حلفوا: «ألا تكون!» فكن كما
يشاء الفداء العبقري المعاندُ
وإياك أن تفنى، فثم جديلةٌ
لها موعد آتٍ، وأنت المواعدُ
فأقبل فتًى.. من غابة الجنّ بَرقُهُ
ومن صخرة الإصرار فيها، الرَّواعدُ
وأقبل قضاءً، مستفزًّا، وحاقدًا
فكل الذي في الكون ـ ضدَّك ـ حاقدُ
وكن مِنجَلاً.. مستأصلاً كلَّ «زائدٍ»
فقد كثرت منا، وفينا «الزوائد!»
ومن لا يكيل الصَّاع، صاعين، ميتٌ
ومن لا يردُّ الموت موتين.. بائدُ!![1]

---

(١) من ديوان حيدر محمود: «من أقوال الشاهد الأخير» ص(٢٢ ـ ٢٦).

❁ مرثيةُ حلم[1] ❁

شعرُ: فاروقُ جُويدةُ

دَعْنِي وجـرْحِي
فقــدْ خابتْ أمانِينَا
هَـل مِـنْ زمــانٍ
يُعيــدُ النبضَ يُحيينَــا
يــا سَــاقِيَ الحُــزنِ
لا تعْجَـبْ ففِــي وطَــني
نهــرٌ من الحُــزنِ
يجْــرِي فِي رَوابِيــنَــا
كمْ مِنْ زمــانٍ كئيبِ الوجْــهِ
فــرَّقَــنَــا
واليــومَ عُــدْنَــا
ونفسُ الجــرْحِ يُدْمِينَــا
جُــرحِي عميــقٌ
خُدِعْنَــا فِي المُـدَاوِينــا
لا الجــرحُ يَـشْــفَى

(١) ديوان «طاوعني قلبي في النسيان»، شعر: فاروق جويدة، ط (١) مكتبة غريب، ص(٥١ ـ ٧٦).

ولاَ الشَّكوى تعزِّينـــا
كانَ الـدَّواء سُـمومـًا
فِـي ضمـائِـرِنـا
فكيف جئـنـا بـدَاءٍ
كيْ يـدَاوينَـا

❁ ❁ ❁

هَـلْ مِـنْ طَبيبٍ
يُداوِي جُـرْحَ أُمَّتِـهِ
هـلْ مِـنْ إمـامٍ
لدرْبِ الحـقِّ يَهْـدِينَا
كَانَ الحنينُ إلى المَـاضِي يؤرِّقُنـا
واليومَ نبكِي عَلَى الماضِي ويُبْكِينَـا
مَن يُرجِـعُ العمـرَ مِنكُم
مَـنْ يُبـادِلُـنِي
يـومًا بعُمْـرِي
ونحْـيِي طَيفَ مَاضِينَـا
إنَّـا نَمـوتُ
فمَنْ بالحَـقِّ يبعَثُنَـا
لم يبـقَ شَـيءٌ

سِـــوَى صمتٍ يُوَاسِينَـــا
صِـــرْنَـــا عَـرايَـا
أمـامَ النَّـاسِ يُفـــزِعُنَـا
ليـلٌ تخفَّـــى طَوِيـــلاً
فـــي مآقِينَـا
صِـــرْنَـــا عَـــرايَـا
وكلُّ الأرضِ قَـــدْ شَـــهِدَتْ
أنَّا قطَعْنَا بأيدِينَـا أيَادِينَـــا
يومًا بنَيْنَا قُصـــورَ المجْـدِ شَامخَةً
والآنَ نسْـــألُ
عَنْ حُـــلْمٍ يوارِيـــنـــا
أينَ الإمامُ رسول اللَّه يجـمُنـــا
فاليـــأسُ والحـــزْنُ
كالبـــركانِ يُلْقِينَـــا
دِينٌ مِنَ النُّورِ
بَيْنَ الخلْقِ جمَّعَنَا
ودينُ أحمد خيرُ الناس يُغنينا[1]
يَا جامعَ النَّاسِ حولَ الحَقِّ

(١) في الأصل: ودينُ طه ورب الناس يغنينا
فبدّلناها.

قــد وَهَـنَـتْ
فِينـــا المُــروءةُ
أعيتْنَـــا مآســـينَا
بَيروتُ في اليَمِّ ماتَتْ
قـدْسُـــنَا انتحـــرتْ
ونحنُ في العَارِ نَسْقِي وَحْلَنا طِينا
بَغْـــدادُ تَبْـــكِي
وَطَهْرانٌ يحَاصِرُهَا
بحـــرٌ مـــن الـدَّمِ
بـــاتَ الآن يَسْقينـــا
هَذِي دِمَانَا رَسولَ اللَّهِ
تُـغـــرِقُـنَـــا
هَلْ مِنْ زَمـــانٍ
بنورِ العدْلِ يَحْمِينَا
أي الدِّماءِ شهيدٌ
كلُّهـــا حَمَـلت
في الليـــلِ يومًـــا
سهـامَ القهرِ تُردِينَـــا

القــدسُ في القيْــدِ
تبكِي مِنْ فوارسِهَــا
دَمعُ المنَابرِ يشكو للمصلِّينَا
حُكَّامُنَا ضيّعُونا حينَما اختلَفُوا
بَاعُــوا المــآذنَ
والقرآنَ والدِّينَا
حُكامُنا أشعَلُوا النيرانَ
فــي غَــدنَــا
ومزَّقــوا الصُّبــحَ
في أحْشَــاءِ وادِينَا
مَالي أرَى الخوْفَ فِينَا
سَاكنًــا أبــدًا
مِمَّــنْ نَخــافُ
أَلَمْ نعرِفْ أعادِينَــا؟
أعْــداؤُنَــا
من أضَاعُوا السيفَ مِن يَدِنَا
وأودَعُونَا سُجُونَ الليْلِ تطوِينا
أعــدَاؤنَــا
مَنْ توارَى صَوتُهــم فَزِعًا

والأرضُ تُسْـــبَى
وبيـــروتُ تـــنَادِينَـــا
أعْـــداؤنَـــا
أوهَمُونَا آه كمْ زعمُـــوا
وكـــمْ خُـــدِعْنَـــا
بوعْـــدٍ عـاشَ يُشْـقِينَـا
قَدْ خدَّرُونَا بصبحٍ كاذبٍ زمنًا
فكيـــفَ نأمُـــلُ
فِي يـأسٍ يمنِّينَـــا
أيُّ الحكَايـا سَـــتُروَى
عَـــارُنا جَـــلَلٌ
نحـــنُ الهَـــوانُ
وذلُّ القُدسِ يكفِينَـــا
مَنْ باعَنـــا خبِّـــرونـــي
كلُّهـــمْ صَـمَتُـــوا
والأرضُ صَارتْ مَزادًا للمرَابينا
هَلْ مِنْ من زمانٍ نقيٍّ فِي ضمائرِنَا
يُحيي الشُّموخَ الذِي ولَّى . . فيُحيِينَا
يا ســـاقِيَ الحـــزْنِ

دَعْني إنني ثَمِـــلٌ
إنا شربنَـــاه قَهْـــرًا
مَا بأيـدِينَـــا
عُمـــرِي شُـــمـوعٌ
عَلى درْب المِنَى احترَقَـتْ
والعُمـــرُ ذابَ
وصـــارَ الحُلـــمُ سكِّينـــا
كمْ منْ ظـــلامٍ ثقيـــلٍ
عَـــاشَ يُغرِقُنـــا
حتَّى انتفَضْنـــا
فمزقْنـــا دَياجِينَـــا
العُمْـــرُ فِي الحُـــلْـــمِ
أَودَعنَـــاه مِنْ زمنٍ
والحُلْـــمُ ضـــاعَ
ولا شيءٌ يعزِّينَـــا
كُنَّا نَرى الحَقَّ نُـــورًا
في بصَـــائرِنَـــا
والآن للزيفِ حِصْنٌ
في مـــآقِينَـــا

كنَّـــا إذا مَا توارَى الحُلْمُ
عـــانـقَـنَـــا
حُـــلْمٌ جديـــدٌ
يُغَنِّي في رَوابِينَـــا
كُنا إذَا خَانَنَا فـــرْعٌ
نُـقَـطِّـعُـــهُ
وفـــوقَ أشـــلاَئِـــه
تَمضِـــي أغانِينَـــا
كنَّا إذا ما اسْتَكَانَ النُّورُ فِي دَمِنَا
فِي الصُّبحِ نَنْسَى ظَلامًا
عـــاشَ يطْوِينَـــا
كنَّا إذَا اشْـــتدَّ فِينَا اليَأْسُ
وانكسَـــرتْ
منَّـــا السُّيوفُ
ونـــادَانـــا . . مُنادِينَـــا
عُدْنـــا إلى اللَّهِ
عَلَّ اللَّهَ يرحَمُنـــا
والآن نخجَـــلُ منـــهُ
مِنْ معَـاصِينَـــا

الآن يَرجُـــفُ
سيفُ الزُّورِ فِي يدِنَـــا
فكيفَ صَارتْ كُهوفُ الزَّيفِ
تَـــؤْوِينَـــا
هــلْ مِنْ زمـــانٍ
يَعِيدُ السَّيفَ مشْتعلاً
لا شيءَ واللَّه غيرُ السَّيف يُبقِينَا
يـــا خــالدَ السَّـــيف
لا تعَجبْ ففِي زَمنِي
باعُوا المآذنَ والقرآنَ راضِينَا
قُم مِنْ ترابِكَ يا بنُ العَاصِ فِي دَمِنَا
ثـــأرٌ طويـــلٌ
لهيبُ العـــارِ يكوِينَا
قُمْ يا بِـــلالُ وأذِّنْ
صَمْتُنَـــا عـــدَمٌ
كلُّ الذِي كانَ طُهـــرًا
لَم يعُد فِينَـــا
هَـــلْ مِنْ صَـــلاحٍ
بسَـيفِ الحـــقِّ يجْمَعُنَا

في القُـــدْسِ يومًا
فيُحيِيهَـــا . . ويُحْيِينـــَا
هَـــلْ مِنْ صَـــلاحٍ
يداوي جُرحَ أمَّـــتِهِ
ويطلِعُ الصبـحَ نـــارًا
مِنْ لَيَـــالِينَـــا
هَلْ مِنْ صـــلاحٍ
لشَعْبٍ هـــدَّهُ أَمَـــلٌ
مـا زَال رغَم عِنادِ الجُـرح
يـشفيـــنَـــا
هَلْ مِنْ صَـــلاحٍ
يُعيـــدُ السَّـيفَ في يَدِنَـــا
ولْـتَـبْتُـرُوهَـــا
فقـــدْ شُلَّت أياديـنـــَا
حزنِـي عَنيـــدٌ
وجُرحِـــي أنتَ يا وَطني
لاَ شيءَ بعـــدَكَ
مَهْمَـا كَانَ . . يُغنِينـــَا
إنِّي أرَى القُـــدْسَ

فِي عَينَيكَ سَاجِدةً
تبكِي عَلَيْكَ
وأنتَ الآن تبكِينَا
آهٍ مِنَ العُمرِ
جُرح عَاشَ فِي دمِنَا
جِئْنَا نُداوِيه
يأبَى أنْ يدَاوِينَا
مَا زالَ فِي العَيْنِ
طيفُ القُدْسِ يجمَعُنَا
لا الحُلمُ مَاتَ
وَلاَ الأحزانُ تنسِينَا
لا القُدسُ عَادَتْ
ولا أحْلامُنا هَدأتْ
وَقَدْ نَمُوتُ
وتُحْيِينَا أمانِينَا
ما أثقلَ العمرَ . . لاَ حُلمٌ ولا وطن . .
ولا أمَانٌ
وَلاَ سيفٌ . . ليحمِينَا

❁ ❁ ❁

❁ رسالة إلى صلاح الدين[1] ❁

شعر: فاروق جُويدة

يَا سَيّدي.. فَلأعْترِفْ..
أن الجوَادَ الجَامِحَ
المجنُونَ قد خَسِرَ الرَّهانْ
وبأنَّ أوْحالَ الزمَانِ الوَغدِ
فوقَ رؤوسنَا..
صَارتْ ثيابَ المُلكِ والتيجَانْ
وبأن أشباه الرجالِ تحكموا
وبأن هذا العَصرَ للغِلمانْ..
يا سيّدي.. فَلأعترِف
أن القصَائِدَ لا تسَاوِي رَقْصةً
أو هزَّ خِصرٍ في حِمَى السُّلْطانْ
أن الفراشَاتِ الجميلةَ
لنْ تقاومَ خِسَّةَ الثعبانْ
أن الأسُودَ تمُوتُ حزنًا
عندمَا تتحكمُ الفئرانْ..

(١) ديوان «ألف وجهٍ للقمر»، شعر: فاروق جويدة، ط١ دار غريب، ص(١٠٧ ـ ١٢٥).

أن السَّماسرَة الكبارَ توَحَّشُوا
باعُوا الشُّعوبَ . . وأجْهضُوا الأوْطانْ
وَلأعترفْ يا سيدي . .
إني وفَّيتُ . . وأن غَيري خانْ
أني نزفتُ رَحيق عمْري
كيْ يُطِلَّ الصبحُ
لكنْ . . خَانني الزمنُ الجبانْ
وبأنني قدَّمتُ فجْرَ العمْر قربانًا
لأصنامٍ تَبيعُ الإفكَ جَهْرًا
في حِمَى الشيطانْ
وبأنني بعتُ الشبَابَ وفرْحةَ الأيامِ
في زَمن النّخاسةِ والهوانْ
ولأعترِفْ يا سيدي . .
أنيّ خَسِرتُ العُمرَ في هذا الرِّهانْ
وَغدوْتُ أحمِلُ وجْهَ إنسانٍ بلا إنسانْ . .

❁ ❁ ❁

غَنَّيتُ للقُدسِ الحَبيبةِ أعْذبَ الألحَانْ
وانسَابَ فوْقَ ربوعِها شِعْري
يطُوفُ على المآذنِ . .

والمنابرِ . . والجِنَانْ
القدْسُ ترسمُ وجْهَ أحمد
والملائكُ حولَهُ
والكونُ يتلو سورَةَ الرحمنْ
القدْسُ في الأفقِ البعيدِ
تطلُّ أحيانًا وفي أحشَائِها
طيفُ المسيحِ . . وحَولهُ الرهبانْ
القدْسُ تبدو في ثِيابِ الحزنِ
قنديلاً بِلا ضوءٍ . .
بِلا نبضٍ . . بلا ألوانْ . .
تَبكِي كثيرًا
كلمَا حَانتْ صَلاةُ الفجْرِ . .
وانطفأت عُيونُ الصبح
وانطلقَ المؤذنُ . . بالأذانْ
القدْسُ تسألُ :
كيفَ صارَ الابنُ سمسَارًا وباعَ الأمَّ
في سُوقِ الهوانِ بأرخَصِ الأثمانْ
صوتُ المآذنِ . . والمنابر لم يزلْ
في القدْسِ يرَفعُ رايةَ العصْيانْ . .

اللَّهُ أكبرُ منكَ يا زمنَ الهَوانْ
اللَّهُ أكبرُ منكَ يا زمنَ الهَوان
اللَّهُ أكبرْ منكَ يا زمنَ الهَوان
كَانَتْ لَنَا يَوْمًا . . هُنَا أوْطانْ
وَطنٌ بلونِ الصُّبحِ كَانْ . .
وطنٌ بلونِ الفرْحِ
حِين يَجيء منتصراً علَى الأحْزانْ
وطنٌ أضاءَ الكوْنَ عمراً
بالسَّماحَةِ . . والهدايَةِ . . والأمَانْ
وَطنٌ علَى أرْجائهِ الخضْراءِ هلَّ الوَحْيُ
فِي التوارةِ . . والإنجيلِ . . والقرآنْ
فِي كلِّ شبرٍ منْ ثَراهُ
تَمهلَ التاريخُ . . وانتفضَ الزمانْ
وطنٌ بلونِ الصُّبح كانْ
يَمتدُّ من صَوتِ المؤذّن
فِي ربُوعِ الشامِ . . للسُّوَدانْ
يَنسابُ فوقَ ضفَافِ دجلة ينتَشي فيها
ويرْقصُ في رُبَا لُبنانْ
ويُطلُّ فوقَ خمَائِل الزيتونِ

فِي بغْدادَ . . في حَلب . . وفي عمَّانْ
عَيناهُ دِجْلةُ والفراتُ
جَناحُه يمتدُّ في اليَمنِ السَّعيدِ
إلى ضِفافِ المغربِ العربيّ
من أقصَى الخليجِ . . إلى ذرا أسْوانْ
فِي مصرَ تاجُ العرشِ بين رُبُوعِها
وُلِد الزمانُ . . وكبَّر الهَرَمانْ
القلْبُ في سِيناءَ ينبضُ
يَحْملُ النيلَ المتوجَ بالجَلالِ
فتسجُدُ الشطآنْ
وَطنٌ تَطوفُ عليه مَكةُ كعْبةُ الدُّنيا
وبَيتُ الحقِّ . . والإيمانْ
وَطنٌ عَنيدٌ أيقظَ الدنيا
وعَلَّمها طريقَ المجْدِ
علمَها فُنونَ الحربِ
علمَها البَيانْ . .

❁ ❁ ❁

وَطنٌ جَميلٌ كَانَ يْومًا كَعْبةَ الأوْطانْ
مَاذا تَبقى منه؟ . . .

الآن تأكلهُ الكِلابُ وتَرْتوِي
بالدَّمْ فَوقَ رُبوعِه الدّيدَانْ
الآن ترْحلُ عنه أفواَجُ الحمَامِ
وَتنعقُ الغِربانْ
الآن تَرتعُ فيه أسْرابُ الجَرادِ
وتْعبَثُ الفئرانْ
الآن يَأتِي الماءُ مسْمومًا
ويأتِي الخبزُ مسْمومًا
ويأتي الحلُم مسْمومًا
ويأتي الفجْرُ مصْلوبًا على الجدرانْ
وَطنٌ بلونِ الفرْحِ يبدوُ الآن محْمولاً
علَى نعشٍ من الأحْزانْ
جَسدٌ هزيلٌ في صَقيعِ الموْتِ
مَصْلوبٌ بلاَ أكْفانْ
وَطنٌ جميلٌ كانَ يَومًا كعبةَ الأوْطانْ
الآن ترتحِلُ الرُّجولةُ عَنْ ثَراهُ
ويَسْقطُ الفرْسانْ
فِي سَاحَةِ الدجَلِ الرَّخيصِ
يغيبُ وجْهُ الحقِّ

تسقطُ أمنياتُ العُمرِ
يَزْحفُ موْكبُ الطُّغيانْ
في سَاحةِ القهْرِ الطويلِ
يضيعُ صَوتُ العَدلِ
تخبُو أغنياتُ الفَجـرِ
تَعلُو صيْحةُ البُهتانْ
وطنٌ بلونِ الصُّبحِ كانْ
وَطن كبيرٌ أنتَ فيَ عيني
هزيلٌ في ظلاَم السّجنِ والسَّجانْ
وطن جَسُورٌ أنتَ فِي عيني
ذليلٌ في ثِيابِ العَجزِ والنسيَانْ
وطنٌ عريقٌ أنتَ فِي عيني
أراكَ الآن أطْلالاً
بِلا إِسم . . بلا رَسم . . بلا عُنوانْ
وَطنٌ بلونِ الصُّبحَّ كانْ
في أيّ عينٍ
سوف أحْمِي وجْهَ إِبني
بعدَمَا صَلبُوا صَلاحَ الدينِ
يا وَطني علىَ الجُدْرانْ

في أيّ صَدْرٍ
سَوفَ يَسْكنُ قلبْ إبني
بعدَما عَزلُوا صَلاحَ الدين
مِن عَينِ الصّغارِ . . وتوَّجُوا ديانْ
يَا للمهانَةِ عنْدمَا تغدُو سُيوفُ المجْدِ
أوْسمةً بلا فُرسانْ
يا للمهانةِ عندمَا يغْدو صَلاحُ الدينِ
خلفَ القْدسِ مَطرودًا
بلا أهلٍ . . بَلاَ سكنٍ . .
بلا وَطنٍ . . بِلا سُلطانْ
في كل شيءٍ أنتَ يا وطني مُهانْ
مَنْ علَّمَ الأسدَ الأبيَّ
بأن ينكسَ رأسَهُ ويهادنَ الجِرذانْ
منْ علَّمَ الفرَسَ المكابرَ
أن يهرْولَ سَاجدًا
في موْكبِ الحُملانْ
من علَّمَ القلبَ التقيَّ
بأن يبيعَ صلاَته ويعودَ للأوثانْ
مَنْ علَّمَ الوَطنَ العرِيقَ

بأن يَبيعَ جُنودَه . .
ويُقايضَ الفرْسانَ . . بالغِلمانْ
مَنْ علمَ الوَطنَ العزيزَ بأن يَبيعَ تُرابَهُ
للراغبين بأبخسَ الأثمانْ
مَنْ عَلّمَ السَّيفَ الجَسورَ
بأنْ يُعانقَ خصْمَه . .
وَيُعلقَ الشُهداءَ في المَيْدانْ
يَا أيُّها الوَطنُ المُهانْ
إنيّ بريءٌ منكْ . .
يَا أيهَا الزَّمنُ الجَبانْ
إني بَريءٌ منكْ . .
إني بَريءٌ منكْ . .
إني بَريءٌ منكْ . .

❁ هُوية الأقصى ! ❁

إنَّمـا الأقصى عقيـدةْ ووسامٌ وقصيـــدةْ
وهْو صرحٌ أَبَت العليـــاءُ إلاّ أَنْ تُشِـــيدَهْ
بـــاركَ اللَّهُ حَوَالَيْـــهِ بآيـــاتٍ مَجِيـــدةْ
وهو أرض النور فيه المصطفى أرسى سُـجودَهْ
وهو رمزٌ للمعـــالي زَيَّن التـــاريخُ جَيـــدَهْ
عمرٌ يطرقُ أبـوابَ العـلي يَرْعَى جنـــوده
وحسامٌ من صـلاح الدين يجتاحُ قـــيودَه
فارسُ الحلبَـةِ يُعلي فـي حمى اللَّهِ بُنُـــودَه
إنّمـا الأقصـى عقيدةْ فافْتَدُوا تلـكَ العقيدةْ
وهـو روض غرسَ الـنـورُ بـكفَّيْـهِ وُرودَه
وهـو أنغـامٌ عِذابٌ ردد الـكـونُ نـشيـده
فـتعـالت فـي سمـاءِ المجـدِ أنغـامٌ فريـده
كـمْ شهـيدٍ مـنـح الأقصـى دِماهُ ووريـدَه
وأبي صـدَقَ الأقصى فلـم يُخلـف وعوده
من تُرى يمسح جُرح البغي قد أوهى زنوده؟
أو يباري النسر في العـلياء كي يُرجع عيده
يتحدَّى الـبطشَ والطغيان لا يخـشى وعيده
إنما الأقـصى عـقيـدة في ذُرا الـعز وطـيده

إنما الأقصى عقيدة أيـن من يحمي حدوده؟
مـنـحَ البـغـيُ حـمـاهُ لـطريـدٍ وطـريـده
فمتى نُرجعُ عهد المجدِ كي نلقى (وليده)[١]
ونصـونَ العـهد في أعـناقِـنا حتـى نُعـيده
شامخ الجبهة يرنو كي يرى في الجمع صيده
زينـتْهُـمْ عزَمـات الحقِّ والأقـصى عـنيـده
حقلُـهُ ضاق بجيشِ الكـفرِ يجتاحُ حـصيده
إنما الأقصى عـقيدَة ليْتني كنـتُ شهيدَه![٢]

❁ ❁ ❁

❁ أعينيّ لا ترقَي من العبرات[٣] ❁

أعـيـنـي لا تَـرْقَـي مـن الـعَـبَـرات ... صِلي في البُكا الآصالَ بالبَكَراتِ
لعلَّ سيولَ الدَّمْع يُطفئ فيضُها ... تَوقُّدَ ما في القـلـب من جَمَرات
ويا قلبُ أسْعِرْ نارَ وَجْدِك كُلَّما ... خَبَتْ بادّكار يـبعـثُ الحَسَرات
ويا فَـمُ بُحْ بالـشَّجْوِ مـنك لَعـلَّه ... يُـروّح مـا ألـقَـى مـن الـكُـرُبـاتِ

---

(١) الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الذي بنى المسجد الأقصى وكانت الفتوحات الإسلامية في عهده زاهرة.

(٢) من ديوان «قناديل في عتمة الضحى» لشاعر الأقصى يوسف العظم ص(١٣ ـ ١٥) مكتبة المنار.

(٣) لشهاب الدين أبي يوسف يعقوب بن محمد المجاور انظر: «الروضتين» (٢/ ٢٠٥).

على المَسْجِد الأقصى الذي جلَّ قَدْرُه ... على موطن الإخباتِ والصلوات
على منزلِ الأمْلاك والوَحي والهُدى ... على مَشْهد الأبدال والبَدَلات
على سُلم المعراج والصخرة التي ... أنافتْ بما في الأرض من صَخَرات
على القبلة الأولى التي اتجهتْ لها ... صلاةُ البرايا في اختلاف جِهات
على خير مَعْمورٍ وأكْرَم عامرٍ ... وأشْرَف مبنيّ لخير بُناةِ
وما زال فيه للنبيين معبدٌ ... يُوالون في أرجائه السَجَدات
عفا المسجدُ الأقصى المبارك حوله الـ ... ـرفيع العماد العالي الشُرُفات
عفا بعدما قد كان للخير مَوْسمًا ... وللبرّ والإحسان والقُرُبات
يُوافي إليه كلُّ أشعثَ قانتٍ ... لمولاه بَرٍّ دائمِ الخَلَوات
خَلا من صلاةٍ لا يملُّ مُقيمها ... تُوشّح بالآيات والسوَرات
خَلا من حَنين التائبين وحُزْنهمْ ... فمِن بين نُوّاحٍ وبين بُكاةِ
لِتَبْكِ على القُدْس البلادُ بأسرها ... وتعلنُ بالأحزان والتَّرحاتِ
لِتَبْك عليها مكةٌ فهي أُختُها ... وتشكو الذي لاقتْ إلى عَرَفاتِ
لِتْبك على ما حَلَّ بالقُدس طيبةُ ... وتشرحْهُ في أكرم الحُجُرات
فمن لي بنوّاح يَنُحْنَ على الذي ... شَجاني بأصواتٍ لهن شجاة
يُرَدِّدْنَ بيتًا للخزّاعي قاله ... يُؤبِّنُ فيه خِيرة الخِيَرات
مدارسَ آيات خَلَتْ مِن تلاوةٍ ... ومنزل وحيٍ مُقْفِر العَرَصات

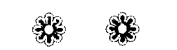

❁ وا قُدْســـاه ❁

❑ وقال آخر[١] (يرثي القدس):

أحَلَّ الكفرُ بالإسلام ضَيْمًا ... يَطولُ عليه للدين النحيبُ
فَحقٌّ ضائعٌ وحِمًى مُباحٌ ... وسيفٌ قاطعٌ ودَمٌ صَبيبُ
وكم من مسلم أمسى سَليبًا ... ومسلمةٍ لها حَرَمٌ سَليبُ
وكم من مسجد جعلوه دَيْرًا ... على محرابه نُصب الصليبُ
دمُ الخنزير فيه لهم خَلوقٌ[٢] ... وتحريقُ المصاحف فيه طِيبُ
أمور لو تأمَّلهن طِفْلٌ ... لطفَّلَ[٣] في عوارضه المشيبُ
أُتسْبَى المسلماتُ بكل ثَغْر ... وعيشُ المسلمين إذا يَطيبُ
فقل لذوي البصائرِ حيث كانوا ... أجيبوا اللَّه ويحكمُ أجيبوا[٤]

❁ ❁ ❁

---

(١) لم تذكر المصادر التي أمكن الرجوع إليها اسم قائل الأبيات.
(٢) خلوق: ضرب من الطيب.
(٣) طَفَّل: أقبل: يقال: طَفَّل الليل إذا أقبل ظلامه (الصحاح مادة طفل).
(٤) انظر: «النجوم الزاهرة» (٥/ ١٥١ ـ ١٥٢)، «بيت المقدس في الحروب الصليبية» للدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي ـ دار البشير.

❁ ربـــى الأقصى ❁

رُوَيْـدَكَ...! قُـمْ وَقَـاسِـمْـنَـا الأنِـيـنَـا

هَـلُـمَّ وَدَعْ جَـهَـالَـــة جَـاهِـلِـيـــنَـــا

وَدَعْ عَـنْـك الـغـوَايَـــة وَاطَّـرحْـهَـــا

وَدَعْ فِـتـنًـا أثـرْنَ بـك الـفُـتُـونَـا

فَـمَـا خَـبَـــرُ الـكـواعِـبِ والغَـوَانِـــي

إذا مِـلْـنَ الـشِّـمـالَ أَوِ الـيَـمِـيـنَـــا

تَـقُـــــولُ لِـعَـاتِـبٍ: مَـهْـــلاً فَـإِنِّـي

أُصَـارِعُ تَـــارَةً وَأَلِـيـــنُ حِـيـنَـــا

وَكَـمْ مِـنْ نَـاهِـــــدٍ حَـوْلِـي تَـرَاهَـــا

تَـــوَدُّ لَـــوِ اسْـتَـطَـاعَـتْ أَنْ تُـعِـيـنَـــا

شِـبَـــاكٌ مـــا لـهـنَّ يَـــدٌ عَـلَـيْـهَـــا

سِـهَـامٌ لَـــمْ يـكُـــنَّ الْمُـطْـلِـقِـيـنَـــا

سَـرَحْـنَ مَـــعَ الحَـيَـاةِ شِـبَـاكَ صَـيْـدٍ

وَمِـلْـــنَ فَـكُـــنَّ سَـهْـمًـا رِيْـشَ فِـيْـنَـــا

رُوَيْـــدَكَ.. دَعْ هَـوَى دَعْـدٍ وَهِـنْـدٍ

وَهُـبَّ وأَنْـجِـــدِ الـطَّـلَـلَ الحَـزِيْـنَـا

وَدارًا بَـــارِكَ الرحْـمَـــــنُ فِـيـهَـــا

تَـمُـدُّ بَـفَـيْـضِ رَحْـمَـتِـه الـسِّـنِـيْـنَـا

رُبى الأَقْصَـــى فديتك مِنْ جراحٍ
حَمَلْتِ علَى الزَّمَـانِ بِهَا الشُّجُونَـا
مَرَابِـــعُ كُلَّـــمَا مَرَّتْ عَلَيهَـا
عُصُورٌ طَأطَأَتْ وَحَنَتْ جَبِيْنَا
وَأَلْقَـــتْ في رَوَابِيْهَـــا غِرَاسًا
ورَوَّتْ سَهْلَهَا وَسَقَتْ حُزُوْنَـــا
فَتَحْمِـــلُ مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ مِسْكًا
وَتَنْشُرُ مِنْ ظِلالَ الوَحْي دِيْنَـــا

❁ ❁ ❁

وَقَفْتِ عَلَى رُبُـــوعِ الشَّـــرْقِ بَابًا
يصُـــدُّ عنِ الرُّبُـــوعِ الْمُعْتَدِيْنَـا
حِمًى لِلْحَـــقِّ والإِيمَـــان تبني
بِبذْلِك دُونَـــهُ حِصْنًـــا حَصِيْنَا
تَظَلُّ يَـــدُ الشُّعُوب تدُقُّ فِيْـــه
لتفْتَـــحَ دُونَـــهُ فَتْقًا مُهِينَـــا
وَتَخْـــرِقَ مِنْ سِيـاج الحقِّ خَرْقًا
يُمـــزِّقُ شَمْلَهَا مَزْقًا وَهُـــوْنا
فَتَنْهَبَ مِنْهُ خيـــراتٍ حِسَانًا
وَوُدْيَانًـــا جَرَتْ رَغَـــدًا وَلِيْنَـا
وَأَفْيَاءً حَمَلْنَ بِهَـا ثِمَـــارًا
مُبَارَكَـــةً وَفِضْنَ بِهَـــا عُيُـــونا

وَتَـارِيـخـًـا يَـفُـضُّ بِـرَاحـتَـيْـــه

لآلِـئَ تَـنْـشُـــرُ الـوَهْـــجَ الْـمُـبِـيْـنَـا

وَأَمْـجَـــادَ الـنُّـبُـــوَّةِ زاهـيَـــاتٍ

يَـصِـلْـنَ عَـلَـى مَـرَابِـعِـهـا الـقُـــرُونَـا

❁ ❁ ❁

رُبَـــى الأَقْـصَـى طُـيُـوفُـكِ ذِكْـرَيَـــاتٌ

خَـشَـعْـتُ أَمَـامَـهَـــا دَمْـعًـــا هَـتُـونـًا

خَـشَـعْـتُ وَقَـلْـبِـيَ الـوَثَّـابُ فِـيْـهَـا

يُـدَمِّـــي فـي تَـلَـفُّـتِـــهِ الْـحَـنِـيْـنَـــا

مَـدَدْتُ يَـدِي عَـلَـى حُـلُـمـي لأَلْـقَـى

مُـحَـيَّـــاكِ الْـمُـنَـــوِّرَ والْجَـبِـيْـنَـــا

رَجَـعْـتُ وَمِـنْـكِ فـي كَـفـيَّ دَمْـعٌ

وَفِـــي أُذُنَـــيَّ أَسْـتَـــرِقُ الأَنِـيْـنَـــا

❁ ❁ ❁

وَأُصْـغِـــي عَـلَّ أَصْـدَاءَ الـلَّـيَـالِـي

تُـعِـيـــدُ خُـطَـــى سَـرَاةِ الأَوَّلِـيْـنَـــا

مُـضَـمَّـخَـةً عَـلَـى طِـيْـبٍ مُـنَـدَّى

يَـذُوبُ عَـلَـيْـــهِ نَـفْـــحُ الْمُرْسَـلِـيْـنَـــا

وأُصْغِي...! فالضجيْجُ عَلاَ وأَدْمَى

لَـهَـــاةَ الـضَّـائِـعِـيـــنَ الحائِـرِيْـنَـــا

ضَجِيجُ الجَاهِلِينَ إِذَا اسْتُذِلُّوا
وَأَهْوَاءُ العُتَاةِ الظَّالِمِيْنَا
طَغَى فَوْقَ الأَمَانِيْ واسْتَبَاحَتْ
حَنَاجِرُهُ المَحَارِمَ وَالعَرِيْنَا
عَلَى صَيْحَاتِهِ خَدَرٌ وَتِيْهٌ
تُبَحُّ بِهِ حُلُوقُ الهَاتِفِيْنَا
يَمُوتُ بِهَا صَدَى حُلُمِيْ وَيَبْقَى
عَلَى الأَشْلاَءِ هَمْسُ الصَّابِرِيْنَا
سَيَنْفَجِرُ الصَّدَى يَوْمًا وَيَطْوِي
عَلَى أَمْوَاجِهِ المُتَجَبِّرِيْنَا
وَيَنْحَسِرُ الضَّجِيْجُ عَلَى سِنَانٍ
رَجَعْنَ عَلَى تَلاَحُمِهَا الرَّنِيْنَا
تَرَى الفُرْسَانَ فِي المَيْدانِ خُرْسًا
سوى زَنْدٍ يَسُوقُ بِهَا المَنُونَا
وتَكْبِيْرٍ عَلَى الأَفْوَاهِ يُنْدِيْ
عَلَى فَرَحَاتِهَا النَّصْرَ المُبِيْنَا
هُنَالِكَ تَخْشَعُ الدُّنْيَا وَتُصْغِي
لآيَاتٍ بِسَاحَتِهَا تُلِيْنَا

❀ ❀ ❀

رُبَى الأَقْصَى، فَدَيْتُكِ، أَيُّ طَيْفٍ

أَلَمَّ وَلَمْ يَكُنْ طَيْفًا حَنُونَا

خُطَى مُوسَى عَلى ثَبجِ الصَّحَارَى

تَشُقُّ عَنِ الرِّمَالِ هَوًى دَفِينَا

هَوًى تَتَفَتَّحُ الأَكْمَامُ مِنْهُ

وَتَنْفَحُ مِنْ بَشَائِرِهِ اليَقِيْنَا

دُعَاءُ أَبِيْهِ إِبْرَاهِيْمَ بُشْرَى

يُرَجِّعُ مِنْ صَدَاهَا المُرسلُونَا

تَفُضُّ عَلى شُفُوفِ الغَيْبِ مَسْرى

لأَحْمَدَ يَأْخُذُ العَهْدَ الأَمِيْنَا

يَؤُمُّهُمُ بِسَاحِكِ ثُمَّ يَمْضِي

يَشُقُّ بُرَاقُهُ سَقْفًا مَتِيْنَا

دَنَا شَوْقًا فماجَ مَطَافُ نُوْرٍ

يَرِقُّ بِهِ خُشُوعُ الخَاشِعِينَا

وَفُتِّحَتِ الغُيُوبُ لِنَاظَرِيهِ

وآيَاتٌ جَرَتْ دُنْيَا وَدِيْنَا

❁ ❁ ❁

خُطَى مُوسَى عَلَى الصَّحْرَاءِ لَجَّتْ

وَحَرَّكتِ اللواعِجَ والحَنِيْنَا

هَوَى الإِسْلام لِلأَقْصَى نَدِيّ

فَطِيبِيْ وَانْعَمِي صَحْرَاءَ سِيْنَا

فَـهـبَّ بِـقَـوْمِـــهِ مُـوْسَـى وَنـــادَى
فَـأَجْـفَـــلَ دُونَـــهُ المِـتَـقَـاعِـسُـونـــا
وَقَـالُـــوا إِنَّ جَـبَّـاريـنَ فِـيْـهَـــا
وَإِنَّـــا حَـيْـثُ تَـنْـظُـــرُ قَـاعِـدُونَـــا
فَـأَنْـتَ وَرَبُّـكَ الجَـبَّـــارُ قُـوْمَـــا
إِلـيـهـم واقْـحَـمَـــا السَّاحَ الحَـصِـيْـنَـــا
فَـإِمَّـا يَـخْـرُجُـــوْنَ عَـلَـى سَـلاَمٍ
فَـنَـدْخُـــلُ عِـنْـــدَ ذَلِـكَ آمِـنِـيْـنَـــا
هُـنَـــالِـكَ مُـزِّقُـــوا مِـزَقًـــا وَتَـاهُـــوا
عَـلَـى عِـصْـيَـانِـهِـــمْ ذُلاً مُـهِـيْـنَـــا
أَبَـتْ سَـاحَـاتُـكِ الجُـبَـنَـــاءَ دَوْمًـــا
وَتَـأْبَـــى المُجْـرِمِـيْـــنَ الظَّـالِـمِـيْـنَـــا
سَـتَـلْـفُـظُـهُـمْ إِذَا فَـسَـقُـوْا وَهَـانُـــوا
وَتَـطْـحَـنُـهُـــمْ إِذَا كَـفَـــرُوا طَـحِـيْـنَـــا
نَـدَاكِ يَـظَـــلُّ لـلإِسْـــلاَمِ مَـغْـنًـــى
وَعِـطْـرُكِ ظِـلَّ نَـفْـحَ المُـؤْمِـنِـيْـنَـــا

❁ ❁ ❁

أَلَـسْـتِ عَـلَـى هُـــدَى الإِسْلاَمِ نَـايًـــا
يُـرَجِّـــعُ فِـيـــكِ آيَـــاتٍ وَدِيْـنَـــا
عَـلَـى مِـزْمَـــارِ دَاوُدَ الـلَّـيَـــالِـــيْ
يَـمُـــوجُ خُـشُـوعُـهَـا رَهَـبًـــا وَلِـيْـنَـا

وَتَجْرِيْ مِنْ «سُلَيْمَانَ» الغَوَالِي

بَيَانَ نُبُوَّةٍ قَطَعَ الظُّنُونَا

تَمُرُّ يَدُ «المسيح» عَلَى الرَّوَابِي

لِتَمْسَحَ مِنْكِ جَرْحَكِ وَالجُفُوْنَا

جَمَعْتِ بِسَيِّدِ الرُّسُلِ الأَمَانِي

وَبِالقُرْآنِ ذِكْرًا مُسْتَبِيْنَا

وَشَعَّتْ كُلُّ رَابِيَةٍ وَفَضَّت

عَلَى لأْلاَئِهَا الكَنْزَ الثَّمِيْنَا

أُولئِكَ لَيْسَ مِنْ نَسَبٍ إِلَيْهِمْ

وَلاَ رَحِمٍ يَشُدُّ المُدَّعِيْنَا

سِوَى الإِسْلاَمِ آصِرَةً وَقُرْبَى

يَوَثِّقُ مِنْ عُرَاهَا المُؤْمِنُونَا

فَوَا عَجَبًا لِمَنْ مُسِخُوا قُرُودًا

جَزَاءَ الْكَافِرِيْنَ المُعْتَدِيْنَا

وَمَنْ عَبَدُوا عَلَى الأَهْوَاءِ عِجْلاً

عَلَى دَنَسِ الضَّلاَلَةِ مُبْلِسِيْنَا

فَثَمَّ عَمُوا وَصَمُّوا وَاسْتَحَلّوا

دِمَاءَ الأَنْبِيَاءِ المُقْسِطِيْنَا

وَمَا تَرَكُوا عَلَى الأَيَّامِ شَرًّا

وَمَا حَفِظُوا لِعَهْدِهِمُ يَمِيْنَا

أَيَـزْعُـمُ هَـؤُلاءِ إِلَـيْـكِ قُـرْبَـى

رُبَى الأَقْصَى...! بَرِئْتِ وَطِبْتِ دِيْنَا

وَطِـبْـتِ رُبًـى وَسَـاحـاتٍ وَدَارًا

وَأَنْـسَـامًـا جَـرَيْـنَ هَـوًى وَلَـيْـنَـا

وَشُـطْـآنًـا نَـثَـرْنَ عَـلَـى يَـدَيْـهَـا

لآلِـئَـهَـا وَزَيَّـنَّ الجَـبِـيْـنَـا

ووُدْيَـانًـا جَـمَـعْـنَ لَـهَـا عُـقُـودًا

وَفَـتَّـقْـنَ الـشَّـذَا والـيَـاسَـمِـيْـنَـا

كَـأَنَّ عَـلَـى مَـبَـاسِـمِـهَـا دُعَـاءً

وَتُـغْـضِـي فِـي تَـبَـتُّـلِـهَـا الجُـفُـوْنَـا

إِلَـهِـي...أَيْـنَ أَبْـنَـائِـي وَقَـوْمِـيْ

وَمَـنْ رَفَـعُـوا عَـلَـى شُـرُف حُـصُـونَـا

مَـشَـاعِـلُـهَـا مِـنَ الإِيْـمَـانِ وَقْـدٌ

أَضَـاءُوا دُنَـهَـا الـدّرْبَ الأَمِـيْـنَـا

سَـأَنْـتَـظِـرُ الـلَّـيَـالِـي لاَ أُبَـالِـي

لأَلْـقَـى فِـيْـهِـمُ الـنَّـصْـرَ الْمُـبِـيْـنَـا

يَـظَـلُّ صَـدًى مِـنَ الإِسْـرَاءِ عَـهْـدًا

يُـحَـرِّكُ بَـيْـنَ أَضْـلُـعِـيَ الحَـنِـيْـنَـا[1]

---

(١) ملحمة فلسطين ـ للدكتور/ عدنان النحوي.

❁ رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين ❁

أنا المسجدُ الأقصى! وهذي المرابِعُ
بقايا! وذكرى! والأَسى والفواجعُ
لقد كنتُ بين المؤمنين وديعةً
على الدّهرِ ما هبّوا إليَّ وسارعوا
يضمّون أحناءً عليَّ وأعْيُنًا
وتحرُسني منهم سيوفٌ قواطعُ
زُحوفٌ مع الأيّام موصولةُ العُرا
فترتجُّ من عزْم الزُّحوف المرابعُ
إذا أعوزَ القومَ السلاح تواثبوُا
تجودُ قُلوبٌ بالوفا وأضالعُ
وعَهْدٌ مع اللَّه العلِيِّ يَشدُّه
يقينٌ بأنَّ المرء للَّه راجعُ
وأنّ جنانَ الخُلدِ بالحَقِّ تَجْتَلي
وبالدَّم تُجْلَى ساحةٌ ووقائِعُ
مواكبُ نورٍ يملأ الدهرَ زحْفُها
فيُشرقُ منها غَيْهَبٌ ومطالِعُ
وتنشُرُ في الدنيا رسالةَ ربِّها
فَتُصغيْ لها في الخافِقَين المسامعُ

وتـنـشُـرُ أنـداءً وتَـسْـكُـبُ وابـلاً

فـتـخـضَـرُّ ساحـاتٌ ذَوَتْ وبَـلاقـعُ

فـمـا بـالُ قـومـي اليـوم غـابُـوا وغُـيِّـبـوا

ومـا عادَ فـي الآفـاقِ مـنـهـم طلائـعُ

ومـا بـال قـومـي بـدَّلـوا سـاحَـة الـوغـى

فـغـابَـتْ مـيـادينٌ لـهـم ومـصـانِـعُ

ومـا بَـالُـهُـمْ تَـاهـوا عـن الـدرب وَيـحَـهـمْ

فـجـالـتْ بـهـم أهـواؤهـم والمـطـامـعُ

فـغـاب نـداءٌ مـا أجَـلَّ عـطـاءَه

تـردِّده فـي كـل أفـقٍ مـجـامِـعُ

وكـانـتْ ميـاديـنُ الـشـهـادة ساحَـهـم

فـصـار لَـهُـمْ مِـلءُ الـدِّيـار مَـرَاتـعُ

وفـي كـلِّ يـومٍ مَـهْـرَجَـانٌ يَـضُـمُّـنـي

وتـنـدبُـنـي بـين الـقـصـيـد المـدامـعُ

وكـانـتْ دمـاءُ المـؤمـنـين غـنـيّـةً

تُـصـبّ وأرواح الـشـهـود تـدامِـعُ

فأصَبحْتُ، يا ويحي، أَحاديثَ مجلس

وأدمـعَ بـكّـاءٍ حـوتْـه المـضـاجـعُ

وكـان يُـدوّي فـي المـيـادين جـولـةٌ

فـصـار يـدوي بـالـشـعـارات ذائـعُ

فما أنا «جُدْرانٌ» تدور «وساحَةٌ»

ولكنني أُفْقٌ غَنيٌّ وواسِعُ

يَمُدُّ ليَ الآفاقَ وحيُ رسالةٍ

وحَبْلٌ متينٌ للمنازِلِ جامِعُ

رياضٌ يرفُّ الطيب منها وتغتني

من الطيب سَاحَاتٌ بها ومَرَابعُ

فِمنْ مُهْجةِ الإسْلامِ مَكّةَ خفقتي

ومِنْ طيبَةٍ وحيٌ إلى الحقِّ دافِعُ

ومن كلِّ دارٍ مِنبَرٌ ومآذنٌ

بيوتٌ تدَوِّي بالنّداء جَوامِعُ

قُلوبٌ لها خفقُ الحياةِ وأضْلُعٌ

تجيش وآمالٌ غَلَتْ وودائعُ

تظلُّ عُروقي بالحياةِ غنِيَّةً

إذا انتزَعْتني مِنْ ضُلوعي المَطَامِعُ

ونادَى مُنادٍ حَسْبُنَا كِسرةٌ هُنا

ونَادَى سِواهُ نَرْتَجِي ونصانِعُ

وطافتْ على الدنيا الهزائم كُلها

شعارٌ يُدَوِّي أو ذليل وضارعُ

تَشُدّ عليَّ اليومَ قَبْضَةُ مُجْرِمٍ

ويجْتَالُني مَكْرٌ له وأصابعُ

وفي كلَ يومٍ، وَيْحَ نَفْسي، مَسَارحٌ

تُدَارُ وأهْواءٌ عليها تَنازَعُ

تُدَارُ خُيوطُ المكر خَلْفَ سِتارِها

وتُعْلَنُ آمالٌ عليها لوامِعُ

ويَطْوِي عَلى هُوْنٍ أسايَ وذِلّتي

شِعَارٌ يُدَوّى أو أمانٍ روائِعُ

تُمزَّقُ أَوصَالي وتُنْزَعُ مُهْجتي

ويطلب نصرٌ والديار خواضِعُ

يقولون «تحريرًا» ويُجْرون صَفْقَةً

عليها شهودٌ ضامنون وبائعُ

يقولون «تقرير المصير» وإنّه

لَتَدْمِيرُ آمالٍ: فمعْطٍ ومانعُ

يفاوضُ فيه الشاةَ ذئبٌ وثعلبٌ

وقد مَهَّدَتْ عَبْر السنينَ الوقائعُ

يقولون: أهلُ الدار أدرى بِحَالها

وأين همُ؟! إني إلى اللَّه ضارعُ

وأهلي! وما أهلي سوى أُمَّةٍ لها

من اللَّه عزمٌ في الميادين جامعُ

وصفٌّ يشدُّ المؤمنين جميعَهمْ

كأنَّهُمُ البُنْيانُ: عالٍ ومانِعُ

إذا لـم تـقـمْ فـي الأرض أمَّـة أَحـمـدٍ

فكل الذي يُرْجَى عَلى الساح ضائـعُ

حـنـانيكَ يا أَقْصَى! حـنـانَيك كُلَّمـا

خَـطَـرْتَ وشدَّتـني إِلـيـك الـنـوازعُ

فـيـافٍ تـرامـت بَـيْـنَـنَـا ومَـسَـالِـكٌ

تُـسـدُ وأشـواقٌ إِلـيـك تـصـارعُ

تَـمُـرُّ مـع الـذّكرى لـتـوقـظ أُمّـةً

وحـولك غـافٍ لـو عـلـمتَ وقابـعُ

أُطـأطـئ رأسـي مـا خـطـرت وأنـثـني

وطـرفـيَ مـن هُـونِ المـذلـة خـاشِـعُ

وأُصغـي! ونجْـوى البرتـقـال تـهـزُّني

ووشـوشـة الـزيـتـون مـنـكَ قـوارعُ

يـعـيـدُ لـنـا الـعُـتـبى حـنـينٌ مـرجّـعٌ

يـردّده فـيـك الحـمـامُ الـسـواجِـعُ

فـيـا أيـهـا الأقـصى أنـيـنك مـوجـعٌ

تـهـيـج بـه بـين الـضـلـوع الـفـواجـعُ

حـنـيـنـك أصـداء الـعـصـور ولـهـفـةٌ

فصبرًا ومـا يـدريـك ما اللّه صانـع

رجعتُ! فـنـاداني! وعـدتُ لـكي أرى

عـلـى جـانـبـيـه دمـعـةً تـتـدافـعُ

وقال: إبائي يحجز الدمع كلّه

ولكنّ حزني اليوم طاغٍ ودافعُ

جَرَتْ دَمْعةٌ في الأرض مِنهُ فَأَوْقَدتْ

عزائم أجيالٍ وزحفًا يتُابعُ

تَخُوضُ مَيادينَ الجِهادِ وتَعْتَلي

ذُرَاها تُدَوِّي بالجِهادِ المجامعُ

فَلَسْطِين حقُّ المسْلمين جَميعهم

وهذا كتابُ اللَّه بالحقِّ سَاطِعُ[1]

❁ ❁ ❁

❁ الأَذَان الذّبيح ❁

(إلى أذان المسجد الأقصى وهو يهدر من وراء السكون والأغلال)

تلَفَّتْ.. فما زال خَطْوُ النَّبيِّ

يرشُّ لك النور بالراحَتَيْن..

ويسقيك إسراؤُهُ في الظلام

رحيقَ القداسة من خُطْوتَيْن..

ألَمَّتْ شعاعاتُه بالتُّراب

(١) للدكتور عدنان النحوي ـ مجلة الأدب الإسلامي عدد ١٩.

وخطَّت به أُولَةَ القبلتينْ..
وأوَّل إصْغاء هذا الوجود
لرب السَّماواتِ في سَجْدتيْنْ..
وأوْمتْ إلى الأرض فانساب فَجْرٌ
جديدُ الضياء إلى كل عَيْنْ..
وطارتْ بمعراجها فوق بَحْرٍ
وضِيٍّ العباب بلا شاطئينْ..
على طائرٍ من هَيُولَى غُيوبٍ
شذا الخُلْد يحدوهُ من جنَّتينْ..
وحشْد الملائك من وحوله
يَزفُّ التسابيحَ في موكبينْ..
وركْبُ النَّبيِّين.. عطرٌ، ونورٌ
وَرَيَّا صلاةٍ على الجانبينْ..
ويرقَى.. فيفْترُّ عرضُ الإلهِ
وللِّذاتِ يُهْرَعُ في ومضتَينْ..
إلى قاب قوسين.. أوْ منه أدْنى
ومِن بَيْنِه، لا وجودٌ لبينْ!!
عناقُ المدَى، وانعتاقُ الصدَى
وفجرٌ يضوِّئ للكوْكبين..
وما زال يحدو السنا في ثراك

ويُجْريه للرُّوح، والمقلَتَيْنْ..
ويُصغي لِجَرَس الأذانِ الذَّبيحِ
يبُثُّ العِتابَ إلى المشرقينْ..
ويهدرُ منْ حشرجاتِ السكونِ
ينادي!! وأين الصدى راح؟ أيْنْ!!
هنا اللَّه!!.. كيف استباحوا حِماهُ؟
وجارُوا علَى حرَم القِبلتينْ..
وكيف؟ وقد حاربوه جِهارًا
وعاقبهُمْ بأسهُ مرَّتينْ
يُعودُونَ!! كلُّ الخطايا خُطاهُمْ
وكلهُ الخنا مُترعٌ في اليدينْ!!
ومهما استَبدُّوا.. سيأتي الصَّباحُ
وتنْقَضُّ ثالثة الكرَّتينْ..
ويَغْاشهُمُ الثأر من كلِّ شبرْ
على الروح يزحفُ والسَّاعدينْ..
ومِنْ كل صَدْرٍ له نَبْضَةٌ
منَ العُمْر، تخفق بالشاطئينْ..
ومِنْ غضبة الثائرين الأبــاة
بأرض البحيراتِ، والرَّافِدَيْنْ..
ومِن لهب الرمــل في كلِّ وادٍ

صَفَاه يكبِّرُ للمَرْوَتَيْنْ . .
ومهما عتَا رجْسُهُمْ في ثـــراك
وأدناسُهُمْ داسَت الصخرتيـــن . .
ستجتاحُهُمْ كَرَّةٌ للسَّمـــاء
بها النصـــرُ دَوَّى بتكبيرَتَيْنْ . .
على حومَةٍ من جَبين العـــروبَةِ
تُعْلي أذانَكَ للفَرْقَـــدَيْـــنْ!!

❁ ❁ ❁

❁ المســـجدُ الصابـــر[1] ❁

[وداست بغايا التائهين في مصلى الأنبياء، وسرقى عروج محمد إلى السماء، وعاثوا بفجورهم في ترابه المقدس، وتهتكت عراياهم على أعتابه، وهو صابر كظيم ... في ذكرى ليلة الإسراء ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م]

لستَ في عالم القَداسات مَسْجدْ
إنما أنت هالَةٌ. من مُحمَّدْ!!
فيكَ راح النبيُّ للَّه يَسجُدْ
قبلَ أن يُرفَعَ البنـــاءُ الممرَّدْ. .

(١) لمحمود حسن إسماعيل.

والنبيُّون خلفَه في تهجُّـــدْ
زُمَرًا.. صاحَبْته من غير موْعِدْ..
.. فتلفَّتْ؛ تجِدْ إبـــاءَ الليـالي
كاظِمَ الغيْظ، هاتفًا في الرمـالِ:
رغمَ هذا الدجَى سيعلُو أذانُكْ
ويُدوِّي بكلِّ سمْعٍ لسانُكْ..
والبُغَـــاةُ المسلَّطون الحيَـــارى
مثلمَـــا جرَّعُوكَ.. يُسْقَوْنَ نارًا
مِنْ دَمي.. مِنْ دماء كلِّ موحِّدْ،
عاهدَ اللَّه في خُفُـــوتِ التَّشهُّدْ،
ومَضَى في قِيـــامة الثأر يُنْشِـدْ..
.. كبِّروا للجهـاد، واللَّهُ أكبرْ!!
سيُعين الحمَى، ويرعَى، وينصرُ..
فاكْبِتِ الدمعَ في ماقيكَ، واصبرْ
.. في غدٍ.. والسماء حولكَ تزأرْ..
سترى اللَّهَ.. حاديًا في كفاحك
وترى الحق.. داعيًا في صباحِك..
وترى في الأثيرِ.. من كلِّ مشهَدْ
آيةَ النصر، رفرفَتْ من «محمَّدْ»!!
لستَ في عالم القداسات مسجِدْ

إنما أنتَ . . هالةٌ من محمد!!
إن يكُنْ قد طغَى الظلامُ وعربَدْ،
وأفاعيــه ناهشَتْ كلَّ معبَدْ، ،
ومضتْ بالسُّموم تُرغي وتُزبِدْ . .
إنْ يكُن ليلُها . . تمادَى بشمْسكْ
وفَحيحُ الفسَاد أودَى بهمْسكْ
وخُطا المجرِمينَ عاثَتْ بقُدْسكْ
وأهالَتْ برجسها طُهْر أمْسكْ،
لا تُرَعْ . . إنْ رأيتَ خطْوَ الخطيئهْ
ورُئي الإثم في ذُرَاك المضيئهْ . .
. . إنها صَيْحَةُ السماء لأهْلكْ
ورياحُ النُّشور هبَّتْ . . لأجْلكْ
وأعاصيرُ تُرْعشُ الهامِدينــا . .
ومَقاديرُ تُشْعل الخَامِدينــا . .
وتهــزُّ الغفــاة، والغافلينــا
وتؤز الحَرَاك في الجامدينــا
وتُمُدُّ الطريق للواقفينــا
وتَضمُّ الصفوفَ للزَّاحفينــا . .
ليَرُدُّوا لِمنْبَر اللَّه صَوْتَهْ
ويُبيدوا من صَخْــرةِ الحق صَمْتَــهْ . .

ويعيدوا صَدَى الأذانِ المصفَّـــدْ،
في قبابٍ منِ الأسى تَتَنَهَّـــدْ
وتُنادي من كل أُفْقٍ.. وتَجْأرْ..
.. كبِّروا للجهاد.. واللَّه أكبر..
سيُعينُ الهُدَى، ويَحْمي، ويَنْصرْ..
فاكبِتِ الحزْنَ في ليَاليكَ.. واصبِرْ
في غدٍ.. والسماء فوقكَ تَهْدِر..
سترىَ اللَّه.. حاديًا في كفاحِكْ
وترَى الحقَّ.. شادِيًا في صَبَاحِكْ
وترَى في الأثير.. من كلِّ مشهَدْ
آيةَ النصر جَلْجَلَتْ من «مُحَمَّدْ»!!

❁ ❁ ❁

لستَ في عالم القَداسَاتِ مسجِدْ
إنما أنتَ.. هالةٌ من «محمدْ»!!
.. من ثَراكَ الطهور خفَّ بُرَاقُهْ
يَهْتِكُ الحُجْبَ للسماء اشتياقُهْ
فوقَ طيْرٍ أذابَ كُنْهَ الوجُودِ
سِرُّه.. في الخيالِ والتجْسِيدِ..
كيف يَرقى!؟.. وكيفَ يهفُو جناحُهْ؟
كيف شَقَّ الدُّجَى. وعلَّى صبَاحهْ؟

رَبِّ سبحانَكَ . . اجتلَى الغيبَ أمرُكْ
ودنَــا نــورُكَ المصَّفى وسرُّكْ
يَا لَقْدسِ اللقـــاء؟ . . كلُّ ضياءٍ
شَعَّ في الكون دُونَــه في الصَّفَاء . .
قبسَ النــور للحياة . . وشقَّا
لِعناق الصلاة باللَّه . . أفْقا
فيه آياتُ ربِّه قد راها
لِسلام الأكْوانِ تُجْرَى سَناها . .

❁ ❁ ❁

ثم عادَ الضياءُ . . للأرض يسري
بصَلاةِ الوجُود . . في كلِّ شِبْرِ!
. . فإذا اشْتاقَ للمصلِّين بابُكْ
ولنـــور الإسراء حَنَّتْ رِحابُكْ
ولذكرِ المِعْراج أنَّت قِبــابُكْ،
. . فتلفَّتْ . . فما يزالُ ضياؤُهُ
هاتِفًا في السماء يعلُو نداؤُهْ:
. . كبِّروا للجِهاد . . واللَّه أكبرْ!
سيُذِيب الدُّجَى . . ويَحْمي . . ويَقْهَرْ . .
فاكظِم النَّار . . وارقُب الثارَ . . واصبِرْ . .

في غدٍ!! والسماء بالهول تَجْأرْ..
.. سترى الفجـر. حاديًا في كِفاحِكْ
وتَـرى النـورَ ضافيا في صبَاحِكْ
وترَى في الفَضَاء من كل مَشْهَدْ
آيةَ النَّصرِ.. أقبلَتْ من «مُحَمدْ»!!

❁ ❁ ❁

❁ وجِئْـتُ أُصَـلّي[1] ❁

مع المسجد الأقصى بعد حريقه الآثم
٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩

وجِئْتُ أُصَلِّي
.. ورَغْمَ انْدِلاع الدُّجَى، كالبَراكين حَوْلي،
ورغمَ الأعاصير تَرْمي خُطاها بسَفْحي وجُرْحي،
... وساحاتِ هَوْلي،
أتيْتُ أصلِّي!
.. ورغَمَ احْتراقِ الدُّروب!
ونَهْشِ الخُطوب، لِحَبَّاتِ قَلْبي ورَملي!
أتيْتُ أصلِّي!

---

(١) لمحمود حسن إسماعيل.

. . ورَغْمَ انْدِفاعِ الذِّئابِ، على كلِّ بابٍ،
بِه حسرَةٌ من شرايين أهْلي!
. . ورَغْم الشياطينِ تَعْوِي بغَيْظي وشَجْوي
وبالنَّارِ تَشْوي وتَكْوي مزاميرَ خَطْوي
. . ورغْم الرَّزَايا. . وتَجْوالِها في خَمِيلي وأيكِي
وعُشْبِي، وسَهْلي!
ولَيْلُ المَنَايا على راحَتَيْها
يُزَمزم كالجنِّ خلْفَ جِنازات ثُكْلي؛
دَهَسْتُ السُّدودَ
ودُسْتُ القُيُــودَ
وجُزْتُ المُدُودَ. . وجِئْتُ أصلِّي!! . .
وجئْتُ أصلِّي،
وفجَّرْتُ ذاتِي لَهِيبًا جديدًا،
يُمزِّقُ أغْلالَ رِقِّي، وذُلِّي. .
وما كنتُ عبْدًا
ولا ذقتُ قَيْدًا
ولكنَّ صوتًا خفيًّا، من اللَّهِ يُمْلِي!!
إذا حِدْتُ عنه، تردَّى صباحي بليلي!
. . فلمَّا تباعدْتُ عنه،
دَهاني بأشْلاء حبْلي!

وأغْرَى بِيَ النَّـــارَ،
حتَّى رماها بوَجْهي . . وقدْ جئْتُ يومًا أصلِّي!!
لأحْيا . . جديدَ الحياةِ، جديدَ الصَّلاةِ، جديدَ التَّجَلِّي
أراهُ بقَلْبي، أراهُ بِدَرْبي
أراهُ بكلِّ المداراتِ حَوْلي . .
. . ورَغْمَ الظَّلام الذي ذُقْتُه من شُرُودي ومَيْلِي،
نَفَضْتُ الدُّجَى عن وجودي ومزَّقْتُ وَيْلِي!
وكَبَّرْت للَّه . . قَلْبي يكَبِّرُ
قبلَ اخْتِلاجاتِ قَوْلي؛
وجئتُ لَهُ فوقَ ناري . . ومنْ كلِّ نارِي . .
أصلِّي!!
وجئْتُ إلى أُولَةِ القِبْلَتَيْن
وبِنْتِ السماء التي ضمَّتِ النُّورَ بالسَّاعدَيْنْ
وبَيْتِ الضياء الَّذي رشَّه اللَّهُ بالرَّاحتَيْنْ
ضياء، وعِطْرًا
وقُدْسًا، وطُهْرًا
ووَحْيًا يُسَبِّحُ في آيَتين
. . وجئتُ،
وجاء بجنبيَّ صوْتُ الأذانْ
مع الصمْت يصرخُ: أيْنَ الأذانْ؟

وجاءتْ بكفِّي تكْبيرَتانْ
هُمَا رحمَةُ اللَّه في كلِّ آن..
وجاءتْ معي ركْعتَان، وجاءتْ معي سَجْدتان
وإيماءتانِ إلى اللَّه مَشْدُودَتانْ
بجفْنَين للنُّورِ فَوْقَ المعارجِ تَسْتَطْلعانْ..
.. وجاءتْ مَعي لَيْلَةٌ
عانقتْ بها سُدَّةَ العرْشِ تَسْبيحَتانْ
بها اللَّه سَلَّمَ...
.. لا كَف تَبْدو، ولا طيْفَ شيء يُسمَّى بنانْ!
وجبريلُ حادٍ لمسروجة
تَقاصَرَ عنها خيالُ الزَّمانْ!
ونُورٌ يُنادي..
ونُورٌ يلَبِّي..
ونُورٌ يعانقُهُ المشرِقانْ!
ومنْ قابَ قَوْسَينِ
راحَتْ تُضيء، جَبينَ السَّما هالَتان!
وكادَ الذي لا تَراهُ العُيــونُ،
يَــراه «محمَّدُ» رُؤيَا عَيَــانْ!!
.. وجاءتْ معي من يَدِ الأنبياء
مَصابيحُ مبهورةٌ في الضِّياءْ

. . وجاءتْ حُروفُ الهدَى، تَستَجيرُ
وتلْعَنُ منْ مَسَّ قُدْسَ البِناءْ!
. . وجاءتْ خُطا «عُمَـرٍ»
والوجودُ على سَيْفِها مُسْتَطيرُ المضاءْ
. . وجاءتْ تُزَمجِرُ دنْيا «صَلاَحٍ»
وتَعْصِفُ مشدوهَةً في إبــاءْ
. . وجاءتْ لجالُوتَ عينٌ تطِلُّ
وتَزْوَرُّ من هوْل هذا اللِّقاء. . .
. . . أتيْنا جميعًا نصلِّي. . .
وما كاد يُفْتَحُ للنُّور بابْ،
ويُومِض للخَطْو حُزْنُ التُّرابْ. .
وقَفْنا. . وكادَتْ خُطانا تُشَلُّ بأعتابِهِ!
وكادَتْ رؤانــا تُغَلُّ على بابِهِ!
وكِدْنا نُحِسُّ. .
بأنَّا بأرض ضللْنا إليها طريقَ الصَّلاهْ
وأنَّا اتَّجَهنا إلى ساحة
لهَا نَسَبٌ بفجورِ العُصاهْ
وحاشَا. . وحاشاَ. . لبيْتِ الإلهْ!
. . . وَجدْنا الصلاةَ. . بغايا من الشَّرِّ ترقص فوْقَ الحريقْ
وَجدْنا الأذانْ. .

شياطينَ لغْوٍ . . تَهاتَرُ بالإثْمِ عبْر الطَّريقْ
وجَدْنا المصلَّى . .
ميَادينَ لهْوٍ، تَخاصَرَ فيها الْخنَا والفُسوقْ
وَجدْنا الحَمامَ الذي كانَ يُصْغِي
لصَوْتِ الْحَواميم يخْضَرُّ منه السكون العريقْ
. . ويهدِلُ بالطُّهْر نَشْوانَ
يشْرَبُ من كلِّ حرْفٍ، خُشوعَ الرَّحيقْ؛
ذبيحَ الأمـــانِ
جَريحَ المكانِ
يُولْوِلُ في صَمْتِه لا يُفيقْ!!
. . وجدْنا التُّرابَ الذَّي فيه صلَّى . . «محمَّدْ»
حريقًا . . به لعنَةُ اللَّه تُرْغي، وتُزْبِدْ!!
. . وجدْنا المنابرَ . .
تَحكِي مَجازِرَ للطُّهْر مَخْنُوقةً في العُروقْ
. . وَجدْنا على صَخرة الحَقِّ
. . ليْلاً . . يُنَادي الشُّروقْ
وناراً . . تَشُدُّ يدَ النُّـــورِ
مِنْ قاعِ لَيْلٍ عَميقْ
وَصَوتًا من اللَّه . .
يَزْأرُ في كلِّ رُكْنٍ عَتيقْ:

ولَوْ هُدمَتْ كلُّ تلك القِبابْ!
وباتَتْ مآذنُها
أذْرُعًا لطُغاة الخرابْ!
سَنَمْضي لِمحْرابها القُدْسِ جَمْعًا نُصلِّي
ولوْ غالَنا الموْتُ.. لمْ يُبْقِ أنْفاسَ شيْخٍ وطفْلِ!
من الدَّمِّ، والعظمِ نُعْلي ذُراها
مِنَ الرُّوح نُرْجع للأفقِ أعتى نِداها..
بيَوْمٍ.. سيَزْحفُ بالقادسيَّهْ
وبالغضَب الحُرِّ في كلِّ نفْسٍ أبيهْ
وبالثَّأرِ.. وهْوَ الصلاة الزَّكيَّهْ
وصوْتُ الإله إلى كلِّ روح تقيَّهْ
بها يُعْجِلُ النَّصرَ.. جمْعُ الصُّفوفْ
وإصْرارُها.. في صُمُود الْوقُوفْ
فَهَيا.. إلى الثَّأر.. من كلِّ سَفْحٍ وسَهْلٍ
وهيَّا.. وهيَّا..
إلى المسجِدِ القُدْسِ.... جَمْعًا نصلِّي!!

❁ تكبيـــرة الزحـــف ❁

«مع أرض المعراج في ذكرى أول ليلة دنست ترابها أقدام صهيون»[١]

وفي ليـلةٍ فجرهـا في السـفوحِ،
ظـلامٌ يـغـنِّـي، وضـوءٌ يـنـــوحْ
وفَـــحُّ المـنـايـــا عـلـى دربـهـــا
سـكـونٌ شـقـيٌّ وأَشـــلاءُ ريـــحْ
وأشـبـاح رقـص، أثـيـم الـظـــلال
تـوهـــج فـي كـل أُفـــقٍ جريـــحْ
تـمـلـمَـلَ فـيـهـــا زوالُ الـقـبـــور
وكـاد البِـلَـى عـن شـجـاهُ يَـبُـــوحْ

❁ ❁ ❁

سـمـعـتُ بـهـا غـضـب الأنـبـيـاءِ
مـزامـيـرَ ويْـلٍ عـتـي صـــــداهْ
وأَبـصـرت أَلـواحـهـم فـي الـفـضـــاءِ
مـحـاريـب تـصـرخُ فـيـهـا الـصـــلاهْ
وتـسـبـيـحـةَ مـن ضـفـاف الـسـمـاءِ
يـصـبُّ عـلـى الأرض سـخـطَ الإلـــهْ

(١) لمحمود حسن إسماعيل من ديوان «قاب قوسين».

ويـرمـي عـلـيـهـا دخـانَ الـشـقـاءِ
أَعـاصـيـرَ حـقْـد تـؤزُّ الحـيـاهْ

❁ ❁ ❁

تـلاطَـمَ فـيـهـا عـويـلُ الـغـيـوب
وضـجَّـتْ بـهـا شـهـقَـاتُ الـقـدرْ
ولاحـت مـآذنُـهـا فـي الـظـلامِ
وقـد أَذهـلَـتـهـا عـوادي الـغِـيَـرْ
سـواعـدَ مـشـلـولـةً فـي الـفـضـاءِ
تجـمَّـدَ فـيـهـا دعـاءُ الـبَـشَـرْ
تمـد إِلـى الـلَّـه راحـاتِـهـا
وَتـزأَرُ فـي صَـمْـتـهـا المـسـتَـمِـرّ!

❁ ❁ ❁

هـنـالـك والـنـبـعُ سـاهٍ، حَـزيـنْ
كـحُـلْـمٍ تـخَـطَّـاهُ صـحـوُ الجُـفُـونْ
رأَيـت الخـطـايـا عـرايَـا تـسـيـرُ
وتـنـسَـلُّ مـن أَعـينِ الـتَّـائـهـينْ
وتـزْحـفُ حـيَّـاتُـهـا فـي الـدُّروبِ
لـتَـنْـهَـشَ بـالـتِّـيـهِ ظـلَّ الـسُّـكـونْ
وتـبْـذُرُ فـيـهِ عُـواءَ الـريـاحِ
وتـسـقـي أعـاصـيـرهـا بـالجـنـون!

بـقـايـا مـن الـذُّل فـي كـل أَرضٍ
يُـحَـرِّكُـهـا الـتِّـيـه أَنَّـى يـشـاءْ
وَيَـدْفَـعـهـا الـبَـغْـيُ فـي راحَـتَـيْـه
ظـلامًـا مَـهـيـنَ الخُـطـا فـي الـفَـضَـاءْ
تـنـصِّـلَ مـنـهـا تـرابُ الـوجـــود
ولـم يـبْـقَ فـيـهـا لخـطـوٍ رجـــاءْ
فـكـيـف استبدَّتْ بـغـايـا الحُظـوظ؟
فـألـقَـتْ بـهـا فـوق أَرضِ الـسـمـاءْ!

❁ ❁ ❁

تـلاقـت شـراذمُـهـا عـنـد سـفـحٍ
تـزمـجـر لـعـنـتُـهـا فـي حَـصَـاهْ
وتجـأَرُ فـيـــــهِ دَوالـي الـكُـرُومِ
وتـعـصِـرُ نـيـرانـهـا لـلـسُّـقـاهْ
ويُـصـغـي لـهـا جـبَـلٌ، كـم صـغَـتْ
لَمـسْـرَى الـنـبـوَّات يـومًـا ذُراهْ
تـنَـفَّـسَ مـن دنَـس الـواغـلـينَ
لـهـيـبًـا إلـى الـنـار يـعـوِي لـظـاهْ

❁ ❁ ❁

تـلـقَّـتَ مـن غَـمـراتِ الـظـلام
ومـن عـارِه فـي جـبـينِ الـوجُـــودْ

فـأبـصـرتُ فـجـرًا عـنـيـدَ الـضـيـاءِ
تـزمـجـرُ أَضـواؤُه بـالـرعـــــودْ
وتـزحـفُ رايـاتُـه بـالـدِّمـــــاءِ
لـتـجـرُف بـالـهـوْل كـل الحـــدودْ
وتـغـسـل بـالـنـور، مـا لـوَّثَـتْـهُ
خـطـا الـتـائـهـين بـأرض الجُـدود..
غـدًا يـزأَر الـلـيـلُ مـن حَـوْلـهـمْ
ويـرتـدُّ فـيـهـم ضـلالُ الـسِّـنـينْ
ويـكـتـسِـحُ الـفـجـرُ أَيـامَـهُـمْ
بـيـومٍ يـكـبِّـر لـلـعـائـديـنْ
وتـخـفِـقُ بـالـنَّـصْـر هـالاتُـهُ
عـلـى كـلِّ دربٍ سَـقـاه الأَنـينْ
فـلـسـطـينُ! حـانَ شُـروقُ الـصَّـبـاح
ودوَّى أَذانُـكِ لـلـزَّاحِـفـيـنْ!!

❁ ❁ ❁

❁ في موقف العشق للقدس ❁

سافرتُ فيكِ ولمْ يزلْ يَحْلو السفَرْ
سافرتُ فِيكِ ولم يزلْ سَفَري على دَرْبي
يُقاومُ في عِنادٍ كُلَّ أَعْداءِ السَّفَرْ

نَصَبوا الحَواجزَ في طَريقِ العِشْقِ
واسْتَدعوا الخَفَرْ
حَفَروا بِدربِ الحُب ألآفَ الحُفَرْ
وَتَصيَّدوا بِحرابِهمْ وكِلابِهمْ
فُرْسانَ عشقٍ ما تراجعَ أو تَردَّدَ أو كَفَرْ
يا عشْقَ قَلْبِي مُنْذُ ما قَبْلَ الذي
يا حُبَّ رُوحي مُنْذُ ما بعدَ الذي
لا قَبلَ قَبْلَكَ حَيْثُما
لا بَعْدَ بَعْدَكَ أَينَما
أنتِ العَشيقةُ والقَصيدَةُ والأغاني والوَترْ
سافرتُ فيكِ ولَم يزلْ يَحْلو السَّفَرْ
سافرتُ فيكِ وأنْتِ مِشْكاتي وَرُمْحي
والليلُ يَخْنقُ شُعْلَتي
وتُحاصِرُ الأنواءُ فَرْحي
وَقُرَيْشُ تَرْفُضُني وَتَطْرُدني
وتَسْجِنُ فَجْرِي الآتي وَصُبْحي
فَصفَعْتُ وَجْه اللاَّت والعُزى
لِيُبْرِق في صَحاري التيهِ جُرْحِي
عَرَّيْتُ صَدْري للخَنَاجِرِ والأظافِرِ

والنُّيوبِ المشْرَعاتِ لِقَتْل آمالي وَذَبْحي
وَرَكِبْتُ ظَهْرَ اللَّيلِ
لا أَخْشاهُ
لا أَرْجوهُ
بل يَطْويه إصراري وكدحي
والعشقُ يَحْملني وَيُسْلِمني لِقَرْح بَعْدَ قَرْح
وأنا بِهذا العِشْقِ مأخُوذٌ وَمشْدُودٌ
ففرْحَكِ في لَيالي العِشْقِ صَدْحي
يا بَلْسَمَ الجُرْحِ المُرصَّعِ بِالضياءِ وبالسَّناء وِبالجَمَرْ
سَافَرْتُ فِيكِ ولَمْ يَزَلْ يَحلو السَّفَرْ
سافَرْتُ فِيكِ وَلَمْ يَزَلْ عِشْقي بِسَاحِكِ يَسْتَعِرْ
العِشْقُ مِجْدافي وَكَشَّافي
وَسَيَّافي
وَجَلادي الأَشِرْ
العِشْقُ أَشْرِعَتي وَصَوْمَعَتي
وَنَاقُوسُ الخَطَرْ
دُقِّي بِصَدْرِي يا نَوَاقِيسَ الخَطَرْ
لَنْ تُوقِظي ظَهْرِي
فَظَهْرِي قَدْ تَسَمَّرَ لِلجِدَارِ وِللقَرَارِ وَلِلحَجَرْ
ظَهْرِي تَخَلَّى باعَني

هذي ضُلُوعي
تَطْعَنُ الرُّمْحَ المُسَدَّدَ والشَّظَايَا وَالمَطَرْ
وَتَذُودُ عَنْك الرِيحَ والإعْصارَ
في لَيلٍ تَدَثَّرَ بالشِّقاقِ وبالنِّفاقِ وبالخورْ
هذِي ضُلوعي تَلْطِمُ الموْجَ المُعَرْبِدَ
في بِحارِ الجُبْنِ والتَّدليسِ في اللَّيلِ العسِرْ
هذِي ضُلُوعي أَصْبَحَتْ جِسْرًا لِجَيْشِ العِشْقِ
حَتى يَنْتَصِرْ
سَافرتُ فِيك ولَمْ يَزَلْ يَحْلو السَّفَرْ
سَافَرْتُ فِيك مُحَجَّبًا مِنْ قَبْل آلاف القرونْ
سافرتُ فِيك مُدَجَّجًا مِنْ بَعْد آلاف القرونْ
قَد كُنْتُ في الأُولى بَحَشْدٍ مِنْ ذَراري
عاهَدَتْ عَهْدَ الحَنينْ
عهدًا بلا شَك يَمُور ولا ظُنونْ
عَهْدَ الإرادةِ كي تكونْ
وما يكونُ لِكي تكونْ
قد كُنْت أنت. . . وأنت كُنْت لكي نَكونْ
وأتيتُ في الأُخْرى فكُنْتِ العَهْدَ
نَفْسَ العهدِ
نَفْسَ القيْدِ

نَفْسَ النَّفْسِ في حَشدٍ مِنَ البَشَرِ المُبارَك
في الحياةِ وفي المَنونْ
فَحَملت دربي فوقَ كتْفي
وانطلقتُ إليكِ يا عِشْقي المعتقِ بالسنونْ
العِشْقُ في زيفِ الحيَاةِ مُصنَّفٌ بعض الجُنُونْ
والعِشْقُ في أصْلِ الحياةِ
هو الحياةُ. . . هو النعيمُ المُنتظرْ
سافرت فيكِ ولم يزل يَحلو السَّفرْ

❁ ❁ ❁

سَافرتُ فِيكِ ولم يزلْ
قَدَري المُقدَّرُ أنْ أُسافِرْ
لَسْتُ المكابرَ في دروبِ العشقِ لكني أُصابِرْ
لَستُ المُغامرَ إنما عِشْقِي على دَرْبي يُعلمني ويلهِمُني
ويَنبتُ لي أَظافرْ
عِشْقِي المُحاصرُ في الشعابِ وفي المَوانئِ والمَغاورْ
عِشْقي المُقيدُ في السطورِ وفي الصُّدورِ وفي الحَناجِرْ
عِشْقي المُكَبَّلُ يُرعِبُ السيافَ
والهَتَّافَ
والشَّبقَ المُقامِرْ
لا الشَّمْسُ يمكنُ أنْ تَقَرَّ بِراحتي يَومًا

ولا القَمَرُ المُثابِرْ
وسُراقةُ المخدوعُ لَنْ يُثني جِمالي
في دُروبِ العشقِ أن تَأتيكِ في أقصى المَهاجِرْ
جَاءتْكِ فَوْقَ خيولِهِمْ
جاءتْكِ عَبْرَ فُلولِهِمْ
جاءتْكِ رغْمَ طُبولِهِمْ
جاءتْكِ تَقْتَحِمُ الحَواجِزَ والمغاوِزَ والغرائِزَ والخطرْ
سَافرتُ فِيكِ ولمْ يزلْ يَحلو السَّفَرْ

❁ ❁ ❁

سافرْتُ فِيكِ ولَمْ يَزلْ
سَفَري يُسارِعُ كُلَّ أشكالِ الوَهَنْ
سَافْرتُ فِيكِ وأنتِ عَذراءَ الوَطَنْ
سَافرتُ فِيكِ ولَستِ خَضْراءَ الدِّمَنْ
لا أصْلَ جَدِّكِ ساقطٌ
لا فَرْعَ أُمِّكِ هَابطٌ
لا أُسْمَ أَهْلِكِ يُخْتَبَنْ
يا عِطْرَ كُلِ الأنْبياءِ المُخْلِصينْ
يا زَهْرَ كُلِّ الأولياءِ المتَّقينْ
مَنْ قَالَ إسْمُكِ مُمتَهَنْ
مَنْ قَالَ سَيْفُكِ يُرْتَهَنْ

هذا حَديثُ الإفْكِ مَصْنوع ومَدْفوعٌ
لِتشْتَعِلَ الفِتَنْ
قَديسَةُ الأباءِ والأجْدادِ والتاريخِ
والفَرْعِ الحَسَنْ
قديسَةُ التُرْبِ المبارَكِ حَوْلَهُ
يا عِشْقَنا يا قدسنا
قديسَةُ الرؤيا الجَليلَةِ والأماني والصورْ
سَافرتُ فيك ولَم يَزَلْ يَحلو السَّفَرْ

❁ ❁ ❁

سَافرتُ فيكِ وَفَوْقَ راحِلَتي عُمَرْ
وأنا رَفيقُ رِكابِهِ والقدسُ في مَرمى البصَرْ
وصَهيلُ خَيْلِكِ في الشمال وَفي الجنُوب
وفي البَوَادي والحَضَرْ
وفَوارسُ الجيل العَظِيم تَدُقُّ أَبوابَ الظَّفَرْ
وأبو عُبيْدَة والمُثنى وابن وَقاصٍ وخَالد في دَمي
وَسيوفُهمْ نشوىْ تَذودُ عن الأَقصى الخَطَرْ
كُنت الإعادَةَ للبدايةِ والبدايةُ للشُّرُوقِ المُنْتَظَرْ
أَحْرَقْتُ أسطولي بِشاطِئِكِ العَظيمِ تَقَحُّمًا
وَنشَرْتُ رَاياتي على هامِ القمَرْ
وَحَمَلْتُ دِرْعِكِ لا أُبالي قَيصَرًا في الساحِ

أو كِسْرى ولا حَشْدَ التَّتَرْ
عُمْري عَلى مُهْري
ومُهْرِي فَوْقَ ساحِكِ لا يُبالي
بالجنودِ وبالقرودِ وبالذئابِ وبالْحُمُرْ
هذا يَميني فَوْقَ سَيْفِ الحَقِّ إيمانًا وَعَهدًا
لَنْ يُزعْزِعُه الموالي في رِحَابك تَنْتَحِرْ
سافرتُ فِيكِ ولم يَزلْ يَحلو السفَرْ

❁ ❁ ❁

سافرتُ فِيكِ وَعشْقُنا
ينمو علي لهبِ الطهارةِ والغضبْ
ما كُنْتِ خَائِنَةَ العَزيزِ
ولستِ زانِيَةَالعَربْ
إني أُعيذُكِ بالذي أجْلاكِ في سِورِ الكتابِ
فَكُنْتِ جَوْهَرةَ الزَّمان الْمرتَقَبْ
إني أُعيذُكِ بالذي سَواكِ عاصفة بِكَفِّ الحَقِّ
تكتسحُ العفونَة والعطبْ
إني أُعيذُكِ أن تَهُزي الأَثلَ مِن أجلِ الرُطبْ
لا نَخْلَ في وادِ السَّرابِ ولا رُطَبْ
هذي المشانقُ فاحذري أنْ تَقْرِبيها
وارقُبيها عَنْ كَثَبْ

فَعَسى الطليقَةُ تَحْتَ ظِلِ العَرْشِ باتَتْ تَقْتَرِبْ
فإلى مَتى؟!
تَأتي وتَنْتَصبُ العَسى؟!
لا تَسأليني فَالعَسى
نَجْمٌ تَدلى فَوْقَ بابلَ قَابَ قوسٍ واقتربْ
فَلْتُرضعيه مِنَ الشرايينِ التي
لَمْ تَأكل الثَّمَرَ المُحَرَّمَ
لم تصُل لِلكراسي والرتَبْ
فَلترضعيه من الشرايينِ التي
ما لاكت الكَبدَ الشريفَ
ولا نَمَتْ في حضْنِ حَامِلَةِ الحَطبْ
فَلْتُرضعيه من الشَّرايينِ التي
ما حاصَرتْ شِعْبَ الصمودِ
ولم تُدِنْ للمستبدِّ أبي لَهَبْ
فَلتُرضعيه منَ الشرايين التي
لَمْ تَحتَسي بَحْرَ السَّرَابِ
ولَمْ تُلَقَّنْ مِن مُسَيْلَمَةَ الكَذِبْ
فَلترضعيه من الشرايينِ التي
لَمْ تَحملِ السيفَ الذي
ذَبَحَ الحسينَ

ولَمْ تَنَم في صَدْرِها
نَارُ الجراح العاصفات ولا الغضَبْ
فَلْترضعِيه من الشرايين التي
ما سَلمتْ لِبني قُرَيْظَةَ
خَلْفَها أو أنْفَها أو سَيفها أو حَرْفَها
أو أهل يَثْرِبَ أو صَباحًا يَقْتَرِبْ
لا تَسأليني فَالْعَسى
نَجمٌ تَدلى فَوْقَ بابلَ قابَ قوسٍ واقتَربْ
فإذا غَدي شَمْسًا يُعانُقها الضحى
تُلْقي على الأقصى أكاليلَ الضِّياءِ المُرْتَقَبْ
هذي العَسى سَطَعَتْ وكانت في الخبر
سَافَرْتُ فِيكِ ولم يزل يحلو السفرْ[1] .

❁ سيدة الدنيـــا[2] ❁

مُحمّلاً بغبار الصيفِ والتعب
أضُمُّ تحت جناحيْ أُمَّةَ العرب
أشُدُّ أشلاءها شَدًّا على كبدي
وفي الهواجرِ أُلقي فوقها هُدُبي

(١) لسعيد المزين ـ مجلة «ديوان القدس» ص(٥٤ ـ ٦١).
(٢) لمحمود مفلح من ديوانه «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني».

وأزرعُ الـورد فـي أرض الجـراح وفـي
أرض الخناجرِ أسقي كرمة العنب
أذودُ عنـهـا ذئـاب الأرض قـاطـبـة
وأركبُ الصعب لا ألوي على تعبي
فكم حملتُ إلى المقرورِ من حطبٍ
وكم قطفتُ إلى المحرومِ من رُطَب!!
وكم نقشتُ على أشجارها لُغتي
وكم تلوتُ على أمواجها خطبي!!
وكم مشيتُ وحَرُّ الشمس يأكلني
وكم عزَفتُ فماد الكون من طربِ
لئن تكاثرت الأعداء يا وطني
فإن سيفكَ ذو حدّ وذو نَسَب
ومن جذوركِ يا أمّاه قافيتي
تظلُّ تركضُ رَكْضَ البرقِ في السُّحُب
تئزُّ فوقهمُ أزًّا وتعرفني
تلك الميادينُ لم أجزعْ ولم أهَب
ومن عبيركِ هذا الفوحُ في لغتي
ومن شموخكِ هذا النبضُ في أدبي
فأنتِ نبع القوافي وأنتِ سيّدتي
وأنتِ سيدةُ الدنيا وإرث أبي!

تـدفّـق الـعـطـر مـن بـطـحـائـنـا سِيَـرًا
وأورق المجـدُ قـبـل الـنـفـطِ والـذهـبِ
الخـيـل مـا وثـبـت إلا بـسـاحـتـنـا
ونحنُ من قال للخيلِ العِتاقِ.. ثِبي
أشـدُّ قـوسـيّ ولـلآفـاق لـوعـتُـهـا
ولـيـسَ إلا ذُرا الـعـلـيـاءِ مُـطّـلـبـي
وقـد خـبـرتُ الـلـيـالـي وهـي مـدبـرةٌ
وهـا هـو الـفـجـر يـا أنـسـامَـهُ اقـتـربـي

❁ ❁ ❁

غـضـبـتُ مـن قـالـةٍ لـلـسـوء أعـرفـهـا
يـا ويـل قالةِ هـذا الـسـوءِ من غضبي
فـكـيـف يـمـزجُ هـذا الـنـبـعَ مـنـحـرفٌ
وكيف يرشق ذاكَ النجمَ.. محضُ صبي؟
وكـيـف يُـنـكـر إسـلامـي ودولـتـه
ويـدّعـي أنـه مـن خـالـصِ الـعـرب؟!
لـو كـان فـي قـلـبـه مـثـقـالُ خـردلـةٍ
مـن الـعـروبـةِ لـم يُـنـكـرْ ولـم يَـعـبِ
لـكـنـه هـوسُ الإفـرنج فـي دمـه
فـمـا وراءَكِ يـا حـمّـالَـةَ الحـطـب؟

❁ ❁ ❁

هـم يـقـتـلـونـكِ يـا أمـاه عـربـدةً
ويـرشـقـونـكِ عـدوانًـا بـلا سـبـب
ويـقـرؤونـكِ ألـغـازًا وطـلـسـمـةً
ويـنـكـرونـك مـيـراثًـا لخـيـر نـبـي
كـم شوّهوا فيـك يا حسناءُ من قِيم
وألصقوا فيكِ يا عذراءُ من ريَب!!
لـو أنـهـم قـرؤوا مـاضـيـك زاخـرةً
بـه الـنـجـومُ، سـخـيَّ الـروحِ والأدب
وقـلّـبـوا كُـتُـبًـا كـالـنـور أحـرُفـهـا
لأدرَكوا أنَّ مجدَ الدهرِ في الكُتُبِ
لـو أنـهـم سألـوا الـتـاريـخ عـن زمـن
كـالـتـبـر يـومَ زمـان الـنـاسِ كـالـتـرَب
لـمـا أسـاءوا ومـا قـامـت قـيـامـتـهـم
ومـا تـبـارَوْا يُـهَـدّيـهـم أبـو لـهـب؟!

❁ ❁ ❁

نـعـم تـبـدَّلـتِ الأيـام يـا وطـنـي
وقد بصرتَ بها زحفًا على الركب
وصار بعضَ طعام الناس لحمُهم
وصـار ربُّـهـمُ عـجـلاً مـن الـذهـب

وأصبح الجوع مثل الظل يتبعهم

ودولةُ الجوع في عزٍّ وفي غلَب

فلا الطفولةُ في أيامنا سعدت

ولا البهائم حازت حُزْمة القصَب!!

وركّزَ الحقد بين الناس رايته

وأصبح الرأسُ بين الناس كالذنب

وكان ما كان في لبنان وا لهفي

وفي العراقين.. من يدري ولم يَشب

وفي فلسطين عارٌ كيف نغسله؟

أيُغسلُ العار بالتهريج والخطب؟

❁ ❁ ❁

لكننا وسيوفُ الأمس تعرفنا

كالموج يزخر بعد الجزر والتعب

❁ عهد الطوائف[1] ❁

سيروا على بركات اللَّه وانطلقوا

من التلاحم فجرُ النصر ينبثق

سيروا فإن زمانًا قد ألمّ بنا

ونحنُ في لهبِ الأحقاد نحترق

(١) لمحمود مفلح من ديوانه «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني».

فـلا يُـوحِّـدنـا سَـيْـفٌ ولا عـلَـم
ولا كـتـابٌ ولا رأي ولا طـرق
المـوجُ يمـضـغ فـي حـقـد سـفـيـنـتـنـا
حـتـى لأوشـك أن يـغـتـالـهـا الـغـرق!
كـأنـنـا بـيـن خـلـقِ الـلَّـه مـهـزلـةٌ
كـأنـنـا الـزبَـدُ المجـنـون والـورق
ونـحـن فـي عُـرْسـهـم ذاك الـثـريدُ وكـم
يـثـيـرُ شـهـوةَ هـذا الأرعـنِ الـطـبـق!!
كـم يـأكـلـون لـنـا لحـمًـا فـمـا شـبـعـوا
ويـشـربـون لـنـا دمًّـا فـمـا شـرِقـوا
ولا يـقـوم لـهـم رأي عـلـى أحـد
إلا عـلـيـنـا فـإنّ الـرأي مُـتّـفـق!!
فلا الضِّـفـافُ ضـفـافُ الحـب تـعـرفـنـا
ولا الـريـاحـينُ مـنـهـا ضـوّع الـعـبـق
عـهـدَ الـطـوائـف يـا عـهـدًا وُلـدت بـه
كـم ألـبـسـتـنـي ذُلاً هـذه الـفِـرَق
وبـعـضُ أهـلـي قـد شـالـتْ بـطـونُـهـم
وبـعـضُ أهـلـيَ فـي الحـانـات قـد غـرقـوا
وبـعـض أهـلـي لا عـلـمٌ ولا خـبـر
وبـعـض أهـلـي لا هَـمٌّ ولا قـلَـق!!

وبعض أهلي مِمّن كنت أعْرفهم
لأنهم وقفوا كالنخل قد سُحقوا
تنوء أكتافُهم بالحمل وحدهمُ
ونحنُ من حولهم كالموجِ نصطفق
لولا منابرُ إيمانٍ تهزّ بهم
غصنَ الشهادةِ ما ثاروا ولا رشقوا
وقد تكلّمتِ الأحجارُ عندهم
وغيرهم من بني الأعمامِ ما نطقوا!!
يُغازلون من الجناتِ ذِرْوَتَها
ويعشقونَ وغيرَ الحورِ ما عشقوا
ففي الزمانِ زمانِ النوم قد نهضوا
وبعد ما رحلتْ أمطارُنا برقوا!!
هم الرجالُ وقد جاؤوا على قدَرٍ
هم الذين إذا ما عاهدوا صدقوا
تلك العصابةُ يا ربّاه إن هلكتْ
فإن كلّ خطوطي سوف تُخترقُ

❁ ❁ ❁

يا أمتي يا ضياءَ العين معذرةً
إذا صرختُ فإني كدت أختنق

حَنَيْتُ ظهريَ حتى لا يَضُرَّ به
هذا الجدارُ وحتى ينتهي النفق
ولو أردتُ ارتزاقًا كنتُ سيدهم
فكيف بالدم والأشلاء أرتزق؟!
إني أخاف على قاعِ السفينة أن
يلهو «الصغارُ» بها يومًا فتنخرق
لا خيرَ في أمةٍ ضاعت هُويتُها
ولا بلادَ إذا حُكامها فسقوا
ونحن من أمةٍ شعّت حضارتها
بين الحضارات، نحن القلب والحدق

❁ ماذا تبقى من بلاد الأنبياء؟[1] ❁

فاروق جويدة

ماذا تبقَّى من بلاد الأنبياءْ..
لا شيءَ غيرُ النجمَة السوداءِ..
تعلو ترتفعُ في السماء..
لا شيءَ غيرُ مواكبِ القتلى
وأنَّات النساء
لا شيءَ غيرُ سيوف داحس التي

(١) العدد الثاني من مجلة القدس ـ فبراير ١٩٩٩ ـ شوال ١٤١٩هـ ص(٩٧ ـ ٩٨).

غرست سهام الموتِ في الغبراء
لا شيءَ غيرُ دِماء آل البيتِ
ما زالت تحاصرُ كربلاءْ
فالكونُ تابوتٌ . .
وعين الشمس مشنقة
وتاريخُ العروبة
سيف بطشٍ أو دِماءْ . .

❁ ❁ ❁

ماذا تبقى من بلادِ الأنبياءْ
خمسونَ عامًا
والحناجرُ تملأُ الدنيا ضجيجًا
ثم نبتلع الهواءْ
خمسون عامًا
والفَوارِسُ تحت أقدام الخيول
تئنُ في كمدٍ . . وتصرخُ في استياء
خمسون عامًا في المزاد
وكل جلاد يُحدِّق في الغَنيمةِ
ثم ينهبُ ما يشاء
خمسونَ عامًا
والزمان يدورُ في سأمٍ بنا

فإذا تعثرت الخطى
عُدْنا نهرول كالقطيع إلى الوراءْ
خمسون عامًا
نشرب الأنخابَ من زمن الهزائم
نُغرق الدنيا دموعًا بالتعازي والرثاء
حتى السماءَ الآن تُغلقُ بابها
سئمتْ دعاءَ العاجزينَ وهل تُرى
يُجدِي مع السفهِ الدعاء..

❁ ❁ ❁

ماذا تبقى من بلاد الأنبياء؟
أتُرى رأيتم كيف بدّلت الخيولُ صهيلهَا
في مهرجان العجز..
واختنقت بنوباتِ البكاءْ..
أترى رأيتم
كيف تحترفُ الشعوبُ الموتَ
كيف تذوبُ عشقًا في الفناءْ
أطفالُنا في كل صبح
يرسمونَ على جدارِ العُمرِ
خيلاً لا تجيء..
وطيفَ قنديل تناثرَ في الفضاءْ..

والنجمةُ السوداءُ
ترتعُ فوقَ أشلاء الصليبِ
تغوص في دَم المآذنِ
تسرقُ الضحكات منَ عينِ الصغارِ الأبرياءْ

❁ ❁ ❁

ماذا تبقى من بلادِ الأنبياءْ؟
ما بين أوسلو
والولائم.. والموائد والتهاني.. والغناءْ
ماتت فلسطين الحَزينةُ
فاجمعوا الأبناءَ حول رُفاتها
وابكوا كما تبكي النساءْ
خلعوا ثياب القدسِ
ألْقَوا سِرَّها المكنونَ في قلبِ العراءْ
قاموا عليها كالقطيع
ترنح الجسدُ الهزيل
تلوثتْ بالدمِ أرض الجنة العذراءُ..
كانت تحدقُ في الموائدِ والسكارى
حولها يتمايلون بنشوةٍ
ويُقبِّلون النجمة السوداء
نشروا على الشاشات نعيًا داميًا

وعلى الرفات تعانقَ الأبناءُ والأعداءْ
وتقبلوا فيها العزاء
وأمامها اختلطت وجوه الناس
صاروا في ملامحهم سواء
ماتت بأيدي العابثين مدينةُ الشهداء

❁ ❁ ❁

ماذا تبقَّى من بلادِ الأنبياء؟
في حانة التطبيع
يسكر ألفُ دجال وبين كئوسهم
تنهار أوطان.. ويسقط كبرياء
لم يتركوا السمسار يعبث في الخفاء
حملوه بين الناس
في البارات.. في الطرقات.. في الشاشات
في الأوكار.. في دورِ العبادَةِ
في قبور الأولياء
يتسللون على دروب العار
ينكفئون في صخب المزاد
ويرفعون الراية البَيضاءَ..
ماذا سيبقى من نواقيس النفاقِ
سوى المهانة والرياءْ..

ماذا سيبقى من سيوف القهرِ
والزمن المدنس بالخطايَا
غير ألوان البلاءْ
ماذا سيبقى من شعوبٍ
لم تعدْ أبدًا تفرقُ
بين بيت للصلاة.. وبين وكرٍ للبغاءْ
النجمة السوداءُ
ألقتْ نارَها فوقَ النخيلِ
فغابَ ضوءُ الشمسِ.. جَف العشبُ
واختنقت عيونُ الماء

❁ ❁ ❁

ماذا تبقى من بلاد الأنبياء؟
ماتتْ من الصمت الطويل خيولُنا الخرساءْ
وعلى بقايا مجدهَا المصلوب ترتعُ نجمة سوداءْ
فالعجزُ يحصدُ بالردى أشجارنا الخضراء
لا شيء يبدو الآن بين ربوعنا
غيرُ الشتات.. وفرقة الأبناء
والدهرُ يرسم
صُورة العجز المهين لأمةٍ
خرجتْ من التاريخِ

واندفعتْ تهرْول كالقطيع إلى حمى الأعداء..
في عينها اختلطتْ
دماءُ الناس والأيام والأشياءْ
سكنت كهوفَ الضعف
واسترخت على الأوهام
ما عادت ترى الموتى من الأحياءْ
كهانُها يترنحون على دروبِ العجزِ
ينتفضون بين اليأسِ والإعياء

❁ ❁ ❁

ماذا تبقَى من بلادِ الأنبياء؟
من أي تاريخ سنبدأ
بعد أن ضاقتْ بنا الأيامُ
وانطفأ الرجاءُ
يا ليلةَ الإسراءِ عودي بالضياءْ
يتسلل الضوءُ العنيد من البقيعِ
إلى روابي القدس
تنطلق المآذنُ بالنداءْ
ويطل وجه محمدٍ
يسري به الرحمن نورًا في السماءْ..
اللَّه أكبرُ من زمان العجز..

من وهن القلوب. . وسكرة الضعفاء
اللَّه أكبرَ من سيوف خانهَا
غَدْرُ الرفاق. . وخسة الأبناء
جلباب مريم
لم يزل فوق الخليل يضيءُ في الظلماءْ
في المهد يسري صوتُ عيسى
في ربوع القدسُ نهرًا من نقاء
يا ليلة الإسراء عودي بالضياء
هزي بجذع النخلة العذراء
يَسَّاقطُ الأملُ الوليَدُ
على ربوع القدسِ
تنتفض المآذنُ. . يُبعثُ الشهداءْ
تتدفقُ الأنهار. . تشتعلُ الحرائقُ
تستغيثُ الأرضُ
تهدُر ثورة الشرفاءْ. .
يا ليلة الإسراء عودي بالضياء
هزي بجذع النخلة العذراء
رغم اختناق الضوء في عيني
ورغم الموت. . والأشلاء
ما زلتُ أحلمُ أن أرى قبلَ الرحيلِ

رمادَ طاغية تناثر في الفضاء
ما زلت أحلم أن أرى فوقَ المشانق
وجه جلاد قبيح الوجه تصفعه السماءْ
ما زلت أحلمُ أن أرى الأطفالَ
يقتسمون قرصَ الشمس
يختبئون كالأزهار في دفءِ الشتاءْ
ما زلتُ أحلمُ . .
أن أرى وطنًا يُعانقُ صرْختي
ويثور في شممٍ . . ويرفضُ في إباءْ
ما زلت أحلمُ
أن أرى في القدس يومًا
صوتَ أقصانا يُعَانق ليلة الإسراء . .
ويُطلُ وجه الفجر بين ربوعنا
وتعود . . أرضُ الأنبياء . .

❁ متى يفيق النائمون [1] ❁

شُهداؤنَا . . بينَ المقَابرِ يَهمِسونْ
واللَّه إنَّا قَادمونْ
في الأرضِ تَرتفِعُ الأيادِي

(١) لفاروق جويدة من ديوان «لو أننا لم نفترق».

تَنْبتُ الأصْواتُ في صَمتِ السُّكونْ
واللَّه إنَّا راجعُونْ
تتساقَطُ الأحجَارُ يرتفعُ الغُبارُ
تُضِيءُ كالشَّمسِ العيونْ..
واللَّه إنّا عَائدونْ
شُهداؤنا خَرجُوا مِنَ الأكفانِ
وانتفَضُوا صُفوفًا ثمَّ رَاحوا يَصْرُخونْ:
عارٌ عليْكُم أيُّها المُسْتَسْلمونْ..
وَطَنٌ يباعُ وأمةٌ تنسَاقُ قُطعَانًا
وأنتمْ نائمونْ..
شُهداؤنا فوقَ المنابرِ يَخطُبونْ..
قَامُوا إلى لُبنانَ صلُّوا في مساجدها
وَزارُوا المسْجدَ الأقْصَى
وطَافُوا في رِحَابِ القُدْسِ
وَاقتحَمُوا السُّجونْ..
فِي كُلّ شِبرٍ
مِنْ ثَرَى الوَطَنِ المكبَّلِ يَنبتُونْ..
مِنْ كُلّ ركْنٍ في رُبوعِ الأمَّةِ الثَّكْلى
أراهُم يَخْرُجونْ..
شُهداؤنا وسَطَ المجازِرِ يَهْتفُونْ

اللَّهُ أكبرُ منكَ يا زَمنَ الجُنُون
اللَّهُ أكبرُ منكَ يا زَمنَ الجُنُون
اللَّهُ أكبرُ منكَ يا زَمنَ الجُنُون

❁ ❁ ❁

شُهداؤُنا يتقدَّمونْ . .
أصْواتُهمْ تَعلُو على أسوَارِ بَيروتَ الحزِينَة
في الشَّوارعِ في المفَارِقِ . . يَهدِرُونْ
إني أراَهُمْ في الظَّلامِ يُحارِبونْ
رغمَ انكسَارِ الضَّوءِ
في الوَطنِ المكبَّلِ بالمهانة
والدَّمامة . . والمجُونْ . .
واللَّه إنَّا عَائدُونْ . .
أكفَانُنا ستُضِيءُ يومًا في رِحَابِ القُدْسِ
سَوف تَعودُ تَقتحمُ المعاقِلَ والحصُونْ . .

❁ ❁ ❁

شُهداؤنا في كلّ شبرٍ يَصرُخونْ
يا أيُّهَا المتنَطّعونْ . .
كيفَ ارتَضَيْتُم أنْ ينامَ الذّئبُ
في وَسطِ القَطِيعِ . . وتأمَنُونْ
وَطنٌ بِعرْضِ الكَونِ يُعرَضُ في المزادِ

وطُغمةُ الجُرذانِ
في الوطنِ الجريحِ يُتَاجرونْ..
أحْياؤنَا الموْتَى علَى الشَّاشاتِ
في صَخبِ النّهايةِ يسْكَرُونْ..
مَنْ أجهَضَ الوَطنَ العريقَ
وكبَّلَ الأحْلامَ في كُلّ العُيونْ..
يا أيُّها المتَشَرْذمونْ..
سنخلّصُ الموْتَى منَ الأحياءِ
من سَفهِ الزَّمانِ العَابثِ المجْنونْ..
واللَّه إنّا قَادمونْ..
﴿ولاَ تحسَبَنَّ الذينَ قُتلوا في سَبيلِ اللَّهِ
أمواتًا.. بَلْ أحْياءٌ عِنْدَ ربِّهمْ يُرزَقون﴾

❁ ❁ ❁

شُهداؤنَا فِي كُلّ شبرٍ
في البِلاَدِ يُزَمجِرُونْ
جَاءوا صُفُوفًا يسْألونْ..
يَا أيُّها الأحَياءُ مَاذَا تَفعَلونْ..
في كُلّ يومٍ كالقَطيعِ علَى المذابحِ تُصْلَبُونْ
تَتَسرَّبونَ على جَناحِ اللَّيلِ
كالفِئرَانِ سرًّا للذئابِ تُهرْولونْ

وأمَامَ أمريكَا
تُقامُ صَلاتُكم فتُسبّحونْ
وتطُوفُ أعيُنكُم عَلَى الدُّولار
فَوقَ ربُوعهِ الخضْراءِ يَبْكِي السَّاجِدونْ
صُورٌ على الشَّاشاتِ
جُرذانٌ تُصافحُ بعضَها . .
والنَّاسُ مِنْ ألمِ الفَجيعةِ يَضحكونْ . .
فِي صُورتَيْنِ تبَاعُ أوطانٌ وتَسقُطُ أمةٌ
ورُؤوسُكمْ تحتَ النّعالِ . . وتْركَعونْ
فِي صورتينِ
تُسلَّمُ القدْسُ العَرِيقةُ للذّئاب
ويَسْكرُ المتآمِرونْ . .

❁ ❁ ❁

شُهداؤنَا فِي كُلّ شبرٍ يَصرُخونْ . .
بَيروتُ تَسبَحُ في الدّماءِ وفوقَهَا
الطَّاغوتُ يهدِرُ في جُنونْ . .
بَيروتُ تسألُكمْ أليسَ لعِرْضِها
حقٌّ عليكُمْ . . أينَ فَرَّ الرَّافِضونْ . .
وأينَ غَابَ البائعُونْ
وأينَ راحَ . . الهَارِبونْ . .

الصَّامتُونَ . . الغَافِلُونَ . . الكاذِبُونْ . .
صَمتُوا جميعًا . .
والرَّصاصُ الآنَ يخترِقُ العُيونْ . .
وإذَا سَألتَ سَمعتَهُمْ يتصَايحُونْ
هَذا الزَّمانُ زَمانُهمْ
فِي كُلّ شيءٍ فِي الورَى يتحكَّمونْ . .

❁ ❁ ❁

لا تُسْرِعوا فِي مَوكبِ البيْعِ الرَّخيصِ فإنَّكمْ
فِي كُلّ شيء خَاسِرونْ
لنْ يتركَ الطُّوفانُ شَيئًا كلُّكمْ
في اليَمّ يومًا غَارِقونْ . .
تَجرونَ خَلفَ الموتِ
والنخَّاسُ يَجرِي خَلفَكُمْ
وغَدًا بأسْواقِ النّخاسةِ تُعرَضُونْ
لنْ يرْحمَ التَّاريخُ يومًا
مَن يفرّطُ أوْ يخونْ . .
كُهَّانُنا يترنَّحونْ . .
فوقَ الكراسِي هَائمونْ
فِي نَشوةِ السُّلطانِ والطُّغيانِ
رَاحُوا يَسكَرونْ . .

وشُعوبُنَا ارْتاحتْ ونَامتْ
فِي غيَابَاتِ السُّجونْ
نَامَ الجميعُ وكلُّهمْ يتثَاءبُون
فمتَى يَفيقُ النائمُونْ..
مَتَى يَفيقُ النَّائمونْ..؟

❁ ❁ ❁

❁ رحلة الموت[1] ❁

✍ في يوم عرفة من عام ١٣٩٧هـ، يوم السبت الموافق ١٩ تشرين الثاني لعام ١٩٧٧م، تحرّك أحد أفراد هذه الأُمّة... لا إلى عرفة، لا إلى منى، لا إلى مشاعر الحج مع أُمّة الإسلام في أعظم أيامها، ولكن إلى أرض فلسطين المغتصبة، إلى أرض الإسراء، ليصافح الغاصب المعتدي في موكب من الحفاوة وزخرف الدنيا، مع شعب صِهْيون...!

طَوَى اللَّيْلُ آفَاقَ الفَيَافي وَأَرْعَدَتْ
عَلَيْه ذِئَابٌ دَامياتُ الأظَافِرِ
تُمَزِّقُ أَحْشَاءَ الضّحَايَا بِنَابِهَا
وَتَطْوِيْ بَقَايَا شِلْوِهَا المُتَنَاثِرِ
وَتَطْحَنُ مَا بَيْنَ الضّروسِ أَنِينَهَا
وَتَخْنُقُ حَسْرَاتِ الأَسَى والمشَاعِرِ

(١) «ملحمة فلسطين» شعر: د. عدنان النحوي، ط٢، دار النحوي ص(١٤٧: ١٥٧).

هُوَ اللّيْلُ...! أَشباحُ الرَّزايَا تَناثَرتْ
عَلَيْهِ وأَطْيَافُ الجُدُودِ العَوَاثِرِ
فَمَا أوْمَضَتْ فِيْهِ بَوَارقُ صَارِمٍ
وَلا زَمْجَرَتْ فِيْهِ حَمِيَّةُ ثَائِرِ
وَلا انْتَفَضَتْ دُونَ الدِّيَار كُمَاتُهَا
وَلا وَثَبَتْ فَوْقَ السُّرُوجِ الضَّوامِرِ
وَلا نَهَضَتْ مِنْ وَهْدَةِ الذُّلِّ كَبْوَةٌ
وَلا نَفَضَتْ عَنهَا غُبَارَ الحَفَائِرِ
مَضَيْتَ...! وَأَشْلاءُ الأُبَاةِ تَبَعْثَرتْ
ودُنْيَا المُرُوءَاتِ اسْتَذَلَّتْ لِفَاجِرِ
مَضَيْتَ... وإِنْ كادَتْ خُطَاك لتَسْتَحِيْ
وَتَرْجِعُ عن غَيِّ الذَّلِيل المُكَابِرِ
فأَقْحَمْتَهَا هَوْلَ الدَّنَايا وصَفَّقَتْ
إِلَيْكَ أَكُفّ السَّاقِطَاتِ الفَوَاجِرِ
تَمُرُّ عَلَى الأَمْجَادِ رَعْشَةُ ذِلّةٍ
فَتُغْمِضُ مِنْ أَجْفَانِهَا والمَحَاجِرِ
وَتُغْضِي... وَأَصْدَاءُ الجِراحِ حَبِيْسَةٌ
تَمُوتُ عَلَى أَصْدَاءِ طَعْنَةِ غَادِرِ

❁ ❁ ❁

أَأَشْفَقْتَ أنْ تَبْقَى ثكَالاكَ بالأَسَى
ودَمْعُ اليَتَامَى بَيْنَ خَدٍّ وَنَاظِرِ

وَمَا أَشْفَقَتْ «صِهْيوْنُ»...! كُلُّ رُبُوعِهَا

ثَكَالَى وأَيْتَامٌ وفَيْضُ مَجَازِرِ

فَمَا صَرَخَتْ إلاَّ لِتَنْفُضَ يَأْسَهَا

وتَمْضِيَ في دَرْبٍ شَدِيدِ المَخاطِرِ

فَتُلْقِي أَفلاَذَ الكُبُودِ عَلَى اللّظَى

وَتَحْمِيَ آمَالَ النُّفُوسِ الغَوَادِرِ

لِتَجْعَلَ مِنْ زُوْرِ الضَّلاَلِ حَقِيقَةً

وَتَرْفَعَ بُهْتَانًا عَلَى كُلِّ ظَاهِرِ

❁ ❁ ❁

فَيَا حَسْرَتَاه كَيْفَ لَمْ يُشْفِقِ النُّهَى

عَلَى شَرَفٍ دامٍ وعِرْضٍ حَرَائِرِ

عَلَى القُدْس...! جِلْبَابُ الظَّلاَم يَلفُّهَا

وَأَمْجَادُهَا مَنْثُورَةٌ كَالجَواهِرِ

عَلَى كُلّ شِبْرٍ مِن فِلَسْطِيْنَ لَمْ يَكُنْ

سِوَى نَفَحَاتٍ مِنْ أَبِيٍّ وَصَابِرِ

سِوَى خَفَقَاتِ الوَحْي...! يُندي رُبُوعَهَا

وَيَسْكُبُ مِن فَيْضٍ ويَهْمِي بِعَاطِرِ

فَذَلِكَ إِرْثُ الأَنبِيَاءِ... دِيارُهُمْ

مَرَابِعُ تَوْحِيْد وخَفْقُ منابِرِ

❁ ❁ ❁

فَـوَا أَسَـفَـا أَنْ ضَـيَّـعَ الـعَـهْـدَ جَـاهِـلٌ
وغَـيّـبَـه فـي سَـادِرَات الـدَّيـاجِـرِ
وَمَـزَّقَ مِـيـثَـاقَ الـنُّـبـوَةِ كُـلِّـهَـا
وَأَلْـقَـى بـه...! كِـبْـرَ الـشَّـقِـيِّ الْمُـغَـامِـرِ

❁ ❁ ❁

رَحَـلْـتَ...! وَفـي كَـفَّـيْـكَ غُـصَّـةُ أُمَّـةٍ
وأَشْـلاَءُ تَـارِيـخٍ وَبَـحَّـةُ زَاجِـرِ
حَـمَـلْـتَ لـهـم غـصْـنًـا...! فـأيْـنَ اخْـضِـرَارُهُ
وَقَـدْ ذَوَّبَـتْـهُ قَـانِـيَـاتُ الجَـرَائِـرِ
وأَيُّ هَـدِيـلٍ لـلـحَـمَـامِ إِذَا نـزَتْ
عَـلَـيْـهِ شِـفَـارٌ مِـن وَمِـيـضِ الـبَـوَاتِـرِ
وأَيّ سَـلامٍ تَـرْتَجِـيـه إِذَا انْـحَـنَـتْ
عَـلَـى قَـدَمٍ هـامٌ ورَعْـشَـةُ صَـاغِـرِ
فَـبِـعْـتَ لَـهُـمْ دَارًا وأَيْـكًـا وسَـاحـةً
ومَـلْـعَـبَ أَمْـجَـادٍ وَحُـرْقَـةَ صَـابِـرِ
وَبِـعْـتَ لَـهُـمْ شَـعْـبًـا وَتـاريـخَ أُمَّـةٍ
وَزَهْـوًا تَـهَـاوَى تَـحْـتَ نَـزْوَةِ خَـائِـرِ

❁ ❁ ❁

فَـأَيَّ يَـدٍ صَـافَـحْـتَ...! مِـلْءُ بُـطُـونـهَـا
مَـذَابـحُ...! أَدْمَـتْ كُـلَّ قَـلْـبٍ وخَـاطِـرِ

أَكَفَّ «مَنَاحِيمٍ»...! أَظَافِرُ ثَعْلَب
ومِدْيَةُ جَزَّارٍ وحِقْدُ مُجَاهِرِ
أصَافَحْتَهَا.. والرِّجْسُ بَيْنَ عُرُوقِهَا
تَدَفَّق أَمْوَاجَ الخَطَايَا الزَّوَاخِرِ
تصافَحْتُما... «والدَّيْرُ» ما زال نَازِفًا
عَلَى غَاضِبٍ بَيْنَ النَّجيع وَفَائِرِ
تَصَافَحْتُما...! بين ابْتِسَامَةِ مُجْرِمٍ
عَتِيٍّ وَكَيْدٍ مَنْ غَوِيٍّ مُحَاذِرِ
فَيَا «دَيْرَ يَاسِين» أطِلَّ بِلَعْنَةٍ
تُزَلْزِلُ أَقْدَامَ الطُّغَاةِ الجَبَابِرِ

❁ ❁ ❁

فَيَا أَيُّهَا الأَقْصَى...! أَنِينُكَ مُوْجِعٌ
حَنِينُكَ أَصْدَاءُ العُصُورِ الغَوَابِرِ
وَشَوْقُك ذَوْبُ الخَالِيَاتِ مِن الرُّؤى
لِرَنَّةِ أَنْصَالٍ وَوَقْعِ حَوَافِرِ
وخَفْقَةِ رايَاتٍ وَعِزَّةِ فَاتِحٍ
يَموجُ صَدَاهَا في دَوِيّ الحَنَاجِرِ
عَصَرْتَ غَنِيَّ الذِّكْرَيَاتِ بِدَمْعَةٍ
عَلَى هُدُبٍ تُغْضي وَنَوْحِ سَرَائِرِ
فَيَا «عُمَرُ الفاروقُ»... أيْنَ صَدَى الخُطَى
إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى وإِشْراقُ زَائِرِ

وأَيْـنَ طُـيـوفُ المجْـدِ حَـولَـكَ وَالـتُّـقَـى
وَأَنْـــداؤُه رَفَّـــتْ عَـــلـــى كُـــلِّ زاهِـــرِ
تـواضـعْـت... مـا غـضَّ الإبـاءُ جُـفـونَـهُ
عَـدَلْـتَ... فَـمـا ذَلَّـتْ طُـيُـوفُ مَـنَـائِـرِ
وَهَـبْـتَ... وَمَا ضـيَّـعـتَ حـقًّـا لِـخـالِـقٍ
عَـفَـوْتَ... وَفِـيْ كـفَّـيْـكَ عِـزَّةُ ظَـافِـرِ
وَجَـمَّـعْـت أَشْـتَـاتَ الأَمَـانَـةِ كُـلِّـهـا
ونـظَّـمْـتَـهَـا عـقْـدًا كَـرِيْـم الجَـواهِـرِ

❁ ❁ ❁

فَـيَـا أُمَّـةً... قَـصَّـفْـتِ فـي سَـاحِـكِ الـقَـنَـا
وأَحْـنَـيْـتِ لـلأَوْثَـانِ هَـامَـةَ خَـاسِـرِ
بَـعُـدْتِ عَـنِ الـرَّحْـمـنِ فـاشْـقَـيْ وَوَلْـولِـي
عَـلَـى غُـصَـصٍ مَـلأى بِـقَـيْـحِ الجَـرَائِـرِ
ألا رَجُـلٌ تَـهْـتَـزُّ مِـنْـهُ إِبَـــــاءةٌ
وتـغْـضَـبُ لـلـرَّحْـمـنِ نَـخْـوَةُ بَـاتِـرِ
نَـشِـيـدُكِ أَحْـزَانُ المَـآتِـمِ فـادمَـعِـي
ومَـجْـدُكِ طَـيَّـاتُ الـثَّـرَى والمَـقـابِـرِ

❁ ❁ ❁

❁ عائـــدون ❁

هَرمَ الناسُ. . . وكانوا يرَضعونْ
عندما قالَ المغنِّي: . . .
عائـــدونْ
يا فلسطينُ وما زال المُغَنِّي يَتَغَنَّى
وملايين اللحونْ
في فَضاءِ الجُرْحِ تَفْنَى
واليتامَى. . . من يَتَامى يُولَدون
يا فلسطينُ وأربابُ النِّضَالِ المُدْمِنُونْ
سَاءَهُمْ مَا يَشْهَدُونْ
فَمَضَوْا يَسْتَنْكِرُونْ
ويخوضونَ النِّضَالاتِ
عَلَى هَزِّ القَناني
وعلى هَزِّ البُطُونْ
عائـــدونْ
ولقد عادَ الأَسَى للمرَّةِ الألفِ
فلا عُدْنـــا
ولا هُمْ يحزنونْ![1]

(١) من ديوان «لافتات» لأحمد مطر ص(٤٠ ـ ٤١).

❁ عاش . . . يسقط ❁

يا قدسُ معذرةً ومثلي ليسَ يعتذرُ
ما لي يدٌ في ما جرى فالأمرُ ما أمروا
وأنا ضعيفٌ ليس لي أثرُ
عارٌ عليّ السَّمْعُ والبصرُ
وأنا بسيفِ الحرفِ أنتحرُ
وأنا اللهيبُ . . . وقادتي المطرُ
فمتى سأستعرُ؟! . .
لَوْ أنَّ أربابَ الحِمَى حجَرُ
لحملتُ فأسًا دونَها القدرُ
هوجاءَ لا تُبْقِي ولا تَذَرُ
لَكِنَّمَا . . . أصنامُنا بَشَرُ
الغدرُ مِنْهُمْ خائفٌ حَذِرُ
والمكرُ يشكو الضَّعفَ إن مكَرُوا
فالحربُ أغنيةٌ يُجَنّ بلحنها الوترُ
والسلمُ مختصرُ:
ساقٌ على ساقٍ
وأقداحٌ يُعَرِّشُ فوقَها الخَدَرُ
وموائدٌ مِنْ حَوْلِها بَقَرُ

. . . ويكونُ مؤتمرُ!

هُزِّي إليكِ بجذعِ مؤتمرٍ

يُساقطْ حَوْلَكِ الهَذَرُ:

عاش اللهيبُ

. . . ويسقط المطرُ![1]

❁ ورثـــة إبليس ❁

وُجوهُكُمْ أَقْنِعَةٌ بالِغةُ المرونَهْ

طلاؤها حصافَةٌ

وَقَعْرُها رعونَهْ

صَفَّقَ إبليسُ لها مُندَهِشًا

وباعَكُمْ فنونَهْ

وقال: إنّي راحلٌ

ما عادَ لي دورٌ هُنا

دوري أنا

أنتم ستلعبونَهْ!

❁ ❁ ❁

ودارتِ الأدوارُ فوقَ أَوْجُهٍ قاسيةِ

تَعْدِلُها من تحتكمْ لُيونَهْ

(١) من ديوان «لافتات» لأحمد مطر.

فكلّما نامَ العدوُّ بينكمْ
رحتُمْ تَقرِّعونَهْ
لكنكَم تُجرونَ ألف قُرعَةٍ
لمنْ ينامُ دونَهْ!
وغايةُ الخشونَهْ
أنْ تندبوا:
قُمْ يا صلاحَ الدين قُمْ
حتى اشتكى مَرقَدُهُ من حولهِ العفونَهْ
كم مرَّةٍ في العامِ توقظونه؟
كم مرَّةٍ على جدار الجُبنِ تجلدونَهْ؟!
أيطلب الأحياءُ من أمواتهم معونَهْ؟!
دَعوا صلاحَ الدينِ في تُرابِهِ
واحترموا سكونَهْ
لأنّهُ لو قامَ حقًّا بينكَمْ
فسوف تقتلونَهْ![1].

❁ عزاء على بطاقة تهنئة ❁

لِمنْ نشكو مآسينا؟
ومن يُصغي لشكوانا

(١) من ديوان «لافتات» ص(٨٨ ـ ٨٩).

ويُجدينا؟

أنشكو موتَنا ذُلاً لوالينا؟

وهل موتٌ سيُحيينا؟!

❁ ❁ ❁

قَطيعٌ نحنُ.. والجزّارُ راعينا

ومنفيّونَ.. نمشي في أراضينا

ونَحملُ نَعْشَنا قَسرًا..

بأيدينا

ونُعرِبُ عن تعازينا

لَنا.. فِينا!!

فوالينا

ـ أدامَ اللَّهُ والينا ـ

رآنا أُمَّةً وَسَطًا

فما أَبقى لنا دُنيا

... ولا أَبقى لنا دينا!

❁ ❁ ❁

وُلاةَ الأمرِ ما خُنتمْ ولا هِنْتمْ

وَلا أَبديتمُ اللّينا

جَزاكُمْ ربُّنا خيرًا

كفيتمْ أرضَنا بلوى أَعادينا

وحَقَّقتُمْ أمانينا
وهذي القُدس تشكرُكمْ
ففي تنديدِكُمْ حينًا
وفي تهديدِكُمْ حينا
سَحَقْتُمْ أنفَ أمريكا
فلمْ تنقلْ سفارتَها
ولو نُقِلَتْ
ـ معاذَ اللَّه ـ
لو نُقِلَتْ
. . لَضَيَّعْنا فلسطينا!

❁ ❁ ❁

وُلاةَ الأَمرِ
هذا النَّصر يكفيكُمْ ويكفينا
. . . تهانينا![1]

❁ إِن هانَ الأقصى يهون العمر ❁

مِنْ عَشْرِ سِنِينْ
مَاتَ أبِي
برَصَاصَةِ غَدْرْ

(١) من ديوان «لافتات» ص(١٣٤ ـ ١٣٦).

كَفنتُ أبي
فِي جَفْنِ العَيْنِ
ولَنْ أَنْسى عُنْوَانَ القَبرْ
فأَبِي يتَمدَّدُ فَوْقَ الأرضِ
بِعَرْضِ الوَطَنِ
وطُولِ النَّهْر
بينَ العَيْنَين
تَنَامُ القُدْسُ
وفِي فَمِهِ . . قُرآنُ الفجرْ
أقْدَامُ أبِي
فَوْقَ الطَّاغُوتِ
وَصَدرُ أبِي
أمْوَاجُ البَحْرْ
لَمَحُوهُ كَثِيرًا فِي عكَّا
بَيْنَ الأطْفَالِ يَبيعُ الصَّبرْ
فِي غَزةَ
قَالَ لِمَنْ رَحلُوا
إِنْ هَانَ الوَطنُ
يَهُون العُمرْ
نَبتَت أشْيَاءُ بقبر أبِي

بَعْضُ الزَّيتُونِ
وَمِئْذَنَةٌ
وحَدِيقةُ زهرْ
فِي عَيْنِ أبِي
ظَهَرَتْ فِي اللَّيلِ
بحيرةُ عِطْرْ
مِنْ قَلْبِ أبِي
نَبتَتْ كالمَارِدِ
كُتلةُ صخْرْ
تَسَّاقطُ منهَا أحْجَارٌ
فِي لَوْنِ القَهْرْ
الصَّخْرةُ تَحْمِلُ عِنْدَ اللَّيلِ
فتنجبُ حجرًا عندَ الفَجْرْ
وتنجِبُ آخرَ عندَ الظُّهرْ
وتنجِبُ ثَالثَ عندَ العَصْرْ
أحْجَارُ الصَّخْرة مِثْلُ النَّهرْ
تَتدَفَّقُ فَوْقَ الأرضِ
بعَرْضِ الوَطَنِ
وطُولِ القَبْرْ
ومَضَيتُ أطُوفُ بقبر أبِي

يَدُهُ تمتدُّ وتحْضُنُني
يَهْمِسُ فِي أذُنِي
يَا وَلَدِي
أعَرَفْتَ السِّرْ؟
حَجرٌ مِنْ قَبْري يَا وَلَدِي
سَيَكُونُ نِهَايَةَ عَصْرِ القَهْرْ. .

❁ ❁ ❁

لاَ تُتْعِبْ نَفْسَكَ يَا وَلَدِي
فِي قَبْري كنز مِنْ أسْرارْ
فالوَحشُ الكَاسِرُ يَتَهَاوَى
تَحْتَ الأحْجَارْ
عَصرُ الجُبَنَاءِ
وعَارُ القَتَلَة
يَتَوَارَى خَلْفَ الإعْصَارْ
خَدَعُونَا زَمنًا يَا وَلَدي
بالوَطَنِ القَادمِ بِالأشعارْ
لَنْ يَطلُعَ صُبْحٌ للجُبَنَاءْ
لَنْ يَنْبُتَ نَهْر فِي الصَّحْرَاءْ
لَنْ يَرْجِعَ وَطَنٌ فِي الحَانَاتِ
بأيدِي السفلةِ والعُمَلاءْ

لَنْ يَكْبُر حُلمٌ
فَوْقَ القُدْس
وعَينُ القُدْسِ يمزِّقُهَا
بَطْشُ السُّفَهَاء
لاَ تَتْركْ أرضَكَ يَا وَلَدِي
لِكلاَبِ الصَّيدِ. .
وللغَوْغَاءْ
أطْلِقْ أحجارَكَ كالطُّوفَانِ
بِقَلْبِ القُدسِ وَفِي عكَّا
واحْفرْ فِي غَزَّةَ بحرَ دِماءْ
اغرِسْ أقْدَامَكَ فَوْقَ الأرضِ
فَلَمْ يَرجِعْ فِي يَوْمٍ وطنٌ
للغُربَاءْ

❁ ❁ ❁

بَاعُونَا يَوْمًا يَا وَلَدِي
فِي كُلِّ مَزَادْ
اسألْ أرشِيفَ المَأْجورينَ
وفتِّشْ أوْرَاقَ الجَلاَّدْ
اسْأَل أمريكَا يا وَلَدِي
اسألْ أذْنَابَ المُوسَادْ

إنْ ثَارَ حَرِيقٌ فِي الأعْماقِ
يَثُورُ الكَهَنَةُ . .
والأوْغَادْ
فتَصيرُ النَّارُ ظلاَلَ رَمَادْ
سَيجِيءُ إِلَيْكَ الدَّجَّالُونَ
بأُغنيةٍ عَنْ فَجْرِ سَلامْ
السِّلْمُ بضَاعةُ محتَالٍ
وبقَايَا عَهدِ الأصْنَامْ
والسِّلْمُ العَاجزُ مقبرةٌ
وسُيُوفُ . . ظَلاَمْ
لاَ تَأْمَنْ ذئْبًا يا ولَدِي
أنْ يَحرُسَ طفْلاً فِي الأرْحَامْ
لَنْ يُصْبِحَ وَكْرُ السَّفَّاحِينَ
وإنْ شِئْنَا . .
أبْرَاجَ حَمَامْ
لَنْ يَنبتَ وَطَنٌ يَا وَلَدِي
فِي صَدْرِ سَجِينْ
لَنْ يَرْجِعَ حَقٌّ
فِي أنْفَاسِ المَخْمُورِينْ
حَجَرٌ فِي كَفكَ يَا وَلَدِي سَيْف اللَّه

فَلا تَأْمَنْ
مَنْ شَرِبُوا دَمَّ المحرُومِينْ
مَنْ أكَلُوا لَحْمَ المسْجونينْ
مَنْ بَاعُوا يومًا قرْطُبَةً
مَنْ هَتكُوا عِرْضَ فَلسطِينْ
فاقطَعْ أذْنَابَ الدَّجَّالِينْ
واهدِمْ أَبْراجَ السَّفَّاحِينْ
لتعيدَ صَلاَحَ . .
إلى حِطِّينْ

فِي وَطَنِكَ قبرُكَ يَا ولَدِي
لاَ تَتْرُكْ أرْضَكَ مَهْمَا كَانْ
أطلِقْ أحْجَارَكَ يَا ولَدِي
فِي كُلِّ مكَانْ
ابدأ
بخطَايا دَاودٍ
واخْتم برؤوسِ الكُهَّانْ
لاَ تترُكْ فِي الكَعْبَةِ صَنَمًا
ولتحرِقْ كلَّ الأوثانْ
لَنْ يُصْبِحَ بيتُ أبِي لَهبٍ

فِي يومٍ دارَ أبِي سُفْيانْ
لا تَسمَعْ صَوْتَ أبِي جَهْلٍ
حَتَّى لَوْ قَرأ القُرآنْ
فزمَانُكَ حقًّا يا وَلَدِي
زمنُ الإيمان.. الإيمانْ
واجعَلْ من حَجرِكَ مئذَنةً
ودعاءَ مسيحٍ..
أوْ فُرسان
واجْعَل مِن حَجرِك مقْصَلةً
واخْرِسْ تعويذَةَ كلِّ جَبَانْ
فالزَّمنُ القادِمُ
يَا وَلَدِي
زمنُ الإنسانِ.. الإنْسَانْ[1]

❁ لأنك عشتِ في دمنا ❁

حدائي حزين
ترى هل سئمتم حدائي الحزين
وماذا سأفعل قلبي حزين

(١) قصيدة: «إن هان الوطن يهون العمر»، من ديـوان «زمان القهر علّمني» لفاروق جويدة، ص(١١٠ ـ ١٢٤) ـ مكتبة غريب.

زماني حزين
تقاطيع وجهي
وجدران بيتي
بكائي وضحكي
حزين حزين
فجدران بيتي دمار وريح
وبين الجوانح قلب ذبيح
فحيح الأفاعى يحاصر بيتي
ويعبث في الصمت صوت كريه
متى راح عهد قبيح السمات
رأينا له كل يوم شبيه
وحين نظرت للقدس
لاح الجرحُ . . والأشواقُ والذكرى
تعانقنا . . تعاتبنا
وثار الشوق في الأعماقِ
شلالاً تفجر في جوانحنا . .
فأصبحَ شوقُنا نهرا
زمانٌ ضاع من يدنا . .
ولم نعرف له أثرا
تباعدنا . . تشردنا

فلم نعرف لنا زمنًا
ولم نعرف لنا وطنا
تُرى ما بالنا نبكي..
وطيف القرب يجمعنا
وما يبكيكِ.. يبكيني
وما يضنيكِ.. يضنيني
تحسستُ الجراح رأيتَ جرحًا
بقلبكِ عاش من زمن بعيدْ
وآخر في عيونكِ ظل يُدمي
يلطخ وجنتيكِ.. ولا يريدْ
وأثقل ما يراهُ المرءُ جرح
يعلُّ عليه.. في أيامِ عيدْ
وجرحكِ كل يوم كان يصحو
ويكبرُ ثم يكبرُ.. في ضلوعي
دماءُ الجرحِ تصرخ بين أعماقي
وتنزفها.. دموعي

❀ ❀ ❀

لأنكِ عشتِ في دَمِنَا
فلن ننساكِ رغم البعد..
كنتِ أنيس وحدتنا

وكنتِ زمانَ . . عفتنا
وأَعيادًا تجدد في ليالي الحزنِ . . فرحتنا
ونهرًا من ظلال الغيب يروينا . . يطهرنا
وكنتِ شموخَ قامتنا
نسيناكِ ! !
وكيف وأَنتِ رغم البعد كنتِ غرامنا الأولْ
وكنتِ العشق في زمنٍ نسينا فيه
طعم الحُب . . والأشواق . . والنجوى
وكنتِ الأمن حين نصير أَغرابًا بلا مأْوى . .

❁ ❁ ❁

وحين نظرتُ في عينيكِ
عاد الشدو في سمعي
يذكرني . . يحاصرني . . ويسأَلني
يجيب سؤاله . . دمعي
تذكرنا لياليا
وقد عاشت على الطرقات مصلوبْه
تذكرنا أَمانينا
وقد سقطت مع الأَيامِ . . مغلوبهْ
تلاقينا . . وكلُّ الناسِ قد عرفوا حكايتنا
وكلُّ الأَرض قد فرحت . . بعودتنا

ولكن بيننا جرح . .
فهذا الجرح في عينيك شيء لا تداريه
وجرحي . . آه من جرحي
قضيتُ العمر يؤلمني . . وأُخفيه . .
تعالَي بيننا شوق طويلٌ . .
تعالَي كي أُلملم فيك بعضي . .
أَسافرُ ما أَردتُ وفيك قبري . .
ولا أَرضى بأَرضٍ . . غيرَ أَرضي

❁ ❁ ❁

وحين نظرتُ للأقصى
صاحت بيننا القدسُ
تعاتبنا وتسأَلنا . .
ويصرخ خلفنا الأَمسُ
هنا حلم نسيناه . .
وعهد عاش في دمنا . . طويناه
وأَحزانٌ وأيتامٌ . . وركبٌ ضاع مرساه
ألا واللَّه ما بعناكِ يا قدس . .
فلا سقطت مآذننا
ولا انحرفت أمانينا
ولا ضاقت عزائمنا . .

ولا بخلت أَيادينا

فنار الجرح تجمعنا . .

وثوب اليأس . . يشقينا

❁ ❁ ❁

ولن ننساك يا قدس

ستجمعنا صلاةُ الفجرِ في صدركْ

وقرآن تبسم في سنا ثغركْ

وقد ننسى آمانينا . .

وقد ننسى . . مُحبينا

وقد ننسى طلوعَ الشَّمسِ في غَدِنَا

وقد ننسى غروب الحلم من يدنا

ولن ننسى مآذننا . .

ستجمعنا . . دماءٌ قد سكبناها

وأَحلامُ حلمناها . .

وأَمجادٌ كتبناها

وأَيام أَضعناها

ويجمعنا . . ويجمعنا . . ويجمعنا

ولن ننساكِ . . لن ننساكِ . . يا قدسُ

❁ ❁ ❁

❁ يا زمان الحزن في القدس ❁

برغمِ الصمتِ والأنقاض يا قدساه
ما زلنا نناجيكِ
برغم الخوفِ والسجانِ والقضبانِ
ما زلنا نناديكِ
برغمِ القهرِ والطغيانِ يا قدساه
ما زالت لياليك
وكلُ قصائدِ الأَحزانِ يا قدساه
لا تكفي لنبكيكِ
وكل قلائدِ العرفان تعجز أَن تحييكِ
فرغمَ الصمتِ ما زالت مآذنُنَا
تكبرُ في ظلام الليل . .
تشدو في روابيك
وما زالت صلاةُ الفجر يا قدساه
تهدر في لياليكِ
ورغم النارِ والطوفانِ
سوف تجيءُ أَيامٌ تحاسبنا . .
فتخلع ثوبَ من خدعوا
وتكشف زيف من صمتوا
وسيف اللَّه يا قدساه رغم الصمتِ

سوف يظل يحميكِ
ويا قدساه
يا نهرًا من الأشواقِ
عاش العمرَ يروينا . .
ويا جُرحًا سيبقى العمر . . كل العمرِ
يؤلمنا . . ويشقينا
زمانُ اليأس كبَّلنَا
وكسَّر حُلمَنَا . . فينا
غدوتِ الآن يا قدساه بركانا
كبئرِ النارِ يحرقُنَا
ويسري في مآقينا
حرامٌ أن نراكِ اليومَ وسطَ النارِ
هل شُلَّت أيادينا . .
حرامٌ أن نراك الآن
والطوفان يُغرقُنَا
فلم نعرفْ لنا وطنًا . .
ولم نعرفْ لنا دينا

ويا قدساه
يا كأسًا من الأشواقِ طهّرنا

ويا وطنًا على الطرقاتِ ألقيناه
لم نعرفْ له ثَمنًا
قتلنا الصبحَ في عينيك . .
صار الضوءُ أشباحًا
وعمرٌ ضاعَ من يدِنَا
تقاسمناهُ أفراحًا
تآمرنا . .
نسينا اللَّه والقرآن يا قدسُ
لم نخجل لما بِعنَا . .
مساجدُنَا . .
وأوراقٌ من القرآنِ
تسبيحاتُنَا صمتتْ
وضاعتْ مثلَمَا ضِعنا . .
تآمرنا . .
خدعناهم بأوهام حكيناها
فكم سمعوا حكايانا . .
«سيجمعُ شملكم وطنٌ»
ويرجعُ كلُّ ما كَانَا . .
رأينا الحلمَ في الطرقاتِ
يا قدساه أشكالاً . . وألوانَا

وصارُ الحلم بين جوانح الأَطفال إيمانًا . .
«سيجمع شملكم وطن» . .
رأَينا الحلم في الأَطفال
في الأَشجار في صمتِ
القناديلِ الحزينهْ
قرأنا الحلمَ في الأَشعار للبسطاء
والفقراء في سوقِ المدينهْ
وأَصبح حُلْمهُم سيفًا . .
بأَيدينا قطعناه
ومزقناه في الطرقاتِ
لم نعرف له أثرًا
وفي صمتٍ تركناه
وضاعَ الحُلمُ يا قدساه
ضِعنَا . . أَم أَضَعْنَاهُ
وخلفَ شواطئ الدخانِ والطغيانِ
لاح الحلمُ يا قدساه أَنقاضا
وبين مواكبِ الأَشلاء
تاريخًا . . وأمجادًا . . وأعراضا
وقالوا عنكِ يا قدساه ما قالوا
أَلا يكفيكِ يا قدساه

قولُ اللَّهِ برهانًا
فهل سيضيعُ من عينيكِ
نورُ اللَّهِ تسبيحًا . . وإيمانًا
وهل تغدو مَساجِدُنَا
أمامَ الناسِ بهتانا
وهل نبكي على مُلكٍ
توارى في خطايانا
بكينا العمر يا قدساه
عند وداعِ قُرطبةٍ
فهل سنُعيدُ ما كانا . .
يهون العمرُ يا قدساه من يَدِنَا
ودينُ اللَّهِ . . ما هانا[1]

❁ لن تموتوا مرتين ❁

لا تحزنُوا . .
إنْ جئتُكُم يومًا بوجْهٍ مُستعَارْ
أخْفِي بِهِ أطْلاَلَ عُمْرٍ
شوَّهَتْهُ يدُ الدَّمَارْ
لاَ تَغْضَبُوا مِنِّي

(١) لفاروق جويدة ـ قالها في بيروت، وما أجمل أن تقال للقدس.

إذَا أَخْفَيْتُ إخفَاقِي ويَأْسِي
كَيْ أبشِّرَكمْ. بِصَيْحَاتِ النَّهارْ..
إنِّي أراهُ هُنَاكَ طُوفَانًا
يُعربِدُ فِي جَوانِحنَا
وَيعْصِفُ فِي دمَانا
لَنْ يَطُولَ الإنْتظَارْ..
قَدْ لاَ يَطُولُ العُمْر بِي
حَتَّى أَراهُ جزِيرةً خَضراءَ تَعْلُو
فَوقَ أمْواجِ البِحَارْ
قَدْ لا يَطُولُ العُمْر بِي
حَتَّى أراهُ كبسْمة بيضَاءَ
فِي عَيْنِ الصِّغَارْ..
لَكنَّنِي سأكونُ أغْنيةً
تَطِيرُ عَلَى قِبَابِ القُدْسِ
تزْهُو بالأَملْ..
سَأكونُ نَارًا
تحرقُ الكُهّانَ
والزَّمَن المعوِّقَ.. والدَّجلْ

❁ ❁ ❁

القُدسُ سَوْفَ تُحاصِرُ الموْتَى

ستَهدِمُ كُلَّ جُدْرانِ المقَابِرْ
ستَطوفُ فوقَ شوَاهِد الأحْياءِ
تَصرُخُ فِي بيُوتِ السُّوءِ
سَوفْ تَصيحُ مِنْ فوقِ المنَابِرْ
يَتدَفَّقُ الصَّوتُ العَتيقُ
فيُغْرِقُ الجُثَثَ القَديمَة
ثُمَّ يبْعَثُهَا
وَتَنْبُتُ مِنْ بَقَايَاها الحنَاجِرْ
يا نُوحُ لا تعبأْ بمنْ خانُوا
فَلنْ ينْجُو مِنَ الطُّوفَانِ غَادِرْ

❁ ❁ ❁

القُدْسُ تحتَضِنُ الرجَالَ الراحِلِينَ بحُلْمِهِمْ
والجُرْحُ فِي الأعماقِ غَائِرْ . .
القُدْسُ ما زالَتْ تحلِّقُ فِي القُلُوبِ
وَإِنْ بَدَتْ فِي الأُفْقِ أحزَانًا تُكَابِرْ
القُدْسُ تصرُخُ فِي مآذِنِنَا
حَرامٌ أن يَضِيعَ الحَقُّ . .
يا زَمَنَ الصَّغَائِرْ . .

❁ ❁ ❁

القُدْسُ سَوفَ تعُودُ كالبرْكَانِ

تكتسحُ الزمَانَ الراكدَ الموبوءَ
تُشرِقُ في دُجَى اللَّيلِ البَصائِرْ
ستُداعِبُ الأَطْفَالَ بالحلْوَى
وبالقِصَصِ القَدِيمَةِ . . والحكَايَا
سَوفَ تحمِلُ في يَدٍ زَيتُونةً خَضْراءَ تَحْمِلُ في اليَدِ الأُخْرَى . . خَنَاجِرْ
ستُعلِّم الأطْفالَ نُطْقَ الحَرْفِ
قَتْلَ الظُّلْمِ . . وَأْدَ الخَوْفِ
كَيفَ يكُونُ صوتُ الحَقِّ
نُورًا فِي الضَّمائِرْ . .
وسيسقُطُ الكُهَّانُ كالحَشَراتِ
فِي صَمْتِ المقَابِرْ
وسيزْحَفُ المْوتَى جُمُوعًا بالبشَائِرْ
والقُدْسُ تصرُخ خَلْفَهم . .
وَتَصِيحُ فِيهم :
لَنْ تَمُوتُوا . .
لَنْ تَمُوتُوا مرَّتَيْنِ[1] .

❁ ❁ ❁

(١) من ديوان «لن أبيع العمر» لفاروق جويدة ص(٥٨ ـ ٦٣) ـ مكتبة غريب.

❀ المقاتلون بدماء القدس ❀

ينامونَ
فوقَ صدورِ الغواني
ويبكونَ بالشعرِ
عهدَ الوليدْ
وتحت المضاجع
أشلاءُ عمر
وأحزانُ أمٍّ
وذكرى شهيدْ
وفي الكأس تبكي
بقايا دماءٍ
وأنقاض عطر
وأنفاس غيد
ويلقون فوق
رؤوس الصغار
ثياب الغواني
وخبز العبيد
وفي كل يوم
يبيعون شعرا
ويبني على الشعر

قصر جديد
يسيرون بالشعر
في كل درب
وفي كل يوم
مزاد فريد
تعالوا نقاتل
من أجل قدسٍ
ونلقي على الناس
حلو القصيد
تعالوا نصافح
آلام شعب
ونصرخ بالحزن
هل من مزيد
تعالوا لنسكر
من دمع أرض
ونغتال فيها
الزمان السعيد
تعالوا نحطم
أحلام عكّا
وندفن فيها

الصباح الوليد
تعالوا نتاجر
في دمع أم
تعالوا نبيع
رفات الشهيد
تعالوا لنسخر
من حزن ثكلى
على راحتيها
شباب شريد
تعالوا لنحرق
أزهار عمر
ففي الزهر يرقد
حلم جديد
تعالوا ففي القدسِ
سوق العطاءِ
ومنها رَبَحْنَا
وفيها المزيد
تعالوا نبيع
بعطر الجواري
دموع الصغار
ويأس القعيد

تعالوا لنلقي
على القدس صبرا
ونغرس فيها
همومًا تبيد
وهيا لنكتب
شعرًا جديدًا
فما عاد في العمر
شيء يفيد
وآه إذا الجرح
أضحى رخيصًا
تباع الدماءُ
بسعر زهيد!!
وتحت المضاجع
أشلاءُ عمر
وفي الكأس تبكي
دماء الشهد
يصيحون فوق
صدور الغواني
يعيدون بالشعر
عهد الوليد[1] .

(١) لفاروق جويدة.. بتصرف.

❁ فلسطيني الغد الظافر ❁

فِلسطيني فلسطيني فلسطيني فلسطيني!
ولكن في طريقِ اللَّهِ والإيمانِ والدينِ
أهيمُ برايةِ اليرموك أهوى أختَ حطينِ
تفجِّرُ طاقتي لهبًا غضوبًا من براكيني
لأنزِعَ حقيَ المغصوبَ من أشداقِ تِنِّينِ
وأرفَعَ رايةَ الأقصى وربُّ البيتِ يحميني

فِلسطيني فلسطيني فلسطيني فلسطيني!
قَتلت الحقدَ في قلبي فأنبتَ زهرَ نِسرينِ
أحبُّ القدسَ والجولانَ أهوى ثلجَ صنِّين
أحبُّ الأُردنَ المعطاءَ من كفَّيْهِ يَسقيني
وأعشقُ أمةَ التَّوحيدِ والقرآنُ يَهديني
وحبُّ اللَّهِ والأوطانِ يَجري في شراييني

فِلسطيني فلسطيني فلسطيني فلسطيني!
سلاحي النُّورُ في قلبي ورشاشي وسكيني
ولكنْ دونَ أوهامٍ لجيفارا ولينينِ
ففكرُ الشرق يُتعسني وفكرُ الغرب يُشْقيني

أرتِّلُ آية الكرسيِّ أتْلو «رُبعَ ياسينِ»
وفي صدري كلامُ اللَّهِ يُسعدني ويَشْفيني

فِلسطيني فلسطيني فلسطيني فلسطيني!
ونارُ الغدرِ والطُّغيانِ والعدوانِ تَكويني
فإن حفروا لِيَ الأُخدودَ أو قاموا بِتَسميني
فلا التَّعذيبُ يُرهبني ولا التَّرغيبُ يُغريني
وإن نلتُ الشهادةَ بينَ آلافِ القرابينِ
سأُنبِتُ غابةَ الشهداءِ فيها أَلفُ مِليونِ

فِلسطيني فلسطيني فلسطيني فلسطيني!
كفرتُ بدعوةِ الإلحادِ من صنعِ الشَّيَاطِينِ
وأوثانٍ صنعناها من الأوحالِ والطِّينِ
وآمنَّا بربِّ البيتِ والزيتونِ والتينِ
ليشمَخَ شعبُنا حرًّا عزيزًا في فلسطين
ويرفعَ رايةَ التحريرِ في كلِّ الميادينِ[1]

❁ ❁ ❁

(١) من ديوان «عرائس الضياء» ليوسف العظم ص(٢٢ ـ ٢٦).

❁ فلسطينية.. تروي قصتها في بيروت !❁

ذبحوني مِنْ وريدٍ لوريدِ
وسقَوْني المرَّ في كلِّ صعيدِ
مزّقوا زوْجي فلمْ أعبأ بهمْ
ومضَوْا نحوَ صغيري ووحيدي
غَرَسوا الحَرْبةَ في أَحْشائِهِ
فَغَدا «التَّكبيرُ» أَصداءَ نشيدي
دمَّروا بيتي.. وهلْ بيتي هُنا ؟
إنَّ بيتي خَلْفَ هاتيكَ الحدودِ!
وتلفَّتُّ فَلَمْ أَعثُرْ على
غيرِ أبناءِ الأفاعي والقُرودِ
أَيْنَ نِفْطُ العربِ؟ مذخورٌ لمنْ؟!
أَينَ أبناءُ الحمى درعُ «الصمودِ»؟!
ذَبَحُوني مِنْ وريدٍ لوريدِ
غَيْرَ أَني لَمْ اطأْطِئْ ليهودي
ودمي سالَ على تلك الرُّبى
ينشُر العِطْرَ على حُمْرِ الورودِ
ولَغَ الغاصِبُ في أشْلائنا
غيرَ أَنَّا لم نَزلْ «سُمْرَ الزُّنودِ»

ولـوائـي فـوقَ هـامـاتِ الـوَرى
يَـتَـحـدَّى فـي الـعُلى كـلَّ الـبنـودِ
قـلْ لمـنْ يـلـهَـثُ فـي «غَـفْـلـتِـهِ»..
يَـنْـشُـدُ الـسِّـلَـم.. تمتَّـعْ بـالصَّـديـدِ
إنَّ فـي يـافـا مـواعـيـدَ لَـنـا
ورُبـى الـقُـدسِ لـنـا بـيـتُ الـقَـصـيـدِ
وعـلَـى شُـطـآنِ حَـيْـفـا مَـوْعـدٌ
كَيْفَ نَنْسى في الحِمي خُضْرَ الوعُودِ؟
ذبـحُـونـي مـنْ وريـدٍ لـوريـدِ
ودمـي يَـجْـتـاحُ أَحـقـادَ الـيـهـودِ!
قـلْ لِـمَـنْ يـحـسَـبُ أنَّـا أُمَّـةٌ
أنـكـرتْ أمـجـادَ سـعـدٍ والـولـيـدِ
نـحنُ شعبٌ لم يَعُدْ يَـخْشى الرَّدى
أو يـبـالـي بـرصـاصٍ وحـديـدِ
قـطـعَ الـعـهـدَ وفـي أعـمـاقـه
دعـوةُ الـتـوحـيـدِ والـدِّيـنِ الـرشـيـدِ
كـلَـمـا أُطْـفـئَ مـنَّـا قـبـسٌ
أَشـرقَ الـقـرآنُ بـالـفـجـرِ الجـديـدِ
قَـدْ رجَـعْـنـا رايـةً زاحـفـةً
بـعـدَ أَيَّـامٍ ضَـيـاعٍ وشـرودِ

ومضينا نحوَ آفاقِ العُلى
يُسْلِم الرايةَ جَدٌّ لحفيدِ
إنها الجَنَّةُ تَبْغي ثَمَنًا
عَزَّ إلاّ منْ شرايينِ الشَّهيدِ[1]

❁ هائمة ! ! تبحث عن مستقر ❁

قد عفَّر الوغدُ وجهي بالدّمِ القاني
ومزّقَ العِلجُ أثوابي وأردانـي
فصِحتُ علَّ صلاحَ الدينِ يسمَعُني
أو علَّ حيدَرةَ الفرسانِ يلْقاني
أو علَّ خيلاً لسعدٍ وَهْي عاديةٌ
ضبْحًا تُفجِّرُ في لبنانَ بُركاني
ورحتُ أسألُ دنيا العُربِ قاطبةً
من نسلِ قحطانَ أو منْ نسلِ عدنان
أينَ السيوفُ التي في كفِّ مُعتصمٍ
صالتْ على البغيِ منْ فُرسٍ ورومانِ
فلم تُجبْني من القعقاعِ نخوتُه
ولم أجدْ في جُموعِ القومِ « شَيباني »[2]

(١)من ديوان «عرائس الضياء» ليوسف العظم.
(٢)هو المثنى بن حارثة الشيباني.

وا حسرتا أينْ أحرارُ الحمى ذهبوا
لم يبقَ منهمْ سوى أشباحِ عُبدانِ؟!
قدْ كلَّ متنيَ بالأبوابِ أطرقُها
فلمْ أجدْ غيرَ أسمالٍ وأكْفانِ
ورحتُ أسألُ عن شدوٍ أهيمُ بهِ
فراعني في الحِمى أصْواتُ غِربانِ
وهِمتُ وسْط الفيافي دونما أمَلٍ
أجْتَرُّ من شِدةِ الأهوالِ أَحزاني
وأشربُ العارَ في كأسِ الهوانِ وقدْ
تَدَنَّسَ العِرضُ والأقصى بأوْثانِ
ورحتُ أسألُ عنْ سيفٍ ألوذُ بهِ
أَبُثُّهُ بعضَ أشواقي وتحناني
حتَّى بَدا فارسٌ يزهو بِلامَتِهِ
ورايةُ الحقِّ قدْ حُفّتْ بفُرسان
فقلتُ مَن أنتَ قالَ: اللَّهُ غايُتنا
والمصطفى قائدٌ والزّحْفُ ربَّاني
أدركتُ أنَّي على دربِ الجهادِ بلا
زيفٍ.. يُحطِّمُ قيدَ الذُّلِ.. إخواني
والكُلُّ يهتفُ للقدسِ التي سُلبَتْ:
القدسُ يا أختُ أَهواها وتَهواني

قد أنْزلَ اللَّهُ فيها آيةً شَرُفَتْ
بها الخلائِقُ منْ إنسٍ ومن جانِ
قولوا لمنْ ظَنَّ أنَّا لنْ نعودَ لها
قدْ خابَ ظنُّك وَسواسًا لشيطانِ
إنَّا على العهدِ عاشتْ في ضمائرِنا
القدسُ يا إخْوتي رَوْحي وريْحاني
يا أختَ يافا غدًا نَلقَى أحبَّتَنا
ويُجمَع الشمل في حيْفا وبيسانِ
وتَرفع الأذْرعُ السمراءُ طاهرةً
بيارقَ النَّصرِ في آفاقِ إيمانِ
ومن حناجرِ جُندِ اللَّهِ صادقةً
يتابعُ الكونُ ترتيلاتِ قُرآن
قد زينوا غرةَ الأسْمارِ خاشعةً
جِباهُهُم لإله الكونِ رحمن
فأقبلَ الفجرُ إشراقًا يُصَافِحُهُم
وراحةُ الفجرِ قرآنٌ وسيفانِ

❁ أيا حسناءُ معذرةً ❁

إلى عينين عاتبتين في وجه فلسطيني
أقول الشعر قربانًا فهل تجدي قرابيني
إلى عينين من حيفا كزهر الفل تغريني
بماء الود تجرحني ولكن لا تداويني
رياح المسك من فمها تناديني فتبكيني
تعاتبني بأسلحة كشوك الورد تغزوني
وفي كفيّ معذبتي جراح الأمس تكويني
تمد يدا مضعضعة إلى قلبي فتدميني
ثمار الذلّ تطعمني وماء العار تسقيني
أيا حسناء معذرة أنا أهذي كمجنون
أنا ـ الأبطال ـ يا أختاه في الهيجا أضاعوني
بكيس من دنانير إلى الأعداء باعوني
أنا الدولار يهزأ بي فيُرخصني ويغليني
وبئر النفط ـ وا ذلاه ـ تخفضني وتعليني
أنا والقدس جاريتان في سوق الملايين
أنا والقدس جاريتان في حجر السلاطين
أيا حسناء معذرة أنا أهذي كمجنون
وهذا الأحمر المسفوح من عينيك يبكيني

وجرحٌ في جَبِينِ المسجد الأقصى يناجيني
أهذا الغادر الأفّاق من واديك يجليني
يشم ورودِيَ الثملى وبالأشواك يرميني
أيا حسناء معذرة أنا أهذي كمجنون
ولكن بين أوردتي دماء العز تُؤويني
وجمر الشوق في رئتي تَفجّر كالبراكين
أيا أختاه معذرة أنا الأشواق تنفيني
أنا الأشواق تجلدني وتأسرني وتفديني
وتحبسني وتطلقني وتقتلني وتحييني
أيا حسناء في رجل شكِيٍّ القلب أفتيني
له في القدس ملهمة كأنفاس الرياحين
تهبّ عليه يرمقها بطرفٍ منه مفتون
ولكن ليس يدركها فيمسكها أجيبيني
لماذا الحب يُسقِمُنِي لماذا الحب يُشْقِينِي؟
لماذا النرجس المحروقُ في نابلس يبكيني؟
بربك إن أتيتُ القدس أو بطحاء حطين
وأنَّتْ فيك أغنيةٌ بلحن الحق والدين
أنا في مصر يا أختاه مقطوع الشرايين
فإمَّا أن تضميني وإما أن تواريني[1]

(١) للشيخ الحبيب: محمد عبد الحكيم القاضي.

❁ أناشيدٌ على أبواب القدس[١] ❁

ماذا يقولُ الشاعرُ المَهْدودُ في زَمَنِ الهزيمهْ؟
ماذا بِخَاصِرةِ القوافي غيرُ أَحزانٍ قديمهْ
ماذا بِبَحْرِ الشِّعر غَيْر تلكؤِ السُّفُنِ العَقيمهْ
تَتَجاذَبُ الأَمْواجُ جُثَّتَهَا وتُفْتَحُ الوَليمه
وَمُعَلَّقاتٌ حبرها اليَأْسُ المعربِدُ فَوْق أَثْداءٍ دَميمهْ
وعِمامَةٌ للبُحتريِّ ترقَّعتْ وَهْيَ الكريمهْ
ماذا على الوَتَرِ الرَّضيعِ يُداعِبُ الصُّوَر اليتيمهْ
هَلْ تُوقِظُ السَّكْرانَ صَلْصَلَةُ الحُروفِ
على جِدارِ الخَوْفِ أَوْ تُحْيِي رَميمَهْ
هَلْ يُرْجِعُ الأَمْواتَ لَطْمٌ أَوْ عويلٌ أَوْ تميمَهْ
أَوْ يُرْجِعِ الغُيَّابَ زَمْجرةٌ وأَشْعارٌ سَقيمَهْ
أَوْ هَلْ سِياطُ الشِّعْر تُلْهِبُ ظَهْرَ لَيْلاءَ بَهيمهْ

❁ ❁ ❁

يا وَجْه أُمِّي يا كتابًا من عبيرْ
يا قُدسُ يا حبِّي الكبيرْ
قومي قَدِ انْطَفَأَ النَّهارْ

(١) من ديوان «في القدس قد نطق الحجر» لخالد أبي العمرين ص(٩١ ـ ٩٩) مكتبة الفلاح.

وتاهَ في اللَّيلِ الصَّغير
قومي فإنِّي راحِلٌ
زوّادَتي قَلْبٌ كَسِيرْ
مَلّ الرَّحيلُ خطايَ
يا أُمِّي وأنهكَني المسيرْ
يا قدس يا حبّي الكبيرْ
زيتونةٌ تَرْنو لِعَيْن الشمسِ
تَقْتات العبيرْ
رُمّانُ خَدَّيها تَأَلَّقَ فوق أكْتافِ النُّجومْ
يَافَا تداعِبُ في ضَفائِرِها الكُلومْ
حَيْفا تُنادي عَمْرها
أَقْبِلْ بِسَيْفٍ صارِمِ القَسَماتِ هنديٍّ صميمْ
يا أَيُّها اللّيلُ الملثَّمُ بالهمومْ
دَعْني أُعبِّئُ مُقْلتيَّ بضَوئها دَعْها تقومْ
أَرْوي صُخورَكِ بالنَّدي المَزْخورِ في عُمْقي تُخوم
وأُعانِق السَّرْو الَّذي
ثَكِلَتْهُ أَضْلاعي على وجهِ الأديمْ
دَعْني أُقبِّلُ راحَتَيها تَنْجلي ظُلَمُ الوجومْ

❀ ❀ ❀

يا قدس يا حبي الكبيرْ
يا دمَّلاً في القلب يا وجَع الضّميرْ
الصَّخْرُ يَبْكينا وأَبْكيهِ فَتْرثينا القبورْ
والعارُ فَوْق قِبابكِ الشمّاءِ طاحونٌ يدورْ
وأنا أدورْ
لا الأُسْدُ تَعْرِفُ ساحتي
ولا تيمّمنا النّسورْ
وقبائِلُ الأعْرابِ لا كرمٌ ولا حتَّى سريرْ
يتناوَبونَ عليَّ يا أمِّي كَجلاّدٍ حقيرْ
ويذبّحوني كَيْ تعودَ القُدْسُ!!
هذا مِنْ طلاسِمِهمْ، فَهَلْ فَقِهَتْ حميرْ!
قَدْ فارَقَتْ عَيْناي أَحْداقي
أُفَتِّشُ عَنْ نصيرْ
أَيْنَ الجيوشُ اليَعْرُبيّة؟
والنِّفْطُ، أَيْنَ النِّفطُ؟
ضاعَ وما لِمَوقِدِنا بقيَّهْ

❁ ❁ ❁

يا قدس يا حبّي الكبيرْ

يا وجه أمي يا كتابًا من عبير
كل الطيور تعود في ذيل النهار
كل الوحوش تعود للأوكار
إلا أنا يا قدس أخطأني القطار

❁ ❁ ❁

يا قدس يا حبي الكبير
يا بلدة الشرف العريقه
وأنا غريب في بلادي لاحقوني «بالوثيقه»
والرَّعْدُ بَيْنَ جوانحي أَخْفي بريقَهْ
والخَيْرَ أَنْثُرُه علومًا ودواءً وحديقهْ
عَجبًا لَهُ المطْرودُ يرفَعُ رأَسَهُ فَوْقَ الخَليقَهْ
غُلّوهُ كَيْما يُسْتباحُ على الدّروبِ كُلُوا حُقوقَه
استَنْزِفوا أَحْلامَهُ، أَولادَهُ، راياتِه، مُصُّوا عروقَهْ
سَبْعونَ سَيْفًا في الشرايين الدَّقيقهْ
وابكوهُ في المذياعِ في الصُّحُفِ الرَّفيقهْ
وَلْتَنْصُروهُ على المنابر بالعباراتِ الرقيقه
ولتعشقوهُ في الخُطَبْ
يا بِذرَةً لأبي لَهَبْ
يا أمّةً حمّالَة الحَطَبْ

هَلْ فَرَّقَتْ دَمِيَ القبائلُ يا عَرَبْ
سَبْعونَ سَيْفًا فَوقَ نَحرِ الفَجرِ تَقْتَحِمُ الصَّباحْ
سَبْونَ سَيْفًا تَمْتطي ظَهْرَ الرّياحْ
حتى إِذا ما فارَقَتْهُ الرّوح هَبّوا بالنُّواحْ
سبعون سَيْفًا بالحُروفِ العَربيَّهْ
قُلْنا هُدَى الإسْلامِ قالوا يَعْربيّهْ
قُلْنا هُدى الإسلامِ قالوا اشتراكيّهْ
قلنا هدى الإسلام قالوا واقعيّه
سبعون سيفًا بالحروف العربية.

❀ ❀ ❀

قالوا تبقَّى مِنْهُ صوتٌ ونَغَمْ
فَنُريدُ جثَّتَهُ بلاءٍ أَوْ نَعَمْ
ونريد جثته عَلَمْ
ونريد نِسْوَتَه خَدَمْ
ونريد هامَتَهُ قَدَمْ
ونريد عَبْرتَهُ خِضَمْ
ونريد إِصبعه قَلَمْ
ونريدُه أبدًا رقمْ
ونريده أبدًا عَدم

ولا نريد بِنا نَدم
لِيَظلَّ في الكتب
الصقيلةِ متَّهَمْ

❁ ❁ ❁

يا قدْسُ يا أَحلى بلدْ
نعودُ باللَّه الأحَدْ
مِنْ والدٍ وَما ولَدْ
مِنْ حاسِدٍ إِذا حسدْ
من أَسْودٍ ومِن أَسدْ
من قِمَّةٍ في جيدِها حَبْلُ مَسَدْ
في رَأْسِها كُلُّ العُقَدْ
في قاعها شَعْبٌ رَقَدْ
نعوذُ باللَّه الأَحَدْ
ممّا نُعاني أَوْ نَجِدْ
مِنْ إِخْوةٍ مِثْل الزَّبَدْ
صاروا عيونًا مِنْ رمَدْ
يا خَالِقَ الأقْصى مَددْ
يا خالقَ الأقصى مدد
يا مسجد الأقصى

بِمنبركِ القوافي تَتَّحِدْ
فَلْتُعْطِني لَهبًا
بِعَيْنَيْكَ اتَّقَدْ
يا قُدس يا أَحْلى بَلَدْ
فَلْتَمْنحيني نَشْوةَ الفُرسانِ
في عين الوَلَدْ
ولْتَمْسَحي بيديك أَجْفانَ الكَبِدْ
ولْتَزْرَعي فَوْقَ الشِّفاهِ المجدباتِ الشعرَ
يا قدسُ وَتَدْ
نعوذُ باللَّه الأحدْ
منْ شاعرٍ لاك القصيدهْ
من كاتب قاء الجريده
أو قائد دون عقيده
ونعوذ باللَّه السميعْ
من ماجنٍ أو من خليعْ
من كلِّ من باع وبيعْ

❀ ❀ ❀

يا قدس يا حبي الكبير
يا قدس هُمْ أعداؤنا

يا قدس سوف تدوسهمْ أقدامُنا
يا قدس تعلو في السما راياتُنا
سوريةٌ تركيةٌ نجديةٌ في الميمنَهْ
مصريةٌ ليبيةٌ في المَيْسَرَهْ
كُرْديةٌ في القلبِ عِكْرمةٌ لها أَوْ حَيْدَرَهْ
يا قدس كنتِ المَفْخَرَهْ
يا قدس للأوغاد أنت المقبَرهْ
يا قدس هزّي الشجرة
يا قدس هزي الشجرة
في مسجد الفاروق يسجد مَيْسَرَهْ
وأخي خليلٌ سار يتبعُ مُنْذرا
وشبابُنا كالسَّيل جاءوا أنهُرا
يا قدس يا حبي الكبير
يا وجه أمي يا كتابًا من عبير
يا أمَّة الإسلام في الزمن المرير
هل من نصير؟
هل من نصير؟

❁ ❁ ❁

❁ من أين نبدأ ؟[١] ❁

من أيـنَ أبدأُ يا عـيونَ الشِّـعرِ يـا وطني المجـيدْ
من حُـزننا المـسفوحِ في «صَـبْرا» شرابًـا لليـهودْ
من عـارِ مُرْضـعةٍ تُـذيبُ الدمـع سُقْـيًا لـلولـيد
من صَرْخـةِ الأيتامِ ما انْتَفَـضَتْ لها هِمَـمُ الرُّقود
صَـبْرا وشـاتـيلا ضـحـيَّـةُ عالـمٍ وَغْـدٍ حَقـود
تَسْـتَمِطـران الخِصْبَ فـي صحـراءِ عالمنـا البلـيد
جـاءوا مع الـشيـطان أَحْـزابًـا تُلـوِّحُ بالـوعيـد
أَذْنـابُ خَيـبَر بَـلْ بقـايـا مِنْ سُـلالاتِ القـرود
من أين أبدأ جَفَّ حَلْقُ الشِّـعر وانتصرت «ثَمود»
من عين طِـفْل صائحٍ: أين الأَبُ الحـاني الودود
أُمّـاهُ قَدْ هَـدموا الجـدارَ وفـتَّشـوا صُوَرَ الجـدود
ما بـالُ صدرك بـعثـروهُ، فكـيف يـا أمّي يـعود
هَلْ بَـيْن أَحْـشاءِ النّـساء يـنقّبـون عن الجـنود؟!
ويداك سِـلْسـلتـان مِنْ خـوف تَأَبَّـطَتَـا العـمود
ويُقـهقهونَ «مـحمّدٌ» فـي الأسر تنـهشُه القـيود
إِنْ عـادَ عُدْنـا للـجـحور فـلا قلاعَ ولا سُـدود

---

(١) لخالد أبي العمرين من ديوانه «في القدس قد نطق الحجر» ص(٤٩ ـ ٥٣).

فَعرفْتُ أنَّ محمدًا ورجالَه الأملُ الوحيد

❁ ❁ ❁

من أين أبدأ يا عيون الشعر يا وطن الجدود
من عنترياتِ الإذاعة والتشدُّق والوعيد
من ملحماتٍ في الإذاعة وازدحامٍ في الوفود
أم من بطولات المنابرِ والبيانات الرُّعود
أَمْ مِن سُيوفٍ كالهَباءِ تلوحُ في أيدي العقيد
صَيْدا تقيءُ الحُزْنَ في قَسَمات مسؤولٍ بليد
بيروتُ قُبَّرةٌ تُولْول فوق أطلالِ الصّمود
بالدَّمع تَغْسل قَلْبَها المحشوَّ بئرًا من صديد
وتنوحُ أَبطال التصدِّي من لواءٍ أو عقيد
قالوا: العروبةُ، قلْتُ: سعدٌ فخرها وابنُ الوليد
قالوا: اشتراكيونَ. قلتُ: وليدةُ الوهمِ البعيد
لم يفقهوا لُغَةَ الشموسِ ولا حكاياتِ الجدود
أَسْماءُ أبطالٍ وأَفْعالُ المناكيدِ العبيد
يتهافتون على الموائد يأكلونَ من الوعود
ناموا عن الأوطان وانْتَبَهوا سُكارى للقُدود
لَمْ يعرفوا سُبُلَ الجهاد وإنّما عرفوا النُّهود
مِنْ كلَ مَأفون العقيدة خائنٍ أو من بليد

فـي كَرْشِـهِ المجْدورِ تـصْطـرعُ المـوائدُ والـثَّريـد
فئـرانُ في ساحِ الوغـى، وفي المحافل كـالأسود
حَشـدوا القراراتِ الطـويلةَ في مـواجهةِ اليـهود
قـالوا: كـفـاكُـمْ فالـبـطـولاتُ زمانٌ لا يـعـود
لـقـدِ اتـفقـنـا والمـشـرَّدُ سـوفَ للـدارِ يـعـود
أَسْـيادُنـا قالـوا وما نـكـثوا لـنا أبـدًا عُهـود!!

❁ ❁ ❁

من أيـن أبدأ يـا عيون الـشعـر يا وطـن الجدود
مـن راجمـاتٍ أو مدافـعَ ما تـصـدَّتْ للـيهـود
من طـائراتٍ تَقْـصفُ الأيتـامَ والشـعبَ الشَّـريد
حَوَلٌ أَصـابَ قُلـوبَهـم. فتـبدّلَـتْ لهـمُ الحدود
يـا فَتْـحُ لا أَنْـصارَ فـي غربٍ ولا شـرقٍ بـعيـد
يـا فتـح لا أنـصارَ فـي دُوَلِ المواجـهـة الرّقـود
أنـصارُ ثـورتـنا الـذيـن توضّـؤوا لحـنَ الخلـود
يا فـتح لـو هتف المـؤذنُ بالجهـادِ خذي الـزُّنود
عودي إلـيـنـا صفـحة بـيضـاءَ نُعـطيـك الجنـود

❁ ❁ ❁

يا إخوتـي انْقَشَعَ الضـبابُ ولاحَ فجركُمُ الـوليد
كلُّ الـسيوف تكـسَّرت، لَم يـبْق إلاّ ابنُ الولـيد

طوبى لمن طَلَب الشهادَة في مقارعةِ اليهود
لا صُلح لا تفويضَ، لا تفريطَ في أرضِ الجدود
لا للدويلة رشوةً ثمنًا لآهات الشهيد
مَنْ عِنْدَهُ النصرُ العزيزُ وصاحبُ البطشِ الشديد
اللَّهُ أكبرُ في قلوبِ الشعب تَقْصفُ كالرّعود
في فتيةِ الإيمان لا خَوَرٌ ولا جبنُ العبيد
الراكعينَ لربّهم الدائمين لهُ سُجود
آمنْتُ بالقرآنِ دستورًا وهَدْيًا للجنود
آمنتُ بالفتح المبينِ يدكُّ أَرْكانَ الوجود
آمنتُ بالفردوسِ دارًا للمجاهدِ والشهيد
بالمسجد الأَقْصى تحرّره الجبابرةُ الأسود
يا قومِ حَيَّ على الجهادِ فإنّهُ النصر الأكيد
سنخوضُها حربًا مقدّسة ونهزأُ بالقيود
أنا مسلمٌ أخشى الإلهَ ولا أخاف من العبيد
فَلْتنهضوا ولْتمسحوا عارَ المذلَّة والخمود
إن لم تقودوا الزَّحْف من يا إخوتي سوف يقود؟
لِنكونَ نَحْنُ شَرارها ونكون نَحْن لَها الوَقودْ

❁ ❁ ❁

ويبقى النخيل[1]

أيا قدسُ عذرًا
أنا لست نبتًا
أنا لست زهرًا
أنا حزن ليلٍ عقيمٍ طويلْ
وإيقاظ تفكيرنا المستقيلْ
وغيظ وحقد وَهَمٌّ ثقيلْ
وأشلاء مجد
وإنقاذ عِرض
وبركان رفضٍ.. بأرض النخيلْ

أيا قدس مهلاً
أنا لست حقلاً
يدقون رأسي بفأس الطغاة
ويسقون صدري بهمّ الحياة
أنا الجدب حين يصير المزارع فظ الصفات
وصحراء تحوي دجى الذكريات
وأفق يكنّ الجروح القديمة

(١) شعر لعصام خليفة ـ مجلة الأدب الإسلامي المجلد الأول العدد الرابع ص(٧١ ـ ٧٣).

وأرض عقيمة
من النيل.. حتى ضفاف الفرات
أنا اليوم أعلنت بدء الصيام
صيامي عجوز..
شقوقي ستزداد مثل التجاعيد في كل عام
أريد الطعام دماء تسيل
تسد الشقوق.. وتروي النخيل

❀ ❀ ❀

أيا قدس صفحًا
أنا لست قمحًا
يجيء الجياع..
لكي يطحنوه
وفوق الموائد تأتي القيادات من كل فجّ
إلى الاجتماع..
لكي يأكلوه..
وقبل نهاية كل اجتماع
وقبل الفراق
يخطون رسمًا ليوم التلاقي
أيا قدس إني برغم التشتت لا بدّ عائد
وأرسلت عبر حدود اختناقي..

ندائي إلى كلِ عبد وقائد
أنا لست خبزًا لهذي الموائد
أنا برد ليل
وحر اشتياق
أنا بيت شعر مرير المذاق
تجيء المعاني وتبكي لديه
تموت اللغاتُ وتحيا عليه
على راحتيه . .
سيولد فجر البلاد الجديد
ومن مقلتيه . .
تسيل الدموع
تجوب البلاد وقبل الرحيل . .
تبث الحياة . . بأرض النخيل

❁ ❁ ❁

أيا قدس صبرًا
إذا صرت قبرًا لكل القصائد
إذا ضاع مني زمام العبارة
وأفسحت صدري لكل النقائض
سألقاه شيئًا غريب الحدوث بكل مقاييس تلك الحضارة
كضيق البحار

وجدب السواقي . .
ودمع الحجارة
سألقاه يمّا . .
يسوق البوارج نحو الغرق
سَيُخْنَقُ وَسْطَ الدخان الذي . .
يغادر فسطاطنا المحترق
وإن بات يفرض حظر التجول
سألقاه خوفًا . بصمت الطرق
سألقاه عند احتقان الأفق
وعند العيون الصغار اللواتي حملن الشفق
سألقاه ليلاً . .
وما لي نجوم
سئمت النجوم
كرهت النجوم
لأن النجوم تخيف الكبار
لأن النجوم تثير القلق
لأن النجوم تحث المرارة والذكريات . .
لتسكن في صدرنا المختنق
لأن النجوم ستخفي الدليل
وحين نسير بِهَدْيِ النجوم . .

نضل الطريق.. بأرض النخيل

❁ ❁ ❁

أيا قدس مرحى
فقد صرت نخلاً
إذا جُعْتُ يومًا..
فهزي بجذعي
وإن طال فيك انتظار الطريق
وما من رفيق..
فنامي بظلي
ولا تعجبي..
إذا توجونا بعيد الطفولة
وقالوا علينا.. بأنا صغار
وأنا نسالم مثل السنابل.. مثل الزهور
فهم يجهلون..
بأنا هجرنا صفات الزهور
نسينا الجمال.. رفضنا العبير
فحين يحل الجفاف العسير
تموت السنابل وسط الحقول
وتفنى الزهور..
ويبقى النخيل..

❁ العناقيـــد ! ! ❁

بينما تدمر عناقيد الحقد[١] (قانا)، كانت الحمائم تجتمع لتزيل من بنود ميثاقها نصوص تدمير الصقور!!

سلام على أدعياء السلام ... ومن ليس تنفعه باصره
يريدون أن تستحيل الذئاب ... حماة لذمتنا الخافره[٢]
أتعجب أن يستحيل البغاث ... نسورًا على الأمة الهاذره[٣]
وأن تلعق الحَجْل باقي الفتات ... وأشداق أسيادها فاغره[٤]
نسينا بأن اليهود قطيع ... مع الوحش تجمعها آصره[٥]
لهم في صياغة تلك العهود ... وفي نقضها صنعة ماهره
أما كان بين الرسول الكريم ... عهود مع الطغمة الفاجره
فخانوا المواثيق وقت الشتات ... فكيف وهم دولة ظاهره
رويدك إن البعيد يعود ... وللغيب أفلاكه السائره
وهذي بشائر عهد السلام ... يجدد أوله آخره
على جرح (قانا) تثور القروح ... ومن كل جرح لنا ذاكره
نعم.. إنهم يقتلون الصغار ... وللثُّكل لوعته الحائره
ورايا تهم نحو صُنْعِ السلام ... عوالٍ ولكنها فاقره

(١) عناقيد الحقد هي الترجمة الحقيقية للعملية العسكرية البشعة التي قامت بها إسرائيل.
(٢) خافرة: بمعنى مخفورة.
(٣) البغاث: الهزيل من صغار الطير. الهاذرة: من الهَذَر، وهو الكلام الكثير بلا فائدة.
(٤) الحَجْل: جميع حَجَلَة، وهو نوع من الطير تشبيهًا لها بحمام السلام.
(٥) الآصرة: القرابة.

عناقيدهم تلك لن تستكين ... لأغصان همتنا الخائره
عناقيدهم من صميم الكفاح ... سرابيل بطشتها سافره
لها همة أن تبيد الجميع ... فنحن لنا الهمة القاصره

❁ ❁ ❁

يحيف بنا من يريد الشعوب ... عبيداً لقوته القاهره[1]!
وَيهْدِي البُغَاةَ سلاحُ الدمار ... لتُخمد جذوتنا الثائره
يفرق وحدتنا والجهود ... لتصبح تلك الخطا عاثره
ويرفع راياته للسلام ... وآثام أنجاله سافره
لحا اللَّه من يستجيز الركوع ... لأعداء أمته الطاهره
ويرضى بأمن الجوار اللئيم ... على رَمَض العيشة الصاغره
ألا إن نصر الإله العزيز ... يراوح في الآية العاطره
نكشّفهم لك كي (تستبين) ... فصفك أخلاطه ظاهره[2]
دماء الضحايا ستحيي الجموع ... وأشلاؤهم جذوة ثائره
وتلك الذرى سوف لن تستكين ... فأنجمها في الهدى سائره[3]

❁ ❁ ❁

(١) الحيف: هو الجور في التعامل. والقوة القاهرة: مقارنة بقوى البشر لا القهر المطلق الذي هو للَّه وحده.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ [الأنعام: ٥٥].

(٣) شعر جمال فضل، مجلة «البيان» العدد ١٠٣ ص(٦٠ ـ ٦١).

❁ الفجر الدامي ❁
جريمة ومجزرة[1]

ما أبشعها من جريمة!! ما أبشع مجزرة الحرم الإبراهيمي.

دوى الأذان! فيا منابر أوبي
شوقًا إلى خضر الجنان ورددي
خشعت له الدنيا! فيا جلاله
وجماله وجلال ذاك المشهد
كل المرابع أخبتت للَّه خا
شعة فمن واد يرف وأنجد
ونسائم الفجر البليل سرت به
عبقًا وأنداءً وآي محمد
وكأن شقشقة الطيور نداوة
رفَّت وتسبيح الرُّبى والأوهد
وكأن وشوشة الزهور تظل تسـ
ـأل ما يخبأُ يا مرابع في غد
وتنفس الورد الغني كأنه
عبق يجود بعطره المتورد

---

(١) شعر: د. عدنان علي رضا النحوي.

يلقي على الساحات من دمه دمًا
ليقول: يا دنيا أَطِلِّي واشهدي
فهنا ميادين الجهاد نمدها
دفقًا بأمواج الدم المتجدد
وهنا رباط المؤمنين وساحة
لجهادهم أو آية للمهتدي
تتلفت الآفاق، لا تلقى سوى
ساع يجيب نداءه أو مغتد
وتنفس الصبح الندى وحوَّمت
بين الديار منًى وطلعة شُهَّد
يسعون للبيت المنور بالهدى
مستبشرين بجولة أو موعد
فربوعها ساح الرباط لمؤمن
متواثبٍ أو مؤمن متهجد
يتواصل التاريخ في ساحاتها
بنبوّة الإسلام والعهد الندي
يسعَون للحرم الطهور خُطَاهُمُ
نور يشق ظلام ليل أسود
نِعْمَ البكورُ، وتلك عزمة مؤمن
والجمعة الزهراء لهفة أرشد

والنور من رمضان منبلج على
ساحاتها فيضًا غني المورد
يا للفضائل! كلها قد جُمِّعَتْ
للصائمين القائمين الشُّهَّد
للَّه در البيت بيت نبوة
وشهادة صدقت وطلعة رُوَّد
وكأن إبراهيم، يا لدعائه!
نادى وقال: هنا وفاء محمد
الصائمون العابدون خُطَاهُمُ
شوق يلحُّ ولهفة المتعبد
فكأنها أبدًا تحن لجنة
خضراء زاهية وبر أخلد
وأتوا لبيت اللَّه يخشع عنده
قلب أبَرُّ وخفقة من أكبد
فترى مواكبهم هناك كأنهم
زهر الكواكب أو مطالع فرقد
رُفِعَ الأذانُ فأقبلوا وصفوفهم
مرصوصة وقلوبهم شوق الغد
اللَّه أكبر! فانحنوا لركوعهم
واللَّه يسمع خفقة المتوجد

رفعوا وأهووا للسجود فلا ترى
إلا خشوع العابدين السجد
دوّى الرصاص! وخلف كل رصاصة
عاتٍ تمرَّس في الظلام الأنكد
المجرمون! فيا لهَول جريمة
كبرى! ويا لَلمجرم المترصد
كم مجرم في الأرض لم يقنت ولم
يخشع لخالقه ولم يتعبد
دوّى الرصاص! فكم شهيد فجرت
أضلاعه ومجندل لم يرفد
تتطاير الأشلاء! كل ضحية
تشكو لبارئها هوان الهجد
وتلاقت الأشلاء عبر فضائها
من كل ناحية تباح لمعتدي
من أرض «كشمير» نداء دمائها
من أرض «بوسنة» صرخة لم تنجد
من كل مجزرة بقايا أمة
تلقى وتنثر في الفضاء الأربد
أضحت دماء المسلمين مباحة
للمجرمين لكل عاد مفسد

وديارنا أضحت مفتّحة لهم
وقلوبنا فتحت لفتنة ملحد
المجرمون عصابة ممتدة
في الأرض عن جشع الهوى المتمرد
يا لليهود! وخلف كل مصيبة
فتن لهم ويد! فيا شر اليد!
جمعوا من الأحلاف بين حبالهم
دولاً فماجوا بالبلاء المرعد
من كان يحلم بالسلام مع اليهو
د فذاك حلم الجاهل المتزيد
طمعوا، كما طمع الضلال جميعه
يا لمسلمين، بدارهم، بالأنجد
لا! لا يريدون السلام ولا يريـ
ـد الأمر كان ولا طبائع معتدي
جعلوا السلام خديعة نصبوا بها
شركًا يمد لحائر متردد
أين النظام العالميُّ وأين يا
دنيا حقوق مُقَتَّل ومُطَرَّد؟!
أين العدالة والوعود وكيف ير
جى العدل من ذئب يجور وأسود؟!

يا أمتي إن لم تفيقي فاشهدي
أمواج ليل زاحف متمدِّد
لمي صفوفك، أمة الإسلام، كالـ
بنيان مشدودًا بعهد آكد
خوضي ميادين الجهاد ورجِّعي
شوق الشهادة دون ذلك وانهدي
يا أمة الإسلام تلك أمانة
وشهادة للَّه! قومي فاشهدي
يا أمة الإسلام! يا أمل الشعو
ب جميعها! أوفي بعهدك! أنجدي
لا لن يقيم العدل إلا مؤمن
صَدَق الإله وقال: يا نفسي ردي
دار الخليل تحية من مهجة
عرفت جلال جهادك المتوقد
قد كنت بالأمس القريب غنية
بالبذل زاهية بجودك واليد
طهرتُ أرضك من تدفُّق رجسهم
وَرَوَيْتُهَا بالطهر من دمك الندي
واليوم أعليت الوفاء فهذه
زُمَر تواثب للشهادة فاسعدي

وغـدًا تَـرَيْـن مـواكـبًـا مـوصـولـة
لـلّـه زاحـفـة وطـلـعـة رُوَّد
والـنـصـر كـالـفـجـر المـنـور مـقـبـل
بـشـرى إلـيـك وآيـة لـلـمـهـتـدي
ميلي إلى الأقصى حنينك لم يزل
صـفـوًا وعـهـدك لـم يـزل أمـل الـغـد
مـيـلـي هـنـاك وجـددا عـهـدًا أبـر
لجـولـةٍ تـوفـي بـصـدق المـوعـد

❁ ذكرى الخليل ❁

أَلهَبَتْ لوعَةَ القلوبِ الخليلُ ... فَهْي نارٌ من المآقِي تَسيلُ
يومُ (باروخَ) والسَّجاجيدُ غرقى ... في دمِ السّاجدينَ يومٌ مَهُولُ
عُجْ[1] على مسجدٍ حناياهُ تَدْمَى ... وأصِخْ للوجودِ ماذا يقولُ:
في جبالِ الخليلِ للنُّورِ بَحْرٌ ... فيهِ تَشْفي الأرواحُ وَهْوَ عليلُ
أمْرَضَتْهُ أفعى من الصُّمِّ صِلٌّ[2] ... ثمَّ ألفٌ من الرؤوسِ ذيولُ

❁ ❁ ❁

سَحَرتْ كلَّ ساحرٍ في البرايا ... البغيُّ التي اسمُها راشيلُ
لَبِسَتْ جِلْدَ دَينَصُورٍ وشَبَّتْ ... فعلى نفسِها الحُواةُ تَبولُ

❁ ❁ ❁

آهِ يا مسجدَ الخليلِ ومن حُمْـ ... ـرِ النَّوافيرِ فيكَ تَجري سُيولُ
شَقَّ جنكيزُ في لُحومِ المصلِّيـ ... ـنَ طريقًا.. لكيْ يَمُرَّ المغولُ
صُوَّمٌ.. قُوَّمٌ.. ضُيوفُ مليكٍ ... بيتُه للمسافرينَ سبيلُ
ما تَهَنَّوْا برشفةٍ مِنْ رَحيقٍ ... كلُّ مالِ الوجودِ فيها قليلُ
إذ تَرِفُّ[3] الأرواحُ فجرًا.. وكالأمـ ... ـواجِ في الرِّيحِ يَهْدِرُ التنزيلُ
جنَّةٌ حُوِّلتْ بنيرونَ نارًا ... وحياةٌ فيها المنايا تجولُ

---

(١) عُجْ: مِلْ. أَصِخْ: استمع جيدًا.
(٢) الصِّلُّ: حيّة من أخبث الحيات.
(٣) تَرِفُّ: تُرفرفُ.

أطلقتْها صُهيونُ مجزرةً حَمْـ ـراءَ يَعْلُو صُراخُها والعويلُ
تَعْصِفُ الرِّيحُ والقلوبُ طيورٌ نحو أوطانِها دعاها الرَّحيلُ
تركبُ البِيدَ كلّما جَنَّ ليلٌ ولها من (بناتِ نعشٍ)[1] دليلُ
ثمَّ بينَ الزيتونِ تهوي.. تباعًا والأحبّاءُ في التُرابِ نزولُ
فهي بينَ القبورِ تمشِي الهُوَيْنَى ولها كالمطوَّقاتِ[2] هَديلُ

❁ ❁ ❁

دَرَّ درُّ الخليل لو وزنوها بالجبالِ الشُّمِّ الرواسي تَميلُ
تطرحُ النومَ خَلْفَها وبَريقُ الـ ـفجرِ لَمَّا تنشقَّ عنه السُّدولُ[3]
عندما تصْدَح المآذن يَسْري في شرايينها الحُداءُ الجميلُ
وبِالرَوْحِ الجِنان يَنْسابُ فيها مِنْ بَساتينها النسيمُ العليلُ
تشْحَذُ السيف في انتظار (صلاح) ولخيلِ الفتوحِ فيها صهيلُ
أنَّ بينَ البحرينِ أرضًا حرامًا وطيورًا أحجارُها سِجّيلُ
في قِسِيِّ الأقدارِ[4].. منّا.. سِهامٌ من تُسَدَّدْ إليهِ فَهْو قتيلُ
ولِسرْبِ النُّسورِ فوق الثريّا شَرَفٌ باذخٌ ومجْدٌ أثيلُ
من طِرازِ الفتى (عمادِ بن عقلٍ) الرَّدى تَحْتَهُ جوادٌ أصيلُ
طار ليلاً فَحَطَّ نَسْرُ (ابْن عَيَّا ش).. فطارتْ من اليهودِ العقولُ

---

(١) بنات نعش: سبعة نجوم معروفة في السماء.
(٢) المطوَّقات: الحَمَام
(٣) السُّدول: الستَّائر.
(٤) قَسِي: جمع قوس، وهو ما يرمى به.

في سويداءِ قَلْبِها أنْزَلَتْهُمْ ... أمَّةٌ أَطبقتْ عليها المُحولُ[1]
كبَّرتْ والسَّماءُ تهطلُ في القُدْ ... سِ وقالتْ: الآنَ يَشْفى الغليلُ
ولنُمروذنا الغَشومِ ادَّرَعْنا: ... [حَسْبُنا اللَّه وَهْو نِعمَ الوكيلُ]
كم مَصَصْتَ الدِّماءَ.. كالعَلَقِ الأسْـ ... ـودِ... جسمُ العملاقِ منه هزيلُ
وهتكْتَ الأعراضَ.. كلبًا عقورًا ... غابَ عنه التحريمُ والتحليلُ
وعجنتَ الترابَ بالناسِ عجنًا ... وضحايا (قانا) شهودٌ عُدولُ
أصبحَ ابْنُ المِرِّيخِ مِنْ أهلِ يافا ... وابْنُ يافا هو الغريبُ الدَّخيلُ
وجعلتَ الأذنابَ فينا رؤوسًا ... فعلى رأسِ كلِّ حُرٍّ عميلُ
أوَ هذا هو السَّلامُ المرجّى؟ ... أيُّ شيءٍ إذنْ هو المستحيلُ؟
سوفَ يهوي بكَ الجنونُ قريبًا ... في رحًى وَطْؤُها عليكَ ثقيلُ

❁ ❁ ❁

في فلسطينَ.. يا فتى .. كلُّ شِبْرٍ ... بدماءٍ زكيةٍ مجبولُ
ولزيتونِها المباركِ.. في الأعـ ... ـماقِ.. عِرْقٌ بزمزمٍ موصولُ
ما إخالُ الحدودَ إلا سيوفًا ... كلُّها مِنْ قِرابِهِ مسلولُ
هلْ جبالُ الشامِ إلا ليوثٌ ... رابضاتٌ.. بها تَحُفُّ الشُّبولُ؟
هل رأيتَ الجليلَ؟ كمْ أنتَ خَلا ... بٌ!! وكمْ أنتَ شامخٌ يا جليلُ!!
يا خليلي.. سَقْيًا لحيفا ويافا ... ولمرجِ ابنِ عامرٍ، يا خليلُ
يَنْثُرُ الدُّرَّ.. حيث شاءَ.. مَليكٌ ... عَزَّ.. في مُلكِهِ الذي لا يزولُ
وأنا ابنٌ لغزةٍ كم غَذَانِي ... ونَمَاني.. لِبانُها المعسولُ[2]!!

(١) المُحول: جمع مَحْل، وهو القحط والشِّدَّة.
(٢) اللِّبانُ: حليب الأم، المعْسُولُ: الممزوج بالعسل.

رَمْلُها يُنْبِتُ البطولةَ إنْ يَسْـ ... ـقُطْ رعيلٌ في الساحِ يَبْرُزْ رَعيلُ
نحنُ رحَّالةٌ.. قَصَدْنا مَليكًا ... عَرْشُه فوقَ مُلْكِهِ محمولُ
اشترانا.. مِنَّا.. فقلْنا: رَبِحْنا ... لا نُقيلُ المولى ولا نستقيلُ[1]
وبهِ.. لا بِنا.. نقارعُ جِنًّا ... بَعْدَ إنسٍ لنا عَلَيْهِمْ ذُحولُ[2]
نحن غُرٌّ محجلونَ غُزاةٌ ... خَلْفَ غازٍ لَهُ الجِهادُ سبيلُ
في ظِلالِ السيوفِ عَدْنٌ ورزقي ... ها هُنا.. تحت ظِلِّ رُمْحي يَقيلُ

❀ ❀ ❀

جاء نُمروذُ راكبًا.. فوق فِيلٍ ... ليسَ تحميكَ يا جبانُ الفُيولُ
إنَّ (عزًّا) يُحيلُ فِيلَكَ كَوْمًا ... من رمادٍ فعزُّ.. عِزْرائيلُ
وإذا شَنَّتِ الجماجمُ حربًا ... فبماذا يُخَوَّفُ المقتولُ؟!
والذي خَطَّهُ لكمْ ربُّ موسى ... في الكتابينِ ما له تبديلُ[3]

❀ ❀ ❀

(١) لا نَقيل ولا نستقيل: لا نوافق على فسخ العقد، ولا نطلب نحن فسخه، الكلمتان من كلمات الأنصار في بيعة العقبة.
(٢) ذُحُولُ: جمع ذَحْل، وهو الثأر.
(٣) شعر د. عبد الرحمن بارود ـ البيان العدد ١٠٣ ص(٥٢ ـ ٥٥).

❁ القدس تنتحب . . . ! ❁

انـدُبْ على صرح الـزمـان فـخـاري
واستـنـطـق الـتـاريـخ نـوح وقـاري
واسفح على أرض مشي لؤم اليهود
مـدنِّـسًـا فـيـهـا دمـوع الـعـار
شـادوا عـلـى أمـجـادهـا أرجـاسـهـم
وعـلَوْا عـلـى عـلـيـائـهـا بـالـنـار
فجرى الصعيد معربدًا بدماء من
سـجـدوا رضىً لـلـواحـد الـقـهـار
نـبـذوا كـتـاب الـلّـه لمّـا حُـمِّـلـوا
مـثـل الحـمـار يـنـوء بـالأسـفـار
إن عـاهـدوا أو عـاقـدوا أو قـاتـلـوا
غـدروا ولـم يـوفـوا بـذمّـة جـار
هـم كـذَّبـوا مـوسـى الـرسـول وطـاردوا
ابـن الـبـتـول فـقـال مـن أنـصـاري؟
هـم حـزَّبـوا أهـل الـضـلال وحـاولـوا
أن يـطـفـئـوا نـور الإلـه الـسـاري
قـتـلـوا مـئـين الأنـبـيـاء تـلـذذًا
بـالـرأي والـسـكـين والـبـتَّـار

وتتَّبعوا دربَ الضلال وأرصدوا
ذُربَ السنان لغيلة المختار
واليوم ألقوا خاتلين شباكهم
ودعوا إلى السلم وللإعْذار
حتى حوَوْا حرم الإلة وَأعْملوا
في قاطنيه دنيئة الأوطار
إنَّ اليهود هُمُ اليهود فمن يَردْ
من كفهم كأس الهوان الزاري؟
يا شعرُ هبْ لي من بيانك حرةً
عذراء هامت في وبا آثاري
يا شمس أَدْلي بالخيوطِ بهيَّة
وَلْتمتحي كالدلو من أسراري
يا أيّها البدر المنير أَلا اتَّئِدْ
هيمان واقبس من سنا أنواري
هل في روابي القدس إلا يُتَّم.
أو ذو سقام أو قرينُ ذعار!
ضجت بأكناف السماء منائحي
ونوادبي في الأرض ضوء نهار
وفم الزمان مردّدٌ في مسمع الكون
الرحيب فجائع الأخبار

كم قائل والحرب يُحْلَبُ دَرُّها
والنار تحرق معشر الأبرار
كم قائل والطَّيرُ تهمي بالردى
والجوُّ ملتحف ببردٍ ناري
نضبتْ بلاد العُرْب عن مستنصرٍ
قرمٍ يروع كتائب الفجار!
عَقُمتْ بلاد العُرْب عن مستعصم
بالدين يعرض عُرْضة الأنصار!
أبصرْ بهمْ والأرض تنضح بالدما
والهامُ تسحق في سحيق هار
أسمع بهم والنَّوْحُ ملتطم الصدى
لم يلق معتصمًا يُعَدُّ لثار
أناتُ عيدان المنابر جَلْجَلَت
ودمُ المحاريب النديَّة جاري
نَحَبَتْ وضجَّت واشتكت لكنَّما
هامَ النحيبُ بِمَهْمهٍ وقفار!!
يا أمةً بالقدس ذُبِّح مجدُهَا
السَّامي أما من حُرمةٍ وذمار؟!
يا أمةً بالقدس سِيم إباؤُها
ضيمًا أما من بطشة ونفار؟!

يـا أمـة بـالـقـدس بُـحَّ نـداؤهـا
الصـخـابُ هل من وثبةٍ لـغـمار؟!
ويح الليوث يعيث في ساحاتها
سَرْحُ الضِّباع كنقمةِ الإعْصار!!
يـا بـدرُ يـا يـرمـوك أيـن إبـاؤنـا
القدسيُّ هل أضحى من الأخبار؟
أمْ أنَّـه أغـفـى كـصـخـرٍ حُـقـبـةً
لـم يـلـق مُـبْـتَـعِـثًـا مـن الأَوْكـار!
أيـن المـثـنَّـى والـبـراء وخـالـد
أيـن الـكـمـاة كـتـائـب الأنـصـار؟
وأبـو تـراب والـزبـيـر وطـلـحـة
الـبـائـعـون الـروح لـلـجـبَّـار؟
حـطينُ مـلـهـمة الـبـطـولة والـفـدا
أيـن الأبـاة وخـائـضـو الأخـطـار؟
أين الكتائب زحفها كالليل يطوي
الأرض تـزجـي المـوت لـلـكـفـار؟
دارت عـلـى سُـوح العـقـيـدة نـكـبـةٌ
عـمـيـاء لـم تُـقـلـع عـن الإضـرار
ألقت بكلكلها على رحب المدى
نـشـرت ذوائـبـهـا عـلـى الأمـصـار

حِقبٌ توالتْ والظلام مخيِّمٌ
فيها فأَين طلائع الأنوار؟[1]

❁ أننسى ؟ أننسى . . . ؟ ❁

إذا كانت جراحُ الناس تغفو ... فإنَّ جراحَنا أبدًا تفور
وإن كانت همومهمُ رَمادًا ... فإنَّ همومَنا الصغرى سَعير
أيحكم في قضيتنا عدوٌّ ... ويُرشدنا لغايتنا ضرير؟
ونبقى في الحياة بلا لسانٍ ... وقد نطقتْ بحاجتها الحمير!!
ندور كما يقول القومُ دوروا ... وإن رغبوا الثباتَ فلا ندور
ومِنّا من يرى في الخيش خزًا ... ومنّا مَن يضايقهُ الحرير!!
ويبحث بعضُنا عن كأس ماءٍ ... وتُغرق بعضَ سادتنا الخمورُ؟
كأن النائبات لنا فراشٌ ... وأنَّ العادياتِ لنا دُثور
وما زالت تُؤرّقنا سفوحٌ ... لها في كل جارحةٍ حُضور
أننسى في دروب القدس ليلى ... وليلى تستغيثُ وتستجير؟
أننسى أعين الليمون ترنو ... وأعشاشًا تحن لها الطيور
أننسى مسجدًا ونداءَ فجرٍ ... ومحرابًا وهل تُنسى الجذورُ؟
لئِن مِتنا فإنَّ لنا قبورًا ... ستحكي كلَّ قصتنا القبور
رجالاً أصبح الأطفال فينا ... وفي أرض الصدام لهم زئير

---

(١) شعر: عبد الله عيسى العيسى ـ مجلة الأدب الإسلامي العدد ١٩.

كأنهم من الصّوان قُدّوا ... ومن بُرْكانه هذا الزفيرُ
فلا تعجبْ وليس لهم رصاصٌ ... إذا وقعت على الموتِ الصدور
نعم ثاروا وعدتهم حجارٌ ... ونحن القاعدين متى نثور!؟
نعم ثاروا وكلهمُ جياعٌ ... ونحن المتخمين متى نثور!؟
دماؤهم على الطرقات مسكٌ ... ويمضي للعبير بك العبيرُ
قَبِلْنا بالحلول وأنكروها ... وقالوا: إنه العار الكبير
وقبلّنا الأكفَّ لقاء سلمٍ ... حقيرٌ ساقه الزمنْ الحقير
وضيّعنا الأمانة والأماني ... فلا زحفٌ هناك ولا عبور
وماذا يحكم الشهداء فينا ... غداةَ غدٍ إذا انتفضت قبورُ؟!
دماءٌ قد نسيناها ليبقى ... لنا شاةٌ همامٌ أو وزير
ولكنَّ الرجال هناك قالوا ... ألا كُفّوا فقد فُطم الصغير
فَنبْتُ القدس ليس له نظيرٌ ... وحاشا أن يكون له نظير
بماءِ الذكر يُسقى كل يومٍ ... وفي أحضانهِ تنمو البذور[1]

❁ جثة الذئب ❁

إلى صاحب الرصاصة التي صَرعت المجرم «مائير كاهانا» في واشنطن...

طلقةٌ صوبتْها أناملُ هذا الألمعيِّ

(١) لمحمود مفلح ـ البيان العدد ٤٨ ص(٤٧ ـ ٤٨).

إلى رأس ذاك الغرابْ
أنضجتْ حُلْمنا . . أخصبت كلَّ هذا الترابْ!!

❀ ❀ ❀

طلقةٌ في الصباحْ
أطلقتْها أناملُ هذا الفتى الأريحيّ
أضاءتْ سمانا وأقْنعت المِرجفينَ
بأنّ لنا مَوسمًا سوف تشتدُّ فيه الرّياحْ
إنه موجزٌ
ويأتيك عمّا قريب من الفجرِ كلُّ الرصاصِ المباح!

❀ ❀ ❀

دُمتَ يا أيها الزند، يا أيها الوعدُ، يا أيهذا البطلْ
دمت كيْ تقنعَ الراقدين على الثلج . . .
أنّ القضية ليست خوانًا تُحمحم من حوله الخيلُ . . .
خيلُ الجدَلْ!
وأنّ القضية ليست هوانًا
وليستْ هوىً مُبتذَلْ
وأن القضية ليست قميصًا لعثمان فوق الرؤوس التي
أنهكتها المجاعة، أو رنَّحتْهَا العلل!!
وليست كما قال بعضُ المغنّين . . «وردًا أقلّ»

هذه أبجدية الزمان المدجج بالزيف والارتزاق
فلا تترك الذئبَ يرتع ما شاء
أو يصطفى من شياهِ الأخوة ما شاءَ. . .
شدّ عليه الخناقْ. . .
وخذنا إلى زمنِ القدسِ
إنّا بلونا التوابيتَ
في زمن العجز والانسحاقْ!!
وخذنا إلى شجر القدس
حتى نكون جديرين بالحُبّ والوصلِ والصلواتِ الحميمة
والدفء. . . تحت جناحِ «البراقْ»
ونكسرَ كلّ مرايا الزمان الذي لم نكن فيه
غير الغثاءِ وغير الهباءِ. . وغير الشقاق. . .

❁ ❁ ❁

تقدمت حين تقدّم ذاك الوباءُ
وفي رقةِ الوردِ كنت تعالجُ ثغر المسدسِ
تسمعُ في صمته المتوثب نبض الحياة
وكنتَ مُصرّا على حذف تلك التي أُتخمت بالبذاءاتِ
حتى اقشعرّت لديها الشفاه
وتلك التي أطلقت كلَّ غربانها

حينما كان أهلي هناك
يُقيمون في الحرم القدسي عمودَ الصلاة. . .

❀ ❀ ❀

تبسمتَ لما تقدمتَ، لما تأكدتَ
أن الطيور ستأوي إلى عشها في الجليلْ
وأن زهور البنفسج قد خاصرت عُرْيها
وأنّ الجداول سوف تواصلُ رحلتها. . .
بعد ذاك الوقوف الطويل. . .
وأن الصغار سيستنبتون حكايا البطولاتِ
لا بُدَّ أن يرقصوا فِي انتشاء الفراشاتِ
أو يستحموا بماءِ الأصيل. . .
ولما هوتْ جُثةُ الذئب
كانت هنالك عصفورةٌ فوقَ مئذنة القدس
تعلن للناس أنّ إله السماوات أكبرُ
أن إله الطواغيت أحقر
أن زمانَ الحجارةِ قد روض المستحيلْ
وجاء. . الزمان. . الجديد. . البديلْ[1]

(١) من ديوان «لأنك مسلم» لمحمود مفلح ص(٨٥ ـ ٨٧).

❁ شموخ في زمن الانكسار ❁

«وقفة أمام قامة الطفل الفلسطيني الشامخة ذلك الطفل المجاهد الذي عرف كيف يواجه الأعداء»

سحبٌ تلوح ورعدُها يتكلَّمُ
والأرض تسمع ما يُقال وتفهَمُ
وفم الربيع الطَّلْق يحكي قصةً
ممّا مضى وفؤاده يتألَّمُ
كانتْ هنالك روضة مخضرَّةٌ
وبلابلٌ في ظلِّها تترنَّمُ
كانت هنالكَ زهرةٌ فوّاحةٌ
وصغيرةٌ ترعى، وطفلٌ يحلُمُ
كانت هنالكَ أسرةٌ مستورةٌ
تحيا الكفافَ، وبالتآلف تنعم
كان المساءُ حكايةً ليليّةً
يَهدي بها قمرٌ وتُنصت أنجمُ
كان الصباح قصيدةً عربيةً
والشمس تنشدها فلا تتلعثم
كانت ربوع القدس أرضًا حرَّةً
تُرعى كرامتُنا بها وتُعظَّمُ

يأتي إليها الفجر طفلاً أشقرًا
ولسانه بالذكرياتِ يتمتم
كنَّا بها الأحبابَ يجمع بيننا
دينٌ يلمُّ شتاتنا وينظِّم
ومضتْ بنا الأيام، ليلٌ حالكٌ
يسطو، وفجرٌ ضاحكٌ يتجهَّمُ
ومضتْ بنا الأيام، بيتُ رذيلةٍ
يُبنَى، وبيتُ فضيلةٍ يتهدَّم
ومضت بنا الأيام، مركب حسرةٍ
ينجو، وزورق فرحةٍ يتحطَّم
ومضتْ بنا الأيَّامُ؛ موكب عزمنا
متوقفٌ، وعدوُّنا يتقدَّمُ
وسمعت صوتًا في مغارة خوفنا
يوحي صداه بظالمٍ لا يرحمُ
من أين هذا الصوت؟ كلُّ إجابةٍ
تاهتْ، ووضعُ بلادنا يتأزَّم
ومضتْ بنا الأيام حتى أسفرتْ
عن وجهها الأحداث واختلط الدَّمُ
وتجدَّد الصوت الغريبُ، نداؤه
شُؤمٌ، وأصوات المدافع أَشْأمُ

وتجـدَّدتْ مـأسـاتُـنـا، وتمـزَّقـتْ
أوصـال أمـتـنـا، ونـام الـضَّـيْـغـمُ
مَنْ صاحب الصوت الغريب وما
الذي أغراه بي، حتى أتى يتهجَّم؟
هـو صـوتُ شـذَّاذ الـيـهـود، وراءَه
قـوَّات أمـريـكـا تُـغـيـر وتـهـجـم
ماذا يقول الصوت؟ نصف حديثه
دعوى، ونـصـف حـديـثه لا يُـفْـهَـمُ
مـا زال يـنـطق، والـوسائـل لـم تـزلْ
تـروي لـنـا أقـوالـه وتـقـدِّم
صـوتٌ يـنـادي أمـتـي ورجـالـهـا
جـهـرًا، ونـيـرانُ الـضَّـغـيـنـةِ تُـضْـرَمُ:
لا تـرفـعـوا رأسًـا، فـأن حـسـامَـنـا
بـإزالـة الـرأس الـعـزيـزة مُـغْـرَمُ
لا تـرفـعـوا كـفًـا، فـإنَّ عـيـونـنـا
مـبـثـوثـة، والـقـيـد قـيـدٌ أدْهَـمُ
لا تـنـطـقـوا حـرفًـا فـفـي قـانـونـنـا
أنَّ الـثـغـور الـنـاطـقـاتِ تُـكـمَّـم
وإذا ضـربـنـاكـم، فـلا تـتـحـرَّكُـوا
وإذا سـحـقـنـاكـم فـلا تـتـألَّـمـوا

وإذا أجعناكم فلا تتذمَّروا
وإذا ظلمناكم فلا تتظلَّموا
نُلقي الطعامَ لكم، فإن قلنا: كلوا
فكلوا، وإلا بالصيام استعصموا
عربٌ، وأجمل ما لديكم أنَّكم
سلّمتمونا أمركم وغفلتمو
ماذا دهاكم؟ تطلبون حقوقكم
طلب الحقوق من الضعيف محرَّمُ
نحن الذين نقول، أما أنتمو
فالغافلون الصامتون النّوَّمُ
الأرض، كل الأرض، مسرحُنا الذي
تجري الفصول عليه وهو منظَّمُ
نُجري الشخوص كما نشاء ونشتهي
الدَّور يُملي، والمشاهد تُرْسَمُ
لن تستريح قلوبنا إلا إذا
لم يبق في الأرض الفسيحةِ مُسلمُ

❀ ❀ ❀

وسكتُّ أبحث عن جوابٍ مُفحمٍ
وأصفُّ أرتالَ الحروفِ وأنظِمُ

ما كنتُ أعرفُ ما الجوابُ وربَّما
وقف الحكيم كأنَّه لا يعلم
وهَمَمْتُ أنْ ألْوي العِنانَ وقد بدا
أني احتسبت وأنني لا أفهَمُ
وإذا بجبهةِ فارسٍ متوثِّب
يدنو ويرفع رأسَه ويسلِّمُ
من أنتَ؟ وانبهرتْ حروفي والْتوي
وجهُ السؤالِ وأَثْبَتَتْني الأسْهُمُ
من أنتَ؟ وامتدَّتْ إليه مشاعري
جسرًا، وقلبي بالسعادة مُفْعَمُ
من أنتَ؟ أوزان القصيدة لم تزلْ
عَطْشَى وأُفْقُ الشاعرية معتم
مَنْ أنتَ؟ أشعر أنَّ بئر مخاوفي
من بعد ما شاهدتُ وجَهك تُرْدَمُ
من أنتَ؟ لا كفٌّ تُمَدُّ إلى العِدا
مسلوبةَ المعنى ولم ينطق فَمُ
ووقفتُ حين رأيتُ طفلاً شامخًا
قاماتُنا من حوله تتقزَّمُ
طفلٌ صغيرٌ غيرَ أنَّ شموخَه
أوحى إليَّ بأنَّه لا يَهْرَمُ

طفلٌ صغيرٌ والمدافعُ حولَهُ
مبهورةٌ والغاصبون تبرَّموا
في كفِّه حجرٌ، وتحتَ حذائه
حجرٌ ووجه عدوِّه متورِّمُ
مَنْ أنتَ يا هذا؟ أَعَدْتُ تساؤلي
والطفل يرمقني ولا يتكلَّمُ
مَنْ أنتَ يا هذا؟ ودحرجَ نظرةً
نحوي لها معنىً وراح يتمتم:
أنا من ربوع القدس طفلٌ فارسٌ
أنا مؤمن بمبادئي أنا مسلمٌ
لغة البطولةِ من خصائص أمتي
عنَّا رواها الآخرون وترجموا
من ذلك الوقت الذي انتفضتْ به
بطحاءُ مكَّةَ، والحطيم وزمزم
منذ الْتقى جبريل فوق ربوعها
بمُحَمَّدٍ يتلو له يعلِّم
منذ استدار الدهر دورتَه التي
عزَّ التقيُّ بها وذلَّ المجرم

❁ ❁ ❁

أنا من ربوع القدس تحت عمامتي
عقل يفكّر في الأمور ويحسم
ناديتُ قومي والرياحُ عنيفةٌ
والصمتُ كهفٌ والظلامُ مخيِّمُ
ناديتُ، لكنَّ الذي ناديتُه
أعمى أصمُّ عن الحقيقةِ أبْكَمُ
ناديتُ لكنَّ الذي ناديتُه
أمسَي على ماءِ التخاذل يَرْقُمُ
ناديتُ، لكنَّ الذي ناديتُه
بالنوم في الفرشِ الوثيرةِ مُغْرَمُ
ويئستُ، ثم تركتُ قومي، بعضُهم
يُبدي تآمُرَه وبعضٌ يكتُمُ
ومضيتُ وحدي في دروبِ عزيمتي
إنَّ المجاهدَ حين يصدق يعزمُ
ورأيت أعدائي صغارًا، كلَّما
واجهتُهم بيقين قلبي أحجموا
وغدوتُ أدعو من رجال عشيرتي
مَنْ سافروا خَلْفَ السراب ودمدموا:
يا مَنْ رحلتم في دروبٍ، شوكُها
صعبُ المراسِ، ورملُها متكوِّمُ

هَذي منابركم تزلزلَ نفسَها
سأمًا وقد كفرتْ بما قرَّرتمو
طيروا بأجنحةِ السياسةِ حيثما
شئتم، وقولوا ما أردتم وارسموا
وقِفوا أمام وسائل الإعلام في
سَمْتٍ، لتأخذ صورةً وتبسَّموا
واستمطروا من هيئةِ الأمم التي
هرمَتْ بقايا عطفها كي تغنموا
وترقَّبوا تأشيرةً لدخولكم
فلربما جادوا بها وتكرَّموا
وابنوا لكم في كلِّ أرضِ دولةً
الشعب والحكَّامُ فيها أنتمو
ودعوا لنا دربَ الجهادِ فإنه
دَرْبُ الخلاصِ لنا وإنْ كابرتمو
دربٌ مضى فيه الرسول وصحبُه
نشروا به الحقَّ المبين وعلَّموا
ماذا أصاب القومَ، ما أهدافُهم
ما بالهم قد أبهموا وتكتَّموا
قالوا انتفاضتُنا صنيعتُهم ولو
صدقوا لقالوا: إنَّهم لم يعلموا

نحن انتفضنا غيرةً وتذمُّرًا
مِمَّا جناه الغاصبون وأجرموا
يا أمةَ الإسلامِ نحن حقيقةٌ
في أرضنا فتدبَّروا وتفهَّموا
ها نحن في درب الجهادِ وفوقنا
مطرُ الرَّصاص وللحجارة موسمُ
من داخل الوطن السليب جهادنا
لسنا وراءَ حدودِه نتكلَّمُ
وإذا سألتم عن حقيقةِ حالنا
فلدي حجارتنا جوابٌ مُفْحِمُ
نرمي بها الباغي، وفي إسلامنا
أن الشياطين اللعينة تُرْجَمُ

❀ ❀ ❀

أنا من ربوع القدس طفلٌ شامخٌ
أحمي فؤادي باليقين وأَعْصِمُ
ما زلت أرقى في مدارج عزّتي
قلبي دليلي والعزيمةُ سلَّمُ
وأرى بعين بصيرتي ما لا يرى
غيري وأعرف ما يُحاك ويُبْرَمُ

وإذا سألتم عن بني قومي ففي
كتب الحقيقة ما يُمِضُّ ويُؤلمُ
لا تسألوا عن حالهم، فهناكَ مَنْ
يمحو مآثر شعبه ويهدِّم
وهناك من يبني سعادتَه على
كتف الضعيف ويستبدُّ ويظلم
وهناك مَنْ يسخو على شهواته
ويُمِضُّه في المكرمات الدرهمُ
وهناكَ مَنْ ينسي بأن رحالَه
تمضي، وأنَّ الموت أمرٌ مُبْرَمُ
إني أقول وللدَّفاتر ضجَّةٌ
حولي، تهيَّب من صداها المرسَمُ:
لو كان أمرُ الناس في أيديهمو
ما مات فرعونٌ وقام المأتَمُ
لو كان أمر الناس في أيديهمو
ما ظلَّ مكتوفَ اليدين الأشرَمُ
لو كان أمر الناس في أيديهمو
ما سفَّ من تُرْبِ الهزيمة رُسْتُمُ
سكت الرَّصاص فيا حجارةُ حَدِّثِي
أنَّ العقيدةَ قوَّةٌ لا تُهْزَمُ

❁ نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني ❁

شُدّوا الخناقَ فأنتم وجهنا القمرُ
وفي أكفكمُ قد غرّد الحجرُ
شُدّوا العناق فقد ضاعت ملامحنا
وزاغ في التيهِ منا السمعُ والبصر
يا مَن بزغتمْ بهذا الليل أوسمةً
ولستُ للأنجمِ الزهراء أعتذر
أنتم سنابلُ هذا العمر في بلدي
وفي لهاثِ الصحاري أنتم المطر
أنتم خيولُ بني الإسلام جامحة
يقودُها زمنُ الإسراء والظفر

❁ ❁ ❁

من الخيام خرجتم تعزفون لنا
لحنَ الفداء فجُنَّ اللحنُ والوتر
ظَنّوا بأنكُمُ موتى بلا حُفرٍ
وهالهم أنها تدعوهمُ الحفر
وقد رميتم بأحجارٍ مُسَوَّمة
على رُؤوسهمُ ألقتْ بها سَقَر

❁ ❁ ❁

مْن قال إنّ بنان الطفل يا وطني
يومًا ستلمس تاريخًا فينفجر؟
من قال إنّ خُطا الأطفال مُرعبةٌ
وإنه من خطاهُمْ يبدأ السفر؟
مِن أين جاؤوا؟ ولم يحمل بهم نبأ
ولا تمخَّض عنهم قطّ مؤتمر
جيلٌ من الصخر قد قُدّت ملامحه
ومن رماد الشظايا أورق الشجر
جيلٌ تألق في آفاقه حجرٌ
أستغفر اللّه، بل هزَّ الورى حجر
فلا المدافع أجدت في قذائفها
ولا القذائفُ قد أسرى بها خبر؟!

❁ ❁ ❁

شُدّوا الخِناق فإن العرسَ عرسُكُمُ
وهذه الغادةُ الحسناءُ تنتظر
من أربعينَ ولم يخمدْ لها ألَقٌ
ولا تلاشى لها عِطْر ولا حور
من أربعين وكفُّ القدس مُشرعة
والخاضبون لكفِّ القدس ما حضروا!!

هـذي الـصـبـيّةُ مـا زالـتْ تـؤرّقـنـا
فـمـا ألـم بَـهـا ضـعـفٌ ولا كِـبَـرُ
الـقـدسُ فـي وَلَـهٍ تـرنـو لخـاطـبـهـا
وكـلـهـم عـن صداقِ الـقـدس يعـتـذر
الـقـدس تـرحـل مـن لـيـل إلـى غـسـق
فـمـا أطـل عـلـى أسـوارهـا «عـمـر»
حتى هتفتم ونار العشق تصهركم
إنـا بـمـهـرك يـا حـسـنـاء نـبـتـدر
وسال نـهـر دم يـسـقـي مـواسـمـكـم
ويـرسـمُ الـزّمـن الآتـي ويـبـتـكـر!
وكـان مـا كـان مـن صحوٍ ومـن مـطـر
«وأول الـغَـيـث قـطـر ثـم يـنـهـمـر»
الـقـدس قـابَ شـهـيـدٍ واحـد وبـكـم
سِرُّ الـعـطـاء وفـيـكـم تُـنـسـجُ الـسـيـر
وكـم جـريـتـم إلـى الأبـواب تـقـرعـهـا
كفٌّ ويـقـرعـكـمْ مـن صـمـتـهـا ضـجـر!
ومـا رمـيـتـم ولـكـنَّ الإلَـه رمـى
فـكـيـف يُـهـزم مَـنْ بـالـلّـه يـنـتـصـر
إنَّ الـيـهـودَ بـتـاريـخ الـورى بُـؤَرٌ
ألـم يـحـنْ بـعـدُ أن تُـسـتـأصَـلَ البـؤر

إن اليهودَ رؤوسٌ كلها يبستْ
لكنها تحت عنِف الطَّرْق تنكسر

❁ ❁ ❁

هاتي الزغاريد يا أماه عالية
فإن أطفالنا في القدس قد كبِروا
ضُمّي الشهيد ولُفّي في عباءته
كل الجراح فلا يبقى لها أثرُ
فإن هذا زمانٌ فيه علّمنا
طفل الحجارة ألا يركع الحجر
وإن هذا زمانٌ لاح عارضه
وللعقيدة فيه القوسُ والوتر
من المساجد قد صاغوا ملاحمهم
ومن مآذنها الشّماءِ قد نفروا
فكيف ينهزمُ الإعصار في بلدي
ولحنهُ السرمديُّ الآيُ والسُّوَر؟![1]

❁ ❁ ❁

(١) من ديوان «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني» لمحمود مفلح ـ دار الوفاء ص(٤٩ ـ ٥١).

❁ وسافروا في جفاف الأرض أنهارًا ❁

سيروا فإنّ لكم خيلاً ومضمارا
وأمطِروهم مع التكبير أحجارًا
وقاتلوهم فإنَّ اللّه قاتِلُهمْ
فقد تولّوْا على الأدبارِ فُرّارًا
سيروا فإن لنا همًّا يُؤرقنا
بأن نضمَّ مع الدينارِ دينارا
من نصِف قرنٍ ونحن الميتونَ هنا
وما وجدنا لهذا القبرِ حَفّارا!!
من نصف قرنٍ وحرب الشعر دائرة
ونحن نصنع «أبطالا» و«ثُوّارا»

❁ ❁ ❁

سيروا على بركاتِ اللّه في زمنٍ
قد أنبت الصخرُ ريحانًا ونوّارا
ولا تقِيموا لنا وَزْنًا برحلتكم
فقد غدونا معَ الأيام أصفارا

❁ ❁ ❁

أنتم ملامحكم ليست ملامحَنا
لم توقظوا الليلَ في الحانات أوتارا

لم تقرؤوا في ليالي الذلِّ هرطقة
ولا رفعتم على الأكتافِ «غيفارا»
ولا منحتم رؤوس الظلمِ أوسمة
ولا قتلتُمْ على الحسنى «سِنمّارا»
أنتم حجارتكم قد فجَّرت حِمَمًا
وأنجبتْ في الليالي السودِ أقمارا
ونحن نخجلُ إن قُلنا قذائفنا
ليستْ ولسنا وربِّ البيتِ أحرارا!

❁ ❁ ❁

سيروا على بركات اللَّه وانطلقوا
وحطِّموا الوحش أنيابًا وأظفارا
مُدّوا إلى الشمس من أجسادكم ألقًا
وسافروا في جفاف الأرضِ أنهارا
وذكّرونا بأيامٍ لنا سلفتْ
فقد نسينا «شُرَحبيلا» و«عمّارا»
وطهّروا الأرضَ من رجس ومن عفن
ناءت بنا الأرض أوضارًا وأوزارا

❁ ❁ ❁

خوضوا إلى الغاية القصوى ملاحمكم
وعانقوا عُرُبًا في الخلدِ أبكارا

إن كنتمُ تأملون اليوم من رهق
وتسقطون على الساحاتِ أبرارا
وتنزفون نهاراتٍ وأوسمةً
وتمضغون مع الأحجار أحجارا
فإن أول غيثٍ كان غيثكُمُ
وسوف يسقط هذا الغيثُ مدرارا

❁ ❁ ❁

إنا من «الشاشةِ البيضاء» نرقبكم
فنحن نرهف آذانًا وأبصارا!!
نرى ونسمعُ ما يندى الجبين له
فلا نحركُ في التابوتِ مسمارا!!
ولا نقاتل إلا في مخادعنا!
ولا نعانق إلا الذُّلَّ والعارا!

❁ ❁ ❁

ماذا أقول وهذا الطفل معجزةٌ
فكيف ينسفُ أبراجًا وأسوارا؟
وكيف يمشي على جمْرٍ بلا قدَمٍ
وكيف يُكملُ دون الساقِ مشوارا
وكيف يُتقن فنَّ الموتِ منتشيًا
ويقرأ الموتَ أُسلوبًا وأفكارا؟

وكيف يُمسك في أسنانه حجرًا
وكيف يقذفه برقًا وإعصارا؟
وكيف يركض خلف الجند منطلقًا
وقد تفجَّر إيمانًا وإصرارا؟[١]

❁ الفتيـــة الأبابيـــل[٢] ❁

إلى الفتية الذين بعثوا الماضي من رفات! وأيقظوا الحاضر من سُبات، وخطوا نصر المستقبل في ثبات! إلى فتية الحجارة والمقلاع
. الفتية الأبابيل .:

حِجارةُ القدسِ نيرانٌ وسجّيلُ ... وفتيةُ القدسِ أطيارٌ أبابيلُ
وساحةُ المسجدِ الأقصى تموجُ بهمْ ... ومنطقُ القدسِ آياتٌ وتنزيلُ
والشعبُ يَزْحَفُ إيمانًا وتضحيةً ... ما عَادَ يُوقِفُ زحَف الشَّعْبِ تَنْكِيلُ
وصيحةُ الشَّعْبِ حُرًّا في تدفُّقِهِ ... منَ المساجدِ ـ تكبيرٌ وتهليلُ
حَيُّوا الجموعَ التي هَبَّتْ لنجدتِه ... يقودُ ركبُ الهدى للنصرِ جبريلُ
تعاهدُ القدسَ في صدقٍ بأنَّ لها ... عهدًا مع اللَّهِ ما للعهدِ تبديلُ
والقدسُ تزدانُ في ساحاتِها ارتفعتْ ... بيارقُ الحقِّ تحميها بهاليلُ
تكلَّمَ الحجرُ القدسيُّ فانتفَضَتْ ... سواعدُ الصَّيدِ واندكَّتْ أباطيلُ
وجندُ صهيونَ قدْ خابَتْ مطامعُهمْ ... ما عادَ ينفعُهم سجنٌ وترحيلُ

(١) لمحمود مفلح من ديوانه «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني».
(٢) ليوسف العظم من ديوانه «الفتية الأبابيل» ص(١٣ ـ ١٧) دار الفاروق.

أنّى توجه جيش البغي في صَلَفٍ ... في كلِّ ناحيةٍ يلقاهُ عزريلُ
الطِّفلُ والشيخُ والأمُّ التي خرجتْ ... في كفّها الموتُ للطغيانِ محمولُ
والقدسُ أرضُ العُلى والمجدِ مذْ عُرِفتْ ... يباركُ القدسَ قرآنٌ وإنجيلُ
راحتْ تُحطمُ قيدَ الذُّل شامخةً ... لا ترتضي أن يُذِلّ القدسَ تدويلُ
تلكَ العروسُ التي باهى الشهيدُ بها ... ومهرُها من دمِ الأحرارِ مطلُولُ
لئنْ طغى في رُباها العلجُ وا أسفي ... ومزَّقَ الشَّعبَ تشريدٌ وتقْتيلُ
فإنَّ همَّتها باللَّهِ عاليةٌ ... وليسَ في رفضِها للذُّلِّ تأويلُ
قولوا لمنْ قدْ تنادَوْا في مؤامرةٍ ... ليجْهضوا الحقَّ في ساحاتِنا قُولوا:
لقد مضى زمنُ التخذيلِ فانطلقي ... يا قدسُ ولّى زمانٌ فيه تخذيلُ
فوقَ الجباهِ جراحٌ يا لعزّتِها ... قد زانَها من دمِ الآسادِ إكليلُ
أبو عبيدةَ يرنو نَحْو هامتها ... وخالدٌ من سيوفِ اللَّهِ مسلولُ
وجعفرٌ جاثمٌ كالليثِ يرقُبُها ... وقدْ أطلَّ يُناجيها شَرَحبيلُ
قد بتَّ أخشى خياناتٍ تمزقُنا ... ويقتلُ «الحقَّ» في المحرابِ «قابيلُ»
متى تَعودُ إلى الأقْصى جحافلُنا ... وقد أضاءتَ حمى الأقصى قناديلُ
هذي بشائرُ يومِ النصرِ نُعلنها ... وليس في قولِها زيفٌ وتهويلُ
فالنّصرُ يمسي قريبًا حين نقصُدُه ... والنصرُ حين يرادُ النّصرُ مأمولُ

❁ إلى أين يا قومي ؟ ؟[1] ❁

تحية إلى الطفل الفلسطيني الذي يواجه بالحجارة رصاص العدو

أبتاه ما زالت جراحي تنزفُ
والليل أعمى، والمدافع تقصفُ
بيني وبين مطامحي ألفا يد
هذي تريق دمي، وهذي تغرفُ
ليل التخاذل سيطرتْ ظلماتُه
والقلب بالهمّ الثقيل مغلّفُ
وتثاءب الصمت الطويل ومقلتي
ترنو إلى الأفق الثقيل وتذرفُ
وأمام باب الدار يرقبني الرّدى
وعلى النوافذ ما يُخيف ويُرجفُ
من أين أخرج يا أبي، وإلى متى
أحيا على خَدَر الوعود وأضعفُ
نشقى وتجار الحروب، قلوبهم
بلقاء من شربوا دمي تتشرّفُ

---

(١) قصيدة لعبد الرحمن العشماوي من ديوانه «شموخ في زمن الانكسار» ص(١٨٣ ـ ١٨٧).

ويسومنا الأعداء شرّ عذابهم
فإلى متى لعدوّنا نتلطّفُ؟
ها نحن يا أبتي صغاركمُ تحركوا
لما رأوا أنّ الكبار توقّفوا
عزفوا بها لحن البطولة، والحصى
في كف مَنْ يأبى المذلّة تعزفُ

❁ ❁ ❁

هذي الحجارة يا أبي لغة لنا
لما رأينا أننا لا نُنْصَفُ
لما رأينا أنّ حاخاماتهم
يتلاعبون بنا، فيرضى الأسْقُفُ
لما رأينا أن أمتنا على
أرض الخلاف قطارها متوقّفُ
ماذا نؤمّل - يا أبي - من فاسق
يلهو، ومن متديّن يتطرّفُ؟
جيش الحجارة يا أبي متقدم
والمعتدي بسلاحِه متخلّفُ
أنا لا أتوق إلى الفناء، وإنما
موت الكريم على الشهادة أشرفُ

بيني وبين حصى بلادي موعد
ما كان يعرفه العدوّ المرجفُ
يتعوذ الرشّاش من طلقاتها
ويفرّ منها المستبد الأجوَفُ
لغة الحجارة يا أبي، رسمتْ لنا
وَعْدَ الأباء، ووعدُها لا يُخْلَفُ
وغَدتْ تنادينا نداء صادقًا
وفؤادها، من ضعفنا يتأفّفُ
لا تألفوا هذا الركونَ إلى العدا
فالمرء مشدود إلى ما يألَفُ
هزّوا سيوف الحقّ في زمن على
كتفيه من ظلم العدا ما يُجْحِفُ
عفوًا أبي فقصائدي مجروحة
تشكو معانيها وتبكي الأحرفُ
وقلوبنا مشحونة باليأس في
زمن يُداس به الضعيف ويُجْرَفُ
يتطلّع الأقصى إليّ وحولَه
عين تراقبه وسَمْع مُرْهَفُ
ويد مجمّدةٌ على الرشّاش لم
تُغسل بماء منذ ساء الموقفُ

في وجه صاحبها نفورٌ صارخٌ
وعلامة للغدر ليست تُوصَفُ
هذا هو الأقصى وطائرُ مجده
يشدو بألحان الهدى ويرفرفُ
تتحلّق الأعوام في ساحاته
حِلَقًا تسبّح للإله وتهتفُ
ويُقبّل التاريخ ظاهرَ كفّه
وبثوبه جسد العلا يتلحّفُ
واليومَ يرقبنا بطرف حاسر
ويداه من هول المصيبة ترجفُ
ما زال يدعو يا أبي وفؤاده
من كل معنى للتخاذل يأنَفُ
يا أمّة ما زال أنشد مجدها
شعرًا، يطاوعني صداه ويُسْعِفُ
المجد مجدُكَ إنما أزري به
راعٍ يتيه، وعالم يتزلّفُ
وشبيبة هجرت مبادئ دينها
وغدتْ لأفكار العدا تتلقّفُ

❁ ❁ ❁

يا زورقَ الأحلام في بحر الأسى
هذي يدي رغم القيود تجَدّفُ
وبوارجُ الأعداء تختزن الرّدَى
ربّانُها متطاولٌ متعجرفُ
واجهتُ يا أبتي الخطوبَ وعُدّتي
قَلبٌ عِصَامِيٌّ وحسٌّ مُرْهَفُ
وتوجّه للّه يجعل هامتي
أعلى، وإن جار الطّغاة وأسرفوا
أبتاه لن يحمي حمى أوطاننا
إلاّ حسام لا يُفَلّ، ومُصْحَفُ

❁ ❁ ❁

❁ هكذا يقول الحجر ❁

. . أنا الحَجرُ الثائرُ . .

مباركةٌ كلُّ ذراتِ أَرضي . .

وشَعبٌ على جُرحهِ صابِرُ . .

أُيا كُلَّ مَنْ خَذلوني . .

أُسائلكُمْ حيثُ كُنتُمْ . .

لِمَنْ تلكمُ الأَسلحَه؟!

كما جُثثُ الميتينَ . .

تُكدَّسُ في ظُلمةِ الأَضرِحه؟!

لِمنْ تلكمُ الطّائراتُ؟! . .

وتلكَ الصواريخُ . . وَالرّاجِماتُ؟! . .

لِمَنْ كُلها تُشتَرى؟!

إذا لَمْ تكُنْ درعَ أَوطاننا . . يا تُرى!!

لماذا بِوَجْهِ الشُّعوبِ تُلعلعُ بالموتِ؟! . .

لكن بِوجهِ العَدوِّ تَلوذُ إلى الصَّمتِ؟! . .

يا لَلْعَجبْ . . !!

تَبرأتُ منها . .

فما تِلكَ مِنْ شِيمِ الصّادِقينَ العَرَبْ . .

ولا هِيَ مِنْ دينهمْ تُحتسبْ..
تُباعُ بأَقْواتِ مَنْ كَممتهُمْ بقَيدِ الهَوانِ
وما حَرّكَتْها لِتحريرِ أَرضٍ يَدانِ..

أُجيزُكِ.. لا تَنهضي..
وَاترُكيني وَحيدًا..
هيَ الأرضُ أَرضي..
وَمِنْ رَحِمِ الأرضِ قَدْ جئتُ صُلبًا عَنيدا.
دَعيني لأُمي التي وَلَدتني..
أُدافِعُ عَنها..
أُجاهِدُ كل الغُزاةِ..
أُقبِّلُ في كلِّ يَومٍ شَهيدا..
دَعيني وَحيدا..
أُكابِدُ جُرحي..
وَأَحملُ كل هُموم الوطن..
دَعيني..
فَقَد عُجنَتْ طينَتي مِنْ عَجينِ المحنْ..
وإنّي لأَرفُضُ أَنْ تُحرِزي شَرَفَ الذَّودِ عَني..

بِغَير ثَمَنْ! . .
مُلَوثةٌ أَنتِ بالظُّلمِ . . بِالقتلِ للأَبرِياءْ
وأَرضي مُقدسَةٌ . . تَلفظُ الرِّجسَ . .
تكرَهُ كُلَّ ثِيابِ الرِّياءْ . .
وما لَوَّنَ الفَجرَ إلا دَمُ الأَوفياءْ
صِغارٌ . .
كِبارٌ . .
تُجَسِّدُ فيهم مَعاني الطَّهارَه
فَزُفوا لِتلكَ العُيونِ البَريئةِ منّي البِشَارَه
وَحيوا الزُّنودَ التي حَطَّمَتْ قَيدَها بالحجارَه . .
سَتعبقُ كل النَّسائمِ فُلاًّ وَعَنبرْ
وَتُنبتُ زَيتًا . . وزَعترْ . .
تَزينتِ الأرضُ مثلَ السماواتِ للقادمينْ . .
وهَشَّتْ دُروبُ التَّحررِ للفاتِحينْ . .
وكُلُّ الكَرامات . .
مَعقودةٌ فَوقَ ذاكَ الجَبينْ! . . .[1]

❁ ❁ ❁

(١) من ديوان «هكذا يقول الحجر» لأحمد محمد الصديق ـ ص(٣٤ ـ ٣٧) دار الضياء.

❁ حاذر أن تساوم[٢] ❁

ضمدي جرح الهدى الغائر يا غزّة هاشم
وافضحي الصّمت الذي شاخ بأوكار الهزائم
واشنقي اليأس الذي يحرسه سبعون حاكم
واعلني الحقّ الذي كانت تواريه المحاكم
فإذا ما كَشَفَتْ عن ساقها الحرب لقادم
وردوها فإذا هم عندها خير الغنائم

❁ ❁ ❁

أم بشعب خانع فوق رصيف العجز هائم؟
بيد النّخاس مثل العير يمشي وَهْوَ واجم
أَدَمْنَ الرّق فما تنقصه إلاّ الشّكائم
وثب البركان من مضجعه وثبة ناقم
وعلى الأغماد ثارت تلعن الحبسَ الصّوارم
أيّ سرّ جعل الأنّات أنغامًا بواسم؟
وخُطا الأطفال لا توقفها أعتى الرواجم

---

(١) للشاعر الدكتور يوسف أبو هلالة من «ديوان الانتفاضة» جمع أحمد الخاني ص(٤٠ ـ ٤١).

ولسان الحجر الصّامت فكّاك الطّلاسم
إنّه الإسلام فلتخرس أفانين المزاعم
جدر القوميّة اندكّت وخانتها الدّعائم
ولعلمانية الرّدّة نهر من شتائم
أيّ أمّ روحها فيح فلسطين المقاوم؟
تهب الأطفال أشلاء بنيها والجماجم
أي أطفال جناها وافر وَهْيِ البراعم؟
وعلى وقع خطاها أزهرت خير المواسم
أي حسناء الّتي بالحلي تُشرى والخواتم؟
خيرَ ما يدّخر القتل وما تخفي المآتم
أيها الشعب الذّي باهت به ساح العظائم
أيها الدّاعي الذي عزّت بتقواه العمائم
أيهّا المطلع ورد النصر من شوك الهزائم
كن مع اللّه ولا ترج العلا من سعي آثم
إنما المؤتمر الدّولي إفك متلاطم
علقم يحسبه الجاهل من أحلى المطاعم
كلّ من خاض به يقرع يومًا سنّ نادم
أيها الوثّاب لا غلّت مساعيك التمائم

نحن فرسان الشّعارات وأبطال الشتائم
نحن من سلّم كَفّ القدس شُذّاذ العوالم
إن صغرنا كالصراصير وهنّا كالبهائم
وغدا القادة في كفّ الأعادي كالدراهم
وارتمى الشعب على قارعة الأهوال ساهم
يرتقي من نعل جبّار إلى ركلة ظالم
فاحْتَضِنْ مصحفك الغالي وباسم اللّه قاوم
واضرب التجّار بالنار وحاذر أن تساوم

❁ ❁ ❁

❁ صوت حرة القدس[1] ❁

صائح صاح ينادي: أين حقي
يا نديم الضاد قل لي أين حقي؟
أنظر الأحداث حولي كيف كانت
وجراحًا ما وعاها اليوم شرقي
نام عنها في بلاد الغُرْب خِلٌّ
ونديم وأخ قايض صدقي

(١) للشاعر عبد الرزاق محمد صالح العدساني ـ جريدة القبس الأربعاء ١٦/٣/١٩٨٨ العدد ٥٦٩٠.

كـلـهـم راح يـغـنـي بـجـراحـي
وجراح الـقـلـب تـشـكـو أيـن حـقـي

❁ ❁ ❁

يـا رفـاقـي قـد جـرى دمـعـي نـهـرًا
وشـربـت الـكـأس بـالإذلال قـهـرًا
لا تـديـروا إن اردتم حـسـن فـعـل
لمـرامـي الـهـول بـالـهـيـجـاء ظـهـرًا
قد جعلت اليوم قبل العرس شرطًا
عـودة الأرض لـبـنـت الـقـدس مـهـرًا
ابـنـة لـم تـقـف عـيـنـاهـا الـلـيـالـي
تسأل الأحرار تبكي... أين حقي؟
ضاع مـا قـد كـنـت أبـنـيـه فـهـل لي
فـي ذراهـا مـن يـظـل الـيـوم ظـلـي
أغـريـب بـديـاري حـيـث أهـلـي
أم تـرانـي لـسـت أهـلاً لمحـلـي
أخـذوا صـافـي زلال المـاء قـسـرًا
وسـقـونـي كـدرًا بـالحـقـد يـغـلـي
لم تطقه في هجير الصيف عطشى
وحمول الماء يدعو... أين حقي؟

❁ ❁ ❁

كل من نادى وغنى في رباها
وبكاها ورثاها وحباها
وقضى الدهر بأن نحيا زمانًا
بائع الأعراض فيها يتباهى
وسبى مني ببعدي كل شيء
وبفضل الغرب مني قد سباها
هو يشدو وأنا أبكي رياضًا
وينادي رَغم هذا أين حقي؟

❁ ❁ ❁

لست أهلاً إن رميت الفعل قولاً
ورضيت الذل يومًا لِيَ مولى
وغفلت اليوم عن أمٍّ ثكول
وصغير فقد الأم وولى
دمعة حارت بعينيه لليل
وصباح ضم بالأشجان هولاً
ساهر يشكو ضياعًا واغترابًا
وبخوف راح يدعو... أين حقي؟

❁ ❁ ❁

أتقيمون لمأساتي نشيدًا
خلف سور ليس عن عيني بعيدًا؟

أتـرى أنـي بـشـعـر وخـطـاب
وحـكـايـات أقـيـم الـيـوم عـيـدًا؟
إن عـيـدي خـلـف أسـيـاف مـواض
وبـقـوم يـزرعـون الـكـرم عـودًا
لا وربـي لـيـس هـذا كـل قـولـي
إن قولي: أيـن حـقـي، أيـن حـقـي؟

❁ ❁ ❁

قد عـجـبـت الـيـوم: خِلٌّ قال عـنـي:
احـمـل الـسـيـف دفـاعًـا وأعَـنِّـي
أي سـيـف شـدنـي لـلـحـرب حـتـى
أنـشـد الأرض وأبـدي صـدق فـنـي
هـل عـرفـتـم لحـن أرضـي حـين أشـدو
أم تـراكـم قـد جـهـلـتـم حـسـن ظـنـي
أنـنـي أبـدي بـدمـعـي كـل شـكـوى
وأنـادي كـل صـدق... أيـن حـقـي؟

❁ ❁ ❁

انـظـروا مـن يـجـمـع الأحـجـار لـيـلاً
واعـرفـوا مـن يـطـعـم الأعـداء ويـلاً
إنـهـم فـتـيـة دار قـد تـبـاهـوا
لـم يـكـونـوا لـهُـتَّـاف الـقـول ذيـلاً

جعلوا الصماء تروي كل صدق
وعدوٌّ حاطهم بالحرب خيلاً
فاسمعوا من صاح في حزن مرير
يا بني أمي أروني أينَ حقي
لا تقيموا أمسيات باسم جرحي
بل أقيموا لي سراجًا فوق قرحي
فبه أردي عصابات الرزايا
وبه أبني على العلياء صرحي
يا أناس عصفت بي ريحُ غدرٍ
أخذت جمعي وأبقت نقص طرحي
كل قبح حملته وَهْيَ تَهدي
وتنادي بالحواني... أين حقي؟

❁ ❁ ❁

لا تذروا في ديار العرب جهدًا
لا تخلوا في روابي السعد عهدًا
بل أقيموا في دياري كل جهد
واجعلوا للعز بالضفة مهدًا
واصدقوني إن صدق الفعل سيف
وسهام لحنايا الحرب تهدى

واسمعوني حين أدعو وأنادي
في متاهات الرزايا... أين حقي؟
قد سئمنا ناب أوغاد الجناة
وبقاء العيش في جور الطغاة
يسرقون الأرض منا كل حين
وعلينا دفع أموال الجباة
ألزموني حقَّ حانٍ أحرقوها
لم أكن أعرف عنها في حياتي
سرق الأوغاد مني ما ادعوه
وربيب الحان يدعو... أين حقي؟
قيدوني بقيود وجراحي
أطلقوها كرفيق لنواحي
واستبدوا بعداهم واستباحوا
حرمة الأشراف قهرًا: وبطاحي
عمها رجس وبُعْدٌ من نديم
رغم بؤسي فَهْيَ داري ومراحي
كل ذرات بها راحت تنادي
يا بن حرف الضاد قل لي: أين حقي؟
فأخي بالقيد قد شدت يداه
وابن عمي في براثين عداه

يحتفي همًّا ويسقى كأس ذل
وجريح ليتني كنت فداه
كل صوت قد شدوت اليوم فيه
هو لحن من فؤادي قد شداه
آه يا بعد فما كنت طريقي
قل لمن يدعو ثبورًا... أين حقي؟

❁ ❁ ❁

إن صبحي في ظلامٍ رغم شمسي
مل آهاتي وصيحاتي وهمسي
أشتكيه جرح قلب من لظاه
بت أنسى ما جرى في يوم أمسي
وليومي صورة بالحزن قامت
لست أدري من جواها كيف أمسي
قلت دعني لا تقل لي كيف كنا
بل أجبني حين أدعوا... أين حقي؟
يا جريحًا خلف أسوار متينة
ضمد الجرح بصيحات المدينة
وبدمع من ثكول بك نادت
لا هناء بل شقاء لا سكينة

قد رميت الحب يا كرمة داري
كل ليث يحكم الشبل عرينه
ويل نفسي من جريح وحزين
ورضيع راح يشكو... أين حقي؟

❁ ❁ ❁

يا خليل الضاد يا خير البرايا
أين حقي منك في رد الرزايا
كيف يغفو جفن حر يعربي
عن عيونٍ خافرات وصبايا
قد حملن الموت في كف صغير
حقه الحناء لا رمي المنايا
صحن صيحات وحال النفس قالت
يا خليل الضاد قل لي: أين حقي؟

❁ ❁ ❁

❁ كفانا الشبل والحجر ❁

انشر على الأمن ما تشدو به الفكر
ولقّن الطير ما غنى به الوتر
لعلّ عينًا على نأي تعانقه
ويعذر الأهل من غابوا وما هجروا
وارسم بشعرك أمجادًا لموطننا
قد يبلغُ الشعر ما لا تبلغ النذرُ[1]
والشعر يومض في صبح وفي ظلم
ولا يضيء بغير الظلمة القمر
والشعر يسكن بحرًا موجه نغم
ويسكن الشعر مهزوم ومنتصر
مضى فيحلم بالأملاك سابحة
ويستفز فلا يبقي ولا يذر
واطرح عن الشعر تعقيدًا وفلسفة
فالشعر عطر به الأزهار تختصر
وخاطب القلب بالأفكار مرسلة
فالقلب يدرك ما لا يدرك النظر
وكل شعر له وحي وملهمة
ومُلْهم الشعر في يومي هو الحجر

(١) في الأصل «السور» فعدلناها تأدبًا.

أعمى أصمّ ولا نطق يبين به
لكنّه السمع للأحرار والبصر
يجول أهلي به في كل منعطف
على رؤوس لواها الكبر والبطر
كأنهم في منى والخصم مرجمهم
والناس من عرفات الخير قد نفروا
أجاءكم قدر حتى يبيدكمُ
وليس يفلت من يسمو به القدر
حتى حجارتنا الخرساء تطحنكم
فكيف أنتم إذا ما استنطق الحجر
يا قوم صهيون إنّ الدهر ذو دول
وليس يجحد ذا سمع ولا بصر
ومنتهى الأمر في أخراكُمُ سقر
ونحن في هذه الدنيا لكم سقر
كم ينصبون لنا فخّا لتصفية
لن يفهم الروم حتى تفهم البقر
في كلّ شبر بأرضي مجد موقعة
ذَلَّتْ لها الروم واستخذى هم التتر
فتلك حطين عند التّل شاهدة
وعين جالوت تروي بدعها السير

واليوم كالأمس: أهلي الشمس بازغة

وكلما ظن (علج) موتهم نشروا

ولن يصيخوا لغير السيف مسمعهم

ضل الفؤاد إذن واستحمق النظر

ما أجهل الظلم بالأحرار ثائرة

من مات منهم ومن لا زال ينتظر

وفي الشهيد حساب المجد من دمه

في ثورة الحق، والأحياء ما خفروا

وكيف يخفر حر ذِمَّةً سلفت

وذمة الحر لا ينتابها الضجر

ما أجهل الظلم بالأمواج هادرة

ما أجهل الظلم بالبركان ينفجر

يسمّر النار فيه فتية أنف

للمجد ما حصدوا للفتح ما ادخروا

إذا سرت بهم أيقنت أنّهُمُ

لموكب النصر والتحرير قد نذروا

باسم الإله لهم بدء ومختتم

وبالتوكل، لا زيغ ولا خور

ألقى الجهاد عليهم بردة عجبًا

دك المعاقل فيها قبلهم عمر

(إنا فتحنا) نداء الحرب عندهُمُ
إذا تعالت يكاد الصخر ينفجر
كالماء لينًا فإن مسّت كرامتهم
ما الليث في حرمة الميدان ما النمر؟
مجد الشهادة أنساهم متارفهم
صيد الرجال سواء فيه والدرر
ورُبّ ذي صلف والعار بردته
ورُبّ فاطمة بالمجد تأتزر
يا ذمة العرب بعض الصبر مهلكة
والمجد يخذل من يغلو به الحذر
والخيل تصهل غيظًا في أعنتها
من الفوارس قد أردى بها الخدر
يفلسفون لنا ما الجبن علّمهم
كأنهم، خسة، في جبنهم قبروا
ويعجبون إذا لم نَحْنِ هامتنا
لعاصف الريح والأهوال تنهمر
كأنهم جهلوا تاريخ أمتنا
أو أنهم علموا ما دبّر القدر
يا قوم إنا على العهد الذي صدعت
به الأحاديث والآيات والسور

﴿إن تنصروا اللّه ينصركم﴾ فلا تهنوا

والمجد يخذل من يغلو به الحذر

يمشون للموت إرضاء لخالقهم

ويخبتون إذا ما أقبل السمر

ولا تقيم الرؤى في عينهم أبدًا

تجذر الخصم أو مالت به السرر

فمبدأ الأمر أنّ الأرض قد سلبت

ومنتهى الأمر أنا سوف ننتصر

وأنّ أرضي من بحر إلى نهر

وأن بيتي عند السفح ينتظر

وأنّ رزعي لا يسقى بغير دمي

وأن جرحي منه يولد الشرر

بوركت يا ثورة الأشبال في وطني

وبوركت رحم من طهرها انحدروا

سقتهم النخوة الحمراء من دمها

فكل شبل بتاج البأس معتمر

وكل شبل كسيف لا قراب له

إلا الأخادع واللبات والسرر

يا قوم كفوا عن الشكوى لذي صمم

لا يسمع الصم إلا الصارم الذكر

واقلعوا عن نداءات (المعتصم)
(ومستباح) كفاناً الشبل والحجر[1]

❁ أقـــول ❁

أقول: إن الدجى أزرى بها الوضح
والمدلجون بدرب الظلمة افتضحوا

أقول: إن اللصوص السالبي وطني
تنصلوا من غرور الأمس واطرحوا

أقول: إن الألى باعوا القضية في
سوق النخاسة والتدليس ما ربحوا

أقول: إن «الكبار» اليوم قد سقطوا
أقول: إن «الصغار» اليوم قد نجحوا

أقول: إن نواميسًا هنا كسرت
مذ بات جيش الحصى للنار يكتسح

كل الحلول توارت عندها خجلاً
وللم الناصحون الغلف ما نصحوا

العنتريات ما أدنت لنا أملاً
ولا تبدّى بها شخص ولا شبح

(١) شعر: علي الحسن نقلاً عن ديوان «الانتفاضة» جمع أحمد الخاني ص(٥٥ ـ ٦٠).

كم طنطن الشعر ممدودًا ومنسرحًا
وفي فلسطين مد البغي ينسرح
حتى تكلمت الأحجار فانتكست
كل القوافي وأولى قوسه قزح
يوتر القوس لا تنبيض بعدك يا
يوم الكرامة هذا الحق يتضح
يا فتية في ربى أرض السلام بخ
بخ لكم أنتُمُ الآمال والفرح
يا ليتني إذ نأت عني عزيمتكم
غدوت صخرًا حوته القدس أو رفح
ما لي إليكم طريق يا رفاق ولا
لكم إلي تمادت بيننا الفسح
لأنتم البرء ما أخنى بروعته
زيف السياسات أو قانونها الوقح
مستنقع السلم لم يسبح به أحد
منكم إذ الواهمون الخرق قد سبحوا
لم تجنحوا لسراب في الفلاة ولن
تخزوا فلا تجنحوا حتى ولو جنحوا
آمنتُمُ بسبيل اللّه لا بيد
للشرق تمتد أو للغرب تنفتح

وللبطولة معنى في ضمائركم
لم تقتبس (مذحج) منه ولا (جُمح)
نبتّم في صميم الأرض ما لعبت
بكم رياح الألى للتيه قد نزحوا
واخترتُمُ الصعب حفظًا للإباء وقد
بخرتُمُ حلم الأمن الذي امتدحوا
وما عبئتم بفيتو ظل يلقمه
فَدْمٌ فم الكون إما جد مقترح
هزوا ببأسكُمُ منا ذوي خور
من لو أرادوا لكم نصرًا لنا سمحوا
هم الكماة الألى إذا ركلة حصرت
تحسروا وإذا ما سددت فرحوا
هم الذين عواء الريح يزعجهم
حتى إذا سمعوا ترنيمها صدحوا
عقولهم قد طغت والبحر محتدم
والليل يلأم ما أبطالهم جرحوا
هزوا إليكم بجذع ينتثر ثمر
أشهى ولا تيأسوا فالصبح ينشرح
النصر ألمحه من ذا العذاب بدا
والتمر أوله يا سادتي البلح[1]

(١) لأحمد يحيى بهكلي من «ديوان الانتفاضة» جمع أحمد الخاني ص(٦١ ـ ٦٣).

❁ العصر الحجري الحديث ❁

أيـها الـطـير الأبـابـيـل الذي يـهـوي هويـا
قـد تحديـت الطـواغيـت، ومـا زلت صـبيـا
أيـهـا الأعزل، قـد أفـزعـت جـبـارًا عتـيـا
واختـرعت الحجـر الهاوي اخـتراعًـا عبقـريا
جاعـلاً أشرف عصـر.. بك عـصرًا حجـريا

❁ ❁ ❁

أيهـا الصامـد أوغل، ارجم الـطاغوت، هـيا
أوجـع الغـاصـب رجمًـا وهـتافًـا جـهوريـا
صـيـحة الحـق صـداهـا يمـلأ الـدنيـا دويـا

❁ ❁ ❁

جعلـوا دربك مسدودًا، ورفـض الصلح غـيّا
والجـهـاد الحق، إرهـابًـا، وأمـرًا هـمجـيـا
وأداروا نـاقـع الـسـمّ، مـزيجًـا بـالحـميّـا
فـتـمـردت ذكـيـا...، وتقـحـمـت أبـيـا
أيـهـا الـفـاتح بـالأحـجـار دربًـا دمـويـا
وحده فـي الساح، لا يـرجو شقـيقًا أو ولـيّا
كلّـهم يـطمع أن يـغدو عـلى الطـفل وصـيّا

ورأوه في الحساب، الرقم الصعب العصيّا
أهملوه، نبذوه، أعرضوا عنه مليّا
كلما ظنوه قد مات، رأوه عاد حيّا

❁ ❁ ❁

أيها الماسح بالزهو، تجاعيد المحيّا
ثقل الذل على صدري وأوهى كتفيّا
أيها الطامر بالأحجار حلاً يتهيا
وارتواء من سراب، وضياعًا سرمديا
أيها القالب ميزان القوى شيًا فشيا
إن تك اليوم ضعيفًا، فغدًا تغدو قويا
لا يدوم الحكم للباغي دوامًا أبديا

❁ ❁ ❁

أيها الموجد للأزمة حلا منطقيا
حلُّك العادل، لا الحل الذي يملى عليا
قد غرقنا نحن في الذلّ، وما زلت نقيّا
وبخلنا، وتفرّدت، سخيًا.. أريحيّا
لا تفرّط لا تساوم، واحذر المكر الخفيّا
لا تهب أرضك للّص، فلن يعطيك شيا
اغرس الأقدام بالأرض، ورأسًا بالثريا

امض صديقا، شهيدًا، خالد الذكر، عليّا
فتمرّد، لا تطعهم، تبلغ الحق القصيّا

❁ ❁ ❁

قل لمن يلحف بالصلح، خؤونًا.. أو غبيّا
أنت إن آمنت باللّه، وصدّقت النبيّا
كل شبر في فلسطين سيغدو عربيّا[1]

❁ ❁ ❁

❁ بَرْقيةٌ مُتأخّرةٌ من الولد الفلَسْطيني للقمَّة[2] ❁

مَعذرةً.. إنْ جِئتُكم أقولْ
بكل ما تَخزنُه الحمامةُ البيضاءُ من جَوَى
وبكل ما تَملكه القُبَّرةُ الخَجُولْ..
بأنني لا أُتْقِنُ الرَّقْص على الحبل
.. ولا نفختُ ذاتَ ليلةٍ على (أرْغُولْ)

❁ ❁ ❁

من أجْل هذا جِئتُكم
.. مِنْ غير أنْ أمْلِك طابَعَ البَريدْ

---

(١) لمحمود عارف البارودي نقلاً عن «ديوان الانتفاضة» جمع أحمد الخاني.
(٢) لمحمود مفلح من ديوانه «إنها الصحوة».

أقُول في نَفادِ الماءِ الذي يَجُولُ في النَّسْغِ[١]
. . وفي حرارة الدَّمْعِ الذي يُضاجِعِ الأجْفَان
. . أقول في مَرارةِ الإنسان
متى نَصيرُ سادةً
. . وتَنْتَهي مَواقِف العبيدْ

❁ ❁ ❁

متى نُصوِّب السِّهامَ نَحْوهُم لا نَحْوَنا
. . ونُضْرِم اللَّهيبَ في خِيامِهمْ وليس في خِيامِنا
متى نُعلِّم الأطفالَ أبْجَدِيَّةَ الحُرِّية
. . وأنها من جَوْهَرِ العَقِيده
والموتَ في بَسَاطة من أجلها
. . . ولادةٌ جَديدهْ . . .
متى نَكفُّ عَنْ تَقْديم هذه القمامة الفِكْرية
. . لِهذه الأجْيالْ
فلم يَعُدْ في أرضنا رِمالْ
. . لِنَغْمِس الرؤوسَ مَرّةً أُخْرىٰ . .
. . ونُغمِض العُيون مَرّةً أُخرىٰ . .

(١) النَّسغُ: ماء يجري من الشجرة إذا قطعت، النسيغُ: العَرَق.

. . ونَمْتَطِي الخَيالْ!!

يا أيها السادة، بَلْ أيَّتها القادهْ

. . بل أيَّتُها القِمَمْ

لقد سَمِعْنا أنكم تُجاهِرون بالعَداء

. . لِكُلِّ مَنْ دَنَّس أرضَنا وكُلِّ مَنْ شَتَّت شَمْلنا

. . وكُلِّ مَنْ أذاقَنَا البَلاءْ. .

نَشكُركمْ نَشْكُركمْ. .

. . مِنْ غير أنْ نَطُوف بالأسْماء

لكِنَّني ناشدْتُكم بكل ما حقّقْتُموه مِنْ مَجْدٍ

. . وكل ما أغْدَقْتُمُوه مِنْ عَطاء. .

ناشَدْتُكم بالرِّحْلَةِ التي كنتم بها الرَّبابنَة

. . وكان شعبُكم بها الغُثَاءْ[1] . . .

هل العَداوَةُ التي تَضِجُّ في القاعاتْ. . .

كالْعَداوة التي تَدُبُّ فِي الخَفَاءْ. . . !؟

❁ ❁ ❁

لقد نَسِيتُ يا أيَّتُها القِمم

. . . بأنَّكم طِرْتُم إلى بَغْداد قبل عامْ

---

(١) الغثاء: ما يحمله السيل من رغوة ومن فتات الأشياء على وجه الأرض.

. . . وقَبْلَها طِرْتُم إلى الرِّباطْ
وما نَسِيتُ أنكم طِرْتُم إلى عَمّان
. . وكان ياما كانْ
وقد رأيت عِندها المُصَوِّرين والمعُلِّقين والمُنجِّمين والكُهَّانْ
عَشَيْتُ من ضَراوة الأشعةِ التي تُرسِلُها النُّجوم والتِّيجانْ
وقد سَمِعْتُ عِندها القَذائفَ المُباركه
. . تُطلقُها على رُؤوسِنا الصَّغيرة العَجفَاء
. . وُفودُنَا المُشاركه
مِنْ قبلِ أنْ نَمضُغ «قَاتَنا» ونَبدأ النُّعَاس
. . وقبلْ أنْ يَرْكبنا الوَسْواسْ

❁ ❁ ❁

أيّتها القممْ
. . في كل لحظة رأيتكم على الشاشات
عَفوكم فلم أجِدكم ذات مرة أمام فُرنِ حَيِّنا
. . تكافحون مثلما تُمارِس الدَّهماء
. . فنحن والرَّغيفُ أصدقاء
. . ونحن والرَّصِيفُ أصدِقَاءْ . .
. . لأنَّنَا الدَّهماء
وأنتُم المشاعِلُ الكبيرةُ التي تَشعُّ في السماء

❁ ❁ ❁

يا أيها الذين قاتلوا وحَرروُا «مَسجِدنا» الحبيب

. . يا مَنْ أعادوا للدِّماء لَوْنَها . . .

. . وللحياة ثَوبَها القَشِيب . .

يا مَن تُلَقِّنُونَنَا الأدوار .

. . مثلما تُلقنُ القُرودُ نَسلهَا

تُعلمونَنا الصُّراخَ والنُّباح والنَّعيق والنَّعِيب

. . . كُفُّوا عَن المُتَابَعه

. . وأوْقِفوا عَواصفَ الضَّجيج

. . لا وَقتَ للتَّهريجْ

أخافُ أن ـ يفُوتَنا الزَّمن

. . وما نزالُ في بلاهة الدُّيوك

. . نَنبشُ الدِّمن

❁ مليون توقيـــع[1] ❁

«تناقلت وكالات الأنباء خبر البرقية التي تنوي منظمة التحرير الفلسطينية رفعها موقعة بتوقيع مليون فلسطيني إلى الرئيس الأمريكي «ريجان» والرئيس السوفياتي «ميخائيل جورباتشوف» وإلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة أملاً في أن يحظى الشعب الفلسطيني بنظرة عطف واهتمام».

مُتْ يا ربيع فقد جفا المطرُ
واقرأ بيانك أيها الحجرُ
مليون توقيع وما سلمت
كفّ الجبان، ولا انتفى الخطرُ
مليون توقيع، وأمتنا
في ساحة الإغضاء تنتظرُ
مليون توقيع، وأمتنا
خط، وأشعار، ومؤتمرُ
مليون توقيع، على ورق
سيزول من تأثيرها الضررُ
والليل مفتول الذراع فلا
نجم يزينه، ولا قمرُ

(١) لعبد الرحمن العشماوي من ديوانه «شموخ في زمن الانكسار».

والقدس يشرب ألف ملعقة
من قسوة الباغي ويحتضرُ
ما زال يبصر ألف أرملة
تبكي فيذبل عندها الشجرُ
ما زال يلمح طفلة لبستْ
ثوب الضياع، فدمعها مطرُ
ومراكب الأحلام تائهة
ودموع قلب الحر تنهمرُ

❁ ❁ ❁

مليون توقيع، ونرفعها
برقية بالذل تختمرُ
ولمن؟ لريحان الذي احترقتْ
أوراقه، وتضاءل الأثرُ
ولمن؟ لميخائيل نبعثها
وفؤاده بالحقد ينصهرُ
ولهيئة الأمم التي عزفتْ
لحن الخداع فخانها الوترُ
إنّي لأسأل والفؤاد على
نار من الآلام تستعرُ
أوَ ما لنا فيما جرى عظة
أوَ ليس تنفع قومنا العبرُ

حتام نشكو حال أمتنا
لعدوِّها، والطّرْف منكسرُ؟

❁ ❁ ❁

برقية الأرض التي انتفضتْ
أوفى وأبلغ أيها البشرُ
أوَ ليس يكفي أن صِبْيتكم
كتبوا الحروف وسافر الخبرُ
هم وقَّعوها بالدماء ومن
بوابة التاريخ قد عبروا
الأرض، كل الأرض دفترهم
ودماؤهم حبر بها نذروا
ما زلت أبصرهم وقد رفعوا
تكبيرهم، فانزاحت الأطرُ
قد آمنوا باللَّه واعتصموا
وبكل باغ وظالم كفروا
أطفالكم، قالوا وما كذبوا
نحن الرعاة وغيرنا البقرُ
هذي حقائبنا، وما حملتْ
قرشًا، وبعض رجالنا تجروا
هذي حجارتنا وما جلبتْ
في مركب، ربّانه أشِرُ

من أرضنا بدمائنا اختلطتْ

نرمي بها الباغي وننتصرُ

إنّا نقول، وفي محاجرنا

دمع تحيّر كيف ينهمرُ

❁ قيامة الثأر[1] ❁

اليهود إخوان القردة والخنازير. . .

مشرَّدُونَ أَبدًا. .

وتائهون أَبدَا. .

مهما طلبْتُمْ لخطاكمْ سكَنَا،

مهما نَهبتُمْ في سُراكمْ وطنَا،

فالأرض تحت رِجْسِكم دَمارُ

وصمت قبرٍ، همسُه جبارُ

وحين ينقَضُّ لديه الثَّارُ

ستصبْحون بَدَدَا. .

محيَّرون أَبدا

وضائعون أَبدا

❁ ❁ ❁

(١) لمحمود حسن إسماعيل.

مشردون أَبــدا

وتائهون أَبــدا

ولعنة الأكوان تَجري في خُطاكم سَرْمدا..

ملءَ الدروب، والغيوب، باغتتكم رصدَا

ينسَلُّ من أَوزاركم، من كل أُفْق أَو صدَى

شبَّتْ سَدُومُ من حشاكم نارَهُ

وجرَّعتْكُمْ قبل «موسَى» عارَهُ

وفرَّقتكُمْ كي تذوقوا ثارَهُ..

.. في ظلُماتٍ أَنكرتْ من غيظها وجودَكم

وأَنْشَبت في الريح من أَصفادها قيودَكمْ

تقذفكم بَوْيلها، وليلها الضَّرير

في القلق المنبوذ تحت ضيعة المصير

في آهة مصلوبة على صدَى..

وصوت ذل مستطيرٍ ردَّدا..

مشتَّتُونَ أبــدا

مُفَتَّتُون أَبَــدا

❁ ❁ ❁

مشردون أَبــدا.. وأَبــدًا مشردين!

مضيَّعون أبــدا وسرمَدًا مضيَّعينْ!
بكل نور شَعَّ للإنسان، كنتم جاحدينْ
لكل إلهامٍ من السماءِ، رحتم مفسدين
لكل دين أرسل اللَّه، ذهبتم منكرين
عن كل شرع من نبي جاءَ، قمتم مُعْرضين
وكلُّ هادٍ مرَّ بالدنيا، وقفتم ناقمين..
«موسى» يناجي اللَّه فوق سينا،
وأنتمُ للعِجل ساجدينا؛
محيَّرين التِّيهَ أربعينا..
حتى نُسِخْتُم فيه أجمعينا!
وحين جاءَ خاتَمُ الهُداةِ
من النبِّيين إلى الحياة،
بذرتُمُ السُّمَّ على الراحات
وكنتمُ مزاحفَ الحياتِ
لمن سرى للنور في الآياتِ
فعاودتكمْ لعنة اللَّعْناتِ
وعدتُمُ للتيه والشتاتِ..
لا تبصرون في الضلال أحدا
ولو تَخذتُمْ كل إفك سنَدَا

الكون في طريقكم تبدَّدَا
والناس صاروا لعَنَاتٍ وعِدَا!!
ممزَّقون.. أَبـــدا
مطاردون.. أَبـــدا

❁ ❁ ❁

مشردون أَبــدا
وتائهون أَبـــدا
وفي يديكم لم يزل دم السماءِ ينزف الخطيئَهْ
على تراب لم تزل أَقداسه رغم الدجى مضيئه
مشى عليه عاركم بخطوةٍ أَفَّاقة دنيئه
متاهةً، دُنِّس طهرُ الكون من أرجاسها الخبيئَهْ
حطَّتْ بكم خيانةٌ ستحصدون ويْلها
ونوْبة للتيه، يوما تشربون ذُلَّها..
وتعبرُون دربكُمْ على نعوش «بابل»...
منذُ مراثى الذل تُشجى وخَزَة السَّلاسِل
وأَنتُمُ في كل أرض سيرة القلاقلِ
والغدر، والضياع، والشّرور، والمباذِلِ..
على سماءِ المسجد الأَقصى وفي محرابه

وفي سفوح جبل النار وفي هضابه
وفي ضفاف دجلة والبأس في عبابِهِ
وفي ثرى دمشق، في زمجرة لغابه
وفي حمى النيل، وهول النار في شبابه
في ثورة دكَّتْ ظلام الرق من قِبابِه..
.. قيامةُ الأحرار هبَّت للفدا
لتدفن اللصوص في غياهب الردَى
فيرجعــون للمــدَى
مشتَّتين أبـــدا
مضيَّعين أبـــدا

❁ ❁ ❁

مشرَّدُون أبـــدا
وتائهون أبـــدا
مهما استجاروا.. فالمجيرُ لعنة الأقدارِ
ولعنة الشعوب من سُراهم الغدارِ
ولعنة السماءِ في العشيِّ والإبكارِ
ولعنة الذل.. رمتها قبضة الأحرار
.. يومَ يدق الهول باب تائهٍ مشردٍ مخذُولْ

وتصبح الزنود كالرياح فوق تيه «إسرائيل»

تزفُّها للتيه من جديد

ملعونةً في خطوها الشريدِ

وراية النصر بكفِّ الثائرِ

تحدو ضُحاها عزمـات الناصر

تشدو . . وتشدو أَبـدا

مشردون أَبـدا

وتائهـون أَبـــدا

❁ رسالة إلى شارون ❁

ارحلْ عن القدسِ واتركْ ساحة الحرمِ
هل يلتقي الطهرُ يا خنزيرُ بالرممِ؟
كيف اجترأتَ على أرضٍ مُطهرةٍ
أسري بها خيرُ خلقِ اللَّهِ والأممِ؟
هذا الترابُ الذي لوثتَ جبهَتَهُ
ما زال يصرخُ بين الناسِ في ألمِ
لوثتَ بالعارِ أعتابًا مباركةً
وجئتَ كالكلبِ..في حشدٍ من الغنمِ
تاريخُك الآن بالأوحال نكتبُهُ
لكلّ أطفالنا..في القبرِ والرحمِ
يا أقذرَ الناس تلهو في مساجدِنا
وتَقذِفُ القُدسَ بالنيرانِ والحمَمِ
كيف اجترأتَ على أقداسِنا سفهًا
وجئتَ كالموت..بالحراسِ والخدمِ؟

❁ ❁ ❁

من حقكَ الآن أن تزهو بما فعلتْ
أقدامك السودُ بالصلواتِ والحرمِ
من حقكَ الآن أن تختالَ في سفهٍ
وأن تدوس جبينَ القدسِ بالقدمِ

من حقكَ الآنَ أن تَسْبِيَ مساجدَنَا
فسيفُكَ الوغدُ فوق الكلِّ مُحتكمِ
من حقكَ الآن ما دامَتْ عزائمنا
قدْ هدّها العجزُ واسترختْ إلى العدمِ
صابرا شاتيلا وأنهارٌ مسافرةٌ
من الدماءِ وأنّاتٌ بكلِّ فمِ..
في راحتيكَ دماءٌ أَغْرَقَتْ زمنًا
وجهَ الصغارِ وأذكتْ نارَ منتقمِ

❁ ❁ ❁

ارحلْ عن القدسِ واترك ساحةَ الحرمِ
لن يستوي القزمُ يا عربيدُ بالقممِ
منذ ابتلينا بداءِ السّلْمِ شردنا
بين الجموع خرابُ الأرضِ والذممِ
فالسلمُ بالعجز تابوتٌ ومقبرةٌ
وثوبُ عارٍ ودعوى كلِّ منهزمِ
والسلمُ بالسيف أوطانٌ محررة
ونخوةٌ في ضميرِ الشعبِ لم تنمِ
السلمُ أن يحرس الفرسانُ رايتَهُمْ
وأن نصونَ الحمى بالدم والقلمِ
السلمُ ألا نرى طفلاً يطاردهُ
سيفٌ جبانٌ وقناصٌ بسيل دَمِ

في كلِّ شبرٍ حزينٍ من شوارعنا
تبكي العيونُ دَمًا من سكرةِ الألمِ

❁ ❁ ❁

يا سيدي يا رسول اللَّه أرهَقْنَا
ضعفُ العزائمِ صار الشّبْلُ كالهَرَمِ
هذي الشعوبُ التي علمتها زمنًا
نُبلَ الفضائل في الأخلاقِ والقيمِ
سادتْ على الأرضِ والإسلام رايتهَا
وشيدتْ مجدهَا في موكبِ الأممِ
قد أثقلتها قيودُ العجزِ فانكسرتْ
بين التشتُّتِ والأوهامِ والسأمِ
يا لِلعُروبَةِ قد باعت فوارِسَها
واستبدَلتْ خيلَهَا بالعيرِ والغَنمِ
يا لِلعُروبَةِ قد شاختْ عزائمها
فأعلنتْ حربها بالشعرِ والحكمِ
كُهَّانُها في ليالي الأنسِ قد غرِقوا
وأسْكروا الكونَ بالأفراحِ والنغمِ
هم يمرحون مع الطغيانِ في سفهٍ
لم يحفظوا اللَّه في أرضٍ ولا نعمِ
في القدسِ شعبٌ عنيدٌ قام في شممٍ
بالثأرِ أقسمَ سوف يبرُّ بالقسمِ

يا أمـةَ الحـقِّ هُـبي الآن فـي غـضبٍ
كيفَ استكنتِ لذل العجزِ والندمِ؟!
أشـلاؤنا لم تزلْ في القـدسِ داميـةٌ
فـكل طـفـلٍ بـها يـغـفو على لَـغَمِ
يـا شعبَنا الحرَّ في الجولانِ في رفحٍ
عـند الخـليـلِ وفي لـبـنـانَ في الحـرمِ
إنّا على العهدِ عند القدسِ يجمعنا
فـجرٌ ولـيـدٌ بدا فـي صـحـوةِ الـهـمـمِ
فـلـنعتـصـم بلـواءِ الـلَّـهِ في جـلـدٍ
واللَّـهُ للحـقِّ دومًا خيرُ مُعْتـصمِ..

❁ ❁ ❁

مـحـمـدٌ يـا شـهـيـدَ الـقـدسِ يـا أملاً
ما زال يحبو كوجهِ الصبحِ في الظُّلَمِ
يـا درةَ الـعـمـرِ يـا أغـلـى مـبـاهِـجـه
أدمـيـتـنـا بـالأسـى والحـزنِ والـسـقـمِ
في وجهكَ الآنَ تصحو كلُّ مئذنةٍ
ضاقت بـهـا الأرضُ بين اليأسِ والحُلمِ
فـي قـبـرِكَ الآنَ بـركـانٌ يـحـاصـرنـا
ويشتكي عـجـزَنَا.. ويثـورُ بالحِـمَمِ
يـا صيحةً من ضمير الحقِّ أسكتها
صـوتُ الـضـلالِ وكـهـانٌ بـلا ذممِ

في عينكَ الآن مصباحٌ وأغنيةٌ
لكلِّ طفلٍ بريءِ الوجهِ مبتسمِ..
فكلُّ نقطةِ دمٍ أنبتتْ حجرًا
قد يكسرُ القيدَ أو يهوى على صَنَمِ
فاهدأ صغيري فإن القدس عائدةٌ
مهما تمادى جنونُ الموتِ والعدمِ
إن خانني الشعرُ في حزني فلي أملٌ
أن يهدرَ الشعرُ كالبركانِ من قلمي[1]

❀ ❀ ❀

(١) لفاروق جويدة ـ جريدة الأهرام ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٠م ص(٢٦)، مجلة القدس العدد ٢٣ ص (٦٣ ـ ٦٦).

❁ صورة مأساوية لا تنسى ❁

يا رامـــي.. اجـــلس يا ولـــدي
وتجنب قَـــصْـــفَهمُ الـــدَّامـــي
يا رامـــي.. اجلـس من خلـفي
لا تنهـــــض فالمـــوت أمامي
طلقـــاتُ رصـــاص، يا ويـــحي
الصـــــق في ظـــهري يا رامـــي
طلقـــاتُ رصـــاص، يا ويحـــي
ادخـــل في جسمـي يا رامـــي
احـذر فـالأرض بمـا صـنـعـوا
تتـــزلـــزل تحتَ الأقـــــــدامِ
طلقـــات رصـــاص.. يا أبتـــي
اسكـــت ـ يا ولـــدي ـ يا رامـــي
أفـــديك بروحـــي يا أبـــتي
أُسكت ـ يا ولـــدي ـ يا رامـــي
أحميـــك بجسمـــي يا أبـــتي
أُســـكت ـ اللَّه ـ هو الحـــامـــي
احـــذرْ يا ولدي قـــد فتـحوا
رشَّـاش الحـقـد المـتـنـامـي

طلقـــات رصـــاص.. صرخاتٌ

تـــرســـــم خـــارطـــة الآلام

طلقـــات رصـــاص وســـكونٌ

يتحـــدَّثُ عن مـــوت غُـــلام

طلـــقـــات رصـــاص يا ويـــلي

يـــا فلـــذة كبـــدي يا رامـــي

طلقـــات رصـــاص.. ما بـــالـي

لا أسمـــع صـــوتك يا رامـــي

يـــا فـــرحـة عمـــري يا ولـــدي

يا ســـرّ صـــفـــائي يا رامـــي

مـــا بالُ يـــديـــك قـــد ارتـــختا

مـــا بالُكَ تجـــمُدُ يا رامـــي

قـــل لـــي يا ولـــدي حـــدِّثْني

بـــالغْ في شتـــمي وخصـــامي

لكـــن يا ولـــدي لا تســـكت

لا تقتـــل زهـــرة أحـــلامـي

أنفاسُـــك يا رامـــي سكنت

سكـــنتْ أنفـــاسُك يا رامـــي

هـــل مـــات حبيـــبي هـل طُويتْ

صـــفـــحتهُ قبـــل الإتمـــامِ؟!

يا أهـــل النَّخـــوةِ من قـــــومي

مـــن يمـــن العـــرب إلى الـــشامِ

يا أهـــــل صـــــلاة وخشـــــوع

يـــــا أهـــــل لبـــــاس الإحرامِ

يـــا كـــلَّ أب يرحـــــم ابـــنًا

يـــا كـــلَّ رجال الإســـلام

يـا أهـــل الأبـــواق أجيبـــوا

يـا أهـــل السبـــق الإعلامـــي

يـــا هيئـــة أمـــم مُقْـــعـــدة

تـشـــكـــــــو آلاف الأورام

يـا مجلـــس خـــوف أحسبـــه

أصبـــح ماجـــور الأقـــلام

يـــا أهـــل العولمـــة الكـبرى

يـــا أخلـــص جـــند الحاخـــام

يا من سطَّـــرتم مأســـاتـــي

ورفعـــتم شـــأن الأقـــزام

يا أهـــل النَّخْـــوة فـــي الـدنيـــا

أو لـــســـتم أنصـــار ســـلام؟

أســـلامٌ أن تُســـرق أرضـــي

أن يُقتـــل فـــي حضنـــي رامي؟

مـا بالـــي، يتـــلاشى صوتـــي
لـــم أبصـــر جبهـــة مقـــدامِ
طلـقـاتُ رصـــاص.. أشـــلاءٌ
نـــارٌ كـــالحـــة الإِضـــرامِ
طلقـاتُ رصـــاص... صبُّـوها
إِنْ شئـــتـــم في قلبـــي الدامـي
صُبُـــوهـــا في هـــامة رأســـي
وجمـــيع عروقـــي وعظـــامـي
فالآن تســـاوت فـــي نظـــري
أوصـــافُ ضيـــاء وظـــلامِ
والآن تشـــابه فـــي سمـعـــي
صـــوت الرشـــاش وأنغامـــي
والآن سيمـــكـــث فـــي قلبـــي
لـن يـرحـل مـن قـلـبـي رامـي
لـن أنسـى نظـــرتـــه العَطْشَـى
لـــن أنســـى مَبسمَـــهُ الدَّامـي
لـــن أنســـى الخـــوف يعلِّـــقه
بـــذراعي اليمـــني وحـــزامـي
حـــاولتُ استجـــداء البـــاغـي
وبعـــثت نـــداء استرحـــام

لكـنَّ نـداءاتـي اصطـدمت

بجمـود قـلوب الأصـنامِ

هـل قتـلوا رامـي... ما قتـلوا

فحـبيـبي مصـدرُ إلهامـي

ما زال حبيبـي يـتبعـني

ويسـير ورائـي وأمـامـي

سـأجهِّـز إخـوته حتـى

يتـألَّـق فجـرُ الإسـلام[1]

(١) لعبد الرحمن العشماوي ـ مـجلة الوعي الإسلامي ـ العدد ٤٢٠ ـ سنة ٢٠٠٠م ص(٢٦ ـ ٢٧).

❁ سوف لن ننسى لكم هذا الجميلا ❁

ارفعوا أقلامكم عنها قليلاً
واملأوا أفواهكم صمتًا طويلاً
لا تجيبوا دعوة القدسِ
ولو بالهمس
كي لا تسلبوا أطفالها الموت
النبيلا!
دونكم هذي الفضائيات
فاستوفوا بها «غادر أو عاد»
وبوسوا بعضكم
وارتشفوا قالا وقيلا
ثم عودوا...
واتركوا القدس لمولاها
فما أعظم بلواها
إذا فرَّت من الباغي
لكي تلقى الوكيلا!

❁ ❁ ❁

طفح الكيلُ

وقد آن لكم

أن تسمعوا قولا ثقيلاً

نحن لا نجهل من أنتم

غسلناكم جميعًا

وعصرناكم

وجففنا الغسيلا

إننا لسنا نرى مغتصب القدس

يهوديًا دخيلاً

فهو لم يقطع لنا شبرًا من الأوطان

لو لم تقطعوا من دونه عنا السبيلا

أنتم الأعداء

يا من قد نزعتم صفة الإنسان

من أعماقنا جيلاً فجيلا

واغتصبتم أرضنا منا

وكنتم نصف قرن

لبلاد العرب محتلاً أصيلاً

أنتمُ الأعداء

يا شجعان سلم

زوجوا الظلم بظلم

وبنوا للوطن المحتل عشرين مثيلاً !

أتعدون لما مؤتمرا؟

كلا

كفى

شكرًا جزيلاً

لا البيانات ستبني بيننا جسرا

ولا فتل الإدانات سيجديكم فتيلا

نحن لا نشتري صراخًا بالصواريخ

ولا نبتاع بالسيف صليلا

نحن لا نبدل بالفرسان أقنانا

ولا نبدل بالخيل صهيلا

نحن نرجو كل من فيه بقايا خجل

أن يستقيلا

نحن لا نسألكم إلا الرحيلا

وعلى رغم القباحات التي

خلفتموها

سوف لن ننسى لكم هذا الجميلا!

❁ ❁ ❁

رحلوا...

أم تحسبون اللّه

لم يخلق لنا عنكم بديلاً؟!

أي إعجاز لديكم؟
هل من الصعب على أي امرئ
يلبس العار
وأن يصبح للغرب عميلا؟!
أي إنجاز لديكم؟
هل من الصعب على القرد
إذا ما ملك المدفع
يقتل فيلا؟!
ما افتخار اللص بالسلبْ
وما ميزة من يلبد بالدرب
ليغتال القتيلا؟!

❁ ❁ ❁

احملوا أسلحة الذل وولوا
لتروا
كيف نُحيلُ الذُّلَّ بالأحجار عزًّا
ونذلُّ المستحيلا[1] !

❁ ❁ ❁

(١) لأحمد مطر ـ الوعي الإسلامي ـ العدد ٤٢٠ ـ ص(٢٨ ـ ٢٩).

❁ الأقصى ❁

أراكَ بعيْنيَّ ملءَ البَصَرْ ... وألمسُ لمسَ البنان الحَجَرْ
فما عاد أقصى ولكن هَفَا ... وعذّبه الشوقُ حتى حَضَرْ
وعانقني وهو طَيْفُ الجمادِ ... فذاب الجمادُ وذابَ البَشَرْ
جرى في دمي نبضُه المستغيثُ ... فعذَّبني منه وخزُ الإبرْ
تَعلَّقَ بي يحتمي مِن أساهُ ... وغطّى عَلَى الدمع حتى انفجَرْ
وصوّرَ لي عالَمًا في مداه ... فتبكي العيونُ وتبكي الصُّوَرْ
وحدّثني عن جوارٍ عتيدٍ ... ومئذنةٍ عاشَ فيها القمرْ
وهل يستقر الجدارُ الرفيعُ ... ويبقى الشموخُ له والكبرْ؟
فهل يا ترى يكسر الغاصبونَ ... قواعد للحق لا تنكسِرْ؟
وهل هذه خاتماتُ الحياةِ ... تسوقُ لنا قاسياتِ النظرْ؟
وتبكي على قدسنا الذكريات ... ويغرقها دمعُها المنهمِر[1]

❁ ❁ ❁

ولله در القائل:

يا قدسُ تاه الأهل والأحبابُ ... وَعَدَتْ بأرضِ الأنبياءِ كلابُ
قدساه أرضُ النورِ دنَّسها الدجى ... والحق ضاع وتاهت الأنسابُ
قادت قرودُ الإفكِ قافلةَ الهدى ... وسجى بوجه النائمين ذُبَابُ

(١) لمحمد التهامي.

«ليكودُ» قاد عصابةً يعلو بها ... بالقدس مَكْرٌ محدِقٌ وحرابُ
طعنوا بها الشرفاء طعْنَ مذلةٍ ... فثوى بقدس المعجزات خرابُ
والقبة العظمى تسيل دماؤها ... والبيت يبكي وجدَه المحرابُ
وبدا اليهودُ بأرضنا وكأنهم ... أصحابُ أرضٍ ما لها أصحابُ!!

❁ ❁ ❁

❁ إنهم يسرقون القدس من معجم البلدان..!! ❁

شعر/د. سعد دعبيس[1]

سألتني.. في ثورة الأحزان ... أينَ تمضِي بِنَا.. رياحُ الهَوَانِ..!
عَصَفَت بي ريحُ النَّوى.. ذاتَ يومٍ ... ضائعٍ.. في مَتَاهةِ الأزمانِ
مُنْذُ أدركتُ.. أنَّني صِرْتُ رمزًا ... للمَنافِي.. وغُربةِ الأوطانِ..!
رقمًا.. صرتُ في الخيام.. وعُمْرِي ... حَسبَمَا قِيلَ.. كنتُ بنتَ ثَمانِ..!
مَولِدي.. نشأتي.. حياتي.. رمالٌ ... في صحاري الهوانِ.. دُونَ بيانِ..!
سألتني.. والدمعُ في مقلتيها ... أينَ ألقَى بيانَ تلك المعاني:
وَطَنٌ.. أسْرَةٌ صِحَابٌ.. وأهلٌ ... وانتماءٌ لمسجدٍ وأذانِ..!
أتُرَى.. زَيَّفُوا المعاجمَ حتَّى ... نَسيَ القُدسَ.. «مُعجَمُ البُلدانِ»؟؟
أيْنَ ألقَى في مُعجم اليوم.. رَسمًا ... لبلاد الإسراءِ والإيمانِ؟؟

---

(١) شاعر مصري معاصر، صدر له دواوين شعرية أحدثها ديوان: «حوار مع الأيام»، عمل في عدد من الجامعات العربية أستاذًا ورئيسًا لقسم اللغة العربية ـ مجلة الأدب الإسلامي العدد الثامن ـ ربيع الثاني (١٤١٦هـ) ص(٢٨).

وطنٌ.. مَسجدٌ.. أذانٌ.. صلاةٌ ... أينَ ألقَى بَيَانَ تلك المعاني؟؟
آهِ.. يا أدمُعَ الغريب.. إذا ما ... صارَ مَنفَاهُ.. داخلَ الأوطانِ..!
أينَ مَسْرَى الضياء.. حينَ تَهَادَى ... فَيضُهُ.. عَبرَ هذه الأكوانِ..!
حينَ كانتْ مآذِنُ القُدس بَدْءًا ... لاندماج السمَّاءِ بالإنسانِ..!
لانطلاقِ الضياء.. في كل أرضٍ ... حُصرَتْ بالقيود والقضبانِ..!
كيفَ أمسَتْ حدائقُ الضوءِ وكرًا ... مُستَبَاحًا.. للبُوم والغربانِ..!
يا ابنة الحُزنِ والنَّوَى.. لا تُرَاعي ... وأطلِّي.. فالفجرُ في الأفق داني..!
حينما تُسألين.. في أيِّ أرضٍ ... عن حُدود البلادِ والأوطانِ
عن بياناتِ مَوطنٍ وانتماءٍ ... عن زمانٍ لمولدٍ ومكانِ..!
فأجيبي.. دَعُوا المعاجِمَ تهذي ... وابحثوا.. في معاجم القرآنِ..!
رُبَّمَا.. تبصرون «فضلَ» فلسـ ... ـطين.. «بباب» الإسراءِ.. جَمَّ المعاني..!
رُبَّمَا مُفرداتُهُ.. ليس فيها ... مفرداتُ التزييفِ والبُهتَانِ..!
مفرداتُ «الشَّجبِ» التي قد ألفنَا ... والبقايا.. معروفةُ العُنوانِ..!
وطني.. حيث مُعجَمُ القُدسِ يَجْلُو ... مفرداتِ التحرير للأوطانِ..!
معجمٌ.. لا تَبينُ فيه المعاني ... في سياق من ذلةٍ وهَوَانِ..!
كُلُّ ألفاظه تعُودُ لِبَابٍ ... هو بابُ الجهادِ والإيمانِ..!
وأصُولُ «اشتقاقِه».. في ثلاثٍ: ... في صلاةٍ.. ومدفَعٍ.. وأذانِ..!
وطني.. قد وجدتُهُ.. هل رأيتُم ... نهرَ ضوءٍ مُجَنَّح الشُّطآنِ..!
ذاكَ قُدسِي.. ذاك الزمانُ اخضرارًا ... وربيعًا.. مُمَوسَقَ الألوانِ..!
وطني.. حيث سُورَةُ «الإسراءِ» ... فابحثُوا في معَاجم القرآنِ..!

❁ جرح مسافر فوق الريح[1] ❁

تحب عيوني أن تراك عيون
وأني لماء الكأس فيك مدين
شربت وراوني وقد كنت يافعًا
وعدت إليه والشباب فتون
توضأت ماء الكأس.. فاشتد ساعدي
وجاذبني حبل إليه.. متين
إلى أن رماني الغادرون وأصبحت
على قدمي مما رموه طعون
وإني وإن ضاقت عليّ أساوري
وضجت شمال منهما.. ويمين
أحاول في كل الشباك وأنثني
وأنت على كل الشباك عيون
تعاتبني أني نظرت لغيرها..
وأني على حبي لها.. لضنين
وفي الكعبة البيت الحرام أحبتي
وفيها على صرح الأمان أمين

(١) لداود معلا ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد الرابع عشر ص(٥٨ ـ ٥٩).

من القبلة الأولى أتيتك حاسرًا
أيا كعبة الإسلام كيف أبين
تحاصرنا الأيام والدارُ دارُنا
وتسخر منا أشهر وسنون
ولكنها القدس التي طال حزنها
وصاحت سهول حولها وحزون
أيا قدس لا تبكي فما زال عزنا
عقيدتنا.. والصعب فيك يهون
أسافر فوق الريح فيك وأهتدي
وحاديتي دنيا إليك.. ودين
فدنياي عمر منك فيك وهبته
وديني على الحق المبين مبين
ودنياي هذا الليل والفجر والضحى
وديني جهاد لا هوى ومجون

❁ ❁ ❁

أخاطب قلبي والرياح لواقح
تُغير وقلبي بينهن سفين
تطوف به الآهات وهي نوافذ
فيحبسها في الصدر وهو رهين

تزلزله.. يهوي ويصعد حاملاً
جراحًا لها بين الضلوع أنين
ويجتازها كالسهم حول حبيبة
لها قلب أمّ صادقٌ وحنون
وأهبط بين المسجدين وهاجسي
يحدّث نفسي والحديث شجون
وأمشي إلى ساحاتها وهي ترتدي
ظلالاً لسَرْوٍ ما لهن غصون
وفي الساح آبار كأنّ برودها
سُلالة نبع ماؤهنّ معين
حمائمُ تَرْحال وحل ورائح وغاد
وفرخ ناهض وسنونو
وأعدو إلى بئر تلاقى رِشاؤها
بدلو لها عطفٌ عليّ ولين
أقبلها والماءُ ينساب مثلما
تحدّر من صوب السحاب هَتون
أذي صحوةٌ يا قلب أم هذه رؤى
تمادى خيالٌ حولها وظنون
حبيبة قلبي هل هناك هنيهةٌ
فقد طال شوقٌ بيننا وحنين

تقوم على باب العرين فعالبٌ
لها جلدُ ليث والعرينُ حزين
ونحن جياعُ الأرض نطوي بطوننا
على كذب تأبى عليه بُطون
طَويتُ على باب الخليل عباءتي
فطار بها شلْوٌ هناك هجين
فأغمضتُ عيني كي أرى غيرَ مَا أرى
لعل من الماضي يُطِلُّ جبين
ولكنّ سمعي هزّهُ سيفُ ظالمٍ
له في عظام المسلمين رَنين
فهل سكنتْ للمسلمين جوارحٌ
وهل عميتْ للمسلمين عيون
وما جَزعي أني فقدتُ ملاعبي
وأنّ حصاني بينهُنّ سجين
ولكنه غابُ الجهاد كأننا
ربائبُ خِدْرٍ ما لَهنّ معين
أنادي صلاح الدينَ والمنبرَ الذي
بناهُ فيغشى جانبَيْه سُكون
لك اللّه يا أقصى فقد كنتَ باقة
من العزّ كم مرَّتْ عليكَ سِنونُ

أيـا قـدسُ يـا أمَّ الجـهـاد وروحَـهُ
فـداؤُكَ هـذا الـروحُ وَهْـوَ ثـمـين
ولـكـنّـه فـي بـاب ظـلّـك قـطـرةٌ
من الدمِ.. تروي النصر كيف يكون
دعيني أُري عينيكِ شمسي هاديةً
ولا تجزعـي إنْ ساورَتْـك ظـنـون
ففـي يـومـك الآتـي شـمـوسٌ وأعـينٌ
ورايـاتُ عـزّ نـصـرُهـنّ يـقـين
وسـاعـتَـهـا أيُّ الـفـريـقـين شـاهـدٌ
وأيُّ بـقـاع الحـفـرتَـيْـن دفـين
تُـجـمِّـعـهـم أقـدارُهـم فـي دُجُـنَّـةٍ
تـضـيـق بـهـا أرواحـهـمْ وتـهـون
فـوالـلّـه إنـا قـادمـون إلـيـهـمُ
كـمـثـل شـعـاع الـشـمـس حينَ تـبـين
فـتـعـشـى بـه أبـصـارُهُـمْ وقـلـوبُـهـم
وتـشـقـى بـه آجـالـهـم.. وتحـين

❁ ضحكت من نفسها العرب ❁

كَفكِفْ دموعك فالأبطال قد هربوا
في ساحة الموت لا تستشفع الرتبُ
فهل يفيد العلا دمع على طلل؟
أم يرجع الأرض قول: إننا عربُ
سيف الشعارات قد أدمى منابرنا
واليوم جارت على أوطاننا الخطبُ
ماذا تقول عيون الشعر في وطني
إذا ما تداعت على أهدابها الحجبُ
قالوا وللمتنبي حكمة سبقت
للجهل قوم وقوم للعلا نسبوا
يا أمتي إنهم بالضحْك ما قنعوا
فقتِّلُوا واستباحوا الفجر واغتصبوا
وابيضت العين من حزن فيا أسفى
مات الصباح فلا نور ولا شهب
هذي المساءات جرح في عقيدتنا
وسوف تنجدها النيران لا الكتب
يمّم فؤادك صوب القدس يا قلمي
تلك الجراحات ما عادت لها صخب

من يدمن الجرح لا شيء يؤرقه
والذل موت فلا مجد ولا لقب
استشفعوا اللص في بعض القطيع فلم
يقنع بما قدموه بعدما انسحبوا
يا أيها الهاربون استنظروا حجري
إني سأرجم بالأحجار من هربوا
فمن لأطفال «يافا» والحمى مِزَقٌ؟
ومن لشيخ يناجي الصبح ينتحب؟
ومن لغزة إذ سالت مدامعها
فوق الفرات وفي أحشائها لهب
بغداد عفوًا لئنْ ضلت قوافلنا
فقد تشابه في صحرائنا الكذب
وابن الوليد هلى أطلال خيمته
يبكي وما هاج في أصنامنا الغضب[1]

❁ ❁ ❁

(١) لرأفت محمد السنوسي ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد السابع عشر ص(٩٥).

❁ أمَّا نحن فلن ننسى ❁

صُبُّوا المِدادَ وأحكموا الصُّلحا ... وكُلُوا عليهِ الخُبزَ والملحا
صُلْحٌ حَوَاشِيهِ تَسيلُ دَمًا ... سَفحًا على الأوراق أو نَضْحَا
سَمُّوهُ ما شِئْتُمْ: مُهادَنَةً ... أو مَغنمًا سمُّوهُ أو فَتْحًا
قلتم: وَنَنْسَى كُلَّ ما اقْتَرفَتْ ... أيدي الجُناةِ ونَقْبَلُ النُّصحا
ننسى الجِراحَ وَكلّما خَمَدت ... أشعلتُمُ في قلبنا جُرحا؟
ننسى المَحاريبَ التي نُسفَتْ ... وفَلَحتُمُ ساحاتها فَلْحَا؟
ننسى؟! وما ننسى؟! مُخَدَّرة ... مِلتُمْ على أوداجها ذَبحا؟
والأمهات يَبدُونَ مِنْ وَلَه ... تَجري دمًا أكبادُها القرْحى
كَلاّ وألفٌ مِثْلُها أبدًا ... حتى نرُدَّ وُجوهكُمْ كُلْحَا
ونُثيرَ فوقَ ديارِكُمْ رَهجًا ... ونَدُكَّ منها الوَهْدَ والسَّفْحا
فكتائب «البوشناق» ما سَبَحَتْ ... عَبْرَ الدماءِ صُفوفُها سَبْحا
يا (عزُّ) يا عنوانَ عزَّتنَا ... لا تُعطِهِمْ عفوًا ولا صَفحَا
هُمْ خاذِلوكَ فلا تَثِقْ بِهِمُ ... أنت الحصيفُ فأذْكِها قَدْحا
ردَّ السلامَ المُرَّ عاصِفَةً ... نَكْبَاءَ والفَحْهُمْ بها لَفْحَا
خُضْها غِمارَ الموتِ لاهيَةً ... واجْمَعْ لها كَفَّيْكَ والرُّمحا
لو أُترعَتْ أنهارُنا عَسلاً ... وَتَكدَّسَتْ وديانُنا قَمْحَا
وتَدفَّقَ الدولارُ مُنْهَمِرًا ... طَفحَت خزائنُنا به طَفحَا
لو قيل نبنيها لكم ذَهَبًا ... ونُشيدُها صرحًا علا صرحا

فالثأرُ لَن تُطوَى صحائِفُهُ ... والحِقْدُ في الأعماقِ لن يُمْحَى
حتى يُعيدَ الحقُّ ـ مُتَّشِحًا ... بالسيفِ ـ مُظْلِمَ لَيْلَنَا صُبْحَا[1]

❁ ❁ ❁

❁ صرخة في زمن الصمت ❁

كفٌّ على باب الشهامة تطرق ... هل من مجيب خلف باب يغلق
قد أوصدوا الأبواب دونك أمتي ... ورضوا بتزييف السلام وصفقوا
وشبابنا خلف الضلال تسابقوا ... بس السباق ومن يفوز ويسبق
يا أمتي عذرًا فإن رجالنا ... لبسوا الحرير وبالحلي تطوقوا
أأقول صبرًا؟ كم أصبِّر أمتي ... والظلم يعبث بالنفوس، ويزهق
ماذا جرى حتى نبيع بلادنا ... والقدس تبكي والدما تتدفق
والمسجد الأقصى يُباع ضلالة ... بوثيقة فيها نذل ونُطرَق
ومساجد كان الأذان شعارها ... واليوم يقسمها السلام الأحماق
أواه يا قدسي الجريحة إنني ... بلظى الوثيقة والعهود سأحرق
أتضيع كل جهودنا بوثيقة ... وقرار من تبعوا اليهود ولفقوا؟!
يا من تعاتبني وما ترضى الذي ... نطق الفؤاد وما بعد وينطق
هل صادر الأعداء كل مبادئي؟! ... كلا فقلبي بالمبادئ يخفق
ما كنت أملك غير فيض قصائدي ... ولسان شعري بالحقائق يصدق
إن أسكت الدولار غير صاغرًا ... فقصائدي ومبادئي لا تخنق[2]

(١) للدكتور عبد الكريم المشهداني ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد الرابع عشر ص(١٣).
(٢) لعواطف الحجيلي ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد الحادي عشر ص(٩٩).

❁ النسر الشهيد ❁

ما رأَيْنا
أيهذا العابدُ المفتونُ شيْخًا
أنَّ صوَّامَ السنينَ الموجعاتِ
دون عُذْر
آخر الأيام، أفْطَرْ
ما رأينا
يا شموخًا كان يومًا
ضاربًا عرْض الفضاء
أنَّ نَسْرًا
صارَ للخفّاشِ عيْنًا
ترصُدُ الأحرارَ
في كلِّ سماء
ما رأينا
أيهذا الفارسُ المدبِرُ جهْرًا
أنَّ حُرًّا
طرَّز الأيام كرًّا
آخر الجولات أدْبَر
ما رأينا
أيهذا الحارث الممشوق قدًّا
أن ظريفَ الطولِ

منْ ذلٍّ
تَقزَّمْ

❁ ❁ ❁

هُمْ غَزَوْنا
عبْرَ أحقاد دفينة
واستعانوا بخلافاتِ القبيلة
وكما ترصُدُ أفعى
غيْبةَ الصّقر، عن الفرخِ، الصغير
باشروا بَلْع المدينة

❁ ❁ ❁

ما عساك
غيْرَ إحدى الحُسْنَيين
ما عساك بتَّ ترجو
بعدما فاضَ المشيب!!
تلك أولى القبلتين
في حصار لا يُطاق
شاقها السَّاري الأمين
كوكبًا فوقَ البراق
فمتى جبريل يدنو من سماها
بجنودٍ مردِفين مُنْزَلين؟

❁ ❁ ❁

أيها المرتدُّ عنْ فعل الشهادة
تُبْ عن الرّدةِ
رابطْ
هو ذا وكرُ قُرَيْظيٍّ دخيل
دِقَّ مسمارًا زُعافًا
تَحْتَ مدْماكٍ مُسمَّى
في جدَار،
في الخليل
فلْيكنْ نذرًا عليك
أيها المجبول من طين الوفاء
« لا مقام لليهود في المدينة
لا مقامَ لليهود في المدينة »
هل نراك
يا قوامًا تشتهيه البندقية
فارسًا صلدًا همامًا
دوّخَ الأعداءَ كرًّا وانتقامًا
رغْم صَخْر الهمّ،
والخصم المُقَوّى،
ظلَّ مغوارًا، مكرًّا
ما تَرَجّلْ!!
حينذاك

تنهض الأقواسُ،
تعلو في سماك
ثمَّ غارٌ يا عزيزًا
يعتليها في وقار
يخفضُ الأغصانَ ذُلاً
للأراجيح الصغار

❁ ❁ ❁

يا قرابين الفداء،
يا طيورًا هَدَّها الترحالُ في كل سماء
هل نَرانا
مثل سرب، لا فرادى
وخفافًا وثقالاً
نتبارى
نفتحُ الجرحَ على الأبواب
للأقصى اعتذارا
حينذاك
جملة الدم ستلغي كلّ بَنْدٍ
في مواثيق الخفاء[1]

❁ ❁ ❁

(١) للشاعر الفلسطيني أحمد فارس ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد الثالث عشر ص(٣١).

❁ تسعون عاماً من السقوط ❁

تسعون عامًا ننسج الأكفانا
قد مات من فرط البكاء بُكانا
وخدودنا كلت من الصفع الذي
نبكي به يا موتنا موتانا
ننسى مبادئنا لدى ميلادنا
يقتات جوع زماننا جوعانا
في يوم مولدنا تكون وفاتنا
في يوم سابعنا يكون عزانا
كم ليلة باتت لميس بها تشق
جيوبها وتقرح الأجفانا
أو لم نكن بالأمس أحرارًا فمن
يا أيها الزمن الحزين سبانا
من مزق الديباج عن أجسادنا
مَنْ مِنْ قطيفة سعدنا عرانا
كنا بنار الخزي نكوي غيرنا
واليوم من برماده أخزانا
باللّه يا حطين أين خيولنا
ودروعنا وسيوفنا ولوَانا

يا نخلة الصحراء أين صفاؤنا
ووفاؤنا وعفافنا وحيانا
أبكي ويبكي القوم مثلي غير أن
بكاءنا يا نخلتي بلوانا
عشنا يصوغ عدونا آمالنا
حتى وأدنا في التراب منانا
يا نخلتي أعداؤنا إخواننا
وعدونا ندعوه يا مولانا
دسنا علينا رغبة في وده
سقنا له أخلاقنا قربانا
الكل يعشو في الظلام وفي النهار
دليلنا في دربنا أعمانا
في كل مؤتمر نبيع عروضنا
بخسًا ويرأس وفدنا أغبانا
يا ليت ما دبّت عليه من الأديم
جسومنا يا ليته وارانا[1]

❁ ❁ ❁

(١) لحسن عبد الرقيب محمد ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد العشرون ص(٨٤).

❁ كائن بلا هُويّــة ❁

من أيِّ نهد شربتَ الصمتَ والوَجلا؟!
وأمّـهـاتُـك صَـيّـرنَ الـشـجـى أمـلا
من أين عمّمت هذا الذُّلَّ.. ما عرفتْ
أرضُ الشياهينِ لا نسرًا، ولا حَجَلا؟
في مقلتيكَ أرى «سَعْدًا» برايتِهِ
وفيلقًا «لصلاحِ الدين» مشتعلا
أرى احتملات معنًى كنت أجهلُهُ
ولم يكن عند من أغلاكَ محتملاً
من أنت؟. أُبْصرُ في عينيكَ أسئلةً
عويصةً، وهمومًا أَثقلتْ جبلا
من أنت؟ أَقرأُ في كفيَك مَلحمةً
موءودةً، وخيولاً كفّنتْ بطلا
كأنه ما أتاك الكون مبتهلاً
يومًا، ولا حُفّ بالنجوى ولا احتفلا
ولا ارتمتْ تحت رجليكَ النجومُ هوًى
والشمسُ ما شاطرتكَ الْبَوحَ والغزلا
من أنت؟ «عنترةُ العبسيُّ» أَلْمحهُ
في وجنتيكَ يُباري الخيلَ والأسَلا

كيف انحنى فيك هذا الرأسُ يا قمرًا
بزهْوِ عينيه كُنا نضربُ المثَلا
من أنت؟ ما قلتُ شيئًا.. كان يقتلني
بكل حرفٍ بهيٍّ كلَّما سألا
ما قلت شيئًا.. نكست الرأس مكتئبًا
وكنتُ أُطرق مما قالَه خجلا[1]

❁ ❁ ❁

❁ يبدأ الفتح ❁

يوم داسوا طفولةً وجدودا
وتناسوا دماءنا والشهيدا
يوم عافوا أسنة وجهادًا
ثم صاروا إلى اليهود عبيدا
ردد الفتح في القلوب انهمارًا
إنه السِّلم يلعن التهويدا
فجَّر الشِّعر في الكميّ كميًّا
حطم الليل والأسى والقيودا
أيها النبض حين تجري دماءٌ
في رُبانا أحبةً وحصيدا

(١) للدكتور صالح الزهراني ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد السابع عشر ص(٥٥).

يبدأُ الفتحُ فالشهيد مسيرٌ
ينشر النُّور والندى والجودا
يبدأ الفتح فالصِّغار شروقٌ
يملأ الأفق والزَّمان وعودا
يوم خلّوْا صغارهم ثم ولّوا
نحن ثُرنا حِجارة وجنودا
يهتف الزحف يا شموس بلادي
سوف تبقين في الوجود وجودا
والتباشير تزدهي في رؤانا
تغمر الكون والتَّباشير عيدا
خالد الفتح لم يزل في دمانا
وسيبقى إلى الدماء وقودا
يوم قالوا «بِسلْمهمْ سوف نحيا»
ردَّد السِّلم إنني لنْ أعودا
يوم ظنوا بقبلةٍ أوْ عناقٍ
قد تآخوا ولن أكون شريدا
ولنا القُدسُ فيضُ وعدٍ وثيقٍ
من يهود ولن يكونوا يهودا؟!
أَسرجَ القلبُ نبضهُ ثم نادى
«إنما يقرعُ الحديدُ الحديدا»[1]

(١) لجودت أبي بكر ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد الحادي والعشرون ص(٥٩).

❁ وردة في فم الحزن ❁

صوت يكبله السفر:
إني تعبت من السفر
خمسين عامًا ـ سيدي ـ وحدي أناضل
وحدي على أبوابهم.. وحدي أقاتل
خمسين عامًا في يدي تغفو القنابل
وأنا أسافر
وأنا السيوف.. وأنا القنا
وأنا الخناجر.
حتى نسيت بأنني بعض الخناجر
خمسين عامًا والمدافع في الأيادي منتنة
أكلت عليها الأزمنة.
فاقت قواها الطنطنة
فمن الذي قلب الأغنة أحضنة
إني سألتك سيدي
فابلغ سؤالاً لم يغادر موطنه
وأضف جراحًا
للجراح المزمنة
واكتب على لوح الصخر
إني تعبت من السفر
وكوت خيالي الطنطنة[1] .

(١) لحسن حجاب الحازمي ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد الثالث والعشرون ص(٤٠).

❁ إسرائيل «قنبرة خلا لها الجو» ❁

خـلا لـك الجـوُّ فـبيـضـي واصـفـري
ونـقِّـري مـا شـئـت أن تـنـقِّـري
حـقِّـري مـا شـئـت أن تحـقِّـري
وبـعـثـري مـا شـئـت أن تـبـعـثـري
خـلال لـك الجـوُّ أيـا قـنـبـرةٌ
فـدمِّـري مـا شـئـتِ أن تُـدَمِّـري
تـخـطَّـفـتْ صـقـورَنـا نـازلـةٌ
أوْدت بـهـا، وأنـزلـتـهـا «المشتري»!
نـازلـةٌ ظـالمـةٌ كـاذبـةٌ
خـاطـئـةٌ فـي عُـرْف كـل الأعْـصـر!
سـتـعـلـمـين فـي غـدٍ إذا انجـلـتْ
عـن الـصـقـورِ سـورةُ المـسـيـطـرِ
أن الـبـقـاءَ لـلـذي مـبـدؤه
الحُـكـمُ لـلَّـهِ الـعـلـيِّ الأكـبـر[1]

❁ ❁ ❁

(١) لهشام صالح القاضي ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد الحادي والعشرون ص(٩٦).

ولله دره وهو يقول:

نُذُرٌ تلـوحُ فتنـــــذرُ وخطى النصيحةِ تعثر
والمُنْـــذَرون مغيبـو ن على الحقيرِ تجمهروا
والمنذِرون مكـممون، فـلا الحقيقةُ تظهرُ
والصامتون عن الحقيقة جُلُّهم مستأجَرُ!
والمجرمون يقهقهون، وفجرنا يتقهقر
إن البروق إذا تتابع ومضها فستمطرُ![1]

ويقول أيضًا:

اشْدُ يا قمريُّ واشْكُ قلّة الماء القراحْ
هذي الدوحة تأبى الطير يسمو للنجاحْ
تسكُنُ الغربانُ فوق الغصن والطيرُ الكساحْ
لتغنّي بنعيقٍ فَيُسمَّى بالصُّدَاح
وترى الصقر الذي قد كان رفرافَ الجناحْ
ذلك الكاسِرُ مكسورًا يُنَحَّى بالرِّماحْ![2]

❁ هذا الفتى ❁

يرنو لموطنه الفتى ولهًا
ويحصده الردى
وكأنهم قد أدركوا

(١) لهشام صالح القاضي ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد الحادي والعشرون ص(٩٧).
(٢) المصدر السابق.

مذ تابع الصوت الصدى
أن الفتى عشق الردى
وبصوته قد ردّدا
اللّه أكبرُ، والعدى
قد أدركوا
أن الفتى عشق الفدا
قد أدركوا إن لم يمت
فستأكل الريحُ الزروع
وستحصد النار المدى
فتجمَّلي بالصبر
يا أم الفتى
هم فجّروه ولم يمت

❁ ❁ ❁

هذا الفتى
في الصباح قاوم، في السماء
هذا الفتى
هزم العدى
فتجمّلي بالصبر
يا أخت الفتى
هذا الفتى حرق الغزاة بناره، إيمانه
وبسيفه حصد العدى

هذا الفتى
في القلب أضرم موقدا
في الروح أسكن مسجدا
هذا الفتى
فتح الطريق إلى النضال
وسيفه قد جرّدا[١] .

❁ ❁ ❁

❁ المســـرى ❁

رعى اللّه أيامًا تعود إلى الذكرى
إلى المسجد الأقصى.. وآيته الكبرى
سرى خير خلق اللّه ليلاً فأَمَّهُ
فحييت من سار وحييت من مسرى
هي القدس من كالقدس شعبًا وأمة
فأجبالها خضر.. ووديانها خضرا
مباركة قبلاً.. وبعدًا وحيثما..
توجهت تأتي من مداخلها.. البشرى
وجاء الصليبيون حقدًا وثارة
فعاثوا بها بطنًا.. وطافوا بها ظهرًا

(١) لنضال قاسم ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد العشرون ص(٨٠).

وجاء صلاح الدين آية أمة
فأشبعهم عفوًا.. وأخرجهم قسرا
ومرت عقود والعدو يريدها
ليزرع فيها الظلم.. والقهر.. والكفرا
وجاءت يهود الأمس تبني حصونها
مؤامرة.. تتلو.. مؤامرة.. أخرى
وهنا نحن.. والأيام تكشف نفسها
فليس لهم أمر.. فنبدي لهم أمرا
فواحدهم يأتي اللقاء مكابرا
وأنفاسه حرى.. أعينه حمرا
يصافح باليمنى .. وتأبى عيونه
وخنجره المسموم في يده اليسرى
نمد له منا يدًا مستقيمة
فيلوي بها غيظًا.. ويطعننا غدرا
ولو أن صف المسلمين موحد
ورايتهم تعلو عليهم لما استجرا
وقد ضاقت الدنيا وذل عزيزها
وصارت لياليها وأيامها خسرا
فيا أيها البيت المهيب ألم تزل
دماء أخي.. والكفر ينحره نحرا

تسيل على طول المسيل وأمه
تصيح وعين العلج.. تنظرها شزرا
ويا أيها البيت المهيب إلى متى
تحملني وزرًا.. ولم أقترف وزرا
ولكنني أدري وان كنت غائبًا
بأن ليس عذرا ما أقدمه عذرا
ولكنه الأقصى حبيبي والمسرى
وإن كان موتي في معابره أحرى
وهل أمل إلا الشهادة حوله
أموت بها عشرا فأحيا بها عشرا
زلفت إلى «باب العمود» فجزته
إلى «باب خان الزيت»[1] فاحتبست عبرى
فقلت أيا عمرًا سفحت كثيره
وظل قليل.. كيف أحتمل العمرا
وكنت وكان الليل يطوي سكونه
فأسعى إلى الأقصى أصلي به الفجرا
وما زال في نفسي أريج وإنني
لأقسم إن ضاع يملأني عطرا
وأنظر حولي والمكان طفولتي
وبعض شبابي جاهد الهمَّ والقهرا

(١) مدخل إلى سوق قديم داخل المدينة.

فأينَ هُما عينا أبي تنظرانه
وقد قال من يأتي عليلا هنا يبرى
ومِنْ صبرنا نُخفي الليالي نجرُّها
على كبد مما نكابده.. حرّي
ومما تعلمنا من الصبر أننا
مللنا. . وحتى صبرُنا لم يعد صبرا
وأمي.. وطافت بي سنينٌ مليئة
وعمرٌ.. وشوق بات يفضحني جهرا
لك اللَّه يا أمي.. وماتت حزينة
وأسبلت الدنيا على قبرها سترا
تموت وإني ها هنا أرفع الحصى
وتسأل عني وهي في الضفة الأخرى
وضج حنين أيُّ عيش أعيشه
وضج نخيل يسأل الماء.. والنهرا
أما من لقاء بينما الموت ماثل
وما من وداع بينما عبرتي حسرى
توزعنا الأيام شرقًا وقِبلةً
وتمنع منا البعض أن يبلغ الجسرا
أنبكي.. وقد تُبكي الرجال مواقف
ولكنها في الحرب تحتمل الجمرا

أقـول لـكـل المـؤمـنـين تـذكـروا
بـأن لـنـا يـومًـا مع الـسـاعـة الـكـبـرى
وأن لـنـا يـومًـا كـأن سـمـاءه
بـغـيـر سـمـاء لا ضـيـاءً ولا بـدرا
ولـكـنـه يـوم سـيـأتـي وإن بـدا
بعيدًا.. وفي طياته يحمل النصرا
فـيـقـتـل هذا الحقد فـيـهـم ويـنـثـني
ليقتل هذا الزيفَ والحيفَ.. والكبرا
كـأني أراهـم كـيـف تـدمـي جـنـوبُـهـم
وكـيـف يـرون الـبـحـر مـن ذعـرهـم بَـرا
وتـسـلـك رايـات الجـهـاد طـريـقـهـا
إلى حد يوم البعث والنشأة الأخرى[1]

❁ ❁ ❁

❁ صليل الحجارة ❁

إيه هُبي يا حجارةْ
دندني الإعصارَ، صُوغي لحنَهُ المجنون رجمًا وإغارة
واعزفيه نغمًا أهوجَ في عُرْف شياطينِ الحضارَةْ
صوتُك العذبُ شجاعُ الوقع جَعْجَاعُ العبارةْ

(١) شعر داود معلا ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد (٢٢) ص(٧٦ ـ ٧٧).

إيه هبي يا حجارة ـ واعزفيها كصليل السيف إرنانًا ووقعا
كاحتدام الدرع بالأرماحِ والأسياف قرعًا
عيّ إرْنانُ السيوفْ
وصهيلُ الصافناتِ
وخَبا لمعُ العوالي في الدياجي الحالكاتَ
وعُيوني لم تَعُدْ تلمعُ وَمْضًا لفتيلْ
لم يَعُدْ يُطربُ أسماعي صليلٌ أو صهيلْ
فاملئي سمعي بقرع يقدحُ الهامات قدْحَ المُورياتِ
لم يعد يُطربُ هذا السمعَ ضَبحُ العادياتِ
وعيوني لم تعد تلمحُ نقعَ الذارياتِ
والمغيراتِ معَ الصُّبحِ إذا لاحتْ إشارَةْ
يا لثاراتِ الحجارةْ

❁ ❁ ❁

لم يَعُدْ يُطربُ أسماعي صليلٌ أو صهَيلْ
بعدَ أنْ شنّفَ سمعي صوتُ إرْنانِ الحجارةْ
يا لثارات الحجارة
وبُطولاتَ الإغارةْ
لم يعدْ للقوم في عهد «ابن وقاص» ومن عهد «المثنى» معْمَعَةْ
لم يعد للسيف والأرماحِ تلك القَعْقَعَةْ
لم يعدْ للخيل فرسانٌ ولا للحربِ تلكَ الجعْجَعَةْ
لم تعدْ حَمْحَمَةُ الخيلِ تناجي وتحاورْ

فاعزفيها يا حجارةْ
دندني الإعصارَ، صوغي لحنَهُ المجنونَ رجمًا وإغارةْ
واعزفيهِ نغمًا أهوجَ في عُرف شياطين الحضارةْ
صوتُك العاتي شُجاعُ الوَقع قُدسيّ العبارةْ
اجعليه صرصرًا أو زَمْهريرا
أو سعيرًا قد تشظّى قَمْطريرا
ثم صُبّيهِ أجيجًا مُستطيرا
في وجوه كالحات شَوّهَتْ وجْهَ الحضارةْ
علَّ وجهَ الحقِّ يزْهو بالنضارةْ
وزغاريد الحجارة
تسمع الدنيا أغاريد البشارة[1] .

❁ ❁ ❁

❁ أطفال الحجارة والعالم الجديد ❁

صوتك الرائع أمسي
يبدع العالم أزهارا وظلا
يغسل الأشياء بالفرحة
يكسو
صمتها الموحش إشراقًا ونبلاً

(١) شعر: نبيل محمد أضبّاشي ـ أديب سوري ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد (١٥) ص(٤٥).

يبعث الكون جديدًا . . ألثغ الأضواء
طفلا
يمنح الإنسان إنسانًا جديدًا
وفصول العالم فصلاً خامسًا
ينساب أزهارًا وظلا .
بَعْثنا أنت . . صَحَوْنا، فوجدنا
قبرنا الصامت أطيارًا وحقلاً
غدنا الثائر في الأفْق أطلاّ
ذات يوم . . رن صوت
قيل : من؟
قالوا : فدائي على الأرض أَهَلاّ
فجأة والليل صمت عدمى
وفراغ ـ تائه الأنجم ـ أعمى
وبقايا من سراجٍ
واهن الأضواء يسري
في خيام الليل يسري
يترعُ الأشباح أحزانًا وهمًّا
يعصر الأكفان للسارين ـ قيثارًا ونجما ـ
ذات يوم
في بقايا . . من خيامٍ
مزّق الإعصار للظلمة وهما

قيل: مَنْ؟
قالوا: فدائي على أرض الأسى أشعل
عزمًا
حملته عاصفات الحزن
في ليل.. شتائي الأسى
يصرخ حقدا
لم يعانق ليلة الميلاد أما
لا.. ولا عناق أشواقًا ووجدا
لم يشاهد غير ليل
يشبع الأنجم أكفانا ووأدا
أرضعوه الصمت والصحراء
ما عانق أزهارًا ومهدا
ذات يوم
أصبحتْ ريْحُ الصبا.. نارًا.. وإعصارًا
غدا صمتُ الأسى
برقًا.. ورعْدًا..
ذات يومٍ.. صاح صوتٌ
فوق زَيْفِ العالمِ المُنهارِ:
«إني لست عبْدا»..
لم يعدْ سادنُ هذا العصر
غُولاً

يَعصر الأحزانَ . . للعالم . . خَمْرا
لم يعدْ
حفّارَ قبرٍ
يبصر العالم . . أكفانًا . . وقبرا
لم يَعُدْ سفّاحَ ليلٍ
يصنعُ التاريخَ . . أغلالاً وقَهْرا
مَنْ تُراه . . غيّر العالم حتى
صار للإعصارِ
قيثارًا وفجرا
آه يا صوت الفدائي تدفق
لهبًا ثائر النبرة حرا
مزق الظلمة . . مزق
وانتزع من لبها الوحشي فجرا
حطم الأغلال . . حطم
وانتزع ما شئت قرا
واغسل العالم من زيف
وأعط العدم الفارغ فكرا
شاه وجه العالم المنهار فاكشف زيفه
واهدم على الأطلال قبرا
ولتكن هدمًا جديدا
أخضر المعول هدامًا أغرا

شد ما تحتاج أيدينا لفأس
تمنح العالم معنى
تزرع الأيام إيمانًا وطهرا
حين يبدو الكون فوضى ونشازا
يصبح الهدم انسجاما
يصبح البركان قيثارًا وشعرا[١] .

❁ ❁ ❁

❁ ولي أن أغنّي لعرسك . . ❁

«تحية إلى روح الشهيد»

شعر: طاهر العتباني[٢]

ولي أن أهيّئَ في القلب شكل الحروفْ
ولي أنْ أجمِّعَ سربَ الظباء على . . .
ربوة القلبِ . . أنثرها في المراعي . . .
الخصيبة . . حيث النزيفْ
ولي أن أزفَّكَ للحور في أحرف الشعر . . .
يا أيها الوردة المستحمةُ في دَمها القرمزيِّ . . .
الشفيفْ
ولي أن أُلَمْلِمَ جرحَ الأناشيدِ . . .

(١) للدكتور سعد دعبيس ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد ١٩ .
(٢) «مجلة الأدب الإسلامي» ـ المجلد الأول ـ العدد الرابع ص(٢٢ ـ ٢٣).

أتلو جميع المراثي . . .
وأقرأ عن لغةٍ للبطولةِ . . .
أعزفُ لحن الوفاء الرهيفْ
ولي . . أيها السيْفُ . . .
أن أشتهي دمدماتٍ من البرقِ . . .
والريح . . تقطف هذي الرؤوس . . .
التي تستريح على مخدع الوهمِ . . .
قد حانَ وقْتُ القطوفْ
ولي أن أسامرَ رُوحكَ . . .
في أفقها المتضمِّخِ بالعِطْرِ . . .
والضَوْءِ . . .
في وخزات السيوفْ
ولي . . أن أناجيك عبر القفارِ . . .
(السنين المليئة بالمِيْن) . . .
أن أصطفي من حروفي حَرْفًا،
يُهامِسُ قلبكَ خَلْفَ الحتوفْ
ولي . . .
أنْ أرصِّعَ بَعْضَ السطورِ . . .
بعطر الدماءِ الزكيَّةِ عِنْد المساءْ . .
ولي أن أشاهدَ في لوحةِ الشفقِ . . .
المغربيِّ . . . بكاءَ السماءْ

وبعضًا من الطيرِ ترجع متعبةً...
من رحيلٍ طويل وراءَ الضياءْ
ولي أن أغني لشمسكَ...
وَهْي تودِّع هذا الفضاءْ
ولي أن أهيم وحيدًا،
ولي أنْ أناديك، هل تسمع الآنَ...
هذا النداءْ
ولي أن أغني لعُرْسكَ...
يا وردةً من عطاءْ

❁ ❁ ❁

المناراتُ وجهكَ....،
والمساجد صوتكَ....،
حين تكبِّر فيها الصفوفْ
والتلاوةُ...
ـ حين تسافِر في الأفق ـ ....،
تعلن: أنك حَيٌّ...
وأنك ما زلت تطفر في الريحِ...
والبرقِ...
ما حَاول القلبُ أن ينثني للوقوفْ
آه... يا أيها المنتمي للظلالِ الوريفةِ...
يا أيها المنتمي للحروف الرهيفةِ...

يا أيها المنتمي للمآذنِ. . .
حين يدوِّي صداها الأليفْ
آه. . . كم يحمل القلبُ من ذكرياتكَ
كَمْ يحمل الليل من عزماتكَ. . .
حين يصول الظلام المخيفْ
آهِ. . . يا قدسُ. . . يا لغةَ الجرحِ. . .
يا شارة الدَّمِ. . .
يا مَوْسمًا للعصافير. . .
حينَ تهاجرُ في زمن الإغترابْ
آهِ. . . يا قدسُ. . . يا روحَهُ الظامئَهْ
حين طارَدهُ الأغبياءُ. . .
وحين اصطفَتْهُ الشهادةُ. . .
وَهْو الذي كان مثل الشهابْ
قد عرفنا رثاء الشيوخ. . .
وما قد عرفنا رثاءَ الشبابْ
قد عرفنا انهزام الجيوش. . . ،
وما قد عرفنا صمودَ الجحافِل. . .
في بطلٍ واحدٍ مُسْتهابْ
قد عرفنا: لماذا الوهنْ؟
ليستبيح الوطنْ
ويلف الخرائط بالخوفِ. . .

في أمسياتِ المحنْ
قد عرفنا . . . ، ولكننا يا أخا البرقِ . . .
والريح . . . ،
ما قد عرفنا الأعاصيرَ كيف تموجُ . . .
لتقتلع اليأسَ من أرضنا والعفنْ

❁ ❁ ❁

الربيع على شفتيك يغرِّدُ . . . ،
والطير من كل صوبٍ تجيءْ
والأناشيدُ من روحك المستريحةِ . . .
ـ في الخُلدِ ـ . . .
من وجهك اللؤلؤيِّ البريءْ
قِصَّةٌ للحسام الفتيِّ الجريءْ
والكآباتُ تغمر وَجْه الذين يلوحونَ . . .
في سِجْنةٍ لا تضيءْ
الكآبات تغمر وَجْهَ الألى عملوا
ليظل المدى مرتهِنْ
ويظل اليهود يعبثون في الأرض . . .
هذا الفسادْ
ويظل الحدادْ
فوق وَجْه «فلسطين» يكسر الوهادَ . . .
ويكسو النجادْ

وتظل الأمومةُ في وطني
زهرةً من عنادْ
وتظل البحارُ تسافرُ فيكَ. . . ،
وفيها تهاجرُ دونَ ابتعادْ
ويظل الجوادْ
الجواد الذي أسْرَجَتْهُ دماؤكَ. . .
يطفر في كل هذي البلادْ
وتظل العصافيرُ في كل يومٍ،
تحلِّق حول دمائكَ. . .
ترحل في ظمأٍ للغروبْ
وتظل المواجدُ في قلبي. . .
المشرئبِّ الكئيبْ
دمعةً من سهادٍ،
وأنشودةً للغريبْ.

❁ ❁ ❁

❁ عنترة يبكي على أطلال القدس ❁

هل غادر الباكون من مُتَنَدَّم
أم هل عرفت القدس بعد المأتم
دارٌ لأحزان العروبة مُرَّةً
ومثابةُ الآهِ المريرة في فمي

نامت على شفة اللهيب جراحُها
وصحتْ على جثث البواسل ترتمي
هي آهة البُرَآء تغلي فوقها
صرخاتُ عُرْبٍ واستغاثة مسلم
تغتال في فمي البيانَ فأنتهي
في نهر حُزْنٍ ظلَّ ينبعُ من دمي
بالأمس غَنَّيْتُ البطولةَ باسمًا
واليوم يغتالُ البكاءُ تبسُّمي

لما رأيت على الجسور كرامتي ... عبث اليهود بها كسَبْيِ المغْنَمِ
وسمعت في الأذان مرثية العُلا ... وجنائزيَّ اللحنِ والموتَ الظمي
أحرقتُ كلَّ مفاخري بعروبتي ... وسكنت للأحزان كالمستسلم
وجعلت أنزف ذكرياتي باكيا ... وأخطُّ آهاتي برسم مخيَّمي
اليوم لا أرجو سقاية دارنا ... كلا ولا أدعو لعبلةَ بِاسلمي
يا دار قدسي بالبلاء تكلمي ... وعمي مساء مستكين الأَنْجُمِ
فيه البدور تبادلت بنياحها ... كأس البكاء المرِّ مطلولِ الدم
فيه السماء تمور من أحزانها ... وتُريق دمعا منه شعري معجمي
فيه البلابل مزّقت أوتارها ... ثكلى مُرَوَّعَةً فلم تتكلم
فيه الجداول سُلْسِلَت أمواجها ... والشهد في فمها بطعم العلقم
يا دارُ أين النورُ؟ أين بهاؤه ... أين الربيع على شفاه البُرْعُم
أين الغناء يزفُّ شمسَ فخارنا ... أين البلابل في بديع تَرَنُّمِ؟

آمالنا النشوى تجف غصونها ... والنور يقضي تحت نير المجرم
والنجمة الغرّاء ضل طريقها ... وبسيارات المجد ضاعت أسهمي
هلاَّ سألت القدس يا بنة يعربٍ ... إن كنت نائمةً بليلٍ مظلم
يخبرك من زار المدينة ليلة ... والقدس تغلي فوق جحر الأرقم
أن الذي حفروه بين ضلوعنا ... بركان حقد لليهود مدمدم[1]
سيكون قبر المعتدين ونارهم ... قبل التلوّي في لهيب جهنم
وسيحشر الطغيان في أحشائه ... حشر القمامة في ثنايا قمقم
تلك المآذن حبليات بالمنى ... وعن العلا أرحامها لم تَعْقُمِ
سيعيد جيش النور في عليائها ... «اللّه أكبر» محو عاري بَلْسمي
تغريدة الأمجاد، قنديل الضحى ... نطق الصباح بها فلم يتلعثم
حتى نرى الأحجار تدعو مسلمًا ... خلفي يهوديٌّ إليه تقدَّم
ونرى المدينة في زفاف ربيعها ... والمسجدَ الأقصى طليقَ المِعْصَمِ[2]

❁ ❁ ❁

❑ **يقول بدوي الجبل**[3] :

يا سامِرَ الحي هل تغنيك شكوانا ... رقَّ الحديدُ وما رقُّوا لبلوانا
هل في الشآم وهل في القدس والدةٌ ... لا تشتكي الثكل إعوالاً وإرنانا
والخيل في المسجد المخزون جائلةً ... على المصلين أشياخًا وفتيانا

(١) في الأصل مكتّم بدلاً من مدمدم.
(٢) شعر: مصطفى محمد السواحلي ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد (٢٢) ص(٨٧ ـ ٨٨).
(٣) بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) ـ انظر ديوان «بدوي الجبل ـ دار العودة ص(٨٣).

ويقول الشاعر[١] :

ألف طفل عربي راح في القدس ضحية . . .
تحت سوط الهمجية . . .
ألف عذراء عليها شقت الأبواب كرهًا . . .
ألف سمراء صبية . . .
أُعدِمت ذات عشية
أحرقوا دميتها في راحتيها . . .
فقأوا عينيْ أبيها . . .
بقروا بطن أمها داسوا عليها
بقروا كل البطون القرشيةْ
شوّهوا كل الوجوه العربيةْ
طمسوا كل التواريخ الأبيةْ

ويقول الشاعر : « أحمد فرح عقيلان» في قصيدته : «إلى شعب فلسطين»[٢] :

حماكَ اللّه شعب المعجزاتِ ... مثالاً للفداء وللثبات
تآمرت الحياةُ عليك حتى ... عشقت الموتَ من كُرهِ الحياةِ
وأثخن ظهرك الإخوان طعنًا ... فما غيّرت أخلاقَ الأُباةِ
ورنّ بثغره الزاكي هتاف ... فداء المسجد الأقصى حياتي

(١) عبد المجيد القمودي ـ ديوان زغاريد في علبة صفيح ص(١٢٠).
(٢) من ديوان «جرح الإباء» لأحمد فرج عقيلان ـ منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ـ ص(٩٨).

حماك اللّه كم لك من صديقٍ ... تكشَّفَ عنْ عميل مخابراتِ
تستَّر بالعروبة في نفاقٍ ... وعاش على التجسس للعداةِ
ولو أن الخيانة من عدوٍّ ... لهان عليك تأديب الطغاة
ولكن الخناجر قد تهاوتْ ... تنوش حشاك من كل الجهَاتِ
أمام نحورنا طعن الأعادي ... وخلف نحورنا طعن الثقاتِ
سلو السفّاح عن ذبح الحبالى ... ومجزرة النساء الوالداتِ
سلوا في دير ياسين اليتامى ... أَيُدْرَكُ ثأرهم بمفاوضاتِ
وهل يُرجَى من السفّاح سِلْمٌ ... وماضيه دماءُ المسلماتِ؟
وهل نرجو وفاءً من لصوصٍ ... تجارتهم ليالي العاهرات؟
تُباح بناتهم بحطام دنيًا ... وشرُّ الناس تُجَّارُ البنات
أما رَسموا مطامعهم جهارًا ... من الدلتا إلى نهر الفراتِ[1]

يا قدس يا قدس:

يا قدسُ يا قدسُ طال الوعدُ وانتفضت ... أجسامنا تحت السيف مختضبا
كم شارعٍ في سوار القدس منتظر ... أقدامنا وهي تعدو تملأ الرحبا
وزهرة في جبين السور مزهرة ... تدعو الرجال إلى أعرافها رغبا
يا قدس يا مُلتقى التاريخ ما بعدت ... عنك النفوس ولا وجدانها اغتربا
إذا نظرت إلى الأقصى يعاتبني ... أطأطئ الرأس في محرابه أدبا
يا قدس أنت ندائي كلما دمعت ... عيني وأنت ضيائي كلما رحبا[2]

---

(١) جاء في توراتهم المُحرّفة ـ سفر التكوين، إصحاح ١٥، عدد ١٨!! «لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات». وعلى جدار الكنيست اليهودي كُتب: «من الفترات إلى النيل أرضك يا إسرائيل».

(٢) «من قصيدة «صبرا وشاتيلا.. وبيروت» لداود معلا من ديوان «الطريق إلى القدس» ـ عمان ـ ص(١٣).

❁ هناك بلادي ❁

❑ **يقول هارون هاشم رشيد:**

هناك هناك وراء الحدودْ
هناك بلادي تراث الجدودْ
تئن من العار عار اليهودْ
وتصرخُ أقداسها بالوجود

❁ ❁ ❁

هناك تنادي عليّ التِّلالْ
تقول حبيبي حبيبي تعالْ
وألف حنين وألف سؤال
يشق إليّ عنان الخيالْ

❁ ❁ ❁

وخلف الحدود تلوحُ قرانا
تكادُ على بُعدها أن ترانا
تكاد تشق إلينا الزمانا
فما عرفت للمعالي سوانا[1]

❁ ❁ ❁

(١) من قصيدة «هناك بلادي» ـ من الأعمال الشعرية الكاملة لهارون هاشم رشيد ص(٢١).

❁ عربيةٌ يا قدس ❁

يقول هارون هاشم رشيد:

عربية يا قدسُ حتى ولو بغى ... الباغي العتيُّ، وأفحش المستعمرُ
هيهات والإسلامُ أنت مناره ... ولواؤه والملتقى والمحشرُ
عربية يا قدسُ أطلقها الأُلى ... حملوا الأمانة مخلصين وكبّروا

❁ ❁ ❁

عربية يا قدسُ مخطوطٌ على ... وجناتك الحرف الكريم مسطَّرُ
عربية (اللّه أكبر) تعتلي ... قمم الجبال الشامخات وتنذرُ
تبقين ما بقي الزمان عزيزةً ... يا قدسُ مهما حاولوا أو دبّروا

❁ تنادي ربوع القدس أبناء أمة ❁

وفي موطن الإسراء قد عاثت العِدَا ... وزادت على مرِّ السنين مصائبهْ
تنادي ربوعُ القدس أبناء أمةٍ ... وتشكو احتلالاً قد توالتْ مثالبهْ
تظلُّ الأيَامى تتّقي بأكفّها ... وتسكبُ دمعًا ساح في الأرض ساكِبُهْ[1]

ويقول زاهر الألمعي:

يا ثالث الحرمين إن العهد في ... أعناقنا قد صار عهدًا أكبرَا
لهفي عليك وللسياسة مكرها ... أَتُباعُ في سوق الطغاة وتُشترى؟
ويشيد أبناءُ اليهود بِغيِّهم ... فوق الربوع الطاهرات معسكرا

(١) ديوان «الألمعيات» لزاهر الألمعي ص(٤٨) ـ مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

أتُداسُ أقداسُ الجدود تعنّتًا ومساجد التقوى تُهانُ وتُزدرى؟
والمسجد الأقصى يُخَضَّبُ بالدِّما والكونُ كلُّ الكون أعمى لا يرى؟
أوَ يترك الأقصى بنُوه مُكبَّلاً لا تستفزّ له العواصِمُ والقرى؟[1]

❑ **أين الغيورُ؟:**

لم يُرتَّلْ قرانُ أحمد فيه ويُزار المبكى ويعلو الفجورُ!!
هل درى جعفرٌ فرقَّ جناحاه إلى المسجد الحزين يطيرا!
ناجت المسجدَ الطَّهورَ وحنّتْ سدرةُ المنتهى وظلٌّ طهورُ
يا لذلِّ الإسلامِ والقدس نَهْبٌ هُتِكت أرضُه فأين الغَيورُ؟!

❑ **نعم أين الغيورُ:**

أيرضى بنو الإسلام مسرى رسولهم لأهْوَنِ مَن فوق البسيطة يُوهَبُ

❑ **أين الغيورُ؟:**

❑ **قال الشاعر «محمد التهامي»:**

من قال إنا الوارثون لأمةٍ
أضواؤها غَلَبتْ ضياء الفرقد؟
رفعت لواءَ النور في كبد الدجى
فانجاب ليل ظلامه لم يَصْمد
وتدفَّق الإيمانُ من أعماقها
فانْداح فوق الكون نورُ محمَّدِ

(١) ديوان «على درب الجهاد» ـ لزاهر الألمعي ص(٢٢٩) ـ مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

وَهَوَى جميعُ الظالمين كأنهمْ
جاؤوا إلى سَاحِ الفَناءِ بِمَوْعِدِ
ما زالَ هذا النورُ يَنظر نحونا
فلعلَّ في الأحفادِ من لم يرقدِ
يَضوي يؤرِّقنا يهز لُغَاتنا
يُلْقي شواظَ النار فوقَ المرقَدِ
يشتدُّ في (الأقصى) يهز بناءه
يَطْوي بِساطَ الأرض تحت المسجد
ويشد حر ترابنا من تحتنا
لنعب إن عشنا ضياع مشرد
لم يكْفنَا يومًا نذيرٌ واحدٌ
فأتى النذير بوابل متعدِّدِ
دَقت رياحُ الهَوْلِ فوق رؤوسنا
بمطارقٍ تَفري عَصِيَّ الجلْمدِ
ورؤوسنا بضلالها مَفتُونة
وكأنها نسيت شريعة (أحمدِ)
النور وَهْوَ النورُ في أعماقنا
قد ضاع بين مُهاترٍ ومُعرْبِدِ
فمتى يعود التائهون لِبرِّهِمْ؟
فالبر عن آفاقنا لم يَبعد

لـم يـبـق شيء نـسـتـثـار لأجـلـهِ
جـاز الـتـبـجـح طـاقـة الْمُـتَـجـلّـدِ
مـسـرى رسـول الـلّـه هَـزَّ كـيـانـه
ومشى بساحتِه ذِئابُ (المَعْبَد)[1]

❁ وا قدساه ❁

القدس بكاءْ
روح تنبض فيها الأشجانْ
عينٌ تتمزّق والمسجد
يتململ في أسر الفُجّارْ
القدس رجاءْ
يطوي ليل الإرهابِ إلى ليل الإسراءْ
يتحسس رايات محمد
وكتائِبَهُ عبرَ الصحراءْ
القدس دُعاءْ
القدس يرتِّل في محنته آيَ القرآنْ
يتشبثُ بالحلم الغضبانْ
فغدًا ينفد صبر البركانْ
ويعود العاشر من رمضانْ

(١) من قصيدة: «الشاعر إقبال بين جدران المسجد الأقصى» للشاعر محمد التهامي ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد (٢٣) ص(١٤ ـ ١٥).

ويثور نفيرْ
ويضجّ المسجد بالتكبير
وتضيء منارته البيضاءْ[١]

❁ صوت شهيد القدس ❁

فيم احتشادكُمُ هذا لتأبيني ... أنتم أحقُّ بتأبين الورى دوني!
فيمَ انتظاركم والحق حقكم ... يُعدى عليه ليُعطى للملاعينِ
لا تندبوني فإني لم أمت ضرعًا ... فإن علمتم عليّ الذلَّ فابكوني
وإن تريدوا لوجه الحق تكرمتي ... فابغوا الشهادة للدنيا وللدينِ
فابن الوليد على اليرموك يرقبكم ... وليث أيوب يرعاكم بحطين[٢]

❁ يا عروس المجد ❁

يا عروس المجد تيهي واسحبي ... في مغانينا ذيول الشهب
ما بلغنا بعد من أحلامنا ... ذلك الحلم الكريم الذهبي
أين في القدس ضلوعٌ غضة ... لم تلامسْها ذنابي عقربِ؟
وقف التاريخ في محرابها ... وقفة المرتجف المضطرب
يا روابي القدسِ يا مَجْلَى السنا ... يا رؤى عيسى على جفن النبي
دون عليائك في الرَّحْبِ المدى ... صهلةُ الخيل ووهج القُضُبِ[٣]

---

(١) من قصيدة «عودة رمضان» لغازي القصيبي من ديوانه «أنت الرياض» ص(٨٣) ـ دار العلوم ـ.

(٢) من قصيدة «صوت شهيد» لعلي أحمد باكثير ـ من كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية» جـ٩ ص(٦١) ـ لأحمد عبد اللطيف جدع ـ مؤسسة الرسالة.

(٣) «يا عروس المجد» من ديوان «عمر أبو ريشة» (١/ ٤٤٧).

❑ لا صلح يا قومي وإن طال المدى:

لا صلح يا قومي وإن طال المدَى
وإنْ أغار خصمنا وأَنْجَدَا
وإن بقـى وإن طغى وإنْ عَدَا
وروّع القدسَ وهدّ المسجدا[1] .

❑ صلاح الدين بطل حطين ومحرر القدس:

والقدس عين المسلمين ونورها ... ولها تُشَدُّ وتضرب الأطنابُ
ولسوف يأتيها الرجال فلم يَمُتْ ... فينا صلاح الدين والخطّابُ[2]

❑ ولله در داود معلا وهو يقول:

يا قدسُ أين الذي يحمي حماكَ ومَنْ ... يسير بالروح لا بالرَّاح والجَبَبِ
أين الفداءُ وهل في شعبنا بطلٌ ... ذكرتني بصلاح الدين عن كثب؟
لقد أتاكِ صلاحُ الدين من بلدٍ ... ناءٍ يجرُّ سرايا جيشه اللجب
وارح يضرب أعناق الغزاة ولم ... يثن العنان إلى أن فاز بالغَلَبِ[3]

❑ ويقول «محمد الروسان» عن فتح صلاح الدين للقدس:

وزحوف من رجالات أتت ... لرحاب القدس تجتث الصعابا
هرعت للحق للأقصى وهل ... غيرها عَزَّتْ وأسقتنا شرابا
فاسألوا إن شئتم حطيننا ... وخذوا من يوم حطين جوابا

---

(١) من قصيدة علي أحمد باكثير «إما نكون أو لا نكون» انظر مهرجان الشعر الثامن ص(١٩٣).

(٢) من قصيدة «لا يا نزار» لداود معلا ـ ديوان «الطريق إلى القدس» ص(٣٠).

(٣) المصدر السابق ص(٥٥).

وصلاح الدين سيف مصلت ... من سيوف اللّه سلما واحتزابا[1]
شرفا تحمله أنفسنا ... وشعارًا جاوز النجم انتصابا[2]

لو قرأنا التاريخ ما ضاعت القدس:

لو قرأنا التاريخ.. ما ضاعت القدس
وضاعت من قبلها الحمراء
ذروة الذل أن تموت المروءات
ويمشي إلى الوراء الوراء
ومضى القرن.. والغزاة مقيمون
وتاريخ أمتي أشلاء
مضى القرن.. والمآذن تبكي
والمحاريب كلها خرساء

صلاح الدين.. وما أدراك ما صلاح الدين؟!

وإلى حطين والثاوي بها ... قم تأمَّلْ زهو محراب المنون
وصلاح الدين روح خالد ... سوف يحيا عندما البعث يحين
ولئن غابت لحين شمسه ... فشعاع الشمس وضاءٌ دفين
فارس في مقلة القدس وفي ... موطن الأقصى له ذكرٌ مصون
ما صلاح الدين إلا شرفٌ ... وفخارٌ فوق آفاق القرون
فاسألوا حطين فخري فأنا ... في هوى حطين هيمانٌ أمين

(١) احتزاب: المقصود وقت الشدة أو الحرب أو في استخدام السلاح.
(٢) من ديوان «على دروب الكفاح» لمحمود الروسان ص(٨٢).

يقول: «حسن القرشي»:

أين نور الدين في الوادي السعيد؟
وصلاح الدين
يُعلِي
راية النصر العتيد؟
الصليبيون
قد عادوا بأرضي يعبثون
ولداري ينهبون!
الصليبيون لا؟
بل هم أشر؟
هم نفايات اليهود
وسلالات العبيد[1].

واحترق الأقصى:

تكشَّفَ الأمرُ عن حقدٍ وعن لهب ... وشبّت النار في ميراث خير نبي
وطأطأت هامة التاريخ من خجل ... وديس في الترب عزُّ الشرق والغرب
وقهقه الكفر في لؤم وسخرية ... لما رأى القدس يذري دمع منتحب
يا من رأى القبلة الأولى وقد حرقت ... نفسي الفداء لذاك المسجد الحزبِ
بكت له الكعبة الأولى شقيقته ... ومادت الروضة الغرّاء من غضبِ
اللَّه أكبر هل ماتت رجولتنا؟! ... وهل خبتْ جذوة الإسلام في العَرَبِ

(١) من قصيدة «أشعلوها» لحسن القرشي ـ من ديوان «نداء الدماء» (٢/ ٢٦٨).

لو كان في العرب إسلامٌ لما شقيت ... منازل الوحي بالأوثان والصلبِ
ولا تركنا على رغم ومجبنةٍ ... مسرى النبي لأفّاقٍ ومغتصبِ
يا مسلمون لقد عُدْنا بلا وطنٍ ... ولا تراثٍ ولا مجدٍ ولا حَسَبِ
إن لم تثر لحريق القدس غضبتنا ... فنحن من معدن الأحجار والخشبِ
أَبَعْدَ أَنْ خرّ بيت القدس محترقًا ... يقول بالصُّلْح إلا خائنٌ وغَبي[1]

❑ ويقول القرشي أيضاً:

فعلى الأقصى ظلال جهمة ... وحريق بات يشتد ضراما
قد شكا المحراب من غربته ... أين منه عمر يجلو القتاما؟
عاش فيه السامريّون الأُلى ... عبدوا العجل ضلالاً أثاما
زرعوا البغي على أوطاننا ... واستذلوا الغيد غدرًا والأيامى[2]

❑ أمة العُرْب أفيقي:

قِفْ على أربعها القدس وهَلْ ... في ربوعٍ للمُحبين.. عَزَاءْ؟
مهد عيسى والنبيين الأُلى ... عمروا الآفاق نورًا ورجاءْ
معبر الإسراء تبكي عُمَرًا ... وصلاح الدين في الأمس المضاءْ
تشتكي القدس ولا معتصم ... يَحْطِم الأصفادَ في أيدي النساءْ
أحرقوا القدس الذي بورِك مِن ... حَوْلَه، واختال فيه الغرباءْ[3]

❁ ❁ ❁

(١) من قصيدة «واحترق الأقصى»، لأحمد فرح عقيلان ـ ديوان «جرح الإباء» ص(٢٦).
(٢) من قصيدة «فيمَ جئنا» من ديوان «عندما تحترق القناديل» (٣/ ٨٤).
(٣) من قصيدة «أمة العرب أفيقي» لحسن القرشي ـ من ديوان «رحيل القوافل القتالة» (٣/ ٣٨٥).

❁ يا لوعة الأقصى ❁

❑يقول الدكتور عدنان النحوي في قصيدة ما أجملها... وملؤها الأسى:

أنا مهبط الوحي الكريم وساحة الـ ... مسرى العظيم وساحة وجنانُ
أنا من ثرى عدن طويت جنانها ... قدسًا ومكةَ ضمّها رضوانُ
ومساجد نضّ الهوى بقبابها ... جنحيه فانتفضت لها أحزان
الذكريات على رباها زهرة ... فيطيب عند شميمها السلوانُ
وتَلَفَّتَ الأقصى وبين جفونه ... دمع وبين ضلوعه نيرانُ
يا لوعة الأقصى! ودوّت صرخةٌ ... يطوي صداها ذلّة وهوانُ
يا لوعة الأقصى وبين ضلوعه ... نار وتحت قبابه عدوانُ
والمنبر الداوي على درجاته ... خطو الكماة إذا علتْ وأذانُ
وتلفّت الأقصى لمكة لوعة ... أختاه تنهش أضلعي الغربان
أختاه! أين المسلمون وحشدهم ... أين الملايين الغثاء! أهانوا؟
أختاه! وانقطعت حبال ندائه ... واغرورقت من دمعه الأجفان [1]

❑ ويقول النحوي:

هل غيّر الأفق فرسان وركبان ... أم روّعته من الأنباء أشجانُ؟
وغُصّةُ المسجد الأقصى وصخرته ... وعَبرة نزفتها دونه البانُ
دوّى الأذانُ من الأقصى وردّده ... من الكتائب عُبّاد وفرسانُ
رُبَى الخليل تنادي وهي نازفة ... والمنبر الحرُّ قد ناشته نيرانُ [2]

---

(١)من قصيدة «لم يبق في عرفات إلا دمعة» من ديوان «الأرض المباركة» للنحوي ص(١٩٧).
(٢)من قصيدة «دمعة على رجل» للنحوي من ديوان «الأرض المباركة» ص(١٣١).

❑ ويقول الشاعر الحبشي محمد كامل الأني:

فإن يحرقوا الأقصى فإن لهيبهم ... شوى الجسمَ مني بل شوى العقل والنَّفْسا
شعوري شعور المؤمنين بقدسهم ... وقدسيتي لا تقبل الخبث والرِّجسا
ولست فضوليًّا وحاشا لمحتدي ... ولكن أخو سهم إذا وتَّر القوسا
رويدًا فعرض القدس عرضي وملّتي ... ألا كلّ عرض يرفض الهتك والمسا
وما لبنات القدس إلا قلوبنا ... وأكبادنا نبني بها القُبَّة القَعْسَا
سنبني علاه شامخًا بدمائنا ... لعمرك لا نطليه طينًا ولا كلسا
فمهلاً فللقدس المبجّل جولةٌ ... ومهلاً فللأقصى مواقف لا تُنسى
وتحت رماد الصمت تكمن جذوة ... ورب سكوت يبعث الحرب والبأسا
وفي الصخرة الشمّاء صخر مضرّج ... ونفخة روح الصخر قد تبعث الخنسا
فسحقًا لمن يطوي معالم نشرها ... وسحقًا لمن يبغي لآياتها طمسا[1]

❑ فلسطين الشهيدة:

فلسطين الشهيدة لا تراعي ... فإنا حول قدسك رابضونا
فكم من مَرّةٍ أضحى جريحًا ... وكم من مرّةٍ أمسى طعينا
وطورًا للصليبيين دعوى ... وأخرى لليهود الغاصبينا
فداك المسلمون ولست أغلو ... فكم روّى الثرى دمهم سخينا[2]

❑ وقال النحوي:

أتُرى أوهن الفؤاد جحودٌ ... عمّ في عصرنا ومنه الحروبُ

(١) من قصيدة «المسجد الأقصى» للشاعر محمد كامل الأني ـ انظر شعراء الدعوة الإسلامية (٨/ ١٣٧).

(٢) من قصيدة «فلسطين» لمحمد مصطفى الماحي ـ ديوان الماحي دار الفكر العربي ص(١٠٧).

إذ رأيت الأقصى يئن سجينا ... وإذا بالأذان فيه نحيب
داس صهيون قدسَه، حين ذلّتْ ... أمة شدوها الكذوب نعيبُ[1]

ويقول وليد الأعظمي في قصيدته «إيه فلسطين»:

هذي فلسطين كم ناح نائحها ... ومن كؤوس الردى في أرضهم شربوا
والقدس يحكمها الحاخام وا أسفي ... والعرب تندب والإسلام ينتحبُ
تلك أندلس ولّتْ ولقد لحقت ... بها فلسطين ما للعُرْب لم يثبوا
إن لم تعيدوا حياة العزّ في بلد ... به الخيانة أمٌّ والنفاق أب
ولم تراعوا حدود اللّه بينكم ... فالموت أولى بكم يا أيها العرب[2]

❁ هنا القدس ❁

هنا القدس
هنا.. الأبوابُ
والسورُ
هنا يا أمتي الثكلى
هنا الدين
هنا النور
هنا الأقصى الحزينُ الوجهِ
مكلوم ومقهور
هنا حتى، كتاب اللّه

(١) من قصيدة «قلب مؤمن» من ديوان «جراح على الدرب» ص(١٠٦).
(٢) من ديوان «الشعاع» لوليد الأعظمي ص(١٢٠) ـ الكويت.

مسجون ومأسور
هنا، ماذا هنا
في القدس تخريب وتدمير
وأصواتٌ مولولةٌ
وإرهاب وتحذير
وموتٌ يقرع الأبواب
منشور ومسعورُ [١]

❑ ويقول فيه أيضاً هارون هاشم رشيد:

لها...
للقدس وهي تئن
تحت سنابك الحقدِ
خطى الغازين تصفعها
تلطِّخُ جبهة المجد
تفضُّ الطهر عن عينين
للصخرة والمهدِ
لها.. للقدس
في الأسر المذل
تضجُّ في القيد
أنادي...

(١) «مزامير الأرض والدم» لهارون هاشم رشيد من ديوانه ص(٦١٢).

أنادي كل موتانا
أنادي كل أحيانا
أناديهم «أحاديثًا»[1]
إذا سمعوا وقرآنا
أناديهم باسم اللَّه
أشياخًا وشبّانا
أناديهم من الأعماق
فرسانًا وشجعانا
أناديهم كتائبنا
وأدعوهم سرايانا
أقول لهم لأجل القدس
تصميما وإيمانا
لأجل القدس أدعوكم
فطهر القدس قد هانا
فهل تحتمل التأخير
وهي تموت أحزانا؟

❁ وا قدساه ❁

يا قدس، يا مدينةً تفوحُ أنبياءْ
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماءْ

(١) في الأصل «أناجيلاً» وهذا لا يجوز فقد حرّفوا الإنجيل.

يا قدس يا مدينة الأحزان
يا دمعة كبيرة تلوح في الأجفانْ
غدًا غدًا سيزهر الليمون
وتفرح السنابل الخضراء والزيتون
وتضحك العيون. . .
وترجع الحمائم المهاجرة
إلى السقوف الطاهرة

❁ أغنية في زمن الانكسار ❁

شعر: د. مأمون فريز جرار [1]

أيا زمنَ الموتِ والاندثارْ
ويا زمنَ الانكسارْ
تمرّسَ تاريخنا بالبلايا
ولكنّنا بعد كلِّ انهيارْ
نشقُّ الظلامَ ببركان نارْ
أتذكرُ يومَ أسالَ الفرنجةُ في حرم القدسِ أنهارَ دمْ
وطافَ على شرقنا المبتلى غيومُ الألمْ
وكانت سيوفُ بني الشرق مغروزةً في القلوبْ
وداحسُ سابحةً في دمانا

(١) شاعر وناقد أردني، له عدة دواوين منها: «القدس تصرخ»، و«قصائد للفجر الآتي»، وهو رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن.

وفي لحمنا ذكرياتُ البسوسْ؟
ولكنّنا من رماد الهزيمة نصنعُ معراجنا
وفي أنهرِ الدمِ نغسلُ عصرَ الذنوبْ
ونُغرقُ شمسَ الغروبْ
وفي حلكة الليل تولدُ أقمارُنا
وينهضُ فَجرٌ جديدْ
أيا زمنَ الموت والاندثارْ
ويا زمنَ الانكسارْ
تمرّسَ تاريخنا بالبلايا
ولكنّنا بعد كلِّ انهيارْ
نشقُّ الظلامَ ببركان نارْ
أتذكرُ يومَ أسالَ الفرنجةُ في حرمِ القدس أنهارَ دمْ
وطافَ على شرقنا المبتلى غيومُ الألمْ
وكانت سيوفُ بني الشرق مغروزةً في القلوبْ
وداحسُ سابحةً في دمانَا
وفي لحمنا ذكرياتُ البسوسْ؟
ولكنّنا من رماد الهزيمة نصنعُ معراجنا
وفي أنهر الدم نغسلُ عصرَ الذنوبْ
ونُغرقُ شمسَ الغروبْ
وفي حلكة الليل تولدُ أقمارُنا
وينهضُ فجْرٌ جديدْ

نغنّي لمجدكَ يا سيفَ زنكي..
وإن غالَهُ عبدُكَ القرمطيّ
ففي حلب كان ميعادُ حُلمك يقتلُهُ الأشقياءْ
ويحملُ محمودُ.. سيفَك ينهضُ عبرَ
دمشق إلى باب مصرَ
يلبّي النداءْ
يشقُّ الطريقَ إلى حرمِ القدسِ يسحبُ من
دمنا ذكريات الهزيمةْ
يخطُّ على المنبر الوعد:
إنّا إلى قدسنا قادمونْ
وإن طال دربٌ
فها منبرُ الوعدِ في كلِّ معركةٍ يتقدَّمُ نحوك عمرا
ويولدُ في الزمن الصعبِ.. يوسفُ..
يولدُ فجر.. صلاحْ..
لنا موعدٌ فيكَ يا سهلَ حطّينَ
يا «عينَ جالوتَ» ميعادُنا يتجدَّدُ في كلِّ عصر
ويا سورَ «عكا» على قدميكَ تكسَّرَ موجُ الغزاةْ
وينحسرُ الليلُ والحقدُ عن صخرةِ «القدس»
.. يغسلُها الطّيبونْ!
سنونٌ.. سنونْ
مضت يخنقُ الكفرُ فيك الضياءْ

فيا شوقنا للقاءْ
ويا شوقنا للبكاءْ
ويا شوقنا للفداءْ
نغذُّ الخطى نحو سورك يا قدسُ
يحبسُها الوهنُ حينًا
ويغتالُها الليلُ حينًا
ولكنّنا قادمون
وإن طالَ دهرٌ . . ومرّت سنون
فيا زمنَ الانكسارْ
ويا زمنَ الوهنِ والانهيارْ
تمرّسَ تاريخُنا بالفرنجةِ وارتدَّ سيلُ التتارْ
فمهما يكن من دمارْ
ستورقُ أشجارُنا
تبرعم أغصاننا بالنهار[1]

❁ ❁ ❁

(١) مجلة الأدب الإسلامي ـ العدد الثامن ـ ص(٤٧).

❁ يا فتى الانتفاضة ❁

ارفعْ حجارتَك الأبيَّة وارْجُمنَّ بها اليهودْ
واهتكْ حجابَ «الأوسْلَوِيّين» المناكيد العبيدْ
فهُمُو «عباقرةُ» التنازلِ والتراجعِ والسجودْ
البائعونَ الأرضَ والأعراضَ من أجْلِ «الرصيد»
في صفقةٍ منكوسةٍ خانوا بها كلَّ العهودْ
ثم اكتَسَوْا ثوبَ البطولةِ في غرورِهُمُو الفريدْ
يا ويلَهمْ!! «ينسُون أن حقيقةَ الحقِّ السديدْ
«أن التّيوسَ هي التيوسُ، ولو تُسمَّى بالأسودْ»

❁ ❁ ❁

ارفع حجارتَك العَتِيَّةَ، ارْجُمنَّ بها اليهود
مشحونةً بدم الجراحِ، وآهةِ الشعبِ الشريد
واثأرْ «لدَّرتنا» الحبيب وكلِّ من يَمْضي شهيدْ
اصمدْ، وقاتلْ، لا تَهُنْ فَلأنتَ فارسُها الوحيد
واعلمْ بأنَّ الحل في الرشَّاشِ والحجرِ العنيد
لا حلَّ في أوسْلُو وشرْمِ الشيخِ أو في كمْبِ فِيد
أوْ في «أمرْكَا» فهيَ عن صفِّ الصهاينِ لا تَحيدْ
أو في «محافلِ أمْنهم» فوشُنطنٌ فيها تسود
والظلمُ عدْل إن تَشَأْ والعَدْلُ ظلمٌ إذْ تريد
والحقُّ فيها للقويِّ اللصِّ نكَّاثِ العهود

أما الـضعـيفُ فـضائـعٌ وبلا حـقوقٍ كـالعـبيـدْ

❁ ❁ ❁

لَمْـلِمْ جـراحَك يا فـتى وتَـحَلَّ بالـعزمِ الحـديد
ولقـد تُعاودكَ الجـراحُ بوجـهها الـعاتي الـنّكـيدْ
وتجوعُ إذْ حـرموك حـتى كِـسْرةَ الخـبزِ الـقديـدْ
وتبـتُ مقـروحَ اللَّـهاة تـصارعُ الـظمـأ الشـديد

❁ ❁ ❁

ويَحـلُّ ساحـتَك الـسَّقـامُ المرُّ فـي نَهَـمٍ حَقُـود
لكـنما واصـلْ جهادك بـالعنـادِ... وبالصـمود

❁ ❁ ❁

لا تـسمـعنَّ لمـنْ ينـادي مِنْ قـريب أو بـعيـد:
«ألْقِ الـسلاحَ فقد هَـوَى في أرضنا مـائتا شهـيد
وعدوُّنـا في عدّةٍ... مِـنْ هولهـا شاب الولـيد
فَدَعِ الـسلاحَ فبالسلامِ نعـيشُ في رَغَـــد رغيد
ولنـا «المعونـةُ» والسلامـةُ والغِـنَى الجمُّ المـديد»
لا تسمعـنَّ، وقل لهـمْ في نبـرةِ الحقِّ الأكـيدْ:
«إنّ الجهادَ هـو الطريقُ إلـى التحرر، لا مَـحيدْ»
ارفعْ سـلاحك يـا فتى، دمِّـرْ به صَلَـفَ اليـهود
قد تمـطرُ الدنـيا صخـورًا، أو لهـيبًا، أو حـديد
أو تـزأرُ الآفاقُ حـولك بـالـعواصـفِ والرعـود
أو قد يمـوج الصخـر تحتك بالأفـاعي والصـديد

ومدافع الأعداء تعوي باللظى العاتي المَريد
حتى تكاد الأرضُ منها أن تشقَّقَ أو تَميد
لكنما واصلْ نضالَكَ بالعناد. . . وبالصمودْ
فالأرضُ أرضُك لن تهونَ، ولن تُذلّ ولن تبيد

❁ ❁ ❁

اليومُ يومُك يا فتى صبرًا كما صبَرَ الجدود
لا تفزعنَّ لمكرهمْ ولنارهم ذاتِ الوقود
صبرًا كما صبر الرعيلُ الأوّل الفذّ المجيد:
من «آل ياسرِ» لم يزحزحهم عذابٌ أو وعيد
«وبلالُ» لم يهزمْه سوْط أو هجيرٌ أو حديدْ
اليومُ يومُك يا فتى عزْمًا كما عزم الجدود:
عزْمًا كعزمة حمزة وأسامة وابنِ الوليد
فالصبرُ والعزمُ القويُّ وسيلةُ النصر الأكيد

❁ ❁ ❁

واشندْ نشيدَك يا فتى فالكونُ يُصغي للنشيدْ
واهتف هتافك داويًا فلأنتَ منشدها الوحيد
زلزل به أركانَ إسرائيلَ والظلمَ المريد:
«إني هنا لن أستكينَ، ولن أسَلّم أو أحيدْ
اللَّه غايتنا، ومنهجنا الجهادُ بلا حدود. . .
فهْو الطريقُ إلى التحرر والكرامة والخلودْ
وأقولُ للزعماءِ أرباب التنازل. . . والسجود

الخانعينَ الأدعياءِ أرباب التنازل. . . والسجود
الخانعينَ الأدعياءِ، وما بِهِمْ رجلٌ رشيد:
لا، والذي أهْوَى بفرعونَ العتيِّ وبالجنود
وأذلَّ خيبرَ والنضيرَ وقينقاعَ من اليهود
لا والذي قدْ أنزل الأنفال والأعلى وهود
فليحشدُوا كلَّ المدافع والموانع والحشود
فسبيلنا للحقِّ إحدى الحسنيين، ولا مزيد:
إما فلسطين تحرّرُ، أو أموتُ بها شهيد»

❁ ❁ ❁

يأيها الأبطالُ يا شرفاءُ، أوْفُوا بالعهود
لا تقنطوا من رحمة الجبار ذي العرش المجيد
فالفجر آت ـ لا محالة ـ لم يعدْ منكم بعيد
وغداً ستنهارُ المواقعُ والموانعُ والسدود
وتذوبُ ـ من إيمانكم وجهادكم ـ كل القيود
وتعود راية أحمدٍ للقدسِ في هَزَجٍ سعيد[1]

❁ ❁ ❁

(١) للدكتور جابر قميحة ـ مجلة القدس ـ العدد (٢٥) ص(٦٤ ـ ٦٥).

❁ بنت صهيون في المدائن تجري ❁

في حزيران سقطت زهرة المدائن.. سقطت عذراء التاريخ الأعظم في قبضة موسى.. مقبرة صلاح الدين ينبشها ذئب أجرب... وشواهد أيام الحرية... داستها قدم غجرية... والصخرة في قلب المسجد يتسلقها بغايا.

في حزيرانَ آذنتنا خطوبٌ ... كاسحاتٌ وضيعةٌ ورُعودُ
أغرقتنا هواجسٌ وخطايا ... وغرور مستحكمٌ وشرورُ
فإذا الأفْق جمرةٌ تتلظّى ... وإذا الأرض بالشَّقَاء تميدُ
مشهدٌ صاخبٌ ودُنيا هَوانٍ ... وانحسارٌ على المدى مشهودُ

❁ ❁ ❁

بنت صهيون في المساجد تلهو ... قد تعرّت أفخاذها والنُّهودُ
عانقت حلَمها، وصارت تُغَنِّي ... قد حلا اللحن والهوى والنشيدُ
بنت صهيون في المدائن تجري ... ويهوذَا على القباب يشيدُ
وعلى «القدس» مسحةٌ من ضياعٍ ... وبكى يومها التراب الشهيدُ[1]

❁ ❁ ❁

(١) من قصيدة «بنت صهيون في المدائن تجري» من ديوان «عصر الشهداء» لنجيب الكيلاني ـ مؤسسة الرسالة.

❁ لبّيْك يا أيها الأقصى ❁

لبّيكَ يا أيها الأقصى وألفُ ردى ... لكل من سرَّه ألا يكون فدا
لبيك يا أيها الأقصى ولا وَهَنٌ ... إن ضاع شوط فإنّا الواصلون غدًا
لبيك ما افتخرت أمٌّ بطفلتها ... وما ازدهى والد كَهْلٌ بمن ولدا
لبيك ما صدحت بالحق مئذنةٌ ... لبيك ما اللّه ربُّ العرش قد عبدا
لبيك لبيك رغم البعد نعلنُها ... حتى يُرى البحرُ من لبيك قد نفدا
لبيك لا هُبلٌ باق تألهه ... ولا أبوه يهوذا يملك الأبدا
لبيك حتى يموت الموت في دمنا ... ويستحيل رمادًا مَنْ بِنَا جحدا
لن يحجب الغيم وجه الشمس أن ضحًى ... مهما غدا الغيم في أجوائنا لِبَدا
فنحن والشمس رب العرش فَاطِرُنا ... نبقى على الدهر نهدى الفوز والرشدا
وعدٌ من اللّه أن النصر ندركه ... إن نحن عدنا وأعددْنا له العددا
فيستعيد ثرى الأقصى طهارته ... ولا يظل لدى الشذاذ مضطهدًا
لم يسجد المصطفى الهادي بساحته ... إلا لنقضي جميعًا دونه شهدا

❁ ❁ ❁

يا أمتي... ولنا من أمسنا عِبَرٌ ... حَتَّامَ يا أمتي نحيا بغير هدى؟!
حتام تجني الأعادي من تفرقنا ... عِزًّا... ونحن نعاني الذل والنكدا؟!
يا أمتي وسياط الذل تجلدنا ... عودي إلى اللّه تلقي عنده الرشدا
عودي إليه... وفي توحيده اتحدي ... يا فوز شعب على توحيده اتحدا

❁ ❁ ❁

❁ درّة الأقصى[١] ❁

للدكتور عدنان النحوي:

ضُـمَّـنـي يـا أبـي إِلَـيْـكَ! فَـإِنَّـي
خائفٌ! والـرَّصاص حَوْلي شـديدُ

ضُمّني! واحْمِني! فما زالَ يَنصَبُّ
عَـلَـيْـنـا رَصَـاصُـهُـمْ ويَـزيـدُ

ضُمّني! ضُـمّني! ولَـسْتُ جَبانًا
إنّ عَزْمي، كَـمَـا عَـلِـمْـتَ، حَـديـدُ

أنـا مِـنْ أُمّـةٍ بَـنـاهـا رَسُـول الـلّـه
والـوحـيُ والـكِـتـابُ المَـجـيـدُ

غـيـرَ أنّ الـهـوَان رُعـبٌ! فَـفِـيـه
نُـذْرٌ وَلْـوَلَـتْ وفـيـه وَعـيـد!

نَـزَع الـذُلُّ عـن مُـحَـيّـايَ آمـا
لاً وغـابَـتْ مـع الـفَـضـاءِ الـوعـودُ!

أيُّ هَـوْلٍ أراه ثَـارَ؟! وهـذي الـــــ
أَرْضُ مِـنْ حَـولِـنَـا تَـكـادُ تَـمِـيـدُ

لا تَـلُـمْـنـي! أبـي! فَـألْـفُ سُـؤَالٍ
فـي فـؤادي يـتـيـه فـيـهـا الـرَّشـيـدُ

(١) «درّة الأقصى» للدكتور النحوي ص(٣٧ ـ ٥٩). دار النحوي للنشر والتوزيع ـ ط. أولى.

بَيْن عَيْنَيَّ! فيْ دُمُوعِيْ! على رَعْشَةِ
خَـوْفـيْ مـن الـسُّـؤال مَـزِيـدُ
هـا هُـمُ المجرمون! ويحي! وحـوشٌ
نَـفَـرتْ أمْ جـحـافِـلٌ وجـنـودُ!
أقْـبَـلُـوْا يـا أبـي! ودوّى رصـاصٌ
كـلُّ سَـاحٍ عـواصـفٌ ورعـودُ
وكـأنِّـي أرَى نُـيُـوبَ وُحُـوشٍ
كـشّـرَتْ أو مـخـالـبًـا تَـسـتَـزِيـدُ

❁ ❁ ❁

عَـجَـبًـا يـا أبـي! لَـديْـهـمْ سـلاحٌ
فـاتِـكٌ نـارُه لـظًـى ووَقُـودُ!
لا أرى فـي يَـدَيـكَ أيَّ سِـلاح
لا ولا فـي يَـدِيْ سـلاحٌ يُـفـيـدُ
كـيـف نَـلْـقَـى عـدوَّنـا عُـزَّلاً وهْـوَ
لَـدَيـه سِـلاحُـه والحـشُـودُ

❁ ❁ ❁

جَـرَّدونـا بُـنـيَّ مِـنْـه! رَمَـوْنـا!
ثُـمَّ دَارَتْ بِـنَـا لَـيَـالٍ سُـودُ
لا تـخـفْ يـا بُـنـيَّ! صـبـرًا! فـإن اللّـه
يـقْـضـي مـن أمـره مـا يُـريـدُ

وحْدَنا نَحْنُ يا بُنيَّ! فَصَبْرًا
كلُّ رُكْنٍ نَرْجُو حِماهُ بَعيدُ
كيفَ جِئنا هُنا؟! وكيفَ حُصِرنا؟!
لا أرى مَلْجأً إِلَيْه نعودُ
إنّه اللَّه وحْدَه مَلْجأ الخا
ئِفِ يَأْوي إلى حِماهُ الشَّريدُ

❁ ❁ ❁

قُلْتَ ليْ يا أبي: مَلايينُ في الـ
أَرْضِ، نَحْنُ المليارُ أو قَدْ نَزيدُ
هل يَرانا الأَرْحامُ في الأرْضِ؟ هل
هَبَّ أبيٌّ أو مُشْفِق، أو نجيدُ
أيْنَ إخوانُنا؟! وأيْن بَنُو العَمِّ؟!
وأينَ الأَخوال؟! أيْنَ الجُدودُ؟!

❁ ❁ ❁

وتوالى الرّصاصُ! والموتُ دَفّا
قٌ ودوّى نِداؤُك المفؤودُ
شدَّهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ واستغاثتْ
أضلُعٌ أو حناجِرٌ أو زُنُودُ
يا أبي..! يا..! وغابَ منه نِداءٌ
وطَوَتْهُ عَنّا فيافٍ وبيدُ

أسْكَتَتْهُ رصَاصَة ورماه

في ذِراعَيْ أبيه سَهْمٌ حَقودُ

ضمَّهُ ضَمَّةَ المُوَدِّعِ! والدمْعُ

لهيبٌ عَلَى الهَوانِ شَهيدُ

أسْكَتَتْهُ رصاصةٌ ثمَّ أُخْرى

وَطَوى صَوْتَه النّديَّ حدودُ

رجَّعَتْهُ كلُّ الرّوابي دوِيًّا

وصَدَاه على الزّمان جَديدُ

غيرَ أن الآذانَ صُمَّتْ فأغْفَتْ

أعْيُنٌ دُونَها ونامَتْ جُهودُ

ضَمَّهُ ضَمّةً إلى الصدْرِ يَسْكُبُ

فيها حَنانَه ويجودُ

الحنانُ النَّديُّ! والأمَلُ الضّا

ئعُ! تيهٌ أَمَامَهُ مَمْدودُ

كُلُّ ساحٍ مع الضَّجيج خَلاءٌ

كلُّ دْربٍ أَمَامَهُ مَسْدودُ!

أفْرَغَ الشَّوْقَ فوقَهُ! فَجَرتْ بالشْـ

ـشَوْقِ مِنْهُ دِماؤُه والوَريدُ

وابلٌ صُبَّ فوقه فتهاوى!

رَمَقٌ لم يَزَلْ لَدَيْهِ يَجُودُ

مالَ للخَلْفِ وارتخى ساعِداهُ

وارتخى منه عَزْمُه المشْهُودُ

هَمَّ! لَوْ يَسْتَطيعُ ضمَّ فتاه

ودمٌ فائرٌ وشوقٌ شَديدُ

أفْلتَ الطفلُ من يديْه! فَضَمَّتْهُ

قلوبٌ وفيّةٌ وكُبودُ

بَيْنَ جَنْبَيْهِ خَفْقَةُ الْمجد والتّا

ريخُ عَادتْ طيوفُه والجُدودُ

❁ ❁ ❁

لَهْفَ نفْسي على الطفولة تَدْمَى!

جُرْحُها دافِقٌ وقَلْبٌ يجودُ

لَهْفَ نفْسي على البَراءَة يُدْمِي

قلْبَها مُجْرِمٌ طغى وعَبِيدُ

المرُوءاتُ بينَهُمْ سَقَطَتْ في الوحْلِ

وألْقَاه جُرْمُهُ المشهودُ

كَيْفَ لم تَشْفع البَرَاءَةُ من عَيْـ

ـنَيْهِ، والخوفُ والرَّجا والعُهودُ؟!

يا حُنوَّ الآبَاءِ! يا لَهْفَةَ الأُمِّ

تنادي أين الأُباةُ الصِّيدُ؟!

انْـثُـروا فَـوقَـه الـريـاحـينَ والـوَرْ

دَ، فـتـزكـو عـلـى دمـاه الـورودُ

وَأَحِـيـطُـوا جُـثْـمـانـه بـحَـنـانٍ

طـابَ مـنـه حَـنـانُـهُ المـعْـهـودُ

واسْكُبُوا فوقَهُ النَّديَّ من الطِّيبِ

فـكـم فـاحَ طـيـبُـه والـعُـودُ

وانسُجُوا من دمائِهِ حُلَلَ المجْـ

ـدِ، عَـلَـيْـهـا لآلـئٌ وعـقـودُ

أَنْـزِلـوه عـلـى الأَكُـفّ لـرَوْضٍ

رفَّ فيه النّدى! فهذا الشهيدُ

لَسْتُ أبكيكَ وَحْدَكَ اليوم لكنْ

كُـلُّ طـفْـل أُنْـشُـودَةٌ وقـصـيـدُ

أو فَـتًـى هـبَّ والـمـلاحِـمُ أَمْـوا

جٌ ودفـقُ الـدِّمـاءِ فَـيْـضٌ وجُـودُ

يا دِيارَ الإِسْلامِ! يا عَبقَ المِسْكِ!

فَـمَـغْـنـاكِ جَـوْلَـةٌ وشَـهـيـدُ

❁ ❁ ❁

كَـمْ أَبـيٍّ تَـراهُ يَـقْـتَـحِـمُ الـنَّـارَ

مُـغِـيـثًـا! هـوى! فَـجَـلَّ الـصـمـودُ!

كـــم أبـــيٍّ تـــراهُ هـــبَّ فـــأَرْداهُ
شَـتِـيْـتٌ مـن الـرصـاص بَـديْـدُ
كـم صَـبِـيّ هَـوى هـنـاك وطِـفْـلٍ
فـوَّح الـسّـاحُ مـنـهـمُ والـنّـجـودُ
كـم شَـبـابٍ تَـواثَـبُـوا وكُـهُـولٍ
وشُـيـوخٍ إلـى المـيـاديـنِ نُـودوا
صُرعـوا كُـلُّـهـمْ فـهـبَّـتْ طُـيـوفٌ
مِـنـهُـمُ تـلـتَـقـي وهَـبَّـتْ شُـهُـودُ
أقْـبـلُـوا كُـلُّـهـم يَـضُـمُّـون طَـيْـفًـا
مـن مُـحَـيَّـاكَ يـجْـتَـلـي ويـرودُ
مَوْكبٌ في معالم الغيب يجلو
آيـةً مـن نِـدائِـه ويُـعـيـدُ
أيـهـا المؤمنونَ قُـومـوا إلى السَّاحِ!
إلـى جـولـةٍ هـنـاكِ وجُـودوا!
واصْمِدوا واصْبِروا! فإنّ حياةَ الناسِ
فـي الـسَّـاحِ وثـبـةٌ وصـمـودُ

❁ ❁ ❁

أيها الطِّفل! لا تَهُنْ! حولك اليوم
قُـلـوبٌ تـفـتـحـتْ وحُـشـودُ
المـلايـينُ مـن حَـوالَـيْـكَ هَـبُّـوا
وتـداعَـتْ حـنـاجـرٌ وزُنُـودُ

كـم وفـيٍّ هـنـاك هـبَّ ولـكـنْ
أقْـعَـدَتْـه عـن الـوفـاء الـسـدودُ
ومَـلايـينُ مـن حَـوالَـيْـكَ غـابُـوا
فـي سُـبـاتٍ يَـطـولُ فـيـه الـركُـودُ

❁ ❁ ❁

أيُّـهـا الـطِّـفـلُ! أنـتَ نَـفْـحـةُ طِـيْـبٍ
ورُؤى أُمَّـــةٍ وفـــتْـــحٌ جَـــدِيـــدُ!
أنـتَ أنـشـودَةُ الـزَمـان! ومـعـنًـى
عَـبْـقَـريٌّ بـهـا! ولَـحـنٌ فَـريـدُ!
كـلُّ جُـرْحٍ عـلـى مُـحَـيَّـاك مِـسْـكٌ
نَـشْـرُه رَوْح جَـنَّـةٍ وخـلـودُ
دَمُـكَ الحـرُّ! يمـلأ الأفْـقَ نـورًا
لـم يَـزَلْ دفـقُـه الـغـنـيُّ يـزيـدُ
دَمُـك الحـرُّ! قَـطْـرَةٌ مـنـه يُـجْـلَـى
بَـيْـنَ أَنْـوارِهـا الـكَـمِـيُّ الـنَّـجـيـدُ
دَمُـك الحـرُّ! قَـطْـرَةٌ مـنـه تُـحْـيـيْ
أُمَّـةً تَـعْـتَـلـي الـذُّرا وتـسـودُ
دَمُـك الحـرُّ! قَـطْـرَةٌ مـنـه تُـوْفـي
بِـلَـهـيـبٍ عـلـى الـبِـطـاحِ يَـعُـودُ

كلُّ أطفالنا وكلُّ اليتامى
والأيامَى جَحافِلٌ وحُشودُ

❁ ❁ ❁

كَيْف يَخْتالُ في رُبَاكِ، فِلسْطينُ
جَبانٌ ومجرم رِعْديدُ
كَيفَ غابَتْ عن الرُّبوع زحوفٌ
واستَبدَّتْ على الرُّبُوع القرودُ
الحُثالاتُ أقْبلتْ والنَّفايا
وبَقايا شراذمٍ ويهودُ
والموَالِيْ وعُصْبَةٌ بعدَ أُخْرى
جَمَعَ الْمجرمين فيكِ الجُحودُ
العِصاباتُ تَمْلأُ الأرضَ رِجْسًا
وظلامًا يُخفي الهَوى ويَكيدُ
كُلُّهمْ يَنْظرون للأُفُقِ المُمْ
تَدِّ أطماعهم رؤًى وحُشودُ
هذه عُصْبَةُ اليهودِ فَسَلْهُمْ
أين عادٌ إذا دَرَوْا وثمودُ

❁ ❁ ❁

هَلْ فلسطين حقُّ أَهلِ فِلسطين
يَهُبُّ الفتى بها والوليدُ؟!

هـل هُـمُ قـادِرونَ وحـدَهُـمُ الـيـومَ
وخـصـمٌ أَمـامَـهُـمْ عِـرْبـيـدُ؟!
جـمـع المجْرمون كُـلَّ شَـتـاتِ الأرضِ
صَـفًّـا يَـحُـوطُـهـمْ ويُـبـيـدُ
وسِـلاحٌ كَـأنّـه الَـمـوْتُ يُـفْـنـي
ولَـدَيْـنـا حـجَـارَةٌ ووُعُـودُ
أيْـنَ تـلـكَ الـعُـرا يَـشُـدُّ بـهـا اللّـه
قـلـوبًـا؟! وأيـن تِـلـكَ الـعُـهُـودُ؟!
كُـلّـمـا تَـصْـدُقُ الـقُـلـوبُ مـع اللّـه
وتـصـفـو يـصِـحُّ عَـزْمٌ رشـيـدُ
أمّـةٌ تـعْـتـلي الـذّرا وتـشُـقُّ الـــدْ
دَرْبَ: دربٌ أَمَـامَـهـا مـمـدودُ

❁ ❁ ❁

يا فلسطين! يا رُبَا المسجدِ الأقْصى!
حَـنِـيـنـي إلـى رُبَـاكِ شَـديـدُ
أنْـتِ حـقُّ الإسـلام! لـؤلـؤة الإيـمـان
حـقٌّ عـلـى الـزمـان أكـيـدُ
أنْـتِ لـلـمـسْـلـمـين ذِرْوَةُ مَـجْـدٍ
جُـمِـعَ المجـدُ: طَـارِفٌ وتَـلـيـدُ
مـا عَـرفْـنـاكِ غـيـر سـاحِ جِـهـادٍ
دارَ فـيـهـا مـلاحـمٌ وجُـدودُ

أشْرَقَتْ بالهُدى رُباكِ ومَاج النُّورُ
فيها وأَشْرَقَ التوحِيدُ
أنتِ حقٌّ لأُمة الحق! عَهْدٌ
سوفَ يُوْفيه زحفُها المنشودُ
أيُّما مسلمٍ على الأرضِ مَسْؤُولٌ
سيلقَاهُ يَومُه الموعودُ

❁ ❁ ❁

الصّرْاخُ الَمحْمومُ والأملُ الضّائِعُ!
لم يُجْدِ في النِّزالِ قُعودُ
كيف تُجْدي حَنَاجِرٌ وأكفٌّ
في نِزَالٍ يَضِجُّ فيه الحَدِيدُ
كيف يُجْدي الصُّراخ والسَّاح بُرْكَا
نٌ! ونارٌ تَضيقُ عنه الحدودُ
أشَتاتٌ وفُرقَةٌ وضَياعٌ
وعَدوٌّ أَمَامَنا وعَديدُ

❁ ❁ ❁

عَجَبًا! أُمَّةٌ يَموتُ بها النَّا
سُ، من الوهْن! ثم تَذْوي الجُهودُ
وغُثاءٌ على غُثاءٍ، ودُنيا
من ضجيج وفِتْنَةٍ، ورُقُودُ

كـلُّ يـوم أراه يَـكْـشـف مِـنّـا
سَـوْأةً بـعـدَ سَـوْأةٍ ويَـزيـدُ
وتُـعَـرِّي الأَحْـداثُ مِـنّـا نُـفُـوسًـا
لا تَـقِـيـهـا جَـواهـرٌ وبُـرودُ
حَسْبنا حَسْبُنا الحِجَارَةُ والأطْفَالُ
أعْـلـى الجِـهـادِ والـتَـنْـديـدُ
كيف تَمْضي السّنون والناسُ سَكْرى
فـي سُـبـاتٍ وعَـزْمُـهـمْ مـكْـدودُ
خَـدَرٌ فـي الـعُـروق صُـبَّ فـنـامـوا
واستـفـاقَـتْ مـن الـعـدوِّ الجـهـودُ

❁ ❁ ❁

الشِّعاراتُ كُلُّها سَقَطَتْ في الأرض
وأَهْـوَتْ مَـزاعِـمٌ ووُعُـودُ
والـلَّـيـالـي تحـفَّـزتْ لِـوُثُـوبٍ
بـالمـنـايـا وجُـنَّ فـيـهـا الـرُّعـودُ
والرِّياحُ الهَوْجَاء تَعْصِفَ بالأرض
فَـتَـهْـوي شَـوامـخٌ وسُـدودُ
انْهَضِي! أُمّتي! أفيقي! ففي الدَّرْبِ
دواءٍ يَـشِـيـب مـنـهـا الـوَلـيـدُ

لا تَـولَّـوا عــن الجـهـادُ فَـفِـيـه
عَـزْمَـةُ الحقِّ والـسَّـبـيـلُ الـوحـيـدُ
إنَّ مـعـنـى الجِـهـاد نـهـجٌ كـريمٌ
لا ارتجـالٌ فـيـه ولا تـبـديـدُ
إنَّ مـعـنـى الجِـهـاد رصُّ صُـفُـوفٍ
وبـنـاءٌ عـلـى الـهُـدى مـشـدودُ
الـطَّـريـقُ الـقَـويمُ أَشْـرَقَ بـالحـقِّ
وهــذا سَـبـيـلُـهُ الـمـمْـدودُ
عِـزّةٌ تـلْـتَـقـي عـلـيـهـا قـلـوبٌ
صَـدَقَـتْ ربّـهـا وأوفَـتْ كُـبُـودُ
عزماتٌ تَبْني النّفوسَ ويُحْيـيها
الـكـتـابُ المجـيـدُ والـتـوحـيـدُ
وأعـدّوا بمـا اسْـتَـطَـعْـتُـمْ ربـاطًـا
مـن قـوًى تُـرْهِـبُ الـعـدا وتـسُـودُ
واصْـدُقوا الـلَّـه فـي الميـادين ينْـزِلْ
نَـصْـرُه الحـقُّ! جـلَّ! والـتـأيـيـدُ
إنْ تَـوَلـوا يَـسْـتَـبْـدِلِ الـلَّـه قَـومًـا
غَـيْـرَكـمْ لا تَـضِـيـعُ فـيـهـم عُـهُـودُ

❁ الحقيقة المُرَّة في مقتل الدُّرَّة ❁

لفيصل محمد الحجي[1]:

آديمي - يا جراحاتي - أديمي ... نزيفًا سال في الزمنِ الوَخيمِ
فلا يَبْقى - لكي يصحوْ نيامٌ ... عن الْجُلَّى - سوى الجُرْحِ الأليمِ
قد احتكر السيوفَ به رجالٌ ... بَدَوا عند الشدائد كالحريمِ
لِمَ احتكروا السيوف؟ أللمعَالي ... وَهُمْ رَهنُ المذلَّةِ كاليتيمِ؟
قد احتكروا السيوف لكي يصونوا ... كراسيَهم من الشعب المَضِيمِ
قد احتكروا السيوف وألجَمُوها ... فصُومي - يا سيوف الذلِّ - صومي
عصاباتُ الوُصُوليُين سَادَتْ ... مُذِ التَفَّتْ على وغدٍ زنيمِ
سَليلُ خيانةٍ وَرِثَ المخازي ... وكان ربيبَ تاريخٍ دميمِ
وَحَفْنَةِ عسكرٍ مَكَّرُوا بِلَيْلٍ ... وقد وثبوا على القصرِ الحُكُومي
وصاروا سادةَ الأوطانِ قَهْرًا ... وأقصَوا سادة العهدِ القديمِ
كذا احتكر السياسة جاهلوها ... فما عرفوا الصحيحَ من السقيمِ
وقد حَشَرُوا الأنوفَ بكلِّ شأنٍ ... سوى شأن الدفاعِ أو الهجومِ
فما حَفِظُوا البلادَ من الأعادي ... ولا ردُّوا المظالمَ من ظَلُومِ
وأدْنَوْا كلَّ مرتزقٍ جهولٍ ... وأقصوا كلَّ ذي عقلٍ عليمِ
ولاذُوا لليهودِ وللنصارى ... وخَصُّوا المسلمين بكلِّ شُومِ

(١) «مجلة البيان» - العدد (١٥٧) ص(٤٢ - ٤٥).

فـراعـينُ الـشـعـوبِ ألا تـراهـم ... أرانـبَ فـي مـجـاراةِ الخـصـومِ؟
إذا لـم يـهـزمـوا الأعـداءَ يـومًـا ... فما معنى التباهي بـ(النجومِ)[1] ؟
وما جدوى الْحِذارِ من الأعادي ... إذا خـانـت نـواطـيـرُ الـكـرومِ؟
بَـنَـوْا لمـكـارمِ الأخـلاقِ قـبـرًا ... كـأنـهـم تـربَّـوا فـي سـدومِ
فـلا تـعـجـبْ إذا فَـرِحَ الأعـادي ... وبِـتْـنَـا فـي المصـائـبِ والـهـمـومِ

❁ ❁ ❁

محمدُ ـ دُرَّةَ الشهداءِ ـ قل لي : ... مَنِ الأنكى عليك من الخصومِ؟
أمَنْ طعنوك تحتَ الشمس جهرًا ... كمن طعنوكَ في الليل البهيمِ؟
ومن خذلوكَ في كلِّ السرايا ... وقد وعدوكَ بالنصر العظيمِ
ومن بَخِلوا عليكَ بنصلِ سيفٍ ... فهل يبقى سوى الحَجَرِ الكريمِ؟
ومن مَنَحُوا الصهاينةَ اعترافًا ... وقد طعنوا القضيَّةَ في الصَّميمِ
ومَا انحازوا لإسلامٍ وعُرْبٍ ... كما انحازوا إلى فُرسٍ وروم
فما وَرِثُوا الديانةَ عن قريشٍ ... ولا ورِثوا الشهامةَ عن تميمِ
فمن حقِّ الحجارةِ أن تناديْ ... وتغضبَ من تخاذلِنا العقيمِ:
إلامَ نُضَيِّعُ الطاقاتِ هَدرًا ... ونمشي خلفَ غِربانٍ وبُومِ؟
إلامَ تَظَلُّ أظْهُرُنا عَرايا ... لِطَعْنِ مُدَى الجبانِ المستديمِ؟
إلامَ نرى الحقائَق في خفاء ... وقد راجَت أباطيلُ الخصومِ؟
إلامَ نَظَلُّ في الأحداثِ عُمْيًا ... ولا نَرنُو إلى الخطر الجسيمِ؟
أتُمْحَى القُدسُ من قاموسِ قومي ... لِنَعْقِد قِمَّةً في أورشليمِ؟

(١) النجوم: الرتب العسكرية للضبّاط.

ويغدو المسجد الأقصى خرابًا ... لهيكل حاقدٍ قذرٍ أثيمِ؟
جراحاتُ الشباب لها سُؤالٌ ... يُوَجَّهُ للغَيُور وللفهيمِ:
أليس لنا صلاحُ الدين ثانٍ ... يسيرُ بنا إلى النصرِ العظيمِ؟
أليس له سِوانا من حفيدٍ ... يُوحدُنا على الدربِ القويمِ
يسيرُ بنا إلى حطين فجرًا ... ويمسي القدس بالزحفِ الكريمِ؟
أجل.. أحفادُهُ كُثُرٌ.. ولكن ... هُمُ في ظُلمةِ السجنِ البهيمِ
رأى (التطبيعُ) دَفْنَهُمُ جميعًا ... مع الأحياءِ في السجن العمومي
بلا طِبٍّ.. بلا دفءٍ شتاءٌ ... بلا نومٍ يُريحُ.. بلا نسيمِ
صباحَ مساءَ خُبزُهُمُ سِياطٌ ... تُقَطِّعُهم بلا قلبٍ رحيمِ
سِهامُ الموتِ أنواعٌ.. ومنها: ... غذاؤهمُ الملوَّثُ بالسُّمومِ
يكاد الموتُ يحصدهم.. فبارِكْ ... أيا (باراكُ) للخِلِّ الغَشُومِ
فلو أمسى صلاحُ الدين فينا ... لَبَاتَ بسجنِ شيطانٍ رجيمِ
وتسألُ: هل جَنَوْا؟ فيجيبُ وَغْدٌ: ... أجل.. قد خالفوا أمر الزعيمِ
فهم قد آمنوا باللَّه حقًا ... وسُنَّةِ أحمد الهادي الحكيمِ
وما التزموا برُوح العصرِ يومًا ... مُذِ التزموا بقرآنٍ كريمِ
وهذا مارَسَ (الإرهابَ) لَمّا ... دَعَا لجهادِ (باراكَ) الوسيمِ
وذا (متطَرفٌ) في الدين.. يدعو ... لِحُكمِ الشرعِ فينا.. كالقديمِ
وثالثهم (أصوليٌّ).. وهذا ... بلا رأيٍ.. ولا عقلٍ سليمِ
وما حَفِظوا لإسرائيل أمنًا ... وقد عَدُّوا السلامَ من السُّمومِ
كذا يغدو جمالُ الحقِّ قُبْحًا ... وأصحابُ الحُلوم بلا حُلُومِ

محمدُ ـ درة الشهداء[١] ـ أبشرْ ... رِفاقُكَ ما استكانوا للخُصومِ
دروسُ التضحياتِ بكلِّ يومٍ ... قد انتقلَتْ إلى الطفلِ الفطيمِ
وعُشَّاقُ الشهادة قد أحالوا ... حياة بني يهودَ إلى جحيم
قلوبُ المسلمين تفور غيظًا ... وتدعو للدفاعِ عن التَّخومِ
إذا نَفِدَت حجارتكم.. فنادوا: ... إلينا يا جنادلَنا.. وقُومي
سَتَأتي أقدَسُ الأحجار غَضْبى ... بكعبتنا الشريفةِ والحطيمِ
وتلك حجارةُ (الأمويِّ) لهفي ... إلى حطين.. تحيا كالرميمِ
و(أزهرُنا) العريقُ به صُخُورٌ ... تكادُ تطيرُ من فوقِ الغيومِ
وكلُّ مساجدِ الدنيا اشرأبَّت ... لِتَرفِدَكم بأشلاءِ الرَّضيمِ[٢]
وهذا (أحمدُ) المصريُّ لَبَّى ... نداء المجدِ في الأقصى العظيمِ
مشى.. ومشى التحدِّي في خُطاهُ ... مُعِدَّ النفس للأمرِ الجسيمِ
لعلَّ اللَّه يجعلُه شهيدًا ... يفوز غدًا بجناتِ النعيمِ
ولم يذهب لشرمِ الشيخِ حتى ... يُطأطئ للرجالِ وللحريمِ
و(محمودٌ) من الأردنِّ وافى ... يناجي الانتفاضةَ: لن تنيمي
هواه القدس.. مشتاقٌ إليها ... إلى فتيانِها الغُرِّ القُرومِ[٣]
بنفسي أيُّها الأقصى المُفَدَّى ... بأرواح الأشاوسِ والجُسومِ
مُصلَّى الأنبياءِ على إمامٍ ... له الإسراءُ فالمعراجُ يومي

---

(١) لا نجزم بالشهادة لمعين، ونسأل اللَّه أن يتقبّل محمد الدّرة في عداد الشهداء.
(٢) البناء بالصخر.
(٣) القروم: جمع قرم، وهو السيد.

سنرفعُ رايةَ القرآن.. تعلو ... على التلمودِ والعهدِ القديمِ
فَطُوبى للمجاهدِ في رُباها ... وقبحًا للمخذِّلِ والنَّؤُومِ
لنا القدسُ الشريفُ وما تلاهُ ... لنا الأقصى على رَغمِ اللئيمِ
لنا المستقبلُ المرموقُ حتمًا ... بوعدِ الصادقِ القولِ الكريمِ
رضينا الحُسنيين: ننالُ نصرًا ... أو السكنى بجنَّاتِ النَّعيمِ

❁ ❁ ❁

أقولُ لأُمَّتي - والأمرُ جِدٌّ ... وأوجُهُنا الحزينةُ في وجُومِ -:
إذا الأوطانُ لم تُعلِنْ جهادًا ... يَصُونُ فلن تدومَ.. ولن تدومي

❁ ❁ ❁

❁ أمام صورة المسجد الأقصى[1] ❁

مساء النورِ يا أقصى . .

مساء النورِ يا مسرى رسولِ اللَّهِ . .

صلى اللَّهُ . .

يا مهدَ الرسالاتِ

مساء النور يا روحَ

البطولاتِ . .

مساء النورِ . .

من قلبي، ومن ذاتي . .

مساء النور يا بوابةَ التاريخِ . .

والمجدِ . .

ويا إشراقةَ الإسلام . .

في أيامنا الرُّبْدِ . .

مساء الخيرِ سلَّمناكَ . .

لماذا لا يرى الأعداء إلاَّ المسجد الأقصى؟!

وقدَّرنا . .

وفكَّرنا . .

---

(١) لحفيظ بن عجب آل حفيظ ـ مجلة البيان عدد (١٥٧) ص(٥٠ ـ ٥١).

وقرّرنا . .

وبعد سنين أدركنا . .

بأنك مصدرُ العزّة . .

وأنا حين سلَّمنَاكَ كُنا نجهلُ المفهومَ والمنطوق،

والقصة . .

وسِرنا نسألُ الأعداء . .

نسترضي،

ونستجدي،

ونستهدي،

وحسبّ إرادة الأعداء . .

حذو القذَّةِ القذة . .

إذا قالوا لنا شيئًا . .

سمعناهُم . .

تبعناهُم . .

أطعناهُم . .

وقُلنا: القذَّة القذَّة . .

ولو دخلوا لجحرِ الضبِ . .

كنا خلفهم نجري،

ونستجدي،

ونسترضي،

ونستهدي،

فهذا منطق التفكير،

والتقدير، والحكمة..

مساء النور، والخيرات يا أقصى..

مساء الذُّل..

قد بعناك، واخترنا مزايانا..

وحين يزمجرُ الأعداءُ..

ننسى كل دعوانا..

لأنَّا في سلامِ الذل قد بِعْنَا قضايانا..

مساء الخير يا أقصى..

أجاءكَ آخرُ الأخبار..

أتدري أننا فُزْنَا «بغزة»..

دونَ باقي الدَّارْ،

وصرنا في أراضينا..

نُقاسمُ دولة الكفار..

أتدري أنَّنا أحرار..

تحت ولايةِ الكفارْ..

أتدري أنَّه قد صارْ..

في أرضِ الهُدَى سِمْسَارْ..

يبيعُ بأبخسِ الأثمانِ للكفارْ..

حتى يأخذَ الأمتارَا!..

أتدري أنه قد صارْ..

بين المسلمينَ مطار..

مساء الخير، والحسراتِ، والعبرات يا أقصى..

مساء الخيرِ..

إنا سوف نرقبهم،

ونبغضهم،

ونحسدهم،

وفي وقت الرضا منهم..

سنشجبهم،

وننكرهم،

فإن غضبوا سنسترضي،

ونستجدي،

ونستهدي،

لأنَّا تحت قبضتهم..

❁ عذرًا فلسطين[1] ❁

عذرًا فلسطينُ إذا لم نحمل القُضُبا ... ولم نَقُد نحوك الممَهرية النجبا
عذرًا فإن سيوف القوم قد صدئت ... وخليهم لم تعد تستمرئُ التعبا
عذرًا فإن السيوف اليوم وا أسفًا ... تخالها العين في أغمادها حطبا
عذرًا؛ فإن عتاق الخيل مُنهَكَةٌ ... قد أورثتها سياط الغاصب الوصبا
عذرًا فلسطين! إن الذلَّ قيَّدنا ... فكيف نُبقي عليكِ الدُّرَّ والذهبا؟
عذرًا؛ فذا الدُّرُّ يُشْوىَ خلف والده ... بنار باراك لا يدري لها سببًا
عذرًا؛ فذا طفلكم يشكو فجيعته ... فلم يجد بيننا أمًّا له وأبا
عذرًا فقومكِ قد ماتت شهامتهُم ... وثلَّم الذلُّ منهم صارمًا عضبا
رأوكِ في الأسر فاحمرّت عيونهُمُ ... لذاك، وانتفخت أوداجهم غضبًا
يستنكرون وما يُغنيك ما فعلوا ... ويشجبون وما تدرين من شجبا
وا حسرتاه على الأقصى يدنّسُهُ ... قردٌ ويهتزُّ في ساحاته طربا
قد كان فيما مضى عِزًا فوا كبدي ... أضحى أسيرًا رهين القيد مُغتصَبًا
كأنه لم يكن مسرى الرسول ولم ... يُصلِّ فيه يؤمُّ الصفوة النُجُبا
كأنه ما أتى الفاروق يُعتقه ... يومًا، وما وطئت أقدامه النَقَبا
كأنه لم يُؤذِّن للصلاة به ... بلال يومًا، ففاض الدمع منسكبا
كأنما الأرض قد أخفت معالمهم ... ومزّقت ما حَوَوا من عزَّة إرَبا
لهفي على القدس كم جاس الظلوم بها ... وكم تقاسي صروف الدهر والنُّوبا

(١) لأحمد بن عطية الزهراني ـ مجلة البيان ـ العدد (١٥٩) ـ ص(٣١ ـ ٣٢).

تعيث فيه اليهود الغُتم مفسدةً ... وتزرع الشرَّ والإرهاب والشغبا
يستأسد القرد فيها بعد خِسَّته ... ويرفع الهامة الخنزير مغتصبًا
كم أشعلوا نارهم فيها وكم هدموا ... من منزلٍ، وأهانوا والدًا حَدِبا
وكم أسالوا دموع المؤمنات ضحى ... وكم ظلوم بغى، أو غاصب غصبا
وكم أداروا كؤوس الموت مترعةً ... فأيتموا طفلة أو شرَّدوا عزَبا
صبرًا فما اسودَّ من ذا الليل جانبه ... إلا ليُؤذن أن الفجر قد قَرُبا
إن استضاء بنار الحرب جمعهُمُ ... فعن قليل سيغشى جمعنا اللهبا
لن نستكين ولن نرضى بها بدلاً ... غدًا نردُّ أذان الحق والسلبا
غدًا نعيد فلسطين التي عُهِدَت ... من قبل خمسين عامًا دوحةً ورُبى
غدًا نعيد لها التكبير تسمعه ... أُذن الدُّنى، ونعيد الفقه والأدبا
غدًا نعيد لها الزيتون نغرسه ... غرسًا ونزرع فيها التين والعنبا
غدًا سنقلع منها كُلَّ غرقدةٍ ... ونضرب الهام كيما نقطع الصخَبَا

❁ ❁ ❁

❁ رسالة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي[1] ❁

أيُّهذا المؤتمر

أيها الحُلم الجميل

أنا لن نطلب منك «المستحيل»

علّمَتْني كل دوراتك أن أقنع بالشيء القليل

عَمَّقت فيَّ لقاءاتُك أخلاق القناعة

وانضباط النفس والبال الطويل

كل ما نمَّيته فيّ فمن هذا القبيل

آه.. لو أنك حيّدت الشعارات وسوّدت الدليل

أيها الحلم لك الشكر الجزيل

نحن لم ننس قراراتك جيلاً بعد جيل

فقراراتك لا تُنسى ولا تخفى

و«هل يخفى القمر؟!»

أيهذا المؤتمر

أنا لا أطمع في صدق أبي بكر

ولا عدل عمر

بل ولا في شعر حسان بن ثابت

---

(١) للدكتور محمد بن ظافر الشهري ـ مجلة البيان ـ العدد (١٥٧) ص(٥٢ ـ ٥٣).

إنما أطلب أن تبقى الثوابت

أتمنى . .

أن أرى جهدك في دفع السفينة

وأرى قلبك في أم القرى أو في المدينة

وأرى كفك تمتد إلى القدس السجينة

وعلى رأسك تاجًا من أحاديث صحاحٍ وسُوَر

أيهذا المؤتمر

لا تحلّنَّ النزاعاتِ

ولا تُنْهِ الخلافاتِ

ولا تطوِ المسافاتِ

ولا تلغِ جوازات السفر

جئتُ يا «عبد المعين»

ومرادي . .

أن يسير الشرعُ مرفوع الجبين

في ديار المسلمين

ويجوزَ الدهرُ أيامَ التَّتَر

أيهذا المؤتمر!

أنا لا أطمع أن تُقْنع لي راعي البقر

أن في الغرب تماسيح
وفي الشرق بشر
لا تعنِّف عبد الطاغوتِ أو أهل الكتاب
يوم أن ذقنا على أيديهم شتى العذاب
لا تهزّنك صرخات الثكالى
وعويلُ الحرة المفزع بعد الاغتصاب
أنا لن أمعن في هذا العتاب
كل ما أطلب أن تشعر يومًا بالخطر
أيهذا المؤتمر
خذ من الحكمة ما شئت وما شئت فَذَر
فعلى وجهك لا تظهر آثارُ الكِبَرْ
أنت واللَّه في أعيينا أصغر من «طفل الحجر»
أيهذا المؤتمر
أيها الحلم الجميل
أنا لن أطلب منك «المستحيل»
علَّمَتني كل دوراتك أن أقنع بالشيء القليل
عمقت فيّ لقاءاتك أخلاق القناعة
وانضباط النفس . . والبال الطويل

أيها الحلم لك الشكر الجزيل
فأنا أدرك أن الخير خيرٌ. . وبأن الشرّ شرٌ
وبأن الجِدَّ جِدٌّ. . وبأن المؤتمر
مؤتمر!

❁ قصة القدس ❁

د. عبد الغني أحمد مزهر التميمي[1] :

ليس للتين أو الزيتون نغضبْ
نحن للإسلام لا للأرض ننسبْ
ليس للموز أو الليمون أو قمح الموانئ
نحن لسنا من عبيد الطقس ديدان الشواطئ
ما عشقنا في فلسطين صِباها
أو صبَاها، أو رباها
ما عشقناها عروسًا في بهاها تتطيّبْ
كفّها في ليلة الحنّاء تخضب
ما عشقناها مناخًا وفصولاً
وجبالاً وهضابًا وسهولا

(١) شاعر وأديب فلسطيني، أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه. انظر ـ البيان ـ العدد (١٦٢) ص(٤٧ ـ ٥٠).

بل عشقناها دويًّا وصليلا
وغبارًا في سبيل اللَّه يُسفى، وصهيلا
وسطورًا بل فصولاً في كتاب المجد تكتب
عبر أجنادين، أو حطين، أو غزة طولا
وسرايا أمّة الكفر على صدر صليب الكفر تصلب

❁ ❁ ❁

وعشقنا في فلسطين من الأهوال جيلاً
جعل التكبير والأحجار أقوى خطبة للعصر تخطبْ
جيل أبطالٍ من الأطفال في الضفة ينجب
هكذا تبقى فلسطين ضميرًا، وكيانًا في دمانا يتلهب
هي في عمق هوانا درة من درر الرسلام تسلب
ولهذا ليس للتين أو الزيتون نغضب

❁ ❁ ❁

مزقونا وانثروا اللحم على كل طريق
لا تبالوا، حرّقونا وارقصوا حول الحريق
وزعونا في الصحاري، أطعمونا للحواجز
كل هذا في نظام الغاب جائز
غير أنا لن نبيع القدس أو أي مدينة
هل يبيع المؤمن الصادق للأعداء دينه؟

ارحمونا من تفاهات حلول في المزاد
ودروس من مساق الذلّ تُقْرَا وتُعاد
ما رضينا، فقبول الظلم ظلمٌ، والرضا بالعار عار
قد نذرنا دمنا لقنديل الجهاد
حلُّنا يأتي عزيزًا فوق صهوات الجياد
ليس في الأكفان محمولاً إلى «أرض الميعاد»
جرِّدونا من رداء المجد من نبض الفضيلة
أسعروا الحرب علينا بقوانين القبيلة
لم نكن يومًا على دين (غُزَيّة)[1]
بل على أقدامنا تنهار دعوى الجاهلية
عهدنا باق إلى آخر مسجد
لن نبيع القدس يومًا ما بقي فينا موحِّد

❁ ❁ ❁

ثم ماذا قيل عن هذي القضية؟
قال حكامٌ وقوادٌ كبارٌ، وجنودٌ
أرضكم أرض ككلِّ الأرض في هذا الوجود

---

(١) (دين غزية): كناية عن متابعة الجماعة في الحق والباطل، وهو مأخوذ من قول الشاعر:

وهل أنا إلا من غُزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

لا تزيدوا وجع الرأس علينا واتركوها لليهود
هي لا تُنبت دُرًّا أو زبرجد
ليست الأحجار فيها من عقيق لا ولا التربة عسجد
قلت: يا قوم أقلوا إنها مسرى محمّدْ
إنها معراجه المفضي لأطباق السماء
وبها صلى بكل الأنبياء
هل رأيتم في رؤى الماضي، أو الدنيا الجديدة
هل علمتم، أو سمعتم، أو قرأتم في كتاب أو جريدة
أن فينا مؤمنًا يطرح للبيع (عقيدةْ)

❁ ❁ ❁

أرضنا القدسُ مزيجٌ من صمود ومرارة
لم تكن يومًا لبيع أو إعارة
هي للأمة (ميزان الحرارة)
ناطق التاريخ في أحيائها يطلب ثاره
كل شبر من ثراها فيه للتلمود غارة
هذه القدس نسيج من سناء وطهارة
ها هو الفاروق في أفيائها يرفو إزاره
وصلاح الدين يمحو أثر الكفر الصليبيِّ وعاره
ثم في غفوة قومي

قبض الراية أطفالُ الحجارة

ثم ماذا؟ ولماذا؟

تسعة الأصفار تبقى أمة تلهو وتلعب

أدُمًى نحن؟ رجال من عجين نتقولب

أم ظهورٌ ومطايا «كل من يرغب يركب؟»

سخر التاريخ منَّا

دمنا يرخص كالماء، ولا كالماء يُشرب

إن تكن تعجب من كثرتنا، فالجُبنُ أعجب

قد يخيف الذئبُ من أنيابه مليار أرنب

آه! واقدساه من ظلم قريبي

وهو يكويني، ومن كيد البعيد

لا تلوميني على غمي وحزني

لا تلوميني على بؤسي ووهني

لا تظني غيبتي من سوء ظنّي

أو قعودي عن لظى الحرب لجبني، أو لسنّي

لا تلوميني فإني

زرعوا قيدين في رجليّ: قيدًا من حديد

مدمنَ العضِّ، وقيدًا من حدود
كلما جئت مطارًا أو قطارًا للعبور
قدَّم القوم اعتذارًا: أنت ممنوع المرور!!
هذه أوراق إثباتي بأني عربي
مولدي، أمي، أبي، عمي، أخي، جد أبي
سحنتي، لوني، لساني، نسبي
عشت في هذي البراري منذ عاش الدينصور
وأكلت الحنظل المرّ ومنقوع القشور
قذفوا الأوراق في وجهي ولفوا طلبي
وجهارًا أقسموا لي: أن سرّ المنع أني عربي
هذه التهمة مهما بلغت نصف الحقيقة
نصفها الآخر يكمن في تلك (الوثيقة)
كتب الكاتب فيها أنني من أهل (غزة)
قرروا أن يشطبوها، كرهوها
إنها تشبه في الأحرف (عزَّة)

❁ ❁ ❁

ثم ماذا؟!
حرموني من صغاري، من عيوني ويديَّا
حرّموا الحبَّ عليَّا
جربوا كل سياط القهر فيّا

صادروا الحرف الذي أقوى على النطق به
قلعوا الأضراس من فكي قصوا شفتيَّا
حطموا كل عظامي
وبعنف مارسوا الإرهاب في ذاك الحطام
وتلا القاضي على الناس اتهامي
أنني شخص أصولي أجيد العربية
ولدى نفسي بقايا من حمية
أنني (مُعدٍ) لكوني في (فيروس) القضية
ثم ماذا؟!
ذات يوم أبصروا في شعر وجهي بعض آيات الصلاحْ
هذه الشعرات عنوان الرجولة
فتنادى علماء النفس والخبرة من كل البطاح
درسوني وطنيّا
درسوني عربيّا
درسوني عالميّا
فإذا التقرير قد أوصى بنتف الشعر بحثًا عن سلاحْ
ثم ماذا؟!

ذات يوم هدموا جدران بيتي

ورموني في العراء

تحت نهش البرد والظلمة في فصل الشتاء

ليس شيء بين جلدي، وصقيع الأرض أو قطر السماء

رجفت أعضاء جسمي واستقر الموت في لحمي وعظمي

فتنادوا لاكتشافي

رصدوا كل خفايا حركاتي باهتمام

فحصوا نبضات قلبي ودمائي بانتظام

درسوني وطنيّا

درسوني عربيّا

درسوني عالميّا

وأداروا آلة التنقيب عن أسرار همي

فأتى التقرير مختومًا بتوقيعي وختمي:

هو شخص دموي حركي

قلبه يخطر في أعماقه (قلب النّظام)

❁ ❁ ❁

ثم ماذا؟!

ذات يوم وقف العالم يدعو لحقوق الكائنات
كا إنسان هنا، أو حيوان، أو نبات
كل مخلوق له كل الحقوق
هكذا النص صريحًا جاء في كل اللغات
قلت للعالم: شكرًا أعطني بعض حقوقي
حقَّ أرضي، وقراري، وحياتي
فتداعى علماء الأرض والأحياء من كل الجهات
درسوني عالميًّا
فأتى التقرير: «لا مانع من إعطائه حقَّ الممات»

❁ ❁ ❁

كيف أمسيتِ بلادي؟ كيف أصبحتِ بلادي؟
كيف أمسى البدر في جوّك مغلول الأيادي
آم يا قدسي الحزينة، كيف أنسى شامة الشام السجينة
لا تلومي صارخًا يصرخ في كل النوادي
لا تلومي باكيًا أبحر في الدمع سفينه
لا يلام المقعد المكروب إن أدمى عيونه
لا يلام الهائم المشتاق إن أبدى أنينه
قصة القدس دماء، وجراح، وكرامات طعينة
ليست القدس شعارًا عربيًّا كي نخونهْ

ليست القدس مناخًا للسياحات المشينة
ليست القدس يتامى، وطحينًا ومعونة
إنها القدس، وحسبي أنها أخت المدينة
بسط البغي لها كفًّا من الغدر، لعينة
كفَّ جزار رهيب، جعل الإرهاب دينه
قبل أن يبسط للسلم يديه وقرونه
مدّ للأغوار رجليه، وللنفط عيونه
واقرؤوا القرآن يا قومي لما لا تقرؤونه
كم نبي، وتقي دون حق يقتلونه
كم عهود خفروها، واتفاق يهدرونه
لو هدمتم لهم الأقصى، ودمرتم حصونه
وبنيتم لهمُ الهيكل أو ما يطلبونه
ثم أهديتم فلسطين لهم دون مؤونة
طالبوكم عبر أمريكا وأوروبا، بإبداء المرونة

❁ ❁ ❁

هذه القصة لا سلم ولا ما يحزنونه
قصة القدس انتقامٌ، صفقاتٌ، ومجازر
قصة القدس خياناتٌ، وعهرٌ، وكبائر
وذروني أُجمل القصة في هذا المقامْ:

قام قُصَّاصٌ، ووعَّاظٌ، وتجار كلامْ
بشرونا بسلامٍ، ونظام عالمي لا يضام
هكذا يزعم أقطاب النظام
يا لقومي! منحة السلم عصا، طبخة السّلم
حصى
هل سنطهو من حصى السّلم طعام؟
يا بني قومي اسمعوها
صرخة مني تدوي في الأنام:
عن قريب، عن قريب، تلد الأجواءُ إعصارَ السلامْ
وعلينا، وعليكم، وعلى الدنيا السلامْ

❁ سوفَ تأتيكَ بالرِّجالِ البشائرُ ❁

لعبدِ اللَّه بن حسين العفاني

مسجدٌ أنت، والمساجدُ رَوْحٌ[1] ... من ضجيجِ الحياةِ، مَيْتِ المشاعر
هُنَّ فَيءُ الظلالِ، بَرْدُ الندى ... باردُ الماءِ، في جحيمِ الهواجر
هُنَّ نَجْمُ الهُدى، إذا ضَلَّ رَكْبٌ ... أَوْ وَهَى الصبرُ، هُنَّ زادُ المهاجر
كيف لا يفزَعُ الشَّريدُ إليها ... وهْوَ فيها، ما بينَ داعٍ وذاكر
أو لَيْسَتْ بُيوتُ رَبِّي؟! ومَنْ غيـ ... ـرُه يُحيي مَواتَ هذي السرائر؟!
مَسْجِدٌ أنتَ للصلاةِ، ولكِنْ ... أنتَ فَوْقَ الحدودِ، فوقَ الخواطر
حيثُما سِرتُ فيكَ رَيَّا[2] لَبيٍّ ... راحَ يَهْدي السبيلَ ظمآنَ حائر
بارَكَ اللَّهُ حَوْلَ ساحِكَ قُدْسًا ... نُزْهَةَ القَلبِ والعُيونِ النواظر

❁ ❁ ❁

إيه يا مسجدي، لَقَدْ كلَّ قلبي ... من فِعالِ اليهودِ، والدَّمْعُ وافر
كيفَ لَمْ يَرْحموا ضَراعَةَ شَيْخٍ ... أَعْزِلِ الكَفِّ بَيْنَ نارِ الخناجر؟!
قتلوا طِفْلَهُ البريءَ، وكانتْ ... غَيْبَةُ العقلِ، قَبلَ آهِ الحناجر
آهِ من صَرْخَةِ الثَّكالى[3]، وأمٍّ ... تشتهي نَخْوَةَ العصورِ الغوابر
كيفَ قد هَشَّموا عِظامَ صغيرٍ ... بَيْنَ آهاتِهِ ونَشْوةِ كاسِر!؟!
كيفَ قد ذَبَّحوا براءةَ طِفلٍ ... وهْوَ يلهو بين الدُّمى والدفاتر؟!

---

(١) رَوْحٌ: الرَّوْحُ: الراحة.
(٢) رَيَّا: الرَّيَّا: الرِّيح الطيِّبة.
(٣) الثَّكالى: جمع الثاكلة أو الثكلى: وهي من فقدت الولد أو الحبيب.

ولَـكـمْ هَـدَّمـوا البـيـوتَ، وقَـسْـرًا ... غَـيَّـبُـوا الحَـيَّ فـي ظَـلامِ المَـقَـابِـرِ!
وَلَـكـمْ بَـقَّـروا بُـطُـونَ نِـسَـاءٍ! ... وَلَـكـمْ هَـتَّـكُـوا عَـفَـافَ حَـرَائِـرْ!
لَسْتُ يـا مسجدي أَلُومُ يـهـودًا ... رَغْـمَ قُـبْـحِ الصنيعِ فالقلبُ كافر
والـذي لـيـسَ يَـرْتَـضـي الـلَّـهَ ربًّـا ... هَـلْ تُـرى يـرتـضي نـبيلَ المشاعر؟!
وأنـا الآنَ، لَـسْـتُ أهـجـو يَـهـودًا ... كيفَ أهجو العدوَّ والأنفُ صاغر؟!
إِنَّـمـا هـذه نُـفـاثَـةُ صَـدْرٍ ... ودُخَـانٌ يَـلـوحُ فَـوْقَ المجامـر

❁ ❁ ❁

مَجْلِسَ الخوفِ، يا فكاهةَ عصرٍ ... وحـديـثًـا لـدى الحوادثِ فَـاتِـر!
كـيفَ تُـمسِي لدى العراقِ بصيرًا ... ثُـمَّ تَـعْـمَـى لـدى صباحِ المجازر؟!
أيـنَ آذانُـكَ السـمـيـعةُ عـنـدي؟! ... كيفَ صُمَّتْ لدى استغاثةِ ثائر؟!
أيـنَ أَفْـواهُـكَ الـبـلـيـغةُ؟ صـارَتْ ... تشتكي البُكْمَ عِنْدَ صَوْتِ الأكابر
لَيْتَ إنَّ «البيانَ» ما قالَ شيئًا ... رُبَّ صَـمْـتٍ يـفـوقُ ثَـوْرَةَ شَـاعـر
كيفَ يَسْتنكرُ العذابَ «كبيرًا» ... وبنا الذبحُ والرَّصاصُ «صغائر»؟!
وإذا فـارقَ الـوجـوهَ حـيـاءٌ ... لا تَسَلْها عن النُّهى والضمائر
مجلسَ الخوفِ، لا أُرِيدُ جُيوشًا ... تَغْسِلُ العارَ، أو تَرُدُّ العساكر
إِنَّـنـي مـسـلـمٌ، فـكـيـفَ تَـرانـي ... أَقْـبَـلُ الـذُّلَّ عـنـدَ أبـوابِ كافر؟!
إِنَّـمـا ثَـوْرتـي لِـزَيْـفِ شِـعـارٍ ... عن أَمانِ الورى وصَوْنِ الشَّعائر
اذْهَبُوا، واسألوا الكنائِسَ عَنَّا ... عَنْ أمانِ الفارُوقِ، أَهْلَ البصائر

❁ ❁ ❁

لَسْتُ يـا مسجدي أَلُومُ يَـهُـودًا ... أو نَصَارى، وهَلْ يُلامُ الفَاجِر؟!

إنَّما مَسْجدي ألومُ رُؤوسًا ... تَجْثُمُ[1] العُمْرَ، فَوْقَ صَدْرِ العَشَائِر

ومُلُوكًا على الشُّعُوبِ، عَبيدًا ... عِندَ ساداتِها، تُطِيعُ الأوامر!

وكُروشًا على الموائِدِ تَغْفو ... ثُمَّ تصحو على طُيوبِ المباخر!

وجُيوشًا مُدَجَّجَاتٍ عَلَيْنا ... تَمْضُغُ الذُّل بينَ نارِ المخاطر!

كيفَ قَدْ عَرْبَدَ[2] اليهودُ وداسُوا ... عِزَّةَ المسجدِ الحزينِ الصابر؟!

لَيْتَ شِعْري، فهَلْ تَطِيبُ حَيَاةٌ ... بَيْنَ أَنَّاتِهِ، ودَمْعُ المَنَابر؟!

هَلْ تُراكُمْ تُجَهِّزونَ «سَلامًا» ... وحديثًا عن «التفاوضِ» خائر؟!

أَخْبِروني، متى خَبَرْتُمْ يَهودًا ... تحفظُ العهدَ أو تصونُ أوامر؟!

كَيْفَ والغدرُ والخيانةُ فيهِمْ ... قَطْرَتا الطُّهْرِ في خِضَمٍّ عاهر؟!

واذكُروا مُذْ متى تَصونونَ عهدًا ... ويَهودٌ تَخُونكم، وتُحاور

قالها سعدُ، والحَليفُ خبيرٌ: ... لا يَفُلُّ[3] اليهودَ غيرُ البواتر

أَمْ تُرى تَعْقِدونَ قِمَّةَ عُرْبٍ ... ظُهْرَ يَوْمِ النشورِ والجُرحُ غائر؟!

ولَدَيْها «تُدبِّجُونَ» «بيانًا» ... «عَنْتَريًّا» يُدينُ فِعلَ الغَادِر

وَيْحَ نَفْسِي، أَمَا تَمَلُّ سُؤَالاً؟! ... فَلِمَنْ تَخْزُنُونَ هَذي الذَّخائِر؟!

فَلْتَرُصُّوا الجُيوشَ خَلْفَ جُيوشٍ ... رَاقِصاتٍ بِيَوْمِ عيدِ العَشائر!

كَيْفَ تَسْتَنْكِرونَ، والموتُ أنتم ... أن تَبُولَ اليهودُ فوقَ الأكابر؟!

إنَّما مَسْجدي أَلُومُ شُعوبًا ... خانِعاتٍ[4] كما نعاجِ الحظائر

---

(١) تجثم: جثم: لزم مكانه فلم يبرحه، أو لصق بالأرض.

(٢) عَرْبَدَ: ساءَ خلقُه، كما السكران على النَّاس.

(٣) يَفُلُّ: فَلَّ السيف: ثَلَمَهُ وكسره في حَدِّه.

(٤) خانعات: خنع: ذَلَّ وخَضَع.

تَنْعَقُ العُمْرَ عن بُطولةِ شَعْبٍ ... وجهادٍ، على جميعِ المَحاوِر
هَلْ تَرَوْنا نُطيقُ نارَ جِهادٍ ... يُذْهِلُ الأُسْدَ والنُسورَ الكواسر؟!
فاسألُوا اللَّيْلَ والمَلَّذاتِ عَنَّا ... و«أُمُورٍ» تَتِمُّ خَلْفَ الستائِر
إِنَّما غايَةُ الجهادِ لَدَيْنَا ... في حَماسٍ لدى البَلِيَّةِ فائِر!
ثُمَّ سُرْعانَ ما نَعودُ سُكوتًا ... قَدْ أَلِفْنَا الهَوانَ والفَمُّ فَاغِر!
إِنَّما الحَرْبُ عُدَّةٌ.. وقِيامٌ ... تَحْتَ جُنْحِ الظلامِ والدمعُ زاخر
وَلْنَقُلْ: إِنَّنا مُنِعْنا جِهادًا ... أخبروني، فأَيْنَ نارُ المَشَاعِر
هل سوى دَمْعةٍ تزورُ عيونًا ... تُنكِرُ الدَّمْعَ، ثُمَّ يَرْحَلُ زائر؟!
ثُمَّ نَغْدُوا.. كأَنَّنا ما حَزِنَّا ... نُنْفِقُ العُمْرَ في هُراءِ السَّامِر
أَيْنَ مِنَّا تَضَرُّعٌ، وقنوتٌ ... ودُعَاءٌ، يَهِدُّ هَامَ الكافر
أُمَّةَ البُلْهِ[1] والنِيامِ أَفيقي ... فَعَلَيْنا غَدًا.. تَدورُ الدوائر
فانْسَ يا مسجدي قَطيعَ نِعاجٍ ... وافتَلِ[2] الشِّبلَ للجهادِ وغَامِر
أَيُّها المارد الصَغِيرُ سَلامًا ... امْضِ، فالحَقُّ في ركابِكَ ظافر
امْضِ، لا تَخْشَ فُوَّهَاتِ جُيوشٍ ... إِنَّما «الجَيْشُ» من «حَصَاتِكَ» نافر
وإِذا ما نَكا[3] اليَهُودُ جِراحًا ... ضَمِّدِ الجُرْحَ يا خَليفةَ يَاسِر
مِنْ سَنَا جُرْحِكَ المُجَاهِدِ هَذا ... يبزُغُ الفجرُ وَسْطَ لَيْلِكَ باكر
ايتِ كالغَيْثِ فالفؤادُ جَدِيبٌ ... أَنْبِتِ الأُسْدَ من نفوسٍ عواقر[4]
أَيُّها المسجدُ المُجَاهِدُ صَبْرًا ... سَوْفَ تَأْتِيكَ بالرجالِ البشائر

---

(١) البُلْه: جمع الأَبْلَه: وهو من ضعُفَ عقله، وغلبت عليه الغفلة.
(٢) افتل: افتلى: فَلاَ الصبيَّ: أدَّبه وربَّاه وأعدَّه للحرب.
(٣) نكا: نكأ الجُرح: فتحه ثانية قبل أن يبرأ.
(٤) عواقر: جمع عاقر: وهي المرأة التي لا تلد.

❁ رفيقُ صلاحِ الدِّين ❁

زَمَانُكَ بُسْتَانٌ وَعْصرُكَ أَخْضَرُ ... وَذِكرَاكَ عُصفُورٌ مِنَ القَلْبِ يَنْقُرُ

دَخَلْتَ عَلَى تَارِيخِنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ ... فَرَائِحَةُ التَّارِيخِ مِسْكٌ وَعَنْبَرُ

وَكُنْتَ فَكَانَتْ في الْحُقُولِ سَنَابِلٌ ... وَكَانَتْ عَصَافِيرٌ وَكَانَ صَنَوْبَرُ

لَمَسْتَ أَمَانِينَا فَصَارَتْ جَدَاوِلاً ... وَأَمْطَرْتَنَا حُبًّا وَلاَ زِلْتَ تُمْطِرُ

تَأَخَّرْتَ عَنْ نَقْعِ الْوَغَى يَا حَبِيبَنَا ... وَمَا كُنْتَ عَنْ نَقْعِ الْوَغَى تَتَأَخَّرُ

سَهِدْنَا وَفَكَّرْنَا وَشَاخَتْ دُمُوعُنَا ... وَشَابَتْ لَيَالِينَا وَمَا كُنتَ تَحضُرُ

تُعَاوِدُنِي ذِكْرَاكَ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... وَيُورِقُ فِكْرِي حَينَ فِيكَ أُفَكِّرُ

وَتَأْبَى جِرَاحِي أَنْ تَضُمَّ شِفَاهَهَا ... كَأَنَّ جِرَاحَ الْحُبِّ لا تَتَخَثَّرُ[1]

تَأَخَّرْتَ يَا أَغْلَى الرِّجَالِ فَلَيْلُنَا ... طَوِيلٌ وَأَضْوَاءُ القَنَادِيلِ تَسْهَرُ

تَأَخَّرْتَ فَالسَّاعَاتُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا ... وأَيَّامُنَا في بَعضِهَا تَتَعَثَّرُ

أَتَسْأَلُ عَنْ أَعْمَارِنَا أَنْتَ عُمْرُنَا ... وأنتَ لنا الآمَالُ أنتَ المُحَرِّرُ

وَأَنْتَ أَبُو الغَمَرَاتِ أَنْتَ وَقُودُهَا ... وأَنتَ انبِعَاثُ الدِّينِ أنت التَّغَيُّرُ

تَأَخَّرْتَ عَنَّا فَالجِيَادُ حَزِينَةٌ ... وَسَيفُكَ من أَشوَاقِهِ كَادَ يُنحَرُ

حِصَانُكَ في سَيْنَاءَ يَشْرَبُ دَمْعَهُ ... وَيا لِعَذَابِ الخيلِ إذ تَتَذَكَّرُ

وَرَايَاتُكَ الْخَضْرَاءُ تَمْضُغُ دَرْبَهَا ... وَعِندَكَ آمَالُ الثُّغُورِ تُقَصَّرُ

نِسَاءُ فِلَسْطِينٍ تَكَحَّلْنَ بِالأَسَى ... وفي بيتِ لَحْمٍ قَاصِرَاتٌ وَقُصَّرُ

---

(١) لا تتخثَّرُ: لا تلتئم بسرعة، الخاثر: الذي يجد الشيء القليل من الوجع.

وَلَيْـمُونُ يَافَـا يَابِـسٌ فِي حُقُـولِهِ ... وَهَلْ شَجَرٌ فِي قَبضَةِ الظُّلْمِ يُزهِرُ

رَفِيقَ صَلاحِ الدِّينِ هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ ... فَإِنَّ جُيُوشَ الرُّومِ تَنْهَى وَتَأمُرُ

رِفَاقُكَ فِي الأَغْوَارِ شَدُّوا سُرُوجَهُمْ ... وَجُندُكَ فِي حِطِّينَ صَلُّوا وَكَبَّرُوا

تُغَنِّي بِكَ الدُّنْيَا كَأَنَّكَ طَارِقٌ ... عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ يَرْسُوا وَيُبْحِرُ

تُنَادِيكَ مِن شَوقٍ مَآذِنُ مَكَّةٍ ... وَتَبْكِيكَ بَدْرٌ يا حَبِيبِي وَخَيْبَرُ

وَيَبْكِيكَ صَفْصَافُ الشَّآمِ وَوَرْدُهَا ... وَيَبْكِيكَ زَهْرُ الغُوطَتَينِ وَتَدْمُرُ

تعالَى إِلينَا فَالمُرُوءَاتُ أَطْرَقَتْ ... وَمَوطِنُ آبَائِي زُجَاجٌ مُكَسَّرُ

هُزِمنَا وما زِلنَا شَتَاتَ قَبَائِلٍ ... تَعِيشُ عَلَى الحِقْدِ الدَّفِينِ وَتَزْأَرُ

يُحَاصِرُنَا كَالمَوْتِ بِلْيُونُ كَافِرٍ ... ففي الشَّرقِ «هُولاكُو» وفي الغَربِ «قَيْصَرُ»

أَيَا فَارِسًا أَشكُو إِلَيهِ مَوَاجِعِي ... وَمِثلِي لَهُ عُذْرٌ وَمِثلُكَ يَعذُرُ

أَنَا شَجَرُ الأَحزَانِ أَنزِفُ دَائِمًا ... وَفِي الثَّلْجِ وَالأَنوَارِ أُعطِي وَأُثْمِرُ

وَأَصرُخُ يَا أَرضَ المُرُوءَاتِ إِحبَلِي ... لَعَلَّ صَلاَحًا ثَانِيًا سَوْفَ يَظْهَرُ

من الباكثيريات المجهولة:

❁ كُفِّي دموعك يا فلسطين(*) ❁

كلت يداي وأسهمي! والنصب لم يتثلم!
أين الإباء اليعربي؟ وأين عز المسلم؟[١]
تلك (العروبة) - ويحها - يقظى تهيب بنوّم
حيرى تردد ثم بين تأخر وتقدم
ألفت كهولاً محجمين وفتية لم تقدم
ما فيهم بطل (كعظمة)[٢] أو (كمختار)[٣] الكمي
كلا ولا رجل (كسعد)[٤] أو (ككاظم)[٥] الحمي
فتلفتت نحو السماء بعبرة وتألم
ورنت إلى شهدائها مثل النسور الحُوّم
أجمل به خلل الدموع تهلل المتبسم
شتان ما الآباء والأبناء، يا للمغرم!

(*) كل هذه القصائد إلى نهاية الكتاب وردت في «ملف القدس» من مجلة الأدب الإسلامي - المجلد السابع - العدد الثامن والعشرين ١٤٢١هـ من ص(٢٦ - ٣٩).

(١) وردت في مخطوطة أخرى: روح المسلم.

(٢) يوسف العظمة بطل ميسلون.

(٣) عمر المختار.

(٤) سعد بن معاذ أو سعد بن أبي وقاص. أما سعد زغلول كما قالت مجلة «الأدب الإسلامي» فلا وألف لا.. ومن أراد أن يعرف حقيقته فليرجع إلى مذكراته..

(٥) موسى كاظم الحسيني والد البطل عبد القادر الحسيني.

في (مصر) جرح غائر مسحوا عليه بمرهم
و(بسوريا) روح الحياة حبيسة في قمقم
و(المغرب) المنكود بين يدي هزبر[1] مرزم
والسيف يقطع في فلسطين بغير تأثم
أضحت كعدن للعدا ولأهلها كجهنم
منيت برذل[2] من بنيها عن مصالحها عم
أتباع - يا للعار - أوطان الجدود بدرهم؟!
قمل[3] الشعوب ولعنة المسبوق والمتقدم
أخلاه (هتلر) كي يصيب لديكم فضل الدم؟
يا ليتنا ثرنا على العاتي ولم نتظلم
فمتى وعت أذن القوي شكاية المتظلم
فتَّشْتُ لم أر من فصيح كالسلاح الأعجم
يفضي إلى سمع الأصم بيان قلب الأبكم
ونظرت لم أبصر سوى (جندية) من بلسم
هي عدة القلب الأبي وقوة الأنف الحمي
إرث (الزبير) و(عامر) و(ابن الوليد) الأعظم
فتحوا بها الدنيا ودكوا كل عرش أظلم

---

(١) أسد شديد الصوت.
(٢) الرذل: الرديء.
(٣) قمل: الحشرة المعروفة.

لم تبصر الدنيا بأعدل منهم أو أرحم
هي فيه إجبارية كل إليها ينتمي
لا فرق بين مزارع فيها وبين معلم
حتى إذا صاح النفير وقيل يا شعب اقدم
وثب المعلم من على الكرسي فوق الأدهم
ورمى الأديب كتابه لكتاب عز من دم
واعتاض عن محراثه الفلاح حد الصيلم[١]
ذاك الشباب فما اعتذار شبابنا المتعلم؟
كُفِّي دموعك يا فلسطين العلا وتحلّمي
ودعي القنوط فإنه موت الرجاء الملهم
أفتيأسين وفي بنيك فتى أغر (كأكرم)؟[٢]
ثبت الجنان كقسور[٣] ماضي الغرار[٤] كلهذم[٥]
متوقد كالنجم في الطويل المظلم
ما كان (أكرم) غير معنى للجهاد بحسّم
ماض إلى مرماه لا يلويه لوم اللوّم

---

(١) السيف.
(٢) أكرم زعيتر من زعماء فلسطين.
(٣) الأسد.
(٤) حد السيف.
(٥) الحاد.

مستقتل في ذود الليل عن حوضك المتهدم
ولغت به سود الأكالب في جوار الضيغم[١]
لولاه ألقتها العصي بحيث أمُّ القشعم[٢]
يا قوة الظلم استبدي واغشمي وتحكمي
فستعلمين غدا من الأنباء ما لم تعلمي
وستندمين على خطاك ولات ساعة مندم
إذ ينهض الجبار في إقعائه والمجثم
يرمي برأس في (كنانة مصر) صوب الأنجم
و(البيت) مثوى قلبه المتوقد المتضرم
يهدي لخير حضارة بين الشعوب وأقدم
لا يحتمي بسوى الظبا[٣] وبه سواه يحتمي

❁ ❁ ❁

(١) الأسد.
(٢) الموت أو الضبع.
(٣) جمع ظبة: حد السيف.

❁ عرس شهيد ❁

أخطأ الإعلام مرة حين نقل اسم الشهيد محمد جمال الدرة. أخطأ في ضبط الاسم لكن أصاب في نقل المعنى، ذلك أن الشهيد رام حقيقي رمى بدمه غطرسة اليهود فأخزاهم، ورمى به عجز العرب فأحياهم، وأنه محمد باسمه وانتمائه، وأنه درة في ضمائر المسلمين بل هو أغلى من كل درة.

شعر: د. حيدر الغدير - السعودية

أنت «رامي» ودرة ومحمد ... وأزيز الرصاص والكون يشهد
متَّ بل عشت فالشهادة جسر ... لحياة أعلى وأغلى وأرغد
والذي يدرك الشهادة ضيف ... عند باريه في الجنان مخلد
يصطفيه الرحمن فهو المجلي ... في الحياتين والكريم المسوَّد
ودماء الشهيد تغدو سهاما ... راشها للعداة عزم مسدّد
وصهيلا ملء الدنى في ذويه ... واحتداما وجمرة تتوقد
واستباقا إلى الفداء وعزما ... كلما اشتدت الخطوب تجدّد
ويقينا يقي القلوب الغواشي ... ونشيدا على الشفاه تردد
ولظى يجعل الشرايين نارا ... فإذا بالدماء سيف مهند
ومساء كالأمنيات وسيما ... وصباحا بالطيبات تودد
كلما فاز بالشهادة شهم ... لوّح النصر سوف آتي وزغرد

❁ ❁ ❁

إن عرس الشهيد في بردتيه ... شرف باذخ ومجد محسد
كل عمر إلى نفاد وشيك ... مثل آل على الصحاري تبدّد
وحياة الشهيد عمر طويل ... وعريض ملء المدى ليس ينفد
ولقد تطلب الحياة بموت ... ربّ موت أهدى وأسدى وأنجد
ولقد يفضل الحياة ممات ... عبقري فيه الأماني تولد

❁ ❁ ❁

يا قباب الأقصى التي نفتديها ... إننا عائدون والعود أحمد
في زحوف يقودهن همام ... هو رام ودرة ومحمد
بيقين مثل الجبال محلى ... وجلال مثل الفتوح مقلد

❁ ❁ ❁

أنا راء راياته ظافرات ... أنا راء أعراسه تتورّد

❁ ❁ ❁

❁ هزيمة النصر ❁

(يوم سقطت القدس في أيدي الثعالب الصهاين)

شعر: راضي صدوق فلسطين

يا حلم يخفق في الرؤى ... قمرًا يضوّئ في الحنايا
الليل أسحم والشجون ... (م) تثير في روحي أسايا
يا قدس.. صمتك قاتل ... كم تصبرين عى الرزايا..
لو تنطقين.. لعلهم ... قد يخجلون من الخطايا

ردي الرماح إلى الصدور ... (م)، فقد شبعت من البلايا
يا قدس.. طاهرة الدماء ... (م) أكاد أغرق في دمايا..
قصفوا المآذن والقباب ... وأسمعوا الدنيا حكايا
النصر؟.. تلك هزيمة ... ستظل ترجمهم منايا..
ويظل صمتك سيد.. ... يعلي إلى الدنيا ندايا..
ويظل مجدك في الضمير ... (م) سنا يضوّئ في الحنايا

❁ ❁ ❁

❁ صرخة الأقصى ❁

شعر: أماني حاتم بسيسو - الأردن

وَارَوْا رُفاتك في الرمال مساءَ ... فصحبت نور الفجر حين أضاء
ألق يُحيط بنور وجهك، مشرقًا ... ومهابة خلعت عليك بهاء
أنت الشهيدُ على ضآلة مكرهم ... عصفا تركت قلوبهم وخواء
وضحية الكف التي قد صافحتْ ... أعدى عداك وقدمتك فداء
أنّى لهم أن يبصروا بعد العَمى ... والقلب أمسى لا يروم شفاء
يا صرخة الأقصى، ولهفتِه التي ... صارت بقلبي عزمة ومضاء
أنا لا أريد بأن أظل على المدى ... أروي القصيد وأسمع الشعراء
أو أحفظ التاريخ، إذ يروي لنا ... أصغي فأسمعُ معشرًا غرباء
كتبوا لنا تاريخنا، يا للأسى ... سموه - زورا - أعصرًا ظلماء!!
نحلوا لهيكلهم كيانا مفترى ... وهو الذي ما قام قط بناء

اهتف بل اصرخ ملء صوتك قائلاً : هاتوا السلاح وأبعدوا الخطباء
فلقد سئمنا قولكم، ونصيحكم : لا تفصحوا لا تذكروا الأسماء
صارت حجارة أرضنا أسيافنا والسيف أصدق في الوغى إنباء
ما حيلة الكلمات لو تغدو لنا هدفا؟ أتسمع أمة صماء؟
مزّق مواثيق السلام على الملا وارفع إلى المولى العليّ دعاء
رباه، أنت حسيبنا، ونصيرنا فأمتنا يا ربّ الورى شهداء

❁ ❁ ❁

❁ النار تحت العنكبوت ❁

شعر: عصام الغزالي - مصر

خطبوك في ليل قتيل النجم.. قيل لك : ارغمي
كذبت عليك ظنونهم، فخمار طهرك مريمي
وخطاك تنقش في التراب أهلة فتحرَّمي

❁ ❁ ❁

عذراء أنت فإن أحاط بك الذئاب تجهمي
قولي : أبيت، فلن ألين وبالمذلة أحتمي
وسوار حبي ليس قيد الظلم يخنق معصمي

❁ ❁ ❁

عذراء أنت، وحرة حسناء، راقية الدم
هل زوجوك العبد وانقلب الزفاف لمأتم؟!

صوني دموعك فالسياط على البساط سترتمي
وسيسقط الوجه القبيح، ولات ساعة مندم
وسترتمي جيف الذين تعقبوك لتهزمي
فالسيل قد بلغ الزبى، والماء يطلبه ظمي

❁ ❁ ❁

الغاصبون تلفعوا بدجى.. سيرحل فاسلمي
لا تفزعي منهم، أولئك هم وقود جهنم
والنور إن عرّاهم دوسي، ولا تترحمي

❁ ❁ ❁

وكذاكِ أخْذ اللَّه إن أخذ الطغاة بمأثم
وكذاك لم يغفل فتاك عن الجناة وما عمي

❁ ❁ ❁

لا تحسبي أني سكتُّ، فكم تكتم مُفعم
أنا ما سكت، وما رضيت، ولا سئمت فتسأمي
إني أعبّئ من دخان الصبر فحة منجمي
أنا ما سكت، وما سكت، وأنت لم تتكلمي
عيناك نافذتا أسى، ولماك بسمة علقم
ونهود صدرك شهقة مكتومة.. في مُعجمي
وأنا وأنت وبيننا ذئب، وعندك بلسمي
ولديَّ خاتمك الثمين، ولا أقول: تقدّمي

وأنا وأنت صراخنا للصمت أصبح ينتمي
صرخت عيونك في عيوني.. صحت: لا تتألمي
وصرخت، لكن ما يزال العنكبوت على فمي
والعنكبوت على المآذن فامسحي وتيممي
يا قدس لم تصبح سرابًا بعد شربة زمزم

❁ ❁ ❁

❁ الشوق العظيم ❁

شعر: أبو فراس القطامي - الأردن

براني اليومَ في الأوطان عشقُ ... وفي قلبي لها طل وعبق
لذكراها يذوب القلب شوقًا ... وإن سجعت حمائمها يرق
أيا قدسًا عشقناها صغارًا ... فنازعنا الهوى شيب وعرق
فكم عصفت رياح البغي فيها ... وما زالت نسائمها ترق
وأترعت الحوادثُ فيك كأسَ الـ ... منايا، والمشارب فيك غدق
لنا ماض بأندلس وأهل ... كما للقدس في الأرواح توق
بأندلس فقدنا كل حق ... وأم القبلة الأولى تعق
فداها الروح للعلياء ترنو ... فإن هلكت فدين مستحق
ألا هبّوا بني قومي وثوروا ... فقد لمعت سحابتكم.. وبرق
كفى حلما يؤرقكم بليل ... فإن بنعشكم دسرا تدق
فإذ جمل العروبة قد عقرتم ... وذا الإسلام شرذمة.. وخرق

وإذ تجثو هضاب القدس ذلاً ... فقد أفلت عروبتكم.. ونطق
وينظركم طهور في بوادي ... فلسطينَ السبيةِ يسْترق
فحسبُك يا (ابن خطاب) فداها ... وهذا الدَّين في الأعناق طوق
لك الإكبار ما عظمت نفوس ... وما قد دب في الأرضين خلق
ومعذرة إذا رجفت يراعي ... ففي صدري لحشرجة وخنق
لعل اللَّه يبلغني زمانًا ... فتحملني لها غرر وبلق
بها أحيا وإن عزت لقاء ... سيحيي الروح رغم البين شوق

❁ ❁ ❁

❁ شهادة وإيثار ❁

شعر: هيثم فاروق السيد ـ السودان

كان الجدار وراء ظهرك يحتمي ... وصرخت وحدك في الجدار الأبكم
الخوف يملأ مقلتيك وقد بدت ... نار المصيبة في فؤادك تضرم
صوت الرصاص يلوح نحوك بالردى ... وأبوك يمنع عنك غدر المجرم
واستسلمت للصمت آخر صرخة ... من رجع صوتك والمنون بمقدم
ما عدت تبصر يا محمد أو ترى ... غير انتفاضتك الأخيرة بالدم
فحضنت والدك الحزين مودعًا ... وبدوت في أحضان مجدك ترتمي

❁ ❁ ❁

يا من رحلت وكنت ترقب أمة ... كي تستجيب لمن إليها ينتمي
قد ضاع حلمك في زمان مذلة ... وطواه صمت العالم المتوهم

لـلّـه درك قـد غـدوت مـخـلـدًا ... وتـركـت أبـيـات الـقـصـيـد بمـأتم
مـا كـنـت أرثـيـك الـشـهـادة إنـمـا ... أرثي البقاء على المصاب الأعظم

❁ ❁ ❁

(على لسان مجاهد):

❁ صرخة من عمق المأساة ❁

شعر: حفيظ بن عجب الدوسري - السعودية

لـيـل الـكـؤوس تـديـره الـسـمّـار ... والـنـاسُ فـي غـفـلاتـهـم مـزمـار
يـلـهُـون فـي دعـة عـلـى أوتـارهـم ... وجـسـومـهـم.. فـي عـريـهـا أقـذار
يـتـسـابـقـون إلى الـردى فـي كـرهـم ... والمـوت.. فـي أيـامـهـم هـدّار
فـالـكـافـرون تـكـاتـفـوا فـي بـغـيـهـم ... وتـعـاونـوا.. فـي قـتـلـنـا وتـبـاروا
والمـسـلـمـون تـنـافـروا فـي عـيـشـهـم ... وتـنـاحـروا فـجـمـوعـهـم أشـطـار
مـا بـيـن جـبـار عـلـى إخـوانـه ... وعـلـى الـعـدو تـخـونـه الأنـصـار
(أسد عليّ) وفي الحروب (دجاجة) ... يـقـتـادهـا الـرعـديـد والـثـرثـار
هـم بـيـن مـنـهـمـك عـلـى لـذاتـه ... ومـجـاهـر بـذنـوبـه دعّـار
يـتـنـافـسـون عـلـى المـراعـي همُّـهـم ... أن تـكـبـر الأجـسـامُ والأبـقـار
تـحـيـا الـنـفـوس إذا تـلـت قـرآنـهـا ... وتـمـوت إن غـنّـى بـهـا قـيـثـار
لا يـنـفـع الأحـرار إلا نـصـرُهـم ... لـلـحـق. والـدنـيـا لـهـا أدوار

❁ ❁ ❁

يـا إخـوتـي زاغـت بـنـا الأبـصـار ... وقـلـوبـنـا ضـاقـت بـهـا الأوتـار

هذا العدو يدوس فوق رؤوسنا ... وسلاحه.. من حولنا أسوار
نفدت ذخيرتنا وقلّ عديدنا ... فسلاحنا الآيات والأذكار
أطفالنا في كل أرض شردوا ... جوعًا.. وعُريًا والنفوسُ كبار
ما عاقنا قتلُ الشيوخ ودورنا ... فجميعُنا تجري بنا الأقدار
لكنّ عارَ العار مزّق صمتنا ... فإلى متى يقضي علينا العار
أخواتكم يا مسلمونَ تهتكتْ ... أعراضهن فهل لكم ثوّار؟!
ما عدت أجزم أننا من أمة ... تاهت بها الأمجاد والأقمار
الذل خيَّم.. فانهضي يا أمتي ... إن الأسود تغير حين تثار
يا أمتي طال السبات فأيقظي ... معنى الرجولة، إننا أحرار
يا أمتي كنا شعاع هداية ... للناس فالدنيا بنا أنوار
كنا نسير، فحيث سرنا أمة ... تحكي بها الآمال والأعمار
كنا على الأيام صوت مؤذن ... فرحت به الأمصار والأسحار
كنا هطيل الغيث ما سقيت بنا ... أرض فماتت بعدنا الأزهار
كنا حماة العدل فاسأل ضدنا ... يخبرك أنّا أمة أبرار
سلْ كل أرض قد وطئنا تُربها ... ستجيبك الأمجاد والآثار
سلْ سيف خالد عن مآثرنا التي ... غنّى بها سعد كذا عمار
سلْ عن معاركنا التي ما صاغها ... كذب ولا حملت بها أفكار
سلْ عن حنينَ وسل عن اليرموك ما ... دوّى بها نذل ولا خوّار
سلْ بدر عن أعدادنا في حربنا ... وسل المنايا هل لها أوتار..؟
سلْ مصر واسأل شامها عن عزنا ... سارت به الركبان والأطيار

يا مسلمون، وضجّ في قلبي الأسى ... وتقاتلت في داخلي الأمرار
يا مسلمون، وفي فؤادي حسرة ... لا يحتويها داخلي إضمار
يا مسلمون، ودمعتي قد فتقت ... صبري، وجرحي نازف موّار
يا مسلمون، وما عساي أقول في ... عصر.. يسيّرنا به التيار؟
يا مسلمون وألف بيت في دمي ... ما صغته ستصوغه الأشعار
لو كان فينا مؤمن متوثّب ... ما ساد فينا الشر والأشرار
لو كان فينا من بقايا خالد ... بعض الأسود لهابنا الكفار
يا ليل.. حدّثْ عن بقايا أمة ... مملوكة يغتالها استعمار
تجري بها الأيام حُبلى بالمنى ... في عالم أحلامه تنهار
يا ليل سوف تزول هذا وعدنا ... من ربنا.. وستورْق الأشجار
يا شمس غيبي في بقايا أرضهم ... في أرضنا تتنافس الأسفار
يا نجمُ كن سهمًا على أعدائنا ... واضرب وجوه الكفر يا إعصار
يا صبح نوّرْ بالفلاح طريقنا ... وانصرْ جموع الحق يا جبار
يا رب إنا قد أتينا نشتكي ... ظلمًا وأنت الواحد القهار

❁ عجبـــا ! ! ❁

شعر: حسين أحمد الرفاعي

شمُّ الأنوف عن السواعد شمَّروا ... لما رأوا أن اليهود تجبّروا
نادت بهم ساحُ الجهاد فأقبلوا ... ومضوا أسودًا في المعارك تزأر
مدَّ الإباء لهم يديه مصافحًا ... وغدا يباهي بالجموع ويفخر
المجد عانقهم عناق متيّم ... ومشى الهدى في ركبهم يتبختر
نظر الزمان إلى عظيم فعالهم ... فرحًا.. إذِ استهواه ذاك المنظر
وتذكر التاريخُ حين رآهم ... صفحات عزٍّ ما تزال تسطر
أفدي شبابًا لا يهابون الردى ... أفدي شبابًا للجهاد تبادروا
إن شئت سل عنهم ميادين الوغى ... سل عنهم الأهوال حين تزمجر
لم يجبنوا لما تراجع غيرهم ... لم يكرنوا للذل.. لم يتقهقروا
تركوا ملذات الحياة وراءهم ... وتسابقوا للّه.. باعوا واشتروا
يا من قعدت عن الجهاد تخاذلاً ... أحسبت أنك بالقعود مخير؟!
أو ما سمعت لقول ربك ﴿انفروا﴾ ... ووعيده إذ قال ﴿إلا تنفروا﴾؟!
اللّه يدعونا لنصرة دينه ... بالسيف.. ما بال العزائم تفتر؟!
أنا لست أدري كيف يهنأ مسلم ... ودماء إخوته هنالك تهدر!
أنا لست أدري كيف يغمض جفنه ... ومآذن الأقصى تئن وتزفر!
أنا لست أدري كيف يهدأ باله ... عجبًا له.. أو ما يحس ويشعر؟!
قم يا أخي هيّا لننصر ديننا ... قم يا أخي فالأرذلون تنمّروا
وهلمّ نلحقْ بالذين تقدموا ... هيا.. فنحن من الذين تأخروا
إن الجهاد هو السبيل لعزنا ... وهو الطريق إلى العلا والمعبر

❁ إنهم سيرجعون ❁

شعر: د. حسن فتح الباب ـ مصر

هناك فوق قمة الضياء في حدائق الأفقْ
والنهر ينسج المروج بالجَنى والطيرُ ينطلق
تأمّلوا الأبطالَ هذه دماؤهم على الشفق
تقبّلُ الوديانَ والحياة بالفداء تنبثق

❁ ❁ ❁

ولنرفع الجبين عاليًا فإنهم يشاهدونْ
ألوية المجد ترفّ حرّة على حمى العرين
ولنفرش الطريق بالزهور للآباء والبنين
تحية للخالدين من طلائع المجاهدين

❁ ❁ ❁

هيا إلى الوادي الأمين يا صحابُ نجتني السلام
ونجتلي أنوار من أرْدَوا هنا جحافلَ الظلام
أرواحهم تسري بنا في موكب الحياة للأمام
جراحهم تشعُّ في صدورنا الفخارَ كالوسام

❁ ❁ ❁

لا تخفق الشفاهُ بالوداع إنهم سيرجعونْ
سيرجعون في الربيع ناضرًا على مدى السنين

سيرجعون والحصادُ في الرّبى والطيرُ في الغصون
سيرجعون بسمة على الشفاه قرة العيون

❁ ❁ ❁

المجد للفارس الأصيل يَفتدي بروحه حِماه
للبعث جيلاً بعد جيل يقهر الخوّان والطغاة
للغارسين بالدماء دوحة السلام والحياة
للعائدين يشهدون مجدهم فلنرفع الجباه

❁ ❁ ❁

❁ غثاء السيل ! ❁

شعر: د. ربيع السعيد عبد الحليم ـ مصر

قرة العين حفيدي! لك أشدو بقصيدي
حركتْ ذكراكَ عندي صورة الطفل الشهيد
قتلوه دون ذنب آه من غدر اليهود
قتلوه رغم سلم آه من نقض العهود
قتلوه قتل عمد وتمادَوا في الوعيد
كم دماءٍ سفكوها لعجوز وولـيد
كم بريء ذبحوه في حمى القدس المجيد
كم بريء كبّلوه بقيود من حديد
كم مصلّ منعوه من قيام وسجود

كم بيوت دمّروها ... فوق أشلاء الفقيد
« دير ياسين » و« قانا » ... قد أعيدت من جديد
وبلادي دنسوها ... أين حُرّاس الحدود؟!
أين أين الجيش ذو البطش ... وذو البأس الشديد؟!
أين قوّاد جنودي ... من فريق وعميد؟!
أين أمني؟ أين حصني؟! ... أين أمجاد الجدود؟!
لا تسلني يا حفيدي ... أسكت الحزن نشيدي
كغثاء السيل صرنا ... آه من ذل العبيد

❁ ❁ ❁

❁ أرض الإسراء ❁

شعر: يحيى بن صديق حكمي - السعودية

إليك من بوابة الزمان صورة انتصار
وومضة افتخارْ
إليك يا زارعة الزيتون في دوائر الحصارْ
تحية الزمنْ
ستهزم المدافعَ الأحجارْ
وينشد القيثارُ
مرحى بنصر الفتية الصغارْ
وإن طغت قذائف اليهودْ

وإن طغى النظام العالمي الجديدْ
إليك من (قرطبة) الأبية الولاءْ
إليكِ من (حيفاء) . .
من (ذي الكرم) من جلق
من مرافئ (الخليل) تحية الزمنْ . .
وإن علت قوامع الرعود . .
ولو تمطى في الدنى اليهود
أيمكر الظلام ؟ . .
وما عسى أن يصنع الخطرْ؟
أليس من أواسط الغمامِ؟
ينزل المطرْ
ومن ثنايا حلكة الدجى ! !
ينبلج القمر . .
سيبزغ النهارْ . . ويهزم التتارْ . .
وينتشي المقلاع والحجرْ . .
يا أمتي جاءك من قوائم السدود
زحف من الهوان . .
يملك بوقًا هائجًا . . تمدّه يدانْ
ويملك المشؤوم مخلبًا ومرجلاً وقنبلة

وما تراه البوصلةْ.. ويملك الجمانْ..

سلي عن النوازل الصومال والسودان

وسائلي البلقانْ..

ستصرخ الدماء بالبكاءْ..

استفسري الأشلاء..

عن قذائف القضية..

وعن تبرع السواعد الخفية..

وعن قذائف النيران..

إليك يا صنعة الأبطالْ.. يا مخيفة

الكهوف..

يا مغضبة الردى.. إليك من قواطع

السيوف..

هزةً تحطم العدى..

وشعلةً من ساطع الحروف

يرفرف الشراع في سفينة النجاةْ

ويقرب الأمل..

تعانق السهول مرتقى الجبلْ

وتفرح الحياةْ..

وتفرح الشواطئ الحزينة

وتنشد (المدينة)

وتهزم الظنونْ.. ويرفع الهتاف عاليا

مكبرًا.. القدس في العيون[1].

❁ ❁ ❁

* وأخيراً:

سيأخذ ثأر اللّه أنصار دينه فللّه أوس آخرون وخزرج

❁ ❁ ❁

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

الفقير إلى رحمة ربه

والطامع في أفضل الشهادة في سبيله

سيد بن حسين العفاني

عنوان المراسلة

محافظة بني سويف ـ ص.ب ١٢٣

قرية بني عفان ـ منزل د. سيد حسين العفاني

أو

٣٣ش قصر النيل ـ دور ١١ شقة١

ت ٠٨٢/ ٧٧٠٥٢٢ ـ ٠٢/ ٣٩١٢٣٧١

(١) «القدس في العيون» ـ ديوان شعر للدكتور الشاعر: كمال رشيد.

فهرس أطراف الحديث

طرف الحديث

الصفحة

* ابسط رجلك ٣/ ٥٢
* أتاني جبريل بالحمى ١/ ١٠٥
* أتدرون ما يقول؟ ٣٤٠
* أتشهد أني رسول اللَّه ٢/ ٤٦١
* أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟! ٣/ ١٣٤
* أتيت بالبراق ..... ١/ ١٢٣، ١٢٩
* أتيت على موسى ١/ ١٢٦
* اجمعوا لي ..... ٣/ ١٢٢ ـ ١٢٣
* أخبرني بهن ..... ٢/ ٣٣٩، ٣/ ٨ ـ ٩
* اخسأ فلن تعدو قدرك ٢/ ٤٦٠
* آخر ما أدرك الناس ٢/ ٤٣٦
* إذا صلى أحدكم ٣/ ١٣١
* إذا فرغ أحدكم ٣/ ٤٤٠
* إذا فسد أهل الشام ١/ ٩٦
* إذا كان يوم القيامة ٣/ ١٣٥
* إذا وقعت الملاحم ..... ١/ ١٠٧، ٣/ ٤٠٧
* أرسل ملك الموت ١/ ١١٤
* أرسلوا إلى أعلم رجلين ..... ٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥١
* أرض المحشر والمنشر ١/ ١٤٣
* أسلم ٣/ ١٣٦
* أشهد أني رسول اللَّه ٢/ ٣٤٧

طرف الحديث	الصفحة
* اغزوا باسم اللَّه	٣/ ١٢٧
* أفضل الشهداء	٣/ ٥٣٨
* أفضل العمل	٣/ ٥٢٩
* أفضل الناس	٣/ ٥٢٩
* أفلحت الوجوه	٣/ ٥٠
* ألا أحدثكم	٣/ ٤٣٧
* ألا إنه	٣/ ٤٤٥
* ألا إن المسيح الدجال أعور	٣/ ٤٣٣
* ألا إن من قبلكم	٣/ ٢١٠
* ألم أخبر أنك تقوم الليل	١/ ١١٧
* ألم تعلموا	٣/ ١١٤
* اللَّه أكبر	٣/ ٥٥ ـ ٥٦
* اللَّهم أقبل بقلوبهم	١/ ١٥٠، ١٥٠ ـ ١٥١
* اللَّهم بارك لنا في شامنا	١/ ٩٧
* اللَّهم بارك لنا في مدينتينا	١/ ٩٨
* أمرت أن أقاتل الناس	٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠، ٢٦٧
* إن أبواب الجنة	٣/ ٥٣٠
* إن أرواح الشهداء	٣/ ٥٣٤
* إن اللَّه استقبل بي الشام	١/ ١٤٩ ـ ١٥٠
* إن اللَّه أمر يحيى بن زكريا	١/ ١١٩ ـ ١٢١
* إن اللَّه ليملي للظالم	٣/ ٩٩ ـ ١٠٠

طرف الحديث — الصفحة

* إن اللَّه ورسوله ٢/ ٤٥٣
* إن بني إسرائيل ٢/ ٤٥٥
* إن ثلاثة في بني إسرائيل ..... ٢/ ٤٤١ ـ ٤٤٢
* إن الدجال ممسوح العين اليسرى ٣/ ٤٣٣
* إن الدجال يخرج ٣/ ٤٢٦
* إن الدنيا حلوة خضرة ..... ٢/ ٣٧٣، ٤٣٨، ٤٣٩
* إن ربي وعدني ..... ١/ ١٠٧ ـ ١٠٨
* إن رسول اللَّه ..... ١/ ١٤٠ ـ ١٤١
* إن الساعة ٣/ ٤٧٥
* إن سليمان بن داود ..... ١/ ١١٧ ـ ١١٨
* إن سياحة أمتي ٣/ ٥٣٠
* إن فسطاط المسلمين ٣/ ٤٠٦
* إن قائلاً قال ٣/ ٢١
* إن المدينة لتنفي خبثها ..... ٣/ ٣٨٩، ٣٩٥
* إن مع الدجال ٣/ ٤٣٨
* إن مما أدرك الناس ٢/ ٤٣٦
* إن يأجوج ومأجوج ٣/ ٤٧٧
* إن اليهود قوم حسد ٢/ ٣٤٤
* إن اليهود ليحسدونكم ٢/ ٣٤٤
* إن اليهود والنصارى ٣/ ١٣٣
* أنا زعيم لمن آمن بي ٣/ ٥٣٩

طرف الحديث	الصفحة
* انتدب اللَّه	٣/ ٥٢٩
* أنذرتكم الدجال	٣/ ٤٤١
* أنشد اللَّه رجلاً	٣/ ١٢٦
* أنشدك باللَّه	٢/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦
* انطلقوا إلى يهود	٣/ ٦٤ ـ ٦٥
* إنكم محشورون رجالاً	١/ ٩٩
* إنما هلكت بنو إسرائيل	٢/ ٤٣٩
* إنما يخرج الدجال	٣/ ٤٣٨
* إنما ينصر اللَّه	٣/ ٤٨٦
* إنهم ليبكون عليها	٣/ ١٢٠
* إنهما عيد	٣/ ١٣٢
* أوثق عرى الإيمان	٣/ ٢٣٦
* أوصيك بتقوى اللَّه	٣/ ٥٣٠
* إياكم والظن	٣/ ٧٥
* آيبون تائبون	٣/ ٦٤
* أيما مسلم	٣/ ٥٣٠
* إني حدثتكم عن الدجال	٣/ ٤٣٣
* إني رأيت عمود الكتاب	١/ ٩٤ ـ ٩٥
* إني عند اللَّه في أم الكتاب	١/ ١١٠
* إني لأنذركموه	٣/ ٤٣٣
* إني واللَّه	٣/ ٤٢١

طرف الحديث

الصفحة

* بسم اللَّه ..... ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨
* بشر هذه الأمة ٣/ ٤٨٦
* بعثت بين يدي الساعة ..... ٣/ ١٣٤، ٢٦٣
* بلى ولكنكم أحدثتم ٢/ ٤٤٨
* بينا أنا عند البيت ..... ١/ ١٢٢ ـ ١٢٣
* بينا أنا قائم ١/ ٩٥
* بينما كلب يطيف بركية ٢/ ٤٤٠
* بينما الناس بقباء ١/ ١٤١
* تصالحون الروم ..... ٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥
* تعوذوا باللَّه ٣/ ٤٤٠
* تفتح اليمن ١/ ١٤٩
* تفتح يأجوج ومأجوج ٣/ ٤٧٨
* تقاتلكم يهود ٣/ ٣٨٦
* تقاتلون اليهود ..... ٣/ ١١٨، ٣٨٦
* تكفل اللَّه ٣/ ٥٣١
* تكون بينكم وبين بني الأصفر ٣/ ٤٠٥
* تكون النبوة فيكم .....
* تنصح لكل مسلم ٣/ ٢٣٥
* ثلاث من كن فيه ..... ٣/ ١٢٢، ٢١٢
* ثلاثة في ضمان اللَّه ٣/ ٥٣١
* ثلاثة كلهم ٣/ ٥٣١

طرف الحديث	الصفحة
* ثلاثة يؤتون أجرهم	٣/ ١٣٦
* الجهاد فرض ماض	٣/ ٢٦٧
* الحيات مسخ الجن	٣/ ١١٢
* خالفوا اليهود	٣/ ١٣٠
* خذ عليك سلاحك	٣/ ٤٠
* الدجال أعور العين اليسرى	٣/ ٤٣٤
* الدجال عينه خضراء	٣/ ٤٣٤
* الدجال لا يولد له	٣/ ٤٣٧
* الدجال ممسوح العين	٣/ ٤٣٤
* الدجال يخرج من أرض بالمشرق	٣/ ٤٢٧
* دعوة أبي إبراهيم	١/ ١٠٩ ـ ١١٠
* رأيت ليلة أسري بي	١/ ٩٤
* رباط شهر	٣/ ٥٣٧
* الروحة والغدوة	٣/ ٥٣١
* ست من أشراط الساعة	١/ ١٤٨ ـ ١٤٩
* ستخرج نار في آخر الزمان	١/ ٩٩
* ستصالحون الروم	٣/ ٤٠٥
* سمعتم بمدينة	٣/ ٤١٣
* سيكون هجرة بعد هجرة	١/ ١٠١ ـ ١٠٢، ١١٢
* الشام أرض المحشر والمنشر	١/ ١٠٩

طرف الحديث — الصفحة

* صدقت ٣/ ١١٥
* صفوة اللَّه من أرضه الشام ١/ ٩٣
* صل صلاة الصبح ٣/ ١٣٠
* صلاة في مسجدي هذا ..... ١/ ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤
* صلاح أول هذه الأمة ٣/ ٥١٨
* الطاعون رجس ٣/ ١١٣
* طهروا أفنيتكم ٢/ ٤٦٦
* طوبى لعيش بعد المسيح ٣/ ٤٧٩
* طيبوا ساحاتكم ٣/ ١٣٤
* عجب ربنا ٣/ ٥٣٦
* عدو يجمعون لأهل الإسلام ٣/ ٤٠٧
* عصابتان من أمتي ٣/ ٤١٥
* عليك بالشام ١/ ٩٢
* عليكم بالجهاد ٣/ ٥٣١
* عليكم بالشام ١/ ٩١
* عمران بيت المقدس ..... ١/ ١٠٨، ٣/ ٣٨٨، ٣٩٤
* عينان لا تريان النار ٣/ ٥٣٦
* غدوة في سبيل اللَّه ٣/ ٥٣١
* غزا نبي من الأنبياء ..... ١/ ١١٤ ـ ١١٥

طرف الحديث	الصفحة
* غير الدجال أخوفني عليكم	٣/ ٤٢٨ ـ ٤٣٢
* غيروا الشيب	٣/ ١٣٣
* فأين	٣/ ٤١
* فسطاط المسلمين	١/ ١٠٦، ٣/ ٤٠٦
* فيلمانيّا أقمر هجانا	١/ ١٢٣ ـ ١٢٤
* قاتل اللَّه اليهود	٢/ ٣٥١، ٤٥٢، ٤٥٤
* قال سليمان	٣/ ٥٣٠
* القتلى ثلاثة	٣/ ٥٣٧
* قوموا إلى سيدكم	٣/ ٤٤
* قيام ساعة	٣/ ٥٣٢
* قيل لبني إسرائيل	٢/ ٤٤٧، ٤٧٥
* كان داود أعبد البشر	١/ ١١٦
* كان رجل من بني إسرائيل	٢/ ٤٤٠
* كان رسول اللَّه يصلي وهو بمكة	١/ ١٣٩
* كانت بنو إسرائيل يغتسلون	٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨
* كانت حاضنتي من بني سعد	١/ ١١٠ ـ ١١١
* الكبر بطر الحق	٢/ ٢٥٣
* كذب	٢/ ٣٤١
كذبوا	١/ ١٠٠

طرف الحديث — الصفحة

* كل مولود يولد على الفطرة ..... ٢/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩
* كم من أشعث أغبر ٣/ ٤٨٧
* كيف أنتم إذا نزل ٣/ ٤٦٦
* كيف تفعلون بمن زنى ..... ٢/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠
* لا أقبله اليوم ٣/ ٣٤
* لا تجلس هكذا ٣/ ١٣١
* لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى ٣/ ٣٩٨
* لا ترتكبوا ٣/ ١١٣
* لا تزال طائفة من أمتي ..... ١/ ١٠٣، ٣/ ٤٠٠
* لا تسافر امرأة مسيرة يومين ١/ ١٤١
* لا تسلموا تسليم اليهود ٣/ ١٣٣
* لا تشد الرحال إلا ١/ ١٤٢
* لا تفعل ٣/ ٥٣٤
* لا تقوم الساعة حتى ..... ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦، ٣/ ١١٨، ٣٨٥، ٤٠٦
* لا يجتمع بجزيرة العرب دينان ٣/ ٧٣
* لا يخرج الدجال حتى ٣/ ٤١٨
* لا يزال أهل العرب ظاهرين ١/ ١٠٣
* لا يزال الدين ظاهراً ٣/ ١٣١

طرف الحديث	الصفحة
* لا يصلين أحد العصر إلا	٣/ ٤١
* لا يموت رجل مسلم إلا	٣/ ١٣٥
* لأعطين الراية غدًا	٣/ ٥٨
* لأنا أعلم بما مع الدجال	٣/ ٤٣٤
* لتكونن هجرة بعد هجرة	١/ ١٠٢، ١/ ١١٢
* لتملأن الأرض	٣/ ٣٩٦، ٣٩٦ ـ ٣٩٧
* لصوت أبي طلحة	٣/ ٤٨٦
* لعن اللَّه اليهود	٢/ ٤٥٣، ٣/ ١٠٣
* لعنة اللَّه على اليهود	٢/ ٣٥١
* لفتنة بعضكم	٣/ ٤١٦
* لقد بلغ وعيد قريش	٣/ ٢٩ ـ ٣١
* لقد رأيتني في الحجر	١/ ١٢٢
* اللحد لنا	٣/ ١٣١
* للشهيد عند اللَّه	٣/ ٥٣٥
* لما أصيب إخوانكم	٣/ ٥٣٦
* لما كان ليلة أسري بي	١/ ١٢٤ ـ ١٢٦
* لما كذبتني قريش	١/ ١٢٦
* لو تابعني عشرة من اليهود	٢/ ٤٥٨
* لو تركته بيَّن	٢/ ٤٦١
* لو فعل لأخذته الملائكة	٣/ ١٢٠

طرف الحديث	الصفحة
* لو لم يبق من الدنيا	٣/ ٣٩٧
* لو لم يبق من الدهر	٣/ ٣٩٧
* ليس بيني وبين عيسى	٣/ ٤٦٦
* ليس من بلد إلا	٣/ ٤٣٥
* ليغزون الهند	٣/ ٤١٥
* ليفرن الناس	٣/ ٤١٧
* ليقتلن ابن مريم الدجال	٣/ ٤٤٥
* ما اغبرت قدما عبد	٣/ ٥٣٢
* ما أنا عليه اليوم	٣/ ٢١٠
* ما بعث اللّه من نبي إلا	٣/ ٤٣٢
* ما بين خلق آدم	٣/ ٤١٦
* ما تذاكرون	٣/ ٤٧٥
* ما حبست الشمس على بشر قط إلا	١/ ١١٥
* ما حملكم على ذلك	٣/ ٦٨
* ما خالط قلب امرئ	٣/ ٥٣٣
* ما كان اللّه ليسلطك	٣/ ٦٧
* ما كان الفحش في شيء قط إلا	٢/ ٤٣٦
* ما لك	٣/ ٥٧
* ما من أحد يسمع بي	٣/ ١٢٢
* ما من مكلوم	٣/ ٥٣٥
* ما من نبي إلا	٣/ ٤٣٢

طرف الحديث	الصفحة
* ما يبكيك؟	٣/ ٤٤٥
* ما يضرك أن تقول	٣/ ١٠٢
* مثل المجاهد	٣/ ٥٣٢
* مدينة هرقل	٣/ ٤١١
* المسجد الحرام	١/ ١١٢ ـ ١١٣
* من أحب للَّه	٣/ ٢٣٦
* من أدرك منكم عيسى	٣/ ٤٦٧
* من تشبه بقوم فهو منهم	٣/ ١٢٨
* من حفظ عشر آيات	٣/ ٤٤٠
* من خلفائكم خليفة	٣/ ٣٩٧
* من راح روحة	٣/ ٥٣٣
* من سأل اللَّه	٣/ ٥٣٥
* من سره	٣/ ٥٢٧
* من سمع بالدجال	٣/ ٤٤١
* من قاتل في سبيل اللَّه	٣/ ٥٣٣
* من قال ذلك؟	٣/ ٥٧
* من قتلك؟	٢/ ٣٤٦
* من لكعب بن الأشرف	٣/ ٤٨ ـ ٤٩
* من هذا السائق	٣/ ٥٥
* من يأت بني قريظة	٣/ ٣٩ ـ ٤٠
* منا الذي يصلي	٣/ ٤٠١

طرف الحديث — الصفحة

* المهدي من عترتي ٣/ ٣٩٧
* المهدي منا أهل البيت ٣/ ٣٩٧
* المهدي مني ٣/ ٣٩٨
* مهلاً يا عائشة ..... ٢/ ٣٤٠، ٣/ ١٧
* موقف ساعة ٣/ ٥٣٢
* المؤمن يغار ٣/ ١٨
* نجا أول هذه الأمة ٣/ ٥٤٢
* نظفوا أفنيتكم ٢/ ٤٦٦
* نقركم على ذلك ٣/ ٦٢
* نعم ٣/ ١٢١
* هذا أوان يختلس العلم ٢/ ٤٤٤
* هذان السمع والبصر ٣/ ٧١
* هو من أمر اليهود ٣/ ١٢٩
* هؤلاء الضالين ٣/ ١٠٢
* والذي نفسي بيده ..... ٣/ ١٢١، ٤٦٧
* واللَّه لينزلن ابن مريم ٣/ ٤٦٧
* ويحك يا بلال ٣/ ١٢٠
* يا أبا بكر ٣/ ٥٢٧
* يا أبا سعيد ٣/ ٥٣٤
* يا ابن حوالة ..... ٣/ ٣٨٨، ٣٩٤
* يا إخوة القردة ٣/ ٤٢

طرف الحديث	الصفحة
* يا أيها الناس	٣/ ٤١٩ ـ ٤٢١، ٤٢٣ ـ ٤٢٦
* يا طوبى للشام	١/ ٩٠
* يا عائشة أشعرت	٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣
* يا عائشة ما أزال أجد	٣/ ٦٩
* يا عثمان	٣/ ٧٦
* يا معشر الأنصار	٣/ ١٣٢
* يا معشر اليهود	٣/ ٩ ـ ١٠
* يأتي الدجال	٣/ ٤٣٩
* يأتي المسيح	٣/ ٤٣٩
* يتبع الدجال	٣/ ٣٩١، ٤٣٥
* يجيء الدجال	٣/ ٩٨، ٤٣٦
* يجيء يوم القيامة	٣/ ١٣٥
* يخرج الدجال	٣/ ٤٢٧، ٤٣٨، ٤٣٩
* يخرج في آخر أمتي المهدي	٣/ ٣٩٨
* يضحك اللَّه	٣/ ٥٣٥
* يغفر للشهيد	٣/ ٥٣٦
* يقتل ابن مريم الدجال	٣/ ٤٤٥
* يقول اللَّه تعالى	٣/ ٤٧٥
* يكون اختلاف	٣/ ٣٨٩، ٣٩٥،

طرف الحديث

الصفحة

٣٩٩

* يكون في آخر أمتي ٣/٣٩٨
* يكون في آخر الزمان ٣/٣٩٨
* يكون في هذه الأمة ٣/٤١٤
* يلي رجل من أهل بيتي ٣/٣٩٨
* ينزل الدجال ..... ٣/٣٩١، ٤٣٦
* ينزل عيسى ابن مريم ..... ١/١٠٨، ٣/٣٩٠، ٣٩٦
* يهديكم اللَّه ٢/٣٤٢
* يهود تعذب ٣/١١٩
* يؤتى بالرجل ٣/٥٣٥
* يوشك أن تداعى عليكم ٣/٥٢١
* يوم الملحمة الكبرى ١/١٠٦

* * *

فهرس المراجع

❁ فهرس المراجـع ❁

﴿ أ ـ التفسير ﴾

١ ـ «تفسير الطبري» لابن جرير الطبري ـ مطبعة: مصطفى البابي الحلبي.
٢ ـ «تفسير الطبري» لابن جرير ـ طبع دار المعارف ـ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر.
٣ ـ «تفسير القرطبي» للقرطبي ـ كتاب الشعب.
٤ ـ «تفسير ابن كثير» لابن كثير ـ كتاب الشعب.
٥ ـ «تفسير ابن كثير» لابن كثير ـ طبعة مكتبة أولاد الشيخ.
٦ ـ «زاد المسير» لابن الجوزي ـ المكتب الإسلامي.
٧ ـ «تفسير ابن أبي حاتم».
٨ ـ «الدر المنثور» للسيوطي.
٩ ـ «تفسير البغوي» للبغوي.
١٠ ـ «فتح القدير» للشوكاني.
١١ ـ «محاسن التأويل» للبغوي.
١٢ ـ «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا.
١٣ ـ «في أضواء البيان» للشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية.
١٤ ـ «في ظلال القرآن» لسيد قطب ـ دار الشروق.
١٥ ـ «أحكام القرآن» للجصاص.
١٦ ـ «أحكام القرآن» لأبي بكر بن العربي.

١٧ ـ «أسباب النزول» للواحدي.

١٨ ـ «مباحث في علوم القرآن» لمناع القطّان ـ مكتبة المعارف ـ الرياض.

ب ـ السنة

١٩ ـ «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ طبعة السلفية.

٢٠ ـ «شرح مسلم» للنووي. للإمام محيي الدين النووي ـ دار الشعب.

٢١ ـ «تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي» طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٢٢ ـ «صحيح سنن الترمذي» للألباني ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٢٣ ـ «صحيح سنن أبي داود» للألباني ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٢٤ ـ «صحيح سنن النسائي» للألباني ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٢٥ ـ «صحيح سنن ابن ماجه» للألباني ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٢٦ ـ «مسند أحمد بن حنبل» تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر ـ طبع دار المعارف.

٢٧ ـ «الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني على أبواب البخاري» للشيخ الساعاتي ـ دار إحياء التراث العربي.

٢٨ ـ «أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل» للحافظ ابن حجر العسقلاني

ـ تحقيق: د/ زهير الناصر ـ دار ابن كثير.
٢٩ ـ «المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند الإمام أحمد» عبد اللَّه ناصر عبد الرشيد ـ دار طيبة.
٣٠ ـ «صحيح ابن خزيمة» تحقيق د/ مصطفى الأعظمي والألباني ـ المكتب الإسلامي.
٣١ ـ «مجمع الزوائد» للهيثمي ـ مكتبة القدسي.
٣٢ ـ «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» لابن حجر العسقلاني ـ المكتب الإسلامي.
٣٣ ـ «صحيح الترغيب والترهيب» للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٣٤ ـ «صحيح الجامع الصغير» للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٣٥ ـ «فيض القدير» للمناوي.
٣٦ ـ «مشكاة المصابيح» للتبريزي ـ تحقيق: الشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٣٧ ـ «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٣٨ ـ «إرواء الغليل» للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٣٩ ـ «شرح السنة» للإمام البغوي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش ـ المكتب الإسلامي.
٤٠ ـ «المستدرك» للحاكم.
٤١ ـ «المُصَنَّف» لعبد الرزاق الصنعاني.
٤٢ ـ «المُصَنَّف» لابن أبي شيبة ـ طبع الهند.
٤٣ ـ «السنن الكبرى» للبيهقي.

٤٤ ـ «المعجم الكبير» للطبراني ـ تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ـ وزارة الأوقاف العراقية.
٤٥ ـ «المعجم الأوسط» للطبراني ـ طبع دار الحرمين.
٤٦ ـ «الموطأ» لمالك بن أنس ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٧ ـ «مشكل الآثار» للطحاوي.
٤٨ ـ «الجامع لشعب الإيمان» للبيهقي ـ الطبعة الهندية.
٤٩ ـ «جامع الأصول» لابن الأثير ـ دار الفكر.
٥٠ ـ «المختارة» للضياء المقدسي.
٥١ ـ «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» علاء الدين بن بلبان ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة.
٥٢ ـ «مسند أبي يعلى الموصلي» أبو يعلى الموصلي ـ تحقيق: حسين سليم أسد ـ دار المأمون.
٥٣ ـ «سنن الدارمي» للدارمي.
٥٤ ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير.
٥٥ ـ «زوائد سنن ابن ماجه» للبوصيري.
٥٦ ـ «معالم السنن» للخطابي مع تهذيب أبي داود لابن القيم ـ ط ـ أنصار السنة المحمدية.
٥٧ ـ «سنن الدارقطني».
٥٨ ـ «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لملا علي القاري.
٥٩ ـ «ضعيف سنن أبي داود» للألباني.
٦٠ ـ «ضعيف سنن النسائي» للألباني.

٦١ ـ «ضعيف سنن الترمذي» للألباني.
٦٢ ـ «ضعيف سنن ابن ماجه» للألباني.
٦٣ ـ «الإسراء والمعراج» للألباني ـ المكتبة الإسلامية بعمّان.
٦٤ ـ «قصة المسيح الدجال» للألباني ـ المكتبة الإسلامية بعمّان.
٦٥ ـ «مناقب الشام وأهله» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ ومعه تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي ـ الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٦٦ ـ «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» للعز بن عبد السلام ـ مكتبة المنار ـ الأردن.
٦٧ ـ «التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث» للشيخ بكر عبد اللّه أبو زيد.
٦٨ ـ «المنار المنيف» لابن القيم.
٦٩ ـ «التهاني في التعقب على موضوعات الصاغاني» لعبد العزيز الغماري.
٧٠ ـ «تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث» لابن الديبع الشيباني.
٧١ ـ «الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث» للغزي.
٧٢ ـ «كشف الخفاء» للعجلوني.
٧٣ ـ «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» لملا علي القاري.
٧٤ ـ «ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ» لمحمد بن طاهر ابن القيسراني المقدسي.
٧٥ ـ «ضعيف الجامع الصغير» الألباني ـ المكتب الإسلامي.

٧٦ ـ «السلسلة الضعيفة» للألباني ـ المكتب الإسلامي.
٧٧ ـ «الضعفاء» للعقيلي.
٧٨ ـ «ميزان الاعتدال» للذهبي.
٧٩ ـ «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» لابن عراق الكناني.
٨٠ ـ «الموضوعات» لابن الجوزي.
٨١ ـ «الكامل» لابن عدي.
٨٢ ـ «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لملا علي القاري.
٨٣ ـ «الوضع في الحديث» لعمر حسن فلاته.
٨٤ ـ «دلائل النبوة» للبيهقي.
٨٥ ـ «الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل» ـ دراسة حديثية ـ إبراهيم العلي ـ منشورات فلسطين المسلمة ـ الأردن.
٨٦ ـ «الأنساب» للسمعاني.
٨٧ ـ «تخريج الإحياء» للحافظ العراقي ـ المطبوع مع إحياء علوم الدين.

﴿ جـ ـ الفقه وأصوله ﴾

٨٨ ـ «المجموع» (شافعي) للنووي ـ طبعة المطيعي.
٨٩ ـ «المغني» لابن قدامة (حنبلي) ـ طبعة دار هجر.
٩٠ ـ «روضة الطالبين» للنووي (شافعي) ـ المكتب الإسلامي.
٩١ ـ «الأم» للشافعي.
٩٢ ـ «مغني المحتاج شرح المنهاج» للخطيب الشربيني.
٩٣ ـ «اختلاف الفقهاء» للطبري.

٩٤ ـ «فتح القدير» لابن الهمام (حنفي).
٩٥ ـ «المبسوط» للسرخسي (حنفي).
٩٦ ـ «حاشية رد المحتار على الدر المختار» لابن عابدين ـ (حنفي).
٩٧ ـ «الكافي في فقه أهل المدينة» لابن عبد البر (مالكي).
٩٨ ـ «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (حنبلي).
٩٩ ـ «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير».
١٠٠ ـ «الأحكام السلطانية» للفراء.
١٠١ ـ «الأحكام السلطانية» للماوردي.
١٠٢ ـ «نيل الأوطار» للشوكاني.
١٠٣ ـ «السيل الجرار» للشوكاني.
١٠٤ ـ «الروضة الندية شرح الدرر البهية» لصديق حسن خان ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٠٥ ـ «سبل السلام» للصنعاني.
١٠٦ ـ «زاد المعاد» لابن القيم.
١٠٧ ـ «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن القيم ـ دار الحديث.
١٠٨ ـ «مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ عبد العزيز بن باز.
١٠٩ ـ «المحلى» لابن حزم (ظاهري).
١١٠ ـ «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي.
١١١ ـ «أحكام أهل الذمة» لابن القيم ـ دار رمادي.
١١٢ ـ «الفتاوى السعدية» للسعدي.
١١٣ ـ «مجموعة بحوث فقهية» للدكتور عبد الكريم زيدان.

١١٤ ـ «السياسة الشرعية» لابن تيمية ـ المطبعة السلفية.
١١٥ ـ «جلباب المرأة المسلمة» للألباني.
١١٦ ـ «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» للدكتور محمد خير هيكل ـ دار البيارق.
١١٧ ـ «حسن الرفاقة في أجوبة سؤالات السواقة» لأبي محمد المقدسي.

د ـ عقيدة

١١٨ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية.
١١٩ ـ «الإيمان لابن تيمية» المكتب الإسلامي.
١٢٠ ـ «الإيمان» لابن أبي شيبة ـ تخريج الألباني ـ المكتب الإسلامي.
١٢١ ـ «شرح السنة» للبربهاري ـ مكتبة الغرباء الأثرية.
١٢٢ ـ «الشريعة» للآجري.
١٢٣ ـ «النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» لابن القيم ـ مكتبة ابن تيمية.
١٢٤ ـ «معارج القبول» للشيخ حافظ بن حكمي ـ دار ابن القيم.
١٢٥ ـ «لا إله إلا اللَّه» للدكتور ياسر برهامي ـ دار المروة.
١٢٦ ـ «مجموعة التوحيد».
١٢٧ ـ «الولاء والبراء في الإسلام» لمحمد بن سعيد القحطاني ـ دار طيبة.
١٢٨ ـ «تلبيس إبليس» لابن الجوزي.
١٢٩ ـ «لوامع الأنوار» للسفاريني.
١٣٠ ـ «مناظرة بين الإسلام والنصرانية» طبع الرئاسة العامة لإدارات

البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
١٣١ ـ «الروتاري في قفص الاتهام» لأبي إسلام أحمد بن عبد اللَّه ـ دار الاعتصام.
١٣٢ ـ «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح».
١٣٣ ـ «مجموعة الرسائل الكبرى» لابن تيمية.
١٣٤ ـ «الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية ـ المطبعة السلفية.
١٣٥ ـ «السنة» لأحمد بن حنبل.
١٣٦ ـ «السنة» للخلال.
١٣٧ ـ «خلق أفعال العباد» للبخاري.
١٣٨ ـ «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي.
١٣٩ ـ «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية.
١٤٠ ـ «فضائح الباطنية» لأبي حامد الغزالي.
١٤١ ـ «إظهار الحق» للشيخ رحمة اللَّه الهندي.
١٤٢ ـ «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة.
١٤٣ ـ «المدخل» لابن الحاج.
١٤٤ ـ «الاعتصام» للشاطبي.
١٤٥ ـ «إصلاح المساجد» للقاسمي.
١٤٦ ـ «مناسك الحج والعمرة» للألباني ـ المكتب الإسلامي.
١٤٧ ـ «الصارم المسلول» لابن تيمية.
١٤٨ ـ «الإبداع في مضار الابتداع» للشيخ علي محفوظ ـ دار الاعتصام.
١٤٩ ـ «الرد على الرافضة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

١٥٠ ـ «معجم البدع» لرائد بن صبري ـ دار العاصمة.
١٥١ ـ «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم ـ مكتبة المثنى ببغداد.
١٥٢ ـ «كشف أسرار الباطنية» لمحمد بن مالك الحمادي اليمني ـ مطبعة الأنوار.
١٥٣ ـ «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار الهمذاني ـ دار العربية ـ بيروت.
١٥٤ ـ «التوحيد محور الحياة» للدكتور عمر الأشقر ـ مكتبة الفلاح ـ ودار النفائس.
١٥٥ ـ «العقيدة في اللَّه» للدكتور عمر الأشقر ـ مكتبة الفلاح ودار النفائس.
١٥٦ ـ «الرسل والرسالات» للدكتور عمر الأشقر ـ مكتبة الفلاح ـ دار النفائس.
١٥٧ ـ «الإسماعيلية تاريخ وعقائد» لإحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ باكستان.
١٥٨ ـ «الشيعة والتشيع» لإحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ باكستان.
١٥٩ ـ «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ باكستان.
١٦٠ ـ «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري» لكامل مصطفى الشيبي.

١٦١ ـ «مختصر التحفة الاثنا عشرية» لشاه عبد العزيز الدهلوي ـ اختصار محمود شكري الألوسي ـ المطبعة السلفية.
١٦٢ ـ «أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» للدكتور ناصر القفاري.
١٦٣ ـ «وجاء دور المجوس» للدكتور عبد اللَّه الغريب.
١٦٤ ـ «أمل والمخيمات الفلسطينية» للدكتور عبد اللَّه الغريب.
١٦٥ ـ «الحكومة الإسلامية» للخميني.
١٦٦ ـ «الشيعة والسنة ضجة مفتعلة» دار المختار الإسلامي.
١٦٧ ـ «نهج الخميني في ميزان الفكر الإسلامي» لبشار عوّاد ـ دار عمار ـ الأردن.
١٦٨ ـ «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والجماعة والشيعة الإمامية» لأبي الحسن الندوي ندوة علماء الهند.
١٦٩ ـ «موقف الخميني من الشيعة والتشيع» لمحمود سعد ناصح.
١٧٠ ـ «التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام» للشيخ الألباني ـ دار الفضيلة ـ دار الهدي النبوي.
١٧١ ـ «نقد القومية العربية» للشيخ عبد العزيز بن باز.
١٧٢ ـ «اليهود في السنة المطهرة» للدكتور عبد اللَّه بن ناصر الشقاري ـ دار طيبة.
١٧٣ ـ «الشفا» للقاضي عياض.
١٧٤ ـ «بذل المجهود في إفحام اليهود» للحكيم السموءل بن يحيى ـ دار

القلم دمشق، والدار الشامية ببيروت.
١٧٥ ـ «مقارنة الأديان اليهودية» للدكتور أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة المصرية.
١٧٦ ـ «معركتنا مع اليهود» لسيد قطب ـ دار الشروق.
١٧٧ ـ «أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة» لوفا صادق ـ دار الفرقان بعمّان.
١٧٨ ـ «مكايد يهودية عبر التاريخ» لعبد الرحمن حبنكة الميداني ـ دار القلم ـ دمشق.
١٧٩ ـ «تعصب اليهود» للدكتور عمر عبد العزيز قرشي.
١٨٠ ـ «القرآن لا يشهد لتوراة اليهود» للواء أحمد عبد الوهاب ـ طبع المركز الإسلامي بالزيتون.
١٨١ ـ «اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية» للواء أحمد عبد الوهاب ـ مكتبة وهبة.
١٨٢ ـ «رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام» للواء أحمد عبد الوهاب ـ مكتبة التراث الإسلامي.
١٨٣ ـ «الحقيقة التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل الكيلاني.
١٨٤ ـ «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبي زهرة.
١٨٥ ـ «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده.
١٨٦ ـ «اليهود والماسونية» للشيخ عبد الرحمن الدوسري ـ دار السنة.
١٨٧ ـ «فضح التلمود ـ تعاليم الحاخامين السرية» لزهدي الفاتح ـ دار النفائس بيروت.

١٨٨ ـ «اليهودية» للدكتور أحمد غلوش.
١٨٩ ـ «اليهود بين القرآن والتلمود» لعادل هاشم موسى ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
١٩٠ ـ «التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام» للشيخ محمد الغزالي.
١٩١ ـ «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم.
١٩٢ ـ «عقيدة اليهود في تملّك فلسطين وتفنيدها» لعابد الهاشمي ـ مكتبة أم القرى.

﴿ س ـ فكر ﴾

١٩٣ ـ «موسوعة اليهودية والصهيونية» للدكتور عبد الوهاب المسيري ـ دار الشروق.
١٩٤ ـ «اليهود أنثروبولوجيا» للدكتور جمال حمدان.
١٩٥ ـ «قبل أن يهدم الأقصى» لعبد العزيز مصطفى كامل.
١٩٦ ـ «حمى سنة ٢٠٠٠» لعبد العزيز مصطفى كامل.
١٩٧ ـ «ملف إسرائيل» دراسة للصهيونية السياسية ـ لجارودي.
١٩٨ ـ «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» روجيه جارودي.
١٩٩ ـ «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» للدكتور سفر الحوالي ـ مكتبة السنة.
٢٠٠ ـ «صحوة الرجل المريض» أو «السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية» لموفق بني المرجة ـ مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ـ الكويت.

٢٠١ ـ «يوميات انتفاضة الأقصى» لعصام محمد حسن ـ مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.

٢٠٢ ـ «حرب الأيام الستة» لراندولف تشرشل ـ الترجمة العربية.

٢٠٣ ـ «من يحكم واشنطن وموسكو» لودنيس هافي ـ إعداد زهدي الفاتح ـ دار النفائس.

٢٠٤ ـ «التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية» لنهاد القادري.

٢٠٥ ـ «موسكو وإسرائيل» للدكتور عمر حليق.

٢٠٦ ـ «مقدمات العلوم والمناهج» لأنور الجندي.

٢٠٧ ـ «المبشرون البروتستانت والنية القاتلة» لجريس هالسيل.

٢٠٨ ـ «الأصولية اليهودية» لإيمانويل هيمان.

٢٠٩ ـ «جذور البلاء» لعبد اللّه التل ـ دار الإرشاد ـ بيروت.

٢١٠ ـ «صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية» للدكتور محمد عثمان بشير ـ دار الفلاح.

٢١١ ـ «لورانس العرب على خطى هرتزل» لهادي الفاتح.

٢١٢ ـ «السلام الضائع في كامب ديفيد» لمحمد كامل.

٢١٣ ـ «كتاب «الثورة» لمناحم بيجين.

٢١٤ ـ «المنظمات اليهودية الأمريكية» للي أوبرين.

٢١٥ ـ «بروتوكولات حكماء صهيون» ترجمة محمد خليفة التونسي ـ دار الكتاب العربي.

٢١٦ ـ «قصة الحضارة» لول ديورانت ـ ترجمة زكي نجيب محمود ـ مطابع الدجوي.

٢١٧ ـ «اليهودي العالمي» لهنري فورد ـ تعريب خيري حماد ـ منشورات المكتب التجاري ببيروت.
٢١٨ ـ «دائرة المعارف الأمريكية».
٢١٩ ـ «دائرة المعارف البريطانية».
٢٢٠ ـ «مع اللَّه» للشيخ محمد الغزالي.
٢٢١ ـ «فلسطيني بلا هوية» لصلاح خلف.
٢٢٢ ـ «الجهاد» لأبي الأعلى المودودي.
٢٢٣ ـ «الجهاد والفدائية» لحسن أيوب.
٢٢٤ ـ «فقه الدعوة» لسيد قطب ـ اختيار أحمد حسن.
٢٢٥ ـ «أحجار على رقعة الشطرنج» لوليام غاي كار ـ ترجمة سعد جزائرلي ـ دار النفائس ـ بيروت.
٢٢٦ ـ «اليهود وراء كل جريمة» لوليم كار ـ دار الكتاب العربي.
٢٢٧ ـ «الأفعى اليهودية» لعبد اللَّه التل.
٢٢٨ ـ «حكومة العالم الخفية» تأليف شيريب سبيريدوفتيش ـ ترجمة مأمون سعد ـ دار النفائس ـ بيروت.
٢٢٩ ـ «حقيقة إسرائيل» لمحمود شيت خطاب.
٢٣٠ ـ «يهود الأمس سلف سيئ لخلف أسوأ» للشيخ عبد الرحمن الدوسري ـ مكتبة السوادي.
٢٣١ ـ «كيف ندعو الناس» لمحمد قطب ـ دار الشروق.
٢٣٢ ـ «العلاقات الدولية» لأبي زهرة.
٢٣٣ ـ «المجتمع الإنساني في ظل الإسلام» لمحمد أبي زهرة.

٢٣٤ ـ «أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية» للدكتور علي بن نفيع اليماني ـ دار طيبة.

٢٣٥ ـ «أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين» ليوسف إبراهيم الشيخ عيد ـ طبع دار المعالي.

٢٣٦ ـ «تاريخ انهيار دولة إسرائيل» للواء أحمد عبد الوهاب ـ مكتبة التراث الإسلامي.

٢٣٧ ـ «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» لعبد المعز عبد الستار.

٢٣٨ ـ «القدس قضية كل مسلم» للدكتور يوسف القرضاوي ـ مكتبة وهبة.

٢٣٩ ـ «فلسطين أولاً» لجمال حمدان ـ مكتبة مدبولي.

٢٤٠ ـ «هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين العربية؟» لمحمد أحمد أبو فارس ـ بيت الحكمة.

٢٤١ ـ «نقد التوراة» لأحمد حجازي السقا.

٢٤٢ ـ «المخططات التلمودية الصهيونية» لأنور الجندي.

٢٤٣ ـ «الأجوبة المفيدة في مهمات العقيدة» لعبد الرحمن الدوسري.

٢٤٤ ـ «قبل أن يهدم الأقصى» لعبد العزيز مصطفى كامل.

٢٤٥ ـ «الشخصية الإسرائيلية» للدكتور حسن ظاظا ـ دار القلم دمشق.

٢٤٦ ـ «النبوءة والسياسة» تأليف جريس هالسيل ـ ترجمة محمد السماك.

٢٤٧ ـ «القدس.. مدينة اللّه أم مدينة داود؟» للدكتور حسن ظاظا ـ دار القلم.

٢٤٨ ـ «القدس تناديكم» للمقدم الركن أحمد عبد ربه بصبوص ـ دار البشير.

٢٤٩ ـ «مذكرات وايزمان» لوايزمان.

٢٥٠ ـ «بغداد عروس عروبتكم» للدكتور محمد عباس ـ مكتبة مدبولي.

٢٥١ ـ «إني أرى الملك عاريًا» للدكتور محمد عباس ـ مكتبة مدبولي.

٢٥٢ ـ «وانتصرت المقاومة» لمجدي أحمد حسين ـ مركز يافا للدراسات والأبحاث.

٢٥٣ ـ «الجهاد في سبيل اللَّه ـ حزب اللَّه نموذجًا» للدكتور محمد مورو ـ مركز يافا للدراسات والأبحاث.

٢٥٤ ـ «حقيقة المقاومة ـ قراءة في أوراق الحركة السياسية الشيعية في لبنان» لعبد المنعم شفيق.

٢٥٥ ـ «تاريخ الصفويين وحضارتهم» لبديع جمعة وأحمد الخولي ـ دار الرائد العربي.

٢٥٦ ـ «رجال اختلف فيهم الرأي» لأنور الجندي ـ دار الأنصار.

٢٥٧ ـ «سلام الأوهام» لمحمد حسنين هيكل.

٢٥٨ ـ «حقائق قرآنية» لصلاح الخالدي.

٢٥٩ ـ «المنهاج ـ نفحات من الإسراء والمعراج» للدكتور فضل عباس.

٢٦٠ ـ «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية» لواء د. فوزي محمد طايل والدكتور حامد ربيع طبع ـ دار الوفاء.

٢٦١ ـ «مصر والحرب القادمة» أ.د. حامد ربيع.

٢٦٢ ـ «نحو نهضة أمة ـ كيف تفكر استراتيجيا؟» للواء الدكتور فوزي

طايل ـ طبع مركز الإعلام العربي.
٢٦٣ ـ «ثقافتنا في ظل النظام العالمي» لفوزي طايل ـ مركز الإعلام العربي.
٢٦٤ ـ «إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة» لإيليان هاليفي وألفريد ليلينتال ـ ترجمة رياض صوما ـ دار المروج.
٢٦٥ ـ «حقيقة اليهود والمطامع الخفية» لمحمد نمر الخطيب ـ ط ـ الوعي الإسلامي ـ الكويت.
٢٦٦ ـ «فلسطيني بلا هوية» لصلاح خلف.

﴿ ص ـ تاريخ وسير وتراجم ﴾

٢٦٧ ـ «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي.
٢٦٨ ـ «تاريخ دمشق» لابن عساكر.
٢٦٩ ـ «سير أعلام النبلاء» للذهبي ـ مؤسسة الرسالة.
٢٧٠ ـ «طبقات ابن سعد» لابن سعد.
٢٧١ ـ «عيون الروضتين» لأبي شامة الشافعي ـ مؤسسة الرسالة.
٢٧٢ ـ «تاريخ الطبري».
٢٧٣ ـ «بيت المقدس والمسجد الأقصى» لمحمد حسن شُرّاب ـ دار القلم ـ دمشق.
٢٧٤ ـ «الطريق إلى دمشق ـ فتح بلاد الشام» لأحمد عادل كمال.
٢٧٥ ـ «فتوح الشام» للواقدي.
٢٧٦ ـ «البداية والنهاية» لابن كثير ـ دار الرّيان للتراث.
٢٧٧ ـ «إتحاف الأخصّا بفضائل الأقصى» لأبي عبد اللّه المنهاجي السيوطي ـ مكتبة ابن الجوزي.

٢٧٨ ـ «عمرو بن العاص» بسّام العسلي ـ دار النفائس.
٢٧٩ ـ «جهاد شعب فلسطين في نصف قرن» لصالح مسعود أبو بصير ـ دار الفتح بيروت.
٢٨٠ ـ «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي.
٢٨١ ـ «أسد الغابة» لابن الأثير.
٢٨٢ ـ «مقدمة ابن خلدون» لابن خلدون.
٢٨٣ ـ «فضائل القدس» لابن الجوزي ـ دار الآفاق بيروت.
٢٨٤ ـ «الكامل» لابن الأثير.
٢٨٥ ـ «وثائق الحروب الصليبية» للدكتور ماهر حمادة ـ مؤسسة الرسالة.
٢٨٦ ـ «تاريخ الحروب الصليبية» لوليم رئيس أساقفة صور.
٢٨٧ ـ «ضُحى الإسلام» لأحمد أمين.
٢٨٨ ـ «وفيات الأعيان» لابن خلّكان.
٢٨٩ ـ «أيعيد التاريخ نفسه؟» لمحمد العبده.
٢٩٠ ـ «الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي» لمحمد بن الحسن الحجوي.
٢٩١ ـ «أخبار ملوك بني عُبيد» للصنهاجي.
٢٩٢ ـ «الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي» للمنياوي.
٢٩٣ ـ «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» لابن الأثير.
٢٩٤ ـ «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» لسبط ابن الجوزي.
٢٩٥ ـ «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لبهاء الدين بن شداد.
٢٩٦ ـ «عقود الجمان» للعيني.

٢٩٧ ـ «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي.
٢٩٨ ـ «العبر من خبر من غبر» للذهبي.
٢٩٩ ـ «كتاب السلوك» للمقريزي.
٣٠٠ ـ «الظاهر بيبرس ونهاية ـ الحروب الصليبية القديمة» لبسّام العسلي دار النفائس.
٣٠١ ـ «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» ـ لشافع بن علي ـ الرياض.
٣٠٢ ـ «مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني» ـ ترجمة د. محمد حرب عبد الحميد.
٣٠٣ ـ «أهداف إسرائيل التوسعية» لمحمود شيت خطّاب.
٣٠٤ ـ «العقيدة الإسلامية ومعركة التحرير» لكامل الشريف.
٣٠٥ ـ «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح.
٣٠٦ ـ «سيرة ابن هشام».
٣٠٧ ـ «السيرة الحلبية».
٣٠٨ ـ «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني.
٣٠٩ ـ «أخبار المدينة» لعمر بن شبة.
٣١٠ ـ «الفاروق عمر لمحمد حسين هيكل» مطبعة مصر.
٣١١ ـ «تاريخ الأمم الإسلامية» لمحمد الخضري ـ المكتبة التجارية.
٣١٢ ـ «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي المكي ـ مطبعة السنة المحمدية.
٣١٣ ـ «حقبة من التاريخ» لعثمان الخميس ـ دار الإيمان.

٣١٤ ـ «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى.
٣١٥ ـ «الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا» للدكتور محمد عبد اللطيف هريدي ـ دار الصحوة.
٣١٦ ـ «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» لكامل الشريف ـ دار الوفاء.
٣١٧ ـ «ثورة العالم المجاهد عز الدين القسّام» لعوني جدوع العبيدي ـ دار النفائس الأردن.
٣١٨ ـ «عز الدين القسّام شيخ المجاهدين في فلسطين» لمحمد حسن شراب دار العلم دمشق.
٣١٩ ـ «بطولات من أرض الإسراء» لعوني جدوع العبيدي ـ دار النفائس ـ الأردن.
٣٢٠ ـ «الانتفاضة المباركة وقائع وأبعاد» لغسّان حمدان ـ مكتبة الفلاح.
٣٢١ ـ «موسوعة الشهداء.. شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث» لعبد الحليم الكناني ـ دار البشير.
٣٢٢ ـ «الإخوان المسلمون في معارك فلسطين» للدكتور مصطفى السباعي.
٣٢٣ ـ «مذبحة الحرم الإبراهيمي» لمحمد عبد اللّه السمّان وحسن عاشور ـ دار الاعتصام.
٣٢٤ ـ «اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار» للدكتور توفيق الواعي ـ دار ابن حزم.
٣٢٥ ـ «النكبة» لعارف العارف ـ المطبعة العصرية.
٣٢٦ ـ «طبقات الشافعية» للسبكي.

٣٢٧ ـ «جمال حمدان ـ صفحات من أوراقه الخاصة» للدكتور عبدالحميد صالح حمدان.
٣٢٨ ـ «مقومات النصر وملحمة الملأ من بني إسرائيل» لصالح الحديدي ـ مركز الإعلام العربي.
٣٢٩ ـ «الطريق إلى بيت المقدس» للدكتور جمال عبد الهادي ـ دار الوفاء.
٣٣٠ ـ «الفتوحات الإسلامية» لأحمد بن زيني دحلان.
٣٣١ ـ «السير الكبير» لمحمد بن حسن الشيباني.
٣٣٢ ـ «ماذا ينقمون من الشيخ الألباني» لمحمد إبراهيم شقرة.
٣٣٣ ـ «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر.
٣٣٤ ـ «فقه السيرة» لمحمد الغزالي.
٣٣٥ ـ «الروض الأنف» للسهيلي.
٣٣٦ ـ «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» رؤية من الداخل ـ لمحمود عبد الحليم ـ دار الدعوة بالأسكندرية.
٣٣٧ ـ «عبد اللّه عزام ـ أحداث ومواقف» للدكتور عدنان النحوي ـ دار النحوي.
٣٣٨ ـ «الشهيد عبد اللّه عزام» لحسين خليل حسين ـ دار أسامة.
٣٣٩ ـ «على أبواب القدس» للنحوي ـ دار النحوي.
٣٤٠ ـ «حماس» لعبد اللّه عزام.

ع ـ متنوعات

٣٤١ ـ «الفوائد» لابن القيم.
٣٤٢ ـ «بدائع الفوائد» لابن القيم.

٣٤٣ ـ «إغاثة اللهفان» لابن القيم.

﴿ هـ ـ اللغة والشعر ﴾

٣٤٤ ـ ديوان «من أقوال الشاهد الأخير» لحيدر محمود ـ دار كتابكم.

٣٤٥ ـ ديوان «طاوعني قلبي في النسيان» لفاروق جويدة ـ مكتبة غريب.

٣٤٦ ـ ديوان «ألف وجه للقمر» لفاروق جويدة ـ مكتبة غريب.

٣٤٧ ـ ديوان «شموخ في زمن الانكسار» لعبد الرحمن العشماوي.

٣٤٨ ـ ديوان «قناديل في عتمة الضحى» ليوسف العظم ـ مكتبة المنار.

٣٤٩ ـ ديوان «الفتية الأبابيل» ليوسف العظم ـ دار الفاروق.

٣٥٠ ـ بيت المقدس في الحروب الصليبية» للدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي ـ دار البشير.

٣٥١ ـ «لباب الآداب» للأمير أسامة بن منقذ ـ دار الكتب السلفية.

٣٥٢ ـ «ملحمة فلسطين» للدكتور عدنان النحوي ـ دار النحوي.

٣٥٣ ـ «ملحمة الأقصى» للدكتور عدنان النحوي ـ دار النحوي.

٣٥٤ ـ «الأعمال الكاملة» لمحمود حسن إسماعيل.

٣٥٥ ـ ديوان «قاب قوسين» لمحمود حسن إسماعيل.

٣٥٦ ـ ديوان «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني» لمحمود مفلح.

٣٥٧ ـ ديوان «لو أننا لم نفترق» لفاروق جويدة.

٣٥٨ ـ ديوان «الأرض المباركة» للدكتور عدنان النحوي ـ دار النحوي.

٣٥٩ ـ ديوان «هكذا يقول الحجر» لأحمد محمد الصديق ـ دار الضياء.

٣٦٠ ـ ديوان «لافتات» لأحمد مطر.

٣٦١ ـ ديوان «زمان القهر علّمني» لفاروق جويدة ـ مكتبة غريب.

٣٦٢ ـ ديوان «لن أبيع العمر» لفاروق جويدة ـ مكتبة غريب.
٣٦٣ ـ ديوان «عرائس الضياء» ليوسف العظم.
٣٦٤ ـ ديوان «في القدس قد نطق الحجر» لخالد أبي العمرين ـ مكتبة الفلاح.
٣٦٥ ـ ديوان «لأنك مسلم» لمحمود مفلح.
٣٦٦ ـ ديوان «الانتفاضة» جمع أحمد الخاني.
٣٦٧ ـ ديوان «إنها الصحوة» لمحمود مفلح.
٣٦٨ ـ «ملحمة الغرباء» للدكتور عدنان النحوي ـ دار النحوي ـ الرياض.
٣٦٩ ـ ديوان «عمر أبو ريشة».
٣٧٠ ـ «شعراء الدعوة الإسلامية» لأحمد عبد اللطيف جدع ـ مؤسسة الرسالة.
٣٧١ ـ ديوان أبي سلمى «عبد الكريم الكرمي» دار العودة بيروت.
٣٧٢ ـ ديوان «أنت الرياض» لغازي القصيبي.
٣٧٣ ـ ديوان «على دروب الكفاح» لمحمود الروسان.
٣٧٤ ـ ديوان «نداء الدماء» لحسن القرشي.
٣٧٥ ـ ديوان «عندما تحترق القناديل» لحسن القرشي.
٣٧٦ ـ ديوان «رحيل القوافل القتالة» لحسن القرشي.
٣٧٧ ـ ديوان محمد مصطفى الماحي ـ دار الفكر العربي.
٣٨٧ ـ ديوان «جراح على الدرب» للنحوي ـ دار النحوي.
٣٧٩ ـ ديوان «الشعاع» لوليد الأعظمي ـ الكويت.
٣٨٠ ـ ديوان «عصر الشهداء» لنجيب الكيلاني ـ مؤسسة الرسالة.

٣٨١ ـ «درة الأقصى» للدكتور النحوي ـ دار النحوي للنشر والتوزيع.

٣٨٢ ـ ديوان «بدوي الجبل» دار العودة.

٣٨٣ ـ ديوان «زغاريد في علبة صفيح» لعبد المجيد القمودي.

٣٨٤ ـ ديوان «جرح الإباء» لأحمد فرج عقيلان ـ منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

٣٨٥ ـ ديوان «الطريق إلى القدس» لداود معلا ـ عمان.

٣٨٦ ـ ديوان «الألمعيات» لزاهر الألمعي ـ مطابع الفاروق التجارية ـ بالرياض.

٣٨٧ ـ ديوان «على درب الجهاد» لزاهر الألمعي ـ مطابع الفاروق التجارية ـ بالرياض.

٣٨٨ ـ ديوان «موكب النور» للدكتور عدنان النحوي ـ دار النحوي.

٣٨٩ ـ ديوان «الشوقيات» لأحمد شوقي.

٣٩٠ ـ ديوان «يا أمة الإسلام» لعبد الرحمن العشماوي ـ مكتبة العبيكان.

٣٩١ ـ ديوان «رسالة إلى ليلى» لأحمد فرح عقيلان.

٣٩٢ ـ ديوان «نداء الحق» لأحمد محمد الصديق.

٣٩٣ ـ ديوان «كانت لنا أوطان» لفاروق جويدة.

٣٩٤ ـ «صوت الشعر في قضية فلسطين» لمحمد صادق عرنوس.

٣٩٥ ـ ديوان الشاعر عبد الرحيم محمود.

٣٩٦ ـ ديوان «من القدس إلى سراييڤو» لعبد الرحمن العشماوي ـ دار الصحوة.

٣٩٧ ـ ديوان «المبشرات القدسيات» للجيليلاني ـ جمع د. عبد الجليل

حسني المهدي ـ دار البشير.
٣٩٨ ـ «مقامات القرني» دار الصحابة الإمارات.

الدوريات والمجلات

٣٩٩ ـ مجلة «الفتح» العدد ٥٦٣.
٤٠٠ ـ مجلة «صوت الأزهر».
٤٠١ ـ مجلة القدس لنا» ـ الكويت.
٤٠٢ ـ مجلة «القدس» العدد ٢٤.
٤٠٣ ـ مجلة «القدس» العدد ٢٦.
٤٠٤ ـ جريدة «آفاق عربية».
٤٠٥ ـ «المجلة العربية» رمضان ١٤٢١هـ.
٤٠٦ ـ جريدة «الشرق الأوسط» عدد ٣٢٩٣.
٤٠٧ ـ مجلة «الوعي الإسلامي» العدد ٤١٨.
٤٠٨ ـ مجلة «القدس» العدد ١٤.
٤٠٩ ـ مجلة «القدس» العدد العاشر.
٤١٠ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» عدد ١٩.
٤١١ ـ مجلة « ديوان القدس».
٤١٢ ـ مجلة «القدس» العدد ٢.
٤١٣ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» المجلد الأول ـ العدد الرابع.
٤١٤ ـ مجلة «البيان» العدد ١٠٣.
٤١٥ ـ مجلة «البيان» العدد ٤٨.
٤١٦ ـ جريدة «القبس» العدد ٥٦٩٠.

٤١٧ ـ جريدة «الأهرام» ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٠م.
٤١٨ ـ مجلة «القدس» العدد ٢٣.
٤١٩ ـ مجلة «الوعي الإسلامي» العدد ٤٢٠.
٤٢٠ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» ـ العدد الثامن.
٤٢١ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» ـ العدد الرابع عشر.
٤٢٢ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» ـ العدد السابع عشر.
٤٢٣ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» ـ العدد الحادي عشر.
٤٢٤ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» ـ العدد الثالث عشر.
٤٢٥ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» ـ العدد العشرون.
٤٢٦ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» ـ العدد الثالث والعشرون.
٤٢٧ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» ـ العدد الحادي والعشرون.
٤٢٨ ـ مجلة «الدعوة» العدد ١٥.
٤٢٩ ـ مجلة «القدس» العدد ٢٤.
٤٣٠ ـ مجلة «القدس» العدد الخامس.
٤٣١ ـ مجلة «السنة» عدد ٢٤.
٤٣٢ ـ مجلة «لواء الإسلام» عدد شعبان ١٣٨٧هـ.
٤٣٣ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» العدد الثاني والعشرون.
٤٣٤ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» العدد الخامس عشر.
٤٣٥ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» العدد التاسع عشر.
٤٣٦ ـ مجلة «القدس» العدد ١٧.
٤٣٧ ـ مجلة «القدس» العدد ٢٥.

٤٣٨ ـ مجلة «البيان» العدد (١٥٧).
٤٣٩ ـ مجلة «البيان» العدد (١٥٩).
٤٤٠ ـ مجلة «البيان» العدد (١٦٢).
٤٤١ ـ مجلة «المجتمع» العدد (٧٨٣).
٤٤٢ ـ مجلة «المجتمع» العدد (٨١٠).
٤٤٣ ـ مجلة «السنة» العدد السابع عشر.
٤٤٤ ـ جريدة «الشعب» ٩/ ٣/ ١٩٩٩م.
٤٤٥ ـ جريدة «الحياة» العدد (١٣٥١٢).
٤٤٦ ـ مجلة «المجتمع» العدد (٩٥٥).
٤٤٧ ـ مجلة «الشاهد السياسي» العدد (١٤٧).
٤٤٨ ـ مجلة «المقاومة» العدد ٤٠ ـ مركز يافا للدراسات والأبحاث.
٤٤٩ ـ مجلة «المقاومة» العدد ٢٧، ٣١.
٤٥٠ ـ جريدة «النهار» ٥/ ٣/ ١٩٨٧م.
٤٥١ ـ مجلة «السفير» اللبنانية ١٨/ ٥/ ١٩٩٥م.
٤٥٢ ـ مجلة «المصور» المصرية شهر مارس ١٩٩٩م.
٤٥٣ ـ مجلة «الاعتصام» العدد الخامس ١٣٩٩هـ.
٤٥٤ ـ مجلة «المجتمع» العدد (٤٨٨، ٩٥٣).
٤٥٥ ـ «الأنباء الكويتية» ١/ ٥/ ١٩٧٩م.
٤٥٦ ـ مجلة «الشراع» ١٤/ ٨/ ١٩٩٥م.
٤٥٧ ـ مجلة «المجلة» العدد ١٠١٣، ١١٣٢، مجلة «الوسط» العدد ٢٢٢.

٤٥٨ ـ مجلة «قافلة الزيت» عدد رمضان ١٣٩٢هـ: تشرين الأول ١٨٧٢م.

٤٥٩ ـ مجلة «فلسطين المسلمة» عدد ٩ السنة ١١ أيلول ١٩٩٣م.

٤٦٠ ـ مجلة «القدس» العدد ٦.

٤٦١ ـ مجلة «القدس» العدد ٢٠.

٤٦٢ ـ مجلة «صوت الأقصى» عدد١.

٤٦٣ ـ جريدة «التايم» ١٦/٦/١٩٦٧م.

٤٦٤ ـ صحيفة «هاتسوفيه» الإسرائيلية ١٢/١١/١٩٩٤م.

٤٦٥ ـ «الخليج» عدد ٦/١١/١٩٩٧م وعدد ٩/٨/١٩٩٧م.

٤٦٦ ـ «الشرق» القطرية عدد ١٩/٨/١٩٩٧م.

٤٦٧ ـ «السياسة الكويتية» عدد ٣٠/١٠/١٩٩٧.

٤٦٨ ـ مجلة «روز اليوسف» عدد ١٨/٨/١٩٩٧م.

٤٦٩ ـ جريدة «الأخبار» عدد ٢٥ أبريل ١٩٩٧م.

٤٧٠ ـ مجلة «القدس» العدد (٢١).

٤٧١ ـ مجلة «الأمل» العدد ١٠٤/١٩٨٢.

٤٧٢ ـ جريدة «الشرق الأوسط» جدة ـ ٤/١٠/١٩٨٢م.

٤٧٣ ـ «الاتحاد الظبيانية» العدد (٥١٩٨).

٤٧٤ ـ مجلة «عكاظ» العدد ٧٦٢١.

٤٧٥ ـ «الشرق الأوسط» العدد ٣١٥٠.

٤٧٦ ـ مجلة «الرائد» العدد ١٠١.

٤٧٧ ـ مجلة «القدس» العدد (٢٢).

٤٧٨ ـ جريدة «العربي» القاهرية ٧ مارس ١٩٩٤م.
٤٧٩ ـ مجلة «القدس» العدد (٦).

فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضـــوع

فتاوى العلماء في حكم الصلح مع اليهود
وحكم العمليات الفدائية ٥ ـ ٩٥
*فتاوى العلماء في حكم الصلح مع اليهود ٧
*قول من يقول: «إن الصلح مع إسرائيل كصلح الحديبية قول داعر» ٨
*من علماء نجد إلى الملك ابن سعود: الاستنكار لتأسيس دولة يهودية في فلسطين ١٣
* نداء علماء الأزهر سنة ١٩٤٧م إلى أبناء العروبة والإسلام بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين وحماية المسجد الأقصى ١٥
*يا أبناء العروبة والإسلام ..... ١٦، ١٧
*وقد وقّع على الفتوى ١٨
*ثانيًا: فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بتحريم الصلح مع الكيان الإسرائيلي ووجوب الجهاد سنة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م ١٩
*فتوى علماء فلسطين ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ٢٤
*الشيخ عبد العزيز بن باز والقضية الفلسطينية ٢٧
*العمليات الانتحارية أو الاستشهادية ما الحكم الشرعي فيها؟ ٢٩
*قول الشيخ الألباني في العمليات الانتحارية:
لا يُجيزها إلا بإذن الخليفة أو قائد الجيش المُوَلّى مِن قِبَلِه ٣٠
*وقفة مع كلام سيدنا الشيخ الألباني رحمه اللّه ٣٢
* هل يُشترط وجود خليفة للمسلمين للقيام بالفرض الكفائي للجهاد؟ ٣٣

الموضـــوع	الصفحة
* هل وجود خليفة شرط للقيام بالجهاد الذي هو فرض عين؟	٣٤
* تنبيه هام	٤٠
* أما في وجود الإمام	٤١
* الرأي الأول: القتال بدون إذن الإمام حرام	٤١
* الرأي الثاني: القتال بدون إذن الإمام مكروه وليس بحرام	٤٢
* التفصيل في العمليات الفدائية	٤٢
١ ـ النوع الأول: ما لا إشكال فيه أنه من قبيل الاستشهاد المبرور	٤٣
٢ ـ النوع الثاني من العمليات: ما فيه تفصيل في الحكم بحسب الحالة التي تقع فيها تلك العمليات ـ هل هي حالة ضرورة لا غنى عن القيام بها، أم ليست كذلك؟	٤٤
* حالة الضرورة	٤٦
* قال القرطبي: «يجوز قتل الترس، وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية» معنى كونها قطعية	٤٧ ٤٨
* تنبيه هام جداً	٤٩
٣ ـ النوع الثالث من العمليات: ما هو من قبيل الانتحار المحظور	٥٠
٤ ـ النوع الرابع: ما تختلف فيه وجهات النظر:	٥١
* تنبيهات: هل يجوز إذا أشرفت سفينة على الغرق أن تُجرى قرعة لإلقاء بعض من فيها من الناس؟	٥٦
* قول القرطبي	٥٦
* وخالفه الإمام الغزالي	٥٦
* فرق واضح ظاهر لنا، نعرفه ونعتبره	٥٩

الموضـــوع — الصفحة

* شبهات والردّ عليها: ٦٣
* استدل بعضهم للاحتجاج بقول اللَّه تعالى في مدح المؤمنين ﴿يقاتلون في سبيل اللَّه فيَقتلون ويُقتلون﴾ ٦٣
* الرد عليهم ٦٤
* الرد على من احتج بحديث أبي أيوب والبراء ..... ٦٥، ٦٦
* مسألة الترس ٦٧
* طائفة جوزت ذلك بشروط (جمهور أهل العلم) ٦٨
* وقبل أن نختم هذه المسألة نلخّص ما قلناه في النقاط الآتية ٧١
* احتجاج البعض بفعل الغلام في قصة أصحاب الأخدود والرد عليه ٧٦
* أحدها ٧٦
* الوجه الثاني ٧٦
* الوجه الثالث ٧٧
* الوجه الرابع ٧٨
* والرأي الآخر: الجواز على الإطلاق ولا نقول به ٧٩
* كلام عشوائي ٨٣
* المعاملة بالمثل ٨٣
* حول فتوى الشيخ الألباني بالهجرة من بعض مناطق فلسطين ٨٥
الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٩٧-١٠٦
بدع وأخطاء شائعة ١٠٧-١٢٣
* بدع وأخطاء شائعة ١٠٩

الموضـــوع	الصفحة
* من البدع المتعلقة ببيت المقدس	١١٢
١ ـ قصد زيارة بيت المقدس مع الحج وقولهم: «قدّس اللّه حجتك»	١١٢
٢ ـ الطواف بقبة الصخرة تشبهًا بالطواف بالكعبة، واستلام الصخرة وتقبيلها	١١٣
٣ ـ زعمهم أن من وقف ببيت المقدس أربع وقفات أنها تعدل حجة	١١٣
٤ ـ الصلاة عند قبر إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ	١١٣
* صخرة بيت المقدس والبدع والأخطاء الشائعة المتعلقة بها	١١٣
* ومن البدع	١١٧
* ومن البدع زيارة معابد الكفار ككنائس النصارى كالقمامة وبيت لحم وصهيون	١٢٠
* ومن الخطأ تسمية المسجد الأقصى حَرَما	١٢١
الشعراء يناجون القدس والأقصى	**١٢٥-٥٤١**
* دمعة على قبر الطفل «محمد الدرة» لمصطفى زكي مقلد	١٢٧
* بكاء الأسئلة «إلى ولدي محمد» لممدوح المتولي	١٢٩
* «عذرًا يا رامي» لعبد اللّه بن عبد الرحمن الميمان	١٣٢
* إياك أن تُصدقي معارك الحناجر لهلال الفارع	١٣٣
* «حياة اللاجئين المسلمين من أهل فلسطين» للدكتور محمد العاني	١٣٧
* «انتفاضة الأقصى» لسامر محمد البارودي	١٤٥

الصفحة

الموضـــوع

* وللّه در محمد التهامي ١٤٧
* «أمتي» لعمر أبي ريشة ١٤٩
* مررت بالمسجد المحزون أسأله ١٥٠
* أطفال يافا يصرخون وما لهم ١٥١
* «ولكن لا أحد» لحيدر محمود ١٥١
* «يا أمة العرب الكرام» لحيدر محمود ١٥٤
* «نشيد الحجارة» لحيدر محمود ١٥٧
* «الشاهد الأخير» لحيدر محمود ١٥٩
* «مرثية حلم» لفاروق جويدة ١٦٣
* «رسالة إلى صلاح الدين» لفاروق جويدة ١٧٤
* «هوية الأقصى» ليوسف العظم ١٨٣
* «أعينيّ لا ترقَي من العبرات» لشهاب الدين بن المجاور ١٨٤
* وقال آخر يرثي القدس ١٨٦
* «ربى الأقصى» للدكتور عدنان النحوي ١٨٧
* «رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين» للدكتور عدنان النحوي ١٩٥
* «الأذان الذبيح» لمحمود حسن إسماعيل ٢٠٠
* المسجد الصابر» لمحمود حسن إسماعيل ٢٠٣
* «وجئت أصلي» لمحمود حسن إسماعيل ٢٠٨
* «تكبيرة الزحف» لمحمود حسن إسماعيل ٢١٥
* «في موقف العشق» لسعيد المزين ٢١٨
* «سيدة الدنيا» لمحمود مفلح ٢٢٧

الموضـــوع	الصفحة
* «عهد الطوائف» لمحمود مفلح	٢٣١
* «ماذا تبقى من بلاد الأنبياء» لفاروق جويدة	٢٣٤
* «متى يفيق النائمون» لفاروق جويدة	٢٤٢
* «رحلة الموت» لعدنان النحوي	٢٤٨
* «عائدون» لأحمد مطر	٢٥٤
* «عاش يسقط» لأحمد مطر	٢٥٥
* «ورثة إبليس» لأحمد مطر	٢٥٦
* «عزاء على بطاقة تهنئة» لأحمد مطر	٢٥٧
* «إن هان الأقصى يهون العمر» لفاروق جويدة	٢٥٩
* «لأنك عشت في دمنا» لفاروق جويدة	٢٦٦
* «يا زمان الحزن في القدس[1] » لفاروق جويدة	٢٧٢
* «لن تموتوا مرتين» لفاروق جويدة	٢٧٦
* «المقاتلون بدماء القدس» لفاروق جويدة	٢٨٠
* «فلسطيني الغد الظافر» ليوسف العظم	٢٨٤
* «فلسطينية تروي قصتها في بيروت» ليوسف العظم	٢٨٦
* «هائمة تبحث عن مستقر»	٢٨٨
* «أيا حسناء معذرة» لمحمد عبد الحكيم القاضي	٢٩١
* «أناشيد على أبواب القدس» لخالد أبي العمرين	٢٩٣
* «من أين نبدأ» لخالد أبي العمرين	٣٠١
* «ويبقى النخيل» لعصام خليفة	٣٠٥

(١) في «الأصل» في بيروت» بدل «في القدس».

الموضـــوع — الصفحة

* «العناقيد» لجمال فضل ٣١٠
* «الفجر الدامي» للدكتور عدنان النحوي ٣١٢
* «ذكرىٰ الخليل» للدكتور عبد الرحمن بارود ٣١٩
* «القدس تنتحب» لعبد اللّٰه عيسى العيسى ٣٢٣
* «أننسى.. أننسى..؟» لمحمود مفلح ٣٢٧
* «جثة الذئب» لمحمود مفلح ٣٢٨
* «شموخ في زمن الانكسار» لعبد الرحمن العشماوي ٣٣٢
* «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني» لمحمود مفلح ٣٢٤
* «وسافروا في جفاف الأرض أنهارا» لمحمود مفلح ٣٤٦
* «الفتية الأبابيل» ليوسف العظم ٣٤٩
* «إلى أين يا قومي» لعبد الرحمن العشماوي ٣٥٢
* «هكذا يقول الحجر» لأحمد محمد الصديق ٣٥٦
* «حاذر أن تساوم» للدكتور يوسف أبو هلالة ٣٥٩
* «صوت حرة القدس» لعبد الرزاق محمد العدساني ٣٦١
* «كفانا الشبل والحجر» لعلي الحسن ٣٦٩
* «أقول» لأحمد يحيى بهكلي ٣٧٤
* «العصر الحجري الحديث» لمحمود عارف البارودي ٣٧٧
* «برقية متأخرة من الولد الفلسطيني للقمة» لمحمود مفلح ٣٧٩
* «مليون توقيع» لعبد الرحمن العشماوي ٣٨٤
* «قيامة الثأر» لمحمود حسن إسماعيل ٣٨٧
* «رسالة إلى شارون» لفاروق جويدة ٣٩٣

الموضـــوع	الصفحة
* «صورة مأساوية لا تنسى» لعبد الرحمن العشماوي	٣٩٨
* «سوف لن ننسى لكم هذا الجميلا» لأحمد مطر	٤٠٣
* «الأقصى» لمحمد التهامي	٤٠٧
* «إنهم يسرقون القدس من معجم البلدان» للدكتور سعد دعبيس	٤٠٨
* «جرح مسافر فوق الريح» لداود معلا	٤١٠
* «ضحكت من نفسها العرب» لرأفت السنوسي	٤١٥
* «أما نحن فلن ننسى» للدكتور عبد الكريم المشهداني	٥١٧
* صرخة في زمن الصمت» لعواطف الحجيلي	٤١٨
* «النسر الشهيد» لأحمد فارس	٤١٩
* «تسعون عامًا من السقوط» لحسن عبد الرقيب	٤٢٣
* «كائن بلا هُويّة» للدكتور صالح الزهراني	٤٢٥
* «يبدأ الفتح» لجودت أبي بكر	٤٢٦
* «وردة في فم الحزن» لحسن حجاب الحازمي	٤٢٨
* «إسرائيل قنبرة خلا لها الجو» لهشام صالح القاضي	٤٢٩
* ولله دره وهو يقول	٤٣٠
* «هذا الفتى» لنضال قاسم	٤٣٠
* «المسرى» لداود معلا	٤٣٢
* «صليل الحجارة» لنبيل محمد أضباشي	٤٣٨
* «ولي أن أغني لعرسك» «تحية إلى روح الشهيد» لطاهر العتباني	٤٤٢
* «عنترة يبكي على أطلال القدس» لمصطفى السواحلي	٤٤٧

الموضـــوع — الصفحة

* يقول بدوي الجبل ٤٤٩
* «إلى شعب فلسطين» لأحمد فرح عقيلان ٤٥٠
* «يا قدس يا قدس» لداود معلا ٤٥١
* «هناك بلادي» لهارون هاشم رشيد ٤٥٢
* «عربية يا قدس» لهارون هاشم رشيد ٤٥٣
* «تنادي ربوع القدس أبناء أمة» لزاهر الألمعي ٤٥٣
* «أين الغيور» ٤٥٤
* «نعم أين الغيور» ٤٥٤
* قال الشاعر «محمد التهامي» ٤٥٤
* «وا قدساه» لغازي القصيبي ٤٥٧
* «صوت شهيد القدس» لعلي أحمد باكثير ٤٥٧
* «يا عروس المجد» لعمر أبي ريشة ٤٥٧
* «لا صلح يا قومي وإن طال المدى» لعلى أحمد باكثير ٤٥٨
* «صلاح الدين بطل حطين ومحرر القدس» ٤٥٨
* ولله در «داود معلا» وهو يقول ٤٥٨
* ويقول «محمد الروسان» عن فتح صلاح الدين للقدس ٤٥٨
* «لو قرأنا التاريخ ما ضاعت القدس» ٤٥٩
* «صلاح الدين.. وما أدراك ما صلاح الدين؟! ٤٥٩
* يقول حسن القرشي ٤٦٠
* «واحترق الأقصى» لأحمد فرح عقيلان ٤٦٠
* ويقول القرشي أيضًا ٤٦١

الموضـــوع	الصفحة
* «أمة العرب أفيقي» للقرشي	٤٦١
* «يا لوعة الأقصى».. «لم يبق في عرفات إلا دمعة» للدكتور عدنان النحوي	٤٦٢
* «دمعة على رجل» للدكتور عدنان النحوي	٤٦٢
* ويقول الشاعر الحبشي محمد كامل الأني	٤٦٣
* «فلسطين الشهيدة» لمحمد مصطفى الماحي	٤٦٣
* وقال النحوي	٤٦٣
* «إيه فلسطين» لوليد الأعظمي	٤٦٤
* «هنا القدس».. «مزامير الأرض والدم» لهارون هاشم رشيد	٤٦٤
* ويقول هارون هاشم رشيد	٤٦٥
* «وا قدساه»	٤٦٦
* «أغنية في زمن الانكسار» للدكتور مأمون فريز جرار	٤٦٧
* «يا فتى الانتفاضة» لجابر قميحة	٤٧١
* «بنت صهيون في المدائن تجري» لنجيب الكيلاني	٤٧٥
* «لبيك يا أيها الأقصى»	٤٧٦
* «درة الأقصى» للدكتور عدنان النحوي	٤٧٧
* «الحقيقة المرّة في مقتل الدرة» لفيصل الحجي	٤٩٠
* «أمام صورة المسجد الأقصى» لحفيظ بن عجب آل حفيظ	٤٩٥
* «عذرًا فلسطين» لأحمد بن عطية الزهراني	٤٩٩
* «رسالة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي» للدكتور محمد بن ظافر الشهري	٥٠١

الصفحة

الموضـــوع

* «قصة القدس» للدكتور عبد الغني التميمي ٥٠٤
* «سوف تأتيك بالرجال البشائر» لأخي عبد اللّه بن حسين العفاني ٥١٥
* «رفيق صلاح الدين» ٥١٩
* من الباكثيريات المجهولة ٥٢١
* «عرس شهيد» ٥٢٥
* «هزيمة النصر» ٥٢٦
* «صرخة الأقصى» ٥٢٧
* «النار تحت العنكبوت» ٥٢٨
* «الشوق العظيم» ٥٣٠
* «شهادة وإيثار» ٥٣١
* «على لسان مجاهد: صرخة من عمق المأساة» ٥٣٢
* «عجبًا» ٥٣٥
* «إنهم سيرجعون» ٥٣٦
* «غثاء السيل» ٥٣٧
* «أرض الإسراء» ٥٣٨
* فهرس أطراف الحديث ..... ٥٤٣ ـ ٥٥٩
* فهرس المراجع ..... ٥٦١ ـ ٥٩٢
* فهرس الموضوعات ..... ٥٩٣ ـ ٦٠٥

* * *